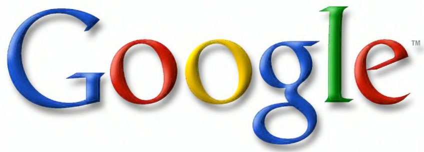


انوار التنزيل واسرار التأويل

للقاضى الامام العلّامة

ناصر الدين ابو سعيد عبد اللّه بن عمر

البيضاوىّ

سُورَةُ فَاتِحَةِ ٱلْكِتَابِ

مكّيّة وآيها سبع آيات

وتسمّى امّ القران لانّها مفتتحه ومبدأه فكانّها اصله ومنشأه ولذلك تسمّى اساسا او لانّها تشتمل على ما فيه من الثناء على اللّه والتعبّد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظريّة والأحكام العمليّة الّتى هى سلوك الطريق المستقيم والاطّلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله صلعم هى شفاء كلّ داء والسبع المثانى لانّها سبع آيات بالاتّفاق الّا انّ منهم من عدّ التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتُثنّى فى الصلوة او الانزال ان صحّ انّها نزلت بمكّة حين فُرضت الصلوة وبالمدينة لمّا حُوّلت القبلة وقد صحّ انّها مكّيّة لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى وهو مكّىّ بالنصّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من الفاتحة وعليه قُرّاء مكّة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعىّ وخالفهم قرّاء المدينة والبصرة والشأم وفقهاؤها ومالك والاوزاعىّ ولم ينصّ ابو حنيفة فيه بشىء فظُنّ انّها ليست من السورة عنده وسئل محمّد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفّتين كلام اللّه لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انّه عم قال فاتحة الكتاب سبع آيات أُولاهنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم وقول امّ سلمة قرأ رسول اللّه الفاتحة وعدّ بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه ربّ العالمين آية ومن اجلهما اختلف فى انّها آية برأسها او بما بعدها والإجماع على انّ ما بين الدفّتين كلام اللّه والوفاق على اثباتها فى المصاحف مع المبالغة فى تجريد القران حتّى لم يكتب آمين ، والباء متعلّقة بمحذوف تقديره بسم اللّه أَقْرأُ لانّ الّذى يتلوه مقروء وكذلك يضمر كلّ فاعل ما يَجعل التسمية مبدأً له وذلك أَوْلى من ان يضمر أَبْدأُ لعدم ما يطابقه ويدلّ عليه او ابتدائى لزيادة اضمارٍ فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما فى قوله بسم اللّه مجراها وقوله ايّاك نعبد لانّه اهمّ وادلّ على الاختصاص وادخل فى التعظيم واوفق للوجود فانّ اسمه تعالى متقدّم على القراءة كيف لا وقد جُعل آلةً لها من حيث انّ الفعل لا يتمّ ولا يعتدّ به شرعا ما لم يصدّر باسمه لقوله عم كلّ امرٍ ذى بال لم يُبدأ فيه باسم اللّه فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبرّكا باسم اللّه اقرأُ وهذا وما بعده مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يُتبرّك باسمه ويُحمد على نعمه ويسأل من فضله وانّما كُسرت ومِنْ حقّ الحروف المفردة ان تُفْتح لاختصاصها بلزوم الحرفيّة والجرّ كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلةً على المُظْهَر للفصل بينهما وبين لام الابتداء ، والاسم عند اصحابنا البصريّين من الاسماء الّتى حُذفت أعجازها لكثرة الاستعمال وبُنيت اوائلها على السكون وأُدْخل عليها مبتدأً بها همزة الوصل لانّ مِنْ دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرّك ويقفوا على الساكن

غيره وصار كالعَلَم مثل الثريّا والصعق أُجْرِى مجراه فى إجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرّق احتمال الشركة اليه لانّ ذاته من حيث هو هو بلا اعتبار امرٍ آخرَ حقيقيّ او غيره غيرُ معقول للبشر فلا يمكن ان يُدَلّ عليه بلفظ ولانّه لو دلّ على مجرّد ذاته المخصوصة لَما أفاد ظاهرُ قوله تعالى وهو اللّه فى السموات معنى صحيحا ولانّ معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر فى المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانيّة فعرّب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيمُ لامه اذا انفتح ما قبله او انضمّ سُنّة وقيل مطلقا وحَذْف الفه لحنٌ تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر

أَلَا لا بارَكَ ٱللّهُ فى سُهَيْلٍ اذا ما ٱللّهُ بارك فى الرجال ،

الرحمن الرحيم اسمان بُنيا للمبالغة من رَحِمَ كالغَضْبان من غَضِبَ والعَليم من عَلِمَ والرحمة فى اللغة رقّة القلب وانعطافٌ يقتضى التفضّلَ والاحسانَ ومنه الرَحِمُ لانعطافها على ما فيها واسماء اللّه تعالى انّما تؤخذ باعتبار الغايات الّتى هى افعال دون المبادئ الّتى تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لانّ زيادة البناء تدلّ على زيادة المعنى كما فى قَطَعَ وقَطَّعَ وكُبار وكُبّار وذلك انّما يؤخذ تارةً باعتبار الكمّيّة واخرى باعتبار الكيفيّة فعلى الاوّل قيل يا رحمن الدنيا لانّه يعمّ المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانّه يخصّ المؤمن وعلى الثانى قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لانّ النعم الاخرويّة كلّها جسام وامّا النعم الدنيويّة فجليلة وحقيرة وانّما قدّم والقياس يقتضى الترقّى من الادنى الى الاعلى لتقدّم رحمة الدنيا ولانّه صار كالعَلَم من حيث انّه لا يوصف به غيره لانّ معناه المُنْعِم الحقيقى البالغ فى الرحمة غايتَها وذلك لا يصدق على غيره لانّ من عداه فهو مستعيضٌ بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مُزيح رقّةِ الجِنْسيّة او حُبَّ المال عن القلب ثم انّه كالواسطة فى ذلك لانّ ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكّن من الانتفاع بها والقُوَى الّتى بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك مِنْ خَلْقه لا يقدر عليها احد غيره او لانّ الرحمن لمّا دلّ على جلائل النعم واصولها ذُكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمّة والرديف له او للمحافظة على رؤس الآى والاظهر انّه غير مصروف وإنْ حَظَرَ اختصاصُه باللّه أنْ يكون له مؤنّث على فَعْلَى او فَعْلانة إلحاقا له بالاغلب فى بابه وتخصيصُ التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارفُ انّ المستحقّ لأَنْ يستعان به فى مجامع الامور هو المعبود الحقيقىّ الّذى هو مُولى النعم كلّها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجّهَ بشراشره الى جناب القدس ويتمسّك بحبل التوفيق ويشغل سرّه بذكره والاستمداد به عن غيره (١) اَلْحَمْدُ لِلّهِ الحمد هو الثناء على الجميل الاختيارىّ من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على عِلْمه وكَرَمه ولا تقول حمدته على حُسْنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال

افادتكم النعماء منّى ثلثةً يدى ولسانى والضميرَ المحجّبا

فهو اعمّ منهما من وجهٍ واخصّ من آخر ولمّا كان الحمدُ من شُعَب الشكر أشْيَعَ للنعمة وأدلّ على مكانها لخفاء الاعتقاد وما فى آداب الجوارح من الاحتمال جُعِل رأسَ الشكر والعمدةَ فيه فقال عم الحمد رأس الشكر ما شكر اللّهَ من لم يحمده والذمّ نقيض الحمد والكُفْران نقيض الشكر ورَفْعه بالابتداء وخبرُه للّه وأصله النصب وقد قرئ به وانّما عدل عنه الى الرفع ليدلّ على عموم الحمد وثباته له دون تجدّده وحدوثه وهو من المصادر الّتى تُنْصَب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرف كلُّ احد أنّ الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد فى الحقيقة كلّه له اذ ما من خيرٍ الّا وهو موليه بوسط او غير وسط كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن اللّه وفيه اشعار بانّه تعالى حيٌّ قادر مُريد عالِم اذ الحمد لا يستحقّه الّا من كان هذا شأنه وقرئ الحمدُ لُله

بإتباع الدالِ اللامَ وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انّهما يستعملان معًا منزلةَ كلمة واحدة رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ الربّ فى الاصل بمعنى التربية وهى تبليغ الشىء الى كماله شيئًا فشيئًا ثمّ وُصِف به للمبالغة كالصَّوْم والعَدْل وقيل هو نعت من ربّه يَرُبّه فهو رَبٌّ كقولك نَمَّ يَنُمّ فهو نَمٌّ ثمّ سمّى به المالك لانّه يحفظ ما يملكه ويربّيه ولا يطلق على غيره تعالى الّا مقيّدا كقوله تعالى ارجع الى ربّك ، والعالَم اسم لما يُعْلَم به كالخاتَم والقالَب غُلّب فيما يُعْلَم به الصانع تعالى وهو كلّ ما سواه من الجواهر والاعراض فانّها لامكانها وافتقارها الى مؤثّر واجب لذاته تدلّ على وجوده وانّما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلّب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وُضِع لذوى العِلْم من الملائكة والثقلَيْن وتناوُله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عنى به الناس ههنا فانّ كلّ واحد منهم عالَم من حيث انّه يشتمل على نظائرِ ما فى العالم الكبير من الجواهر والاعراض يُعْلَم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه فى العالم الكبير ولذلك سوّى بين النظر فيهما وقال تعالى وفى انفسكم افلا تبصرون وقرئ ربَّ العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الّذى دلّ عليه الحمد وفيه دليل على انّ المُمْكنات كما هى مفتقرة الى المُحْدِث حالَ حدوثها فهى مفتقرة الى المُبْقى حالَ بقائها (٢) ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ كرّره للتعليل على ما سنذكره (٣) مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ قراءة عاصم والكسائىّ ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا والامر يومئذ للّه وقرأ الباقون مَلِكِ وهو المختار لانّه قراءة اهل الحَرَمَيْن ولقوله تعالى لمن المُلْك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرّف فى الأَعْيان المملوكة كيف يشاء من المِلْك والمَلِك هو المتصرّف بالامر والنهى فى المأمورين من المُلْك وقرئ مَلْكِ بالتخفيف ومَلَكَ بلفظ الفعل ومَالِكَ بالنصب على المدح او الحال ومَالِكٌ بالرفع منوّنا ومضافا على انّه خبر مبتدأ محذوف ومَلِكَ مضافا بالرفع والنصب، ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تَدين تُدان وبيت الحماسة

ولم يَبْقَ سوى العُدْوا   ن دِنّاهُمْ كما دانوا

اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتّساع كقولهم يا سارقَ الليلةِ اهلَ الدار ومعناه مَلِكَ الامور يومَ الدين على طريقةِ ونادَى اصحاب الجنّة او له المُلْك فى هذا اليوم على وجه

الاستمرار لتكون الاضافة حقيقيّة مُعدّة لوقوعه صفةً للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة امّا لتعظيمه او لتفرّده تعالى بنفوذ الامر فيه ، واجراء هذه الاوصاف على اللّه من كونه ربّا للعالمين مُوجِدًا لهم مُنْعِما عليهم بالنعم كلّها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انّه الحقيق بالحمد لا احد احقّ به منه بل لا يستحقّه على الحقيقة سواه فانّ ترتّب الحكم على الوصف يُشْعِر بعلّيّته له وللاشعار من طريق المفهوم على انّ من لم يتّصف بتلك الصفات لا يستأهل لأَنْ يُحْمَد فضلا عن ان يُعْبَد فيكون دليلا على ما بعده فالوصفُ الاوّل لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثانى والثالث للدلالة على انّه متفضّل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضيّةً لسوابق الاعمال حتّى يستحقّ به الحمد والرابعُ لتحقيق الاختصاص فانّه ممّا لا يَقْبَل الشركة فيه بوجهٍ ما وتضمينِ الوعد للحامدين والوعيد للمُعْرِضين (۴) إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعِينُ ثمّ انّه لمّا ذُكر الحقيق بالحمد وُصف بصفاتٍ عظامٍ تميّز بها عن سائر الذواتِ وتعلّق العِلْمُ بمعلومٍ معيّن خوطب بذلك اى يا من هذا شأنه نخصّك بالعبادة والاستعانة ليكون ادلّ على الاختصاص والترقّى من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود فكانّ المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهَدا والغيبة حضورا بنى اوّل الكلام على ما هو مبادئ حال العارف من الذكر والفكر والتأمّل فى اسمائه والنظر فى آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثمّ قفّى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجّة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللّهمّ اجعلنا من الواصلين للعين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنّن فى الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطريةً له وتنشيطا للسامع فيُعْدَل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلّم وبالعكس كقوله تعالى حتّى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وقوله واللّه الّذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسُقْناه وقول امرئ القيس

تطاول ليلُكَ بالأَثْمُدِ ونام الخلىُّ ولم تَرْقُدِ
وبات وباتت له لَيْلةٌ كلَيْلةِ ذى العائر الارمدِ
وذلك من نبإ جاءنى وخُبّرْتُه عن ابى الاسودِ ،

وإيّا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروفٌ زيدت لبيان التكلّم والخطاب والغيبة لا محلّ لها من الإعراب كالتاء فى انت والكاف فى أَرَأَيْتَكَ وقال الخليل ايّا مضاف اليها واحتجّ بما حكاه عن بعض العربِ اذا بلغ الرجل الستّين فايّاه وايّا الشوابّ وهو شاذّ لا يُعْتَمد عليه وقيل هى الضمائر وايّا عُمْدة فانّها لمّا فُصلت عن العوامل تعذّر النطق بها مفردةً فضمّ اليها ايّا لتستقلّ به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ أَيَّاكَ بفتح الهمزة وهَيّاكَ بقلبها هاء ، والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلّل ومنه طريق معبّد اى مذلّل وثوب ذو عَبَدة اذا كان فى غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل الّا فى الخضوع للّه تعالى ، والاستعانة طلب المعونة وهى إمّا ضروريّة او غيرها والضروريّة ما لا يتأتّى الفعل دونه كاقتدار

والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفّل وقيل بالرتبة ، والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانّه يسترط السابلةَ ولذلك سُمّى لَقَما لانّه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء فى الاطباق وقد يُشَمّ الصادُ صوتَ الزاى ليكون اقرب الى المُبْدَل عنه وقرأ ابن كثير برواية قُنْبل ورُوَيْس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت فى الامام وجمعه سُرُط ككُتُب وهو كالطريق فى التذكير والتأنيث ، والمستقيم المستوى والمراد به طريق الحقّ وقيل ملّة الاسلام (٦) صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بدل من الاوّل بدل الكلّ من الكلّ وهو فى حكم تكرير العامل من حيث انّه المقصود بالنسبة وفائدتُه التوكيد والتنصيص على انّ طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكَدِ وجهٍ وابلغه لانّه جعل كالتفسير والبيان له فكانّه من البيّن الّذى لا خفاء فيه انّ الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الّذين انعمت عليهم الانبياء وقيل النبىّ صلعم واصحابه وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراطَ مَنْ انعمت عليهم والانعام ايصال النِعْمة وهى فى الاصل الحالة الّتى يستلذّها الانسان فاطلقت لما يستلذّه من النَعْمة وهى اللين ونِعَمُ اللّه وان كانت لا تحصى كما قال تعالى وان تعدّوا نعمت اللّه لا تحصوها تنحصر فى جنسَيْن دنيوىّ واخروىّ والاوّل قسمان موهبىّ وكسبىّ والموهبىّ قسمان روحانىّ كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسمانىّ كتخليق البدن والقوى الحالّة فيه والهيئات العارضة له من الصحّة وكمال الاعضاء والكسبىّ تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنيّة والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثانى ان يغفر له ما فرط منه ويرضى عنه ويبوّئه فى اعلى علّيّين مع الملائكة المقرّبين ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وُصْلةً الى نيله من الآخر فانّ ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر (٧) غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ بدل من الّذين على معنى انّ المنعَم عليهم هم الّذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبيّنة او مقيّدة على معنى انّهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انّما يصحّ باحدِ تأويلَيْن اِجْرَاء الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد به معهود كالمحلّى فى قوله

ولقد أَمُرّ على اللئيم يَسُبّنى

وقولهم انّى لامرّ على الرَجُلِ مثْلك فيكرمنى وجَعْل غَيْر معرفةً بالاضافة لانّه اضيف الى ما له ضدّ واحدٌ وهو المنعم عليهم فيتعيّن تعيُّنَ الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال عن الضمير المجرور والعاملُ انعمت او باضمارِ اعنى او بالاستثناء ان فُسّر النِعَم بما يعمّ القبيلين ، والغضب ثوران النفس ارادةَ الانتقام فاذا اسند الى اللّه اريد به المنتهى والغاية على ما مرّ ، وعَلَيْهِمْ فى محلّ الرفع لانّه نائب منابَ الفاعل بخلاف الاوّل ، ولا مزيدة لتأكيد ما فى غَيْر من معنى النفى فكانّه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالّين ولذلك جاز انا زيدا غَيْرُ ضاربٍ كما جاز انا زيدا لا ضاربٌ وان امتنع انا زيدا مثْلُ ضاربٍ وقرئ وغَيْرِ الضالّين ، والضلال العدول عن الطريق السوىّ عمدا او خطأً وله عَرْض عريض

بعشر امثالها لا اقول الٓمٓ حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الّذى جزء ١
اصطلح عليه فانّ تخصيصه به عُرْفٌ مجدَّدٌ بل المعنى اللغوىّ ولعلّه سمّاه باسم مدلوله ولمّا كانت ركوع ١
مسمّياتها حروفا وُحْدانا وهى مركّبة صُدّرت بها لتكون تأديتها بالمسمّى اوّلَ ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذّر الابتداء بها وهى ما لم تَلِها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنّها قابلة ايّاه مُعَرَّضة له اذ لم تناسب مَبْنِىَّ الاصل ولذلك قيل صٓ وقٓ مجموعا فيهما بين الساكنين ولم تعامَل معامَلةَ أَيْنَ وهؤلاء ثمّ انّ مسمّياتها لمّا كانت عنصر الكلام وبسائطه الّتى يتركّب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تُحُدِّىَ بالقران وتنبيها على انّ المتلوّ عليهم كلام منظوم ممّا ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير اللّه لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوّةِ فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اوّل ما يقرع الاسماع مستقلّا بنوع من الاعجاز فانّ النطق باسماء الحروف مختصّ بمن خطّ ودرس فأمّا من الامّىّ الّذى لم يخالط الكُتّاب فمستبعَدٌ مستغرَبٌ خارقٌ للعادة كالكتابة والتلاوة سيّما وقد راعى فى ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق فى فنّه وهو انّه اورد فى هذه الفواتح اربعة عشر اسما هى نصف اسامى حروف المعجم إن لم يعدّ فيها الالف حرفا برأسها فى تسع وعشرين سورة بعددها اذا عدّ فيها الالف مشتملةً على أنصاف أنواعها فذكر من المهموسة وهو ما يَضْعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها سَتَشْحَثُكَ خَصَفَهْ نصْفَها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقى المجهورة نصفَها يجمعه لَنْ يَقْطَعَ أَمْرٌ ومن الشديدة الثمانية المجموعة فى أَجَدْتُ طَبَقَكَ اربعةً يجمعها أَقطَكَ ومن البواقى الرخوة عشرةً يجمعها حُمْسٌ عَلَى نَصْرِهِ ومن المُطْبَقة الّتى هى الصاد والطاء والضاد والظاء نصفَها ومن البواقى المنفتحة نصفَها ومن القلقلة وهى حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قَدْ طَبَجَ نصفَها الاقلَّ لقلّتها ومن اللينَتَيْن الياء لانّها اقلّ ثقلا ومن المستعلية وهى الّتى يتصعّد الصوت بها فى الحنك الاعلى وهى سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفَها الاقلّ ومن البواقى المنخفضة نصفَها ومن حروف البَدَل وهى احد عشر على ما ذكره سيبَوَيْه واختاره ابن جِنّى ويجمعها أَجِدْ طُوِيتَ مِنْهَا السنّةَ الشائعةَ المشهورةَ الّتى يجمعها أَهْطَمِيْنِ وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهى اللام فى أُصَيْلال والصاد والزاى فى صراط وزراط والفاء فى أَجْدَاف والعين فى أَعَنَّ والثاء فى ثروغ الدلو والباء فى بَا اسْمُكَ حتّى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستّة المذكورة واللام والصاد والعين وممّا يدغم فى مثله ولا يدغم فى المقارب وهى خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين والزاى والواو نصفَها الاقلّ وممّا يدغم فيهما وهى الثلاثة عشر الباقية نصفَها الاكثرَ الحاء والقاف والكاف والراء والسين والنون واللام لما فى الادغام من الخفّة والفصاحة ومن الاربعة الّتى لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهى الميم والزاى والسين والفاء نصفَها ولمّا كانت الحروف الذَّلْقيّة الّتى يعتمد عليها بذلق اللسان وهى ستّة يجمعها رُبَّ مُنَفّلٍ والحلقيّة الّتى هى الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرةَ الوقوع فى الكلام ذكر ثُلُثَيْهِمَا ولمّا كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السُباعيّة ذكر من الزوائد العشرة الّتى

*

جزء ١ يجمعها أَلْيَوْمَ تَنْسَاهُ سبعةَ احرف تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف
ركوع ١ المتروكة من كلّ جنس مكثورة بالمذكورة ثم انّه ذكرها مفردة وثنائيّة وثلاثيّة ورباعيّة وخماسيّة ايذانا بانّ المتحدّى به مركّب من كلماتهم الّتى اصولها كلمات مفردة ومركّبة من حرفَيْن فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاثَ مفردات فى ثلاث سور لانّها توجد فى الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربعَ ثنائيّات لانّها تكون فى الحرف بلا حذف كبَلْ وفى الفعل بحذف كقُلْ وفى الاسم بغير حذف كمَنْ وبه كَدَمٍ فى تسع سور لوقوعها فى كلّ واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه ففى الاسماء مَنْ واذْ وذُو وفى الافعال قُلْ وبِعْ وخَفْ وفى الحروف مِنْ وأَنْ ومُذْ على لغة من جرّ بها وثلاثَ ثلاثيّات لمجيئُها فى الأقسام الثلاثة فى ثلاث عشرة سورة تنبيها على انّ اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتَيْن وخماسيّتَيْن تنبيها على انّ لكلّ منهما أَصْلا كجَعْفَر وسَفَرْجَل ومُلْحَقا كقَرْدَد وجَحَنْفَل ولعلّها فُرّقت على السور ولم تُعدّ باجمعها فى اوّل القران لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدّى وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى انّ هذا المتحدّى به مؤلّف من جنس هذه الحروف او المؤلّف منها كذا وقيل هى اسماء للسور وعليه اطباق الاكثر سمّيت بها اشعارا بانّها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من اللّه لم تتساقطْ مَقْدرَتهم دون معارضتهاً واستُدلّ عليه بانّها لو لم تكن مُفْهِمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمُهْمَل والتكلّم بالزنجىّ مع العربىّ ولم يكن القران بأسره بيانا وهُدًى ولما امكن التحدّى به وان كانت مُفْهِمة فامّا ان يراد بها السور الّتى هى مُسْتَهَلّها على انّها ألقابها او غير ذلك والثانى باطل لانّه امّا ان يكون المراد ما وُضِعَتْ له فى لغة العرب فظاهر انّه ليس كذلك او غيره وهو باطل لانّ القران نُزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربىّ مبين فلا يحمل على ما ليس فى لغتهم لا يقال لِمَ لا يجوز ان تكون مزيدةً للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب او اشارةً الى كلمات هى منها اقتصرت عليها اقتصارَ الشاعر فى قوله

قلت لها قِفِى فقالت قاف

كما روى عن ابن عبّاس انّه قال الالف آلاء اللّه واللام لطفه والميم ملكه وعنه انّ الٓر وحٓم ونٓ مجموعها الرحمن وعنه انّ آلٓمٓ معناه انا اللّه اعلم ونحو ذلك فى سائر الفواتح وعنه انّ الالف من اللّه واللام من جبريل والميم من محمّد اى القران منزل من اللّه بلسان جبريل على محمّد او الى مُدَد اقوام وآجال بحساب الجُمل كما قال ابو العالية متمسّكا بما روى انّه عم لمّا اتاه اليهود تلا عليهم آلٓمٓ البقرة فحسبوه فقالوا كيف ندخل فى دينٍ مُدّته احدى وسبعون سنة فتبسّم رسول اللّه صلعم فقالوا فهل ...ال آلمٓصٓ والٓر والمٓرٓ فقالوا خلّطتَ علينا فلا ندرى بايّها نأخذ فانّ تلاوته ايّاها بهذا الترتيب ... استنباطهم دليلٌ على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربيّة لكنّها لاشتهارها فيما ...ما بالمعرّبات كالمشكاة والسجّيل والقسطاس او دلالةً على الحروف المبسوطة ... اسماء اللّه تعالى ومادّة خطابه هذا وانّ القول بانّها اسمـــاء ... بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكره عندهم ويؤدّى الى

اتّحاد الاسم والمسمّى ويستدعى تأخّر الجزء عن الكلّ من حيث انّ الاسم متأخّر عن المسمّى بالرتبة لانّا جزء ١
نقول انّ هذه الالفاظ لم تُعْهَد مزيدةً للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف يَلْزَمُها وغيرَها من حيث ركوع ١
انّها فواتح السور ولا يقتضى ذلك ان لا يكون لها معنى فى حيّزها ولم تستعمَل للاختصار من كلمات معيّنة فى لغتهم أمّا الشعر فشاذّ وامّا قول ابن عبّاس رضه فتنبيهٌ على انّ هذه الحروف منبع الاسماء ومبادئ الخطاب وتمثيلٌ بامثلة حسنة ألَا ترى انّه عدّ كلّ حرف من كلمات متباينة لا تفسيرٌ وتخصيصٌ بهذه المعانى دون غيرها اذ لا مخصِّصَ لفظا ومعنى ولا بحساب الجُمل فتلحق بالمعرّبات والحديث لا دليلَ فيه لجواز انّه تبسّم تعجّبا من جهلهم وجعلُها مُقْسَما بها وان كان غير ممتنع لكنّه يُحْوِج الى اضمار اشياء لا دليلَ عليها والتسمية بثلاثة اسماء انّما يمتنع اذا رُكّبت وجُعلت اسما واحدا على طريق بعلبكّ فامّا اذا نُثِرت نَثْرَ اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبوَيه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمّى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتّحادَ وهو مقدَّم من حيث ذاته ومؤخّر باعتبار كونه اسما فلا دورَ والوجه الاوّل اقربُ الى التحقيق واوفقُ للطائف التنزيل واسلمُ من لزوم النقل ووقوع الاشتراك فى الأعلام من واضع واحد فانّه يعود بالنقض على ما هو مقصود العَلَميّة وقيل انّها اسماء للقران ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقران وقيل انّها اسماء للّه تعالى ويدلّ عليه انّ عليّا رضه كان يقول يا كهيعص ويا حم عسق ولعلّه اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهى آخرها جمع بينها ايماء الى انّ العبد ينبغى ان يكون اوّل كلامه واوسطه وآخره ذكر اللّه تعالى وقيل انّه سرّ استأثر اللّه تعالى بعلمه وقد روى عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلّهم ارادوا انّها اسرار بين اللّه تعالى ورسوله صلعم ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يَبْعُد الخطاب بما لا يُفيد فان جعلتها اسماء للّه تعالى او القران او السور كان لها حظٌّ من الاعراب امّا الرفعُ على الابتداء او الخبر او النصبُ بتقدير فعلِ القسم على طريقة اللّهَ لافعلنّ بالنصب او غيره كما ذُكر او الجرُّ على اضمار حرف القسم ويتأتّى الإعرابُ لفظا والحكايةُ فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحمّ فانّه كهابيل والحكاية ليست الّا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصّلا ان شاء اللّه تعالى وان بقّيتها على معانيها فان قدّرت بالمؤلّف من هذه الحروف كان فى حيّز الرفع بالابتداء او الخبر كما مرّ وان جعلتها مقسما بها يكون كلّ كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين فى اللّهَ لافعلنّ ويكون جملةً قسميّةً بالفعل المقدّر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزّلةً منزلةَ حروف التنبيه لم يكن لها محلّ من الإعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وَقْفَ التمام اذا قدّرت بحيث لا يُحْتاج الى ما بعدها وليس شىء منها آية عند غير الكوفيّين وامّا عندهم فالٓمٓ فى مواقعها والٓمٓصٓ وكٓهٰيٰعٓصٓ وطٰهٰ وطٰسٓمٓ وحٰمٓ ويٰسٓ آية وحٰمٓ عٓسٓقٓ آيتان والبواقى ليست بآيات وهذا توقيف لا مجالَ للقياس فيه ذٰلِكَ ٱلْكِتَابُ ذلك اشارة الى الٓمٓ ان أُوِّل بالمؤلَّف من هذه الحروف او فسّر بالسورة او القران فانّه لمّا تُكُلِّم به وتقضّى او وصل من المرسِل الى المرسَل اليه اشير اليه بما يشار الى البعيد وتذكيره متى اريد بالٓمٓ السورة لتذكير الكتاب فانّه خبره او صفته الّذى هو هو

الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمّة او صفته وللمتّقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبرُ محذوف كما فى لا ضَيْرَ فلذلك وُقف على لا ريب على انّ فيه خبر هدى قدّم عليه لتنكيره والتقديرُ لا ريب فيه فيه هدى وأن يكونَ ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انّه الكتاب الكامل الّذى يستأهل ان يسمّى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر آلم والأَوْلى ان يقال انّها اربع جُمَل متناسقة تُقرِّر اللاحقةُ منها السابقةَ ولذلك لم يدخل العاطف بينها فآلم جملة دلّت على انّ المتحدَّى به هو المؤلّف من جنس ما يركّبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقرّرة لجهة التحدّى ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله اذ لا كمال اعلى ممّا للحقّ واليقين وهدى للمتّقين بما يقدّر له مبتدأٌ رابعةٌ تؤكّد كونه حقّا لا يحوم الشكّ حوله او تستتبع السابقةُ منها اللاحقةَ استتباعَ الدليل للمدلول وبيانُه انّه لمّا نبّه اوّلا على اعجاز المتحدَّى به من حيث انّه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انّه الكتاب البالغ حدّ الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبّث الريب باطرافه اذ لا انقص ممّا يعتريه الشكّ والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتّقين وفى كلّ واحدة منها نكتة ذات جزالة ففى الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفى الثانية فخامة التعريف وفى الثالثة تأخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفى الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكّرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتّقين باعتبار الغاية وتسمية المُشارف للتقوى متّقيا ايجازا وتفخيما لشأنه (٢) ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ امّا موصولٌ بالمتّقين على انّه صفةٌ مجرورةٌ مقيّدةٌ له ان فسّر التقوى بترك ما لا ينبغى مترتّبةٌ عليه ترتُّبَ التَحْلية على التَخْلية والتصويرِ على التصقيل او موضّحةٌ ان فسّر بما يعمّ فِعْلَ الطاعة وتَرْكَ المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانّها امّهات الاعمال النفسانيّة والعبادات البدنيّة والماليّة المستتبعة لسائر الطاعات والتجنّبِ عن المعاصى غالبا الا ترى الى قوله تعالى انّ الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله صلعم الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مَسُوقةٌ للمدح بما تضمّنه المتّقين وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارٌ لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انّه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعنى او هم الّذين وامّا مفصولٌ عنه مرفوع بالابتداء وخبرُه اولئك على هدى فيكون الوقف على متّقين تامّا ، والايمان فى اللغة التصديق مأخوذ من الأمْن كانّ المصدّق آمَنَ المصدَّقَ من التكذيب والمخالفة وتعديتُه بالباء لتضمّنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث انّ الواثق صار ذا أمْن ومنه ما آمَنْتُ أَنْ أَجِدَ صحابةً وكلا الوجهين حسن فى يؤمنون بالغيب وأمّا فى الشرع فالتصديقُ بما عُلم بالضرورة انّه من دين محمّد صلعم كالتوحيد والنبوّة والبعث والجزاء ومجموعُ ثلاثة امور اعتقاد الحقّ والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدّثين والمعتزلةِ والخوارجِ فمَنْ اخلّ بالاعتقاد وحده فمُنافِقٌ ومَنْ اخلّ بالاقرار فكافرٌ ومَنْ اخلّ بالعمل ففاسقٌ وِفاقا وكافرٌ عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل فى الكفر عند المعتزلة والّذى يدلّ على انّه التصديق وحده انّه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب فى قلوبهم الايمان وقلبه

الانتفاع به | واما المعتزلة لمّا استحالوا من اللّه ان يمكّن من الحرام لانّه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انّه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانّهم ينفقون الحلال الطلق فانّ انفاق الحرام لا يوجب المدح وذمّ المشركين على تحريم بعض ما رزقهم اللّه بقوله قل ارايتم ما انزل اللّه لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسنادَ للتعظيم والتحريض على الانفاق والذمّ لتحريم ما لم يحرّم واختصاصَ ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسّكوا لشمول الرزق له بقوله صلعم فى حديث عمرو بن قُرّة لقد رزقك اللّه طيّبا فاخترتَ ما حرّم اللّه عليك من رزقه مكانَ ما احلّ اللّه لك من حلاله وبانّه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذّى به طُولَ عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابّة فى الارض الّا على اللّه رزقها ٬ وانفق الشىء وانفده اخوان ولو استقريتَ الالفاظ وجدت كلّ ما يوافقه فى الفاء والعين دالّا على معنى الذهاب والخروج والظاهرُ من هذا الانفاق صَرْف المال فى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسّره بالزكوة ذكر افضلَ انواعه والاصلَ فيه او خصّصه بها لاقترانه بما هو شقيقها ٬ وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآى وادخالُ من التبعيضيّة عليه للكفّ عن الإسراف المنهىّ عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون الّتى منحهم اللّه تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيّده قوله عم انّ عِلْما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال وممّا خصّصناهم به من انوار المعرفة يفيضون (٣) وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد اللّه بن سلام وأضرابه معطوفون على الّذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم فى جملة المتّقين دخولَ أخصّين تحت أعمّ اذ المراد باولئك الّذين آمنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتّقين وهو قول ابن عبّاس رضه او على المتّقين فكانّه قال هُدًى للمتّقين عن الشرك والّذين آمنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاوّلون باعيانهم ووُسّط العاطف كما وسّط فى قوله

الى المَلِكِ القَرْمِ وآبنِ الهُمامِ ولَيثِ الكتيبة فى المزدَحَمْ

وقولِه

يا لَهْفَ زَيّابةَ للحارث الـــصّابح فالغانم فالآئب

على معنى انّهم الجامعون بين الايمانِ بما يدركه العقل جملةً والاتيانِ بما يصدّقه من العبادات البدنيّة والماليّة وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرّر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنو اهل الكتاب ذكرهم مخصّصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة اشادةً بذكرهم وترغيبا لغيرهم ٬ والإنزال نقل الشىء من اعلى الى اسفل وهو انّما يلحق المعانى بتوسّط لحوقه الذواتِ الحاملةَ لها ولعلّ نزول الكتب الالهيّة على الرسل بان يتلقّفه الملك من اللّه تلقّفا روحانيّا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به فيلقّنه الرسولَ والمراد بما انزل اليك القرانُ بأسره والشريعةُ عن آخرها وانّما عبّر عنه بلفظ المُضىّ وان كان بعضه مترقّبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلةَ الواقع ونظيرُه قوله تعالى انّا سمعنا كتابا أُنْزل من بعد موسى

نحو فلق وفلذ وفلى يدلّ على الشقّ والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على انّ المتّقين هم الناس الّذين بلغك انّهم المفلحون فى الآخرة او الاشارة الى ما يعرفه كلّ احد من حقيقة المفلحين وخصوصيّاتهم ٬ تنبيهٌ تأمّلْ كيف نبّه سبحانه على اختصاص المتّقين بنيل ما لا يناله كلُّ احد من وجوهٍ شتّى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب فى اقتفاء اثرهم وقد تشبّثت به الوعيديّة فى خلود الفُسّاق من اهل القبلة فى العذاب ورُدّ بأنّ المراد بالمفلحين الكاملون فى الفلاح ويلزمه عَدَمُ كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عَدَمُ الفلاح له رأسا (٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لمّا ذكر خاصّة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم الّتى اهّلتْهم للهدى والفلاح عقّبهم اضدادهم العُتاة المَرَدة الّذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يغنى عنهم الآيات والنُذر ولم يعطف قصّتهم على قصّة المؤمنين كما عطف فى قوله تعالى إنّ الابرار لَفى نعيم وإنّ الفجّار لَفى جحيم لتباينهما فى الغرض فانّ الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والاخرى مسوقة لشرح تمرّدهم وانهماكهم فى الضلال ٬ وإنّ من الحروف الّتى شابهت الفعلَ فى عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدّى خاصّةً فى دخولها على اسمَيْن ولذلك أُعْمِلت عملَه الفَرْعِىَّ وهو نَصْبُ الجزء الاوّل ورَفْعُ الثانى ايذانا بانّه فَرْعٌ فى العمل دخيلٌ فيه وقال الكوفيّون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبريّة وهى بعدُ باقية مقتضية للرفع قضيّةَ الاستصحاب فلا يرفعه الحرف وأُجيب بانّ اقتضاء الخبريّة الرفعَ مشروطٌ بالتجرّد لتخلّفه عنها فى خبرِ كان وقد زال بدخولها فتعيَّنَ إعمالُ الحَرْفِ وفائدتُها تأكيدُ النسبة وتحقيقُها ولذلك يُتلقّى بها القَسَم ويصدَّر بها الأَجْوِبة وتذكر فى معرض الشكّ مثل ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انّا مكّنّا له فى الارض وقال موسى يا فرعون إنّى رسول من ربّ العالمين قال المبرّد قولك عبدُ اللّه قائمٌ اخبار عن قيامه وإنّ عبد اللّه قائم جوابُ سائلٍ عن قيامه وإنّ عبد اللّه لَقائم جوابُ منكرٍ لقيامه ٬ وتعريف الموصول إمّا للعهد والمراد به ناسٌ بأعيانهم كابى لهب وابى جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمّم على الكفر وغيرَهم فخُصّ عنهم غيرُ المُصرّين بما اسند اليه ٬ والكُفْر لغةً سَتْر النعمة واصله الكَفْر بالفتح وهو السَتْر ومنه قيل للزارع ولليل كافرٌ ولكِمام الثمرة كافور وفى الشرع إنكار ما عُلِم بالضرورة مجىء الرسول صلعم به وانّما عُدّ لُبْسُ الغيار وشَدُّ الزُنّار ونحوُهما كُفْرا لانّها تدلّ على التكذيب فانّ من صدّق الرسول صلعم لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانّها كفر فى انفسها واحتجّت المعتزلة بما جاء فى القران بلفظ المُضىّ على حُدوثه لاستدعائه سابقةً مُخْبَرٍ عنه واجيب بانّه مقتضى التعلّق وحدوثُه لا يستلزم حدوثَ الكلام كما فى العلم

سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ خبرُ إنّ وسَوَاءٌ اسم بمعنى الاستواء نُعِت به كما نعت بالمصادر قال اللّه تعالى تعالوا الى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم رفع بانّه خبرُ إنّ وما بعده مرتفع به على الفاعليّة كانّه قيل انّ الّذين كفروا مستوٍ عليهم إنذارُك وعدمُه او بانّه خبر لما بعده بمعنى إنذارُك وعدمُه سِيّانِ عليهم والفعلُ انّما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمامُ ما وُضع له أمّا لو اطلق واريد به اللفظُ او مطلقُ الحَدَث المدلولِ عليه ضِمْنًا على الاتّساع فهو كالاسم فى الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا

*

جزء ١ ركوع ١ قيل لهم آمنوا يوم ينفع الصادقين صِدْقُهم وقولهم تَسْمَعُ بالمُعَيْدِيّ خيرٌ من أنْ تراه وانّما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدّد وحُسْنِ دخولِ الهمزة وأَمْ عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فانّهما جُرِّدتا عن معنى الاستفهام لمجرّد الاستواء كما جرّدت حرف النداء عن الطلب لمجرّد التخصيص في قولهم اللّهمّ اغْفِرْ لنا أيّتُهَا العصابةَ ، والانذار التخويف اريد التخويف من عقاب اللّه تعالى وانّما اقتصر عليه دون البشارة لانّه اوقعُ في القلب واشدّ تأثيرا في النفس من حيث انّ دفع الضرّ اهمّ من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارةُ بعدم النفع أَوْلَى ، وقرئ أَأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها ألفا وهو لحنٌ لانّ المتحرّكة لا تقلب ولانّه يؤدّى الى جمع الساكنَيْن على غير حدّه وبتوسيط ألف بينهما محقّقتين وبتوسيطها والثانيةُ بين بين وبحذف الاستفهاميّة وبحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها لَا يُؤْمِنُونَ جملة مفسّرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محلّ لها او حال مؤكّدة او بدل عنه او خبرُ إنّ والجملةُ قبلها اعتراض بما هو علّة الحكم ، والآية ممّا احتجّ به مَنْ جوّز تكليفَ ما لا يُطاق فانّه سبحانه اخبر عنهم بأنّهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خَبَرُه كذبا وشمل ايمانُهم الايمانَ بانّهم لا يؤمنون فيجتمع الضدّان والحقُّ انّ التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث انّ الأحكام لا تستدعى غرضا سيّما الامتثالَ لكنّه غير واقع للاستقراء والإخبارُ بوقوع الشيء او عدمه لا ينفى القدرة عليه كإخباره تعالى عمّا يفعله هو او العبد باختياره وفائدةُ الانذار بعد العلم بانّه لا ينجع إلزامُ الحجّة وحيازةُ الرسول صلعم فضلَ الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعَبَدَة الاصنام سواء عليكم أدَعَوْتُموهم ام انتم صامتون وفي الآية إخبار بالغيب على ما هو به إن اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهى من المعجزات

(٦) خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ تعليل للحكم السابق وبيان لما يقتضيه والخَتْمُ الكَتْمُ سمّى به الاستيثاقُ من الشيء بضرب الخاتم عليه لانّه كتمٌ له والبلوغُ آخِرَه نظرا الى انّه آخِرُ فعلٍ يُفْعَل في إحرازه ، والغِشاوة فِعالة من غشّاه اذا غطّاه بُنيت لما يشتمل على الشيء كالعِصابة والعِمامة ، ولا خَتْمَ ولا تغشية على الحقيقة وانّما المراد بهما ان يُحْدِث اللّه في نفوسهم هيئةً تُمرّنهم على استحباب الكفر والمعاصى واستقباح الايمان والطاعات بسبب غَيّهم وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح فتَجْعلُ قلوبَهم بحيث لا ينفذ فيها الحقُّ واسماعَهم تَعافُ استماعَه فتصير كانّها مستوثَقٌ منها بالختم وأبصارَهم لا تجتلى الآياتِ المنصوبةَ في الانفس والآفاق كما تجتليها أَعْيُنُ المستبصرين وتصير كانّها غُطّى عليها وحِيلَ بينها وبين الإبصار وسمّاه على الاستعارة ختما وتغشية او مثّل قلوبهم ومَشاعرهم المأوفَ بها باشياء ضُرِبَ حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبّر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الّذين طبع اللّه على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله ولا تُطِعْ من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهى من حيث انّ المُمْكنات بأسرها مستندةٌ الى اللّه تعالى واقعةٌ بقدرته أُسْندت اليه ومن حيث انّها مسبّبة ممّا اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع اللّه عليها بكفرهم وقوله ذلك بانّهم آمنوا ثمّ كفروا فطبع

جزء ١ ركوع ١

على قلوبهم وردت الآية ناعيةً عليهم شَناعةَ صفتهم ووخامةَ عاقبتهم واضطُرّت المعتزلة فيه فذكروا وجوهًا من التأويل الاوّل انّ القوم لمّا اعرضوا عن الحقّ وتمكّن ذلك فى قلوبهم حتّى صار كالطبيعة لهم شُبِّه بالوصف الخلقيّ المجبول عليه الثانى انّ المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم الّتى خلقها اللّه تعالى خالية عن الفطن او قلوبٍ مقدّرٍ خَتْمُ اللّه عليها ونظيرُه سال به الوادى اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث انّ ذلك فى الحقيقة فعْل الشيطان او الكافرِ لكن لمّا كان صدوره عنه باقداره تعالى ايّاه أُسْنِد اليه اسنادَ الفعل الى المسبِّب الرابع انّ أعراقهم لمّا رسخت فى الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سِوَى الالجاء والقَسْر ثمّ لم يقسرهم ابقاءً على غرض التكليف عُبّر عن تركه بالختم فانّه سدٌّ لايمانهم وفيه اشعارٌ على ترامى امرهم فى الغيّ وتناهى انهماكهم فى الضلال والبغى الخامس ان يكون حكايةً لما كانت الكفّار يقولون مثل قلوبنا فى اكنّة ممّا تدعونا اليه وفى آذاننا وقرٌ ومن بيننا وبينك حجابٌ تهكّما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الّذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين الآية السادس انّ ذلك فى الآخرة وانّما اخبر عنه بالماضى لتحقّقه وتيقّن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصمّا السابع انّ المراد بالختم وَسْمُ قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى اللّه من طبع واضلال ونحوهما ، وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانّهما لمّا اشتركا فى الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما مِنْ خاصّ فعلهما الختمَ الّذى يمنع من جميع الجهات وادراكُ الابصار لمّا اختصّ بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصّة بتلك الجهة وكرّر الجارّ ليكون ادلّ على شدّة الختم فى الموضعين واستقلالِ كلّ منهما بالحكم ووحّد السمع للأمن من اللَّبْس واعتبارِ الاصل فانّه مصدر فى اصله والمصادر لا تجمع او على تقديرِ مضاف مثل وعلى حواسّ سمعهم ، والأبصار جمع بَصَر وهو ادراك العين ويطلق مجازا على القوّة الباصرة والعضو وكذا السمع ولعلّ المراد بهما فى الآية العضو لانّه اشدّ مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محلّ العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى انّ فى ذلك لذِكْرَى لمن كان له قلب وانّما جاز امالتها مع الصاد لانّ الراء المكسورة تَغْلِب المستعلية لما فيها من التكرير ، وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجارّ والمجرور عند الاخفش ويؤيّده العطف على الجملة الفعليّة وقرئ بالنصب على تقديرِ وجعل على ابصارهم غشاوةً او على حذف الجارّ وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وبالضمّ والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغَشْوَةٌ بالكسر مرفوعةً وبالفتح مرفوعةً ومنصوبةً وعَشاوة بالعين الغير المعجمة وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وعيد وبيان لما يستحقّونه والعذاب كالنَّكال بناء ومعنى تقول أَعْذَبَ عن الشيء ونَكَلَ عنه اذا امسك ومنه الماء العَذْب لانّه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمّى نُقاخا وفُراتا ثمّ اتّسع فاطلق على كلّ الم فادح وان لم يكن نكالا اى عقابا يردع الجانى عن المعاودة فهو اعمّ منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الّذى هو ازالة العَذْب كالتقذية والتمريض ، والعظيمُ نقيض الحقير والكبيرُ نقيض الصغير فكما انّ الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى

جزء ١ التوصيف به انّه اذا قيس بسائر ما يجانسه قَصُر عنه جميعُه وحَقُرَ بالاضافة اليه ، ومعنى التنكير فى الآية
ركوع ١ انّ على ابصارهم نوع غشاوة ليس ممّا يتعارفه الناس وهو التعامى عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع لا
ركوع ٢ يعلم كنهه الّا اللّه تعالى (٧) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ لمّا افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذِكْرَ المؤمنين الّذين اخلصوا دينهم للّه وواطأَتْ فيه قلوبُهم ألسنتَهم وثنّى باضدادهم الّذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لِفْتَه رأسا ثلّثَ بالقسم الثالث المذبذب بين القسمَيْن وهم الّذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبثُ الكَفَرة وابغضُهم الى اللّه لانّهم موّهوا الكفر وخلطوا به خِداعا واستهزاء ولذلك طوّل فى بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكّم بافعالهم وسجّل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم انّ المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وقصّتهم عن آخرها معطوفة على قصّة المصرّين ، والناس اصله أُناس لقولهم إنسانٌ وإنسٌ وأَناسىُّ فحذفت الهمزة حَذْفَها فى لُوقة وعوّض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يُجْمَع بينهما وقوله

انّ المنايا يَطَّلِعْــــــنَ على الأُناس الآمنينا

شاذٌّ وهو اسم جمع كرُخَال اذ لم يثبت فُعَال فى ابنية الجع مأخوذ من أَنِسَ لانّهم يستأنسون بأمثالهم او آنَسَ لانّهم ظاهرون مُبْصَرون ولذلك سُمّوا بَشَرا كما سُمّى الجنّ جِنّا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومَنْ موصوفة اذ لا عَهْدَ فكانّه قال ومن الناس ناسٌ يقولون وقيل للعهد والمعهود هم الّذين كفروا ومَنْ موصولة مراد بها ابنُ أُبَىّ واصحابه ونظراؤه فانّهم من حيث انّهم صمّموا على النفاق دخلوا فى عداد الكفّارِ المختومِ على قلوبهم واختصاصُهم بزيادة زادوها على الكفر لا يأبى دخولَهم تحت هذا الجنس فانّ الاجناس انّما تتنوّع بزيادات يختلف فيها أَبعاضُها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثانى ، واختصاص الايمان باللّه واليوم الآخر بالذكر تخصيصٌ لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادّعاء بانّهم احتازوا الايمان من جانبَيْه واحاطوا بقُطْرَيْه وايذانٌ بانّهم منافقون فيما يظنّون انّهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لانّ القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون باللّه واليوم الآخر ايمانا كلا ايمانٍ لاعتقادهم التشبيهَ واتّخاذَ الولد وأنّ الجنّة لا يدخلها غيرهم وأنّ النار لن تمسّهم الّا ايّاما معدودة وغيرَها ويُرون المؤمنين انّهم آمنوا مثل ايمانهم وبيانٌ لتضاعف خبثهم وإفراطهم فى كفرهم لانّ ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتُهم عقيدتُهم لم يكن ايمانا فكيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكّما بهم وفى تكرير الباء ادّعاء للايمان بكلّ واحد على الاصالة والاستحكام ، والقول هو التلفّظ بما يُفيد ويقال بمعنى المقولِ والمعنى المتصوَّرِ فى النفس المعبَّر عنه باللفظ والرأىِ والمذهبِ مجازا ، والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهى او الى ان يدخل اهل الجنّةِ الجنّةَ واهل النارِ النارَ لانّه آخر الاوقات المحدودة وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ انكارُ ما ادّعوه ونفىُ ما انتحلوا اثباتَه وكان اصله وما آمنوا ليطابق قولَهم فى التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنّه عكس تأكيدا ومبالغة فى التكذيب لانّ اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفى الايمان عنهم فى ماضى الزمان ولذلك اكّد النفى بالباء واطلق الايمان على معنى انّهم ليسوا من الايمان فى شىء ويحتمل ان يقيّد بما قيّدوا به لانّه

جوابه ، والآية تدلّ على انّ من ادّعى الايمان وخالف قلبُه لسانَه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لا أنّ مَنْ تفوّه جزء ١
بالشهادتين فارغَ القلب عمّا يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلافُ مع الكرّاميّة فى الثانى فلا تنتهض ركوع ٢
حجّة عليهم (٨) يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا الخدع ان تُوهِم غيرك خلافَ ما تُخفيه من المكروه لتُنزلَه عمّا هو فيه او عمّا هو بصدده من قولهم خَدَعَ الضبُّ اذا توارى فى جُحْره وضبٌّ خادعٌ وخَدِعٌ اذا اوهم الحارشَ اقبالَه عليه ثمّ خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المُخْدَع للخزانة والأَخْدَعان لعرقَيْن خفيّيْن فى العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعُهم مع اللّه ليس على ظاهره لانّه تعالى لا يَخْفى عليه خافيةٌ ولانّهم لم يقصدوا خديعته بل المراد إمّا مخادعة رسوله على حذف المضاف او على انّ معاملة الرسول معاملةُ اللّه تعالى من حيث انّه خليفته كما قال تعالى من يُطع الرسول فقد اطاع اللّه انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون اللّه وإمّا أنّ صورة صنيعهم مع اللّه تعالى من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصُنْعَ اللّه معهم باجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبثُ الكفّار واهلُ الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امرَ اللّه فى إخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاةً لهم بمثل صنيعهم صورةُ صنيع المتخادعَيْن ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانّه بيان ليقول او استيناف بذكر ما هو الغرض منه الّا انّه اخرج فى زِنَة فاعلت للمبالغة فانّ الزنة لمّا كانت للمغالبة والفعلُ متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة مُعارِض ومُبارٍ استصحبت ذلك ويَعْضده قراءةُ مَنْ قرأ يَخْدَعُونَ وكان غرضهم فى ذلك أنْ يدفعوا عن انفسهم ما يُطْرَق به مَنْ سواهم من الكفرة وأنْ يُفْعَل بهم ما يُفْعَل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وأنْ يختلطوا بالمسلمين فيطّلعوا على أسرارهم ويذيعوها الى مُنابذيهم الى غير ذلك من الأغراض والمقاصد وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ قراءة نافع وابن كثير وابى عمرو والمعنى انّ دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انّهم فى ذلك خدعوا انفسهم لمّا غرّوها بذلك وخدعتْهم انفسهم حيث حدّثتْهم بالأمانىّ الفارغة وحملتهم على مخادعة مَنْ لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يَخْدَعُونَ لانّ المخادعة لا تُتصوَّر الّا بين اثنين وقرئ ويُخَدِّعُونَ من خدّع ويَخَدِّعُونَ بمعنى يختدعون ويُخْدَعُونَ ويُخَادَعُونَ بالبناء للمفعول ونَصْب انفسهم بنزع الخافض ، والنفس ذات الشىء وحقيقته ثمّ قيل للروح لانّ نفس الحىّ به وللقلب لانّه محلّ الروح او متعلّقه وللدم لانّ قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأى فى قولهم فلان يؤامر نفسَه لانّه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم وَمَا يَشْعُرُونَ لا يحسّون ذلك لتمادى غفلتهم جُعل لحوقُ وَبالِ الخداع ورجوعُ ضرره اليهم فى الظهور كالمحسوس الّذى لا يخفى الّا على مَأُوف الحواسّ والشعورُ الاحساس ومَشاعر الانسان حواسّه واصله الشِعْر ومنه الشِعار (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا المرض حقيقةٌ فيما يَعْرِض البدنَ فيخرجه عن الاعتدال الخاصّ به ويوجب الخلل فى افعاله ومجازٌ فى الأعراض النفسانيّة الّتى تُخلّ بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحبّ المعاصى لانّها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدّية الى زوال الحيوة الحقيقيّة الابديّة والآية تحتملهما فانّ قلوبهم كانت متألّمة تحرّقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا

جزء ١ ركوع ٢

على ما يَرَوْنَ من ثبات امر الرسول صلعم واستعلاء شأنه يوما فيوما فزاد اللّه غمّهم بما زاد فى اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مأوفةً بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبىّ صلعم ونحوها فزاد اللّه ذلك بالطبع او بازدياد التكليف وتكرير الوحى وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى اللّه تعالى من حيث انّه مسبّب من فعله واسنادها الى السورة فى قوله تعالى فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجُبن والخَوَر حين شاهدوا شوكة المسلمين وامدادَ اللّه تعالى لهم بالملائكة وقَذْفَ الرُّعْب فى قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله صلعم نصرةً على الاعداء وتبسّطا فى البلاد وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اى مُؤلِم يقال أَلِمَ فهو اليم كوَجِعَ فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله

تحيّةُ بَيْنِهم ضَرْبٌ وجيعُ

على طريقة قولهم جَدَّ جِدُّه بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ قراءة عاصم وحمزة والكسائىّ والمعنى بسبب كذبهم او ببَدَله جزاء لهم وهو قولهم آمنّا وقرأ الباقون يُكَذِّبُونَ من كذّبه لانّهم كانوا يكذّبون الرسول عم بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذّب الّذى هو للمبالغة او التكثير مثل بَيَّنَ الشىءُ ومَوَّتت البهائمُ او من كذّب الوحشىُّ اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فانّ المنافق متحيّر متردّد والكذب هو الخبر عن الشىء على خلاف ما هو به وهو حرام كلّه لانّه عُلّل به استحقاق العذاب حيث رتّب عليه وما روى انّ ابرهيم عم كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لمّا شابه الكذبَ فى صورته سمّى به (١٠) وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ عطف على يكذبون او يقول وما روى عن سَلْمان رضه انّ اهل هذه الآية لم يأتوا بعدُ فلعلّه اراد به انّ اهله ليس الّذين كانوا فقط بل وسيكون مِنْ بعدُ مَنْ حالُه حالُهم لانّ الآية متّصلة بما قبلها بالضمير الّذى فيها ، والفساد خروج الشىء عن الاعتدال والصلاحُ ضدّه وكلاهما يعمّان كلّ ضارّ ونافع وكان من فسادهم فى الارض هَيْج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالأة الكفّار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فانّ ذلك يؤدّى الى فساد ما فى الارض من الناس والدوابّ والحرث ومنه اظهار المعاصى والاهانة بالدين فانّ الاخلال بالشرائع والاعراض عنها ممّا يوجب الهَرْج والمَرْج ويُخلّ بنظام العالَم ، والقائل هو اللّه تعالى او الرسول صلعم او بعض المؤمنين وقرأ الكسائىّ وهشام قيل باشمام الضمّ الاوّل قَالُوا اِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ جوابٌ لاذا وردٌّ للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انّه لا يصحّ مخاطبتنا بذلك فانّ شأننا ليس الّا الاصلاح وانّ حالنا متمحّضة عن شوائب الفساد لانّ اِنّمَا يُفيد قَصْرَ ما دخله على ما بَعْدَه مثْلَ اِنّما زيدٌ منطلق وانّما ينطلق زيدٌ وانّما قالوا ذلك لانّهم تصوّروا الفساد بصورة الصلاح لما فى قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زُيّن له سوء عمله فرآه حسنا (١١) أَلَا اِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ردّ لما ادّعوه ابلغ ردّ للاستيناف به وتصديره بحرفَى التوكيد أَلَا المنبّهة على تحقّق ما بعدها فانّ همزة الاستفهام الّتى للانكار اذا دخلت على النفى افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الّا مصدّرة بما يُتلقّى به القسم واختها أَمَا الّتى هى من طلائع القسم وإنّ المقرّرة للنسبة وتعريفِ الخبر وتوسيطِ الفصل لردّ ما فى قولهم

انّما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا من تمام النصح والارشاد فانّ كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عمّا لا ينبغى وهو المقصود بقوله لا تفسدوا جزء ١ ركوع ٢ والاتيان بما ينبغى وهو المطلوب بقوله آمنوا كَمَا آمَنَ ٱلنَّاسُ فى حيّز النصب على المصدر ، وما مصدريّة او كافّة مثلها فى ربّما ، واللام فى الناس للجنس والمراد به الكاملون فى الانسانيّة العاملون بقضيّة العقل فانّ اسم الجنس كما يُستعمل لمُسمّاه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعانى المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يُسلَب عن غيره فيقال زيدٌ ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صمّ بكم ونحوه وقد جمعهما الشاعر فى قوله

إذِ ٱلنّاسُ ناسٌ والزمانُ زمانُ

او للعهد والمرادُ به الرسول صلعم ومَنْ معه او مَنْ آمن مِنْ اهلِ جِلْدَتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحّضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم ، واستُدلّ به على قبول توبة الزنديق وأنّ الاقرار باللسان ايمانٌ والّا لم يُفِد التقييدُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ ٱلسُّفَهَآءُ الهمزة فيه للانكار ، واللامُ مُشار بها الى الناس او الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانّما سفّهوهم لاعتقادهم فسادَ رأيهم او لتحقير شأنهم فانّ اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم مَوالٍ كصُهَيْب وبلال او للتجلّد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسّر الناس بعبد اللّه بن سلام وأشياعه ، والسَفَهُ خفّةٌ وسخافةُ رأى يقتضيهما نقصانُ العقل والحِلْمُ يقابله أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ردّ ومبالغة فى تجهيلهم فانّ الجاهلَ بجهله الجازمَ على خلافِ ما هو الواقع اعظمُ ضلالةً واتمّ جهالةً من المتوقّف المعترف بجهله فانّه ربّما يُعْذر وتنفعه الآياتُ والنُذر وانّما فُصّلت الآية بلا يعلمون والّتى قبلها بلا يشعرون لانّه اكثرُ طباقا لذكر السفه ولانّ الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحقّ والباطل ممّا يفتقر الى نظر وفكر وأمّا النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانّما يُدْرَك بأدنى تفطّن وتأمّل فيما يشاهَد من اقوالهم وافعالهم (١٣) وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا بيان لمعاملتهم المؤمنين والكفّارَ وما صُدِّرت به القصّة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيدِ نفاقهم فليس بتكرير روى انّ ابن أُبَىّ واصحابه استقبلهم نفرٌ من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف أَرُدّ هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابى بكر رضه فقال مرحبا بالصدّيق سيّد بنى تَيْم وشيخ الاسلام وثانى رسول اللّه فى الغار الباذل نفسَه ومالَه لرسول اللّه ثمّ اخذ بيد عُمَر رضه فقال مرحبا بسيّد بنى عدىّ الفاروق القوىّ فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول اللّه ثمّ اخذ بيد علىّ رضه فقال مرحبا بابن عمّ رسول اللّه وختنه سيّد بنى هاشم ما خلا رسول اللّه فنزلت ، واللقاء المصادفة يقال لَقِيته ولَاقَيْته اذا صادفته واستقبلته ومنه أَلْقيته اذا طرحته فانّك بطرحه جعلته بحيث يُلْقَى وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذَمٌّ اى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سَخِرْت منه وعُدّى بالى لتضمّن معنى الانتهاء ، والمراد بشياطينهم الّذين ماثلوا الشياطين فى تمرّدهم وهم المُظْهِرون كفرهم واضافتهم اليهم

جزء ١ للمشاركة فى الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصليّة على انّه من ركوع ٢ شَطَنَ اذا بَعُدَ فانّه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم شَيْطَنَ واخرى زائدة على انّه من شَاطَ اذا بَطَلَ ومن اسمائه الباطل قَالُوا اِنَّا مَعَكُمْ اى فى الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعليّة والشياطين بالجملة الاسميّة المؤكّدة بانّ لانّهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانّه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقّع رواج ادّعاء الكمال فى الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفّار اِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ تأكيد لما قبله لانّ المستهزئ بالشىء المستخفّ به مُصرّ على خلافه او بدلٌ منه لانّ من حقّر الاسلام فقد عظّم الكفر او استيناف فكانّ الشياطين قالوا لهم لمّا قالوا انّا معكم إن صحّ ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدّعون الايمان فاجابوا بذلك ، والاستهزاء السخريّة والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كأجبت واستجبت واصله الخفّة من الهَزْء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اى تسرع وتخفّ (١٤) اَللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ يجازيهم على استهزائهم سمّى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمّى جزاء السيّئة سيّئة امّا لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له فى القَدْر او يُرْجِع وبالَ الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الّذى هو لازم الاستهزاء او الغرض منه او يعاملهم معاملةَ المستهزئ امّا فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان وامّا فى الآخرة فبأن يفتح لهم وهم فى النار بابا الى الجنّة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سدّ عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الّذين آمنوا من الكفّار يضحكون وانّما استؤنف به ولم يعطف ليدلّ على انّ اللّه تعالى تولّى مجازاتهم ولم يُحْوِج المؤمنين ان يعارضوهم وانّ استهزاءهم لا يُؤْبَه به فى مقابلة ما يفعل اللّه تعالى بهم ولعلّه لم يقل اللّه مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بانّ الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدّد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات اللّه فيهم كما قال تعالى أَوَلا يرون انّهم يُفتنون فى كلّ عام مرّة او مرّتين وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ من مدّ الجيش وأمدّه اذا زاده وقوّاه ومنه مددت السراجَ والارضَ اذا اصلحتهما بالزيت والسّماد لا من المدّ فى العمر فانّه يعدّى باللام كأملى له ويدلّ عليه قراءة ابن كثير ويُمِدُّهُمْ والمعتزلة لمّا تعذّر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لمّا منعهم اللّه ألطافه الّتى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدّهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رَيْنا وظلمةً تزايُدَ قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكّن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى اللّه تعالى اسنادَ الفعل الى المسبّب واضاف الطغيان اليهم لئلّا يُتوهّم انّ اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداقُ ذلك انّه لمّا اسند المدّ الى الشيطان اطلق الغىّ وقال واخوانهم يمدّونهم فى الغىّ او اصله يَمُدُّ لهم بمعنى يُمْلى لهم ويمدّ فى اعمارهم كى يتنبّهوا ويطيعوا فما ازدادوا الّا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدّى الفعل بنفسه كما فى قوله تعالى واختار موسى قومَه او التقدير يمدّهم استصلاحا وهم مع

نلك يعمهون فى طغيانهم ، والطغيان بالضمّ والكسر كلُقْيان ولِقْيان تجاوُز الحدّ فى العصيان والغلوّ فى الكفر واصله تجاوز الشىء عن مكانه قال تعالى انّا لمّا طغى الماء حملناكم ، والعَمَهُ فى البصيرة كالعَمَى فى البصر وهو التحيّر فى الامر يقال رجلٌ عامِهٌ وعَمِهٌ وارض عَمْهاء لا منارَ بها قال جزء ۱ رکوع ۲

أَعْمَى ٱلْهُدَى بالجاهلين العُمَّه ،

(۱۵) أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يُطْلَب من الأَعْيان فان كان احد العِوَضَيْن ناضًا تعَيَّنَ من حيث انّه لا يطلب لعينه أَنْ يكون ثمنا وبَذْلُه اشتراء والّا فأىٌّ العوضين تصوّرته بصورة الثمن فباذلُه مشترٍ وآخِذُه بائعٌ ولذلك عُدّت الكلمتان من الأَضْداد ثمّ استعير للاعراض عمّا فى يده محصّلا به غيرَه سواءٌ كان من المعانى او الاعيان ومنه

اخـذتُ بالجُمّـةِ رأسا أَزْعَـرا وبالثنايا الواضحات الدُّرْدُرا
وبالطويلِ العُمْرِ عُمْرا جَيْذَرا كما ٱشْتَرَى ٱلْمُسْلِمُ اذ تَنصّرا

ثمّ ٱتُّسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشىء طمعا فى غيره والمعنى انّهم اخلّوا بالهدى الّذى جُعل لهم بالفِطْرة الّتى فُطر الناس عليها محصّلين الضلالة الّتى ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبّوها على الهدى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ترشيح للمجاز لمّا استعمل الاشتراء فى معاملتهم أُتْبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارتهم ونحوه

ولمّا رأيتُ النَّسْرَ عَزَّ ٱبْنَ دَأْيَةٍ وعشّش فى وَكْرَيْهِ جَاشَ له صدرى

والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء ، والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمّى شفّا واسناده الى التجارة وهو لأربابها على الاتّساع لتلبّسها بالفاعل او لمشابهتها ايّاه من حيث انّها سبب الربح والخسران وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ لطُرق التجارة فانّ المقصود منها سلامةُ رأس المال والربحِ وهؤلاء قد اضاعوا الطِّلْبَتَيْن لانّ رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصِرْف فلمّا اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختلّ عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسّلون به الى درك الحقّ ونيلِ الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل (۱۶) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا لمّا جاء بحقيقة حالهم عقّبها بضرب المثل زيادةً فى التوضيح والتقرير فانّه اوقعُ فى القلب واقمعُ للخصم الألدّ لانّه يُريك المتخيَّل متحقّقا والمعقولَ محسوسا ولأَمْرٍ مّا اكثر اللّه تعالى فى كُتُبه الامثالَ وفشَتْ فى كلام الانبياء والحكماء والمَثَل فى الاصل بمعنى النظير يقال مِثْلٌ ومَثَلٌ ومَثِيلٌ كشِبْه وشَبَه وشَبِيه ثمّ قيل للقول السائر المُمَثَّل مَضْرِبُهُ بمَوْرِده ولا يضرب الّا ما فيه غرابةٌ ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثمّ استعير لكلّ حالٍ او قصّة او صفة لها شأنٌ وفيها غرابةٌ مثل قوله تعالى مَثَلُ الجنّة الّتى وُعد المتّقون وقوله وللّه المَثَل الاعلى والمعنى حالهم العجيبةُ الشأنِ كحال من استوقد نارا ، والّذى بمعنى والّذين كما فى قوله تعالى وخضتم كالّذى خاضوا ان جُعل مَرْجِعَ الضمير فى بنورهم وانّما جاز ذلك ولم يجز وَضع القائم موضع القائمين لانّه غير مقصود بالوصف

*

جزء ١ بل الجملة الّتى هى صلته وهو وُصْلةٌ الى وصف المعرفة بها ولانّه ليس باسم تامّ بل هو كالجزء منه فحقُّه ان لا
ركوع ٢ يجمع كما لا تجمع اخواتها ويستوى فيه الواحد والجمع وليس ٱلَّذِينَ جَمْعَهُ المصحَّحَ بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة الّتى عليها التنزيلُ ولكونه مستطالا بصلته استحقّ التخفيفَ ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثمّ كَسْرته ثمّ اقتصر على اللام فى اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الّذى استوقد ، والاستيقاد طلب الوُقود والسعى فى تحصيله وهو سطوعُ النار وارتفاعُ لهبها ، واشتقاق النار من نار ينور نَوْرا اذا نفر لانّ فيها حركة واضطرابا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ اى النارُ ما حول المستوقد ان جعلتها متعدّية والّا امكن ان تكون مستندة الى ما والتأنيثُ لانّ ما حوله اشياء واماكنُ او الى ضمير النار وما موصولةٌ فى معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدةٌ وحوله ظرفٌ ، وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حَوْل لانّه يدور ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ جوابُ لمّا والضميرُ للّذى وجمعُه للحمل على المعنى وعلى هذا انّما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانّه المراد من ايقادها او استينافٌ أُجيب به اعتراضُ سائل يقول ما بالُهم شُبّهتْ حالُهم بحالِ مستوقدٍ انطفأتْ نارُه او بدلٌ من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهَيْن للمنافقين والجوابُ محذوفٌ كما فى قوله تعالى فلمّا ذهبوا به للايجاز وأَمْنِ الالْباس وإسناد الاذْهاب الى اللّه تعالى امّا لانّ الكلّ بفعله او لانّ الإطْفاء حصل بسببٍ خفيٍّ او امرٍ سماويٍّ كريحٍ او مطرٍ او للمبالغة ولذلك عدّى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى لاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه اللّه وامسكه فلا مُرْسِل له ولذلك عدل عن الضوء الّذى هو مقتضى اللفظ الى النور فانّه لو قيل ذهب اللّه بضوئهم احْتُمل ذهابُه بما فى الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمّى نورا والغرضُ إزالةُ النور عنهم رأسا الا ترى كيف قرّر ذلك واكد بقوله وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ فذكر الظلمة الّتى هى عدم النور وانطماسُه بالكلّيّة وجمَعَها ونكّرها ووصفها بانّها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شَبَحان ، وترك فى الاصل بمعنى طرح وخلّى وله مفعول واحد فضُمّن معنى صيّر فجرى مجرى أَفْعال القلوب كقوله تعالى وتركهم فى ظلمات وقولِ الشاعر

فتركْنه جَزَرَ السباع يَنُشْنَه   يَقْضَمْنَ حُسْنَ بَنانه والمِعْصَمِ ،

والظلمة مأخوذ من قولهم ما ظَلَمَكَ أَنْ تفعل كذا اى ما منعك لانّها تَسُدّ البصر وتمنع الرؤية وظلماتُهم ظلمةُ الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يومَ ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورُهم بين ايديهم وبأيمانهم او ظلمةُ الضلال وظلمة سخط اللّه تعالى وظلمة العقاب السرمد او ظلمةٌ شديدةٌ كانّها ظلمات متراكمة ، ومفعولُ لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكانّ الفعل غير متعدّ ، والآية مثلٌ ضَرَبَه اللّه تعالى لمن آتاه ضَرْبا من الهدى فأضاعه ولم يتوصّل به الى نعيم الابد فبقى متحيّرا متحسّرا تقريرا وتوضيحا لما تضمّنته الآية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانّهم اضاعوا ما نطقت به ألسنتُهم من الحقّ باستبطان الكفر واظهارِه حين خلوا الى شياطينهم ومَنْ آثر الضلالة على الهدى المجعولِ له بالفِطْرة او ارتدّ عن دينه بعد ما آمن ومَنْ صحّ له احوالُ الإرادة فادّعى احوالَ المحبّة فأذهب

اللّه عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثلٌ لايمانهم من حيث انّه يعود عليهم بحقن الدماء جزء ١
وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين فى المغانم والاحكام بالنار المُوقَدة للاستضاءة ولذهاب اثره ركوع ٢
وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء اللّه تعالى ايّاها واذهاب نورها (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ لمّا
سدّوا مَسامعهم عن الاصاخة الى الحقّ وابوا ان يُنْطقوا به السنتهم ويتبصّروا الآيات بابصارهم جُعلوا كانّما
ايفت مشاعرهم وانتفت قُواهم كقوله

صُمٌّ اذا سمعوا خيرا ذُكِرْتُ به وإنْ ذُكِرْتُ بسوء عندهم أَذِنوا

وقوله

أَصَمُّ عن الشىء الّذى لا أُريده وأَسْمَعُ خَلْقِ اللّه حين أُريدُ

واطلاقها عليهم على سبيل التمثيل لا الاستعارة اذ مِنْ شرطها ان يُطْوَى ذِكْرُ المستعار له بحيث يُمْكِن
حَمْلُ الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير

لَدَى أَسَدٍ شاكِى السِلاحِ مقذَّفٍ له لِبَدٌ أَظْفارُه لم تُقَلَّمِ

ومِنْ ثَمّ ترى المُفْلِقين السَحَرة يَضْرِبون عن توهّم التشبيه صفحا كما قال ابو تمّام

ويَصْعَدُ حتّى لَظَنَّ الجَهُولُ بانّ له حاجةً فى السماء

وههنا وان طُوِى ذكره بحذف المبتدأ لكنّه فى حُكْمِ المنطوق به ونظيره

أَسَدٌ علىَّ وفى الحُروب نَعامةٌ فَتْخاء تَنْفِرُ من صَفير الصافر

هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على انّ الآية فَذْلَكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهى
على حقيقتها والمعنى انّهم لمّا اوقدوا نارا فذهب اللّه بنورهم وتركهم فى ظلمات هائلة أَدْهشتهم بحيث
اختلّت حواسّهم وانتقصت قُواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعولِ تركهم ، والصَّمَم
اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حَجَرٌ أَصَمُّ وقناةٌ صمّاء وصِمامُ القارورة سمّى به فقدان حاسّة
السمع لانّ سببه ان يكون باطن الصِماخ مكتنزا لا تجويف فيه فيشتملَ على هواء يُسْمَع الصوت
بتموّجه ، والبَكَم الخرس ، والعَمَى عدم البصر عمّا مِنْ شأنه ان يُبْصَر وقد يقال لعدم البصيرة
فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ لا يعودون الى الهدى الّذى باعوه وضيّعوه او عن الضلالة الّتى اشتروها او فهم
متحيّرون لا يدرون ايتقدّمون ام يتأخّرون والى حيث ابتدأوا منه كيف يرجعون ، والفاء للدلالة
على انّ اتّصافهم بالاحكام السابقة سببٌ لتحيّرهم واحتباسهم (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ ٱلسَّمَآءِ عطف على
الّذى استوقد اى كمثل ذوى صيّب لقوله يجعلون اصابعهم ، وأَوْ فى الاصل للتساوى فى الشكّ ثمّ اتّسع
فيها فاطلقت للتساوى من غير شكّ مثل جَالِسِ الحسنَ او ابنَ سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما
او كفورا فانّه يفيد التساوى فى حُسْن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله تعالى او كصيّب
ومعناه انّ قصّة المنافقين مشبّهة بهاتين القصّتين وانّهما سواء فى صحّة التشبيه بهما وانت مخيّر فى التمثيل
بهما او بأيّهما شئت ، والصيّب فَيْعِل من الصوب وهو النزول يقال للمطر والسحاب قال الشماخ

وأَسْحَمُ دانٍ صادقُ الوَعْدِ صَيِّبُ

جزء ١ وفى الآية يحتملهما وتنكيره لانّه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على انّ الغمام
ركوع ٢ مطبّق آخِذ بآفاق السماء كلّها فانّ كلّ افق منها يسمّى سماء كما انّ كلّ طبقة منها سماء قال

ومِنْ بُعْد ارضٍ بيننا وسماء

أُمِدَّ به ما فى صيّب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهيّة فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ان اريد بالصيّب المطر فظلماته ظلمة تكاثُفه بتتابُع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجَعْلُه مكانا للرعد والبرق لانّهما فى اعلاه ومنحدَره ملتبسَيْن به وان اريد به السحاب فظلماته سُحْمَتُه وتطبيقُه مع ظلمة الليل وارتفاعُها بالظرف وفاقا لانّه معتمد على موصوف ، والرعد صوت يُسْمع من السحاب والمشهورُ انّ سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها اذا حَدَتْها الريح من الارتعاد ، والبرق ما يلمع من السحاب من بَرَقَ الشىءُ بريقا وكلاهما فى الاصل مصدر ولذلك لم يُجْمعا يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ الضمير لاصحاب الصيّب وهو وان حذف لفظه وأُقيم الصيّب مقامه لكن معناه باقٍ فيجوز ان يعوَّل عليه كما عوّل حسّان فى قوله

يَسْقُون مَنْ ورد البَرِيصَ عليهمِ ... بَرَدَى يصفّق بالرحيق السَّلْسَلِ

حيث ذكّر الضمير لانّ المعنى ماء بَرَدَى والجملة استيناف فكانّه لمّا ذكر ما يؤذن بالشدّة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانّما اطلق الاصابع موضعَ الانامل للمبالغة مِنَ ٱلصَّوَاعِقِ متعلّق بيجعلون اى من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العَيْمة ، والصاعقة قَصْفة رعدٍ هائلٍ معها نار لا تمرّ بشىء الّا اتت عليه من الصَعَق وهو شدّة الصوت وقد تطلق على كلّ هائلٍ مسموع او مشاهَد ويقال صَعَقَتْه الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدّة الصوت وقرئ من الصَّوَاقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين فى التصرّف فيقال صَقَعَ الديكُ وخطيبٌ مِصْقَعٌ وصَقَعَتْه الصاقعة وهى فى الاصل إمّا صفة لقَصْفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما فى الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة حَذَرَ ٱلْمَوْتِ نصب على العلّة كقوله

وأَغْفِرُ عَوْرَاءَ ٱلكريمِ ٱدّخارَهُ ... وأَصْفَحُ عن شَتْمِ اللئيمِ تكرُّمَا ،

والموت زوال الحيوة وقيل عَرَضٌ يضادّها لقوله تعالى خَلَقَ الموت والحيوة ورُدّ بانّ الخلق بمعنى التقدير والأَعْدَامُ مقدَّرة وَٱللّٰهُ مُحِيطٌ بِٱلْكَافِرِينَ لا يفوتونه كما لا يفوت المُحاطُ به المُحيطَ لا يخلّصهم الخِداع والحِيَل والجملة اعتراضيّة لا محلّ لها (١٩) يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ استيناف ثانٍ كانّه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق ، وكَادَ من افعال المقاربة وُضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعُروض سببه لكنّه لم يوجد إمّا لفقد شرط او لوجودِ مانعٍ وعَسَى موضوعة لرجائه فهى خبرٌ محضٌ ولذلك جاءت منصرِفة بخلاف عَسَى وخبرُها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انّه المقصود بالقرب من غير أَنْ لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عَسَى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما فى اصل معنى المقاربة ، والخَطْف الاخذ بسرعة وقرئ يَخْطِفُ بكسر

جزء ١ الطاء ويَخِطِّفُ على انّه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثمّ ادغمت فى الطاء ويِخِطِّفُ بكسر الخاء

ركوع ٢

لانتفاء الساكنَيْن واتباع الياء لها ويُخَطِّفُ ويَتَخَطَّفُ كُلَّمَا أَضَآءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا استيناف ثالث كانّه قيل ما يفعلون فى تارَتَىْ خفوق البرق وخِفْيته فاجيب بذلك ، واضاء امّا متعدّ والمفعول محذوف بمعنى كلّما نوّر لهم مَمْشًى اخذوه او لازمٌ بمعنى كلّما لمع لهم مشوا فى مَطْرَحِ نوره وكذلك أَظْلَمَ فانّه جاء متعدّيا منقولا من ظَلِمَ الليلُ ويشهد له قراءة أُظْلِمَ على البناء للمفعول وقول ابى تمّام

هما أَظْلَمَا حالَىَّ ثُمَّتَ أَجْلَيَا ظَلامَيْهما عن وجه أَمْرَدَ أَشْيَبِ

فانّه وان كان من المُحْدَثين لكنّه من علماء العربيّة فلا يَبْعُد ان يُجْعَل ما يقوله بمنزلة ما يَرْويه ، وانّما قال مع الاضاءة كُلَّمَا ومع الاظلام اِذَا لانّهم حِراص على المشى فكلّما صادفوا منه فرصةً انتهزوها ولا كذلك التوقّف ، ومعنى قَامُوا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ اى ولو شاء اللّه ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفُه فى شاء وأَرادَ حتّى لا يكاد يُذْكَر الّا فى الشىء المستغرَب كقوله

فلو شئتُ ان أَبْكِى دما لَبَكيتُه ،

ولَوْ من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاوّل لانتفاء الثانى ضرورةَ انتفاء الملزوم عند انتفاء اللازم ، وقرِئَ لَأَذْهَبَ بِأَسْمَاعِهِمْ بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تُلْقُوا بأَيْدِيكم الى التهلكة ، وفائدة هذه الشرطيّة ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيهُ على انّ تأثير الاسباب فى مسبّباتها مشروط بمشيئته تعالى وانّ وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته وقولهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ كالتصريح به والتقرير له ، والشَّىْء يختصّ بالموجود لانّه فى الاصل مصدرُ شاء اطلق بمعنى شاء تارةً وحينئذ يتناول البارئَ تعالى كما قال تعالى قل اىّ شىء اكبر شهادة قل اللّه شهيد وبمعنى مَشِىء اخرى اى مشىء وجودُه وما شاء اللّهُ وجودَه فهو موجود فى الجملة وعليه قوله تعالى انّ اللّه على كلّ شىء قدير اللّه خالق كلّ شىء فهما على عمومهما بلا مثنويّة والمعتزلةُ لمّا قالوا الشىء ما يصحّ ان يوجَد وهو يعمّ الواجب والمُمْكِن او ما يصحّ ان يُعْلَم ويُخْبَر عنه فيعمّ الممتنع ايضا لزِمَهم التخصيصُ بالممكن فى الموضعين بدليل العقل ، والقُدْرَة هو التمكّن من ايجاد الشىء وقيل صفةٌ تقتضى التمكّنَ وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكّن من الفعل وقدرة اللّه عبارة عن نفى العجز عنه ، والقادر هو الّذى ان شاء فعلَ وان شاء لم يفعل والقدير الفعّال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلّما يوصف به غيرُ البارئ تعالى واشتقاقُ القُدْرة من القَدْر لانّ القادر يُوقِع الفعلَ على مقدار قوّته او على مقدار ما يقتضيه مشيئتُه وفيه دليل على انّ الحادث حالَ حدوثه والممكنَ حالَ بقائه مقدوران وانّ مقدور العبد مقدور للّه تعالى لانّه شىء وكلّ شىء مقدور ، والظاهر انّ التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلّفة وهو أن تُشبَّه كيفيّةٌ

جزء ١ منتزَعةً من مجموع تضامّت اجزاؤه وتلاصقت حتّى صارت شيأ واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مَثَل
ركوع ٢ الّذين حُمِّلوا التورية ثمّ لم يَحْمِلوها الآية فانّه تشبيهُ حال اليهود فى جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار فى جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرضُ منهما تمثيلُ حال المنافقين من الحيرة والشدّة بما يكابد مَنْ طَفِئتْ نارهُ بعد ايقادها فى ظلمة او بحالٍ من اخذته السماء فى ليلة مُظْلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويُمْكِن جعلهما من قبيل التمثيل المُفْرَد وهو ان تأخذ اشياء فُرادى فتشبّهها بأمثالها كقوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظِلّ ولا الحَرور وقولِ امرئ القيس

كأنّ قلوب الطير رَطْبا ويابسا لدى وَكْرها العُنّابُ والحَشَفُ البالى

بأنْ يشبّه فى الاوّل ذواتُ المنافقين بالمستوقدين واظهارُهم الايمانَ باستيقاد النار وما انتفعوا به من حَقْنِ الدماء وسلامةِ الاموال والاولاد وغيرِ ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوالُ ذلك عنهم على القرب باهلاكهم او بافشاء حالهم وإبقائهم فى الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفى الثانى انفسُهم باصحاب الصيّب وايمانُهم المخالط للكفر والخداع بصيّبٍ فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انّه وإن كان نافعا فى نفسه لكنّه لمّا وُجد فى هذه الصورة عاد نفعُه ضرّا ونفاقُهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يَطْرقون به مَنْ سِواهم من الكفرة بجعل الاصابع فى الآذان من الصواعق حذرَ الموتِ من حيث انّه لا يَرُدّ مِنْ قَدَر اللّه تعالى شيـأ ولا يخلّص ممّا يريد بهم من المضارّ وتحيُّرُهم لشدّة الامر وجهلُهم بما يأتون ويَذَرون بانّهم كلّما صادفوا من البرق خَفْقةً انتهزوها فرصةً مع خوفِ ان تخطف ابصارهم فخَطَوْا خُطًى يسيرة ثمّ اذا خَفِىَ وفتر لمعانُه بقوا متقيّدين لا حَراكَ بهم وقيل شُبّه الايمانُ والقرانُ وسائرُ ما اوتى الانسان من المعارف الّتى هى سبب الحيوة الابديّة بالصيّب الّذى به حيـوة الارض وما ارتبكت بها من الشُبَه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكّكة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامُّهم عمّا يسمعون من الوعيد بحالِ مَنْ يهوله الرعد فيخاف صواعقَه فيسدّ اذنيه عنها مع انّه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله واللّه محيط بالكافرين واهتزازُهم لما يلمع لهم من رُشْدٍ يدركونه او رِفْدٍ تطمح اليه ابصارهم بمشيهم فى مطرح ضوء البرق كلّما اضاء لهم وتحيُّرُهم وتوقّفُهم فى الامر حين تعرض لهم شبهة او تَعِنّ لهم مصيبة بتوقّفهم اذا اظلم عليهم، ونبّه سبحانه بقوله ولو شاء اللّه لذهب بسمعهم وابصارهم على انّه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسّلوا بها الى الهدى والفلاح ثمّ انّهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدّوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء اللّه تعالى لجعلهم بالحالة الّتى يجعلونها لانفسهم فانّه على ما يشاء قدير يا أَيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ لمّا عدّد فِرَق المكلّفين وذكر خواصّهم ومَصارِف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزًّا للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها وجَبْرا لكُلْفة العبادة بلذّة المخاطبة، ويا حَرْفٌ وُضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد امّا لعظمته كقول الداعى يا ربّ ويا اللّه وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعوّ له وزيادة الحثّ عليه

جزء ١ ركوع ٣ وهو مع المنادَى جملة مُفيدة لانّه نائب منابَ فِعْل ، وأَىّ جُعِل وصلة الى نداء المعرَّف باللام فانّ ادخالَ يا عليه متعذّر لتعذّر الجمع بين حرفَي التعريف فانّهما كمثلين وأُعْطِى حُكْمَ المنادى وأُجْرِى عليه المقصودُ بالنداء وَصْفًا مُوضِحًا له والتزم رَفْعه اشعارا بانّه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عمّا يستحقّه أَىّ من المضاف اليه وانّما كثر النداء على هذه الطريقة فى القران لاستقلاله بأَوْجُه من التأكيد وكلُّ ما نادى اللّه له عباده من حيث انّها امور عظام مِنْ حقّها ان يتيقّظوا لها ويُقْبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيقٌ بأن ينادى له بالآكد الابلغ ، والجموع واسماؤها المحلّاة باللام للعموم حيث لا عَهْدَ ويدلّ عليه صحّةُ الاستثناء منها والتوكيد بما يُفيد العمومَ كقوله تعالى فسجد الملائكة كلّهم اجمعون واستدلالُ الصحابة بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعمّ الموجودين وقتَ النزول لفظا ومن سيوجد لِما تَواتر من دينه عم انّ مقتضَى خطابِه وأحكامِه شاملٌ للقبيلين ثابتٌ الى قيام الساعة الّا ما خصّه الدليل وما روى عن علقمة والحسن انّ كلّ شىء نزل فيه يا ايّها الناس فمكّىٌّ ويا ايّها الّذين آمنوا فمدنىٌّ إِنْ صحّ رَفْعُه فلا يوجب تخصيصَه بالكفّار ولا أَمْرَهم بالعبادة فانّ المأمور به هو القدر المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوبُ من الكفّار هو الشروعُ فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمُه من المعرفة والاقرار بالصانع فانّ من لوازم وجوب الشىء وجوبَ ما لا يتمّ الّا به وكما انّ الحَدَث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعُه والاشتغالُ بها عقيبَه ومن المؤمنين ازديادُهم وثباتهم عليها وانّما قال ربّكم تنبيها على انّ الموجب للعبادة هى الرُّبُوبِيَّة اَلّذى خَلَقَكُمْ صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خُصّ الخطاب بالمشركين واريد بالربّ اعمُّ من الربِّ الحقيقىّ والآلهة الّتى يسمّونها اربابا ، والخَلْق ايجاد الشىء على تقدير واستواء واصلُه التقدير يقال خلَقَ النَّعْلَ اذا قدّرها وسوّاها بالمقياس وَالّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ متناول كلَّ ما يتقدّم الانسان بالذات او الزمان منصوبٌ معطوفٌ على الضمير المنصوب فى خلقكم ، والجملة أُخْرِجت مُخْرَجَ المقرّر عندهم إِمّا لاعترافهم به كما قال اللّه تعالى ولئن سألتهم مَنْ خلقهم لَيقولُنّ اللّه او لتمكّنهم من العلم به بأَدْنَى نظر ، وقرئ مَنْ قَبْلِكُمْ على اقحام الموصول الثانى بين الاوّل وصِلته تأكيدا كما اقحم جرير فى قوله

يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ لا أبا لكُمُ

تيمَ الثانى بين الاوّل وما اضيف اليه لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ حال من الضمير فى اعبدوا كانّه قال اعبدوا ربّكم راجين ان تنخرطوا فى سِلْك المتّقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين جوارَ اللّه تعالى نبّه به على أنّ التقوى منتهَى درجات السالكين وهو التبرّئ عن كلّ شىء سوى اللّه الى اللّه وأنّ العابد ينبغى ان لا يغترّ بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربّهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او مِنْ مفعولِ خَلَقَكم والمعطوفِ عليه على معنى انّه خلقكم ومَنْ قبلكم فى صورةِ مَنْ يُرْجَى منه التقوى لترجُّحِ امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعى اليه وغلّب المخاطَبين على الغائبين فى اللفظ والمعنى

جزء ١ على ما يَرَوْن من ثبات امر الرسول صلعم واستعلاء شأنه يوما فيوما فزاد اللّه غمّهم بما زاد فى اعلاء امره ركوع ٢ واشادة ذكره ونفوسهم كانت مأوفةً بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبىّ صلعم ونحوها فزاد اللّه ذلك بالطبع او بازدياد التكليف وتكرير الوحى وتضاعف النصر وكانّ اسناد الزيادة الى اللّه تعالى من حيث انّه مسبَّب من فعله واسنادها الى السورة فى قوله تعالى فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبَهم من الجُبن والخَوَر حين شاهدوا شوكة المسلمين وإمدادَ اللّه تعالى لهم بالملائكة وقَذْفَ الرُّعْب فى قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله صلعم نصرةً على الاعداء وتبسّطا فى البلاد وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اى مُؤلِم يقال أَلِمَ فهو اليم كوَجِعَ فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله

تحيّةُ بَيْنهم ضَرْبٌ وجيعُ

على طريقة قولهم جَدَّ جِدُّه بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ قراءة عاصم وحمزة والكسائىّ والمعنى بسبب كذبهم او ببَدَله جزاء لهم وهو قولهم آمنّا وقرأ الباقون يُكَذِّبُونَ من كذّبه لانّهم كانوا يكذّبون الرسول عم بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذّب الّذى هو للمبالغة او التكثير مثل بَيَّنَ الشىء ومَوَّتت البهائمُ او من كذّب الوحشىُّ اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فانّ المنافق متحيّر متردّد والكذب هو الخبر عن الشىء على خلاف ما هو به وهو حرام كلّه لانّه عُلّل به استحقاق العذاب حيث رتّب عليه وما روى انّ ابرهيم عم كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لمّا شابه الكذبَ فى صورته سمّى به (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ عطف على يكذبون او يقول وما روى عن سَلْمان رضه انّ اهل هذه الآية لم يأتوا بعدُ فلعلّه اراد به انّ اهله ليس الّذين كانوا فقط بل وسيكون مِنْ بعدُ مَنْ حالُه حالُهم لانّ الآية متّصلة بما قبلها بالضمير الّذى فيها ، والفساد خروج الشىء عن الاعتدال والصلاحُ ضدّه وكلاهما يعمّان كلّ ضارّ ونافع وكان من فسادهم فى الارض هَيْجِ الحروب والفتَن بمخادعة المسلمين وممالأة الكفّار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فانّ ذلك يؤدّى الى فساد ما فى الارض من الناس والدوابّ والحرث ومنه إظهار المعاصى والاهانة بالدين فانّ الاخلال بالشرائع والإعراض عنها ممّا يوجب الهَرْجَ والمَرْجَ ويُخلّ بنظام العالم ، والقائل هو اللّه تعالى او الرسول صلعم او بعض المؤمنين وقرأ الكسائىّ وهشام قيل باشمام الضمّ الاوّل قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ جوابٌ لاِذا وردٌّ للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انّه لا يصحّ مخاطبتنا بذلك فانّ شأننا ليس الّا الاصلاح وانّ حالنا متمحّضة عن شوائب الفساد لانّ إنّما يُفيد قَصْرَ ما دخله على ما بَعْدَه مثْلَ إنّما زيدٌ منطلق وانّما ينطلق زيدٌ وانّما قالوا ذلك لانّهم تصوّروا الفساد بصورة الصلاح لما فى قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زُيّن له سوء عمله فرآه حسنا (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ردّ لما ادّعوه ابلغ ردّ للاستيناف به وتصديره بحرفَى التوكيد ، أَلَا المنبّهة على تحقّق ما بعدها فانّ همزة الاستفهام الّتى للانكار اذا دخلت على النفى افادت تحقيقا ونظيره أليس ذلك بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الّا مصدّرة بما يُتلقّى به القسمُ واختها أَمَا الّتى هى من طلائع القسم وإنّ المقرّرة للنسبة وتعريفِ الخبر وتوسيطِ الفصل لردّ ما فى قولهم

جزء ١ ركوع ٢

انّما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا من تمام النصح والارشاد فانّ كمال الايمان بمجموع امرَيْن الاعراض عمّا لا ينبغى وهو المقصود بقوله لا تفسدوا

والاتيان بما ينبغى وهو المطلوب بقوله آمنوا كَمَا آمَنَ ٱلنَّاسُ فى حيّز النصب على المصدر ، وما مصدريّة او كافّة مثلها فى ربّما ، واللام فى الناس للجنس والمراد به الكاملون فى الانسانيّة العاملون بقضيّة العقل فانّ اسم الجنس كما يُسْتعمل لمُسَمّاه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعانى المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يُسْلَب عن غيره فيقال زيدٌ ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صمّ بكم ونحوه وقد جمعهما الشاعر فى قوله

اذ ٱلناسُ ناسٌ والزمانُ زمانُ

او للعهد والمرادُ به الرسول صلعم ومَنْ معه او مَنْ آمن مِنْ اهلِ جِلْدَتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحّضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم ، واستُدلّ به على قبول توبة الزنديق وأنّ الاقرار باللسان ايمانٌ والّا لم يُفِد التقييدُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ ٱلسُّفَهَآءُ الهمزة فيه للانكار ، واللامُ مُشار بها الى الناس او الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانّما سفّهوهم لاعتقادهم فسادَ رأيهم او لتحقير شأنهم فانّ اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم مَوَالٍ كصُهَيْب وبلال او للتجلّد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسّر الناس بعبد اللّه بن سلام وأشياعه ، والسَفَهُ خفّةٌ وسخافةُ رأى يقتضيهما نقصانُ العقل والحِلْمُ يقابله أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ردّ ومبالغة فى تجهيلهم فانّ الجاهلَ بجهله الجازمَ على خلافِ ما هو الواقع اعظمُ ضلالةً واتمّ جهالةً من المتوقّف المعترِف بجهله فانّه ربّما يُعْذر وتنفعه الآياتُ والنُذُر وانّما فُصّلت الآية بلا يعلمون والّتى قبلها بلا يشعرون لانّه اكثرُ طباقا لذكر السفه ولانّ الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحقّ والباطل ممّا يفتقر الى نظر وفكر وأمّا النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانّما يُدْرَك بأدنى تفطّن وتأمّل فيما يشاهَد من اقوالهم وافعالهم (١٣) وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا بيان لمعاملتهم المؤمنين والكُفّارَ وما صُدّرت به القصّة فمساقُه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روى انّ ابن أُبَىّ واصحابه استقبلهم نفرٌ من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف أَرُدّ هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابى بكر رضه فقال مرحبا بالصدّيق سيّد بنى تَيْم وشيخ الاسلام وثانى رسول اللّه فى الغار الباذل نفسَه ومالَه لرسول اللّه ثمّ اخذ بيد عُمَر رضه فقال مرحبا بسيّد بنى عدىّ الفاروق القوىّ فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول اللّه ثمّ اخذ بيد علىّ رضه فقال مرحبا بابن عمّ رسول اللّه وختنه سيّد بنى هاشم ما خلا رسول اللّه فنزلت ، واللقاء المصادفة يقال لَقيته ولَاقَيْته اذا صادفته واستقبلته ومنه أَلْقيته اذا طرحته فانّك بطرحه جعلته

بحيث يُلْقَى وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذَمٌّ اى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سَخِرْتَ منه وعُدّى بالى لتضمّن معنى الانتهاء ، والمراد بشياطينهم الّذين ماثلوا الشياطين فى تمرّدهم وهم المُظْهِرون كفرهم واضافتهم اليهم

جزء ١ للمشاركة فى الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصليّةً على انّه من ركوع ٢ شَطَنَ اذا بَعُدَ فانّه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم شَيْطَنَ واخرى زائدةً على انّه من شاطَ اذا بَطَلَ ومن اسمائه الباطلُ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ اى فى الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعليّة والشياطين بالجملة الاسميّة المؤكّدة بإنّ لانّهم قصدوا بالاولى دعوى إحداث الايمان وبالثانية تحقيقَ ثباتهم على ما كانوا عليه ولانّه لم يكن لهم باعثٌ من عقيدةٍ وصدقِ رغبةٍ فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقُّعُ رواجِ ادّعاء الكمال فى الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفّار إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ تأكيدٌ لما قبله لانّ المستهزئَ بالشىء المستخفّ به مُصِرٌّ على خلافه او بدلٌ منه لانّ من حقّر الاسلام فقد عظّم الكفر او استينافٌ فكانّ الشياطين قالوا لهم لمّا قالوا انّا معكم إن صحّ ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدّعون الايمان فاجابوا بذلك ، والاستهزاء السخريّة والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كأجبت واستجبت واصله الخفّة من الهَزْء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اى تسرع وتخفّ (١٤) اَللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ يجازيهم على استهزائهم سمّى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمّى جزاء السيّئة سيّئة إمّا لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له فى القَدْر او يُرجِع وبالَ الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الّذى هو لازم الاستهزاء او الغرض منه او يعاملهم معاملةَ المستهزئ أمّا فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان وأمّا فى الآخرة فبأن يفتح لهم وهم فى النار بابا الى الجنّة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سدّ عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الّذين آمنوا من الكفّار يضحكون وانّما استؤنف به ولم يعطف ليدلّ على انّ اللّه تعالى تولّى مجازاتهم ولم يُحْوِج المؤمنين ان يعارضوهم وانّ استهزاءهم لا يُؤْبَه به فى مقابلة ما يفعل اللّه تعالى بهم ولعلّه لم يقل اللّه مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بانّ الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدّد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات اللّه فيهم كما قال تعالى أَوَلا يرون انّهم يُفْتَنون فى كلّ عام مرّة او مرّتين وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ من مدّ الجيش وأمدّه اذا زاده وقوّاه ومنه مددت السراجَ والارضَ اذا اصلحتهما بالزيت والسّماد لا من المدّ فى العمر فانّه يعدّى باللام كأَمْلَى له ويدلّ عليه قراءة ابن كثير ويُمِدُّهُمْ والمعتزلة لمّا تعذّر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لمّا منعهم اللّهُ أَلطافَه الّتى يمنحها المؤمنينَ وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدّهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رَيْنا وظلمةً تزايُدَ قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكّن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى اللّه تعالى اسنادَ الفعل الى المسبّب واضاف الطغيان اليهم لئلّا يُتوهّم انّ اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداقُ ذلك انّه لمّا اسند المدّ الى الشيطان اطلق الغىّ وقال واخوانهم يمدّونهم فى الغىّ او اصله يَمُدُّ لهم بمعنى يُمْلى لهم ويمدّ فى اعمارهم كى يتنبّهوا ويطيعوا فما ازدادوا الّا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدّى الفعل بنفسه كما فى قوله تعالى واختار موسى قومَه او التقديرُ يمدّهم استصلاحا وهم مع

ذلك يعمهون فى طغيانهم ، والطغيان بالضمّ والكسر كلُقيان ولِقيان تجاوُز الحدّ فى العصيان والغلوّ فى الكفر واصله تجاوز الشىء عن مكانه قال تعالى انّا لمّا طغى الماء حملناكم ، والعَمَهُ فى البصيرة كالعَمَى فى البصر وهو التحيّر فى الامر يقال رجلٌ عامِهٌ وعَمِهٌ وارض عَمْهاءُ لا منارَ بها قال جزء ١ ركوع ٢

أَعْمَى ٱلْهُدَى بالجاهلين العُمَّهِ ،

(١٥) أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يُطْلَب من الأَعْيان فان كان احد العِوَضَيْن ناضًّا تعَيَّنَ من حيث انّه لا يطلب لعينه أَنْ يكون ثمنا وبَذْلُه اشتراء والّا فأَىُّ العوضين تصوّرته بصورة الثمن فباذِلُه مشترٍ وآخِذُه بائعٌ ولذلك عُدّت الكلمتان من الأَضْداد ثمّ استعير للاعراض عمّا فى يده محصِّلا به غيرَه سواءٌ كان من المعانى او الاعيان ومنه

اخــذتُ بالجُمّــة رأسا أَزْعَـرا وبالثنايا الواضحات الدُرْدُرا
وبالطويلِ العُمْرِ عُمْرا جَيْذَرا كما ٱشْتَرَى ٱلْمُسْلِمُ اذ تَنصَّرا

ثمّ ٱتُّسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشىء طمعا فى غيره والمعنى انّهم اخلّوا بالهدى الّذى جُعِل لهم بالفطْرة الّتى فُطر الناس عليها محصِّلين الضلالةَ الّتى ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبّوها على الهدى فَمَا رَبِحَتْ تِجَٰرَتُهُمْ ترشيح للمجاز لمّا استعمل الاشتراء فى معاملتهم أُتْبِعه ما يشاكله تمثيلا لخسارتهم ونحوه

ولمّا رأيتُ النَّسْرَ عَزَّ ٱبْنَ دَأْيَةٍ وعشّش فى وَكْرَيْهِ جاش له صدرى

والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء ، والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمّى شِفًّا واسناده الى التجارة وهو لأربابها على الاتّساع لتلبّسها بالفاعل او لمشابهتها ايّاه من حيث انّها سبب الربح والخسران وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ لطُرق التجارة فانّ المقصود منها سلامةُ رأس المال والربحُ وهؤلاء قد اضاعوا الطِّلْبَتَيْن لانّ رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصِرْف فلمّا اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختلّ عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسّلون به الى درك الحقّ ونيلِ الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل (١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا لمّا جاء بحقيقة حالهم عقّبها بضرب المثل زيادةً فى التوضيح والتقرير فانّه اوقعُ فى القلب واقمعُ للخصم الألدّ لانّه يُريك المتخيَّل متحقّقا والمعقولَ محسوسا ولأَمْرٍ مّا اكثر اللّه تعالى فى كُتُبه الامثالَ وفشَتْ فى كلام الانبياء والحكماء والمَثَل فى الاصل بمعنى النظير يقال مِثْلٌ ومَثَلٌ ومَثِيلٌ كشِبْه وشَبَه وشَبِيه ثمّ قيل للقول السائر المُمَثَّل مَضْرِبُهُ بمَوْرِدِه ولا يضرب الّا ما فيه غرابةٌ ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثمّ استعير لكلّ حالٍ او قصّةٍ او صفةٍ لها شأنٌ وفيها غرابةٌ مثل قوله تعالى مَثَلُ الجنّة الّتى وُعِد المتّقون وقوله وللّه المَثَل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشأنِ كحال من استوقد نارا ، والّذى بمعنى والّذين كما فى قوله تعالى وخضتم كالّذى خاضوا ان جُعِل مَرْجِعَ الضمير فى بنورهم وانّما جاز ذلك ولم يجز وَضْع القائم موضع القائمين لانّه غير مقصود بالوصف

*

جزء ١ ركوع ٢ بل الجملة الّتى هى صلته وهو وُصْلةٌ الى وصف المعرفة بها ولانّه ليس باسم تامّ بل هو كالجزء منه فحقُّهُ ان لا يجمع كما لا تجمع اخواتها ويستوىَ فيه الواحد والجمع وليس ٱلَّذِينَ جَمْعَهُ المصحّحَ بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة الّتى عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحقّ التخفيفَ ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثمّ كسْرته ثمّ اقتصر على اللام فى اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الّذى استوقد ، والاستيقاد طلب الوُقود والسعى فى تحصيله وهو سطوعُ النار وارتفاعُ لهبها ، واشتقاق النار من نار ينور نَوْرا اذا نفر لانّ فيها حركة واضطرابا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ اى النارُ ما حول المستوقِد ان جعلتها متعدّية والّا امكن ان تكون مستندة الى ما والتأنيثُ لانّ ما حوله اشياء واماكنُ او الى ضمير النار وما موصولةٌ فى معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدةٌ وحوله ظرفٌ ، وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حَوْل لانّه يدور ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ جوابُ لمّا والضميرُ للّذى وجمعُه للحمل على المعنى وعلى هذا انّما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانّه المراد من ايقادها او استينافٌ أُجيب به اعتراضُ سائل يقول ما بالُهم شُبّهتْ حالُهم بحالِ مستوقدٍ انطفأتْ نارُه او بدلٌ من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهَيْن للمنافقين والجوابُ محذوفٌ كما فى قوله تعالى فلمّا ذهبوا به للايجاز وأَمْنِ الالْباس وإسناد الاذْهاب الى اللّه تعالى امّا لانّ الكلّ بفعله او لانّ الإطْفاء حصل بسببٍ خفيٍّ او امرٍ سماويٍّ كريحٍ او مطرٍ او للمبالغة ولذلك عدّى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى لاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه اللّه وامسكه فلا مُرْسِل له ولذلك عدل عن الضوءِ الّذى هو مقتضَى اللفظ الى النور فانّه لو قيل ذهب اللّه بضوئهم احْتَمل ذهابُه بما فى الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمّى نورا والغرضُ إزالةُ النورِ عنهم رأسا الا ترى كيف قرّر ذلك واكد بقوله وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ فذكر الظلمة الّتى هى عدم النور وانطماسُه بالكلّيّة وجَمَعَها ونكّرها ووصفها بانّها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شَبَحان ، وترك فى الاصل بمعنى طرح وخلّى وله مفعول واحد فضُمّن معنى صيّر فجرى مجرى أفعال القلوب كقوله تعالى وتركهم فى ظلمات وقولِ الشاعر

فتركتُه جَزَرَ السباع يَنُشْنَه   يَقْضَمْنَ حُسْنَ بَنانه والمِعْصَمِ ،

والظلمة مأخوذ من قولهم ما ظَلَمَك أَنْ تفعل كذا اى ما منعك لانّها تسُدّ البصر وتمنع الرؤية وظلماتُهم ظلمةُ الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يومِ ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورُهم بين ايديهم وبأيمانهم او ظلمةُ الضلال وظلمة سخط اللّه تعالى وظلمة العقاب السرمد او ظلمةٌ شديدةٌ كانّها ظلمات متراكمة ، ومفعولُ لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكانّ الفعل غير متعدٍّ ، والآية مثلٌ ضَرَبَه اللّه تعالى لمن آتاه ضَرْبا من الهدى فأضاعه ولم يتوصّل به الى نعيم الابد فبقى متحيّرا متحسّرا تقريرا وتوضيحا لما تضمّنته الآية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانّهم اضاعوا ما نطقت به ألسنتُهم من الحقّ باستبطان الكفر واظهارِه حين خلوا الى شياطينهم ومَنْ آثر الضلالة على الهدى المجعولِ له بالفِطْرة او ارتدّ عن دينه بعد ما آمن ومَنْ صحّ له احوالُ الإرادة فادّعى احوالَ المحبّة فأذهب

اللّه عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثلٌ لايمانهم من حيث انّه يعود عليهم بحقن الدماء جزء ١
وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين فى المغانم والاحكام بالنار المُوقَدة للاستضاءة ولذهاب اثره ركوع ٢
وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء اللّه تعالى ايّاها واذهاب نورها (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ لمّا سدّوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحقّ وابوا ان يُنْطقوا به السنتهم ويتبصّروا الآيات بابصارهم جُعلوا كانّما ايفت مشاعرهم وانتفت قُواهم كقوله

صُمٌّ اذا سمعوا خيرا ذُكِرْتُ به وإنْ ذُكِرْتُ بسوء عندهم أَذِنوا

وقوله

أَصَمُّ عن الشىء الّذى لا أُريده وأَسْمَعُ خَلْقِ اللّه حين أُريدُ

واطلاقها عليهم على سبيل التمثيل لا الاستعارة اذ مِنْ شرطها ان يُطْوَى ذِكْرُ المستعار له بحيث يُمْكِن حَمْلُ الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير

لَدَى أَسَدٍ شاكِى السلاحِ مقذَّفٍ له لِبَدٌ أَظْفارُه لم تُقَلَّمِ

ومِنْ ثَمّ ترى المُفْلقين السَحَرة يَضْرِبون عن توهّم التشبيه صفحا كما قال ابو تمّام

ويَصْعَدُ حتّى لَظَنّ الجَهُولُ بانّ له حاجةً فى السماء

وههنا وان طُوِى ذكره بحذف المبتدأ لكنّه فى حُكْم المنطوق به ونظيرُه

أَسَدٌ علىَّ وفى الحُروب نَعامةٌ فَتْخاء تَنْفِرُ من صَفير الصافر

هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على انّ الآية فَذْلَكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهى على حقيقتها والمعنى انّهم لمّا اوقدوا نارا فذهب اللّه بنورهم وتركهم فى ظلمات هائلة أَدْهشتهم بحيث اختلّت حواسّهم وانتقصت قُواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم ، والصَّمَم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حَجَرٌ أَصَمُّ وقناةٌ صمّاء وصِمامُ القارورة سمّى به فقدان حاسّة السمع لانّ سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه فيشتمل على هواء يُسْمع الصوت بتموّجه ، والبَكَم الخرس ، والعَمَى عدم البصر عمّا مِنْ شأنه ان يُبْصَر وقد يقال لعدم البصيرة فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ لا يعودون الى الهدى الّذى باعوه وضيّعوه او عن الضلالة الّتى اشتروها او فهم متحيّرون لا يدرون ايتقدّمون ام يتأخّرون والى حيث ابتدأوا منه كيف يرجعون ، والفاء للدلالة على انّ اتّصافهم بالاحكام السابقة سببٌ لتحيّرهم واحتباسهم (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ ٱلسَّمَآءِ عطف على الّذى استوقد اى كمثل ذوى صيّب لقوله يجعلون اصابعهم ، وأَوْ فى الاصل للتساوى فى الشكّ ثمّ اتّسع فيها فاطلقت للتساوى من غير شكّ مثل جالِس الحسنَ او ابنَ سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانّه يفيد التساوى فى حُسْن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله تعالى او كصيّب ومعناه انّ قصّة المنافقين مشبّهة بهاتين القصّتين وانّهما سواء فى صحّة التشبيه بهما وانت مخيّر فى التمثيل بهما او بأيّهما شئت ، والصيّب فَيْعِل من الصوب وهو النزول يقال للمطر والسحاب قال الشماخ

وأَسْحَمُ دانٍ صادِقُ الوَعْدِ صَيِّبُ

جزء ١ وفى الآية يحتملهما وتنكيره لانّه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على انّ الغمام
ركوع ٢ مطبّق آخذ بآفاق السماء كلّها فانّ كلّ افق منها يسمّى سماء كما انّ كلّ طبقة منها سماء قال

ومِنْ بُعْد ارضٍ بيننا وسماء

أُمِدَّ به ما فى صيّب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهيّة فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ان اريد بالصيّب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجَعْلُه مكانا للرعد والبرق لانّهما فى اعلاه ومنحدَرِه ملتبسَيْن به وان اريد به السحاب فظلماته سُحْمَتُه وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانّه معتمد على موصوف ، والرعد صوت يُسْمع من السحاب والمشهورُ انّ سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها اذا حَدَتْها الريح من الارتعاد ، والبرق ما يلمع من السحاب من بَرَقَ الشىء بريقا وكلاهما فى الاصل مصدر ولذلك لم يُجْمعا يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ الضمير لاصحاب الصيّب وهو وان حذف لفظه وأُقيم الصيّب مقامه لكن معناه باقٍ فيجوز ان يعوَّل عليه كما عوّل حسّان فى قوله

يَسْقُون مَنْ ورد البَرِيصَ عليهم بَرَدَى يصفّق بالرحيق السَّلْسَلِ

حيث ذكّر الضمير لانّ المعنى ماء بَرَدَى والجملة استيناف فكانّه لمّا ذكر ما يؤذن بالشدّة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانّما اطلق الاصابع موضعَ الانامل للمبالغة مِنَ ٱلصَّوَاعِقِ متعلّق بيجعلون اى من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العَيْمة ، والصاعقة قَصْفة رعدٍ هائلٍ معها نار لا تمرّ بشىء الّا اتت عليه من الصَعَق وهو شدّة الصوت وقد تطلق على كلّ هائلٍ مسموع او مشاهَد ويقال صَعَقَتْه الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدّة الصوت وقرئ من الصَوَاقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين فى التصرّف فيقال صَقَعَ الديكُ وخطيبٌ مِصْقَعٌ وصَقَعَتْه الصاقعة وهى فى الاصل إمّا صفة لقَصْفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما فى الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة

حَذَرَ ٱلْمَوْتِ نصب على العلّة كقوله

وأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الكريمِ آدّخارَهُ وأُصْفِحُ عن شَتْمِ اللئيمِ تكرُّمًا ،

والموت زوال الحيوة وقيل عَرَضٌ يضادّها لقوله تعالى خَلَقَ الموت والحيوة ورُدّ بانّ الخلق بمعنى التقدير والأَعْدَامُ مقدّرة وَٱللَّهُ مُحِيطٌ بِٱلْكَافِرِينَ لا يفوتونه كما لا يفوت المُحاطُ به المُحيطَ لا يخلّصهم الخِداع والحِيَل والجملة اعتراضيّة لا محلّ لها (١٩) يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ استيناف ثانٍ كانّه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق ، وكَادَ من افعال المقاربة وُضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعُروض سببه لكنّه لم يوجد إمّا لفقد شرط او لوجودِ مانع وعَسَى موضوعة لرجائه فهى خبرٌ محضٌ ولذلك جاءت متصرّفة بخلاف عَسَى وخبرُها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انّه المقصود بالقرب من غير أَنْ لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عَسَى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما فى اصلِ معنى المقاربة ، والخَطْف الاخذ بسرعة وقرئ يَخِطِفُ بكسر

جزء ۱ ركوع ۴

الطاء ويَخِطِّف على انّه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثمّ ادغمت فى الطاء ويِخِطِّف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويُخَطِّف ويَتَخَطَّف كُلَّمَا أَضَآءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا استيناف ثالث كانّه قيل ما يفعلون فى تارتَى خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك ، واضاء امّا متعدّ والمفعول محذوف بمعنى كلّما نوّر لهم مَمْشًى اخذوه او لازم بمعنى كلّما لمع لهم مشوا فى مَطْرَح نوره وكذلك أَظْلَمَ فانّه جاء متعدّيا منقولا من ظَلِمَ الليلُ ويشهد له قراءة أُظْلِمَ على البناء للمفعول وقول ابى تمّام

هما أَظْلَما حالَىَّ ثُمَّتَ أَجْلَيا ظَلامَيْهما عن وجهِ أَمْرَدَ أَشْيَبِ

فانّه وان كان من المُحْدَثين لكنّه من علماء العربيّة فلا يَبْعُد ان يُجْعَل ما يقوله بمنزلة ما يَرْوِيه ، وانّما قال مع الاضاءة كُلَّمَا ومع الاظلام إِذَا لانّهم حِراص على المشى فكلّما صادفوا منه فرصةً انتهزوها ولا كذلك التوقّف ، ومعنى قَامُوا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ اى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه فى شاء وأراد حتّى لا يكاد يُذْكَر الّا فى الشىء المستغرَب كقوله

فلو شئتُ ان أَبْكِى دما لَبَكَيْتُه ،

ولَوْ من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاوّل لانتفاء الثانى ضرورةَ انتفاء الملزوم عند انتفاء اللازم ، وقرئ لَأَذْهَبَ بِأَسْمَاعِهِمْ بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكم الى التهلكة ، وفائدة هذه الشرطيّة ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيهُ على انّ تأثير الاسباب فى مسبّباتها مشروط بمشيئته تعالى وانّ وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته وقوله إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ كالتصريح به والتقرير له ، والشَّىْء يختصّ بالموجود لانّه فى الاصل مصدرُ شاء اطلق بمعنى شاءٍ تارةً وحينئذ يتناول البارئ تعالى كما قال تعالى قل اىّ شىء اكبر شهادة قل الله شهيد وبمعنى مَشِىٍّ اخرى اى مشىء وجودُه وما شاء اللهُ وجودَه فهو موجود فى الجملة وعليه قوله تعالى انّ الله على كلّ شىء قدير الله خالق كلّ شىء فهما على عمومهما بلا مثنويّة والمعتزلة لمّا قالوا الشىء ما يصحّ ان يوجَد وهو يعمّ الواجب والمُمْكِن او ما يصحّ ان يُعْلَم ويُخْبَر عنه فيعمّ الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن فى الموضعين بدليل العقل ، والقُدْرَة هو التمكّن من ايجاد الشىء وقيل صفة تقتضى التمكّن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكّن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفى العجز عنه ، والقادر هو الّذى ان شاء فعلَ وان شاء لم يفعل والقدير الفعّال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلّما يوصف به غيرُ البارئ تعالى واشتقاق القُدْرة من القَدْر لانّ القادر يُوقِع الفعلَ على مقدار قوّته او على مقدار ما يقتضيه مشيئته وفيه دليل على انّ الحادث حالَ حدوثه والممكنَ حالَ بقائه مقدوران وانّ مقدور العبد مقدور لله تعالى لانّه شىء وكلّ شىء مقدور ، والظاهر انّ التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلّفة وهو أن تُشبّه كيفيّة

منتزعةً من مجموع تضامّت اجزاؤه وتلاصقت حتّى صارت شيأ واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مَثَل الّذين حُمّلوا التورية ثمّ لم يَحْمِلوها الآية فانّه تشبيهُ حال اليهود فى جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار فى جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرضُ منهما تمثيلُ حال المنافقين من الحيرة والشدّة بما يكابِد مَنْ طَفِئَتْ نارهُ بعد ايقادها فى ظلمة او بحالِ من اخذته السماء فى ليلة مُظْلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويُمْكِن جعلهما من قبيل التمثيل المُفْرَد وهو ان تأخذ اشياء فُرادى فتشبّهها بأمثالها كقوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظِلّ ولا الحَرور وقولِ امرئ القيس

جزء ١ — ركوع ٢

كأنّ قلوب الطير رَطْبا ويابسا   لدى وَكْرها العُنّابُ والحَشَفُ البالى

بأنْ يشبّه فى الاوّل ذواتُ المنافقين بالمستوقدين واظهارُهم الايمانَ باستيقاد النار وما انتفعوا به من حَقْنِ الدماء وسلامةِ الاموال والاولاد وغيرِ ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوالُ ذلك عنهم على القرب باهلاكهم او بافشاء حالهم وابقائهم فى الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفى الثانى انفسُهم باصحاب الصيّب وايمانُهم المخالط للكفر والخداع بصيّبٍ فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انّه وإن كان نافعا فى نفسه لكنّه لمّا وُجد فى هذه الصورة عاد نفعُه ضرّا ونفاقُهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يَطْرقون به مَنْ سِواهم من الكفرة بجعل الاصابع فى الآذان من الصواعق حذرَ الموتِ من حيث انّه لا يَرُدّ مِنْ قَدَر اللّه تعالى شيئا ولا يخلّص ممّا يريد بهم من المضارّ وتحيّرُهم لشدّة الامر وجهلُهم بما يأتون ويَذَرون بانّهم كلّما صادفوا من البرق خَفْقةً انتهزوها فرصةً مع خوفِ ان تخطف ابصارهم فخَطَوْا خُطًى يسيرة ثمّ اذا خَفِىَ وفتر لمعانه بقوا متقيّدين لا حَراكَ بهم وقيل شُبّه الايمانُ والقرانُ وسائرُ ما اوتى الانسان من المعارف الّتى هى سبب الحيوة الابديّة بالصيّب الّذى به حيوة الارض وما ارتبكت بها من الشُبَه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكّكة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامُّهم عمّا يسمعون من الوعيد بحالِ مَنْ يهوله الرعد فيخاف صواعقَه فيسدّ اذنيه عنها مع انّه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله واللّه محيط بالكافرين واهتزازُهم لما يلمع لهم من رُشْدٍ يدركونه او رِفْدٍ تطمح اليه ابصارهم بمشيهم فى مطرح ضوء البرق كلّما اضاء لهم وتحيّرُهم وتوقّفُهم فى الامر حين تعرض لهم شبهة او تَعِنّ لهم مصيبة بتوقّفهم اذا اظلم عليهم، ونبّه سبحانه بقوله ولو شاء اللّه لذهب بسمعهم وابصارهم على انّه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسّلوا بها الى الهدى والفلاح ثمّ انّهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدّوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء اللّه تعالى لجعلهم بالحالة الّتى يجعلونها لانفسهم فانّه على ما يشاء قدير يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ لمّا عدّد فِرَقَ المكلّفين وذكر خواصّهم ومَصارِفَ امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزّا للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها وجَبْرا لكُلْفة العبادة بلذّة المخاطبة ، ويا حَرْفٌ وُضِع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد امّا لعظمته كقول الداعى يا ربّ ويا اللّه وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعوّ له وزيادة الحثّ عليه

جزء ١ ركوع ٣

وهو مع المنادَى جملة مُفيدة لانّه نائب منابَ فِعْل ، وأَيّ جُعِل وصلة الى نداء المعرَّف باللام فانّ ادخالَ يَا عليه متعذّر لتعذّر الجمع بين حرفَي التعريف فانّهما كمثلين وأُعْطِى حُكْمَ المنادى وأُجْرِى عليه المقصودُ بالنداء وَصْفًا مُوضِحًا له والتزم رَفْعه اشعارا بانّه المقصود واقحمت بينهما هَاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عمّا يستحقّه أَىّ من المضاف اليه وانّما كثر النداء على هذه الطريقة فى القران لاستقلاله بأَوْجُه من التأكيد وكلّ ما نادى اللّه له عباده من حيث انّها امور عِظام مِنْ حقّها ان يتيقّظوا لها ويُقْبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيقٌ بأن ينادى له بالآكد الابلغ ، والجموع واسماؤها المحلّاة باللام للعموم حيث لا عَهْدَ ويدلّ عليه صحّةُ الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العمومَ كقوله تعالى فسجد الملائكة كلّهم اجمعون واستدلالُ الصحابة بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعمّ الموجودين وقتَ النزول لفظا ومن سيوجد لِما تَواتر من دينه عم انّ مقتضَى خطابه وأحكامه شاملٌ للقبيلين ثابتٌ الى قيام الساعة الّا ما خصّه الدليل وما روى عن علقمة والحسن انّ كلّ شىء نزل فيه يا ايّها الناس فمكّىٌّ ويا ايّها الّذينَ آمنوا فمدنىٌّ إنْ صحّ رَفْعُه فلا يوجب تخصيصَه بالكفّار ولا أَمْرَهم بالعبادة فانّ المأمور به هو القدر المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوبُ من الكفّار هو الشروعُ فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمُه من المعرفة والاقرارِ بالصانع فانّ من لوازم وجوب الشىء وجوبَ ما لا يتمّ الّا به وكما انّ الحَدَث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعُه والاشتغالُ بها عقيبَه ومن المؤمنين ازديادُهم وثباتهم عليها وانّما قال ربّكم تنبيها على انّ الموجب للعبادة هى الرّبيّة ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خُصّ الخطاب بالمشركين واريد بالربّ اعمُّ من الربِّ الحقيقىّ والآلهة الّتى يسمّونها اربابا ، والخَلْق ايجاد الشىء على تقدير واستواء واصلُه التقدير يقال خَلَقَ النَّعْلَ اذا قدّرها وسوّاها بالمقياس وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ متناول كلَّ ما يتقدّم الانسان بالذات او الزمانِ منصوبٌ معطوفٌ على الضمير المنصوب فى خلقكم ، والجملة أُخْرِجت مُخْرَجَ المقرّر عندهم امّا لاعترافهم به كما قال اللّه تعالى ولئن سألتهم مَنْ خلقهم لَيقولُنّ اللّه او لتمكّنهم من العلم به بأدْنَى نظر ، وقرئ مَنْ قَبْلَكُمْ على اقحام الموصول الثانى بين الاوّل وصِلته تأكيدا كما اقحم جرير فى قوله

يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِىٍّ لا أبا لكُمُ

تيمَ الثانىَ بين الاوّل وما اضيف اليه لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ حال من الضمير فى اعبدوا كانّه قال اعبدوا ربّكم راجين ان تنخرطوا فى سِلْك المتّقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين جوارَ اللّه تعالى نبّه به على أنّ التقوى منتهَى درجات السالكين وهو التبرّئ عن كلّ شىء سوى اللّه الى اللّه وأنّ العابد ينبغى ان لا يغترّ بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربّهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او مِنْ مفعولِ خَلَقَكم والمعطوفِ عليه على معنى انّه خلقكم ومَنْ قبلكم فى صورةِ مَنْ يُرْجَى منه التقوى لترجّح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعى اليه وغلّب المخاطَبين على الغائبين فى اللفظ والمعـ

جزء ١ ركوع ٣ على ارادتهم جميعا وقيل تعليلٌ للخلق اى خلقكم لكى تتّقوا كما قال تعالى وما خلقت الجنّ والانس الّا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت فى اللغة مثله ، والآية تدلّ على أنّ الطريق الى معرفة اللّه تعالى والعلم بوحدانيّته واستحقاقِه العبادةَ النظرُ فى صنعه والاستدلالُ بأفعاله وأنّ العبد لا يستحقّ بعبادته عليه ثوابا فانّها لمّا وجبت عليه شكرا لما عدّده عليه من النعم السابقة فهو كأجير اخذ الأجر قبل العمل (٢٠) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا صفةٌ ثانية او مدحٌ منصوب او مرفوع او مبتدأٌ خبرُه فلا تجعلوا ، وجَعَلَ من الافعال العامّة يجىء على ثلاثة اوجُه بمعنى صار وطفق فلا يتعدّى كقوله

وقد جَعَلَتْ قلوصُ بنى سُهَيْلٍ   من الأكوار مَرْتَعُها قريبُ

وبمعنى اوجد فيتعدّى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صيّر فيتعدّى الى مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشا والتصييرُ يكون بالفعل تارةً وبالقول او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا أنْ جعل بعض جوانبها بارزا ظاهرا عن الماء مع ما فى طبعه من الاحاطة بها وصيّرها متوسّطة بين الصلابة واللطافة حتّى صارت مهيّئة لان يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعى كونَها مسطّحة لانّ كُرِيّة شكلها مع عظم حَجْمها واتّساع جِرْمها لا تأبى الافتراش عليها وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً قُبّة مضروبة عليكم ، والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدّد كالدنيا والدرهم وقيل جمع سماءة ، والبناء مصدر سُمّى به المبنىّ بيتا كان او قُبّة او خِباء ومنه بنى على امرأته لانّهم كانوا اذا تزوّجوا ضربوا عليها خِباء جديدا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ عطف على جَعَلَ ، وخروج الثمار بقدرة اللّه ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا فى اخراجها ومادّةً لها كالنطفة للحيوان بأن اجرى عادته بإفاضة صُوَرها وكيفيّاتها على المادّة الممتزجة منهما او اودع فى الماء قوّةً فاعلةً وفى الارض قوّةً قابلةً يتولّد من اجتماعهما انواعُ الثمار وهو قادر على ان يُوجِد الاشياء كلّها بلا اسباب وموادّ كما ابدع نفوس الاسباب والموادّ ولكن له فى انشائها مُدرَّجا من حال الى حال صنائعُ وحِكَمٌ يجدّد فيها لأُولى البصائر عِبَرًا وسُكونا الى عظيمِ قدرته ليست فى ايجادها دفعةً ، ومِن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحابُ فانّ ما علاك سماءٌ او الفَلَكُ فانّ المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلّت عليه الظواهرُ او من اسباب سماويّة تُثير الاجزاء الرطبة من أعماق الارض الى جوّ الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ، ومِن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكَّرَيْن له اعنى ماء ورزقا كانّه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كلّه ولا اخرج بالمطر كلّ الثمار ولا جعل كلّ المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا ، وانّما ساغ الثمرات والموضعُ موضعُ الكثرة لانّه اراد بالثمرات جماعة الثمرة الّتى فى قولك أَدْرَكَتْ ثمرةُ بستانه ويؤيّده قراءةُ من قرأ من الثمرة على التوحيد او لانّ الجموع يتعاور بعضُها موقعَ بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنّات وعيون وقوله تعالى ثلثة قُرُوء او لانّ الثمرات لمّا كانت محلّاة باللام خرجت عن حدّ القلّة ، ولَكُمْ صفةُ رزقا إن

اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانّه قيل رزقا ايّاكم فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدَادًا متعلّق جزء ١
باعبدوا على انّه نهيٌ معطوفٌ عليه او نفيٌ منصوبٌ باضمارِ أَنْ جوابٌ له او بلعلّ على أنّ نصب ركوع ٣
تجعلوا نصبُ فاطّلعَ فى قوله تعالى لعلّى ابلغ الاسباب. اسباب السموات فاطّلعَ الحاقا لها بالاشياء الستّة لاشتراكها فى انّها غير مُوجَبة والمعنى ان تتّقوا لا تجعلوا له اندادا او بالّذى جعل ان استأنفت به على انّه نهيٌ وقع خبرا على تأويلِ مقولٌ فيه لا تجعلوا والفاء للسببيّة أُدْخلت عليه لتضمّن المبتدأ معنى الشرط والمعنى مَنْ حفّكم بهذه النعم الجِسام والآيات العِظام ينبغى ان لا يُشْرَك به ، والنِدّ المِثْل المُناوى قال جرير

أَتَيْمًا تجعلون الىّ نِدًّا وما تيمٌ لِذِى حَسَبٍ نديدُ

من نَدّ يَنُدّ نُدودا اذا نفر ونادَدْتُ الرجلَ خالفته خصّ بالمخالف المماثل فى الذات كما خصّ المساوى بالمماثل فى القدر وتسميةُ ما يعبده المشركون من دون اللّه اندادا وما زعموا انّها تُساويه فى ذاته وصفاته ولا انّها تُخالفه فى أفعاله لانّهم لمّا تركوا عبادته الى عبادتها وسمّوها آلهة شابهت حالُهم حالَ من يعتقد انّها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس اللّه وتمنحهم ما لم يُرِد اللّه بهم من خير فتهكّم بهم وشنّع عليهم بأن جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له نِدٌّ ولهذا قال موحّد الجاهليّة زيد بن عمرو بن نفيل

أربّا واحدا ام ألفَ ربّ أدينُ اذا تقسّمتِ الأُمورُ
تركتُ اللّاتَ والعُزّى جميعا كذلك يَفْعل الرجلُ البصيرُ

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ حال من ضميرِ فلا تجعلوا ، ومفعولُ تعلمون مطروح اى وحالكم انّكم من اهل العلم والنظرِ واصابةِ الرأى فلو تأمّلتم ادنى تأمّلٍ اضطرّ عقلكم الى اثبات موجِدٍ للممكنات منفردٍ بوجوب الذات متعالٍ عن مشابهة المخلوقات او منوىٌّ وهو انّها لا تُماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريبُ لا تقييدُ الحكم وقَصْرُه عليه فانّ العالم والجاهل المتمكّن من العلم سواء فى التكليف ، واعلمْ انّ مضمون الآيتين هو الامرُ بعبادة اللّه تعالى والنهىُ عن الاشراك به والاشارةُ الى ما هو العلّة والمقتضى وبيانُه انّه رتّب الامر بالعبادة على صفة الربوبيّة اشعارا بانّها العلّة لوجوبها ثمّ بيّن ربوبيّته بانّه خالقُهم وخالقُ اصولهم وما يحتاجون اليه فى معاشهم من المُقِلّة والمُظِلّة والمَطاعم والمَلابس فانّ الثمرةَ اعمّ من المطعوم والرزق اعمّ من المأكول والمشروب ثمّ لمّا كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيرُه شاهدةً على وحدانيّته رتّب عليها النهىَ عن الاشراك به ولعلّه سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع ما دلّ عليه الظاهر وسيقَ فيه الكلامُ الاشارةَ الى تفصيل خَلْق الانسان وما افاض عليه من المعانى والصفات على طريقة التمثيل فمثّل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العمليّة والنظريّة المحصّلة بواسطة استعمال العقل للحواسّ وازدواج القُوى النفسانيّة والبدنيّة بالثمرات المتولّدة من ازدواج القوى السماويّة الفاعلة

والارضيّة المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فانّ لكلّ آية ظَهْرًا وبَطْنًا ولكلّ حدّ مُطّلَعًا (٢١) وَإِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ لمّا قرّر وحدانيّته تعالى وبيّن الطريق المُوصِل الى العلم بها ذكر عقيبَه ما هو الحجّة على نبوّة محمّد صلعم وهو القرانُ المعجزُ بفصاحته الّتى بَذّت فصاحةَ كلّ منْطيق وإفحامِه مَنْ طُولِب بمعارضته مِنْ مَصاقع الخُطَباء من العرب العرباء مع كثرتهم وإفراطِهم فى المضادّة والمضارّة وتهالكهم على المعازّة والمعارّة وعرّفَ ما يُتعرّف به اعجازه ويُتيقّن انّه من عند اللّه كما يدّعيه ، وانّما قال ممّا نزّلنا لانّ نزوله نَجْما فنجما بحسب الوقائع على ما ترى عليه اهلَ الشعْر والخطابة ممّا يُريبهم كما حكى اللّه عنهم فقال وقال الّذين كفروا لولا نُزّل عليه القران جملةً واحدةً فكان الواجب تَحدّيهم على هذا الوجه ازاحةً للشبهة وإلزاما للحجّة ، واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انّه مختصّ به منقادٌ لحُكْمه وقرئ عِبادِنا يريد محمّدا وامّته ، والسُورَة الطائفة من القران المُتَرْجَمة الّتى اقلّها ثلاثُ آيات وهى إن جُعلتْ واوُها اصليّةً منقولةٌ من سُور المدينة لانّها محيطةٌ بطائفة من القران مُفْرَزة مَحُوزة عَلَى حِيالها او محتويةٌ على انواع من العلم احتواءَ سورِ المدينة على ما فيها او من السُورة الّتى هى الرتبة قال النابغة

وَلِرَهْطِ حَرّابٍ وقدٍّ سُورةٌ ... فى المجد ليس غُرابها بمُطارِ

لانّ السُوَر كالمنازل والمراتب يترقّى فيها القارئ او لها مراتب فى الطول والقصرِ والفضلِ والشرفِ وثوابِ القراءة وان جُعلتْ مبدلةً من الهمزة فمن السُؤْرة الّتى هى البقيّة والقطعة من الشىء والحكمةُ فى تقطيع القران سُوَرا إفرادُ الانواع وتلاحقُ الأشْكال وتجاوبُ النظم وتنشيطُ القارئ وتسهيلُ الحفظ والترغيبُ فيه فانّه اذا ختم سورةً نَفّس ذلك منه كالمسافر اذا علم انّه قطع ميلا او طوى بَريدا والحافظ متى حَذَقَها اعتقد انّه اخذ من القران حظّا تامّا وفاز بطائفة محدودة مستقلّة بنفسها فعظُمَ ذلك عنده وابتهج به الى غيرها من الفوائد مِنْ مِثْلِهِ صفةُ سورة اى بسورة كائنة من مثله والضميرُ لما نزّلنا ومِنْ للتبعيض او التبيينِ وزائدةٌ عند الاخفش اى بسورة مماثلة للقران فى البلاغة وحُسْن النظم او لعبدنا ومِنْ للابتداء اى بسورة كائنة ممّن هو على حاله من كونه بشرا أُمّيّا لم يقرأ الكتب ولم يتعلّم العلوم او صلةُ فأتوا والضميرُ للعبد والردّ الى المنزّل أَوْجَهُ لانّه المطابق لقوله تعالى فأتوا بسورةٍ مثله ولسائر آيات التحدّى ولانّ الكلام فيه لا فى المُنزّل عليه فحقُّه ان لا ينفكّ عنه ليتّسق الترتيبُ والنظمُ ولانّ مخاطبة الجمّ الغفير بأن يأتوا بمثل ما اتى به واحدٌ من أبناء جِلْدتهم ابلغُ فى التحدّى مِنْ ان يقال لهم ليأتِ بنحوِ ما اتى به هذا آخَرُ مثلُه ولانّه مُعْجِز فى نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجنّ على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولانّ ردّه الى عبدنا يُوهِم إمكانَ صدوره ممّن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ فانّه امرٌ بأن يستعينوا بكلّ من ينصرهم ويُعينهم ، والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضرِ او القائمِ بالشهادة او الناصرِ او الامامِ وكانّه سمّى به لانّه يحضر النوادى ويُبْرَم بمحضره الامورُ اذ التركيب للحضور إمّا بالذات او بالتصوّر ومنه قيل

جزء ١ — ركوع ٣

للمقتول فى سبيل اللّه شهيد لانّه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ، ومعنى دُون أَدْنَى مكانٍ من الشىء ومنه تدوين الكُتُب لانّه ادناء البعض من البعض ودُونَكَ هذا اى خُذْه من ادنى مكان منك ثمّ استُعير للرُّتَب فقيل زيد دونَ عمرو اى فى الشرف ومنه الشىء الدونُ ثمّ اتُّسع فيه فاستعمل فى كلّ تجاوُز حدٍّ الى حدّ وتخطّى امرٍ الى آخر قال تعالى لا يتّخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اى لا يتجاوزوا وَلاية المؤمنين الى وَلاية الكافرين قال أُميّةُ جزء ١ ركوع ٣

يا نَفْسُ ما لكِ دون اللّه مِنْ واقِ

اى اذا تجاوزتِ وقايةَ اللّه فلا يَقيكِ غيرُه ومِنْ متعلّقةٌ بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة مَنْ حضركم او رجوتم معونتَه من انسكم وجنّكم وآلهتكم غيرَ اللّه تعالى فانّه لا يقدر على ان يأتى بمثله الّا اللّه تعالى او وادعوا من دون اللّه شهداء يشهدون لكم بانّ ما اتيتم به مثلُه ولا تستشهدوا باللّه فانّه من دَيْدَنِ المبهوت العاجز عن اقامة الحجّة او بشهداءكم اى الّذين اتّخذتموهم من دون اللّه اولياء وآلهة وزعمتم انّها تشهد لكم يوم القيامة او الّذين يشهدون لكم بين يدى اللّه تعالى على زعمكم من قول الاعشى

تُرِيكَ القَذَى مِنْ دونها وَهْىَ دونَه

ليُعينوكم وفى أَمْرِهم ان يستظهروا بالجماد فى معارضة القران غايةُ التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون اللّه اى من دون اوليائه يعنى فصحاء العرب ووجوهَ المَشاهِد ليشهدوا لكم انّ ما اتيتم به مِثْلُه فانّ العاقل لا يَرْضَى لنفسه ان يشهد بصحّةِ ما اتّضح فسادُه وبانَ اختلالُه إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أنّه من كلام البشر وجوابُه محذوف دلّ عليه ما قَبْلَه ، والصِدْقُ الاخبارُ المُطابِقُ وقيل مع اعتقاد المخبر أنّه كذلك عن دلالة او أمارةٍ لانّه تعالى كذّب المنافقين فى قولهم انّك لَرسول اللّه لمّا لم يعتقدوا مطابقتَه ورُدّ بصرف التكذيب الى قولهم نَشْهَدُ لانّ الشهادة إخبار عمّا علمه وهم ما كانوا عالمين به (٢٢) فَإِنْ لَمْ

تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ لمّا بيّن لهم ما يتعرّفون به امرَ الرسول صلعم وما جاء به وميّز لهم الحقّ عن الباطل رتّب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انّكم اذا اجتهدتم فى معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انّه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتّقوا العذاب المُعَدّ لمن كذّب فعبّر عن الاتيان المكيّف بالفعل الّذى يعمّ الاتيانَ وغيرَه إيجازا ونزّل لازمَ الجزاء منزلتَه على سبيل الكناية تقريرا للمكنّى عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدّر الشرطيّة بإِنِ الّذى للشكّ والحالُ يقتضى إِذَا الّذى للوجوب فانّ القائل سبحانه وتعالى لم يكن شاكّا فى عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكّما بهم وخطابا معهم على حسب ظنّهم فانّ العجز قبل التأمّل لم يكن محقّقا عندهم ، وتَفْعَلُوا جُزِمَ بلَمْ لانّها واجبة الاعمال مختصّة بالمضارع متّصلة بالمعمول ولانّها لمّا صيّرتْه ماضيا صارت كالجزء منه وحرفُ الشرط كالداخل على المجموع فكانّه قال فإن تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعُهما ، ولَنْ كلا فى نفى المستقبل غير انّه

جزء ١ ركوع ٣ وهو حرفٌ مُقْتَضَبٌ عند سيبويه والخليل فى احدى الروايتين عنه وفى الرواية الاخرى اصله لا أَنْ وعند الفرّاء لا أُبْدلت الفها نونا ، والوقود بالفتح ما يوقد به النارُ وبالضمّ مصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه سمعنا من يقول وَقَدَتِ النارُ وَقودا عاليا والاسم بالضمّ ولعلّه مصدر سمّى به كما قيل فلان فخرُ قومه وزَيْنُ بلده وقد قرئ به والظاهرُ انّ المراد به الاسم وإن اريد المصدر فعلى حذف مضاف اى وُقودُها احتراق الناس والحجارة ، وهى جمع حجر كجِمالة جمع جمل وهو قليل غير مُنْقاس والمراد بها الاصنام الّتى نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا فى شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضارّ بمكانتهم ويدلّ عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون اللّه حَصَبُ جهنّم عُذّبوا بما هو مَنْشأ جُرْمهم كما عذّب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقّعون زيادةً فى تحسّرهم وقيل الذهب والفضّة الّتى كانوا يكنزونها ويغترّون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفّار وجهٌ وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيصٌ بغير دليل وإبطالٌ للمقصود اذ الغرض تهويل شأنها وتفاقُم لهبها بحيث تتّقد بما لا يتّقد به غيرُها والكبريتُ يتّقد به كلّ نار وإن ضعفت فإن صحّ هذا عن ابن عبّاس فلعلّه عنى به انّ الاحجار كلّها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ، ولمّا كانت الآية مدنيّة نزلت بعد ما نزل بمكّة قوله تعالى فى سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صحّ تعريفُ النار ووقوعُ الجملة صلةً بازائها فانّها يجب ان تكون قصّة معلومة أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ هُيّئات لهم وجُعلت عُدّة لعذابهم وقرئ أُعْتِدَتْ من العَتاد بمعنى العُدّة ، والجملة استيناف او حال باضمار قد من النارِ لا الضمير الّذى فى وقودها وإن جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر ، وفى الآيتين ما يدلّ على النبوّة من وجوه الاوّل ما فيهما من التحدّى والتحريض على الجِدّ وبَذْل الوُسْع فى المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليقِ الوعيد على عدم الاتيان بما يعارِض اقصرَ سورةٍ من سُوَر القران ثمّ انّهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادّة لم يتصدّوا لمعارضته والتجؤا الى جلاء الوطن وبذل المُهَج والثانى انّهما يتضمّنان الاخبارَ عن الغيب على ما هو به فانّهم لو عارضوه بشىء لامتنع خفآؤه عادةً سيّما والطاعنون فيه اكثرُ من الذابّين عنه فى كلّ عصر والثالث انّه عم لو شكّ فى امره لَمَا دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافةَ ان يعارَض فتَنْدَحِضَ حجّته ، وقوله تعالى اعدّت للكافرين دلّ على انّ النار مخلوقةٌ مُعَدّةٌ لهم الآن (٢٣) وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ عطفٌ على الجملة السابقة والمقصودُ عطفُ حالِ مَنْ آمن بالقران ووَصْفِ ثوابه على حالِ مَنْ كفر به وكيفيّة عقابه على ما جرت به العادة الالهيّة من ان يُشْفَع الترغيبُ بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما يُنْجى وتثبيطا عن اقتراف ما يُرْدى لا عطفُ الفعل نفسه حتّى يجب ان يطلَب له ما يشاكله من امرٍ او نهيٍ فيُعْطَف عليه او على فاتّقوا لانّهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدّى ظَهَرَ اعجازه واذا ظهر ذلك فمَنْ كفر به استوجب العقاب ومَنْ آمن به استحقّ الثواب وذلك يستدعى ان يخوّف هؤلاء ويبشّر هؤلاء وانّما أُمر الرسولُ عم او عالِمُ كلّ عصر او كلُّ احد يقدر على البشارة بأن يبشّرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشأنهم وايذانا بانّهم احقّاء بأن يبشَّروا ويهنَّؤا بما أُعِدّ لهم وقرئ وَبُشِّرَ على البناء للمفعول

جزء ١ عطفا على اعدّت فيكون استينافا والبِشارة الخبر السارّ فانّه يُظْهر اثرَ السرور فى البَشَرة ولذلك قال
ركوع ٣ الفقهاء البشارة هو الخبر الاوّل حتّى لو قال الرجل لعبيده من بشّرنى بقدوم ولدى فهو حُرٌّ فأَخْبَروه فُرادى عَتق اوّلهم ولو قال من اخبرنى عَتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشّرْهم بعذاب اليم فعلى التهكّم او على طريقة قوله

تحيّةُ بَيْنِهم ضربٌ وجيعُ ،

والصالحات جمع صالحة وهى من الصفات الغالبة الّتى تجرى مجرى الاسماء كالحسنة قال الحُطَيْئة

كيف الهجاء وما تَنْفَكّ صالحةٌ من آل لَأْمٍ بظَهْر الغيب تأتينى

وهى من الأعمال ما سوّغه الشرع وحسّنه وتأنيثها على تأويل الخَصْلة او الخَلّة واللام فيها للجنس ، وعَطَف العمل على الايمان مرتّبا للحكم عليهما إشعارا بانّ السبب فى استحقاق هذه البشارة مجموعُ الامرين والجمعُ بين الوصفين فانّ الايمان الّذى هو عبارة عن التحقيق والتصديق أُسٌّ والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غَنآء بأُسّ لا بناء عليه ولذلك قلّما ذُكرا منفردَيْن وفيه دليل على انّها خارجة عن مسمّى الايمان اذ الاصل أنّ الشىء لا يُعْطَف على نفسه وما هو داخل فيه ، أَنَّ لَهُمْ منصوبٌ بنوع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرورٌ باضماره مِثْل اللّهِ لَأَفْعَلَنَّ ، والجَنّة المرّة من الجَنّ وهو مصدرُ جَنَّهُ اذا ستره ومَدارُ التركيب على الستر سمّى بها الشجر المظلّل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانّه يستر ما تحته سَتْرةً واحدةً قال زهير

كأنّ عينىّ فى غَرْبَىْ مقتّلةٍ من النواضح تَسْقِى جَنّةً سُحُقَا

اى نخلا طِوالا ثمّ البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظلّلة ثمّ دار الثواب لما فيها من الجِنان وقيل سمّيت بذلك لانّه سُتر فى الدنيا ما أُعِدّ فيها للبشر من أفنان النِعَم كما قال تعالى فلا تعلم نفسٌ ما أُخْفِىَ لهم الآية وجمعها وتنكيرها لانّ الجنان على ما ذكره ابن عبّاس رضى اللّه عنهما سبعٌ جنّةُ الفِردوس وجنّة عَدْن وجنّة النعيم ودار الخُلْد وجنّة المأوى ودار السلام وعِلّيّون وفى كلّ واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعُمّال ، واللام تدلّ على استحقاقهم ايّاها لاجل ما ترتّب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانّه لا يكافىء النعم السابقة فضلا عن ان يقتضى ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضَى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط أنْ يستمرّ عليه حتّى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيّه عم لئن اشركتَ لَيَحْبطنّ عملُك واشباه ذلك ولعلّه سبحانه لم يقيّدْ ههنا

استغناء بها تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ اى من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق أنهارُ الجنّة تجرى فى غير أُخْدود ، واللام فى الانهار للجنس كما فى قولك لفلانٍ بستانٌ فيه الماء الجارى او للعهد والمعهودُ هى الانهار المذكورة فى قوله تعالى فيها انهار من ماء غيرِ آسِنٍ الآية ، والنَهْر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجَدْوَل ودون البَحْر كالنيل والفرات

جزء ١ والتركيبُ للسعة والمرادُ بها ماؤها على الاضمار او المجازِ او المجارى انفسُها واسنادُ الجرى اليها مجازٌ كما ركوع ٣ فى قوله تعالى واخرجت الارضُ أثقالها الآية كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا صفةٌ ثانية لجنّاتٍ او خبرُ مبتدأٍ محذوف او جملةٌ مستأنفة كانّه لمّا قيل انّ لهم جنّات وقع فى خَلَد السامع أثمارُها مثلُ ثمار الدنيا او أجناسٌ أُخَرُ فأُزِيح بذلك ، وكُلَّمَا نصب على الظرف ، ورِزْقًا مفعول به ، ومِن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصلُ الكلام ومعناه كلَّ حينٍ رُزقوا مرزوقا مبتدئا من الجنّات مبتدئا من ثمرة قُيِّد الرزق بكونه مبتدئا من الجنّات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحبُ الحال الاولى رزقا وصاحبُ الحال الثانية ضميره المستكنّ فى الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدّم كما فى قولك رأيت منك اسدا ، وهٰذَا اشارة الى نوعِ ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جارٍ هذا الماء لا ينقطع فانّك لا تعنى به العين المشاهَدة منه بل النوعَ المعلوم المستمرّ بتعاقب جريانه وإن كانت الاشارةُ الى عينه فالمعنى هذا مِثْلُ الّذى ولكن لمّا استحكم الشبه بينهما جُعل ذاتُه ذاتَه كقولك ابو يوسف ابو حنيفةَ مِنْ قَبْلُ اى من قبلِ هذا فى الدنيا جعل ثمر الجنّة من جنس ثمر الدنيا لتميلَ النفسُ اليه اوّلَ ما يُرى فانّ الطباع مائلة الى المألوف متنفّرة عن غيره ويتبيّنَ لها مزيّتُه وكنهُ النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يُعْهَد ظُنّ انّه لا يكون الّا كذلك او فى الجنّة لانّ طعامها متشابهُ الصورة كما حكى ابن كثير عن الحسن انّ احدهم يؤتَى بالصحفة فيأكل منها ثمّ يؤتَى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كُلْ فاللون واحد والطعم مختلف او كما روى انّه عم قال والّذى نَفْسُ محمّد بيده إنّ الرجل من اهل الجنّة لَيتناول الثمرة ليأكلها فما هى بواصلة الى فيه حتّى يبدل اللّه مكانها مثلَها فلعلّهم اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاوّلُ اظهرُ لمحافظته على عمومِ كلّما فانّه يدلّ على ترديدهم هذا القولَ كلَّ مرّة رزقوا والداعى لهم الى ذلك فرطُ استغرابهم وتبجّحهم بما وجدوا من التفاوتِ العظيم فى اللذّة والتشابه البليغ فى الصورة وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا اعتراض يقرّر ذلك والضميرُ على الاوّل راجع الى ما رُزقوا فى الدارَيْن فانّه مدلول عليه بقوله هذا الّذى رزقنا من قبل ونظيرُه قوله تعالى ان يكن غنيّا او فقيرا فاللّه اولى بهما اى بجنسَيِ الغنيّ والفقير وعلى الثانى الى الرزق فان قيل التشابهُ هو التماثل فى الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عبّاس ليس فى الجنّة من اطعمة الدنيا الّا الاسماء قلتُ التشابهُ حاصل بينهما فى الصورة الّتى هى مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كافٍ فى اطلاق التشابه هذا وإنّ للآية مَحمِلا آخرَ وهو أنّ مستلذّات اهل الجنّة فى مقابلة ما رُزقوا فى الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتةٌ فى اللذّة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد مِنْ هذا الّذى رزقنا انّه ثوابه ومِنْ تشابههما تماثُلهما فى الشرفِ والمزيّة وعُلوّ الطبقة فيكون هذا فى الوعد نظيرَ قوله ذوقوا ما كنتم تعملون فى الوعيد وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ممّا يُسْتقذر من النساء ويُذَمّ من احوالهنّ كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فانّ التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال ، وقرئ مُطَهَّرَاتٌ وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلَتْ وفعلْنَ وهُنّ فاعلة وفواعل قال

واذا العَذارى بالدخان تَقنّعتْ واستعجلتْ نَصْبَ القُدور فَملّتْ جزء ١

فالجمعُ على اللفظ والافرادُ على تأويل الجماعة ومُطَّهَّرةٌ بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهّرة ومُطهَّرة ركوع ٣ ابلغ من طاهرة ومطَهَّرة للاشعار بانّ مطهّرا طهّرهنّ وليس هو الّا اللّه تعالى ، والزَّوْج يقال للذكر والانثى وهو فى الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخُفّ ، فان قيل فائدةُ المطعوم هو التغذّى ودفعُ ضرر الجوع وفائدةُ المنكوح التوالدُ وحفظُ النوع وهى مستغنًى عنها فى الجنّة قلتُ مَطاعم الجنّة ومَناكحها وسائر احوالها انّما تُشارِك نظائرَها الدنيويّةَ فى بعض الصفات والاعتبارات وتُسمّى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تُشارِكها فى تمام حقيقتها حتّى تَستلزم جميعَ ما يَلزمها وتفيدَ عينَ فائدتها وَهُمْ فيهَا خَالِدُونَ دائمون والخُلْد والخلود فى الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل للأثافى والاحجار خوالدُ وللجزء الّذى يبقى من الانسان على حاله ما دام حيّا خَلَدٌ ولو كان وَضْعه للدوام كان التقييد بالتأبيد فى قوله خالدين فيها ابدا لَغْوا واستعمالُه حيث لا دوامَ كقولهم وَقْفٌ مخلّدٌ يوجب اشتراكا او مجازا والاصلُ ينفيهما بخلافِ ما لو وُضع للاعمّ منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به ههنا الدوام عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركّبة من اجزاء متضادّة الكيفيّة معرّضة للاستحالات المؤدّية الى الانفكاك والانحلال فكيف يُعْقل خلودها فى الجنان قلتُ انّه تعالى يُعيدها بحيث لا يَعْتورها الاستحالة بأنْ يجعل اجزاءها مَثَلا متقاومةً فى الكيفيّة متساويةً فى القوّة لا يَقْوى شىء منها على احالة الآخر متعانقةً متلازمةً لا ينفكّ بعضها عن بعض كما يشاهَد فى بعض المعادن هذا وانّ قياس ذلك العالَم واحوالِه على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلمْ انّه لمّا كان مُعْظم اللذّات الحسّيّة مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دلّ عليه الاستقراء كان ملاكُ ذلك كلّه الثباتَ والدوامَ فانّ كلّ نعمة جليلة اذا قارنها خوفُ الزوال كانت منغَّصة غير صافية من شوائب الالم بشّر المؤمنين بها ومثّل ما اعدّ لهم فى الآخرة بأبْهى ما يُسْتلذّ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدلّ على كمالهم فى التنعّم والسرور (٢٤) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً لمّا كانت الآيات السابقة متضمّنةً لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيانِ حُسْنه وما هو الحقّ له والشرط فيه وهو أنْ يكون على وفق الممثَّل له من الجهة الّتى تعلّق بها التمثيل فى العظم والصغر والخسّة والشرف دون الممثِّل فانّ التمثيل انّما يُصار اليه لكشف المعنى الممثَّل له ورفعِ الحجاب عنه وإبرازه فى صورة المشاهَد المحسوس ليساعد فيه الوهمُ العقلَ ويصالحه عليه فانّ المعنى الصِرْف انّما يُدْرِكه العقل مع منازعة من الوهم لانّ من طَبْعه الميل الى الحسّ وحُبَّ المحاكاة ولذلك شاعت الامثال فى الكتب الالهيّة وفشت فى عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثَّل الحقيرُ بالحقير كما يمثّل العظيم بالعظيم وان كان المثَل اعظم من كلّ عظيم كما مَثّل فى الانجيل غِلَّ الصدور بالنُخالة والقلوبَ القاسية بالحصاة ومخاطبةَ السفهاء بإثارة الزنابير وجاء فى كلام العرب أسْمعُ من قراد وأطيش من فَراشة وأعزّ من مخّ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفّار لمّا مثّل اللّه حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيّب

جزء ١ وعبادةَ الاصنام فى الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجَعَلَها اقلّ من الذباب واخسّ قدرا منه اللّهُ
ركوع ٣ اعلى واجلّ من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لمّا ارشدهم الى ما يدلّ على انّ المتحدَّى به وحىٌ منزَّلٌ ورتّب عليه وعيدَ من كفر ووَعْدَ من آمن بعد ظهور امره شرَع فى جواب ما طعنوا به فيه فقال انّ اللّه لا يستحيى اى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة تَرْكَ من يستحيى ان يمثّل بها لحقارتها ، والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافةَ الذمّ وهو الوسط بين الوقاحة الّتى هى الجرأة على القبائح وعدمُ المبالاة بها والخجلِ الّذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانّه انكسار يعترى القوّة الحيوانيّة فيردّها عن افعالها فقيل حَيِىَ الرجلُ كما قيل نَسِىَ وحَشِىَ اذا اعتلّت نَساه وحَشاه واذا وُصف به البارئ تعالى كما جاء فى الحديث انّ اللّه يستحيى من ذى الشّيبة المُسْلِم ان يعذّبه انّ اللّه حيىّ كريم يستحيى اذا رفع العبد يديه ان يردّهما صِفْرا حتّى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما انّ المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمَيْن لمعنيَيْهما ونظيرُه قولُ من يصف ابلا

اذاما اسْتَحَيْنَ الماء يَعْرِضُ نفسه كَرَعْنَ بسِبْتٍ فى اناء من الوَرْدِ

وانّما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآيةُ خاصّةً ان يكون مجيئُه على المقابلة لما وقع فى كلام الكفرة ، وضَرْب المثل اعتماله من ضَرْب الخاتم واصلُه وَقْع شىء على آخر ، وأنْ بصلتها مخفوضُ المحلّ عند الخليل باضمار مِنْ منصوبٌ بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه ، ومَا ابهاميّةٌ تزيد النكرةَ إبهاما وشياعا وتسدّ عنها طُرُقَ التقييد كقولك أَعْطِنى كتابًا مّا اى أىّ كتاب كان او مزيدةٌ للتأكيد كالّتى فى قوله تعالى فبما رحمة ولا نعنى بالمزيد اللغوَ الضائع فانّ القران كلّه هُدًى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانّما وُضعت لأن تُذْكَر مع غيرها فتُفيد له وثاقةً وقوّةً وهو زيادة فى الهدى غير قادح فيه ، وبَعُوضَةً عطفُ بيان لمثلا او مفعولٌ ليضرب ومثلا حالٌ تقدّمت عليه لانّه نكرة او هما مفعولاه لتضمّنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انّه خبر مبتدأ محذوف وعلى هذا يحتمل مَا وجوها أُخَرَ أن تكون موصولةً حُذف صدرُ صلتها كما حذف فى قوله تعالى تماما على الّذى أَحْسَنُ وموصوفةً بصفة كذلك ومحلُّها النصب بالبدليّة على الوجهين واستفهاميّةً هى المبتدأ كانّه لمّا ردّ استبعادَهم ضَرْبَ اللّه الامثالَ قال بعده ما البعوضةُ فما فوقَها حتّى لا يضرب به المثلَ بل له ان يمثّل بما هو احقر من ذلك ونظيرُه فلان لا يبالى ما يهب ما دينارٌ وديناران والبَعُوض فَعُول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غُلّب على هذا النوع كالخَمُوش فَمَا فَوْقَهَا عطف على بعوضة او ما انْ جُعل اسما ومعناه ما زاد عليها فى الجثّة كالذباب والعنكبوت كانّه قصد به ردّ ما استنكروه والمعنى انّه لا يستحيى ضَرْبَ المثل بالبعوض فضلا عمّا هو اكبر منه او فى المعنى الّذى جُعلَتْ فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانّه عم ضربه مثلا للدنيا ونظيرُه فى الاحتمالين ما روى انّ رجلا بمِنًى خرّ على طُنُبِ فُسْطاط فقالت عائشة رضها سمعت رسول اللّه صلعم قال ما مِنْ مُسْلم يُشاك شوكةً فما فوقها الّا كُتبت له بها درجةٌ ومُحيت عنه بها خطيئةٌ فانّه يحتمل ما تجاوز الشوكةَ فى الالم كالخُرور وما زاد عليها فى القلّة

كنَخْبة النملة لقوله عم ما اصاب المؤمنَ من مكروه فهو كفّارة لخطاياه حتّى نخبة النملة فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا جزء ١
فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ أَمّا حرفٌ يفصّل ما أُجْمِل ويؤكّد ما به صُدِّر ويتضمّن معنى الشرط ركوع ٣
ولذلك يُجاب بالفاء قال سيبويه أمّا زيدٌ فذاهبٌ معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اى هو ذاهب لا محالة وانّه منه عزيمةٌ وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانّها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرفَ الشرط فادخلوها على الخبر وعوّضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفى تصدير الجملتين به احمادٌ لامر المؤمنين واعتدادٌ بعلمهم ونمّ بليغ للكافرين على قولهم ، والضمير فى أَنَّهُ للمثل او لأن يضربَ ، والحَقّ الثابت الّذى لا يسوغ انكارُه يعمّ الاعيانَ الثابتة والافعالَ الصائبة والاقوالَ الصادقة من قولهم حَقَّ الامرُ اذا ثبت ومنه ثوبٌ محقّقٌ محْكَمُ النسج وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ كان من حقّه وامّا الّذين كفروا فلا يعلمون ليطابقَ قرينَه ويقابلَ قسيمَه لكن لمّا كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه مَا ذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِهٰذَا مَثَلًا يحتمل وجهين أن يكون ما استفهاميّة وذا بمعنى الّذى وما بعده صلته والمجموعُ خبر ما وأن يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اىّ شيء منصوب المحلّ على المفعوليّة مثل ما اراد اللّه والاحسنُ فى جوابه الرفعُ على الاوّل والنصبُ على الثانى ليطابقَ الجوابُ السؤالَ ، والارادة نزوعُ النفس وميلُها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوّة الّتى هى مبدأ النزوع والاوّل مع الفعل والثانى قبله وكلا المعنيين غيرُ متصوَّر اتّصافُ البارئ تعالى به ولذلك اختلف فى معنى ارادته فقيل ارادته لأفعاله أنّه غير ساهٍ ولا مُكْرَه ولأفعال غيره امرُه بها فعلى هذا لم يكن المعاصى بارادته وقيل علْمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانّه يدعو القادرَ الى تحصيله والحقُّ انّه ترجيحُ احدِ مقدوريْه على الآخر وتخصيصُه بوجه دون وجه او معنًى يوجِب هذا الترجيحَ وهى اعمّ من الاختيار فانّه ميل مع تفضيل ، وفى هٰذا استحقارٌ واسترذالٌ ، ومَثَلًا نصب على التمييز او الحال كقوله تعالى هذه ناقةُ اللّه لكم آيةً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِ كَثِيرًا جوابُ ما ذا اى اضلال كثيرٍ واهداء كثيرٍ وضع الفعل موضعَ المصدر للاشعار بالحدوث والتجدّد او بيانٌ للجملتين المصدَّرتين بأمّا وتسجيلٌ بانّ العلم بكونه حقّا هدًى وبيانٌ وانّ الجهلَ بوجه ايراده والانكارَ لحسن مَوْرده ضلالٌ وفسوقٌ وكثرةُ كلّ واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فانّ المهديّين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل ما هم وقليل من عبادى الشّكور ويحتمل ان يكون كثرةُ الضالّين من حيث العدد وكثرةُ المهديّين باعتبار الفضل والشرف كما قال

قليلٌ اذا عُدّوا كثيرٌ اذا شَدّوا

وقال

إنّ الكرام كثيرٌ فى البلاد وإنْ قلّوا كما غيرُهم قُلٌّ وإنْ كثروا

مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا ٱلْفَاسِقِينَ الخارجين عن حدّ الايمان كقوله تعالى انّ المنافقين هم الفاسقون من قولهم فَسَقَت الرُّطَبةُ عن قشرها اذا خرجت واصلُ الفِسْق الخروج عن القصد قال رؤبة

فواسقا عن قصدها جوائرا

ركوع ٣ والفاسق فى الشرع الخارج عن امر اللّه بارتكاب الكبيرة وله درجاتٌ ثلاث الاولى التغابى وهو أن يرتكبها أحيانا مستقبحا ايّاها والثانية الانهماك وهو أن يَعْتاد ارتكابَها غيرَ مبالٍ بها والثالثة الجحود وهو أن يرتكبها مستَصْوِبا ايّاها فاذا شارف هذا المقام وتخطّى خِطَطَهُ خلع رِبْقَةَ الايمان من عنقه ولابَسَ الكفر وما دام هو فى درجة التغابى والانهماك فلا يُسْلَب عنه اسمُ المؤمن لاتّصافه بالتصديق الّذى هو مسمّى الايمان ولقوله تعالى وإنْ طائفتان من المؤمنين الآية والمعتزلة لمّا قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرارِ والعملِ والكفرُ تكذيب الحقّ وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتى المؤمن والكافر لمشاركته كلَّ واحد منهما فى بعض الاحكام وتخصيصُ الاضلال بهم مرتّبا على صفة الفسق يدلّ على انّه الّذى اعدّهم للاضلال وادّى بهم الى الضلال وذلك لانّ كفرهم وعدولهم عن الحقّ واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المَثَل الى حقارة الممثَّل به حتّى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به ، وقرئ يُضَلُّ بالبناء للمفعول وَٱلْفَاسِقُونَ بالرفع (٢٥) ٱلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ ٱللّٰهِ صفة الفاسقين للذمّ وتقريرِ الفسق ، والنَّقْض فسخ التركيب واصله فى طاقات الحبل واستعمالُه فى ابطال العهد من حيث انّ العهد يستعار له الحبل لِما فيه مِنْ ربط احد المتعاهِدَيْن بالآخر فان أُطْلِق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وإن ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو انّ العهد حبل فى ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فانّ فيه تنبيها على انّه اسدٌ فى شجاعته بحرٌ بالنظر الى افادته ، والعَهْد المَوْثِق ووَضْعُه لِما من شأنه ان يراعَى ويُتعهَّد كالوصيّة واليمين ويقال للدارِ من حيث انّها تراعَى بالرجوع اليها والتأريخ لانّه يحفظ وهذا العهد إمّا العهد المأخوذُ بالعقل وهو الحجّة القائمة على عباده الدالّة على توحيده ووجوبِ وجوده وصدقِ رسوله وعليه أُوّل قوله تعالى وأَشْهَدَهم على انفسهم او المأخوذُ بالرسل على الأُمم بانّهم اذا بُعث اليهم رسولٌ مصدَّقٌ بالمعجزات صدّقوه واتّبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حُكْمه واليه اشار بقوله تعالى واذ اخذ اللّه ميثاق الّذين اوتوا الكتاب ونظائرِه وقيل عهود اللّه تعالى ثلاثة عهدٌ اخذه على جميع ذرّيّة آدم بأن يُقِرّوا بربوبيّته وعهدٌ اخذه على النبيّين بأن يُقيموا الدين ولا يتفرّقوا فيه وعهدٌ اخذه على العلماء بأن يبيّنوا الحقّ ولا يكتموه مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ الضمير للعهد ، والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهى الاستحكام والمرادُ به ما وثّق اللّه به عهده من الآيات والكتب او ما وثّقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ، ومِنْ للابتداء فانّ ابتداء النقض بعد الميثاق وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ يحتمل كلَّ قطيعة لا يرضاها اللّه تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكُتُب فى التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رَفْضُ خير او تعاطى شرّ فانّه يقطع الوصلةَ بين اللّه وبين العبد المقصودةَ بالذات من كلّ وصلٍ وفصلٍ ، والأَمْر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلوّ وقيل مع الاستعلاء وبه سمّى الامر الّذى هو واحد الامور تسميةً للمفعول به بالمصدر فانّه ممّا يؤمر به كما قيل له شأنٌ وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنَه اذا قصدت قصده ، وأَنْ يُوصَلَ يحتمل

النصبُ والخفض على انّه بدل من مَا او ضميرِه والثانى احسنُ لفظا ومعنى وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحقّ وقطعِ الوُصَل الّتى بها نظامُ العالم وصلاحُه أُولٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ الّذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يُفيدهم الحيوةَ الابديّة واستبدال الانكار والطعن فى الآيات بالايمان بها والنظر فى حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب

جزء ١

ركوع ٣

(٢٦) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللّٰهِ استخبارٌ فيه انكارٌ وتعجيبٌ لكفرهم بانكار الحال الّتى يقع عليها على الطريق البرهانىّ فانّ صدوره لا ينفكّ عن حال وصفةٍ فاذا انكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزمَ ذلك إنكارَ وجوده فهو ابلغ واقوى فى إنكار الكفر من أَتَكْفُرون واوفقُ لما بعده من الحال ، والخِطاب مع الّذين كفروا لمّا وصفهم بالكفر وسوءِ المقال وخُبْثِ الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبّخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلافَ ذلك والمعنى أَخْبِرونى على اىّ حال تكفرون وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا اى اجسادا لا حيوة لها عناصرَ واغذيةً وأخلاطا ونُطَفا ومُضَغا مخلّقةً وغير مخلّقة فَأَحْيَاكُمْ بخلق الارواح ونفخها فيكم وانّما عطفه بالفاء لانّه متّصل بما عطف عليه غير متراخٍ عنه بخلاف البواقى ثُمَّ يُمِيتُكُمْ عند تقضّى آجالكم ثُمَّ يُحْيِيكُمْ بالنشور يومَ يُنْفخ فى الصور او للسؤال فى القبور ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما أَعْجَبَ كُفْرَكم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل إن علموا انّهم كانوا امواتا فاحياهم ثمّ يميتهم لم يعلموا انّه يحييهم ثمّ اليه يرجعون قلتُ تمكّنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزّلٌ منزلةَ علمهم فى إزاحة العُذر سيّما وفى الآية تنبيهٌ على ما يدلّ على صحّتهما وهو انّه تعالى لمّا قدر أنْ أحياهم اوّلا قدر أنْ يُحْييهم ثانيا فانّ بدء الخلق ليس بأَهْوَن عليه من إعادته او مع القبيلَيْن فانّه سبحانه وتعالى لمّا بيّن دلائل التوحيد والنبوّة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكّد ذلك بأن عدّد عليهم النعم العامّة والخاصّة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فانّ عِظَمَ النعمة يوجب عِظَمَ معصية المُنْعِم فان قيل كيف يعدّ الامانة من النعم المقتضية للشكر قلتُ لمّا كانت وُصْلة الى الحيوة الثانية الّتى هى الحيوة الحقيقيّة كما قال تعالى وإنّ الدار الآخرة لهى الحَيَوان كانت من النعم العظيمة مع انّ المعدود عليهم نعمةً هو المعنى المنتزع من القصّة باسرها كما انّ الواقع حالا هو العلم بها لا كلّ واحدة من الجُمَل فانّ بعضها ماضٍ وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصحّ ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصّةً لتقرير المنّة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يُتصوّر منكم الكفر وكنتم امواتا اى جُهّالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثمّ يميتكم الموتَ المعروفَ ثمّ يحييكم الحيوة الحقيقيّة ثمّ اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، والحَيٰوة حقيقةٌ فى القوّة الحسّاسة او ما يقتضيها وبها سمّى الحَيَوان حَيَوانا مجازٌ فى القوّة النامية لانّها من طلائعها ومقدّماتها وفيما يخصّ الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انّها كمالها وغايتها والمَوْت بإزائها يقال على ما يقابلها فى كلّ مرتبة قال تعالى قل اللّه يحييكم ثمّ يميتكم وقال

جزء ١ على ارادتهم جميعا وقيل تعليلٌ للخلق اى خلقكم لكى
ركوع ٣ والانس الّا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت فى اللغة مثله ، والآي
تعالى والعلم بوحدانيّته واستحقاقه العبادةَ النظرُ فى صنعه والاستد
بعبادته عليه ثوابا فانّها لمّا وجبت عليه شكرا لِما عدّده عليه من النـ
قبل العمل (٢٠) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا صفةٌ ثانية او مدحٌ منصو
تجعلوا ، وجَعَلَ من الافعال العامّة يجىء على ثلاثة اوجه بمعنى صار و

وقد جَعَلَتْ قَلوصُ بنى سُهَيْلٍ من الأَكْوار

وبمعنى اوجد فيتعدّى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنو
مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشا والتصييرُ يكون بالفعل تارةً وبالقو
جعلها فراشا أنْ جعل بعض جوانبها بارزا ظاهرا عن الماء مع ما فى طبعه من الا
بين الصلابة واللطافة حتّى صارت مهيّئة لان يقعدوا وينامو عليها كالفراش الـ
كونَها مسطّحة لانّ كُرِيّة شكلها مع عظم حَجْمها واتّساع جِرْمها لا تأبى الافترا
مضروبة عليكم ، والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدّد كالدنيا والد
والبناء مصدر سُمّى به المبنىّ بيتا كان او قُبّة او خِباء ومنه بنى على امرأته لانّهم

عليها خِباء جديدا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ عطف
الثمار بقدرة اللّه ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا فى اخراجها ومادّةً
بأن اجرى عادته بافاضة صُورها وكيفيّاتها على المادّة الممتزجة منهما او اودع فى الـ
قوّةً فاعلةً يتولّد من اجتماعهما انواعُ الثمار وهو قادر على ان يُوجد الاشياء كلّها
ابدع نفوس الاسباب والموادّ ولكن له فى انشائها مُدرّجًا من حال الى حال صنائعُ و
لأولى البصائر عِبَرًا وسُكونا الى عظيمِ قدرته ليست فى ايجادها دفعةً ، ومن الاو
بالسماء السحابُ فانّ ما علاك سماءٌ او الفَلَكُ فانّ المطر يبتدئ من السماء الى الـ
على ما دلّت عليه الظواهرُ او من اسباب سماويّة تُثير الاجزاء الرطبة من أعماق
فتنعقد سحابا ماطرا ، ومِن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمر
له اعنى ماء ورزقا كانّه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات
وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كلّه ولا اخرج بالمطر كلّ الثمار ولا جعل
للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا ، وانّما ساغ
الكثرة لانّه اراد بالثمرات جماعة الثمرة الّتى فى قولك أَدْرَكَتْ ثمرةُ بستانه ويؤيّده قـ
على التوحيد او لانّ الجموع يتعاور بعضُها موقعَ بعض كقوله تعالى كم تركوا مـ
تعالى ثلثة قُروء او لانّ الثمرات لمّا كانت محلّاة باللام خرجت عن حدّ القلّة

جزء ١ نمر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ، ومعنى دون أدْنَى مكانٍ من
ركوع ٣ البعض من البعض ودُونَكَ هذا اى خُذْهُ من ادنى مكان منك
اى فى الشرف ومنه الشيء الدونُ ثمّ اتّسع فيه فاستعمل فى
الى آخر قال تعالى لا يتّخذِ المؤمنون الكافرين اولياء من دون
لاية الكافرين قال أُمَيّةُ
ا لكِ دون اللّه مِنْ واقٍ

مِنْ متعلّقةٌ بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة مَنْ حضركم
غيرَ اللّه تعالى فانّه لا يقدر على ان يأتى بمثله الّا اللّه تعالى
انّ ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا باللّه فانّه من دَيْدَنِ
كم اى الّذين اتّخذتموهم من دون اللّه اولياء وآلهة
شهدون لكم بين يدى اللّه تعالى على زعمكم من قول

دونها وَقْيَ دونَه

ة القران غايةُ التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون
َ المَشاهد ليشهدوا لكم انّ ما اتيتم به مثْله فانّ
سانه وبانَ اختلالُه إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أنّه من كلام
لاخبارُ المُطابِق وقيل مع اعتقاد المخبِر أنّه كذلك
مر انّك لَرسول اللّه لمّا لم يعتقدوا مطابقتَهُ وردّ
عمّا علمه وهم ما كانوا عالمين به (٢٤) فإِنْ لَمْ

حجَارَةُ لمّا بيّن لهم ما يتعرّفون به امرَ الرسول صلعم
ما هو كالفذلكة له وهو انّكم اذا اجتهدتم فى
يدانيه ظهر انّه معجز والتصديق به واجب فآمنوا
المكيّف بالفعل الّذى يعمّ الاتيانَ وغيرَه إيجازا
غنى عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع
عنى اذًا الّذى للوجوب فانّ القائل سبحانه وتعالى
رضا بين الشرط والجزاء تهكّما بهم وخطابا معهم
نا عندهم ، وتَفْعَلُوا جُزِمَ بلَمْ لانّها واجبة الاعمال
بيا صارت كالجزء منه وحرفُ الشرط كالداخل على
جتماعُهما ، ولَنْ كلّا فى نفى المستقبل غير انّه ابلغ

جزء ١ والارضيّة المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فانّ لكلّ آية ظَهْرًا وبَطْنًا ولكلّ حدّ مُطّلَعًا (٢١) وَإِنْ كُنْتُمْ فِي
ركوع ٣ رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ لمّا قرّر وحدانيّته تعالى وبيّن الطريق المُوصل الى العلم بها ذكر عقيبَه ما هو الحجّة على نبوّة محمّد صلعم وهو القرانُ المعجزُ بفصاحته التى بَذّت فصاحةَ كلّ مِنْطيق وإفحامه مَنْ طُولب بمعارضته مِنْ مَصاقع الخُطَباء من العرب العرباء مع كثرتهم وإفراطهم فى المضادّة والمضارّة وتهالكهم على المعازّة والمعارّة وعرّفَ ما يُتعرّف به اعجازه ويُتيقّن انّه من عند اللّه كما يدّعيه ، وانّما قال ممّا نزّلنا لانّ نزوله نَجْمًا فنجمًا بحسب الوقائع على ما ترى عليه اهلَ الشعْر والخطابة ممّا يُريبهم كما حكى اللّه عنهم فقال وقال الّذين كفروا لولا نُزّل عليه القران جملةً واحدةً فكان الواجب تحدّيهم على هذا الوجه ازاحةً للشبهة والزاما للحجّة ، واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انّه مختصّ به منقادٌ لحُكْمه وقرئ عِبادِنا يريد محمّدا وامّته ، والسُورة الطائفة من القران المُتَرْجَمة الّتى اقلّها ثلاثُ آيات وهى ان جُعلتْ واوُها اصليّةً منقولةٌ من سُور المدينة لانّها محيطةٌ بطائفة من القران مُفْرَزة مَحُوزة عَلَى حِيالِها او محتويةٌ على انواع من العلم احتواء سورِ المدينة على ما فيها او من السُورة الّتى هى الرتبة قال النابغة

ولِرَهْطِ حَرّابٍ وقدّ سُورةٌ فى المجد ليس غرابُها بمُطارِ

لانّ السُوَر كالمنازل والمراتب يترقّى فيها القارئ او لها مراتب فى الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جُعلتْ مبدلةً من الهمزة فمن السُؤرة الّتى هى البقيّة والقطعة من الشىء والحكمةُ فى تقطيع القران سُوَرا إفرادُ الانواع وتلاحقُ الأشكال وتجاوبُ النظم وتنشيطُ القارئ وتسهيلُ الحفظ والترغيبُ فيه فانّه اذا ختم سورةً نَفّس ذلك منه كالمسافر اذا علم انّه قطع ميلا او طوى بَريدا والحافظ متى حَذَقَها اعتقد انّه اخذ من القران حظّا تامّا وفاز بطائفة محدودة مستقلّة بنفسها فعَظُم ذلك عنده وابتهج به الى غيرها من الفوائد مِنْ مِثْلِهِ صفةُ سورة اى بسورة كائنة من مثله والضميرُ لما نزّلنا ومِنْ للتبعيض او التبيين وزائدةٌ عند الاخفش اى بسورة مماثلة للقران فى البلاغة وحُسْن النظم او لعبدنا ومِنْ للابتداء اى بسورة كائنة ممّن هو على حاله من كونه بشرا أُمّيّا لم يقرأ الكتب ولم يتعلّم العلوم او صلةُ فأتوا والضميرُ للعبد والردّ الى المنزّل أَوْجَهُ لانّه المطابِق لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدّى ولانّ الكلام فيه لا فى المنزّل عليه فحقُّه ان لا ينفكّ عنه ليتّسق الترتيبُ والنظمُ ولانّ مخاطبة الجمّ الغفير بأن يأتوا بمثل ما اتى به واحدٌ من أبناء جِلْدتهم ابلغُ فى التحدّى مِنْ ان يقال لهم ليأتِ بنحوِ ما اتى به هذا آخَرُ مثلُه ولانّه مُعْجِز فى نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجنّ على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولانّ ردّه الى عبدنا يُوهم إمكانَ صدوره ممّن لم يكن على صفته ولا يلائمه قولُه وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ فانّه امرٌ بأن يستعينوا بكلّ من ينصرهم ويُعينهم ، والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانّه سمّى به لانّه يحضر النوادى ويُبْرَم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور إمّا بالذات او بالتصوّر ومنه قبل

جزء ١ ركوع ٣

للمقتول فى سبيل اللّه شهيد لانّه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ، ومعنى دُون أَدْنَى مكانٍ من الشىء ومنه تدوين الكُتُب لانّه ادناء البعض من البعض ودُونَكَ هذا اى خُذْه من ادنى مكان منك ثمّ استُعير للرُّتَب فقيل زيد دون عمرٍو اى فى الشرف ومنه الشىء الدونُ ثمّ اتُّسع فيه فاستعمل فى كلّ تجاوُز حدٍّ الى حدّ وتخطّى امرٍ الى آخر قال تعالى لا يتّخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اى لا يتجاوزوا وَلايةَ المؤمنين الى وَلاية الكافرين قال أُمَيّةُ

يا نَفْسُ ما لكِ دون اللّه مِنْ واقِ

اى اذا تجاوزتِ وقايةَ اللّه فلا يَقيكِ غيرُه ومِنْ متعلّقةٌ بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة مَنْ حضركم او رجوتم معونتَه من انسكم وجنّكم وآلهتكم غيرَ اللّه تعالى فانّه لا يقدر على ان يأتى بمثله الّا اللّه تعالى او وادعوا من دون اللّه شهداء يشهدون لكم بانّ ما اتيتم به مثلُه ولا تستشهدوا باللّه فانّه من دَيْدَنِ المبهوت العاجز عن اقامة الحجّة او بشهداءكم اى الّذين اتّخذتموهم من دون اللّه اولياء وآلهة وزعمتم انّها تشهد لكم يوم القيامة او الّذين يشهدون لكم بين يدى اللّه تعالى على زعمكم من قول الاعشى

تُرِيكَ القَذَى مِنْ دونها وَهْيَ دونَه

ليُعينوكم وفى أَمْرهم ان يستظهروا بالجماد فى معارضة القران غايةُ التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون اللّه اى من دون اولياءه يعنى فصحاء العرب ووجوهَ المَشاهد ليشهدوا لكم انّ ما اتيتم به مِثْلُه فانّ العاقل لا يَرْضَى لنفسه ان يشهد بصحّة ما اتّضح فسادُه وبانَ اختلالُه إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ انّه من كلام البشر وجوابُه محذوف دلّ عليه ما قَبْلَه ، والصِدْق الاخبارُ المُطابِق وقيل مع اعتقاد المخبِر انّه كذلك عن دلالةٍ او أمارةٍ لانّه تعالى كذّب المنافقين فى قولهم انّك لَرسول اللّه لمّا لم يعتقدوا مطابقتَه ورُدّ بصرف التكذيب الى قولهم نَشْهَدُ لانّ الشهادة إِخبار عمّا علمه وهم ما كانوا عالمين به (٢٢) فَإِنْ لَمْ

تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ لمّا بيّن لهم ما يتعرّفون به امرَ الرسول صلعم وما جاء به وميّز لهم الحقّ عن الباطل رتّب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انّكم اذا اجتهدتم فى معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انّه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتّقوا العذاب المُعَدّ لمن كذّب فعبّر عن الاتيان المكيّف بالفعل الّذى يعمّ الاتيانَ وغيرَه إيجازا ونزّل لازمَ الجزاء منزلتَه على سبيل الكناية تقريرا للمكنّى عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع الإيجاز وصدّر الشرطيّة بإن الّذى للشكّ والحالُ يقتضى إذا الّذى للوجوب فانّ القائل سبحانه وتعالى لم يكن شاكّا فى عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكّما بهم وخطابا معهم على حسب ظنّهم فانّ العجز قبل التأمّل لم يكن محقّقا عندهم ، وتَفْعَلُوا جُزِمَ بلَمْ لانّها واجبة الاعمال مختصّة بالمضارع متّصلة بالمعمول ولانّها لمّا صيّرتْه ماضيا صارت كالجزء منه وحرفُ الشرط كالداخل على المجموع فكانّه قال فإن تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعُهما ، ولَنْ كلَا فى نفى المستقبل غير انّه ابلغ

جزء ١ وهو حرفٌ مُقتضَبٌ عند سيبويه والخليل فى احدى الروايتين عنه وفى الرواية الاخرى اصله لا أَنْ وعند
ركوع ٣ الفرّاء لا أُبْدلت الفها نونا ، والوقود بالفتح ما يوقَد به النارُ وبالضمّ مصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه سمعنا من يقول وَقَدَتِ النارُ وَقودا عاليا والاسم بالضمّ ولعلّه مصدر سمّى به كما قيل فلان فخرُ قومه وزَيْنُ بلده وقد قرئ بـه والظاهرُ انّ المراد به الاسم وإن اريد المصدر فعلى حذف مضاف اى وُقودُها احتراق الناس والحجارة ، وهى جمع حجر كجِمالة جمع جمل وهو قليل غير مُنْقاس والمراد بها الاصنام الّتى نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا فى شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضارّ بمكانتهم ويدلّ عليه قوله تعالى انّكم وما تعبدون من دون اللّه حَصَبُ جهنّم عُذّبوا بما هو مَنْشأ جُرْمهم كما عذّب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقّعون زيادةً فى تحسّرهم وقيل الذهب والفضّة الّتى كانوا يكنزونها ويغترّون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفّار وجهٌ وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيصٌ بغير دليل وإبطالٌ للمقصود اذ الغرض تهويل شأنها وتفاقُم لهبها بحيث تتّقد بما لا يتّقد به غيرُها والكبريتُ يتّقد به كلّ نار وإن ضعفت فان صحّ هذا عن ابن عبّاس فلعلّه عنى به انّ الاحجار كلّها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ، ولمّا كانت الآية مدنيّة نزلت بعد ما نزل بمكّة قولُه تعالى فى سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صحّ تعريفُ النار ووقوعُ الجملة صلةً بازائها فانّها يجب ان تكون قصّة معلومة أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ هُيّئت لهم وجُعلت عُدّة لعذابهم وقرئ أُعْتِدَتْ من العَتاد بمعنى العُدّة ، والجملة استيناف او حال باضمار قد من النارِ لا الضميرِ الّذى فى وقودها وإن جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر ، وفى الآيتين ما يدلّ على النبوّة من وُجوه الاوّلُ ما فيهما من التحدّى والتحريض على الجِدّ وبَذْل الوُسْع فى المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليقِ الوعيد على عدم الاتيان بما يعارِض اقصرَ سورةٍ من سُوَر القران ثمّ انّهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادّة لم يتصدّوا لمعارضته والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل المُهَج والثانى انّهما يتضمّنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانّهم لو عارضوه بشىء لامتنع خفآؤه عادةً سيّما والطاعنون فيه اكثفُ من الذابّين عنه فى كلّ عصر والثالث انّه عم لو شكّ فى امره لَمَا دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافةَ ان يعارَض فتَنْدَحِضَ حجّته ، وقوله تعالى اعدّت للكافرين دلّ على انّ النار مخلوقةٌ مُعَدّةٌ لهم الآن (٢٣) وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ عطفٌ على الجملة السابقة والمقصودُ عطفُ حالِ مَنْ آمن بالقران ووَصْفِ ثوابه على حالِ مَنْ كفر به وكيفيّةِ عقابه على ما جرت به العادة الالهيّة من ان يُشْفَع الترغيبُ بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما يُنْجى وتثبيطا عن اقتراف ما يُرْدى لا عطفُ الفعل نفسه حتّى يجب ان يطلَب له ما يشاكله من امرٍ او نهيٍ فيُعْطَف عليه او على فاتّقوا لانّهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدّى ظَهَرَ اعجازه واذا ظهر ذلك فمَنْ كفر به استوجب العقاب ومَنْ آمن به استحقّ الثواب وذلك يستدعى ان يخوّف هؤلاء ويبشّر هؤلاء وانّما أُمر الرسولُ عم او عالِمُ كلّ عصر او كلُّ احد يقدر على البشارة بأن يبشّرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشأنهم وايذانا بانّهم احقّاء بأن يبشَّروا ويهنَّأوا بما أُعِدّ لهم وقرئ وَبُشِّرَ على البناء للمفعول

عطفا على اعدّت فيكون استينافا والبشارة الخبر السارّ فانّه يُظهر اثرَ السرور فى البَشَرة ولذلك قال جزء ١
الفقهاء البشارة هو الخبر الاوّل حتّى لو قال الرجل لعبيده من بشّرنى بقدوم ولدى فهو حُرٌّ فأَخْبَروه فُرادَى ركوع ٣
عَتَق اوّلهم ولو قال من اخبرنى عَتَقوا جميعا واما قوله تعالى فبشّرْهم بعذاب اليم فعلى التهكّم او على طريقة قوله

تحيّةُ بينهم ضربٌ وجيعٌ ،

والصالحات جمع صالحة وهى من الصفات الغالبة الّتى تجرى مجرى الاسماء كالحسنة قال الحُطَيْئة

كيف الهجاء وما تنفكّ صالحةٌ   من آل لأْمٍ بظَهْر الغيب تأتينى

وهى من الأعمال ما سوّغه الشرع وحسّنه وتأنيثها على تأويل الخَصْلة او الخَلّة واللام فيها للجنس ، وعَطْفُ العمل على الايمان مرتّبا للحكم عليهما إشعارا بانّ السبب فى استحقاق هذه البشارة مجموعُ الامرين والجمعُ بين الوصفين فانّ الايمان الّذى هو عبارة عن التحقيق والتصديق أُسٌّ والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غَناء بأُسٍّ لا بناء عليه ولذلك قلّما ذُكرا منفردَيْن وفيه دليل على انّها خارجة عن مسمّى الايمان اذ الاصل أنّ الشىء لا يُعْطَف على نفسه وما هو داخل فيه ، أَنَّ لَهُمْ منصوبٌ بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرورٌ باضمار مِثْل اللّهِ لأَفْعَلَنّ ، والجَنّة المرّة من الجَنّ وهو مصدرُ جَنَّهُ اذا ستره ومَدارُ التركيب على الستر سمّى بها الشجر المظلّل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانّه يستر ما تحته سَتْرةً واحدةً قال زهير

كأنّ عينىَّ فى غَرْبَىْ مقتّلةٍ   من النواضح تَسْقى جَنّةً سُحُقا

اى نخلا طِوالا ثمّ البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظلّلة ثمّ دار الثواب لما فيها من الجِنان وقيل سمّيت بذلك لانّه سُتر فى الدنيا ما أُعِدّ فيها للبشر من أفنان النِعَم كما قال تعالى فلا تعلم نفسٌ ما أُخْفِىَ لهم الآية وجمعها وتنكيرها لانّ الجنان على ما ذكره ابن عبّاس رضى اللّه عنهما سبعٌ جنّةُ الفردوس وجنّة عَدْن وجنّة النعيم ودار الخُلْد وجنّة المأوى ودار السلام وعِلّيّون وفى كلّ واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعُمّال ، واللام تدلّ على استحقاقهم ايّاها لاجل ما ترتّب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانّه لا يكافىء النعم السابقة فضلا عن ان يقتضى ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط أنْ يستمرّ عليه حتّى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأُولئك حبطتْ اعمالهم وقوله تعالى لنبيّه عم لئن اشركتَ لَيَحْبطنّ عملُك واشباه ذلك ولعلّه سبحانه لم يقيّدْ ههنا

استغناء بها تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ اى من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق أنهارُ الجنّة تجرى فى غير أُخْدود ، واللام فى الانهار للجنس كما فى قولك لفلانٍ بستانٌ فيه الماء الجارى او للعهد والمعهودُ هى الانهار المذكورة فى قوله تعالى فيها انهار من ماء غيرِ آسِن الآية ، والنَهْر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجَدْوَل ودون البَحْر كالنيل والفرات

جزء ١ ركوع ٣

والتركيبُ للسعة والمرادُ بها ماؤها على الاضمارِ او المجازِ او المجارى انفسُها واسنادُ الجرى اليها مجازٌ كما فى قوله تعالى واخرجت الارضُ أثقالها الآية كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا صفةٌ ثانية لجنّاتٍ او خبرُ مبتدأ محذوف او جملةٌ مستأنفة كانّه لمّا قيل انّ لهم جنّات وقع فى خَلَد السامع أثمارُها مثلُ ثمار الدنيا او أجناسٌ أُخَرُ فأُزيح بذلك ، وكُلَّمَا نصب على الظرف ، ورزْقًا مفعول به ، ومِن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصلُ الكلام ومعناه كلَّ حينٍ رُزقوا مرزوقا مبتدئا من الجنّات مبتدئا من ثمرة قُيّد الرزق بكونه مبتدئا من الجنّات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحبُ الحال الاولى رزقا وصاحبُ الحال الثانية ضميره المستكنّ فى الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدّم كما فى قولك رأيت منك اسدا ، وهٰذا اشارة الى نوعِ ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهرٍ جارٍ هذا الماء لا ينقطع فانّك لا تعنى به العين المشاهَدة منه بل النوعَ المعلوم المستمرّ بتعاقب جريانه وإن كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مِثْلُ الّذى ولكن لمّا استحكم الشبه بينهما جُعل ذاتُه ذاتَه كقولك ابو يوسف ابو حنيفةَ مِنْ قَبْلُ اى من قبلِ هذا فى الدنيا جعل ثمر الجنّة من جنس ثمر الدنيا لتميلَ النفسُ اليه أوّلَ ما يُرى فانّ الطباع مائلة الى المألوف متنفّرة عن غيره ويتبيّنَ لها مزيّتُه وكنهُ النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يُعْهَد ظُنّ انّه لا يكون الّا كذلك او فى الجنّة لانّ طعامها متشابهُ الصورة كما حكى ابن كثير عن الحسن انّ احدهم يؤتَى بالصحفة فيأكل منها ثمّ يؤتَى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كُلْ فاللون واحد والطعم مختلف او كما روى انّه عم قال والّذى نَفْسُ محمّد بيده انّ الرجل من اهل الجنّة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى بواصلة الى فيه حتّى يبدل اللّه مكانها مثلها فلعلّهم اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاوّلُ اظهرُ لمحافظته على عمومِ كلّما فانّه يدلّ على ترديدهم هذا القولَ كلَّ مرّة رزقوا والداعى لهم الى ذلك فرطُ استغرابهم وتبجّحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم فى اللذّة والتشابهِ البليغ فى الصورة وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا اعتراض يقرّر ذلك والضميرُ على الاوّل راجع الى ما رُزقوا فى الدارَيْن فانّه مدلول عليه بقوله هذا الّذى رزقنا من قبل ونظيرُه قوله تعالى ان يكن غنيّا او فقيرا فاللّه اولى بهما اى بجنسَيِ الغنيّ والفقير وعلى الثانى الى الرزق فان قيل التشابهُ هو التماثل فى الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عبّاس ليس فى الجنّة من اطعمة الدنيا الّا الاسماء قلتُ التشابهُ حاصل بينهما فى الصورة الّتى هى مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كافٍ فى اطلاق التشابه هذا وإنّ للآية محملا آخرَ وهو أنّ مستلذّات اهل الجنّة فى مقابلة ما رُزقوا فى الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتةٌ فى اللذّة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد مِنْ هذا الّذى رزقنا انّه ثوابه ومِنْ تشابههما تماثُلهما فى الشرفِ والمزيّة وعُلوّ الطبقة فيكون هذا فى الوعد نظيرَ قوله ذوقوا ما كنتم تعملون فى الوعيد وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ممّا يُسْتقذَر من النساء ويُذَمّ من احوالهنّ كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فانّ التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال ، وقرئ مُطَهَّرَاتٌ وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلَتْ وفعلْنَ وهُنّ فاعلة وفواعل قال

جزء ١

واذا العَذارى بالدخان تَقنّعَتْ واستعجلَتْ نَصْبَ القُدور فَمَلَّتْ

ركوع ٣

فالجمع على اللفظ والإفراد على تأويل الجماعة ومُطَهَّرةٌ بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى منطهّرة ومُطهَّرة ابلغ من طاهرة ومطهَّرة للإشعار بانّ مطهِّرا طهّرهنّ وليس هو الّا اللّه تعالى ، والزَوْج يقال للذكر والانثى وهو فى الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخُفّ ، فان قيل فائدةُ المطعوم هو التغذّى ودفعُ ضرر الجوع وفائدةُ المنكوح التوالدُ وحفظُ النوع وهى مستغنًى عنها فى الجنّة قلتُ مَطاعم الجنّة ومَناكحها وسائر احوالها انّما تُشارِك نظائرَها الدنيويّةَ فى بعض الصفات والاعتبارات وتُسمّى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تُشارِكها فى تمام حقيقتها حتّى تَستلزم جميعَ ما يَلزمها وتفيدَ عينَ فائدتها وَهُمْ فيهَا خَالِدُونَ دائمون والخُلْد والخُلود فى الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل للأَثافى والاحجار خوالدُ وللجزء الّذى يبقى من الانسان على حاله ما دام حيّا خَلَدٌ ولو كان وَضْعه للدوام كان التقييد بالتأبيد فى قوله خالدين فيها ابدا لَغْوا واستعمالُه حيث لا دوامَ كقولهم وَقْفٌ مخلَّدٌ يوجب اشتراكا او مجازا والاصلُ ينفيهما بخلافِ ما لو وُضع للاعمّ منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به ههنا الدوام عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركّبة من اجزاء متضادّة الكيفيّة معرّضة للاستحالات المؤدّية الى الانفكاك والانحلال فكيف يُعْقَل خلودها فى الجِنان قلتُ انّه تعالى يُعيدها بحيث لا يَعْتَورها الاستحالة بأنْ يجعل اجزاءها مَثَلا متقاومةً فى الكيفيّة متساويةً فى القوّة لا يَقْوى شىء منها على إحالة الآخر متعانقةً متلازمةً لا ينفكّ بعضها عن بعض كما يشاهَد فى بعض المعادن هذا وإنّ قياس ذلك العالم واحوالِه على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلمْ انّه لمّا كان مُعْظَم اللذّات الحسّيّة مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دلّ عليه الاستقراء كان ملاكُ ذلك كلّه الثباتَ والدوامَ فانّ كلّ نعمة جليلة اذا قارنها خوفُ الزوال كانت منغَّصة غير صافية من شوائب الالم بشّر المؤمنين بها ومثّل ما اعدّ لهم فى الآخرة بأبْهَى ما يُسْتلذّ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدلّ على كمالهم فى التنعّم والسرور (٢٤) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً لمّا كانت الآيات السابقة متضمّنةً لانواع من التمثيل عقّب ذلك ببيانِ حُسْنه وما هو الحقّ له والشرط فيه وهو أنْ يكون على وفق الممثَّل له من الجهة الّتى تعلّق بها التمثيل فى العظم والصغر والخسّة والشرف دون الممثِّل فانّ التمثيل انّما يُصار اليه لكشف المعنى الممثَّل له ورفعِ الحجاب عنه وإبرازِه فى صورة المشاهَد المحسوس ليساعِد فيه الوهمُ العقلَ ويصالحه عليه فانّ المعنى الصِرْف انّما يُدْرِكه العقل مع منازعة من الوهم لانّ من طَبْعه الميل الى الحسّ وحُبّ المحاكاة ولذلك شاعت الامثال فى الكتب الالهيّة وفشت فى عبارات البلغاء وإشارات الحكماء فيمثَّل الحقيرُ بالحقير كما يمثّل العظيم بالعظيم وان كان الممثّل اعظم من كلّ عظيم كما مَثّل فى الانجيل غِلَّ الصدور بالنُخالة والقلوبَ القاسيةَ بالحَصاة ومخاطبةَ السفهاء باثارة الزنابير وجاء فى كلام العرب أَسْمعُ من قُراد وأَطْيش من فَراشة وأعزُّ من مُخّ البعوض لا ما قالت الجَهَلةُ من الكفّار لمّا مثّل اللّه حال المنافقين بحال المستوقدين واصحابِ الصيّب

جزء ١ ركوع ٣ وعبادةَ الاصنام فى الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجَعَلَها اقلَّ من الذباب واخسّ قدرا منه اللّهُ اعلى واجلُّ من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لمّا ارشدهم الى ما يدلّ على انّ المتحدَّى به وحىٌ منزّلٌ ورتّب عليه وعيدَ من كفر ووَعْدَ من آمن بعد ظهور امره شَرَعَ فى جواب ما طعنوا به فيه فقال انّ اللّه لا يستحيى اى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة تَرْكَ من يستحيى ان يمثّل بها لحقارتها ، والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافةَ الذمّ وهو الوسط بين الوقاحة الّتى هى الجرأة على القبائح وعدمُ المبالاة بها والخجل الّذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانّه انكسار يعترى القوّة الحيوانيّة فيردّها عن افعالها فقيل حَيِىَ الرجلُ كما قيل نَسِىَ وحَشِىَ اذا اعتلّت نَساه وحَشاه واذا وُصف به البارئ تعالى كما جاء فى الحديث إنّ اللّه يستحيى من ذى الشّيبة المُسْلِم ان يعذّبه إنّ اللّه حيىٌّ كريم يستحيى اذا رفع العبد يديه ان يردّهما صِفْرا حتّى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما انّ المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمَيْن لمعنيَيْهما ونظيرُه قولُ من يصف ابلا

اذاما اَسْتَحَيْنَ الماء يَعْرِضُ نفسَه كَرَعْنَ بسِبْتٍ فى اناء من الوَرْدِ

وانّما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآيةُ خاصّةً ان يكون مجيئُه على المقابلة لما وقع فى كلام الكفرة ، وضَرْبُ المثل اعتماله من ضَرْب الخاتم واصلُه وَقْع شىء على آخر ، وأَنْ بصلتها مخفوضُ المحلّ عند الخليل باضمار مِنْ منصوبٌ بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه ، ومَا ابهاميّةٌ تزيد النكرةَ ابهاما وشياعا وتسدّ عنها طُرُقَ التقييد كقولك أَعْطِنى كتابًا مّا اى أىّ كتاب كان او مزيدةٌ للتأكيد كالّتى فى قوله تعالى فبما رحمة ولا نعنى بالمزيد اللغوَ الضائع فانّ القران كلّه هُدًى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانّما وُضعت لأن تُذْكَر مع غيرها فتُفيد له وثاقةً وقوّةً وهو زيادة فى الهدى غير قادح فيه ، وبَعُوضَةً عطفُ بيان لمثلا او مفعولٌ ليضرب ومثلا حالٌ تقدّمت عليه لانّه نكرة او هما مفعولاه لتضمّنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انّه خبر مبتدأ محذوف وعلى هذا يحتمل مَا وجوها أُخَرَ أن تكون موصولةً حُذف صدرُ صلتها كما حذف فى قوله تعالى تماما على الّذى أَحْسَنُ وموصوفةً بصفة كذلك ومحلُّها النصب بالبدليّة على الوجهين واستفهاميّةً هى المبتدأ كانّه لمّا ردّ استبعادَهم ضَرْبَ اللّه الامثالَ قال بعده ما البعوضةُ فما فوقَها حتّى لا يضرب به المثلَ بل له ان يمثّل بما هو احقر من ذلك ونظيرُه فلان لا يبالى ما يهب ما دينارٌ وديناران والبَعُوض فَعُول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غُلّب على هذا النوع كالخَمُوش فَمَا فَوْقَهَا عطف على بعوضة او ما إنْ جُعل اسما ومعناه ما زاد عليها فى الجُثّة كالذباب والعنكبوت كانّه قصد به ردّ ما استنكروه والمعنى انّه لا يستحيى ضَرْبَ المثل بالبعوض فضلا عمّا هو اكبر منه او فى المعنى الّذى جُعلَتْ فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانّه عم ضربه مثلا للدنيا ونظيرُه فى الاحتمالين ما روى انّ رجلا بمِنًى خرّ على طُنُب فُسْطاط فقالت عائشة رضها سمعت رسول اللّه صلعم قال ما مِنْ مُسْلم يُشاك شوكةً فما فوقها إلّا كُتِبت له بها درجةٌ ومُحيت عنه بها خطيئةٌ فانّه يحتمل ما تجاوز الشوكةَ فى الالم كالخُرور وما زاد عليها فى القلّة

جزء ۱ كنُخْبة النملة لقوله عم ما اصاب المؤمنَ من مكروه فهو كفّارة لخطاياه حتّى نخبة النملة فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ أَمّا حرفٌ يفصّل ما أُجْمِل ويُؤكّد ما به صُدِّر ويتضمّن معنى الشرط ركوع ۳
ولذلك يُجاب بالفاء قال سيبويه أمّا زيدٌ فذاهبٌ معناه مهما يكن من شىء فزيد ذاهب اى هو ذاهب لا محالة وإنّه منه عزيمةٌ وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانّها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرفَ الشرط فادخلوها على الخبر وعوّضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفى تصدير الجملتين به احمادٌ لامر المؤمنين واعتدادٌ بعلمهم وذمٌّ بليغ للكافرين على قولهم ، والضمير فى أَنَّهُ للمثل او لأن يضربَ ، والحقّ الثابت الّذى لا يسوغ انكارُه يعمّ الاعيانَ الثابتة والافعالَ الصائبة والاقوالَ الصادقة من قولهم حَقَّ الامرُ اذا ثبت ومنه ثوبٌ محقّقٌ مُحْكَمُ النسج وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ كان من حقّه وامّا الّذين كفروا فلا يعلمون ليطابقَ قرينَه ويقابلَ قسيمَه لكن لمّا كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه مَاذَا أَرَادَ ٱللّٰهُ بِهٰذَا مَثَلًا يحتمل وجهين أن يكون ما استفهاميّة وذا بمعنى الّذى وما بعده صلته والمجموعُ خبرما وأن يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اىّ شىء منصوب المحلّ على المفعوليّة مثل ما اراد اللّه والاحسنُ فى جوابه الرفعُ على الاوّل والنصبُ على الثانى ليطابقَ الجوابُ السؤالَ ، والارادة نزوعُ النفس وميلُها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوّة الّتى هى مبدأ النزوع والاوّل مع الفعل والثانى قبله وكلا المعنيين غيرُ متصوَّر اتّصافُ البارئ تعالى به ولذلك اختلف فى معنى ارادته فقيل ارادته لأفعاله أنّه غير ساهٍ ولا مُكْرَه ولأفعالِ غيره امرُه بها فعلى هذا لم يكن المعاصى بارادته وقيل علْمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانّه يدعو القادرَ الى تحصيله والحقُّ انّه ترجيحُ احدِ مقدورَيْه على الآخر وتخصيصُه بوجهٍ دون وجهٍ او معنًى يوجب هذا الترجيحَ وهى اعمّ من الاختيار فانّه ميل مع تفضيل ، وفى هٰذَا استحقارٌ واسترذالٌ ، ومَثَلًا نصب على التمييز او الحالِ كقوله تعالى هذه ناقةُ اللّه لكم آيةً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِ كَثِيرًا جوابُ ما ذا اى اضلال كثيرٍ واهداء كثيرٍ وضع الفعل موضعَ المصدر للاشعار بالحدوث والتجدّد او بيانٌ للجملتين المصدّرتين بأمّا وتسجيلٌ بانّ العلم بكونه حقّا هدًى وبيانٌ وانّ الجهلَ بوجه ايراده والانكارَ لحسن مَوْرده ضلالٌ وفسوقٌ وكثرةُ كلّ واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فانّ المهديّين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل ما هم وقليل من عبادى الشّكور ويحتمل ان يكون كثرةُ الضالّين من حيث العدد وكثرةُ المهديّين باعتبار الفضل والشرف كما قال

قليلٌ اذا عُدّوا كثيرٌ اذا شَدّوا

وقال

إنّ الكرام كثيرٌ فى البلاد وإنْ قلّوا كما غيرُهم قُلٌّ وإنْ كثروا

مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا ٱلْفَاسِقِينَ الخارجين عن حدّ الايمان كقوله تعالى انّ المنافقين هم الفاسقون من قولهم فَسَقَتِ الرُّطَبةُ عن قشرها اذا خرجت واصلُ الفِسْق الخروج عن القصد قال رُؤْبَةُ

*

جزء ١

فواسقا عن قصدها جوائرا

ركوع ٣ والفاسق فى الشرع الخارج عن امر اللّه بارتكاب الكبيرة وله درجاتٌ ثلاث الاولى التغابى وهو أن يرتكبها أحيانا مستقبحا ايّاها والثانية الانهماك وهو أن يَعْتاد ارتكابَها غيرَ مبالٍ بها والثالثة الجحود وهو أن يرتكبها مستَصْوِبا ايّاها فاذا شارف هذا المقام وتخطّى خِطَطَهُ خلع رِبْقَةَ الايمان من عنقه ولابَسَ الكفر وما دام هو فى درجة التغابى والانهماك فلا يُسْلَب عنه اسمُ المؤمن لاتّصافه بالتصديق الّذى هو مسمّى الايمان ولقوله تعالى وإِنْ طائفتان من المؤمنين الآية والمعتزلة لمّا قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والإقرار والعمل والكفرُ تكذيب الحقّ وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتى المؤمن والكافر لمشاركته كلَّ واحد منهما فى بعض الاحكام وتخصيصُ الإضلال بهم مرتّبا على صفة الفسق يدلّ على انه الّذى اعدّهم للإضلال وادّى بهم الى الضلال وذلك لانّ كفرهم وعدولهم عن الحقّ وإصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المَثَل الى حقارة الممثَّل به حتّى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به ، وقرئ يُضَلُّ بالبناء للمفعول وٱلْفَاسِقُونَ بالرفع (٢٥) ٱلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ صفة الفاسقين للذمّ وتقرير الفسق ، والنَّقْض فسخ التركيب واصلُه فى طاقات الحبل واستعمالُه فى ابطال العهد من حيث انّ العهد يستعار له الحبل لما فيه مِنْ ربط احد المتعاهِدَيْن بالآخر فان أُطْلِق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وإن ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو انّ العهد حبل فى ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فانّ فيه تنبيها على انه اسدٌ فى شجاعته بحرٌ بالنظر الى افادته ، والعَهْد المَوْثِق ووَضْعُه لما من شأنه ان يراعَى ويُتعهَّد كالوصيّة واليمين ويقال للدار من حيث انّها تراعَى بالرجوع اليها والتأريخ لانّه يحفظ وهذا العهد إمّا العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجّة القائمة على عباده الدالّة على توحيده ووجوبِ وجوده وصدْقِ رسوله وعليه أُوّل قوله تعالى وأَشْهَدَهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الأُمم بانّهم اذا بُعث اليهم رسولٌ مصدَّقٌ بالمعجزات صدّقوه واتّبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حُكْمه واليه اشار بقوله تعالى واذ اخذ اللّه ميثاق الّذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود اللّه تعالى ثلاثة عهدٌ اخذه على جميع ذرّيّة آدم بأن يُقرّوا بربوبيّته وعهدٌ اخذه على النبيّين بأن يُقيموا الدين ولا يتفرّقوا فيه وعهدٌ اخذه على العلماء بأن يبيّنوا الحقّ ولا يكتموه مِنْ بَعْد ميثَاقه الضمير للعهد ، والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهى الاستحكام والمرادُ به ما وثّق اللّه به عهده من الآيات والكتب او ما وثّقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ، ومِنْ للابتداء فانّ ابتداء النقض بعد الميثاق وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ يحتمل كلَّ قطيعة لا يرضاها اللّه تعالى كقطع الرحم والإعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكُتُب فى التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رَفْضُ خير او تعاطى شرّ فانّه يقطع الوصلةَ بين اللّه وبين العبد المقصودةَ بالذات من كلّ وصلٍ وفصلٍ ، والأَمْر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلوّ وقيل مع الاستعلاء وبه سمّى الامر الّذى هو واحد الامور تسميةً للمفعول به بالمصدر فانّه ممّا يؤمر به كما قيل له شأنٌ وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنَه اذا قصدت قصده ، وأَنْ يُوصَلَ يحتمل

جزء ١ النصبُ والخفض على انّه بدل من مَا او ضميرِهِ والثانى احسنُ لفظا ومعنى وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بالمنع عن
ركوع ٣ الايمان والاستهزاء بالحقّ وقطعِ الوُصَل الّتى بها نظامُ العالم وصلاحُه أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ الّذين خسروا باهمالِ العقل عن النظر واقتناص ما يُفيدهم الحيوةَ الابديّة واستبدالِ الانكار والطعن فى الآيات بالايمان بها والنظرِ فى حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب (٢٦) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ استخبارٌ فيه انكارٌ وتعجيبٌ لكفرهم بانكار الحال الّتى يقع عليها على الطريق البرهانىّ فانّ صدوره لا ينفكّ عن حال وصفةٍ فاذا انكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزمَ ذلك انكارَ وجوده فهو ابلغ واقوى فى انكار الكفر من أَتَكْفرون واوفقُ لما بعده من الحال ، والخطاب مع الّذين كفروا لمّا وصفهم بالكفر وسوءِ المقال وخُبْثِ الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبّخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلافَ ذلك والمعنى أَخْبِرونى على اىّ حال تكفرون وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا اى اجسادا لا حيوة لها عناصرَ واغذيةً وأخلاطا ونُطَفا ومُضَغا مخلّقةً وغير مخلّقة فَأَحْيَاكُمْ بخلق الارواح ونفخها فيكم وانّما عطفه بالفاء لانّه متّصل بما عطف عليه غير متراخٍ عنه بخلاف البواقى ثُمَّ يُمِيتُكُمْ عند تقضّى آجالكم ثُمَّ يُحْيِيكُمْ بالنشور يومَ يُنْفخ فى الصور او للسؤال فى القبور ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما أَعْجَبَ كُفْرَكم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل إن علموا انّهم كانوا امواتا فاحياهم ثمّ يميتهم لم يعلموا انّه يحييهم ثمّ اليه يرجعون قلتُ تمكُّنهم من العلم بهما لِما نصب لهم من الدلائل منزِّلٌ منزلةَ علمهم فى إزاحة العُذر سيّما وفى الآية تنبيهٌ على ما يدلّ على صحّتهما وهو انّه تعالى لمّا قدر أَنْ أَحْياهم اوّلا قدر أَنْ يُحْييهم ثانيا فانّ بدء الخلق ليس بأَهْوَن عليه من إعادته او مع القبيلَيْن فانّه سبحانه وتعالى لمّا بيّن دلائل التوحيد والنبوّة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكّد ذلك بأن عدّد عليهم النعم العامّة والخاصّة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فانّ عِظَمَ النعمة يوجب عظمَ معصية المُنْعِم فان قيل كيف يعدّ الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلتُ لمّا كانت وُصْلة الى الحيوة الثانية الّتى هى الحيوة الحقيقيّة كما قال تعالى وإِنّ الدار الآخرة لهى الحَيَوان كانت من النعم العظيمة مع انّ المعدود عليهم نعمةً هو المعنى المنتزع من القصّة باسرها كما انّ الواقع حالا هو العلم بها لا كلّ واحدة من الجُمَل فانّ بعضها ماضٍ وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصحّ ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصّةً لتقرير المنّة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يُتصوَّر منكم الكفر وكنتم امواتا اى جُهّالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثمّ يميتكم الموتَ المعروفَ ثمّ يحييكم الحيوة الحقيقيّة ثمّ اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، والحَيوة حقيقةٌ فى القوّة الحسّاسة او ما يقتضيها وبها سمّى الحَيَوان حَيَوانا مجازٌ فى القوّة النامية لانّها من طلائعها ومقدّماتها وفيما يخصّ الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انّها كمالها وغايتها والمَوْت بإزائها يقال على ما يقابلها فى كلّ مرتبة قال تعالى قل اللّه يحييكم ثمّ يميتكم وقال

جزء ١ ركوع ٣ اعلموا انّ اللّه يحيى الارض بعد موتها وقال أَوَمَنْ كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس واذا وُصف بها البارئ تعالى اريد بها صحّةُ اتّصافه بالعلم والقدرة اللازمةُ لهذه القوّة فينا او معنًى قائمٌ بذاته يقتضى ذلك على الاستعارة ، وقرأ يعقوب تَرْجِعون بفتح التاء فى جميع القران (٢٧) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا بيان نعمة اخرى مرتّبة على الاولى فانّها خَلْقهم أَحْياء قادرين مرّةً بعد اخرى وهذه خَلْقُ ما يتوقّف عليه بقاؤهم ويتمّ به معاشهم ، ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم فى دنياكم باستنفاعكم بها فى مصالح ابدانكم بوسطٍ او غيرِ وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرّف لما يلائمها من لذّات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فانّ الفاعل لغرض مستكملٌ به بل على انّه كالغرض من حيث انّه عاقبة الفعل ومؤدّاه وهو يقتضى اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانّه يدلّ على انّ الكلّ للكلّ لا انّ كلّ واحد لكلّ واحد ، وما يعمّ كلّ ما فى الارض لا الارضَ الّا اذا اريد به جهة السُفْل كما يراد بالسماء جهة العُلْو ، وجَمِيعًا حال عن الموصول الثانى ثُمَّ ٱسْتَوَى إِلَى ٱلسَّمَاء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوى على شىء واصلُ الاستواء طلب السواء واطلاقُه على الاعتدال لما فيه من تسويةِ وَضْع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانّه من خواصّ الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال

قد ٱسْتَوى بِشْرٌ على العِراقِ مِنْ غيرِ سَيْفٍ ودمٍ مُهْراقِ

والاوّل اوفق للاصل والصلةِ المعدّى بها والتسويةِ المرتّبة عليه بالفاء ، والمراد بالسماء هذه الأجرام العُلْويّة او جهاتُ العُلْو ، وثُمّ لعلّه لتفاوت ما بين الخلقَيْن وفضلِ خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى ثمّ كان من الّذين آمنوا لا للتراخى فى الوقت فانّه يخالف ظاهرَ قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانّه يدلّ على تأخّر دَحْو الارض المتقدّم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الّا أن تستأنف بدحاها مقدّرا لنصب الارض فعْلًا آخر دلّ عليه أأنتم اشدُّ خلقا مثلَ تعرِّف الارضَ وتدبّرْ امرَها بعد ذلك لكنّه خِلاف الظاهر فَسَوَّاهُنَّ عدّلهنّ وخلقهنّ مصونةً من العِوَج والفطور ، وهنّ ضمير السماء إن فسّرت بالاجرام لانّه جمع او فى معنى الجمع وإلّا فمُبْهَم يفسّره ما بعده كقولهم رُبَّهُ رَجُلًا سَبْعَ سَمٰوَاتٍ بدل او تفسير فان قيل اليس انّ اصحاب الأرصاد اثبتوا تسعة افلاك قلتُ فيما ذكروه شُكوك وإن صحّ فليس فى الآية نَفْى الزائد مع انّه إن ضُمّ اليها العرش والكرسىّ لم يَبْقَ خلافٌ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ فيه تعليلٌ كانّه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلّها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلالٌ بانّ من كان فعلُه على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فانّ إتْقان الافعال وإحْكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يُتصوّر الّا من عالم حكيم رحيم وإزاحةٌ لما يختلج فى صدورهم مِنْ أنّ الأبدان بعد ما تفتّتت وتبدّدت اجزاؤها واتّصلت بما يشاكلها كيف تُجْمَع اجزاء كلّ بدنٍ مرّةً ثانيةً بحيث لا يشذّ منها شىء ولا ينضمّ اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيرُه قوله تعالى وهو بكلّ خلق عليم ، واعلمْ انّ صحّة الحشر مبنيّة على ثلاث مقدّمات وقد برهن

عليها فى هاتين الآيتين أمّا الاولى فهى انّ موادّ الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها جزء ١
بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثمّ يميتكم فانّ تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدلّ ركوع ٣
على انّها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى ان يزول ويتغيّر وأمّا الثانية والثالثة فانّه عزّ وجلّ عالم بها
ومواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانّه تعالى قادر على ابدائها وابداء ما هو اعظم
خلقا واعجب صُنْعا فكان أقْدَرَ على اعادتهم واحيائهم وأنّه خلق ما خلق خلقا مستويا مُحْكَما من
غير تفاوت واختلال مُراعًى فيه مَصالحهم وسَدَّ حاجاتهم وذلك دليل على تناهى علمه وكمال حكمته
جلّت قدرته ودقّت حكمته ، وقد سكّن نافع وابو عمرو والكسائى الهاء من نحو فَهْوَ وَهْوَ تشبيها له
بعَضُد (٢٨) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً تعدادٌ لنعمة ثالثة تعمّ الناسَ كلّهم فانّ ركوع ٤
خلق آدم وإكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له إنعامٌ يعمّ ذرّيّته ، وإذْ ظرفٌ وضع
لزمان نِسْبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب
اضافتهما الى الجُمَل كحَيْثُ فى المكان وبُنِيَتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلّهما
النصب ابدا بالظرفيّة فانّهما من الظروف الغير المتصرّفة لما ذكرناه وامّا قوله تعالى واذكرْ اخا عاد اذ
انذر قومه بالاحقاف ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادثَ اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه
وعاملُه فى الآية قالوا او اذكرْ على التأويل المذكور لانّه جاء معمولا له صريحا فى القران كثيرا او مضمرٌ
دلّ عليه مضمون الآية المتقدّمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفةٌ على خلق لكم
داخلةٌ فى حكم الصلة وعن مَعْمَر انّه مزيد ، والمَلَائِكَة جمعُ مَلْأَك على الاصل كالشمائل جمع شَمْأَل
والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوبُ مَأْلَك من الأَلُوكة وهى الرسالة لانّهم وسائط بين اللّه تعالى وبين الناس
فهم رسل اللّه تعالى او كالرسل اليهم واختلف العقلاء فى حقيقتهم بعد اتّفاقهم على انّها ذوات موجودة
قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انّها اجسام لطيفة قادرة على التشكّل بأشكال مختلفة مستدلّين
بانّ الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هى النفوس الفاضلة البشريّة المفارقة
للابدان وزعم الحكماء انّهم جواهر مجرّدة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة منقسمة الى قسمَيْن قسم
شأنهم الاستغراق فى معرفة الحقّ جلّ جلاله والتنزّه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم فى مُحْكَم تنزيله فقال
تعالى يسبّحون الليل والنهار لا يفترون وهم العلويّون والملائكة المقرّبون وقسم يدبّر الامرَ من السماء الى
الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهىّ لا يعصون اللّه ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم
المدبّرات امرا فمنهم سماويّة ومنهم ارضيّة على تفصيل اثبتّه فى كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة
كلُّهم لعموم اللفظ وعدم المخصّص وقيل ملائكةُ الارض وقيل ابليسُ ومن كان معه فى محاربة الجنّ
فانّه تعالى اسكنهم فى الارض اوّلا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس فى جُنْد من الملائكة فدمّرهم
وفرّقهم فى الجزائر والجبال ، وجَاعِل مِنْ جَعَلَ الّذى له مفعولان وهما فى الارض خليفة اعمل فيهما لانّه
بمعنى الاستقبال ومعتمد على مُسْنَد اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق ، والخَلِيفَة من يخلف غيره
وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عم لانّه كان خليفةَ اللّه فى ارضه وكذلك كلّ نبىّ

منافع الكائنات من القوّة الى الفعل الّذى هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله جزء ١ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ والتسبيح تبعيد الله تعالى عن السوء وكذلك التقديس من سَبَحَ فى ركوع ٤ الارض والماء وقَدَّسَ فى الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدّس اذا طهّر لانّ مطهّر الشىء مبعّده عن الاقذار ، وبِحَمْدِكَ فى موضع الحال اى ملتبسين بحمدك على ما أَلْهَمْتَنا معرفتك ووفّقتنا لتسبيحك تداركوا به ما أَوْهَمَ اسنادُ التسبيح الى انفسهم ، ونقدّس لك نطهّر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانّهم قابلوا الفسادَ المفسَّر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسَفْكَ الدماء الّذى هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفوس عن الآثام وقيل نقدّسك واللامُ مزيدة (٢٩) وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا امّا بخلق علمٍ ضرورىّ بها فيه او القاء فى رُوعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح لِيَتسلسل ، والتعليم فِعْلٌ يترتّب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علّمته فلم يتعلّم ، وآدَمُ اسم اعجمىّ كآزر وشالَح واشتقاقُه من الأُدْمة او الأَدَمة بالفتح بمعنى الأُسْوة او من اديم الارض لما روى عنه عم انّه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سَهْلِها وحَزْنِها فخلق منها آدم فلذلك يأتى بنوه أَخْيافا او من الأُدْم او الأُدْمة بمعنى الأُلْفة تعسّفٌ كاشتقاق ادريسَ من الدرس ويعقوبَ من العَقْب وابليسَ من الإِبْلاس ، والإِسْم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشىء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفاتِ والافعال واستعمالُه عُرْفا فى اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركّبا او مُفْرَدا مُخْبَرا عنه او خبرا او رابطةً بينهما واصطلاحا فى المفرد الدالّ على معنى فى نفسه غيرَ مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد فى الآية امّا الاوّل او الثانى وهو يستلزم الاوّل لانّ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقّف على العلم بالمعانى والمعنى انّه تعالى خلقه من اجراء مختلفة وقُوى متباينة مستعدّا لادراك انواع المُدْرَكات من المعقولات والمحسوسات والمتخيّلات والموهومات وأَلْهمه معرفةَ ذوات الاشياء وخواصّها واسمائها واصولِ العلوم وقوانينِ الصناعات وكيفيّةِ آلاتها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَآئِكَةِ الضمير فيه للمسمّيات المدلولِ عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسمّيات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوّض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لانّ العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيّما إن اريد به الالفاظ والمرادُ به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيرُه لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عَرَضَهنّ وعَرَضَها على معنى عرض مسمّياتهنّ او مسمّياتها فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هٰؤُلَآءِ تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فانّ التصرّف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقّق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدرِ الحقوق مُحالٌ وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمُحال ، والإِنْباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجرى مجرى كلّ واحد منهما إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى زعمكم انّكم احقّاء بالخلافة لعصمتكم او انّ خَلْقَهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا تليق بالحكيم وهو وإن لم يصرّحوا به لكنّه لازمُ مقالهم والتصديق كما يتطرّق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرّق اليه بغرضٍ ما يَلْزَم مدلولَه من الاخبار وبهذا الاعتبار يعترى الانشاءاتِ (٣٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا اعترافٌ بالعجز والقصور واشعارٌ بأنّ سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وأنّه قد بان لهم ما خفى عليهم من

في الاصل تذلّل مع تطأمن قال الشاعر

تَرَى الأُكْمَ فيه سُجَّدًا للحوافر

وقال

وقُلْنَ له أَسْجِدْ لِلَيْلَى فَأَسْجَدَا

يعني البعير اذا طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمورُ به امّا المعنى الشرعيّ فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قِبْلةً لسجودهم تفخيما لشأنه او سببا لوجوبه وكأنّه تعالى لمّا خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدَعات كلّها بل الموجوداتِ بأسرها ونسخةً لما في العالم الروحانيّ والجسمانيّ وذريعةً للملائكة الى استيفاء ما قُدّر لهم من الكمالات ووُصْلةً الى ظهورِ ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات أَمَرَهم بالسجود تذلّلا لما رأوا فيه من عظيمِ قدرته وباهرِ آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللامُ فيه كاللام في قول حسّان

اليس اوّلَ مَنْ صلّى لِقِبْلتكم وأَعْرفَ الناسِ بالقرآن والسُنَنِ

او في قوله تعالى أَقِمِ الصلوة لِدُلوك الشمس وامّا المعنى اللغويّ وهو التواضع لآدم تحيّةً وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلّل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتمّ به كمالهم والكلامُ في أنّ المأمورين بالسجود الملائكة كلّهم او طائفةٌ منهم ما سبق فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَٱسْتَكْبَرَ امتنع عمّا امر به استكبارا من ان يتّخذه وُصْلةً في عبادة ربّه او يعظّمه ويتلقّاه بالتحيّة او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه ، والإباء امتناع باختيار ، والتكبّرُ أن يرى الرجل نفسَه اكبر من غيره والاستكبارُ طلب ذلك بالتشبّع وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ اى في علم الله تعالى او صار منهم باستقباحه أَمْرَ الله تعالى ايّاه بالسجود لآدم اعتقادا بانّه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضّع للمفضول والتوسّلِ به كما اشعر به قولُه انا خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده ، والآية تدلّ على أنّ آدم عم افضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وَجْهٍ وأنّ ابليس كان من الملائكة والّا لم يتناوله امرُهم ولم يصحّ استثناؤُه منهم ولا يَرِدُ على ذلك قولُه تعالى إلّا ابليس كان من الجنّ لجوازِ أن يقال انّه كان من الجنّ فعلا ومن الملائكة نوعا ولانّ ابن عبّاس رضي الله عنهما روى انّ من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجنّ ومنهم ابليس ولمن زعم انّه لم يكن من الملائكة أنْ يقول انّه كان جنّيّا نشأ بين اظهُر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغُلّبوا عليه او الجنّ ايضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنّه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانّه اذا عُلِم انّ الاكابر مأمورون بالتذلّل لاحد والتوسّلِ به عُلِم انّ الاصاغر ايضا مأمورون به والضميرُ في فسجدوا راجع الى القبيلين كأنّه قال فسجد المأمورون بالسجود إلّا ابليس وأنّ من الملائكة من ليس بمعصوم وإن كان الغالبُ فيهم العِصْمةَ كما أنّ من الانس معصومين والغالبُ فيهم عدم العصمة ولعلّ ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانّما يخالفهم بالعوارض

*

جزء ۱ ركوع ۴ والصفات كالبَرَرة والفَسَقة من الانس والجنّ يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عبّاس فلذلك صحّ عليه التغيّر عن حاله والهبوط من محلّه كما اشار اليه بقوله تعالى الّا ابليس كان من الجنّ ففسق عن امر ربّه لا يقال كيف يصحّ ذلك والملائكة خُلقت من نور والجنّ من نار لما روت عائشة رضها انّه عم قال خُلقت الملائكة من النور وخُلق الجنّ من مارج من نار لانّه كالتمثيل لما ذكرنا فانّ المراد بالنور الجوهر المضيء والنارُ كذلك غيرَ انّ ضوءها مكدّر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يَصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذّبة مصفّاة كانت محض نور ومتى نُكِصت عادت الحالة الاولى جَذَعَةً ولا تزال تتزايد حتّى ينطفئَ نورها ويبقى الدخان الصِرْف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلمُ عند الله تعالى ، ومن فوائد الآية استقباحُ الاستكبار وأنّه قد يُفضي بصاحبه الى الكفر والحثُّ على الايتمار لامره وترك الخوض فى سرّه وأنّ الامر للوجوب وأنّ الّذى عَلِمَ الله تعالى مِنْ حاله انّه يُتوفّى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرةُ بالخواتم وإن كان بحكم الحال

مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابى الحسن الاشعرىّ رحمه الله تعالى (۳۳) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ السُكْنَى من السكون لانّها استقرار ولبث ، وأَنْتَ تأكيد اكّد به المستكنّ ليصحّ العطف عليه وانّما لم يخاطبهما اوّلا تنبيها على انّه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبعٌ له ، والجنّة دار الثواب لانّ اللام للعهد ولا معهودَ غيرها ومن زعم انّها لم تُخلَق بعدُ قال انّه بستان كان بارض فِلَسْطِين او بين فارسَ وكِرْمانَ خلقه الله امتحانا لآدم وحَمَلَ الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما فى قوله تعالى اهبطوا مصرا وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا واسعا رافها صفةُ مصدر محذوف حَيْثُ شِئْتُمَا اىّ مكانٍ من الجنّة شئتما وسّع الامر عليهما إزاحةً للعلّة والعُذْرِ فى التناول من الشجرة المنهيّ عنها من بين اشجارها الفائتة

للحصر وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فيه مبالغاتٌ تعليق النهى بالقرب الّذى هو من مقدّمات التناول مبالغةً فى تحريمه ووجوبِ الاجتناب عنه وتنبيها على انّ القرب من الشيء يورث داعيةً وميلا يأخذ بمجامع القلب ويُلْهيه عمّا هو مقتضى العقلِ والشرعِ كما روى حُبُّك الشيءَ يُعْمِى ويُصِمّ فينبغى ان لا يحوما حول ما حُرّم عليهما مخافةَ ان يقعا فيه وجعلُه سببا لان يكونا من الظالمين الّذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصى او بنقص حظّهما بالاتيان بما يُخِلّ بالكرامة والنعيم فانّ الفاء تفيد السببيّة سواء جُعلت للعطف على النهى او الجوابَ له ، والشجرة هى الحنطة او الكرمة او التينة او شجرةٌ مَنْ اكل منها أحْدَثَ والأَوْلى ان لا تُعيَّن من غير قاطع كما لم تعيّن فى الآية لعدم توقّف ما هو

المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتِقْرَبا بكسر التاء وهذى بالياء (۳۴) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا اصدر زلّتهما عن الشجرة وحملهما على الزلّة بسببها ونظيرُ عَنْ هذه فى قوله تعالى وما فعلته عن امرى او ازلّهما عن الجنّة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءةُ حمزة فَأَزَالَهُمَا وهما متقاربان فى المعنى غير انّ ازلّ يقتضى عثرة مع الزوال وإزلالُه قوله هل ادلّك على شجرة الخلد ومُلْكٍ لا يبلى وقوله ما نهاكما ربّكما عن هذه الشجرة الّا ان تكونا مَلَكَيْن او تكونا من الخالدين ومقاسمتُه ايّاهما بقوله انّى لكما لمن الناصحين واختلف

جزء ١
ركوع ۴

فى أنّه تمثّل لهما فقاولهما بذلك او ألقاه اليهما على سبيل الوسوسة وأنّه كيف توصّل الى إزلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانّك رجيم فقيل مُنع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يُمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحوّاء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثّل بصورة دابّة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل فى فم الحيّة حتّى دخلت به وقيل ارسل بعض أتباعه فـأزلّهما والعلم عند اللّه تعالى فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ اى من الكرامة والنعيم وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا خطاب لآدم وحوّاء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لأنّهما أصلا الجنس فكأنّهما الانس كلّهم او هما وابليس وابليس أُخرِج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغى بعضكم على بعض بتضليله وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ موضع استقرار او استقرارٌ وَمَتَاعٌ تمتّع إِلَىٰ حِينٍ يريد به وقت الموت او القيامة (٣٥) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين عُلّمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انّهـا استقبلته وبلغته وهى قوله ربّنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللّهمّ وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدّك لا اله الّا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انّه لا يغفر الذنوب الّا انت وعن ابن عبّاس رضى اللّه عنهما قال يا ربّ الم تخلقنى بيدك قال بلى قال يا ربّ الم تنفخ فىّ الروح من روحك قال بلى قال يا ربّ الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكنّى جنّتك قال بلى قال يا ربّ إن تبت واصلحت أراجعى انت الى الجنّة قال نعم، واصل الكلمة الكَلْم وهو التأثير المُدْرَك باحدى الحاسّتين السمع والبصر كالكلام والجراحة فَتَابَ عَلَيْهِ رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانّما رتّبه بالفاء على تلقّى الكلمات لتضمّنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لانّ حوّاء كانت تبعًا له فى الحكم ولذلك طُوِى ذكر النساء فى اكثر القران والسنن إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ الرجّاع على عباده بالمغفرة او الّذى يُكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وُصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها البارئ تعالى اريد به الرجوع عن العقوبة الى المغفرة ٱلرَّحِيمُ المبالغ فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعدٌ للتائب بالاحسان مع العفو (٣٦) قُلْنَا ٱهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا كرّر للتأكيد او لاختلاف المقصود فانّ الاوّل دلّ على انّ هبوطهم الى دار بليّة يتعادون فيها ولا يخلدون والثانى اشعر بانّهم أُهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضلّه هلك والتنبيه على انّ مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم أن تَعُوقه عن مخالفة حكم اللّه تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنّه نسى ولم نجد له عزما وأنّ كلّ واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذّكّر وقيل الاوّل من الجنّة الى السماء الدنيا والثانى منها الى الارض وهو كما ترى، وجَمِيعًا حال فى اللفظ تأكيد فى المعنى كانّه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعى اجتماعهم على الهبوط فى زمان واحد كقولك جاءُوا جميعا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الشرط الثانى مع جوابه

جزء ١ ركوع ٣

النصبُ والخفض على انّه بدل من مَا او ضميرهِ والثانى احسنُ لفظا ومعنى وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحقّ وقطعِ الوُصَل الّتى بها نظامُ العالم وصلاحُه أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ الّذين خسروا باهمالِ العقل عن النظرِ واقتناص ما يُفيدهم الحيوةَ الابديّة واستبدالِ الانكار والطعن فى الآيات بالايمان بها والنظرِ فى حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب

(٢٦) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ استخبارٌ فيه إنكارٌ وتعجيبٌ لكفرهم بانكار الحال الّتى يقع عليها على الطريق البرهانىّ فانّ صدوره لا ينفكّ عن حال وصفةٍ فاذا انكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزمَ ذلك انكارَ وجوده فهو ابلغ واقوى فى انكار الكفر من أَتَكْفُرون واوفقُ لما بعده من الحال ، والخطاب مع الّذين كفروا لمّا وصفهم بالكفر وسوء المقال وخُبْثِ الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبّخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلافَ ذلك والمعنى أَخْبِروني على ايّ حال تكفرون وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا اى اجسادا لا حيوة لها عناصرَ واغذيةً وأخلاطا ونُطَفا ومُضَغا مُخلّقةً وغير مخلّقة فَأَحْيَاكُمْ بخلق الارواح ونفخها فيكم وانّما عطفه بالفاء لانّه متّصل بما عطف عليه غير متراخٍ عنه بخلاف البواقى ثُمَّ يُمِيتُكُمْ عند تقضّى آجالكم ثُمَّ يُحْيِيكُمْ بالنشور يومَ يُنْفَخ فى الصور او للسؤال فى القبور ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما أَعْجَبَ كُفْرَكم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل إن علموا انّهم كانوا امواتا فاحياهم ثمّ يميتهم لم يعلموا انّه يحييهم ثمّ اليه يرجعون قلتُ تمكُّنُهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزَّلٌ منزلةَ علمهم فى ازاحة العُذر سيّما وفى الآية تنبيهٌ على ما يدلّ على صحّتهما وهو انّه تعالى لمّا قدر أنْ أحياهم اوّلا قدر أنْ يُحْييهم ثانيا فانّ بدء الخلق ليس بأَهْوَن عليه من إعادته او مع القبيلَيْن فانّه سبحانه وتعالى لمّا بيّن دلائل التوحيد والنبوّة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكّد ذلك بأن عدّد عليهم النعم العامّة والخاصّة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فانّ عِظَمَ النعمة يوجب عظمَ معصية المُنْعِم فان قيل كيف يعدّ الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلتُ لمّا كانت وُصْلة الى الحيوة الثانية الّتى هى الحيوة الحقيقيّة كما قال تعالى وإنّ الدار الآخرة لهى الحَيَوان كانت من النعم العظيمة مع انّ المعدود عليهم نعمةً هو المعنى المنتزع من القصّة باسرها كما انّ الواقع حالا هو العلم بها لا كلّ واحدة من الجُمَل فانّ بعضها ماضٍ وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصحّ ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصّةً لتقرير المنّة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يُتصوَّر منكم الكفر وكنتم امواتا اى جُهّالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثمّ يميتكم الموتَ المعروفَ ثمّ يحييكم الحيوة الحقيقيّة ثمّ اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، والحيوة حقيقةٌ فى القوّة الحسّاسة او ما يقتضيها وبها سمّى الحيوان حيوانا مجازٌ فى القوّة النامية لانّها من طلائعها ومقدّماتها وفيما يخصّ الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انّها كمالها وغايتها والمَوْت بإزائها يقال على ما يقابلها فى كلّ مرتبة قال تعالى قل اللّه يحييكم ثمّ يميتكم وقال

ركوع ٣

عليها في هاتين الآيتين أمّا الاولى فهى انّ موادّ الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها جزء ١ بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثمّ يميتكم فانّ تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدلّ ركوع ٣ على انّها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى ان يزول ويتغيّر وأمّا الثانية والثالثة فانّه عزّ وجلّ عالم بها ومواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثْباتهما بانّه تعالى قادر على ابدائها وابداء ما هو اعظم خَلْقا واعجبُ صُنْعا فكان أَقْدَرَ على اعادتهم واحيائهم وأنّه خلق ما خلق خلقا مستويا مُحْكَما من غير تفاوت واختلال مُراعًى فيه مَصالحهم وسَدُّ حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلّت قدرته ودقّت حكمته ، وقد سكّن نافع وابو عمرو والكسائىّ الهاء من نحو فَهْوَ ووَهْوَ تشبيها له بعَضْد (٢٨) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً تعدادٌ لنعمة ثالثة تعمّ الناس كلّهم فانّ ركوع ٤ خلق آدم وإكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له إنعامٌ يعمّ ذرّيّته ، وإذْ ظرفٌ وضع لزمانِ نِسْبةٍ ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجُمَل كحَيْثُ في المكان وبُنِيَتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلّهما النصب ابدًا بالظرفيّة فانّهما من الظروف الغير المتصرّفة لما ذكرناه وامّا قوله تعالى واذكرْ اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادثَ اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعاملُه في الآية قالوا او اذكرْ على التأويل المذكور لانّه جاء معمولا له صريحا في القران كثيرا او مضمرٌ دلّ عليه مضمون الآية المتقدّمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفةٌ على خلق لكم داخلةٌ في حكم الصلة وعن مَعْمَرٍ انّه مزيد ، والمَلَائِكَة جمعُ مَلْأَكٍ على الاصل كالشمائل جمع شَمْأَل والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوبُ مَأْلَك من الأَلُوكة وهي الرسالة لانّهم وسائط بين اللّه تعالى وبين الناس فهم رسل اللّه تعالى او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتّفاقهم على انّها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انّها اجسام لطيفة قادرة على التشكّل بأشكال مختلفة مستدلّين بانّ الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشريّة المفارقة للابدان وزعم الحكماء انّهم جواهر مجرّدة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمَيْن قسم شأنُهم الاستغراق في معرفة الحقّ جلّ جلاله والتنزّه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في مُحْكَم تنزيله فقال تعالى يسبّحون الليل والنهار لا يفترون وهم العلويّون والملائكة المقرّبون وقسم يدبّر الامرَ من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهىّ لا يعصون اللّه ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبّرات امرا فمنهم سماويّة ومنهم ارضيّة على تفصيل اثبتّه في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلّهم لعموم اللفظ وعدم المخصّص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليسُ ومن كان معه في محاربة الجنّ فانّه تعالى اسكنهم في الارض اوّلا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جُنْد من الملائكة فدمّرهم وفرّقهم في الجزائر والجبال ، وجَاعِلٌ مِنْ جَعَلَ الّذى له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانّه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مُسْنَد اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق ، والخَلِيفَة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عم لانّه كان خليفة اللّه في ارضه وكذلك كلّ ن

منافع الكائنات من القوّة الى الفعل الّذى هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله جزء ١ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ والتسبيح تبعيد الله تعالى عن السوء وكذلك التقديس من سَبَحَ فى ركوع ٤ الارض والماء وقَدَّسَ فى الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدّس اذا طهّر لانّ مطهّر الشىء مبعّده عن الاقذار ، وبِحَمْدِكَ فى موضع الحال اى ملتبسين بحمدك على ما أَلْهَمْتنا معرفتَك ووفّقتنا لتسبيحك تداركوا به ما أَوْهَمَ اسنادُ التسبيح الى انفسهم ، ونقدّس لك نطهّر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانّهم قابلوا الفسادَ المفسَّر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسَفْكَ الدماء الّذى هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفوس

عن الآثام وقيل نقدّسك واللامُ مزيدة (٢٩) وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا امّا بخلق علمٍ ضرورىّ بها فيه او القاه فى رُوعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل ، والتعليم فعلٌ يترتّب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علّمته فلم يتعلّم ، وآدَمُ اسم اعجمىّ كآزَر وشالَح واشتقاقه من الأُدْمة او الأَدَمة بالفتح بمعنى الأُسْوة او من اديم الارض لما روى عنه عم انّه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سَهْلها وحَزْنها فخلق منها آدم فلذلك يأتى بنوه أَخْيافا او من الأُدْم او الأُدْمة بمعنى الأُلْفة تعسّفٌ كاشتقاق ادريسَ من الدرس ويعقوبَ من العَقْب وابليسَ من الإبْلاس ، والاسْم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشىء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعمالُه عُرْفا فى اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركّبا او مُفْرَدا مُخْبَرا عنه او خبرا او رابطةً بينهما واصطلاحا فى المفرد الدالّ على معنى فى نفسه غيرَ مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد فى الآية امّا الاوّل او الثانى وهو يستلزم الاوّل لانّ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقّف على العلم بالمعانى والمعنى انّه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقُوى متباينة مستعدّا لادراك انواع المُدْرَكات من المعقولات والمحسوسات والمتخيّلات والموهومات وأَلْهمه معرفةَ ذوات الاشياء وخواصّها واسمائها واصول العلوم وقوانينِ الصناعات وكيفيّة آلاتها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ الضمير فيه للمسمّيات المدلولِ عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسمّيات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوّض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لانّ العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيّما إن اريد به الالفاظ والمرادُ به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيرُه لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء

وقرئ عَرَضَهُنّ وعَرَضَها على معنى عرض مسمّياتهنّ او مسمّياتها فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فانّ التصرّف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقّق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدرِ الحقوق مُحالٌ وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمُحال ، والإنْباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجرى مجرى كلّ واحد منهما إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ فى زعمكم انّكم احقّاء بالخلافة لعصمتكم أو انّ خَلْقهم واستخلافَهم وهذه صفتُهم لا تليق بالحكيم وهو وإن لم يصرّحوا به لكنّه لازمُ مقالهم والتصديق كما يتطرّق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرّق اليه بغرضٍ ما يَلْزم مدلولَه من

الاخبار وبهذا الاعتبار يعترى الانشاءات (٣٠) قَالُوا سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ اعترافٌ بالعجز والقصور وإشعارٌ بأنّ سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وأنّه قد بان لهم ما خفى عليهم من

في الاصل تذلّل مع تطأمن قال الشاعر

ترى الأُكْمَ فيه سُجَّدًا للحوافر

وقال

وقُلْن له أَسْجِدْ لِلَيْلَى فأَسْجَدا

يعنى البعير اذا طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمورُ به إمّا المعنى الشرعيّ فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قِبْلَةً لسجودهم تفخيما لشأنه او سببا لوجوبه وكأنّه تعالى لمّا خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدَعات كلّها بل الموجودات بأسرها ونسخةً لما في العالم الروحانيّ والجسمانيّ وذريعةً للملائكة الى استيفاء ما قُدّر لهم من الكمالات ووُصْلةً الى ظهورِ ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات أَمَرَهم بالسجود تذلّلا لما رأوا فيه من عظيمِ قدرته وباهرِ آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللامُ فيه كاللام في قول حسّان

أليس أوّلَ مَنْ صلّى لقِبْلتكم وأعرفَ الناسِ بالقرآن والسُنَنِ

او في قوله تعالى أقمِ الصلوة لدُلوك الشمس وإمّا المعنى اللغويّ وهو التواضع لآدم تحيّةً وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلّل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتمّ به كمالهم والكلامُ في أنّ المأمورين بالسجود الملائكة كلّهم او طائفةٌ منهم ما سبق فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ امتنع عمّا امر به استكبارا من ان يتّخذه وُصْلة في عبادة ربّه او يعظّمه ويتلقّاه بالتحيّة او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه، والإباء امتناع باختيار، والتكبّرُ أن يرى الرجل نفسَه اكبر من غيره والاستكبارُ طلب ذلك بالتشبّع وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ اى في علم الله تعالى او صار منهم باستقباحه أَمْرَ الله تعالى ايّاه بالسجود لآدم اعتقادا بانّه افضل منه والافضلُ لا يحسن ان يؤمر بالتخضّع للمفضول والتوسّلِ به كما اشعر به قولُه انا خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيديّ أَستكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده، والآية تدلّ على أنّ آدم عم افضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجهٍ وأنّ ابليس كان من الملائكة وإلّا لم يتناوله امرُهم ولم يصحّ استثناؤُه منهم ولا يَرِدُ على ذلك قولُه تعالى إلّا ابليس كان من الجنّ لجوازِ أن يقال انّه كان من الجنّ فعلا ومن الملائكة نوعا ولأنّ ابن عبّاس رضى الله عنهما روى انّ من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجنّ ومنهم ابليس ولمن زعم انّه لم يكن من الملائكة أنْ يقول انّه كان جنّيّا نشأ بين اظهُر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغُلّبوا عليه او الجنّ ايضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنّه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانّه اذا عُلم انّ الاكابر مأمورون بالتذلّل لاحد والتوسّل به عُلم انّ الاصاغر ايضا مأمورون به والضميرُ في فسجدوا راجع الى القبيلين كأنّه قال فسجد المأمورون بالسجود إلّا ابليس وأنّ من الملائكة من ليس بمعصوم وإن كان الغالبُ فيهم العِصْمةَ كما أنّ من الانس معصومين والغالبُ فيهم عدم العصمة ولعلّ ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانّما يخالفهم بالعوارض

فى أنّه تمثّل لهما فقاولهما بذلك او ألقاه اليهما على سبيل الوسوسة وأنّه كيف توصّل الى إزلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانّك رجيم فقيل مُنع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يُمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحوّاء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثّل بصورة دابّة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل فى فم الحيّة حتّى دخلت به وقيل ارسل بعض أتباعه فأزلّهما والعلم عند اللّه تعالى فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ اى من الكرامة والنعيم وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا خطاب لآدم وحوّاء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لأنّهما أصلا الجنس فكأنّهما الانس كلّهم او هما وابليس اُخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى مُتعادين يبغى بعضكم على بعض بتضليله وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ موضعُ استقرارٍ او استقرارٌ وَمَتَاعٌ تمتّع إِلَىٰ حِينٍ يريد به وقت الموت او القيامة (٣٥) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين عُلّمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انّها استقبلته وبلغته وهى قوله ربّنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللّهمّ وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدّك لا اله الّا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انّه لا يغفر الذنوب الّا انت وعن ابن عبّاس رضى اللّه عنهما قال يا ربّ الم تخلقنى بيدك قال بلى قال يا ربّ الم تنفخ فىّ الروح من روحك قال بلى قال يا ربّ الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكنّى جنّتك قال بلى قال يا ربّ إن تبت واصلحت أراجعى انت الى الجنّة قال نعم، واصل الكلمة الكَلْم وهو التأثير المُدْرَك باحدى الحاسّتين السمع والبصر كالكلام والجراحة فَتَابَ عَلَيْهِ رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانّما رتّبه بالفاء على تلقّى الكلمات لتضمّنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لانّ حوّاء كانت تبعًا له فى الحكم ولذلك طُوِى ذكر النساء فى اكثر القران والسنن إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ الرجّاع على عباده بالمغفرة او الّذى يُكْثِر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وُصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها البارئ تعالى اريد به الرجوع عن العقوبة الى المغفرة ٱلرَّحِيمُ المبالغ فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعدٌ للتائب بالاحسان مع العفو (٣٦) قُلْنَا ٱهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا كرّر للتأكيد او لاختلاف المقصود فانّ الاوّل دلّ على انّ هبوطهم الى دار بليّة يتعادون فيها ولا يخلدون والثانى اشعر بانّهم أُهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضلّه هلك والتنبيه على انّ مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم أن تَعُوقه عن مخالفة حكم اللّه تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنّه نسى ولم نجد له عزما وأنّ كلّ واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذّكّر وقيل الاوّل من الجنّة الى السماء الدنيا والثانى منها الى الارض وهو كما ترى، وجَمِيعًا حال فى اللفظ تأكيد فى المعنى كانّه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعى اجتماعهم على الهبوط فى زمان واحد كقولك جاؤا جميعا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الشرط الثانى مع جوابه جزء ١ ركوع ۴

وانّما جرى عليه ما جرى تفظيعا لشأن الخطيئة ليجتنبها اولاده ، وفيها دلالة على انّ الجنّة مخلوقة وانّها جزء ١
فى جهة عالية وانّ التوبة مقبولة وانّ متّبع الهدى مأمون العاقبة وانّ عذاب النار دائم وانّ الكافر ركوع ٤
مخلد فيه وانّ غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون ، واعلمْ انّه سبحانه وتعالى لمّا ذكر دلائل التوحيد والنبوّة والمعاد وعقّبها تعدادَ النعم العامّة تقريرا لها وتأكيدا فانّها من حيث انّها حوادث مُحْكَمة تدلّ على محدِث حكيم له الخلق والامرُ وحده لا شريكَ له ومن حيث انّ الاخبار بها على ما هو مُثْبَتٌ فى الكتب السابقة ممّن لم يتعلّمها ولم يمارس شيئًا منها إخبارٌ بالغيب مُعْجِزٌ تدلّ على نبوّة المخبِر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدلّ على انّه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نِعَم اللّه عليهم ويوفوا بعهده فى اتّباع الحقّ واقتفاء الحجج ليكونوا اوّل من آمن بمحمّد صلعم وما انزل
عليه فقال (٣٨) يَا بَنِى اِسْرَائِيلَ اى يا اولاد يعقوب ، والابْن من البِناء لانّه مَبْنِىُّ ابيه ولذلك يُنْسَب ركوع ٥
المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فِكْر ، واسرائيل لقب يعقوب عم ومعناه بالعبريّة صفوة اللّه وقيل عبد اللّه وقرئ اِسْرَآئِلَ بحذف الياء واِسْرَالَ بحذفهما واِسْرَايِيلَ بقلب الهمزة ياء اُذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ اى بالتفكّر فيها والقيام بشكرها وتقييدُ النعمة بهم لانّ الانسان غَيُور حَسُود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم اللّه على غيره حمله الغيرة والحسد على السخط والكُفْران وان نظر الى ما انعم اللّه عليه حمله حبّ النعمة على الرضا والشكر وقيل اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتّخاذ العجل وعليهم من إدراك زمن محمّد صلعم ، وقرئ اِذَّكِرُوا والاصل اذتكروا ونِعْمَتِى باسكان الياء واسقاطها دَرْجا وهو مذهبُ من لا يحرّك الياءَ المكسورَ ما قبلها وَأَوْفُوا بِعَهْدِى بالايمان والطاعة أُوفِ بِعَهْدِكُمْ بحسن الاثابة ، والعهد يضاف الى المعاهِد والمعاهَد ولعلّ الاوّل مضاف الى الفاعل والثانى الى المفعول فانّه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وإنزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عَرْضٌ عريضٌ فاوّلُ مراتب الوفاء منّا هو الاتيان بكلمتَىِ الشهادة ومن اللّه تعالى حَقْن الدماء والمالِ وآخِرها منّا الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عنْ غيره ومن اللّه الفوز باللقاء الدائم وما روى عن ابن عبّاس رضى اللّه عنهما اوفوا بعهدى فى اتّباع محمّد صلعم اوفِ بعهدكم فى رفع الآصار والأغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوفِ بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوفِ بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتمونى من الايمان والتزام الطاعة اوفِ بما عاهدتكم من حُسْن الاثابة وتفصيلُ العهدين فى سورة المائدة قوله تعالى ولقد اخذ اللّه ميثاق بنى اسرائيل الى قوله ولَأُدْخِلنّكم جنّات وقرئ أُوَفِّ بالتشديد للمبالغة وَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ فيما تأتون وتذرون وخصوصا فى نقض العهد وهو آكَدُ فى افادة التخصيص من ايّاك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائيّة الدالّة على تضمّن الكلام معنى الشرط كأنّه قيل ان كنتم راهبين شيئًا فارهبونِ ، والرَّهْبة خوف معه تحرّز ، والآية متضمّنةٌ للوعد والوعيد دالّةٌ على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وانّ المؤمن

انّ الكفّار مخاطَبون بها ، والزكوة من زكا الزرع اذا نمى فانّ اخراجها يستجلب بركة فى المال ويُثْمِر جزء ١
للنفس فضيلةَ الكَرَم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانّها تطهّر المال من الخبث والنفسَ من البخل ركوع ٥
وَٱرْكَعُوا مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ اى فى جماعتهم فانّ صلوة الجماعة تَفْضُل صلوةَ الفذّ بسبع وعشرين درجة لما فيها
من تظاهر النفوس وعبّر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد
لما يُلْزِمهم الشارعُ قال الأَضْبَط السَّعْدىّ

لا تُذِلّ الضعيفَ علّك أنْ تر كَعَ يوما والدّهْرُ قد رَفَعَهْ

(٤١) أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ تقرير مع توبيخ وتعجيب ، والبِرّ التوسّع فى الخير من البَرّ وهو الفضاء الواسع يتناول كلّ خير ولذلك قيل البِرّ ثلثة برّ فى عبادة اللّه تعالى وبرّ فى مراعاة الاقارب وبرّ فى معاملة الاجانب وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وتتركونها من البرّ كالمنسيّات وعن ابن عبّاس رضى اللّه عنهما انّها نزلت فى أحبار المدينة كانوا يأمرون سرّا من نصحوه باتّباع محمّد صلعم ولا يتّبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدّقون وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ تبكيت كقوله وانتم تعلمون اى تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وتَرْكِ البرّ ومخالفة القولِ العملَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قُبْحَ صنيعكم فيصدّكم عنه او افلا عقلَ لكم يمنعكم عمّا تعلمون وخامةَ عاقبته والعقل فى الاصل الحبس سمّى به الادراك الانسانىّ لانّه يحْبسه عمّا يقبح ويَعْقِله على ما يحسن ثمّ القوّة الّتى بها النفسُ تدرك هذا الادراكَ والآية ناعية على من يَعِظ غيرَه ولا يتّعظ نفسه سوءَ صنيعه وخبثَ نفسه وأنّ فعلَه فِعْلُ الجاهل بالشرع او الاحمقِ الخالى عن العقل فانّ الجامع بينهما يَأْبَى عنه شكيمتُه والمرادُ بها حثُّ الواعظ على تزكية النفس والاقبالِ عليها بالتكميل لِيقومَ فيُقيمَ لا منعُ الفاسق عن الوعظ فانّ الإخلال باحد الامرين المأمورِ بهما لا يوجب الإخلال بالآخر (٤٢) وَٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ متصل بما قبله كأنّهم لمّا أُمروا بما يشقّ عليهم لما فيه من الكلفة وتَرْكِ الرياسة والإعراضِ عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النُجْح والفَرَج توكّلا على اللّه تعالى او بالصوم الّذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كَسْر الشهوة وتصفيةِ النفس والتوسّلِ بالصلوة والالتجاء اليها فانّها جامعة لانواع العبادات النفسانيّة والبدنيّة من الطهارةِ وسَتْرِ العورة وصَرْفِ المال فيهما والتوجّهِ الى الكعبة والعكوفِ على العبادة وإظهارِ الخشوع بالجوارح وإخلاصِ النيّة بالقلب ومجاهدةِ الشيطان ومناجاةِ الحقّ وقراءةِ القران والتكلّمِ بالشهادتين وكفّ النفس عن الأَطْيَبَيْن حتّى تُجابوا الى تحصيل المآرب وجَبْرِ المصايب روى انّه عم كان اذا حزبه امرٌ فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وَإِنَّهَا اى الاستعانةَ بهما او الصلوةَ وتخصيصُها بردّ الضمير اليها لعظمِ شأنها واستجماعها ضُروبا من الصبر او جملةَ ما أُمروا بها ونُهوا عنها لَكَبِيرَةٌ لثقيلة شاقّة كقوله تعالى كَبُرَ على المشركين ما تدعوهم اليه إِلَّا عَلَى ٱلْخَاشِعِينَ اى المخبتين والخشوعُ الإخبات ومنه الخُشْعة للرملة المتطامنة والخضوعُ اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب (٤٣) ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ

جزء ١ الفرس والروم ولعتوّهم اشتقّ منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريّان وقيل
ركوع ٦ ابنه وليدًا من بقايا عاد وفرعون يوسف عم ريّان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يَسُومُونَكُمْ
يبغونكم من سامه خسفًا اذا اولاه ظلمًا واصل السوم الذهاب فى طلب الشىء سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ أفظعه فانّه
قبيح بالاضافة الى سائره ، والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم ، والجملة حال
٥ من الضمير فى نجّيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لانّ فيها ضمير كلّ واحد منهما
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف، وقرئ يَذْبَحُون بالتخفيف،
وانّما فعلوا بهم ذلك لانّ فرعون راى فى المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يردّ
اجتهادهم من قدر اللّه شيئًا وَفِى ذَٰلِكُمْ بَلَآءٌ محنةٌ إن اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمةٌ إن اشير به الى
الانجاء واصله الاختبار لكن لمّا كان اختبار اللّه عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز
١٠ ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما مِنْ رَبِّكُمْ بتسليطهم عليكم او ببعث موسى
عم وتوفيقه لتخليصكم او بهما عَظِيمٌ صفة بلاء ، وفى الآية تنبيه على انّ ما يصيب العبد من خير او
شرّ اختبارٌ من اللّه تعالى فعليه أنْ يشكر على مسارّه ويصبر على مضارّه ليكون من خير المختبرين
(٤٧) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتّى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او
بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله

١٥ تدوس بنا الجماجمَ والتريبا

وقرئ فرّقنا على بناء التكثير لانّ المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانّه كان أولى به وقيل شخصه كما روى انّ الحسن كان
يقول اللّهمّ صلّ على آل محمّد اى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر أتباعه وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ذلك اى
غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرقٍ يابسة متذلّلة او جثثهم الّتى قذفها البحر الى
٢٠ الساحل او ينظر بعضكم بعضا روى انّه تعالى امر موسى ان يُسْرِى ببنى اسرائيل فخرج بهم فصبّحهم
فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى اللّه اليه أنْ اضربْ بعصاك البحر فضربه فظهر فيه
اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح اللّه فيها كوى
فتراءوا وتسامعوا حتّى عبروا البحر ثمّ لمّا وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم
عليهم واغرقهم اجمعين واعلمْ انّ هذه الواقعة من اعظم ما انعم اللّه تعالى به على بنى اسرائيل ومن
٢٥ الآيات المُلْجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عم ثمّ انّهم اتّخذوا العجل وقالوا لن
نؤمن لك حتّى نرى اللّه جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل فى الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحُسْنِ الاتباع
عن امّة محمّد صلعم مع انّ ما تواتر من معجزاته امورٌ نظريّةٌ مثل القران والتحدّى به والفضائل المجتمعة
فيه الشاهدة على نبوّة محمّد صلعم دقيقةٌ يدركها الاذكياء واخبارُه عم عنها من جملة معجزاته على
ما مرّ تقريره (٤٨) وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً لمّا عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد اللّه موسى ان

*

جزء ١ يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجّة وعبّر عنها بالليالى لانّها غُرر الشهور ، وقرأ

ركوع ٩ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائىّ وَاعَدْنَا لانّه تعالى وعده الوَحْىَ ووعده موسى المجىء للميقات الى الطور ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ إلٰها او معبودا مِنْ بَعْدِهِ من بعد موسى اى مُضيّه وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ باشراككم (٤٩) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ اى الاتّخاذ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ اى لكى تشكروا عفوه (٥٠) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَٱلْفُرْقَانَ يعنى التورية الجامع بين كونه كتابا وحجّة تفرق بين الحقّ والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المُحقّ والمُبطل فى الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الّذى فرق بينه وبين عدوّه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ لكى تهتدوا بتدبّر الكتاب والتفكّر فى الآيات (٥١) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم براءا من التفاوت ومميّزا بعضكم من بعض بصُوَر وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشىء عن غيره امّا على سبيل التفصّى كقولهم برئ المريض من مرضه والمَدْيونُ من دَيْنه او الانشاء كقولهم برأ اللّهُ آدمَ من الطين او فتوبوا فَٱقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ اتماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذّب نفسَه لم ينعّمها ومن لم يقتلها لم يُحْيِها وقيل أُمروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل أُمِر من لم يعبد العجل ان يقتل العَبَدة روى انّ الرجل كان يرى بعضه وقريبَه فلم يقدر على المُضىّ لامر اللّه تعالى فارسل اللّه ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشىّ حتّى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين انفا والفاء الاولى للتسبّب والثانية للتعقيب ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ من حيث انّه طُهْرة عن الشرك ووُصْلة الى الحيوة الابديّة والبهجة السرمديّة فَتَابَ عَلَيْكُمْ متعلّق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عم لهم تقديره إن فعلتم ما أُمرتم فقد تاب عليكم وعطفٌ على محذوف إن جعلته خطابا من اللّه تعالى لهم على طريقة الالتفات كانّه قال ففعلتم ما أُمرتم فتاب عليكم بارئكم وذكرُ البارئ وترتيب الامر عليه اشعارٌ بانّهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتّى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقرة الّتى هى مَثَلٌ فى الغباوة وأنّ من لم يعرف حَقَّ مُنْعِمه حقيقٌ بأنْ يُسْترَدَّ منه ولذلك أُمروا بالقتل وفكّ التركيب إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ الّذى يُكْثِر توفيقَ التوبة او قبولَها من المذنبين ويبالغ فى الانعام عليهم (٥٢) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ اى لاجل قولك او لن نُقِرّ لك حَتَّى نَرَى ٱللّٰهَ جَهْرَةً عيانا وهى فى الاصل مصدرُ قولك جَهَرْت بالقراءة استُعيرت للمعاينة ونصبُها على المصدر لانّها نوع من الرؤية او الحالِ من الفاعل او المفعول وقرئ جَهَرَةً بالفتح على انّها مصدر كالغَلَبة او جمعُ جاهر كالكَتَبة فتكون حالا والقائلون هم السبعون الّذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه ، والمؤمَن به

أنّ اللّه الّذى اعطاك التورية وكلّمك او أنّك نبىّ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّاعِقَةُ لفرط العناد والتعنّت وطلب جوء ١
المستحيل فانّهم ظنّوا انّه تعالى يُشبه الأجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام فى الجهات والأحياز المقابلة ركوع ٦
للرآءى وهو مُحال بل الممْكن أن يُرى رؤيةً منزّهةً عن الكيفيّة وذلك للمؤمنين فى الآخرة والأفراد من
الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صَيْحة وقيل جنود
٥ سمعوا بحسيسها فخرّوا صَعِقين ميّتين يوماً وليلة وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ما اصابكم بنفسه او أثره
(٥٣) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ بسبب الصاعقة وقيّد البعث لانّه قد يكون من إغماء او نوم كقوله تعالى
ثمّ بعثناهم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعمة البعث او ما كفرتموه لمّا رأيتم بأس اللّه بالصاعقة (٥٤) وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ
سخّر اللّه لهم السحاب يُظلّهم من الشمس حين كانوا فى التيه وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَى اى التَرَنْجُبين
والسُماني قيل كان ينزل عليهم المنّ مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السمانى وينزل
١٠ بالليل عَمودُ نار يسيرون فى ضوئه وكانت ثيابهم لا تتّسخ ولا تَبْلَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ على ارادة
القول وَمَا ظَلَمُونَا فيه اختصارٌ واصله فظلموا بأن كفروا هذه النعمة وما ظلمونا وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ
بالكفران لانّه لا يتخطّاهم ضرّه (٥٥) وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا هٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ يعنى بيت المقدس وقيل اريحا أُمروا به
بعد التيه فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ
اى باب القرية او القُبّة الّتى كانوا يصلّون اليها فانّهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حيوة موسى عم سُجَّدًا
١٥ متطأمنين مُخْبتين او ساجدين للّه تعالى شكرًا على إخراجكم من التيه وَقُولُوا حِطَّةٌ اى مسئلتنا او امرك
حِطّةٌ وهى فِعْلة من الحَطّ كالجِلْسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حُطّ عنّا ذنوبنا حِطّةً او على انّه
مفعولُ قولوا اى قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حِطّةٌ اى أنْ نَحُطَّ فى هذه القرية ونُقيم بها
نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ لسجودكم ودعائكم ، قرأ نافع بالياء وابن عامر بها على البناء للمفعول ، وخطايا
اصله خَطايِىُ كخطايِع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان
٢٠ فابدلت الثانية ياء ثمّ قلبت ألفا وكانت الهمزة بين ألفَيْن فابدلت ياء وعند الخليل قدّمت الهمزة
على الياء ثمّ فعل بهما ما ذكر وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ثوابا جعل الامتثال توبةً للمسىء وسببَ زيادة
الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد إيهاما بأنّ المحسن بصدد ذلك وإن لم يفعله
فكيف اذا فعله وأنّه تعالى يفعل لا محالة (٥٦) فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ بدّلوا بما
امروا به من التوبة والاستغفار طلبَ ما يشتهون عن اعراض الدنيا فَأَنْزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا كرّره مبالغة
٢٥ فى تقبيح امرهم وإشعارا بأنّ الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه او على انفسهم بأن تركوا
ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رِجْزًا مِنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ عذابا مقدرا من السماء
بسبب فسقهم ، والرجز فى الاصل ما يُعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضمّ وهو لغة فيه والم

جزء ١ الطاعون روى انّه مات فى ساعة اربعة وعشرون الفا (٥٧) وَإِذِ ٱسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ لمّا عطشوا فى التيه
ركوع ٧ فَقُلْنَا ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ اللام فيه للعهد على ما روى انّه كان حجرا طوريّا مكعّبا حمله معه وكانت تنبع من كلّ وجه ثلاث اعين تسيل كلّ عين فى جدول الى سِبْط وكانوا ستّمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنّة ووقع الى شُعَيْب فاعطاه لموسى مع العصا او الحجر الّذى فرّ بثوبه لمّا وضعه عليه ليغتسل وبرّأه اللّه به عمّا رموه به من الأُدْرة فاشار اليه جبريل بحَمْله او للجنس وهذا اظهرُ فى الحجّة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لمّا قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حَمَلَ حجرا فى مِخْلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه به اذا ارتحل فييبس فقالوا إنْ فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اللّه تعالى اليه لا تَقْرَع الحجارة وكلّمْها تُطعْك لعلّهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رُخام وكان ذراعا فى ذراع والعصا عشرة اذرع فى طول موسى من آس الجنّة وله شُعْبتان تتّقدان فى الظلمة فَٱنْفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا متعلّق بمحذوف تقديره فإنْ ضربْتَ فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مرّ فى قوله تعالى فتاب عليكم ، وقرئ عَشِرَةَ بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ كلّ سبط مَشْرَبَهُمْ عينهم الّتى يشربون منها كُلُوا وَٱشْرَبُوا على تقدير القول مِنْ رِزْقِ ٱللَّهِ يريد به ما رزقهم من المنّ والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانّه يُشْرَب ويُؤْكَل ممّا ينبت به وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ لا تعتدوا حالَ إفسادكم وانّما قيّده لانّه وإنْ غلب فى الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدى بفعله ومنه ما يتضمّن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلامَ وخرْقه السفينةَ ويقرب منه العَيْث غير انّه يغلب فيما يُدْرَك حسّا ، ومَنْ انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله باللّه تعالى وقلّة تدبّره فى عجائب صُنْعه فانّه لمّا امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعرَ وينفر عن الخلّ ويجذب الحديدَ لم يمتنع ان يخلق اللّه تعالى حجرا يسخّره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب وتصييره ماء بقوّة التبريد ونحو ذلك (٥٨) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ يريدون به ما رزقوا فى التيه من المنّ والسلوى وبوحدته انّه لا يختلف ولا يتبدّل كقولهم طعامُ مائدة الامير واحد يريدون انّه لا يتغيّر الوانه ولذلك أَجِموا او ضَرْبٌ واحدٌ لانّهما معا طعامُ اهل التلذّذ وهم كانوا فَلّاحةً فنزعوا الى عِكْرهم واشتهوا ما أَلِفوه فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ سَلْه لنا بدعائك ايّاه يُخْرِجْ لَنَا يُظْهِر ويُوجِد وجَزْمُه بانّه جواب فَٱدْعُ فانّ دعوته سبب الاجابة مِمَّا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ من الاسناد المَجازىّ واقامة القابل مقامَ الفاعل ، ومن للتبعيض مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا تفسيرٌ وبيانٌ وقعَ موقعَ الحال وقيل بدلٌ بإعادة الجارّ ، والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمرادُ به أَطايبه الّتى تؤكل ، والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فَوِّموا لنا وقيل الثوم ، وقرئ قُثّائها بالضمّ وهى لغة فيه قَالَ اى اللّه تعالى او موسى أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَى أَقْرَب منزلةً وأَدْوَن قدرا واصلُ الدنوّ القرب فى المكان فاستعير للخسّة كما استعير البعد فى الشرف والرفعة فقيل بعيد الهمّة بعيد المحلّ وقرئ أَدْنَأُ من

الدناءة بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ يريد به المنّ والسلوى فانّه خير فى اللذّة والنفع وعدم الحاجة الى السعى ٱهْبِطُوا جزء ١
مِصْرًا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادىَ اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضمّ ، ركوع ٧
والمصر البلد العظيم واصلُه الحدّ بين الشيئين وقيل اراد به العَلَم وانّما صرفه لسكون وسطه او على
تأويل البلد ويؤيّده انّه غير منوّن فى مصحف ابن مسعود وقيل اصله مِصْرائيم فعُرّب فَإِنَّ لَكُم مَّا
سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ أُحيطت بهم احاطةَ القُبّة بمن ضُربت عليه او أُلصقت بهم
من ضَرْبِ الطينِ على الحائط مجازاةً لهم على كفران النعمة واليهود فى غالب الامر اذلّاء مساكين امّا
على الحقيقة او على التكلّف مخافةَ أن تضاعَف جزيتُهم وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ رجعوا به او صاروا احقّاء
بغضبه من باء فلانٌ بفلان اذا كان حقيقا بأن يقتل به واصل البَوْء المساواة ذَٰلِكَ اشارة الى ما سبق
من ضرب الذلّة والمسكنة والبوء بالغضب بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ
بسبب كفرهم بالمعجزات الّتى من جُمْلتها ما عدّ عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المنّ والسلوى
وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والقران وآية الرجم والّتى فيها نعت محمّد
صلعم من التورية وقتلهم الانبياء فانّهم قتلوا شَعْياء وزكريّاء ويحيى وغيرهم بغير الحقّ عندهم اذ
لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانّما حملهم على ذلك اتّباع الهوى وحبّ الدنيا كما اشار اليه
بقوله ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ اى جرّهم العصيان والتمادى والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات
وقتلِ النبيّين فانّ صِغار الذنوب سبب يؤدّى الى ارتكاب كبارها كما انّ صِغار الطاعات اسباب مؤدّية الى
تحرّى كبارها وقيل كرّر الاشارة للدلالة على انّ ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب
ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدودَ اللّه وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانّما جُوّزت
الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ما ذُكر او تقدّم للاختصار ونظيرُه فى الضمير قول رُؤْبة
يصف بقرة

فيها خُطوطٌ من سوادٍ وبَلَقْ ‌ ‌ ‌ ‌ كأنّه فى الجِلْد توليع البَهَقْ

والّذى حسّن ذلك أنّ تثنية المُضْمَرات والمُبْهَمات وجمعَها وتأنيثَها ليست على الحقيقة ولذلك جاء
الّذى بمعنى الجمع (٥٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بالسنتهم يريد به المتديّنين بدين محمّد صلعم المخلصين منهم
والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم فى سلك الكفرة وَٱلَّذِينَ هَادُوا تهوّدوا يقال هاد وتهوّد اذا دخل فى
اليهوديّة ويهود امّا عربىّ من هاد اذا تاب سمّوا بذلك لمّا تابوا من عبادة العجل وامّا معرّب يَهُوذَا كانّهم
سمّوا باسم اكبر اولاد يعقوب عم وَٱلنَّصَارَىٰ جمع نَصْران كنَدامَى ونَدْمان والياء فى نصرانىّ للمبالغة
كما فى أحمرىّ سمّوا بذلك لانّهم نصروا المسيح او لانّهم كانوا معه فى قرية يقال لها نصران او ناصرة فسمّوا
باسمها او من اسمها وَٱلصَّابِئِينَ قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عم وقيل هم عَبَدة
الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو إن كان عربيّا فمن صَبأَ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء امّا لانّه

جزء ١ خفّف الهمزة او لانّه من صَبَا اذا مال لانّهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحقّ الى الباطل
ركوع ٧ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا من كان منهم فى دينه قبل ان نُسخ مصدّقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل فى الاسلام دخولا صادقا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ٱلّذى وعد لهم على ايمانهم وعملهم وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ حين يخاف الكفّار من العقاب ويحزن المقصّرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومَنْ مبتدأٌ خبرُه فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ والجملة خبرُ إنّ او بدلٌ من اسمِ إنّ وخبرُها فلهم اجرهم والفاء لتضمّن المُسْنَد اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها فى خبرِ إنّ من حيث انّها لا تدخل الشرطيّةَ ورُدّ بقوله تعالى انّ الّذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثمّ لم يتوبوا فلهم عذاب جهنّم (٦٠) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ باتّباع موسى والعمل بالتورية وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ حتّى أُعْطيتم الميثاق روى انّ موسى عم لمّا جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقّة كبُرت عليهم وأبوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور وظلّله فوقهم حتّى قبلوا خُذُوا على ارادة القول مَا آتَيْنَاكُمْ من الكتاب بِقُوَّةٍ بجدّ وعزيمة وَٱذْكُرُوا مَا فِيهِ ادرسوه ولا تنسوه او تفكّروا فيه فانّه ذكرٌ بالقلب او اعملوا به لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ لكى تتّقوا المعاصى او رجاء منكم ان تكونوا متّقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلّق بالقول المحذوف اى قلنا خذوا وانكروا ارادةَ ان تتّقوا (٦١) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ بتوفيقكم للتوبة او بمحمّد صلعم يدعوكم الى الحقّ ويهديكم اليه لَكُنْتُمْ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ المغبونين بالانهماك فى المعاصى او بالخبْط والضلال فى فترة من الرسل ، ولَوْ فى الاصل لامتناع الشىء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثْباتا وهو امتناع الشىء لثبوت غيره والاسمُ الواقع بعده عند سيبويه مبتدأٌ خبرُه واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسدّ الجواب مسدّه وعند الكوفيّين فاعلُ فعلٍ محذوفٍ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ اللام موطّئة للقسم ، والسبت مصدرُ سَبَتَت اليهودُ اذا عظّمت يومَ السبت واصلُه القطع أُمِروا بان يجرّدوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم فى زمن داود عم واشتغلوا بالصيد وذلك انّهم كانوا يسكنون قريةً على ساحل يقال لها أَيْلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الّا حضر هناك واخرج خُرطومه فاذا مضى تفرّقت فحفروا حِياضا وشرّعوا اليها الجداول فكانت الحيتانُ تَدْخلها يومَ السبت فيصطادونها يومَ الاحد فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ جامعين بين صورة القردة والخُسوء وهو الصَغار والطرد وقال مُجاهد ما مُسخت صُوَرهم ولكن قلوبهم فمُثّلوا بالقردة كما مُثّلوا بالحمار فى قوله تعالى كمثل الحمار يَحْمِل أسفارا ، وقوله كونوا ليس بأمر اذ لا قدرة لهم عليه وانّما المراد به سرعة التكوين وأنّهم صاروا كذلك كما اراد بهم ، وقرئ قِرَدَةً بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة (٦٢) فَجَعَلْنَاهَا اى المسخة او العقوبة نَكَالًا عِبرة تنكّل المعتبرَ بها اى تمنعه ومنه النِكْل للقيد لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا اى لما قبلها وما بعدها من الأُمَم اذ ذكرت حالهم فى زُبُر الاوّلين واشتهرت

جزء ١ قصّتهم فى الآخِرين او لمُعاصِريهم ومَنْ بعدهم او لما بحضرتها من القُرَى وما يتباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حوالَيْها او لاجل ما تقدّم عليها من ذنوبهم وما تأخّر عنها وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ من قومهم ركوع ٨

او لكلّ متّقٍ سَمِعَها (٦٣) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً اوّل هذه القصّة قوله تعالى وإذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها وانّما فُكّت عنه وقدّمت عليه لاستقلالها بنوعٍ آخَرَ من مَساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء فى السؤال وتركُ المسارعة الى الامتثال وقصّتُه أنّه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنَه بنو اخيه طمعا فى ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثمّ جاؤا يطالبون بدمه فامرهم اللّه ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبر بقاتله قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا مكانَ هزء او اهلَه او مهزوءا بنا او الهزء نفسَه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفصٌ عن عاصم بالضمّ وقَلْبِ الهمزة واوا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ لانّ الهزء فى مثل ذلك جهْلٌ وسَفَهٌ نفى عن نفسه ما رُمِى به على طريقة البرهان واخرج ذلك فى صورة الاستعاذة استفظاعا له قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ اى ما حالها وصفتها وكان حَقُّه أن يقولوا اىّ بقرة هى او كيف هى لانّ ما يُسْأل به عن الجنس غالبا لكنّهم لمّا رأوا ما امروا به على حالٍ لم يُوجَدْ بها شىء من جنسه أجْرَوه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ لا مُسنّة ولا فَتيّة يقال فَرَضَت البقرة فُرُوضا من الفَرْض وهو القطع كانّها فرضت سِنّها ، وتركيب البكر للاوّليّة ومنه البُكْرة والباكورة عَوَانٌ نَصَفٌ قال

نَواعِمُ بَيْنَ أَبْكارٍ وعُونٍ .

بَيْنَ ذَٰلِكَ اى بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانّه لا يضاف الّا الى متعدّد ، وعَوْدُ هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدلّ على انّ المراد بها معيَّنةٌ ويَلْزمه تأخيرُ البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم انّ المراد بها بقرةٌ من شقّ البقر غيرُ مخصوصة ثمّ انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويَلْزمه النَسْخُ قبل الفعل فانّ التخصيص ابطالٌ للتخيير الثابت بالنصّ والحقّ جوازُهما ويؤيّد الرأى الثانى ظاهرُ اللفظ والمروىّ عنه عم لو ذبحوا اىّ بقرة ارادوا لأجزأتْهم ولكن شدّدوا على انفسهم فشدّد اللّه عليهم وتقريعُهم بالتمادى وزجرُهم عن المراجعة بقوله فَٱفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ اى ما تؤمرونه بمعنى ما تؤمرون به من قوله

أَمَرْتُكَ الخيرَ فٱفْعَلْ ما أُمِرْتَ به

او أمْرَكم بمعنى مأموركم (٦٤) قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا الفقوع نصوع الصُفْرة ولذلك يؤكّد به فيقال أَصْفَرُ فاقعٌ كما يقال أَسْوَدُ حالكٌ وفى اسناده الى اللون وهو صفةُ صفراء لملابسته بها فضلُ تأكيد كانّه قيل صفراء شديدةُ الصفرةِ صفرتُها وعن الحسن سوداء

جزء ١ شديدة السواد وبه فسّر قوله تعالى جمالات صُفْرٌ قال الاعشى
ركوع ٨ تلك خيلى منه وتلك رِكابى   هنّ صُفْرٌ اولادها كالزبيب
ولعلّه عبّر بالصفرة عن السواد لانّها من مقدّماته او لانّ سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظرٌ لانّ الصفرة
بهذا المعنى لا تؤكّد بالفقوع تَسُرُّ ٱلنَّاظِرِينَ اى تُعْجِبهم والسرور اصله لذّة فى القلب عند حصول نفع
او توقّعه من السرّ (٦٥) قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ تكرير للسؤال الاوّل واستكشاف زائد وقوله
إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا اعتذار عنه اى انّ البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثيرٌ فاشتبه علينا وقرئ انّ
ٱلْبَاقِرَ وهو اسم لجماعة البقر وٱلْأَبَاقِرَ وٱلْبَوَاقِرَ ويَتَشَابَهُ وتَتَشَابَهُ بالياء والتاء وتَشَابَهُ ويَشَّابَهُ وتَشَّابَهُ بطرح
التاء وادغامها على التذكير والتأنيث وتَشابهت وتَشَّابَهَتْ مخففا ومشدّدا وتَشَبَّهَ بمعنى تتشبّه وتَشَبَّهَ
بالتذكير ومُتَشَابِهٌ ومُتَشَابِهَةٌ ومُتَشَبِّهٌ ومُتَشَبِّهَةٌ وَإِنَّا إِنْ شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ الى المراد ذبحها او الى القاتل
وفى الحديث لو لم يَسْتثنوا لَمَا بُيّنت لهم آخرَ الابد واحتجّ به اصحابنا على انّ الحوادث بارادة الله
تعالى وانّ الامر قد ينفكّ عن الارادة والّا لم يكن للشرط بَعْد الامر معنى والمعتزلة والكرّامية على حدوث
الارادة وأُجيبَ بانّ التعليق باعتبار التعلّق (٦٦) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى
ٱلْحَرْثَ اى لم تذلّل لكراب الارض وسَقْى الحرث ولا ذَلُولٌ صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة
لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانّه قيل لا ذلولٌ مُثيرةٌ وساقيةٌ وقرئ لا ذَلُولَ بالفتح اى حيث هى كقولك
مررت برَجُلٍ لا بخيلَ ولا جبانَ اى حيث هو وتُسْقِى من أَسْقَى مُسَلَّمَةٌ سلّمها الله تعالى من العيوب
او اهلُها من العمل او أُخْلِصَ لونها مِنْ سَلِمَ له كذا اذا خَلَصَ له لَا شِيَةَ فِيهَا لا لون فيها يخالف
لونَ جلدها وهى فى الاصل مصدرُ وَشَاهُ وَشْيا وشِيَةً اذا خلط بلونه لونا آخر قَالُوا ٱلْآنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ
اى بحقيقة وصف البقرة وحقّقتها لنا، وقرئ آلْآنَ بالمدّ على الاستفهام وٱلَانَ بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام فَذَبَحُوهَا فيه اختصار والتقدير فحصّلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ لتطويلهم
وكثرة مراجعتهم او لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روى انّ شيخا صالحا منهم كان
له عِجْلة فاتى بها الغَيْضة وقال اللّهمّ انّى استودعكها لابنى حتّى يكبر فشبّتْ وكانت وحيدة بتلك
الصفات فساوموها اليتيمَ وأُمّه حتّى اشتروها بملء مَسْكها ذهبا وكانت البقرة اذذاك بثلاثة دنانير،
وكادَ من افعال المقاربة وُضع لدنوّ الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفى قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل
ماضيا والصحيح انّه كسائر الافعال ولا ينافى قوله وما كادوا يفعلون قولَه فذبحوها لاختلاف وقتيهما
اذ المعنى انّهم ما قاربوا ان يفعلوا حتّى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعلّلاتهم ففعلوا كالمضطرّ الملجأ الى
ركوع ٩ الفعل (٦٧) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فَٱدَّارَأْتُمْ فِيهَا اختصمتم فى شأنها اذ
المتخاصمون يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بأن طرح كلّ قتلها عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم

جزء ١ ركوع ٩

فادغمت التاء فى الدال واجتلبت لها همزة الوصل وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ مُظْهِره لا محالة وأُعمل مخرج لانّه حكايةُ مستقبل كما اعمل باسطٌ ذِراعَيْه لانّه حكايةُ حال ماضية (٦٨) فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ عطف على ادّارأتم وما بينهما اعتراضٌ والضميرُ للنفس والتذكيرُ على تأويل الشخص او القتيل بِبَعْضِهَا أىّ بعض كان وقيل بأصغرَيْها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعَجْب كَذَٰلِكَ يُحْيِى ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ يدلّ على ما حُذف وهو فضربوه فحيى والخطابُ مع من حضر حيوةَ القتيل او نزولَ الآية وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ دلائله على كمال قدرته لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ لكى يكمل عقلكم وتعلموا انّ من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلّها او تعملوا على قضيّته ولعلّه تعالى انّما لم يُحْيِه ابتداءً وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرّب واداء الواجب ونفعِ اليتيم والتنبيهِ على بركة التوكّل والشفقة على الاولاد وأنّ مِنْ حقّ الطالب أنْ يقدّم قُرْبةً والمتقرّبَ أنْ يتحرّى الاحسنَ ويغالى بثمنه كما روى عن عمر رضه انّه ضحّى بنجيبة بثلثمائة دينار وأنّ المؤثّر فى الحقيقة هو اللّه تعالى والاسباب أماراتٌ لا أَثَرَ لها وأنّ من اراد ان يعرف اعدى عدوّه الساعى فى اماتته الموتَ الحقيقىَّ فطريقُه ان يذبح بقرةَ نفسه الّتى هى القوّة الشهويّة حين زال عنها شِرّةُ الصبى ولم يلحقها ضعفُ الكِبَر وكانت مُعْجِبة رائقة المنظر غير مذلّلة فى طلب الدنيا مسلّمةً عن دنسها لا سِمَةَ بها من مَقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيا حيوةً طيّبة ويُعْرِب عمّا به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارُء والنزاع (٦٩) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ القساوة عبارة عن الغِلَظ مع الصلابة كما فى الحجر وقساوة القلب مَثَل فى نُبُوّه عن الاعتبـار ، وثُمّ لاستبعاد القسوة مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ يعنى احياء القتيل او جميع ما عدّد من الآيات فانّها ممّا يوجب لين القلب فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ فى قسوتها أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً منها والمعنى انّها فى القسوة مِثْلُ الحجارة او زائدة عليها او انّها مثلها او مثل اشدّ منها قسوة كالحديد فحُذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامَه ويعضده قراءة الحسن بالجرّ عطفا على الحجارة وانّما لم يقل أَقْسَى لما فى اشدّ من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمالِ المفضّل على زيادة ، وأَوْ للتخيير او للترديد بمعنى انّ من عرف حالها شبّهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ تعليل للتفضيل والمعنى انّ الحجارة تتأثّر وتنفعل فانّ منها ما يتشقّق فينبع منه الماء وينفجّر منه الأنهار ومنها ما يتردّى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد اللّه تعالى به وقلوبُ هؤلاء لا تتأثّر ولا تنفعل عن امره ، والتفجّر التفتّح بسعة وكثرة ، والخشية مجاز عن الانقياد ، وقرئَ إنْ على انّها المخفّفة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويَهْبُطُ بالضمّ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وعيد على ذلك ، وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضمّا الى ما بعده والباقون بالتاء (٧٠) أَفَتَطْمَعُونَ الخطاب لرسول اللّه صلعم والمؤمنين أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ان يحدثوا لكم التصديق او يؤمنوا

لاجل دعوتكم يعنى اليهود وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ طائفة من أسلافهم يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ يعنى التورية جزء ١
ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ كنعت محمّد صلعم وآية الرجم او تأويله ويفسّرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين ركوع ٩
المختارين سمعوا كلام الله حين كلّم موسى عم بالطور ثمّ قالوا سمعنا الله يقول فى آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ اى فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وَهُمْ يَعْلَمُونَ انّهم مفترون مبطلون ومعنى الآية انّ أحبار هؤلاء ومقدّميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعكم بسفلتهم وجهّالهم وانّهم إن كفروا وحرّفوا فلهم سابقة فى ذلك (٧١) وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا يعنى منافقيهم قَالُوا آمَنَّا بأنّكم على الحقّ ورسولكم هو المبشّر به فى التورية وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا اى الّذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ بما بيّن لكم فى التورية من نعت محمّد صلعم او الّذين نافقوا لأعقابهم اظهارا للتصلّب فى اليهوديّة ومنعا لهم عن إبداء ما وجدوا فى كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاوّل تقريع وعلى الثانى انكار ونهى لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ليحتجّوا عليكم بما انزل ربّكم فى كتابه جعلوا محاجّتهم بكتاب الله وحكمه محاجّة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انّه جاء فى كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربّكم او بين يدى رسول ربّكم وقيل عند ربّكم فى القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعه أَفَلَا تَعْقِلُونَ امّا تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انّهم يحاجّونكم به فيحجّونكم او خطاب من الله للمؤمنين متّصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وأنّ لا مطمع لكم فى ايمانهم (٧٢) أَوَلَا يَعْلَمُونَ يعنى هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او ايّاهم والمحرّفين أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ومن جملتهما إسرارهم الكفر وإعلانهم الايمان وإخفاء ما فتح الله عليهم وإظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه (٧٣) وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحقّقوا ما فيها او التورية إِلَّا أَمَانِيَّ استثناء منقطع ، والأمانىّ جمع أُمنيّة وهى فى الاصل ما يقدّره الانسان فى نفسه من مَنَى اذا قدّر ولذلك تطلق على الكذب وعلى ما يُتمنّى وما يُقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرّفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم مِن أنّ الجنّة لا يدخلها الّا من كان هودا وانّ النار لن تمسّهم الّا ايّاما معدودة وقيل الّا ما يقرؤون قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبّره من قوله

تمنّى كتابَ اللّه اوّلَ ليلِه   تمنّىَ داودَ الزبورَ على رِسْلِ

وهو لا يناسب وصفهم بانّهم امّيّون وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ما هم الّا قوم يظنّون لا علمَ لهم وقد يُطلَق الظنّ بإزاء العلم على كلّ رأي واعتقاد من غير قاطع وإنْ جزم به صاحبه كاعتقاد المقلّد والزائغ عن الحقّ بشبهة فَوَيْلٌ اى تحسّر وهُلْك ومن قال انّه واد او جبل فى جهنّم فمعناه انّ فيها موضعا يتبوّأ فيه

من جُعل له الويل ونعلّه سمّاه بذلك مجازا وهو فى الاصل مصدرٌ لا فعْلَ له وانّما ساغ الابتداء به نكرةً لانّه دُعاء لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ يعنى المحرّفين ولعلّه اراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة بِأَيْدِيهِمْ تأكيد كقولك كتبته بيمينى ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا يحصّلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانّه وإن جلّ قليلٌ بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ يعنى المحرّف وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ يريد به الرُّشى (٧٤) وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ المسّ ايصال الشىء بالبشرة بحيث تتأثّر الحاسّة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال ألمسُه فلا أجده إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً محصورة قليلة رُوى انّ بعضهم قالوا نعذّب بعدد ايّام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدّةَ الدنيا سبعةَ آلاف سنة وانّما نعذّب مكانَ كلّ الف سنة يوما قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا خبرا او وعدا بما تزعمون ، وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ جوابُ شرطٍ مقدّرٍ اى إن اتّخذتم عند اللّه عهدا فلن يخلف اللّه عهده وفيه دليل على انّ الخُلف فى خبره مُحال أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَمْ معادِلةٌ لهمزة الاستفهام بمعنى أىُّ الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعةٌ بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع (٧٥) بَلَىٰ اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجهٍ اعمّ ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختصّ بجواب النفى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً قبيحة والفرقُ بينها وبين الخطيئة انّها قد تقال فيما يُقْصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يُقصد بالعرض لانّها من الخطأ ، والكَسْب استجلاب النفع وتعليقه بالسيّئة على طريقة فبشّرهم بعذاب اليم وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ اى استولت عليه وشَملت جملةَ احواله حتّى صار كالمُحاط به لا يخلو عنها شىءٌ من جوانبه وهذا انّما يصحّ فى شأن الكافر لانّ غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تُحِطْ الخطيئة به ولذلك فسّرها السَّلَف بالكفر وتحقيقُ ذلك أنّ من اذنب ذنبا ولم يُقْلِع عنه استجرّه الى معاودةِ مثله والانهماكِ فيه وارتكابِ ما هو اكبر منه حتّى يستولى عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصى مستحسنا ايّاها معتقدا انْ لا لذّةَ سواها مُبْغِضا لمن يمنعه عنها مكذّبا لمن ينصحه فيها كما قال اللّه تعالى ثمّ كان عاقبةَ الّذين اساؤا السوأى ان كذّبوا بآيات اللّه ، وقرأ نافع خَطِيـَٔـٰتُهُۥ وقرئ خَطِيَّتُهُ وخَطِيَّاتُهُ على القلب والادغام فيهما فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ملازموها فى الآخرة كما انّهم يلازمون اسبابها فى الدنيا هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجّةَ فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا الّتى قبلها (٧٦) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وَعْدَه بوعيده لتُرْجَى رحمته ويُخْشَى عذابه ، وعطفُ العمل على الايمان يدلّ على خروجه عن مُسمّاه (٧٧) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ اخبار بمعنى النهى كقوله

جزء ١ — ركوع ٩

جزء ١ تعالى ولا يضارّ كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام انّ المنهىّ مسارع الى الانتهاء
ركوع ١٠ فهو مُخْبَر عنه ويعضده قراءة لَا تَعْبُدُوا وعطفُ قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره أَنْ لا يعبدوا فلمّا حُذف أَنْ رُفع كقوله

أَلَا أَيُّهٰذا الزاجرى أَحْضُرُ ٱلْوَغا

ويدلّ عليه قراءة أَنْ لا تَعْبُدُوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجارّ وقيل انّه جوابُ قسمٍ دلّ عليه المعنى كانّه قال وحلّفناهم لا يعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكايةً لما خوطبوا به والباقون بالياء لانّهم غُيَّب وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا متعلّق بمضمرٍ تقديره وتُحْسِنون او أَحْسِنوا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ عطف على الوالدين ، ويَتَامَى جمع يَتِيم كنَدِيم ونَدَامَى وهو قليل ، ومِسْكِين مِفْعِيل من السكون كأنّ الفقر أَسْكَنَهُ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا اى قولا حَسَنا وسمّاه حُسْنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائىّ ويعقوب حَسَنًا بفتحتين وقرئ حُسُنًا بضمّتين وهو لغة اهل الحجاز وحُسْنَى على المصدر كبُشْرَى والمراد به ما فيه تخلّق وارشاد وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتُوا ٱلزَّكَوٰةَ يريد بهما ما فرض عليهم فى ملّتهم ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ على طريقة الالتفات ولعلّ الخطاب مع الموجودين منهم فى عهد رسول اللّه صلعم ومَنْ قبلهم على التغليب اى اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ يريد به من اقام اليهوديّة على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ قومٌ عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصلُ الإعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العُرْض (٧٨) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرّض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانّما جعل قتْل الرجلِ غيرَه قتْل نفسه لاتّصاله به نسبا او دينا او لانّه يوجبه قِصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يُبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يُرْدِيكم ويصرفكم عن الحيوة الابديّة فانّه القتل فى الحقيقة ولا تقترفوا ما تُمْنَعون به عن الجنّة الّتى هى داركم فانّه الجلاء الحقيقىّ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ بالميثاق واعترفتم بلزومه وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ توكيد كقولك اقرّ فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايّها الموجودون تشهدون على اقرار أسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا (٧٩) ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلَآءِ استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذلك الرجل الّذى فعل كذا نزّل تغيّر الصفة منزلةَ تغيّر الذات وعدّهم باعتبارِ ما اسند اليهم حُضورا وباعتبارِ ما سيُحْكى عنهم غُيَّبا وقوله تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ إمّا حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الّذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر ، وقرئ تُقَتِّلُونَ على التكثير تَظَّاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ حال من فاعلِ تخرجون او مفعوله

او كليهما ، والتظاهر التعاون من الظَّهْر وقرأ عاصم والكسائىّ وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ باظهارها وتَظَّهَّرون بمعنى تتظهّرون وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ روى انّ قُرَيْظَة كانوا حُلَفاء الأَوْس والنَّضِير حلفاء الخَزْرَج فاذا اقتتلا عاون كلّ فريق حلفاءه فى القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا أُسِرَ احد من الفريقين جمعوا له حتّى يَفْدوه وقيل معناه ان يأتوكم اسارى فى ايدى الشياطين تتصدّوا لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله تعالى اتأمرون الناس بالبرّ وتنسون انفسكم وقرأ حمزة أَسْرَى وهو جمع أَسِير كجَرِيح وجَرْحَى وأُسَارَى جمعه كسَكْرَى وسُكَارَى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانّه شُبّه بالكَسْلان وجُمِع جَمْعَه ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ متعلّق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض ، والضمير للشأن او مُبْهَم يفسّره اخراجهم او راجع الى ما دلّ عليه تخرجون من المصدر واخراجهم بدل او بيان أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَابِ يعنى الفداء وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ يعنى حرمة المقاتلة والاجلاء فَمَا جَزَآءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا كقتل قريظة وسَبْيِهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم ، واصل الخزى ذلّ يستحيى منه ولذلك يستعمل فى كلّ منهما وَيَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ لانّ عصيانهم اشدّ وَمَا ٱللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ تأكيد للوعيد اى اللّه سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالكم ، وقرأ عاصم فى رواية المفضّل تُرَدّون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم فى رواية ابى بكر وخلف ويعقوب يعملون على انّ الضمير لمن (٨٠) أُولٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلْحَيٰوةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْآخِرَةِ آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ بنقص الجزية فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ بدفعهما عنهم (٨١) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ اى التورية وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِٱلرُّسُلِ اى ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثمّ ارسلنا رسلنا تَتْرَى يقال قفاه اذا تبعه وقفّاه به اذا أَتْبعه ايّاه من القَفَا نحو ذَنَّبَهُ من الذَّنَب وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والإخبار بالمغيَّبات او الانجيل ، وعِيسَى بالعبريّة اِيشُوع ومَرْيَمُ بمعنى الخادم وهو بالعربيّة من النساء كالزِّير من الرجال قال رُؤْبة

قلت لزِيرٍ لم تَصِلْهُ مَرْيَمُهْ

ووزنه مَفْعَل اذ لم يثبت فَعْيَل وَأَيَّدْنَاهُ قوّيناه وقرئ آيَدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ بالروح المقدّسة كقولك حَاتِمُ الجُودِ ورَجُلُ صِدْقٍ واراد به جبريل وقيل روح عيسى عم ووصفها به لطهارته عن مسّ الشيطان او لكرامته على اللّه ولذلك اضافه الى نفسه او لانّه لم تضمّه الاصلاب ولا ارحام الطوامث او الانجيل او اسم اللّه الاعظم الّذى كان يُحْيِى به الموتى وقرأ ابن كثير القُدْس بالإسكان فى جميع القران أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنْفُسُكُمْ بما لا تحبّه يقال هَوِىَ بالكسر هَوًى اذا احبّ وهَوَى بالفتح

جزء ١

ركوع ١٠

ركوع ١١

جزء ١ ركوع ١١ هُوِيًا بالضمّ سقط ، ووُسّطت الهمزة بين الفاء وما تعلّقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدّر ٱسْتَكْبَرْتُمْ عن الايمان واتّباع الرسل فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ كموسى وعيسى عليهما السلام والفاء للسببيّة او التفصيل وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ كزكريّاء ويحيى عليهما السلام وانّما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها فى النفوس فانّ الامر فظيع او مراعاةً للفواصل او للدلالة على انّكم بعدُ فيه فانّكم حَوْل قتل محمّد لولا انّى أعْصِمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة (٨٢) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ مغشّاة بأغْطية خِلْقيّة لا يصل اليها ما جئت به ولا تَفْقهه مستعار من الأَغْلَف الّذى لم يُختَن وقيل اصله غُلُف جمع غِلاف فخُفّف والمعنى انّها أَوْعِية للعلم لا تسمع علما الّا وَعَتْه ولا تَعِى ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بَلْ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ رَدٌّ لما قالوه والمعنى انّها خُلقت على الفطرة والتمكّن من قبول الحقّ ولكنّ اللّه خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انّها لم تَأْبَ قبولَ ما تقوله لخَلَل فيه بل لانّ اللّه خذلهم بكفرهم كما قال تعالى فاصمّهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة فى التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلّة العدم (٨٣) وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ يعنى القران مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصّصه بالوصف ، وجوابُ لمّا محذوف دلّ عليه جوابُ لمّا الثانية وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا اى يستنصرون على المشركين ويقولون اللّهمّ انصرنا بنبىّ آخر الزمان المنعوت فى التورية او يفتحون عليهم ويعرّفونهم انّ نبيّا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسينُ للمبالغة والاشعار بانّ الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَا عَرَفُوا من الحقّ كَفَرُوا بِهِ حسدا وخوفا على الرياسة فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ اى عليهم واتى بالمُظْهَر للدلالة على انّهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوّليّا لانّ الكلام فيهم (٨٤) بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ مَا نكرةٌ بمعنى شىء مميّزةٌ لفاعل بئس المستكنّ وٱشْتَرَوْا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنّهم فانّهم ظنّوا انّهم خلّصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ هو المخصوص بالذمّ بَغْيًا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علّة ان يكفروا دون اشتروا للفصل أَنْ يُنَزِّلَ ٱللَّهُ لأَنْ ينزّل او حسدوه على ان ينزّل اللّه ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب بالتخفيف مِنْ فَضْلِهِ يعنى الوحى عَلَى مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ على من اختاره للرسالة فَبَآءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمّد بعد عيسى عليهما السلام او بعد قولهم عُزير ابن اللّه وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصى فانّه طُهْرة لذنوبه (٨٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ يعمّ الكتب المنزلة باسرها قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا اى بالتورية وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ حال من الضمير فى قالوا ، ووراء

في الاصل مصدر جُعِل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خَلْفَه والى المفعول فيراد به ما جزء ١
يواريه وهو قُدّامَه ولذلك عُدّ من الاضداد وَهُوَ ٱلْحَقُّ الضمير لما وراءه والمراد به القران مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ركوع ١١
حال مؤكّدة تتضمّن ردّ مقالهم فانّهم لمّا كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ
أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادّعاء الايمان بالتورية والتورية لا
تُسوّغه وانّما اسنده اليهم لانّه فِعْل آبائهم وانّهم راضون به عازمون عليه ، وقرأ نافع وَحْدَه أَنْبِئَآءَ
بالهمز في كلّ القران (٨٦) وَلَقَدْ جَآءَكُمْ مُوسَى بِٱلْبَيِّنَاتِ يعنى الآيات التسع المذكورة في قوله تعالى
ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ اى الٰها مِنْ بَعْدِهِ بعد مجىء موسى او ذهابه
الى الطور وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ حالٌ بمعنى اتّخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات اللّه او اعتراضٌ
بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ، ومساقُ الآية ايضا لإبطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على انّ
طريقتهم مع الرسول صلعم طريقة اسلافهم مع موسى عم لا لتكرير القصّة وكذا ما بعدها
(٨٧) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا اى قلنا لهم خذوا ما
أُمِرتم به في التورية بجدّ واسمعوا سماعَ طاعةٍ قَالُوا سَمِعْنَا قولك وَعَصَيْنَا امرك وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ
تداخلهم حبُّه ورسخ في قلوبهم صورتُه لفرط شَغَفهم به كما يتداخل الصِبْغُ الثوبَ والشرابُ اعماقَ
البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى انّما يأكلون في بطونهم نارا بِكُفْرِهِمْ بسبب كفرهم
وذلك لانّهم كانوا مجسّمة او حُلوليّة ولم يروا جسما اعجب منه فتمكّن في قلوبهم ما سوّل لهم السامرىّ
قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ اى بالتورية والمخصوص بالذمّ محذوف نحو هذا الامر او ما يعمّه
وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث إلزاما عليهم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ تقرير للقدح في دعواهم
الايمانَ بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لم يأمركم بهذه القبائح ولا يرخّص لكم فيها ايمانكم
بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئس ما أمركم به ايمانكم بها لانّ المؤمن ينبغى ان لا يتعاطى إلّا ما يقتضيه
ايمانه لكنّ الايمان بها لا يأمر به فاذن لستم بمؤمنين (٨٨) قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِنْدَ ٱللَّهِ خَالِصَةً
خاصّة بكم كما قلتم لن يدخل الجنّة الّا من كان هودا ونَصْبُها على الحال من الدار مِنْ دُونِ ٱلنَّاسِ
سائرهم واللامُ للجنس او المسلمين واللامُ للعهد فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ لانّ من ايقن انّه من
اهل الجنّة اشتاقها واحبّ التخلّص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علىّ رضه لا ابالى سَقَطْتُ
على الموت او سَقَطَ الموتُ علىّ وقال عمّار رضه بصفّين الآن أُلاقى الاحبّةَ محمّدا وحزبَه وقال حذيفة رضه
حين احتضر جاء حبيبٌ على فاقة لا افلح من نَدِمَ اى على التمنّى سيّما اذا علم انّها سالمة له لا
يشاركه فيها غيره (٨٩) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ من موجبات النار كالكفر بمحمّد صلعم

جزء ١ والقران وتحريف التورية ولمّا كانت اليد العاملة مختصّة بالانسان آلة لقدرته بها عامّة صنائعه ومنها
ركوع ١١ اكثر منافعه عبّر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى ، وهذه الجملة إخبار بالغيب وكان كما اخبر لانّهم لو تمنّوا لنُقل واشتهر فانّ التمنّى ليس من عمل القلب ليخفى بل هو أنْ يقول ليت لى كذا ولو كان بالقلب لقالوا تمنّينا وعن النبىّ صلعم لو تمنّوا الموت لغصّ كلّ انسان بريقه فمات مكانه وما بقى على وجه الارض يهودىّ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ تهديد لهم وتنبيه على انّهم ظالمون فى دعوى ما ليس لهم ونفيه عمّن هو لهم (٩٠) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ مِنْ وَجَدَ بعقله الجارى مجرى عَلِمَ ومفعولاه هم واحرص ، وتنكير حيوة لانّه اريد به فردٌ من افرادها وهى الحيوة المتطاولة وقرئ باللام وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا محمول على المعنى فكانّه قال احرص من الناس ومن الّذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فانّ حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الّا الحيوة العاجلة والزيادة فى التوبيخ والتقريع فانّه لمّا زاد حرصهم وهم مقرّون بالجزاء على حرص المنكرين دلّ ذلك على علمهم بانّهم صائرون الى النار ويجوز أنْ يراد واحرص من الّذين اشركوا فحذف لدلالة الاوّل عليه وأنْ يكون خبرَ مبتدأ محذوف صفته يَوَدُّ أَحَدُهُمْ على انّه اريد بالّذين اشركوا اليهود لانّهم قالوا عُزَيْرٌ ابن اللّه اى ومنهم ناس يودّ احدهم وهو على الاوّلين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ حكاية لودادتهم ، ولَوْ بمعنى ليت وكان اصله لو اعمّر فأُجْرى على الغيبة لقوله يودّ كقولك حلف باللّه ليفعلنّ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ الضمير لاحدهم وأنْ يعمّر فاعلُ مزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دلّ عليه يعمّر وأنْ يعمّر بدل منه او مُبْهَم وأنْ يعمّر مُوضِحه ، واصل سنة سَنْوة لقولهم سَنَوَات وقيل سَنْهة كجَبْهة لقولهم سانَهْتُه وتسنّهت النخلة اذا اتت عليها السنون ، والزحزحة التبعيد وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ
ركوع ١٢ فيجازيهم (٩١) قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ نزل فى عبد اللّه بن صوريا سأل رسول اللّه صلعم عمّن ينزل عليه بالوحى فقال جبريل فقال ذاك عدوّنا عادانا مرارا واشدّها انّه انزل على نبيّنا انّ بيت المقدس سيخربه بُخْتُ نَصَّرَ فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع عنه جبريلُ وقال ان كان ربّكم امره بهلاككم فلا يسلّطكم عليه والّا فبِمَ تقتلونه وقيل دخل عمر رضه مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدوّنا يُطْلع محمّدا على اسرارنا وانّه صاحب كلّ خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من اللّه تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوّين ولأنتم اكفر من الحمير ومن كان عدوّ احدهما فهو عدوّ اللّه تعالى ثمّ رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال عم لقد وافقك ربّك يا عمر ، وفى جبريل ثمانى لغات قرئ بهنّ اربع فى المشهور جَبْرَئِيلُ كسَلْسَبِيل قراءة حمزة والكسائىّ وجَبْرِيلُ بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجَبْرَئِلُ كجَحْمَرِش قراءة عاصم برواية ابى بكر وجِبْرِيلُ كقِنْدِيل قراءة الباقين واربع فى الشواذّ جَبْرَائِلُ وجَبْرَائِيلُ وجَبْرَئِلُّ وجَبْرِينُ ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد اللّه فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ البارز الاوّل لجبريل والثانى للقران واضماره غيرَ مذكورٍ يدلّ على فخامة شأنه كانّه لتعيّنه وفرط شهرته لم يحتج

جزء ١ — ركوع ١٢

الى سبق ذكره عَلَى قَلْبِكَ فانّه القابل الاوّل للوحى ومحلّ الفهم والحفظ وكان حقّه على قلبى لكنّه جاء على حكاية كلام الله تعالى كانّه قال قل ما تكلّمتُ به بِإِذْنِ ٱللَّهِ بامره او بتيسيره حال من فاعل نزّل مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ احوال من مفعوله والظاهر أنّ جواب الشرط فانّه نزّله والمعنى مَنْ عادى منهم جبريلَ فقد خلع رِبْقةَ الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته ايّاه لنزوله عليك بالوحى لانّه نزّل كتابا مصدّقا للكتب المتقدّمة فحذف الجواب واقيم علّته مقامه او مَنْ عاداه فالسبب فى عداوته انّه نزّله عليك وقيل محذوف مثل فَلْيَمُتْ غيظا او فهو عدوّ لى وانا عدوّه كما قال (٩٢) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقرّبين من عباده وصدّر الكلام بذكره تفخيما لشأنهم كقوله تعالى والله ورسوله احقّ ان يُرْضوه وافرد الملكين بالذكر لفضلهما كانّهما من جنس آخر والتنبيه على انّ معاداة الواحد والكلّ سواء فى الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وأنّ من عادى احدهم فكانّه عادى الجميع اذ الموجب لمحبّتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولانّ المحاجّة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انّه تعالى عاداهم لكفرهم وأنّ عداوة الملائكة والرسل كفرٌ، وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكائلّ (٩٣) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا ٱلْفَاسِقُونَ اى المتمرّدون من الكفرة والفسق اذا استعمل فى نوع من المعاصى دلّ على اعظمه كانّه متجاوز عن حدّه، نزل فى ابن صوريا قال لرسول الله صلعم ما جئتنا بشىء نعرفه وما أُنزل عليك من آية فنتبعك (٩٤) أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات وكلّما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على انّ التقدير الّا الّذين فسقوا أو كلّما عاهدوا وقرئ عُوهِدوا وعَهِدوا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ نقضه واصل النبذ الطرح لكنّه يغلب فيما يُنْسَى وانّما قال فريق لانّ بعضهم لم ينقض بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ردٌّ لما يتوهّم انّ الفريق هم الاقلّون او أنّ من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء (٩٥) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ كعيسى ومحمّد صلّى الله عليهما وسلّم نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ كِتَابَ ٱللَّهِ يعنى التورية لانّ كفرهم بالرسول المصدّق لها كفرٌ بها فيما يصدّقه ونبذٌ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيّدين بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القران وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ مَثَلٌ لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض عمّا يُرْمَى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ انّه كتاب الله يعنى انّ علمهم به رصينٌ ولكن يتجاهلون عنادا، واعلمْ انّه تعالى دلّ بالآيتين على انّ جبل اليهود اربع فِرَق فرقةٌ آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمنى اهل الكتاب وهم الاقلّون المدلول عليهم بقوله تعالى بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقةٌ جاهروا بنبذ عهودها وتخطّى حدودها تمرّدا وفسوقا وهم المعنيّون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقةٌ

*

جزء ١ لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقةٌ تمسّكوا بها ظاهرا ونبذوها خفيةً
ركوع ١٢ عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون (٩٦) وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُو ٱلشَّيَاطِينُ عطف على نبذ اى نبذوا كتاب الله واتّبعوا كُتُب السحر الّتى تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجنّ او الانس او منهما عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ اى عَهْدِه وتَتْلُو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمعَ ويضمّون الى ما سمعوا اكاذيب ويُلْقونها الى الكَهَنة وهم يدوّنونها ويعلّمون الناس وفشا ذلك فى عهد سليمان حتّى قيل أنّ الجنّ تعلم الغيب وأنّ مُلْكَ سليمان تمّ بهذا العلم وأنّه تسخّر به الجنّ والانس والريح له وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ تكذيب لمن زعم ذلك وعبّر عن السحر بالكفر ليدلّ على أنّه كفر وأنّ من كان نبيّا كان معصوما عنه وَلٰكِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ كَفَرُوا باستعماله ، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائىّ وَلٰكِنِ بالتخفيف ورَفْعِ الشياطين يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمرادُ بالسحر ما يستعان فى تحصيله بالتقرّب الى الشيطان ممّا لا يَستقلّ به الانسانُ وذلك لا يستتبّ الّا لمن يناسبه فى الشرارة وخبث النفس فانّ التناسب شرطٌ فى التضامّ والتعاون وبهذا تَميّز الساحر عن النبىّ والولىّ وأمّا ما يُتعجّب منه كما يفعله اصحاب الحِيَل بمعونة الآلات والأدوية او يُريه صاحبُ خِفّة اليد فغيرُ مذموم وتَسْميته سحرا على التجوّز او لما فيه من الدقّة لانّه فى الاصل لما خَفِىَ سببه وَمَا أُنْزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ عطف على السحر والمرادُ بهما واحد والعطفُ لتغايُر الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلو ، وهما ملكان أُنْزلا لتعليم السحر ابتلاءً من الله تعالى للناس وتمييزا بينه وبين المُعْجِزة وما رُوى انّهما مُثّلا بَشَرَيْن ورُكّب فيهما الشهوة فتعرّضا لامرأة يقال لها زُهَرة فحملتْهما على المعاصى والشرْك ثمّ صعدت الى السماء بما تعلّمت منهما فمحكىٌّ عن اليهود ولعلّه من رموز الاوائل وحَلُّه لا يخفى على ذوى البصائر وقيل رجلان سُمّيا مَلَكين باعتبار صلاحهما ويؤيّده قراءة ٱلْمَلِكَيْنِ بالكسر ، وقيل ما انزل نفىٌ معطوف على ما كفر تكذيب لليهود فى هذه القصّة بِبَابِلَ ظرف او حال من الملكين او الضمير فى انزل والمشهور انّه بلد من سواد الكوفة هَارُوتَ وَمَارُوتَ عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعُجْمة والعَلَميّة ولو كانا من الهَرْت والمَرْت بمعنى الكسر لانصرفا ومَنْ جعل مَا نافية ابدلهما من الشياطين بَدَلَ البعض وما بينهما اعتراضٌ وقرئ بالرفع على هُمَا هاروتُ وماروتُ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فمعناه على الاوّل ما يعلّمان احدا حتّى ينصحاه ويقولا له انّما نحن ابتلاء من الله فمَنْ تعلّم منّا وعمل به كفر ومَنْ تعلّم وتوقّى عملَه ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على انّ تعلّم السحر وما لا يجوز اتّباعه غيرُ محظور وانّما المنع من اتّباعه والعمل به وعلى الثانى ما يعلّمانه حتّى يقولا انما نحن مفتونان فلا تكن مثلنا فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا الضمير لما دلّ عليه مِنْ احد مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ اى من السحر ما يكون سبب تفريقهما وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لانّه وغيره من الاسباب غيرُ مؤثّرة بالذات بل بأمره تعالى وجَعْله ، وقرئ بضارّى على الاضافة الى احد وجَعْلِ الجارّ جزءا

منه والفصلِ بالظرف وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ لانّهم يقصدون به العمل او لانّ العلم يجرّ الى العمل غالبا جزء ١
وَلَا يَنْفَعُهُمْ اذ مجرّد العلم به غير مقصود ولا نافع فى الدارَيْن وفيه أنّ التحرّز عنه أَوْلَى وَلَقَدْ عَلِمُوا ركوع ١٢
اى اليهود لَمَنِ ٱشْتَرَاهُ اى استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله تعالى والاظهر انّ اللام لام الابتداء علّقت علموا عن العمل مَا لَهُ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ نصيب وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ يحتمل المعنيين على ما مرّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ يتفكّرون فيه او يعلمون قُبْحَه على اليقين او حقيقةَ ما يتبعه من العذاب والمُثْبَتُ لهم اوّلا على التأكيد القَسَمىّ العقلُ الغريزىّ او العلمُ الاجمالىُّ بقبح الفعل او ترتّبِ العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فانّ من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم
(٩٧) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بالرسول والكتاب وَٱتَّقَوْا بترك المعاصى كنبذ كتاب الله واتّباع السحر لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ ٱللّٰهِ خَيْرٌ جوابُ لو وأَصْله لَأُثيبوا مثوبةً من الله خيرا ممّا شروا به انفسهم فحذف الفعل وركّب الباقى جملة اسميّة ليدلّ على ثبات المثوبة والجزم بخيريّتها وحذف المفضّل عليه اجلالا للمفضّل من ان ينسب اليه وتنكيرُ المثوبة لانّ المعنى لَشىءٌ من الثواب خير وقيل لَوْ للتمنّى ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لَمَثْوَبَة كمَشْوَرَة وانّما سمّى الجزاء ثوابا ومثوبة لانّ المحسن يثوب اليه لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ انّ ثواب الله خير جهّلهم لترك التدبّر او العمل بالعلم (٩٨) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا ٱنْظُرْنَا ركوع ١٣
الرعى حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله صلعم راعنا اى راقبْنا وتأنَّ بنا فيما تلقّننا حتّى نفهمه وسمعَ اليهودُ فافترصوه وخاطبوه به مُريدين نِسْبَتَه الى الرَّعَن او سَبَّه بالكلمة العبرانيّة الّتى كانوا يتسابّون بها وهى راعينا فنُهِى المؤمنون عنها وامروا بما يُفيد تلك الفائدة ولا يَقْبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ أَنْظِرْنَا من الانظار اى أَمْهلنا لنحفظ وقرئ رَاعُونَا على لفظ الجمع للتوقير ورَاعِنًا بالتنوين اى قولا ذا رَعَنٍ نسبةً الى الرَّعَن وهو الهَوَج لمّا شابهَ قولَهم رَاعِينَا وتسبّبَ للسبّ وَٱسْمَعُوا وأحسنوا الاستماع حتّى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماعَ قبولٍ لا كسماع اليهود او واسمعوا ما أُمرتم به بجدّ حتّى لا تعودوا الى ما نُهيتم عنه وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ يعنى الّذين تهاونوا بالرسول صلعم وسبّوه (٩٩) مَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يُظْهِرون مودّة المؤمنين ويزعمون انّهم يودّون لهم الخير، والودّ محبّة الشىء مع تمنّيه ولذلك يستعمل فى كلّ منهما ، ومِنْ للتبيين كما فى قوله تعالى لم يكن الّذين كفروا من اهل الكتاب أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ مفعول يودّ ، ومِن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء ، وفسّر الخير بالوحى والمعنى انّهم يحسدونكم به وما يحبّون ان ينزّل عليكم شىء منه وبالعلم وبالنصرة ولعلّ المراد به ما يعمّ ذلك وَٱللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ يستنبئه ويعلّمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شىء وليس لاحد عليه حقّ وَٱللّٰهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ اشعار بانّ النبوّة من

جزء ١ ركوع ١٣

الفضل وانّ حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيّته وما عرف فيه من حكمته (١٠٠) مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نزلت لمّا قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمّد يأمر اصحابه بأمر ثمّ ينهاهم عنه ويأمر بخلافه ، والنَسْخ فى اللغة ازالةُ الصورة عن الشىء واثباتها فى غيره كنسخ الظلّ للشمس والنقل ومنه التناسخ ثمّ استعمل لكلّ واحد منهما كقولك نسختِ الريحُ الأثرَ ونسختُ الكتاب ونَسْخ الآية بيان انتهاء التعبّد بقراءتها او الحكمِ المستفاد منها او بهما جميعا ، وانساؤها اذهابها عن القلوب ، ومَا شرطيّة جازمة لننسخ منتصبة به على المفعوليّة ، وقرأ ابن عامر نُنْسِخْ من أَنْسَخَ اى نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو نَنْسَأْهَا اى نؤخّرها من النَسْء وقرئ نُنَسِّها اى نُنَسِّ احدا ايّاها وتَنْسَها اى انت وتُنْسَها على البناء للمفعول ونُنْسِكَها باضمار المفعولين نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا اى بما هو خير للعباد فى النفع والثواب او مثلها فى الثواب ، وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه ، والآية دلّت على جواز النسخ وتأخير الانزال اذ الاصل اختصاصُ اِنْ وما يتضمّنها بالامور المحتملة وذلك لانّ الاحكام شُرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من اللّه تعالى ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كأسباب المعاش فانّ النافع فى عصر قد يضرّ فى غيره واحتجّ بها من منع النسخ بلا بدل او ببدلٍ اثقلَ ونَسْخَ الكتاب بالسُنّة فانّ الناسخ هو المأتىّ به بدلا والسُنّة ليست كذلك والكلّ ضعيف اذ قد يكون عدمُ الحكمِ والاثقلُ اصلحَ والنسخُ قد يُعْرَف بغيره والسُنّة ممّا اتى به اللّه تعالى وليس المراد بالخير والمثلِ ما يكون كذلك فى اللفظ والمعتزلة على حدوث القران فانّ التغيّر والتفاوت من لوازمه وأُجيب بانّهما من عوارض الامور المتعلّق بها المعنى القائم بالذات القديم (١٠١) أَلَمْ تَعْلَمْ الخطاب للنبىّ صلعم والمرادُ هو وامّته لقوله وما لكم وانّما افراده لانّه أَعْلَمُهم ومبدأُ علمهم أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله انّ اللّه على كلّ شىء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ وانّما هو الّذى يملك اموركم ويُجْريها على ما يصلحكم ، والفرق بين الولىّ والنصير انّ الولىّ قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيّا عن المنصور فيكون بينهما عمومٌ من وجه (١٠٢) أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ أَمْ معادلة للهمزة فى الم تعلم اى الم تعلموا انّه مالك الامور قادر على الاشياء كلّها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عم او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به عم وترك الاقتراح عليه ، قيل نزلت فى اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل اللّه عليهم كتابا من السماء وقيل فى المشركين لمّا قالوا لن نؤمن لرُقيّك حتّى تنزل علينا كتابا نقرؤه وَمَنْ يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ومن ترك الثقة بالآيات البيّنات وشكّ فيها واقترح غيرها فقد ضلّ الطريق المستقيم حتّى وقع فى الكفر بعد الايمان ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلّوا وسط

السبيل ويؤدّى بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبدُّل الكفر بالايمان ، وقرئ يُبْدِل من أَبْدَلَ جزء ١
(١٠٣) وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ يعنى أحبارهم لَوْ يَرُدُّونَكُمْ أَنْ يردّوكم فانّ لَوْ تنوب عن أَنْ فى المعنى ركوع ١٣
دون اللفظ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا مرتدّين وهو حال من ضمير المخاطبين حَسَدًا علّة وَدَّ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ
يجوز ان يتعلّق بِوَدَّ اى تمنّوا ذلك من عند انفسهم وتشهّيهم لا من قِبَل التديّن والميل مع
الحقّ او بحسدا اى حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ بالمعجزات
والنعوت المذكورة فى التورية فَٱعْفُوا وَٱصْفَحُوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حَتَّىٰ يَأْتِيَ
ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ ٱلّذى هو الاذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل بنى قُرَيْظة واجلاء بنى النَّضير ، وعن ابن
عبّاس انّه منسوخ بآية السيف وفيه نَظَرٌ اذ الامر غير مطلق إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على
الانتقام منهم (١٠٤) وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتُوا ٱلزَّكَوٰةَ عطف على فاعفوا كانّه امرهم بالصبر والمخالفة
واللجاء الى اللّه تعالى بالعبادة والبرّ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ كصلوة او صدقة وقرئ تُقْدِمُوا من
أَقْدَمَ تَجِدُوهُ عِنْدَ ٱللَّهِ اى ثوابه إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لا يضيع عنده عمل ، وقرئ بالياء فيكون
وعيدا (١٠٥) وَقَالُوا عطف على ودّ والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لَنْ يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ
كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ لفّ بين قولَي الفريقين كما فى قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقةً بفهم
السامع ، وهود جمع هائد كعُوذ وعائذ ، وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ اشارة الى الامانىّ المذكورة وهى أن لا ينزّل على المؤمنين خير من ربّهم وأن يردّوهم كفّارا وأن
لا يدخل الجنّة غيرهم او الى ما فى الآية على حذف المضاف اى أمثال تلك الامنيّة امانيّهم والجملة
اعتراض ، والأُمْنِيَّة أُفْعُولَة من التمنّى كالأُضْحُوكة والأُعْجُوبة قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ على اختصاصكم بدخول
الجنّة إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى دعواكم فانّ كلّ قول لا دليلَ عليه غيرُ ثابت (١٠٦) بَلَىٰ اثبات لما نفوه من
دخولِ غيرهم الجنّةَ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ اخلص له نفسه او قَصْدَه واصله العضو وَهُوَ مُحْسِنٌ فى عمله
فَلَهُ أَجْرُهُ الّذى وُعِد له على عمله عِنْدَ رَبِّهِ ثابتا عند ربّه لا يضيع ولا ينقص ، والجملة جوابُ مَنْ إن
كانت شرطيّة وخبرُها إن كانت موصولة والفاء فيها لتضمّنها معنى الشرط فيكون الردّ بقوله بلى
وحده ويَحْسُن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعلَ فِعْلٍ مقدّر مثل بلى يدخلها من اسلم
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ فى الآخرة (١٠٧) وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَىٰ ركوع ١٤
لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ اى امرٍ يصحّ ويُعْتَدّ به ، نزلت لمّا قدم وفد نَجْران على رسول اللّه صلعم وأتاهم
أحبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ الواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك

جزء ١ ركوع ١٤ وهم من اهل العلم والكتاب كَذَٰلِكَ مثل ذلك قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ كعبدة الاصنام والمعطّلة وبّخهم على المكابرة والتشبّه بالجهّال فان قيل لِمَ وبّخهم وقد صدقوا فانّ كلا الدينَيْن بعد النسخ ليس بشيء قلتُ لم يقصدوا ذلك وانّما قصد به كلّ فريق ابطالَ دين الآخر من اصله والكفرَ بنبيّه وكتابه مع انّ ما لم ينسخ منهما حقٌّ واجب القبول والعمل به فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بين الفريقين يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ بما يَقْسم لكلّ فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذّبهم ويُدخلهم النار (١٠٨) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ عامّ لكلّ من خرّب مسجدا او سعى فى تعطيل مكان مرشّح للصلوة وان نزل فى الروم لمّا غزوا بيت المقدس وخرّبوه وقتلوا اهله او المشركين لمّا منعوا رسول اللّه صلعم ان يدخل المسجد الحرام عامَ الحُدَيْبِيَة أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ ثانى مفعولَى منع وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَا بالهدم او التعطيل أُولَٰٓئِكَ اى المانعون مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَآئِفِينَ ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الّا بخشية وخشوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحقّ ان يدخلوها الّا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم فى علم اللّه تعالى وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلف الائمّة فيه فجوّز ابو حنيفة ومنع مالك وفرّق الشافعىّ بين المسجد الحرام وغيره لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ قتل وسبى او ذلّة بضرب الجزية وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ بكفرهم وظلمهم (١٠٩) وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يريد بهما ناحيتى الارض اى له الارض كلّها لا يختصّ به مكان دون مكان فان مُنعتم ان تصلّوا فى المسجد الحرام او الاقصى فقد جُعلت لكم الارض مسجدا فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا ففى اىّ مكان فعلتم التولية شطرَ القبلة فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ اى جهته الّتى أَمَرَ بها فانّ إمكان التولية لا يختصّ بمسجد او مكانٍ او فثمّ ذاته اى عالم مطّلع بما يُفعَل فيه إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عَلِيمٌ بمصالحهم واعمالهم فى الاماكن كلّها ، وعن ابن عمر رضى اللّه عنهما نزلت فى صلوة المُسافر على الراحلة وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلّوا الى أنحاء مختلفة فلمّا اصبحوا تبيّنوا خطأهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثمّ تبيّن له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيهٌ للمعبود أن يكون فى حيّز وجهة (١١٠) وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا نزلت لمّا قالت اليهود عزير ابن اللّه والنصارى المسيح ابن اللّه ومشركو العرب الملائكة بنات اللّه وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم ، وقرأ ابن عامر بغير واو سُبْحَٰنَهُ تنزيه له عن ذلك فانّه يقتضى التشبّه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى انّ الاجرام الفلكيّة مع إمكانها وفنائها لمّا كانت باقية ما دام العالم لم تتّخذ ما يكون لها كالولد اتّخاذَ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ردّ لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انّه خالق ما فى السموات والارض الّذى من جملته

الملائكة وعزير والمسيح كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ منقادون لا يمتنعون عن مشيئته وتكوينه وما كان بهذه الصفة جزء ١
لم يجانس مكوِّنه الواجبَ لذاته فلا يكون له ولدٌ لانّ مِنْ حقّ الولد ان يجانس والدَه، وانّما جاء ركوع ١٤
بما الّذى لغير أُولِي العلم وقال قانتون على تغليب أُولِي العلم تحقيرا لشأنهم، وتنوين كُلٌّ عوض من المضاف اليه اى كلّ ما فيهما ويجوز ان يراد كلّ من جعلوه إلها له مطيعون مقرّون بالعبوديّة فيكون الزاما بعد اقامة الحجّة، والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه واحتجّ بها الفقهاء على انّ مَنْ مَلَكَ ولدَه عَتَقَ عليه لانّه تعالى نفى الولد باثبات المِلْك وذلك يقتضى تنافيهما (١١١) بَدِيعُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ مُبْدِعهما ونظيره السميع فى قوله

أَمِنْ رَيْحانةَ الداعى السميعُ يؤرّقنى وأصحابى هُجوعُ

او بديعٌ سمواته وارضه من بَدُعَ فهو بديع وهو حجّة رابعة وتقريرها انّ الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادّته عنه واللّه سبحانه مُبْدِع الاشياء كلّها فاعل على الاطلاق منزّه عن الانفعال فلا يكون والدا، والابداع اختراع الشىء لا عن شىء دفعةً وهو أليَق بهذا الموضع من الصنع الّذى هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الّذى يكون بتغيير وفى زمان غالبا وقرئ بَدِيعِ مجرورا على البدل من الضمير فى له وَبَدِيعَ منصوبا على المدح وَإِذَا قَضَى أَمْرًا اى اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشىء قولا كقوله تعالى وقضى ربّك او فعلا كقوله تعالى فقضاهنّ سبع سموات واطلق على تعلّق الارادة الالهيّة بوجود الشىء من حيث انّه يوجبه فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ مِنْ كان التامّة بمعنى أَحْدُثْ فَيَحْدُثُ وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلّقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقّف وفيه تقريرٌ لمعنى الابداع وايماء الى حجّة خامسة وهى انّ اتّخاذ الولد ممّا يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى مستغنٍ عن ذلك، وقرأ ابن عامر فيكونَ بنصب النون، واعلم انّ السبب فى هذه الضلالة انّ ارباب الشرائع المتقدّمة كانوا يطلقون الاب على اللّه تعالى باعتبار انّه السبب الأوّل حتّى قالوا انّ الاب هو الربّ الاصغر واللّه تعالى هو الربّ الاكبر ثمّ ظنّت الجهلة منهم انّ المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كُفّر قائله ومُنع منه مطلقا حَسْمًا لمادّة الفساد (١١٢) وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ اى جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ هلّا يكلّمنا كما يكلّم الملائكة او يوحى الينا بانّك رسوله أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ حجّة على صدقك والأوّل استكبارٌ والثانى جحودٌ لأنّ ما اتاهم آياتٌ استهانةٌ به وعنادا كَذٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من الامم الماضية مِثْلَ قَوْلِهِمْ فقالوا أَرِنا اللّهَ جهرةً هل يستطيع ربّك ان ينزّل علينا مائدة من السماء تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قلوب هؤلاء ومَنْ قبلهم فى العمى والعناد، وقرئ بتشديد الشين قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ اى يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انّهم ما قالوا ذلك لخفاء فى الآيات او لطلب مزيد يقين وانّما قالوه عتوّا وعنادا (١١٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِٱلْحَقِّ ملتبسا مؤيّدا به بَشِيرًا وَنَذِيرًا فلا عليك ان اصرّوا وكابروا وَلَا تُسْـ

جزء ١ أَصْحَابِ ٱلْجَحِيمِ ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلّغتَ ، وقرأ نافع ويعقوب لا تَسْأَلْ على انّه نهى لرسول اللّه
ركوع ١٤ صلعم عن السؤال عن حال ابوَيْه او تعظيم لعقوبة الكفّار كانّها لفظاعتها لا يُقدَر ان يُخبَر عنها او
السامعَ لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال ، والجحيم المتأجّج من النار (١١٤) وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ
ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ مبالغة فى اقناط الرسول عن اسلامهم فانّهم اذا لم يرضوا عنه حتّى
يتّبع ملّتهم فكيف يتّبعون ملّته ولعلّهم قالوا مثل ذلك فحُكى اللّه تعالى عنهم ولذلك قال
قُلْ تعليما للجواب إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَى انّ هدى اللّه الّذى هو الاسلام هو الهدى الى الحقّ لا ما
تدعون اليه وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ آراءهم الزائغة ، والملّة ما شرعه اللّه تعالى لعباده على لسان انبيائه
من امللت الكتاب اذا امليته ، والهوى رأى يتبع الشهوة بَعْدَ ٱلَّذِى جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ اى الوحى او
الدين المعلوم صحّته مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ يدفع عنك عقابه وهو جوابُ لئن (١١٥) ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
ٱلْكِتَابَ يريد به مؤمنى اهل الكتاب يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبّرِ فى معناه
والعمل بمقتضاه وهو حال مقدّرة والخبر ما بعده او خبر على انّ المراد بالموصول مؤمنو اهل الكتاب
أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ بكتابهم دون المحرّفين وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ بالتحريف والكفر بما يصدّقه فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ
ركوع ١٥ حيث اشتروا الكفر بالايمان (١١٦) يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ ٱذْكُرُوا نِعْمَتِىَ ٱلَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى
ٱلْعَالَمِينَ (١١٧) وَٱتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ
لمّا صدّر قصّتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها
كرّر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى النصح وايذانا بانّه فذلكة القضيّة والمقصود من القصّة
(١١٨) وَإِذِ ٱبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ كلّفه بأوامر ونواهٍ والابتلاء فى الاصل التكليف بالامر الشاقّ من البلاء
لكنّه لمّا استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظُنّ ترادفهما ، والضمير لابرٰهيم وحَسُن
لتقدّمه لفظا وإنْ تأخّر رتبةً لانّ الشرط احد التقدّمين ، والكلمات قد تطلق على المعانى فلذلك فسّرت
بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة فى قوله التائبون العابدون وقوله إنّ المسلمين الى آخر الآيتين
وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسّرت بها فى قوله فتلقّى آدم من ربّه كلمات
وبالعشر الّتى هى من سُنَنه وبمناسك الحجّ وبالكوكب والقمرين والختان وذبح الولد والنار والهجرة
على انّه تعالى عامَلَه بها معاملة المختبر بهنّ وبما تضمّنته الآيات الّتى بعدها ، وقرئ إبْرٰهيمُ رَبَّهُ على انّه
دعا ربّه بكلمات مثل أَرِنى كيف تحيى الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يُجيبه وقرأ ابن عامر
إبْرٰهَامَ فَأَتَمَّهُنَّ فأدّاهنّ كملا وقام بهنّ حقّ القيام لقوله تعالى وابرٰهيم الّذى وفّى وفى القراءة الاخيرة
الضمير لربّه اى اعطاه جميع ما دعاه قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا استئناف ان اضمرت ناصبَ اذ كأنّه
قيل فما ذا قال له ربّه حين اتمهنّ فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من

الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وإن نصبته بقالَ فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها ، جزء ١
وجَاعِلُ من جَعَلَ ٱلَّذى له مفعولان ، والامام اسم من يؤتمّ به وامامته عامّة مؤبّدة اذ لم يبعث بعده ركوع ١٥
نبيّ الّا كان من ذرّيته مأمورا باتّباعه قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي عطف على الكاف اى وبعض ذرّيتى كما تقول وزَيْدًا فى جواب سأُكْرِمك ، والذُّرّيّة نَسْل الرجل فُعْلِيّة او فُعُّولة قلبت راؤها الثانية ياء كما فى تقضّيت من الذَّرّ بمعنى التفريق او فُعُولة او فِعّيلة قلبت همزتها من الذرْء بمعنى الخلق وقرئ ذِرّيّتى بالكسر وهى لغة قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ اجابةٌ الى مُلْتَمَسه وتنبيهٌ على انّه قد يكون من ذرّيّته ظلمة وانّهم لا ينالون الامامة لانّها امانة من اللّه وعهد والظالم لا يصلح لها وانّما ينالها البَرَرة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وأنّ الفاسق لا يصلح للامامة ، وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كلّ ما نالك فقد نِلْته (١١٩) وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ اى الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريّا مَثَابَةً لِلنَّاسِ مرجعا يثوب اليه اعيانُ الزُّوّار او امثالهم او موضع ثواب يُثابون بحجّه واعتماره وقرئ مَثَابَات لانّه مثابة كلّ واحد وَأَمْنًا وموضع أَمْنٍ لا يُتعرَّض لاهله كقوله تعالى حَرَمًا آمِنًا ويُتخطّف الناس من حولهم او يأمن حاجّه من عذاب الآخرة من حيث انّ الحجّ يَجُبّ ما قبله او لا يؤاخذ الجانى الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابى حنيفة وَٱتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرٰهِيمَ مُصَلًّى على ارادة القول او عطف على المقدّر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتّخذوا على انّ الخطاب لامّة محمّد صلعم وهو أَمْرُ استحباب ، ومقام ابرٰهيم الحجر الّذى فيه اثر قدمه والموضع الّذى كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحجّ او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روى انّه عم اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرٰهيم فقال عمر افلا نتّخذه مصلّى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتّى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف لما روى جابر انّه عم لمّا فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرٰهيم فصلّى خلفه ركعتين وقرأ واتّخذوا من مقام ابرٰهيم مصلّى وللشافعيّ فى وجوبهما قولان وقيل مقام ابرٰهيم الحرم كلّه وقيل مواقف الحجّ واتّخاذها مصلّى أنْ يُدْعَى فيها ويُتقرّب الى اللّه تعالى ، وقرأ نافع وابن عامر وَٱتَّخَذُوا بلفظ الماضى عطفا على جَعَلْنا اى واتّخذ الناس مقامه الموسوم به يعنى الكعبة قبلةً يصلّون اليها وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ امرناهما أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ بأَنْ طهّرا ويجوز ان تكون مفسّرة لتضمّن العهد معنى القول يريد طهّراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او أَخْلِصاه لِلطَّائِفِينَ حوله وَٱلْعَاكِفِينَ المقيمين عنده او المعتكفين فيه وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ اى المصلّين جمع راكع وساجد (١٢٠) وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هٰذَا يريد به البلد او المكان بَلَدًا آمِنًا ذا أَمْن كقوله تعالى عيشةٍ راضيةٍ او آمنا اهله كقولك ليل نائم وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ابدلَ مَنْ آمن مِنْ أَهْلَه بَدَلَ البعض للتخصيص قَالَ وَمَنْ كَفَرَ عطفٌ على من آمن والمعنى وأَرْزُق من كفر قاس ابرٰهيم الرزق على الامامة

جزء ١ فنبّهه سبحانه وتعالى على انّ الرزق رحمة دنيويّة تعمّ المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدّم فى الدين
ركوع ١٥ او مبتدأ تضمّن معنى الشرط فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا خبره والكفر وإن لم يكن سببا للتمتيع لكنّه سبب لتقليله بأن يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسَّل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ ٱلنَّارِ اى أُلِزّه اليه لزّ المضطرّ لكفره وتضييعه ما متّعته به من النعم ، وقليلا نصب على المصدر او الظرف ، وقرئ بلفظ الامر فيهما على انّه من دعاء ابرٰهيم وفى قال ضميرُه وقرأ ابن عامر فَأُمْتِعُهُ من امتع وقرئ فَنُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُ وإِضْطَرُّهُ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة وأَطَّرُّهُ بادغام الضاد وهو ضعيف لانّ حروف ضمّ شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ المخصوص بالذمّ محذوف وهو العذاب (١٢١) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ حكاية حال ماضية ، والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعلّه مجاز من المقابل للقيام ومنه قعّدك ٱللَّهَ ورفعها البناء عليها فانّه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فانّ كلّ ساف قاعدة ما يوضع فوقه وبرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجّه وفى ابهام القواعد وتبيينها تفخيمٌ لشأنها وَإِسْمٰعِيلُ كان يناوله الحجارة ولكنّه لمّا كان له مدخل فى البناء عُطف عليه وقيل كانا يبنيان فى طَرَفَيْنِ او على التناوب رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا اى يقولان ربّنا وقد قرئ به والجملة حال منهما إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ لدعائنا ٱلْعَلِيمُ بنيّاتنا (١٢٢) رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ مخلصين لك من أسلم وجهه او مستسلمين من أسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة فى الاخلاص والاذعان او الثبات عليه ، وقرئ مُسْلِمِينَ على انّ المراد انفسهما وهاجر او أنّ التثنية من مراتب الجمع وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ اى واجعل بعض ذرّيّتنا وانّما خصّا الذرّيّة بالدعاء لانّهم احقّ بالشفقة ولانّهم اذا صلحوا صلح بهم الأتباع وخصّا بعضهم لما أُعلما انّ فى ذرّيّتهما ظَلَمة وعلما انّ الحكمة الالهيّة لا تقتضى الاتّفاق على الاخلاص والاقبال الكلّىّ على اللّه فانّه ممّا يشوّش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل أرادا بالامّة امّة محمّد صلعم ويجوز ان يكون منْ للتبيين كقوله تعالى وعد اللّه الّذين آمنوا منكم قُدّم على المبيَّن وفصل به بين العاطف والمعطوف كما فى قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهنّ وَأَرِنَا مِنْ رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولَيْن مَنَاسِكَنَا متعبّداتنا فى الحجّ او مذابحنا ، والنُسُك فى الاصل غاية العبادة وشاع فى الحجّ لما فيه من الكُلْفة والبعد عن العادة ، وقرأ ابن كثير والسوسىّ عن ابى عمرو ويعقوب أَرْنَا قياسا على فَخْذ فى فَخِذ وفيه اجحاف لانّ الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليلٌ عليها وقرأ الدورىّ عن ابى عمرو بالاختلاس وَتُبْ عَلَيْنَا استتابة لذرّيّتهما او عمّا فرط منهما سهوًا ولعلّهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذرّيّتهما إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ لمن تاب (١٢٣) رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ فى الأمّة المسلمة رَسُولًا مِّنْهُمْ ولم يبعث من ذرّيّتهما غير

محمد صلعم فهو المجابُ به دعوتهما كما قال عم انا دعوةُ ابى ابرٰهيم وبُشْرى عيسى ورؤيا أُمّى جزء ١
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ يقرأ عليهم ويبلّغهم ما توحى اليه من دلائل التوحيد والنبوّة وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ القران ركوع ١٥
وَٱلْحِكْمَةَ ما يكمل به نفوسهم من المعارف والأحكام وَيُزَكِّيهِمْ عن الشرك والمعاصى إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلّذى
لا يُقهر ولا يُغلب على ما يريد ٱلْحَكِيمُ المُحْكِم له (١٢٤) وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرٰهِيمَ استبعاد وإنكار لأنْ ركوع ١٦
يكون احد يرغب عن ملّته الواضحة الغرّاء اى لا يرغب احد عن ملّته إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ الّا من استمهنها وأذلّها واستخفّ بها قال المبرّد وثعلب سَفِهَ بالكسر متعدّ وبالضمّ لازم ويشهد له ما جاء فى الحديث الكبر أَنْ تَسْفَهَ الحقّ وتَغْمِصَ الناسَ وقيل اصله سَفِهَ نَفْسُه على الرفع فنصب على التمييز نحو غَبِنَ رأيَه وألِمَ رأسَه وقولِ جرير

ونأخذ بَعْدَه بِذِنابِ عيشٍ أَجَبَّ الظَهْرِ ليس له سَنامُ

او سَفِهَ فى نفسه فنصب بنزع الخافض ، والمستثنى فى محلّ الرفع على المختار بدلا من الضمير فى يرغب لانّه فى معنى النفى وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَاهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ حجّة وبيان لذلك فانّ من كان صفوة العباد فى الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يومَ القيمة كان حقيقا بالاتّباع لا يرغب عنه الّا سفيهٌ او متسفّهٌ اذلّ نفسَه بالجهل والاعراض عن النظر (١٢٥) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ظرفٌ لاصطفيناه او تعليل له او منصوب باضمار اذكرْ كانّه قيل اذكرْ ذلك الوقت لتعلم انّه المصطفى الصالح المستحقّ للامامة والتقدّم وأنّه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السرّ حين دعاه ربّه واخطر بباله دلائله المؤدّية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روى انها نزلت لمّا دعا عبدُ اللّه بن سَلام ابنَىْ اخيه سَلَمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمةُ وابى مهاجرٌ (١٢٦) وَوَصَّى بِهَا إِبْرٰهِيمُ بَنِيهِ التوصية هو التقدّم الى الغير بفعلٍ فيه صَلاحٌ وقُرْبة وأَصْلُها الوصل يقال وَصّاه اذا وصله وفَصّاه اذا فصله كانّ الموصّى يصل فعله بفعل الموصَّى ، والضمير فى بها للملّة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة ، وقرأ نافع وابن عامر وَأَوْصَى والاوّل ابلغ وَيَعْقُوبُ عطف على ابرٰهيم اى ووصّى هو ايضا بها بنيه ، وقرئ بالنصب على انّه ممّن وصّاه ابرٰهيم يَا بَنِيَّ على إضمار القول عند البصريّين متعلّق بوصّى عند الكوفيّين لانّه نوع منه ونظيره

رَجُلانِ مِنْ ضَبَّةَ أَخْبَرانا إِنّا رأينا رَجُلا عُرْيانا

بالكسر ، وبنو ابرٰهيم كانوا اربعة اسمٰعيل واسحٰق ومَدْيَن ومَدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنى عشر رُوبيل وشَمْعُون ولاوِى ويهوذا ويَشْسُوخور وزبولون ونَفْتونى ودُون وكُوذا وأُوشير وبَنْيامين ويوسف إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَى لَكُمُ ٱلدِّينَ دين الاسلام الّذى هو صفوة الاديان لقوله تعالى فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ظاهره النهى عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهى عن

جزء ١ ان يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامرُ بالثبات على الاسلام كقولك لا تُصلّ الّا وانت خاشعٌ وتغيير
ركوع ١٦ العبارة للدلالة على انّ موتهم لا على الاسلام موتٌ لا خَيْرَ فيه وأنّ مِن حقّه أنْ لا يَحُلّ بهم ونظيرُه فى الامر مُتْ وانت شهيدٌ ، روى انّ اليهود قالوا لرسول اللّه صلعم الستَ تعلم انّ يعقوب اوصى بنيه باليهوديّة يومَ مات فنزلت (١٢٧) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ اِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ أمْ منقطعةٌ ومعنى الهمزة فيها الانكار اى ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموتُ وقال لبنيه ما قال فلِمَ تدّعون اليهوديّة عليه او متّصلةٌ بمحذوف تقديرُه اكنتم غائبين ام كنتم شاهدين وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانّما علمتموه من الوحى ، وقرئ حَضِرَ بالكسر اِذْ قَالَ لِبَنِيهِ بدل من اذ حضر مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى أىَّ شىء تعبدون اراد به تقريرَهم على التوحيد والاسلام وأَخْذَ ميثاقهم على الثبات عليهما ، وَمَا يُسْأَل به عن كلّ شىء ما لم يُعْرَف فاذا عُرف خُصّ العقلاءُ بِمَنْ اذا سُئل عن تعيّنه وإنْ سُئل عن وصفه قيل مَا زَيْدٌ أفقيهٌ ام طبيبٌ قَالُوا نَعْبُدُ اِلٰهَكَ وَاِلٰهَ آبَآئِكَ اِبْرٰهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ وَاِسْحٰقَ المتّفق على وجوده وأُلوهيّته ووجوب عبادته ، وعدّ اسمعيل من آبائه تغليبا للأبِ والجدّ او لانّه كالأب لقوله عم عمُّ الرجل صِنْوُ ابيه كما قال فى العبّاس رضه هذا بقيّة آبائى ، وقرئ اِلٰهَ أَبِيكَ على انّه جمعٌ بالواو والنون كما قال

ولمّا تَبَيَّنَّ اصواتَنا بَكَيْنَ وفَدَّيننا بالأَبينا

او مفردٌ وابرٰهيم وحده عطف بيان اِلٰهًا وَاحِدًا بدلٌ من اِلٰه آبائك كقوله بالناصية ناصيةٍ كاذبةٍ وفائدته التصريحُ بالتوحيد ونفىُ التوهّم النّاشىء من تكرير المضاف لتعذّر العطف على المجرور والتأكيدُ او نصبٌ على الاختصاص وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ حال من فاعلِ نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا (١٢٨) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ يعنى ابرٰهيم ويعقوب وبنيهما ، والأمّة فى الاصل المقصودُ وسُمّى بها الجماعة لانّ الفِرَقَ تَأُمّها لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ لكلّ اجرُ عمله والمعنى انّ انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانّما تنتفعون بموافقتهم واتّباعهم كما قال عم لا يأتينى الناسُ بأعمالهم تأتونى بأنسابكم وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ولا تؤاخذون بسيّئاتهم كما لا تُثابون بحسناتهم (١٢٩) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى الضمير الغائب لاهل الكتاب ، وأَوْ للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تَهْتَدُوا جواب الامر قُلْ بَلْ مِلَّةَ اِبْرٰهِيمَ اى بل نكون ملّة ابرٰهيم اى اهلَ ملّته او بل نتّبع ملّة ابرٰهيم ، وقرئت بالرفع اى ملّته ملّتنا او عكسه او نحن ملّته بمعنى اهل ملّته حَنِيفًا مائلا عن الباطل الى الحقّ حال من المضاف او المضاف اليه كقوله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غلٍّ اِخْوَانًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانّهم يدّعون اتّباعه وهم مشركون (١٣٠) قُولُوا آمَنَّا بِٱللّٰهِ الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وَمَا أُنْزِلَ اِلَيْنَا القران قدّم ذكره لانّه اوّل بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره وَمَا أُنْزِلَ اِلَى اِبْرٰهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ وَاِسْحٰقَ

وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ الصُحُف وهى وإن نزلت الى ابرٰهيم لكنّهم لمّا كانوا متعبّدين بتفاصيلها داخلين تحت جزء ١
احكامها فهى ايضا منزلة اليهم كما انّ القران منزل الينا ، والأَسْبَاط جمع سِبْط وهو الحافد يريد به ركوع ١٦
حَفَدة يعقوب او ابناءه وذراريّهم فانّهم حَفَدة ابرٰهيم واسحٰق وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ التورية والانجيل
افردهما بالذكر بحُكْمٍ أَبْلَغ لانّ امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما
وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ جملة المذكورين منهم وغير المذكورين مِن رَّبِّهِمْ منزلا عليهم من ربّهم لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
أَحَدٍ مِّنْهُمْ كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض ، وأَحَد لوقوعه فى سياق النفى عامّ فساغ ان يضاف
اليه بَيْنَ وَنَحْنُ لَهُ اى للّه مُسْلِمُونَ مُذعنون مُخلصون (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ ٱهْتَدَوْا
من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى فأتوا بسورة من مِثْله اذ لا مِثْلَ لما آمن به المسلمون ولا
دينَ كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحرّوا الايمان بطريق يهدى الى الحقّ
مثل طريقكم فانّ وَحْدة المقصد لا تأبى تعدُّدَ الطُرُق او مزيدة للتأكيد كقوله تعالى جزاء سيّئة بمثلها
والمعنى فان آمنوا باللّه ايمانا مثل ايمانكم به او المِثْل مُقْحَم كما فى قوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل
على مِثْله اى عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالّذى آمنتم به وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ
اى ان اعرضوا عن الايمان او عمّا تقولون فما هم الّا فى شِقاق الحقّ وهو المناواة والمخالفة فانّ كلّ
واحد من المتخالفين فى شِقّ غير شِقّ الآخر فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ تسلية وتسكين للمؤمنين ووعدٌ لهم
بالحفظ والنصر على من ناواهم وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ امّا من تمام الوعد بمعنى انّه يسمع اقوالكم ويعلم
اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انّه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو
معاقبهم عليه (١٣٧) صِبْغَةَ ٱللَّهِ اى صَبَغنا اللّه صِبْغته وهى فِطْرة اللّه الّتى فطر الناس عليها فانّها حِلْية
الانسان كما انّ الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حُجّته او طهّر قلوبنا بالايمان تطهيرَه
وسمّاه صبغة لانّه ظهر اثره عليهم ظهورَ الصبغ على المصبوغ وتداخل فى قلوبهم تداخُلَ الصبغ الثوبَ
او للمشاكلة فانّ النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمّونه المعموديّة ويقولون هو تطهير
لهم وبه تحقّق نصرانيّتهم ونصبها على انّه مصدر مؤكّد لقوله آمنّا وقيل على الاغراء وقيل على البدل
من ملّة ابرٰهيم وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً لا صبغة احسن من صبغته وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ تعريض بهم
اى لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنّا وذلك يقتضى دخول قوله صبغة اللّه فى مفعول قولوا
ولمن ينصبها على الاغراء او البدل أن يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتّبعوا ملّة ابرٰهيم وقولوا آمنّا بدلَ
اتّبعوا حتّى لا يلزم فكّ النظم وسوء الترتيب (١٣٨) قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا اتجادلوننا فِي ٱللَّهِ فى شأنه واصطفائه
نبيّا من العرب دونكم روى انّ اهل الكتاب قالوا الانبياء كلّهم منّا فلو كنت نبيّا لكنت منّا فنزلت
وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لا اختصاص له بقوم دون قوم يُصيب برحمته من يشاء من عباده وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ
فلا يبعد ان يُكرمنا باعمالنا كانّه الزمهم على كلّ مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فانّ كرامة النبوّة امّا

جزء ۱ تفضّل من اللّه تعالى على من يشاء فالكلّ فيه سواء وامّا افاضة حقّ على المستعدّين لها بالمواظبة على
ركوع ۱۶ الطاعة والتحلّي بالاخلاص فكما انّ لكم اعمالا ربّما يعتبرها اللّه في اعطائها فلنا ايضا اعمال وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ
موحّدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم (۱۳۴) أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ
كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ أمْ منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائيّ وحفص بالتاء
يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجّوننا بمعنى ايّ الأمرين تأتون المحاجّة او ادّعاء اليهوديّة
والنصرانيّة على الانبياء قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللّٰهُ وقد نفى الامرين عن ابرٰهيم بقوله ما كان ابرٰهيم يهوديّا
ولا نصرانيّا واحتجّ عليه بقوله وما انزلت التورٰية والانجيل الّا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه أتباعه
في الدين وفاقا وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ ٱللّٰهِ يعنى شهادة اللّه لابرٰهيم بالحنيفيّة والبراءة عن
اليهوديّة والنصرانيّة والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانّهم كتموا هذه الشهادة او منّا لو كتمنا
هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة اللّه لمحمّد بالنبوّة في كتبهم وغيرها ، ومن للابتداء
كما في قوله تعالى براءة من اللّه وَمَا ٱللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وعيد لهم وقرئ بالياء (۱۳۵) تِلْكَ أُمَّةٌ
قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ تكرير للمبالغة في التحذير
والزجر عمّا استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتّكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي
الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامّة في الأوّل الانبياء وفي الثانى اسلاف اليهود والنصارى
جزء ۲ (۱۳۶) سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَ ٱلنَّاسِ الّذين خفّت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد
ركوع ۱ المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس
واعداد الجواب واظهار المعجزة مَا وَلَّاهُمْ ما صرفهم عَنْ قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا يعنى بيت المقدس ،
والقبلة في الاصل الحالة الّتى عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجّه نحوه للصلوة
قُلْ لِلّٰهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ لا يختصّ به مكان دون مكان بخاصّيّة ذاتيّة تمنع اقامة غيره مقامه وانّما
العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه
المصلحة من التوجّه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى (۱۳۷) وَكَذَٰلِكَ اشارة الى مفهوم الآية المتقدّمة
اى كما جعلناكم مهديّين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا اى
خيارا او عدولا مزكّين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الّذى تستوى اليه المساحة من
الجوانب ثمّ استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل
والشجاعة بين التهوّر والجبن ثمّ اطلق على المتّصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث
كسائر الاسماء الّتى يوصف بها ، واستدلّ به على انّ الاجماع حجّة اذ لو كان فيما اتّفقوا عليه باطل

جزء ٢ لانثلمت به عدالتهم لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا علّةٌ للجعل اى لتعلموا
ركوع ١ بالتأمّل فيما نصب لكم من الحُجَج وانزل عليكم من الكتاب انّه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل
أَوْضَح السبل وارسل الرسل فبلّغوا ونصحوا ولكن الّذين كفروا حملهم الشقاء على اتّباع الشهوات والاعراض
عن الآيات فتشهدون بذلك على مُعاصريكم وعلى الّذين قبلكم وبعدكم روى انّ الأُمم يومَ القيٰمة
يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم اللّه تعالى ببيّنة التبليغ وهو اعلمُ اقامةً للحجّة على المُنْكِرين فيؤتى
بأمّة محمّد صلعم فيشهدون فتقول الأمم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار اللّه فى كتابه
الناطق على لسان نبيّه الصادق فيؤتى بمحمّد صلعم فيُسْأل عن حال أمّته فيشهد بعدالتهم وهذه
الشهادة وان كانت لهم لكن لمّا كان الرسول كالرقيب المهيمن على امّته عُدّى بعَلَى وقدّمت الصلة
للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (١٣٨) وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنْتَ عَلَيْهَا اى الجهة
الّتى كنت عليها وهى الكعبةُ فانّه عم كان يصلّى اليها بمكّة ثمّ لمّا هاجر أُمِر بالصلوة الى الصخرة تألّفا
لليهود او الصخرةُ لقول ابن عبّاس كانت قبلته بمكّة بيت المقدس الّا انّه كان يجعل الكعبة بينه
وبينه فالمخبَر به على الاوّل الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى انّ أَصْلَ امرك أَنْ تستقبل الكعبة
وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ الّا لنمتحن الناس
ونعلم من يتّبعك فى الصلوة اليها ممّن يرتدّ عن دينك الْفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتّبع الرسول
ممّن لا يتّبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الأوّل معناه ما رددناك الى الّتى كنت عليها الّا لنعلم
الثابت على الاسلام ممّن ينكص على عقبَيْه لقلقه وضعف ايمانه فانْ قيل كيف يكون علْمه تعالى غايةَ
الجعل وهو لم يزل عالما قلتُ هذا وأشباهه باعتبار التعلّق الحالىّ الّذى هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلّق
علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنّه اسند الى نفسه لانّهم خواصّه او لنميّز الثابت
من المتزلزل كقوله ليميز اللّه الخبيث من الطيّب فوضع العلم موضع التمييز المسبّب عنه ويشهد له
قراءةُ لِيُعْلَمَ على البناء للمفعول والعلم إمّا بمعنى المعرفة او معلّقٌ لما فى مَنْ من معنى الاستفهام او
مفعوله الثانى ممّن ينقلب اى لنعلم من يتّبع الرسول متميّزا ممّن ينقلب وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِنْ هى
المخفّفة من الثقيلة واللام هى الفاصلة وقال الكوفيّون هى النافية واللام بمعنى الّا ، والضمير لما دلّ عليه
قوله وما جعلنا القبلة الّتى كنت عليها من الجعلة او الردّة او التحويلة او التولية او للقبلة ، وقرئ
لَكَبِيرَةٌ بالرفع فتكون كان زائدة إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ الى حكمة الأحكام الثابتين على الايمان والاتّباع
وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ اى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلاتكم اليها لما
روى انّه عم لمّا وُجّه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول اللّه قبل التحويل من اِخْواننا فنزلت
إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ فلا يُضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ، ولعلّه قدّم الرؤف وهو ابلغ محافظةً
على الفواصل ، وقرأ الحرميّان وابن عامر وحفص لَرَءُوفٌ بالمدّ والباقون بالقصر (١٣٩) قَدْ نَرَى ربّما نرى

جزء ٢ ركوع ١ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ تردّد وجهك فى جهة السماء تطلّعا للوحى وكان رسول اللّه صلعم يقع فى رُوعه ويتوقّع من ربّه ان يحوّله الى الكعبة لانّها قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين وأدْعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدلّ على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً فلنمكّننّك من استقبالها من قولك ولّيته كذا اذا صيّرته واليا له او فلنجعلنّك تلى جهتها تَرْضَاهَا تحبّها وتتشوّق اليها لمقاصد دينيّة وافقتْ مشيئة اللّه وحكمته فَوَلِّ وَجْهَكَ اصرف وجهك شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ نحوه وقيل الشَّطْر فى الاصل لما انفصل عن الشىء مِنْ شَطَرَ اذا انفصل ودارٌ شَطُورٌ اى منفصلة عن الدور ثمّ استعمل لجانبه وإنْ لم ينفصل كالقُطْر ، والحَرام المحرّم اى محرّم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرّضوه ، وانّما ذكر المسجد دون الكعبة لانّه عم كان فى المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فانّ استقبال عينها حَرَجٌ عليه بخلاف القريب روى انّه عم قدم المدينة فصلّى نحو بيت المقدس ستّة عشر شهرا ثمّ وُجّه الى الكعبة فى رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلّى باصحابه فى مسجد بنى سَلِمَة ركعتين من الظُهْر فتحوّل فى الصلوة واستقبل الميزابَ وتبادل الرجالُ والنساء صُفوفَهم فسمّى المسجد مسجد القبلتين وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ خصّ الرسول بالخطاب تعظيما له وإيجابا لرغبته ثمّ عمّم تصريحا بعموم الحكم وتأكيدا لامر القبلة وتحضيضا للأُمّة على المتابعة وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ جُمْلةً لعلمهم بانّ عادة اللّه تعالى تخصيص كلّ شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمّن كتبهم انّه صلعم يصلّى الى القبلتين ، والضمير للتحويل او التوجّه وَمَا ٱللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وعد ووعيد للفريقين ، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائىّ بالياء (١٤٠) وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ برهانٍ وحجّةٍ على انّ الكعبة قبلة ، واللام موطّئة للقسم مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ جوابٌ للقسم المضمر سادٌّ مسدَّ جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تُزيلها بالحجّة وانّما خالفوك مكابرة وعنادا وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ قطعٌ لأطْماعهم فانّهم قالوا لو ثبتّ على قبلتنا لكنّا نرجو ان تكون صاحبنا الّذى ننتظره تغريرا له وطمعا فى رجوعه وقبلتهم وإنْ تعدّدت لكنّها متّحدة بالبطلان ومخالفة الحقّ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ فانّ اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلعَ الشمس لا يُرْجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلّب كلّ حزب فيما هو فيه وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ على سبيل الفرض والتقدير اى ولئن اتّبعتهم مَثَلًا بعد ما بان لك الحقّ وجاءك فيه الوحى إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ واكّد تهديده وبالغ فيه من سبعة أوْجه ١ الاتيان باللام الموطّئة للقسم ٢ القسم المُضمر ٣ حرف التحقيق وهو إنّ ٤ تركيبه من جملة فعليّة وجملة اسميّة ٥ الاتيان باللام فى الخبر ٦ جعله من الظالمين ولم يقل انّك ظالم لانّ فى الاندراج معهم ايهاما بحصول انواع الظلم ٧ التقييد بمجىء العلم تعظيما للحقّ المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء (١٤١) ٱلَّذِينَ

آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يعنى علماءهم يَعْرِفُونَهُ الضمير لرسول الله صلعم وإنْ لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه جزء ٢
وقيل للعلم او القران او التحويل كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ يشهد للاوّل اى يعرفونه بأوصافه كمعرفتهم ابناءهم ركوع ١
لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضه انّه سأل عبد الله بن سلام رضه عن رسول الله صلعم فقال انا
أَعْلَمُ به منى بابنى قال وَلِمَ قال لانّى لست اشكّ فى محمّد انه نبىّ وأمّا ولدى فلعلّ والدته خانت

وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن (١٤٢) ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
كلام مستأنف والحق امّا مبتدأ خبره من ربّك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحقّ
الّذى يكتمونه او للجنس والمعنى انّ الحقّ ما ثبت انّه من الله تعالى كالّذى انت عليه لا ما لم يثبت
كالّذى عليه اهل الكتاب وامّا خبر مبتدأ محذوف اى هو الحقّ ومن ربّك حال او خبر بعد خبر
وقرئ بالنصب على انّه بدل من الاوّل او مفعول يعلمون فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ الشاكّين فى انّه من
ربّك او فى كتمانهم الحقّ عالمين به وليس المراد نهى الرسول عن الشكّ فيه لانّه غير متوقّع منه وليس
بقصد واختيار بل إمّا تحقيق الامر وأنّه بحيث لا يشكّ فيه ناظر او أمْرُ الامّة باكتساب المعارف المزيحة
للشكّ على الوجه الابلغ (١٤٣) وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ ولكلّ امّة قبلة او لكلّ قوم من المسلمين جهة وجانب من ركوع ٢
الكعبة والتنوين بدل الاضافة هُوَ مُوَلِّيهَا احد المفعولين محذوف اى هو موليها وَجْهَه او الله تعالى
موليها ايّاه وقرئ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ بالاضافة والمعنى وكلّ وجهة اللهُ موليها أهْلَها واللام مزيدة للتأكيد
جبْرًا لضعف العامل وقرأ ابن عامر مُوَلَّاهَا اى هو مُوَلّى تلك الجهة قد وُلِّيَها فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَاتِ مِنْ امر
القبلة وغيره ممّا يُنال به سعادة الدارَيْن او الفاضلات من الجهات وهى المسامتة للكعبة أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ
بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فى اىّ موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى
المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقُلَل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من
الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كانّها الى جهة واحدة إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
فيقدر على الإماتة والإحياء والجمع (١٤٤) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ ومن اىّ مكان خرجت للسفر فَوَلِّ وَجْهَكَ
شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ اذا صلّيت وَإِنَّهُ وانّ هذا الامر لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وقرأ
ابو عمرو بالياء والباقون بالتاء (١٤٥) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا
كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ كرّر هذا الحكم لتعدّد علله فانّه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم
الرسول بابتغاء مرضاته وجرْى العادة الالهيّة على ان يولّى كلّ اهل ملّة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها
ويتميّز بها ودفع حُجج المخالفين على ما نبيّنه وقَرَن بكلّ علّة معلولها كما يُقْرَن المدلول بكلّ واحد
من دلائله تقريبا وتقريرا مع انّ القبلة لها شأن والنسخ من مظانّ الفتنة والشبهة فبالحرى أنْ يؤكّد
امرها ويعاد ذكرها مرّة بعد اخرى لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ علّة لقوله فولّوا والمعنى انّ التولية

*

جزء ٢ عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بانّ المنعوت فى التورية قبلته الكعبة وانّ محمّدا يجحد
ركوع ٢ نبيّنا ويتبعنا فى قبلتنا والمشركين بانّه يدّعى ملّة ابرٰهيم ويخالف قبلته إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ استثناء من الناس اى لئلّا يكون لاحد من الناس حجّة الّا المعاندين منهم فانّهم يقولون ما تحوّل الى الكعبة الّا ميلا الى دين قومه وحبّا لبلده او بَدَا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمّى هذه حجّة كقوله تعالى حجّتهم داحضةٌ لانّهم يسوقونها مساقها وقيل الحجّة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجّة رأسا كقوله

ولا عَيْبَ فيهم غير أنّ سُيوفَهم بهنّ فُلولٌ من قِراع الكتائب

للعلم بانّ الظالم لا حجّة له وقرئ أَلَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا على انّه استيناف بحرف التنبيه فَلَا تَخْشَوْهُمْ فلا تخافوهم فانّ مَطاعنهم لا تضرّكم وَٱخْشَوْنِي فلا تخالفوا ما امرتكم به وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ علّة محذوف اى وامرتكم لاتمامى النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم او عطف على علّة مقدّرة مثل واخشونى لأحفظكم عنهم ولأتمّ نعمتى عليكم او لئلّا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنّة وعن علىّ رضه تمام النعمة الموت على الاسلام (١٤٦) كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ متّصل بما قبله اى ولأتمّ نعمتى عليكم فى امر القبلة او فى الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدّمه باعتبار القصد واخّره فى دعوة ابرٰهيم باعتبار الفعل وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحى وكرّر الفعل ليدلّ على انّه جنس آخر (١٤٧) فَٱذْكُرُونِي بالطاعة أَذْكُرْكُمْ بالثواب وَٱشْكُرُوا لِي ما انعمت به عليكم وَلَا تَكْفُرُونِ بجحد النعم وعصيان الامر

ركوع ٣ (١٤٨) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ عن المعاصى وحظوظ النفس وَٱلصَّلٰوةِ الّتى هى امّ العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة ربّ العالمين إِنَّ ٱللّٰهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ بالنصر واجابة الدعوة (١٤٩) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ اى بل هم احياء وَلٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ما حالهم وهو تنبيه على انّ حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحسّ به من الحيوانات وانّما هى امر لا يدرك بالعقل بل بالوحى وعن الحسن انّ الشهداء احياء عند اللّه تُعْرَض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الرَّوْح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غُدُوًّا وعَشِيًّا فيصل اليهم الالم والوجع والآية نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على انّ الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يُحَسّ به من البدن تَبْقَى بعد الموت دَرّاكةً وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من اللّه تعالى ومزيد البهجة والكرامة (١٥٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ولنصيبنّكم اصابة من يختبر احوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْخَوْفِ

جزء ٢ ركوع ٣ وَٱلْجُوعِ اى بقليل من ذلك وانّما قلّله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفّف عليهم ويُريَهم انّ رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به مُعانديهم فى الآخرة وانّما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطّنوا عليه نفوسهم وَنَقْصٍ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَاتِ عطف على شىء او الخوف وعن الشافعىّ رضه الخوف خوف اللّه والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبىّ صلعم اذا مات ولد العبد قال اللّه للملائكة أقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول اللّه ما ذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول اللّه ابنوا لعبدى بيتا فى الجنّة وسمّوه بيت الحمد وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ (١٥١) ٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ الخطاب للرسول او لمن يتأتّى منه البشارة ، والمُصيبة تعمّ ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عم كلّ شىء يؤذى المؤمن فهو له مصيبة ، وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل وبالقلب بأنْ يتصوّر ما خُلق لاجله وانّه راجع الى ربّه ويتذكّر نعم اللّه عليه ليرى انّ ما ابقى عليه أضعاف ما استردّه منه فيهوّن على نفسه ويستسلم له والمبشّر به محذوف دلّ عليه (١٥٢) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ الصلوة فى الاصل الدعاء ومن اللّه التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوّعها ، والمراد بالرحمة اللطف والاحسان ، وعن النبىّ صلعم من استرجع عند المصيبة جبر اللّه مصيبته واحسن عُقْباه وجعل له خَلَفا صالحا يرضاه وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ للحقّ والصواب حيث استرجعوا وسلّموا لقضاء اللّه تعالى (١٥٣) إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ هما عَلَما جبلين بمكّة مِن شَعَائِرِ ٱللَّهِ من أعلام مناسكه جمع شعيرة وهى العلامة فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ الحجّ لغةً القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا كان إسافٌ على الصفا ونائلةُ على المروة وكان اهل الجاهليّة اذا سعوا مسحوهما فلمّا جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرّج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انّه مشروع فى الحجّ والعمرة وانّما الخلاف فى وجوبه فعن احمد انّه سنّة وبه قال انس وابن عبّاس لقوله فلا جناح فانّه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لانّ نفى الجناح يدلّ على الجواز الداخل فى معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابى حنيفة انّه واجب يُجْبَر بالدم وعن مالك والشافعىّ انّه رُكن لقوله عم اسْعَوْا فانّ اللّه كتب عليكم السَّعْىَ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا اى فَعَلَ طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فُرض عليه من حجّ او عمرة او طواف او تطوّع بالسعى إن قلنا انّه سنّة ، وخيرًا نصب على انّه صفة مصدر محذوف او بحذف الجارّ وإيصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمّنه معنى أتى او فَعَل ، وقرأ حمزة والكسائىّ ويعقوب يَطَّوَّعْ واصله يتطوّع فأدغم مثل يطّوّف فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ مُثيب على الطاعة لا تخفى عليه (١٥٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ كأحبار اليهود مَا أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ كالآيات الشاهدة على امر محمّد صلعم وَٱلْهُدَىٰ وما يهدى الى وجوب اتّباعه والايمان به مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ

جزء ٢ لخصناه فِى ٱلْكِتَابِ فى التورية أُولَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ اى الّذين يتأتّى منهم اللعن عليهم

ركوع ٣ من الملائكة والثقلين (١٥٥) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يُتاب عنه وَأَصْلَحُوا ما افسدوا بالتدارك وَبَيَّنُوا ما بيّنه اللّه فى كتابهم لتتمّ توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سِمَة الكفر عن انفسهم ويقتدى بهم أضرابهم فَأُولَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ بالقبول والمغفرة وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ المبالغ فى قبول التوبة وإفاضة الرحمة (١٥٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ اى ومن لم يتب من الكاتمين حتّى مات أُولَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ استقرّ عليهم لعنة اللّه ومن يُعتدّ بلعنه من خلقه وقيل الاوّل لَعْنهم أحياء وهذا لعنهم أمواتا ، وقرئ والملائكةُ والناسُ اجمعون عطفًا على محلّ اسم اللّه لانّه فاعل فى المعنى كقولك اعجبنى ضربُ زيدٍ وعمرٌو او فاعلًا لفعل مقدّر نحو ويلعنهم الملائكة (١٥٧) خَٰلِدِينَ فِيهَا اى فى اللعنة او النار وإضمارُها قبل الذكر تفخيما لشأنها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ لا يُمهَلون او لا يُنتظَرون ليعتذروا او لا يُنظَر اليهم نظرَ رحمة (١٥٨) وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ خطاب عامّ اى المستحقّ منكم العبادةَ واحدٌ لا شريك له يصحّ أن يُعبَد او يسمّى إلها لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ تقرير للوحدانيّة وازاحة لأن يتوهّم انّ فى الوجود إلها ولكن لا يستحقّ منهم العبادة ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ كالحجّة عليها فانّه لمّا كان مولىَ النعم كلّها اصولها وفروعها وما سواه امّا نعمة او مُنْعَم عليه لم يستحقّ العبادة احد غيره وهما خبران آخران لقوله إلٰهكم او لمبتدأ محذوف ، قيل لمّا سمعه المشركون تعجّبوا وقالوا ان كنت صادقا فأتِ بآية نعرف بها صدقك فنزلت

ركوع ٤ (١٥٩) إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ انّما جمع السموات وافرد الارض لأنّها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الأرضين وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ تعاقبهما كقوله تعالى جعل الليل والنهار خِلْفةً وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ اى بنفعهم او بالّذى ينفعهم والقصدُ به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيصُ الفلك بالذكر لانّه سبب الخوض فيه والاطّلاع على عجائبه ولذلك قدّمه على ذكر المطر والسحاب لانّ منشأهما البحر فى غالب الامر وتأنيث الفلك لانّه بمعنى السفينة وقرئ بضمّتين على الاصل او الجمع وضمّة الجمع غير ضمّة الواحد عند المحقّقين وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ من الاولى للابتداء والثانية للبيان ، والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلوّ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا بالنبات وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ عطف على انزل كانّه استدلّ بنزول المطر وتكوين النبات به وبثّ الحيوان فى الارض او على احيا فانّ الدوابّ ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا ، والبثّ النشر والتفريق وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ فى مهابّها واحوالها ، وقرأ حمزة والكسائىّ على الإفراد وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ

لا ينزل ولا ينقشع مع انّ الطبع يقتضى احدهما حتّى يأتى امر اللّه وقيل مسخّرٍ الرياح تقلّبه فى الجوّ جزء ٢
ركوع ٤
بمشيئة اللّه تعالى واشتقاقه من السحب لانّ بعضه يجرّ بعضا لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يتفكّرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه صلعم ويل لمن قرأ هذه الآية فمجّ بها اى لم يتفكّر فيها ، واعلم انّ دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصّلا والكلام المُجْمل انّها امور مُمْكنة وُجِد كلّ منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وأَنْحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرّك السموات او بعضها كالارض وان تتحرّك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارّة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا وعلى هذا الوجه لبساطتها وتَساوِى اجزائها فلا بدّ لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اِلٰه يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع المؤثّرَيْن على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجّح وعجز الآخر المُنافى لالهيّته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الّا اللّه لفسدتا ، وفى الآية تنبيهٌ على شرف علم الكلام واهله وحثٌّ على البحث والنظر فيه (١٦٠) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَنْدَادًا من الاصنام وقيل من الرؤساء الّذين كانوا يُطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرّأ الّذين اتّبعوا من الّذين اتّبعوا ولعلّ المراد اعمّ منهما وهو ما يشغله عن اللّه يُحِبُّونَهُمْ يعظّمونهم ويُطيعونهم كَحُبِّ ٱللَّهِ كتعظيمه والميل الى طاعته اى يسوّون بينه وبينهم فى المحبّة والطاعة ، والمحبّة ميل القلب من الحَبّ استعير لحبّة القلب ثمّ اشتقّ منه الحُبّ لانّه اصابها ورسخ فيها ومحبّة العبد للّه ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبّة اللّه للعبد ارادة إكرامه واستعماله فى الطاعة وصَوْنه عن المعاصى وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ لانّه لا تنقطع محبّتهم للّه بخلاف محبّة الانداد فانّها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يَعْدِلون عن آلهتهم الى اللّه عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثمّ يرفضونه الى غيره

وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ولو يعلم هؤلاء الّذين ظلموا باتّخاذ الانداد إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ اذ عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضى لتحقّقه كقوله تعالى ونادى اصحابُ الجنّة أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا سادّ مسدّ مفعولَىْ يرى وجوابُ لو محذوف اى لو يعلمون انّ القوّة للّه جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشدّ الندم وقيل هو متعلّق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الّذين ظلموا اندادهم لا تَنْفع لعلموا انّ القوّة للّه كلّها لا ينفع ولا يضرّ غيره ، وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب وَلَوْ تَرَى على انّه خطاب للنبىّ اى ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر إِذْ يُرَوْنَ على البناء للمفعول ويعقوب إِنَّ بالكسر وكذا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ على الاستيناف او إضمارِ القول (١٦١) إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا بدل من اذ يرون اى اذ تبرّأ المتبوعون من الأَتْباع ، وقرئ بالعكس اى الأَتْباع من الرؤساء وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ

جزء ٢ اى رائين له فالواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ يحتمل العطف على
ركوع ٤ تبرأ او رأوا والواو للحال والاوّل اظهر ، والأسباب الوُصَل الّتى كانت بينهم من الاتّباع والاتّفاق على
الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الّذى يُرتقى به الشجر ، وقرئ وتُقُطِّعَتْ على
البناء للمفعول (١٦٢) وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا لو للتمنّى ولذلك
أُجيب بالفاء اى ليت لنا كرّة الى الدنيا فنتبرّأ منهم كَذَٰلِكَ مثل ذلك الإرآء الفظيع يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ
حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ندامات وهى ثالث مفاعيل يرى إن كان من رؤية القلب وإلّا فحال وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ
اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة فى الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا
ركوع ٥ (١٦٣) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَالًا نزلت فى قوم حرّموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس ،
وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حالٌ من ما فى الارض، ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كلّ ما فى
الارض طَيِّبًا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دلّ على الاوّل وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ لا
تقتدوا به فى اتّباع الهوى فتحرّموا الحلال وتحلّلوا الحرام ، وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والبزّى وابو بكر
حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان فى جمع خُطْوة وهى ما بين قدمَى الخاطى وقرئ بضمّتين وهمزة
جُعلت ضمّة الطاء كأنّها عليها وبفتحتين على انّه جمع خَطْوة وهى المرّة من الخطو إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ
ظاهر العداوة عند ذوى البصيرة وإن كان يُظهر الموالاة لمن يُغويه ولذلك سمّاه وليّا فى قوله تعالى اولياؤهم
الطاغوت (١٦٤) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ بيان لعداوته ووجوب التحرّز عن متابعته واستعير الامر
لتزيينه وبعثه لهم على الشرّ تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم ، والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه
الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانّه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء لاستقباحه ايّاه وقيل السوء
يعمّ القبائح والفحشاء ما يتجاوز الحدّ فى القبح من الكبائر وقيل الاوّل ما لا حدّ فيه والثانى ما
شُرع فيه الحدّ وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ كاتّخاذ الانداد وتحليل المحرّمات وتحريم الطيّبات
وفيه دليل على المنع من اتّباع الظنّ رأسا وأمّا اتّباع المجتهد لما ادّى اليه ظنٌّ مستندٌ الى مَدْرك شرعىّ
فوجوبه قطعىّ والظنّ فى طريقه كما بيّناه فى الكتب الاصوليّة (١٦٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ
الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كانّه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء
الحمقى ما ذا يجيبون قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَا ما وجدناهم عليه نزلت فى المشركين أُمروا
باتّباع القران وسائر ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل فى طائفة من اليهود دعاهم
رسول الله صلعم الى الاسلام فقالوا بل نتّبع ما الفينا عليه آباءنا لانّهم كانوا خيرا منّا وأعلم وعلى هذا
فيعمّ ما انزل الله التورية لانّها ايضا تدعو الى الاسلام أَوَلَوْ كَانَ آبَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ الواو
للحال او العطف والهمزة للردّ والتعجيب وجواب لو محذوف اى لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكّرون فى
امر الدين ولا يهتدون الى الحقّ لاتّبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد

جزء ٢ ركوع ٥

واما اتّباع الغير فى الدين اذا عُلم بدليل ما انّه مُحقّ كالانبياء والمجتهدين فى الاحكام فهو فى الحقيقة ليس بتقليد بل اتّباع لما انزل اللّه (١٦٦) وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً على حذف مضاف تقديره ومثل داعى الّذين كفروا كمثل الّذى ينعق او مثل الّذين كفروا كمثل بهائم الّذى ينعق والمعنى انّ الكفرة لانهماكهم فى التقليد لا يُلقون أذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأمّلون فيما يقرّر معهم فهم فى ذلك كالبهائم الّتى يُنْعَق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مَغْزاه وتحسّ بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم فى اتّباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم الّتى تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم فى دعائهم الاصنام بالناعق فى نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يُغْنى عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الّا دعاء ونداء لانّ الاصنام لا تسمع الّا ان يُجْعَل ذلك من باب التمثيل المركّب صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ رفع على الذمّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ اى بالفعل للاخلال بالنظر

(١٦٧) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ لمّا وسّع الامر على الناس كافّةً وأباح لهم ما فى الارض سوى ما حرّم عليهم أمَرَ المؤمنين منهم ان يتحرّوا طيّبات ما رُزقوا ويقوموا بحقوقها فقال وَٱشْكُرُوا لِلَّهِ على ما رزقكم واحلّ لكم إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ان صحّ انّكم تخصّونه بالعبادة وتقرّون انّه مولى النعم فانّ عبادته لا تتمّ الّا بالشكر فالمعلّق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبىّ صلعم يقول اللّه تعالى انّى والانس والجنّ فى نبأ عظيم أخْلُقُ ويُعْبَد غيرى وأرْزُقُ ويُشْكَر غيرى

(١٦٨) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ أكلها او الانتفاع بها وهى الّتى ماتت من غير ذكاة والحديث أَلْحَقَ بها ما أُبين من حىّ والسمك والجراد اخرجهما العُرْف عنها او استثناء الشرع والحُرْمة المضافة الى العين تفيد عُرْفًا حرمة التصرّف فيها مطلقا الّا ما خصّه الدليل كالتصرّف فى المدبوغ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنْزِيرِ انّما خصّ اللحم بالذكر لانّه مُعْظَمُ ما يؤكل من الحيوان وسائرُ اجزائه كالتابع له وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ ٱللَّهِ اى رُفِع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال يقال أَهَلَّ الهلالُ وأَهْلَلْتُ لكن لمّا جرت العادة بأن يُرْفَع الصوت بالتكبير اذا رُئى سمّى ذلك اهلالا ثمّ قيل لرفع الصوت وإن كان لغيره فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ بالاستيثار على مضطرّ آخر، وقرأ عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون وَلَا عَادٍ سَدَّ الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالى ولا عادٍ بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعىّ وقول احمد فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فى تناوله إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ لما فعل رَحِيمٌ بالرخصة فيه فانْ قيل انّما تفيد قَصْرَ الحُكْم على ما ذُكر وكم من حرام لم يُذْكَر قلتُ المراد قَصْرُ الحرمة على ما ذُكر ممّا استحلّوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانّه قيل انّما حرّم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطرّوا اليها (١٦٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا عوضا حقيرا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ امّا فى الحال لانّهم آكلوا ما يتلبّس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانّه أكَلَ النار كقوله

جزء ٢ اكلت دما إن لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

ركوع ٥ يعنى الدية او فى المآل اى لا يأكلون يوم القيمة الّا النار ، ومعنى فى بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فى بطنه واكل فى بعض بطنه كقوله

كلوا فى بعض بطنكم تعفوا

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حالَ مُقابليهم فى الكرامة والزلفى وَلَا يُزَكِّيهِمْ ولا يثنى عليهم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مؤلم (١٧٠) أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَالَةَ بِٱلْهُدَىٰ فى الدنيا وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فى الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ تعجّب من حالهم فى الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة ، وما تامّة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شرٌّ أهرّ ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف (١٧١) ذٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ اى ذلك العذاب بسبب انّ اللّه نزّل الكتاب بالحقّ فرفضوه بالتكذيب والكتمان

وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِى ٱلْكِتَابِ اللام فيه امّا للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب اللّه وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة امّا الى التورية واختلفوا بمعنى تخلّفوا عن المنهج المستقيم فى تأويلها او خلّفوا خلاف ما انزل اللّه مكانه اى حرّفوا ما فيها وامّا الى القران واختلافهم فيه قولهم سحرٌ وتقوّل وكلام

ركوع ٦ علّمه بشر واساطير الاوّلين لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ لفى خلاف بعيد عن الحقّ (١٧٢) لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ البرّ كلّ فعل مرضىّ والخطاب لاهل الكتاب فانّهم اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حوّلت وادّعى كلّ طائفة انّ البرّ هو التوجّه الى قبلته فردّ اللّه عليهم وقال ليس البرّ ما انتم عليه فانّه منسوخ ولكنّ البرّ ما بيّنته واتّبعه المؤمنون وقيل عامّ لهم وللمسلمين اى ليس البرّ مقصورا بامر القبلة او ليس البرّ العظيم الّذى يحسن أن تذهلوا بشأنه عن غيره أمرَها ، وقرأ حمزة وحفص البرّ بالنصب وَلٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلْكِتَابِ وَٱلنَّبِيِّينَ اى ولكنّ البرّ الّذى ينبغى أن يهتمّ به برُّ من آمن او ولكنّ ذا البرّ من آمن ويؤيّده قراءة من قرأ ولكنّ البارّ والاوّل اوفق واحسن ، والمراد بالكتاب الجنس او القران ، وقرأ نافع وابن عامر وَلٰكِنِ بالتخفيف ورفع البرّ وَآتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ اى على حبّ المال كما قال عم لمّا سئل اىّ الصدقة افضل قال أن تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر وقيل الضمير للّه او للمصدر والجارّ والمجرور فى موضع الحال ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ يريد المحاويج منهم ولم يقيّد لعدم الالباس وقدّم ذوى القربى لانّ ايتاءهم احقّ كما قال عم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذى رحمك اثنتان صدقة وصلة وَٱلْمَسَاكِينَ جمع المسكين وهو الّذى اسكنه الخلّة وأصله الدائم السكون كالمسكير للدائم السكر وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ المسافر سمّى به

جزء ٢ لملازمته السبيلَ كما سمّى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لانّ السبيل يرعف به وَٱلسَّائِلِينَ الّذين ركوع ٩ الجأهم الحاجة الى السؤال وقال عم للسائل حقٌّ وإن جاء على فرسه وَفِي ٱلرِّقَابِ وفى تخليصها بمعاونة المكاتبين او فكّ الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ المفروضة وَآتَى ٱلزَّكَوٰةَ يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاوّل بيان مصارفها ومن الثانى ادائها والحثّ عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاوّل نوافل الصدقات او حقوقا كانت فى المال سوى الزكوة وفى الحديث نسخت الزكوة كلّ صدقة وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا عطف على من آمن وَٱلصَّابِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ نصب على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهرى البأساء فى الاموال كالفقر والضرّاء فى الانفس كالمرض وَحِينَ ٱلْبَأْسِ وقت مجاهدة العدوّ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا فى الدين واتّباع الحقّ وطلب البرّ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ عن الكفر وسائر الرذائل ، والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانيّة بأسرها دالّة عليها صريحا او ضمنا فانّها بكثرتها وتشعّبها منحصرة فى ثلاثة اشياء صحّة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاوّل بقوله من آمن الى والنبيّين والى الثانى بقوله وآتى المال الى وفى الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحقّ واليه اشار بقوله عم من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان (١٧٣) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنْثَىٰ بِٱلْأُنْثَىٰ كان فى الجاهليّة بين حيّين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طَوْلٌ على الآخر فأقسموا لنقتلنّ الحرّ منكم بالعبد والذكرَ بالانثى فلمّا جاء الاسلام تحاكموا الى رسول اللّه صلعم فنزلت فامرهم ان يتباوأوا ولا تدلّ على ان لا يقتل الحرّ بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدلّ على عكسه فانّ المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بيّنّا ما كان الغرض وانّما منع مالك والشافعىّ رضى اللّه عنهما قتل الحرّ بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روى عن علىّ رضه انّ رجلا قتل عبده فجلده رسول اللّه صلعم ونفاه سنة ولم يُقِدْه به وروى عنه انّه قال من السنّة ان لا يُقْتَل مسلم بذى عهد ولا حرّ بعبد ولانّ ابا بكر وعمر رضى اللّه عنهما كانا لا يقتلان الحرّ بالعبد بين أَظْهُر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلّم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله تعالى النفس بالنفس لانّه حكاية ما فى التورية فلا يَنْسَخُ ما فى القرآن واحتجّت الحنفيّة به على انّ مقتضى العَمْد القَوَدُ وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يَصْدُق عليه انّه وجب وكُتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه ، وقرئ كَتَبَ على البناء للفاعل وَٱلْقِصَاصَ بالنصب وكذلك كلّ فعل جاء فى القران فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ اى شىء من العفو لانّ عفا لازم وفائدته الاشعار بانّ بعض العفو كالعفو التامّ فى اسقاط القصاص وقيل عُفِىَ بمعنى تُرِكَ وشىءٌ مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشىءَ بمعنى تركه بل أعفاه وعفا يعدّى بعَنْ الى الجانى والى الذنب قال اللّه تعالى عفا اللّه عنك وقال عفا اللّه عمّا سلف فاذا عُدّى به الى الذنب عدّى الى الجانى باللام وعليه ما فى الآية كانّه قيل فمن

جزء ٢ عفى له عن جنايته من جهة اخيه يعنى وَلِىّ الدم وذكره بلفظ الاخوّة الثابتة بينهما من الجنسيّة ركوع ٦ والاسلام ليرِقّ له ويَعْطف عليه فَاتِّبَاعٌ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ اى فليكن اتّباع او فالامر اتّباع والمراد به وصيّة العافى بأن يطالب الدية بالمعروف فلا يعنّف والمعفوّ عنه بأن يؤدّيها باحسان وهو ان لا يَمْطُل ولا يَبْخَس وفيه دليل على انّ الدية احدُ مقتضَى العَمْد والّا لما رتّب الامر بأدائها على مطلق العفو وللشافعىّ فى المسئلة قولان (١٧٤) ذَٰلِكَ اى الحكم المذكور فى العفو والدية تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ لما فيه من التسهيل والنفع قيل كُتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيّرت هذه الأمّة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ اى قَتَلَ بعد العفو وأَخْذِ الدية فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ فى الآخرة وقيل فى الدنيا بأن يُقْتَل لا محالة لقوله عم لا أُعافى احدا قَتَلَ بعد اخذ الدية (١٧٥) وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ كلام فى غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشىء محلّ ضدّه وعرّف القصاص ونكّر الحيوة ليدلّ على انّ فى هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لانّ العلم به يَرْدَع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسَيْن ولانّهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعةَ بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتُصّ من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحياتهم وعلى الاوّل فيه إضمار وعلى الثانى تخصيص وقيل المراد بالحيوة الاخرويّة فانّ القاتل اذا اقتُصّ منه فى الدنيا لم يؤاخَذ به فى الآخرة ، ولكم فى القصاص يحتمل أن يكونا خبرين لحيوة وأن يكون احدهما خبرا والآخر صلةً له او حالا عن الضمير المستكنّ فيه ، وقرئ فِى ٱلْقَصَصِ اى فيما قُصّ عليكم من حكم القتل حيوةٌ او فى القران حيوةٌ للقلوب يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ذوى العقول الكاملة ناداهم للتأمّل فى حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ فى المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفّوا عن القتل (١٧٦) كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ اى حضر أسبابُه وظهر أماراته إِن تَرَكَ خَيْرًا مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن علىّ رضه انّ مولى له اراد ان يوصى وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال اللّه تعالى ان ترك خيرا والخيرُ هو المال الكثير وعن عائشة رضى اللّه عنها انّ رجلا اراد ان يوصى فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انّما قال اللّه تعالى ان ترك خيرا وانّ هذا لَشىء يسير فاتركه لعيالك ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ مرفوعٌ بكُتِبَ وتذكيرُ فعلها للفصل او على تأويل أَنْ يوصى او الايصاء ولذلك ذكّر الراجع فى قوله فمن بدّله والعامل فى اذا مدلولُ كتب لا الوصيّة لتقدّمه عليها وقيل مبتدأٌ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله

من يفعلِ الحسناتِ اللّهُ يشكرُها والشرُّ بالشرّ عند اللّه مِثْلانِ

ورُدّ بانّه ان صحّ فمن ضرورات الشعر ، وكان هذا الحكم فى بدء الاسلام فنُسخ بآية المواريث وبقوله

عم إنّ الله اعطى كلّ ذى حقّ حقّه ألا لا وصيّةَ لوارث وفيه نظرٌ لانّ آية المواريث لا تعارضه بل تؤكّده جزء ٢
من حيث انّها تدلّ على تقديم الوصيّة مطلقا والحديث من الآحاد وتلقّى الامّة له بالقبول لا يُلحقه ركوع ٦
بالمتواتر ولعلّه احترز عنه من فسّر الوصيّة بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم
الله او بايصاء المحتضَر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم بِٱلْمَعْرُوفِ بالعدل فلا يفضّل الغنىّ ولا يتجاوز
الثُلث حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ مصدر مؤكّد اى حقّ ذلك حقّا (١٧٧) فَمَنْ بَدَّلَهُ غيّره من الاوصياء والشهود
بَعْدَ مَا سَمِعَهُ وصل اليه وتحقّق عنده فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ فما اثم الايصاء المغيَّر او التبديل
الّا على مبدّليه لانّهم الّذين حافوا وخالفوا الشرع إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وعيد للمبدّل بغير حقّ
(١٧٨) فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ اى توقّع وعلم من قولهم اخاف أن ترسل السماء ، وقرأ حمزة والكسائىّ
ويعقوب وابو بكر مُوَصٍّ جَنَفًا ميلا بالخطأ فى الوصيّة أَوْ إِثْمًا تعمّدا للحيف فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ بين الموصَى
لهم باجرائهم على نهج الشرع فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فى هذا التبديل لانّه تبديل باطلٍ الى حقّ بخلاف الاوّل
إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وعد للمُصْلِح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم
(١٧٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ يعنى الانبياء والامم من ركوع ٧
لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب فى الفعل وتطييب على النفس ، والصوم فى اللغة الامساك عمّا
تنازع اليه النفس وفى الشرع الامساك عن المفطّرات فانّها معظم ما تشتهيه الانفس لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
المعاصىَ فانّ الصوم يكسر الشهوة الّتى هى مبدأها كما قال عم فعليه بالصوم فانّ الصوم له وِجاءٌ او
الاخلالَ بأدائه لأصالته وقدمه (١٨٠) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ موقّتات بعدد معلوم او قلائل فانّ القليل من المال
يُعَدّ عدّا والكثير يُهال هَيْلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمارِ صوموا لدلالة
الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونُسخ به وهو عاشوراء وثلاثة ايّام من
كلّ شهر او بكما كُتبَ على الظرفيّة او على انّه مفعول ثانٍ لكتب عليكم على السعة وقيل معناه
صومكم كصومهم فى عدد الايّام لما روى انّ رمضان كتب على النصارى فوقع فى برد او حرّ شديد فحوّلوه
الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفّارةً لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتانٍ اصابهم فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا
مرضا يضرّه الصوم او يعسُر معه أَوْ عَلَى سَفَرٍ او راكبَ سفر وفيه ايماء بانّ من سافر فى أثناء اليوم لم يفطر
فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ فعليه صوم عدد ايّام المرض او السفر من ايّام اخر إن افطر فحذف الشرط والمضاف
والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اى فليصم عدّةً وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب
واليه ذهب الظاهريّة وبه قال ابو هريرة وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ وعلى المطيقين للصيام إن افطروا فِدْيَةٌ طَعَامُ
مِسْكِينٍ نصف صاع من بُرّ او صاعٌ من غيره عند فقهاء العراق ومُدّ عند فقهاء الحجاز رخّص لهم فى
ذلك اوّلَ الامر لمّا امروا بالصوم فاشتدّ عليهم لانّهم لم يتعوّدوه ثمّ نسخ ، وقرأ نافع وابن عامر برواية

جزء ٢ ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المَسَاكِين وقرأ ابن عامر برواية هشام مَسَاكِينَ بغير
ركوع ٧ اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد المسكين وقرئ يُطَوَّقُونَهُ اى يكلّفونه او يقلّدونه من الطَّوْق بمعنى الطاقة او القلادة ويَتَطَوَّقُونَهُ اى يتكلّفونه او يتقلّدونه ويَطَّوَّقُونَهُ بالادغام ويُطَيَّقُونَهُ ويَطَّيَّقُونَهُ على انّ اصلهما يُطَيْوَقُونه ويَتَطَيْوَقُونه من فيعل وتفيعل بمعنى يطوّقونه ويتطوّقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يُتْعِبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز فى الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد أُوِّل به القراءة المشهورة اى يَصُومونه جُهْدَهم وطاقتهم فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فزاد فى الفدية فَهُوَ فالتطوّع او الخير خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا ايّها المطيقون او المطوَّقون وجهدتم طاقتكم او المرخَّصون فى الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خَيْرٌ لَكُمْ من الفدية او تطوّع الخير او منهما ومن التأخير للقضاء إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ما فى الصوم من الفضيلة وبراءة الذمّة وجوابه محذوف دلّ عليه ما قبله اى اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبّر علمتم انّ الصوم خير لكم من ذلك

(١٨١) شَهْرُ رَمَضَانَ مبتدأ خبرُه ما بعده او خبرُ مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدلٌ من الصيام على حذف المضاف اى كتب عليكم الصيامُ صيامُ شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمارِ صوموا او على انّه مفعول وَأَنْ تَصُومُوا وفيه ضعفٌ او بدلٌ من ايّاما معدودات ، والشَّهْر من الشُّهْرة ، ورَمَضَانُ مصدرُ رَمِضَ اذا احترق فأُضيف اليه الشهر وجُعل عَلَمًا ومُنع من الصرف للعَلَميّة والالفِ والنونِ كما منع دأية فى ابن دأية عَلَمًا للغراب للعلميّة والتأنيث وقوله عم من صام رمضان فعلى حذف المضاف لأَمْن الالتباس وانّما سمّوه بذلك إمّا لارتماضهم فيه من حرّ الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايّام رَمَض الحرّ حيثما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة ٱلَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ اى ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلةَ القدر او أُنزل فيه جملةً الى السماء الدنيا ثم نُزِّل منجّمًا الى الارض او أُنزل فى شأنه القران وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبىّ صلعم نزلت صُحُف ابرٰهيم اوّلَ ليلة من رمضان وانزلت التورية لستٍّ مضين والانجيل لثلاث عشرة والقران لاربع وعشرين ، والموصول بصلته خبرُ المبتدأ او صفتُه والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمّن معنى الشرط ، وفيه إشعار بانّ الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ ٱلْهُدَى وَٱلْفُرْقَانِ حالان من القران اى انزل وهو هدايةٌ للناس باعجازه وآياتٌ واضحاتٌ ممّا يهدى الى الحقّ ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحِكَم والأحكام فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ فمن حضر فى الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وُضع المُظْهَر موضع المُضْمَر الاوّل للتعظيم ونُصب على الظرف وحُذف الجارّ ونُصب الضمير الثانى على الاتّساع وقيل فمن شهد منكم هلالَ الشهر فليصمه على انّه مفعول به كقولك شهدت الجمعةَ اى صلاتَها فيكون وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ مخصّصا له لانّ المسافر والمريض ممّن شهد الشهر ولعلّ تكريره لذلك او لئلّا يُتوهّم نسخه كما نُسخ قرينه يُرِيدُ ٱللّٰهُ بِكُمُ

جزء ٢ ركوع ٧

ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ اى يريد ان ييسّر عليكم ولا يعسّر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض وَلِتُكْمِلُوا ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا ٱللّٰهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ عللٌ لفعلٍ محذوف دلّ عليه ما سبق اى وشرع جملةَ ما ذُكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخَّص بالقضاء ومراعاة عدّة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدّة الى آخرها على سبيل اللفّ فانّ قوله ولتكملوا علّة الامر بمراعاة العدّة ولتكبّروا علّة الامر بالقضاء وبيان كيفيّته ولعلّكم تشكرون علّة الترخيص والتيسير اولافعالٍ كلٌّ لفعله او معطوفةٌ على علّة مقدّرة مثل ليسهّل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اى ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون لِيُطْفِئُوا نور اللّٰه، والمعنى بالتكبير تعظيم اللّٰه بالحمد والثناء عليه ولذلك عدّى بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال، وما يحتمل المصدر والخبر اى الذى هداكم اليه، وعن عاصم برواية ابى بكر وَلِتُكَمِّلُوا بالتشديد (١٨٢) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ اى فقل لهم انّى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطّلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى انّ اعرابيّا قال لرسول اللّٰه صلعم أقريب ربّنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ تقرير للقرب ووعد للداعى بالاجابة فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهمّاتهم وَلْيُؤْمِنُوا بِي امر بالثبات والمداومة عليه لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحقّ وقرئ بفتح الشين وكسرها، واعلم انّه تعالى لمّا امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدّة وحثّهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالّة على انّه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تأكيدا له وحثّا عليه ثمّ بيّن أحكام الصوم فقال (١٨٣) أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ روى انّ المسلمين كانوا اذا أَمْسَوْا حلّ لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلّوا العشاء الآخرة او يرقدوا ثمّ انّ عمر رضه باشر بعد العشاء فندم واتى النبىّ صلعم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت، وليلة الصيام الليلة التى تُصْبِح منها صائما، والرَّفَث كناية عن الجماع لانّه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدّى بالى لتضمّنه معنى الافضاء وإيثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سمّاه خيانة وقرئ ٱلرُّفُوث هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ استيناف يبيّن سبب الاحلال وهو قلّة الصبر عنهنّ وصعوبة اجتنابهنّ لكثرة المخالطة وشدّة الملابسة ولمّا كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كلّ منهما على صاحبه شبّه باللباس قال الجعدىّ

اذاما الضجيع ثنى عِطْفَها   تثنّت فكانت عليه لباسا

او لانّ كلّا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور عَلِمَ ٱللّٰهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظّها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فَتَابَ عَلَيْكُمْ لمّا تبتم ممّا اقترفتموه وَعَفَا عَنْكُمْ ومحا عنكم اثره فَٱلْآنَ بَاشِرُوهُنَّ لمّا نُسخ عنكم التحريم

جزء ٢ وفيه دليل على جواز نسخ السنّة بالقران، والمباشرة إلزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع وَٱبْتَغُوا مَا
ركوع ٧ كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ واطلبوا ما قدّره لكم واثبته فى اللوح من الولد والمعنى انّ المباشر ينبغى ان يكون غرضه الولد فانّه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهى عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحلّ الّذى كتب اللّه لكم وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ شبّه اوّل ما يبدو من الفجر المعترض فى الافق وما يمتدّ معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون مِنْ للتبعيض فانّ ما يبدو بعض الفجر وما روى انّها نزلت ولم ينزل مِنَ ٱلْفَجْرِ فعمد رجالٌ الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون يأكلون ويشربون حتّى يتبيّنا لهم فنزلت إنْ صحّ فلعلّه كان قبل دخول رمضان وتأخيرُ البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اوّلا باشتهارهما فى ذلك ثمّ صرّح بالبيان لمّا التبس على بعضهم، وفى تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحّة صوم المُصْبِح جُنُبا ثُمَّ أَتِمُّوا ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱللَّيْلِ بيانٌ لآخر وقته واخراجٌ لليل عنه فينفى صوم الوصال وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي ٱلْمَسَاجِدِ معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث فى المسجد بقصد القربة، والمراد بالمباشرة الوطىُ وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثمّ يرجع فنهوا عن ذلك، وفيه دليل على انّ الاعتكاف يكون فى المسجد ولا يختصّ بمسجد دون مسجد وانّ الوطىَ يحرم فيه ويفسده لانّ النهى فى العبادات يوجب الفساد تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ اى الاحكام الّتى ذكرت فَلَا تَقْرَبُوهَا نهى ان يُقْرَب الحدُّ الحاجز بين الحقّ والباطل لئلّا يدانى الباطلَ فضلا ان يُتخطّى كما قال عم إنّ لكلّ مَلِك حِمًى وإنّ حمى اللّه محارمُه فمَنْ رتع حول الحمى يُوشِك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود اللّه محارمه ومَناهيه كَذَٰلِكَ مثل ذلك التبيين يُبَيِّنُ ٱللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ مخالفةَ الاوامر والنواهى (١٨٤) وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِٱلْبَاطِلِ اى ولا يأكل بعضكم مالَ بعضٍ بالوجه الّذى لم يُبِحْه اللّه تعالى وبَيْنَ نصب على الظرف او الحال من الاموال وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى ٱلْحُكَّامِ عطف على المنهىّ او نصب باضمارِ أَنْ، والادلاء الالقاء اى ولا تلقوا حكومتها الى الحُكّام لِتَأْكُلُوا بالتحاكم فَرِيقًا طائفة مِنْ أَمْوَالِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ انّكم مُبْطِلون فانّ ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روى انّ عَبْدانَ الحَضْرَمىّ ادّعى على امرِئِ القيس الكِنْدىّ قطعة ارض ولم يكن له بيّنة فحكم رسول اللّه صلعم بأن يحلف امرؤ القيس فهمّ به فقرأ عليه صلعم انّ الّذين يشترون بعهد اللّه وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلّم الارض الى عبدان فنزلت وفيه دليل على انّ حكم القاضى لا ينفذ باطنا ويؤيّده قوله عم انّما انا بشر

وانتم تختصمون الىّ ولعلّ بعضكم يكون أَلْحَنَ بحجّته من بعض فأَقْضى له على نحو ما أَسْمَعُ منه فمن جزء ٢
قضيتُ له بشىء من حقّ اخيه فانّما اقضى له قطعةً من نار (١٨٥) يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ سأله مُعاذ بن ركوع ٨
جَبَل وثعلبة بن غنم فقالا ما بالُ الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثمّ يزيد حتّى يستوى ثمّ لا يزال ينقص حتّى يعود كما بدأ قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ فانّهم سألوا عن الحكمة فى اختلاف حال القمر وتبدّل امره فامره اللّه ان يجيب بانّ الحكمة الظاهرة فى ذلك ان يكون مَعالمَ للناس يوقّتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقّتة يُعْرَف بها اوقاتها وخصوصا الحجّ فانّ الوقت مراعًى فيه اداءً وقضاءً، والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرقُ بينه وبين المُدّة والزمان انّ المدّة المطلقة امتداد حركة الفَلَك من مبدأها الى منتهاها والزمان مدّة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا قرأ ابو عمرو وورْش وحفص بضمّ الباء والباقون بالكسر وَلٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَى قرأ نافع وابن عامر بتخفيف لٰكن ورفعِ البرّ، كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانّما يدخلون ويخرجون من نَقْب او فُرْجة وراءه ويعدّون ذلك برّا فبيّن لهم انّه ليس ببرّ وانّما البرّ برُّ من اتّقى المحارم والشهوات ووجهُ اتّصاله بما قبله أنّهم سألوا عن الامرين او أنّه لمّا ذكر انّها مواقيت الحجّ وهذا ايضا من افعالهم فى الحجّ ذكره للاستطراد او أنّهم لمّا سألوا عمّا لا يعنيهم ولا يتعلّق بعلم النبوّة وتركوا السؤال عمّا يعنيهم ويختصّ بعلم النبوّة عقّب بذكره جوابَ ما سألوه تنبيها على انّ اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتمّوا بالعلم بها او أنّ المراد به التنبيهُ على تعكيسهم فى السؤال وتمثيلُهم بحالِ مَنْ ترك بابَ البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البرّ بأن تعكسوا فى مسائلكم ولكنّ البرّ برّ من اتّقى ذلك ولم يجسر على مثله وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا اذ ليس فى العدول برّ او باشروا الامور من وجوهها وَٱتَّقُوا ٱللّٰهَ فى تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ لكى تظفروا بالهدى والبرّ (١٨٦) وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللّٰهِ جاهدوا لإعلاء كلمته وإعزاز دينه ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ قيل كان ذلك قبل ان أُمِروا بقتال المشركين كافّةً المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الّذين يناصبونكم القتال ويُتوقّع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلّهم فانّهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيّد الاوّل ما روى انّ المشركين صدّوا رسول اللّه صلعم عامَ الحُدَيْبِيَة وصالحوه على ان يرجع مِنْ قابلٍ فيُخْلوا له مكّة ثلاثة ايّام فرجع لعُمْرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يَفُوا لهم ويقاتلوهم فى الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت وَلَا تَعْتَدُوا بابتداء القتال او بقتال المُعاهد والمفاجأة به من غير دعوة او المُثْلة وقتلِ مَنْ نُهيتم عن قتله إِنَّ ٱللّٰهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ لا يريد بهم الخير (١٨٧) وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ حيث وجدتموهم فى حِلّ او حرم واصل الثقف الحِذْق فى ادراك الشىء عِلْما او عَمَلا فهو يتضمّن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال

فامّا تَثْقَفونى فَاقْتلونى   فمن أَثْقَفْ فليس الى خلود

جزء ٢ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ اى من مكّة وقد فعل ذلك بمن لم يُسْلِم يَوْمَ الفتح وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ
ركوع ٨ اى المحنة الّتى يفتتن بها الانسان كالإخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألّم النفس بها
وقيل معناه شركهم فى الحرم وصدّهم ايّاكم عنه اشدّ من قتلكم ايّاهم فيه وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ
فلا تبالوا بقتالهم ثمّ فانّهم الّذين هتكوا حرمته ، وقرأ حمزة والكسائىّ ولا تَقْتُلُوهُم حتّى يَقْتُلُوكم فان
قَتَلُوكم والمعنى حتّى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَافِرِينَ مثل ذلك جزاؤهم
يُفْعَل بهم مثل ما فعلوا (١٨٨) فَإِنِ ٱنْتَهَوْا عن القتال والكفر فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يغفر لهم ما قد سلف
(١٨٩) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ شرك وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب
فَإِنِ ٱنْتَهَوْا عن الشرك فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّالِمِينَ اى فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن أن يُظْلَم الّا
من ظَلَم فوضع العلّة موضع الحكم وسمّى جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه او انّكم ان تعرّضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى
للتعقيب والثانية للجزاء (١٩٠) ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قاتلهم المشركون عامَ الحُدَيْبِيَة فى ذى
القعدة واتّفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك
وهتكُه بهتكه فلا تبالوا به وَٱلْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ احتجاج عليه اى كلّ حرمة وهى ما يجب ان يحافَظ عليه
يجرى فيها القصاص فلمّا هتكوا حرمة شهركم بالصدّ فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عَنْوةً واقتلوهم
ان قاتلوكم كما قال فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وهو فذلكة التقرير
وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ فى الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخّص لكم وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ فيحرسهم ويُصْلِح شأنهم
(١٩١) وَأَنْفِقُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ولا تُمْسكوا كلّ الامساك وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ بالاسراف وتضييع وجه
المعاش او بالكفّ عن الغزو والانفاق فيه فانّه يقوّى العدوّ ويسلّطهم على اهلاككم ويؤيّده ما روى
عن ابى أيّوب الانصارىّ انّه قال لمّا اعزّ اللّه الاسلام وكثّر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها
ونُصْلِحها فنزلت او بالامساك وحبّ المال فانّه يؤدّى الى الهلاك المؤبّد ولذلك سمّى البُخل هلاكا وهو
فى الاصل انتهاء الشىء فى الفساد ، والالقاء طرح الشىء وعُدّى بالى لتضمّنه معنى الانتهاء والباء مزيدة
والمراد بالايدى الانفس والتَّهْلُكة والهَلَاك والهُلْك واحد فهى مصدر كالتَّضُرّة والتَّسُرّة اى لا توقعوا
انفسكم فى الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف
المفعول وَأَحْسِنُوا اعمالكم واخلاقكم او تفضّلوا على المحاويج إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٩٢) وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ
وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ائتوا بهما تامّين مستجمعى المناسك لوجه اللّه وهو على هذا يدلّ على وجوبهما ويؤيّده قراءة

من قرأ وَأَقِيمُوا الحجّ والعمرة وما روى جابر انّه قيل يا رسول اللّه ألعمرة واجبة مثل الحجّ فقال لا ولكن أن تعتمرَ خيرٌ لك معارَضٌ بما روى انّ رجلا قال لعمر رضه انّي وجدت الحجّ والعمرة مكتوبَيْن علىّ اهللت بهما جميعا فقال هُدِيتَ لسنّة نبيّك ولا يقال انّه فسّر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانّه رتّب الاهلال على الوجدان وذلك يدلّ على انّه سبب الاهلال دون العكس وقيل إتمامهما أن تُحْرِمَ بهما من دُوَيْرَةِ اهلك او ان تفرد لكلّ منهما سفرا او ان تجرّده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوىّ او ان تكون النفقة حلالا فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ منعتم يقال حصره العدوّ وأحصره اذا حبسه ومنعه عن المضىّ مثل صدّه وأصدّه والمراد حَصْرُ العدوّ عند مالك والشافعىّ لقوله فاذا امنتم ولنزوله فى الحُدَيْبِيَة ولقول ابن عبّاس رضه لا حَصْرَ الّا حَصْرُ العدوّ وكلُّ مَنْعٍ من عدوّ او مرض او غيرهما عند ابى حنيفة لما روى عنه عم من كُسِر او عَرِجَ فعليه الحجّ مِنْ قابل وهو ضعيف مؤوّل بما اذا شُرِطَ الإحلال به لقوله عم لضُباعة بنت الزبير حُجّى واشترطى وقولى اللّهمّ مَحِلّى حيث حبستنى فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المُحْرِمُ واراد ان يتحلّل تحلّل بذبح هَدْىٍ تيسّرَ عليه من بَدَنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانّه عم ذبح عام الحديبيّة بها وهى من الحلّ وعند ابى حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يومَ أمارٍ فاذا جاء اليوم وظنّ انّه ذبح تحلّل لقوله تعالى وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُ اى لا تحلّوا حتّى تعلموا انّ الهدى المبعوث الى الحرم بلغ محلّه اى مكانه الّذى يجب ان يُنْحَر فيه وحمل الاوّلون بلوغَ الهدى محلّه على ذبحه حيث يحلّ ذبحه فيه حِلّا كان او حرما واقتصارُه على الهدى دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء ، والمَحِلّ بالكسر يطلق للمكان والزمان ، والهَدْى جمع هَدْيَة كجَدْى وجَدْية وقرئ مِنَ ٱلْهَدِيّ جمع هَدِيّة كمَطِىّ ومَطِيّة فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا مرضا يُحْوِجه الى الحلق أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ كجراحة وقمل فَفِدْيَةٌ فعليه فدية إن حَلَقَ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ بيان لجنس الفدية وامّا قدرها فقد روى انّه عم قال لكعب بن عُجْرة لعلّك آذاك هوامّك قال نعم يا رسول اللّه قال احلِقْ وصُمْ ثلاثة ايّام او تصدّقْ بفَرَق على ستّة مساكين او انسكْ شاةً والفَرَق ثلاثة أَصْوُع فَإِذَا أَمِنْتُمْ الاحصارَ او كنتم فى حالِ أَمْنٍ وسعة فَمَنْ تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فمن استمتع وانتفع بالتقرّب الى اللّه بالعمرة قبل الانتفاع بتقرّبه بالحجّ فى اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلّل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يُحْرِم بالحجّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فعليه دمٌ استيسره بسبب التمتّع فهو دمُ جُبْران يذبحه اذا احرم بالحجّ ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة انّه دمُ نُسْك فهو كالأُضحيّة فَمَنْ لَمْ يَجِدْ الهَدْى فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ فى ايّام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلّل وقال ابو حنيفة فى اشهره بين الاحرامَيْن والاحبّ ان يصوم سابع ذى الحجّة وثامنه وتاسعه ولا يجوز صوم يوم النحر وايّام التشريق عند الاكثر وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ الى اهليكم وهو احد قولى الشافعىّ رضه

جزء ٢
ركوع ٨

جزء ٢ او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثانى ومذهب ابى حنيفة رضه ، وقرئ سَبْعَةً بالنصب عطفا على
ركوع ٨ محلّ ثلثة ايّام تِلْكَ عَشَرَةٌ فذلكة الحساب وفائدتها أن لا يُتوهّم انّ الواو بمعنى او كقولك جالس
الحسن وابن سيرين وأنْ يُعْلَم العدد جملةً كما علم تفصيلا فانّ اكثر العرب لم يُحْسنوا الحساب وانّ
المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانّه يُطْلَق لهما كَامِلَةٌ صفةٌ موكّدةٌ تُفيد المبالغة فى محافظة
العدد او مبيّنةٌ كمالَ العشرة فانّه اوّلُ عدد كامل اذ به ينتهى الآحاد ويتمّ مَراتبها او مقيّدةٌ تُفيد
كمال بدليّتها من الهَدْى ذٰلِكَ اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتّع عند ابى حنيفة اذ لا متْعة ولا
قِران لحاضرى المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دمُ جِناية لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وهو من كان من الحرم على مسافة القَصْر عندنا فانّ من كان على اقلّ فهو مُقيم الحرم
او فى حُكْمه ومَنْ مَسْكَنُه وراء الميقات عنده واهل الحلّ عند طاوُوس وغير المكّى عند مالك
وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ فى المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا فى الحجّ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ لمن لم يتّقه
ركوع ٩ كى يصدّكم العلمُ به عن العصيان (١٩٣) ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ اى وقته كقولك البَرْدُ شهران مَعْلُومَاتٌ معروفات
وهى شوّال وذو القعدة وتسعُ ذى الحجّة بليلة النحر عندنا والعَشْرُ عند ابى حنيفة رضه وذو الحجّة كلّه
عند مالك رضه وبناء الخلاف على انّ المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن
فيه غيره من المناسك مطلقا فانّ مالكا كره العمرة فى بقيّة ذى الحجّة وابو حنيفة وان صحّح الاحرام به
قبل شوّال فقد استكرهه وانّما سُمّى شهران وبعضُ شهر اشهرا اقامةً للبعض مقام الكلّ او اطلاقا للجمع
على ما فوق الواحد فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهنّ عندنا وبالتلبية او
سَوْق الهدى عند ابى حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعىّ رضه وانّ من احرم بالحجّ لزمه الاتمام
فَلَا رَفَثَ فلا جِماع او فلا فحش من الكلام وَلَا فُسُوقَ ولا خروج عن حدود الشرع بالسيّئات وارتكاب
المحظورات وَلَا جِدَالَ ولا مِراء مع الخدم والرُّفْقة فِى ٱلْحَجِّ فى ايّامه نفى الثلاثة على قصد النهى للمبالغة
والدلالةِ على انّها حقيقة بأن لا تكون وما كانت منها مستقبَحة فى انفسها ففى الحجّ اقبح كلُبْس
الحرير فى الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانّه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة ، وقرأ
ابن كثير وابو عمرو الأوّلين بالرفع على معنى لا يكوننّ رفثٌ ولا فسوقٌ والثالثَ بالفتح على معنى
الاخبار بانتفاء الخلاف فى الحجّ وذلك انّ قريشا كانت تُخالف سائرَ العرب فتقف بالمَشْعَر الحرام فارتفع
الخلاف بأن أُمروا ان يقفوا ايضا بعرفة وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ حثٌّ على الخير عقّب به النهى عن
الشرّ ليُسْتبدل به ويُسْتعمل مكانه وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَى وتزوّدوا لمعادكم التقوى فانّه خيرُ
زادٍ وقيل نزلت فى اهل اليمن كانوا يحجّون ولا يتزوّدون ويقولون نحن متوكّلون فيكونون كَلًّا
على الناس فأُمروا ان يتزوّدوا ويتّقوا الابرامَ فى السؤال والتثقيل على الناس وَٱتَّقُونِ يَا أُولِي ٱلْأَلْبَابِ فانّ

جزء ٢ ركوع ٩

قضيّة اللبّ خشية اللّه وتقواه حثّهم على التقوى ثمّ امرهم بان يكون المقصود بها هو اللّه فيتبرّءوا عن كلّ شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرّى عن شوائب الهوى فلذلك خصّ اولى الالباب بهذا الخطاب (١٩٤) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا اى فى أن تبتغوا اى تطلبوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عُكاظ ومَجنّة وذو المجاز اسواقهم فى الجاهليّة يُقيمونها مَواسم الحجّ وكانت معايشهم منها فلمّا جاء الاسلام تأثّموا منه فنزلت فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ دفعتم منها بكثرة من افضتُ الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف فى دفعت من البصرة ، وعرفات جمعٌ سمّى به كأذْرِعات وانّما نُوّن وكُسر وفيه العلميّة والتأنيث لانّ تنوين الجمع تنوينُ مقابلة لا تنوينُ تمكّن ولذلك يجمع مع اللام وذهابُ الكسرة تبعٌ ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لانّ التأنيث امّا ان يكون بالتاء المذكورة وهى ليست تاء تأنيث وانّما هى مع الالف الّتى قبلها علامة جمع المؤنّث او بتاء مقدّرة كما فى سُعاد ولا يصحّ تقديرها لانّ المذكورة تمنعه من حيث انّها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنّث كتاء بنتٍ ، وانّما سمّى الموقف عرفة لانّه نُعت لابرهيم عم فلمّا ابصره عرفه او لانّ جبريل كان يدور به فى المشاعر فلمّا اراه ايّاه قال قد عرفتُ او لانّ آدم وحوّاء التقيا فيه فتعارفا او لانّ الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة فى ذلك وهى من الاسماء المرتجلة الّا أن تُجْعَلَ جَمْعَ عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لانّ الافاضة لا تكون الّا بعده وهى مأمور بها بقوله تعالى ثمّ افيضوا او مقدّمة للذكر المأمور به وفيه نظرٌ اذ الذكر غير واجب بل مستحبّ وعلى تقديرِ انّه واجب فهو واجب مقيّد لا واجب مطلق حتّى تجب مقدّمته والامر به غير مطلق

فَاذْكُرُوا اللَّهَ بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ جبل يقف عليه الامام ويسمّى قُزَح وقيل ما بين مَأْزِمَىْ عرفة ووادى مُحَسِّر ويؤيّد الاوّل ما روى جابر انّه عم لمّا صلّى الفجر يعنى بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتّى اتى المشعر الحرام فدعا وكبّر وهلّل ولم يزل واقفا حتّى اسفر وانّما سمّى مشعرا لانّه مَعْلَم العبادة ووُصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ممّا يليه ويقرب منه فانّه افضل والّا فالمزدلفة كلّها موقف الّا وادى محسّر وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ كما علّمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها ، وما مصدريّة او كافّة وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ اى الهدى لَمِنَ الضَّالِّينَ الجاهلين بالايمان والطاعة ، وإنْ هى المخفّفة واللام هى الفارقة وقيل إنْ نافية واللام بمعنى الّا كقوله تعالى وإنْ نظنّك لَمِنَ الكاذبين (١٩٥) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ اى من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجَمْعٍ وسائرُ الناس بعرفة ويرون ذلك ترفّعا عليهم فأُمروا ان يساووهم وثمّ لتفاوت ما بين الافاضتين كما فى قولك أَحْسِنْ الى الناس ثمّ لا تُحْسِنْ الى غيرِ كريم وقيل من المزدلفة الى مِنًى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عامّ ، وقرئ الناسِ بالكسر اى الناسى يريد آدم من قوله تعالى فنَسِىَ ، والمعنى انّ الافاضة من عرفة شرعٌ قديمٌ فلا تغيّروه وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ من جاهليّتكم فى تغيير المناسك ونحوه إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يغفر ذنب المستغفر ويُنعم عليه

جزء ٢ ركوع ٩

(١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فاذا قضيتم العبادات الحجّيّة وفرغتم منها فَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ فأكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم فى المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مَفاخر آبائهم ومَحاسن ايّامهم أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا إمّا مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا اللّٰه ذكرا كذكركم آباءكم او كذكرٍ اشدّ منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشدّ منكم ذكرا وإمّا منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا مِنْ فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشدّ مذكوريّةً من آبائكم او بمضمر دلّ عليه المعنى تقديره او كونوا اشدّ ذكرا للّٰه منكم لآبائكم فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ تفصيل للذاكرين الى مُقلٍّ لا يطلب بذكر اللّٰه تعالى الّا الدنيا ومُكْثِرٍ يطلب به خير الدارَيْن والمراد الحثّ على الاكثار والإرشاد اليه رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا اجعل ايتاءنا ومنحتنا فى الدنيا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ اى نصيب وحظّ لانّ همّه مقصور بالدنيا او مِنْ طَلَبِ خلاق (١٩٧) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً يعنى الصحّة والكفاف وتوفيق الخير وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً يعنى الثواب والرحمة وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ بالعفو والمغفرة وقول علىّ رضه الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنّة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدّية الى النار امثلةٌ للمراد بها (١٩٨) أُولَٰئِكَ اشارة الى الفريق الثانى وقيل اليهما لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا اى من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله ممّا خطيئاتهم أُغْرِقوا او ممّا دعوا به نعطيهم منه ما قدّرناه فسمّى الدعاء كسبا لانّه من الاعمال وَاللّٰهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم فى مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات (١٩٩) وَاذْكُرُوا اللّٰهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ كبّروه فى أدبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها فى ايّام التشريق فَمَنْ تَعَجَّلَ فمن استعجل النفر فِي يَوْمَيْنِ يوم القرّ والّذى بعده اى فمن نفر فى ثانى ايّام التشريق بعد رمى الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ باستعجاله وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ومن تأخّر فى النفر حتّى رمى فى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة رضه يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفى الاثم بالتعجّل والتأخّر التخيير بينهما والردّ على اهل الجاهليّة فانّ منهم من أثّم المتعجّل ومنهم من اثّم المتأخّر لِمَنِ اتَّقَىٰ اى الّذى ذُكر من التخيير او من الأحكام لمن اتّقى لانّه الحاجّ على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتّى لا يتضرّر بترك ما يهمّه منهما وَاتَّقُوا اللّٰهَ فى مجامع اموركم ليعبأ بكم وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضمّ المتفرّق (٢٠٠) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ يروقك ويعظُم فى نفسك والتعجّب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجّب منه فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا متعلّق بالقول اى ما يقوله فى امور

الدنيا واسباب المعاش او فى معنى الدنيا فانّها مراده من ادّعاء المحبّة واظهار الايمان او يعجبك اى جزء ٢
يعجبك قوله فى الدنيا حلاوةً وفصاحةً ولا يعجبك فى الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحُبْسة او لانّه لا ركوع ٩
يؤذن له فى الكلام وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ يحلف ويستشهد اللّه على انّ ما فى قلبه موافق لكلامه وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصامُ المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خَصْم كصَعْب وصِعاب بمعنى اشدّ الخصوم خصومةً قيل نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفىّ وكان حسن المنظر حُلْو المنطق يوالى رسول اللّه صلعم ويدّعى الاسلام وقيل فى المنافقين كلّهم (٢٠١) وَإِذَا تَوَلَّىٰ أدبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيّتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله وُلاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتّى يمنع اللّه بشؤمه القطرَ فيهلك الحرثُ والنسلُ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه (٢٠٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ حملته الانفة وحميّة الجاهليّة على الاثم الّذى يؤمر باتّقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته ايّاه فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ كفته جزاء وعذابا، وجهنّم عَلَم لدار العقاب وهو فى الاصل مُرادِف للنار وقيل معرّب وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ جواب قسم مقدّر والمخصوص بالذمّ محذوف للعلم به، والمِهاد الفراش وقيل ما يوطّأ للجَنْب (٢٠٣) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ يبيعها اى يبذلها فى الجهاد او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتّى يُقْتَل ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ طلبا لرضاه وقيل انّها نزلت فى صُهَيْب بن سِنان الرومىّ اخذه المشركون وعذّبوه ليرتدّ فقال انّى شيخ كبير لا ينفعكم إن كنت معكم ولا يضرّكم إن كنت عليكم فخلّونى وما انا عليه وخذوا مالى فقبلوه منه وأتى المدينة وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلّفهم بالجهاد فعرّضهم لثواب الغُزاة والشهداء (٢٠٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً السِّلْم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق فى الصُلْح والإسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائىّ وكسره الباقون، وكافّة اسم للجملة لانّها تكفّ الاجزاء من التفرّق حال من الضمير او السلم لانّها تؤنّث كالحرب قال

السِّلْمُ تأخذُ منها ما رضيتَ به والحربُ يَكْفيك من أنفاسها جُرَعُ

والمعنى استسلموا للّه وأطيعوه جملةً ظاهرا وباطنا والخطابُ للمنافقين او ادخلوا فى الاسلام بكلّيّته ولا تخلطوا به غيره والخطابُ لمؤمنى اهل الكتاب فانّهم بعد اسلامهم عظّموا السبت وحرّموا الابل وألبانها او فى شرائع اللّه كلّها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطابُ لاهل الكتاب او فى شُعَب الاسلام وأحكامه كلّها فلا تُخِلّوا بشىء والخطابُ للمسلمين وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ بالتفرّق والتفريق إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ظاهر العداوة (٢٠٥) فَإِن زَلَلْتُم عن الدخول فى السلم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ الآيات والحجج

جزء ٢ الشاهدة على انّه الحقّ فَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ لا يُعْجِزه الانتقام حَكِيمٌ لا ينتقم الّا بحقّ (٢٠٩) هَلْ يَنْظُرُونَ
ركوع ٩ استفهام فى معنى النفى ولذلك جاء بعده إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ اى يأتيهم امره او بأسه كقوله تعالى او يأتى امرُ ربّك فجاءها بأسُنا او يأتيهم اللّه ببأسه فحذف المأتى به للدلالة عليه بقوله انّ اللّه عزيز حكيم فِى ظُلَلٍ جمع ظُلّة كقُلّة وقُلَل وهى ما اظلّك وقرئ ظِلالٍ كقِلال مِنَ ٱلْغَمَامِ السحاب الابيض وانّما يأتيهم العذاب فيه لانّه مَظِنّة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لانّ الشرّ اذا جاء من حيث لا يُحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير وَٱلْمَلَائِكَةُ فانّهم الواسطة فى اتيان امره او الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجرّ عطفا على ظلل او الغمام وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ أُتِمّ امرُ اهلاكهم وفُرِغ منه وضع الماضى موضع المستقبل لدنوّه وتيقّن وقوعه وقرئ وَقَضَاءُ ٱلْأَمْرِ عطفا على الملائكة وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ قراءة ابى كثير ونافع وابى عمرو وعاصم على انّه من الرَّجْع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث
ركوع ١٠ غير يعقوب على انّه من الرُّجُوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول (٢٠٧) سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ امر للرسول عم او لكلّ احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ معجزة ظاهرة او آية فى الكتب شاهدة على الحقّ والصواب على ايدى الانبياء ، وكَمْ خبريّة او استفهاميّة مقرّرة ومحلّها النصب على المفعوليّة او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميّزها ومِنْ للفصل وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ اى آياته فانّها سبب الهدى الّذى هو اجلّ النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ من بعد ما وصلت اليه وتمكّن من معرفتها وفيه تعريض بانّهم بدّلوها من بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدّلوها ومن يبدّل فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ فيعاقبه اشدّ عقوبة لانّه ارتكب اشدّ جريمة (٢٠٨) زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا حُسّنت فى اعينهم وأُشْرِبت محبّتها فى قلوبهم حتّى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزيّن فى الحقيقة هو اللّه اذ ما من شىء الّا وهو فاعله ويدلّ عليه قراءة زَيَّنَ على البناء للفاعل وكلٌّ من الشيطان والقوّة الحيوانيّة وما خلق اللّه فيها من الامور البهيّة والاشياء الشهيّة مزيّنٌ بالعَرَض وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمّار وصُهَيْب اى يسترذلونهم ويستهزءون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ، ومِنْ للابتداء كانّهم جعلوا السخريّة مبتدأة منهم وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ لانّهم فى علّيّين وهم فى اسفل السافلين او لانّهم فى كرامة وهم فى مذلّة او لانّهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدنيا ، وانّما قال والّذين اتّقوا بعد قوله من الّذين آمنوا ليدلّ على انّهم متّقون وانّ استعلاءهم للتقوى وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ فى الدارين بِغَيْرِ حِسَابٍ بغير تقدير فيوسّع فى الدنيا استدراجا تارةً وابتلاء اخرى (٢٠٩) كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً متّفقين على الحقّ فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متّفقين على الجهالة والكفر فى فترة ادريس او نوح فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ اى فاختلفوا فبعث اللّه

وانّما حُذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه ، وعن كعب الّذى علمتُه من عدد الانبياء مائة واربعة جزء ٢
وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور فى القران باسم العَلَم ثمانية وعشرون ركوع ١٠
وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ يريد به الجنس ولا يريد به انّه انزل مع كلّ واحد كتابا يخصّه فانّ اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصّهم وانّما كانوا يأخذون بكُتُب من قبْلهم بِٱلْحَقِّ حال من الكتاب اى ملتبسا بالحقّ شاهدا به لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ اى اللّه او النبىّ المبعوث او كتابه فِيمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ فى الحقّ الّذى اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ فى الحقّ او الكتاب إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ اى الكتابَ المنزل لازالة الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ اى للحقّ الّذى اختلف فيه من اختلف مِنَ ٱلْحَقِّ بيان لما اختلفوا فيه بِإِذْنِهِ بأمره او بارادته ولطفه وَٱللَّهُ يَهْدِى مَنْ يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لا يضلّ سالكه (٢١٠) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ خاطب به النبىّ صلعم والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجىء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفتهم ، وأمْ منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار وَلَمَّا يَأْتِكُمْ ولم يأتكم وأصلُ لمّا لَمْ زيدت عليها مَا وفيها توقّع ولذلك جُعل مُقابلَ قَدْ مَثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ حالهم الّتى هى مَثَلٌ فى الشدّة مَسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ بيان له على الاستيناف وَزُلْزِلُوا وأُزعجوا إزعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حَتَّى يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ لتناهى الشدّة واستطالة المدّة بحيث تقطّعت حبال الصبر ، وقرأ نافع يقولُ بالرفع على انّه حكاية حال ماضية كقولك مرض حتّى لا يرجونه مَتَى نَصْرُ ٱللَّهِ استبطاء له لتأخّره أَلَا إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ استيناف على ارادة القول اى فقيل لهم ذلك إسعافا لهم الى طِلْبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى انّ الوصول الى اللّه تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذّات ومكابدة الشدائد والرياضات قال عم حُفّت الجنّة بالمكاره وحُفّت النار بالشهوات (٢١١) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ عن ابن عبّاس انّ عمرا بن الجموح الانصارىّ كان همّا ذا مال عظيم فقال يا رسول اللّه ما ذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَامَى وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ سُئل عن المنفق فأُجيبَ ببيان المَصْرِف لانّه اهمّ فانّ اعتداد النفقة باعتباره ولانّه كان فى سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا فى الآية واقتصر فى بيان المنفق على ما تضمّنه قوله ما انفقتم من خير وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فى معنى الشرط فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ جوابه اى ان تفعلوا خيرا فانّ اللّه يعلم كنهه ويوفى ثوابه ، وليس فى الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به (٢١٢) كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ شاقّ عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نُعت به للمبالغة او فُعْل بمعنى مفعول كالخُبْز وقرئ بالفتح على

جزء ٢ انّه لغة فيه كالضُعْف والضَعْف او بمعنى الاكراه على المجاز كانّهم أُكْرِهوا عليه لشدّته وعظم مشقّته كقوله تعالى حملته امّه كرها ووضعته كرها (٢١٣) وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وهو جميع ما كُلّفوا به فانّ الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وهو جميع ما نُهوا عنه فانّ النفس تحبّه وتهواه وهو يُفضي بها الى الرَدَى وانّما ذكر عَسَى لانّ النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ما هو خير لكم وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذلك وفيه دليل على انّ الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يُعْرَف عينها

ركوع ١٠

ركوع ١١ (٢١٤) يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ روى انّه عم بعث عبد اللّه ابن جَحْش ابن عمّته على سَرِيّة فى جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصّد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد اللّه الحَضْرَميّ وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك غرّة رجب وهم يظنّونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحلّ محمّد الشهرَ الحرامَ شهرا يأمن فيه الخائف ويَبْذعِرّ فيه الناس الى معايشهم وشقّ ذلك على اصحاب السريّة وقالوا ما نبرح حتّى تنزل توبتنا وردّ رسول اللّه العيرَ والاسارى وعن ابن عبّاس لمّا نزلت اخذ رسول اللّه صلعم الغنيمة وهى اوّل غنيمة فى الاسلام ، والسائلون هم المشركون كتبوا اليه فى ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السريّة قِتَالٍ فِيهِ بدل اشتمال من الشهر وقرئ عَنْ قِتَالٍ بتكرير العامل قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ اى ذنب كبير والاكثر على انّه منسوخ بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاصّ بالعامّ وفيه خلاف والأَوْلى منعُ دلالة الآية على حرمة القتال فى الشهر الحرام مطلقا فانّ قتالٌ فيه نكرة فى حيّز مُثْبت فلا يعمّ وَصَدٌّ صرف ومنع عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ اى الاسلام او ما يوصل العبدَ الى اللّه تعالى من الطاعات وَكُفْرٌ بِهِ اى باللّه وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ على ارادة المضاف اى وصدُّ المسجد الحرام كقول ابى دُوَاد

اكلَّ آمْرِئٍ تحْسبين آمْرأً ونارٍ توقّد بالليل نارا

ولا يحسن عطفه على سبيل اللّه لانّ عطف قوله وَكُفْرٌ به على وَصَدٌّ مانع منه اذ لا يتقدّم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء فى به فانّ العطف على الضمير المجرور انّما يكون باعادة الجارّ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ اهل المسجد الحرام وهم النبىّ والمؤمنون أَكْبَرُ عِنْدَ ٱللَّهِ ممّا فعلته السريّة خطاء وبناء على الظنّ وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش ، وأَفْعَل مِنْ يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنّث وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ اى ما ترتكبونه من الاخراج والشرك افظع ممّا ارتكبوه من قتل الحضرميّ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ اخبار عن دوام عداوة الكفّار لهم وانّهم لا ينفكّون عنها حتّى يردّوهم عن دينهم ، وحتّى للتعليل كقولك أعبد اللّه حتّى أدخلَ الجنّة إِنِ ٱسْتَطَاعُوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوّته على قِرْنه إنْ ظفرتَ بى فلا تُبْقِ علىّ وايذانٌ بانّهم لا يردّونهم وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ قيّد الردّة بالموت عليها فى احباط

جزء ٢ الاعمال كما هو مذهب الشافعيّ والمراد بها الاعمال النافعة ، وقرئ حَبَطَتْ بالفتح وهو لغة فيه فِى ٱلدُّنْيَا
ركوع ١١ نبطلانِ ما تخيّلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية وَٱلآخِرَةِ لسقوط الثواب وَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ كسائر الكفرة (٢٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا نزلت ايضا فى السريّة لما ظُنّ بهم انهم إن سلموا
من الاثم فليس لهم اجر وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ ٱللّٰهِ كرّر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد
٥ كانّهما مستقلّان فى تحقيق الرجاء أُولٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللّٰهِ ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بانّ
العمل غير موجِب ولا قاطع فى الدلالة سيّما والعبْرةُ بالخواتم وَٱللّٰهُ غَفُورٌ لما فعلوا خطاء وقلّة احتياط
رَحِيمٌ باجزال الاجر والثواب (٢٦) يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ روى انّه نزل بمكّة قوله تعالى ومن ثمرات
النخيل والاعناب تتّخذون منه سكرا فأخذ المسلمون يشربونها ثمّ انّ عمر ومُعاذا ونفرا من الصحابة
قالوا أَفْتِنا يا رسول اللّه فى الخمر فانّها مُذْهِبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثمّ
١٠ دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأمّ احدهم فقرأ قل يا ايها الكافرون أَعْبُدُ ما
تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون فقلّ مَنْ يشربها ثمّ دعا عتْبان
ابن مالك سعدَ بن ابى وقّاص فى نفر فلمّا سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار
فضربه انصارىّ بلَحْيِ بعير فشجّه فشكا الى رسول اللّه صلعم فقال عمر اللّهمّ بيّنْ لنا فى الخمر بيانا شافيا
فنزلت انّما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا ربّ ، والخَمْر فى الاصل مصدرُ
١٥ خَمَرَه اذا ستره سمّى بها عصير العنب والتمر اذا اشتدّ وغلى كانّه يخمر العقلَ كما سمّى سَكَرا لانّه يسكره
اى يحجره وهى حرام مطلقا وكذا كلّ ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة رحمه اللّه نقيع
الزبيب والتمرِ اذا طُبخ حتّى ذهب ثُلُثاه ثمّ اشتدّ حَلَّ شُرْبُه ما دون السُكْر ، والمَيْسِر ايضا مصدر
كالموعد سمّى به القِمار لانّه اخذُ مال الغير بيُسْر او سلبُ يساره ، والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله
قُلْ فِيهِمَا اى فى تعاطيهما إِثْمٌ كَبِيرٌ من حيثُ انّه يؤدّى الى الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور ، وقرأ
٢٠ حمزة والكسائىّ كَثِيرٌ بالثاء وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفى الخمر
خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروّة وتقوية الطبيعة وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا اى المفاسد التى تنشأ
منهما اعظم من المنافع المتوقّعة منهما ولهذا قيل انّها المحرّمة للخمر فانّ المفسدة اذا ترجّحت على
المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهرُ انّه ليس كذلك لما مرّ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قيل سائله ايضا
عمرو بن الجموح سأل اوّلا عن المُنْفَق والمَصْرِف ثمّ سأل عن كيفيّة الانفاق (٢١٧) قُلِ ٱلْعَفْوَ العفو نقيض
٢٥ الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسّر له بَذْلُه ولا يبلغ منه الجهد قال

خذى العفو منّى تستديمى مودّتى

*

جزء ٢ ركوع ١١ وروى انّ رجلا اتى النبىّ صلعم ببيضة من ذهب اصابها فى بعض المغانم فقال خذها منّى صدقةً فأعرض عنه حتّى كرّر عليه مرارا فقال عم هاتها مُغْضَبا فاخذها فحذفها حَذْفا لو اصابه لَشجّه ثمّ قال يأتى احدكم بماله كلّه يتصدّق به ويجلس يتكفّف الناسَ انّما الصدقة عن ظَهْرِ غِنًى ، وقرأ ابو عمرو برفع الواو كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللّٰهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ اى مثل ما بيّن انّ العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف فى موضع النصب صفة لمصدر محذوف اى تبيينا مثل هذا التبيين وانّما وحّد العلامة والمخاطَب به جمعٌ على تأويل القبيل والجمع لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فى الدلائل والاحكام (٢١٨) فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فى امور الدارَيْن فتأخذون بالاصلح والانفع فيهما وتجتنبون عمّا يضرّكم ولا ينفعكم او يضرّكم اكثرَ ممّا ينفعكم وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَامَى لمّا نزلت إِنَّ ٱلَّذِينَ يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتَهم والاهتمامَ بأمرهم فشقّ ذلك عليهم فذُكر لرسول اللّه صلعم فنزلت قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ اى مداخلتهم لاصلاحهم او اصلاح اموالهم خير من مجانبتهم (٢١٩) وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ حثّ على المخالطة اى انّهم اخوانكم فى الدين ومن حقّ الاخ أن يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة وَٱللّٰهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اى يعلم امره فيجازيه عليه وَلَوْ شَاءَ ٱللّٰهُ لَأَعْنَتَكُمْ اى ولو شاء اللّه إعناتكم لأعنتكم اى كلّفكم ما يشقّ عليكم من العَنَت وهى المشقّة ولم يجوّز لكم مداخلتهم إِنَّ ٱللّٰهَ عَزِيزٌ غالب يقدر على الإعنات حَكِيمٌ يحكم ما يقتضيه الحكمة ويتّسع له الطاقة (٢٢٠) وَلَا تَنْكِحُوا ٱلْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ اى ولا تتزوّجوهنّ وقرئ بالضمّ اى ولا تزوّجوهنّ من المسلمين ، والمشركات تعمّ الكتابيّات لانّ اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن اللّه وقالت النصارى المسيح ابن اللّه الى قوله سبحانه عمّا يشركون ولكنّها خُصّت عنها بقوله والمحصنات من الّذين اوتوا الكتاب روى انّه عم بعث مَرْثَدا الغَنَوىّ الى مكّة ليُخرج منها اناسا من المسلمين فأتَتْه عناق وكان يهواها فى الجاهليّة فقالت ألا تخلو فقال انّ الاسلام حالَ بيننا فقالت هل لك ان تتزوّج بى فقال نعم ولكن أستأمرُ رسولَ اللّه فأستأمرَه فنزلت وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ اى ولامرأة مؤمنة حرّةً كانت او مملوكةً فانّ الناس عبيد اللّه وإماؤه وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ بحسنها وشمائلها والواو للحال ولَوْ بمعنى إنْ وهو كثير وَلَا تُنْكِحُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ولا تزوّجوا منهم المؤمنات حتّى يؤمنوا وهو على عمومه وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ تعليلٌ للنهى عن مواصلتهم وترغيبٌ فى مواصلة المؤمنين (٢٢١) أُولٰئِكَ اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ اى الكفر المؤدّى الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم وَٱللّٰهُ اى واولياؤه يعنى المؤمنين حُذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم يَدْعُو إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ اى الاعتقاد والعمل الموصلَيْن اليهما

فهو لاحقه بالمواصلة باذنه اى بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ جزء ٢
كى يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز فى العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ركوع ١١

(٢٢٢) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ روى ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يؤاكلونها كفعل ركوع ١٢
اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح فى نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت ، والمحيض
٥ مصدر كالمجىء والمبيت ، ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان
السؤالات الاول كانت فى اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع
قُلْ هُوَ أَذًى اى الحيض مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ فاجتنبوا مجامعتهن
لقوله عم انما أمرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم
وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض ، وانما
١٠ وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ تأكيد للحكم
وبيان لغايته وهو أن يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائى وعاصم فى رواية ابن
عياش يَطَّهَّرْنَ اى يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ فانه يقتضى تأخر جواز
الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة اذا طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ
اى المأتى الذى امركم الله به وحلله لكم إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ من الذنوب وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ المتنزهين
١٥ عن الفواحش والأقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى (٢٢٣) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ مواضع حرث
لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى فى ارحامهن من النطف بالبذور فَأْتُوا حَرْثَكُمْ اى فأتوهن كما تأتون
المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله أَنَّىٰ شِئْتُمْ من أى جهة شئتم روى ان
اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله
صلعم فنزلت وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطى
٢٠ وَاتَّقُوا اللَّهَ بالاجتناب عن معاصيه وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ فتزودوا ما لا تفتضحون به وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلعم ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره
منهم (٢٢٤) وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ نزلت فى الصديق رضه
لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضها او فى عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم
ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته ، والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما
٢٥ يعرض دون الشىء وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول ولا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من
انواع الخير فيكون المراد بالأيمان الامور المحلوف عليها كقوله عم لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت
غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك وأن مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة
عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان تكون للتعليل ويتعلق أن بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا

جزء ٢ اللّه عرضة لأن تبرّوا لاجل ايمانكم به وعلى الثانى ولا تجعلوه معرّضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به
ركوع ١٣ ولذلك ذمّ الحلّاف بقوله ولا تطع كلّ حلّاف مهين وان تبرّوا علّة للنهى اى انهاكم عنه ارادة برّكم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فانّ الحلّاف مجترئ على اللّه والمجترئ عليه لا يكون برّا متّقيا ولا موثوقا به فى اصلاح ذات البين وَٱللَّهُ سَمِيعٌ لايمانكم عَلِيمٌ بنيّاتكم (٢٢٥) لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَانِكُمْ اللغو الساقط الّذى لا يعتدّ به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عَقْدَ معه كما سبق به اللسان او تكلّم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا واللّه وبلى واللّه لمجرّد التأكيد لقوله وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ والمعنى لا يؤاخذكم اللّه بعقوبة ولا كفّارة بما لا قَصْدَ معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الأيمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو أن يحلف الرجل بناء على ظنّه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الأيمان ولكن يعاقبكم بما تعمّدتم الكذبَ فيها وَٱللَّهُ غَفُورٌ حيث لم يؤاخذكم باللغو حَلِيمٌ حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجِدّ تربّصا للتوبة (٢٢٦) لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ اى يحلفون على ان لا يجامعوهنّ والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لمّا ضُمّن هذا القسم معنى البُعْد عُدّى بمن تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مبتدأ ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق ، والتربّص الانتظار والتوقّف اضيف الى الظرف على الاتّساع اى للمولى حقّ التلبّث فى هذه المدّة ولا يطالَب بفىء ولا طلاق ولذلك قال الشافعىّ لا ايلاء الّا فى اكثر من اربعة اشهر ويؤيّده فَإِن فَآءُو رجعوا من اليمين بالحنث فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ للمولى اثمَ حنثه اذا كفّر او ما توخّى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة الّتى هى كالتوبة (٢٢٧) وَإِنْ عَزَمُوا ٱلطَّلَٰقَ اى وان صمّموا قصده فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ لطلاقهم عَلِيمٌ بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء فى اربعة اشهر فما فوقها وحكمه انّ المولى ان فاء فى المدّة بالوطئ ان قدر والوَعْد ان عجز صحّ الفىء ولزم الواطئَ أن يكفّر والّا بانت بعدها بتطليقة وعندنا يطالَب بعد المدّة باحد الامرين فان ابى عنهما طلّق عليه الحاكم (٢٢٨) وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يريد بها المدخول بهنّ من ذوات الاقراء لما دلّت عليه الآيات والاخبار انّ حكم غيرهنّ خلاف ما ذكر يَتَرَبَّصْنَ خبر فى معنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بانّه ممّا يجب ان يسارع الى امتثاله فكأنّ المخاطب قصد ان يمتثل الامرَ فيُخْبِرَ عنه كقولك فى الدعاء رحمك اللّه وبناؤه على المبتدأ يزيده فَضْلَ تأكيد بِأَنفُسِهِنَّ تهييج وبعث لهنّ على التربّص فانّ نفوس النساء طوامح الى الرجال فأُمرن ان يقمعنها ويحملنها على التربّص ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ نصب على الظرف او المفعول به اى يتربّصن مُضِيّها ، وقروء جمع قرْء وهو يطلق للحيض لقوله عم دَعِى الصلوة ايّام اقرائك وللطهر الفاصل بين حَيْضَتَيْن كقول الاعشى

لما ضاع فيها من قروء نسائكا

واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به فى الآية لانّه الدالّ على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفيّة لقوله تعالى فطلّقوهنّ لعدّتهنّ اى وقت عدّتهنّ والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض وامّا قاله عم طلاق الامة تطليقتان وعدّتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان فى قصّة ابن عمر رضى اللّه عنهما

مرّة فليراجعها ثمّ ليمسكها حتّى تطهر ثمّ تحيض ثمّ تطهر ثمّ ان شاء امسك بعْدُ وان شاء طلّق قبل ان جزء ٢
يمسّ فتلك العدّة الّتى امر اللّه تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلّة ركوع ١٣
الّتى هى الأقراء لكنّهم يتّسعون فى ذلك فيستعملون كلّ واحد من البنائين مكان الآخر ولعلّ الحكم لمّا
عمّ المطلّقات ذوات الاقراء تضمّن معنى الكثرة فحسن بناؤها وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللّٰهُ فِى أَرْحَامِهِنَّ
من الولد او الحيض استعجالا فى العدّة وابطالا لحقّ الرجعة وفيه دليل على انّ قولها مقبول فى ذلك
إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللّٰهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ليس المراد منه تقييد نفى الحلّ بايمانهنّ بل التنبيه على انّه ينافى
الايمان وانّ المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغى له ان يفعل وَبُعُولَتُهُنَّ اى ازواج المطلّقات أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ الى
النكاح والرجعة اليهنّ ولكن اذا كان الطلاق رجعيًّا للآية الّتى تتلوها فالضمير اخصّ من المرجوع
اليه ولا امتناع فيه كما لو كرّر الظاهر وخصّصه ، والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة
والخؤولة او مصدر من قولك بعلَ حسنُ البعولة نُعت به او أُقيم مقام المضاف المحذوف اى واهلُ
بعولتهنّ ، وأَفْعَلُ ههنا بمعنى الفاعل فِى ذٰلِكَ اى فى زمان التربّص إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا بالرجعة لا ضرار المرأة
وليس المراد منه شرطيّة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى
عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ اى ولهنّ حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهنّ فى الوجوب واستحقاق المطالبة عليها
لا فى الجنس وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ زيادة فى الحقّ وفضل فيه لانّ حقوقهم فى انفسهنّ وحقوقهنّ المهر
والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانّهم قُوّام عليهنّ وحُرّاس لهنّ يشاركونهنّ فى غرض
الزواج ويختصّون بفضيلة الرعاية والانفاق وَٱللّٰهُ عَزِيزٌ يقدر على الانتقام ممّن خالف الاحكام حَكِيمٌ
يشرعها لحكم ومصالح (٢٢٩) ٱلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ اى التطليق الرجعىّ اثنان لما روى انّه عم سئل اين الثالثة ركوع ١٣
فقال او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعىّ تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت
الحنفيّة الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيّد المعنى
الاوّل أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ بالطلقة الثالثة او بأن لا يراجعها حتّى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ
وتخيير مطلق عقّب به تعليمهم كيفيّة التطليق وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا اى
من الصدقات روى انّ جميلة بنت عبد اللّه بن أُبَىّ ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس
فأتت رسول اللّه صلعم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسى ورأسه شىء واللّه ما اعيبه فى دين ولا خُلُق
ولكن اكره الكفر فى الاسلام ما اطيقه بغضا انّى رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل فى عدّة فاذا هو اشدّهم
سوادا واقصرهم قامةً واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة أَصْدَقها والخطاب مع الحكّام واسناد
الاخذ والايتاء اليهم لانّهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل انّه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكّام
وهو يشوّش النظم على القراءة المشهورة إِلَّا أَنْ يَخَافَا اى الزوجان وقرئ يَظُنَّا وهو يؤيّد تفسير الخوف
بالظنّ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللّٰهِ بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجيّة ، وقرأ حمزة ويعقوب [illegible]

جزء ٢ البناء للمفعول وإبدال أنْ بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تَخَافَا وتُقِيمَا بتاء الخطاب فَإِنْ خِفْتُمْ ايها الحكّام أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِ على الرجل فى اخذ ما فدت به ركوع ١٣ نفسها واختلعت وعلى المرأة فى اعطائه تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ اشارة الى ما حدّ من الأحكام فَلَا تَعْتَدُوهَا فلا تتعدّوها بالمخالفة وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ تعقيب للنهى بالوعيد مبالغةً فى التهديد ، واعلم انّ ظاهر الآية يدلّ على انّ الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيّد ذلك قوله عم ايّما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس فحرامٌ عليها رائحةُ الجنّة وما روى انّه عم قال لجميلة اتردّين عليه حديقته فقالت اردّها وازيد عليها فقال عم امّا الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفّذوه فانّ المنع عن العقد لا يدلّ على فساده وأنّه يصحّ بلفظ المفاداة فانّه سمّاه افتداء واختُلف فى انّه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فَسْخٌ او طلاق ومَنْ جعله فسخا احتجّ بقوله (٢٣٠) فَإِنْ طَلَّقَهَا فانّ تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضى ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والأظهر انّه طلاق لانّه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلّقها متعلّق بقوله الطلاق مرّتان او تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالةً على انّ الطلاق يقع مجّانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلّقها بعد الثنتين فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ من بعد ذلك الطلاق حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ حتّى تتزوّج غيره والنكاح يُسْنَد الى كلّ منهما كالتزوّج وتعلّق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيّب واتّفق الجمهور على انّه لا بدّ من الاصابة لما روى أنّ امرأةَ رِفاعةَ قالت لرسول اللّه صلعم انّ رفاعة طلّقنى فبتّ طلاقى وإنّ عبد الرحمن بن الزبير تزوّجنى وإنّ ما معه مثل هُدْبة الثوب فقال رسول اللّه صلعم أتُريدين ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال لا حتّى تذوقى عُسَيْلته ويذوق عسيلتك فالآية مُطْلَقة قيّدتها السنّة ويحتمل ان يفسّر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج ، والحكمة فى هذا الحكم الردع عن التسرّع الى الطلاق والعَوْد الى المطلّقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوّزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول اللّه صلعم المحلّل والمحلّل له فَإِنْ طَلَّقَهَا الزوج الثانى فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا ان يرجع كلّ من المرأة والزوج الأوّل الى الآخر بالزواج إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ان كان فى ظنّهما انّهما يقيمان ما حدّه اللّه وشرعه من حقوق الزوجيّة وتفسير الظنّ بالعلم ههنا غير سديد لانّ عواقب الامور غيّب تُظنّ ولا تُعلَم ولانّه لا يقال علمت أنْ يقومَ زيد لانّ أنْ الناصبة للتوقّع وهو ينافى العلم وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ اى الاحكام المذكورة يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ يفهمون ويعملون بمقتضى العلم

(٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ اى آخر عدّتهنّ والأجل يطلق للمدّة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الّذى به ينتهى قال

كلّ حيّ مستكملٌ مدّةَ العُمْـــــر ومُودٍ اذا انتهى اجلُهْ ، جزء ٢

والبلوغ هو الوصول الى الشىء وقد يقال للدنوّ منه على الاتّساع وهو المراد فى الآية ليصحّ أن يرتّب عليه ركوع ١٣
فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهنّ من غير
ضرار او خلّوهنّ حتّى تنقضى عدّتهنّ من غير تطويل وهو اعادة للحكم فى بعض صوره للاهتمام به
وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا ولا تراجعوهنّ ارادة الاضرار بهنّ كان المطلّق يترك المعتدّة حتّى تشارف الاجلَ ثمّ
يراجعها ليطوّل العدّة عليها فنُهى عنه بعد الامر بضدّه مبالغةً ، ونصب ضرارا على العلّة او الحال بمعنى
مضارّين لِتَعْتَدُوا لتظلموهنّ بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلّقة بالضرار اذ المراد تقييده
وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بتعريضها للعقاب وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ ٱللّٰهِ هُزُوًا بالاعراض عنها والتهاون
فى العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجدّ فى الامر انّما انت هازئٌ كانّه نهى عن الهزء واراد به الامر
بضدّه وقيل كان الرجل يتزوّج ويطلّق ويُعْتِق ويقول كنتُ ألعبُ فنزلت وعنه عم ثلاثٌ جدّهن
جِدّ وهزلهنّ جِدّ النكاح والطلاق والعتاق وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللّٰهِ عَلَيْكُمْ التى من جملتها الهداية وبعثة
محمّد صلعم بالشكر والقيام بحقوقها وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَٱلْحِكْمَةِ القران والسنّة افردهما بالذكر
اظهارا لشرفهما يَعِظُكُمْ بِهِ بما انزل عليكم وَٱتَّقُوا ٱللّٰهَ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ تأكيد وتهديد

(٢٣٢) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ اى انقضت عدّتهنّ وعن الشافعىّ رضه دلّ سياق الكلامين ركوع ١٤
على افتراق البلوغين فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ المخاطب به الاولياء لما روى انّها نزلت فى
مَعْقِل بن يسار حين عضل اخته جُمَيْلاء ان ترجع الى زوجها الاوّل بالاستيناف فيكون دليلا على انّ
المرأة لا تزوّج نفسها اذ لو تمكّنت منه لم يكن لعضل الولىّ معنى ولا يعارَض باسناد النكاح اليهنّ لانّه
بسبب توقّفه على اذنهنّ وقيل الازواجُ الّذين يعضلون نساءهم بعد مُضىّ العدّة ولا يتركونهنّ يتزوّجن
عُدْوانا وقسرا لانّه جوابُ قوله واذا طلّقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلّهم والمعنى لا يوجدْ
فيما بينكم هذا الامر فانّه اذا وُجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له ، والعَضْل الحبس
والتضييق ومنه عَضَلَتِ الدجاجةُ اذا نَشِب بيضُها فلم يخرج إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ اى الخُطّاب والنساء
وهو ظرف لأن ينكحن او لا تعضلوهنّ بِٱلْمَعْرُوفِ بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروءة حال عن الضمير
المرفوع او صفةُ مصدرٍ محذوف اى تراضيا كائنا بالمعروف ، وفيه دلالة على انّ العضل عن التزوّج من
غير كفؤٍ غير منهىّ ذٰلِكَ اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تأويل القبيل او كلّ واحد او
انّ الكاف لمجرّد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطَبين او للرسول عم على طريقة
قوله يا ايّها النبىّ اذا طلّقتم للدلالة على انّ حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوّره كلّ احد يُوعَظ

جزء ٢ بِهِ مَنْ كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ لانّه المتّعظ به والمنتفع ذَٰلِكُمْ اى العمل بمقتضى ما ذكر ركوع ١٤ أَزْكَىٰ لَكُمْ انفع وَأَطْهَرُ من دنس الآثام وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ما فيه من النفع والصلاح وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ لقصور علمكم (٢٣٣) وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ امرٌ عُبّر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيختصّ بما اذا لم يرتضع الصبىّ الّا من امّه او لم توجد له ظئرٌ او عجز الوالد عن الاستيجار ، والوالدات يعمّ المطلّقات وغيرهنّ وقيل يختصّ بهنّ اذ الكلام فيهنّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ أُكّد بصفة الكمال لانّه ممّا يُتسامح فيه لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ بيان للمتوجّه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلّق بيرضعن فانّ الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والامّ ترضع له ، وهو دليل على انّ اقصى مدّة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانّه يجوز ان يُنقص عنه وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ اى الّذى يولد له يعنى الوالد فانّ الولد يُولَد له ويُنسَب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ اجرة لهنّ واختُلف فى استيجار الامّ فجوّزه الشافعىّ ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجةً او معتـدّة نكاح بِٱلْمَعْرُوفِ حسب ما يراه الحاكم ويفى به وُسْعه لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا تعليلٌ لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليلٌ على انّه تعالى لا يكلّف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع إمكانه

لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ تفصيل له وتقريب اى لا يكلّف كلّ منهما الآخرَ ما ليس فى وسعه ولا يضارّه بسبب الولد ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تُضَارُّ بالرفع بدلا عن قوله لا تكلّف واصله على القراءتين تضارِر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاوّل يجوز ان يكون بمعنى تُضِرّ والباء من صلته اى لا يُضِرّ الوالدان بالولد فيفرّط فى تعهّده ويقصّر فيما ينبغى له وقرئ لا تُضَارّْ بالسكون مع التشديد على نيّة الوقف وبه مع التخفيف على انّه من ضاره يضيره ، واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انّه حقيق بأن يتّفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغى ان يُضِرّا به او يتضارّا بسببه وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ عطف على قوله وعلى المولود له رزقهنّ وكسوتهنّ وما بينهما تعليلٌ معترضٌ ، والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبىّ اى مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقى من الابوين من قوله عم واجعله الوارث منّا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعىّ رضه اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولادة وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابى لَيْلى وقيل وارثه المَحْرَم منه وهو مذهب ابى حنيفة وقيل عَصَباته وبه قال ابو زيد ، وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ اى فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاوُر بينهما قبل الحولين ، والتشاور والمشاورة والمَشْـوَرة والمَشُورة استخراج الرأى من شرْتُ العسلَ اذا استخرجته فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فى ذلك وانّما اعتبر تراضيهما مراعاةً لصلاح الطفل وحذرا ان يُقْدِم احدهما على ما يضرّ به لغرض او غيره وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ اى تسترضعوا المراضعَ اولادكم يقال أَرضعت المرأةُ الطفلَ واسترضعتُها ايّاه كقولك أَنجح اللّه حاجتى واستنجحتُه ايّاها فحذف المفعول

الاوّل للاستغناء عنه فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فيه واطلاقه يدلّ على انّ للزوج ان يَسْترضع الولد ويَمنع الزوجة من الارضاع اِذَا سَلَّمْتُمْ الى المراضع مَا آتَيْتُمْ ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرأ ابن كثير مَا أَتَيْتُمْ من أَتَى اليه احسانا اذا فعله وقرئ أُوتِيتُمْ اى ما آتاكم اللّه وأقدركم عليه من الاجرة بِالْمَعْرُوفِ صلة سلّمتم اى بالوجه المتعارَف المستحسَن شرعا وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الأَوْلى والاصلح للطفل وَاتَّقُوا اللّهَ مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى امر الاطفال والمراضع وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ حثّ وتهديد

(٢٣٤) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا اى وازواج الّذين او والّذين يتوفّون منكم ويذرون ازواجا يتربّصن بعدهم كقولهم السَّمْنُ مَنَوانِ بدرهم ، وقرئ يَتَوَفَّوْنَ بفتح الياء اى يستوفون آجالهم ، وتأنيث العشر باعتبار الليالى لانّها غُرَر الشهور والايّام ولذلك لا يستعملون التذكير فى مثله قطّ ذهابا الى الايّام حتّى انّهم يقولون صُمْت عشرا ويشهد له قوله تعالى إن لبثتم الّا عشرا ثمّ إن لبثتم الّا يوما ، ولعلّ المقتضى لهذا التقدير انّ الجنين فى غالب الامر يتحرّك لثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الأجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربّما تَضْعف حركته فى المبادى فلا يُحَسّ بها وعموم اللفظ يقتضى تَساوِيَ المسلمة والكتابيّة فيه كما قال الشافعىّ والحرّةِ والامة كما قال الاصمّ والحاملِ وغيرِها لكنّ القياس اقتضى تنصيفَ المدّة للامة والاجماع خصّ الحامل عنه لقوله تعالى وأُولاتُ الاحمال اجلُهنّ أن يضعن حملَهنّ وعن علىّ وابن عبّاس انّها تعتدّ باقصى الاجلين احتياطا فَاِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ اى انقضت عدّتهنّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ايّها الائمّة والمسلمون جميعا فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ من التعرّض للخُطّاب وسائر ما حُرّم عليها للعدّة بِالْمَعْرُوفِ بالوجه الّذى لا ينكره الشرع ومفهومه انّهنّ لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفّوهنّ فان قصّروا فعليهم الجناح وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فيجازيكم عليه (٢٣٥) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقةً ولا مجازا كقول السائل جئتك لأُسلّم عليك والكناية هى الدلالة على الشىء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النِجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف ، والخِطْبة بالضمّ والكسر اسم الحالة غير انّ المضمومة خُصّت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة ، والمراد بالنساء المعتدّات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انّك جميلة او نافقة ومِنْ غرضى أن اتزوّج ونحو ذلك أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ او اضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ولا تصبرون على السكوت عنهنّ وعن الرغبة فيهنّ وفيه نوع توبيخ وَلٰكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا استدراك عن محذوف دلّ عليه ستذكرونهنّ اى فاذكروهنّ ولكن لا تواعدوهنّ نكاحا او جماعا عبّر بالسرّ عن الوطئ لانّه يُسَرّ ثمّ عن العقد لانّه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهنّ فى السرّ على انّ المعنىّ بالمواعدة فى السرّ المواعدة بما يستهجن إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وهو ان تعرّضوا

جزو ٢ ركوع ١٤

*

جزء ٢ ولا تصرّحوا والمستثنى منه محذوف اى لا تواعدوهنّ مواعدة الّا مواعدة معروفة او الّا مواعدة بقول
ركوع ١٤ معروف وقيل انّه استثناء منقطع من سرًّا وهو ضعيف لأدائه الى قولك لا تواعدوهنّ الّا التعريض وهو
غير موعود ، وفيه دليل حرمة تصريح خِطْبة المعتدّة وجوازِ تعريضها ان كانت معتدّةَ وفاة واختلف
فى معتدّة الفراق البائن والاظهر جوازه (٢٣٦) وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ ذكر العزم مبالغة فى النهى عن
العقد اى ولا تعزموا عَقْد عُقْدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح فانّ اصل العزم القطع
حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَابُ أَجَلَهُ حتّى ينتهى ما كُتب من العدّة وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنْفُسِكُمْ من العزم
على ما لا يجوز فَٱحْذَرُوهُ ولا تعزموا وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ لمن عزم ولم يفعل خشيةً من الله حَلِيمٌ لا
ركوع ١٥ يعاجلكم بالعقوبة (٢٣٧) لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ لا تَبِعَةَ مِنْ مَهْر وقيل مِنْ وِزْر لانّه لا بدعةَ فى الطلاق قبل
المسيس وقيل كان النبىّ صلعم يُكْثِر النهى عن الطلاق فظُنّ انّ فيه حرجا فنُفى إِنْ طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ اى تجامعوهنّ وقرأ حمزة والكسائى تُمَاسُّوهُنَّ بضمّ التاء ومدّ الميم فى جميع القران
أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً الّا ان تفرضوا او حتّى تفرضوا او وتفرضوا ، والفرض تسمية المهر ، وفريضةً نصب
على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفيّة الى الاسميّة ويحتمل المصدر والمعنى
انّه لا تَبِعَةَ على المطلّق من مطالبة المهر اذا كانت المطلّقة غير ممسوسة ولم يُسَمِّ لها مهرا اذ لو كانت
ممسوسة فعليه المسمّى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمّى لها فلها نصفه فمنطوق الآية
ينفى الوجوب فى الصورة الاولى ومفهومُها يقتضى الوجوب على الجملة فى الاخيرتين وَمَتِّعُوهُنَّ عطف على
مقدّر اى فطلّقوهنّ ومتّعوهنّ والحكمة فى ايجاب المتعة جَبْرُ ايحاش الطلاق وتقديرها مفوّض الى رأى
الحاكم ويؤيّده قوله عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُ اى على كلّ من الّذى له سعة والمقترِ الضيق
الحال ما يطيقه ويليق به ويدلّ عليه قوله عم لأنصارىّ طلّق امرأته المفوّضة قبل ان يمسّها مَتِّعْها
بقَلَنْسُوَتك وقال ابو حنيفة هى درْع ومِلْحفة وخمار على حَسَب الحال الّا أَنْ يَقِلّ مَهْرُ مثْلها من ذلك
فلها نصفُ مهر المثل ومفهومُ الآية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوّضة الّتى لم يمسّها الزوج وألحق
بها الشافعىّ فى احد قوليه الممسوسةَ المفوّضة وغيرَها قياسا وهو مُقدَّم على المفهوم ، وقرأ حمزة والكسائىّ
وحفص وابن ذكوان بفتح الدال مَتَاعًا تمتيعا بِٱلْمَعْرُوفِ بالوجه الّذى يستحسنه الشرع والمروءة حَقًّا
صفة لمتاعا او مصدر مؤكّد اى حَقّ ذلك حقّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ الّذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة
الى الامتثال او الى المطلّقات بالتمتيع وسمّاهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا (٢٣٨) وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً لمّا ذكر حكمَ المفوّضة اتبعه حكمَ قسيمها
فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ اى فلهنّ او فالواجب نصف ما فرضتم لهنّ وهو دليل على انّ الجناح المنفىّ ثمّ تبعة
المهر وأنّ لا متعةَ مع التشطير لانّه قسيمها إِلَّآ أَنْ يَعْفُونَ اى المطلّقات فلا يأخذن شيـًٔا والصيغة

جزء ٢ ركوع ١٥ تحتمل التذكير والتأنيث والفرق انّ الواو فى الاوّل ضمير والنون علامة الرفع وفى الثانى لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنىّ ولذلك لم يؤثّر فيه أَنْ ههنا ونَصَبَ المعطوفَ عليه أَوْ يَعْفُوَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ اى الزوجُ المالكُ لعقده وحلّه عمّا يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كَمَلًا وهو مُشْعِر بانّ الطلاق قبل المسيس مخيَّرٌ للزوج غيرُ مشطِّر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفيّة وقيل الولىُّ الّذى يلى عَقْدَ نكاحهنّ وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعىّ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى يؤيّد الوجه الاوّل وعفوُ الزوج على وجه التخيير ظاهرٌ وعلى الوجه الآخر عبارةٌ عن الزيادة على الحقّ وتسميتُها عفوا امّا على المشاكلة وامّا لانّهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوّج فمن طلّق قبل المسيس استحقّ استردادَ النصف فاذا لم يستردّه فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انّه تزوّج امرأة وطلّقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احقّ بالعفو وَلَا تَنْسَوُا ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ اى ولا تنسوا أَنْ يتفضّل بعضكم على بعض إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لا يضيّع تفضّلكم واحسانكم (٢٣٩) حَافِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعلّ الامر بها فى تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلّا يُلْهِيَهم الاشتغالُ بشأنهم عنها وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَى اى الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهى صلوة العصر لقوله عم يومَ الأحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ اللّه بيوتهم نارا وفَضْلُها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانّها فى وسط النهار وكانت اشقّ الصلوات عليهم فكانت افضلَ لقوله عم أَفْضَلُ العبادات أَحْمَزُها وقيل الفجر لانّها بين صلاتى الليل والنهار والواقعةُ فى الحدّ المشترك بينهما ولانّها مشهودة وقيل المغرب لانّها المتوسّطة بالعدد ووِتْرُ النهار وقيل العشاء لانّها بين جهريّتين واقعتين طرفَى الليل وعن عائشة انّه عم كان يقرأ والصلوةِ الوسطى وصلوةِ العصر فتكون صلوةً من الاربع خُصّت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص والمدح وَقُومُوا لِلَّهِ فى الصلوة قَانِتِينَ ذاكرين له فى القيام والقنوتُ الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيّب المراد به القنوت فى الصبح (٢٤٠) فَإِنْ خِفْتُمْ من عدوّ او غيره فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فصلّوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل او رَجُل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حالَ المسايفة واليه ذهب الشافعىّ رضه وقال ابو حنيفة لا يصلّى حالَ المشى والمسايفة ما لم يُمْكِن الوقوف فَإِذَا أَمِنْتُمْ وزال خوفكم فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ صلّوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كَمَا عَلَّمَكُمْ ذكرا مثلَ ما علّمكم من الشرائع وكيفيّة الصلوة حالتَى الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدريّة او موصولة مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ مفعول علّمكم (٢٤١) وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والّذين يتوفّون منكم يوصون وصيّةً او ليوصوا وصيّةً او كتب اللّه عليهم وصيّةً او الزم الّذين يتوفّون وصيّةً ويؤيّد ذلك قراءة كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْوَصِيَّةُ لِأَزْوَاجِكُمْ مَتَاعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصيّةُ الّذين يتوفّون او حُكْمُهم وصيّةٌ او

جزء ٢ والّذين يتوفّون اهلٰ وصيّةٍ او كُتب عليهم وصيّةٌ او عليهم وصيّةٌ وقرئ مَتاعٌ بدلَها مَتاعًا اِلَى ٱلْحَوْلِ
ركوع ١٥ نصب بيوصون إن أُضْمرت وإلّا فبالوصيّة وبِمَتاعٌ على قراءةِ من قرأ به لانّه بمعنى التمتيع غَيْرَ إِخْرَاجٍ بدل
منه او مصدر مؤكّد كقولك هذا القول غيرَ ما تقول او حال من ازواجهم اى غير مُخْرَجات والمعنى
انّه يجب على الّذين يتوفّون ان يوصوا قبل ان يُحْتَضروا لازواجهم بأن يُمَتَّعن بعدهم حولا بالسكنى
والنفقة وكان ذلك اوّل الاسلام ثمّ نسخت المدّة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وإن كان متقدّما فى
التلاوة متأخّرٌ فى النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعدُ ثابتة عندنا خلافا
لابى حنيفة فَإِنْ خَرَجْنَ عن منزل الازواج فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ايّها الائمّة فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنْفُسِهِنَّ كالتطيّب
وترك الحِداد مِنْ مَعْرُوفٍ ممّا لم ينكره الشرع وهذا يدلّ على انّه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن
الزوج والحداد عليه وانّما كانت مخيّرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ينتقم
ممّن خالفه منهم حَكِيمٌ يراعى مصالحهم (٢٤٢) وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ اثبت
المتعة للمطلّقات جميعا بعد ما اوجبها لواحدة منهنّ وافراد بعض العامّ بالحكم لا يخصّصه الّا اذا
جوّزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكلّ مطلّقة وأوّل غيرُه بما يعمّ التمتيع
الواجب والمستحبّ وقال قومٌ المراد بالمتاع نفقة العدّة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد
او لتكرّر القضيّة (٢٤٣) كَذٰلِكَ اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدّة يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وعد
بانّه سيبيّن لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ لعلّكم تفهمونها
ركوع ١٦ فتستعملون العقل فيها (٢٤٤) أَلَمْ تَرَ تعجيب وتقرير لمن سمع بقصّتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ
وقد يخاطب به من لم يَرَ ولم يسمع فانّه صار مَثَلا فى التعجيب إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يريد اهل
داوَرْدانَ قرية قِبَل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم اللّه ثمّ احياهم ليعتبروا ويتيقّنوا انْ
لا مفرّ من قضاء اللّه وقدره او قوما من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففرّوا حذرَ الموتِ فاماتهم
اللّه ثمانية ايّام ثمّ احياهم وَهُمْ أُلُوفٌ اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل
متألّفون جمع آلِف او آلِف كقاعد وقعود ، والواو للحال حَذَرَ ٱلْمَوْتِ مفعول له فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا
اى قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انّهم ماتوا ميتة رجلٍ واحدٍ من غير علّة بأمر اللّه
تعالى ومشيّته وقيل ناداهم به ملك وانّما أُسند الى اللّه تخويفا وتهويلا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ قيل مرّ حِزْقيل على
اهل داوَرْدانَ وقد عَرِيت عظامهم وتفرّقت اوصالهم فتعجّب من ذلك فأُوحى اليه نادِ فيهم أَنْ قوموا
باذن اللّه فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللّهمّ وبحمدك لا اله الّا انت وفائدة القصّة تشجيع المسلمين
على الجهاد والتعرّض للشهادة وحثّهم على التوكّل والاستسلام للقضاء إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقصّ عليكم حالهم لتستبصروا وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ اى لا

يشكرونه كما ينبغى ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار (٢٤٥) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لمّا بيّن انّ جزء ٢
الفرار عن الموت غير مخلّص وانّ المقدّر لا محالة واقع أمَرَهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففى سبيل اللّه والّا ركوع ١٩
فالنصر والثواب وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ لما يقوله المتخلّف والسابق عَلِيمٌ بما يُضْمرانه وهو من وراء الجزاء
(٢٤٦) مَنْ ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ مَنْ استفهاميّة مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والّذى صفة ذا او بدله ، واقراض اللّه مَثَلٌ لتقديم العمل الّذى يطلب به ثوابه قَرْضًا حَسَنًا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مُقْرَضا حلالا طيّبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل اللّه فَيُضَاعِفَهُ لَهُ فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانّ من ذا الّذى يقرض اللّه فى معنى أَيُقْرِضُ اللّهَ احدٌ وقرأ ابن كثير فيُضَعِّفُه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب أَضْعَافًا كَثِيرَةً كثرةً لا يقدرها الّا اللّه وقيل الواحد بسبعمائة وأضعافا جمع ضِعْف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثانى لتضمّن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على انّ الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ يقتر على بعض ويوسّع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسّع عليكم كيلا يبدّل حالكم وقرأ نافع والكسائىّ والبزّىّ وابو بكر بالصاد ومثله فى الاعراف فى قوله تعالى فى الخلق بَسْطَةً وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فيجازيكم على ما قدّمتم
(٢٤٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الملأ جماعة يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم ، ومِنْ للتبعيض مِنْ بَعْدِ مُوسَى اى من بعد وفاته ومن للابتداء إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ هو يوشع او شمعون او إِشْمَوِيل ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَقِمْ لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبّر امره ونصدر فيه عن رأيه ، وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انّه حال اى ابعثه لنا مقدّرين القتال ويُقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى أتوقّع جُبْنكم عن القتال ان كُتب عليكم فادخل هل على فعل التوقّع مستفهما عمّا هو المتوقّع عنده تقريرا وتثبيتا ، وقرأ نافع عَسِيتُم بكسر السين قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا اى اىّ غرض لنا فى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحثّ عليه من الإخراج عن الأوطان والافراد عن الاولاد وذلك انّ جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بنى اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ وعيد لهم على ظلمهم فى ترك الجهاد
(٢٤٨) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا طالوت عَلَم عبرىّ كداود وجَعْله فَعْلُوتا من الطول تعسُّف يدفعه مَنْع صرفه ، روى انّ نبيّهم عم لمّا دعا اللّه ان يملّكهم أُتى بعصًا يُقاس بها من يملك عليهم فلم يساوِها الّا طالوت قَالُوا أَنَّى

جزء ٢ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا من أيْن يكون له ذلك ويستأهله وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ ٱلْمَالِ
ركوع ١٦ والحال انّا احقّ بالملك منه وِراثةً ومكنةً وانّه فقير لا مال له يعتضد به وانّما قالوا ذلك لانّ طالوت كان فقيرا راعيا او سقّاء او دبّاغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوّة والملك وانّما كانت النبوّة فى اولاد لاوى بن يعقوب والملك فى اولاد يهوذا وكان فيهم من السِبْطَيْن خَلْقٌ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ لمّا استبعدوا تملّكه لفقره وسقوط نسبه ردّ عليهم ذلك اوّلا بأنّ العمدة فيه اصطفاء اللّه وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بأنّ الشرط فيه وفورُ العلم ليتمكّن به من معرفة الامور السياسيّة وجسامةُ البدن ليكون اعظم خطرا فى القلوب واقوى على مقاومة العدوّ ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده اللّه فيهما وكان الرجل القائم يمدّ يده فينال رأسه وثالثا بأنّه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بأنّه واسع الفضل يوسّع على الفقير ويُغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره (٢٤٩) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ لمّا طلبوا منه حجّة على انّه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملّكه عليهم إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ الصندوق فَعْلُوت من التوب لانّه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلّة نحو سَلِس وقَلِق ومن قرأ بالهاء فلعلّه ابدله منه كما أُبْدِل من تاء التأنيث لاشتراكهما فى الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموّها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع فى ذراعين فِيهِ سَكِينَةٌ مِن رَبِّكُمْ الضمير للإتيان اى فى اتيانه سكون لكم وطمأنينة او للتابوت اى مُودَع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية وكان موسى اذا قاتل قدّمه فتسكن نفوس بنى اسرائيل ولا يفرّون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرّة وذنبها وجناحان فتئنّ فيَزِفّ التابوت نحو العدوّ وهم يتبعونه فاذا استقرّ ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صُوَر الانبياء من آدم الى محمّد عليهم الصلوة والسلام وقيل التابوتُ هو القلب والسكينةُ ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرّ العلم والوقار بعد ان لم يكن وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَٰرُونَ رُضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مُقْحَم لتفخيم شأنهما او انبياء بنى اسرائيل لانّهم ابناء عمّهما تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ قيل رفعه اللّه بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتّى افسدوا فغلبهم الكفّار عليه وكان فى ارض جالوت الى ان ملّك اللّه طالوت فاصابهم ببلاء حتّى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ يحتمل ان يكون من تمام كلام النبىّ
ركوع ١٧ صلعم وان يكون ابتداء خطاب من اللّه سبحانه وتعالى (٢٥٠) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة وأصله فصل نفسَه عنه ولكن لمّا كثر حذفُ مفعوله صار كاللازم روى انّه قال لهم لا يخرج معى الّا الشابّ النشيط الفارغ فاجتمع عليه ممّن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا

فسلكوا مفازة وسألوا ان يجرى اللّٰهُ لهم نهرا قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ معاملكم معاملة المختبر بما جزء ٢
اقترحتموه فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى فليس من اشياعى او ليس بمتحد معى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّىٓ ركوع ١٧
اى من لم يذقه من طَعِمَ الشىء اذا ذاقه مأكولا او مشروبا قال

وإنْ شئتُ لم أَطْعَمْ نُقاخا ولا بَرْدا

وانّما علم ذلك بالوحى ان كان نبيّا كما قيل او باخبار النبىّ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ استثناء من قوله فمن شرب وانّما قدّمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدّم والصابئون على الخبر فى قوله انّ الّذين آمنوا والّذين هادوا والمعنى الرُّخصة فى القليل دون الكثير ، وقرأ ابن عامر والكوفيّون غُرْفَةً بضمّ الغين فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ اى فكَرَعوا فيه اذ الاصل فى الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاوّل ليتّصل الاستثناء او افرطوا فى الشرب منه الّا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فانّ قوله فشربوا منه فى معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة آلاف وقيل الفا روى انّ من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودّت شفته ولم يقدر ان يمضى وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُۥ اى القليل الّذين لم يخالفوه قَالُوا اى بعضهم لبعض لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ لكثرتهم وقوّتهم قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا ٱللَّهِ اى قال الخلّص منهم الّذين تيقّنوا لقاء اللّه وتوقّعوا ثوابه او علموا انّهم يُسْتشهدون عمّا قريب فيلقَوْن اللّه وقيل هم القليل الّذين ثبتوا معه والضمير فى قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا فى التخلّف وتخذيلا للقليل وكانّهم تقاولوا به والنهر بينهما كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ بحكمه وتيسيره ، وكَمْ يحتمل الخبر والاستفهام ، ومِنْ مبيّنة او مزيدة ، والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فِعَة او فِلَة وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ بالنصر والاثابة (٢٥١) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ اى ظهروا لهم ودنوا منهم قَالُوا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ التجأوا الى اللّه بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اوّلا افراغ الصبر فى قلوبهم الّذى هو ملاك الامر ثمّ ثباتَ القدم فى مَداحض الحروب المسبَّبَ عنه ثمّ النصرَ على العدوّ المرتّبَ عليهما غالبا (٢٥٢) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره ايّاهم اجابةً لدعائهم وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ قيل كان ايشى فى عسكر طالوت مع ستّة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فأُوحى الى نبيّهم انّه الّذى يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلّمه فى الطريق ثلاثة احجار وقالت له انّك بنا تقتل جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله ثمّ زوّجه طالوت بنته وَآتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ اى ملك بنى اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على مَلِك وَٱلْحِكْمَةَ النبوّة وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ كالسَّرْد وكلام الدوابّ والطير وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ولولا

جزء ٢ انّه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفّار ويكفّ بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا فى
ركوع ١٧ الارض او لفسدت الارض بشؤمهم ، وقرأ نافع هنا وفى الحجّ دِفَاعُ ٱللّٰهِ (٢٥٣) تِلْكَ آيَاتُ ٱللّٰهِ اشارة الى ما
قصّ من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نَتْلُوهَا عَلَيْكَ
بِٱلْحَقِّ بالوجه المطابق الّذى لا يشكّ فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ لمّا اخبرت
جزء ٣ بها من غير تعرّف واستماع (٢٥٤) تِلْكَ ٱلرُّسُلُ اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها فى السورة او المعلومة
ركوع ١ للرسول عم او جماعة الرسل واللامُ للاستغراق فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره
مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ ٱللّٰهُ تفضيل له وهو موسى عم وقيل موسى ومحمّد عليهما السلام كلّم الله موسى ليلة
الحيرة وفى الطور ومحمّدا ليلة المعراج حين كان قابَ قَوْسَيْنِ او ادنى وبينهما بَوْنٌ بعيدٌ ، وقرئ كَلَّمَ
ٱللّٰهَ وكَالَمَ ٱللّٰهَ بالنصب فانّه كلّم اللّٰهَ كما انّ اللّٰه كلّمه ولذلك قيل كليم اللّٰه بمعنى مُكالمه
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ بأن فضّله على غيره من وجوه متعدّدة وبمراتب متباعدة وهو محمّد صلعم فانّه
خصّه بالدعوة العامّة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرّة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل
لعلميّة والعمليّة الفائتة للحصر والابهامُ لتفخيم شأنه كانّه العَلَم المتعيّن لهذا الوصف المستغنى عن
التعيين وقيل ابرٰهيم خصّه بالخُلّة الّتى هى اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليّا
وقيل اولو العزم من الرسل وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ خصّه بالتعيين لافراط
اليهود والنصارى فى تحقيره وتعظيمه وجَعَلَ معجزاته سبب تفضيله لانّها آيات واضحة ومعجزات عظيمة
لم يستجمعها غيره وَلَوْ شَاءَ ٱللّٰهُ هُدَى الناس جميعا مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ من بعد الرسل
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ المعجزات الواضحة لاختلافهم فى الدين وتضليل بعضهم بعضا وَلٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا
فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بتوفيقه التزامَ دين الانبياء تفضّلا وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ لاعراضه عنه بخذلانه وَلَوْ شَاءَ ٱللّٰهُ مَا
ٱقْتَتَلُوا كرّره للتأكيد وَلٰكِنَّ ٱللّٰهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ فيوفّق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية
دليل على انّ الانبياء متفاوتة الأقدام وانّه يجوز تفضيل بعضهم على بعض لكن بقاطع لانّ
اعتبار الظنّ فيما يتعلّق بالعمل وانّ الحوادث بيد اللّٰه تابعة لمشيّئته خيرا كان او شرّا ايمانا او كفرا
ركوع ٢ (٢٥٥) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ما اوجب عليكم إنفاقه مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ
وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ من قبل ان يأتى يوم لا تقدرون فيه على تدارُك ما فرّطتم والخلاص من عذابه اذ لا
بيع فيه فتحصّلوا ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خُلّة حتّى يُعينكم عليه اخلّاؤكم او
يسامحوكم به ولا شفاعة الّا لمن اذن له الرحمن ورضى له قولا حتّى تتّكلوا على شفعاء تشفع لكم فى حطّ
ما فى ذممكم وانّما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانّها فى التقدير جوابُ هل فيه بيع او خلّة او شفاعة
وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل وَٱلْكَافِرُونَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ يريد والتاركون الزكوة

جزء ۳ هم الّذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال فى غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه
ركوع ۲ تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان ومن لم يحجّ وايذانا بانّ ترك الزكوة من صفات الكفّار كقوله
وويل للمشركين الّذين لا يؤتون الزكوة (۲۵۶) اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ مبتدأ وخبر والمعنى انّه المستحقّ
للعبادة لا غير وللنحاة خلاف فى انّه هل يُضمر للا خبرٌ مثلُ فى الوجود او يصحّ ان يوجد اَلْحَىُّ الّذى
۵ يصحّ ان يعلم ويقدر وكلّ ما يصحّ له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوّة والامكان اَلْقَيُّومُ الدائم
القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ اَلْقَيَّامُ وَاَلْقَيِّمُ لَا تَاْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ
السِنة فتور يتقدّم النومَ قال ابن الرقاع

وَسْنانَ أَقْصَدَهُ النُعاسُ فرنّقتْ ... فى عينه سِنَةٌ وليس بنائم

والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف
۱۰ الحواسّ الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه وقياسُ المبالغة عكسُه على ترتيب الوجود
والجملة نفيٌ للتشبيه وتأكيدٌ لكونه حيّا قيّوما فانّ من اخذه نعاس او نوم كان مأوف الحيوة قاصرا فى
الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفى الجمل الّتى بعده لَهُ مَا فِى السَّمٰوٰاتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ تقرير
لقيّوميّته واحتجاج على تفرّده فى الالوهيّة ؛ والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا فى حقيقتهما او خارجا
عنها متمكّنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهنّ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ اِلَّا بِاِذْنِهِ
۱۵ بيان لكبرياء شأنه وانّه لا احد يساويه او يدانيه يستقلّ بأن يدفع ما يريده شفاعةً واستكانةً فضلاً ان
يعاوقه عنادا ومناصبةً يَعْلَمُ مَا بَيْنَ اَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانّك مستقبل
المستقبَل ومستدبر الماضى او امور الدنيا وامور الآخرة او عكسه او ما يحسّونه وما يعقلونه او ما
يدركونه وما لا يدركونه ؛ والضمير لما فى السموات والارض لانّ فيهما العقلاء او لما دلّ عليه مَنْ ذا
من الملائكة والانبياء وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ من معلوماته اِلَّا بِمَا شَاءَ ان يعلموه وعطفه على ما
۲۰ قبله لانّ مجموعهما يدلّ على تفرّده بالعلم الذاتىّ التامّ الدالّ على وحدانيّته وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ
تصوير لعظمته وتمثيل مجرّدٌ كقوله وما قدروا اللّه حقّ قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويّات بيمينه ولا كرسىّ فى الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيّه مجاز عن علمه او ملكه مأخوذ من كرسىّ
العالم والملك وقيل جسم بين يدى العرش ولذلك سمّى كرسيّا محيطٌ بالسموات السبع لقوله عم ما
السموات السبع والارضون السبع من الكرسىّ الّا كحلْقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسىّ كفضل تلك
۲۵ الفلاة على تلك الحلقة ولعلّه الفلك المشهور بفلك البروج وهو فى الاصل اسم لما يُقْعَد عليه ولا يفضل عن
مقعد القاعد وكانّه منسوب الى الكِرْس وهو الملبّد وَلَا يَؤُدُهُ ولا يثقله مأخوذ من الأَوْد وهو الاعوجاج
حِفْظُهُمَا اى حفظه السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول وَهُوَ الْعَلِىُّ المتعالى عن
الانداد والاشباه الْعَظِيمُ المستحقَر بالاضافة اليه كلّ ما سواه ؛ وهذه الآية مشتملة على امّهات المسائل

*

جزء ٣ الالهيّة فانّها دالّة على انّه تعالى موجود واحد فى الالهيّة متّصف بالحيوة واجب الوجود لذاته مُوجِد
ركوع ٢ لغيره اذ القيّوم هو القائم بنفسه المُقيم لغيره منزّه عن التحيّز والحُلول مبرّأ عن التغيّر والفتور لا يناسب
الاشباح ولا يعتريه ما يعترى الارواح مالك المُلْك والمَلَكوت ومُبْدِع الاصول والفروع ذو البطش الشديد
الّذى لا يشفع عنده الّا من اذن له عالِم الاشياء كلّها جليّها وخفيّها كلّيّها وجزئيّها واسعُ الملك
والقدرة كلّ ما يصحّ ان يُمْلَك ويُقْدَر عليه لا يؤده شاقّ ولا يشغله شأن متعالٍ عمّا يدركه وَهْمٌ عظيم
لا يحيط به فَهْمٌ ولذلك قال عم انّ اعظم آية فى القران آية الكرسىّ من قرأها بعث اللّه مَلَكا يكتب من
حسناته ويمحو من سيّئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسىّ فى دُبُرِ كلّ صلوة مكتوبة
لم يمنعه من دخول الجنّة الّا الموت ولا يواظب عليها الّا صدّيق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه
آمنه اللّه على نفسه وجارِه وجارِ جارِه والابياتِ حوله (٢٥٧) لَا إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ اذ الاكراه فى الحقيقة الزام
الغير فعْلًا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قَدْ تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ تميّز الايمان من الكفر بالآيات
الواضحة ودلّت الدلائل على انّ الايمان رشد يوصل الى السعادة الابديّة والكفر غيّ يؤدّى الى الشقاوة
السرمديّة والعاقلُ متى تبيّن له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى
الاكراه والالجاء وقيل اخبار فى معنى النهى اى لا تُكْرِهوا فى الدين وهو امّا عامّ منسوخ بقوله جاهد
الكفّارَ والمنافقين وَاغْلُظْ عليهم او خاصّ باهل الكتاب لما روى انّ انصاريّا كان له ابنان تنصّرا قبل
المبعث ثمّ قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال واللّه لا ادعكما حتّى تُسْلما فأبيا فاختصموا الى الرسول صلعم
فنزلت فَمَنْ يَكْفُرْ بِٱلطَّاغُوتِ بالشيطان او الاصنام او كلّ ما عُبد من دون اللّه او صدّ عن عبادة اللّه
فَعْلُوت من الطُّغيان قُلبت عينه ولامه وَيُؤْمِنْ بِٱللَّهِ بالتوحيد وتصديق الرسل فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ
طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهى مستعارة لمتمسّك المُحقّ من النظر
الصحيح والرأى القويم لَا ٱنْفِصَامَ لَهَا لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته وَٱللَّهُ سَمِيعٌ بالاقوال
عَلِيمٌ بالنيّات ولعلّه تهديد على النفاق (٢٥٨) ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا محبّهم او متولّى امورهم والمراد بهم
من اراد ايمانه وثبت فى علمه انّه يؤمن يُخْرِجُهُمْ بهدايته وتوفيقه مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ ظلمات الجهل واتّباع
الهوى وقبول الوساوس والشُّبَه المؤدّية الى الكفر إِلَى ٱلنُّورِ الى الهُدَى الموصل الى الايمان والجملة خبر
بعد خبر او حال من المستكنّ فى الخبر او من المَوصول او منهما او استيناف مبيّن او مقرّر للولاية
(٢٥٩) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ ٱلطَّاغُوتُ اى الشياطين او المُضِلّات من الهوى والشيطان وغيرهما
يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَاتِ من النور الّذى مُنِحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك
فى الشهوات او من نور اليقينيّات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت فى قوم ارتدّوا عن الاسلام ،
واسنادُ الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبّب لا يأبى تعلّق قدرته تعالى وارادته به أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ
ركوع ٣ فِيهَا خَالِدُونَ وعيد وتحذير ولعلّ عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم (٢٦٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَاجَّ

جزء ٣ ركوع ٣

ابرهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته أن آتاه الله الملك لأن آتاه اى ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاجّ لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاديتني لاني احسنت اليك او وقت أن آتاه الله الملك ، وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة إذ قال ابرهيم ظرف لحاجّ او بدل من آتاه على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحيوة والموت في الاجساد ، وقرأ حمزة ربْ بحذف الياء قال أنا أحيي وأميت بالعفو عن القتل والقتل ، وقرأ نافع أنا بالالف قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابرهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفيّ الى مثال جليّ من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابرهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابرهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهَت اى فغلب ابرهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة (٢٦١) أو كالذي مر على قرية تقديره او ارأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدّعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كأنه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابرهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فأحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال أنّى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا ، وأنّى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فأماته الله مائة عام فألبثه ميتا مائة عام اى اماته فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما أو بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدرت لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب

جزء ٣ كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكلّ على حاله ، وقرأ
ركوع ٣ حمزة والكسائىّ لَمْ يَتَسَنْ بغير الهاء فى الوصل وَٱنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ كيف تفرّقت عظامه او انظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغيّر والاوّل ادلّ على الحال واوفق لما بعده وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ اى وفعلنا ذلك لنجعلك آية روى انّه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذّبوه فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن اللّه وقيل لمّا رجع الى منزله كان شابّا واولاده شيوخا فاذا حدّثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ يعنى عظام الحمار او الاموات الّذين تعجّب من إحيائهم كَيْفَ نُنْشِزُهَا كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض ونركّبه عليه وكيف منصوب بننشز والجملة حال من العظام اى انظر اليها مُحْيَاةً ، وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب نُنْشِرُهَا من انشر اللّه الموتى وقرئ نَنْشُرُهَا من نشر بمعنى انشر ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ فاعل تبيّن مضمر يفسّره ما بعده تقديره فلمّا تبيّن له انّ اللّه على كلّ شىء قدير قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فحذف الاوّل لدلالة الثانى عليه او ما قبله اى فلمّا تبيّن له ما اشكل عليه ، وقرأ حمزة والكسائىّ قَالَ ٱعْلَمْ على الامر والآمر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت (٢٦٢) وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي ٱلْمَوْتَى انّما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لمّا قال نمرود انا احيى واميت قال له انّ إحياء اللّه بردّ الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثمّ سأل ربّه ان يريه ليطمئنّ قلبه على الجواب ان سُئل عنه مرّة اخرى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ بأنّى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انّه أغرق الناس فى الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قَالَ بَلَى وَلٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي اى بلى آمنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامّة العيان الى الوحى او الاستدلال قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى انّ احياء النفس الحيوة الابديّة انّما يتأتّى باماتة حبّ الشهوات والزخارف الّذى هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسّة النفس وبُعد الامل المتّصف بهما الغراب والترفّع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانّما خصّ الطير لانّه اقرب الى الانسان واجمع لخواصّ الحيوان والطير مصدر سمّى به او جمع كصحب فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ فأمِلْهنّ واضممهنّ اليك لتتأمّلها وتعرف شياتها لئلّا تلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب فَصِرْهُنَّ بالكسر وهما لغتان قال

ولكنّ أطراف الرماح تَصُورُها

وقال

وفَرْعٍ يَصِيرُ الجِيدَ وَحْفٍ كأنّه   على الليت قِنْوانُ الكروم الدوالح

وقرئ فَصُرَّهُنَّ بضمّ الصاد وكسرها مشدّدة الراء من صرّه يصُرّه ويصِرّه اذا جمعه وفَصَرِّهِنَّ من التصرية

جزء ٣ وهى الجمع ايضا ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا اى ثمّ جزّئهنّ وفرّق اجزاءهنّ على الجبال الّتى
ركوع ٣ بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة ، وقرأ ابو بكر جُزُؤًا وجُزُوٌ بضمّ الزاى حيث وقع ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ قل
لهنّ تعالين باذن اللّه تعالى يَأْتِينَكَ سَعْيًا ساعيات مُسْرِعات طَيَرانا او مَشْيا روى انّه أُمِرَ بأن يذبحها
وينتف ريشها ويقطّعها فيمسك رؤوسها ويخلط سائر اجزائها ويوزّعها على الجبال ثمّ يناديهنّ ففعل ذلك
٥ فجعل كلّ جزء يطير الى الآخر حتّى صارت جثثا ثمّ اقبلن فانضممن الى رؤوسهنّ وفيه اشارة الى انّ من
اراد احياء نفسه الحيوةَ الابديّةَ فعليه ان يُقْبِل على القُوى البدنيّة فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتّى
تنكسر سَوْرتها فيُطاوعنه مُسْرِعات متى دعاهنّ بداعية العقل او الشرع ، وكفى لك شاهدا على فضل
ابرٰهيم عم ويُمْن الضراعة فى الدعاء وحُسْن الادب فى السؤال انّه تعالى اراه ما اراد ان يُريه فى الحال على
ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ لا يعجز عمّا يريده حَكِيمٌ ذو حكمة
١٠ بالغة فى كلّ ما يفعله ويذره (٢٦٣) مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ اى مثل نفقتهم ركوع ٤
كمثل حبّة او مثلهم كمثل باذرِ حبّة على حذف مضاف أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ
اسند الانبات الى الحبّة لمّا كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمُنْبِت على الحقيقة هو اللّه
تعالى والمعنى انّه يخرج منها ساق يتشعّب منها سبع شعب لكلّ منها سنبلة فيها مائة حبّة وهو تمثيل
لا يَقْتَضى وقوعَه وقد يكون فى الذُّرة والدُّخْن وفى البُرّ فى الاراضى المُغِلّة وَٱللَّهُ يُضَاعِفُ تلك المضاعفة
١٥ لِمَنْ يَشَآءُ بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تفاوتت الاعمال فى مقادير الثواب
وَٱللَّهُ وَاسِعٌ لا يضيق عليه ما يتفضّل به من الزيادة عَلِيمٌ بنيّة المنفق وقدر انفاقه (٢٦٤) ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَآ أَذًى نزلت فى عثمان رضه فانّه جهّز جيش العُسْرة
بالف بعير بأقْتابها وأحْلاسها وعبدِ الرحمن بن عوف فانّه اتى النبىّ صلعم باربعة آلاف درهم صدقةً ،
والمَنّ ان يعتدّ باحسانه على من احسن اليه ، والأَذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه ، وثمّ
٢٠ للتفاوت بين الانفاق وترك المنّ والاذى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ لعلّه لم
يدخل الفاء فيه وقد تضمّن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانّهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف
بهم اذا فعلوا (٢٦٥) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ ردّ جميل وَمَغْفِرَةٌ وتجاوزٌ عن السائل والحاحه او نيل مغفرة من اللّه
بالردّ الجميل او عفو من السائل بأن يَعْذر ويغتفر ردّه خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى خبر عنهما وانّما
صحّ الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة وَٱللَّهُ غَنِىٌّ عن انفاق بمنّ وايذاء حَلِيمٌ عن معاجلة من يمنّ
٢٥ ويؤذى بالعقوبة (٢٦٦) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَى لا تحبطوا اجرها بكلّ
واحد منهما كَٱلَّذِى يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ كابطال المنافق الّذى يرائى

جزء ٣ ركوع ۴ بانفاقه لا يريد به رضاء اللّه ولا ثواب الآخرة او مماثلين الّذى ينفق رئاء الناس فالكاف فى محلّ النصب على المصدر او الحال ، ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اى انفاق رئاء فَمَثَلُهُ فمثل المرائى بانفاقه كَمَثَلِ صَفْوَانٍ كمثل حجر املس عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ مطر عظيم القطر فَتَرَكَهُ صَلْدًا املس نقيّا من التراب لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للّذى ينفق باعتبار المعنى لانّ المراد به الجنس او الجمع كما فى قوله

إنّ الّذى حانت بفَلْجٍ دِماؤُهم هم القوم كلُّ القوم يا أُمَّ خالد

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ الى الخير والرشاد وفيه تعريض بانّ الرئاء والمنّ والاذى على الانفاق من صفة الكفّار ولا بدّ للمؤمن ان يتجنّب عنها (٢٦٧) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فانّ المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه اللّه ثبّت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبّتها كلّها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدئا من اصل انفسهم وفيه تنبيه على انّ حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحبّ المال كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ اى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فانّ شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا ، وقرأ ابن عامر وعاصم بِرَبْوَةٍ بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها أَصَابَهَا وَابِلٌ مطر عظيم القطر فَآتَتْ أُكُلَهَا ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضِعْفَيْنِ مثلَى ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما يراد بالزوج الواحد فى قوله من كلّ زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اى مضاعفا فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ اى فيصيبها او فالّذى يصيبها طلّ او فطلّ يكفيه لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى انّ نفقات هؤلاء زاكية عند اللّه لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضمّ اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند اللّه بالجنّة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين فى زلفاهم بالوابل والطلّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ تحذير عن الرئاء وترغيب فى الاخلاص (٢٦٨) أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ الهمزة فيه للانكار أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جعل الجنّة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثمّ ذكر انّ فيها من كلّ الثمرات ليدلّ على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ اى كبر السنّ فانّ الفاقة والعالة فى الشيخوخة اصعب ، والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكانّه قيل ايودّ احدكم لو كانت له جنّة واصابه الكبر وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ صغار لا قدرة لهم على الكسب فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى ، والاعصار ريح عاصف تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود ، والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضمّ اليها ما يحبطها

كرثاء وايذاء فى الحسرة والاسف فاذا كان يوم القيمة واشتدّ حاجته اليها وجدها محبّطة بحال مَنْ جوء ٣
هذا شأنه واشبهُهم به من جال بسرّه فى عالم الملكوت وترقّى بفكره الى جناب الجبروت ثمّ نكص على عقبيه ركوع ۴
الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللّٰهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
تَتَفَكَّرُونَ اى تتفكّرون فيها فتعتبرون بها (٢٦٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ من ركوع ٥
حلاله او جياده وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ اى ومن طيّبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمر
والمعادن فحذف المضاف لتقدّم ذكره وَلَا تَيَمَّمُوا ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ ولا تقصدوا الردىّ منه اى من المال او ممّا
اخرجنا وتخصيصه بذلك لانّ التفاوت فيه اكثر، وقرئ ولا تَأَمَّمُوا ولا تُيَمِّمُوا بضمّ التاء تُنْفِقُونَ حال
مقدّرة من فاعل تيمّموا ويجوز ان يتعلّق مِنْهُ به ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه (٢٧٠) وَلَسْتُمْ
بِآخِذِيهِ اى وحالكم انّكم لا تأخذونه فى حقوقكم لرداءته إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ الّا ان تتسامحوا فيه مجاز
من اغمض بصره اذا غضّه وقرئ تُغْمَضُوا اى تُحْمَلوا على الاغماض او تُوجَدوا مُغْمِضين وعن ابن عبّاس
كانوا يتصدّقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللّٰهَ غَنِيٌّ عن انفاقكم وانّما يأمركم به
لانتفاعكم حَمِيدٌ بقبوله واثابته (٢٧١) ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ فى الانفاق والوعد فى الاصل شائع فى الخير
والشرّ وقرئ الفقر بالضمّ والسكون وبضمّتين وفتحتين وَيَأْمُرُكُمْ بِٱلْفَحْشَاءِ ويغريكم على البخل والعرب
تسمّى البخيل فاحشا وقيل المعاصى وَٱللّٰهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ اى يعدكم فى الانفاق مغفرة لذنوبكم
وَفَضْلًا خلفا افضل ممّا انفقتم فى الدنيا او فى الآخرة وَٱللّٰهُ وَاسِعٌ واسع الفضل لمن انفق عَلِيمٌ بانفاقه
(٢٧٢) يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ تحقيق العلم واتقان العمل مَنْ يَشَاءُ مفعول اوّل أُخّر للاهتمام بالمفعول الثانى
وَمَنْ يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ بناؤه للمفعول لانّه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اى ومن يؤته اللّه فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا
اى اىّ خير كثير اذ حيز له خير الدارين وَمَا يَذَّكَّرُ وما يتعظ بما قصّ من الآيات او وما يتفكّر فانّ
المتفكّر كالمتذكّر لما اودع اللّه فى قلبه من العلوم بالقوّة إِلَّا أُولُو ٱلْأَلْبَابِ ذوو العقول الخالصة عن شوائب
الوهم والركون الى متابعة الهوى (٢٧٣) وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ قليلة او كثيرة سرّا او علانية فى حقّ او
باطل أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ بشرط او غير شرط فى طاعة او معصية فَإِنَّ ٱللّٰهَ يَعْلَمُهُ فيجازيكم عليه وَمَا لِلظَّالِمِينَ
الّذين ينفقون فى المعاصى وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يفون بالنذور مِنْ أَنْصَارٍ من ينصرهم
من اللّه ويمنعهم من عقابه إِنْ تُبْدُوا ٱلصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائى بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون
العين وروى عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو أقيس وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَاءَ اى
تعطوها مع الاخفاء فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فالاخفاء خير لكم وهذا فى التطوّع ولمن لم يُعرف بالمال فانّ ابداء

جزء ٣ الفرض لغيره افضل لنفى التهمة عن ابن عبّاس رضه صدقة السرّ فى التطوّع تفْضل علانيتَها سبعين ضعْفا
ركوع ٥ وصدقة الفريضة علانيتُها افضل من سرّها بخمسة وعشرين ضعفا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ قرأ ابن عامر وعاصم فى رواية حفص بالياء اى واللّهُ يكفّر او الاخفاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عيّاش ويعقوب بالنون مرفوعا على انّه جملة فعليّة مبتدأة او اسميّة معطوفة على ما بعد الفاء اى ونحن نكفّر وقرأ نافع وحمزة والكسائىّ به مجزوما على محلّ الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ترغيب فى الاسرار (٢٧٤) لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديّين وانّما عليك الارشاد والحثّ على المحاسن والنهى عن القبائح كالمنّ والاذى وانفاق الخبيث وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ صريح بانّ الهداية من اللّه وبمشيئته وانّها تخصّ بقوم دون قوم وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ من نفقة معروفة فَلِأَنْفُسِكُمْ فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنّوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ حال وكأنّه قال وما تنفقوا من خير فلأنفسكم غيرَ منفقين الّا لابتغاء وجه اللّه وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اى وليست نفقتكم الّا لابتغاء وجهه فما بالكم تمنّون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفى فى معنى النهى وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ثوابُه أضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطيّة السابقة او ما يُخْلَف للمنفق استجابةً لقوله عم اللّهمّ اجعلْ لمُنْفق خَلَفا ولممْسك تَلَفا روى انّ ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار ورضاع فى اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لمّا اسلموا ان ينفعوهم فنزلت وهذا فى غير الواجب أمّا الواجبُ فلا يجوز صَرْفه الى الكافر وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ اى لا تُنْقَصون ثوابَ نفقاتكم لِلْفُقَرَاءِ متعلّق بمحذوف اى اعْمِدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتُكم للفقراء الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ احصرهم الجهاد لَا يَسْتَطِيعُونَ لاشتغالهم به ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصُفّة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صُفّة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلّم والعبادة وكانوا يخرجون فى كلّ سَرِيّة بعثها رسول اللّه يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ بحالهم وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم بفتح السين أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ من اجل تعفّفهم عن السؤال تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ من الضعف ورثاثة الحال والخطابُ للرسول صلعم او لكلّ احد لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا الحاحا وهو ان يلازم المسئول حتّى يعطيه من قولهم لَحَفَنى من فضل لحافه اى اعطانى من فضلِ ما عنده والمعنى انّهم لا يسألون وإن سألوا عن ضرورة لم يُلحّوا وقيل هو نفى للامرَيْن كقوله

على لاحِبٍ لا يُهْتَدَى بمناره

ونصبه على المصدر فانّه كنوع من السؤال او على الحال وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ترغيب فى
ركوع ٦ الانفاق وخصوصا على هؤلاء (٢٧٥) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً اى يعمّون الاوقات

جزء ٣ ركوع ٦

والاحوالّ بالخير نزلت فى ابى بكر الصدّيق رضه تصدّق باربعين الف دينارٍ عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسرّ وعشرة بالعلانية وقيل فى علىّ رضه لم يملك الّا اربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرّا ودرهم علانية وقيل فى ربط الخيل فى سبيل اللّه والانفاق عليها فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ خبر الّذين ينفقون والفاء للسببيّة وقيل للعطف والخبرُ محذوف اى ومنهم الّذين ولذلك جُوِّز الوقف على وعلانية (٢٧٦) اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبٰوا اى الآخذون له وانّما ذكر الاكل لانّه اعظم منافع المال ولانّ الربوا شائع فى المطعومات وهو زيادة فى الأَجَل بأن يباع مطعومٌ بمطعوم او نقدٌ بنقد الى اجل او فى العِوَض بأن يباع احدُهما باكثر منه من جنسه وانّما كُتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لَا يَقُومُونَ اذا بُعثوا من قبورهم اِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَانُ الّا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون انّ الشيطان يخبط الانسان فيُصْرَع والخبطُ ضَرْبٌ على غير اتّساق كخَبْط العَشْواء مِنَ ٱلْمَسِّ اى الجُنون وهذا ايضا من زعماتهم انّ الجنّىّ يمسّه فيختلط عقله ولذلك قيل جُنَّ الرجل وهو متعلّق بلا يقومون اى لا يقومون من المسّ الّذى بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبّط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم ولكن لانّ اللّه أَرْبَى فى بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا اِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبٰوا اى ذلك العقاب بسبب انّهم نظموا الربوا والبيع فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلّوه استحلاله وكان الاصل انّما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانّهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرقُ بَيِّنٌ فانّ من اعطى درهمين بدرهم ضيّع درهما ومن اشترى سلعةً تساوى درهما بدرهمين فلعلّ مساس الحاجة اليها او توقّع رواجها يجبر هذا الغَبْنَ وَأَحَلَّ ٱللّٰهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبٰوا انكارٌ لتسويتهم وابطالٌ للقياس بمعارضة النصّ فَمَنْ جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فمن بلغه وَعْظٌ من اللّه وزجْرٌ كالنهى عن الربوا فَٱنْتَهَى فاتّعظ وتبع النهى فَلَهُ مَا سَلَفَ تقدّم أَخْذُه التحريمَ ولا يُسْترَدّ منه ومَا فى موضع الرفع بالظرف ان جعلت مَنْ موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطيّة على رأى سيبَوَيْه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وَأَمْرُهُ اِلَى ٱللّٰهِ يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النيّة وقيل يحكم فى شأنه ولا اعتراضَ لكم عليه وَمَنْ عَادَ الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ لانّهم كفروا به (٢٧٧) يَمْحَقُ ٱللّٰهُ ٱلرِّبٰوا يذهب ببركته ويهلك المال الّذى يدخل فيه وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَاتِ يضاعف ثوابها ويبارك فيما أُخْرِجَتْ منه وعنه عم انّ اللّه يقبل الصدقة ويربّيها كما يُرَبِّى احدُكم مُهْرَه وعنه عم ما نَقَصَتْ زكوةٌ من مالٍ قطّ وَٱللّٰهُ لَا يُحِبُّ لا يرضى ولا يحبّ محبّته للتوّابين كُلَّ كَفَّارٍ مُصِرٍّ على تحليل المحرّمات أَثِيمٍ منهمك فى ارتكابه اِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا باللّه ورسوله وبما جاءهم منه وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلٰوةَ وَآتَوُا ٱلزَّكٰوةَ عطفهما على ما يعمّهما لانافتهما

جزء ٣ على سائر الاعمال الصالحة لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من آتٍ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ على فائتٍ
ركوع ٦ (٢٧٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بقلوبكم فانّ دليله امتثال ما أُمرتم به روى انّه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المَحِلّ بالمال والربوا فنزلت (٢٧٩) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فاعلموا بها من أَذِنَ بالشىء اذا علم به وقرأ حمزة وعاصم فى رواية ابن عيّاش فآذِنوا اى فأَعْلِموا بها غيرَكم من الأَذَن وهو الاستماع فانّه من طُرُق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضى ان يقاتَل المُرْبِى بعد الاستتابة حتّى يفيء الى امر اللّه كالباغى ولا يقتضى كُفْره روى انّها لمّا نزلت قالت ثقيف لا يَدَىْ لنا بحرب اللّه ورسوله وَإِنْ تُبْتُمْ من الارتباء واعتقاد حِلّه فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ بأخذ الزيادة وَلَا تُظْلَمُونَ بالمَطْل والنقصان ويُفْهَم منه انّهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصرّ على التحليل مرتدّ وماله فيءٌ (٢٨٠) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذَا عُسْرَةٍ اى وان كان الغريم ذا عسرة فَنَظِرَةٌ فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهى الانظار وقرئ فَنَاظِرُهُ على الخبر اى فالمستحقّ ناظِرُهُ بمعنى منتظِرُهُ او صاحبُ نَظِرَته على طريق النسب وفَنَاظِرْهُ على الامر اى فسامحه بالنظرة إِلَى مَيْسَرَةٍ يَسار وقرأ نافع وحمزة بضمّ السين وهما لغتان كمَشْرَقة ومَشْرُقة وقرئ بهما مضافَيْن بحذف التاء عند الاضافة كقوله

وأَخْلَفوك عِدَ الأَمْرِ الّذى وَعَدوا

وَأَنْ تَصَدَّقُوا بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد خَيْرٌ لَكُمْ اكثر ثوابا من الانظار او خير ممّا تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدّق الانظار لقوله عم لا يحلّ دَيْنُ رجل مسلم فيؤخّره الّا كان له بكلّ يوم صدقة إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل (٢٨١) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ يوم القيمة او يوم الموت فتأهّبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ جزاء ما عملت من خير او شرّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عبّاس انّها آخرُ آية نزل بها جبريل عم وقال ضعها فى رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول اللّه صلعم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايّام وقيل ثلاث
ركوع ٧ ساعات (٢٨٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئةً معطيا او آخذا وفائدةُ ذكر الدين ان لا يُتوهَّم من التداين المجازاةُ ويُعْلَم تنوّعه الى المؤجّل والحالّ وانّه الباعث على الكتبة ويكونَ مرجعَ ضميرِ فاكتبوه إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى معلوم بالايّام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاجّ فَاكْتُبُوهُ لانّه أَوْثَقُ وأَدْفَعُ للنزاع والجمهور على انّه استحباب وعن ابن عبّاس انّ المراد به السَّلَم وقال لمّا حرّم اللّه الربوا اباح السَّلَف وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ من يكتب بالسويّة

جزء ٣ لا يزيد ولا ينقص وهو فى الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه ديّن حتّى يجىء مكتوبه موثوقا
ركوع ٧ به معدّلا بالشرع وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ ولا يمتنع احد من الكتّاب أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللّٰهُ مثل ما علّمه اللّٰه من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه اللّٰه بتعليمها كقوله واحسنْ كما احسن اللّٰه اليك فَلْيَكْتُبْ تلك الكتابة المعلّمة امر بها بعد النهى عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان يتعلّق الكاف بالامر فيكون النهى عن الامتناع منها مطلقة ثمّ الامر بها مقيّدة وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وليكن المملى من عليه الحقّ لانّه المقرّ المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وَلْيَتَّقِ ٱللّٰهَ رَبَّهُ اى المملى او الكاتب وَلَا يَبْخَسْ ولا ينقص مِنْهُ شَيْـًٔا اى من الحقّ او ممّا املى عليه فَإِنْ كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا ناقص العقل مبذّرا أَوْ ضَعِيفًا صبيّا او شيخا مختلّا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ او غيرَ مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِٱلْعَدْلِ اى الّذى يلى امره ويقوم مقامه من قيّم ان كان صبيّا او مختلّ العقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة فى الاقرار ولعلّه مخصوص بما تعاطاه القيّم او الوكيل وَٱسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ واطلبوا ان يشهد على الدَّيْن شاهدان مِنْ رِجَالِكُمْ من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامّة العلماء وقال ابو حنيفة تُسْمَع شهادة الكفّار بعضهم على بعض فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فان لم يكن الشهيدان رجلين فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ فليشهد او فليستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابى حنيفة مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ لعلمكم بعدالتهم أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ علّة اعتبار العدد اى لاجل انّ احداهما إن ضلّت الشهادة بأن نسيتْها ذكّرتها الاخرى والعلّة فى الحقيقة التذكير ولكن لمّا كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح أَنْ يجىء عدوّ فادفعه وكانّه قيل ارادة أن تذكّر احداهما الاخرى إن ضلّت وفيه اشعار بنقصان عقلهنّ وقلّة ضبطهنّ وقرأ حمزة إِنْ تَضِلَّ على الشرط فَتُذَكِّرُ بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فَتُذْكِرَ من الاذكار وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا لاداء الشهادة او التحمّل وسمّوا شهداء قبل التحمّل تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع ، وما مزيدة وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ ولا تملّوا من كثرة مداينا تكم ان تكتبوا الدين او الحقّ او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانّه صفة المنافق ولذلك قال عم لا يقول المؤمن كسلت صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا صغيرا كان الحقّ او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا إِلَىٰ أَجَلِهِ الى وقت حلوله الّذى اقرّ به المديون ذٰلِكُمْ اشارة الى ان تكتبوه أَقْسَطُ عِنْدَ ٱللّٰهِ اكثر قسطا وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيّان من أَقْسَطَ وأَقَامَ على غير قياس او من قاسط بمعنى ذى قسط وقويم وانّما صحّت الواو فى اقوم كما صحّت فى التعجّب لجموده وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا واقرب من ان لا تشكّوا فى

جزء ۳ ركوع ۷

جنس الدين وقدره وأجله والشهود ونحو ذلك إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا استثناء من الامر بالكتابة، والتجارة الحاضرة تعمّ المبايعة بدَين او عَين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اى الّا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان، ونصب عاصم تجارةً على انّه الخبر والاسم مضمر تقديره الّا ان تكون التجارة تجارةً حاضرةً كقوله

بَنِى اسد هَلْ تعلمون بَلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب أَشْنَعا

ورفعها الباقون على انّه الاسم والخبر تديرونها او على كان التامّة وَأَشْهِدُوا اذا تَبَايَعْتُمْ هذا التبايع او مطلقا لانّه أَحْوَط، والاوامر التى فى هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمّة وقيل انّها للوجوب ثمّ اختلف فى احكامها ونسخها وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ يحتمل البنائين ويدلّ عليه انّه قرئ ولا يُضَارِرْ بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير فى الكتبة والشهادة او النهى عن الضرار بهما مثل ان يعجّلا عن مهمّ ويكلّفا الخروج عمّا حُدّ لهما ولا يعطى الكاتب جُعْلَه والشهيد مونة مجيئه حيث كان وَإِنْ تَفْعَلُوا الضرار او ما نهيتم عنه فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ خروج عن الطاعة لاحق بكم وَاتَّقُوا اللَّهَ فى مخالفة امره ونهيه وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ أحكامه المتضمّنة لمصالحكم وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ كرّر لفظ اللّه فى الجمل الثلاث لاستقلالها فانّ الاولى حثّ على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولانّه ادخل فى التعظيم من الكناية (۲۸۳) وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ اى مسافرين وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فالّذى يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر فى الارتهان كما ظنّه مجاهد والضحّاك لانّه عم رهن درعه فى المدينة من يهودىّ بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثّق بالارتهان مقام التوثّق بالكتب فى السفر الّذى هو مظنّة اعوازه والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك، وقرأ ابن كثير وابو عمرو فَرُهُنٌ كسُقُف وكلاهما جمع رَهْن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا اى بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ اى دَينه سمّاه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به، وقرئ الَّذِى ايتُمِنَ بقلب الهمزة ياء وَالَّذِى اتُّمِنَ بادغام الياء فى التاء وهو خطأ لانّ المنقلبة عن الهمزة فى حكمها فلا تدغم وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ فى الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ايّها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ اى يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر انّ واسناد الاثم الى القلب لانّ الكتمان مقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانّه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانّه قيل تمكّن الاثم فى نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه، وقرئ قَلْبَهُ بالنصب كحَسَنٍ وَجْهَهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ تهديد

ركوع ۸ (۲۸۴) لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ خلقا وملكا وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِى أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يعنى ما فيها من

السوء والعزم عليه لترتّب المغفرة والعذاب عليه يُحَاسِبْكُمْ بِهِ ٱللّٰهُ يوم القيمة وهو حجّة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَآءُ مغفرته وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ تعذيبه وهو صريح فى نفى وجوب التعذيب ، وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا منه بدلَ البعض من الكلّ او الاشتمال كقوله جزء ٣ ركوع ٨

مَتَى تأتِنا تُلْمِمْ بنا فى دِيارنا تَجِدْ حَطَبا جَزْلا ونارا تأجَّجا

وادغام الراء فى اللام لحنٌ اذ الراء لا يدغم الّا فى مثله وَٱللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على الاحياء والمحاسبة (٢٨٥) آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ شهادة وتنصيص من اللّٰه تعالى على صحّة ايمانه والاعتداد به وانّه جازم فى امره غير شاكّ فيه وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِٱللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا يخلو من ان يُعْطَف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الّذى ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يُجْعَل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصحّ وقوعُ كلّ بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم امّا لتعظيمه او لانّ ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال ، وقرأ حمزة والكسائىّ وَكِتَابِهِ يعنى القران او الجنس والفرقُ بينه وبين الجمع انّه شائع فى وُحْدان الجنس والجمع فى جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ اى يقولون لا نفرّق وقرأ يعقوب لَا يُفَرِّقُ بالياء على انّ الفعل لكلّ وقرئ لَا يُفَرِّقُونَ حَمْلا على معناه كقوله تعالى وكُلٌّ اتوه داخرين ، وأَحَدٌ فى معنى الجمع لوقوعه فى سياق النفى كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بَيْنَ ، والمراد نَفْى الفرق بالتصديق والتكذيب وَقَالُوا سَمِعْنَا اجبنا وَأَطَعْنَا أمرك غُفْرَانَكَ رَبَّنَا اغفر لنا غفرانك او نطلب غفرانك وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث (٢٨٦) لَا يُكَلِّفُ ٱللّٰهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا الّا ما تسعه قدرتُها فضلا ورحمةً او ما دون مَدَى طاقتها بحيث يتّسع فيه طوقها ويتيسّر عليها كقوله تعالى يريد اللّٰه بكم اليُسْرَ وهو يدلّ على عدم وقوع التكليف بالمُحال ولا يدلّ على امتناعه لَهَا مَا كَسَبَتْ من خير وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ من شرّ لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرّر بمعاصيها غيرها ، وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشرّ لانّ الاكتساب فيه اعتمال والشرّ تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت أجدّ فى تحصيله واعمل بخلاف الخير رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا اى لا تؤاخذنا بما ادّى بنا الى نسيان او خطأ من تفريط وقلّة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فانّ الذنوب كالسموم فكما انّ تناولها يؤدّى الى الهلاك وإن كان خطأ فتعاطى الذنوب لا يبعد ان يُفْضى الى العقاب وان لم يكن عزيمةً لكنّه تعالى وعد التجاوز عنه رحمةً وفضلا فيجوز ان يدعو الانسانُ به استدامةً واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيّد ذلك مفهومُ قوله عم رُفع عن امّتى الخطأ والنسيان رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا عِبْأً ثقيلا يأصِر صاحبَه اى يحبسه مكانَه يريد به التكاليف الشاقّة ، وقرئ وَلَا تُحَمِّلْ بالتشديد للمبالغة

جزء ٣ كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا حملا مثل حملك ايّاه على من قبلنا او مثل الّذى حملته ايّاهم فيكون صفة
ركوع ٨ لاصْرًا والمراد به ما كلّف به بنى اسرائيل مِنْ قتلِ الانفس وقطعِ موضعِ النجاسة وخمسين صلوة فى اليوم والليلة وصرفِ ربْعِ المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ من البلاء والعقوبة او من التكاليف الّتى لا تفى بها الطاقة البشريّة وهو يدلّ على جواز التكليف بما لا يُطاق والّا لَما سُئِل التخلّص عنه ، والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثانٍ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱمْحُ ذنوبنا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱسْتُرْ عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وَٱرْحَمْنَا وتعطّفْ بنا وتفضّلْ علينا أَنْتَ مَوْلَانَا سيّدنا فَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ فانّ مِنْ حقّ المولى ان ينصر مواليَه على الاعداء والمراد به عامّة الكفرة ، روى انّه عم لمّا دعا بهذه الدعوات قيل له فعلتُ ، وعنه عم انزل اللّه آيتَيْن من كنوز الجنّة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بألفَىْ سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عم من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وهو يردّ قولَ من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغى ان يقال السورة الّتى يذكر فيها البقرة كما قال عم السورة الّتى يذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلّموها فانّ تعلّمها بركة وتركها حسْرة ولن يستطيعها البَطَلة قيل وما البطلة قال السَحَرة .

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

مدنيّة وآيها مائتان آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٩ (١) الٓمٓ ٱللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ انّما فتح الميم فى المشهور وكان حقّها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدلّ على انّها فى حُكْم الثابت لانّها اسقطت للتخفيف لا للدرج فانّ الميم فى حكم الوقف كقولهم واحد آثْنان بالقاء حركة الهمزة على الدال لا لالتقاء الساكنين فانّه غير محذور فى باب الوقف ولذلك لم تحرّك فى لام وقرئ بكسرها على توهّم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ روى انّه عم قال انّ اسم اللّه الاعظم فى ثلاث سور فى البقرة اللّه لا اله الّا هو الحىّ القيّوم وفى آل عمران اللّه لا اله الّا هو الحىّ القيّوم وفى طٰه وعنت الوجوه للحىّ القيّوم (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ القران نجوما بِٱلْحَقِّ بالعدل او بالصدق فى اخباره او بالحجج المحقّقة انّه من عند اللّه وهو فى موضع الحال مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ من الكتب وَأَنْزَلَ ٱلتَّوْرٰيةَ وَٱلْإِنْجِيلَ جملةً على موسى وعيسى ، واشتقاقهما من الورْى والنجل ووزنهما بتفْعلة وافعيل تعسّف لانّهما اعجميّان ويؤيّد ذلك انّه قرئ الأَنجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العربيّة وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائىّ التورٰية بالامالة فى جميع القران ونافع وحمزة بين اللفظين الّا قالون فانّه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين مِنْ قَبْلُ من

قبل تنزيل القران هُدًى لِلنَّاسِ على العموم إن قلنا أنّا متعبّدون بشرع مَنْ قبلنا والّا فالمراد به قومهما جزء ٣
وَأَنْزَلَ ٱلْفُرْقَانَ يريد به جنس الكتب الالهيّة فانّها فارقة بين الحقّ والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب ركوع ٩
الثلاثة ليعمّ ما عداها كأنّه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحقّ والباطل او الزبورَ او القرانَ وكرّر
ذكره بما هو نعتٌ له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انّه يشاركهما فى كونه وحيا منزلا
ويتميّز بانّه معجز يفرق به بين المحقّ والمبطل او المعجزاتِ (٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ من كتبه
المنزلة وغيرها لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بسبب كفرهم وَٱللَّهُ عَزِيزٌ غالب لا يمنع من التعذيب ذُو ٱنْتِقَامٍ لا يقدر
على مثله منتقمٌ والنقمة عقوبة المُجْرِم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به
بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة فى اثبات النبوّة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه
(٤) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ اى شىء كائن فى العالم كلّيّا كان او جزئيّا
ايمانا او كفرا فعبّر عنه بالسماء والارض اذ الحسّ لا يتجاوزهما وانّما قدّم الارض ترقّيا من الادنى الى الاعلى
ولانّ المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيّا وقوله هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ
كَيْفَ يَشَاءُ اى من الصور المختلفة كالدليل على القيّوميّة والاستدلال على انّه عالمٌ باتقانِ فعله فى خلق
الجنين وتصويره ، وقرئ تَصَوَّرَكُم اى صوّركم لنفسه وعبادته لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ اذ لا يعلم غيرُه جملةَ ما
يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ اشارة الى كمال قدرته وتناهى حكمته ، قيل هذا حِجاج
على من زعم انّ عيسى كان ربّا فانّ وَفْدَ نجران لمّا حاجّوا فيه رسولَ اللّه صلعم نزلت السورة من اوّلها الى
نَيف وثمانين آية تقريرا لما احتجّ به عليهم واجاب عن شُبَهِهِم (٥) هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ
مُحْكَمَاتٌ احكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ اصله يُردّ اليها غيرُها والقياس
امّهات فافرد على تأويل كلّ واحدة او على انّ الكلّ بمنزلة آية واحدة وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ محتملات لا يتّضح
مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهرٍ الّا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان
يجتهدوا فى تدبّرها وتحصيل العلوم المتوقّف عليها استنباطُ المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح فى
استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات مَعاليَ الدرجات واما قوله تعالى آلر كتابٌ احكمت
آياته فمعناه انّها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه
انّه يشبه بعضه بعضا فى صحّة المعنى وجزالة اللفظ ، وأُخَر جمع اخرى وانّما لم ينصرف لانّه
وَصْف معدول عن الآخَر ولا يلزم منه معرفته لانّ معناه انّ القياس ان يعرّف ولم يعرّف لا انّه فى معنى
المعرّف او عن آخَرَ مِنْ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ عدول عن الحقّ كالمبتدعة فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ
فيتعلّقون بظاهره او بتأويل باطل ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ طلبَ ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس
ومناقضة المحكم بالمتشابه وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وطلبَ ان يأوّلوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعى الى
الاتّباع مجموع الطلبتين او كلّ منهما على التعاقب والاوّل يناسب المعاند والثانى يلائم الجاهل

جزء ٣ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ٱلَّذِى يجب ان يحمل عليه إِلَّا ٱللّٰهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ اى ٱلّذين ثبتوا وتمكّنوا فيه
ركوع ٩ ومن وقف على الّا اللّٰه فسّر المتشابه بما استأثر اللّٰه بعلمه كمدّة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواصّ
الاعداد كعدد الزبانية او بما دلّ القاطع على انّ ظاهره غير مراد ولم يدلّ على ما هو المراد يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ
استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا اى كلّ من
المتشابه والمحكم من عنده وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو ٱلْأَلْبَابِ مدح للراسخين بجودة الذهن وحُسْن النظر
واشارة الى ما استعدّوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرّد العقل عن غواشى الحسّ ، واتّصال الآية بما قبلها
من حيث انّها فى تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها فى تصوير الجسد وتسويته او انّها جواب عن
تشبّث النصارى بنحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انّه جواب عن قولهم لا اب
له غير اللّٰه فتعيّن ان يكون هو اباه بانّه تعالى مصوّر الأجنّة كيف يشاء فيصوّر من نطفة اب ومن
غيرها وبانّه صوّره فى الرحم والمصوّر لا يكون ابا المصوّر (٦) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا من مقال الراسخين
وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحقّ الى اتّباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عم قلب
ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحقّ وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا
يزيغ فيها قلوبنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا الى الحقّ او الايمان بالقسمين من المحكم والمتشابه ، وبَعْدَ نصب على
الظرف وإِذْ فى موضع الجرّ باضافته اليه وقيل انّه بمعنى أَنْ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً تزلفنا اليك ونفوز
بها عندك او توفيقا للثبات على الحقّ او مغفرة للذنوب إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْوَهَّابُ لكلّ سؤل ، وفيه دليل على
انّ الهدى والضلال من اللّٰه وانّه متفضّل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شىء (٧) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ
ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لحساب يوم او لجزائه لَا رَيْبَ فِيهِ فى وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبّهوا به على انّ
مُعْظَم غرضهم من الطلبتين ما يتعلّق بالآخرة فانّها المقصد والمآل إِنَّ ٱللّٰهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ فانّ الالهيّة
تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لوّن الخطاب ، واستدلّ به الوعيديّة وأُجيب بانّ وعيد الفسّاق
ركوع ١٠ مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا (٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عامّ فى
الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركو العرب لَنْ تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ ٱللّٰهِ
شَيْئًا اى من رحمته او طاعته على معنى البدليّة او من عذابه وَأُولٰئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ حطبها وقرئ بالضمّ
بمعنى اهل وُقودها (٩) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ متّصل بما قبله اى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن اولئك او
توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحلّ تقديره دأب هؤلاء كدأبهم فى الكفر والعذاب
وهو مصدر دَأَبَ فى العمل اذا كَدَحَ فيه فنقل الى معنى الشأن وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ عطف على آل فرعون
وقيل استيناف كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او
خبر إِنِ ابتدأت بالّذين من قبلهم وَٱللّٰهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة

(١٠) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ اى قل لمشركى مكّة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل جزء ٣
لليهود فانّه عم جمعهم بعد بدر فى سوق بنى قَيْنُقاع فحذّرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا ركوع ١٠
يَغُرَّنَّكَ أَنّكَ اصبت أَغْمارا لا علْمَ لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمتَ انّا نحن الناس فنزلت وقد صدّق اللّه وعده بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوّة ، وقرأ حمزة والكسائىّ بالياء فيهما على انّ الامر بأن يحكى لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ تمامُ ما يقال لهم او استيناف وتقديره بئس المهاد جهنّم او ما مهّدوه لانفسهم (١١) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا يوم بدر فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللّٰهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ يرى المشركون المؤمنين مثلَى عدد المشركين وكان قريبَ الف او مثلَى عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضْعَةَ عَشَرَ وذلك كان بعد ما قلّلهم فى اعينهم حتّى اجترءوا عليهم وتوجّهوا اليهم فلمّا لاقوهم كُثّروا فى اعينهم حتّى غُلبوا مددا من اللّه للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلَى المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقّنوا بالنصر الّذى وعدهم اللّه به فى قوله فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيّده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اى يُريهم اللّه او يُريكم ذلك بقدرته وفئةٍ بالجرّ على البدل من فِئَتَيْنِ والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رَأْىَ ٱلْعَيْنِ رؤية ظاهرة معاينة وَٱللّٰهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَآءُ نَصْرَه كما ايّد اهل بدر إِنَّ فِى ذٰلِكَ اى التقليل والتكثير او غلبة القليل عديمِ العُدّة على الكثير شاكى السلاح وكونُ الوقعة آيةً ايضا يحتملهما ويحتمل وقوعَ الامر على ما اخبر به الرسول لَعِبْرَةً لِأُولِى ٱلْأَبْصَارِ لعظةً لذوى البصائر وقيل لمن ابصرهم (١٢) زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ اى المشتهيات سمّاها شهوات مبالغةً وايماء الى انّهم انهمكوا فى محبّتها حتّى احبّوا شهوتها كقوله احببت حُبّ الخير ، والمزيّن هو اللّه تعالى لانّه الخالق للافعال والدواعى ولعلّه زيّنه ابتلاء او لانّه يكون وسيلة الى السعادة الاخرويّة اذا كان على وجه يرتضيه اللّه او لانّه من اسباب التعيّش وبقاء النوع وقيل الشيطان فانّ الآية فى معرض الذمّ وفرّق الجُبّائىّ بين المباح والمحرّم مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَامِ وَٱلْحَرْثِ بيان للشهوات ، والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مَسْك ثور واختلف فى انّه فعْلال او فنْعال والمقنطرة مأخوذ منه للتأكيد كقولهم بَدْرة مبدّرة ، والمسوّمة المُعْلَمة من السومة وهى العلامة او المرعيّة من اسام الدابّة وسوّمها او المطهّمة ، والانعام الابل والبقر والغنم ذٰلِكَ مَتَاعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا اشارة الى ما ذكر وَٱللّٰهُ عِنْدَهُ حُسْنُ ٱلْمَآبِ اى المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذّات الحقيقيّة الابديّة بالشهوات المُخْدَجة الفانية (١٣) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذٰلِكُمْ يريد به تقرير أنّ ثواب اللّه خير من مستلذّات الدنيا لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

*

جزء ٣ استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلّق اللام بخير ويرتفع جنّات على هو جنّات ويؤيّده قراءة
ركوع ١٠ من جرّها بدلا من خير وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ممّا يستقذر من النساء وَرِضْوَانٌ مِنَ ٱللَّهِ قرأه عاصم فى رواية ابى
بكر فى جميع القران بضمّ الراء ما خلا الحرف الثانى فى المائدة وهو قوله تعالى رِضْوانه سُبُلَ السلام بكسر
الراء وهما لغتان وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ اى باعمالهم فيثيب المُحْسِنَ ويعاقب المُسِىءَ او باحوال الّذين
اتّقوا فلذلك اعدّ لهم جنّات وقد نبّه بهذه الآية على نِعَمِه فأدْناها متاعُ الحيوة الدنيا واعلاها رضوانُ اللّه
لقوله ورضوان من اللّه اكبر واوسطها الجنّة ونعيمها (١٤) ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ صفة للمتّقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع ، وفى ترتيب السؤال على مجرّد الايمان
دليلٌ على انّه كافٍ فى استحقاق المغفرة او الاستعداد لها (١٥) ٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْمُنْفِقِينَ
وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ حَصْرٌ لمقامات السالك على احسن ترتيب فانّ معاملته مع اللّه امّا توسّل وامّا
طلب والتوسّل امّا بالنفس وهو مَنْعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبرُ يشملهما وامّا بالبدن
وهو امّا قولىّ وهو الصدق وامّا فعلىّ وهو القنوت الّذى هو ملازمة الطاعة وامّا بالمال وهو الانفاق فى سُبُل
الخير وأمّا الطلب فالاستغفار لانّ المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة
على استقلال كلّ واحد منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لانّ الدعاء
فيها اقرب الى الاجابة لانّ العبادة حينئذ اشقّ والنفس اصفى والرُوع اجمع سيّما للمتهجّدين قيل انّهم
كانوا يصلّون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون (١٦) شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ بيّن وحدانيّته بنصب
الدلائل الدالّة عليها وانزال الآيات الناطقة بها وَٱلْمَلَائِكَةُ بالاقرار وَأُولُو ٱلْعِلْمِ بالايمان بها والاحتجاج عليها
شبّه ذلك فى البيان والكشف بشهادة الشاهد قَائِمًا بِٱلْقِسْطِ مقيما للعدل فى قَسْمه وحُكْمه وانتصابه
على الحال من اللّه تعالى وانّما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيدٌ وعمرٌو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى
ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلةً او من هو والعاملُ فيها معنى الجملة اى تفرّد او احقّه لانّها حال مؤكّدة
او على المدح او الصفة للمنفىّ وفيه ضعف للفصل وهو مندرج فى المشهود به اذا جعلته صفة او حالا
عن الضمير وقرئ ٱلْقَائِمُ بِٱلْقِسْطِ على البدل من هو او الخبر لمحذوف لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ كرّره للتأكيد ومزيد
الاعتناء بمعرفة ادلّة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجّة وليبنى عليه قوله ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ فيُعْلَم انّه
الموصوف بهما وقدّم العزيز لتقدّم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او
الصفة لفاعل شهد وقد روى فى فضلها انّه عم قال يُجاء بصاحبها يومَ القيمة فيقول اللّه انّ لعبدى
هذا عندى عهدا وانا احقّ مَنْ وَفَى بالعهد أَدْخلوا عبدى الجنّةَ وهى دليل على فضل علم اصول الدين
وشرف اهله (١٧) إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَامُ جملة مستأنفة مؤكّدة للاولى اى لا دين مرضىّ عند اللّه
سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرّع بالشرع الّذى جاء به محمّد صلعم ، وقرأ الكسائىّ بالفتح على انّه

بدل من أنّه بدل الكلّ ان فُسّر الاسلام بالايمان او بما يتضمّنه وبدل الاشتمال ان فسّر بالشريعة جزء ٣
وقرئ انّهُ بالكسر وأنّ بالفتح على وقوع الفعل على الثانى واعتراض ما بينهما او اجراء شَهِدَ مجرى قَالَ ركوع ١٠
تارة وعَلِمَ اخرى لتضمّنه معناهما وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدّمة فى دين الاسلام فقال قوم انّه حقّ وقال قوم انّه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او فى التوحيد فثلّث النصارى وقالت اليهود عُزَيْرٌ ابن اللّه وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا فى امر عيسى عم إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ اى بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكّنوا من العلم بها بالآيات والحجج بَغْيًا بَيْنَهُمْ حسدا بينهم وطلبا للرئاسة لا لشبهة وخفاء فى الامر وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ وعيد لمن كفر منهم (١٨) فَإِنْ حَاجُّوكَ فى الدين او جادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ اخلصت نفسى وجملتى له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الّذى قامت عليه الحجج ودعا اليه الآيات والرسل وانّما عبّر بالوجه عن النفس لانّه اشرف الاعضاء الظاهرة ومَظْهر القُوى والحواسّ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ عطفٌ على التاء وحَسُنَ للفصل او مفعولٌ معه (١٩) وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ وَٱلْأُمِّيِّينَ الّذين لا كتاب لهم كمشركى العرب أَأَسْلَمْتُمْ كما اسلمتُ لمّا وضحت لكم الحجّة ام انتم بَعْدُ على كفركم ونظيرُه قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ ٱهْتَدَوْا فقد نفعوا انفسهم بأن اخرجوها من الضلال وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَاغُ
اى فلم يضرّوك اذ ما عليك إلّا ان تبلّغ وقد بلّغت وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ وعد ووعيد (٢٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ ركوع ١١
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ هم اهل الكتاب الّذين فى عصره قَتَلَ اوّلوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبىّ صلعم والمؤمنين ولكنّ اللّه عصمهم وقد سبق مثله فى سورة البقرة ، وقرأ حمزة وَيُقَاتِلُونَ ٱلَّذِينَ ، وقد منع سيبويه ادخال الفاء فى خبر إنّ كلَيْتَ ولَعَلَّ ولذلك قيل الخبر (٢١) أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ كقولك زَيْدٌ فَافْهَمْ رجلٌ صالحٌ والفرق انّه لا يغيّر معنى الابتداء بخلافهما وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ تدفع عنهم العذاب (٢٢) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ ٱلْكِتَابِ اى التورية او جنس الكتب السماويّة ، ومِنْ للتبعيض او البيان ، وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ الداعى محمّد صلعم ، وكتاب اللّه القران او التورية لما روى انّه عم دخل مِدْراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اىّ دين انت فقال على دين ابرهيم فقالا له إنّ ابرهيم كان يهوديّا فقال هلمّوا الى التورية فانّها بيننا وبينكم فأبيا فنزلت وقيل نزلت فى الرجم ، وقرئ لِيُحْكَمَ على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم ، وفيه دليل على انّ الادلّة السمعيّة حجّة فى

جزء ٣ ركوع ١١

الاصول ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ استبعاد لتوليهم مع علمهم بانّ الرجوع اليه واجب وَهُمْ مُعْرِضُونَ قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانّما ساغ لتخصّصه بالصفة (٢٣) ذَٰلِكَ اشارة الى التولّى والاعراض بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ بسبب تسهيلهم امرَ العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ من انّ النار لن تمسّهم الّا ايّاما قلائل او انّ آباءهم الانبياء يشفعون لهم او انّه تعالى وعد يعقوب عم ان لا يعذّب اولاده الّا تحلّة القسم (٢٤) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ استعظامٌ لما يحيق بهم فى الآخرة وتكذيبٌ لقولهم لن تمسّنا النار الّا ايّاماً روى انّ اوّل راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفّار راية اليهود فيفضحهم اللّه على رؤوس الاشهاد ثمّ يأمر بهم الى النار وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ جزاء ما كسبت وفيه دليل على انّ العبادة لا تحبط وانّ المؤمن لا يخلد فى النار لانّ توفية ايمانه وعمله لا تكون فى النار ولا قبل دخولها فاذن هى بعد الخلاص منها وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ الضمير لكلّ نفس على المعنى لانّه فى معنى كلّ انسان (٢٥) قُلِ ٱللَّهُمَّ الميم عوضٌ من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا اللّه أُمَّنا بخير فخفّف بحذف حرف النداء ومتعلّقات الفعل وهمزته مَالِكَ ٱلْمُلْكِ يتصرّف فيما يمكن التصرّف فيه تصرّفَ الملّاك وهو نداء ثانٍ عند سيبويه فانّ الميم عنده تمنع الوصفيّة تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَنْ تَشَآءُ وَتَنْزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَآءُ تعطى منه ما تشاء من تشاء وتستردّ فالملك الاوّل عامّ والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوّة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وَتُعِزُّ مَنْ تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَآءُ فى الدنيا او فى الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ذكر الخير وحده لانّه المقضىّ بالذات والشرّ مقضىّ بالعرض اذ لا يوجد شرّ جزئىّ ما لم يتضمّن خيرا كلّيّا او لمراعاة الادب فى الخطاب اولانّ الكلام وقع فيه اذ روى انّه عم لمّا خطّ الخندق وقطع لكلّ عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم يعمل فيها المَعاولُ فوجّهوا سلمانَ الى رسول اللّه صلعم يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برقٌ اضاء ما بين لابتيها لكأنّ مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبّر وكبّر معه المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانّها انياب الكلاب ثمّ ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر من ارض الروم ثمّ ضرب الثالثة فقال اضاءت لى قصورُ صَنْعاء واخبرنى جبريل انّ امّتى ظاهرة على كلّها فأبشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنّيكم ويَعِدكم الباطل ويخبركم انّه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانّها تُفْتَح لكم وانتم انّما تحفرون الخندق من الفَرَق فنزلت، ونبّه على انّ الشرّ ايضا بيده بقوله انّك على كلّ شىء قدير (٢٦) تُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة

جزء ٣ ركوع ١١

وسعة فضله دلالةً على انّ من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذلّ والعزّ وايتاء الملك ونزعه ، والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقص، واخراج الحيّ من الميّت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادّها واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ، وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وابو بكر الميْت بالتخفيف (٢٧) لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ نُهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهليّة ونحوهما حتّى لا يكون حبّهم وبغضهم الّا في اللّه او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينيّة مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ اشارة الى انّهم الاحقاء بالموالاة وانّ في موالاتهم مندوحةً عن موالاة الكفرة وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ اى اتّخاذهم اولياء فَلَيْسَ مِنَ ٱللّٰهِ فِي شَيْءٍ اى من ولايته في شيء يصحّ ان يسمّى ولاية فانّ موالاتي المتعاديَيْن لا تجتمعان قال

تودّ عدوّي ثمّ تزعم انّني صديقك ليس النوك عنك بعازب

إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً الّا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتّقاؤه او اتّقاء والفعل معدّى بمن لانّه في معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تَقِيّةً منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلّها الّا وقت المخافة فانّ اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عم كن وسطا وامش جانبا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللّٰهُ نَفْسَهُ وَإِلَى ٱللّٰهِ ٱلْمَصِيرُ فلا تتعرّضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مُشعر بتناهي المنهيّ في القبح وذكر النفس ليعلم انّ المحذّر منه عقابٌ يصدر منه فلا يُؤْبَه دونه بما يُحْذَر من الكفرة قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللّٰهُ اى انّه يعلم ضمائركم من ولاية الكفّار وغيرها ان تخفوها او تبدوها وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ فيعلم سرّكم وعلنكم وَٱللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عمّا نُهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذّركم اللّه نفسه وكانّه قال ويحذّركم نفسه لانّها متّصفة بعلم ذاتيّ يحيط بالمعلومات كلّها وقدرة ذاتيّة تعمّ المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الّا وهو مطّلع عليها قادر على العقاب بها (٢٨) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا يَوْمَ منصوب بتودّ اى تتمنّى كلّ نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشرّ حاضرة لو انّ بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمرٍ نحو اذكرْ، وتودّ حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجدُ مقصورٌ على ما عملت من خير ولا تكون مَا شرطيّةً لارتفاع تودّ وقرئ وَدَّتْ وعلى هذا يصحّ ان تكون شرطيّة ولكنّ الحمل على الخبر اوقعُ معنى لانّه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللّٰهُ نَفْسَهُ كرّره للتأكيد والتذكير وَٱللّٰهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ اشارة الى انّه تعالى انّما نهاهم وحذّرهم رأفةً بهم ومراعاة لصلاحهم او انّه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه (٢٩) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللّٰهَ فَٱتَّبِعُونِي المحبّة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها

ركوع

جزء ٣ ركوع ١٢

على ما يقرّبها اليه والعبد اذا علم انّ الكمال الحقيقيّ ليس الّا للّه وانّ كلّ ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من اللّه وباللّه والى اللّه لم يكن حبّه الّا للّه وفى اللّه وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقرّبه اليه فلذلك فُسّرت المحبّة بارادة الطاعة وجُعلت مستلزمة لاتّباع الرسول فى عبادته والحرص على مطاوعته يُحْبِبْكُمُ ٱللّٰهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ جواب للامر اى يَرْضَ عنكم ويكشف الحُجُبَ عن قلوبكم بالتجاوز عمّا فرط منكم فيقرّبكم من جناب عزّه ويبوّئكم فى جوار قدسه عبّر عن ذلك بالمحبّة على طريق الاستعارة او المقابلة وَٱللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لمن تحبّب اليه بطاعته واتّباع نبيّه روى انّها نزلت لمّا قالت اليهود نحن ابناء اللّه واحبّاؤه وقيل نزلت فى وفد نجران لمّا قالوا انّما نعبد المسيح حبّا للّه وقيل فى اقوام زعموا على عهده صلعم انّهم يحبّون اللّه فأُمروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قُلْ أَطِيعُوا ٱللّٰهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا يحتمل المضىّ والمضارعة بمعنى فان تتولّوا فَإِنَّ ٱللّٰهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَافِرِينَ لا يرضى عنهم ولا يُثْنى عليهم وانّما لم يقل لا يحبّهم لقصد العموم والدلالة على انّ التولّى كفر وانّه من هذه الحيثيّة ينفى محبّة اللّه وانّ محبّته مخصوصة بالمؤمنين (٣٠) إِنَّ ٱللّٰهَ ٱصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرٰهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ بالرسالة والخصائص الروحانيّة والجسمانيّة ولذلك قَوُوا على ما لم يَقْوَ عليه غيرهم لمّا اوجب طاعة الرسول وبيّن انّها الجالبة لمحبّة اللّه عقّب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استُدلّ على فضلهم على الملائكة ، وآلَ ابرٰهيم اسمٰعيل واسحٰق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلعم ، وآلَ عمران موسى وهٰرون ابنا عمران بن يَصْهُر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب او عيسى وامّه مريم بنت عمران ابن ماثان بن العازار بن ابى يوذ بن زربابل بن ساليان بن يوحنّا بن اوشيا بن أَمُون بن منشكن بن حازقا بن اخاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن سافط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشى بن عُوبد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياداب بن رام بن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ حال او بدل من الآلَيْن او منهما ومن نوح اى انّهم ذرّيّة واحدة متشعّبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض فى الدين ، والذرّيّة الولد يقع على الواحد والجمع فُعْلِيّة من الذرّ او فُعُّولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثمّ قلبت الواو ياء وادغمت وَٱللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ باقوال الناس واعمالهم فيصطفى من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيّتها (٣١) إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي فينتصب به اذْ وقيل نصبه باضمار اذكرْ ، وهذه حَنّة بنت فاقوذ جدّة عيسى عم وكان لعمران بن يَصْهُر بنت اسمها مريم اكبر من هٰرون فظنّ انّ المراد زوجته ويردّه كفالة زكريّاء فانّه كان معاصرا لابن ماثان وتزوّج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابنَىْ خالة من الاب روى انّها كانت عاقرا عجوزا فبينا هى فى ظلّ شجرة اذ رأت طائرا يُطْعِم فرخه فحنّت الى الولد وتمنّته فقالت اللّهمّ انّ لك علىّ نذرا إنْ رزقتنى ولدا أَنْ اتصدّق به على بيت المقدس فيكون من خَدَمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا عندهم فى الغلمان فلعلّها بنت الامرَ على التقدير او طلبت ذكرا مُحَرَّرًا مُعْتَقا لخدمته لا اشغله بشىء

جزء ٣ ركوع ١٢

او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فَتَقَبَّلْ مِنِّي ما نذرته إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ لقولى ونيّتى فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى الضمير لما فى بطنها وتأنيثه لانّه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لانّ تأنيثها عُلم منه فانّ الحال وصاحبها بالذات واحد او على تأويل مؤنّث كالنفس والحبلة وانّما قالته تحسّرا وتحزّنا الى ربّها لانّها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ اى بالشىء الّذى وضعت وهو استيناف من اللّه تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنه ، وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وَضَعْتُ على انّه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعلّ للّه سبحانه وتعالى فيه سرّا او الانثى كانت خيرا وقرئ وَضَعْتِ على خطاب اللّه لها وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنْثَى بيان لقوله واللّه اعلم اى وليس الذكر الّذى طلبت كالانثى الّتى وُهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيّان فيما نذرتُ فيكون اللام للجنس وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ عطف على ما قبله من مقالها وما بينهما اعتراض وانّما ذكرت ذلك لربّها تقرّبا اليه وطلبا لأنْ يَعْصمها ويُصْلحها حتّى يكون فعلها مطابقا لاسمها فانّ مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على انّ الاسم والمسمّى والتسمية امور متغايرة وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ أُجيرها بحفظك وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ المطرود وأصل الرجم الرمىُ بالحجارة وعن النبىّ صلعم ما من مولود يولد الّا والشيطان يمسّه حين يولد فيستهلّ من مسّه الّا مريم وابنها ومعناه انّ الشيطان يطمع فى اغواء كلّ مولود بحيث يتأثّر منه الّا مريم وابنها فانّ اللّه عصمها ببركة هذه الاستعاذة (٣٢) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا فرضى بها فى النذر مكانَ الذكر بِقَبُولٍ حَسَنٍ بوجهٍ حسنٍ يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلّمها عقيبَ ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روى انّ حنّة لمّا ولدتها لفّتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانّها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فانّ بنى ماثان كانت رؤوس بنى اسرائيل وملوكهم فقال زكريّاء انا احقّ بها عندى خالتها فأبوا الّا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريّاء ورسبت اقلامهم فتكفّلها ويجوز أن يكون مصدرا على تقديرِ مضاف اى بذى قبول حسن وأن يكون تقبّل بمعنى استقبل كتقصّى وتعجّل اى فاخذها فى اوّل امرها حين وُلدت بقبول حسن وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا مجاز عن تربيتها بما يُصْلحها فى جميع احوالها وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاءَ شدّد الفاء حمزة والكسائىّ وعاصم وقصروا زكريّا غير عاصم فى رواية ابن عيّاش على انّ الفاعل هو اللّه وزكريّا مفعول اى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفّف الباقون ومدّوا زكريّاء مرفوعا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّاءُ ٱلْمِحْرَابَ اى الغُرفة الّتى بنى لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدّمها سمّى به لانّه محلّ محاربة الشيطان كانّها وُضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا جوابُ كلّما وناصبه روى انّه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا

جزء ٣ ركوع ١٣ من اين لك هذا الرزق الآتى فى غير اوانه والابوابُ مغلقة عليك وهو دليلُ جواز الكرامة للاولياء وجعلُ ذلك معجزة زكريّاء يدفعه اشتباهُ الامر عليه قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ فلا تستبعده قيل تكلّمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قطّ وكان رزقها ينزل عليها من الجنّة إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاقٍ تفضّلا به وهو يحتمل أن يكون من كلامها وأن يكون من كلام الله تعالى روى انّ فاطمة رضها اهدت لرسول الله صلعم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمّى يا بُنيّة فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انّى لك هذا فقالت هو من عند الله انّ الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الّذى جعلك شبيهة سيّدة بنى اسرائيل ثمّ جمع عليّا والحسن والحسين وجميعَ اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها (٣٣) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّآءُ رَبَّهُ فى ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هُنا وثَمّ وحَيْثُ للزمان لمّا رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً كما وهبتها لحنّة العجوز العاقر وقيل لمّا رأى الفواكه فى غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لى من لدنك لانّه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ مجيبه فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَآئِكَةُ اى من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فانّ المنادى كان جبريل وحده ، وقرأ حمزة والكسائىّ فناداه بالامالة والتذكير وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ اى قائما فى الصلوة ويصلّى صفةُ قائم او خبر او حال آخر او حال عن الضمير فى قائم (٣٤) أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى اى بأنّ وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لانّ النداء نوع منه ، وقرأ حمزة والكسائىّ يَبْشُرُكَ ، ويَحْيَى اسم اعجمىّ وإن جُعل عربيّا فمنع صرفه للتعريف ووزنِ الفعل مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ اى بعيسى سمّى بذلك لانّه وُجد بامره تعالى دون اب فشابَهَ البدعيّات الّتى هى عالم الامر او بكتاب الله سمّى كلمة كما قيل كلمة الحُوَيْدرة لقصيدته وَسَيِّدًا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلّهم فى انّه ما همّ بمعصية وَحَصُورًا مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات والملاهى روى انّه مرّ فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خُلقتُ وَنَبِيًّا مِنَ ٱلصَّالِحِينَ ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة (٣٥) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ استبعادا من حيث العادة او استعظاما وتعجّبا او استفهاما عن كيفيّة حدوثه وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ ادركنى كبر السنّ واثّر فىّ وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ لا تلد من العقر وهو القطع لانّها ذات عُقرٍ من الاولاد قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ اى يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فانٍ وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأ وخبرٌ اى الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيانٌ له او كذلك خبرُ مبتدإ محذوف اى الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيانٌ له (٣٦) قَالَ رَبِّ ٱجْعَلْ لِي آيَةً علامة اعرف بها الحَبَلَ لأستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقّة الانتظار

جزء ٣ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلٰثَةَ أَيَّامٍ اى لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانّما حبس لسانه عن مكالمتهم
ركوع ١٢ خاصّةً ليُخلص المدّة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكأنّه قال آيتك ان يحبس لسانك الّا
عن الشكر واحسنُ الجواب ما اشتق من السؤال إِلَّا رَمْزًا اشارة بنحو يد او رأس واصلُه التحرّك ومنه
الراموز للبحر، والاستثناء منقطع وقيل متّصل والمراد بالكلام ما دلّ على الضمير، وقرئ رَمَزًا بفتحتين
كخَدَم جمع رامز ورُمُزًا كرُسُل جمع رَمُوز على انّه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله

متى ما تَلْقَنِي فَرْدَيْنِ تَرْجُفْ   روانِفُ أَلْيَتَيْكَ وتُسْتَطارا

وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا فى ايّام الحُبْسة وهو مؤكّد لما قبله مبيّن للغرض منه، وتقييد الامر بالكثرة يدلّ
على انّه لا يُفيد التكرار وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب
صدر الليل وَٱلْإِبْكَارِ من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بَكَر كسَحَر وأسحار

ركوع ١٣ (٣٧) وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ كلّموها شفاها
كرامةً لها ومن انكر الكرامة زعم انّ ذلك معجزة زكريّاء او ارهاصا لنبوّة عيسى فانّ الاجماع على انّه
سبحانه لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الّا رجالا وقيل الهموها، والاصطفاء الاوّل تقبّلُها
من امّها ولم يقبل قبلها انثى وتفريغُها للعبادة واغناؤُها برزق الجنّة عن الكسب وتطهيرُها تطهيرُها
عمّا يستقذر من النساء والثانى هدايتُها وارسالُ الملائكة اليها وتخصيصُها بالكرامات السنيّة كالولد
من غير اب وتبرئتُها عمّا قذفتها به اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين (٣٨) يَا مَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ
وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ امرت بالصلوة فى الجماعة بذكر اركانها مبالغة فى المحافظة عليها
وقدّم السجود على الركوع امّا لكونه كذلك فى شريعتهم او للتنبيه على انّ الواو لا توجب الترتيب
او ليقترن اركعى بالراكعين للايذان بانّ من ليس فى صلاتهم ركوع ليسوا مصلّين، وقيل المراد
بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى أمّنْ هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله
تعالى وأدبارَ السجود وبالركوع الخشوع والاخبات (٣٩) ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ اى ما ذكرنا
من القصص من الغيوب الّتى لم تعرفها الّا بالوحى وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ اقداحهم
للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم الّتى كانوا يكتبون بها التورية تبرّكا والمراد تقرير كونه وَحْيا على
سبيل التهكّم بمُنْكِرِيه فانّ طريق معرفة الوقائع المشاهَدةُ والسماعُ وعَدَمُ السماع معلوم لا شبهة فيه
عندهم فبقى ان يكون الاتّهام باحتمال العيان ولا يَظُنّ به عاقل أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ متعلّق بمحذوف دلّ
عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ليعلموا او يقولوا ايّهم يكفل مريم (٤٠) وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ
تنافسا فى كفالتها إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون
على انّ وقوع الاختصام والبشارة فى زمان متّسع كقولك لقيته سنة كذا يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ

*

جزء ٣ ركوع ١٣

ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرّفة كالصدّيق وأصله بالعبريّة مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرّب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانّه مُسِح بالبَرَكة او بما طهّره من الذنوب او مَسَح الارضَ ولم يُقِمْ فى موضع او مسحه جبريل ومن العَيْس وهو بياض يعلوه حُمْرة تكلّفٌ لا طائل تحته ، وابن مريم لمّا كانت صفة تميّز تمييزَ الاسماء نظمت فى سلكها ، ولا ينافى تَعَدُّدُ الخبر إفرادَ المبتدا فانّه اسمُ جنس مضافٌ ويحتمل ان يراد انّ الّذى يعرف به ويتميّز من غيره هذه الثلاثة فانّ الاسمَ علامة المسمّى والمميّز له ممّن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانّما قيل ابن مريم والخطابُ لها تنبيها على انّه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الامّ الّا اذا فُقِد الاب وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ حال مقدّرة من كلمة وهى وان كانت نكرة لكنّها موصوفة وتذكيره للمعنى والوجاهة فى الدنيا النبوّة وفى الآخرة الشفاعة وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ من اللّه وقيل اشارة الى علوّ درجته فى الجنّة او رَفْعِه الى السماء وصحبة الملائكة (٤١) وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا اى يكلّمهم حالَ كونه طفلا وكهلا كلامَ الانبياء من غير تفاوت ، والمهد مصدر سمّى به ما يمهد للصبىّ من مضجعه وقيل انّه رُفِع شابًّا والمراد وكهلا بَعْد نزوله وذكرُ احواله المختلفة المتنافية ارشادٌ الى انّه بمعزل عن الالوهيّة وَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ حال ثالثة من كلمة او ضميرها الّذى فى يكلّم (٤٢) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ تعجّب او استبعاد عادىّ او استفهام عن انّه يكون بتزوّج او غيره قَالَ كَذٰلِكِ ٱللّٰهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ القائل جبريل او اللّه وجبريل حكى لها قوله تعالى اِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ اشارة الى انّه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرّجا بأسباب وموادّ يقدر ان يخلقها دفعةً من غير ذلك (٤٣) وَنُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنجِيلَ كلام مبتدأ ذُكِر تطييبا لقلبها وازاحةً لما همّها من خوف اللوم لمّا علمَتْ انّها تلد من غير زواج او عطف على يبشّرك او وجيها ، والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخُصّ الكتابان لفضلهما ، وقرأ نافع وعاصم وَيُعَلِّمُهُ بالياء وَرَسُولًا اِلَىٰ بَنِىٓ اِسْرَآئِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول أُرسلْتُ رسولا بانّى قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدّمة مضمّنا معنى النطق فكانّه قال وناطقا بانّى قد جئتكم وتخصيص بنى اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للردّ على من زعم انّه مبعوث الى غيرهم أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ نصب بدل من أنّى قد جئتكم او جرّ بدل من آية او رفع على هى أنّى اخلق والمعنى أُقدّر لكم وأصوّر شيئا مثل صورة الطير ، وقرأ نافع اِنّى بالكسر فَأَنفُخُ فِيهِ الضمير للكاف اى فى ذلك المماثل فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللّٰهِ فيصير حيّا طيّارا بامر اللّه نبّه به على انّ احياءه من اللّه لا منه ، وقرأ نافع هنا وفى المائدة طَائِرًا بالالف والهمزة وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ الاكمه الّذى وُلد اعمى او الممسوح العين روى انّه ربّما كان يجتمع عليه الوف من المَرْضَى مَنْ اطاق منهم اتاه ومن لم يُطِقْ اتاه عيسى

جزء ٣ ركوع ١٣

وما يداوى الّا بالدعاء وَأُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ كرّر باذن اللّه دفعا لوهم اللاهوتيّة فانّ الاحياء ليس من جنس الافعال البشريّة وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ بالمغيّبات من احوالكم الّتى لا تشكّون فيها إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ موفّقين للايمان فانّ غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدّقين للحقّ غير معاندين (٤٤) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دلّ عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدّقا وَلِأُحِلَّ لَكُمْ مقدّر باضماره او مردود على قوله انّى قد جئتكم بآية او معطوف على معنى مصدّقا كقولهم جئتك معتذرا ولأطيّب قلبك بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ اى فى شريعة موسى عم كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل فى السبت وهو يدلّ على انّ شرعه كان ناسخا لشرع موسى عم ولا يُخلّ ذلك بكونه مصدّقا للتورية كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فانّ النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص فى الازمان وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ اى جئتكم بآية اخرى ألهمنيها ربكم وهو قوله انّ اللّه ربّى وربّكم فانّه دعوة الحقّ المُجْمَع عليها فيما بين الرسل الفارقةُ بين النبىّ والساحر او جئتكم بآية على انّ اللّه ربّى وربّكم وقوله فاتّقوا اللّه واطيعون اعتراض والظاهر انّه تكرير لقوله قد جئتكم بآية من ربّكم اى جئتكم بآية بعد اخرى ممّا ذكرت لكم والاوّل لتمهيد الحجّة والثانى لتقريبها الى الحكم ولذلك رتّب عليه بالفاء قوله فاتّقوا اللّه اى لمّا جئتكم بالمعجزات القاهرة والآيات الباهرة فاتّقوا اللّه فى المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثمّ شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال انّ اللّه ربّى وربّكم اشارةً الى استكمال القوّة النظريّة بالاعتقاد الحقّ الّذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارةً الى استكمال القوّة العمليّة فانّه بملازمة الطاعة الّتى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى ثمّ قرّر ذلك بأن بيّن انّ الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله صلعم قل آمنت باللّه ثمّ استقم (٤٥) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ تحقّق كفرهم عنده تحقّق ما يدرك بالحواسّ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى ٱللَّهِ ملتجئا الى اللّه او ذاهبا او ضامّا اليه ويجوز ان يتعلّق الجارّ بانصارى مضمّنا معنى الاضافة اى من الّذين يضيفون انفسهم الى اللّه تعالى فى نصرى وقيل الى ههنا بمعنى مع او فى او اللام قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ حوارىّ الرجل خالصته من الحَوَر وهو البياض الخالص ومنه الحواريّات للحضريّات لخلوص الوانهنّ سمّى به اصحاب عيسى عم لخلوص نيّتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصّارين يحوّرون الثياب اى يبيّضونها نَحْنُ أَنْصَارُ ٱللَّهِ اى انصار دينه آمَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ اشهد لنا يوم القيمة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم (٤٦) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ اى مع الشاهدين بوحدانيّتك او مع الانبياء الّذين يشهدون لأتباعهم او مع امّة محمّد صلعم فانّهم شهداء

جزء ٣ على الناس (٤٧) وَمَكَرُوا اى الّذين احسّ منهم الكفر من اليهود بأن وكّلوا عليه من يقتله غيلةً وَمَكَرَ ٱللَّهُ
ركوع ١٣ حين رفع عيسى والقى شِبْهَهُ على من قصد اغتيالَه حتّى قُتِل والمكر من حيث انّه فى الاصل حيلة
يجلب بها غيره الى مضرّة لا يسند الى اللّه الّا على سبيل المقابلة والازدواج وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ اقواهم
ركوع ١٤ مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يُحْتسب (٤٨) اِذْ قَالَ ٱللَّهُ ظرف لمكر اللّه او خير الماكرين
او لمضمر مثل وَقَعَ ذلك يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ اى مستوفى أَجَلك ومؤخّرك الى اجلك المسمّى عاصما ايّاك
من قتلهم او قابضك من الارض من توفّيت مالى او متوفّيك نائما اذ روى انّه رفع نائما او مميتك عن
الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته اللّه سبع ساعات ثمّ رفعه الى السماء واليه
ذهب النصارى وَرَافِعُكَ إِلَيَّ الى محلّ كرامتى ومقرّ ملائكتى وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا من سوء جوارهم او
قصدهم وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ يعلونهم بالحجّة او السيف فى غالب
الامر ومتّبعوه من آمن بنبوّته من المسلمين والنصارى والى الآن لم تُسْمَعْ غلبةٌ لليهود عليهم ولم يتّفق
لهم ملك ودولة ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ الضمير لعيسى ومن تبعه وكفر به وغلّب المخاطبين على الغائبين
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ من امر الدين (٤٩) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٠) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَنُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ تفسير
للحكم وتفصيل له ، وقرأ حفص فَيُوَفِّيهِمْ بالياء وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ تقرير لذلك (٥١) ذٰلِكَ اشارة الى
ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأٌ خبره نَتْلُوهُ عَلَيْكَ وقوله مِنَ ٱلْآيَاتِ حال من الهاء ويجوز ان
يكون الخبرَ ونتلوه حالا على انّ العامل معنى الاشارة وأن يكونا خبرَيْن وأن ينتصب بمضمر يفسّره
نتلوه وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ المشتمل على الحِكَم او المُحْكَم الممنوع عن تطرّق الخلل اليه يريد به القران
وقيل اللوح (٥٢) إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ انّ شأنه الغريب كشأن آدم خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ جملة
مفسّرة للتمثيل مبيّنة لما به الشبه وهو انّه خُلق بلا اب كما خُلق آدم من التراب بلا اب وامّ شبّه
حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لموادّ الشُبَه والمعنى خلق قالَبه من التراب ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ اى
انشأه بشرا كقوله تعالى ثمّ انشأناه خلقا آخر او قدّر تكوينه من التراب ثمّ كوّنه ويجوز ان يكون ثمّ
لتراخى الخبر لا المُخْبَر فَيَكُونُ حكايةُ حال ماضية (٥٣) ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ خبرُ محذوف اى هو الحقّ
وقيل الحقّ مبتدأٌ ومن ربّك خبره اى الحقّ المذكور من اللّه فَلَا تَكُنْ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ خطاب للنبىّ صلعم
على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكلّ سامع (٥٤) فَمَنْ حَاجَّكَ من النصارى فِيهِ فى عيسى مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ اى من البيّنات الموجبة للعلم فَقُلْ تَعَالَوْا هلمّوا بالرأى والعزم نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ

جزء ٣ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ اى يدع كلٌّ منّا ومنكم نفسه وأعزّة اهله وألصقهم بقلبه الى المباهلة
ركوع ١٤ ويحمل عليها وانّما قدّمهم على الانفس لانّ الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثُمَّ نَبْتَهِلْ اى نتباهل
بأن نلعن الكاذب منّا والبهلة بالضمّ والفتح اللعنة وأصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا
صرار فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ عطف فيه بيانٌ روى انّهم لمّا دُعوا الى المباهلة قالوا حتّى ننظر
٥ فلمّا تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال واللّه لقد عرفتم نبوّته ولقد جاءكم بالفصل
في امر صاحبكم واللّه ما باهل قومٌ نبيّا الّا هلكوا فإن ابيتم الّا أَلْف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا
رسول اللّه صلعم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلىٌّ خلفها وهو يقول
اذا انا دعوت فأمّنوا فقال أُسْقُفهم يا معشر النصارى انّى لأرى وجوها لو سألوا اللّه ان يزيل جبلا من
مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول اللّه وبذلوا له الجزية الفى حلّة حمراء وثلاثين درعا من
١٠ حديد فقال عم والّذى نفسى بيده لو تباهلوا لمُسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا
ولاستأصل اللّه نجران واهله حتّى الطيرَ على الشجر وهو دليل على نبوّته وفضل مَنْ اتى بهم من اهل بيته
(٥٥) إِنَّ هَٰذَا ما قُصّ من نبإ عيسى ومريم لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ بجملتها خبرُ إنّ او هُوَ فصلٌ يفيد انّ
ما ذكره في شأن عيسى ومريم حقّ دون ما ذكروه وما بعده خبرٌ واللام دخلت فيه لانّه اقرب الى
المبتدإ من الخبر وأصلها ان تدخل المبتدأ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ صرّح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا
١٥ للردّ على النصارى في تثليثهم وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ لا احد سواه يساويه في القدرة التامّة والحكمة
البالغة ليشاركه في الالوهيّة (٥٦) فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِٱلْمُفْسِدِينَ وعيد لهم ووضع المظهر موضع
المضمر ليدلّ على انّ التولّي عن الحجج والاعراض عن التوحيد إفسادُ الدين والاعتقادُ المؤدّى الى فساد
ركوع ١٥ النفس بل والى فساد العالم (٥٧) قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ يعمّ اهل الكتابَيْن وقيل يريد به وَفْد نجران او
يهود المدينة تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ لا يختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها
٢٠ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ان نوحّده بالعبادة ونخلص فيها وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْـًٔا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق
العبادة ولا نراه اهلا لأن يُعْبَد وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ولا نقول عزير ابن اللّه ولا المسيح
ابن اللّه ولا نطيع الأحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لانّ كلّا منهم بعضنا بشرٌ مثلنا روى انّه
لمّا نزلت اتّخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون اللّه قال عدىّ بن حاتم ما كنّا نعبدهم يا رسول اللّه
قال اليس كانوا يحلّون لكم ويحرّمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فَإِن تَوَلَّوْا عن التوحيد
٢٥ فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ اى لزمتكم الحجّة فاعترفوا بانّا مسلمون دونكم او اعترفوا بانّكم كافرون
بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل ، تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصّة من المبالغة في الارشاد
وحسن التدرّج في الحجاج بيّن اوّلا احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالوهيّة ثمّ

جزء ٣ ذكر ما يحلّ عُقدتهم ويزيح شبهتهم فلمّا راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ركوع ١٥ ثمّ لمّا اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عادَ عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بأن دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيلَ وسائرَ الانبياء والكتب ثمّ لمّا لم يُجْد ذلك ايضا عليهم وعلم انّ الآيات والنُذر لا تُغْنى عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانّا مسلمون (٥٨) يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرٰهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ ٱلتَّوْرٰيةُ وَٱلْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ تنازعت اليهود والنصارى فى ابرٰهيم وزعم كلّ فريق انّه منهم وترافعوا الى رسول ٱللّه صلعم فنزلت والمعنى انّ اليهوديّة والنصرانيّة حدثتا بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام وكان ابرٰهيم قبل موسى بألف سنة وعيسى بألفين فكيف يكون عليهما أَفَلَا تَعْقِلُونَ فتدّعون المُحالَ (٥٩) هَا أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ها حرفُ تنبيه نُبّهوا بها على حالهم الّتى غفلوا عنها وانتم مبتدأٌ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبيّنة للاولى اى انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انّكم جادلتم فيما لكم به علم ممّا وجدتموه فى التورية والانجيل عنادا او تدّعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر له فى كتابيكم من دين ابرٰهيم وقيل هؤلاء بمعنى الّذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أأنتم على الاستفهام للتعجّب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع وابو عمرو هَا آنْتُمْ حيث وقع بالمدّ من غير همز وورْش اقلّ مدّ وقُنْبُل بالهمز من غير الف بعد الهاء والباقون بالمدّ والهمز والبزّىّ بقصر المدّ على اصله وَٱللّٰهُ يَعْلَمُ ما حاججتم فيه وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وانتم جاهلون به (٦٠) مَا كَانَ إِبْرٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا تصريح بمقتضى ما قرّره من البرهان وَلٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مائلا عن العقائد الزائغة مُسْلِمًا منقادا للّه وليس المراد انّه كان على ملّة الاسلام والّا لاشترك الالزام وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ تعريض بانّهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح وردٌّ لادّعاء المشركين انّهم على ملّة ابرهيم (٦١) إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرٰهِيمَ انّ اخصّهم به واقربهم منه من الولْى وهو القرب لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ من امّته وَهٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا لموافقتهم له فى اكثر ما شرع لهم على الاصالة ، وقرئ وَٱلنَّبِيَّ بالنصب عطفا على الهاء فى اتّبعوه وبالجرّ عطفا على ابرٰهيم وَٱللّٰهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم (٦٢) وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ نزلت فى اليهود لمّا دعوا حُذَيْفة وعمّارا ومُعاذا الى اليهوديّة ، ولَوْ بمعنى أَنْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وما يتخطّاهم الاضلال ولا يعود وَبالُه الّا عليهم اذ يضاعَف به عذابهم او ما يضلّون الّا امثالهم وَمَا يَشْعُرُونَ وِزْرَه واختصاصَ ضرره بهم (٦٣) يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللّٰهِ بما نطقت به التورية والانجيل ودلّت على نبوّة محمّد صلعم وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ انّها آيات ٱللّه او بالقران وانتم تشهدون نعته فى الكتابَيْن او تعلمون بالمعجزات انّه حقّ (٦٤) يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ بالتحريف وابراز الباطل فى صورته او بالتقصير فى الميز بينهما ، وقرئ

جوء ٣ تُلَبِّسُونَ بالتشديد وتَلْبَسُونَ بفتح الباء اى تلبسون الحقّ مع الباطل كقوله عم كلابس ثَوْبَىْ زُورٍ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ نبوّة محمّد صلعم ونعته وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ عالمين بما تكتمونه (٦٥) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ ركوع ١٩ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ آمِنُوا بِٱلَّذِى أُنْزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ اى اظهروا الايمان بالقران أوّل النهار وَٱكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ واكفروا به آخره لعلّهم يشكّون فى دينهم ظنّا بانّكم رجعتم لخللٍ ظهر لكم ، والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لمّا حوّلت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلّوا اليها اوّل النهار ثمّ صلّوا الى الصخرة آخره لعلّهم يقولون هم اعلم منّا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بأن يدخلوا فى الاسلام اوّل النهار ويقولوا آخره نظرنا فى كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمّدا بالنعت الّذى ورد فى التورية لعلّ اصحابه يشكّون فيه (٦٦) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ولا تقرّوا عن تصديق قلب الّا لاهل دينكم او لا تُظْهِرُوا ايمانكم وجه النهار الّا لمن كان على دينكم فانّ رجوعهم أَرْجَى وأَهَمُّ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَى هُدَى ٱللَّهِ يهدى من يشاء الى الايمان ويُثبته عليه أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ متعلّق بمحذوف اى دبّرتم ذلك وقلتم لأن يؤتى احد والمعنى انّ الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اى ولا تظهروا ايمانكم بأن يؤتى احد مثل ما اوتيتم الّا لأشياعكم ولا تُفْشوه الى المسلمين لئلّا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلّا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل انّ الهدى هدى اللّه اعتراضٌ يدلّ على انّ كيدهم لا يُجْدى بطائل او خبرُ إنّ على انّ هدى اللّه بدل عن الهدى وقراءة ابن كثير أَأَنْ يُؤْتَى على الاستفهام للتقريع تؤيّد الوجه الاوّل اى أَلأَنْ يؤتى احد دبّرتم وقرئ إِنْ على انّها نافية فيكون من كلام الطائفة اى ولا تؤمنوا الّا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ عطف على ان يؤتى على الوجهين الاوّلين وعلى الثالث معناه حتّى يحاجّوكم عند ربّكم فيُدْحِضوا حجّتكم ، والواو ضميرُ احد لانّه فى معنى الجمع اذ المراد به غيرُ أتباعهم قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٦٧) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ردّ وإبطال لما زعموه بالحجّة الواضحة (٦٨) وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ كعبد اللّه بن سلام استودعه قرشىّ الفا ومائتى اوقيّة ذهبا فأدّاه اليه وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشىّ آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون فى القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة ، وقرأ حمزة وابو بكر وابو عمرو يُؤَدِّهْ إِلَيْكَ ولَا يُؤَدِّهْ إِلَيْكَ باسكان الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وكذا روى عن هشام والباقون باشباع الكسرة إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا الّا مُدّة دوامك قائما على رأسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى والترافع واقامة البيّنة (٦٩) ذَلِكَ اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤدّه

جزء ٣ ركوع ١٩ بِأَنَّهُمْ قَالُوا بسبب قولهم لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ اى ليس علينا فى شأنِ مَنْ ليسوا من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتابٌ وذمٌّ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ بادّعائهم ذلك وَهُمْ يَعْلَمُونَ انّهم كاذبون وذلك لانّهم استحلّوا ظلمَ من خالفهم وقالوا لم يُجْعَل لهم فى التورية حرمةٌ وقيل عامَلَ اليهودُ رجالا من قريش فلمّا اسلموا تقاضَوْهم فقالوا سقط حقّكم حيث تركتم دينكم وزعموا انّه كذلك فى كتابهم وعن النبىّ صلعم انّه قال عند نزولها كذب اعداء اللّه ما من شىء فى الجاهليّة الّا وهو تحت قدمىَّ الّا الامانة فانّها مودّاة الى البرّ والفاجر (٧٠) بَلَى اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَٱتَّقَى فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ استيناف مقرّر للجملة الّتى سدّت بَلَى مسدّها ، والضمير المجرور لمَنْ او ٱللَّهِ ، وعموم المتّقين ناب عن الراجع من الجزاء الى مَنْ وأشعر بانّ التقوى ملاك الامر وهو يعمّ الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهى (٧١) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ يستبدلون بِعَهْدِ ٱللَّهِ بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وَأَيْمَانِهِمْ وبما حلفوا به من قولهم واللّه لنؤمننّ به ولننصرنّه ثَمَنًا قَلِيلًا متاع الدنيا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ بما يسرّهم او بشىء اصلا وانّ الملائكة يسئلونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات اللّه وآياته والظاهر انّه كناية عن غضبه عليهم لقوله وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فانّ من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلّم معه والالتفات نحوه كما انّ من اعتدّ بغيره يقاوله ويكثر النظرَ اليه وَلَا يُزَكِّيهِمْ ولا يُثْنى عليهم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ على ما فعلوه ، قيل انّها نزلت فى احبار حرّفوا التورية وبدّلوا نعت محمّد عم وحُكْمَ الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت فى رجل اقام سِلْعةً فى السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل فى تراذُع كان بين الاشعث بن قيس ويهودىّ فى بئر او ارض وتوجّه الحلف على اليهودىّ (٧٢) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يعنى المحرّفين ككعب ومالك وحُيَىّ يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِٱلْكِتَابِ يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المُنْزَل الى المحرّف او يعطفونها بشبه الكتاب ، وقرئ يَلُونَ بقلب الواو المضمومة همزة ثمّ تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَابِ الضمير للمحرّف المدلول عليه بقوله يلوون ، وقرئ لِيَحْسَبُوهُ بالياء والضمير ايضا للمسلمين وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ تأكيد لقوله ما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانّهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اى ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضى ان لا يكون فعلُ العبد فعلَ اللّه وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على اللّه والتعمّد فيه (٧٣) مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ ٱللَّهِ تكذيب وردّ على عَبَدة عيسى وقيل انّ ابا رافع القُرَظى والسيّد النجرانىّ قالا يا محمّد اتريد ان نعبدك ونتّخذك ربّا فقال معاذَ اللّه ان نعبد غيرَ اللّه وان نأمر بعبادة غير اللّه فما بذلك بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت وقيل قال رجل

يا رسول الله نسلّم عليك كما يسلّم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغى ان يُسْجَد لاحد من جزء ۳
دون الله ولكن اكرموا نبيّكم واعرفوا الحقّ لاهله وَلٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ولكن يقول كونوا ربّانيّين ، ركوع ۱۶
والربّانىّ منسوب الى الربّ بزيادة الالف والنون كاللحيانىّ والرقبانىّ وهو الكامل فى العلم والعمل بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ بسبب كونكم معلّمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فانّ فائدة التعليم والتعلّم معرفة الحقّ والخير للاعتقاد والعمل ، وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تَعْلَمُونَ بمعنى عالمين وقرئ تُدَرِّسُونَ من التدريس وتُدْرِسُونَ من ادرس بمعنى درّس كاكرم وكرّم ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تَدْرُسونه على الناس (۷۴) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثمّ يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله ما كان اى ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثمّ يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتّخاذ الملائكة والنبيّين اربابا او غير مزيدة على معنى انّه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتّخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورَفَعَه الباقون على الاستيناف ويحتمل الحال وقرأ ابو عمرو على اصله برواية الدورىّ باختلاس الضمّ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بَعْدَ اِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ دليل على انّ الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لأن يسجدوا له (۷۵) وَاِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ ركوع ۱۷
لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قيل انّه على ظاهره واذا كان هذا حُكْمَ الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انّه تعالى اخذ الميثاق من النبيّين وأُمَمِهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيّين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الّذى وثّقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيّين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سمّاهم نبيّين تهكّما لانّهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوّة من محمّد لانّا اهل الكتاب والنبيّون كانوا منّا ، واللام فى لَمَا موطّئة للقسم لانّ اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف ، ومَا تحتمل الشرطيّة ولتؤمننّ سادّ مسدّ جواب القسم والشرط وتحتمل الخبريّة ، وقرأ حمزة لِمَا بالكسر على انّ مَا مصدريّة اى لاجل ايتائى ايّاكم بعض الكتاب ثمّ مجىء رسول مصدّق له اخذ الله الميثاق لتؤمننّ به ولتنصرنّه او موصولة والمعنى اخذه للّذى آتيتكموه وجاءكم رسول مصدّق له وقرئ لَمّا بمعنى حين آتيتكم او لَمِنْ اجل ما آتيتكم على انّ اصله لَمِن مَا بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا وقرأ نافع آتَيْنَاكُمْ بالنون والالف جمعا قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذٰلِكُمْ اِصْرِى اى عهدى سمّى به لانّه يُؤْصَر اى يُشَدّ وقرئ بالضمّ وهو امّا لغة فيه كعِبْر وعُبْر او جمع اِصار وهو ما يُشَدّ به قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم (۷۶) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذٰلِكَ بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ المتمرّدون من

*

جزء ٣ ركوع ١٧ الكفرة (٧٧) أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ تَبْغُونَ عطف على الجملة المتقدّمة والهمزة متوسّطة بينهما للانكار او محذوف تقديره اتتولّون فغير دين اللّه تبغون وتقديم المفعول لانّه المقصود بالانكار ، والفعل بلفظ الغيبة عند ابى عمرو وعاصم فى رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا اى طائعين بالنظر واتّباع الحجّة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يُلْجِئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخّرين كالكفرة فانّهم لا يقدرون ان يمتنعوا عمّا قضى عليهم وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وقرئ بالياء على انّ الضمير لمَنْ (٧٨) قُلْ آمَنَّا بِٱللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَٱلنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ امرٌ للرسول صلعم بأن يُخْبِرَ عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرانُ كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسّط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد يُنْسَب اليهم او بأن يتكلّم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له ، والنزول كما يعدّى بالى لانّه ينتهى الى الرسل يعدّى بعَلَى لانّه من فوق ، وانّما قدّم المنزل عليه ثم على المنزل على سائر الرسل لانّه المعرّف له والعيار عليه لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ بالتصديق والتكذيب وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ منقادون او مخلصون فى عبادته (٧٩) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِينًا اى غير التوحيد والانقياد لحكم اللّه فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ اى الواقعين فى الخسران والمعنى انّ المُعْرِض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة الّتى فُطِر الناس عليها واستُدلّ به على انّ الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيرَه لم يُقْبَل والجواب انّه ينفي قبولَ كلّ دين يغايره لا قبولَ كلّ ما يغايره ولعلّ الدين ايضا للاعمال (٨٠) كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ استبعاد لأن يهديهم اللّه فانّ الحائد عن الحقّ بعد ما وضح له منهمك فى الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفى وانكار له وذلك يقتضى ان لا تُقْبَل توبةُ المرتدّ ، وشَهِدُوا عطفٌ على ما فى ايمانهم من معنى الفعل ونظيرُه فَأَصَّدَّقَ وأَكُنْ او حالٌ باضمارِ قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على انّ الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ٱلَّذِينَ ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضْع الكفر موضعَ الايمان فكيف من جاءه الحقّ وعرفه ثمّ اعرض عنه (٨١) أُولٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ يدلّ بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفى جوازَ لعن غيرهم ولعلّ الفرق انّهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم ، والمراد بالناس المؤمنون او العموم فانّ الكافر ايضا يلعن منكر الحقّ والمرتدّ عنه ولكن لا يعرف الحقّ بعينه (٨٢) خَالِدِينَ فِيهَا فى اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرها لدلالة الكلام عليهما لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٣) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ اى من بعد الارتداد وَأَصْلَحُوا ما

افسدوا ويجوز ان لا يقدّر له مفعول بمعنى ودخلوا فى الصلاح فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ يقبل توبته رَّحِيمٌ يتفضّل جزء ٣
عليه ، قيل انّها نزلت فى الحارث بن سُوَيْد حين ندم على ردّته فارسل الى قومه أَنْ سَلُوا هل لى من توبة ركوع ١٧
فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب (٨٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْرًا
كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثمّ ازدادوا كفرا بمحمّد والقران او كفروا
بمحمّد بعد ما آمنوا به قبل مَبْعثه ثمّ ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصدّ عن الايمان
ونقض الميثاق او كقوم ارتدّوا ولحقوا بمكّة ثمّ ازدادوا كفرا بقولهم نتربّص بمحمّد ريب المنون او نرجع
اليه وننافقه باظهاره لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ لانّهم لا يتوبون او لا يتوبون الّا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن
عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا فى شأنهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة او لانّ توبتهم
لا تكون الّا نفاقا لا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلضَّالُّونَ الثابتون
على الضلال (٨٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا لمّا كان
الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به ، ومِلْء الشىء ما يملأه ، وذَهَبًا
نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِ محمول على المعنى
كانّه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن
يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرّب به فى الدنيا ولو افتدى به من العذاب فى الآخرة او المراد
ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو انّ للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه والمِثْل يحذف ويراد
كثيرا لانّ المِثْلَيْن فى حُكْمِ شىء واحد أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مبالغة فى التحذير والاقناط لانّ من لا
يُقْبَل منه الفداء ربّما يُعْفى عنه تكرّما وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ فى دفع العذاب ، ومِنْ مزيدة للاستغراق
(٨٦) لَن تَنَالُوا ٱلْبِرَّ اى لن تبلغوا حقيقة البرّ الّذى هو كمال الخير او لن تنالوا برّ اللّه الّذى هو الرحمة جزء ٤
والرضاء والجنّة حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ اى من المال او ما يعمّه وغيره كبذل الجاه فى معاونة الناس ركوع ١
والبدن فى طاعة اللّه والمهجة فى سبيله روى انّها لمّا نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول اللّه انّ أَحَبَّ
اموالى الىّ بَيْرَحا فضعْها حيث اراك اللّه فقال بَخٍ بَخٍ ذاك مالٌ رابح او رائح وانّى ارى أَنْ تجعلها فى الاقربين
وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبّها فقال هذه فى سبيل اللّه فحمل عليها رسول اللّه صلعم اسامةَ بن
زيد فقال زيد انّما اردت ان اتصدّق بها فقال عم انّ اللّه تعالى قد قبلها منك وذلك يدلّ على انّ انفاق
احبّ الاموال على اقرب الاقارب افضل وأنّ الآية تعمّ الانفاق الواجب والمستحبّ ، وقرئ بَعْضَ مَا تُحِبُّونَ
وهو يدلّ على انّ مِنْ للتبعيض ويحتمل التبيين وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ من اىّ شىء محبوب او غيره ومِنْ
لبيانِ ما فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ فمجازيكم بحسبه (٨٧) كُلُّ ٱلطَّعَامِ اى المطعومات والمراد اكلها كَانَ حِلًّا
لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ حلالا لهم وهو مصدر نُعت به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث قال

جزء ۴ تعالى لا هُنّ حِلًّ لهم الّا مَا حَرَّمَ إِسْرَآئِيلُ يعقوب عَلَىٰ نَفْسِهِ كلحوم الابل وألبانها قيل كان به عِرْق النَسا
ركوع ۱ فنذر إن شُفى لم يأكل احبَّ الطعامِ اليه وكان ذلك احبّه اليه وقيل فعل ذلك للتداوى باشارة
الاطبّاء واحتجّ به من جوّز للنبىّ ان يجتهد وللمانع أن يقول ذلك بإذن من اللّه فهو كتحريمه ابتداء
مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرٰيةُ اى من قبل انزالها مشتملةً على تحريم ما حرّم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبةً
وتشديدا وذلك ردٌّ على اليهود فى دعوى البراءة عمّا نعى عليهم فى قوله فبظلم من الّذين هادوا حرّمنا
عليهم طيّبات وقوله وعلى الّذين هادوا حرّمنا كلّ ذى ظفر الآيتان بأن قالوا لسنا اوّل من حُرّمت عليه
وانّما كانت محرّمة على نوح وابرٰهيم ومَنْ بعده حتّى انتهى الامر الينا فحرّمت علينا كما حرّمت
على من قبلنا وفى منع النسخ والطعنِ فى دعوى الرسول عم موافقةَ ابرٰهيم بتحليله لحومَ الابل وألبانَها
قُلْ فَأْتُوا بِٱلتَّوْرٰيةِ فَٱتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ امرٌ بمحاجّتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انّه قد حرّم
عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرّما روى انّه عم لمّا قاله لهم بُهتوا ولم يجسروا ان يُخرجوا التورية
وفيه دليل على نبوّته (٨٨) فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللّٰهِ ٱلْكَذِبَ ابتدعه على اللّه بزعمه انّه حرّم ذلك قبل نزول
التورية على بنى اسرائيل ومَن قبلهم مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ من بعد ما لزمتهم الحجّة فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ
الّذين لا يُنصفون من انفسهم ويكابرون الحقّ بعد ما وضح (٨٩) قُلْ صَدَقَ ٱللّٰهُ تعريض بكذبهم اى
ثبت انّ اللّه صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فَٱتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرٰهِيمَ حَنِيفًا اى ملّة الاسلام الّتى هى فى
الاصل ملّة ابرٰهيم او مثلَ ملّته حتّى تتخلّصوا من اليهوديّة الّتى اضطرّتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية
الاغراض الدنيويّة والزمتكم تحريمَ طيّبات احلّها اللّه لابرٰهيم ومَنْ تبعه وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ فيه اشارة
الى انّ اتّباعه واجب فى التوحيد الصِرف والاستقامة فى الدين والتجنّب عن الافراط والتفريط وتعريض
بشرك اليهود (٩٠) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ اى وُضع للعبادة وجُعل متعبَّدا لهم والواضع هو اللّه تعالى
ويدلّ عليه انّه قرئ على البناء للفاعل لَلَّذِى بِبَكَّةَ لَلبيتُ الّذى ببكّة وهو لغة فى مكّة كالنبيط
والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هى موضع المسجد ومكّة البلد من بكّه اذا زحمه او من بكّه
اذا دقّه فانّها تَبُكّ أعناقَ الجبابرة روى انّه عم سئل عن اوّل بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثمّ
بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وقيل اوّل من بناه ابرٰهيم ثمّ هُدم فبناه قوم من جُرْهُم
ثمّ العمالقة ثمّ قريش وقيل هو اوّل بيت بناه آدم فانطمس فى الطوفان ثمّ بناه ابرٰهيم وقيل كان فى
موضعه قبل آدم بيت يقال له الضُراح تطوف به الملائكة فلمّا أُهْبط أُمر بأن يحجّه ويطوف حوله ورُفع فى
الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهرَ الآية وقيل المراد انّه اوّل بيت
بالشرف لا بالزمان مُبَارَكًا كثير الخير والنفع لمن حجّه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من
المستكنّ فى الظرف وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ لانّه قبلتهم ومتعبّدهم ولانّ فيه آيات عجيبة كما قال (٩١) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ
كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الأعصار وأنّ ضوارى السباع تخالط الصيود فى الحرم ولا

جزء ٤ ركوع ١ تتعرّض لها وأنّ كلّ جبّار قصده بسوء قهره اللّه كاصحاب الفيل والجملة مفسّرة للهدى او حالٌ اخرى مَقَامُ إِبْرٰهِيمَ مبتدأ محذوفٌ خبره اى منها مقام ابرٰهيم او بدلٌ من آيات بدل البعض من الكلّ وقيل عطفُ بيان على انّ المراد بالآيات اثرُ القدم فى الصخرة الصمّاء وغوصُها فيها الى الكعبَيْن وتخصيصُها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظُه مع كثرة اعدائه الوفَ سنة ويؤيّده انّه قرئ آيةٌ بيّنةٌ على التوحيد وسببُ هذا الاثر انّه لمّا ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكّن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا جملة ابتدائيّة او شرطيّة معطوفة من حيث المعنى على مقام لانّه فى معنى أَمْنُ مَنْ دخله اى ومنها امنُ من دخله او فيه آيات بيّنات مقامُ ابرٰهيم وامنُ من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عم حُبّب الىّ من دنياكم ثلاثٌ الطيبُ والنساء وقرّةُ عينى فى الصلوة لانّ فيهما غُنْيةً عن غيرهما فى الدارين بقاء الاثر مَدَى الدهر والامن من العذاب يومَ القيٰمة قال عم من مات فى احد الحرَمَيْن بُعث يومَ القيٰمة آمنا وعند ابى حنيفة رضه من لَزِمَه القتلُ بردّة او قصاص او غيرهما والتجأ الى الحرم لم يُتعرّض له ولكن أُلْجِئَ الى الخروج

وَلِلّٰهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ قصدُه للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائىّ وعاصم فى رواية حفص حِجّ بالكسر وهو لغة نجد مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا بدل من الناس مخصّص له ، وقد فسّر رسول اللّه الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيّد قولَ الشافعىّ رضه انّها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزَمِن اذا وجد أُجْرةَ مَنْ ينوب عنه وقال مالك رضه انّها بالبدن فتجب على من قدر على المشى والكسب فى الطريق وقال ابو حنيفة رضه انّها بمجموع الامرَيْن ، والضمير فى إِلَيْهِ للبيت او الحجّ ، وكلّ مأتًى الى الشىء فهو سبيله (٩٢) وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ ٱللّٰهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ وضع كَفَرَ موضعَ لم يحجّ تأكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عم من مات ولم يحجّ فليمت ان شاء يهوديّا او نصرانيّا ، وقد اكّد امر الحجّ فى هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه فى صورة الاسميّة وايراده على وجه يُفيد انّه حقّ واجب للّه تعالى فى رقاب الناس وتعميم الحكم اوّلا وتخصيصه فانّه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحجّ كفرا من حيث انّه فعْل الكفرة وذكر الاستغناء فانّه فى هذا الموضع ممّا يدلّ على المقت والخذلان وقوله عن العالمين بدلٌ عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والإشعار بعظم السخط لانّه تكليف شاقّ جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرّد عن الشهوات والاقبال على اللّه روى انّه لمّا نزل صدر الآية جمع رسول اللّه صلعم ارباب الملل فخطبهم وقال انّ اللّه كتب عليكم الحجّ فحجّوا فآمنت به ملّة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر (٩٣) قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللّٰهِ اى بآياته السمعيّة والعقليّة الدالّة على صدق محمّد صلعم فيما يدّعيه من وجوب الحجّ وغيره ، وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على انّ كفرهم اقبح وانّهم وان زعموا انّهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما وَٱللّٰهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ والحال انّه شهيد مطّلع على اعمالكم فمجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف

جزء ۴ والاستسرار (۹۴) قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ كرّر الخطاب والاستفهام مبالغة فى
ركوع ۱ التقريع ونفيِ العذر لهم واشعارا بانّ كلّ واحد من الامرين مستقبَح فى نفسه مستقلّ باستجلاب العذاب ، وسبيلُ اللّه دينهُ الحقّ المأمور بسلوكه وهو الاسلام ، قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرّشون بينهم حتّى اتوا الأَوْسَ والخَزْرَجَ فذكّروهم ما بينهم فى الجاهليّة من التعادى والتحارُب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدّهم عنه تَبْغُونَهَا عِوَجًا حال من الواو اى باغين طالبين لها اعوجاجا بأن تَلْبِسوا على الناس وتوهموا انّ فيها عوجا عن الحقّ بمنع النسخ وتغيير صفة رسول اللّه ونحوهما او بأن تحرّشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختلّ امر دينهم وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ انّها سبيل اللّه والصدّ عنها ضلال واضلال او انتم عُدول عند اهل ملّتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم فى القضايا وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وعيد لهم ولمّا كان المنكر فى الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله واللّه شهيد ولمّا كان فى هذه الآية صدّهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يُخفونه ويحتالون فيه قال وما اللّه بغافل عمّا تعملون (۹۵) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ نزلت فى نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدّثون فمرّ بهم شاسُ بن قيس اليهوديّ فغاظه تألّفهم واجتماعهم فامر شابّا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكّرهم يومَ بُعَاثَ وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر فى ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاحَ السلاحَ واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجّه اليهم رسول اللّه صلعم واصحابه وقال اتدّعون الجاهليّة وانا بين أَظْهُركم بعدَ اذ اكرمكم اللّه بالاسلام وقطع به عنكم امرَ الجاهليّة والّف بينكم فعلموا انّها نَزْغةٌ من الشيطان وكيدٌ من عدوّهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول اللّه صلعم ، وانّما خاطبهم اللّه بنفسه بعد ما امر الرسول بأن يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانّهم الاحقّاء بأن يخاطبهم اللّه ويكلّمهم (۹۶) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ انكار وتعجيب لكفرهم فى حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِٱللَّهِ ومن يتمسّك بدينه او
ركوع ۲ يلتجئ اليه فى مجامع اموره فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فقد اهتدى لا محالة (۹۷) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ حقّ تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوُسْع فى القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم كقوله تعالى فاتّقوا اللّه ما استطعتم وعن ابن مسعود رضه هو ان يُطاع فلا يُعْصَى ويُشْكَر فلا يُكفَر ويُذْكَر فلا يُنْسَى وقيل هو ان تُنَزّه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقّع المجازاة عليها ، وفى هذا الامر تأكيد للنهى عن طاعة اهل الكتاب ، وأصلُ تقاة وُقَيَة فقلبت واوها المضمومة تاء كما فى تُؤَدَة وتُخَمَة والياء ألفا وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ اى ولا تكوننّ على حالٍ سوى حال الاسلام اذا ادركم الموت فانّ النهى عن المقيّد بحال او غيرها قد يتوجّه بالذات نحو الفعل تارةً والقيدِ اخرى وقد يتوجّه نحو المجموع دونهما وكذلك النفى (۹۸) وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ بدين الاسلام او بكتابه لقوله عم القران حبل

جزء ۴ رکوع ۲

اللّه المتين استعار له الحبل من حيث انّ التمسّك به سبب النجاة عن الردّى كما انّ التمسّك بالحبل سبب السلامة عن التردّى وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصامَ ترشيحا للمجاز جَمِيعًا مجتمعين عليه وَلَا تَفَرَّقُوا ولا تتفرّقوا عن الحقّ بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرّقوا تفرّقكم الجاهلىّ يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرّق ويزيل الالفة وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ التى من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدّى الى التألّف وزوال الغلّ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فى الجاهليّة متقاتلين فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ بالاسلام فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا متحابّين مجتمعين على الاخوّة فى اللّه وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لأبوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتّى اطفأها اللّه بالاسلام وألّف بينهم برسوله صلعم (۹۹) وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ مُشْفِين على الوقوع فى نار جهنّم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فى النار فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتأنيثه لتأنيث ما اضيف اليه او لانّه بمعنى الشفة فانّ شفا البئر وشفتها طَرَفها كالجانب والجانبة وأصله شَفَوٌ فقلبت الواو ألفا فى المذكّر وحذفت فى المؤنّث كَذَلِكَ مثل ذلك التبيين يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ دلائله لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ارادةَ ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه (۱۰۰) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ منْ للتبعيض لانّ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية ولانّه لا يَصْلح له كلّ احد اذ للمتصدّى له شروطٌ لا يشترك فيها جميعُ الامّة كالعلم بالأحكام ومراتب الاحتساب وكيفيّة اقامتها والتمكّن من القيام بها خاطب الجميعَ وطلب فعلَ بعضهم ليدلّ على انّه واجب على الكلّ حتّى لو تركوه رأسا أثموا جميعا ولكن يَسْقط بفعل بعضهم وهكذا كلُّ ما هو فرضُ كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امّةً يدعون كقوله تعالى كنتم خيرَ امّة اخرجت للناس تأمرون ، والدعاء الى الخير يعمّ الدعاء الى ما فيه صلاح دينىّ او دنيوىّ وعَطْف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عَطْف الخاصّ على العامّ للايذان بفضله وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ المخصوصون بكمال الفلاح روى انّه عم سُئل مَنْ خير الناس فقال آمَرُهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم للّه وأَوْصَلُهم اى للرحم ، والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهى عن المنكر واجبٌ كلّه لانّ جميع ما انكره الشرع حرام والاظهرُ انّ العاصى يجب ان يَنْهَى عمّا يرتكبه لانّه يجب عليه تركُه وإنكارُه فلا يسقط بترك احدهما وجوبُ الآخر (۱۰۱) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا كاليهود والنصارى اختلفوا فى التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفتَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ الآيات والحجج المبيّنة للحقّ الموجبة للاتّفاق عليه والاظهرُ انّ النهى فيه مخصوص بالتفرّق فى الاصول دون الفروع لقوله عم اختلاف امّتى رحمةٌ ولقوله عم من اجتهد فأصاب فله أَجْران ومن اخطأ فله اجر واحد وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وعيد للّذين تفرّقوا وتهديد على التشبّه بهم (۱۰۲) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ

جزء ۴ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ نصب بما فى لَهُمْ من معنى الفعل او باضمار اذكر ، وبياض الوجه وسواده كنايتان عن
ركوع ٢ ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يُوسَم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة
وسعى النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل بأضداد ذلك فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
على ارادة القول اى فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدّون او اهل
الكتاب كفروا برسول الله صلعم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفّار كفروا بعد ما اقرّوا حين
اشهدهم على انفسهم او تمكّنوا من الايمان بالنظر فى الدلائل والآيات فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ امر اهانة
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ بسبب كفركم او جزاء لكفركم (١٠٣) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللّٰهِ
يعنى الجنّة والثواب المخلّد عبّر عن ذلك بالرحمة تنبيها على انّ المؤمن وان استغرق عمره فى طاعة الله لا
يدخل الجنّة الّا برحمته وفضله وكان حقّ الترتيب ان يقدّم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلعُ الكلام
ومقطعُه حلْيةَ المؤمنين وثوابهم هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ اخرجه مُخْرَجَ الاستيناف للتأكيد كانّه قيل كيف
يكونون فيها فقال هم فيها خالدون (١٠٤) تِلْكَ آيَاتُ ٱللّٰهِ الواردة فى وعده ووعيده نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ
ملتبسةً بالحقّ لا شبهةَ فيها وَمَا ٱللّٰهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ اذ يستحيل الظلم منه لانّه لا يحقّ عليه شىء
فيظْلِمَ بنقصه ولا يُمْنَعُ عن شىء فيظْلِمَ بفعله لانّه المالك على الاطلاق كما قال (١٠٥) وَلِلّٰهِ مَا فِى ٱلسَّمٰوَاتِ
ركوع ٣ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللّٰهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ فيجازى كلّا بما وعد له واوعد (١٠٦) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ دلّ على خيريّتهم
فيما مضى ولم يدلّ على انقطاعٍ طَرَأَ كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم فى علم الله او فى اللوح
او فيما بين الامم المتقدّمين أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ اظهرت لهم تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ استيناف
بيّن به كونهم خير امّة او خبر ثانٍ لكنتم وَتُؤْمِنُونَ بِٱللّٰهِ يتضمّن الايمان بكلّ ما يجب ان يؤمن به
لانّ الايمان به انّما يحقّ ويُعْتَدّ به اذا حصل الايمان بكلّ ما امر ان يؤمن به وانّما اخّره وحقّه ان
يقدّم لانّه قصد بذكره الدلالة على انّهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا واظهارا
لدينه ، واستُدلّ بهذه الآية على انّ الاجماع حجّة لانّها تقتضى كونهم آمرين بكلّ معروف وناهين عن
كلّ منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ
ايمانا كما ينبغى لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ لكان الايمان خيرا لهم ممّا هم عليه مِنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ كعبد الله بن
سلام واصحابه وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَاسِقُونَ المتمرّدون فى الكفر ، وهذه الجملة والّتى بعدها واردتان على سبيل
الاستطراد (١٠٧) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ينهزموا
ولا يضرّوكم بقتلٍ وأسرٍ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ثمّ لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم عنهم نفى
اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرّر ذلك بانّهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثمّ اخبر بانّه

جزء ٤ تكون عقبتهم العجز والخذلان ، وقرئ لا ينصروا عطفا على يولّوا على انّ ثمّ للتراخي في المرتبة فيكون عدمُ النصر مقيّدا بقتالهم ، وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان ذلك حال قريظة والنضير ركوع ٣ وبني قينقاع ويهود خيبر (١٠٨) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ هدرُ النفس والمال والاهل او ذلّ التمسّك بالباطل والجزية أَيْنَمَا ثُقِفُوا وُجدوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ ٱللّٰهِ وَحَبْلٍ مِنَ ٱلنَّاسِ استثناء من اعمّ عامّ الاحوال اى ضربت عليهم الذلّة في عامّة الاحوال الّا معتصمين او ملتبسين بذمّة الله او كتابه الذي آتاهم وذمّة المسلمين او بدين الاسلام واتّباع سبيل المؤمنين وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ ٱللّٰهِ رجعوا مستوجبين له وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهودُ في غالب الامر فقراء مساكين ذٰلِكَ اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلّة والمسكنة والبوء بالغضب بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللّٰهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حقّ مع انّه كذلك في نفس الامر للدلالة على انّه لم يكن حقّا بحسب اعتقادهم ايضا ذٰلِكَ اى الكفر والقتل بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فانّ الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدّي الى الكفر وقيل معناه انّ ضرب الذلّة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلّل بكفرهم وقتلهم فهو مسبّب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انّهم مخاطبون بالفروع ايضا (١٠٩) لَيْسُوا سَوَآءً في المساوي والضمير لاهل الكتاب مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ استئناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يَتْلُونَ آيَاتِ ٱللّٰهِ آنَاءَ ٱللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يتلون القرآن في تهجّدهم عبّر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل صلاة العشاء لانّ اهل الكتاب لا يصلّونها لما روي انّه عليه السلام اخّرها ثمّ خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انّه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم (١١٠) يُؤْمِنُونَ بِٱللّٰهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ صفات أُخر لامّة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانّهم منحرفون عن الحقّ غير متعبّدين في الليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات وَأُولٰئِكَ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ اى الموصوفون بتلك الصفات ممّن صلحت احوالهم عند الله واستحقّوا رضاه وثناءه (١١١) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتّة سمّي ذلك كفرانا كما سمّي توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمّنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائي وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء وَٱللّٰهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ بشارة لهم واشعار بانّ التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وانّ الفائز عند الله هو اهل التقوى

جزء ۴ ركوع ۳

من الغناء فيكون مصدرا وَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ ملازموها هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (۱۱۳) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ ما ينفق الكفرة قُرْبةً او مفاخرةً وسُمْعةً او المنافقون رئاءً او خوفا فِي هٰذِهِ ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصَّرْصَر فهو فى الاصل مصدر نُعِت به او نَعْت وُصف به البرد للمبالغة كقولك بَرْدٌ بارد أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بالكفر والمعاصى فَأَهْلَكَتْهُ عقوبةً لهم لانّ الاهلاك عن سخط اشدّ والمراد تشبيهُ ما انفقوا فى ضياعه بحرث كفّار ضربَتْه صِرٌّ فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعةٌ ما فى الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركّب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريحَ دون الحرث ويجوز ان يقدّر كمثل مُهْلَك ريح وهو الحرث وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللّٰهُ وَلٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ اى ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنّهم ظلموا انفسهم لمّا لم ينفقوها بحيث يعتدّ بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقّوا به العقوبة ، وقرئ وَلٰكِنَّ اى ولكنّ انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدّر ضمير الشأن لانّه لا يحذف الّا فى الشعر كقوله

وما كنتُ ممّن يَدْخل العِشْقُ قَلْبَه ولكنّ من يُبْصِرْ جُفونَك يَعْشَقْ

(۱۱۴) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً ولبيجةً وهو الّذى يعرّفه الرجل أَسْرارَه ثقةً به شُبّه ببطانة الثوب كما شُبّه بالشِعار قال عم الانصار شعارٌ والناس دثارٌ مِنْ دُونِكُمْ من دون المسلمين وهو متعلّق بلا تتّخذوا او بمحذوف هو صفةُ بطانةً اى بطانة كائنة من دونكم لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا لا يقصّرون لكم فى الفساد والأَلْو التقصير وأصلُه ان يعدّى بالحرف ثمّ عُدّى الى مفعولين كقولهم لا آلوك نُصْحًا على تضمين معنى المنع او النقص وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ تمنّوا عَنَتَكم وهو شدّة الضرر والمشقّة وما مصدريّة قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ اى فى كلامهم لانّهم لا يتمالكون لفرط بغضهم وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ممّا بدا لانّ بُدوّه ليس عن رويّة واختيار قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَاتِ الدالّة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ما بُيّن لكم ، والجُمَل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان تكون الثلاث الأُوَل صفات لبطانة (۱۱۵) هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ اى انتم اولاء الخاطئون فى موالاة الكفّار وتحبّونهم ولا يحبّونكم بيان لخطائهم فى موالاتهم وهو خبر ثانٍ او خبر لأُولاء والجملة خبرُ انتم كقولك انت زيدٌ تحبّه او صلتُه او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعلٍ يفسّره ما بعده وتكونَ الجملةُ خبرا وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَابِ كُلِّهِ بجنس الكتب كلّه وهو حال من لا يحبّونكم والمعنى انّهم لا يحبّونكم والحالُ انّكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبّونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانّهم فى باطلهم اصلبُ منكم فى حقّكم وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا نفاقا وتغريرا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ من اجله تأسّفا وتحسّرا حيث لم يجدوا الى التشفّى سبيلا قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوّة الاسلام واهله حتّى يهلكوا به إِنَّ ٱللّٰهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ

فيعلم ما فى صدورهم من البغضاء والحَنَق وهو يحتمل أَنْ يكون من المقول اى وقل لهم انّ اللّه عليم جزء ٤
بما هو اخفى ممّا تخفونه من عضّ الانامل غيظا وأَنْ يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجّب ركوع ٣
من اطّلاعى ايّاك على اسرارهم فانّى عليم بالاخفى من ضمائرهم (١١٦) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ
تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا بيان لتناهى عداوتهم الى حدّ حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما
اصابهم من ضرّ وشدّة ، والمسّ مستعار للاصابة وَإِنْ تَصْبِرُوا على عداوتهم او مشاقّ التكاليف وَتَتَّقُوا
موالاتهم او ما حرّم اللّه عليكم لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا بفضل اللّه وحفظه الموعود للصابرين والمتّقين
ولانّ المُجِدّ فى الامر المتدرّب بالاتّقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئًا على الخصم ، وضمّة الراء للاتّباع
كضمّة مُدُّ وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يَضِرْكُمْ من ضاره يضيره إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ من
الصبر والتقوى وغيرهما مُحِيطٌ اى محيط علمه فمجازيكم بما انتم اهله ، وقرئ بالياء اى بما يعملون
فى عداوتكم عليم فمعاقبهم عليه (١١٧) وَإِذْ غَدَوْتَ اى واذكر اذ غدوت مِنْ أَهْلِكَ من حُجرة عائشة ركوع ٤
رضها تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ تنزّلهم او تُسوّى وتهيّئ لهم ويؤيّده القراءة باللام مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ مواقف واماكن
له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتّساع كقوله تعالى فى مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم
من مقامك وَاللَّهُ سَمِيعٌ لاقوالكم عَلِيمٌ بنيّاتكم روى انّ المشركين نزلوا بأُحُد يوم الاربعاء ثانى عشر
شوّال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول اللّه صلعم اصحابه وقد دعا عبد اللّه بن أُبَىّ ولم يدعه قبلُ
فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول اللّه بالمدينة ولا تخرج اليهم فواللّه ما خرجنا منها الى عدوّ الّا
اصاب منّا ولا دخلها علينا الّا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشرّ محبس وان
دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى
الخروج فقال عم رايت فى منامى بقرا مذبوحة حولى فأوّلتها خيرا ورايت فى ذُباب سيفى ثَلْما فاوّلته هزيمة
ورايت كانّى ادخلت يدى فى درع حصينة فاوّلتها المدينة فإنْ رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال
رجال فاتتهم بدرٌ واكرمهم اللّه بالشهادة يومَ أُحُد اخرجْ بنا الى اعدائنا وبالغوا حتّى دخل ولبس
لأمته فلمّا رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول اللّه ما رايتَ فقال لا ينبغى لنبىّ ان يلبسْ
لأمته فيضعها حتّى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشِعْب أُحُد يوم السبت ونزل فى عُدْوة الوادى
وجعل ظهره وعسكره الى أُحُد وسوّى صفّهم وامّر عبد اللّه بن جُبَيْر على الرُماة وقال انْضحوا عنّا بالنبل
لا يأتونا من ورائنا (١١٨) إِذْ هَمَّتْ متعلّق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ بنو
سَلِمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحَي العسكر أَنْ تَفْشَلَا ان تَجْبُنا وتضعفا روى انّه
عم خرج فى زُهاء الف رجل ووعد لهم النصر ان صبروا فلمّا بلغوا الشَوْط انخزل ابن ابىّ فى ثلثمائة وقال
عَلَامَ نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حَزْم الانصارىّ وقال انشدكم اللّهَ والاسلامَ فى نبيّكم وانفسكم

جزء ٤ فقال ابن ابىّ لو نَعْلَم قتالا لاتبعناكم فهمّ الحيّان باتّباعه فعصمهم اللّه فمضوا مع رسوله عم والظاهرُ انّها
ركوع ٤ ما كانت عزيمة لقوله وَٱللّٰهُ وَلِيُّهُمَا اى عاصمهما عن اتّباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد واللّه ناصرهما فما لهما يفشلان وَعَلَى ٱللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ اى فليتوكّلوا عليه ولا يتوكّلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر (١١٩) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللّٰهُ بِبَدْرٍ تذكير ببعض ما افادهم التوكّلُ ، وبَدْرٌ ماء بين مكّة والمدينة كان لرجل يسمّى بدرا فسمّى به وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ حال من الضمير وانّما قال اذلّة ولم يقل ذلائل ليدلّ على قلّتهم مع ذلّتهم لضعف الحال وقلّة المراكب والسلاح فَٱتَّقُوا ٱللّٰهَ فى الثبات لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ بتقواكم ما انعم به عليكم من نصره او لعلّكم ينعم اللّه عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضعَ الانعام لانّه سببه (١٢٠) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ظرف لنصركم وقيل بدل ثانٍ من اذ غدوت على انّ قوله لهم يومَ احد وكان معْ اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلمّا لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول عم لم تنزل الملائكة أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلٰثَةِ آلَافٍ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ انكار ان لا يكفيهم ذلك وانّما جىء بلَنْ اشعارا بانّهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلّتهم وقوّة العدوّ وكثرتهم قيل امدّهم اللّه يوم بدر اوّلا بالف من الملائكة ثمّ صاروا ثلاثة آلاف ثمّ صاروا خمسة ، وقرأ ابن عامر مُنَزَّلِينَ بالتشديد للتكثير او للتدريج (١٢١) بَلَى ايجاب لما بعد لَنْ اى بلى يكفيكم ثمّ وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثّا عليهما وتقويةً لقلوبهم فقال إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ اى المشركون مِنْ فَوْرِهِمْ هٰذَا من ساعتهم هذه وهو فى الاصل مصدر من فارت القدْرُ اذا غلت فاستُعير للسرعة ثمّ اطلق للحال الّتى لا ريث فيها ولا تراخى والمعنى ان يأتوكم فى الحال يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ فى حال اتيانهم بلا تراخٍ وتأخير مُسَوِّمِينَ معْلَمين من التسويم الّذى هو اظهار سيماء الشىء لقوله عم لاصحابه تَسَوَّمُوا فانّ الملائكة قد تسوّمت او مرسَلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو (١٢٢) وَمَا جَعَلَهُ ٱللّٰهُ وما جعل امدادكم بالملائكة إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ الّا بشارة لكم بالنصر وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ولتسكن اليه من الخوف وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ ٱللّٰهِ لا من العُدّة والعَدَد وهو تنبيه على انّه لا حاجة فى نصرهم الى مدد وانّما امدّهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث انّ نظر العامّة الى الاسباب اكثر وحثّا على ان لا يبالوا بمن تأخّر عنهم ٱلْعَزِيزِ ٱلَّذِى لا يغالَب فى اقضيته ٱلْحَكِيمِ الّذى ينصر ويخذل بوسط وغيره على مقتضى الحكمة والمصلحة لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا متعلّق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض وأسرِ آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم أَوْ يَكْبِتَهُمْ او يُخزيهم والكَبْت شدّة غيظ او وهن يقع فى القلب ، وأَوْ للتنويع دون الترديد فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ

فينهزموا منقطعي الآمال (١٢٣) لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ اعتراض أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ عطف على قوله جزء ٤
او يكبتهم والمعنى انّ اللّه مالك امرهم فامّا ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم إن اسلموا او ركوع ٤
يعذّبهم إن اصرّوا وليس لك من امرهم شيء وانّما انت عبد مأمور بانذارهم وجهادهم ويحتمل أن
يكون معطوفا على الامر او شيء باضمارِ أنْ اى ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم
٥ شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبةُ عليهم او تعذيبُهم وأن يكون أَوْ بمعنى إلّا أنْ اى ليس لك
من امرهم شيء الّا ان يتوب اللّه عليهم فتُسَرّ به او يعذّبهم فتشتفى منهم روى انّ عُتْبة بن ابى
وقّاص شجّه يوم احد وكسر رَباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يُفْلح قوم خضبوا وجه
نبيّهم بالدم فنزلت وقيل همّ ان يدعو عليهم فنهاه اللّه لعلمه انّ فيهم من يؤمن فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ
قد استحقّوا العذاب بظلمهم (١٢٤) وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ خلقا وملكا فله الامر كلّه يَغْفِرُ لِمَنْ
١٠ يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ صريح فى نفى وجوب التعذيب والتقييدُ بالتوبة وعدمها كالمنافى له وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ لعباده فلا تبادرْ الى الدعاء عليهم (١٢٥) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا ٱلرِّبَوٰا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ركوع ٥
لا تزيدوا زيادات مكرّرة ولعلّ التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يُربى الى اجل ثمّ يزيد
فيه زيادة اخرى حتّى يستغرق بالشيء الطفيف مالَ المديون ٬ وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مُضَعَّفَةً
وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ فيما نهيتم عنه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ راجين الفلاح (١٢٦) وَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ
١٥ بالتحرّز عن متابعتهم وتعاطى افعالهم وفيه تنبيه على انّ النار بالذات مُعدّة للكفّار وبالعرض للعُصاة
وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الطاعة ٬ ولعلّ
وعَسَى فى امثال ذلك دليلُ عِزّة التوصّل الى ما جُعل خبرا له (١٢٧) وَسَارِعُوا بادروا وأقبلوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ
الى ما يُسْتحقّ به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص ٬ وقرأ نافع وابن عامر سَارِعُوا بلا واو وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
ٱلسَّمَٰوَاتُ وَٱلْأَرْضُ اى عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريق التمثيل لانّه
٢٠ دون الطول وعن ابن عبّاس رضه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ
هُيِّئت لهم وفيه دليل على انّ الجنّة مخلوقة وانّها خارجة عن هذا العالم (١٢٨) ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ صفة
مادحة للمتّقين او مدح منصوب او مرفوع فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ فى حالتَي الرخاء والشدّة او الاحوال كلّها
اذ الانسان لا يخلو عن مسرّة او مضرّة اى لا يُخلّون فى حالٍ ما بانفاقِ ما قدروا عليه من قليل او كثير
وَٱلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ الممسكين عليه الكافّين عن امضائه مع القدرة من كظمت القِرْبة اذا ملأتها وشددت
٢٥ رأسها وعن النبىّ صلعم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ اللّهُ قلبه أمْنا وإيمانا وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ
التاركين عقوبةَ من استحقّوا مؤاخذته وعن النبىّ صلعم انّ هؤلاء فى امّتى قليل الّا من عصم اللّهُ
وقد كانوا كثيرا فى الامم الّتى مضت وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد

جزء ۴ ركوع ۵ فتكون الاشارة اليهم (۱۲۹) وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً فعلة بالغة فى القبح كالزنا أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بأن اذنبوا اىّ ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعلّ الفاحشة ما يتعدّى وظلم النفس ما ليس كذلك ذَكَرُوا ٱللَّهَ تذكّروا وعيده او حكمه او حقّه العظيم فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ بالندم والتوبة وَمَنْ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ استفهامٌ بمعنى النفى معترضٌ بين المعطوفين والمرادُ به وصفُه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحثُّ على الاستغفار والوعدُ بقبول التوبة وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله صلعم ما اصرّ من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرّة وَهُمْ يَعْلَمُونَ حال من يصرّوا اى ولم يصرّوا على قبيح فعلهم عالمين به (۱۳۰) أُولَٰئِكَ جَزَآؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا خبر للّذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبيّنة لما قبلها ان عطفته على المتّقين او على الّذين ينفقون ، ولا يلزم من اعداد الجنّة للمتّقين والتائبين جزاء لهم أن لا يدخلها المصرّون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم ، وتنكيرُ جنّات على الاوّل يدلّ على انّ ما لهم ادْوَن ممّا للمتّقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة فى الآية المتقدّمة وكفاك فارقا بين القبيلين انّه فصل آيتهم بأنْ بيّن انهم محسنون مستوجبون لمحبّة اللّه وذلك لانّهم حافظوا على حدود الشرع وتخطّوا الى التخصّص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَامِلِينَ لانّ المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوّت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعلّ تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة ، والمخصوص بالمدح محذوفٌ تقديرُه ونعم اجر العاملين ذلك يعنى المغفرة والجنّات (۱۳۱) قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ وقائع سنّها اللّهُ فى الامم المكذّبة كقوله وقُتّلوا تقتيلا سُنَّةَ اللّه فى الّذين خلوا من قبل وقيل امم قال

ما عاين الناسُ مِنْ فضلٍ كفضلكم ولا رأوا مِثْلَه فى سالف السُّنَن

فَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم (۱۳۲) هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ اشارة الى قوله قد خلت او مفهومِ قوله فانظروا اى انّه مع كونه بيانا للمكذّبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتّقين او الى ما لخّص من امر المتّقين والتائبين وقولُه قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القران (۱۳۳) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا تسلية لهم عمّا اصابهم يومَ أُحُد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قُتل منكم وَأَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وحالكم انّكم اعلى منهم شأنا فانّكم على الحقّ وقتالكم للّه وقتلاكم فى الجنّة وانّهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم فى النار او لانّكم اصبتم منهم يومَ بدر اكثر ممّا اصابوا منكم اليومَ او وانتم الاعلون فى العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ متعلّق بالنهى اى لا تهنوا ان صحّ ايمانكم فانّه يقتضى قوّة القلب بالوثوق على اللّه او بالاعلون (۱۳۴) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ قرأ حمزة والكسائىّ وابن عيّاش عن عاصم بضمّ القاف والباقون بالفتح وهما

لغتان كالضُّعف والضَّعْف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضمّ أَلَمُها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثمّ انّهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بأن لا تضعفوا فانّكم ترجون من اللّه ما لا يرجون وقيل كِلا المسَّيْن كان يوم احد فانّ المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول صلعم وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ نصرّفها بينهم نُديل لهؤلاء تارةً ولهؤلاء اخرى كقوله

جزء ۴ — ركوع ٥

فيوما علينا ويوما لنا ويوما نُساء ويوما نُسَرّ

والمداولة كالمعاورة يقال داولتُ الشىء بينهم فتداولوه ، والايّام يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمرادُ بها اوقات النصر والغلبة وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا عطف على علّة محذوفة اى نداولها ليكون كيتَ وكيتَ وليعلم اللّه ايذانا بانّ العلّة فيه غير واحدة وأنّ ما يصيب المؤمنَ فيه من المصالح ما لا يَعْلَم او الفعل المعلَّل به محذوفٌ تقديرُه وليتميّز الثابتون على الايمان من الّذين على حَرْف فَعَلْنا ذلك ، والقصدُ فى امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلّق به الجزاء وهو العلم بالشىء موجودا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَآءَ ويُكْرِمَ ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتّخذ منكم شهودا معدّلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ الّذين يُضْمِرون خلافَ ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض فيه تنبيه على انّه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانّما يغلّبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاءً للمؤمنين (١٣٥) وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ليطهّرهم ويصفّيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم وَيَمْحَقَ ٱلْكَافِرِينَ ويهلكهم ان كانت عليهم والمَحْق نقص الشىء قليلا قليلا (١٣٦) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ بل أحَسِبتم ومعناه الانكار وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ولمّا تجاهدوا وفيه دليل على انّه فرضُ كفاية ، والفرق بين لَمْ ولمّا انّ فيه توقّعَ الفعل فيما يستقبل ، وقرئ يَعْلَمَ بفتح الميم على انّ اصله يَعْلَمَنْ فحذفت النون وَيَعْلَمَ ٱلصَّابِرِينَ نصب باضمارِ أَنْ على انّ الواو للجمع وقرئ بالرفع على انّ الواو للحال كانّه قال ولمّا تجاهدوا وانتم صابرون (١٣٧) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ اى الحرب فانّها من اسباب الموت او الموت بالشهادة ، والخطابُ للذين لم يشهدوا بدرا وتمنّوا ان يشهدوا مع رسول اللّه صلعم مَشْهَدا لينالوا ما نال شهداءُ بدر من الكرامة فألحّوا يومَ احد على الخروج مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدّته فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ اى فقد رأيتموه معاينين له حين قُتل دونكم من قُتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انّهم تمنّوا الحرب وتسبّبوا لها ثمّ جبنوا وانهزموا عنها او على تمنّى الشهادة فانّ فى تمنّيها تمنّى غلبة الكفّار (١٣٨) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ركوع ٦

فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوّه بموت او قَتْل بعد علمهم بخلوّ الرسل قبله وبقاء دينهم متمسَّكا به وقيل الفاء للسببيّة والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلوّ الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روى انّه لمّا

جزء ٤ رکوع ٦ رمى عبد الله بن قميئة الحارثىّ رسول الله صلعم بحجر فكسر رباعيته وشجّ وجهه فذبّ عنه مُصْعَبُ ابن عُمَيْر وكان صاحب الراية حتّى قتله ابن قميئة وهو يرى انّه قتل النبىّ صلعم فقال قد قتلت محمّدا وصرخ صارخ ألا انّ محمّدا قد قُتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الى عبادَ الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتّى كشفوا عنه المشركين وتفرّق الباقون وقال بعضهم ليت ابن أُبَىّ يأخذ لنا امانا من ابى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيّا لَمَا قُتل اِرْجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال أَنَس ابن النَّضْر عمُّ أَنَس بن مالك رضى الله عنهما يا قوم ان كان قُتل محمّد فانّ ربّ محمّد حىّ لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثمّ قال اللّهمّ انّى اعتذر اليك ممّا يقولون وابرأ منه وشدّ بسيفه فقاتل حتّى قُتل فنزلت وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا بارتداده بل يضرّ نفسه وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّاكِرِينَ على نعمة الاسلام بالثبات عليه كأَنَس واضرابه (١٣٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ الّا بمشيئته تعالى او باذنه لمَلَك الموت فى قبض روحه والمعنى انّ لكلّ نفس اجلا مسمّى فى علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتأخير الاجل كِتَابًا مصدر مؤكّد اذ المعنى كُتب الموتُ كتابا مُؤَجَّلًا صفة له اى موقّتا لا يتقدّم ولا يتأخّر وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا تعريض بمن شغلتهم الغنائم يومَ احد فانّ المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلمّا رأى الرُماة ذلك اقبلوا على النهب وخلّوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا اى من ثوابها وَسَنَجْزِى ٱلشَّاكِرِينَ الّذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شىء عن الجهاد (١٤٠) وَكَأَيِّنْ اصله أَىّ دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنونُ تنوين أُثْبت فى الخطّ على غير قياس وقرأ ابن كثير وَكَائِنْ ككاعِنْ ووجهه انّه قُلب قَلْبَ الكلمة الواحدة كقولهم رَعَمْلى فى لَعَمْرى فصار كَيَّأْنْ ثمّ حذفت الياء الثانية للتخفيف ثمّ ابدلت الاخرى أَلفا كما ابدلت من طائىّ مِنْ نَبِىٍّ بيان له قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ربّانيّون علماء اتقياء او عابدون لربّهم وقيل جماعات والرِبّىّ منسوب الى الرِبّة وهى الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قُتِل واسناده الى رِبّيّون او ضمير النبىّ ومعه رِبّيّون حال عنه ويؤيّد الاوّل انّه قرئ بالتشديد وقرئ رُبّيّونَ بالفتح على الاصل وبالضمّ وهو من تغييرات النسب كالكسر فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فما فتروا ولم ينكسر جدّهم لما اصابهم من قتل النبىّ او بعضهم وَمَا ضَعُفُوا عن العدوّ او فى الدين وَمَا ٱسْتَكَانُوا وما خضعوا للعدوّ وأصله استكن من السكون لانّ الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والألف من اشباع الفتحة او استكَون من الكون لانّه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عم وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّابِرِينَ فينصرهم ويعظّم قدرهم (١٤١) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا

أَنْ قَالُوا رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ اى وما كان جزء ۴
قولهم مع ثباتهم وقوّتهم فى الدين وكونهم ربّانيّين الّا هذا القول وهو اضافةُ الذنوب والاسراف الى ركوع ٦
انفسهم هضما لها واضافةً لما اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفارُ عنها ثمّ طلبُ التثبيت فى مواطن الحرب
والنصر على العدوّ ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانّما جعل قولهم خبرا لانّ أَنْ
قالوا أعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فَآتَاهُمُ ٱللّٰهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ وَٱللّٰهُ
يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجاء الى الله النصرَ والغنيمة والعزّ وحسن الذكر
فى الدنيا والجنّة والنعيم فى الآخرة وخصّ ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانّه المعتدّ به عنده تعالى
(١٤٢) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ نزلت فى قول ركوع ٧
المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم ودينكم ولو كان محمّد نبيّا لَمَا قُتل وقيل إن
تستكينوا لابى سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردّوكم الى دينهم وقيل عامّ فى مطاوعة الكفرة والنزول على
حكمهم فانّه يستجرّ الى موافقتهم (١٤٣) بَلِ ٱللّٰهُ مَوْلَاكُمْ ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله
مولاكم وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّاصِرِينَ فاستعينوا به عن ولاية غيره ونصره (١٤٤) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ
يريد ما قذف فى قلوبهم من الخوف يومَ احد حتّى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب فنادى ابو
سفيان يا محمّد موعدنا مَوْسِمُ بدر لقابلٍ إن شئت فقال عمر إن شاء الله وقيل لمّا رجعوا وكانوا
ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب فى قلوبهم ، وقرأ ابن عامر
والكسائىّ ويعقوب بالضمّ على الاصل فى كلّ القران بِمَا أَشْرَكُوا بسبب اشراكهم بِٱللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا
اى آلهةً ليس على إشراكها حجّةٌ ولم ينزل عليهم به سلطانٌ وهو كقوله

ولا ترى الضَبَّ بها ينجحرْ

وأصل السلطنة القوّة ومنه السليط لقوّة اشتعاله والسلاطة لحدّة اللسان وَمَأْوَاهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّالِمِينَ
اى مثواهم فوضع الظاهر موضع الضمير للتغليظ والتعليل (١٤٥) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللّٰهُ وَعْدَهُ اى وعده ايّاهم
بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتّى خالف الرماةُ فانّ المشركين لمّا اقبلوا جعل الرماة
يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتّى انهزموا والمسلمون على آثارهم إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ
تقتلونهم من حَسَّهُ اذا ابطل حِسَّه حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فانّ الحرص
من ضعف القلب وَتَنَازَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ يعنى اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا
ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت اميرهم مكانه فى نَفَرٍ دون العشرة ونَفَرَ الباقون للنهب
وهو المعنىّ بقوله وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ من الظفر والغنيمة وانهزام العدوّ ، وجوابُ اذا
محذوف وهو امتحنكم (١٤٦) مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وهم التاركون المركز للغنيمة وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ

*

جزء ۴
ركوع ۷

وهم الثابتون محافظةً على امر الرسول صلعم ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ثمّ كفّكم عنهم حتّى حالت الحال فغلبوكم لِيَبْتَلِيَكُمْ على المصايب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ تفضّلا ولما علم من ندمكم على المخالفة وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ يتفضّل عليهم بالعفو او فى الاحوال كلّها سواء أُديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة (۱۴۷) إِذْ تُصْعِدُونَ متعلّق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدّر كاذكروا ، والاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض يقال اصعدنا من مكّة الى المدينة وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ لا يقف احد لاحد ولا ينتظره وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ كان يقول الىّ عبادَ اللّه انا رسول اللّه من يكرّ فله الجنّة فِىٓ أُخْرَاكُمْ فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم اللّه على فشلكم وعصيانكم غمّا متّصلا بغمّ من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلعم او فجازاكم غمّا بسبب غمّ أذقتموه رسول اللّه صلعم بعصيانكم له لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَابَكُمْ لتتمرّنوا على الصبر فى الشدائد فلا تحزنوا فيما بعدُ على نفع فائت ولا ضرّ لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبةً لكم وقيل الضمير فى فاثابكم للرسول صلعم اى فآساكم فى الاغتمام فاغتمّ بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثرّبكم على عصيانكم تسليةً لكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ عليم باعمالكم وبما قصدتم بها (۱۴۸) ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا انزل اللّه عليكم الامن حتّى اخذكم النعاس وعن ابى طلحة غشينا النعاس فى المصافّ حتّى كان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثمّ يسقط فيأخذه ، والأَمَنة الأَمْن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حالٌ منه متقدّمةٌ او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوى امنة او على انّه جمع آمِن كبارّ وبَرَرة وقرئ أَمْنَةً بسكون الميم كانّها المرّة من الأَمْن يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ اى النعاس وقرأ حمزة والكسائىّ بالتاء ردّا على الامنة ، والطائفة المؤمنون حقّا وَطَآئِفَةٌ هم المنافقون قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ اوقعتهم انفسهم فى الهموم او ما بهم الّا همّ انفسهم وطلبُ خلاصها يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَاهِلِيَّةِ صفة اخرى لطائفة او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله ، وغير الحقّ نصب على المصدر اى يظنّون باللّه غير الظنّ الحقّ الّذى يحقّ ان يُظَنّ به وظنّ الجاهليّة بدله وهو الظنّ المختصّ بالملّة الجاهليّة واهلها يَقُولُونَ اى لرسول اللّه صلعم وهو بدل من يظنّون هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ هل لنا ممّا امر اللّه ووعد من النصر والظفر نصيبٌ قطّ وقيل أُخْبِر ابن أُبَىّ بقتل بنى الخزرج فقال ذلك والمعنى انّا مُنعنا تدبيرَ انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شىء او هل يزول عنّا هذا القهر فيكون لنا من الامر شىء قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ اى الغلبة الحقيقيّة للّه ولأوليائه فانّ حزب اللّه هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض ، وقرأ ابو عمرو ويعقوب كلُّه بالرفع

على الابتداء يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ حال من ضمير يقولون اى يقولون مُظْهِرِين انّهم جزء ۴
مسترشدون طالبون النصر مُبْطِنين الانكار والتكذيب يَقُولُونَ في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض رکوع ۷
وهو بدل من يخفون او استيناف على وجه البيان له لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ كما وعد محمّد صلعم
وزعم انّ الامر كلّه لله ولأوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير ولم نبرح كما كان رأى ابن أُبَيّ وغيره
مَا قُتِلْنَا هٰهُنَا لما غُلبنا او لما قُتل منّا من قتل فى هذه المعركة قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ
عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ اى لخرج الّذين قدّر الله عليهم القتل وكتبه فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم
ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانّه قدّر الامور ودبّرها فى سابق قضائه لا معقّب لحكمه
وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وليمتحن ما فى صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علّة
فعل محذوف اى وفعل ذلك ليبتلى او عطف على محذوف اى لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمّة والابتلاء
او على لكيلا تحزنوا وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وليكشفه ويميّزه او يخلّصه من الوساوس وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
بخفيّاتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انّه غنىّ عن الابتلاء وانّما فعل ذلك لتمرين المؤمنين
واظهار حال المنافقين (۱۴۹) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا
يعنى انّ الّذين انهزموا يوم أُحُد انّما كان السبب فى انهزامهم انّ الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه
واقترفوا ذنوبا لمخالفة النبىّ صلعم بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة فمُنعوا التأييد وقوّة القلب
وقيل استزلال الشيطان تولّيهم وذلك بسبب ذنوب تقدّمت لهم فانّ المعاصى يجرّ بعضها بعضا كالطاعة
وقيل استزلّهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة وَلَقَدْ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ لتوبتهم واعتذارهم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ للذنوب حَلِيمٌ لا يعاجل بعقوبة المذنب كى يتوب
(۱۵۰) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا يعنى المنافقين وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ لاجلهم وفيهم ، ومعنى رکوع ۸
اخوّتهم اتّفاقهم فى النسب او المذهب إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها ،
وكان حقّه اذ لقوله قالوا لكنّه جاء على حكاية الحال الماضية أَوْ كَانُوا غُزًّى جمع غازٍ كعافٍ وعُفًّى
لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا مفعول قالوا وهو يدلّ على انّ اخوانهم لم يكونوا مخاطَبين به
لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ متعلّق بقالوا على انّ اللام لام العاقبة مثلها فى ليكون لهم عدوّا
وحزنا او لا تكونوا اى لا تكونوا مثلهم فى النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة فى قلوبهم خاصّة
فذلك اشارة الى ما دلّ عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دلّ عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل
الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم فانّ مخالفتهم ومضادّتهم ممّا يغمّهم وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ردّ
لقولهم اى هو المؤثّر فى الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانّه تعالى قد يحيى المسافر والغازى ويميت المق
والقاعد وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم ، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى

جزء ٤ ركوع ٨

على انه وعيد للذين كفروا (١٥١) وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ اى متم فى سبيله ، وقرأ نافع وحمزة والكسائىّ بكسر الميم من مات يمات لَمَغْفِرَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ جواب القسم وهو سادّ مسدّ الجزاء والمعنى انّ السفر والغزو ليس ممّا يجلب الموت ويقدّم الاجل وإنْ وقع ذلك فى سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير ممّا تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ، وقرأ حفص بالياء (١٥٢) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ اى على اىّ وجه اتّفق هلاككم لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ لالى معبودكم الّذى توجّهتم اليه وبذلتم مُهَجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفّى جزاءكم ويعظّم ثوابكم ، وقرأ نافع وحمزة والكسائىّ مِتُّمْ بالكسر (١٥٣) فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ اى فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والتنبيه والدلالة على انّ لينه لهم ما كان الّا برحمة من الله وهو رَبْطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتّى اغتمّ لهم بعد ان خالفوه وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا سيّئ الخلق جافيا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ قاسيه لَٱنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ لتفرّقوا عنك ولم يسكنوا اليك فَٱعْفُ عَنْهُمْ فيما يختصّ بك وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ فيما لله وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ اى فى امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصحّ ان يشاوَر فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنّة المشاورة للامّة فَإِذَا عَزَمْتَ فاذا وطّنت نفسك على شىء بعد الشورى فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فى امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانّه لا يعلمه سواه ، وقرئ فَإِذَا عَزَمْتُ على التكلّم اى فاذا عزمتُ لك على شىء وعيّنته لك فتوكّل علىّ ولا تشاور فيه احدا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ فينصرهم ويهديهم الى الصلاح (١٥٤) إِنْ يَنْصُرْكُمُ ٱللَّهُ كما نصركم يوم بدر فَلَا غَالِبَ لَكُمْ فلا احد يغلبكم وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ كما خذلكم يوم احد فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى للتوكّل وتحريض على ما يُستحقّ به النصر من الله وتحذير عمّا يستجلب خذلانه وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ فليخصّوه بالتوكّل عليه لما علموا انّ لا ناصر سواه وآمنوا به (١٥٥) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وما صحّ لنبىّ ان يخون فى الغنائم فانّ النبوّة تنافى الخيانة يقال غلّ شيئا من المغنم يغلّ غلولا وأغلّ اغلالا اذا اخذه فى خفية والمراد منه امّا براءة الرسول صلعم عمّا اتُّهم به اذ روى انّ قطيفة حمراء فُقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعلّ رسول الله اخذها او ظنّ به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم وامّا المبالغة فى النهى للرسول صلعم على ما روى انّه بعث طلائع فغنم رسول الله صلعم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فتكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية ، وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائىّ ويعقوب أَنْ يُغَلَّ على البناء للمفعول والمعنى وما صحّ له ان يوجد غالّا او ان ينسب الى الغلول وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يأت بالذى

غلّه يحمله على عنقه كما جاء فى الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ جزء ٤
تُعْطَى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثمّ يوفّى ما كسب لكنّه عمّم الحكم ركوع ٨
ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانّه اذا كان كلّ كاسب مجزيّا بعمله فالغالّ مع عظم جرمه
بذلك أولى وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ فلا يُنْقص ثوابُ مُطيعهم ولا يزاد فى عقاب عاصيهم (١٥٦) أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَ ٱللَّهِ
٥ بالطاعة كَمَنْ بَآءَ رجع بِسَخَطٍ مِنَ ٱللَّهِ بسبب المعاصى وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ الفرق بينه وبين
المرجع انّ المصير يجب ان يخالف الحالةَ الاولى ولا كذلك المرجع (١٥٧) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ ٱللَّهِ شُبّهوا
بالدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب والعقاب او هم ذوو درجات وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ عالم
باعمالهم ودرجاتها صادرةً عنهم فيجازيهم على حسبها (١٥٨) لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ انعم على
من آمن مع الرسول صلعم من قومه وتخصيصُهم مع انّ نعمة البعثة عامّة لزيادة انتفاعهم بها ؛ وقرئ
١٠ لَمِنْ مَنِّ ٱللَّهِ على انّه خبرُ مبتدإ محذوف مثل مَنُّه او بعثُه إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ من
نسبهم او جنسهم عربيّا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة
مفتخرين به ؛ وقرئ مِنْ أَنْفَسِهِمْ اى من اشرفهم لانّه صلعم كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ اى القران بعد ما كانوا جهّالا لم يسمعوا الوحى وَيُزَكِّيهِمْ يطهّرهم من دنس الطباع
وسوء العقائد والاعمال وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ القران والسنّة وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
١٥ إِنْ هى المخفّفة من الثقيلة واللام هى الفارقة والمعنى وإنّ الشأنَ كانوا من قبل بعثة الرسول فى ضلال ظاهر
(١٥٩) أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَٰذَا الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة
على ما سبق من قصّة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولمّا ظرفه المضاف الى اصابتكم اى
اقلتم حينَ اصابتكم مصيبةٌ وهى قتل سبعين منكم يومَ احد والحالُ انّكم نلتم ضِعْفَها يومَ بدر من قتل
سبعين وأسْر سبعين مِنْ اين هذا اصابنا وقد وعدنا اللّه النصر قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ اى ممّا اقترفته
٢٠ انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فانّ الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيارِ الخروج من
المدينة وعن علىّ كرّم اللّه وجهه باختياركم الفداء يوم بدر إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على النصر
ومنْعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم (١٦٠) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ جمع المسلمين وجمع
المشركين يريد يوم احدٍ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ فهو كائن بقضائه او تخليته الكفّار سمّاها اذنا لانّها من لوازمه
وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا وليتميّز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء
٢٥ وَقِيلَ لَهُمْ عطف على نافقوا داخلٌ فى الصلة او كلام مبتدأ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا تقسيم

جزء ۴ ركوع ۸

للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثير سواد المجاهدين فانّ كثرة السواد ممّا يروع العدوّ ويكسر منه قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ لو نعلم ما يصحّ ان يسمّى قتالا لاتّبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نُحسن قتالا لاتّبعناكم وانّما قالوه دَغَلا واستهزاء هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ لانخزالهم وكلامهم هذا فانّهما اوّل أمارات ظهرت منهم مُؤذِنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرةً منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقويةً للمشركين وتخذيلا للمؤمنين (۱۶۱) يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ يُظْهِرون خلافَ ما يُضْمِرون لا تُواطِئ قلوبهم ألسنتهم بالايمان واضافةُ القول الى الافواه تأكيد وتصوير وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ من النفاق وما يَخلو به بعضهم الى بعض فانّه يعلمه مفصّلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مُجْمَلا بأمارات (۱۶۲) الَّذِينَ قَالُوا رفع بدلا من واوِ يكتمون او نصب على الذمّ او الوصف للّذين نافقوا او جرّ بدلا من الضمير فى بافواههم او قلوبهم كقوله

على حالةٍ لو أنّ فى القوم حاتما ... على جُودِه لَضَنّ بالماء حاتِمِ

لِإِخْوَانِهِمْ اى لاجلهم يريد من قُتل يومَ احد من اقاربهم او من جنسهم وَقَعَدُوا حالٌ مقدّرٌ بقَدْ اى قالوا قاعدين عن القتال لَوْ أَطَاعُونَا فى القعود بالمدينة مَا قُتِلُوا كما لم نُقْتَل وقرأ هشام مَا قُتِّلُوا بتشديد التاء قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اى ان كنتم صادقين انّكم تقدرون على دفع القتل عمّن كُتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانّه احرى بكم والمعنى انّ القعود غير مُغنٍ فانّ اسباب الموت كثيرة كما انّ القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس (۱۶۳) وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا نزلت فى شهداء احد وقيل فى شهداء بدر، والخطاب لرسول اللّه صلعم او لكلّ احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير رسول اللّه صلعم او من يحسب او الى الّذين قتلوا والمفعول الاوّل محذوف لانّه فى الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قُتِّلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بَلْ أَحْيَاءٌ اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل أحسبهم احياء عِنْدَ رَبِّهِمْ ذوو زلفى منه يُرْزَقُونَ من الجنّة وهو تأكيد لكونهم احياء (۱۶۴) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابديّة والقرب من اللّه والتمتّع بنعيم الجنّة وَيَسْتَبْشِرُونَ يُسَرّون بالبشارة بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ اى باخوانهم المؤمنين الّذين لم يُقتلوا فيلحقوا بهم مِنْ خَلْفِهِمْ اى الّذين من خلفهم زمانا او رتبةً أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ بدل من الّذين والمعنى انّهم يستبشرون بما تبيّن لهم من امر الآخرة وحالِ من تركوا من خلفهم من المؤمنين وهو انّهم اذا ماتوا او قُتلوا كانوا احياء حيوةً لا يكدّرها خوفُ وقوعِ محذور وحزنُ فواتِ محبوب، والآية تدلّ على انّ

الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مُدْرِك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقّف عليه ادراكه جزء ۴ وتألّمه والتذاذه ويؤيّد ذلك قوله تعالى فى آل فرعون النار يُعْرَضون عليها الآية وما روى عن ابن عبّاس ركوع ۸ انّه عم قال ارواح الشهداء فى اجواف طير خُضْر تَرِد انهارَ الجنّة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل معلّقة فى ظلّ العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الّا ريحا وعَرَضا قال هم احياء يوم القيمة وانّما وُصفوا به فى الحال لتحقّقه ودنوّه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حثّ على الجهاد وترغيب فى الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة وإحماد لمن يتمنّى لاخوانه مثلَ ما أُنعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح (۱۶۵) يَسْتَبْشِرُونَ كرّره للتأكيد وليعلّق به ما هو بيان لقوله ألّا خوف ويجوز ان يكون الاوّل بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بِنِعْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ ثوابا لاعمالهم وَفَضْلٍ زيادة عليه كقوله للّذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ من جملة المستبشَر به عطف على فضل وقرأ الكسائىّ بالكسر على انّه استيناف معترض دالّ على انّ ذلك اجر لهم على ايمانهم مُشْعِرٌ بانّ من لا ايمان له اعماله مُحْبَطة واجوره مضيّعة (۱۶۶) ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ صفة للمؤمنين او ركوع ۹ نصب على المدح او مبتدأ خبره لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ بجملته ومِنْ للبيان والمقصود مِنْ ذكر الوصفَيْن المدح والتعليل لا التقييد لانّ المستجيبين كلّهم محسنون متّقون روى انّ ابا سفيان واصحابه لمّا رجعوا فبلغوا الرَّوْحاء ندموا وهمّوا بالرجوع فبلغ ذلك رسول اللّه صلعم فندب اصحابه للخروج فى طلبه وقال لا يخرجنّ معنا الّا مَنْ حضر يومنا بالامس فخرج صلعم مع جماعة حتّى بلغوا حَمْراء الاسد وهى على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتّى لا يفوتهم الاجر والقى اللّه الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت (۱۶۷) ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ يعنى الرَّكْب الّذين استقبلوهم من عبد قيس او نُعَيْم بن مسعود الاشجعىّ واطلق عليه الناس لانّه من جنسهم كما يقال فلان يركب الخيل وما له الّا فرس واحد او لانّه انضمّ اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ يعنى ابا سفيان واصحابه روى انّه نادى عند انصرافه من احد يا محمّد موعدُنا موسمُ بدر لقابلٍ ان شئتَ فقال رسول اللّه صلعم ان شاء اللّه فلمّا كان القابل خرج فى اهل مكّة حتّى نزل مَرَّ الظَّهْران فانزل اللّه الرعب فى قلبه وبدا له ان يرجع فمرّ به رَكْبٌ من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حِمْلَ بعير من زبيب إن ثبّطوا المسلمين وقيل لقى نعيمَ ابن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عَشْرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهّزون فقال لهم اتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم احدٌ الّا شريدٌ افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عم والّذى نفسى بيده لاخرجنّ ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا اللّه فَزَادَهُمْ إِيمَانًا الضمير المستكنّ للمقول او لمصدرِ قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انّهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم باللّه وازداد ايمانهم واظهروا

جزء ٤ ركوع ٩

حمية الاسلام واخلصوا النيّة عنده وهو دليل على انّ الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضى الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يُدْخل صاحبه الجنّة وينقص حتى يُدْخل صاحبه النارَ وهذا ظاهر ان جُعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم تجعل فانّ اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمّل وتناصر الحجج وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ مُحسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدلّ على انّه بمعنى المحسب انّه لا يستفيد بالاضافة تعريفا فى قولك هذا رجلٌ حَسْبُكَ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ونعم الموكول اليه هو (١٦٨) فَٱنْقَلَبُوا فرجعوا من بدر بِنِعْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وَفَضْلٍ وربح فى التجارة فانّهم لمّا اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتّجروا وربحوا لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ من جراحة وكيد عدوّ وَٱتَّبَعُوا رِضْوَانَ ٱللَّهِ الذى هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ قد تفضّل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلّب فى الدين واظهار الجرأة على العدوّ وبالحفظ عن كلّ ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه تحسير للمتخلّف وتخطئة لرأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به (١٦٩) إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَانُ يريد به المثبّط نعيما او ابا سفيان والشيطانُ خبرُ ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اى انّما ذلكم قول الشيطان يعنى ابليس يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ القاعدين عن الخروج مع الرسول صلعم او يخوّفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فَلَا تَخَافُوهُمْ الضمير للناس الثانى على الاوّل والى الاولياء على الثانى وَخَافُونِ فى مخالفة امرى فجاهدوا مع رسولى إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فانّ الايمان يقتضى ايثار خوف الله على خوف الناس (١٧٠) وَلَا يَحْزُنْكَ ٱلَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلّفين او قوم ارتدّوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف أنْ يضرّوك ويُعينوا عليك لقوله إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْئًا اى لن يضرّوا اولياء الله بمسارعتهم فى الكفر وانّما يضرّون بها انفسهم ، وشيئًا يحتمل المفعول والمصدر ، وقرأ نافع يُحْزِنْكَ بضمّ الياء وكسر الزاى حيث وقع ما خلا قوله فى الانبياء لا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ فانّه فتح الياء وضمّ الزاى فيه والباقون كذلك فى الكلّ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْآخِرَةِ نصيبا من الثواب فى الآخرة وهو يدلّ على تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر وفى ذكر الارادة اشعارٌ بانّ كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحمُ الراحمين ان لا يكون لهم حظّ من رحمته وانّ مسارعتهم فى الكفر لانّه تعالى لم يُرد ان يكون لهم حظّ فى الآخرة وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ مع الحرمان عن الثواب (١٧١) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ فى الآخرة عَذَابٌ أَلِيمٌ تكرير للتأكيد او تعميمٌ للكفرة بعد تخصيص مَنْ نافق من المتخلّفين او ارتدّ من الاعراب (١٧٢) وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ خطاب للرسول صلعم او لكلّ من يحسب والّذين مفعول وأنّما نملى لهم بدل منه وانّما اقتصر على مفعول واحد لانّ

جزء ۴ ركوع ۹

التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام تحسب انّ اكثرهم يسمعون او المفعول الثانى على تقدير مضاف مثل ولا تحسبنّ الّذين كفروا اصحاب أنّ الاملاء خيرٌ لانفسهم او ولا تحسبنّ حالَ الّذين كفروا أنّ الاملاء خير لانفسهم وما مصدريّة وكان حقّها ان تفصل فى الخطّ ولكنّها وقعت متّصلة فى الامام فاتّبع ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائىّ ويعقوب بالياء على انّ الّذين فاعل وأنّ مع ما فى حيّزه مفعول وفتح سينه فى جميع القران ابن عامر وعاصم وحمزة ، والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من أملى لفرسه اذا ارخى له الطّول ليرعى كيف شاء اَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا اِثْمًا استيناف بما هو العلّة للحكم قبلها وما كافّة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ أنّما بالفتح وبكسر الاولى ولا يَحْسَبَنَّ بالياء على معنى ولا يحسبنّ الّذين كفروا أنّ املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول فى الايمان وإنّما نملى لهم خيرٌ اعتراض معناه إنّ املاءنا لهم خير ان انتهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اى ليزدادوا اثما مُعَدًّا لهم عذابٌ مهينٌ (١٧٣) مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ الخطاب لعامّة المخلصين والمنافقين فى عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يُعرف مخلصكم من منافقكم حتّى يميز المنافق من المخلص بالوحى الى نبيّه باحوالكم او بالتكاليف الشاقّة الّتى لا يصبر عليها ولا يُذعن لها الّا الخُلّص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس فى سبيل اللّه ليختبر النبىّ به بواطنكم ويستدلّ به على عقائدكم ، وقرأ حمزة والكسائىّ حَتّى يُمَيِّزَ هنا وفى الانفال بضمّ الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء (١٧۴) وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَآءُ وما كان اللّه ليؤتى احدكم علم الغيب فيطّلع على ما فى القلوب من كفر وايمان ولكنّه يجتبى لرسالاته من يشاء فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيّبات او ينصب له ما يدلّ عليها فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ بصفة الاخلاص او بأن تعلموه وحده مطّلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الّا ما علّمهم اللّه ولا يقولون الّا ما اوحى اليهم روى انّ الكفرة قالوا ان كان محمّد صادقا فليخبرنا من يؤمن منّا ومن يكفر فنزلت وعن السُدّىّ انّه عم قال عُرضتْ علىّ أُمّتى وأُعلمتُ من يؤمن بى ومن يكفر فقال المنافقون انّه يزعم انّه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وَإِنْ تُؤْمِنُوا حقّ الايمان وَتَتَّقُوا النفاق فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ لا يقادَر قدره (١٧٥) وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ القراءات فيه بما سبق ومن قرأ بالتاء قدّر مضافا ليتطابق مفعولاه اى ولا تحسبنّ بخل الّذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء إن جعل الفاعل ضمير الرسول صلعم او من يحسب وإن جعله الموصول كان المفعول الاوّل محذوفا لدلالة يبخلون عليه اى ولا يحسبنّ البخلاء بُخلهم هو خيرا لهم بَلْ هُوَ اى البخل شَرٌّ لَهُمْ لاستجلاب العقاب عليهم (١٧٦) سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به

*

جزء ٤ الزامَ الطوق وعنه عم ما من رجل لا يؤدّى زكوة ماله الّا جعله اللّه شجاعا فى عنقه يوم القيمة

ركوع ٩ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وله ما فيهما ممّا يُتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بما له او انّه يرث منهم ما يُمْسكونه ولا يُنفقون فى سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ من المنع والاعطاء خَبِيرٌ فمجازيهم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائىّ بالتاء على الالتفات وهو ابلغ فى

ركوع ١٠ الوعيد (١٧٧) لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ قاله اليهود لمّا سمعوا مَنْ ذا الّذى يقرض اللّه قرضا حسنا وروى انّه عم كتب مع ابى بكر رضه الى يهود بنى قَيْنُقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا اللّه قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء انّ اللّه فقير حتّى سأل القرض فلطمه ابوبكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربتُ عنقك فشكاه الى رسول اللّه صلعم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انّه لم يَخْفَ عليه وانّه اعدّ لهم العقاب عليه سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ اى سنكتبه فى صحائف الكَتَبة او سنحفظه فى علمنا لا نُهمله لانّه كلمة عظيمة اذ هو كفر باللّه عزّ وجلّ واستهزاء بالقران والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انّه ليس اوّل جريمة ارتكبوها وانّ من اجترأ على قتل الانبياء لم يُستبعد منه أمْثال هذا القول ، وقرأ حمزة سَيُكْتَبُ بالياء وضمّها وفتح التاء وقَتْلُهُمْ بالرفع ويَقُولُ بالياء وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ اى وننتقم منهم بأن نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات فى الوعيد ، والذَّوْق ادراك الطعوم وعلى الاتّساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لانّ العذاب مرتّب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجات الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومُعْظَم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال (١٧٨) ذٰلِكَ اشارة الى العذاب بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم ، عبّر بالايدى عن الانفس لانّ اكثر اعمالها بهنّ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ عطف على ما قدّمت وسببيّته للعذاب من حيث انّ نفى الظلم يستلزم العدل المقتضى اثابة المحسن ومعاقبة المسىء (١٧٩) ٱلَّذِينَ قَالُوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيىّ وفنحاص ووَهْب بن يهوذا إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا امرنا فى التورية واوصانا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ بأن لا نؤمن لرسول حتّى يأتينا بهذه المعجزة الخاصّة الّتى كانت لانبياء بنى اسرائيل وهو ان يقرّب بقربان فيقوم النبىّ فيدعو فتنزل نار سماويّة فتأكله اى تُحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لانّ أكْلَ النارِ القربانَ لم يوجب الايمان الّا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شَرْعٌ فى ذلك (١٨٠) قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَاتِ وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ تكذيب والزام بانّ رسلا جاؤهم قبله كزكريّاء ويحيى بمعجزات أُخَر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقّفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به فى معجزات أُخَر واجترؤا على قتله (١٨١) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَآءُوا بِٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُنِيرِ تسلية للرسول

جزء ٤ ركوع ١٠

صلعم من تكذيب قومه واليهود ، والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسّنته والكتاب فى عرف القران ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب باعادة الجارّ للدلالة على انها مغايرة للبيّنات بالذات (١٨٢) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ وعد ووعيد للمصدّق والمكذّب وقرئ ذَائِقَةٌ ٱلْمَوْتَ بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله • ولا ذاكرَ اللّهَ الّا قليلا • وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ تُعْطَوْن جزاء اعمالكم خيرا كان او شرّا تامّا وافيا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يوم قيامكم من القبور ولفظ التوفية يُشعر بانّه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيّده قوله عم القبر روضة من رياض الجنّة او حفرة من حفر النيران فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ بُعّد عنها والزحزحة فى الاصل تكرير الزحّ وهو الجذب بعجلة وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبىّ صلعم من احبّ ان يزحزح عن النار ويدخل الجنّة فلتدركه منيّته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى الى الناس ما يحبّ ان يؤتى اليه وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لذّاتها وزخارفها إِلَّا مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ شبّهها بالمتاع الّذى يدلّس به على المستام ويُغرّ حتّى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فامّا من طلب بها الآخرة فهى له متاعُ بلاغ ، والغرور مصدر او جمع غارّ (١٨٣) لَتُبْلَوُنَّ اى واللّه لتختبرنّ فِىٓ أَمْوَالِكُمْ بتكليف الانفاق وما يصيبها من الآفات وَأَنفُسِكُمْ بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يَرِد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا أَذًى كَثِيرًا من هجاء الرسول والطعن فى الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطّنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدّوا للقائها حتّى لا يرهقهم نزولها وَإِن تَصْبِرُوا على ذلك وَتَتَّقُوا مخالفة امر اللّه فَإِنَّ ذَٰلِكَ يعنى الصبر والتقوى مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ من معزومات الامور الّتى يجب العزم عليها او ممّا عزم اللّه عليه اى امر به وبالغ فيه والعزم فى الاصل ثبات الرأى على الشىء نحو امضائه (١٨٤) وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ اى اذكر وقت اخذه مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ يريد به العلماء لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عيّاش بالياء لانهم غُيّب ، واللام جوابُ القسم الّذى ناب عنه قوله اخذ اللّه ميثاق الّذين ، والضمير للكتاب فَنَبَذُوهُ اى الميثاق وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مَثَلٌ فى ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نُصْبَ عينه والقاؤه بين عينيه وَٱشْتَرَوْا بِهِ واخذوا بدله ثَمَنًا قَلِيلًا من حطام الدنيا واعراضها فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ يختارون لانفسهم وعن النبىّ صلعم من كتم علما عن اهله أُلجم بلجام من نار وعن علىّ رضه ما اخذ اللّه على اهل الجهل ان يتعلّموا حتّى اخذ على اهل العلم ان يعلّموا (١٨٥) لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ الخطاب لرسول اللّه صلعم ومن ضمّ الباء جعل الخطاب له

جزء ٤ وللمؤمنين والمفعول الاوّل الّذين يفرحون والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنّهم تأكيد والمعنى لا تحسبنّ
ركوع ١٠ الّذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحقّ ويحبّون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحقّ والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اى فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء فى الاوّل وضمّها فى الثانى على انّ الّذين فاعل ومفعولا يحسبنّ محذوفان يدلّ عليهما مفعولا مؤكّده وكأنّه قيل لا يحسبنّ الّذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبنّ انفسهم بمفازة او المفعول الاوّل محذوف وقوله فلا يحسبنّهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاوّل وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بكفرهم وتدليسهم روى انّه عم سأل اليهود عن شىء ممّا فى التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه وأروه انّهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت فى قوم تخلّفوا عن الغزو ثمّ اعتذروا بأنّهم رأوا المصلحة فى التخلّف واستحمدوا به وقيل نزلت فى المنافقين فانّهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الّذى لم يفعلوه على الحقيقة (١٨٦) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ فهو يملك امرهم
ركوع ١١ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على عقابهم وقيل هو ردّ لقولهم انّ اللّه فقير (١٨٧) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوّة الخالصة عن شوائب الحسّ والوهم كما سبق فى سورة البقرة ولعلّ الاقتصار على هذه الثلاثة فى هذه الآية لانّ مناط الاستدلال هو التغيّر وهذه معرّضة لجملة انواعه فانّه امّا ان يكون فى ذات الشىء كتغيّر الليل والنهار او جزئه كتغيّر العناصر بتبدّل صورها او الخارج عنه كتغيّر الافلاك بتبدّل اوضاعها وعن النبىّ صلعم ويل لمن قرأها ولم يتفكّر (١٨٨) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ اى يذكرونه دائما على الحالات كلّها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عم من احبّ ان يرتع فى رياض الجنّة فليكثر ذكر اللّه وقيل معناه يصلّون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عم لعمران بن حُصَين صلّ قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء فهو حجّة للشافعىّ رضه فى انّ المريض يصلّى مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عم لا عبادة كالتفكّر لانّه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد انّ لك ربّا وخالقا اللّهمّ اغفر لى فنظر اللّه اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا على ارادة القول اى يتفكّرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكّر فيه اى الخلق على انّه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانّهما فى معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدلّه على معرفتك ويحثّه على طاعتك لينال الحيوة الابديّة والسعادة السرمديّة فى جوارك سُبْحَانَكَ تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض

جزء ۴ ركوع ۱۱

فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه ، وفائدة الفاء فى الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة (١٨٩) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مَرْعَى الصَّمَّانِ فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحانى افظع وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ اراد بهم المُدْخَلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم فى الخلاص منها ولا يلزم من نفى النصرة نفى الشفاعة لان النصر دفع بقهر (١٩٠) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَانِ اوقع الفعل على المُسْمَع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست فى ايقاعه على نفس المسموع ، وفى تنكير المنادى واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول صلعم وقيل القران ، والنداء والدعاء ونحوهما تعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا اى بأن آمنوا فامتثلنا (١٩١) رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كبائرنا فانها ذات تبعة وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ مخصوصين بصحبتهم معدودين فى زمرتهم وفيه تنبيه على انهم محبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه ، والابرار جمع بَرّ او بارّ كارباب واصحاب (١٩٢) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ اى ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما أُمِر به سأل ما وُعِد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة أن لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور فى الامتثال او تعبدا واستكانة ويجوز ان يعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على ألسنة رسلك وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ بأن تعصمنا عما يقتضيه إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ باثابة المومن واجابة الداعى وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت ، وتكرير ربنا للمبالغة فى الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها وفى الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف (١٩٣) فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ الى طلبتهم وهو اخص من أجاب ويعدى بنفسه وباللام أَنِّى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ اى بأنى لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بيان عامل بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق فى الدين وهى جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روى ان ام سلمة قالت يا رسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت (١٩٤) فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا الى آخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِى سَبِيلِى بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وَقَاتَلُوا الكفار وَقُتِلُوا فى الجهاد وقرأ حمزة والكسائى بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثانى افضل او لان المراد لما قتل

جزء ۴ منهم قوم قاتلَ الباقون ولم يضعفوا وشدّد ابن كثير وابن عامر قُتّلوا للتكثير لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ رکوع ١١ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ (١٩٥) ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ اى أُثيبهم بذلك اثابةً من عند اللّه تفضّلا منه فهو مصدرٌ مؤكّدٌ وَٱللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ على الطاعات قادر عليه (١٩٦) لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي ٱلْبِلَادِ الخطاب للنبىّ صلعم والمرادُ أُمّتُه او تثبيتُه على ما كان عليه كقوله فلا تُطع المكذّبين او لكلّ احد، والنهىُ فى المعنى للمخاطَب وانّما جُعل للتقلّب تنزيلا للسبب منزلةَ المسبَّب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكَفَرة عليه من السعة والحظّ ولا تغترّ بظاهر ما ترى من تبسّطهم فى مَكاسبهم ومَتاجرهم ومَزارعهم روى انّ بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولينِ عيش فيقولون انّ اعداء اللّه فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجُهْد فنزلت مَتَاعٌ قَلِيلٌ خبرُ مبتدإ محذوف اى ذلك التقلّب متاع قليل لقِصَر مدّته وفى جَنْبِ ما اعدّ اللّه للمؤمنين قال عم ما الدنيا فى الآخرة الّا مِثْلُ ما يجعل احدكم اصبعه فى اليمّ فلينظرْ بمَ يرجع ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ اى ما مهّدوا لانفسهم (١٩٧) لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ النُزْل والنُزُل ما يُعَدّ للنازل من طعام وشراب وصِلة قال ابو الشعر الضَبّى

وكنّا اذا الجبّارُ بالجيش ضافَنا جعلْنا ٱلقَنا والمُرْهَفاتِ له نُزْلا

وانتصابه على الحال من جنّات والعامل فيها الظرف وقيل انّه مصدرٌ مؤكّدٌ والتقديرُ أنزلوها نزلا وَمَا عِنْدَ ٱللَّهِ لكثرته ودوامه خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ممّا يتقلّب فيه الفُجّار لقلّته وسرعة زواله (١٩٨) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ نزلت فى ابن سَلام واصحابه وقيل فى اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل فى أَصْحَمة النجاشىّ لمّا نعاه جبريل الى رسول اللّه صلعم فخرج وصلّى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلّى على عِلْجٍ نصرانىّ لم يره قطّ، وانّما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين إنّ بالظرف وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ من القران وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ من الكتابَيْن خَاشِعِينَ لِلَّهِ حال من فاعل يؤمن وجمعُه باعتبار المعنى لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا كما يفعل المحرّفون من احبارهم (١٩٩) أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ما خُصّ بهم من الاجر ووُعدوه فى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرّتين إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ لعلمه بالاعمال وما تستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمّل والاحتياط والمرادُ انّ الاجر الموعود سريع الوصول فانّ سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء (٢٠٠) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱصْبِرُوا على مشاقّ الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وَصَابِرُوا وغالبوا اعداء اللّه فى الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوّكم فى الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدّته وَرَابِطُوا

ابدانكم وخيولكم فى الثغور مترصّدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عم من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه عم من رابط يوما وليلة فى سبيل اللّه كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الّا لحاجة وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فاتّقوه بالتبرّى عمّا سواه لكى تفلحوا غاية الفلاح او اتّقوا القبائح لعلّكم تفلحون بنيل المقامات الثلاث المرتّبة الّتى هى الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السرّ على جناب الحقّ لترصّد الواردات المعبّر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة ٭ عن النبىّ صلعم من قرأ سورة آل عمران أُعطى بكلّ آية منها امانا على جسر جهنّم وعنه عم من قرأ السورة الّتى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلّى اللّه عليه وملائكته حتّى تحجب الشمس ٭ — جزء ٤ — ركوع ١١

سُورَةُ ٱلنِّسَآء

مدنيّة وآيها مائة وخمس وسبعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ خطاب يعمّ بنى آدم ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ هى آدم وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا عطف على خلقكم اى خلقكم من شخص واحد وخلق منه امّكم حوّاء من ضلع من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً بيان لكيفيّة تولّدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى ان يكنّ اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع ٭ وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصّة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة الّتى من حقّها ان تخشى والنعمة الباهرة الّتى توجب طاعة موليها او لانّ المراد به تمهيد للامر بالتقوى فيما يتّصل بحقوق اهل منزله وبنى جنسه على ما دلّت عليه الآيات الّتى بعدها ٭ وقرئ وَخَالِقُ وَبَاثُّ على حذف مبتدإ تقديره وهو خالق وباثّ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِ اى يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك باللّه وأصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية فى السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائىّ بطرحها وَٱلْأَرْحَامَ بالنصب عطفا على محلّ الجارّ والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرًا او على اللّه اى اتّقوا اللّه واتّقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجرّ عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانّه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انّه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اى ممّا يتّقى او يتساءل به وقد نبّه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه الكريم على انّ صلتها بمكان منه وعنه عم الرحم معلّقة بالعرش تقول من وصلنى وصله اللّه ومن قطعنى قطعه اللّه إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا حافظا مطّلعا — ركوع ١٢

(٢) وَآتُوا ٱلْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ اى اذا بلغوا ٭ واليتامى جمع يتيم وهو الّذى مات ابوه من اليُتْم وهو الانفراد

جزء ۴ ومنه الدرّة اليتيمة امّا على انّه لمّا جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جُمع على يَتَائِم ثمّ قُلب او
ركوع ۱۲ على انّه جُمع على يَتْمَى كَأَسْرَى لانّه من باب الآفات ثمّ جُمع يَتْمَى على يَتَامَى كَأَسْرَى وأَسَارَى والاشتقاق يقتضى وقوعه على الصغار والكبار لكن العُرْف خصّصه بمن لم يبلغ ووروده فى الآية إمّا للبُلّغ على الاصل او الاتّساع لقُرْب عهدهم بالصغر حثّا على ان يدفع اليهم اموالهم اوّل بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم إن أُونِس منهم الرشدُ ولذلك أُمر بابتلائهم صغارا او لغير البُلّغ والحُكْم مقيّدٌ فكانّه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيّد الاوّل ما روى انّ رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلمّا بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلمّا سمعها العمّ قال اطعنا اللّه ورسوله نعوذ باللّه من الحوب الكبير وَلَا تَتَبَدَّلُوا ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيّب الّذى هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدّل وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ولا تأكلوها مضمومةً الى اموالكم اى لا تنفقوهما معا ولا تُسَوّوا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف إنّهُ الضمير للاكل كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ذنبا عظيما وقرئ حَوْبًا وهو مصدرُ حاب حَوْبا وحابا كقال قَوْلا وقالا (۳) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي ٱلْيَتَامَىٰ فَٱنكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَاءِ اى ان خفتم ان لا تعْدلوا فى يتامى النساء اذا تزوّجتم بهنّ فتزوّجوا ما طاب لكم من غيرهنّ اذ كان الرجل يجد يتيمةً ذاتَ مال وجمال فيتزوّجها ضنّا بها فربّما يجتمع عنده منهنّ عددٌ ولا يقدر على القيام بحقوقهنّ او ان خفتم ان لا تعدلوا فى حقوق اليتامى فتحرّجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا يُمْكنكم الوفاء بحقّه لانّ المتحرّج من الذنب ينبغى ان يتحرّج من الذنوب كلّها على ما روى انّه تعالى لمّا عظّم امر اليتامى تحرّجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرّجون من تكثير النساء واضاعتهنّ فنزلت وقيل كانوا يتحرّجون من ولاية اليتامى ولا يتحرّجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا فى امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حلّ لكم وانّما عبّر عنهنّ بمَا ذهابا الى الصفة او اجراء لهنّ مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهنّ ونظيره او ما ملكت ايمانكم ، وقرئ تَقْسِطُوا بفتح التاء على انّ لَا مزيدة اى ان خفتم ان تجوروا مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ معدولة عن اعداد مكرّرة هى ثنتين ثنتين وثلاث ثلاث واربع اربع غير منصرفة للعدل والصفة فانّها بُنيت صفات وان كانت اصولها لم تُبْنَ لها وقيل لتكرير العدل فانّها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكلّ ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متّفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمَيْن درهمَيْن وثلاثةً ثلاثةً ولو أُفْرِدت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذُكرت بأَوْ لذهب تجويز الاختلاف فى العدد فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا بين هذه الاعداد ايضا فَوَاحِدَةً فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انّه فاعل محذوف او خبره تقديره فتكفيكم واحدةٌ او فالمُقْنِع واحدةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ سوّى بين الواحدة من الازواج والعدد من

السراری لخفّة مؤنهنّ وعدم وجوب القسم بینهنّ ذٰلِكَ ای التقلیل منهنّ او اختیار الواحدة او التسرّی جزء ۴
أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا اقرب من ان لا تمیلوا یقال عال المیزانُ اذا مال وعال الحاکمُ اذا جار وعَوْلُ الفریضة المیل ركوع ۱۳
عن حدّ السهام المسمّاة وفُسّر بأن لا یَكْثُرَ عیالكم علی انّه من عال الرجلُ عیالَه یعولهم اذا مأنهم فعبّر
عن كثرة العیال بكثرة المؤن علی الكنایة ویؤیّده قراءة أَلَّا تُعِیلُوا من اعال الرجل اذا كثر عیاله ولعلّ
المراد بالعیال الازواج وان ارید الاولاد فلانّ التسرّی مظنّة قلّة الولد بالاضافة الی التزوّج لجواز العزل فیه
كتزوّج الواحدة بالاضافة الی تزوّج الاربع وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ مهورهنّ وقرئ بفتح الصاد وسكون
الدال علی التخفیف وبضمّ الصاد وسكون الدال جمع صُدْقة كغُرْفة وبضمّهما علی التوحید وهو تثقیل
صُدْقة كظُلُمة فی ظُلْمة نِحْلَةً عطیّة یقال نحله كذا نحلة ونُحْلا اذا اعطاه ایّاه عن طیب نفس بلا توقّع
عِوَض ومن فسّرها بالفریضة ونحوها نظر الی مفهوم الآیة لا الی موضوع اللفظ ونصبها علی المصدر لانّها
فی معنی الایتاء او الحال من الواو او الصدقات ای آتوهنّ صدقاتهنّ ناحلین او منحولة وقیل المعنی
نحلة من اللّه وتفضّلا منه علیهنّ فیكون حالا من الصدقات وقیل دیانة من قولهم انتحل فلان كذا
اذا دان به علی انّه مفعول له او حال من الصدقات ای دینا من اللّه شرعه والخطاب للازواج وقیل
للاولیاء لانّهم كانوا یأخذون مهور مولیّاتهم فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا الضمیر للصداق حملا
علی المعنی او مُجْری مجری اسم الاشارة كقول رُؤْبة فی قوله ۰ كأنّه فی الجلد تولیعُ البَهَق ۰ اردتُ كأنّ
ذلك وقیل للایتاء ونَفْسًا تمییز لبیان الجنس ولذلك وُحّد والمعنی فان وهبن لكم شیئا من الصداق
عن طیب نفس لكن جعل العُمْدة طیب النفس للمبالغة وعدّاه بعَنْ لتضمّن معنی التجافی والتجاوز وقال
مِنْهُ بعثا لهنّ علی تقلیل الموهوب فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا فخذوه وأنفقوه حلالا بلا تَبِعة والهنیء والمریء صفتان
من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غیر غَصَص أُقیمتا مقامَ مصدرَیْهما او وُصِفَ بهما المصدر او جُعلتا
حالا من الضمیر وقیل الهنیء ما یَلَذّه الانسان والمریء ما یُحْمَد عاقبته روی انّ ناسا كانوا یتأثّمون
ان یقبل احدهم من زوجته شیئا ممّا ساق الیها فنزلت (۴) وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ نهیٌ للاولیاء
ان یؤتوا الّذین لا رُشْدَ لهم اموالهم فیُضیعوها وانّما اضاف المال الی الاولیاء لانّها فی تصرّفهم وتحت ولایتهم
وهو الملائم للآیات المتقدّمة والمتأخّرة وقیل نهی لكلّ احد ان یعمد الی ما خوّله اللّه من المال فیعطی
امرأته واولاده ثمّ ینظر الی ایدیهم وانّما سمّاهم سفهاء استخفافا بعقولهم واستهجانا لجعلهم قُوّاما علی
انفسهم وهو اوفق لقوله الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ای تقومون بها وتنتعشون وعلی الاوّل یأوّل بانّها
الّتی من جنس ما جعل اللّه لكم قیاما سمّی ما به القیام قیاما للمبالغة وقرأ نافع وابن عامر قِیَمًا
بمعناه كعِوَذ بمعنی عِیاذ وقرئ قِوامًا وهو ما یقام به وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ واجعلوها مكانا
لرزقهم وكسوتهم بأن تتّجروا فیها وتحصّلوا من نفعها ما یحتاجون الیه وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا عدة
جمیلة تطیب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه العقل او الشرع بالحُسْن والمُنْكَر ما انكره احدهما لقبحه
(۵) وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ اختبروهم قبل البلوغ بتتبّع احوالهم فی صلاح الدین والتهدّی الی ضبط المال

جزء ٤ وحُسْن التصرّف بأن يَكِل اليه مقدّمات العقد وعند ابى حنيفة بأن يدفع اليه ما يتصرّف فيه
ركوع ١٣ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا ٱلنِّكَاحَ حتّى اذا بلغوا حدّ البلوغ بأن يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عم اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كُتب ما له وما عليه واقيمت عليه الحدود وثمانى عشرة عند ابى حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانّه يَصْلح للنكاح عنده فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ أَحَسْتُمْ بمعنى احسستم فَٱدْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ من غير تأخير عن حدّ البلوغ ونظم الآية أنّ إن الشرطيّة جوابُ اذا المتضمّنة معنى الشرط والجملةُ غاية الابتلاء فكأنّه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دَفْعَ اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انّه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على سنّ البلوغ سبع سنين وهى مدّة معتبرة فى تغيير الاحوال اذ الطفل يميّز بعدها ويؤمر بالعبادة دُفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا (٦) أَنْ يَكْبَرُوا مُسْرِفين ومبادرين كِبَرَهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ من اكلها وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ بقدر حاجته واجرة سَعْيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مُشْعِر بانّ الولىّ له حقّ فى مال الصبىّ وعنه عم انّ رجلا قال له انّ فى حَجْرى يتيما افآكُلُ من ماله قال بالمعروف غير متأثّل مالا ولا واقٍ مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدلّ على انّه نهىٌ للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى (٧) فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ بانّهم قبضوها فانّه أنْفَى للتهمة وابعدُ من الخصومة ووجوبِ الضمان وظاهره يدلّ على انّ القيّم لا يصدَّق فى دعواه الّا بالبيّنة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابى حنيفة وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حُدّ لكم (٨) لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ يريد بهم المتوارثين بالقرابة مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ بدل ممّا ترك باعادة العامل نَصِيبًا مَفْرُوضًا نصب على انّه مصدرٌ مؤكّدٌ كقوله فريضةً من اللّه او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيبٌ او على الاختصاص بمعنى اعنى نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على انّ الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقّه روى انّ أوس بن صامت الانصارىّ خلّف زوجته امّ كُحّة وثلاث بنات فزوى ابنا عمّه سُوَيْدٌ وعُرْفُطة او قتادة وعُرْفُجة ميراثه عنهنّ على سنّة الجاهليّة فانّهم ما كانوا يورّثون النساء والاطفال ويقولون انّما يرث من يحارب ويَذُبّ عن الحَوْزة فجاءت امّ كحّة الى رسول اللّه صلعم فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتّى انظر ما يُحْدِث اللّه فنزلت فبعث اليهما لا تُفرّقا من مال اوس شيئا فانّ اللّه قد جعل لهنّ نصيبا ولم يبيّن حتّى يبيّن فنزلت يوصيكم اللّه فاعطى امّ كحّة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العمّ وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب (٩) وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُولُو ٱلْقُرْبَىٰ

ممن لا يرث وَٱلْيَتَامَى وَٱلْمَسَاكِينُ فَٱرْزُقُوهُمْ مِنْهُ فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدّقا جزء ۴
عليهم وهو امرُ نَدْبٍ للبُلَّغ من الورثة وقيل امر وجوب ثمّ اختُلف فى نَسْخه، والضمير لما ترك او ركوع ۱۲
ما دلّ عليه القسمة وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا وهو ان يَدْعُوا لهم ويستقلّوا ما اعطوهم ولا يَمُنّوا عليهم
(۱۰) وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ امر للاوصياء بأن يخشوا اللّه
۵ ويتقوه فى امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبّون ان يُفْعَل بذريّاتهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين
المريض عند الايصاء بأن يخشوا ربّهم او يخشوا على اولاد المريض ويُشْفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم
فلا يتركوه ان يُضِرّ بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب
واليتامى والمساكين متصوّرين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوّزون حرمانهم
او للموصين بأن ينظروا للورثة فلا يسرفوا فى الوصيّة ، ولَوْ بما فى حيّزه جُعل صلةً للّذين على معنى
۱۰ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا أن يخلّفوا ذريّة ضعافا خافوا عليهم الضياع وفى ترتيب
الامر عليه اشارةٌ الى المقصود منه والعلّة فيه وبعثٌ على الترحّم وأن يحبّ لاولاد غيره ما يحبّ لاولاده
وتهديدٌ للمخالف بحال اولاده فَلْيَتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا امرهم بالتقوى التى هى غاية الخشية
بعد ما امرهم بها مراعاةً للمبدإ والمنتهى اذ لا ينفع الاوّل دون الثانى ثمّ امرهم ان يقولوا لليتامى مثل
ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصدّه عن الاسراف فى الوصيّة وتضييع الورثة
۱۵ ويذكّره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضرى القسمة عُذْرا جميلا ووعدا حسنا او أن يقولوا فى الوصيّة
ما لا يؤدّى الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة (۱۱) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلْيَتَامَى ظُلْمًا ظالمين او
على وجه الظلم إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ملء بطونهم نَارًا ما يجرّ الى النار ويؤول اليها وعن ابى بُرْدة انّه
عم قال يبعث اللّه قوما من قبورهم تتأجّج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر انّ اللّه يقول انّ
الّذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انّما يأكلون فى بطونهم نارا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا وسيدخلون نارا
۲۰ وایّ نارٍ وقرأ ابن عامرٍ وابن عيّاش عن عاصم بضمّ الياء مخفّفا وقرئ به مشدّدا تقول صَلِىَ النارَ
قاسى حرّها وصَلَيْته شويته وأصْليته وصلّيته القيته فيها ، والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النارَ اذا
الهبتها (۱۲) يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ يأمركم ويعهد اليكم فِي أَوْلَادِكُمْ فى شأن ميراثهم وهو اجمالٌ تفصيله ركوع ۱۳
لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنْثَيَيْنِ اى يُعَدّ كلّ ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعّف نصيبُه وتخصيص
الذكر بالتنصيص على حظّه لانّ القصد الى بيان فضله والتنبيه على انّ التضعيف كافٍ للتفضيل فلا
۲۵ يُحْرَمْنَ بالكلّيّة وقد اشتركا فى الجهة والمعنى للذكر منهم فحُذف للعلم به فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً
اى فان كان الاولاد نساء خُلّصا ليس معهنّ ذكر فانّث الضمير باعتبار الخبر او على تأويل المولودات
فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ خبر ثانٍ او صفة لنساء اى نساء زائدات على اثنتين فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ المتوفّى منكم ويدلّ
عليه المعنى وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ اى وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان

جزء ٤
ركوع ١٣

التامّة، واختُلف فى البنتين فقال ابن عبّاس حُكْمُهما حُكْمُ الواحدة لانّه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانّه تعالى لمّا بيّن انّ حظّ الذكر مثل حظّ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك انّ فرضهما الثلثان ثمّ لمّا اوهم ذلك ان يُزاد النصيب بزيادة العدد ردّ ذلك بقوله فان كنّ نساء فوق اثنتين ويؤيّد ذلك انّ البنت الواحدة لمّا استحقّت الثلث مع اخيها فبالحرى ان تستحقّه مع اخت مثلها وانّ البنتين امسّ رحما من الاختين وقد فُرض لهما الثلثان بقوله تعالى فلهما الثلثان ممّا ترك وَلِأَبَوَيْهِ ولابوى الميّت لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كلّ واحد منهما السدسَ والتفصيلُ بعد الاجمال تأكيدا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ للميّت وَلَدٌ ذكر او انثى غير انّ الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفرضيّة وما بقى من ذوى الفروض ايضا بالعُصوبة فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فحسب فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ممّا ترك وانّما لم يذكر حصّة الاب لانّه لمّا فرض انّ الوارث ابواه فقط وعيّن نصيب الامّ عُلم انّ الباقى للاب فكانّه قال فلهما ما ترك أثلاثا وعلى هذا ينبغى ان يكون لها حيث معهما احد الزوجين ثلثُ ما بقى من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلثُ المال كما قاله ابن عبّاس فانّه يُفضى الى تفضيل الانثى على الذكر المساوى لها فى الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ باطلاقه يدلّ على انّ الاخوة يردّونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الأب وعن ابن عبّاس انّهم يأخذون السدس ٱلّذى حجبوا عنه الامّ والجمهورُ على انّ المراد بالاخوة عددٌ ممّن له أُخُوّة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عبّاس لا يُحجب الامّ من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخُلّص أخذا بالظاهر، وقرأ حمزة والكسائىّ فَلِإِمِّهِ بكسر الهمزة اتباعا للكسرة ٱلّتى قبلها مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ متعلّق بما تقدّمه من قسمة المواريث كلّها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصيّة او دين وانّما قال بأَوْ ٱلّتى للاباحة دون الواو للدلالة على انّهما متساويان فى الوجوب مقدّمان على القسمة مجموعَيْن ومنفردَيْن وقدّم الوصيّة على الدين وهى متأخّرة فى الحكم لانّها مشبهة للميراث شاقّة على الورثة مندوب اليها الجميع والدينُ انّما يكون على الندور، وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا اى لا تعلمون من انفعُ لكم ممّن يرثكم من اصولكم وفروعكم فى عاجلكم وآجلكم فتحرّوا فيهم ما وصّاكم اللّه به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى انّ احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر فى الجنّة سأل أن يُرفَع اليه فيُرفَع بشفاعته او من مُورِثيكم منهم أَمَنْ اوصى منهم فعرّضكم للثواب بامضاء وصيّته او من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكّد لامر القسمة او تنفيذ الوصيّة فَرِيضَةً مِنَ ٱللَّهِ مصدر مؤكّد او مصدر يوصيكم اللّه لانّه فى معنى يأمركم ويفرض عليكم إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بالمصالح والرُّتَب حَكِيمًا فيما قضى وقدّر

(١٣) وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ

اى ولد وارث من بطنها او من صُلْب بنيها او بنى بنيها وإنْ سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم جزء ٤
مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ (١٤) وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ ركوع ١٣
فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ فرض للرجل بحقّ الزواج ضعف ما للمرأة كما فى النسب وهكذا قياس كلّ رجل وامرأة اشتركا فى الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الّا اولاد الامّ والمُعْتِق والمُعْتِقة وتستوى الواحدة والعدد منهنّ فى الربع والثمن (١٥) وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ اى الميّت يُورَثُ اى يُورَث منه من وَرِثَ صفة رجل كَلَالَةً خبرُ كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلّف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجلُ الوارثَ ويورث من أَوْرَثَ وكلالة من ليس بوالد ولا ولد، وقرئ يُورِثُ على البناء للفاعل فالرجل الميّت وكلالة تحتمل المعانى الثلاثة على الاوّل خبر او حال وعلى الثانى مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهى فى الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى

فآليتُ لا أَرْثى لها من كلالة ولا من حَفًا حتّى أُلاقى محمّدا

فاستعيرت لقرابة ليست بالبَعْضيّة لانّها كالّة بالاضافة اليها ثمّ وصف بها المُورِث والوارث بمعنى ذى كلالة كقولك فلان من قرابتى أَوِ ٱمْرَأَةٌ عطف على رجل وَلَهُ اى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه أَخٌ أَوْ أُخْتٌ اى من الامّ ويدلّ عليه قراءة أُبَىّ وسعد بن مالك وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنَ ٱلْأُمِّ وانّه ذكر آخرَ السورة انّ للاختين الثلثين وللاخوة الكلّ وهو لا يليق باولاد الامّ وأنّ ما قدّر ههنا فرض الامّ فيناسب ان يكون لاولادها فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِى ٱلثُّلُثِ سوّى بين الذكر والانثى فى القسمة لانّ الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انّهم لا يرثون ذلك مع الامّ والجدّة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخُصّ فيه بالاجماع مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ (١٦) غَيْرَ مُضَارٍّ اى غير مضارّ لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارّة بالوصيّة دون القُرْبة والاقرار بدَيْن لا يلزمه وهو حال عن فاعل يوصِى المذكور فى هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يُوصَى على البناء للمفعول فى قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عيّاش عن عاصم وَصِيَّةً مِنَ ٱللّٰهِ مصدر مؤكّد او منصوب بغير مضارّ على المفعول به ويؤيّده انّه قرئ غَيْرَ مُضَارِّ وَصِيَّةٍ بالاضافة اى لا يضارّ وصيّةً من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصيّة منه بالاولاد بالاسراف فى الوصيّة والاقرار الكاذب وَٱللّٰهُ عَلِيمٌ بالمضارّ وغيره حَلِيمٌ لا يعاجل بعقوبته (١٧) تِلْكَ اشارة الى الاحكام الّتى تقدّمت فى امر اليتامى والوصايا والمواريث حُدُودُ ٱللّٰهِ شرائعه الّتى هى كالحدود المحدودة الّتى لا يجوز مجاوزتها

وَمَنْ يُطِعِ ٱللّٰهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ

(١٨) وَمَنْ يَعْصِ ٱللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ توحيد الضمير فى

جزء ۴ يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر نُدْخِلْهُ بالنون وخالدين حال مقدّرة كقولك

ركوع ۱۳ مررت برجلٍ معه صقرٌ صائدًا به غدًا وكذلك خالدًا وليسا صفتين لجنّات ونارًا والّا لَوَجَبَ ابراز

ركوع ۱۴ الضمير لانّهما جريا على غير من هما له (۱۹) وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ اى يفعلنها يقال أَتَى الفاحشةَ وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها ، والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فَٱسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فاطلبوا ممّن قذفهنّ اربعة من رجال المؤمنين يشهدوا عليهنّ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ فاحبسوهنّ فى البيوت واجعلوها سجنا عليهنّ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ ٱلْمَوْتُ يستوفى ارواحهنّ الموت او يتوفّاهنّ ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهنّ فى اوائل الاسلام فنسخ بالحدّ ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهنّ بعد ان يُجْلَدْن كيلا يجرى عليهنّ ما جرى بسبب الخروج والتعرّض للرجال ولم يذكر الحدّ استغناء بقوله الزانية والزانى أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا كتعيين الحدّ المخلّص عن الحبس او النكاح المُغْنِى عن السفاح (۲۰) وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ يعنى الزانى والزانية وقرأ ابن كثير وَٱللَّذَانِّ بتشديد النون وتمكين مدّ الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فَآذُوهُمَا بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا فاقطعوا عنهما الايذاء او أَعْرِضوا عنهما بالاغماض والستر إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا علّة الامر بالاعراض وترك المذمّة وقيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزنا الاذى ثمّ الحبس ثمّ الجلد وقيل الاولى فى السحّاقات وهذه فى اللّواطين والزانية والزانى فى الزناة (۲۱) إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ اى قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ متلبّسين بها سفهاء فانّ ارتكاب الذنب سفهٌ وتجاهلٌ ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتّى ينزع عن جهالته ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ من زمان قريب اى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتّى اذا حضر احدهم الموت وقوله عم انّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وسمّاه قريبا لانّ امد الحيوة قريب كقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يُشْرَب فى قلوبهم حبّه فيطبع عليها فيتعذّر عليهم الرجوع ، ومِنْ للتبعيض اى يتوبون فى اىّ جزء من الزمان القريب الّذى هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزيّن السوء فَأُولَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وعدٌ بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انّما التوبة على الله وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة حَكِيمًا والحكيم لا يعاقب التائب (۲۲) وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ سوّى بين من سوّف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفّار وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة وكانّه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالّذين يعملون السوء عُصاة المؤمنين وبالّذين يعملون

جزء ۴ ركوع ۱۴

السيّآت المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالّذين يموتون الكفار أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا تأكيدٌ لعدم قبول توبتهم وبيانٌ انّ العذاب اعدّه لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء ، والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدّة وقيل أصله أَعْدَدْنَا فأُبدلت الدال الاولى تاء (۲۳) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احقّ بها ثمّ ان شاء تزوّجها بصداقها الاوّل وإن شاء زوّجها غيره واخذ صداقها وإن شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحلّ لكم ان تأخذوهنّ على سبيل الارث فتتزوّجوهنّ كارهات لذلك او مُكْرَهات عليه ، وقرأ حمزة والكسائى كُرْهًا بالضمّ فى مواضعه وهما لغتان وقيل بالضمّ المشقّة وبالفتح ما يُكْرَه عليه وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفى اى ولا تمنعوهنّ من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتّى يرثوا منهنّ او يختلعن بمهورهنّ وقيل تمّ الكلام بقوله كرها ثمّ خاطب الازواج ونهاهم عن العضل إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفّف ، والاستثناء من اعمّ علم الظرف او المفعول له تقديره لا تعضلوهنّ للافتداء الّا وقت أن يأتين بفاحشة او لا تعضلوهنّ لعلّة الّا لأن يأتين بفاحشة ، وقرأ ابن كثير وابو بكر بفاحشة مُبيَّنة هنا وفى الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهنّ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا اى فلا تفارقوهنّ لكراهة النفس فانّها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحبّ ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى فى الاصل علّة الجزاء فأُقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهنّ فاصبروا عليهنّ فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم (۲۴) وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ تطليق امرأة وتزوّج اخرى وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ اى احدى الزوجات جمع الضمير لانّه اراد بالزوج الجنس قِنْطَارًا مالا كثيرا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا اى من القنطار أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا استفهام انكار وتوبيخ اى اتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلّة كما فى قولك قعدت عن الحرب جبنا لانّ الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد امرأة جديدة بهت الّتى تحته بفاحشة حتّى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوّج الجديدة فنهوا عن ذلك ، والبهتان الكذب الّذى يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسّر ههنا بالظلم (۲۵) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ انكار لاسترداد المهر والحال انّه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرّر المهر وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا عهدا وثيقا وهو حقّ الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم فى شأنهنّ بقوله تعالى فامساكٌ بمعروف او تسريحٌ باحسان او ما اشار اليه النبىّ صلعم بقوله اخذتموهنّ بامانة الله واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله (۲۶) وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ ولا تنكحوا الّتى نكحها آباؤكم وانّما

جزء ٤ ذكر مَا دون مَنْ لانّه اريد به الصفة وقيل ما مصدريّة على ارادة المفعول من المصدر مِنَ ٱلنِّسَآءِ بيان ما
ركوع ١٤ نكح على الوجهين إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ استثناء من المعنى اللازم للنهى وكأنّه قيل وتستحقّون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الّا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة فى التحريم والتعميم كقوله

ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فُلولٌ من قِراع الكتائب

والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الّا ما قد سلف إنْ امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانّه لا مؤاخذة عليه لا انّه مقرّر إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا علّة للنهى اى انّ نكاحهنّ كان فاحشة عند اللّه ما رخّص فيه لأمّة من الأمم ممقوتا عند ذوى المروءات ولذلك سمّى ولد الرجل
ركوع ١٥ من زوجة ابيه المَقْتِىَّ وَسَآءَ سَبِيلًا سبيلُ من يراه ويفعله (٢٧) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ ليس المراد تحريم ذاتهنّ بل تحريم نكاحهنّ لانّه مُعْظَمُ ما يُقْصَد منهنّ ولانّه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرّمت عليكم الميتة ولانّ ما قبله وما بعده فى النكاح ، وامّهاتكم يعمّ من ولدتك او ولدَتْ من ولدك وإن عَلَتْ وبناتكم يتناول من ولدتها او ولدتَ من ولدها وإن سَفَلَتْ واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمّة كلّ انثى ولدَها من ولد ذكرا ولدك والخالة كلّ انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت يتناول القُرْبَى والبُعْدَى وَأُمَّهَاتُكُمُ ٱللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ ٱلرَّضَاعَةِ نزّل اللّه الرضاعة منزلةَ النسب حتّى سمّى المرضعة امّا والمراضِعةَ اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الّذى درّ عليه اللبن قال عم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وامّ اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فانّ حرمتهما فى النسب بالمصاهرة دون النسب وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ ٱللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَآئِكُمُ ٱللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ذكر اوّلا محرّمات النسب ثمّ الرضاعة لانّ لها لُحمة كلحمة النسب ثمّ محرّمات المصاهرة فانّ تحريمهنّ عارض لمصلحة الزواج ، والربائب جمع ربيبة والربيبُ ولد المرأة مِنْ آخر سُمّى به لانّه يَرُبّه كما يربّ ولده فى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانّما لحقه التاء لانّه صار اسما ، ومن نسائكم متعلّق بربائبكم واللّاتى بصلتها صفة لها مقيّدة للّفظ والحكم بالاجماع قضيّةً للنظم ولا يجوز تعليقها بالامّهات ايضا لانّ مِنْ اذا علّقتَها بالربائب كانت ابتدائيّة فان علّقتَها بالامّهات لم يجُزْ ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمةُ الواحدةُ لا تُحْمَل على مَعْنَيَيْن عند جمهور الادباء اللّهمّ الّا اذا جعلتها للاتّصال كقوله

اذا حاولْتَ فى اسد فجورا فانّى لستُ منك ولستَ منّى

على معنى انّ امّهات النساء وبناتهنّ متّصلات بهنّ لكنّ الرسول صلعم فرّق بينهما فقال فى رجل تزوّج امرأة فطلّقها قبل ان يدخل بها انّه لا بأس ان يتزوّج ابنتها ولا يحلّ له ان يتزوّج امّها واليه ذهب عامّة العلماء غير انّه رُوى عن علىّ رضه تقييدُ التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثانى صفة

جزء ٤ ركوع ١٥ للنسائين لانّ عاملهما مختلف وفائدةُ قوله فى حجوركم تقويةُ العلّة وتكميلُها والمعنى انّ الربائب اذا دخلتم بامّهاتهنّ وهنّ فى احتضانكم او بصدده قوِىَ الشبه بينها وبين اولادكم فصارت احقاء بأن تُجْروها مجراهم لا تقييدُ الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن علىّ رضه جعله شرطا ، والامّهات والربائب يتناولان القريبة والبعيدة ، وقوله دخلتم بهنّ اى دخلتم معهنّ السِتْرَ وهى كناية عن الجماع ويؤثّر ما ليس بزنا كالوطئ بشُبْهَة او مِلْك يمين وعند ابى حنيفة لمس المنكوحة ونحوُه كالدخول فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمْ زوجاتهم سمّيت الزوجة حليلة لحِلّها او لحُلولها مع الزوج ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ احتراز عن المتبنَّين لا عن ابناء الولد وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ فى موضع الرفع عطفا على المحرّمات والظاهر انّ الحرمة غير مقصورة على النكاح فانّ المحرّمات المعدودة كما هى محرّمة فى النكاح فهى محرّمة فى ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلىّ رضى اللّه عنهما حرّمَتْهما آيةٌ واحلّتْهما آيةٌ يعنيان هذه الآيةَ وقولَه او ما ملكت ايمانكم فرجّح علىٌّ التحريمَ وعثمانُ التحليلَ وقولُ علىّ اظهر لانّ آية التحليل مخصوصة فى غير ذلك ولقوله عم ما اجتمع الحلال والحرام الّا غلبَ الحرامُ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما سلف مغفور لقوله إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٨) وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلنِّسَاءِ ذوات الازواج احصنهنّ التزويج او

جزء ٥ ركوع ١ الازواج وقرأ الكسائىّ بكسر الصاد لانّهنّ أَحْصَنَّ فروجهنّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ يريد ما ملكت ايمانكم من اللّاتى سُبِين ولهنّ ازواجٌ كفّارٌ فهنّ حلال للسابين والنكاحُ مرتفعٌ بالسبى لقول ابى سعيد اصبنا سبيا يومَ اوطاس ولهنّ ازواج كفّار فكرهنا ان نقع عليهنّ فسألنا النبىّ صلعم فنزلت الآية فاستحللناهنّ واياه عنى الفرزدق بقوله

وذاتِ حليلٍ أنكحَتْها رِماحُنا حَلالٌ لمن يَبْنِى بها لم تطلَّقِ

وقال ابو حنيفة لو سُبِىَ الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحلّ للسابى واطلاقُ الآية والحديث حجّة عليه كِتَابَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ مصدرٌ مؤكّدٌ اى كتب اللّه عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كُتُبُ ٱللَّهِ بالجمع والرفع اى هذه فرائض اللّه عليكم وكَتَبَ ٱللَّهُ بلفظ الفعل وَأُحِلَّ لَكُمْ عطف على الفعل المضمر الّذى نصب كتاب اللّه وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حُرِّمَتْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ ما سوى المحرّمات الثمان المذكورة وخُصّ عنه بالسنّة ما فى معنى المذكورات كسائر محرّمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمّتها وخالتها أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ مفعولٌ له والمعنى احلّ لكم ما وراء ذلكم ارادةَ ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف فى مهورهنّ او أثمانهنّ فى حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدّر مفعولُ تبتغوا وكأنّه قيل ارادةَ ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدلٌ ممّا وراء ذلكم بدل الاشتمال ، واحتجّ به الحنفيّة على انّ المهر لا بدّ ان يكون مالا ولا حجّة

*

جزء ٥ ركوع ١ فيه ؛ والاحصان العفّة فانّها تحصين النفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صبّ المنىّ فانّه الغرض منه فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فمن تمتّعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهنّ من جماع او عَقْدٍ عليهنّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مهورهنّ فانّ المهر فى مقابلة الاستمتاع فَرِيضَةً حالٌ من الاجور بمعنى مفروضة او صفةُ مصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدرٌ مؤكِّدٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ فيما يُزاد على المسمّى او يُحطّ عنه بالتراضى او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فِراق وقيل نزلت الآية فى المتعة التى كانت ثلاثة ايّام حين فُتحت مكّة ثمّ نُسخت كما روى انّه عم اباحها ثمّ اصبح يقول يا ايّها الناس انّى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الّا انّ اللّه حرّم ذلك الى يوم القيمة وهى النكاح الموقّت بوقت معلوم سمّى بها اذ الغرض منه مجرّدُ الاستمتاع بالمرأة او تمتيعها بما تُعْطَى وجوّزها ابن عبّاس رضه ثمّ رجع عنه إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بالمصالح حَكِيمًا فيما شرع من الاحكام (٢٩) وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا غنًى واعتلاء واصله الفضل والزيادة أَنْ يَنْكِحَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ فى موضع النصب بطولا او بفعلٍ مقدّرٍ صفةٌ له اى ومن لم يستطع منكم ان يعتلى نكاح المحصنات او من لم يستطع منكم غنًى يبلغ به نكاحَ المحصنات يعنى الحرائر لقوله فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتِ يعنى الاماء المؤمنات وظاهر الآية حجّة للشافعىّ رضه فى تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداقَ حرّة ومَنْعِ نكاح الامة الكتابيّة مطلقا وأوّل ابو حنيفة رضه طول المحصنات بأن يملك فراشهنّ على انّ النكاح هو الوطئ وحَمَلَ قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه فى قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوّز نكاح الامة لمن قدر على الحرّة الكتابيّة دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفّار وموالاتهم والمحذورُ فى نكاح الامة رقّ الولد وما فيه من المهانة ونقصانِ حقّ الزوج وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ فاكتفوا بظاهر الايمان فانّه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم فى الايمان فربّ امة تفضل الحرّة فيه ومن حقّكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيّده بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ انتم وارقّاؤكم متناسبون نسبكم من آدم عم ودينكم الاسلام فَٱنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ يريد اربابهنّ واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعارَ له على انّ لهنّ ان يباشرن العَقْدَ بانفسهنّ حتّى يحتجّ به الحنفيّة وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ اى ادّوا اليهنّ مهورهنّ باذن اهلهنّ فحذف ذلك لتقدّم ذكره او الى مواليهنّ فحذف المضاف للعلم بانّ المهر للسيّد لانّه عوض حقّه فيجب ان يؤدّى اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا الى الظاهر بِٱلْمَعْرُوفِ بغير مطل وضرار ونقصانٍ مُحْصَنَاتٍ عفائف غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ غير مجاهرات بالسفاح وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ اخلّاء فى السرّ (٣٠) فَإِذَا أُحْصِنَّ بالتزويج وقرأ ابو بكر وحمزة بفتح الهمزة والصاد والباقون بضمّ الهمزة وكسر الصاد فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ زنا فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَاتِ يعنى الحرائر مِنَ ٱلْعَذَابِ من الحدّ لقوله وليشهد

عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدلّ على انّ حدّ العبد نصف حدّ الحرّ وانّه لا يُرْجَم لانّ الرجم لا جزء ٥
يتنصّف ذٰلِكَ اى نكاح الاماء لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنْكُمْ لمن خاف الوقوع فى الزنا وهو فى الاصل انكسار ركوع ١
العظم بعد الجبر مستعار لكلّ مشقّة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد
به الحدّ وهذا شرط آخر لنكاح الاماء وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ اى وصبركم عن نكاح الاماء متعفّفين
خيرٌ لكم قال عمر الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه وَٱللّٰهُ غَفُورٌ لمن يصبر رَحِيمٌ بأن رخّص له
(٣١) يُرِيدُ ٱللّٰهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ما تعبّدكم به من الحلال والحرام او ما خفى عنكم من مصالحكم ومحاسن ركوع ٢
اعمالكم ، وليبيّن مفعول يريد واللام مزيدة لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما فى قول قيس
ابن سعد

اردتُ لكيما يَعْلَمَ الناس أنّه سراويلُ قَيْسٍ والوفودُ شهودُ

وقيل المفعول محذوف وليبيّن مفعول له اى يريد الحقّ لاجله وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مناهج
من تقدّمكم من اهل الرشد لتسلكوا طرقهم وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما
يمنعكم عن المعاصى ويحثّكم على التوبة او الى ما يكون كفّارة لسيّآتكم وَٱللّٰهُ عَلِيمٌ بها حَكِيمٌ فى وضعها
(٣٢) وَٱللّٰهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ كرّره للتأكيد والمقابلة وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَاتِ يعنى الفجرة
فانّ اتّباع الشهوات الايتمار لها واما المتعاطى لما سوّغه الشرع منها دون غيره فهو متّبع له فى الحقيقة
لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانّهم يحلّون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت أَنْ تَمِيلُوا عن
الحقّ بموافقتهم على اتّباع الشهوات واستحلال المحرّمات مَيْلًا عَظِيمًا بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة
على ندور غير مستحلّ لها يُرِيدُ ٱللّٰهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفيّة السمحة
السهلة ورخّص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة وَخُلِقَ ٱلْإِنْسَانُ ضَعِيفًا لا يصبر عن الشهوات ولا
يتحمّل مشاقّ الطاعات وعن ابن عبّاس رضه ثمان آيات فى سورة النساء هنّ خير لهذه الامّة ممّا طلعت
عليه الشمس وغربت هذه الثلاث ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه انّ اللّه لا يغفر أن يشرك به انّ
اللّه لا يظلم مثقال ذرّة ومن يعمل سوءا ما يفعل اللّه بعذابكم (٣٣) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِٱلْبَاطِلِ بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ
استثناء منقطع اى ولكن كون تجارة عن تراض غير منهيّ عنه او اقصدوا كون تجارة ، وعن
تراض صفة لتجارة اى تجارة صادرة عن تراضى المتعاقدين ، وتخصيص التجارة من الوجوه الّتى بها يحلّ
تناول مال الغير لانّها اغلب واوفق لذوى المروءات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود
بالنهى المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه اللّه وبالتجارة صرفه فيما يرضاه ، وقرأ الكوفيّون تجارةً بالنصب
على كان الناقصة واضمار الاسم اى الّا ان تكون التجارة او الجهة تجارةً وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ بالبخع كما يفعله

جزء ٥ ركوع ٢

جَهَلَةُ الهند او بإلقاء النفس الى التهلكة ويؤيّده ما روى عن عمرو بن العاص انّه تأوّله فى التيمّم لخوف البرد فلم يُنْكِر عليه النبىّ صلعم او بارتكاب ما يؤدّى الى قتلها او باقتراف ما يذلّلها ويُرْديها فانّه القتل الحقيقىّ للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فانّ المؤمنين كنفس واحدة جمع فى التوصية بين حفظ النفس والمال الّذى هو شقيقها من حيث انّه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفى فضائلها رأفةً بهم ورحمةً كما اشار اليه بقوله إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا اى امر بما امر ونهى عمّا نهى لفرط رحمته عليكم وقيل معناه انّه كان بكم يا امّة محمّد رحيما لمّا امر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه (٣۴) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ اشارة الى القتل او ما سبق من المحرّمات عُدْوَانًا وَظُلْمًا افراطا فى التجاوز عن الحقّ واتيانا بما لا يستحقّه وقيل اراد بالعدوان التعدّى على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ندخله ايّاها وقرئ بالتشديد من صَلّى وبفتح النون من صَلَاه يَصْليه ومنه شاةٌ مَصْلِيّةٌ ويُصْليه بالياء والضمير لللّه او لذلك من حيث انّه سبب الصُلِىّ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا لا عُسْر فيه ولا صارف عنه (٣٥) إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ كبائر الذنوب الّتى نهاكم اللّه ورسوله عنها وقرئ كَبِيرَ على ارادة الجنس نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ نغفر لكم صغائركم ونَمْحُها عنكم ، واختُلف فى الكبائر والاقربُ انّ الكبيرة كلّ ذنب رتّب الشارعُ عليه حدًّا او صرّح بالوعيد فيه وقيل ما عُلم حُرْمته بقاطع وعن النبىّ صلعم انّها سبعٌ الاشراكُ باللّه وقتلُ النفس الّتى حرّم اللّه وقذفُ المُحْصَنة واكلُ مال اليتيم والربوا والفرارُ من الزحف وعقوقُ الوالدين وعن ابن عبّاس رضه الكبائر الى سبع مائة اقربُ منها الى سبع وقيل اراد به ههنا انواع الشرك لقوله تعالى انّ اللّه لا يغفر أن يُشْرَك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صِغَر الذنوب وكِبَرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبرُ الكبائر الشرك واصغرُ الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يَصْدُق عليها الامران فمن عنّ له امران منها ودَعَتْ نفسُه اليهما بحيث لا يتمالك فكفّها عن اكبرهما كُفِّر عنه ما ارتكبه لما استحقّ من الثواب على اجتناب الاكبر ولعلّ هذا ممّا يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انّه تعالى عاتَبَ نبيّه صلعم فى كثير من خطراته الّتى لم يُعَدّ على غيره خطيئةً فضلا أن يؤاخذه عليها وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا الجنّة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع هنا وفى الحجّ بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر (٣٦) وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ من الامور الدنيويّة كالجاه والمال فلعلّ عدمه خيرٌ والمقتضى للمنع كونُه ذريعةً الى التحاسد والتعادى مُعْرِبةً عن عدم الرضا بما قسم اللّه له وأنّه تَشَهٍّ لحصول الشىء له من غير طلب وهو مذموم لانّ تمنّى ما لم يقدَّر له معارَضةٌ لحكمة القَدَر وتمنّى ما قُدّر له بكسب بطالةٌ وتضييعُ حظّ وتمنّى ما قدّر له بغير كسب ضائعٌ ومُحالٌ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا ٱكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا ٱكْتَسَبْنَ بيان لذلك اى لكلّ من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمنّى كما قال عم ليس الايمان بالتمنّى وقيل المراد نصيبُ الميراث وتفضيلُ الورثة بعضهم على بعض فيه وجُعل ما قُسم

جزء ٥
ركوع ٢

لكلّ منهم على حسبِ ما عُرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له وَٱسْأَلُوا ٱللّٰهَ مِنْ فَضْلِهِ اى لا تتمنّوا ما للناس واسألوا اللّه مثلَه من خزائنه الّتى لا تنفد وهو يدلّ على انّ المنهىّ هو الحسد او لا تتمنّوا واسألوا اللّه من فضله بما يُقرّبه ويسوقه اليكم ٭ وقرأ ابن كثير والكسائىّ وَسَلُوا ٱللّٰهَ من فضله فَسَلِ ٱلَّذِينَ وشِبْهَه

مواجهان آمْرًا مواجها به

وقبل السين واوٌ او فاءٌ بغير همزٍ وحمزة فى الوقف على اصله والباقون بالهمز إِنَّ ٱللّٰهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا فهو يعلم ما يستحقّه كلّ انسان فيفضّل عن علم وتبيان روى انّ امّ سَلَمة قالت يا رسول اللّه يغزو الرجال ولا نغزو وانّما لنا نصف الميراث ليتنا كنّا رجالا فنزلت (٣٧) وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ اى ولكلّ تركة جعلنا وُرّاثا يَلُونها ويُحْرِزونها ومِمَّا تَرَكَ بيان لكلٍّ مع الفصل بالعامل او ولكلّ ميّت جعلنا وُرّاثا ممّا ترك على انّ مِنْ صلة مَوَالِىَ لانّه فى معنى الوُرّاث وفى تَرَكَ ضميرُ كلٍّ وَٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ استيناف مفسّر للمَوالِى وفيه خروج الاولاد فانّ ٱلْأَقْرَبُونَ لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكلّ قوم جعلناهم موالى حظٌّ ممّا ترك الوالدان والاقربون على انّ جَعَلْنَا مَوَالِىَ صفةُ كلٍّ والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدإ وخبرٍ وَٱلَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ موالى الموالاة كان الحليف يورَّث السدس من مال حليفه فنُسخ بقوله واولو الأرحام بعضهم أَوْلَى ببعض وعن ابى حنيفة رضه لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صحّ ووَرِث او الازواج على انّ العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضُمّن معنى الشرط وخبرُه فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ او منصوب بمضمر يفسّره ما بعده كقولك زيدًا فَاضْرِبْه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسبّبة عن الجملة المتقدّمة موكّدة لها والضميرُ للموالى ٭ وقرأ الكوفيّون عَقَدَتْ بمعنى عَقَدَتْ عُهودَهم ايْمانكم فحذف العهود واُقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثمّ حُذف كما حذف فى القراءة الاخرى إِنَّ ٱللّٰهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا تهديد على منع نصيبهم

ركوع ٣

(٣٨) ٱلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنِّسَاءِ يقومون عليهنّ قيامَ الوُلاة على الرعيّة وعلّل ذلك بأمرَيْن موهبىّ وكسبىّ فقال بِمَا فَضَّلَ ٱللّٰهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوّة فى الاعمال والطاعات ولذلك خُصّوا بالنبوّة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجُمْعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم فى الميراث والاستبداد بالفراق وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فى نكاحهنّ كالمهر والنفقة روى انّ سَعْد بن الرَبيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حَبيبة بنت زيد بن ابى زُهَيْر فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول اللّه فشكا فقال عم لتَقْتَصّ منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد اللّه امرا والّذى اراد اللّه خيرٌ فَٱلصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ مطيعات للّه قائمات بحقوق الازواج حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ لمواجب الغيب اى يحفظن فى غيبة الازواج ما يجب حفظه فى النفس والمال وعنه عم خير النساء امرأة ان نظرتَ اليها سرّتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى

جزء ٥ مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ بحفظ الله اياهنّ بالامر على حفظ الغيب والحثّ
ركوع ٣ عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالّذى حفظ الله لهنّ عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهنّ والذبّ عنهنّ وقرئ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهَ بالنصب على انّ مَا موصولة فانّها لو كانت مصدريّة لم يكن لحفظ فاعلٌ والمعنى بالامر الّذى حفظ حقّ اللّه وطاعته وهو التعفّف والشفقة على الرجال وَٱللَّاتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ عصيانهنّ وترفّعهنّ عن مطاوعة الازواج من النَشْز فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ فى المراقد فلا تُدْخلوهنّ تحت اللُّحُف او لا تباشروهنّ فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اى لا تبايتوهنّ وَٱضْرِبُوهُنَّ يعنى ضربا غير مبرّح ولا شائن ، والامور الثلاثة مرتّبة ينبغى ان يُتدرّج فيها فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فأزيلوا عنهنّ التعرّض واجعلوا ما كان منهنّ كأنْ لم يكن فانّ التائب من الذنب كمن لا ذنبَ له إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا فاحذروه فانّه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انّه على علوّ شأنه يتجاوز عن سيّآتكم ويتوب عليكم فانتم احقّ بالعفو عن ازواجكم او انّه يتعالى ويكبر ان يظلم احدا او ينقص حقّه (٣٩) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا خلافا بين المرء وزوجه اضمرهما وان لم يجْرِ ذكرهما لجرى ما يدلّ عليهما ، واضافة الشقاق الى الظرف امّا لاجرائه مجرى المفعول به كقوله

يا سارقَ الليلةِ اهلَ الدار

او الفاعل كقولهم نهارُك صائمٌ فَٱبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا فابعثوا ايّها الحكّام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسيطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فانّ الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلبُ للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نُصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستُدلّ به على جواز التحكيم والاظهرُ انّ النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الّا باذن الزوجين وقال مالك رضه لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَا الضمير الاوّل للحكمين والثانى للزوجين اى ان قصدا الاصلاح اوقع اللّه بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اى ان قصدا الاصلاح يوفّق اللّه بينهما فتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اى ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع اللّه بينهما الأُلفة والوفاق وفيه تنبيه على انّ من اصلح نيّته فيما يتحرّاه اصلح اللّه مبتغاه إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويُوقع الوفاق (٤٠) وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليًّا او خفيًّا وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وأحسنوا بهما احسانا وَبِذِى ٱلْقُرْبَى وبصاحب القرابة وَٱلْيَتَامَى وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَى الّذى قرُبَ جواره وقيل الّذى له مع الجوار قربٌ واتّصال بنَسَب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقّه

وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ البعيد او الّذى لا قرابة له وعنه عم الجيران ثلاثة فجارٌ له ثلاثة حقوق حقّ الجوار جزء ٥
وحقّ القرابة وحقّ الاسلام وجارٌ له حقّان حقّ الجوار وحقّ الاسلام وجارٌ له حقّ واحد حقّ الجوار ركوع ٣
وهو المشرك من اهل الكتاب وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنْبِ الرفيق فى امر حَسَن كتعلّم وتصرّف وصناعة وسفر فانّه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ المسافر او الضيف وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ العبيد والاماء إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا متكبّرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فَخُورًا يتفاخر عليهم (٤١) ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ بدل من قوله من كان او نصب على الذمّ او رفع عليه اى هم الّذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الّذين يبخلون بما مُنحوا به ويأمرون الناس بالبخل به وقرأ حمزة والكسائىّ ههنا وفى الحديد بِٱلْبَخَلِ بفتح الحرفين وهى لغة وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ الغنى والعلم احقّاء بكلّ ملامة وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بانّ من هذا شأنه فهو كافر لنعمة اللّه ومن كان كافرا لنعمته فله عذاب يُهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء ، والآية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصّحا لا تنفقوا اموالكم فانّا نخشى عليكم الفقر وقيل فى الّذين كتموا صفة محمّد صلعم (٤٢) وَٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ ٱلنَّاسِ عطفٌ على الّذين يبخلون او الكافرين وانّما شاركهم فى الذمّ والوعيد لانّ البخل والسَرَف الّذى هو الانفاق لا على ما ينبغى من حيث انّهما طَرَفا تفريط وافراط سواء فى القبح واستجلاب الذمّ او مبتدأٌ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ليتحرّوا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكّة وقيل المنافقون وَمَنْ يَكُنِ ٱلشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا تنبيه على انّ الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزيّنه لهم كقوله تعالى انّ المبذّرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بأن يُقرن بهم الشيطان فى النار (٤٣) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ اى وما الّذى عليهم او اىّ تَبِعة تحيق بهم بالايمان والانفاق فى سبيل اللّه وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشىء على خلاف ما هو عليه وتحريضٌ على الفكر لطلب الجواب لعلّه يؤدّى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيهٌ على انّ المدعوّ الى امر لا ضَرَر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمّن المنافع وانّما قدّم الايمان ههنا واخّره فى الآية الاخرى لانّ القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثمّه وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا وعيد لهم (٤٤) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ لا ينقص من الاجر ولا يزيد فى العقاب اصغرَ شىء كالذرّة وهى النملة الصغيرة ويقال لكلّ جزء من اجزاء الهباء ، والمثقال مفعال من الثقل وفى ذكره ايماء الى انّه وإن صغر قدره عظم جزاؤه وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً وان يكن مثقال الذرّة حسنةً وانّث الضمير لتأنيث الخبر او اضافة المثقال الى مؤنّث ، وحذف النون من غير قياس

جزء ٥ تشبيها بحروف العلّة ، وقرأ ابن كثير ونافع حَسَنَةٌ بالرفع على كان التامّة يُضَاعِفْهَا يضاعف ثوابها
ركوع ٣ وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يُضَعِّفْهَا وكلاهما بمعنى وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ ويُعْطِ صاحبها من عنده على سبيل التفضّل زائدا على ما وعد فى مقابلة العمل أَجْرًا عَظِيمًا عطاء جزيلا وانّما سمّاه اجرا لانّه تابع للاجر مزيدٌ عليه (٤٥) فَكَيْفَ فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ يعنى نبيّهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم ، والعامل فى الظرف مضمون المبتدإ والخبر من هول الامر وتعظيم الشأن وَجِئْنَا بِكَ يا محمّد عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ بيان لحالهم حينئذ اى يودّ الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة فى ذلك الوقت ان يُدفنوا فتُسوّى بهم الارض كالموتى او لم يُبعثوا او لم يُخلقوا وكانوا هم والارض سواء وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ولا يقدرون على كتمانه لانّ جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودّون ان تسوّى بهم الارض وحالهم انّهم لا يكتمون اللّه حديثا ولا يكذبونه بقولهم واللّه ربّنا ما كنّا مشركين اذ روى انّهم اذا قالوا ذلك ختم اللّه على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتدّ الامر عليهم فيتمنّون ان تسوّى بهم الارض ، وقرأ نافع وابن عامر تَسَّوّى على انّ اصله تتسوّى فأدغم التاء فى السين وحمزة والكسائى تَسَوّى على حذف التاء الثانية
ركوع ٤ يقال سوّيته فتسوّى (٤٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ اى لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتّى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون فى صلاتكم روى انّ عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتّى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدّم احدهم ليصلّى بهم فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهى المساجد ، وليس المراد منه نهى السكران عن قربان الصلوة وانّما المراد النهى عن الافراط فى الشرب ، والسُّكر من السَّكر وهو السدّ وقرئ سَكارى بالفتح وسَكْرى على انّه جمع كهَلْكى او مفرد بمعنى وانتم قومٌ سَكْرى او جماعة سَكْرى وسُكْرى كحُبْلى على انّها صفة للجماعة وَلَا جُنُبًا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة فى موضع النصب على الحال ، والجُنُب الذى اصابته الجنابة يستوى فيه المذكّر والمؤنّث والواحد والجمع لانّه يجرى مجرى المصدر إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ متعلّق بقوله ولا جنبا استثناء من اعمّ الاحوال اى لا تقربوا الصلوة جنبا فى عامّة الاحوال الّا فى السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمّم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمّم او صفة لقوله جنبا اى جنبا غير عابرى سبيل وفيه دليل على انّ التيمّم لا يرفع الحدث ومن فسّر الصلوة بمواضعها فسّر عابرى السبيل بالمجتازين فيها وجوّز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعى وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور فى المسجد الّا اذا كان فيه الماء او الطريق حَتَّى تَغْتَسِلُوا غاية النهى عن القربان حال الجنابة ، وفى الآية تنبيه على انّ المصلّى ينبغى

جزء ٥ لن يتحرّز عمّا يُلهيه ويشغل قلبه ويزكّى نفسه عمّا يجب تطهيرها عنه وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى مرضًا يُخاف
ركوع ۴ معه من استعمال الماء فانّ الواجد له كالفاقد او مرضًا يمنعه عن الوصول اليه أَوْ عَلَى سَفَرٍ لا تجدونه فيه أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ ٱلْغَآئِطِ فأحدث بخروج الخارج من احد السبيلَيْن واصل الغائط المطمئنّ من الارض أَوْ لَامَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ او ماسستم بشرتهنّ ببشرتكم وبه استدلّ الشافعىّ على انّ اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهنّ وقرأ حمزة والكسائىّ لَمَسْتُمْ ههنا وفى المائدة واستعماله كناية عن الجماع اقلّ من الملامسة فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فلم تتمكّنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخّص بالتيمّم إمّا مُحدِث او جُنُب والحال المقتضية له فى غالب الامر مرض او سفر والجنبُ لمّا سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لمّا لم يَجْرِ ذكره ذكر من اسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعَرَض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مُجْمَلًا فكأنّه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او مُحْدِثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ اى فتعمّدوا شيـًٔا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفيّة لو ضرب المتيمّم يده على حجر صَلْد ومسح به اجزأه وقال اصحابنا لا بدّ ان يَعْلَق باليد شىء من التراب لقوله فى المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى بعضه وجعلُ مِنْ لابتداء الغاية تعسّفٌ اذ لا يُفهَم من نحو ذلك الّا التبعيض ، واليد اسم العضو الى المنكب وما روى انّه عم تيمّم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليلٌ على انّ المراد ههنا وايديكم الى المرافق إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا فلذلك يسّر الامر عليكم ورخّص لكم (۴۷) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا من رؤية البصر اى الم تنظر اليهم او القلب وعُدّى بالى لتضمّن معنى الانتهاء نَصِيبًا مِنَ ٱلْكِتَابِ حظًّا يسيرا من علم التورية لانّ المراد احبار اليهود يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَالَةَ يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكّنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوّة محمّد صلعم وقيل يأخذون الرُّشى ويحرّفون التورية وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا ايها المؤمنون ٱلسَّبِيلَ سبيل الحقّ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ منكم بِأَعْدَائِكُمْ وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وَكَفَى بِٱللَّهِ وَلِيًّا يَلى امركم وَكَفَى بِٱللَّهِ نَصِيرًا يُعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد فى فاعل كفى لتوكيد الاتّصال الاسنادىّ بالاتّصال الاضافىّ (۴۸) مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا بيان للّذين اوتوا نصيبا فانّه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اى ينصركم من الّذين هادوا ويحفظكم منهم او خبرُ محذوفٍ صفته يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ اى من الّذين هادوا قومٌ يحرّفون الكلم اى يُميلونه عن مواضعه الّتى وضعه اللّه فيها بازالته عنها واثباتِ غيره فيها او يأوّلونه على ما يشتهون فيميلونه عمّا انزله اللّه فيه ، وقرئ الكِلْم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كِلْمة تخفيف كَلِمة

*

جزء ٥ ركوع ۴ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا قولك وَعَصَيْنَا امرك وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ اى مدعوّا عليك بلا سَمِعْتَ بصَمَم او موت او اسمع غير مُجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مُسْمَع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غيرَ مُسْمَعٍ ايّاك لانّ اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غيرَ مُسْمَعٍ مكروها من قولهم أَسْمَعَه فلان اذا سبّه وانّما قالوه نفاقا وَرَاعِنَا انظرنا نكلّمْك او نفهمْ كلامك لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يُشْبِه السبّ حيث وضعوا راعنا المشابِهَ لما يتسابّون به موضعَ انظرنا وغير مُسْمَع موضعَ لا أُسْمِعْتَ مكروها او فتلا بها وضمّا لما يُظْهِرون من الدعاء والتوقير الى ما يُضْمِرون من السبّ والتحقير نفاقا وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ استهزاء به وسُخْرِيَّة (۴۹) وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنْظُرْنَا ولو ثبت قولهم هذا مكانَ ما قالوه لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانّما يجب حذفُ الفعل بعد لَوْ فى مِثْلِ ذلك لدلالة أَنَّ عليه ووقوعه موقعَه وَلٰكِنْ لَعَنَهُمُ ٱللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا إلّا ايمانا قليلا لا يُعْبَأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلّة العدم كقوله

قليل التشكّى للمُهِمّ يُصيبه

او الّا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون (٥٠) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها يعنى الأقفاء او نَنْكُسها الى ورائها فى الدنيا او فى الآخرة واصل الطمس ازالة الأعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس فى ازالة الصورة ولمُطْلَق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغيّر وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردّها الى حيث جاءت منه وهى أَذْرِعات الشأم يعنى اجلاء بنى النَضِير ويقرب منه قولُ من قال انّ المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بأن نُعْمِى الابصار عن الاعتبار ونُصِمّ الاسماع عن الاصغاء الى الحقّ بالطبع ونردّها عن الهداية الى الضلالة أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ ٱلسَّبْتِ او نُخْزِيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نمسخهم مسخا مثل مسخهم او نلعنهم على لسانك كما لعنّاهم على لسان داود، والضمير لاصحاب الوجوه او للّذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به الوُجَهاء، وعطفه على الطمس بالمعنى الاوّل يدلّ على انّ المراد به ليس مسخ الصورة فى الدنيا ومَنْ حمل الوعيد على تغيير الصورة فى الدنيا قال انّه بعدُ مترقّب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وَكَانَ أَمْرُ ٱللّٰهِ بايقاع شىء او وعيده او ما حكم به وقضاه مَفْعُولًا نافذا وكائنا فيقع لا محالة كما أُوعدتم به ان لم تؤمنوا (٥١) إِنَّ ٱللّٰهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ لانّه بَتَّ الحكم على خلود عذابه وأنّ ذنبه لا ينمحى عنه اثره فلا يستعدّ للعفو بخلاف غيره وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ اى ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لِمَنْ يَشَاءُ تفضّلا عليه واحسانا والمعتزلة علّقوه بالفعلين على معنى انّ اللّه لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يَتُبْ ويغفر

ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييدٌ بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه جزء ٥
ونقضٌ لمذهبهم فانّ تعليق الامر بالمشيئة ينافى وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما ركوع ۴
هى حجّة عليهم فهى حجّة على الخوارج الّذين زعموا انّ كلّ ذنب شِرْكٌ وانّ صاحبه خالد فى النار
وَمَنْ يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ارتكب ما يُسْتحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه
وبين سائر الذنوب ٬ والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق (٥٢) أَلَمْ تَرَ
إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ يعنى اهل الكتاب قالوا نحن ابناء اللّه واحبّاؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا
بأطفالهم الى رسول اللّه فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا واللّه ما نحن الّا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كُفِّر
عنّا بالليل وما عملنا بالليل كُفِّر عنّا بالنهار وفى معناهم من زكّى نفسه واثنى عليها بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَآءُ
تنبيه على انّ تزكيته هو المعتدّ به دون تزكية غيره فانّه العالم بما ينطوى عليه الانسان من حسن
وقبح وقد ذمّهم وزكّى المرتضيْن من عباده المؤمنين واصل التزكية نفىُ ما يُسْتقبح فعلا او قولا
وَلَا يُظْلَمُونَ بالذمّ او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حقّ فَتِيلًا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط
الّذى فى شقّ النواة يُضْرَب به المثل فى الحقارة (٥٣) ٱنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ فى زعمهم انّهم
ابناء اللّه وازكياء عنده وَكَفَى بِهِ بزعمهم هذا او بالافتراء إِثْمًا مُبِينًا لا يخفى كونه مأثما من بين
آثامهم (٥٤) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ ٱلْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّاغُوتِ نزلت فى يهود كانوا ركوع ٥
يقولون انّ عبادة الاصنام ارضى عند اللّه ممّا يدعو اليه محمّد وقيل فى حُيَيّ بن اخطب وكعب بن
الاشرف فى جمع من اليهود خرجوا الى مكّة يحالفون قريشا على محاربة رسول اللّه صلعم فقالوا انتم
اهل كتاب وانتم اقرب الى محمّد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتّى نطمئنّ اليكم
ففعلوا ٬ والجِبْت فى الاصل اسم صنم فاستُعمل فى كلّ ما عُبد من دون اللّه وقيل اصله الجِبْس وهو الّذى
لا خير فيه فقُلبت سينه تاء ٬ والطاغوت يطلق لكلّ باطل من معبود او غيره وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
لاجلهم وفيهم هَؤُلَآءِ اشارة اليهم أَهْدَى مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أقوم دينا وارشد طريقا (٥٥) أُولَٰئِكَ
ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها (٥٦) أَمْ لَهُمْ
نَصِيبٌ مِنَ ٱلْمُلْكِ ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار أن يكون لهم نصيب من الملك وجَحْدٌ لما زعمت
اليهود من انّ الملك سيصير اليهم فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا اى لو كان لهم نصيب من الملك فاذًا لا
يؤتون احدا ما يوازى نقيرا وهو النقرة فى ظهر النواة وهذا هو الاغراق فى بيان شحّهم فانّهم ان
بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنّك بهم اذا كانوا فقراء اذلّاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكارَ
انّهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانّهم لا يؤتون الناس شيئا ٬ واذًا اذا وقع بعد الواو والفاء لا
لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فَإِذًا لَا يُؤْتُوا على النصب. (٥٧) أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ

جزء ٥ بل ايحسدون رسول الله واصحابه او العرب او الناس جميعا لانّ من حسد على النبوّة فكانّما حسد
ركوع ٥ الناس كلّهم كمالهم ورشدهم وبّخهم وانكر عليهم الحسدَ كما ذمّهم على البخل وهما شرّ الرذائل وكأنّ
بينهما تلازما وتجاذبا عَلَى مَا آتَاهُمُ ٱللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ يعنى النبوّة والكتاب والنصرة والاعزاز وجَعْل النبىّ الموعود منهم فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرٰهِيمَ الّذين هم اسلاف محمّد صلعم وابناء عمّه ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ النبوّة وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فلا يبعد ان يؤتيه الله تعالى مثل ما آتاهم (٥٨) فَمِنْهُمْ من اليهود مَنْ آمَنَ بِهِ بمحمّد صلعم او بما ذكر من حديث آل ابرهيم وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابرٰهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن فى ذلك توهين امره فكذا لا يوهّن كفر هؤلاء امرك وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا نارا مسعورة يعذّبون بها اى وان لم يعجّلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما أُعدّ لهم من سعير جهنّم (٥٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كالبيان والتقرير لذلك كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا بأن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدّلت الخاتم قُرْطا او بأن يزال عنه أَثَرُ الاحراق ليعود احساسه بالعذاب كما قال لِيَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ اى ليدوم لهم ذوقه وقيل يُخلَق لهم مكانه جلد آخر والعذاب فى الحقيقة للنفس العاصية المُدْرِكة لا لآلة ادراكها فلا محذور إِنَّ ٱللّٰهَ كَانَ عَزِيزًا لا يمتنع عليه ما يريده حَكِيمًا يعاقب على وفق حكمته (٦٠) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قدّم ذكر الكفّار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لانّ الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا فينانا لا جُوَبَ فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامّة الدائمة والظليل صفة مشتقّة من الظلّ لتأكيده كقولهم شمسٌ شامسٌ وليلٌ أَلْيَلُ ويومٌ أَيْوَمُ (٦١) إِنَّ ٱللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا ٱلْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا خطاب يعمّ المكلّفين والامانات وان نزلت يومَ الفتح فى عثمان بن طلحة بن عبد الدار لمّا أُغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها رسول الله وقال لو علمتُ انّه رسول الله لم امنعه فلوى علىّ رضه يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله وصلّى ركعتين فلمّا خرج سأله العبّاس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامره الله تعالى ان يردّه اليه فامر عليّا ان يردّه ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحى بانّ السدانة فى اولاده ابدا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِٱلْعَدْلِ اى وأن تحكموا بالانصاف والسويّة اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولانّ الحكم وظيفة الوُلاة قيل الخطاب لهم إِنَّ ٱللّٰهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ اى نعم شيئا يعظكم به او نعم الشىء الّذى يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل فى الحكومات إِنَّ ٱللّٰهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون فى الامانات (٦٢) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ

آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ يريد به امراء المسلمين فى عهد الرسول وبعده ويندرج جزء ٥
فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السريّة أَمَرَ الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على انّ وجوب ركوع ٥
طاعتهم ما داموا على الحقّ وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردّوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يستنبطونه منهم فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ انتم واولو الامر منكم فِي شَيْءٍ من امور الدين وهو يؤيّد الوجه الاوّل اذ ليس للمقلّد ان ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤوس الّا ان يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات فَرُدُّوهُ فراجعوا فيه إِلَى ٱللَّهِ الى كتابه وَٱلرَّسُولِ بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى سنّته بعده ، واستدلّ به منكرو القياس وقالوا انّه تعالى اوجب ردّ المختلَف الى الكتاب والسنّة دون القياس وأُجيب بانّ ردّ المختلَف الى المنصوص عليه انّما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيّد ذلك الامرُ به بعد الامر بطاعة اللّه وطاعة الرسول فانّه يدلّ على انّ الاحكام ثلاثة مُثْبَتٌ بالكتاب ومثبت بالسنّة ومثبت بالردّ اليهما على وجه القياس إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فانّ الايمان يوجب
ذلك ذَٰلِكَ اى الردّ خَيْرٌ لكم وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا عاقبة او احسن تأويلا من تأويلكم بلا ردّ (٦٣) أَلَمْ ركوع ٦
تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى ٱلطَّاغُوتِ عن ابن عبّاس انّ منافقا خاصم يهوديّا فدعاه اليهوديّ الى النبيّ صلعم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثمّ انّهما احتكما الى النبىّ صلعم فحكم لليهوديّ فلم يَرْضَ المنافق وقال نتحاكم الى عُمَر فقال اليهوديّ لعمر قضى لى رسول اللّه فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتّى اخرج اليكما فدخل فأخذ سيفه ثمّ خرج فضرب به عنق المنافق حتّى برد وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء اللّه ورسوله فنزلت وقال جبريل عم انّ عمر فرق بين الحقّ والباطل فسُمّى الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفى معناه من يحكم بالباطل ويُؤْثَر لاجله سُمّى بذلك لفرط طغيانه او لتشبيهه بالشيطان او لانّ التحاكم اليه تحاكمٌ الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وقرئ أَنْ يَكْفُرُوا بِهَا على انّ الطاغوت جمعٌ كقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يُخرجونهم (٦٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ وقرئ تَعَالُوا بضمّ اللام على انّه حذف لام الفعل اعتباطا ثمّ ضمّ اللام لواو الضمير رَأَيْتَ ٱلْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا وهو مصدر او اسم للمصدر الّذى هو الصدّ والفرق بينه وبين السدّ انّه غير محسوس والسدّ محسوس ، ويصدّون فى موضع الحال (٦٥) فَكَيْفَ يكون حالهم إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ كقتل عُمَرَ المنافقَ او النقمة من اللّه بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك ثُمَّ جَاءُوكَ حين يُصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدّون وما بينهما اعتراض يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ حال إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ما اردنا بذلك الّا الفصل بالوجه الاحسن

جزء ٥ والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقال
ركوع ٦ الى عمر الّا ان يُحْسن الى صاحبنا ويوفّق بينه وبين خصمه (٦٦) أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ
من النفاق فلا يُغْنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ اى عن
فى استبقائهم او عن قبول معذرتهم وَعِظْهُمْ بلسانك وكفهم عمّا هم عليه وَقُل لَّهُمْ فى
معنى انفسهم او خاليا بهم فانّ النُّصح فى السرّ أنجع قَوْلًا بَلِيغًا يَبْلُغ منهم ويؤثّر فيهم
عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء ، و
ببليغا على معنى بليغا فى انفسهم مؤثّرا فيها ضعيفٌ لانّ معمول الصفة لا يتقدّم على المو
البليغ فى الاصل هو الّذى يطابق مدلوله المقصودَ به (٦٧) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ
بسبب إذنه فى طاعته وأَمْرِه المبعوثَ اليهم بأن يطيعوه وكأنّه احتجّ بذلك على أنّ الّذى
بحكمه وإنْ اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره انّ ارسال الرسول لمّا لم يكن
كان من لم يُطعْه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوج
وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ بالنفاق والتحاكم الى الطاغوت جَآءُوكَ تائبين من ذلك وهو
وإذْ متعلّق به فَٱسْتَغْفَرُوا ٱللَّهَ بالتوبة والاخلاص وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ واعتذروا اليك حتّى انتصب
شفيعا وانّما عدل عن الخطاب تفخيما لشأنه وتنبيها على انّ مِنْ حقّ الرسول أن يقبلَ اعتذار
وإنْ عَظُمَ جُرْمُه ويشفعَ له ومِنْ منصبه أن يشفعَ فى كبائر الذنوب لَوَجَدُوا ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا لعلموه
لتوبتهم متفضّلا عليهم بالرحمة وإن فُسّر وَجَدَ بصَادَفَ كان توّابا حالا ورحيما بدلا منه او حال
الضمير فيه (٦٨) فَلَا وَرَبِّكَ اى فوربّك ولا مزيدة لتأكيد القسم لا لتظاهر لا فى قوله لَا يُؤْمِنُونَ
تزاد ايضا فى الاثبات كقوله تعالى لا أُقْسِمُ بهذا البلد حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فيما اختلف
بينهم واختلط ومنه الشّجر لتداخل اغصانه ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ضيقا مما
حكمت به او من حكمك او شكّا من اجله فانّ الشاكّ فى ضيق من امره وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا وينقادوا لك
انقيادا بظاهرهم وباطنهم (٦٩) وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ تعرّضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها
كما قَتَلَ بنو اسرائيل ، وأنْ مصدريّة او مفسّرة لانّ كتبنا فى معنى امرنا أَوِ ٱخْرُجُوا مِن دِيَٰرِكُم
خُرُوجَهم حين استُتيبوا من عبادة العجل ، وقرأ ابو عمرو ويعقوب أَنِ اقْتُلُوا بكسر النون على اصل
التحريك وأَوُ ٱخْرُجُوا بضمّ الواو للاتّباع والتشبيه بواو الجمع فى نحو ولا تنسَوُا الفضل وقرأ عاصم وحمزة
بكسرهما على الاصل والباقون بضمّهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتّصلة بالفعل مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ
الّا ناس قليل وهم المخلصون لمّا بيّن انّ ايمانهم لا يتمّ الّا بأن يسلّموا حقّ التسليم نبّه على قصور
اكثرهم ووهن اسلامهم ، والضمير للمكتوب ودلّ عليه كَتَبْنَا او لاحد مصدرَى الفعلين ، وقرأ ابن عامر

. على سبيل بحذف المضاف اى وفى خلاص جزء ٥
. ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ركوع ٧
.ان للمستضعفين وهم المسلمون الذين
.متحنين ، وانّما ذكر الولدان مبالغةً فى
. وأنّ دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم
.ل المراد به العبيد والاماء وهو جمع
.جْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا
.المدينة وجعل لمن بقى منهم خيرَ
.بن اسيد فحماهم ونصرهم حتّى
.ما أُسْنِد اليه فانّ اسم الفاعل
.نت على حسب ما عمل فيه
. يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّاغُوتِ
.ين امر اولياءه ان يقاتلوا
.ده للمؤمنين بالاضافة الى
.على اضعف شىء واوهنه
.زكوةَ واشتغلوا بما ركوع ٨
.خشون الكفّار ان
.مبتدأ منهم صفته
.من فاعل يخشون
.جعلته حالا وان
.وف على اسم
.ذات خشية
.من خشية
. القتال
. الدُّنيا

جزء ٥ بمقادير الفضل واستحقاق اهله (٧٣) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ تيقّظوا واستعدّوا للاعداء ،
ركوع ٧ والحِذر والحَذر كالإثر والأَثر وقيل ما يُحْذَر به كالحزم والسلاح فَٱنْفِرُوا فاخرجوا الى الجهاد ثُبَاتٍ جماعات
متفرّقة جمع ثُبَة من ثبّيت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرّق محاسنه ويُجْمع ايضا على ثُبِين جَبْرا لما
حُذف من عَجُزه أَوِ ٱنْفِرُوا جَمِيعًا مجتمعين كوكبة واحدة ، والآية وان نزلت فى الحرب لكن يقتضى
اطلاقُ لفظها وجوبَ المبادرة الى الخيرات كلّها كيفما امكن قبل الفوات (٧٤) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ
الخطاب لعسكر رسول الله المؤمنين منهم والمنافقين ، والمبطّئون منافقوهم تثاقلوا وتخلّفوا عن الجهاد
من بطّأ بمعنى ابطأ وهو لازم او ثبّطوا غيرهم كما ثبّط ابن أُبَىّ ناسا يوم أُحُد من بطّأ منقولا من
بَطُؤ كثقّل من ثَقُل ، واللام الاولى للابتداء دخلت اسمَ انّ للفصل بالخبر والثانية جوابُ قسم محذوف
والقسمُ بجوابه صلةُ مَنْ والراجعُ اليه ما استكنّ فى ليبطّئنّ والتقدير وإنّ منكم لَمَنْ أُقْسِمُ بالله ليبطّئنّ
فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ كقتل وهزيمة قَالَ اى المبطّئ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا حاضرا
فيصيبنى ما اصابهم (٧٥) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ ٱللَّهِ كفتح وغنيمة لَيَقُولَنَّ اكّده تنبيها على فرط
تحسّرهم وقرئ بضمّ اللام اعادةً للضمير الى معنى مَنْ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ اعتراض بين
الفعل ومفعوله وهو يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا للتنبيه على ضعف عقيدتهم وأنّ قولهم
هذا قولُ من لا مواصلةَ بينكم وبينه وانّما يريد ان يكون معكم لمجرّد المال او حالٌ عن الضمير فى ليقولنّ
او داخلٌ فى المقول اى يقول المبطّئ لمن يثبّطه من المنافقين وضَعَفة المسلمين تضريبا وحسدا كأن لم يكن
بينكم وبين محمّد مودّة حيث لم يستعنْ بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتنى كنت معهم وقيل انّه متّصل
بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا تُفْصَل ابعاض الجملة بما لا يتعلّق بها لفظا ومعنى ، وكَأَنْ مخفّفة من الثقيلة
واسمها ضمير الشأن وهو محذوف ، وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورُوَيْس عن يعقوب تَكُنْ بالتاء
لتأنيث لفظ المودّة ، والمنادى فى يا ليتنى محذوف اى يا قوم وقيل يَا أُطْلِق للتنبيه على الاتّساع ، فأفوزَ
نصب على جواب التمنّى وقرئ بالرفع على تقديرِ فأنا افوزُ فى ذلك الوقت او العطف على كنت
(٧٦) فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْآخِرَةِ اى الّذين يبيعونها بها والمعنى إنْ
بطّأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المُخْلِصون الباذلون انفسهم فى طلب الآخرة او الّذين يشترونها
ويختارونها على الآخرة وهم المبطّئون والمعنى حثّهم على ترك ما حُكى عنهم وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا وعد له الاجر العظيم غُلِبَ او غَلَبَ ترغيبا فى القتال وتكذيبا
لقولهم قد انعم الله علىّ اذ لم اكن معهم شهيدا وانّما قال فيُقتَلْ او يَغْلِبْ تنبيها على انّ المجاهد
ينبغى ان يثبت فى المعركة حتّى يُعِزّ نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وأنْ لا يكون قصده
بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحقّ واعزاز الدين (٧٧) وَمَا لَكُمْ مبتدأٌ وخبرٌ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
حال والعامل فيها ما فى الظرف من معنى الفعل وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ عطف على اسم الله اى وفى سبيل

جزء ٥ المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن العدوّ او على سبيل بحذف المضاف اى وفى خلاص
ركوع ٧ المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فانّ سبيل اللّه يعمّ ابواب الخير وتخليص ضَعَفة المسلمين من
ايدى الكفّار اعظمها واخصّها مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَانِ بيان للمستضعفين وهم المسلمون الّذين
بقوا بمكّة بصدّ المشركين او لضعفهم عن الهجرة مستذلّين ممتحنين، وانّما ذكر الولدان مبالغةً فى
٥ الحثّ وتنبيها على تناهى ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيانَ وأنّ دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم
فى الدعاء حتّى يشاركوا فى استنزال الرحمة واستدفاع البليّة وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع
وليد ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا
مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا فاستجاب اللّه دعاءهم بأن يسّر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقى منهم خيرَ
ولىٍّ وناصرٍ بفتح مكّة على نبيّه فتولّاهم ونصرهم ثمّ استعمل عليهم عَتّاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتّى
١٠ صاروا اعزّ اهلها، والقرية مكّة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما أُسند اليه فانّ اسم الفاعل
والمفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكّر ويؤنّث على حسب ما عمل فيه
(٧٨) ٱلَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فيما يصلون به الى اللّه وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّاغُوتِ
فيما يبلغ بهم الى الشيطان فَقَاتِلُوا أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَانِ لمّا ذكر مَقْصِد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا
اولياء الشيطان ثمّ شجّعهم بقوله إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا اى انّ كيده للمؤمنين بالاضافة الى
١٥ كيد اللّه للكافرين ضعيف لا يُؤْبَه به فلا تخافوا اولياءه فانّ اعتمادهم على اضعف شىء واوهنه
ركوع ٨ (٧٩) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ اى عن القتال وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتُوا ٱلزَّكَوٰةَ واشتغلوا بما
أُمرتم به فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ يخشون الكفّار ان
يقتلوهم كما يخشون اللّه ان ينزل بهم بأسه، وإذا للمفاجأة جوابُ لمّا، وفريقٌ مبتدأٌ منهم صفته
ويخشون خبره، وكخشية اللّه من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحالِ من فاعل يخشون
٢٠ على معنى يخشون الناس مثلَ اهلِ خشية اللّه منه أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً عطف عليه إن جعلته حالا وإن
جعلته مصدرا فلا لانّ أَفْعَلَ التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم
اللّه اى كخشية اللّه او كخشيةٍ اشدَّ خشيةً منه على الفرض اللّهمّ إلّا أن تجعل الخشية ذاتَ خشية
كقولهم جَدَّ جِدُّه على معنى يخشون الناس خشيةً مثلَ خشية اللّه او خشيةً اشدَّ خشيةً من خشية
اللّه وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَا إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ استزادة فى مدّة الكفّ عن القتال
٢٥ حذرا عن الموت ويحتمل انّهم ما تفوّهوا به ولكن قالوه فى انفسهم فحكى اللّه تعالى عنهم قُلْ مَتَاعُ ٱلدُّنْيَا
قَلِيلٌ سريع التقضّى وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا اى ولا تُنْقَصون ادنى شىء من ثوابكم فلا
ترغبوا عنه او من آجالكم المقدّرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائىّ وَلَا يُظْلَمُونَ لتقدّم الغيبة

*

(٨٠) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ ٱلْمَوْتُ وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله • مَنْ يَفْعَلِ الحسنات ٱللّٰهُ جزء ٥
يَشْكُرُهَا • او على انّه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون وَلَوْ كُنْتُمْ فِى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ فى قصور او حصون ركوع ٨
مرفعة والبروج فى الاصل بيوت على اطراف القصور من تبرّجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مُشَيَّدَةٌ وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومَشِيدَةٍ من شاد القصرَ اذا رفعه وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ ٱللّٰهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ كما يقع الحسنة والسيّئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبليّة وهما المراد فى الآية اى وان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى اللّه وان تصبهم بليّة كقحط اضافوها اليك وقالوا إنْ هى الّا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمّد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ ٱللّٰهِ يبسط ويقبض حسب ارادته فَمَا لِهٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا يوعظون به وهو القران فانّهم لو فهموه وتدبّروا معانيه لعلموا انّ الكلّ من عند اللّه او حديثا ما كبهائم لا أفهام لها او حادثا من صروف الزمان فيتفكّروا فيه فيعلموا انّ الباسط والقابض هو اللّه (٨١) مَا أَصَابَكَ يا انسان مِنْ حَسَنَةٍ من نعمة فَمِنَ ٱللّٰهِ تفضّلا منه فانّ كلّ ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال عم ما يدخل احدٌ الجنّةَ الّا برحمة اللّه قيل ولا انت قال ولا انا وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ من بليّة فَمِنْ نَفْسِكَ لانّها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصى وهو لا ينافى قوله تعالى كلّ من عند اللّه فانّ الكلّ منه ايجادا وايصالا غيرَ انّ الحسنة احسان وامتنان والسيّئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضها ما مِنْ مسلم يصيبه وَصَبٌ ولا نَصَبٌ حتّى الشوكة يُشاكها وحتّى انقطاع شِسْع نعله الّا بذنب وما يعفو اللّه اكثرُ والآيتان كما ترى لا حجّة فيهما لنا ولا للمعتزلة وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا حال قُصد بها التأكيدُ ان عُلّق الجارّ بالفعل والتعميمُ ان عُلّق بها اى رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الّا كافّة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله • ولا خارجًا من فِيَّ زُورُ كلام • وَكَفَى بِٱللّٰهِ شَهِيدًا على ارسالك بنصب المعجزات (٨٢) مَنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللّٰهَ لانّه فى الحقيقة مبلّغ والآمر هو اللّه روى انّه عم قال من احبّنى فقد احبّ اللّه ومن اطاعنى فقد اطاع اللّه فقال المنافقون لقد قارف الشركَ وهو يَنْهى عنه ما يريد الّا ان نتّخذه ربّا كما اتّخذت النصارى عيسى فنزلت وَمَنْ تَوَلَّى عن طاعته فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انّما عليك البلاغُ وعلينا الحسابُ وهو حال من الكاف (٨٣) وَيَقُولُونَ اذا امرتهم بأمر طَاعَةٌ اى أَمْرُنا طاعة او منّا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ خرجوا بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ اى زوّرت خلافَ ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت إمّا من البيتوتة لانّ الامور تُدبّر بالليل او من بيت الشِعْر او البيت المبنىّ لانّه يسوّى ويدبّر وقرأ ابو عمرو وحمزة بَيَّتْ طَائِفَةٌ بالادغام لقربهما فى المَخْرج وَٱللّٰهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ

يثبته فى صحائفهم للمجازاة او فى جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ قلّل المبالاة بهم او تجاف عنهم وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فى الامور كلّها سيّما فى شأنهم وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا يكفيك معرّتهم وينتقم لك منهم (٨٤) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ يتأمّلون فى معانيه ويتبصّرون ما فيه واصل التدبّر النظر فى أدبار الشىء وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ اى ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفّار لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافًا كَثِيرًا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه تَصْعُب معارضته وبعضه تَسْهُل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دلّ عليه الاستقراء لنقصان القوّة البشريّة ولعلّ ذكره ههنا للتنبيه على انّ اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض فى الحِكَم بل لاختلاف الاحوال فى الحِكَم والمصالح (٨٥) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ ممّا يوجب الامن او الخوف أَذَاعُوا بِهِ افشوه كما يفعله قوم من ضَعَفة المسلمين اذا بلغهم خبرٌ عن سرايا رسول اللّه او اخبرهم الرسول بما أُوحى اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مَفْسَدة ، والباء مزيدة او لتضمّن الاذاعة معنى التحدّث وَلَوْ رَدُّوهُ اى ولو ردّوا ذلك الخبر إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُولِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ الى رأيه ورأى كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء لَعَلِمَهُ لعلم ما اخبروا به على ايّ وجه يُذْكَر ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ يستخرجون تدبيره بتجاربهم وأنظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردّوه الى الرسول والى اولى الامر منهم حتّى سمعه منهم وتعرّفوا انّه هل يذاع لَعلم ذلك من هؤلاء الّذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر اى يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النَبَط وهو الماء يخرج من البئر اوّل ما تُحفَر وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ بارسال الرسول وانزال الكتاب لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَانَ بالكفر والضلال إِلَّا قَلِيلًا الّا قليلا منكم تفضّل اللّه عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحقّ والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نُفَيْل ووَرَقة بن نَوْفَل او الّا اتّباعا قليلا على الندور (٨٦) فَقَاتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ان تثبّطوا وتركوك وحدك لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ الّا فعلَ نفسك لا يضرّك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدّمْ الى الجهاد وان لم يساعدك احد فانّ اللّه ناصرك لا الجنود روى انّه عم دعا الناس فى بدر الصُغْرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الّا سبعون لم يَلْوِ على احد ، وقرئ لا تُكلّفْ بالجزم ولا نُكَلِّفُ بالنون على بناء الفاعل اى لا نكلّفك الّا فعلَ نفسك لا أنّا لا نكلّف احدا الّا نفسك لقوله وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ على القتال اذ ما عليك فى شأنهم الّا التحريض عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يعنى قريشا وقد فعل بأن القى فى قلوبهم الرعب حتّى رجعوا وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا من قريش وَأَشَدُّ تَنكِيلًا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتّبعه (٨٧) مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً راعى بها حقّ مُسلم ودفع بها عنه ضرّا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه اللّه ومنها الدعاء للمسلم قال عم من

جزء ۴ دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وهو ثواب
ركوع ۸ الشفاعة والتسبّب الى الخير الواقع بها وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يريد بها محرّما يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا نصيب مِنْ وِزْرِهَا مساوٍ لها فى القدر وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا مقتدرا من اقات على الشىء اذا قدر قال

وذى ضِغْنٍ كففتُ الضِغْنَ عنه   وكنتُ على إساءته مُقِيتا

او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانّه يقوّى البدن ويحفظه (۸۸) وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا الجمهور على انّه فى السلام ويدلّ على وجوب الجواب امّا باحسن منه وهو أن يريد عليه ورحمة اللّه فإنْ قاله المسلِّم زاد وبركاته وهى النهاية وامّا بردّ مثله لما روى انّ رجلا قال لرسول اللّه السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة اللّه وقال آخرُ السلامُ عليك ورحمة اللّه فقال وعليك السلام ورحمة اللّه وبركاته وقال آخرُ السلام عليك ورحمة اللّه وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فأين ما قال اللّه تعالى وتلا الآية فقال انّك لم تترك لى فضلا فرددتُ عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسامَ المطالب السلامةَ عن المضارّ وحصولَ المنافع وثباتَها ومنه قيل أَوْ للترديد بين ان يجيبى المسلّم ببعض التحيّة وبين ان يحيّى بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يُرَدّ فى الخطبة وقراءة القران وفى الحمّام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحيّة فى الاصل مصدرُ حيّاك اللّه على الاخبار من الحيوة ثمّ استعمل للحكم والدعاء بذلك ثمّ قيل لكلّ دعاء فغلّب فى السلام وقيل المراد بالتحيّة العطيّة واوجبُ الثواب او الردّ على المتّهب وهو قول قديم للشافعى رضه إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا يحاسبكم على التحيّة وغيرها (۸۹) ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ مبتدأ وخبر او اللّه مبتدأ والخبر لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ اى اللّه واللّه ليحشرنّكم من قبوركم الى يوم القيامة او مُفْضِين اليه او فى يوم القيامة ولا الٰه الّا هو اعتراض ، والقيام والقِيامة كالطِلاب والطِلابة وهى قيام الناس من القبور او للحساب لَا رَيْبَ فِيهِ فى اليوم او الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه
ركوع ۹ فانّه لا يتطرّق الكذب الى خبره بوجه لانّه نقصٌ وهو على اللّه مُحال (۹۰) فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ فما لكم تفرّقتم فى امر المنافقين فئتين اى فرقتين ولم تتّفقوا على كفرهم وذلك انّ ناسا منهم استأذنوا رسول اللّه فى الخروج الى البَدْو لاجتواء المدينة فلمّا خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلةً مرحلةً حتّى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فى اسلامهم وقيل نزلت فى المتخلّفين يوم أُحُد او فى قوم هاجروا ثمّ رجعوا مُعتلّين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ، وفئتين حالٌ عاملُها لكم كقولك ما لك قائما ، وفى المنافقين حال من فئتين اى متفرّقين فيهم او من الضمير اى فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ردّهم الى حكم الكفرة او نكسهم بأن صيّرهم للنار واصل الركس ردّ الشىء مقلوبا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ

جزء ٥ ركوع ٩

ان تجعلوه من المهتدين وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا الى الهدى (٩١) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا تمنّوا ان تكفروا ككفرهم فَتَكُونُونَ سَوَآءً فتكونون معهم سواء فى الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نُصب على جواب التمنّى لجاز فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِى سَبِيلِ ٱللّٰهِ فلا تُوالوهم حتّى يؤمنوا ويحقّقوا ايمانهم بهجرة هى للّه ورسوله لا لاغراض الدنيا ، وسبيل اللّه ما أُمِرَ بسلوكه فَإِنْ تَوَلَّوْا عن الايمان المظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ كسائر الكفرة وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا اى جانبوهم رأسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة (٩٢) إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى الّا الّذين يتّصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميّون فانّه عم وادع وقت خروجه الى مكّة هلال بن عُوَيْمِر الاسلمىّ على ان لا يُعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثلُ ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة أَوْ جَآءُوكُمْ عطف على الصلة اى او الّذين جاؤكم كافّين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المأمور بأخذهم وقتلهم مَنْ ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكفّ عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكأنّه قيل الّا الّذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافّين عن القتال لكم وعليكم والاوّل اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انّه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ حال باضمار قد ويدلّ عليه انّه قرئ حَصِرَةً صُدُورُهُمْ وحَصِرَاتٍ صُدُورُهُمْ او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مُدْلِج جاؤا رسولَ اللّه غير مقاتلين ، والحَصَر الضيق والانقباض أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ اى عن ان او لأن او كراهة ان يقاتلوكم وَلَوْ شَآءَ ٱللّٰهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ بأن قوّى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فَلَقَاتَلُوكُمْ ولم يكفّوا عنكم فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فان لم يتعرّضوا لكم وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ الاستسلام والانقياد فَمَا جَعَلَ ٱللّٰهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا فما اذن لكم فى اخذهم وقتلهم (٩٣) سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلمّا رجعوا كفروا كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى ٱلْفِتْنَةِ دعوا الى الكفر والى قتال المسلمين أُرْكِسُوا فِيهَا عادوا اليها وقُلبوا فيها أَقْبَحَ قلب فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وينبذوا اليكم العهد وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ عن قتالكم فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ حيث تمكّنتم منهم فانّ مجرّد الكفّ لا يوجب نفى التعرّض وَأُولٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا حجّة واضحة فى التعرّض لهم بالقتل والسبى لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلّطا ظاهرا حيث اذنّا لكم فى قتلهم (٩٤) وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وما صحّ له وليس من شأنه أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا بغير حقّ إِلَّا خَطَأً فانّه على

جزء ٥ ركوع ١٠

ونصبه على الحال او المفعول له اى لا يقتله فى شىء من الاحوال الّا حال الخطأ او لا يقتله لعلّة الّا للخطأ او على انّه صفة مصدر محذوف اى الّا قتلا خطأ وقيل مَا كَانَ نفىٌ فى معنى النهى والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يُذْكَر ، والخطأ ما لا يصامّه القصدُ الى الفعل او الشخص او لا يُقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظورٌ كرَمْى مُسْلِم فى صفّ الكفّار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلّف وقرئ خَطَآء بالمدّ وخَطًا كعَصًا بتخفيف الهمزة ، والآية نزلت فى عيّاش بن ابى ربيعة اخى ابى جهل من الأمّ لقى حارث بن زيد فى طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عيّاش فقتله وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ اى فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحرّ كالعتيق للكريم من الشىء ومنه حُرّ الوجه لاكرم موضع منه سمّى به لانّ الكَرَم فى الأحرار ، والرقبة عبّر بها عن النسمة كما عبّر عنها بالرأس مُؤْمِنَةٍ محكوم باسلامها وان كانت صغيرة وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ اِلَى اَهْلِهِ مؤدّاة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحّاك بن سفيان الكلابى كتب الىّ رسول اللّه يأمرنى ان اورّث امرأة أشْيَم الضبابى من عَقْل زوجها وهى على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففى ماله اِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا يتصدّقوا عليه بالدية سمّى العفو عنها صدقة حثّا عليه وتنبيها على فضله وعن النبىّ صلعم كلّ معروف صدقة وهو متعلّق بعليه او بمسلّمة اى تجب الدية عليه او يسلّمها الى اهله الّا حال تصدّقهم عليه او زمانه فهو فى محلّ النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فَاِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ اى فان كان المؤمن المقتول من قوم كفّار محاربين او فى تضاعيفهم ولم يُعلَم ايمانه فعلى قاتله الكفّارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانّهم محاربون وَاِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ اِلَى اَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمّة فحكمه حكم المسلم فى وجوب الكفّارة والدية ولعلّه فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مُسْلِم فَمَنْ لَمْ يَجِدْ رقبةً بأن لم يملكها ولا ما يتوصّل به اليها فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين متتابعين تَوْبَةً نصب على المفعول له اى شرع ذلك توبة من تاب اللّه عليه اذا قبل توبته او على المصدر اى وتاب اللّه عليكم توبة او الحال بحذف مضاف اى فعليه صيام شهرين ذا توبة مِنَ اللّهِ صفتها وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا بحاله حَكِيمًا فيما امر فى شأنه

(۹۵) وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَاَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عبّاس لا تُقبَل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعلّه اراد به التشديد اذ روى عنه خلافه والجمهور على انّه مخصوص بمن لم يَتُبْ لقوله تعالى وانّى لغفّار لمن تاب ونحوه وهو عندنا امّا مخصوص بالمستحلّ له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيّده انّه نزل فى مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا فى بنى النجّار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول اللّه ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثمّ حمل على مُسْلِم فقتله ورجع الى مكّة مرتدّا او المراد بالخلود المكث الطويل فانّ الدلائل متظاهرة على انّ

غزاة المسلمين لا يدوم عذابهم (٩٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ سافرتم وذهبتم للغزو جزء ٥
فَتَبَيَّنُوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائىّ فَتَثَبَّتُوا فى الموضعين هنا ركوع ١٠
وفى الحجرات من التثبّت وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَامَ لمن حيّاكم بتحيّة الاسلام وقرأ نافع وابن
عامر وحمزة ٱلسَّلَمَ بغير الف اى الاستسلام والانقياد وفسّر به السلام ايضا لَسْتَ مُؤْمِنًا وانّما فعلتَ ذلك
متعوّذا وقرئ مُؤْمَنًا بالفتح اى مبذولا له الأمان تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا تطلبون ماله الّذى
هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير فى تقولوا مُشعِرٌ بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبّت
فَعِنْدَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ تغنيكم عن قتل امثاله لماله كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ اى اوّل ما دخلتم فى الاسلام
تفوّهتم بكلمة الشهادة فحُصِّنت بها دماؤكم واموالكم من غير ان يُعلَم مواطأة قلوبكم السنتكم
فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ بالاشتهار بالايمان والاستقامة فى الدين فَتَبَيَّنُوا وافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل
الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنّا بانّهم دخلوا فيه اتّقاء وخوفا فانّ ابقاء الف كافر أَهْوَنُ عند الله
من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا فى القتل واحتاطوا فيه روى انّ
سريّة لرسول الله غزت اهلَ فَدَك فهربوا وبقى مِرداسٌ ثقةً باسلامه فلمّا رأى الخيل ألجأ غنمَه الى عاقول من
الجبل وصعد فلمّا تلاحقوا وكبّروا كبّر ونزل وقال لا اله الّا الله محمّد رسول الله السلام عليكم فقتله
أسامةُ واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت فى المِقْداد مرّ برجل فى غُنَيْمة فاراد قتله فقال لا اله الّا الله فقتله
وقال ودّ لو فرّ بأهله وماله وفيه دليل على صحّة ايمان المُكْرَه وانّ المجتهد قد يُخطئ وانّ خطأه مغتفر
(٩٧) لَا يَسْتَوِي ٱلْقَاعِدُونَ عن الحرب مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فى موضع الحال من القاعدون او من الضمير الّذى
فيه غَيْرُ أُولِي ٱلضَّرَرِ بالرفع صفة للقاعدون لانّه لم يُقصَد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن
عامر والكسائىّ بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجرّ على انّه صفة للمؤمنين او بدل منه ، وعن
زيد بن ثابت انّها نزلت ولم يكن فيها غير اولى الضرر فقال ابن امّ مكتوم وكيف وانا اعمى فغشى
رسولَ الله فى مجلسه الوحى فوقعت فخذه على فخذى حتّى خشيت ان ترضّها ثمّ سُرّى عنه فقال اكتب
لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر وَٱلْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ اى لا
مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علّة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب
القاعد فى الجهاد رفعا لرتبته وأنفة عن انحطاط منزلته فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى
ٱلْقَاعِدِينَ دَرَجَةً جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه ، والقاعدون على التقييد السابق ، ودرجةً نصب
بنزع الخافض اى بدرجة او على المصدر لانّه تضمّن معنى التفضيل ووقع موقع المرّة منه او الحال بمعنى
ذوى درجة وَكُلًّا من القاعدين والمجاهدين وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَى المثوبة الحسنى وهى الجنّة لحسن عقيدتهم
وخلوص نيّتهم وانّما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَاهِدِينَ عَلَى ٱلْقَاعِدِينَ

جزء ٥ أَجْرًا عَظِيمًا نصب على المصدر لانّ فضّل بمعنى أَجَر او المفعول الثانى له لتضمّنه معنى الاعطاء كأنّه قيل
ركوع ١٠ واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما (٩٨) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً كلّ واحد منها بدل من
اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته أَسْواطا واجرا على الحال عنها تقدّمت عليها لأنّها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعليهما ، كرّر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاوّل ما خوّلهم فى الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثانى ما جعل لهم فى الآخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم فى الجنّة وقيل القاعدون الاوّل هم الاضرّاء والثانى هم الّذين اذن لهم فى التخلّف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاوّلون من جاهد الكفّار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عم رجعنا من الجهاد الاصغر
ركوع ١١ الى الجهاد الاكبر وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا لما عسى يفرط منهم رَحِيمًا بما وعد لهم (٩٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ
يحتمل الماضى والمضارع وقرئ تُوُفِّيهُم وتُوَفَّاهُم على مضارع وُفِّيت بمعنى انّ الله يوفّى الملائكة انفسهم فيتوفّونها اى يمكّنهم من استيفائها فيستوفونها ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فى حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانّها نزلت فى ناس من مكّة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قَالُوا اى الملائكة توبيخا لهم فِيمَ كُنْتُمْ فى اىّ شىء كنتم من امر دينكم قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ اعتذروا ممّا وُبّخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قَالُوا اى الملائكة تكذيبا لهم وتبكيتا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا الى قُطْرٍ آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفّار وهو خبر إنّ والفاء فيه لتضمّن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حالٌ من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وَسَاءَتْ مَصِيرًا مصيرهم او جهنّم ، وفى الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكّن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبىّ صلعم من فرّ بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنّة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيّه محمّد
(١٠٠) إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَاءِ وَٱلْوِلْدَانِ استثناء منقطع لعدم دخولهم فى الموصول وضميره والاشارة اليه ، وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهرٌ وان اريد به الصبيان فللمبالغة فى الامر والاشعار بأنّهم على صدد وجوب الهجرة فانّهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وأنّ قوّامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكنّ فيه ، واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقّف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فَأُولَٰئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بأنّ ترك الهجرة امرٌ خطيرٌ حتّى انّ المضطرّ من حقّه ان لا يأمن ويترصّد الفرصة ويعلّق بها قلبه وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (١٠١) وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا مُتَحَوَّلًا من

الرَّغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومَه بسلوكه اى يفارقهم على رَغْم أُنوفهم وهو ايضا من الرَّغام جزء ٥
وَسَعَةً فى الرزق واظهار الدين وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ وقرئ ركوع ١١
يُدْرِكُهُ بالرفع على انّه خبرُ محذوف اى ثمّ هو يدركه وبالنصب على اضمارِ أَنْ كقوله

سَأَتْرُكُ مَنْزِلِي لِبَنِي تَمِيمٍ وَأَلْحَقُ بِالْحِجَازِ فَأَسْتَرِيحَا

فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند اللّه ثبوتَ الامر الواجب ، والآية نزلت فى جُنْدُب بن ضَمْرة حمله بنوه على سرير متوجّها الى المدينة فلمّا بلغ التنعيمَ اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللّهمّ هذه لك وهذه لرسولك أُبايعك على ما بايع عليه رسولك فمات (١٠١) وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ سافرتم فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ بتنصيف ركوع ١٢
ركعاتها ونفىُ الحَرَج فيه يدلّ على جوازه دون وجوبه ويؤيّده انّه عم اتمّ فى السفر وانّ عائشة رضها اعتمرت مع رسول اللّه صلعم فقالت يا رسول اللّه قصرتُ واتممتُ وصمتُ وافطرتُ فقال احسنتِ يا عائشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر رضه صلوة السفر ركعتان تمامٌ غيرُ قَصْرٍ على لسان نبيّكم ولقول عائشة اوّلَ ما فُرضت الصلوة فُرضت ركعتين ركعتين فأُقرّت فى السفر وزيدت فى الحضر وظاهرُهما يخالف الآية فانْ صحّا فالاوّل مأوّل بأنّه كالتامّ فى الصحّة والاجزاء والثانى لا ينفى جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الآية بأنّهم أَلِفوا الاربع فكانوا مظنّةً لأنْ يخطر ببالهم انّ ركعتى السفر قَصْرٌ ونقصان فسمّى الاتيان بهما قَصْرا على ظنّهم ونفى الجناح فيه لتَطيب به انفسهم واقلّ سفر يُقْصَر فيه اربعةُ بُرُدٍ عندنا وستّة عند ابى حنيفة وقرئ تُقْصِرُوا من أَقْصَرَ بمعنى قَصَرَ ، ومن الصلوة صفةُ محذوف اى شيئًا من الصلوة عند سيبويه ومفعولُ تقصروا بزيادة مِنْ عند الاخفش إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ ٱلْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا شريطة باعتبار الغالب فى ذلك الوقت ولذلك لم يُعْتبر مفهومها كما لم يُعْتبر فى قوله فان خفتم أَلّا يُقيما حدودَ اللّه فلا جُناحَ عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السُّنَن على جوازه ايضا فى حال الأمْن وقرئ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ أَنْ يَفْتِنَكُمْ بغير إِنْ خِفْتُمْ بمعنى كراهةَ أَنْ يفتنكم وهو القتال والتعرّض بما يُكْرَه (١٠٢) وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ تعلّق بمفهومه مَنْ خصّ صلوة الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامّة الفقهاء على انّه تعالى علّم الرسول كيفيّتها ليأتمّ به الائمّة بعده فانّهم نُوّاب عنه فيكون حضورهم كحضوره فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك يصلّون وتقومَ الاخرى تجاهَ العدوّ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ اى المصلّون حزمًا وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكرُ الطائفة الاولى يدلّ عليهم فَإِذَا سَجَدُوا يعنى المصلّين فَلْيَكُونُوا اى غير المصلّين مِنْ وَرَائِكُمْ يحرسونكم يعنى النبىّ صلعم ومن يصلّى معه فغلّب المخاطب على الغائب وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا لاشتغالهم بالحراسة فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ ظاهره يدلّ على انّ الامام يصلّى مرّتين بكلّ طائفة مرّة كما فعله صلعم

جزء ٥ ببطن النَخْل وان اريد به ان يصلّى بكلٍّ ركعةً ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيّته ان يصلّى بالاولى

ركوع ١٢ ركعة وينتظر قائما حتّى يتمّوا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدوّ وتأتى الاخرى فيتمّ بهم الركعة الثانية ثم ينتظر قاعدا حتّى يتمّوا صلاتهم ويسلّم بهم كما فعله رسول اللّه صلعم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلّى بالاولى ركعة ثمّ تذهب هذه وتقف بازاء العدوّ وتأتى الاخرى فيصلّى بها ركعة ويتمّ صلاته ثمّ تعود الى وجه العدوّ وتأتى الاولى فتؤدّى الركعة الثانية بغير قراءة وتتمّ صلاتها ثمّ تعود وتأتى الاخرى فتؤدّى الركعة بقراءة وتتمّ صلاتها وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ جعل الحذر آلة يتحصّن بها الغازى فجمع بينه وبين الاسلحة فى وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً تمنّوا ان ينالوا منكم غرّة فى صلاتكم فيشدّون عليكم شدّة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ الحذر والسلاح وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ رخصة لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا ممّا يؤيّد انّ الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وَخُذُوا حِذْرَكُمْ امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدوّ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وعدٌ للمؤمنين بالنصر على الكفّار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا انّ الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوّهم بل لانّ الواجب ان يحافظوا فى الامور على مراسم التيقّظ والتدبّر فيتوكّلوا على اللّه (١٠٤) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ اديتم وفرغتم منها فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فدوموا على الذكر فى جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة واشتدّ الخوف فصلّوها كيفما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مُرامين وعلى جنوبكم مُثْخَنين فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ سكنت قلوبكم من الخوف فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ فعدّلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامّة إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها فى شىء من الاحوال وهذا دليلٌ على انّ المراد بالذكر الصلوة وانّها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب فى المعركة وتعليلٌ للامر بالاتيان بها كيفما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلّى المحارب حتّى يطمئنّ (١٠٥) وَلَا تَهِنُوا ولا تضعفوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ فى طلب الكفّار بالقتال إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ الزام لهم وتقريع على التوانى فيه بأنّ ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختصّ بهم وهم يرجون من اللّه بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوّهم فينبغى ان يكونوا ارغب منهم فى الحرب واصبر عليها ، وقرئ أَنْ تَكُونُوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون ويكون قوله فانّهم يألمون علّة للنهى عن الوهن لاجله ، والآية نزلت فى بدر الصغرى وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا باعمالكم وضمائركم حَكِيمًا فيما يأمر

ركوع ١٣ وينهى (١٠٦) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ نزلت فى طِعْمة بن أُبَيْرِق من بنى ظَفَر

سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند جزء ٥
زيد بن السمين اليهودىّ فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم ركوع ۱۳
فتركوه واتّبعوا اثر الدقيق حتّى انتهى الى منزل اليهودىّ فاخذوها فقال دفعها الىّ طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول اللّه فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودىّ فهمّ رسول اللّه ان يفعل بِمَا أَرَاكَ ٱللَّهُ بما عرّفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والّا لاستدعى ثلثة مفاعيل وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ اى لاجلهم والذبّ عنهم خَصِيمًا للبراء وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ممّا هممت به إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا لمن يستغفره (۱۰۷) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ يخونونها فانّ وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانّهم شاركوه فى الاثم حيث شهدوا على براءته وخاصموا عنه إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا مبالغا فى الخيانة مصرّا عليها أَثِيمًا منهمكا فيه روى انّ طعمة هرب الى مكّة وارتدّ ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله (۱۰۸) يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ يستترون منهم حياء وخوفا وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ولا يستحيون منه وهو احقّ بأن يستحيى ويخاف منه وَهُوَ مَعَهُمْ لا يخفى عليه سرّهم فلا طريق معه الّا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه إِذْ يُبَيِّتُونَ يدبّرون ويزوّرون مَا لَا يَرْضَى مِنَ ٱلْقَوْلِ من رمى البرىء والحلف الكاذب وشهادة الزور وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا لا يفوت عنه شىء (۱۰۹) هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ مبتدأ وخبر جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا جملة مبيّنة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فَمَنْ يُجَادِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا محاميا يحميهم من عذاب اللّه (۱۱۰) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوٓءًا قبيحا يسوء به غيره أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ بما يختصّ به ولا يتعدّاه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ بالتوبة يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا لذنوبه رَحِيمًا متفضّلا عليه وفيه حثّ لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار (۱۱۱) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ فلا يتعدّاه وباله لقوله وان اسأتم فلها وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا فهو عالم بفعله حكيم فى مجازاته (۱۱۲) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيٓئَةً صغيرة او ما لا عمد فيه أَوْ إِثْمًا كبيرة او ما كان عن عمد ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيٓئًا كما رمى طعمة زيدا ووحّد الضمير لمكان أَوْ فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا بسبب رمى البرىء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوّى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الآخر (۱۱۳) وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ باعلام ما هم عليه بالوحى والضمير للرسول لَهَمَّتْ طَآئِفَةٌ مِنْهُمْ ركوع ۱۴
من بنى ظفر أَنْ يُضِلُّوكَ عن القضاء بالحقّ مع علمهم بالحال والجملة جوابُ لولا وليس القصد فيه الى نفى

جزء ٥ همّهم بل الى نفى تأثيره فيه وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ لانّه ما ازلّك عن الحقّ وعاد وباله عليهم وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ
ركوع ١٤ فانّ اللّه عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا فى الحكم ، ومن شىء فى موضع النصب على المصدر اى شيئا من الضرّ وَأَنْزَلَ ٱللّٰهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ من خفيّات الامور او من امور الدين والاحكام وَكَانَ فَضْلُ ٱللّٰهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا اذ لا فضل اعظم من النبوّة (١١٤) لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ من متناجيهم لقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ على حذف مضاف اى الّا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففى نجواه الخير ، والمعروف كلّ ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفُسّر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوّع وسائر ما فسّر به أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ او اصلاح ذات بين وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللّٰهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا بنى الكلام على الامر ورتّب الجزاء على الفعل ليدلّ على انّه لمّا دخل الآمر فى زمرة الخيّرين كان الفاعل أدخل فيهم وأنّ العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انّه وصلة اليه وقيّد الفعل بأن يكون لطلب مرضات اللّه لانّ الاعمال بالنيّات وأنّ من فعل خيرا رئاء وسمعة لم يستحقّ به من اللّه اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات فى جنبه من أغراض الدنيا ، وقرأ ابو عمرو وحمزة يُؤْتِيهِ بالياء (١١٥) وَمَنْ يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ يخالفه من الشقّ فانّ كلّا من المتخالفين فى شقّ غير شقّ الآخر مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ظهر له الحقّ بالوقوف على المعجزات وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ غير ما هم عليه من اعتقاد وعمل نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ نجعله واليا لما تولّى من الضلال ونخلّ بينه وبين ما اختاره وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وَسَاءَتْ مَصِيرًا جهنّم والآية تدلّ على حرمة مخالفة الاجماع لانّه تعالى رتّب الوعيد الشديد على المشاقّة واتّباع غير سبيل المؤمنين وذلك امّا لحرمة كلّ واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثانى باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحدّ وكذا الثالث لانّ المشاقّة محرّمة ضمّ اليها غيرها او لم يضمّ واذا كان اتّباع غير سبيلهم محرّما كان اتّباع سبيلهم واجبا لانّ ترك اتّباع سبيلهم ممّن عرف سبيلهم اتّباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه فى مرصاد الأفهام الى مبادى الأحكام
ركوع ١٥ (١١٦) إِنَّ ٱللّٰهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ كرّره للتأكيد او لقصّة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول اللّه وقال انّى شيخ منهمك فى الذنوب الّا انّى لم اشرك باللّه شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتّخذ من دونه وليّا ولم أُوقع المعاصى جرأة وما توهّمت طرفة عين انّى أُعجز اللّه هربا وانّى لنادم تائب فما ترى حالى عند اللّه فنزلت وَمَنْ يُشْرِكْ بِٱللّٰهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا عن الحقّ فانّ الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانّما ذكر فى الاولى فقد افترى لانّها متّصلة بقصّة اهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبنّى على اللّه (١١٧) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا

يعنى اللّات والعُزّى ومناة ونحوها كان لكلّ حىّ صنم يعبدونه ويسمّونه انثى بنى فلان وذلك امّا جوء ٥
لتأنيث اسمائها كما قال ركوع ١٥

وما ذَكَرٌ فإن يَسْمَنْ فأنثى شديد الأَزْم ليس له ضُروس

فانّه عنى القُراد وهو ما كان صغيرا سمّى قرادا فاذا كبر سمّى حَلَمة او لانّها كانت جمادات والجمادات
٥ تؤنّث من حيث انّها ضاهت الاناث لانفعالها ولعلّه سبحانه ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انّهم
يعبدون ما يسمّونه اناثا لانّه ينفعل ولا يَفْعَل ومن حقّ المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون
دليلا على تناهى جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات اللّه وهو جمع
أُنْثى كرِبَاب ورُبّى وقرئ أُنْثى على التوحيد وأُنُثا على انّه جمع أَنِيث كخُبُث وخَبِيث ووُثْنًا بالتخفيف
وَوُثُنًا بالتثقيل وهو جمع وَثَن كأَسَد وأُسْد وأُسُد وأُثْنًا وأُثُنًا بهما على قلب الواو لضمّها همزة وَإِنْ يَدْعُونَ
١٠ وان يعبدون بعبادتها إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا لانّه الّذى امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكأنّ طاعته فى
ذلك عبادة له ٬ والمارد والمريد الّذى لا يَعْلَق بخير وأصلُ التركيب للملاسة ومنه صَرْح ممرّد وغلام
امرد وشجرة مرداء للّتى تناثر ورقها (١١٨) لَعَنَهُ ٱللَّهُ صفة ثانية للشيطان وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا
مَفْرُوضًا عطف عليه اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة اللّه وهذا القولِ الدالّ على فرط عداوته للناس
وقد برهن سبحانه اوّلا على انّ الشرك ضلال فى الغاية على سبيل التعليل بانّ ما يشركون به ينفعل ولا
١٥ يَفْعَل فعلا اختياريّا وذلك ينافى الالوهيّة غايةَ المنافاة فانّ الاله ينبغى ان يكون فاعلا غير منفعل ثمّ
استدلّ عليه بانّه عبادة الشيطان وهى افظع فى الضلال لثلثة اوجه الاوّل انّه مريد منهمك فى الضلال لا
يعلق بشىء من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثانى انّه ملعون لضلاله فلا
تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انّه فى غاية العداوة والسعى فى اهلاكهم وموالاةُ مَن
هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته ٬ والمفروض المقطوع اى نصيبا قُدّر لى وفُرض من قولهم فرض
٢٠ له فى العطاء وَلَأُضِلَّنَّهُمْ عن الحقّ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ الامانىّ الباطلة كطول الحيوة وأنّ لا بعث ولا عقاب
وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ ٱلْأَنْعَامِ يشقّونها لتحريم ما أُحِلّ وهى عبارة عمّا كانت العرب تفعل بالبحائر
والسوائب واشارة الى تحريم كلّ ما أُحِلّ ونقص كلّ ما خُلق كاملا بالفعل او القوّة وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ
عن وجهه صورةً او صفةً ويندرج فيه ما قيل من فقئ عين الحامى وخصاء العبيد والوَشْم والوَشْر
واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة اللّه الّتى هى الاسلام واستعمال الجوارح
٢٥ والقُوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من اللّه زُلْفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مُطْلَقا
لكن الفقهاء رخّصوا فى خصاء البهائم للحاجة ٬ والجُمَلُ الاربع حكاية عمّا ذكره الشيطان نطقا او اتاه
فعلا وَمَنْ يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ بايثاره ما يدعوا اليه على ما امر اللّه به ومجاوزته عن
طاعة اللّه الى طاعته فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا اذ ضيّع رأس ماله وبدّل مكانه من الجنّة بمكان من النار

جزء ٥ (١١٩) يَعِدُهُمْ ما لا يُنْجِز وَيُمَنِّيهِمْ ما لا ينالون وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا وهو اظهار النفع فيما فيه
ركوع ١٥ الضرر وهذا الوعد امّا بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه (١٢٠) أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا
مَعْدلا ومَهْربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانّه اسم مكان وان جعل
مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله (١٢١) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا اى وَعَدَه وَعْدًا وحقّ ذلك حقًّا فالاوّل مؤكّد لنفسه لانّ
مضمون الجملة الاسميّة الّتى قبله وعدٌ والثانى مؤكّد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسّره ما
بعده ووَعْدَ اللّه بقوله سندخلهم لانّه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقّا على انّه حال من المصدر
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا جملة مؤكّدة بليغة ، والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانيّة
الكاذبة لقرنائه بوَعْد اللّه الصادق لاوليائه والمبالغة فى توكيده ترغيبا للعباد فى تحصيله (١٢٢) لَيْسَ
بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ اى ليس ما وعد اللّه من الثواب يُنال بامانيّكم ايّها المسلمون ولا بامانىّ
اهل الكتاب وانّما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمنّى ولكن ما وَقَرَ فى القلب وصدّقه
العمل روى انّ المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبيّنا قبل نبيّكم وكتابنا قبل كتابكم
ونحن اولى باللّه منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبيّنا خاتم النبيّين وكتابنا يقضى على الكتب
المتقدّمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدلّ عليه تقدّم ذكرهم اى ليس الامر بامانىّ
المشركين وهو قولهم لا جنّة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكوننّ خيرا منهم واحسن
حالا ولا امانىّ اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنّة الّا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسّنا
النار الّا ايّاما معدودة ثمّ قرّر ذلك وقال مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ عاجلا او آجلا لما روى انّه لمّا نزلت
قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول اللّه فقال عم اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللّأواء قال بلى يا
رسول اللّه قال هو ذاك وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة اللّه
ونصرته من يواليه وينصره فى دفع العذاب عنه (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ بعضها وشيئا منها فانّ كلّ
احد لا يتمكّن من كلّها وليس مكلّفا بها مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ فى موضع الحال من المستكنّ فى يعمل ومِنْ
للبيان او من الصالحات اى كائنةً من ذكر او انثى ومِنْ للابتداء وَهُوَ مُؤْمِنٌ حالٌ شُرط اقتران العمل
بها فى استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انّه لا اعتداد به دونه فيه فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا
يُظْلَمُونَ نَقِيرًا بنقص شىء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزاد عقاب العاصى
لانّ المجازى ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر
يُدْخَلون الجنّة هنا وفى الغافر ومريم بضمّ الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضمّ الخاء (١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ
دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ اخلص نفسه للّه لا يعرف لها ربّا سواه وقيل بذل وجهه له فى السجود وفى

هذا الاستفهام تنبيه على انّ ذلك منتهى ما يبلغه القوّة البشريّة وَهُوَ مُحْسِنٌ آتٍ بالحسنات تارك للسيّآت جزء ٥

وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرٰهِيمَ الموافقة لدين الاسلام المتّفق على صحّتها حَنِيفًا مائلا عن سائر الاديان وهو حال من ركوع ١٥

المتّبع او الملّة او ابرهيم وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرٰهِيمَ خَلِيلًا اصطفاه وخصّصه بكرامة تُشْبِهُ كرامة الخليل عند خليله وانّما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انّه الممدوح والخُلّة من الخِلال فانّه ودٌّ تخلّل النفسَ وخالطها وقيل من الخَلَل فانّ كلّ واحد من الخليلَيْن يسدّ خللَ الآخر او من الخَلّ وهو الطريق فى الرمل فانّهما يترافقان فى الطريق او من الخَلّة بمعنى الخصلة فانّهما يتوافقان فى الخصال والجملة استيناف جىء بها للترغيب فى اتّباع ملّته والايذان بانّه نهاية فى الحسن وغاية كمال البشر روى انّ ابرهيم عم بعث الى خليل له بمصر فى أَزْمة اصابت الناس يَمْتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه لفعلتُ ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غِلْمانه ببطحاء ليّنة فملؤا منها الغرائر حياءً من الناس فلمّا اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام فقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حُوّارى واختبزت فاستيقظ ابرهيم فاشتمّ رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت من خليلك المصرىّ فقال بل من عند خليلى اللّه فسمّاه اللّه خليلا (١٢٥) وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمٰوٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء وقيل هو متّصل بذكر العمّال مقرّر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرّها (١٢٦) وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ فى ميراثهنّ اذ سبب ركوع ١٦

نزوله انّ عُيَيْنة بن حصين اتى النبىّ صلعم فقال أُخْبرنا انّك تعطى الابنة النصف والاخت النصف وانّما كنّا نورّث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عم كذلك أُمرتُ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ يبيّن لكم حكمه فيهنّ والافتاء تبيين المبهم وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتٰبِ عطف على اسم اللّه او ضميره المستكنّ فى يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى اللّه والى ما فى القران من قوله يوصيكم اللّه ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيرُه اغنانى زيدٌ وعطاؤه او استيناف معترض لتعظيم المتلوّ عليهم على انّ ما يتلى عليكم مبتدأ وفى الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان يُنْصَب على معنى ويبيّن لكم ما يتلى عليكم او يُخْفَض على القسم كأنّه قيل وأُقْسِمُ بما يتلى عليكم فى الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور فى فيهنّ لاختلاله لفظا ومعنى فِى يَتٰمَى ٱلنِّسَآءِ صلة يتلى إن عُطف الموصول على ما قبله اى يتلى عليكم فى شأنهنّ والّا فبدل من فيهنّ او صلة اخرى ليفتيكم على معنى اللّه يفتيكم فيهنّ بسبب يتامى النساء كما تقول كلّمتك اليوم فى زيد ، وهذه الاضافة بمعنى مِنْ لانّها اضافة الشىء الى جنسه ، وقرئ يَيَامَى على انّه أَيَامَى فقلبت همزته ياء ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ اى فرض لهنّ من الميراث وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ فى ان تنكحوهنّ او عن ان تنكحوهنّ فانّ اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهنّ إن كنّ جميلات ويأكلون مالهنّ وإلّا كانوا يعضلونهنّ طمعا فى ميراثهنّ ، والواو تحتمل الحال

جزء ٥ والعطف ، وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة فى نكاحها جريان العقد فى
ركوع ١٩ صِغَرِها وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَانِ عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورّثونهم كما لا يورّثون النساء وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِٱلْقِسْطِ ايضا عطف عليه اى ويفتيكم او ما يتلى فى ان تقوموا هذا اذا جعلت فى يتامى صلة لاحدهما وإن جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهنّ ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعلٍ اى ويأمركم ان تقوموا ، وهو خطاب للائمّة فى ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوّام بالنصفة فى شأنهم وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا وعدٌ لمن آثر الخير فى ذلك (١٢٧) وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا توقّعت منه لما ظهر لها من المخايل ، وامرأة فاعل فعلٍ يفسّره الظاهر نُشُوزًا تجافيا عنها وترفّعا عن صحبتها كراهةً لها ومنعا لحقوقها أَوْ إِعْرَاضًا بأن يقلّ مجالستها ومحادثتها فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصَّالَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ان يتصالحا بأن تحطّ له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به ، وقرأ الكوفيّون أَنْ يُصْلِحَا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما فى القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يَصَّلِحَا من أَصَّلَحَ بمعنى اصطلح وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ من الفرقة او سوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيانُ انّه من الخيور كما انّ الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنْفُسُ ٱلشُّحَّ ولذلك اغتفر عدمُ تجانسهما والاوّل للترغيب فى المصالحة والثانى لتمهيد العذر فى المماكسة ومعنى احضار الانفس الشحّ جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالإعراض عنها والتقصير فى حقّها ولا الرجل يسمح بأن يُمْسكها ويقوم بحقّها على ما ينبغى اذا كرهها او احبّ غيرها وَإِنْ تُحْسِنُوا فى العِشْرة وَتَتَّقُوا النشوز والاعراض ونقص الحقّ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ من الاحسان والخصومة خَبِيرًا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته ايّاهم عليها ٱلّذى هو فى الحقيقة جواب الشرط اقامةَ السبب مقام المسبّب (١٢٨) وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ ٱلنِّسَاءِ لانّ العدل أن لا يقع ميلٌ البتّة وهو متعذّر فلذلك كان رسول الله يقسم بين نسائه فيعْدل ويقول اللّهمّ هذا قسمى فيما املك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا املك وَلَوْ حَرَصْتُمْ على تحرّى ذلك وبالغتم فيه فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فانّ ما لا يُدْرَك كلّه لا يُتْرَك كلّه فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ٱلّتى ليست ذات بعل ولا مطلّقة وعن النبىّ صلعم من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يومَ القيامة وأحدُ شقّيه مائلٌ وَإِنْ تُصْلِحُوا ما كنتم تفسدون من امورهنّ وَتَتَّقُوا فيما يستقبل فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا يغفر لكم ما مضى من ميلكم (١٢٩) وَإِنْ يَتَفَرَّقَا وقرئ وَإِنْ يَتَفَارَقَا اى وان يفارق كلٌّ منهما صاحبه يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا منهما عن الآخر ببدل او سلوة مِنْ سَعَتِهِ غناه

وقدرته وَكَانَ ٱللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا مقتدرا متقنا فى افعاله واحكامه (١٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جزء ٥
تنبيه على كمال سعته وقدرته وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ يعنى اليهود والنصارى وَمَنْ ركوع ١٩
قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصّينا او باوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر بالاخلاص
وَإِيَّاكُمْ عطف على الذين أَنِ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ بأن اتقوا الله ويجوز ان تكون أن مفسّرة لانّ التوصية فى معنى
٥ القول وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فانّ
الله مالك الملك كلّه لا يتضرّر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانّما وصّاكم
لرحمته لا لحاجته ثمّ قرّر ذلك بقوله وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا عن الخلق وعبادتهم حَمِيدًا فى ذاته حُمِد او لم
يُحْمَد (١٣١) وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيّا حميدا فانّ جميع
المخلوقات تدلّ بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه
١٠ حميدا وَكَفَى بِٱللَّهِ وَكِيلًا راجع الى قوله يغن الله كلّا من سعته فانّه توكّل بكفايتهما وما بينهما تقرير
لذلك (١٣٢) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ يفنكم ومفعول يشأ محذوف دلّ عليه الجواب وَيَأْتِ بِآخَرِينَ
ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَى ذٰلِكَ من الاعدام والايجاد قَدِيرًا
بليغ القدرة لا يُعْجِزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو
خطاب لمن عادى رسول الله من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولّوا يستبدل قوما غيركم لما روى انّه
١٥ لمّا نزلت ضرب رسول الله يده على ظهر سلمان وقال انّهم قوم هذا (١٣٣) مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا
كالمجاهد يجاهد للغنيمة فَعِنْدَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فما له يطلب اخسّهما فليطلبهما كمن يقول
ربّنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فانّ من جاهد خالصا لله لم
تخطئه الغنيمة وله فى الآخرة ما هى فى جنبه كلا شىء او فعند الله ثواب الدارين فيعطى كلّا ما
يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له الآية وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا عارفا بالأغراض فيجازى
٢٠ كلّا بحسب قصده (١٣٤) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِٱلْقِسْطِ مواظبين على العدل مجتهدين فى ركوع ١٧
اقامته شُهَدَاءَ لِلَّهِ بالحقّ تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثانٍ او حال وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ولو
كانت الشهادة على انفسكم بأن تقرّوا عليها لانّ الشهادة بيان للحقّ سواء كان عليه او على غيره
أَوِ ٱلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ولو على والديكم واقاربكم إِنْ يَكُنْ اى المشهود عليه او كلّ واحد منه ومن
المشهود له غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة ولا تجوروا فيها ميلا او ترحّما فَٱللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا
٢٥ بالغنىّ والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علّة الجواب
اقيمت مقامه والضمير فى بهما راجع الى ما دلّ عليه المذكور وهو جنسا الغنىّ والفقير لا اليه والّا

جزء ٥ ركوع ١٧

لوحد ويشهد عليه انّه قرئ فَٱللّٰهُ أَوْلَى بِهِمْ فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا لأن تعدلوا عن الحق او كراهة أن تعدلوا من العَدْل وَإِنْ تَلْوُوا ألسنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل قرأه نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائىّ باسكان اللام وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر وَإِنْ تَلُوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة فأدّيتموها أَوْ تُعْرِضُوا عن اداتها فَإِنَّ ٱللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا فيجازيكم عليه (١٣٥) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا خطاب للمسلمين او للمنافقين او لمؤمنى اهل الكتاب اذ روى انّ ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول اللّه انّا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمِنُوا بِٱللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَابِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَٱلْكِتَابِ ٱلَّذِى أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ اثبتوا على الايمان بذلك ودوموا عليه او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بالسنتكم او آمنوا ايمانا عامّا يعمّ الكتب والرسل فانّ الايمان بالبعض كلا ايمان ، والكتاب الاوّل القران والثانى الجنس ، وقرأ نافع والكوفيّون ٱلَّذِى نَزَّلَ وَٱلَّذِى أَنْزَلَ بفتح النون والهمزة والزاى والباقون بضمّ النون والهمزة وكسر الزاى وَمَنْ يَكْفُرْ بِٱللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ اى ومن يكفر بشىء من ذلك فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه (١٣٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يعنى اليهود آمنوا بموسى ثُمَّ كَفَرُوا حين عبدوا العجل ثُمَّ آمَنُوا بعد عوده اليهم ثُمَّ كَفَرُوا بعيسى ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْرًا بمحمّد صلعم او قوما تكرّر منهم الارتداد ثمّ اصرّوا على الكفر وازدادوا تماديا فى الغىّ لَمْ يَكُنِ ٱللّٰهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا اذ يَسْتبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فانّ قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحقّ لا انّهم لو اخلصوا الايمان لم يُقْبَل منهم ولم يغفر لهم ، وخبرُ كان فى امثال ذلك محذوف متعلّق به اللام مثْل لم يكن اللّه مُريدا ليغفر لهم (١٣٧) بَشِّرِ ٱلْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا يدلّ على انّ الآية فى المنافقين وهم قد آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السرّ مرّة بعد اخرى ثمّ ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ، ووضع بشّر مكانَ انذر تهكّمٌ بهم (١٣٨) ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فى محلّ النصب او الرفع على الذمّ بمعنى أُريدُ الّذين او هم الّذين أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ ٱلْعِزَّةَ اَيتعزّزون بموالاتهم فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا لا يتعزّز الّا من اعزّه اللّه وقد كتب العزّة لاوليائه فقال وللّه العزّة ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزّة غيرهم بالاضافة اليهم (١٣٩) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَابِ يعنى القران ، وقرأ عاصم نَزَّلَ والقائمُ مقامَ فاعله أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ ٱللّٰهِ وهى المخفّفة والمعنى أنّه اذا سمعتم يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا حالان من الآيات جىء بهما لتقييد النهى عن المجالسة فى قوله فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ ٱلَّذِى هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجوّ ويؤيّده الغاية وهذا تذكار ما نزل عليهم بمكّة من قوله واذا رأيت الّذين يخوضون فى آياتنا الآية

والضمير فى معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ فى الاثم لانّكم قادرون جزء ٥
على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لانّ الّذين يقاعدون الخائضين فى القران ركوع ١٧
من الاحبار كانوا منافقين ويدلّ عليه إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْكَافِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا يعنى القاعدين والمقعود معهم ، وإذا مُلْغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل ، وإفراد مثلهم لانّه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبنىّ كقوله تعالى مِثْلَ ما انّكم تنطقون (١٤٠) ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ينتظرون وقوعَ امرٍ بكم وهو بدل من الّذين يتّخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذمّ مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ ٱللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ مظاهرين لكم فأَسْهِموا لنا فيما غنمتم وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ من الحرب فانّها سِجالٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ اى قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكّن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بأن خذلناهم بتخييل ما ضعُفتْ به قلوبهم وتوانَيْنا فى مظاهرتهم فأَشْرِكونا فيما اصبتم وانّما سمّى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسّة حظّهم فانّه مقصور على امر دنيوىّ سريع الزوال فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا حينئذ او فى الدنيا والمراد بالسبيل الحجّة ، واحتجّ به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلمَ والحنفيّةُ على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانّه لا ينفى ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مُضىّ العدّة (١٤١) إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ ركوع ١٨
يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ سبق الكلام فيه اوّل البقرة وَإِذَا قَامُوا إِلَى ٱلصَّلٰوةِ قَامُوا كُسَالَىٰ متثاقلين كالمُكْرَه على الفعل وقرئ كَسالَى بالفتح وهما جمعا كَسْلان يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ليَخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعّم وناعم او للمقابلة فانّ المرائى يُرِى من يرائيه عملَه وهو يُرِيه استحسانه وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا اذ المرائى لا يفعله الّا بحضرة من يرائيه وهو اقلّ احواله او لانّ ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانّهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم (١٤٢) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذٰلِكَ حال عن واو يراءون كقوله ولا يذكرون اى يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين او واوِ يذكرون او منصوب على الذمّ والمعنى مردّدين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشىء مضطربا وأصلُه الذبّ بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى اخذوا تارة فى دُبّة وتارة فى دُبّة وهى الطريقة لَا إِلَىٰ هٰؤُلَآءِ وَلَا إِلَىٰ هٰؤُلَآءِ لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلّيّة وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا الى الحقّ والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل اللّه له نورا فما له من نور (١٤٣) يا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فانّه صنيع المنافقين وديدنهم فلا جزء ٥
تتشبّهوا بهم أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا حجّة بيّنة فانّ موالاتهم دليل على النفاق ركوع ١٨
او سلطانا يسلّط عليكم عقابه (١٤٤) إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ هو الطبقة الّتى فى قعر جهنّم
وانّما كان كذلك لانّهم اخبث الكفرة اذ ضمّوا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله
عم ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه فهو منافق وان صام وصلّى وزعم انّه مسلم من اذا حدّث كذب واذا وعد اخلف
واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ ، وانّما سمّيت طبقاتها السبع دركات لانّها
متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيّون بسكون الراء وهو لغة كالسَّطْر والسَّطَر والتحريك
أَوجه لانّه يُجمع على أَدراك وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا يُخرجهم منه (١٤٥) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا عن النفاق وَأَصْلَحُوا
ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم فى حال النفاق وَٱعْتَصَمُوا بِٱللَّهِ وثقوا به وتمسّكوا بدينه وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ
لا يريدون بطاعتهم الّا وجهه فَأُولَٰئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ومن عدادهم فى الدارين وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ
أَجْرًا عَظِيمًا فيساهمونهم فيه (١٤٦) مَا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ اتتشفّى به غيظا او يدفع
ضرّا او يستجلب نفعا وهو الغنىّ المتعالى عن النفع والضرّ وانّما يعاقب المُصِرّ بكفره لانّ اصراره عليه كسوء
مزاج يؤدّى الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونقّى عنه نفسه تخلّص من تبعته وانّما قدّم الشكر
لانّ الناظر يُدرك النعمة اوّلا فيشكر شكرا مُبهما ثمّ يُمعن النظر حتّى يعرف المُنعم فيؤمن به
وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا مُثيبا يقبل اليسير ويعطى الجزيل عَلِيمًا بحقّ شكركم وايمانكم (١٤٧) لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ جزء ٦
ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ الّا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلّم منه روى انّ رجلا ركوع ١
ضاف قوما فلم يُطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت ، وقرئ مَن ظَلَمَ على البناء للفاعل فيكون
الاستثناء منقطعا اى ولكن الظالم يفعل ما لا يحبّه اللّه وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا لكلام المظلوم عَلِيمًا بالظالم
(١٤٨) إِن تُبْدُوا خَيْرًا طاعة او برّا أَوْ تُخْفُوهُ او تفعلوه سرّا أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ لكم المؤاخذة عليه وهو
المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيبٌ له ولذلك رتّب عليه فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا اى يُكثر
العفو عن العُصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم أَولى بذلك وهو حثّ المظلوم على العفو بعد ما رُخّص
له فى الانتصار حملا على مكارم الاخلاق (١٤٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ
وَرُسُلِهِ بأن يؤمنوا باللّه ويكفروا برسله وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ نؤمن ببعض الانبياء ونكفر
ببعضهم وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحقّ لا
يختلف فانّ الايمان باللّه انّما يتمّ بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكفر
ببعض ذلك كالكفر بالكلّ فى الضلال كما قال تعالى فما ذا بعد الحقّ الّا الضلال (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ

هم الكاملون فى الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حَقًّا مصدر مؤكّد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم جزء ٦
ٱلَّذِينَ كفروا كفرا حقّا اى يقينا محقّقا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ ركوع ١
وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ اضدادُهم ومقابلوهم ، وانّما دخل بَيْنَ على أَحَد وهو يقتضى متعدّدا لعمومه
من حيث انّه وقع فى سياق النفى أُولَٰئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ الموعودة لهم وتصديره بسَوْفَ لتأكيد
الوعد والدلالة على انّه كائن لا محالة وإنْ تأخّر ، وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على
تلوين الخطاب وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا لما فرط منهم رَحِيمًا عليهم بتضعيف حسناتهم (١٥٢) يَسْأَلُكَ أَهْلُ ركوع ٢
ٱلْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ نزلت فى احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فأتنا بكتاب من
السماء جملةً كما اتى به موسى عم وقيل كتابا محرّرا بخطّ سماوىّ على الواح كما كانت التورية او
كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا بأعياننا بانّك رسول الله فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ
جوابُ شرط مقدّر اى ان استكبرتَ ما سألوه منك فقد سألوا موسى عم اكبر منه وهذا السؤال وإن
كان من آبائهم أُسْنِد اليهم لانّهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهَدْيهم والمعنى انّ عرقهم راسخ فى
ذلك وانّ ما اقترحوا عليك ليس بأوّل جهالاتهم وخيالاتهم فَقَالُوا أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً عيانا اى أرناه نَرَهْ جهرة
او مجاهرين معاينين له فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّاعِقَةُ نار جاءت من السماء فاهلكتهم بِظُلْمِهِمْ بسبب ظلمهم
وهو تعنّتهم وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحال الّتى كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناعَ الرؤية مُطْلَقا
ثُمَّ ٱتَّخَذُوا ٱلْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ هذه الجناية الثانية الّتى اقترفها ايضا اوائلهم ، والبيّنات
المعجزات ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تأتهم بعدُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا
تسلّطا ظاهرا عليهم حين امرهم بأن يقتلوا انفسهم توبةً عن اتّخاذهم (١٥٣) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ
بسبب ميثاقهم ليقبلوه وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّدًا على لسان موسى والطور مُطلّ عليهم وَقُلْنَا لَهُمْ لَا
تَعْدُوا فِي ٱلسَّبْتِ على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظُلّل عليهم الجبل فانّه شَرَع
السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به فى زمان داود ، وقرأ ورش عن نافع لَا تَعَدُّوا على انّ اصله لا
تَعْتَدُوا فادغمت التاء فى الدال وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنصّ عنه بالاسكان
وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا (١٥٤) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ اى فخالفوا
ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلّقة بالفعل المحذوف ويجوز ان
تتعلّق بحرّمنا عليهم طيّبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عُطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دلّ
عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يومنون لانّه ردّ لقولهم قلوبنا غلف فيكونُ من صلة وقولهم
المعطوف على المجرور فلا يعمل فى جارّه وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ ٱللَّهِ بالقران او بما فى كتابهم وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ
حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ أوعية للعلوم او فى أكنّة ممّا تدعونا اليه بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فجعلها

جزء ٦ محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبّر فى الآيات والتذكّر بالمواعظ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا
ركوع ٣ منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ بعيسى وهو معطوف على
بكفرهم لانّه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموعُ هذا وما عُطف عليه
على مجموع ما قبله ويكونَ تكريرُ ذكر الكفر ايذانا بتكرّر كفرهم فانّهم كفروا بموسى ثمّ بعيسى ثمّ
بمحمّد عليهم الصلوة والسلام وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا يعنى نسبتها الى الزنا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا
قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ بزعمه ويحتمل انّهم قالوه استهزاء ونظيره إنّ رسولكم الّذى
أُرسل اليكم لمجنونٌ وأن يكون استينافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكانَ ذكرهم القبيح
وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ روى انّ رهطا من اليهود سبّوه وأُمّه فدعا عليهم فمسخهم الله
قردة وخنازير فاجمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانّه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايّكم يرضى ان يُلقى
عليه شبهى فيُقتَل ويُصْلَب ويدخل الجنّة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقُتل وصُلب وقيل كان
رجل ينافقه فخرج ليدلّ عليه فالقى الله عليه شبهه فأُخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس اليهوديّ بيتا
كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فخرج فظنّ انّه عيسى فأُخذ وصلب وامثال ذلك من
الخوارق الّتى لا تُستبعد فى زمان النبوّة وانّما ذمّهم الله بما دلّ عليه الكلام من جُرْأتهم على الله وقصدهم
قتلَ نبيّه المؤيّد بالمعجزات الباهرة وتبجّحهم به لا بقولهم هذا على حَسَب حِسْبانهم ، وشُبِّهَ مُسْنَدٌ الى
الجارّ والمجرور كانّه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او فى الامر على قولِ من قال لم يُقتَل
احد ولكن أُرجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انّا قتلنا على انّ ثمّه مقتولا
وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ فى شأن عيسى فانّه لمّا وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود
انّه كان كاذبا فقتلناه حقّا وتردّد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وقال بعضهم
الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه انّ الله يرفعنى الى السماء رُفع الى السماء
وقال قوم صُلب الناسوت وصَعد اللاهوت لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ لفى تردّد والشكّ كما يُطْلَق على ما لا يترجّح
احد طَرَفَيْه يطلق على مُطلَق التردّد وعلى ما يقابل العلمَ ولذلك اكّده بقوله مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا
اتِّبَاعَ الظَّنِّ استثناء منقطع اى ولكنّهم يتّبعون الظنّ ويجوز ان يفسّر الشكّ بالجهل والعلم بالاعتقاد
الّذى تسكن اليه النفوس جزما كان او غيره فيتّصل الاستثناء وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا قتلا يقينا كما زعموه
بقولهم انّا قتلنا المسيح او متيقّنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله

كذاك تُخبر عنها العالمات بها وقد قتلتُ بعلمى ذلكم يَقَنا

من قولهم قَتَلْتُ الشيء علما ونَحَرْتُه علما اذا تبالغ علمك فيه بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ردّ وانكار لقتله واثبات
لرفعه وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا لا يُغلَب على ما يريده حَكِيمًا فيما دبّره لعيسى (١٥٧) وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا
لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ اى وإنْ من اهل الكتاب احدٌ الّا ليؤمننّ به فقوله ليؤمننّ به جملة قسميّة وقعت

صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمننّ بانّ جزء ٦
عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيّد ذلك ان قرئ الّا ركوع ٢
لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ بضمّ النون لانّ احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة
الايمان به قبل ان يضطرّوا اليه ولا ينفعهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انّه اذا نزل من السماء
آمن به اهل الملل جميعا روى انّه ينزل من السماء حين يخرج الدجّال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل
الكتاب الّا يؤمن به حتّى تكون الملّة واحدة وهي ملّة الاسلام وتقع الأَمَنة حتّى يرتع الأُسود مع الابل
والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيّات ويلبث في الارض اربعين سنة ثمّ يتوفّى
ويصلّي عليه المسلمون ويدفنونه وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى
النصارى بانّهم دعوه ابن الله (١٥٨) فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا فبأيّ ظلم منهم حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ
يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرّمنا وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ناسا كثيرا او صدّا كثيرا
(١٥٩) وَأَخْذِهِمُ الرِّبٰوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ كان الربوا محرّما عليهم كما هو محرّم علينا ، وفيه دليل على دلالة النهي
على التحريم وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ بالرشوة وسائر الوجوه المحرّمة وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا
دون من تاب وآمن (١٦٠) لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ كعبد الله بن سلام واصحابه وَالْمُؤْمِنُونَ اي
منهم او من المهاجرين والانصار يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ خبر المبتدأ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلٰوةَ
نصب على المدح إن جُعل يؤمنون الخبر لا اولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي
يؤمنون بالكتب والانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انّه مبتدأ
والخبر اولئك سنؤتيهم وَالْمُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ رفعه لاحد الأَوجه المذكورة وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
قدّم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدّقه من اتّباع الشرائع لانّه المقصود بالآية أُولٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا
عَظِيمًا على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح ، وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء (١٦١) إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ركوع ٣
كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ جوابٌ لاهل الكتاب عن اقتراحهم أن ينزل عليهم كتابا من السماء
واحتجاجٌ عليهم بأنّ امره في الوحي كسائر الانبياء وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهٰرُونَ وَسُلَيْمَانَ خصّهم بالذكر مع اشتمال النبيّين عليهم تعظيما
لهم فانّ ابرهيم اوّل أُولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشراف الانبياء ومشاهيرهم وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا
وقرأ حمزة زُبُورًا بالضمّ وهو جمع زِبْر بمعنى مزبور (١٦٢) وَرُسُلًا نصب بمضمر دلّ عليه اوحينا اليك كأرسلنا
او فسّره قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ اي من قبل هذه السورة او اليوم وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ
اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا وهو منتهى مراتب الوحي خصّ به موسى من بينهم وقد فضّل الله محمّدا صلعم

جزء ٦
ركوع ٣

بأن اعطاه مثل ما اعطى كلّ واحد منهم (١٦٣) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطّئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبّهنا ويعلّمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على انّ بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكلّ عن ادراك جزئيّات المصالح والاكثر عن ادراك كلّيّاتها ، واللام متعلّقة بارسلنا او بقوله مبشّرين ومنذرين ، وحجّة اسم كان وخبره للناس او على اللّه والآخر حالٌ ولا يجوز تعلّقه بحجّة لانّه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا لا يغلب فيما يريده حَكِيمًا فيما دبّر من امر النبوّة وخصّ كلّ نبيّ بنوع من الوحي والاعجاز (١٦٤) لَٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ استدراك عن مفهوم ما قبله وكانّه لمّا تعنّتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتجّ عليهم بقوله انّا اوحينا اليك قال انّهم لا يشهدون ولكن اللّه يشهد او انّهم انكروه ولكن اللّه يثبته ويقرّره بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ من القران المعجز الدالّ على نبوّتك روى انّه لمّا نزل انّا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ انزله ملتبسا بعلمه الخاصّ به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كلّ بليغ او بحال من يستعدّ للنبوّة ويستأهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الّذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم والجارّ والمجرور على الاوّلين حال عن الفاعل وعلى الثالث حال عن المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها وَٱلْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ايضا بنبوّتك وفيه تنبيه على انّهم يودّون أن يعلموا صحّة دعوى النبوّة على وجه يستغنى عن النظر والتأمّل وهذا النوع من خواصّ الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوّتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا اى وكفى بما اقام من الحجج على صحّة نبوّتك عن الاستشهاد بغيره (١٦٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا لانّهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولانّ المضلّ يكون أغرق فى الضلال وابعد من الانقلاع عنه (١٦٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا محمّدا صلعم بانكار نبوّته او الناس بصدّهم عمّا فيه صلاحهم وخلاصهم او بأعمّ من ذلك ، والآية تدلّ على انّ الكفّار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٧) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على انّ من مات على كفره فهو خالد فى النار ، وخالدين حال مقدّرة وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا لا يصعب عليه ولا يستعظمه (١٦٨) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ لمّا قرّر امر النبوّة وبيّن الطريق الموصّل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامّة بالدعوة والزام الحجّة والوعد بالاجابة والوعيد على الردّ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ اى ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم ممّا انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريّون لانّ كان لا يحذف مع اسمه الّا فيما لا بدّ منه ولانّه يؤدّى الى حذف الشرط

جزء ٦ ركوع ٣

وجوابه وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يعنى وان تكفروا فهو غنىّ عنكم لا يتضرّر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبّه على غناه بقوله للّه ما فى السموات والارض وهو يعمّ ما اشتملتا عليه وما تركّبتا منه وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا باحوالهم حَكِيمًا فيما دبّر لهم (١٦٩) يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ الخطاب للفريقين غلت اليهود فى حطّ عيسى حتّى رموه بانّه وُلد لغير رشدة والنصارى فى رفعه حتّى اتّخذوه الها وقيل للنصارى خاصّة فانّه اوفق لقوله وَلَا تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ يعنى تنزيهه عن الصاحبة والولد إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ اوصلها اليها وحصّلها فيها وَرُوحٌ مِنْهُ وذو روح صدر منه لا بتوسّط ما يجرى مجرى الاصل والمادّة له وقيل سمّى روحا لانّه كان يُحيى الاموات او القلوب فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ اى الآلهة ثلاثة اللّه والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أانت قلت للناس اتّخذونى وامّى إلٰهين من دون اللّه او اللّه ثلاثة ان صحّ انّهم يقولون اللّه ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة ٱنْتَهُوا عن التثليث خَيْرًا لَكُمْ نصبه كما سبق إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ اى واحد بالذات لا تعدّد فيه بوجه ما سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ اسبّحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانّه يكون لمن يعادله مثل ويتطرّق اليه فناء لَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ خلقا وملكا لا يماثله شىء من ذلك فيتّخذه ولدا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا تنبيه على غناه عن الولد فانّ الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه واللّهُ سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف فى ذلك مستغنٍ عمّن يخلفه او يعينه

ركوع ٤

(١٧٠) لَنْ يَسْتَنْكِفَ ٱلْمَسِيحُ لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحّيته باصبعك كيلا يُرى اثره عليك أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ من ان يكون عبدا له فانّ عبوديّته شرف يُتباهى به وانّما المذلّة والاستنكاف فى عبوديّة غيره روى انّ وفد نجران قالوا لرسول اللّه لِمَ تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واىّ شىء اقول قالوا تقول انّه عبد اللّه قال انّه ليس بعار ان يكون عبدا للّه قالوا بلى فنزلت وَلَا ٱلْمَلَائِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقرّبون ان يكونوا عبيدا للّه واحتجّ به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لردّ النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبوديّة وذلك يقتضى ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتّى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه انّ الآية للردّ على عَبَدة المسيح والملائكة فلا يتّجه ذلك وان سُلّم اختصاصها بالنصارى فلعلّه اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الاميرُ لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقرّبين من الملائكة وهم الكرّوبيّون الّذين حول العرش او مَنْ هو اعلى منهم رتبةً من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضلَ احد الجنسَين على الآخر مطلقا والنزاعُ فيه (١٧١) وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ يترفّع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانّما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبّر فانّه قد يكون باستحقاق فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا فيجازيهم (١٧٢) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ

جزء ۶ ركوع ۴

فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنْكَفُوا وَٱسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (۱۷۳) وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا تفصيل للمجازاة العامّة المدلول عليها من فحوى الكلام فكانّه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فانّ اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغمّ والحسرة (۱۷۴) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القران اى قد جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علّة وقيل البرهان الدين او الرسول او القران فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللّٰهِ وَٱعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ ثواب قدّره بازاء ايمانه وعمله رحمةً منه لا قضاء لحقّ واجب وَفَضْلٍ احسان زائد عليه وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ الى اللّه وقيل الى الموعود صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنّة فى الآخرة (۱۷۵) يَسْتَفْتُونَكَ اى فى الكلالة حذفت لدلالة الجواب عليها روى انّ جابر بن عبد اللّه كان مريضا فعاده رسول اللّه فقال انّى كلالة فكيف اصنع فى مالى فنزلت وهى آخر ما نزل من الاحكام قُلِ ٱللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَالَةِ سبق تفسيرها اوّل السورة إِنِ ٱمْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ارتفع امرؤ بفعل يفسّره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال عن المستكنّ فى هلك والواو فى وله يحتمل الحال والعطف ، والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانّه جعل اخوها عَصَبة وابنُ الامّ لا يكون عَصَبة ، والولد على ظاهره فانّ الاخت وان ورثت مع البنت عند عامّة العلماء غير ابن عبّاس لكنّها لا ترث النصف وَهُوَ يَرِثُهَا اى والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع ما لها والّا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ ، والآية كما لم تدلّ على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدلّ على عدم سقوطهم به وقد دلّت السنّة على انّهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله قل اللّه يفتيكم فى الكلالة ان فسّرت بالميّت فَإِنْ كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ الضمير لمن يرث بالاخوّة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على انّ الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنْثَيَيْنِ اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلّب الذكر يُبَيِّنُ ٱللّٰهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا اى يبيّن لكم ضلالكم الّذى من شأنكم اذا خلّيتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحرّوا خلافه او يبيّن لكم الحقّ والصواب كراهة أنْ تضلّوا وقيل لئلّا تضلّوا فحذف لا وهو قول الكوفيّين وَٱللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فهو عالم بمصالح العباد فى المَحْيا والممات ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة النساء فكأنّما تصدّق على كلّ مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا وأُعطى من الاجر كمن اشترى محرّرا وبرئ من الشرك وكان فى مشيئة اللّه من الّذين يتجاوز عنهم ٭

سُورَةُ ٱلْمَائِدَةِ

مدنيّة وآيها مائة وعشرون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِٱلْعُقُودِ الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء ، والعقد العهد الموثّق قال الحُطَيْئَة جزء ٦ ركوع ٥

قوم اذا عقدوا عَقْدًا لجارهم شَدّوا العِناجَ وشَدّوا فوقه الكَرَبَا

وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعلّ المراد بالعقود ما يعمّ العقود الّتى عقدها اللّٰه على عباده والزمها ايّاهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها ممّا يجب الوفاء به او يَحْسُن إنْ حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والنَّدْب أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَامِ تفصيل للعقود ، والبهيمة كلّ حىّ لا يميّز وقيل كلّ ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوبُ خَزٍّ ومعناه البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية وأُلحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما ممّا يماثل الانعام فى الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ الّا محرَّمَ ما يتلى عليكم كقوله تعالى حُرِّمت عليكم الميتة او الّا ما يتلى عليكم تحريمه غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ حال من الضمير فى لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسّفٌ ، والصيد يحتمل المصدر والمفعول وَأَنْتُمْ حُرُمٌ حال عمّا استكنّ فى مُحلّى ، والحُرُم جمع حَرام وهو المُحْرِم إِنَّ ٱللّٰهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ من تحليل او تحريم (٢) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ ٱللّٰهِ يعنى مناسك الحجّ جمع شعيرة وهى اسم ما أُشْعِرَ اى جعل شعارا سمّى به اعمال الحجّ ومواقفه لانّها علامات الحجّ واعلام النسك وقيل دين اللّٰه لقوله ومن يعظّم شعائر اللّٰه اى دينه وقيل فرائضه الّتى حدّها لعباده وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ بالقتال فيه او النسىء وَلَا ٱلْهَدْيَ ما أُهْدِى الى الكعبة جمع هَدْيَة كجَدْى جمع جَدْيَة السَّرْجِ وَلَا ٱلْقَلَائِدَ اى ذوات القلائد من الهَدْى وعطفها على الهدى للاختصاص فانّها اشرف الهَدْى او القلائد انفسها والنهىُ عن احلالها مبالغة فى النهى عن التعرّض للهَدْى ونظيره قوله تعالى ولا يُبْدِين زينتَهنّ والقلائد جمع قِلادة وهى ما قُلّد به الهَدْى من نَعْل او لحاء شجرٍ او غيرهما ليُعْلَم به انّه هَدْىٌ فلا يُتعرّض له وَلَا آمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قاصدين لزيارته يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ان يُثيبهم ويرضى عنهم والجملة فى موضع الحال من المستكنّ فى آمّين وليست صفة له لانّه عامل والمختار انّ اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرّض من هذا شأنه والتنبيهُ على المانع له وقيل معناه يبتغون من اللّٰه رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روى انّ الآية نزلت عام القضيّة فى حُجّاج اليمامة لمّا همّ المسلمون ان يتعرّضوا لهم بسبب انّه كان

جزء ٦ ركوع ٥ فيهم الحُطَم بن شُرَيح بن ضُبَيعة وكان قد استاق سَرْح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة ، وقرئ تَبْتَغُونَ على خطاب المؤمنين (٣) وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا اذنٌ فى الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من إرادة الاباحة ههنا من الأمر دلالةُ الأمر الآتى بعد الحظر على الاباحة مطلقا ، وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدّا وقرئ أَحْلَلْتُمْ يقال حلّ المُحْرِمُ وأحلّ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ولا يحملنّكم او لا يكسبنّكم شَنَآنُ قَوْمٍ شدّة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عيّاش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدرٌ كلَيّان او نعتٌ بمعنى بغيضُ قوم وفَعْلان فى النعت اكثر أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ لأن صدّوكم عنه عامَ الحُدَيْبِيَة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انّه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنّكم أَنْ تَعْتَدُوا بالانتقام وهو ثانى مفعولى يجرمنّكم فانّه يعدّى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يُجْرِمَنَّكُمْ بضمّ الياء جعله منقولا من المتعدّى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ للتشفّى والانتقام وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ فانتقامه اشدّ (٤) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ بيان ما يتلى عليكم ، والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية وَٱلدَّمُ اى الدم المسفوح لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهليّة يصبّونه فى الأمعاء ويشوونها وَلَحْمُ ٱلْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ اى رُفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزّى عند ذبحه وَٱلْمُنْخَنِقَةُ التى ماتت بالخنق وَٱلْمَوْقُوذَةُ المضروبة بنحو خشب او حجر حتّى ماتت من وَقَذْته اذا ضربته وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ التى تردّت من علو او فى بئر فماتت وَٱلنَّطِيحَةُ التى نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وَمَا أَكَلَ ٱلسَّبُعُ اى وما اكل منه السبع فمات وهو يدلّ على انّ جوارح الصيد اذا اكلت ممّا اصطادته لم يحلّ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ الّا ما ادركتم ذكاته وفيه حيوةٌ مستقرّةٌ من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع ، والذكوة فى الشرع بقطع الحلقوم والمَرىء بمحدّد وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ واحد الانصاب وهى احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدّون ذلك قُرْبة وقيل هى الاصنام وعَلَى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمّى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نِصاب وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِٱلْأَزْلَامِ اى وحرّم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انّهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوبٌ على احدها امرنى ربّى وعلى الآخر نهانى ربّى والثالث غُفْل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهى تجنّبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلبُ معرفة ما قُسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زَلَم كجَمَل وزُلَم كصُرَد ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانّه دخول فى علم الغيب وضلالٌ باعتقادِ انّ ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربّى الله وجهالة

جزء ٦ وشركٍ لن اريد به التصنم او الميسر المحرّم او الى تناولِ ما حُرّم عليهم ٱلْيَوْمَ لم يُرد به يوما بعينه وانّما اراد
ركوع ٥ الزمان الحاضر وما يتّصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة
حجّة الوداع يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او
من ان يغلبوكم عليه فَلَا تَخْشَوْهُمْ ان يظهروا عليكم وَٱخْشَوْنِ واخلصوا الخشية لى (٥) ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
٥ دِينَكُمْ بالنصر والاظهار على الاديان كلّها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع
وقوانين الاجتهاد وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكّة وهدم
منار الجاهليّة وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير
فَمَنِ ٱضْطُرَّ متّصل بذكر المحرّمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنّب عنها وهو انّ تناولها فسوق
وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامّة والاسلام المرضىّ والمعنى فمن اضطرّ الى تناول شىء من
١٠ هذه المحرّمات فِى مَخْمَصَةٍ مجاعة غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ غير مائل له ومنحرف اليه بأن يأكلها تلذّذا او
مجاوزا حدّ الرخصة كقوله غير باغٍ ولا عادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لا يؤاخذه باكله (٦) يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ
لمّا تضمّن السؤال معنى القول أوقع على الجملة ، وقد سبق الكلام فى ما ذا ، وانّما قال لهم ولم يقل لنا
على الحكاية لانّ يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ فى امثاله ، والمسئول ما احلّ لهم من المطاعم
كانّهم لمّا تلى عليهم ما حُرّم عليهم سألوا عمّا احلّ لهم قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَاتُ ما لم تستخبثه الطباع
١٥ السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حُرْمُ مستخبثات العرب او ما لم يدلّ نصّ ولا قياس على حرمته
وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ عطفٌ على الطيّبات ان جُعل مَا موصولة على تقدير وصيدُ ما علّمتم وجملةٌ
شرطيّةٌ ان جُعلت شرطا وجوابها فكلوا ، والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع
والطير مُكَلِّبِينَ معلّمين ايّاه الصيد والمكلّب مؤدّب الجوارح ومضرّيها بالصيد مشتقّ من الكلب لانّ
التأديب يكون اكثر فيه وآثر او لانّ كلّ سبع يسمّى كلبا لقوله صلعم اللّهمّ سلّط عليه كلبا من
٢٠ كلابك وانتصابه على الحال من علّمتم وفائدتها المبالغة فى التعليم تُعَلِّمُونَهُنَّ حال ثانية او استيناف
مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ من الحِيَل وطُرق التأديب فانّ العلم بها الهامٌ من الله او مكتسبٌ بالعقل الّذى هو
منحة منه او ممّا علّمكم ان تعلّموه من اتّباع الصيد بإرسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه
ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وهو ما لم يأكل منه لقوله عم لعدىّ بن
حاتم وان اكل منه فلا تأكل انّما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يُشترط
٢٥ ذلك فى سباع الطير لانّ تأديبها الى هذا الحدّ متعذّر وقال آخرون لا يُشترط مطلقا وَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ
الضمير لما علّمتم والمعنى سمّوا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سمّوا عليه اذا ادركتم ذكاته
وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ فى محرّماته إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ فيؤاخذكم بما جلّ ودقّ (٧) ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَاتُ

جزء ٦ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ يتناول الذبائح وغيرها ويعمّ ٱلّذين اوتوا الكتاب اليهود
ركوع ٥ والنصارى واستثنى عليّ رضه نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانيّة ولم يأخذوا منها الّا شرب الخمر ولا يُلْحَق بهم المجوس فى ذلك وان الحقوا بهم فى التقرير على الجزية لقوله عم سُنّوا بهم سُنّة اهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ فلا عليكم أن تُطْعِموهم وتبيعوه منهم ولو حُرّم عليهم لم يجُز ذلك وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ الحرائر او العفائف وتخصيصهنّ بعث على ما هو الاولى وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وان كنّ حربيّات وقال ابن عبّاس لا تحلّ الحربيّات إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مهورهنّ وتقييد الحلّ بايتائها لتأكيد وجوبها والحثّ على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها مُحْصِنِينَ اعفّاء بالنكاح غَيْرَ مُسَافِحِينَ مجاهرين بالزنا وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ مسرّين به والخِدْن الصديق يقع على الذكر والانثى وَمَنْ يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي
ركوع ٦ ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه (٨) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلٰوةِ اى اذا اردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم عبّر عن ارادة الفعل بالفعل المسبّب عنها للايجاز والتنبيه على انّ من اراد العبادة ينبغى ان يبادر اليها بحيث لا ينفكّ الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لانّ التوجّه الى الشيء والقيام اليه قصدٌ له ٬ وظاهر الآية يوجب الوضوء على كلّ قائم الى الصلوة وان لم يكن مُحْدِثا والاجماع على خلافه لما روى انّه عم صلّى الخمس بوضوء واحد يومَ الفتح فقال عمر رضه صنعتَ شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلتُه فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اوّل الامر ثمّ نُسخ وهو ضعيف لقوله عم المائدة من آخر القران نزولا فأحلّوا حلالها وحرّموا حرامها فَٱغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ أمرّوا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ الجمهور على دخول المرفقين فى المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوّة الى قوّتكم او متعلّقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافةً الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيدُ فائدة لانّ مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا وأمّا دخولها فى الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانّما يُعلَم من خارج ولم يكن فى الآية وكانت الايدى متناولة لها فحُكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انّها تفيد الغاية تقتضى خروجها والّا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثمّ اتمّوا الصيام الى الليل لكن لمّا لم يتميّز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطا وَٱمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانّه الفارق بين قولك مسحت المنديلَ ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال انّها تدلّ على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانّه قيل وألصقوا

المسح برءوسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رءوسكم فانّه كقوله واغسلوا وجوهكم ، واختلف العلماء فى قدر الواجب فاوجب الشافعىّ اقلّ ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مَسْحَ رُبع الرأس لانّه عم مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مَسْحَ كلّه اخذا بالاحتياط وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائىّ ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيّده السُنّةُ الشائعةُ وعملُ الصحابة وقولُ اكثر الائمّة والتحديدُ اذ المسح لم يحدّ وجرّه الباقون على الجوار ونظيرُه كثير فى القران والشعر كقوله تعالى عذابُ يومٍ اليمِ وحورٍ عينٍ بالجرّ فى قراءة حمزة والكسائىّ وقولِهم جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ وللنحاة باب فى ذلك وفائدتُه التنبيه على انّه ينبغى ان يقصد فى صبّ الماء عليها وتغسل غسلا يقرب من المسح وفى الفصل بينه وبين اخويه ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة (٩) وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا فاغتسلوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ سبق تفسيره ولعلّ تكريره ليتّصل الكلام فى بيان انواع الطهارة مَا يُرِيدُ ٱللّٰهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ اى ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمّم تضييقا عليكم وَلٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ لينظّفكم او ليطهّركم عن الذنوب فانّ الوضوء تكفير للذنوب او ليطهّركم بالتراب اذا اعوزكم التطهّر بالماء فمفعولُ يريد فى الموضعين محذوف واللام للعلّة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد اللّه ان يجعل عليكم من حَرَجٍ حتّى لا يرخّص لكم فى التيمّم ولكن يريد ان يطهّركم وهو ضعيف لانّ أَنْ لا تُقدّر بعد المزيدة وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ليتمّ بشرعه ما هو مَطْهَرة لابدانكم ومَكْفَرة لذنوبكم نعمتَه عليكم فى الدين او ليتمّ برُخَصه انعامه عليكم بعزائمه لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعمتَه ، والآية مشتملة على سبعة امور كلّها مَثْنَى ١ طهارتان اصل وبدل ٢ والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب ٣ وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح ٤ وباعتبار المحلّ محدود وغير محدود ٥ وانّ آلتهما مائع وجامد ٦ وموجبهما حدث اصغر واكبر ٧ وانّ المُبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وانّ الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة (١٠) وَٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللّٰهِ عَلَيْكُمْ بالاسلام لتذكّركم المنعم وترغّبكم فى شكره وَمِيثَاقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا يعنى الميثاق الّذى اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول اللّه على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان وَٱتَّقُوا ٱللّٰهَ فى انساء نعمته ونقض ميثاقه إِنَّ ٱللّٰهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ اى بخفيّاتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليّات اعمالكم (١١) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا عدّاه بعلى لتضمّنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنّكم شدّة بغضكم للمشركين

جزء ٦
ركوع ٦

جزء ٦ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ يتناول الذبائح وغيرها ويعمّ ٱلّذين اوتوا الكتاب اليهود
ركوع ٥ والنصارى واستثنى علىّ رضه نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانيّة ولم يأخذوا منها الّا شرب الخمر
ولا يُلْحَق بهم المجوس فى ذلك وان الحقوا بهم فى التقرير على الجزية لقوله عم سُنّوا بهم سُنّة اهل الكتاب
غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ فلا عليكم أن تُطعِموهم وتبيعوه منهم
ولو حُرّم عليهم لم يَجُز ذلك وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ الحرائر او العفائف وتخصيصهنّ بعث على ما هو
الاولى وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وان كنّ حربيّات وقال ابن عبّاس لا تحلّ
الحربيّات إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مهورهنّ وتقييد الحلّ بايتائها لتأكيد وجوبها والحثّ على الاولى
وقيل المراد بايتائها التزامها مُحْصِنِينَ اعفّاء بالنكاح غَيْرَ مُسَافِحِينَ مجاهرين بالزنا وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ
مسرّين به والخِدْن الصديق يقع على الذكر والانثى وَمَنْ يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي
ركوع ٦ ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه (٨) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ
آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ اى اذا اردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم عبّر عن ارادة الفعل بالفعل المسبّب عنها للايجاز والتنبيه على انّ من اراد العبادة ينبغى ان
يبادر اليها بحيث لا ينفكّ الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لانّ التوجّه الى الشىء والقيام اليه
قصدٌ له ، وظاهر الآية يوجب الوضوء على كلّ قائم الى الصلوة وان لم يكن مُحْدِثا والاجماع على خلافه
لما روى انّه عم صلّى الخمس بوضوء واحد يومَ الفتح فقال عمر رضه صنعتَ شيئا لم تكن تصنعه فقال
عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب
وقيل كان ذلك اوّل الامر ثمّ نُسِخ وهو ضعيف لقوله عم المائدة من آخر القرآن نزولا فأَحِلّوا حلالها
وحرّموا حرامها فَٱغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ أَمِرّوا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ
الجمهور على دخول المرفقين فى المغسول ولذلك قيل إِلَى بمعنى مَع كقوله تعالى ويزدكم قوّة الى قوّتكم او
متعلّقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافةً الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره
مزيدُ فائدة لانّ مطلق اليد يشتمل عليها وقيل إِلَى تُفيد الغاية مطلقا وأمّا دخولها فى الحكم او
خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانّما يُعلَم من خارج ولم يكن فى الآية وكانت الايدى متناولة لها فحُكِم
بدخولها احتياطا وقيل إِلَى من حيث انّها تفيد الغاية تقتضى خروجها والّا لم تكن غاية كقوله فَنَظِرَةٌ
الى ميسرة وقوله ثمّ اتمّوا الصيام الى الليل لكن لمّا لم يتميّز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها
احتياطا وَٱمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانّه الفارق بين قولك مسحت المنديل
ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال انّها تدلّ على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانّه قيل والصقوا

 ٦

المسح برءوسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا [illegible] ٧
وجوهكم ، واختلف العلماء فى قدر الواجب فاوجب الشافعى اقل ما يقع عليه الاسم [illegible]
وابو حنيفة مسح ربع الرأس لانه عم مسح على ناصيته وهو قريب من الربع [illegible]
بالاحتياط وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب عطفا على [illegible]
ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد [illegible]
على الجوار ونظيره كثير فى القران والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين [illegible]
حمزة والكسائى وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب فى ذلك وفائدته التنبيه على [illegible]
يقصد فى صب الماء عليها وتغسل غسلا يقرب من المسح وفى الفصل بينه وبين اخويه [illegible]
الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة (٩) وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ فاغتسلوا وَإِن [illegible]
عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا [illegible]
فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام فى بيان انواع [illegible]
مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ اى ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم
وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم
بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد فى الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى
ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم فى التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو
ضعيف لان أن لا تقدر بعد المزيدة وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة
لذنوبكم نعمته عليكم فى الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعمته ، والآية
مشتملة على سبعة امور كلها مثنى ١ طهارتان اصل وبدل ٢ والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب
٣ وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح ٤ وباعتبار المحل محدود وغير محدود ٥ وان آلتهما مائع
وجامد ٦ وموجبهما حدث اصغر واكبر ٧ وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود
عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة (١٠) وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم
فى شكره وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا يعنى الميثاق الذى اخذه على المسلمين حين
بايعهم رسول الله على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة
الرضوان وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ فى انساء نعمته ونقض ميثاقه إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ اى بخفياتها فيجازيكم
عليها فضلا عن جليات اعمالكم (١١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمش

جزء ٦ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ يتناول الذبائح وغيرها ويعمّ الذين اوتوا الكتاب اليهود
ركوع ٥ والنصارى واستثنى علىّ رضه نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانيّة ولم يأخذوا منها الّا شرب الخمر ولا يُلْحَق بهم المجوس فى ذلك وان الحقوا بهم فى التقرير على الجزية لقوله عم سُنّوا بهم سُنّةَ اهل الكتاب غير ناكِحى نسائهم ولا آكِلى ذبائحهم وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ فلا عليكم أن تُطْعِموهم وتبيعوه منهم ولو حُرّم عليهم لم يَجُزْ ذلك وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ الحرائر او العفائف وتخصيصهنّ بعث على ما هو الاولى وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وان كنّ حربيّات وقال ابن عبّاس لا تحلّ الحربيّات إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مهورهنّ وتقييد الحلّ بايتائها لتأكيد وجوبها والحثّ على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها مُحْصِنِينَ اعفّاء بالنكاح غَيْرَ مُسَافِحِينَ مجاهرين بالزنا وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ مسرّين به والخِدْن الصديق يقع على الذكر والانثى وَمَنْ يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي
ركوع ٦ ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه (٨) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلٰوةِ اى اذا اردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذْ بالله من الشيطان الرجيم عبّر عن ارادة الفعل بالفعل المسبّب عنها للايجاز والتنبيه على انّ من اراد العبادة ينبغى ان يبادر اليها بحيث لا ينفكّ الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لانّ التوجّه الى الشىء والقيام اليه قصدٌ له ، وظاهر الآية يوجب الوضوء على كلّ قائم الى الصلوة وان لم يكن مُحْدِثا والاجماعُ على خلافه لما روى انّه عم صلّى الخمس بوضوء واحد يومَ الفتح فقال عمر رضه صنعتَ شيئًا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلتُه فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اوّل الامر ثمّ نُسِخ وهو ضعيف لقوله عم المائدة من آخر القران نزولا فأحِلّوا حلالها وحرّموا حرامها فَٱغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ أمِرّوا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ الجمهور على دخول المرفقين فى المغسول ولذلك قيل إلى بمعنى مَع كقوله تعالى ويزدكم قوّةً الى قوّتكم او متعلّقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافةً الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيدُ فائدة لانّ مطلق اليد يشتمل عليها وقيل إلى تُفيد الغاية مطلقا وامّا دخولها فى الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانّما يُعْلَم من خارج ولم يكن فى الآية وكانت الايدى متناولة لها فحُكم بدخولها احتياطا وقيل إلى من حيث انّها تفيد الغاية تقتضى خروجها والّا لم تكن غاية كقوله فنَظِرةٌ الى ميسرة وقوله ثمّ اتمّوا الصيام الى الليل لكن لمّا لم يتميّز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطا وَٱمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانّه الفارق بين قولك مسحتُ المنديلَ ومسحت بالمنديل ووجهُه ان يقال انّها تدلّ على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانّه قيل وألصقوا

المسح برءوسكم بذلك لا يقتضى الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رءوسكم فانّه كقوله واغسلوا جزء ٦
وجوهكم ، واختلف العلماء فى قدر الواجب فاوجب الشافعى اقلّ ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين ركوع ٦
وابو حنيفة مَسْحَ رُبع الرأس لانّه عم مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مَسْحَ كلّه اخذا
بالاحتياط وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب عطفا على وجوهكم
٥ ويؤيّده السنّة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمّة والتحديد اذ المسح لم يحدّ وجرّه الباقون
على الجوار ونظيره كثير فى القران والشعر كقوله تعالى عذابَ يومٍ اليمٍ وحورٍ عينٍ بالجرّ فى قراءة
حمزة والكسائى وقولهم جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ وللنحاة باب فى ذلك وفائدته التنبيه على انّه ينبغى ان
يقصد فى صبّ الماء عليها وتغسل غسلا يقرب من المسح وفى الفصل بينه وبين اخويه ايماء على وجوب
الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة (٩) وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا فاغتسلوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ
١٠ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ ٱلْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا
فَٱمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ سبق تفسيره ولعلّ تكريره ليتّصل الكلام فى بيان انواع الطهارة
مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ اى ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمّم تضييقا عليكم
وَلٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ لينظّفكم او ليطهّركم عن الذنوب فانّ الوضوء تكفير للذنوب او ليطهّركم
بالتراب اذا اعوزكم التطهّر بالماء فمفعول يريد فى الموضعين محذوف واللام للعلّة وقيل مزيدة والمعنى
١٥ ما يريد اللّه ان يجعل عليكم من حَرَجٍ حتّى لا يرخّص لكم فى التيمّم ولكن يريد ان يطهّركم وهو
ضعيف لانّ أنْ لا تقدّر بعد المزيدة وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ليتمّ بشرعه ما هو مطهّرة لابدانكم ومكفّرة
لذنوبكم نعمتَه عليكم فى الدين او ليتمّ برخصه انعامه عليكم بعزائمه لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعمته ، والآية
مشتملة على سبعة امور كلّها مثنى ١ طهارتان اصل وبدل ٢ والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب
٣ وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح ٤ وباعتبار المحلّ محدود وغير محدود ٥ وانّ آلتهما مائع
٢٠ وجامد ٦ وموجبهما حدث اصغر واكبر ٧ وانّ المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وانّ الموعود
عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة (١٠) وَٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ بالاسلام لتذكّركم المنعم وترغّبكم
فى شكره وَمِيثَاقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا يعنى الميثاق الّذى اخذه على المسلمين حين
بايعهم رسول اللّه على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة
الرضوان وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ فى انساء نعمته ونقض ميثاقه إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ اى بخفيّاتها فيجازيكم
٢٥ عليها فضلا عن جليّات اعمالكم (١١) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْ
شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا عدّاه بعلى لتضمّنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنّكم شدّة بغضكم

جزء ٦ على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحلّ كمُثْلةٍ وقذفٍ وقتلِ نساء وصِبْيةٍ ونقض عهد ركوع ٦ تشفّيا ممّا فى قلوبكم ٱعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى اى العدل اقرب الى التقوى صرّح لهم بالامر بالعدل وبيّن انّه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبيّن انّه مقتضى الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفّار فما ظنّك بالعدل مع المؤمنين وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم إمّا لاختلاف السبب كما قيل انّ الاولى نزلت فى المشركين وهذه فى اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة فى اطفاء نائرة الغيظ (١٢) وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ انّما حُذف ثانى مفعولَىْ وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانّه استئناف يبيّنه وقيل الجملة فى موقع المفعول فانّ الوعد ضَرْبٌ من القول وكانّه قال وعدهم هذا القول (١٣) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ هذا من عادته تعالى أن يُتْبِع حالَ احد الفريقين حالَ الآخر وفاء بحقّ الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم (١٤) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ روى انّ المشركين رأوا رسول اللّه واصحابه بعُسْفان قاموا الى الظُهْر معا فلمّا صلّوا ندموا ألّا كانوا اكبّوا عليهم وهمّوا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فردّ اللّه كيدهم بأن انزل صلوة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روى انّه عم اتى قُرَيْظةَ ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمَيْن قتلهما عمرو بن أُمَيّة الضَمْرى خطأً يَحْسِبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتّى نُطْعِمك ونُقْرِضك فاجلسوه وهمّوا بقتله فعمد عمرو بن جَحّاش الى رَحًى عظيمة يطرحها عليه فامسك اللّه يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول اللّه منزلا وعلّق سلاحه بشجرة وتفرّق الناس عنه فجاء اعرابىّ فسلّ سيفه فقال من يمنعك منّى فقال اللّه فاسقطه جبريل من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك منّى فقال لا احد أشهد انّ لا اله الّا اللّه وانّ محمّدا رسول اللّه فنزلت إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ منعها ان تُمَدّ اليكم وردّ مضرّتها ركوع ٧ عنكم وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ فانّه الكافى لايصال الخير ودفع الشرّ (١٥) وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا شاهدا من كلّ سبط ينقب عن احوال قومه ويفتّش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما أُمروا به روى انّ بنى اسرائيل لمّا فرغوا من فرعون واستقرّوا بمصر امرهم اللّه بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيّون وقال انّى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فانّى ناصركم وامر موسى ان يأخذ من كلّ سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما أُمروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلمّا دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسّسون الاخبار ونهاهم ان يحدّثوا قومهم فرأوا أجراما عظيمة وبأسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدّثوا قومهم ونكثوا الميثاق الّا كالب بن يُوفنّا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ بالنصرة لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَآتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ

اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذبّ ومنه التعزير وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا بالانفاق فى سبيل الخير جزء ٦
وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّـآتِكُمْ جوابٌ للقسم المدلول عليه باللام فى لئن سادٌّ ركوع ٧
مسدّ جواب الشرط وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ مِنْكُمْ بعد ذلك
الشرط المؤكّد المعلّق به الوعد العظيم فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف
٥ من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهّم له معذرة (١٦) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ
طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً لا تنفعل عن الآيات
والنذر وقرأ حمزة والكسائى قَسِيَّةً وهى امّا مبالغة قاسية او بمعنى رديّة من قولهم درهم قسىٌّ اذا
كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فانّ المغشوش فيه يُبْس وصلابة وقرئ قِسِيَّةً باتباع القاف السين
يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانّه لا قسوة اشدّ من تغيير كلام اللّه والافتراء
١٠ عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعنّاهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه وَنَسُوا حَظًّا وتركوا
نصيبا وافيا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ من التورية او من اتّباع محمّد صلعم والمعنى انّهم حرّفوا التورية وتركوا
حظّهم ممّا أُنزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انّهم حرّفوها فزلّت بشؤمه اشياء منها عن حفظهم لما روى
انّ ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ
خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى انّ الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم
١٥ لا تزال ترى ذلك منهم إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ لم يخونوا وهم الّذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله
وجعلنا قلوبهم قاسية فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلقٌ نُسخ
بآية السيف إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ تعليل للامر بالصفح وحثّ عليه وتنبيه على انّ العفو عن الكافر
الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره (١٧) وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ اى واخذنا
من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممّن قبلهم وقيل تقديره ومن الّذين قالوا انّا نصارى قومٌ اخذنا ، وانّما
٢٠ قال قالوا انّا نصارى ليدلّ على انّهم سمّوا انفسهم بذلك ادّعاء لنصرة اللّه فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا
فالزمنا من غَرِىَ بالشىء اذا لصق به بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ بين فرق النصارى وهم
نسطوريّة ويعقوبيّة وملكائيّة او بينهم وبين اليهود وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بالجزاء
والعقاب (١٨) يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ يعنى اليهود والنصارى ووحّد الكتاب لانّه للجنس قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا
يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَابِ كنعت محمّد صلعم وآية الرجم فى التورية وبشارة عيسى
٢٥ باحمد فى الانجيل وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ممّا تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطرّ اليه امرٌ دينىٌّ او عن كثير منكم
فلا يؤاخذه بجرمه قَدْ جَآءَكُمْ مِنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يعنى القران فانّه الكاشف لظلمات الشكّ

جزء ٦ ركوع ٧ والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلعم يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ وحّد الضمير لانّ المراد بهما واحد او لانّهما كواحد فى الحكم مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُ من اتّبع رضاه بالايمان منهم سُبُلَ ٱلسَّلَامِ طرق السلامة من العذاب او سبل الله وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ من انواع الكفر الى الاسلام بِإِذْنِهِ بارادته او بتوفيقه وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤدّ اليه لا محالة

(١٩) لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ هم الذين قالوا بالاتّحاد منهم وقيل لم يصرّح به احد منهم ولكن لمّا زعموا انّ فيه لاهوتا وقالوا لا اله الّا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا احتجّ بذلك على فساد قولهم وتقريره انّ المسيح مقدورٌ مقهورٌ قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهيّة

(٢٠) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ازاحةٌ لما عرض لهم من الشبهة فى امره والمعنى انّه سبحانه قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه امّا من ذكر وحده كما خلق حوّاء او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس

(٢١) وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ ٱللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ اشياع ابنَيْه عزير والمسيح كما قيل لأشياع ابن الزبير الخُبَيْبُون او المقرّبون عنده قُرْبَ الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيدُ بيان فى سورة آل عمران قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ اى فان صحّ ما زعمتم فلم يعذّبكم بذنوبكم فانّ من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذّبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم بانّه سيعذّبكم بالنار ايّاما معدودات بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ممّن خلقه الله يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وهم من آمن به وبرسله وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وهم من كفر والمعنى انّه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزيّة لكم عليه وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا كلّها سواء فى كونه خلقا وملكا له وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ فيجازى المحسن باحسانه والمسيء باساءته

(٢٢) يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ اى الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدّم ذكره ويجوز ان لا يقدّر مفعول على معنى يَبْذل لكم البيان والجملة فى موقع الحال اى جاءكم رسولنا مبيّنا لكم عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ متعلّق بجاءكم اى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحى او بيبيّن حالٌ من الضمير فيه أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ متعلّق بمحذوف اى لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى

عليهما السلام كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبىّ وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى جزء ٦
ومحمّد صلعم كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلاثة من بنى اسرائيل ركوع ٧
وواحد من العرب خالد بن سنان العبسىّ، وفى الآية امتنان عليهم بأن بعث اليهم حين انطمست آثار
الوحى وكانوا احوج ما يكونون اليه (٢٣) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ ٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ ركوع ٨
فِيكُمْ أَنْبِيَآءَ فارشدكم وشرّفكم بهم ولم يبعث فى امّة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا
اى جعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثُرَ الانبياء بعد فرعون حتّى قتلوا يحيى وهمّوا بقتل
عيسى وقيل لمّا كانوا مملوكين فى ايدى القبط فأنقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم
سمّاهم ملوكا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ ٱلْعَالَمِينَ من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسلوى
ونحوها ممّا آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمى زمانهم (٢٤) يَا قَوْمِ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ارض بيت
المقدس سمّيت بذلك لانّها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق
وفلسطين وبعض الأُرْدُنّ وقيل الشأم ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ قسمها لكم او كتب فى اللوح انّها تكون
مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانّها محرّمة عليهم وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ
ولا ترجعوا مُدْبِرِين خوفا من الجبابرة قيل لمّا سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متْنا بمصر
تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدّوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله
فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ثوابَ الدارين ويجوز فى فتنقلبوا الجزمُ على العطف والنصبُ على الجواب (٢٥) قَالُوا يَا
مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ متغلّبين لا يتأتّى مقاومتهم والجبّار فعّال من جبره على الامر بمعنى أَجْبره
وهو الذى يجبر الناس على ما يريده وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ
اذ لا طاقة لنا بهم (٢٦) قَالَ رَجُلَانِ كالب ويوشع مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ اى يخافون الله ويتّقونه وقيل
كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبنى اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف
اى من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ ٱلَّذِينَ يُخَافُونَ بالضمّ اى المَخُوفين وعلى
المعنى الاوّل يكون هذا من الاخافة اى من الذين يخوَّفون من الله بالتذكير او يخوّفهم الوعيد
أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا بالايمان والتثبّت وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض ٱدْخُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ باب قريتهم
اى باغتوهم وضاغطوهم فى المضيق وامنعوهم من الاصحار فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ لتعسّر الكرّ
عليهم فى المضيق من عظم اجسامهم ولانّهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من
اخبار موسى عم وقوله كتب الله لكم او ممّا علما من عادته تعالى فى نصرة رسله وما عهدا من صنعه
لموسى فى قهر اعدائه وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اى مؤمنين به ومصدّقين لوعده (٢٧) قَالُوا يَا
مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد مَا دَامُوا فِيهَا بدل من ابدا بدل البعض

جزء ٦ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَٰهُنَا قَاعِدُونَ قالوا ذلك استهانةً بالله ورسوله وعدمَ مبالاة بهما وقيل
ركوع ٨ تقديره اذهب انت وربّك يُعينك (٢٨) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي قاله شَكْوَى بثّه وحزنه الى الله لمّا خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عم والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلوّن قومه ويجوز ان يراد باخي من يؤاخيني في الدين فيدخلان فيه ويُحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم إنّ ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على محلّ إنّ واسمها وجرّه عند الكوفيّين عطفا على الضمير في نفسي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ بأن تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم (٢٩) قَالَ فَإِنَّهَا فانّ الارض المقدّسة مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ عامل الظرف إمّا محرّمة فيكون التحريم موقّتا غير مؤبّد فلا يخالف ظاهرَ قوله ٱلّتي كتب الله لكم ويؤيّد ذلك ما روى انّ موسى عم سار بعده بمن بقى من بنى اسرائيل ففتح أريحا واقام فيها ما شاء الله ثمّ قُبض وقيل انّه قُبض في التيه ولمّا احتضر اخبرهم بانّ يوشع بعده نبيّ وانّ الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشأم كلّه لبنى اسرائيل وإمّا يتيهون اى يسيرون فيها حَيارَى لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدّسة احد ممّن قال انّا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانّما قاتل الجبابرةَ اولادُهم روى انّهم لبثوا اربعين سنة في ستّة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يُظلّهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضىء لهم وكان طعامهم المنّ والسلوى وماؤهم من الحجر الّذى يحملونه والاكثر على أنّ موسى وهرون كانا معهم في التيه الّا انّه كان ذلك رَوْحا لهما وزيادةً في درجتهما وعقوبةً لهم وأنّهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثمّ دخل يوشع اريحا بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ خاطب به موسى لمّا
ركوع ٩ ندم على الدعاء عليهم وبيّن انّهم احقّاء بذلك لفسقهم (٣٠) وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ آدَمَ قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوّج كلّ واحد منهما تَوْءَمَةَ الآخر فسخط منه قابيل لانّ توءمته كانت اجمل فقال لهما آدم قرّبا قربانا فمنْ أيّكما قُبل تزوّجها فقُبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يُرد بهما ابنى آدم لصُلبه وانّهما رجلان من بنى اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بنى اسرائيل بِٱلْحَقِّ صفةُ مصدر محذوف اى تلاوةً ملتبسةً بالحقّ او حال من الضمير في اتل او من نبأ اى ملتبسا بالصدق موافقا لما في كُتُب الاوّلين إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ظرف النبأ او حال منه او بدل على حذف مضاف اى اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقُرْبان اسم ما يُتقرّب به الى الله تعالى من ذبيحة او غيرها كما انّ الحُلْوان اسم ما يُحلَى اى يُعْطَى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثنّ وقيل تقديره اذ قرّب كلّ واحد منهما قربانا وقيل كان قابيلُ صاحبَ زرع وقرّب أرْدأ قمح عنده وهابيلُ

جزء ٦ ركوع ٩

صاحبَ ضرع وقرّب جملا سمينا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ لانّه سَخِطَ حُكْمَ اللّه ولم يُخْلِص النيّةَ فى قربانه وقصد الى اخسّ ما عنده قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ توعّده بالقتل لفرط الحسد له على تقبّل قربانه ولذلك قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ فى جوابه اى انّما أُتيتَ من قِبَل نفسك بترك التقوى لا من قِبَلى فلِمَ تقتلنى وفيه اشارة الى أنّ الحاسد ينبغى ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد فى تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا فى ازالة حظّه فانّ ذلك ممّا يضرّه ولا ينفعه وأنّ الطاعة لا تُقْبَل الّا من مؤمن متّق (٣١) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرّج عن قتله واستسلم له خوفا من اللّه لانّ الدفع لم يُبَحْ بعدُ او تحرّيا لما هو الافضل قال عم كن عبد اللّه المقتول ولا تكن عبد اللّه القاتل ، وانّما قال ما انا بباسط فى جوابِ لئن بسطت للتبرّى عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرّز من أن يوصف به ويُطْلق عليه ولذلك اكّد النفى بالباء (٣٢) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلظَّالِمِينَ تعليل ثانٍ للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انّما استسلم لك ارادةَ أن تحمل اثمى لو بسطتُ اليك يدى واثمك ببسطك يدك الىّ ونحوه المُسْتَبّانِ ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمى باثم قتلى وباثمك الّذى لم يتقبّل من اجله قربانك وكلاهما فى موضع الحال اى ترجع ملتبسا بالاثمَيْن حاملا لهما ولعلّه لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قَصْدُه بهذا الكلام الى أنّ ذلك إن كان لا محالة واقعا فأُريدُ ان يكون لك لا لى فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادةُ عقاب العاصى جائزة (٣٣) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فسهّلته له ووسّعته من طاع له المرتع اذا اتّسع وقرئ فَطَاوَعَتْ على انّه فَاعَلَ بمعنى فَعَّلَ او على انّ قتل اخيه كانّه دعاها الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ دينا ودنيا اذ بقى مُدّةَ عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عَقَبةِ حِرَاء وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم (٣٤) فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ روى انّه لمّا قتله تحيّر فى امره ولم يَدْرِ ما يصنع به اذ كان اوّل ميّت من بنى آدم فبعث اللّه غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثمّ القاه فى الحفرة ، والضمير فى ليرى للّه او للغراب وكَيْفَ حال من الضمير فى يوارى والجملة ثانى مفعولَىْ يرى ، والمراد بسوءة اخيه جسده الميّت فانّه ممّا يُسْتقبح ان يُرى قَالَ يَا وَيْلَتَى كلمةُ جزع وتحسّر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتى احْضُرى فهذا اوانكِ والويل والويلة الهلكة أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي لا أَهتدى الى ما اَهتدى اليه وقوله فأوارى عطف على اكون وليس جوابَ الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لَواريت وقرئ بالسكون على فأنا اوارى او على تسكين المنصوب تخفيفا فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّادِمِينَ على قتله لما كابد فيه من التحيّر فى امره وحمله على رقبته سَنةً او اكثرَ على ما قيل وتلمّذه للغراب واسودادِ لونه

جزء ٦ ركوع ٦ وتبرّئ ابويه منه اذ روى انّه لمّا قتله اسودّ جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسودّ جسدك وتبرّأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعَدَمِ الظَّفَر بما فعله من اجله (٣٥) مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بسببه قضينا عليهم وأَجْل فى الاصل مصدرُ أَجَلَ شَرًّا اذا جناه استعمل فى تعليل الجنايات كقولهم من جَرَّاك فعلته اى من ان جررته اى جنيته ثمّ اتّسع فيه فاستعمل فى كلّ تعليل ومِنْ ابتدائيّة متعلّقة بكتبنا اى ابتداء الكَتْب ونشوءه من اجل ذلك أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا من حيث انّه هتك حرمة الدماء وسنّ القتل وجرّأ الناس عليه او من حيث انّ قتل الواحد والجميع سواء فى استجلاب غضب اللّه والعذاب العظيم وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا اى ومن تسبّب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانّما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها فى القلوب ترهيبا عن التعرّض لها وترغيبا فى المحاماة عليها (٣٦) وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ اى بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كى يتحاموا عنها كثيرٌ منهم يسرفون فى الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتّصلت القصّة بما قبلها ، والاسراف التباعد عن حدّ الاعتدال فى الامر (٣٧) إِنَّمَا جَزَاءُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ اى يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصيّة وان كانت فى مصرٍ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا اى مفسدين ويجوز نصبه على العلّة والمصدر لانّ سعيهم كان فسادا فكانّه قيل ويفسدون فى الارض فسادا أَنْ يُقَتَّلُوا اى قصاصا من غير صلب ان أفردوا القتل أَوْ يُصَلَّبُوا اى يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف فى انّه يقتل ويصلب او يصلب حيّا ويترك او يطعن حتّى يموت أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى إن اخذوا المال ولم يقتلوا أَوْ يُنْفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكّنون من القرار فى موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسّر ابو حنيفة النفى بالحبس ، وأَوْ فى الآية على هذا للتفصيل وقيل انّه للتخيير والامام مخيّر بين هذه العقوبات فى كلّ قاطع طريق ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ذلّ وفضيحة وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ لعظم ذنوبهم (٣٨) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ استثناء مخصوص بما هو حقّ اللّه تعالى ويدلّ عليه قوله فَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أمّا القتل قصاصا فالى الاولياء يَسْقط بالتوبة وجوبُه لا جوازُه وتقييدُ التوبة بالتقدّم على القدرة يدلّ على انّها بعد القدرة لا تُسْقط الحدّ وإن اسقطت العذابَ وأنّ الآية فى قُطّاع المسلمين لانّ توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل

جزء ٦ ركوع ١٠

القدرة وبعدها (٣٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ اى ما تتوسّلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وَسَلَ الى كذا اذا تقرّب اليه وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنّة وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ بالوصول الى الله والفوز بكرامته (٤٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ من صنوف الاموال جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ ليجعلوه فدية لانفسهم مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ واللام متعلّقة بمحذوف يستدعيه لَوْ اذ التقدير لو ثبت انّ لهم ما فى الارض ، وتوحيد الضمير فى بِهِ والمذكور شيئان إمّا لاجرائه مجرى اسم الاشارة فى نحو قوله تعالى عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ او لانّ الواو فى وَمِثْلَهُ بمعنى مع مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ جواب لو ولو بما فى حيّزه خبر إنّ والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانّه لا سبيل لهم الى الخلاص منه وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله (٤١) يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ وقرئ يُخْرَجُوا من اخرج ، وانّما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة (٤٢) وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اى حكمهما وجملة عند المبرّد والفاء للسببيّة دخل الخبرَ لتضمّنهما معنى الشرط اذ المعنى والّذى سرق والّتى سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار فى امثاله لانّ الانشاء لا يقع خبرا الّا باضمار وتأويل ، والسَرِقة اخذ مال الغير فى خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حِرْز والمأخوذ رُبْع دينار او ما يساويه لقوله عم القطع فى ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف فى ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه فى شرح المصابيح ، والمراد بالايدى الأيمان ويؤيّده قراءة ابن مسعود أَيْمَانَهُمَا ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنّى كما فى قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى انّ المقطع هو المنكب والجمهور على انّه الرسغ لانّه عم أُتِيَ بسارق فأمر بقطع يمينه منه جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ ٱللَّهِ منصوبان على المفعول له او المصدر ودلّ على فعلهما فاقطعوا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٣) فَمَنْ تَابَ من السرّاق مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ اى سرقته وَأَصْلَحَ امره بالتفصّى عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقبل توبته فلا يعذّبه فى الآخرة وامّا القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لانّ فيه حقّ المسروق منه (٤٤) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ الخطاب للنبىّ عم او لكلّ احد يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تقدّم التعذيب على المغفرة ايتاء على ترتيب ما سبق او لانّ استحقاق التعذيب مقدّم او لانّ المراد به القطع وهو فى الدنيا (٤٥) يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ ٱلَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ اى صنيع الّذين يقعون فى الكفر سريعا اى فى اظهاره اذا وجدوا منه فرصة مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ اى من

جزء ٦ ركوع ١٠ المنافقين والباء متعلّقة بقالوا لا بآمنّا والواو تحتمل الحال والعطف وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا عطف على من الّذين قالوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ خبرُ محذوف اى هم سمّاعون والضميرُ للفريقين او للّذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الّذين خبره اى ومن اليهود قومٌ سمّاعون ، واللام فى للكذب امّا مزيدة للتأكيد او لتضمين السماع معنى القبول اى قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلّة والمفعولُ محذوف اى سمّاعون كلامك ليكذبوا عليك فيه سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ اى لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبّرا وافراطا فى البغضاء والمعنى على الوجهين اى مُصْغون لهم قابلون كلامهم او سمّاعون منك لاجْلهم والانهاء اليهم ويجوز ان يتعلّق اللام بالكذب لانّ سمّاعون الثانى مكرّر للتأكيد اى سمّاعون ليكذبوا لقوم آخرين يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ اى يُميلونه عن مواضعه الّتى وضعه اللّه فيها امّا لفظا باهماله او تغيير وضعه وامّا معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسمّاعون او حال من الضمير فيه او استيناف لا موضع له او فى موضع الرفع خبر لمحذوف اى هم يحرّفون وكذلك يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هٰذَا فَخُذُوهُ اى ان اوتيتم هذا المحرّف فاقبلوه واعملوا به وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ بل افتاكم محمّد بخلافه فَٱحْذَرُوا اى فاحذروا قبولَ ما افتاكم به روى انّ شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا مُحْصَنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول اللّه عنه وقالوا ان امركم بالجَلْد والتحميم فاقبلوا وإن امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فأبوا عنه فجعل ابن صُوريا حَكَما بينه وبينهم وقال له انشدك اللّه الّذى لا اله الّا هو الّذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والّذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خِفتُ ان كذّبتُه أن ينزل علينا العذاب فامر رسول اللّه بالزانيين فرجما عند باب المسجد وَمَنْ يُرِدِ ٱللّٰهُ فِتْنَتَهُ ضلالته او فضيحته فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ ٱللّٰهِ شَيْئًا فلن تستطيع له من اللّه شيئا فى دفعها أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللّٰهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ من الكفر وهو كما ترى نصٌّ على فساد قول المعتزلة لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ هوان بالجزية والخوف من المؤمنين وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ وهو الخلود فى النار والضمير للّذين هادوا ان استأنفت بقوله ومن الّذين والّا فللفريقين (٤٢) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ كرّره للتأكيد أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ اى الحرام كالرشى من سَحَتَه اذا استأصله لانّه مسحوتُ البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائىّ ويعقوب بضمّتين وهما لغتان كالعُنُق والعُنْق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فَإِنْ جَاءُوكَ فَٱحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ تخيير لرسول اللّه اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيّان الى القاضى لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعىّ والاصحّ وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذمّيّا لانّا التزمنا الذبّ عنهم ودفعَ الظلم منهم والآية ليست فى اهل الذمّة

جزء ٦ وعند ابى حنيفة يجب مطلقا وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِٱلْقِسْطِ
ركوع ١٠ بالعدل الّذى امر اللّه به إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ فيحفظهم ويعظّم شأنهم (٤٧) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ
ٱلتَّوْرٰيةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ تعجيبٌ من تحكيمهم مَنْ لا يؤمنون به والحالُ انّ الحكم منصوص عليه فى
الكتاب الّذى هو عندهم وتنبيهٌ على انّهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحقّ واقامة الشرع وانّما طلبوا
٥ به ما يكون أَهْوَنَ عليهم وإن لم يكن حكم اللّه فى زعمهم ، وفيها حكم اللّه حال من التورية إن رفعتها
بالظرف وإن جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكنّ فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنّث فى كلامهم لفظا
كمَوْماة ودَوْداة ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ ثمّ يُعْرِضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو
عطف على يحكّمونك داخل فى حكم التعجيب وَمَا أُولٰئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ بكتابهم لاعراضهم عنه اوّلا وعمّا
ركوع ١١ يوافقه ثانيا او بك وبه (٤٨) إِنَّا أَنْزَلْنَا ٱلتَّوْرٰيةَ فِيهَا هُدًى يهدى الى الحقّ وَنُورٌ يكشف ما استبهم من
١٠ الاحكام يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ اى انبياء بنى اسرائيل او موسى ومَنْ بَعْدَه إن قلنا شَرْعُ مَنْ قَبْلَنا شرعٌ
لنا ما لم يَرِدْ ناسخ وبهذه الآية تمسّك القائل به ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا صفةٌ أُجْرِيت على النبيّين مدحا لهم
وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا باليهود وانّهم بمَعْزِل عن دين الانبياء واقتفاء هَدْيهم لِلَّذِينَ هَادُوا
متعلّق بانزل او بيحكم اى يحكمون بها فى تحاكمهم وهو يدلّ على انّ النبيّون انبياؤهم
وَٱلرَّبَّانِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ زهّادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيّون بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا مِنْ
١٥ كِتَابِ ٱللَّهِ بسبب امر اللّه ايّاهم بأن يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف
ومنْ للتبيين وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ رُقَباء لا يتركون ان يغيّر او شُهَداء يبيّنون ما يخفى منه كما
فعل ابن صوريا فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ نهىٌ للحكّام ان يخشوا غير اللّه فى حكوماتهم ويداهنوا
فيها خشيةَ ظالم او مراقبةَ كبير وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِى ولا تستبدلوا باحكامى الّتى انزلتها ثَمَنًا قَلِيلًا هو
الرشوة والجاه وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ مستهينا به منكرا له فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ لاستهانتهم به وتمرّدهم
٢٠ بأن حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم بانكاره وظلمهم بالحكم
على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كلّ واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمّت
الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه فى المسلمين لاتّصالها بخطابهم والظالمون فى
اليهود والفاسقون فى النصارى (٤٩) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فرضنا على اليهود فِيهَا اى فى التورية أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ
انّ النفس تُقتل بالنفس وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنْفَ بِٱلْأَنْفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ رفعها الكسائىّ
٢٥ على انّها جُمَل معطوفةٌ على أنّ وما فى حيّزها باعتبار المعنى وكأنّه قيل كتبنا عليهم النفسُ بالنفس
والعينُ بالعين فانّ الكتابة والقراءة تقعان على الجُمَل كالقول او مستأنفةٌ ومعناها وكذلك العين مفقوءة

*

جزء ٦ ركوع ١١

بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسنّ مقلوعة بالسنّ او على انّ المرفوع منها معطوف على المستكنّ فى قوله بالنفس وانّما ساغ لانّه فى الاصل مفصول عنه بالظرف والجارّ والمجرور حال مبيّنة للمعنى وقرأ نافع وَٱلْأُذْنَ بِٱلْأُذْنِ وفِى أُذْنَيْهِ بالاسكان حيث وقع وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ اى ذات قصاص وقرأ الكسائىّ ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انّه اجمال للحكم بعد التفصيل فَمَنْ تَصَدَّقَ من المستحقّين بِهِ بالقصاص اى فمن عفا عنه فَهُوَ فالتصدّق كَفَّارَةٌ لَهُ للمتصدّق يكفّر اللّه به ذنوبه وقيل للجانى يُسْقط عنه ما لزمه وقرئ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ لَهُ اى فالمتصدّق كفّارته الّتى يستحقّها بالتصدّق له لا ينقص منها شىء وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ ٱللّٰهُ من القصاص وغيره فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ (٥٠) وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ اى واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجارّ والمجرور عليه والضمير للنبيّون بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مفعول ثانٍ عدّى اليه الفعل بالباء مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرٰيةِ وَآتَيْنَاهُ ٱلْإِنْجِيلَ وقرئ بفتح الهمزة فِيهِ هُدًى وَنُورٌ فى موضع النصب بالحال وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرٰيةِ عطف عليه وكذا قوله وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف (٥١) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ ٱللّٰهُ فِيهِ عليه فى قراءة حمزة وعلى الاوّل اللام متعلّقة بمحذوف اى وآتيناه ليحكم وقرئ وَأَنْ لِيَحْكُمَ على انّ أَنْ موصولة بالامر كقولك امرتك بأنْ قُمْ اى وامرنا بأنْ يحكم وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ ٱللّٰهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به ٠ والآية تدلّ على انّ الانجيل مشتملة على الاحكام وانّ اليهوديّة منسوخة ببعثة عيسى عم وانّه كان مستقلّا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل اللّه فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر (٥٢) وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ اى القرآن مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَابِ من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد له بالصحّة والثبات وقرئ على بنْية المفعول اى هُومِنَ عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو اللّه او الحُفّاظ فى كلّ عصر فَٱحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ ٱللّٰهُ اى بما انزل اليك وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعَنْ صلة للا تتّبع لتضمّنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اى لا تتّبع اهواءهم مائلا عمّا جاءك لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ ايها الناس شِرْعَةً شريعة وهى الطريقة الى الماء شبّه بها الدين لانّه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابديّة وقرئ بفتح الشين وَمِنْهَاجًا وطريقا واضحا فى الدين من نَهَجَ الامرُ اذا وضح واستدلّ به على انّا غير متعبّدين بالشرائع المتقدّمة (٥٣) وَلَوْ شَاءَ ٱللّٰهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً جماعة متّفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ٠ ومفعول شاء محذوف دلّ عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء اللّه اجتماعكم على الاسلام لأجبركم عليه

وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ من الشرائع المختلفة المناسبة لكلّ عصر وقرن هل تعملون بها مُذعِنين جزء ٦
لها معتقدين انّ اختلافها بمقتضى الحكمة الالهيّة ام تزيغون عن الحقّ وتفرّطون فى العمل فَاسْتَبِقُوا ركوع ١١
ٱلْخَيْرَاتِ فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازةً لفضل السبق والتقدّم إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا استيناف فيه
تعليلُ الامر بالاستباق ووعدٌ ووعيدٌ للمبادرين والمقصّرين فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ بالجزاء
الفاصل بين المحقّ والمبطل والعامل والمقصّر (٥٤) وَأَنِ ٱحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ عطف على الكتاب اى
انزلنا اليك الكتابَ والحُكْمَ او على الحقّ اى انزلناه بالحقّ وبأن احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير
وأمرنا أن ٱحْكُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ اى ان يضلّوك
ويصرفوك عنه وأَنْ بصلته بدلٌ من هُمْ بدلَ الاشتمال اى احذرْ فتنتهم او مفعول له اى احذرهم مخافةَ
أن يفتنوك روى انّ احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمّد لعلّنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمّد قد
عرفت أنّا احبار اليهود وأنّا إن اتّبعناك اتّبعنا اليهودُ كلّهم وإنّ بيننا وبين قومنا خصومةً فنتحاكم
اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدّقك فأبى ذلك رسول اللّه فنزلت فَإِنْ تَوَلَّوْا عن الحكم
المنزل وارادوا غيره فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ يعنى ذنب التولّى عن حكم اللّه فعبّر
عنه بذلك تنبيها على انّ لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة
على التعظيم كما فى التنكير ونظيره قول لبيد • او يرتبطْ بعضَ النفوس حِمامُها • وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ
لَفَاسِقُونَ لمتمرّدون فى الكفر مُعْتَدون فيه (٥٥) أَفَحُكْمَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ الذى هو الميل والمداهنة فى
الحكم والمراد بالجاهليّة الملّة الجاهليّة التى هى متابعة الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا الى
رسول اللّه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهليّة من التفاضل بين القتلى • وقرئ برفع الحُكْم على انّه مبتدأ
ويبغون خبره والراجع محذوف حَذْفَه فى الصلة فى قوله اهذا الذى بعث اللّه رسولا واستُضعف ذلك فى
غير الشعر وقرئ أَفَحَكَمَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ اى يبغون حاكما كحُكّام الجاهليّة يحكم بحسب شهوتهم وقرأ
ابن عامر تَبْغُونَ بالتاء على قل لهم أفحكم الجاهليّة تبغون وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ
اى عندهم او اللام للبيان كما فى قوله هَيْتَ لك اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانّهم هم الذين
يتدبّرون الامور ويتحقّقون الاشياء بانظارهم فيعلمون انّ لا احسن حكما من اللّه (٥٦) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ركوع ١٢
آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرةَ الاحباب بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
ايماء الى علّة النهى اى فانّهم متّفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتّحادهم فى الدين واجماعهم على
مضادّتكم وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ اى ومن والاهم منكم فانّه من جملتهم وهذا تشديد فى وجوب
مجانبتهم كما قال عم لا تتراءى ناراهما او لانّ الموالين لهم كانوا منافقين إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ
اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفّار او المؤمنين بموالاة اعدائهم (٥٧) فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ

جزء ٦ ركوع ١٢ يعنى ابن أُبَىّ واضرابه يُسَارِعُونَ فِيهِمْ اى فى موالاتهم ومعاونتهم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ يعتذرون بانّهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بأن ينقلب الامر ويكون الدولة للكفّار روى انّ عبادة بن الصامت قال لرسول اللّه انّ لى مَوالِىَ من اليهود كثيرا عددهم وانّى ابرأ الى اللّه ورسوله من ولايتهم وأُوالى اللّهَ ورسوله فقال ابن أُبَىّ انّى رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية مَوالِىّ فنزلت فَعَسَى ٱللّٰهُ أَنْ يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ لرسول اللّه صلعم على اعدائه واظهارِ المسلمين أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ بقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فَيُصْبِحُوا اى هؤلاء المنافقون عَلَى مَا أَسَرُّوا فِى أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ على ما استبطنوه من الكفر والشكّ فى امر الرسول فضلا عمّا اظهروه ممّا اشعر على نفاقهم (٥٨) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائىّ على انّه كلام مبتدأ ويؤيّده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انّه جواب قائل يقول فما ذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابى عمرو ويعقوب عطفا على ان يأْتِىَ باعتبار المعنى وكانّه قال عسى ان يأْتِىَ اللّه بالفتح ويقولَ الّذين آمنوا او بجعله بدلا من اسم اللّه داخلا فى اسم عسى مُغْنيا عن الخبر بما تضمّنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى اللّه ان يأتى بالفتح وبقول المؤمنين فانّ الاتيان بما يوجبه كالاتيان به أَهٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا بِٱللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجّبا من حال المنافقين وتبجّحا بما منّ اللّه عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود فانّ المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى اللّه عنهم وإن قوتلتم لننصرنّكم ، وجَهْدُ الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير اقسموا باللّه يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانّه بمعنى اقسموا حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ امّا من جملة المقول او من قول اللّه شهادةً لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجّب كانّه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم (٥٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قرأه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك فى الامام والباقون بالادغام ، وهذا من الكائنات الّتى اخبر اللّه عنها قبل وقوعها وقد ارتدّ من العرب فى اواخر عهد رسول اللّه صلعم ثلاث فرق بنو مُدْلِج وكان رئيسهم ذو الحمار الأَسْوَد العَنْسىّ تنبّأ باليمن واستولى على بلاده ثمّ قتله فَيْرُوز الدَّيْلَمىّ ليلةً قُبِض رسول اللّه من غدها واخبر الرسول فى تلك الليلة فسُرّ المسلمون وانى الخبر فى اواخر ربيع الاوّل وبنو حنيفة اصحاب مُسَيْلمة تنبّأ وكتب الى رسول اللّه من مسيلمة رسول اللّه الى محمّد رسول اللّه امّا بعد فانّ الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمّد رسول اللّه الى مسيلمة الكذّاب امّا بعد فانّ الارض للّه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله وحشىّ قاتل حمزة وبنو اسد قوم طُلَيْحة بن خُوَيْلد تنبّأ فبعث اليه رسول اللّه خالدا فهرب بعد القتال الى الشأم ثمّ اسلم وحَسُن اسلامه وفى عهد ابى بكر سبعٌ فزارة قوم عيينة بن حِصْن وغطفان قوم قُرّة بن سلمة القُشيرىّ وبنو سُليم قوم الفجاءة بن عبد يَالِيل

جزء ٦ ركوع ١٢

وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يده وفى امرة عمر بن الخطاب غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشأم فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ قيل هم اهل اليمن لما روى انه عم اشار الى ابى موسى الاشعرى وقال قوم هذا وقيل الفرس لانه عم سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء الناس ، والراجع الى مَنْ محذوف تقديره فسوف يأتى الله بقوم مكانهم ، ومحبة الله للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم فى الدنيا وحسن الثواب فى الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذُلُل واستعماله مع عَلَى امّا لتضمنه معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ صفة اخرى لقوم او حال من الضمير فى اعزة وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة فى سبيل الله والتصلب فى دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون فى جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم ، واللومة المرة من اللوم وفيها وفى تنكير لائم مبالغتان ذَٰلِكَ اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَآءُ يمنحه ويوفق له وَٱللَّهُ وَاسِعٌ كثير الفضل عَلِيمٌ بمن هو اهله

(٦٠) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله والمؤمنين على التبع ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ صفة للذين آمنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وَهُمْ رَاكِعُونَ متخشعون فى صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اى يؤتون الزكوة فى حال ركوعهم فى الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت فى على رضه حين سأله سائل وهو راكع فى صلاته فطرح له خاتمه واستدل به الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولى المتولى للامور المستحق للتصرف فيها والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وإن صح انه نزل فيه فلعله جئ بلفظ الجمع ليرغب الناس فى مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على أن الفعل القليل فى الصلوة لا يبطلها وأن صدقة التطوع تسمى زكوة (٦١) وَمَنْ يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ومن يتخذهم اولياء فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَالِبُونَ اى فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم

جزء ٦ بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالى غير هؤلاء بانّه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم

ركوع ١٣ (٦٢) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ نزلت فى رفاعة بن زيد وسُوَيْد بن الحارث اظهرا الاسلام ثمّ نافقا وكان رجال من المسلمين يوادّونهما ، وقد رتّب النهى عن موالاتهم على اتّخاذهم دينهم هزوًا ولعبا ايماء الى العلّة وتنبيها على انّ من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصّل المستهزئين باهل الكتاب والكفّار على قراءة من جرّه وهم ابو عمرو والكسائىّ ويعقوب والكفّار وان عمّ اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصّة لتضاعف كفرهم ومَنْ نصبه عطفه على الّذين اتّخذوا على انّ النهى عن موالاة من ليس على الحقّ رأسا سواء من كان ذا دين تَبِعَ فيه الهَوَى وحرّفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين وَٱتَّقُوا ٱللّٰهَ بترك المناهى إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ لانّ الايمان حقّا يقتضى ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده (٦٣) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلٰوةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا اى اتّخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على انّ الاذان مشروع للصلوة روى انّ نصرانيّا بالمدينة كان اذا سمع المؤذّن يقول اشهد انّ محمّدا رسول اللّه قال أُحرِقَ اللّهُ الكاذبَ فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيامٌ فتطاير شررُه فى البيت فاحرقه واهله ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ فانّ السفهَ يؤدّى الى الجهل بالحقّ والهزء به والعقل يمنع منه (٦٤) قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا هل تنكرون منّا وتعيبون يقال نَقَمَ منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافأه وقرئ تَنْقَمُونَ بفتح القاف وهو لغة إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِٱللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ الايمان بالكتب المنزلة كلّها وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ عطفٌ على أنْ آمنّا وكأنّ المستثنى لازمُ الامرين وهو المخالفة اى ما تنكرون منّا الّا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقادَ أنّ اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اى وما تنقمون منّا الّا الايمان باللّه وبما انزل وبأنّ اكثركم او على علّة محذوفة والتقديرُ هل تنقمون منّا الّا أن آمنّا لقلّة انصافكم وفسقكم او نصبٌ باضمارِ فعل دلّ عليه هل تنقمون اى ولا تنقمون أنّ اكثركم فاسقون او رفعٌ على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابتٌ معلومٌ عندكم ولكن حُبّ الرئاسة والمال يمنعكم عن الانصاف ، والآية خطاب ليهود سألوا رسول اللّه عمّن يؤمن به فقال اومن باللّه وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذِكْرَ عيسى لا نعلم دينا شرّا من دينكم (٦٥) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ اى من ذلك المنقوم مَثُوبَةً عِنْدَ ٱللّٰهِ جزاء ثابتا عند اللّه والمثوبة مختصّة بالخير كالعقوبة بالشرّ فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله • تحيّةُ بينهم ضربٌ وجيع • ونصبها على التمييز عن بشرّ مَنْ لَعَنَهُ ٱللّٰهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ بدلٌ من بشرّ على حذف مضاف اى بشرّ من اهل ذلك مَنْ لعنه اللّه او بشرّ من ذلك دينِ مَنْ لعنه اللّه او خبرُ محذوف اى هو من لعنه اللّه وهم اليهود ابعدهم اللّه من رحمته

وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات وَمَسَخَ بعضهم قردة وهم اصحاب جزء ٦
السبت وبعضهم خنازير وهم كفّار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين فى اصحاب السبت مُسخت ركوع ١٣
شبّانهم قردة ومشايخهم خنازير وَعَبَدَ ٱلطَّاغُوتَ عطف على صلة مَنْ وكذا عُبِدَ ٱلطَّاغُوتُ على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعَبُدَ بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم ومن قرأ عَابِدَ ٱلطَّاغُوتِ او عَبُدَ على انّه نعتٌ كفَطُن ويَقُظ او عَبَدَةَ او عَبَدَ ٱلطَّاغُوتِ على انّه جمع كخَدَم او أنّ اصله عَبَدَة فحذفت التاء للاضافة عَطَفَه على القردة ومن قرأ وعَبْدِ ٱلطَّاغُوتِ بالجرّ عَطَفَه على مَنْ ، والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكلّ من اطاعوه فى معصية اللّه أُولَٰئِكَ اى الملعونون شَرٌّ مَكَانًا جعل مكانهم شرّا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ قصد الطريق المتوسّط بين غلوّ النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين فى الشرارة والضلال (٦٦) وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا آمَنَّا نزلت فى يهود نافقوا رسول اللّه او فى عامّة المنافقين وَقَدْ دَخَلُوا بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ اى يخرجون من عندك كما دخلوا لم يؤثّر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلى دخلوا وخرجوا وقَدْ وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصحّ ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقّع أنّ أمارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنّه ولذلك قال وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ اى من الكفر وفيه وعيد لهم (٦٧) وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ اى من اليهود او المنافقين يُسَارِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ اى الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم وَٱلْعُدْوَانِ الظلم او مجاوزة الحدّ فى المعاصى وقيل الاثم ما يختصّ بهم والعدوان ما يتعدّى الى غيرهم وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ اى الحرام خصّه بالذكر للمبالغة لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لبئس شيئا عملوه (٦٨) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ ٱلرَّبَّانِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ تحضيض لعلمائهم على النهى عن ذلك فانّ لَوْلَا اذا دخل على الماضى افاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل افاد التحضيض لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث انّ الصنع عمل الانسان بعد تدرّب فيه وتروّ وتحرّى اجادة ولذلك ذمّ به خواصّهم ولانّ ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لانّ النفس تلتذّ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذمّ (٦٩) وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ اى هو ممسك يقتر بالرزق وغلّ اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغلّ وبسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصوّر ذلك كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده

ونظيره من مجازات المركّبة شابت لمّة الليل وقيل معناه انّه فقير كقوله لقد سمع اللّه قول الذين

جزء ٦ ركوع ١٣ ان اللّه فقير ونحن اغنياء غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغلّ الايدى حقيقة يغلّلون اسارى فى الدنيا ومسحوبين فى النار فى الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبّنى سبّ اللّه دابره بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ثنّى اليد مبالغة فى الردّ ونفيِ البخل عنه واثباتا لغاية الجود فانّ غاية ما يبذله السخىّ من ماله أن يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ تأكيد لذلك اى هو مختار فى انفاقه يوسّع تارة ويضيّق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعةٍ وضيق فى ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانّها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك ؛ والآية نزلت فى فنحاص بن عازوراء فانّه قال ذلك لمّا كفّ اللّه عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمّدا صلعم وأُشْرِك فيه الآخرون لانّهم رضوا بقوله وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا اى هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا ممّا يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحّاء وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ كلّما ارادوا حرب الرسول واثارة شرّ عليه ردّهم اللّه بأن اوقع بينهم منازعةً كفّ بها عنه شرّهم او كلّما ارادوا حربَ احد غُلبوا فانّهم لمّا خالفوا حُكْمَ التورية سلّط اللّه عليهم بُخْتَ نَصَّر ثمّ افسدوا فسلّط عليهم فُطْرُس الرومىّ ثمّ افسدوا فسلّط عليهم المجوس ثمّ افسدوا فسلّط عليهم المسلمين ؛ وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا اى للفساد وهو اجتهادهم فى الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ فلا يجازيهم الّا شرًّا

(٧٠) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا بمحمّد وما جاء به وَاتَّقَوْا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ التى فعلوها ولم نؤاخذهم بها وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وأنّ الاسلام يَجُبّ ما قبله وإن جلّ وأنّ الكتابىّ لا يدخل الجنّة ما لم يُسْلِم وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ باذاعة ما فيهما من نعت الرسول عم والقيام باحكامهما وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ يعنى سائر الكتب المُنْزلة فانّها من حيث انّهم مكلّفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ لوسّع عليهم ارزاقهم بأن يُفيض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلّة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بيّن بذلك انّ ما كفّ عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انّهم آمنوا واقاموا ما امروا به لوسّع عليهم وجعل لهم خير الدارين مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ عادلة غير غالية ولا مقصّرة وهم الذين آمنوا بمحمّد صلعم وقيل مقتصدة متوسّطة

فى عداوته وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ اى بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجّب اى ما أَسْوَأَ عملهم وهو جزء ٦ المعاندة وتحريف الحقّ والاعراض عنه والافراط فى العداوة (٧١) يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ركوع ١٤ جميع ما انزل اليك غيرَ مراقب احدًا ولا خائف مكروهًا وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ وان لم تبلّغ جميعه كما امرتك فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ فما ادّيت شيئًا منها لانّ كتمان بعضها يضيّع ما ادّى منها كترك بعض اركان الصلوة فانّ غرض الدعوة ينتقض به او فكأنّك ما بلّغت شيئًا منها كقوله فكأنّما قتل الناس جميعا من حيث انّ كتمان البعض والكلّ سواءٌ فى الشناعة واستجلاب العقاب ، وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر رِسَالَاتِهِ بالجمع وكسر التاء وَٱللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ عِدَةٌ وضمانٌ من اللّه بعصمة روحه من تعرّض الاعادى وازاحةٌ لمعاذيره إِنَّ ٱللّٰهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ لا يمكّنهم ممّا يريدون بك وعن النبىّ صلعم بعثنى اللّه برسالاته فضقْتُ بها ذَرْعا فاوحى اللّه الىّ ان لم تبلّغ رسالاتى عذّبتك وضمن لى العصمة فقويتُ وعن انس كان رسول اللّه يُحْرَس حتّى نزلت فأخرج رأسه من قُبّة أُدُم فقال انصرفوا يا ايّها الناس فقد عصمنى اللّه من الناس ، وظاهر الآية يوجب تبليغ كلّ ما انزل ولعلّ المراد به تبليغ ما يتعلّق به مصالح العباد وقُصد بانزاله إطلاعهم عليه فانّ من الأسرار الالهيّة ما يَحْرُم افشاؤه (٧٢) قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ اى دين يُعْتَدّ به ويَصحّ ان يسمّى شيئًا لانّه باطل حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرٰيةَ وَٱلْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ومن اقامتها الايمانُ بمحمّد صلعم والاذعان لحكمه فانّ الكتب الالهيّة بأسرها آمرة بالايمان بمن صدّقه المعجزةُ ناطقةٌ بوجوب الطاعة له والمراد اقامةُ اصولها وما لم يُنْسَخ من فروعها وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلّغه اليهم فانّ ضرر ذلك لاحقٌ بهم لا يتخطّاهم وفى المؤمنين مندوحة لك عنهم (٧٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّابِئُونَ وَٱلنَّصَارَىٰ سبق تفسيره فى سورة البقرة ، والصابئون رفع على الابتداء وخبرُه محذوف والنيّة به التأخير عمّا فى حيّز إنّ والتقدير إنّ الّذين آمنوا والّذين هادوا والنصارى حُكْمُهم كذا والصابئون كذلك كقوله ٭ فإنّى وقيّارٌ بها لَغريب ٭ وقوله

وإلّا فاعلموا أنّا وأنتم بُغاةٌ ما بقينا فى شِقاق

وهو كاعتراضٍ دلّ به على انّه لمّا كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلّها يُتاب عليهم إن صحّ منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرُهم أَوْلى بذلك ويجوز ان يكون النصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبرُ إنّ مقدّر دلّ عليه ما بعده كقوله

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأىُ مختلف

ولا يجوز عطفه على محلّ إنّ واسمِها فانّه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عُطف عليه قبله كان الخبرُ

٭

جزء ٦ خبرَ المبتدأ وخبرَ إنّ معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير فى هادوا لعدم التأكيد والفصل ولأنّه ركوع ١٤ يوجب كون الصابئين هُودًا وقيل إنّ بمعنى نَعَمْ وما بعدها فى موضع الرفع بالابتداء وقيل والصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوّز بالياء جُوّز بالواو مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فى محلّ الرفع بالابتداء وخبرُه فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ والجملة خبرُ إنّ او خبرُ المبتدأ كما مرّ والراجعُ محذوف اى من آمن منهم او النصب على البدل من اسم إنّ وما عطف عليه وقرئ وَٱلصَّابِئِينَ وهو الظاهر وَٱلصَّابِيُونَ بقلب الهمزة ياء وَٱلصَّابُونَ بحذفها من صبأ بإبدال الهمزة الفا او من صبوت لأنّهم صبوا الى اتّباع الشهوات ولم يتّبعوا شرعا ولا عقلا (٧٤) لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ليذكّروهم وليبيّنوا لهم امر دينهم كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاقّ التكاليف فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ جوابُ الشرط والجملةُ صفةُ رسلا والراجعُ محذوف اى رسول منهم وقيل الجواب محذوف دلّ عليه ذلك وهو استيناف ، وانّما جيء بيقتلون موضعَ قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على انّ ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظةً على رءوس الآى (٧٥) وَحَسِبُوا أَنْ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ اى وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائىّ ويعقوب لَا تَكُونُ بالرفع على انّ أنْ هى المخفّفة من الثقيلة واصله أنّه لا تكون فخفّفت أنّ وحذف ضمير الشأن فصار انْ لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهى للتحقيق تنزيلٌ له منزلةَ العلم لتمكّنه فى قلوبهم وأنّ او أنْ بما فى حيّزها سادّ مسدّ مفعوليْه فَعَمُوا عن الدين او الدلائل والهدى وَصَمُّوا عن استماع الحقّ كما فعلوا حين عبدوا العجل ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ اى ثمّ تابوا فتاب اللّه عليهم ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كرّة اخرى وقرئ بالضمّ فيهما على انّ اللّه تعالى عَماهم وصَمّهم اى رماهم بالعَمَى والصَمَم وهو قليل واللغة الفاشية أَعْمَى وأَصَمّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بدلٌ من الضمير او فاعلٌ والواو علامة الجمع كقولهم اكلونى البراغيث او خبرُ مبتدأ محذوف اى العُمْىُ والصُمُّ كثير منهم وقيل مبتدأٌ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لانّ تقديم الخبر فى مثله ممتنع وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ فيجازيهم على وفق اعمالهم (٧٦) لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ اى انّى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فى عبادته او فيما يختصّ به من الصفات والافعال فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ يمنع من دخولها كما يمنع المحرّم عليه من المحرّم فانّها دار الموحّدين وَمَأْوَاهُ ٱلنَّارُ فانّها المُعَدّة للمشركين وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ اى وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضعَ المضمر تسجيلا على انّهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحقّ وهو يحتمل أن يكون من تمام كلام عيسى وأن يكون من كلام اللّه تنبيها على انّهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقرّبا اليه وهو مُعاديهم

بالسوء ويحضهم عليه عما عليه غيره (٧٣) لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اى احد ثلاثة وهو جزء ٦
حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين ركوع ١٠
بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ
جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ، ومن مزيدة للاستغراق
وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم اى ليمسن الذين بقوا
منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة
على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله
(٧٤) أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اى الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة
ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر
لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا ، وفى هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم (٧٥) ما المسيح ابن مريم الا
رسول قد خلت من قبله الرسل اى ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فان
احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير
اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب وأمه صديقة كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق
او يصدقن الانبياء كانا يأكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال
ودل على انه لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركونهما فى مثله ثم نبه على نقصهما وذكر
ما ينافى الربوبية ويقتضى ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعى الربوبية
لهم مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون كيف يصرفون
عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين اى ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب
(٧٦) قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعنى عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك
الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصايب وما ينفع به من الصحة
والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه فى ذاته توطئة لنفى القدرة عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا
الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية ، وانما قدم الضر لان التحرز
عنه اهم من تحرى النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان
شرا فشر (٧٧) قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان
تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا أهواء قوم
قد ضلوا من قبل يعنى اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا من قبل مبعث محمد صلعم فى شريعتهم وأضلوا كثيرا
ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه

جزء ٦ لمّا كذّبوه وبغوا عليه وقيل الاوّل اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عمّا جاء
ركوع ١٥ به الشرع (٨٢) لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ اى لعنهم اللّه فى
الزبور والانجيل على لسانهما وقيل انّ اهل ايلة لمّا اعتدوا فى السبت لعنهم داود فمسخهم اللّه
قردة واصحاب المائدة لمّا كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم
ما حُرّم عليهم كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ اى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة مُنكر فعلوه او
عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيّؤا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر
وانتهى عنه اذا امتنع لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تعجيبٌ من سوء فعلهم موكّدٌ بالقسم (٨٣) تَرَى كَثِيرًا
مِنْهُمْ من اهل الكتاب يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يوالون المشركين بغضا لرسول اللّه والمؤمنين لَبِئْسَ مَا
قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ اى لبئس شيئا قدّموه ليَرِدوا عليه يوم القيامة أَنْ سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ
هُمْ خَالِدُونَ هو المخصوص بالذمّ والمعنى مُوجِب سخط اللّه والخلود فى العذاب او علّة الذمّ والمخصوص
محذوف اى لبئس شيئا ذلك لانّه كسبهم السخطَ والخلودَ (٨٤) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ يعنى
نبيّهم وان كانت الآية فى المنافقين فالمراد نبيّنا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ اذ الايمان يمنع ذلك
وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ خارجون عن دينهم او متمرّدون فى نفاقهم (٨٥) لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَاوَةً
لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا لشدّة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم فى اتّباع
الهوى وقُربهم الى التقليد وبُعدهم عن التحقيق وتمرّنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم
وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى للين جانبهم ورقّة قلوبهم وقلّة حرصهم على
الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عن قبول الحقّ اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبّرون كاليهود، وفيه دليل على انّ التواضع والاقبال على
جزء ٧ العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كانت فى كافر (٨٦) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَى
ركوع ١ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقّة قلوبهم وشدّة خشيتهم ومسارعتهم
الى قبول الحقّ وعدم تأبّيهم عنه، والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جُعلت
اعينهم من فرط البكاء كانّها تفيض بانفسها مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ من الاولى للابتداء والثانية
لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانّه بعض الحقّ والمعنى انّهم عرفوا بعض الحقّ فابكاهم فكيف اذا عرفوا
كلّه يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بذلك او بمحمّد فَاكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ من الذين شهدوا بانّه حقّ او بنبوّته
او من امّته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة (٨٧) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ

وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّالِحِينَ استفهامُ إنكار واستبعاد. لانتفاء الايمان مع قيام الداعى وهو جزء ٧
الطمع فى الانخراط مع الصالحين والدخول فى مَداخلهم او جوابُ سائل قال لِمَ آمنتم ، ولا نؤمن حال ركوع ١
من الضمير والعاملُ ما فى اللام من معنى الفعل اى اىّ شىء حصل لنا غيرَ مؤمنين باللّه اى بوحدانيّته
فانّهم كانوا مثلّثين او بكتابه ورسوله فانّ الايمان بهما ايمان به حقيقةً وذكره توطئةً وتعظيما ، ونطمع
عطف على نؤمن او خبرُ محذوف والواوُ للحال اى ونحن نطمع والعاملُ فيها عامل الاولى مقيّدا بها
او نؤمن (٨٨) فَأَثَابَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا اى عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اى معتقَده جَنَّاتٍ تَجْرِى
مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ الّذين احسنوا النظر والعمل او الّذين اعتادوا
الاحسان فى الامور ، والآيات الاربع روى انّها نزلت فى النجاشىّ واصحابه بعث اليه رسول اللّه بكتابه
فقرأه ثمّ دعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسّيسين فامر جعفرا ان يقرأ عليهم
القران فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقران وقيل نزلت فى ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على
رسول اللّه فقرأ عليهم سورة يٰس فبكوا وآمنوا وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ
عطف التكذيب بآيات اللّه على الكفر وهو ضربٌ منه لانّ القصد الى بيان حال المكذّبين وذكرهم فى
معرض المصدّقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب (٨٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ ركوع ٢
ٱللَّهُ لَكُمْ اى ما طاب ولذّ منه كانّه لمّا تضمّن ما قبله مَدْحَ النصارى على ترهّبهم والحثَّ على كسر
النفس ورَفْض الشهوات عقّبه النهىَ عن الافراط فى ذلك والاعتداء عمّا حدّ اللّه بجعل الحلال حراما فقال
وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدودَ ما احلّ لكم الى ما حرّم
عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احلّ وتحليل ما حرّم داعية الى القصد بينهما روى انّ رسول
اللّه وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ فى إنذارهم فرقّوا واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتّفقوا على
ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب
ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبّوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول اللّه فقال لهم انّى
لم أُومَرْ بذلك إنّ لانفسكم عليكم حقّا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانّى اقوم وانام واصوم وافطر وآكُل
اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنّتى فليس منّى فنزلت (٩٠) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا
اى وكلوا ما حلّ لكم وطاب ممّا رزقكم اللّه فيكون حلالا مفعولَ كلوا وممّا حال منه تقدّمت عليه
لانّه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائيّة متعلّقة بكلوا ويجوز ان تكون مفعولا وحلالا حال من الموصول
او العائد المحذوف اوِ صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر
الحلال فائدة زائدة وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٩١) لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ هو ما
يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا واللّه وبلى واللّه واليه ذهب الشافعىّ وقيل الحلف على ما يظنّ
انّه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة ، وفى ايمانكم صلةُ يؤاخذكم او اللغو لانّه مصدر او حال
منه وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ ٱلْأَيْمَانَ بما وثّقتم الايمان عليه بالقصد والنيّة والمعنى ولكن

جزء ٧ يؤاخذكم بما عقّدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقّدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائيّ وابن عيّاش
ركوع ٣ عن عاصم عَقَدْتُمْ بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عَاقَدْتُمْ وهو من فَاعَلَ بمعنى فَعَلَ فَكَفَّارَتُهُ
فكفّارة نكثه اى الفعلة الّتى تُذْهب اثمه وتستره ، واستُدلّ بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث
وهو عندنا خلافا للحنفيّة لقوله عم من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفّر عن يمينه
وليأتِ الّذى هو خير إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ من اقصده فى النوع او
القدر وهو مُدٌّ لكلّ مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفيّة ومحلّه النصبُ لانّه صفة مفعول محذوف
تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام ، وأَهْلُون
كأَرْضون وقرئ أَهَالِيكُمْ بسكون الياء على لغة من يسكّنها فى الاحوال الثلاث كالالف وهو جمع أَهْل
كالليالى فى جمع ليل والاراضى فى جمع ارض وقيل جمع أَهْلاة أَوْ كِسْوَتُهُمْ عطف على اطعام او من
اوسط ان جُعل بدلا وهى ثوبٌ يغطّى العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضمّ
الكاف وهو لغة كقُدْوة فى قِدْوة وكَأُسْوَتِهِمْ بمعنًى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا
تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف فى محلّ الرفع وتقديره او اطعامهم كأُسْوتهم
أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ او إعتاق انسان وشرط الشافعيّ فيه الايمان قياسا على كفّارة القتل، ومعنى أَوْ ايجابُ
احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخييرُ المكلّف فى التعيين فَمَنْ لَمْ يَجِدْ اى واحدا منها فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
فكفّارته صيام ثلاثة ايّام وشرط ابو حنيفة فيه التتابع لانّه قرئ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ والشواذّ ليست
بحجّة عندنا اذا لم تُثْبَتْ كتابا ولم تُرْوَ سُنّةً ذٰلِكَ اى المذكور كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ اذا حلفتم
وحنثتم وَٱحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ بأن تضنّوا بها ولا تبذلوها لكلّ امر او بأن تبرّوا فيها ما استطعتم ولم يَفُتْ
بها خير او بأن تكفّروها اذا حنثتم كَذٰلِكَ اى مثل ذلك البيان يُبَيِّنُ ٱللّٰهُ لَكُمْ آيَاتِهِ أعلامَ شريعته
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعمة التعليم او نِعَمه الواجب شكرُها فانّ مثل هذا التبيين يسهّل لكم المخرج منه
(٩٢) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنْصَابُ اى الاصنام الّتى نصبت للعبادة وَٱلْأَزْلَامُ سبق
تفسيره فى اوّل السورة رِجْسٌ قذرٌ تعاف عنه العقول وافراده لانّه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف
او المضاف محذوف كانّه قال انّما تعاطى الخمر والميسر مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ لانّه مسبّب من تسويله وتزيينه
فَٱجْتَنِبُوهُ الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطى لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ لكى تفلحوا بالاجتناب عنه ، واعلم
انّه تعالى اكّد تحريم الخمر والميسر فى هذه الآية بأن صدّر الجملة بانّما وقرنهما بالانصاب والازلام وسمّاهما
رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على انّ الاشتغال بهما شرٌّ بَحْتٌ او غالب وامر بالاجتناب عن
عينهما وجعله سببا يُرجى منه الفلاح ثمّ قرّر ذلك بأن بيّن ما فيهما من المفاسد الدنيويّة والدينيّة
المقتضية للتحريم فقال (٩٣) إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ

وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ وانّما خصّهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها جزء ٧
على انّهما المقصود، بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انّهما مثلهما فى الحرمة والشرارة لقوله عم ركوع ٢
شارب الخمر كعابد الوثن وخصّ الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بانّ الصادّ عنها كالصادّ
عن الايمان من حيث انّها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثمّ اعاد الحثّ على الانتهاء بصيغة الاستفهام
مرتّبا على ما تقدّم من انواع الصوارف وقال فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ايذانا بانّ الامر فى المنع والتحذير بلغ
الغاية وانّ الأعذار قد انقطعت وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فيما امرا به وَٱحْذَرُوا ما نَهيا عنه او
مخالفتهما فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ اى فاعلموا انّكم لم تضرّوا الرسول بتولّيكم
فانّما عليه البلاغ وقد ادّى وانّما ضررتم به انفسكم (٩٤) لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ
فِيمَا طَعِمُوا ممّا لم يحرّم عليهم لقوله إِذَا مَا ٱتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ اى اتّقوا المحرّم وثبتوا على
الايمان والاعمال الصالحة ثُمَّ ٱتَّقَوْا ما حرّم عليهم بعدُ كالخمر وَآمَنُوا بتحريمه ثُمَّ ٱتَّقَوْا ثمّ استمرّوا وثبتوا
على اتّقاء المعاصى وَأَحْسَنُوا وتحرّوا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انّه لمّا نزل تحريم الخمر قالت
الصحابة يا رسول اللّه فكيف باخواننا الّذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ،
ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان
التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين اللّه ولذلك بدّل الايمان بالاحسان فى
الكرّة الثالثة اشارةً الى ما قال عم فى تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار
ما يُتّقى فانّه ينبغى ان يترك المحرّمات توقّيا من العقاب والشبهات تحرّزا عن الوقوع فى الحرام وبعض
المباحات تحفّظا للنفس عن الخسّة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ فلا يؤاخذهم
بشىء وفيه انّ من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار للّه محبوبا (٩٥) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ركوع ٣
لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ نزلت عامَ الحديبية ابتلاهم اللّه بالصيد
وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكّنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم
محرمون ، والتقليل والتحقير فى بشىء للتنبيه على انّه ليس من العظائم الّتى تُدحض الأقدام كالابتلاء
ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشدّ منه لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِٱلْغَيْبِ
ليتميّز الخائف من عقابه وهو غائبٌ منتظرٌ لقوّة ايمانه ممّن لا يخافه لضعف قلبه وقلّة ايمانه فذكر العلم
واراد وقوعَ المعلوم وظهوره او تعلّق العلم فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ بعد ذلك الابتلاء بالصيد فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فالوعيد لاحق به فانّ من لا يملك جأشه فى مثل ذلك ولا يراعى حكم اللّه فيه فكيف به فيما يكون النفس
أميَلَ اليه وأحرَصَ عليه (٩٦) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا ٱلصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ اى محرمون جمع حَرام
كرَداح ورُدح ، ولعلّه ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم ، واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانّه

جزء ٧ ركوع ٣ الغالب فيه عُرْفا ويؤيّده قوله عم خمس يُقْتلن فى الحِلّ والحَرَم الحدأة والغراب والعقرب والفأرة والكلب العقور وفى رواية اخرى الحيّة بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كلّ مؤذٍ واختلف فى انّ هذا النهى هل يُلْغى حكم الذبح فيلحق مذبوح المُحْرِم بالميتة ومذبوح الوثنىّ او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ذاكرا لاحرامه عالما بأنّه حرام عليه قبل ما يقتله والاكثرُ على انّ ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فانّ اتلاف العامد والمُخْطِئ واحد فى ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم اللّه منه ولانّ الآية نزلت فيمن تعمّد اذ روى انّه عنّ لهم فى عمرة الحديبيّة حمار وحش فطعنه ابو اليَسَر برمحه فقتله فنزلت فَجَزَآءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيّين ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاءٌ يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلّق الجارّ بجزاء للفصل بينهما بالصفة فانّ متعلّق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتمّ بها وانّما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما فى قولهم مِثْلى لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزى مِثْلَ ما قتل وقرئ فَجَزَآءً مِثْلَ مَا قَتَلَ بنصبهما على فليَجْزِ جزاءً او فعليه ان يجزى جزاءً يماثل ما قتل وفَجَزَآؤُهُ مِثْلُ مَا قَتَلَ ، وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعىّ والقيمة عند ابى حنيفة وقال يقوّم الصيد حيث صِيدَ فان بلغتْ قيمته ثمنَ هَدْىٍ يخيّر بين ان يُهْدِى ما قيمتُه قيمتُه وبين ان يشترى بها طعاما فيعطى كلّ مسكين نصف صاع من بُرّ او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كلّ مسكين يوما وان لم تبلغ يخيّر بين الاطعام والصوم واللفظ للاوّل اوفق يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ صفةُ جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره فى خبره او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدّر لمَنْ وكما انّ التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة فى الخلقة والهيئة اليهما فانّ الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عَدْلٍ على ارادة الجنس او الامام هَدْيًا حالٌ من الهاء فى به او من جزاء وان نُوّن لتخصّصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محلّه او لفظه فيمن نصبه بَالِغَ ٱلْكَعْبَةِ وُصِف به هديا لانّ اضافته لفظيّة ، ومعنى بلوغه الكعبة ذَبْحه بالحرم والتصدّق به ثمّ قال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدّق به حيث شاء أَوْ كَفَّارَةٌ عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبرُ محذوف طَعَامُ مَسَاكِينَ عطف بيان او بدلٌ منه او خبرُ محذوف اى هى طعام وقرأ نافع وابن عامر كَفَّارَةُ طَعَامِ بالاضافة للتبيين كقولك خاتمُ فضّة والمعنى عند الشافعىّ او ان يكفّر باطعام مساكين ما يساوى قيمة الهدى من غالب قُوت البلد فيعطى كلّ مسكين مُدًّا أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كلّ مسكين يوما وهو فى الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عُدِل بالشىء فى المقدار كعِدْلَى الحِمْل ، وذلك اشارة الى الطعام ، وصياما تمييز للعدل لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ متعلّق بمحذوف اى فعليه الجزاء او الطعام او الصيام ليذوق ثقلَ فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقلَ الشديدَ على مخالفة امر اللّه تعالى واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ مِنْ قتل الصيد مُحْرِما فى الجاهليّة او قبل التحريم او فى هذه المرّة وَمَنْ عَادَ الى مثل هذا فَيَنْتَقِمُ ٱللَّهُ

منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفّارة على العائد كما حُكى عن ابن عبّاس وشريح جزء ۷
وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ممّن اصرّ على عصيانه (٩٧) أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ ما صيد منه ممّا لا يعيش الّا فى ركوع ۳
الماء وهو حلال كلّه لقوله صلعم فى البحر هو الطّهور ماؤه الحلّ ميتته وقال ابو حنيفة لا يحلّ منه الّا
السمك وقيل يحلّ السمك وما يؤكل نظيره فى البرّ وَطَعَامُهُ ما قذفه او نصب عنه وقيل الضمير للصيد
وطعامه أكله مَتَاعًا لَّكُمْ تمتيعا لكم نصب على الغرض وَلِلسَّيَّارَةِ اى ولسيّارتكم يتزوّدونه قديدا
وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ اى ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاوّل يحرم على المُحرم ايضا ما صاده
الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حلّه لقوله صلعم لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او
يصد لكم مَا دُمْتُمْ حُرُمًا اى محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ
(٩٨) جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ صيّرها وانّما سمّى البيت كعبة لتكعّبه ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ عطف بيان على جهة
المدح او المفعول الثانى قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ انتعاشا لهم اى سبب انتعاشهم فى امر معاشهم ومعادهم يلوذ به
الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجّار ويتوجّه اليه الحجّاج والعمّار او ما يقوم به امر دينهم
ودنياهم وقرأ ابن عامر قِيَمًا على انّه مصدر على فِعَل كالشِبَع أُعِلّ عينه كما اعلّ فى فِعله ونصبه على
المصدر او الحال وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الّذى يؤدّى فيه
الحجّ وهو ذو الحجّة لانّه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذَٰلِكَ اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر
بحفظ حرمة الاحرام وغيره لِتَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ فانّ شرع الاحكام لدفع
المضارّ قبل وقوعها وجلب المنافع المترتّبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ
تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق ٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وعيد
ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصرّ عليه ولمن انقلع عنه (٩٩) مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
تشديد فى ايجاب القيام بما أُمر به اى الرسول اتى بما أُمر به من التبليغ ولم يبق لكم عذرا فى التفريط
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة (١٠٠) قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ
حكم عامّ فى نفى المساواة عند الله بين الردئ من الاشخاص والاعمال والاموال وجيّدها رغّب به فى
صالح العمل وحلال المال وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فانّ العبرة بالجودة والرداءة دون القلّة والكثرة فانّ
المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكلّ معتبر ولذلك قال فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ
اى فاتّقوه فى تحرّى الخبيث وان كثر وآثروا الطيّب وان قلّ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ راجين ان تبلغوا الفلاح
روى انّها نزلت فى حجّاج اليمامة لمّا همّ المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين
(١٠١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ ركوع ۴

*

جزء ٧ ركوع ۴ تُبْدَ لَكُمْ الشرطيّة وما عُطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول اللّه عن اشياء إن تظهر لكم تغمّكم وإن تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم وهما كمقدّمتين تُنْتجان ما يمنع السؤال وهو انّه ممّا يغمّهم والعاقل لا يفعل ما يغمّه ، وأَشْيَاء اسمُ جمع كطَرْفَاء غير انّه قُلبت لامه فجُعل لَفْعَاء وقيل أَفْعِلَاء حُذفت لامه جمعٌ لشَىْء على انّ اصله شَيِّئ كهَيِّن او شَيِىْء كصديق فخفّف وقيل أَفْعَال جمعٌ له من غير تغيير كبَيْت وأَبْيات ويردّه منعُ صرفه عَفَا ٱللّٰهُ عَنْهَا صفةٌ اخرى اى عن اشياء عفا اللّه عنها ولم يكلّف بها اذ روى انّه لمّا نزلت وللّه على الناس حجُّ البيت قال سُراقة بن مالك أَكُلَّ عام فاعرض عنه رسول اللّه حتّى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلتُ نعمْ لوجبَتْ ولو وجبَتْ لما استطعتم فاتركونى ما تركتُكم فنزلت او استيناف اى عفا اللّه عمّا سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها وَٱللّٰهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ لا يعاجلكم بعقوبةِ ما يَفْرط منكم ويعفوعن كثير وعن ابن عبّاس انّه عم كان يخطب ذات يوم وهو غضبان من كثرة ما يسألون عنه ممّا لا يعنيهم فقال لا أُسْأَل عن شىء إلّا اجبتُ فقال رجل ابن ابى فقال فى النار وقال آخر مَنْ ابى فقال حذافة وكان يُدْعَى لغيره فنزلت قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ الضمير للمسألة الّتى دلّ عليها تسألوا ولذلك لم يُعَدَّ بعَنْ او لاشياء بحذف الجارّ مِنْ قَبْلِكُمْ متعلّق بسألها وليس صفة لقوم فانّ ظرف الزمان لا يكون صفة للجُثّة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ اى بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا جحودا (١٠٢) مَا جَعَلَ ٱللّٰهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ردّ وانكار لما ابتدعه اهل الجاهليّة وهو انّهم اذا نُتجت الناقة خمسةَ أَبْطُن آخرُها ذَكَرٌ بحروا اذنها اى شقّوها وخلّوا سبيلها فلا تُرْكَب ولا تُحْلَب وكان الرجل منهم يقول ان شُفيتُ فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وَصَلت الانثى اخاها فلا يُذْبَح لها الذكر واذا نُتجت من صُلْب الفحل عشرة ابطن حرّموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حَمَى ظَهْرَهُ ، ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدّى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومِنْ مزيدة وَلٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللّٰهِ ٱلْكَذِبَ بتحريم ذلك ونسبته اليه وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ اى الحلال من الحرام والمُبيح من المحرِّم او الامر من النهى ولكنّهم يقلّدون كبارهم وفيه انّ منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حبُّ الرئاسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به (١٠٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ ٱللّٰهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا بيان لقصور عقولهم وانهماكهم فى التقليد وأن لا سَنَدَ لهم سواه أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اى أَحَسْبُهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالّين والمعنى انّ الاقتداء انّما يصحّ بمن عُلم انّه عالم مهتدٍ وذلك لا يُعْرَف الّا بالحجّة فلا يكفى التقليد (١٠۴) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ اى احفظوها وٱلزموا اصلاحها والجارّ مع

جزء ٧ ركوع ۴

المجرور جُعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ لا يضرّكم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء أن يُنكر المُنْكَر حسب طاقته كما قال عم من رأى منكرا واستطاع ان يغيّره بيده فليغيّره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لمّا كان المؤمنون يتحسّرون على الكفرة ويتمنّون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفّهت آباءك فنزلت ٭ ولا يَضُرُّكم يحتمل الرفعَ على انّه مستأنف ويؤيّده ان قرئ لَا يَضِيرُكُمْ والجزمَ على الجواب او النهى لكنّه ضُمّت الراء إتباعا لضمّة الصاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءةُ من قرأ لَا يَضُرَّكُمْ بالفتح ولا يَضِرْكُمْ بكسر الصاد وضمّها من ضاره يضيره ويضوره إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على انّ احدا لا يؤاخذ بذنب غيره (١٠٥) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ اى فيما أُمرتم شهادةُ بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد فى الوصيّة واضافتها الى الظرف على الاتّساع وقرئ بالنصب والتنوين على لِيُقِمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ اذا شارفه وظهرت أماراته وهو ظرف للشهادة حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ بدلٌ منه وفى ابداله تنبيه على انّ الوصيّة ممّا ينبغى ان لا يُتهاون فيه او ظرف حضر ٱثْنَانِ فاعلُ شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ اى من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ عطف على اثنان ومن فسّر الغير باهل الذمّة جعله منسوخا فانّ شهادته على المسلم لا تُسْمَع اجماعا إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ اى سافرتم فيها فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ اى قاربتم الاجل تَحْبِسُونَهُمَا تقفونهما وتَصْبِرونهما صفةٌ لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراضٌ فائدته الدلالة على انّه ينبغى ان يشهد اثنان منكم فان تعذّر كما فى السفر فمن غيركم او استينافٌ كانّه قيل كيف نعمل ان ٱرْتَبْنا بالشاهدين فقال تحبسونهما مِنْ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ صلوة العصر لانّه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اىّ صلوة فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ اى ارتاب الوارث منكم لَا نَشْتَرِى بِهِ ثَمَنًا مُقْسَمٌ عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اى لا نحلف بالله كاذبا لطمع وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ولو كان المُقْسَم له قريبا منّا وجوابه ايضا محذوف اى لا نشترى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ ٱللَّهِ اى الشهادة الّتى امر الله باقامتها وعن الشَّعْبى انّه وقف على شَهَادَهْ ثمّ ابتدأ آللَّهِ بالمدّ على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغيره كقولهم اَللّهِ لافعلنّ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ ٱلْآثِمِينَ اى ان كتمنا وقرئ لَمِلَّاثِمِينَ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها (١٠٦) فَإِنْ عُثِرَ فان اطُّلع عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا اى فَعَلا ما اوجب اثما كتحريف فَآخَرَانِ فشاهدان آخران يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ

جزء ٧ من الّذين جُنى عليهم وهم الورثة وقرأ حفص ٱسْتَحَقَّ على البناء للفاعل وهو ٱلْأَوْلَيَانِ الاحقان
ركوع ٤ بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبرُ محذوف اى هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران
او بدل منهما او من الضمير فى يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم ٱلْأَوَّلِينَ على انّه صفة للّذين
او بدل منه اى من الاوّلين الّذين استحقّ عليهم وقرئ ٱلْأَوَّلَيْنِ على التثنية وانتصابه على المدح
وٱلْأَوْلَانِ واعرابُه إعرابُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا اصدق منها واولى بأن
تُقْبَل وَمَا ٱعْتَدَيْنَا وما تجاوزنا فيها الحقّ إِنَّا إِذًا لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ الواضعين الباطل موضع الحقّ او
الظالمين انفسهم ان اعتدينا ، ومعنى الآيتين انّ المحتضَر اذا اراد الوصيّة ينبغى ان يُشْهِد عَدْلَيْن من
ذوى نسبه او دينه على وصيّته او يوصى اليهما احتياطا فان لم يجدهما بأن كان فى سفر فآخرَيْن من
غيرهم ثمّ ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ فى الوقت فان اطّلع على كذبهما
بامارة او مظنّة حلف آخران من اولياء الميّت والحكم منسوخٌ ان كان الاثنان شاهدين فانّه لا يحلّف
الشاهد ولا يعارَض يمينُه بيمين الوارث وثابتٌ ان كانا وصيّين وردُّ اليمين الى الورثة امّا لظهور
خيانة الوصيّين فانّ تصديق الوصىّ باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روى انّ تميما الدارىّ
وعدىّ بن يزيد خرجا الى الشأم للتجارة وكانا حينئذ نصرانيّين ومعهما بُدَيْل مولى عمرو بن العاص
وكان مسلما فلمّا قدموا الشأم مرض بديل فدوّن ما معه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم يخبرهما به
واوصى اليهما بأن يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتّشاه واخذا منه اناء من فضّة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا
بالذهب فغيّباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول اللّه فنزلت يا ايّها
الّذين آمنوا الآية فحلّفهما رسول اللّه بعد صلوة العصر عند المنبر وخلّى سبيلهما ثمّ وجد الاناء فى
ايديهما فأتاهما بنو سَهْم فى ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بيّنة فكرهنا ان نُقِرّ به
فرفعوهما الى رسول اللّه فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطّلب بن ابى وداعة السهميّان فحلفا
واستحقّاه ، ولعلّ تخصيص العدد فيهما لخصوص الواقعة (١٠٧) ذٰلِكَ اى الحكم الّذى تقدّم او تحليف
الشاهد أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِٱلشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة أَوْ يَخَافُوا
أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ان تردّ اليمين على المدّعين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين
الكاذبة ، وانّما جمع الضمير لانّه حكمٌ يعمّ الشهودَ كلّهم وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا ما توصَوْن به سَمْعَ اجابة
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ فان لم تتّقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين واللّه لا يهدى القوم الفاسقين
ركوع ٥ اى لا يهديهم الى حجّة او الى طريق الجنّة فقوله (١٠٨) يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ظرفٌ له وقيل بدلٌ من مفعولِ
واتّقوا بدل الاشتمال او مفعولُ واسمعوا على حذف المضاف اى واسمعوا خبرَ يوم جَمْعه او منصوبٌ باضمار
اذكرْ فَيَقُولُ للرسل مَاذَا أُجِبْتُمْ اىَّ اجابة اجبتم على انّ ما ذا فى موضع المصدر او باىّ شىء اجبتم
فحذف الجارّ وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما انّ سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا

جزء ٧ ركوع ٥

اى لا علم لنا بما لست تعلمه اِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ فتعلم ما نعلم ممّا اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلم ممّا اضمروا فى قلوبهم وفيه التشكّى عنهم وردّ الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جَنْب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانّما الحكم للخاتمة ، وقرئ عَلَّامَ بالنصب على انّ الكلام قد تمّ بقوله انّك انت اى انّك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلّام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ ابو بكر وحمزة ٱلْغِيُوبِ بكسر الغين حيث وقع (١٠٩) اِذْ قَالَ ٱللّٰهُ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ بدلٌ من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنّة والمعنى انّه سبحانه وتعالى يوبّخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذّبتهم طائفة وسمّوهم سحرة وغلا آخرون واتّخذوهم آلهة او نصبٌ باضمار اذكر اِذْ أَيَّدْتُكَ قوّيتك وهو ظرف لنعمتى او حال منه وقرئ آيَدْتُكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ بجبريل عم او بالكلام الّذى يُحيى به الدينُ او النفس حيوةً ابديّةً وتطهر من الآثام ويؤيّده قوله تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا اى كائنا فى المهد وكهلا والمعنى تكلّمهم فى الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله فى الطفوليّة بحال الكهوليّة فى كمال العقل والتكلّم وبه استدلّ على انّه سينزل فانّه رُفع قبل ان اكتهل (١١٠) وَاِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرٰيةَ وَٱلْاِنْجِيلَ وَاِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِاِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِاِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِاِذْنِى وَاِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَى بِاِذْنِى سبق تفسيره فى سورة آل عمران ، وقرأ نافع ويعقوب طَائِرًا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر وَاِذْ كَفَفْتُ بَنِى اِسْرَائِيلَ عَنْكَ يعنى اليهود حين همّوا بقتله اِذْ جِئْتَهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ ظرف لكففت فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ اِنْ هٰذَا اى ما هذا الّذى جئت به اِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ وقرأ حمزة والكسائىّ اِلَّا سَاحِرٌ فالاشارة الى عيسى عم (١١١) وَاِذْ أَوْحَيْتُ اِلَى ٱلْحَوَارِيِّينَ اى امرتهم على ألسنة الرسل أَنْ آمِنُوا بِى وَبِرَسُولِى يجوز ان تكون ان مصدريّة وان تكون مفسّرة قَالُوا آمَنَّا بِٱللّٰهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ مخلصون (١١٢) اِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على انّ ادّعاءهم الاخلاص مع قولهم هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ لم يكن بَعْدُ عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يُطيع ربّك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائىّ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ اى سؤالَ ربّك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف ، والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرّك او من ماده اذا اعطاه كانّها تميد من تُقدّم اليه ونظيره قولهم شجرة مُطْعِمة قَالَ ٱتَّقُوا ٱللّٰهَ من امثال هذا السؤال اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بكمال قدرته وصحّة نبوّتى او صدقتم فى ادّعاء الايمان (١١٣) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا تمهيد عُذْر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان

جزء ٧ يتمتّعوا بالاكل منها وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته وَنَعْلَمَ أَنْ
ركوع ٥ قَدْ صَدَقْتَنَا فى ادّعاء النبوّة او انّ اللّه يجيب دعوتنا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر (١١٤) قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لمّا رأى انّ لهم غرضا صحيحا فى ذلك وانّهم لا يُقلعون عنه واراد الزامهم الحجّة بكمالها ٱللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا اى يكون يوم نزولها عيدا نعظّمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمّى يوم العيد عيدا وقرئ تَكُنْ على جواب الامر لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا لمتقدّمينا ومتأخّرينا روى انّها نزلت يوم الاحد ولذلك اتّخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها اوّلنا وآخرنا وقرئ لِأُولَانَا وأُخْرَانَا بمعنى الامّة او الطائفة وَآيَةً عطف على عيدا مِنْكَ صفة لها اى آية كائنة منك دالّة على كمال قدرتك وصحّة نبوّتى وَٱرْزُقْنَا المائدة او الشكر عليها وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ خير من يرزق لانّه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض (١١٥) قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ اجابةٌ الى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم مُنَزِّلُهَا بالتشديد فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا اى تعذيبا ويجوز ان يُجعل مفعولا به على السعة لَا أُعَذِّبُهُ الضمير للمصدر او للعذاب إِنْ اريد ما يعذَّب به على حذف حرف الجرّ أَحَدًا مِنَ ٱلْعَالَمِينَ اى من عالمى زمانهم او العالمين مطلقا فانّهم مُسخوا قردة وخنازير ولم يعذّب بمثل ذلك غيرهم روى انّها نزلت سُفْرةٌ حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتّى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللّهمّ اجعلنى من الشاكرين اللّهمّ اجعلها رحمة ولا تجعلها مُثْلة وعقوبة ثمّ قام فتوضّأ وصلّى وبكى ثمّ كشف المنديل وقال بسم اللّه خير الرازقين فاذا سمكةٌ مشويّة بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خلّ وحولها من الوان البقول ما خلا الكُرّاث واذا خمسةُ ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح اللّه أمِنْ طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنّه اخترعه اللّه سبحانه بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يُمْدِدْكم اللّه ويَزِدْكم من فضله فقالوا يا روح اللّه لو اريتنا من هذه الآية آيةً اخرى فقال يا سمكة احيَىْ باذن اللّه فاضطربت ثمّ قال لها عودى كما كنتِ فعادت مشويّةً ثمّ طارت المائدة ثمّ عصوا بعدها فمُسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبًّا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتّى اذا فاء الفَىْءُ طارت وهم ينظرون فى ظلّها ولم يأكل منها فقير الّا غَنِىَ مُدّةَ عمره ولا مريض الّا بَرِئَ ولم يمرض ابدا ثمّ اوحى اللّه الى عيسى أنِ اجعلْ مائدتى فى الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحّاء فاضطرب الناس لذلك فمُسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لمّا وعد اللّه انزالها بهذه الشريطة استعفَوْا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد انّ هذا مثل ضربه اللّه لمقترحى المعجزات وعن بعض الصوفيّة المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانّها غذاء الروح كما انّ الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعلّ الحال انّهم رغبوا فى حقائق لم يستعدّوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان

خصّلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتّى تتمكّنوا من الاطّلاع عليها فلم يُقلعوا عن السؤال وألحّوا فيه جزء ٧
فسأل لاجل اقتراحهم فبيّن اللّه انّ انزاله سهل ولكن فيه خطرٌ وخوفُ عاقبة فانّ السالك اذا انكشف ركوع ٥
له ما هو اعلى من مقامه لعلّه لا يحتمله ولا يستقرّ له فيضلّ به ضلالا بعيدا (١١٦) وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَى ٱبْنَ ركوع ٦
مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ، ومن دون
اللّه صفة لالهين او صلةُ اتّخذونى ومعنى دون امّا المغايرةُ فيكون فيه تنبيه على انّ عبادة اللّه مع عبادة
غيره كَلا عبادة فمَنْ عبده مع عبادتهما كأنّه عبدهما ولم يعبده او القصورُ فانّهم لم يعتقدوا انّهما
مستقلّان باستحقاق العبادة وانّما زعموا انّ عبادتهما توصل الى عبادة اللّه تعالى وكأنّه قيل اتّخذونى
وامّى الهَيْن متوصّلين بنا الى اللّه قَالَ سُبْحَانَكَ اى انزّهك تنزيها مِنْ أن يكون لك شريك مَا يَكُونُ لِي أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ما ينبغى لى ان اقول قولا لا يحقّ لى ان اقوله إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا
فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ تعلم ما أُخْفيه فى نفسى كما تعلم ما أُعلنه ولا اعلم ما تخفيه من
معلوماتك وقوله فى نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ تقرير للجملتين
باعتبار منطوقه ومفهومه (١١٧) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ تصريح بنفى المستفهَم عنه بعد تقديم ما
يدلّ عليه أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ عطفُ بيان للضمير فى به او بدل منه وليس من شرط البدل جوازُ
طَرْح المُبْدَل منه مطلقا ليَلْزَمَ بقاء الموصول بلا راجع او خبرُ مضمر او مفعولُه مثل هو او أَعْنى ولا
يجوز ابداله ممّا امرتنى به فانّ المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان تكون أنْ مفسّرة لانّ الامر مسند
الى اللّه وهو لا يقول اعبدوا اللّه ربّى وربّكم والقول لا يفسَّر بل الجملة تُحْكَى بعده الّا ان يؤوَّل القول بالامر
فكأنْ قيل ما امرتهم الّا بما امرتنى به أن اعبدوا اللّه وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ اى رقيبا
عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم مِنْ كفر وايمان فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي بالرفع الى
السماء لقوله انّى متوفّيك ورافعك والتوفّى اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال اللّه تعالى اللّه يتوفّى
الانفس حين موتها والّتى لم تمت فى منامها كُنْتَ أَنْتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ المراقب لاحوالهم فتمنع من اردتَ
عصمتَه من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ مطّلع عليه مراقب له (١١٨) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ اى ان تعذّبهم فانّك تعذّب عبادك ولا
اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انّهم استحقّوا ذلك لانّهم عبادك وقد عبدوا
غيرك وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ فلا عجْز ولا استقباح فانّك القادر القوىّ على الثواب والعقاب
الّذى لا يثيب ولا يعاقب الّا عن حكمة وصواب فانّ المغفرة مستحسَنة لكلّ مُجْرِم فان عذّبت فعدلٌ
وان غفرت ففضلٌ وعدمُ غفران الشرك بمقتضَى الوعيد فلا امتناعَ فيه لذاته ليمنع الترديد والتعليق
بانْ (١١٩) قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ ٱلصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ وقرأ نافع يَوْمَ بالنصب على انّه ظرفٌ لقال وخبرُ هذا

جزء ٧ محذوف او ظرف مستقرّ وقع خبرا والمعنى هذا الّذى مرّ من كلام عيسى واقعٌ يومَ ينفع وقيل انّه خبر
ركوع ٦ ولكن بُنى على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لانّ المضاف اليه مُعْرَب ، والمراد بالصدق الصدق فى
الدنيا فانّ النافع ما كان حالَ التكليف لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِىَ
ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ بيان للنفع (١٢٠) لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم فى المسيح وامّه ، وانّما لم يقل ومَنْ فيهنّ تغليبا
للعقلاء وقال ومَا فيهنّ اتّباعا لهم غير أُولى العقل إعلاما بانّهم فى غاية القصور عن معنى الربوبيّة والنزول
عن رتبة العبوديّة واهانةً بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالهيّة ولانّ مَا يطلق متناولا للاجناس كلّها
فهو أَوْلَى بارادة العموم ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة المائدة أُعطى من الاجر عشر حسنات ومُحى عنه
عشر سيّئات ورُفع له عشر درجات بعدد كلّ يهودىّ ونصرانىّ يتنفّس فى الدنيا ٥

سُورَةُ الانعامِ

مكّيّة غير ستّ آيات او ثلث من قوله قل تعالوا وآيها مائة وخمس وستّون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٧ (١) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ اخبر بانّه تعالى حقيق بالحمد ونبّه على انّه المستحقّ له
على هذه النعم الجسام حُمِد او لم يُحْمَد ليكون حجّة على الّذين هم بربّهم يعدلون ، وجمع السموات
دون الارض وهى مِثْلهنّ لانّ طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدّمها لشرفها وعلوّ
مكانها وتقدّم وجودها وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ انشأهما والفرق بين خَلَقَ وجَعَلَ الّذى له مفعول واحد
أنّ الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبّر عن احداث النور والظلمة بالجعل
تنبيها على انّهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنويّة ، وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والأجرام الحاملة
لها او لانّ المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهُدَى والهدى واحد والضلال متعدّد وتقديمها لتقدّم
الأعدام على الملكات ومن زعم انّ الظلمة عَرَض يضادّ النور احتجّ بهذه الآية ولم يعلم انّ عدم الملكة
كالعَمَى ليس صِرْفَ العدم حتّى لا يتعلّق به الجعل ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ عطف على قوله
الحمد لله على معنى انّ الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمةً على العباد ثمّ الّذين كفروا به يعدلون
فيكفرون نعمته ويكون بربّهم تنبيها على انّه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكوّنهم وتعيّشهم فمنْ حقّه ان
يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خَلَقَ على معنى انّه سبحانه وتعالى خلق ما لا يقدر عليه احد سواه
ثمّ هم يعدلون به ما لا يقدر على شىء منه ، ومعنى ثمّ استبعاد عدولهم بعد هذا البيان ، والباء على
الاوّل متعلّقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اى يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثانى

متعلّقة بيعدلون والمعنى انّ الكفّار يعدلون بربّهم الاوثان اى يسوّونها به (٢) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ اى ابتدأ خلقكم منه فانّه المادّة الاولى فانّ آدم ٱلّذى هو اصل البشر خُلق منه او خلق آباءكم فحذف المضاف ثُمَّ قَضَى أَجَلًا اجل الموت وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ اجل القيامة وقيل الاوّل ما بين الخلق والموت والثانى ما بين الموت والبعث فانّ الاجل كما يطلق لآخر المدّة يطلق لجملتها وقيل الاوّل النوم والثانى الموت وقيل الاوّل لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن يأتى ، واجل نكرةٌ خُصّصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكّر ووصف بانّه مسمّى اى مُثْبت معيَّن لا يقبل التغيّر واخبر عنه بانّه عند اللّه لا مَدْخَلَ لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانّه المقصود بيانه ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انّه خالقهم وخالق اصولهم ومُحْيِيهم الى آجالهم فانّ من قدر على خلق الموادّ وجمعها وابداع الحياة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك الموادّ واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث ، والامتراء الشكّ وأصله المَرْى وهو استخراج اللبن من الضرع (٣) وَهُوَ ٱللَّهُ الضمير للّه واللّهُ خبره فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ متعلّق باسم اللّه والمعنى هو المستحقّ للعبادة فيهما لا غير كقوله تعالى وهو ٱلّذى فى السماء اله وفى الارض اله او بقوله يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ والجملة خبر ثانٍ او هى الخبر واللّهُ بدل ويكفى لصحّة الظرفيّة كونُ المعلوم فيهما كقولك رميتُ الصيدَ فى الحَرَم اذا كنتَ خارجه والصيدُ فيه او ظرفٌ مستقرٌّ وقع خبرا بمعنى انّه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانّه فيهما ويعلم سرّكم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلّقا بالمصدر لانّ صلته لا تتقدّم وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ من خير او شرّ فيُثيب عليه ويعاقب ولعلّه اريد بالسرّ والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسَب اعمال الجوارح (٤) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اى ما يظهر لهم دليلٌ قطّ من الادلّة او معجزة من المعجزات أو آية من آيات القران إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ يعنى القران وهو كاللازم ممّا قبله كانّه قيل انّهم لمّا كانوا معرضين عن الآيات كلّها كذّبوا به لمّا جاءهم او كالدليل عليه على معنى انّهم لمّا اعرضوا عن القران وكذّبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتّب عليه بالفاء فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ اى سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون عند نزول العذاب بهم فى الدنيا او الآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره (٦) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ اى من اهل زمان والقرن مُدّةُ اغلب اعمار الناس وهى سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبىّ او فائقٌ فى العلم قلّت المدّة او كثرت واشتقاقه من قرنت مَكَّنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ جعلنا لهم فيها مكانا وقرّرناهم فيها او اعطيناهم من القُوى والآلات ما تمكّنوا بها من انواع التصرّف فيها مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ ما لم نجعل لكم من السعة وطول المُقام يا اهل مكّة او ما لم نُعطِكم من القوّة والسعة فى المال والاستظهار بالعُدَد والاسباب وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَاءَ عَلَيْهِمْ اى المطر او السحاب

جزء ٧

ركوع ٧

جزء ٧ لو المظلّة فانّ مبدأ المطر منها مِدْرَارًا مغزارا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَارَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فعاشوا فى الخصب والريف
ركوع ٧ بين الانهار والثمار فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ اى لم يغن ذلك عنهم شيئا وَأَنشَأْنَا واحدثنا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ
بدلا منهم والمعنى انّه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم (٧) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِى قِرْطَاسٍ مكتوبا فى ورق فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ فمسّوه وتخصيص اللمس لانّ التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انّما سُكِّرَتْ أبصارنا ولانّه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدى لدفع التجوّز فانّه قد يتجوّز به للفحص كقوله وانّا لمسنا السماء لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ تعنّتا وعنادا (٨) وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ هلّا انزل معه ملك يكلّمنا انّه نبىّ كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ جواب لقولهم وبيان لما هو المانع ممّا اقترحوه والخلل فيه والمعنى انّ الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لَحقّ اهلاكهم فانّ سُنّة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ بعد نزوله طَرْفَةَ عين (٩) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ جواب ثانٍ ان جُعل الهاء للمطلوب وان جُعل للرسول فهو جواب اقتراح ثانٍ فانّهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربّنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثّلناه رجلا كما مُثّل جبريل فى صورة دِحْيَة فانّ القوّة البشريّة لا تقوى على رؤية الملك فى صورته وانّما رآهم كذلك الأفراد من الانبياء بقوّتهم القُدسيّة ، وللبسنا جوابٌ محذوف اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الّا بشر مثلكم وقرئ لَبَسْنَا بلام واحدة ولَلَبَّسْنَا بالتشديد للمبالغة (١٠) وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ تسلية لرسول الله صلعم عمّا يرى من قومه فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ فاحاط بهم الّذى كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم
ركوع ٨ وبال استهزائهم (١١) قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كى تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا فى الارض فانظروا انّ السير ثمّة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجابُ النظر فى آثار الهالكين (١٢) قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قُل لِّلَّهِ تقرير لهم وتنبيه على انّه المتعيّن للجواب بالاتّفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ التزمها تفضّلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعمّ الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلّة وانزال الكتب والامهال على الكفر لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ استيناف وقسمٌ للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى ليجمعنّكم فى القبور مبعوثين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم او فى يوم القيامة والى بمعنى فى وقيل بدلٌ من الرحمة بدل البعض فانّ من رحمته بعثه ايّاكم وانعامه عليكم لَا رَيْبَ فِيهِ فى

جزء ٧ ركوع ٨

اليوم او الجمع ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصليّة والعقل السليم • وموضع ٱلَّذِينَ نَصْبٌ على الذمّ او رفعٌ على الخبر اى انتم ٱلَّذِينَ او على الابتداء والخبر فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ والفاء للدلالة على انّ عدم ايمانهم مسبّب عن خسرانهم فانّ ابطال العقل باتّباع الحواسّ والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر ادّى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان (١٣) وَلَهُۥ عطف على لله مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ من السُكْنَى وتعديته بفى كما فى قوله وسكنتم فى مساكن ٱلَّذِينَ ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اى ما سكن فيهما وتحرّك فاكتفى باحد الضدّين عن الآخر وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ لكلّ مسموع ٱلْعَلِيمُ بكلّ معلوم فلا يخفى عليه شىء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم (١٤) قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا انكار لاتّخاذ غير الله وليّا لا لاتّخاذ الولىّ فلذلك قدّم وأُولِىَ الهمزةَ والمراد بالولىّ المعبود لانّه ردٌّ لمن دعاه الى الشرك فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مُبْدِعهما وعن ابن عبّاس ما عرفت معنى الفاطر حتّى اتانى اعرابيّان يختصمان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها وجرّه على الصفة لله فانّه بمعنى الماضى ولذلك وقرئ فَطَرَ وقرئ بالرفع والنصب على المدح وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ يَرْزُق ولا يُرْزَق وتخصيص الطعام لشدّة الحاجة اليه وقرئ وَلَا يَطْعَمُ بفتح الياء وبعكس الاوّل على انّ الضمير لغير الله والمعنى كيف أُشْرِك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانيّة وببنائهما للفاعل على انّ الثانى من أَطْعَمَ بمعنى استطعم او على معنى انّه يُطْعِم تارة ولا يُطْعِم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ لانّ النبىّ سابق امّته فى الدين وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وقيل لى لا تكوننّ ويجوز عطفه على قل (١٥) قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ مبالغة اخرى فى قطع أطماعهم وتعريض لهم بانّهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دلّ عليه الجملة (١٦) مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ اى يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائىّ ويعقوب وابو بكر عن عاصم يَصْرِفْ على انّ الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعولُ به محذوف او يومئذ بحذف المضاف فَقَدْ رَحِمَهُۥ نجّاه وانعم عليه وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ اى الصرف او الرحمة (١٧) وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ببليّة كمرض وفقر فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ فلا قادر على كشفه إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ بنعمة كصحّة وغنى فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله تعالى فلا رادّ لفضله (١٨) وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ تصوير لقهره وعلوّه بالغلبة والقدرة وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ فى امره وتدبيره ٱلْخَبِيرُ بالعباد وخفايا احوالهم (١٩) قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً نزلت حين قال قريش يا محمّد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انْ ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنّك رسول الله • والشىء يقع على كلّ موجود وقد سبق القول فيه فى سورة البقرة قُلِ ٱللَّهُ اى الله اكبر شهادة ثمّ ابتدأ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ اى هو شهيد ويجوز ان يكون الله

جزء ٧ شهيدٌ هو الجواب لانّه سبحانه وتعالى اذا كان الشهيدَ كان اكبرَ شيء شهادة وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا ٱلْقُرْآنُ
ركوع ٨ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ اى بالقران واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة وَمَنْ بَلَغَ عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكّة وسائرَ من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلَيْن او لانذركم ايّها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وهو دليل على أنّ احكام القران تعمّ الموجودين وقتَ نزوله ومَنْ بعدهم وانّه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللّٰهِ آلِهَةً أُخْرَى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قُلْ لَا أَشْهَدُ بما تشهدون قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ اى بل اشهد ان لا اله الّا هو وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ يعنى الاصنام (٢٠) ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ يعرفون رسول اللّه بحليته المذكورة فى التورية والانجيل كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ بحلاهم ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ من اهل الكتاب والمشركين فَهُمْ لَا
ركوع ٩ يُؤْمِنُونَ لتضييعهم ما به يُكتسب الايمان (٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللّٰهِ كَذِبًا كقولهم الملائكة بنات اللّه وهؤلاء شفعاؤنا عند اللّه أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ كأنْ كذّبوا القران والمعجزات وسمّوها سحرا وانّما ذكر أَوْ وهم قد جمعوا بين الامرَيْن تنبيها على انّ كلّا منهما وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم على النفس إِنَّهُ الضمير للشأن لَا يُفْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ فضلا عمّن لا احد اظلم منه (٢٢) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ اى آلهتكم الّتى جعلتموها شركاء للّه، وقرأ يعقوب يَحْشُرُهُمْ ويَقُولُ بالياء ٱلَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان، والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعلّه يُحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليَفْقدوها فى الساعة الّتى علّقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لمّا لم ينفعوهم فكأنّهم غُيّب عنهم (٢٣) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل مَعْذرتهم الّتى يتوهّمون ان يتخلّصوا بها من فَتَنْتُ الذهبَ اذا خلّصته وقيل جوابهم وانّما سمّاه فتنة لانّه كذبٌ او لانّهم قصدوا به الخلاص، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لَمْ تَكُنْ بالتاء وفِتْنَتُهُمْ بالرفع على انّها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه بالتاء والنصب على انّ الاسم أن قالوا والتأنيث للخبر كقولهم من كانت أُمّك والباقون بالياء والنصب وَٱللّٰهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانّه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربّنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنّا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله (٢٤) ٱنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ اى بنفى الشرك عنها وحَمْلُه على كذبهم فى الدنيا تعسّفٌ يُخلّ بالنظم ونظيرُ ذلك قوله يومَ يبعثهم اللّه جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم، وقرأ حمزة والكسائى رَبَّنَا بالنصب على النداء او المدح وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ من الشركاء (٢٥) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حين تتلو القران والمرادُ ابو سفيان والوليد والنَّضْر وعُتْبة وشَيْبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول اللّه يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والّذى جعلها بيته ما ادرى ما يقول

جزء ٧ الّا انّه يحرّك لسانه ويقول اساطير الاوّلين مثل ما حدّثتكم وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً اغطية جمع كِنان
ركوع ٩ وهو ما يستر الشيء أَنْ يَفْقَهُوهُ كراهة ان يفقهوه وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا يمنع من استماعه وقد مرّ تحقيق ذلك
في اوّل البقرة وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ
اى بلغ تكذيبهم الآيات الى انّهم جاؤك يجادلونك وحتّى هي التي تقع بعدها الجُمَل لا عَمَلَ لها والجملة
اذا وجوابه وهو يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ فانّ جعل اصدق الحديث خُرافات
الاوّلين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارّة واذا جاؤك في موضع الجرّ
ويجادلونك حال ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع أُسطورة او إسطارة او أسطار جمع سَطَر
وأصله السَّطْر بمعنى الخطّ (٢٦) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ اى ينهون الناس عن القران او الرسول والايمان به
وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ بانفسهم او ينهون عن التعرّض لرسول الله وينأون عنه فلا يؤمنون به كأبي طالب
وَإِنْ يُهْلِكُونَ وما يهلكون بذلك إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ انّ ضرره لا يتعدّاهم الى غيرهم
(٢٧) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ جوابه محذوف اى لو تراهم حين يوقفون على النار حتّى يعاينوها او
يطّلعون عليها او يُدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وَقَفُوا على البناء للفاعل
من وَقَفَ عليه وقوفا فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ تمنّيا للرجوع الى الدنيا وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
استيناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دَعْني ولا اعودُ اى وانا لا اعودُ تركتني او لم تتركني
او عطفٌ على نُرَدّ او حالٌ من الضمير فيه فيكون في حكم التمنّي وقوله وانّهم لكاذبون راجع الى
ما تضمّنه التمنّي من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار أَنْ بعد الواو واجرائها
مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاوّل على العطف ونصب الثاني على الجواب (٢٨) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا
يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ الاضرابُ عن ارادة الايمان المفهومة من التمنّي والمعنى انّه ظهر لهم ما كانوا يخفون من
نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنّوا ذلك ضَجَرا لا عزما على انّهم لو ردّوا لآمنوا وَلَوْ رُدُّوا اى الى الدنيا بعد
الوقوف والظهور لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ من الكفر والمعاصي وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فيما وعدوا به من انفسهم
(٢٩) وَقَالُوا عطف على لعادوا او على انّهم لكاذبون او على نُهوا او استيناف بذكر ما قالوه في الدنيا
إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا الضمير للحيوة وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٠) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ مجاز
عن الحَبْس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وُقفوا على قضاء ربّهم او جزائه او عرفوه حقّ التعريف
قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ كأنّه جواب قائل قال ما ذا قال ربّهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب
والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا اقرار مؤكّد باليمين لانجلاء الامر غاية
الانجلاء قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ بسبب كفركم او ببدله (٣١) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا ركوع
بِلِقَاءِ اللَّهِ اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ

فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ بالحرص على ما لا يكون والجزع فى مواطن الصبر فانّ ذلك من دأب الجهلة جزء ٧
(٣٦) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ انّما يجيب الّذين يسمعون بفهم وتأمّل كقوله او القى السمع وهو ركوع ١٠
شهيد وهؤلاء كالموتى الّذين لا يسمعون وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ
للجزاء (٣٧) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ اى آية ممّا اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات
٥ المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً ممّا اقترحوه او آية تضطرّهم الى
الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أنّ اللّه قادر على انزالها وأنّ
انزالها يستجلب عليهم البلاء وأنّ لهم فيما انزل مندوحة عن غيره ، وقرأ ابن كثير يُنْزِلُ بالتخفيف
والمعنى واحد (٣٨) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ تدبّ على وجهها وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ فى الهواء وصفه
به قطعا لمجاز السرعة ونحوها ، وقرئ وَلَا طَائِرٌ بالرفع على المحلّ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ محفوظة احوالها مقدّرة
١٠ ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل
على انّه قادر على ان ينزّل آية ، وجمع الامم للحمل على المعنى مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ يعنى اللوح
المحفوظ فانّه مشتمل على ما يجرى فى العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او
القرآن فانّه قد دوّن فيه ما يُحْتاج اليه من امر الدين مفصّلا او مُجْمَلا ، ومِنْ زائدة ، وشيء فى موضع
المصدر لا المفعول به فانّ فرّط لا يتعدّى بنفسه وقد عُدّى بفى الى الكتاب ، وقرئ مَا فَرَطْنَا بالتخفيف
١٥ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ يعنى الامم كلّها فينْصف بعضها من بعض كما روى انّه يأخذ للجمّاء من القرْناء
وعن ابن عبّاس حشرُها موتُها (٣٩) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالّة على
ربوبيّته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثّر به نفوسهم وَبُكْمٌ لا ينطقون بالحقّ فِي ٱلظُّلُمَاتِ خبر
ثالث اى خابطون فى ظلمات الكفر او فى ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان
يكون حالا من المستكنّ فى الخبر مَنْ يَشَإِ ٱللَّهُ اضلالَه يُضْلِلْهُ وهو دليل واضح لنا على المعتزلة وَمَنْ يَشَأْ
٢٠ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ بأن يرشده الى الهدى ويحمله عليه (٤٠) قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ استفهامُ تعجيب والكاف
حرف خطاب أكّد به الضمير للتأكيد لا محلّ له من الاعراب لانّك تقول أرأيتَك زيدا ما شأنه فلو جعلت
الكاف مفعولا كما قاله الكوفيّون لعدّيت الفعل الى ثلاثة مفاعيل ولَلزم فى الآية ان يقال أرأيتموكم بل
الفعل معلّق او المفعول محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها ، وقرأ نافع أرأَيْتكم وأرأيت
وأفرأيت وشبْهها اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة الّتى بعد الراء والكسائىّ بحذفها اصلا والباقون
٢٥ يحقّقونها وحمزة اذا وقف وافق نافعا إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ كما اتى مَنْ قبلكم أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ وهولها
ويدلّ عليه أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ وهو تبكيت لهم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أنّ الاصنام آلهة وجوابه محذوف اى
فادعوه (٤١) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ بل تخصّونه بالدعاء كما حكى عنهم فى مواضع وتقديم المفعول لافادة

جزء ٧ ركوع ١١

(٤٩) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ جعل العذاب ماسّا لهم كانّه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة (٥٠) قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزَائِنُ ٱللَّهِ مقدوراته او خزائن رزقه وَلَا أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ما لم يُوحَ الىّ ولم يُنْصَب عليه دليل وهو من جملة المقول وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ اى من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَىَّ تبرّأ عن دعوى الالوهيّة والمَلَكيّة وادّعى النبوّة الّتى هى من كمالات البشر ردًّا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدّعاه قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَى وَٱلْبَصِيرُ مَثَلٌ للضالّ والمهتدى او الجاهل والعالم او مدّعى المستحيل كالالوهيّة والملكيّة ومدّعى المستقيم كالنبوّة أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ فتهتدوا او فتميّزوا بين ادّعاء الحقّ والباطل او فتعلموا انّ اتّباع الوحى ممّا لا محيص عنه (٥١) وَأَنْذِرْ بِهِ الضمير لما يوحى الىّ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ هم المؤمنون المفرّطون فى العمل او المجوّزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرّا به او متردّدا فيه فانّ الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ فى موضع الحال من يحشروا فانّ المخوّف هو الحشر على هذه الحال لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ لكى يتّقوا

ركوع ١٢

(٥٢) وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِىِّ بعدما امره بانذار غير المتّقين ليتّقوا امره باكرام المتّقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضيةً لقريش روى انّهم قالوا لو طردت هؤلاء الأَعْبُد يعنون فقراء المسلمين كعمّار وصُهَيْب وخَبّاب وسَلْمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنّا اذا جئناك قال نعم وروى انّ عمر رضه قال له لو فعلت حتّى ننظر الى ما ذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلىّ رضه ليكتب فنزلت ، والمراد بذكر الغداة والعشىّ الدوام وقيل صلاة الصبح والعصر، وقرأ ابن عامر بِٱلْغُدْوَةِ هنا وفى الكهف يُرِيدُونَ وَجْهَهُ حال من يدعون اى يدعون ربّهم مخلصين فيه قيّد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انّه ملاك الامر ورتّب النهى عليه اشعارا بانّه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَىْءٍ اى ليس عليك حساب ايمانهم فلعلّ ايمانهم عند اللّه اعظم من ايمان مَنْ تطردهم بسؤالهم طمعا فى ايمانهم لو آمنوا او ليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لمّا اتّسموا بسيرة المتّقين وان كان لهم باطن غير مرضىّ كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لا يتعدّاهم اليك كما انّ حسابك عليك لا يتعدّاك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اى من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتّى يهمّك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فَتَطْرُدَهُمْ فتبعدهم وهو جواب النفى فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ جواب النهى وجوّز عطفه على فتطردهم على وجه التسبّب وفيه نظرٌ (٥٣) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس فى امر الدنيا فتنّا اى ابتلينا بعضهم ببعض فى امر الدين فقدّمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى

*

معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبيّنة وَكَذَّبْتُمْ بِهِ الضمير لربّى اى كذّبتم به حيث اشركتم به غيره او للبيّنة باعتبار المعنى مَا عِنْدِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ يعنى العذاب الّذى استعجلوه بقولهم فأمطرْ ركوع ١٣ علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ فى تعجيل العذاب وتأخيره يَقْضِى ٱلْحَقَّ اى القضاء الحقّ او يصنع الحقّ ويدبّره من قولهم قضى الدرْعَ اذا صنعها فيما يقضى من تعجيل وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانّه منع الباطل ، وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يَقُصُّ من قصّ الاثر او قصّ الخبر وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَاصِلِينَ القاضين (٥٨) قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِى اى فى قدرتى ومكنتى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ من العذاب لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ لاهلكتكم عاجلا غضبا لربّى وانقطع ما بينى وبينكم وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّالِمِينَ فى معنى استدراك كانّه قال ولكنّ الامر الى اللّه سبحانه وتعالى وهو اعلم بمن ينبغى ان يؤخذ وبمن ينبغى ان يُمْهَل منهم (٥٩) وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ خزائنه جمع مَفْتَح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصّل به الى المغيّبات مستعار من المفاتح الّذى هو جمع مِفْتَح بكسر الميم وهو المفتاح ويؤيّده انّه قرئ مَفَاتِيحُ والمعنى انّه المتوصّل الى المغيّبات المحيط علمه بها لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ فيعلم اوقاتها وما فى تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلّقت به مشيئته وفيه دليل على انّه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ عطف للاخبار عن تعلّق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيّبات به وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيّات وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ معطوفات على ورقة وقوله إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ بدل من الاستثناء الاوّل بدل الكلّ على انّ الكتاب المبين علم اللّه تعالى او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح ، وقرئت بالرفع للعطف على محلّ ورقة او للابتداء والخبرُ إلّا فى كتاب مبين (٦٠) وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ بِٱللَّيْلِ يُنيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفّى من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة فى زوال الاحساس والتمييز فانّ اصله قبض الشىء بتمامه وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِٱلنَّهَارِ كسبتم فيه خصّ الليل بالنوم والنهار بالكسب جريًا على المعتاد ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفّى فِيهِ فى النهار لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ليبلغ المتيقّظ آخرَ اجله المسمّى له فى الدنيا ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ بالموت ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انّكم مُلْقَوْن كالجيف بالليل وكاسبو ن للآثام بالنهار وانّه تعالى مطّلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى شأن ذلك الّذى قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الّذى سمّاه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثمّ اليه مرجعكم بالحساب ثمّ ينبّئكم بما كنتم تعملون بالجزاء (٦١) وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة ركوع ١٤

شهيدٌ هو الجواب لانه سبحانه وتعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شيء شهادة وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ
لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ اي بالقرآن، واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة وَمَنْ بَلَغَ عطف على ضمير المخاطبين
اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم ايها
الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن
بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى تقرير لهم مع انكار
واستبعاد قُلْ لَا أَشْهَدُ بما تشهدون قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ اي بل اشهد ان لا اله الا هو وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا
تُشْرِكُونَ يعني الاصنام (٢٠) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في
التوراة والانجيل كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ بحلاهم الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ من اهل الكتاب والمشركين فَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ لتضييعهم ما به يكتسب الايمان (٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا كقولهم الملائكة بنات
الله [illegible] أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ كأن كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر

[illegible]

الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاوّلين مثل ما حدّثتكم وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً اغطية جمع كنان جزء ٧
وهو ما يستر الشيء أَنْ يَفْقَهُوهُ كراهة ان يفقهوه وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا يمنع من استماعه وقد مرّ تحقيق ذلك ركوع ٩
فى اوّل البقرة وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حَتَّى إِذَا جَاؤُكَ يُجَادِلُونَكَ
اى بلغ تكذيبهم الآيات الى انّهم جاؤك يجادلونك وحَتَّى هى الّتى تقع بعدها الجُمَل لا عمل لها والجملة
٥ اذا وجوابه وهو يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ فانّ جعل اصدق الحديث خرافات
الاوّلين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارّة واذا جاؤك فى موضع الجرّ
ويجادلونك حال ويقول تفسير له، والاساطير الاباطيل جمع أسطورة او اسطارة او أسطار جمع سَطَر
وأصله السَطْر بمعنى الخطّ (٢٦) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ اى ينهون الناس عن القران او الرسول والايمان به
وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ بانفسهم او ينهون عن التعرّض لرسول اللّه وينأون عنه فلا يؤمنون به كأبى طالب
١٠ وَإِنْ يُهْلِكُونَ وما يهلكون بذلك إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ انّ ضرره لا يتعدّاهم الى غيرهم
(٢٧) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ جوابه محذوف اى لو تراهم حين يوقفون على النّار حتّى يعاينوها او
يطّلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وَقَفوا على البناء للفاعل
من وَقَف عليه وُقوفا فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ تمنّيا للرجوع الى الدنيا وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
استيناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دَعْنى ولا اعودُ اى وانا لا اعودُ تَركتَنى او لم تتركنى
١٥ او عطفٌ على نُرَدّ او حالٌ من الضمير فيه فيكون فى حكم التمنّى وقوله وانّهم لكاذبون راجع الى
ما تضمّنه التمنّى من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار أنْ بعد الواو واجرائها
مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاوّل على العطف ونصب الثانى على الجواب (٢٨) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا
يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ الاضرابُ عن ارادة الايمان المفهومة من التمنّى والمعنى انّه ظهر لهم ما كانوا يخفون من
نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنّوا ذلك ضجرا لا عزما على انّهم لو ردّوا لآمنوا وَلَوْ رُدُّوا اى الى الدنيا بعد
٢٠ الوقوف والظهور لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ من الكفر والمعاصى وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فيما وعدوا به من انفسهم
(٢٩) وَقَالُوا عطف على لعادوا او على انّهم لكاذبون او على نُهوا او استيناف بذكر ما قالوه فى الدنيا
إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا الضمير للحيوة وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٠) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ مجاز
عن الحَبْس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وُقفوا على قضاء ربّهم او جزائه او عَرفوه حقّ التعريف
قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ كانّه جواب قائل قال ما ذا قال ربّهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب
٢٥ والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا اقرار مؤكّد باليمين لانجلاء الامر غاية
الانجلاء قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ بسبب كفركم او ببدله (٣١) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا ركوع ١٠
بِلِقَاءِ اللَّهِ اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم، ولقاء اللّه البعث وما يتبعه حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ

جزء ۷ شهيدٌ هو الجواب لانّه سبحانه وتعالى اذا كا.. الشـ
ركوع ۸ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ اى بالقران واكتفى بذ
اى لانذركم به يا اهل مكّة وسـ
الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وفـ
بعدهم وانّه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه
واستبعاد قُلْ لَا أَشْهَدُ بما تشهدون قُلْ إِنَّمَا هو
تُشْرِكُونَ يعنى الاصنام (۲۰) ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلـ
التورية والانجيل كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ بحلاهم ٱلَّذِينَ خَسِـ
ركوع ۹ يُؤْمِنُونَ لتضييعهم ما به يُكتسب الايمان (۲۱) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
اللّه وهؤلاء شفعاؤنا عند اللّه أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ كأن كذّبوا القران .
أو وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على انّ كلّا منهما وحده بـ
إِنَّهُ الضمير للشأن لَا يُفْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ فضلا عمّن لا احد اظلم منه (۲۲)
بمضمر تهويلا للامر ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ اى آلهتكم
وقرأ يعقوب يَحْشُرُهُمْ ويَقُولُ بالياء ٱلَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ اى تزعمونهم شركـ
من الاستفهام التوبيخ ولعلّه يُحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها فى السا
فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لمّا لم ينفعوهم فكأنّهم غيّب عنهم (۲۳) ثُمَّ لَمْ يَكُن
اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم الّتى يتوهّمون ان يتخلّصوا بها من
خلّصته وقيل جوابهم وانّما سمّاه فتنة لانّه كذبٌ او لانّهم قصدوا به الخلاص ، وقرأ ابـ
عامر وحفص لَمْ تَكُنْ بالتاء وفِتْنَتُهُمْ بالرفع على انّها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بـ
والنصب على انّ الاسم أن قالوا والتأنيث للخبر كقولهم من كانت أمّك والباقون باليـ
وَٱللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانّه لا ينفع من فرط الحيرة و
كما يقولون ربّنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنّا مشركين عند الفسنا
لا يوافق قوله (۲۴) ٱنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ اى بنفى الشرك عنها وحمله على كذبهم فى الدنيا
تعسّفٌ يُخلّ بالنظم ونظيرُ ذلك قوله يومَ يبعثهم اللّه جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ، وقرأ
حمزة والكسائى رَبَّنَا بالنصب على النداء او المدح وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ من الشركاء ۲۵
(۲۵) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حين تتلو القران والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل
واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول اللّه يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والّذى جعلها بيته ما ادرى ما يقول

فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ بالحرص على ما لا يكون والجزع فى مواطن الصبر فانّ ذلك من دأب الجهلة

(٣٦) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ انّما يجيب الّذين يسمعون بفهم وتأمّل كقوله او القى السمع وهو ركوع ١٠

شهيد وهؤلاء كالموتى الّذين لا يسمعون وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

للجزاء (٣٧) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ اى آية ممّا اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات

كاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً ممّا اقترحوه او آية تضطرّهم الى

كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أنّ اللّه قادر على انزالها وأنّ

نجلب عليهم البلاء وأنّ لهم فيما انزل مندوحة عن غيره ، وقرأ ابن كثير يُنْزِلَ بالتخفيف

(٣٨) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ تدبّ على وجهها وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ فى الهواء وصفه

سرعة ونحوها ، وقرئ وَلَا طَائِرٌ بالرفع على المحلّ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ محفوظة احوالها مقدّرة

المقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل

ل آية ، وجمع الامم للحمل على المعنى مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ يعنى اللوح

يجرى فى العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او

يحتاج اليه من امر الدين مفصّلا او مجملا ، ومِنْ زائدة ، وشيء فى موضع

عدّى بنفسه وقد عُدّى بفى الى الكتاب ، وقرئ مَا فَرَطْنَا بالتخفيف

فينتصف بعضها من بعض كما روى انّه يأخذ للجمّاء من القرناء

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالّة على

نفوسهم وَبُكْمٌ لا ينطقون بالحقّ فِي ٱلظُّلُمَاتِ خبر

الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان

ضلّله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة وَمَنْ يَشَأْ

(٤٠) قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ استفهام تعجيب والكاف

تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت

فى الآية ان يقال أرأيتموكم بل

وقرأ نافع أرأيتكم وأرأيت

حذفها اصلا والباقون

تكم السَّاعَةُ وهولها

محذوف اى

لافادة

يَنْتَفِع

من وَقَف

استيناف

او عطف على

ما تضمّنه التمنّى

مجرى الفاء وقرأ ابن

يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ الاخر

نفاقهم او قبائح اعمالهم

الوقوف وانظهور لَعَادُوا

(٣٦) وَقَالُوا عطف على لعادوا

إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا

عن الحبس للسؤال والتوبيخ

قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ

والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب

الانجلاء قَالَ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ

بلقاء ٱللّه اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب

جزء ٧ ركوع ١٠

فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ بالحرص على ما لا يكون والجزع فى مواطن الصبر فانّ ذلك من دأب الجهلة (٣٦) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ انّما يجيب الّذين يسمعون بفهم وتأمّل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الّذين لا يسمعون وَٱلْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ ٱللّٰهُ فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ للجزاء (٣٧) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ اى آية ممّا اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قُلْ إِنَّ ٱللّٰهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً ممّا اقترحوه او آية تضطرّهم الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أنّ الله قادر على انزالها وأنّ انزالها يستجلب عليهم البلاء وأنّ لهم فيما انزل مندوحة عن غيره ، وقرأ ابن كثير يُنْزِلَ بالتخفيف والمعنى واحد (٣٨) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ تدبّ على وجهها وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ فى الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها ، وقرئ وَلَا طَائِرٌ بالرفع على المحلّ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ محفوظة احوالها مقدّرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انّه قادر على ان ينزّل آية ، وجمع الامم للحمل على المعنى مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ يعنى اللوح المحفوظ فانّه مشتمل على ما يجرى فى العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانّه قد دوّن فيه ما يُحتاج اليه من امر الدين مفصّلا او مُجمَلا ، ومِنْ زائدة ، وشىء فى موضع المصدر لا المفعول به فانّ فرّط لا يتعدّى بنفسه وقد عُدّى بفى الى الكتاب ، وقرئ مَا فَرَطْنَا بالتخفيف ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ يعنى الامم كلّها فينْصف بعضها من بعض كما روى انّه يأخذ للجمّاء من القرناء وعن ابن عبّاس حشرها موتها (٣٩) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالّة على ربوبيّته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثّر به نفوسهم وَبُكْمٌ لا ينطقون بالحقّ فِي ٱلظُّلُمَاتِ خبر ثالث اى خابطون فى ظلمات الكفر او فى ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكنّ فى الخبر مَنْ يَشَإِ ٱللّٰهُ اضلاله يُضْلِلْهُ وهو دليل واضح لنا على المعتزلة وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ بأن يرشده الى الهدى ويحمله عليه (٤٠) قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ استفهامُ تعجيب والكاف حرف خطاب أكّد به الضمير للتأكيد لا محلّ له من الاعراب لانّك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيّون لعدّيتَ الفعل الى ثلاثة مفاعيل ولَلزم فى الآية ان يقال أرأيتموكم بل الفعل معلّق او المفعول محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها ، وقرأ نافع أرأيتكم وأرأيت وأفرأيت وشبهها اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة الّتى بعد الراء والكسائىّ بحذفها اصلا والباقون يحقّقونها وحمزة اذا وقف وافق نافعا إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ ٱللّٰهِ كما اتى مَنْ قبلكم أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ وهولها ويدلّ عليه أَغَيْرَ ٱللّٰهِ تَدْعُونَ وهو تبكيت لهم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أنّ الاصنام آلهة وجوابه محذوف اى فادعوه (٤١) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ بل تخصّونه بالدعاء كما حكى عنهم فى مواضع وتقديم المفعول لافادة

(٤٩) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ جعل العذاب ماسّا لهم كانّه الطالب للوصول اليهم واستغنى جزء ٧
بتعريفه عن التوصيف بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة (٥٠) قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ ركوع ١١
عِنْدِي خَزَائِنُ ٱللَّهِ مقدوراته او خزائن رزقه وَلَا أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ما لم يُوحَ الىّ ولم يُنْصَب عليه دليل
وهو من جملة المقول وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ اى من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه
٥ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ تبرّأ عن دعوى الالوهيّة والملكيّة وادّعى النبوّة التى هى من كمالات البشر
ردًّا لاستبعادهم دعواه وجزْمهم على فساد مدّعاه قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَى وَٱلْبَصِيرُ مَثَلٌ للضالّ والمهتدى
او الجاهل والعالم او مدّعى المستحيل كالالوهيّة والملكيّة ومدّعى المستقيم كالنبوّة أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ فتهتدوا
او فتميّزوا بين ادّعاء الحقّ والباطل او فتعلموا انّ اتّباع الوحى ممّا لا محيص عنه (٥١) وَأَنْذِرْ بِهِ الضمير ركوع ١٢
لما يوحى الىّ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ هم المؤمنون المفرّطون فى العمل او المجوّزون
١٠ للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرًّا به او متردّدا فيه فانّ الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته
لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ فى موضع الحال من يحشروا فانّ المخوف هو الحشر على هذه الحال
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ لكى يتّقوا (٥٢) وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ بعدما امره بانذار غير
المتّقين ليتّقوا امره باكرام المتّقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضيةً لقريش روى انّهم قالوا لو طردت
هؤلاء الأَعْبُد يعنون فقراء المسلمين كعمّار وصُهَيْب وخَبّاب وسَلْمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا
١٥ بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنّا اذا جئناك قال نعم وروى انّ عمر رضه قال له لو فعلت حتّى ننظر الى
ما ذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلىّ رضه ليكتب فنزلت ، والمراد بذكر الغداة والعشىّ الدوام وقيل
صلاة الصبح والعصر، وقرأ ابن عامر بِٱلْغُدْوَةِ هنا وفى الكهف يُرِيدُونَ وَجْهَهُ حال من يدعون اى يدعون
ربّهم مخلصين فيه قيّد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انّه ملاك الامر ورتّب النهى عليه اشعارا بانّه
يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ اى
٢٠ ليس عليك حساب ايمانهم فلعلّ ايمانهم عند اللّه اعظم من ايمان مَنْ تطردهم بسؤالهم طمعا فى ايمانهم
لو آمنوا او ليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لمّا اتّسموا بسيرة المتّقين وان كان لهم باطن غير
مرضىّ كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لا يتعدّاهم اليك كما انّ حسابك عليك
لا يتعدّاك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اى من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا
تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتّى يهمّك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فَتَطْرُدَهُمْ
٢٥ فتبعدهم وهو جواب النفى فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ جواب النهى وجوّز عطفه على فتطردهم على وجه
التسبّب وفيه نظرٌ (٥٣) وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس فى امر
الدنيا فتنّا اى ابتلينا بعضهم ببعض فى امر الدين فقدّمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى

*

جزء ۷ الايمان لِيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَا اى اهؤلاء مَنْ انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما
رکوع ۱۲ يُسْعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لأن يُخصّ هؤلاء من بينهم
باصابة الحقّ والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه ، واللام للعاقبة او للتعليل على انّ
فتنّا متضمّن معنى خذلنا أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّاكِرِينَ بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفّقه وبمن لا يقع
منه فيخذله (۵۴) وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ
ٱلَّذين يؤمنون هم ٱلّذين يدعون ربّهم وصفهم بالايمان بالقران واتّباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة
على العبادة وامره بأن يبدأ بالتسليم او يبلّغ سلام الله اليهم ويبشّرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهى
عن طردهم ايذانا بانّهم الجامعون لفضيلتى العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغى ان يقرّب ولا يُطْرَد ويُعَزّ
ولا يُذَلّ ويبشّر من الله بالسلامة فى الدنيا والرحمة فى الآخرة وقيل انّ قوما جاؤا الى النبىّ صلعم فقالوا
انّا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يردّ عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا استيناف بتفسير
الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بِجَهَٰلَةٍ فى موضع الحال اى من عمل
ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضارّ والمفاسد كعُمَر رضه فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهلة فانّ
ارتكاب ما يؤدّى الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ بعد العمل او السوء وَأَصْلَحَ
بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ فتحه مَنْ فتح الأوّل غير نافع على اضمار مبتدا او
خبر اى فأمْرُه او فله غفرانه (۵۵) وَكَذَٰلِكَ ومثل ذلك التفصيل الواضح نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ آيات القران فى صفة
المطيعين والمجرمين المصرّين منهم والاوّابين وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على
معنى ولتستوضح يا محمّد سبيلهم فتعامل كلّا منهم بما يَحِقّ له فصّلنا هذا التفصيل وابن كثير
وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع
على تذكير السبيل فانّه يذكّر ويؤنّث ، ويجوز ان يعطف على علّة مقدّرة اى نفصّل الآيات ليظهر
رکوع ۱۳ الحقّ وليستبين (۵۶) قُلْ إِنِّى نُهِيتُ صُرِفت وزُجرت بما نُصب لى من الادلّة وأُنزل علىّ من الآيات فى امر
التوحيد أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما تدعونها
آلهة اى تسمّونها قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ تأكيدٌ لقطع اطماعهم واشارةٌ الى الموجب للنهى وعلّة الامتناع
عن متابعتهم واستجهالٌ لهم وبيانٌ لمبدأ ضلالهم وأنّ ما هم عليه هوًى وليس بهدًى وتنبيهٌ لمن تحرّى
الحقّ على ان يتّبع الحجّة ولا يقلّد قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا اى ان اتّبعت اهواءكم فقد ضللت وَمَآ أَنَا۠ مِنَ
ٱلْمُهْتَدِينَ اى فى شىء من الهدى حتّى اكون من عدادهم وفيه تعريض بأنّهم كذلك (۵۷) قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ
تنبيه على ما يجب اتّباعه بعدما بيّن ما لا يجوز اتّباعه ، والبيّنة الدلالة الواضحة التى تفصل الحقّ من
الباطل وقيل المراد بها القران والوحى او الحجج العقليّة او ما يعمّها مِن رَّبِّى من معرفته وانّه لا

جزء ٧ معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبيّنة وَكَذَّبْتُم بِهِ الضمير لربّى اى كذّبتم به حيث اشركتم به
ركوع ١٣ غيره او للبيّنة باعتبار المعنى مَا عِنْدِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ يعنى العذاب الّذى استعجلوه بقولهم فأمطرْ
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ فى تعجيل العذاب وتأخيره يَقْضِى ٱلْحَقَّ
اى القضاء الحقّ او يصنع الحقّ ويدبّره من قولهم قضى الدرْعَ اذا صنعها فيما يقضى من تعجيل
٥ وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانّه منع الباطل ، وقرأ ابن كثير ونافع
وعاصم يَقُصُّ من قصّ الاثر او قصّ الخبر وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَاصِلِينَ القاضين (٥٨) قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِى اى فى قدرتى
ومكنتى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ من العذاب لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ لاهلكتكم عاجلا غضبا لربّى وانقطع
ما بينى وبينكم وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّالِمِينَ فى معنى استدراك كانّه قال ولكنّ الامر الى اللّه سبحانه وتعالى وهو
اعلم بمن ينبغى ان يؤخذ وبمن ينبغى ان يُمْهَل منهم (٥٩) وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ خزائنه جمع مَفْتَح
١٠ بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصّل به الى المغيّبات مستعار من المفاتح الّذى هو جمع مِفْتَح
بكسر الميم وهو المفتاح ويؤيّده انّه قرئ مَفَاتِيحُ والمعنى انّه المتوصّل الى المغيّبات المحيط علمه بها
لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ فيعلم اوقاتها وما فى تعجيلها وتأخيرها من الحِكَم فيُظْهرها على ما اقتضته حكمته
وتعلّقت به مشيئته وفيه دليل على انّه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ عطف للاخبار
عن تعلّق علمه بالمشاهَدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيّبات به وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا
١٥ مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيّات وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ معطوفات على ورقة وقوله
إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ بدل من الاستثناء الاوّل بدل الكلّ على انّ الكتاب المبين علم اللّه تعالى او بدل
الاشتمال ان اريد به اللوح ، وقرئت بالرفع للعطف على محلّ ورقة او للابتداء والخبرُ الّا فى كتاب مبين
(٦٠) وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ بِٱللَّيْلِ يُنيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفّى من الموت للنوم لما بينهما من
المشاركة فى زوال الاحساس والتمييز فانّ اصله قبض الشىء بتمامه وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِٱلنَّهَارِ كسبتم
٢٠ فيه خصّ الليل بالنوم والنهار بالكسب جريًا على المعتاد ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ يوقظكم اطلق البعث ترشيحا
للتوفّى فِيهِ فى النهار لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ليبلغ المتيقّظ آخرَ اجله المسمّى له فى الدنيا ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ
بالموت ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انّكم مُلْقَوْن
كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانّه تعالى مطّلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى شأن
ذلك الّذى قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الّذى سمّاه
٢٥ وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثمّ اليه مرجعكم بالحساب ثمّ ينبّئكم بما كنتم تعملون بالجزاء
(٦١) وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة

جزء ٧ ركوع ١٤ فيه أنّ المكلّف اذا علم انّ اعماله تُكتب عليه وتُعرض على رؤس الاشهاد كان أزجر عن المعاصى وأنّ العبد اذا وثق بلطف سيّده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطّلعين عليه حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا مَلَكُ الموت وأعوانه وقرأ حمزة تَوَفّاهُ بالف مُمالة وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ بالتوانى والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حُدّ لهم بزيادة او نقصان (٦٢) ثُمَّ رُدُّوٓا إِلَى ٱللَّهِ الى حكمه وجزائه مَوْلَاهُمُ ٱلَّذِى يتولّى امورهم ٱلْحَقِّ العدل الّذى لا يحكم الّا بالحقّ وقرئ بالنصب على المدح أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ يومئذ لا حكم لغيره فيه وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَاسِبِينَ يحاسب الخلائق فى مقدارِ حَلْبِ شاةٍ لا يشغله حسابٌ عن حساب (٦٣) قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدّة لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يومٌ مُظلمٌ ويوم ذو كواكب او من الخسف فى البرّ والغرق فى البحر ، وقرأ يعقوب يُنْجِيكُمْ بالتخفيف والمعنى واحد تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً مُعلنين ومُسرّين او اعلانا واسرارا وقرأ ابو بكر هنا وفى الاعراف خِفْيَةً بالكسر وقرئ خيفةً لَّئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ على ارادة القول اى يقولون لئن انجيتنا وقرأ الكوفيّون لَئِنْ أَنْجَانَا ليوافق قوله تدعونه ، وهذه اشارة الى الظلمة (٦٤) قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا شدّده الكوفيّون وهشام وخفّفه الباقون وَمِن كُلِّ كَرْبٍ غمّ سواها ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانّما وضع تشركون موضعَ لا تشكرون تنبيها على انّ من اشرك فى عبادة اللّه فكانّه لم يعبده رأسا (٦٥) قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكّامكم ومن تحت ارجلكم سَفِلتكم وعبيدكم أَوْ يَلْبِسَكُمْ يخلطكم شِيَعًا فرقا متحزّبين على اهواء شتّى فينشبَ القتالُ بينكم قال

وكتيبةٍ لبّستُها بكتيبة حتّى اذا التبستْ نفضتْ لها يدى

وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ يقاتل بعضكم بعضا ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَاتِ بالوعد والوعيد لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٦) وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ اى بالعذاب او بالقران وَهُوَ ٱلْحَقُّ الواقع لا محالة او الصدق قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ بحفيظ وُكّل الىّ امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انّما انا منذر واللّه الحفيظ لِّكُلِّ نَبَإٍ خبرٍ يريد امّا العذاب او الايعاد به مُّسْتَقَرٌّ وقت استقرار ووقوع وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ عند وقوعه فى الدنيا او الآخرة (٦٧) وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَاتِنَا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ فلا تجالسهم وقم عنهم حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ اعاد الضمير على معنى الآيات لانّها القران وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَانُ بأن يشغلك بوسوسته حتّى تنسى النهى وقرأ ابن عامر يُنَسِّيَنَّكَ بالتشديد

فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ بعد ان تذكره مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على جزء ٧
انّهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام (٦٨) وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ وما ركوع ١٤
يلزم المتّقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الّذين يجالسونهم مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ شىء ممّا يحاسَبون
عليه وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ ولكن عليهم ان يذكّروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح
ويُظهروا كراهتها وهو يحتمل النصبَ على المصدر والرفعَ على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه
على محلّ من شىء لانّ من حسابهم يأباه ولا على شىء لذلك ولانّ مِنْ لا تراد فى الاثبات لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
يجتنبون ذلك حياء او كراهةً لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للّذين يتّقون والمعنى لعلّهم يثبتون
على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روى انّ المسلمين قالوا لئن كنّا نقوم كلّما استهزءوا بالقران لم
نستطع أنْ نجلس فى المسجد ونطوف فنزلت (٦٩) وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا اى بنوا امر
دينهم على التشهّى وتديّنوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر
والسوائب او اتّخذوا دينهم الّذى كُلّفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الّذى جُعل
ميقات عبادتهم زمانَ لهو ولعب والمعنى اعرضْ عنهم ولا تبالِ بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون
تهديدا لهم كقوله تعالى ذرنى ومن خلقتُ وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر
بالكفّ عنهم وترك التعرّض لهم وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا حتّى انكروا البعث وَذَكِّرْ بِهِ اى بالقران
أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ مخافةَ ان تُسلَم الى الهلاك وتُرهَن بسوء عملها واصل الابسال والبَسْل المنع
ومنه اسدٌ باسلٌ لانّ فريسته لا تفلت منه والباسلُ الشجاع لامتناعه من قِرْنه وهذا بَسْلٌ عليك اى حرام
لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ يدفع عنها العذاب وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ وان تفد كلّ فداء
والعَدْلُ الفدية لانّها تعادل المفدىّ وههنا الفداء ، وكُلَّ نصب على المصدر لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا الفعل مسند
الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانّه المفدىّ به أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا
اى سُلّموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا
كَانُوا يَكْفُرُونَ تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مُغْلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم
بسبب كفرهم (٧٠) قُلْ أَنَدْعُو انعبد مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ما لا يقدر على نفعنا وضرّنا ركوع ١٥
وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا ونرجع الى الشرك بَعْدَ إِذْ هَدَانَا ٱللَّهُ فأنقذنا منه ورزقنا الاسلام كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَاطِينُ
كالّذى ذهبت به مَرَدة الجنّ فى المَهامه استفعال من هَوَى يَهْوِى هَوِيًّا اذا ذهب وقرأ حمزة ٱسْتَهْوَاهُ
بالف مُمالة ، ومحلّ الكاف النصبُ على الحال من فاعلِ نردّ اى مُشْبهين الّذى استهوته او على المصدر
اى ردّا مثل ردّ الّذى استهوته فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ متحيّرا ضالّا عن الطريق لَهُ أَصْحَابٌ لهذا المستهوَى رفقة
يَدْعُونَهُ إِلَى ٱلْهُدَى الى ان يهدوه الطريقَ المستقيم او الى الطريق المستقيم وسمّاه هدى تسميةً للمفعول

جزء ٧ او اوّل اوان بلوغه فَلَمَّا أَفَلَ اى غاب قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ فضلا عن عبادتهم فانّ الانتقال والاحتجاب
ركوع ١٥ بالأستار يقتضى الإمكان والحدوث وينافى الالوهيّة (٧٧) فَلَمَّا رَأَى ٱلْقَمَرَ بَازِغًا مبتدئا فى الطلوع قَالَ هَٰذَا
رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ استعجز نفسه واستعان بربّه فى درك الحقّ
فانّه لا يُهْتدى اليه الّا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على انّ القمر ايضا لتغيّر حاله لا يصلح للالوهيّة
وأنّ من اتّخذه الها فهو ضالّ (٧٨) فَلَمَّا رَأَى ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي ذكّر اسم الاشارة لتذكير
الخبر وصيانةً للربّ عن شبهة التأنيث هَٰذَا أَكْبَرُ كبّره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا
قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ من الأجرام المُحْدَثة المحتاجة الى مُحْدِث يُحْدِثها ومخصّص يخصّصها
بما تختصّ به ثمّ لمّا تبرّأ عنها توجّه الى مُوجدها ومُبْدِعها الّذى دلّت هذه الممكنات عليه فقال
(٧٩) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وانّما احتجّ بالافول دون
البزوغ مع انّه ايضا انتقال لتعدّد دلالته ولأنّه رأى الكوكب الّذى يعبدونه فى وسط السماء حين
حاول الاستدلال (٨٠) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ وخاصموه فى التوحيد قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي ٱللَّهِ فى وحدانيّته وقرأ نافع
وابن عامر بخلاف عن هشام بتخفيف النون وَقَدْ هَدَانِ الى توحيده وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ اى لا
اخاف معبوداتكم فى وقت لانّها لا تضرّ بنفسها ولا تنفع إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ان يصيبنى بمكروه من
جهتها ولعلّه جواب لتخويفهم ايّاه عن آلهتهم وتهديد لهم بعذاب اللّه وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا
كانّه علّة الاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها
أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ فتميّزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز (٨١) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ولا
يتعلّق به ضرّ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِٱللَّهِ وهو حقيق بأن يخاف منه كلّ الخوف لانّه اشراك
للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضارّ النافع مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ما لم
ينزّل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ اى الموحّدون او المشركون
وانّما لم يقل أيّنا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ما يحقّ ان يخاف منه
(٨٢) ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ استيناف منه او من اللّه
بالجواب عمّا استفهم عنه ، والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى انّ الآية لمّا نزلت شقّ ذلك على الصحابة
وقالوا أيّنا لم يظلم نفسه فقال عم ليس ما تظنّون انّما هو ما قال لقمان لابنه يا بنىّ لا تشرك باللّه انّ
الشرك لَظلم عظيم ولبس الايمان به ان يصدّق بوجود الصانع الحكيم ويُخلَط بهذا التصديق الاشراكُ به
ركوع ١٦ وقيل المعصية (٨٣) وَتِلْكَ اشارة الى ما احتجّ به ابرهيم على قومه من قوله فلمّا جنّ الى قوله وهم مهتدون
او من قوله اتحاجّونّى اليه حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ ارشدناه اليها او علّمناه ايّاها عَلَىٰ قَوْمِهِ متعلّق بحجّتنا

التأسّي بهم جميعا فليس فيه دليل على انّه عم متعبّد بشرع مَنْ قبله ، والهاء في اقتده للوقف ومن جزء ٧
اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف ويحذف ركوع ١٦
الهاء في الوصل خاصّة حمزة والكسائيّ واشبعها بالكسر ابن عامر برواية ابن ذكوان على انّها كناية
المصدر وكسرها بغير اشباع برواية هشام قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ اى على التبليغ او القران أَجْرًا جُعْلًا
من جهتكم كما لم يسأل مَنْ قبلي من النبيّين وهذا من جملة ما أُمر بالاقتداء بهم فيه إِنْ هُوَ اى
التبليغ او القران او الغرض إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ الّا تذكير وعظة لهم (٩١) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ركوع ١٧
وما عرفوه حقّ معرفته في الرحمة والانعام على العباد إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ حين انكروا
الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفّار وشدّة البطش
بهم حين جسروا على هذه المقالة ، والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغةً في انكار انزال القران بدليل
نقض كلامهم والزامهم بقوله قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ وقراءة الجمهور
تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا بالتاء وانّما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو حَمْلًا على قالوا
وما قدروا وتضمين ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتورية وذمّهم على تجزيتها بابداء بعض انتخبوه
وكتبوه في ورقات متفرّقة واخفاء بعض لا يشتهونه وروى انّ مالك بن الصيف قاله لمّا اغضبه الرسول
بقوله أَنْشُدُكَ اللّهَ الّذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها انّ اللّه يبغض الحَبْرَ السمين قال نعم
انّ اللّه يبغض الحبر السمين قال عم فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامُهم بانزال التورية
لانّه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انّا انزل علينا الكتاب لكنّا اهدى
منهم وَعُلِّمْتُمْ على لسان محمّد صلعم مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ زيادةً على ما في التورية وبيانا لما
التبس عليكم وعلى آبائكم الّذين كانوا اعلم منكم ونظيره انّ هذا القران يقصّ على بني اسرائيل اكثر
الّذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قُلِ اللَّهُ اى انزله اللّه او اللّه انزله امره
بأن يجيب عنهم اشعارا بانّ الجواب متعيّن لا يمكن غيره وتنبيها على انّهم بهتوا بحيث لا يقدرون على
الجواب ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجّة يَلْعَبُونَ حال مِنْ هم الاوّل
والظرف صلةُ ذرهم او يلعبون او حالٌ من المفعولِ او فاعلِ يلعبون او مِنْ هم الثاني والظرف متّصل بالاوّل
(٩٢) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ كثير الفائدة والنفع مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ يعني التورية او الكتب
الّتي قبله وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى عطفٌ على ما دلّ عليه مبارك اى للبركات ولتنذر او علّةٌ محذوف اى
ولتنذر اهل امّ القرى انزلناه ، وانّما سمّيت مكّة بذلك لانّها قبلة اهل القرى ومحجّهم ومجتمعهم واعظم
القرى شأنا وقيل لانّ الارض دُحيت مِنْ تحتها او لانّها مكانُ اوّل بيت وُضع للناس ، وقرأ ابو بكر عن
عاصم بالياء اى لينذر الكتاب وَمَنْ حَوْلَهَا اهل الشرق والغرب وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ

*

جزء ٧ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ فانّ من صدّق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبّر
ركوع ١٧ حتّى يؤمن بالنبىّ والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة ، وتخصيص الصلوة لانّها عماد
الدين وعَلَم الايمان (٩٣) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فزعم انّه بعثه نبيًّا كمسيلمة والاسود
العَنْسىّ او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لُحَىّ ومتابعيه أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ
كعبد اللّه بن سعد بن ابى سَرْح كان يكتب لرسول اللّه فلمّا نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من
طين فلمّا بلغ قوله ثمّ انشأناه خلقا آخر قال عبد اللّه تبارك اللّه احسن الخالقين تعجّبا من تفصيل
خلق الانسان فقال عم اكتبها فكذلك نزلت فشكّ عبد اللّه وقال لئن كان محمّد صادقا لقد أُوحى
الىّ كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ كالّذين
قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا وَلَوْ تَرَى إِذِ ٱلظَّالِمُونَ حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى
الظالمين فِي غَمَرَاتِ ٱلْمَوْتِ شدائده من غمره الماء اذا غشيه وَٱلْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ بقبض ارواحهم
كالمتقاضى المُلظّ او بالعذاب أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ اى يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا
وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلّصوها من ايدينا ٱلْيَوْمَ يريدون وقت الاماتة او الوقت
الممتدّ من الاماتة الى ما لا نهاية له تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ اى الهوان يريدون العذاب المتضمّن لشدّة
واهانة فاضافته الى الهون لعراقته وتمكّنه فيه بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ كادّعاء الولد
والشريك له ودعوى النبوّة والوحى كاذبا وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ فلا تتأمّلون فيها ولا تؤمنون
(٩٤) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا للحساب والجزاء فُرَادَى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او
عن الاعوان والاوثان الّتى زعمتم انّها شفعاؤكم وهو جمعُ فَرْد والالف للتأنيث ككُسالَى وقرئ فُرَادًا
كرُخَال وفُرادَ كثُلاثَ وفَرْدَى كسَكْرَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بدلٌ منه اى على الهيئة الّتى وُلدتم
عليها فى الانفراد او حالٌ ثانية ان جُوِّز التعدّد فيها او حالٌ من الضمير فى فرادى اى مُشْبِهين ابتداء
خلقكم غُراةً حُفاةً غُرلا بُهما او صفةُ مصدرِ جئتمونا اى مجيئا كخلقنا لكم وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ ما
تفضّلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ما قدّمتم منه شيئا ولم تحتملوا
نقيرا وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ اى شركاء للّه فى ربوبيّتكم واستحقاق
عبادتكم لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ اى تقطّع وصلكم وتشتّت جمعكم والبين من الاضداد يُستعمَل للفصل
والوصل وقيل هو الظرف أُسْند اليه الفعل اتّساعا والمعنى وقع التقطّع بينكم ويشهد له قراءة نافع
والكسائىّ وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقامَ موصوفه وأصله
لقد تقطّع ما بينكم وقد قرئ به وَضَلَّ عَنْكُمْ ضاع وبطل مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ انّها شفعاؤكم او انْ لا
ركوع ١٨ بعث ولا جزاء (٩٥) إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الّذى فى

الحنطة والنواة يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله مِنَ ٱلْمَيِّتِ ممّا لا جزء ٧
ينمو كالنّطف والحبّ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم ركوع ١٨
حملا على فالق الحبّ فانّ قوله يخرج الحيّ واقع موقع البيان له ذٰلِكُمُ ٱللّٰهُ اى ذلكم المحيى المميت هو الّذى يحقّ له العبادة فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ تصرفون عنه الى غيره (٩٦) فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ شاقّ عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاقّ ظلمة الاصباح وهو الغَبَش ٱلّذى يليه والاصباح فى الاصل مصدرُ اصبح اذا دخل فى الصبح سُمّى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فَالِقَ بالنصب على المدح وَجَاعِلُ ٱللَّيْلِ سَكَنًا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأنّ اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دلّ عليه جاعل لا به فانّه فى معنى الماضى ويدلّ عليه قراءة الكوفيّين وَجَعَلَ ٱللَّيْلَ حملا على معنى المعطوف عليه فانّ فَالِق بمعنى فَلَقَ ولذلك قرئ به او به على انّ المراد منه جَعْلٌ مستمرٌّ فى الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ عطفا على محلّ الليل ويشهد له قراءتهما بالجرّ والاحسنُ نصبهما بجَعَلَ مقدّر وقرئا بالرفع على الابتداء والخبرُ محذوف اى مجعولان حُسْبَانًا على ادوار مختلفة يُحْسَب بهما الاوقات ويكونان عَلَمَى الحسبان وهو مصدرُ حَسَبَ بالفتح كما انّ الحِسْبان بالكسر مصدرُ حَسِبَ وقيل جمع حساب كشهاب وشُهْبان ذٰلِكَ اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلّذى قهرهما وسيّرهما على الوجه المخصوص ٱلْعَلِيمِ بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما (٩٧) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ خلقها لكم لِتَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ فى ظلمات الليل فى البرّ والبحر واضافتُها اليهما للملابسة او فى مشتبهات الطُرق وسمّاها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَاتِ بيّنّاها فصلا فصلا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ فانّهم المنتفعون به (٩٨) وَهُوَ ٱلَّذِى أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ هو آدم عليه السلام فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ اى فلكم استقرار فى الاصلاب او فوق الارض واستيداع فى الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريّان بكسر القاف على انّه اسم فاعل والمستودَع مفعول اى فمنكم قارّ ومنكم مستودَع لانّ الاستقرار منّا دون الاستيداع قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لانّ امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لانّ انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر (٩٩) وَهُوَ ٱلَّذِى أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً من السحاب او من جانب السماء فَأَخْرَجْنَا على تلوين الخطاب بِهِ بالماء نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ نَبْتَ كلّ صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة فى انبات الانواع المفتنّة بماء واحد كما فى قوله تعالى تُسْقَى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض فى الأُكُل فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ من النبات او الماء خَضِرًا شيئا اخضر يقال أَخْضَرُ وخَضِرٌ كأَعْوَر وعَوِر

جزء ٧ وهو الخارج من الحبّة المتشعّب نُخْرِجُ مِنْهُ من الخضر حَبًّا مُتَرَاكِبًا وهو السنبل وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ
ركوع ١٨ اى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوانٌ او من النخل شئ من طلعها قنوانٌ ويجوز ان يكون
من النخل خبرَ قنوان ومن طلعها بدلٌ منه والمعنى وحاصلةٌ من طلع النخل قنوانٌ وهو الاعذاق جمع
قِنْو كصِنْوان جمع صِنْو وقرئ بضمّ القاف كذُئب وذُؤبان وبفتحها على انّه اسمُ جمع اذ ليس فَعْلانٌ
من ابنية الجمع دَانِيَةٌ قريبة من المتناول او ملتفّة قريب بعضها من بعض وانّما اقتصر على ذكرها عن
مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ عطف على نبات كلّ شئ وقرئ بالرفع على
الابتداء اى ولكم او ثَمّ جنّاتٌ او ومن الكَرْم جنّات ولا يجوز عطفه على قنوانٌ اذ العنب لا يخرج من
النخل وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزّة هذين الصنفين عندهم
مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ حال من الرمّان او من الجميع اى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة
والقدر واللون والطعم ٱنْظُرُوا اِلَى ثَمَرِهِ الى ثمر كلّ واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائىّ بضمّ الثاء والميم
وهو جمعُ ثَمَرَة كخَشَبَة وخُشُب او ثِمار ككتاب وكُتُب اِذَا أَثْمَرَ اذا اخرج ثمره كيف يُثْمِر ضئيلا لا يكاد
يُنتفع به وَيَنْعِهِ والى حال نُضْجه او الى نضيجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذّة وهو فى الاصل
مصدر يَنَعَت الثمرةُ اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتَجْر وقرئ بالضمّ وهو لغة فيه ويانعه
اِنَّ فِى ذٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ اى لآيات دالّة على وجود القادر الحكيم وتوحيده فانّ حدوث الاجناس
المختلفة والانواع المفنّنة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الّا باحداث قادر يعلم
تفاصيلها ويرجّح ما تقتضيه حكمته ممّا يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ندٌّ يعارضه او ضدٌّ
يعانده ولذلك عقّبه بتوبيخ من اشرك به والردّ عليه فقال (١٠٠) وَجَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ اى الملائكة
بأن عبدوهم وقالوا الملائكة بنات اللّه وسمّاهم جنّا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانّهم
اطاعوهم كما يُطاع اللّه او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا اللّه خالق الخير وكلّ نافع
والشيطان خالق الشرّ وكلّ ضارّ كما هو رأى الثنويّة، ومفعولا جعلوا للّه شركاء والجنّ بدل من شركاء
او شركاء الجنّ وللّه متعلّق بشركاء او حال منه وقرئ ٱلْجِنُّ بالرفع كانّه قيل مَنْ هم فقيل الجنّ
وَٱلْجِنِّ بالجرّ على الاضافة للتبيين وَخَلَقَهُمْ حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا انّ اللّه خالقهم دون
الجنّ وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وَخَلْقَهُمْ عطفا على الجنّ اى وما يخلقونه من الاصنام
او على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وَخَرَقُوا لَهُ افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع
بتشديد الراء للتكثير وقرئ وَحَرَّفُوا اى وزوّروا بَنِينَ وَبَنَاتٍ فقالت اليهود عزير ابن اللّه وقالت
النصارى المسيح ابن اللّه وقالت العرب الملائكة بنات اللّه بِغَيْرِ عِلْمٍ من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه
ويروا عليه دليلا وهو فى موضع الحال من الواو او المصدر اى خرقا بغير علم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ
ركوع ١٩ وهو انّ له شريكا او ولدا (١٠١) بَدِيعُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ من اضافة الصفة المشبّهة الى فاعلها او الى الظرف

كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه جزء ٧
على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ اى من اين او كيف يكون له ولد ركوع ١٦
وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لانّ الاسم ضمير الله او ضمير الشأن
وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى
٥ الاول، وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه مِنْ مُبدعاته السموات والارض وهي مع
انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرّأة عنها لاستمرارها وطول مدّتها فهو اولى بأن يتعالى عنها او أنّ ولد
الشيء نظيره ولا نظيرَ له فلا ولدَ والثاني أنّ المعقول من الولد ما يتولّد من ذكر وانثى متجانسين والله
سبحانه منزّه عن المجانسة والثالث أنّ الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له لوجهين الاول انّ كلّ ما عداه
مخلوقه فلا يكافئه والثاني انه سبحانه لذاته عالم بكلّ المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع (١٠٢) ذَلِكُمُ
اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ اَللّٰهُ رَبُّكُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ أخبار
مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فَاعْبُدُوهُ حكم مسبّب عن مضمونها فانّ
من استجمع هذه الصفات استحقّ العبادة وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ اى وهو مع تلك الصفات متولّي
اموركم فكلوها اليه وتوسّلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها
(١٠٣) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ لا تحيط به الابصار جمع بصر وهي حاسّة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلّها،
٥ واستدلّ به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف اذ ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عامّا
في الاوقات فلعلّه مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانّه في قوّة قولنا لا كلُّ بصر يدركه مع انّ
النفي لا يوجب الامتناع وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ يحيط علمه بها وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ فيدرك ما لا تدركه
الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللفّ اى لا تدركه الابصار لانّه اللطيف وهو يدرك
الابصار لانّه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يُدرَك بالحاسّة ولا ينطبع فيها
(١٠٤) قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سمّيت بها الدلالة
لانها تجلّي لها الحق وتبصّرها فَمَنْ أَبْصَرَ اى ابصر الحق وآمن به فَلِنَفْسِهِ ابصر لانّ نفعه لها وَمَنْ عَمِيَ
عن الحق وضلّ فَعَلَيْهَا وباله وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ وانّما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ
اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلعم (١٠٥) وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ومثل ذلك
التصريف نصرّف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال
وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ اى وليقولوا درستَ صرّفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلّم وقرأ ابن كثير
وابو عمرو دارستَ اى دارستَ اهلَ الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب دَرَسَتْ من الدروس اى
قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ دَرُسَتْ بضمّ الراء مبالغة في دَرَسَتْ ودُرِسَتْ

جزء ٧ على لا يؤمنون اى وما يشعركم انّا حينئذ نقلّب افئدتهم عن الحقّ فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه
ركوع ١٩ فلا يؤمنون بها كما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ اى بما أُنزل من الآيات أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ وندعهم متحيّرين لا نهديهم هداية المؤمنين ، وقرئ ويُقلِّبُ ويَذَرُهم على الغيبة وتُقلَّبُ على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة

جزء ٨ (١١١) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا كما اقترحوا
ركوع ١ فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او تأتى بالله والملائكة قبيلا ، وقُبُلًا جمعُ قبيل بمعنى كفيل اى كفلاء بما بشّروا به وانذروا او جمعُ قبيل الّذى هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقِبَلًا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كلّ وانّما جاز ذلك لعمومه مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ استثناء من اعمّ الاحوال اى لا يؤمنون فى حال من الاحوال الّا حال مشيئة الله ايمانهم وقيل منقطع ، وهو حجّة واضحة على المعتزلة وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ أنّهم لو أُتوا بكلّ آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع انّ مطلق الجهل يعمّهم او ولكنّ اكثر المسلمين يجهلون انّهم لا يؤمنون فيتمنّون نزول الآية طمعا فى ايمانهم (١١٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا اى كما جعلنا لك عدوّا جعلنا لكلّ نبىّ سبقك عدوّا وهو دليل على انّ عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مردة الفريقين وهو بدل من عدوّا او اوّل مفعولَى جعلنا وعدوّا مفعوله الثانى ولكلّ متعلّق به او حال منه يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ يوسوس شياطين الجنّ الى شياطين الانس او بعضُ الجنّ الى بعض وبعضُ الانس الى بعض زُخْرُفَ الْقَوْلِ الاباطيل المموّهة منه من زخرفه اذا زيّنه غُرُورًا مفعول له او مصدر فى موقع الحال وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ ايمانهم مَا فَعَلُوهُ اى ما فعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور ، وهو ايضا دليل على المعتزلة فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وكفرهم (١١٣) وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عطف على غرورا ان جعل علّة او متعلّق بمحذوف اى وليكون ذلك جعلنا لكلّ نبىّ عدوّا ، والمعتزلة لمّا اضطرّوا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كُسرتْ لمّا لم يؤكّد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر ، والصغو الميل ، والضمير لما له الضمير فى فعلوه وَلِيَرْضَوْهُ لانفسهم وَلِيَقْتَرِفُوا وليكتسبوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ من الآثام (١١٤) أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا على ارادة القول اى قل لهم يا محمّد افغير الله اطلب من يحكم بينى وبينكم ويفصل المحقّ منّا من المُبطل ، وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه ، وحَكَم ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ القران المعجز مُفَصَّلًا مبيّنا فيه الحقّ والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس ، وفيه تنبيه على انّ القران باعجازه وتقريره مُغنٍ عن سائر الآيات وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ تأييد لدلالة الاعجاز على انّ القران حقّ منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انّه عم لم يمارس كتبهم ولم يخالط

جزء ٨ ركوع ١

علماءهم واتّما وصف جميعهم بالعلم لانّ اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكّن منه بأدنى تأمّل وقيل المراد مؤمنو اهل الكتاب ، وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم مُنَزَّلٌ بالتشديد فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ فى انّهم يعلمون ذلك او فى انّه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله تعالى ولا تكوننّ من المشركين او خطاب الرسول كخطاب الامّة وقيل الخطاب لكلّ احد على معنى انّ الادلّة لمّا تعاضدت على صحّته فلا ينبغى لاحد ان يمترى فيه (١١٥) وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ بلغت الغاية اخبارُه واحكامُه ومواعيدُه صِدْقًا فى الاخبار والمواعيد وَعَدْلًا فى الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ لا احدَ يبدّل شيـًٔا منها بما هو اصدق او اعدل او لا احد يقدر ان يحرّفها شائعا ذائعا كما فُعل بالتورية على انّ المراد بها القران فيكون ضمانا لها من اللّه تعالى بالحفظ كقوله تعالى وانّا له لحافظون او لا نبىّ ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدّل احكامها ، وقرأ الكوفيّون ويعقوب كَلِمَتُ رَبِّكَ اى ما تكلّم به او القران وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ لما يقولون ٱلْعَلِيمُ بما يضمرون فلا يُهملهم (١١٦) وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِى ٱلْأَرْضِ اى اكثر الناس يريد الكفّار او الجهّال او أتباع الهوى وقيل الارض ارض مكّة يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ عن الطريق الموصل اليه فانّ الضالّ فى غالب الامر لا يأمر الّا بما فيه ضلال إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وهو ظنّهم انّ آباءهم كانوا على الحقّ او جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فانّ الظنّ يطلق على ما يقابل العلم وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ يكذبون على اللّه فيما ينسبون اليه كاتّخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وُصْلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدّرون انّهم على شىء وحقيقته ما يقال عن ظنّ وتخمين (١١٧) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ اى اعلم بالفريقين ومَنْ موصولة او موصوفة فى محلّ النصب بفعل دلّ عليه اعلم لا به فانّ افعل لا ينصب الظاهر فى مثل ذلك او استفهاميّة مرفوعة بالابتداء والخبر يضلّ والجملة معلّق عنها الفعل المقدّر وقرئ مَنْ يُضِلُّ اى يُضلّه اللّه فيكون مَنْ منصوبة بالفعل المقدّر او مجرورة باضافة أَعْلَمُ اليه اى اعلم المضلّين من قوله من يُضْلِل اللّهُ او من اضللته اذا وجدته ضالّا والتفضيل فى العلم بكثرته واحاطته بالوجوه الّتى يمكن تعلّق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير (١١٨) فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ مسبّب عن انكار اتّباع المضلّين الّذين يحرّمون الحلال ويحلّلون الحرام والمعنى كلوا ممّا ذكر اسم اللّه على ذبحه لا ممّا ذكر عليه اسم غيره او مات حتْفَ انفه إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ فانّ الايمان بها يقتضى استباحة ما احلّه اللّه واجتنابَ ما حرّمه (١١٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ واىّ غرض لكم فى ان تتحرّجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ممّا لم يحرّم بقوله حُرّمت عليكم الميتة ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فُصِّلَ على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حَرَّمَ على

البناء للفاعل إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ مما حرّم عليكم فانّه ايضا حلال حال الضرورة وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ جزء ٨ بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأ الكوفيّون بضمّ الياء والباقون بالفتح بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ بتشهّيهم ركوع ١ من غير تعلّق بدليل يفيد العلم إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ المتجاوزين الحقّ الى الباطل والحلال الى الحرام (١٢٠) وَذَرُوا ظَاهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ما يُعلَن وما يُسَرّ او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتّخاذ الاخدان إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ يكتسبون (١٢١) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعىّ بخلافه لقوله عم ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم اللّه عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان وأوّله بالميتة او بما ذكر غير اسم اللّه عليه لقوله وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ فانّ الفسق ما أُهِلّ لغير اللّه به ، والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الّذى دلّ عليه لا تأكلوا وَإِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ ليوسوسون إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ من الكفّار لِيُجَادِلُوكُمْ بقولهم تأكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله اللّه وهو يؤيّد التأويل بالميتة وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ في استحلال ما حرّم إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ فانّ من ترك طاعة اللّه الى طاعة غيره واتّبعه في دينه فقد اشرك ، وانّما حَسُن حذف الفاء فيه لانّ الشرط بلفظ الماضى (١٢٢) أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِى بِهِ فِى ٱلنَّاسِ ركوع ٢ مثّل به من هداه اللّه وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمّل بها في الاشياء فيميّز بين الحقّ والباطل والمُحِقّ والمُبْطِل ، وقرأ نافع ويعقوب مَيِّتًا على الاصل كَمَن مَّثَلُهُ صفته وهو مبتدأ خبره فِى ٱلظُّلُمَاتِ وقوله لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا حال من المستكنّ في الظرف لا من الهاء في مَثَلُهُ للفصل وهو مَثَل لمن بقى على الضلالة لا يفارقها بحال كَذَٰلِكَ كما زيّن للمؤمن ايمانه زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ والآية نزلت في حمزة وابى جهل وقيل في عمر او عمّار وابى جهل (١٢٣) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا اى كما جعلنا في مكّة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كلّ قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها ، وجعلنا بمعنى صيّرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثانى او في كلّ قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه إن فُسّر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا وتخصيص الاكابر لانّهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ لانّ وباله يحيق بهم وَمَا يَشْعُرُونَ ذلك (١٢٤) وَإِذَا جَآءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ يعنى كفّار قريش لما روى انّ ابا جهل قال زاحمنا بنى عبد مناف حتّى اذا صرنا كفرسَىْ رِهان قالوا منّا نبىّ يُوحَى اليه واللّه لا نرضى به الّا أن يأتينا وحىٌ كما يأتيه فنزلت ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ استيناف للردّ عليهم بأنّ النبوّة ليست بالنسب والمال

على الشهوات وما يُتوصّل به اليها والجنُّ بالانس بأن اطاعوهم وحصّلوا مرادهم وقيل استمتاعُ الانس جزء ٨ بهم انّهم كانوا يعوذون بهم فى المفاوز وعند المخاوف واستمتاعُهم بالانس اعترافهم بانّهم يقدرون على ركوع ٢ اجارتهم وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا ٱلَّذِى أَجَّلْتَ لَنَا اى البعث وهو اعترافٌ بما فعلوا من طاعة الشيطان واتّباع الهوى وتكذيب البعث وتحسّرٌ على حالهم قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَاكُمْ منزلكم او ذات مثواكم خَالِدِينَ فِيهَا حال والعامل فيها مثواكم إن جُعل مصدرا ومعنى الاضافة إن جُعل مكانا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ الّا الاوقات الّتى تُنقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الّا ما شاء اللّه قبلَ الدخول كانّه قيل النار مثواكم ابدا الّا ما امهلكم إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ فى افعاله عَلِيمٌ باعمال الثقلين واحوالهم (١٢٩) وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّالِمِينَ بَعْضًا نَكِلُ بعضَهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولّى بعضا فيُغويهم او اولياء بعض وقُرناءهم فى العذاب كما كانوا فى الدنيا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ من الكفر والمعاصى (١٣٠) يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ أَلَمْ ركوع ٣ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ الرسل من الانس خاصّةً لكن لمّا جُمعوا مع الجنّ فى الخطاب صحّ ذلك ونظيرُه يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجانُ يخرج من المِلْح دون العَذْب ، وتعلّق بظاهره قومٌ وقالوا بُعث الى كلّ من الثقلين رسلٌ من جنسهم وقيل الرسل من الجنّ رسلُ الرسل اليهم لقوله وَلَّوْا الى قومهم مُنذرين يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِى وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا يعنى يوم القيامة قَالُوا جوابا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا بالجُرْم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ذمّ لهم على سوء نظرهم وخطإ رأيهم فانّهم اغترّوا بالحيوة الدنيويّة واللذّات المُخدِجة واعرضوا عن الآخرة بالكلّيّة حتّى كان عاقبة امرهم أن اضطرّوا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلّد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم (١٣١) ذَٰلِكَ اشارة الى ارسال الرسل وهو خبرُ مبتدإ محذوف اى الامرُ ذلك أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ تعليلٌ للحكم وأَنْ مصدريّة او مخفّفة من الثقيلة اى الامر ذلك لانتفاء كون ربّك او لانّ الشأن لم يكن ربّك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبّهوا برسول او بدلٌ من ذَٰلِكَ (١٣٢) وَلِكُلٍّ من المكلّفين دَرَجَاتٌ مراتب مِمَّا عَمِلُوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ فيخفى عليه عملٌ او قدرُ ما يُستحقّ به من ثواب او عقاب ، وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة (١٣٣) وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ عن العباد والعبادة ذُو ٱلرَّحْمَةِ يترحّم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويُمهلهم على المعاصى وفيه تنبيه على انّ ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحّمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ اى ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايّها العُصاة وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَآءُ من الخلق كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ قرنا بعد قرن لكنّه ابقاكم ترحّما عليكم (١٣٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ من البعث واحواله لَآتٍ لكائن لا محالة وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ طالبكم به

جزء ٨ ركوع ٣

(١٣٥) قُلْ يَا قَوْمِ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ على غاية تمكّنكم واستطاعتكم يقال مَكُنَ مَكانةً اذا تمكّن ابلغ التمكّن او على ناحيتكم وجهتكم الّتى انتم عليها من قولهم مَكان ومَكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم مَكَانَاتِكُمْ بالجمع فى كلّ القران وهو امرُ تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم إِنِّى عَامِلٌ ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديدُ بصيغة الامر مبالغةٌ فى الوعيد كأنّ المهدّد يريد تعذيبه مُجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يُفضى به اليه وتسجيلٌ بأنّ المهدّد لا يأتى منه الّا الشرّ كالمأمور به الّذى لا يقدر ان يتفصّى عنه فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٣٦) مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ ٱلدَّارِ إن جُعل مَن استفهاميّةً بمعنى أيّنا تكون له العاقبة الحسنى الّتى خلق اللّه لها هذه الدار فمحلّها الرفع وفعلُ العلم معلّق عنه وإن جُعلت خبريّةً فالنصب بتعلمون اى فسوف تعرفون الّذى تكون له العاقبة وفيه مع الانذار إنصافٌ فى المقال وحُسْنُ ادب وتنبيهٌ على وثوق المنذِر بأنّه مُحِقّ ، وقرأ حمزة والكسائىّ يَكُونُ بالياء لانّ تأنيث العاقبة غير حقيقىّ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ وضع الظالمون موضع الكافرون لانّه اعمّ واكثر فائدة (١٣٧) وَجَعَلُوا اى مشركو العرب لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ خلق مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ روى انّهم كانوا يعيّنون شيئا من حرث ونتاج للّه ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لآلهتهم وينفقونه على سَدَنتها ويذبحونه عندها ثمّ إن رأوا ما عيّنوا للّه ازكى بدّلوه بما لآلهتهم وإن رأوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حُبّا لآلهتهم ، وفى قوله ممّا ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانّهم اشركوا الخالق فى خلقه جمادا لا يقدر على شىء ثمّ رجّحوه عليه بأن جعلوا الزاكى له ، وفى قوله بزعمهم تنبيه على انّ ذلك ممّا اخترعوه لم يأمرهم اللّه به وقرأ الكسائىّ بالضمّ فى الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالوَدّ والوُدّ والوِدّ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ حُكْمُهم هذا (١٣٨) وَكَذَٰلِكَ ومثلَ ذلك التزيين فى قسمة القُربات زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ بالوأد ونَحرِهم لآلهتهم شُرَكَآؤُهُمْ من الجنّ او من السدنة وهو فاعلُ زيّن وقرأ ابن عامر زُيِّنَ على البناء للمفعول الّذى هو القتل ونصب الاولاد وجرّ الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف فى العربيّة معدود من ضرورات الشعر كقوله

فزججتُها بمِزَجّةٍ زَجَّ القلوصَ أَبِى مزادَهْ

وقُرئ على البناء للمفعول وجرّ اولادهم ورفع شركائهم باضمارِ فعلٍ دلّ عليه زُيِّنَ لِيُرْدُوهُمْ ليهلكوهم بالاغواء وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتديّنوا به ، واللام للتعليل إن كان التزيين من الشياطين وللعاقبة إن كان من السدنة وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ما فعل المشركون ما زيّن لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميعَ ذلك فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ

جزء ٨ افتراءهم او ما يفترونه من الافك (١٣٩) وَقَالُوا هٰذِهِ اشارة الى ما جُعل لآلهتهم أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ حرامٌ فِعْل بمعنى مفعول كالذِبْح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حُجْرٌ بالضمّ وحِرْجٌ اى ركوع ٣ مَضيق لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَآءُ يعنون خَدَمَ الاوثان والرجالَ دون النساء بِزَعْمِهِمْ من غير حجّة وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا يعنى البحائر والسوائب والحوامى وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللّٰهِ عَلَيْهَا فى الذبح وانّما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجّون على ظهورها ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ نصب على المصدر لانّ ما قالوه تقوُّل على اللّه والجارُّ متعلّق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجارّ متعلّق به او بالمحذوف سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ بسببه او بَدَله (١٤٠) وَقَالُوا مَا فِى بُطُونِ هٰذِهِ ٱلْأَنْعَامِ يعنون اجنّة البحائر والسوائب خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا حلال للذكور خاصّةً دون الاناث إن وُلد حيّا لقوله وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ فالذكور والاناث فيه سواء ، وتأنيث الخالصة للمعنى فانّ مَا فى معنى الأَجنّة ولذلك وافق عاصمٌ فى رواية ابى بكر ابنَ عامر فى تَكُنْ بالتاء وخالَفه وابنَ كثير فى مَيْتَة فنصَبَ كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما فى راوية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انّه مصدر مؤكّد والخبرُ لذكورنا او حال من الضمير الّذى فى الظرف لا من الّذى فى لذكورنا ولا من الذكور لانّها لا تتقدّم على العامل المعنوىّ وعلى صاحبه المجرور وقرئ خَالِصٌ بالرفع والنصب وخَالِصُهُ بالرفع والاضافة الى الضمير على انّه بدل من مَا او مبتدأ ثانٍ والمراد به ما كان حيّا ، والتذكير فى فيه لانّ المراد بالميتة ما يعمّ الذكر والانثى فغلّب الذكر سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ اى جزاء وَصْفِهِم الكذبَ على اللّه فى التحريم والتحليل من قوله تعالى وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٤١) قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ يريد بهم العرب الّذين كانوا يقتلون بناتهم مخافةَ السبى والفقر ، وقرأ ابن كثير وابن عامر قَتَّلُوا بالتشديد بمعنى التكثير سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ لخفّة عقلهم وجهلهم بانّ اللّه رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ ٱللّٰهُ من البحائر ونحوها ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللّٰهِ يحتمل الوجوه المذكورة فى مثله قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ الى الحقّ والصواب

(١٤٢) وَهُوَ ٱلَّذِى أَنْشَأَ جَنَّاتٍ من الكروم مَعْرُوشَاتٍ مرفوعات على ما يحملها وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ مُلْقيات ركوع ٤ على وجه الارض وقيل المعروشاتُ ما غرسه الناس فعرشوه وغيرُ معروشات ما نبت فى البرارى والجبال وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ ثمره الّذى يؤكل فى الهيئة والكيفيّة ، والضمير للزرع والباقى مقيس عليه او للنخل والزرعُ داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكلُ ذلك او كلّ واحد منهما ، ومختلفا حال مقدّرة لانّه لم يكن كذلك عند الانشاء وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ

جزء ٨ انّما يُعلَم بالوحى لا بالهوى مُحَرَّمًا طعاما محرّما عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ اِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً الّا ان يكون الطعامُ
ركوع ٥ ميتةً وقرأ ابن كثير وحمزة تَكُونَ بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع ميتة على انّ كان هى
التامّة وقوله أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا عطف على أَنْ مع ما فى حيّزه اى الّا وجودَ ميتة او دما مسفوحا اى مصبوبا
كالدم فى العروق لا كالكبد والطحال أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ فانّ الخنزير او لحمه قذر لتعوّده اكلَ
٥ النجاسة او خبيث مُخْبِث أَوْ فِسْقًا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّٰهِ بِهِ
صفة له موضّحة وانّما سمّى ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغّله فى الفسق ويجوز ان يكون فسقا
مفعولا له من اهلّ وهو عطف على يكون والمستكنّ فيه راجع الى ما رجع اليه المستكنّ فى يكون
فَمَنِ اضْطُرَّ فمن دعته الضرورة الى تناول شىء من ذلك غَيْرَ بَاغٍ على مضطرّ مثله وَلَا عَادٍ قَدْرَ الضرورة
فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لا يؤاخذه ، والآية مُحْكَمة لانّها تدلّ على انّه لم يجد فيما اوحى الى تلك الغاية
١٠ محرّما غير هذه وذلك لا ينافى وُرُودَ التحريم فى شىء آخر فلا يصحّ الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر
الواحد ولا على حلّ الاشياء غيرها الّا مع الاستصحاب (١٤٧) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ كلّ
ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كلّ ذى مخلب وحافر وسمّى الحافر ظفرا مجازا ولعلّ المسبّب
عن الظلم تعميمُ التحريم وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا الثروب وشحوم الكُلَى والاضافة
لزيادة الربط اِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا الّا ما علقت بظهورهما أَوِ الْحَوَايَا او ما اشتملت على الامعاء جمع
١٥ حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حويّة كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما وأَوْ بمعنى
الواو أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذٰلِكَ التحريم او الجزاء جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ
بسبب ظلمهم وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فى الاخبار او الوعد والوعيد (١٤٨) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ
يمهلكم على التكذيب فلا تغترّوا بامهاله فانّه لا يهمل وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ حين ينزل او
ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يردّ بأسه لتضمّنه التنبيه على
٢٠ انزال البأس عليهم مع الدلالة على انّه لازب بهم لا يمكن ردّه عنهم (١٤٩) سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا اخبار
عن مستقبل ووقوعُ مُخْبَره يدلّ على اعجازه لَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ لو شاء
خلاف ذلك مشيئةَ ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لَما فعلنا نحن ولا آباؤنا ارادوا بذلك انّهم
على الحقّ المشروع المرضىّ عند اللّٰه لا الاعتذارَ عن ارتكاب هذه القبائح بارادة اللّٰه ايّاها منهم حتّى
ينتهض ذمّهم به دليلا للمعتزلة ويؤيّد ذلك قوله كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ اى مثل هذا التكذيب
٢٥ لك فى انّ اللّٰه منع من الشرك ولم يحرّم ما حرّموه كذّب الذين من قبلهم الرسل ، وعطف آباؤنا على
الضمير فى اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا الّذى انزلنا عليهم بتكذيبهم

جزء ٨ قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِنْ عِلْمٍ من امر معلوم يصحّ الاحتجاج به على ما زعمتم فَتُخْرِجُوهُ لَنَا فتظهروه لنا
ركوع ٥ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ما تتبعون فى ذلك الّا الظنّ وإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ تكذبون على الله وفيه
دليل على المنع من اتّباع الظنّ سيّما فى الاصول ولعلّ ذلك حيث يعارضه قاطعٌ اذ الآية فيه (١٥٠) قُلْ فَلِلَّهِ
ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ البيّنة الواضحة الّتى بلغت غاية المتانة والقوّة على الاثبات او بلغ بها صاحبُها صحّةَ دعواه
وهى من الحجّ بمعنى القصد كانّها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فَلَوْ شَآءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ بالتوفيق لها
والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين (١٥١) قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ أحضِروهم وهو اسمُ فعل
لا ينصرف عند اهل الحجاز وفعلٌ يؤنّث ويجمع عند بنى تميم وأصله عند البصريّين هَا لُمَّ من لَمَّ اذا
قصد حُذفت الالف لتقدير السكون فى اللام فانّه الاصل وعند الكوفيّين هَلْ أُمَّ فحذفت الهمزة بالقاء
حركتها على اللام وهو بعيد لانّ هَلْ لا تدخل الامر ويكون متعدّيا كما فى الآية ولازما كقوله هلمّ
الينا ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا يعنى قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجّة ويظهر بانقطاعهم
ضلالتهم وانّه لا متمسّك لهم كمن يقلّدهم ولذلك قيّد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضى العهد
بهم فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ فلا تصدّقهم فيه وبيّن لهم فساده فانّ تسليمه موافقةٌ لهم فى الشهادة
الباطلة وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا مِنْ وَضْعِ المظهر موضع المضمر للدلالة على انّ مكذّب الآيات
متّبع الهوى لا غير وانّ متّبع الحجّة لا يكون الّا مصدّقا بها وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ كعبدة الاوثان
ركوع ٦ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ يجعلون له عديلا (١٥٢) قُلْ تَعَالَوْا امرٌ من التعالى وأصله ان يقوله من كان فى علوّ
لمن كان فى سُفْل فاتّسع فيه بالتعميم أَتْلُ اقرأ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ منصوب بأتل وما تحتمل الخبريّة والمصدريّة
ويجوز ان تكون استفهاميّة منصوبة بحرّم والجملة مفعولُ أتل لانّه بمعنى أقُلْ فكأنّه قيل اتل اىّ شىء
حرّم ربّكم عَلَيْكُمْ متعلّق بحرّم او اتل أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ اى لا تشركوا ليصحّ عطف الامر عليه ولا
يمنعُه تعليق الفعل المفسّر بما حرّم فانّ التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل أنْ
ناصبة فمحلّها النصبُ بعليكم على انّه للاغراء او بالبدل من مَا او من عائده المحذوف على انّ لا
زائدة او الجرّ بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلوُّ أنْ لا تشركوا او المحرّم ان تشركوا شَيْـًٔا يحتمل
المصدر والمفعول وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا اى وأحسنوا بهما احسانا وضعه موضع النهى عن الاساءة اليهما
للمبالغة والدلالة على انّ ترك الاساءة فى شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ
من اجل فقر ومن خشيته كقوله تعالى خشيةَ املاق نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ منعٌ لموجبيّة ما كانوا
يفعلون لاجله واحتجاجٌ عليه وَلَا تَقْرَبُوا ٱلْفَوَاحِشَ كبائر الذنوب او الزنا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ بدلٌ
منه وهو مثل قوله ظاهرَ الاثم وباطنَه وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ كالقود وقتل المرتدّ

جزء ۸ ورجم المُحْصَن ذٰلِكُمْ اشارة الى ما ذُكر مفصّلا وَصّٰكُمْ بِهٖ بحفظه لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ترشدون فانّ كمال
ركوع ۶ العقل الرشد (۱۵۳) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ الّا بالفعلة الّتى هى احسن ما يفعل بماله
كحفظه وتثميره حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ حتّى يصير بالغا وهو جمع شِدّة كنِعْمة وأَنْعُم او شَدّ كصَرّ وأَصُرّ
وقيل مفردٌ كآنُك وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ بالعدل والسويّة لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا الّا ما يسعها
۵ ولا يعسر عليها وذكرُه عقيبَ الامر معناه انّ ايفاء الحقّ عسرٌ عليكم فعليكم بما فى وسعكم وما وراءه
معفوٌّ عنكم وَإِذَا قُلْتُمْ فى حكومة ونحوها فَٱعْدِلُوا فيه وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ولو كان المقول له او عليه
من ذوى قرابتكم وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا يعنى ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع
ذٰلِكُمْ وَصّٰكُمْ بِهٖ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ تتّعظون به وقرأ حمزة وحفص والكسائى تَذَكَّرُونَ بتخفيف
الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها (۱۵۴) وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا الاشارة فيه الى
۱۰ ما ذكر فى السورة فانّها بأسرها فى اثبات التوحيد والنبوّة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائى اِنّ
بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون بها مشدّدة بتقدير اللام على
انّه علّة لقوله فَٱتَّبِعُوهُ وقرأ ابن عامر صِرَاطِيَ بفتح الياء وقرئ وهٰذا صِرَاطِي وهٰذا صِرَاطُ رَبِّكُمْ وهٰذا
صِرَاطُ رَبِّكَ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ الاديان المختلفة .او الطرق التابعة للهوى فانّ مقتضى الحجّة واحد
ومقتضى الهوى متعدّد لاختلاف الطبائع والعادات فَتَفَرَّقَ بِكُمْ فتفرّقكم وتزيلكم عَنْ سَبِيلِهِ الّذى هو
۱۵ اتّباع الوحى واقتفاء البرهان ذٰلِكُمْ الاتّباع وَصّٰكُمْ بِهٖ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الضلالَ والتفرّق عن الحقّ
(۱۵۵) ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ عطف على وصّاكم ، وثمّ للتراخى فى الاخبار او للتفاوت فى الرتبة كانّه
قيل ذلكم وصّاكم به قديما وحديثا ثمّ اعظمُ من ذلك أنّا آتينا موسى الكتاب تَمَامًا للكرامة والنعمة
عَلَى ٱلَّذِي أَحْسَنَ على كلّ من احسن القيامَ به ويؤيّده ان قرئ عَلَى ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا او على الّذى
احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اى اجاده من العلم والتشريع اى زيادةً على علمه
۲۰ اتماما له وقرئ بالرفع على انّه خبرُ محذوف اى على الدين الّذى هو احسنُ او على الوجه الّذى هو
احسنُ ما يكون عليه الكتب وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وبيانا مفصّلا لكلّ ما يُحتاج اليه فى الدين وهو
عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلّة والحال والمصدر وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ لعلّ بنى اسرائيل بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ
ركوع ۷ يُؤْمِنُونَ اى بلقائه للجزاء (۱۵۶) وَهٰذَا يعنى القران كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ كثير النفع فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ بواسطة اتّباعه والعمل بما فيه (۱۵۷) أَنْ تَقُولُوا كراهةَ أن تقولوا علّةٌ لانزلناه إِنَّمَا أُنْزِلَ ٱلْكِتَابُ
۲۵ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا اليهود والنصارى ولعلّ الاختصاص فى انّما لانّ الباقى المشهور حينئذ من الكتب
السماويّة لم يكن غير كتبهم وَإِنْ كُنَّا ان هى المخفّفة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبرَ كان اى وانّه كنّا

*

جزء ٨ عَنْ دِرَاسَتِهِمْ قراءتهم لَغَافِلِينَ لا ندرى ما هى او لا نعرف مثلها (١٥٨) أَوْ تَقُولُوا عطف على الاوّل
ركوع ٧ لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ لحدّة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقّفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخُطَب على انّا أُمّيون فَقَدْ جَآءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ حجّة واضحة تعرفونها وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لمن تأمّل فيه وعمل به فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ بعد ان عرف صحّتها او تمكّن من معرفتها وَصَدَفَ اعرض او صدّ عَنْهَا فضلّ او اضلّ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ شدّته بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ باعراضهم او صدّهم (١٥٩) هَلْ يَنْظُرُونَ اى ما ينتظرون يعنى اهل مكّة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لمّا كان يلحقهم لحوق المنتظر شُبّهوا بالمنتظرين إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائىّ بالياء هنا وفى النحل أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ اى امره بالعذاب او كلّ آية يعنى آيات القيامة والهلاك الكلّى لقوله أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يعنى اشراط الساعة وعن حُذيفة ابن اليَمان والبَراء بن عازب كنّا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول اللّه صلعم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انّها لا تقوم حتّى تروا قبلها عَشْرَ آيات الدخان ودابّة الارض وخَسْفًا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجّال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عم ونارا تخرج من عَدَن يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا كالمحتضر اذ صار الامر عيانا والايمان برهانىّ وقرئ تَنْفَعُ بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنّث لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ صفة نفسا أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمَانِهَا خَيْرًا عطف على آمنت والمعنى انّه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غيرَ مقدّمة ايمانها او مقدّمةً ايمانَها غيرَ كاسبة فى ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرّد عن العمل وللمعتبر تخصيصُ هذا الحكم بذلك اليوم وحَمْلُ الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلَتْ عنهما ايمانُها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الّذى احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قُلِ ٱنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ وعيد لهم اى انتظروا اتيان احد الثلاثة فانّا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل (١٦٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ بدّدوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلّها فى الهاوية الّا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلّها فى الهاوية الّا واحدة وتفترق امّتى على ثلاث وسبعين فرقة كلّها فى الهاوية الّا واحدة وقرأ حمزة والكسائىّ فَارَقُوا اى باينوا وَكَانُوا شِيَعًا فِرَقا تُشيّع كلّ فرقة اماما لَسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ اى من السؤال عنهم وعن تفرّقهم او من عقابهم او انت برئ منهم وقيل هو نهى عن التعرّض لهم وهو منسوخ بآية السيف إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ يتولّى جزاءهم ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ بالعقاب (١٦١) مَنْ جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا اى عشر حسنات امثالها فضلا من اللّه وقرأ

يعقوب عَشْرٌ بالتنوين وأَمْثَالُهَا بالرفع على الوصف وهذا اقلّ ما وُعد من الأضعاف وقد جاء الوعد جزء ۸
بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد وَمَنْ جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا ركوع ۷
يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا قضيّةً للعدل وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بنقص الثواب وزيادة العقاب (۱۶۲) قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّى إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ بالوحى والارشاد الى ما نصب من الحجج دِينًا بدلٌ من محلّ الى صراط اذ المعنى هدانى
۵ صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعولُ فعل مضمر دلّ عليه الملفوظ قِيَمًا فَيْعِل من قام كسَيِّد
من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيمُ باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة
والكسائىّ قِيَمًا على انّه مصدرٌ نُعت به وكان قياسه قِوَمًا كعِوَض فأُعلّ لاعلال فعله كالقيام مِلَّةَ إِبْرٰهِيمَ
عطف بيان لدينًا حَنِيفًا حال من ابرهيم وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ عطف عليه (۱۶۳) قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى
عبادتى كلّها او قربانى او حجّى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى وما انا عليه فى حياتى واموت عليه من الايمان والطاعة
۱۰ او طاعات الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصيّة والتدبير او الحياة والممات انفسهما ، وقرأ نافع
مَحْيَاىْ باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لِلّٰهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ خالصة له لا اشرك فيها غيرا
وَبِذٰلِكَ القول او الاخلاص أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ لانّ اسلام كلّ نبىّ متقدّم على اسلام امّته (۱۶۴) قُلْ أَغَيْرَ
ٱللّٰهِ أَبْغِى رَبًّا فاشركه فى عبادتى وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ حال فى
موضع العلّة للانكار والدليل له اى وكلُّ ما سواه مربوبٌ مثلى لا يصلح للربوبيّة وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ
۱۵ إِلَّا عَلَيْهَا فلا ينفعنى فى ابتغاء ربّ غيره ما انتم عليه من ذلك وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى جواب عن قولهم
اتّبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ يوم القيامة فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
بتبيين الرشد من الغىّ وتمييز المُحِقّ من المُبْطِل (۱۶۵) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ ٱلْأَرْضِ يخلف
بعضكم بعضا او خلفاء اللّه فى ارضه تتصرّفون فيها على انّ الخطاب عامّ او خلفاء الامم السالفة
على انّ الخطاب للمومنين وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ فى الشرف والغنى لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ
۲۰ من الجاه والمال إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ لانّ ما هو آتٍ قريب او لانّه يسرع اذا اراده وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ
وصف العقاب ولم يُضِفْه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضمّ اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة
واللام المؤكّدة تنبيها على انّه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل
العقوبة مُسامِح فيها ، عن رسول اللّه صلعم انزلت علىّ سورة الانعام جملةً واحدةً يشيّعها سبعون
الف ملك لهم زَجَلٌ بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلّى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف
۲۵ ملك بعدد كلّ آية من سورة الانعام يوما وليلة ٠

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

مكّيّة الّا ثمان آيات من وآسألهم الى واذ نتقنا الجبل محكمة كلّها وقيل الّا واعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

جزء ٨ ركوع ٨

(١) آلمص سبق الكلام فى مثله كِتَابٌ خبرُ محذوف اى هو كتاب او خبرُ آلمص والمراد به السورة او القران أُنْزِلَ إِلَيْكَ صفته فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ اى شكّ فانّ الشاكّ حرجُ الصدر او ضيقُ قلب من تبليغه مخافةَ ان تكذّب فيه او تقصّر فى القيام بحقّه ، وتوجيهُ النهى اليه للمبالغة كقولهم لا أَرَيَنَّكَ ههنا ، والفاء تحتمل العطف والجواب فكأنّه قيل اذا أُنزل اليك لتنذر فلا يَحْرَجْ صدرك لِتُنْذِرَ بِهِ متعلّق بانزل او بلا يكن لانّه اذا ايقن انّه من عند اللّه جسر على الانذار وكذا اذا لم يَخَفْهم او علم انّه موفّق للقيام بتبليغه وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ يحتمل النصبَ باضمار فعلها اى لتنذرَ وتذكّرَ ذكرى فانّها بمعنى التذكير والجرَّ عطفا على محلّ تنذر والرفعَ عطفا على كتابٌ او خبرا لمحذوف (٢) اِتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ يعمّ القران والسنّة لقوله وما ينطق عن الهوى إن هو الّا وحى يوحى وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ يضلّونكم من الجنّ والانس وقيل الضمير فى من دونه لما انزل اى ولا تتّبعوا من دون دين اللّه دين اولياء ، وقرئ ولا تَبْتَغُوا قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ اى تذكّرا قليلا او زمانا قليلا تذكّرون حيث تتركون دين اللّه وتتّبعون غيره ، وما مزيدة لتأكيد القلّة وان جُعلت مصدريّة لم ينتصب قليلا بتذكّرون ، وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص عن عاصم تَذَكَّرُونَ وابن عامر يَتَذَكَّرُونَ على انّ الخطاب بعدُ مع النبىّ صلعم (٣) وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ وكثيرا من القرى أَهْلَكْنَاهَا اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فَجَاءَهَا فجاء اهلها بَأْسُنَا عذابنا بَيَاتًا بائتين كقوم لوط مصدرٌ وقع موقع الحال أَوْ هُمْ قَائِلُونَ عطف عليه اى قائلين نصفَ النهار كقوم شعيب وانّما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفَى عطف فانّها واوُ عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانّه غير فصيح ، وفى التعبيرين مبالغة فى غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك خصّ الوقتين ولانّهما وقت دعة واستراحة فيكون مجىء العذاب فيهما افظع (٤) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ اى دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدّعونه من دينهم إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ الّا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسّرا عليه (٥) فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ عمّا أُجيبوا به والمرادُ من هذا السؤال توبيخُ الكفرة وتقريعهم والمنفىُّ فى قوله تعالى ولا يُسْأَلُ عن ذنوبهم المجرمون سؤالُ

الاستعلام او الاوّل فى موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ على الرسل جزء ٨
حين يقولون لا علم لنا انّك انت علّام الغيوب او على الرسل والمرسَل اليهم ما كانوا عليه بِعِلْمٍ عالمين ركوع ٨
بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ عنهم فيخفى علينا شىء من احوالهم
(٧) وَٱلْوَزْنُ اى القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على انّ صحائف الاعمال توزن بميزان
له لسان وكفّتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف
بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيّده ما روى انّ الرجل يؤتى به الى الميزان فيُنْشَر عليه تسعة
وتسعون سجلّا كلّ سجلّ مدّ البصر فيُخْرَج له بطاقةٌ فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلّات فى كفّة
والبطاقة فى كفّة فطاشت السجلّات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روى عنه عم انّه ليأتى
العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند اللّه جناح بعوضة يَوْمَئِذٍ خبر المبتدأ الّذى هو الوزن ٱلْحَقُّ
صفته او خبرُ محذوف ومعناه العدل السوىّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ حسناته او ما يوزن به حسناته
فهو جمع موزون او ميزان وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدّد الوزن فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ
الفائزون بالنجاة والثواب (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُم بتضييع الفطرة السليمة
الّتى فطرت عليها واقتراف ما عرّضها للعذاب بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ فيكذّبون بدل التصديق
(٩) وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ اى مكّناكم من سكناها وزرعها والتصرّف فيها وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ
اسبابا تعيشون بها جمعُ معيشة وعن نافع انّه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قَلِيلًا مَا
تَشْكُرُونَ فيما صنعتُ اليكم (١٠) وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصوّر ركوع ٩
ثمّ صوّرناه نزّل خلقه وتصويره منزلة خلق الكلّ وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثمّ تصويركم بأن خلقنا
آدم ثمّ صوّرناه ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ وقيل ثمّ لتأخير الاخبار فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ
ٱلسَّاجِدِينَ ممّن سجد لآدم (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ اى أن تسجد ولا صلةٌ مثلها فى لئلّا يعلم
مؤكّدة معنى الفعل الّذى دخلت عليه ومنبّهةٌ على انّ الموبَّخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن
الشىء مضطرّ الى خلافه فكأنّه قيل ما اضطرّك الى ان لا تسجد إِذْ أَمَرْتُكَ دليل على انّ مطلق الامر
للوجوب والفور قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لأن يكون مثله مأمورا
بالسجود لمثله كانّه قال المانع انّى خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر
به فهو الّذى سنّ التكبّر وقال بالحسن والقبح العقليّين اوّلا خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ تعليل
لفضله عليه وقد غلط فى ذلك بأن رأى الفضل كلّه باعتبار العنصر وغفل عمّا يكون باعتبار الفاعل كما
اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقتُ بيدىّ اى بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبّه عليه
بقوله ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة

جزء ۷ بسجوده لمّا بيّن لهم انّه اعلم منهم وانّ له خواصّ ليست لغيره ؛ والآية دليل الكون والفساد وانّ
ركوع ۹ الشياطين اجسام كائنة ولعلّ اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب (۱۲) قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا من السماء او الجنّة فَمَا يَكُونُ لَكَ فما يصحّ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا وتعصى فانّها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على انّ التكبّر لا يليق باهل الجنّة وانّه تعالى انّما طرده واهبطه لتكبّره لا لمجرّد عصيانه فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّاغِرِينَ ممّن اهانه اللّه لتكبّره قال عمر من تواضع رفعه اللّه ومن تكبّر وضعه اللّه (۱۳) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ امهلنى الى يوم القيامة فلا تُمتْنى او لا تعجّل عقوبتى (۱۴) قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنْظَرِينَ يقتضى الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنّه محمول على ما جاء مقيّدا بقوله تعالى الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم اللّه انتهاء اجله فيه وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته (۱۵) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي اى بعد ان امهلتنى لأجتهدنّ فى اغوائهم بأىّ طريق يمكننى بسبب اغوائك ايّاى بواسطتهم تسمية او حملا على الغىّ او تكليفا بما غويتُ لاجله ؛ والباء متعلّقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدنّ فانّ اللام تَصُدّ عنه وقيل الباء للقسم لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ترصّدا بهم كما يقعد القُطّاع للسابلة صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله

لَدْنٌ بهزّ الكفّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ

وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضُرب زيدٌ الظهرَ والبطنَ (۱۶) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ اى من جميع الجهات الاربع مثّل قصْده ايّاهم بالتسويل والاضلال من اىّ وجه يمكنه باتيان العدوّ من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لانّ الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لانّ الاتيان منه يُوحش وعن ابن عبّاس رضه من بين ايديهم من قِبَل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيّئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرّز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسّر لهم أن يعلموا ويتحرّزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقّظهم واحتياطهم ؛ وانّما عدّى الفعل الى الاوّلين بحرف الابتداء لانّه منهما متوجّه اليهم والى الاخيرين بحرف المجاوزة فانّ الآتى منهما كالمنحرف عنهم المارّ على عُرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ مطيعين وانّما قاله ظنّا لقوله تعالى ولقد صدّق عليهم ابليس ظنّه لمّا رأى فيهم مبدأ الشرّ متعدّدا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة (۱۷) قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مذموما من ذأمه اذا ذمّه وقرئ مَذُومًا كمَسُول فى مسؤول او كمَكُول فى مَكيل من ذامه يذيمه ذَيْما مَدْحُورًا مطرودا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ وهو سادّ مسدّ جواب الشرط وقرئ لِمَن بكسر اللام على انّه خبر لأملأنّ

جزء ٨ ركوع ٩

على معنى لِمَنْ تبعك هذا الوعيد او علّة لَأخرج ولَأملأنّ جوابُ قسم محذوف ، ومعنى منكم منك ومنهم فغلّب المخاطب (١٨) وَيَا آدَمُ اى وقلنا يا آدم ٱسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ وقرئ هٰذِى وهو الاصل لتصغيره على ذَيَّا والهاء بدل من الياء فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ فتصيرا من ٱلّذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزمَ على العطف والنصبَ على الجواب (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ اى فعل الوسوسة لاجلهما وهى فى الاصل الصوت الخفىّ كالهينمة والخشخشة ومنه وَسْوَسَ الحَلْىُ وقد سبق فى البقرة كيفيّة وسوسته لِيُبْدِىَ لَهُمَا ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انّه اراد ايضا بوسوسته ان يَسُوءَهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبّر عنهما بالسوءة وفيه دليل على انّ كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجَن فى الطباع مَا وُورِىَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا ما غطّى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر ، وانّما لم تُقْلَب الواو المضمومة همزة فى المشهور كما قلبت فى أُوَيْصِل تصغيرِ واصِل لانّ الثانية مَدّة ، وقرئ سَوْاتِهِمَا بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وسَوَّاتِهِمَا بقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا إلّا كراهةَ ان تكونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَالِدِينَ الّذين لا يموتون او يخلدون فى الجنّة ، واستُدلّ به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابُه انّه كان من المعلوم انّ الحقائق لا تنقلب وانّما كانت رغبتُهما فى ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفِطْريّة والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدلّ على فضلهم مطلقا (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّاصِحِينَ اى اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه باللّه انّه لمن الناصحين واقسم لهما فجُعل ذلك مقاسمة (٢١) فَدَلَّاهُمَا فنزّلهما الى الاكل من الشجرة نبّه به على انّه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فانّ التدلية والادلاء ارسال الشىء من اعلى الى اسفل بِغُرُورٍ بما غرّهما به من القسم فانّهما ظنّا انّ احدا لا يحلف باللّه كاذبا او ملتبسين بغرور فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا اى فلمّا وجدا طَعْمها آخذين فى الاكل منها اخذتهما العُقوبة وشُؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما ، واختُلف فى انّ الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وانّ اللباس كان نُورا او حُلّة او ظُفرا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ اخذا يرقعان ويُلزقان ورقة فوق ورقة عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ قيل كان ورق التين ، وقرئ يُخْصِفَانِ من اخصف اى يُخصفان انفسهما ويُخَصِّفَانِ من خصّف ويَخِصِّفَانِ وأصله يختصفان وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول العدوّ ، وفيه دليل على انّ مُطْلَق النهى للتحريم (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ضررناها بالمعصية والتعريض

جزء ٨ للاخراج من الجنّة وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ دليل على انّ الصغائر معاقَبٌ عليها
ركوع ٩ إن لم تُغْفَر وقالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انّما قالا ذلك على
عادة المقرّبين فى استعظام الصغير من السيّئات واستحقار العظيم من الحسنات (٢٣) قَالَ ٱهْبِطُوا الخطاب
لآدم وحوّاء وذريّتهما او لهما ولابليس كرّر الامر له تبعًا ليعلم انّهم قُرَناء ابدا او اخبر عمّا قال لهم
مفرّقا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فى موضع الحال اى متعادين وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ استقرار او موضع استقرار
وَمَتَاعٌ وتمتّع إِلَى حِينٍ الى تقضّى آجالكم (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ للجزاء
ركوع ١٠ (٢٥) يَا بَنِى آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا اى خلقناه لكم بتدبيرات سماويّة واسباب نازلة ونظيره قوله
وأَنْزَل لكم من الأَنعام وقوله وانزلنا الحديد يُوَارِى سَوْآتِكُمْ ٱلّتى قصد الشيطان ابداءها ويُغنيكم عن
خَصْف الورق روى انّ العرب كانوا يطوفون بالبيت عُراةً ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا اللّه فيها
فنزلت ولعلّه ذكر قصّة آدم مقدّمة لذلك حتّى يعلم انّ انكشاف العورة اوّلُ سوء اصاب الانسان من
الشيطان وانّه اغواهم فى ذلك كما اغوى ابويْهم وَرِيشًا ولباسا يتجمّلون به والريش الجمال وقيل مالا
ومنه تريّش الرجل اذا تموّل وقرئ وَرِيَاشًا وهو جمع رِيش كشِعْب وشِعاب وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَى خشية اللّه
وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعُه بالابتداء وخبرُه ذَٰلِكَ خَيْرٌ او خَيْرٌ وذٰلك
صفته كانّه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائىّ وَلِبَاسَ بالنصب عطفا
على لباسا ذَٰلِكَ اى انزال اللباس مِنْ آيَاتِ ٱللّهِ الدالّة على فضله ورحمته لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ فيعرفون نعمته
او يتّعظون فيتورّعون عن القبائح (٢٦) يَا بَنِى آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ لا يمحننّكم بأن يمنعكم
دخولَ الجنّة باغوائكم كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ ٱلْجَنَّةِ كما محن ابويكم بأن اخرجهما منها النهىُ فى
اللفظ للشيطان والمعنى نهيُهم عن اتّباعه والافتتان به يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا حال من
ابويكم او من فاعلِ اخرج واسنادُ النزع اليه للتسبّب إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ
تعليل للنهى وتأكيد للتحذير من فتنته ، وقبيله جنوده ، ورؤيتهم ايّانا من حيث لا نراهم فى الجملة
لا تقتضى امتناع رؤيتهم وتمثّلهم لنا إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بما اوجدنا بينهم
من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سوّلوا لهم ، والآية مقصود القصّة
وفذلكة الحكاية (٢٧) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً فعلة متناهية فى القبح كعبادة الصنم وكشف العورة فى الطواف
قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَٱللّهُ أَمَرَنَا بِهَا اعتذروا واحتجّوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على اللّه فأعرض
عن الاوّل لظهور فساده وردّ الثانى بقوله قُلْ إِنَّ ٱللّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَاءِ لانّ عادته جرت على الامر بمحاسن
الافعال والحثّ على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على انّ قبح الفعل بمعنى ترتّب الذمّ عليه آجلا عقلىّ

فانّ المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالَيْن جزء ٨
مترتّبَيْن كانّه قيل لهم لمّا فعلوها لِمَ فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ ركوع ١٠
آباؤكم فقالوا اللّه امرنا بها وعلى الوجهَيْن يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا
أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ انكار يتضمّن النهى عن الافتراء على اللّه تعالى (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ
بالعدل وهو الوسط من كلّ امر المتجافى عن طرَفَي الافراط والتفريط وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ وتوجّهوا الى عبادته
مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القِبْلة عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ فى كلّ وقت سجود او مكانه
وهو الصلوة او فى اىّ مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخّروها حتّى تعودوا الى مساجدكم وَٱدْعُوهُ
واعبدوه مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ اى الطاعة فانّ اليه مصيركم كَمَا بَدَأَكُمْ كما انشأكم ابتداء تَعُودُونَ
باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانّما شبّه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما
بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم عُراةً حُفاةً غُرلا تعودون وقيل كما بدأكم
مؤمنا وكافرا يعيدكم فَرِيقًا هَدَى بأن وفّقهم للايمان وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَالَةُ بمقتضى القضاء
السابق وانتصابه بفعل يفسّره ما بعده اى وخذل فريقا إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا ٱلشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ
تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ يدلّ على انّ الكافر المخطئ والمعاند
سواء فى استحقاق الذمّ وللفارق أن يحمله على المقصّر فى النظر (٢٩) يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ ثيابكم
لمواراة عوراتكم عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ لطواف او صلوة ومن السنّة ان يأخذ الرجل احسن هيئة للصلوة
وفيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلوة وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا ما طاب لكم روى انّ بنى عامر فى ايّام
حجّهم كانوا لا يأكلون الطعام الّا قوتا ولا يأكلون دسما يعظّمون بذلك حجّهم فهمّ المسلمون به
فنزلت وَلَا تُسْرِفُوا بتحريم الحلال او بالتعدّى الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عبّاس
رضه كُلْ ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سَرَفٌ ومَخِيلةٌ وقال علىّ بن الحسين بن واقد
جمع اللّه الطبّ فى نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ اى لا يرتضى فعلهم
(٣٠) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ من الثياب وسائر ما يتجمّل به ٱلَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ من النبات كالقطن والكتّان ركوع ١١
والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع وَٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ المستلذّات من المآكل والمشارب
وفيه دليل على انّ الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجمّلات الاباحة لانّ الاستفهام فى مَنْ للانكار
قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبعٌ خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ
لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انّها خبر بعد خبر كَذَلِكَ نُفَصِّلُ
ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصّل سائر الاحكام لهم (٣١) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ

جزء ٨ ركوع ١١ ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلّق بالفروج مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ جهرها وسرّها وَٱلْإِثْمَ وما يوجب الاثم تعميمٌ بعد تخصيص وقيل شرب الخمر وَٱلْبَغْيَ الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ متعلّق بالبغى مؤكّد له معنى وَأَنْ تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا تهكّم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتّباع ما لم يدلّ عليه برهان وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه كقولهم اللّه امرنا بها (٣٢) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ مدّة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكّة فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ انقرضت مدّتهم او حان وقتهم لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ اى لا يتأخّرون ولا يتقدّمون اقصرَ وقت او لا يطلبون التأخّر والتقدّم لشدّة الهول (٣٣) يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي شرط ذكره بحرف الشكّ للتنبيه على انّ اتيان الرسل امرٌ جائزٌ غيرُ واجب كما ظنّه اهل التعليم وضمّت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك أُكّد فعلها بالنون وجوابه فَمَنِ ٱتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٤) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ والمعنى فمن اتّقى التكذيب واصلح عمله منكم والّذين كذّبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء فى الجزاء الاوّل دون الثانى للمبالغة فى الوعد والمسامحة فى الوعيد (٣٥) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ممّن تقوّل على اللّه ما لم يقله او كذّب ما قاله أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ ٱلْكِتَابِ ممّا كُتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح المحفوظ اى ممّا أُثبت لهم فيه حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ اى يتوفّون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتّى غاية نيلهم وهى الّتى يُبتدأ بعدها الكلام قَالُوا جواب اذا أَيْنَمَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ اين الآلهة الّتى كنتم تعبدونها وما وُصلت بأين فى خطّ المصحف وحقّها الفصل لانّها موصولة قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا غابوا عنّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ اعترفوا بانّهم كانوا ضالّين فيما كانوا عليه (٣٦) قَالَ ٱدْخُلُوا اى قال اللّه لهم يوم القيامة او احد من الملائكة فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم يوم القيامة مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ يعنى كفّار الامم الماضية من النوعين فِي ٱلنَّارِ متعلّق بادخلوا كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ اى فى النار لَعَنَتْ أُخْتَهَا الّتى ضلّت بالاقتداء بها حَتَّى إِذَا ٱدَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا اى تداركوا وتلاحقوا فى النار قَالَتْ أُخْرَاهُمْ اى دخولا او منزلةً وهم الاتباع لِأُولَاهُمْ اى لاجل اولاهم اذ الخطاب مع اللّه لا معهم رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا سنّوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ ٱلنَّارِ مضاعفًا لانّهم ضلّوا وأضلّوا قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ امّا القادة فبكفرهم وتضليلهم وامّا الاتباع فبكفرهم وتقليدهم وَلَٰكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ما لكم او ما لكلّ فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال (٣٧) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ

فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ عطفوا كلامهم على جواب اللّه لاخراهم ورتّبوه عليه اى فقد ثبت ان لا جزء ٨
فضل لكم علينا وانّا وايّاكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ركوع ١١
من قول القادة او من قول الفريقين (٣٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا اى عن الايمان بها ركوع ١٢
لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ لأدعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتّح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتّصل بالملائكة ، والتاء فى تفتّح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائىّ به وبالياء لانّ التأنيث غير حقيقىّ والفعل مقدّم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على انّ الفعل للآيات وبالياء على انّ الفعل للّه وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ اى حتّى يدخل ما هو مَثَلٌ فى عِظَم الجِرْم وهو البعير فيما هو مَثَلٌ فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك ممّا لا يكون فكذا ما توقّف عليه وقرئ ٱلْجُمَّلُ كالقُمَّل وَٱلْجُمْلُ كالنُّغَر وَٱلْجُمُلُ كالقُفْل وَٱلْجُمُلُ كالنُّصُب وَٱلْجَمْلُ كالحَبْل وهى الحبل الغليظ من القنّب وقيل حبل السفينة وسُمّ بالضمّ والكسر وفى سَمِّ المِخْيَط وهو والخياط ما يخاط به كالحِزام والمِحْزَم وَكَذَٰلِكَ ومثل ذلك الجزاء الفظيع نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ (٣٩) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ فراش وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غَوَاشٌ على الغاء المحذوف وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّالِمِينَ عبّر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى إشعارا بانّهم بتكذيبهم الآيات اتّصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجُرْم مع الحرمان من الجنّة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انّه اعظمُ الاجرام (٤٠) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ على عادته سبحانه وتعالى فى ان يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلّف نفسا الّا وسعها اعتراضٌ بين المبتدا والخبر للترغيب فى اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ (٤١) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ اى نُخرج من قلوبهم اسبابَ الغلّ او نطهّرها منه حتّى لا يكون بينهم الّا التوادّ وعن علىّ رضه إنّى لأرجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَارُ زيادة فى لذّتهم وسرورهم وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا لما جزاؤه هذا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا ٱللَّهُ لولا هداية اللّه وتوفيقه واللام لتأكيد النفى وجوابُ لولا محذوف دلّ عليه ما قبله وقرأ ابن عامر مَا كُنَّا بغير واو على انّها مبيّنة للاولى لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجّحا بانّ ما علموه يقينا فى الدنيا صار لهم عين اليقين فى الآخرة وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ اذا رأوها من بعيد او بعد دخولها والمنادَى له بالذات أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اى اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حالٌ من الجنّة والعاملُ فيها معنى الاشارة او خبرٌ والجنّة صفة تلكم ، وأنْ فى المواقع الخمسة هى المخفّفة او المفسّرة لانّ المناداة والتأذين من القول (٤٢) وَنَادَى

جزء ٨ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَابَ ٱلنَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا
ركوع ١٢ انّما قالوه تبجّحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانّما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لانّ ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنّة قَالُوا نَعَمْ وقرأ الكسائىّ بكسر العين وهما لغتان فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ قيل هو صاحب الصور بَيْنَهُمْ بين الفريقين أَنْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّالِمِينَ وقرأ ابن كثير فى رواية البزّى وابن عامر وحمزة والكسائىّ أَنَّ لَعْنَةَ ٱللَّهِ بالتشديد والنصب وقرئ إنّ بالكسر على ارادة القول او اجراء اذّن مجرى قال (٤٣) ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ صفة للظالمين مقرّرة او ذمّ مرفوع او منصوب وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا زيغا وميلا عمّا هو عليه والعِوَج بالكسر فى المعانى والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح ما كان فى المنتصبة كالحائط والرمح وَهُمْ بِٱلْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٤) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ اى بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنّة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ وعلى اعراف الحجاب اى اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عُرْف مستعار من عُرْف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشىء فانّه يكون بظهوره اعرف من غيره رِجَالٌ طائفة من الموحّدين قصّروا فى العمل فيحبسون بين الجنّة والنار حتّى يقضى اللّه فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يُرَوْن فى صورة الرجال يَعْرِفُونَ كُلًّا من اهل الجنّة والنار بِسِيمَاهُمْ بعلامتهم الّتى اعلمهم اللّه بها كبياض الوجه وسواده فِعْلَى من سَامَ ابلَه اذا ارسلها فى المرعى مُعْلَمة او من وَسَمَ على القلب كالجاه من الوجه وانّما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ اى اذا نظروا اليهم سلّموا عليهم لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ حال من الواو على الوجه الاوّل ومن الاصحاب على الوجوه الباقية (٤٥) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ قَالُوا تعوّذا باللّه رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ اى فى النار

ركوع ١٣ (٤٦) وَنَادَى أَصْحَابُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ من رؤساء الكفرة قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ كثرتكم او جمعكم المال وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ عن الحقّ او على الخلق وقرئ تَسْتَكْثِرُونَ من الكثرة (٤٧) أَهٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ من تتمّة قولهم للرجال ، والاشارة الى ضعفاء اهل الجنّة الّذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون انّ اللّه لا يدخلهم الجنّة ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ اى فالتفتوا الى اصحاب الجنّة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنّة بفضل اللّه بعد ان حُبسوا حتّى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لمّا عيّروا اصحاب النار اقسموا انّ اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنّة فقال اللّه او بعض الملائكة اهؤلاء الّذين اقسمتم وقرئ أُدْخِلوا ودَخَلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنّة مقولا لهم لا

خوف عليكم (٤٨) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ اى صُبّوه وهو دليل جزء ٨
على انّ الجنّة فوق النار أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله • عَلَفْتُها ركوع ١٣
تِبنا وماء باردا • قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَافِرِينَ منعهما عنهم مَنْعَ المحرَّم عن المكلّف (٤٩) ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت ، واللهو صرف الهمّ بما لا يحسن ان
يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَاهُمْ نفعل
بهم فِعْلَ الناسين فنتركهم فى النار كَمَا نَسُوا لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا فلم يُخطروه ببالهم ولم يستعدّوا له
وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ وكما كانوا منكرين انّها من عند اللّه (٥٠) وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ
بيّنّا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصّلةً عَلَىٰ عِلْمٍ عالمين بوجه تفصيله حتّى جاء حكيما وفيه
دليل على انّ اللّه عالمٌ بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول ، وقرئ فَضَّلْنَاهُ اى على سائر
الكتب عالمين بانّه حقيق بذلك هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ حال من الهاء (٥١) هَلْ يَنظُرُونَ ينتظرون
إِلَّا تَأْوِيلَهُ الّا ما يؤول اليه امره من تبيّن صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ
يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ تركوه ترْكَ الناسى قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ اى قد تبيّن انّهم جاءوا
بالحقّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا اليوم أَوْ نُرَدُّ او هل نردّ الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على
فيشفعوا او لانّ أَوْ بمعنى الى أَنْ فعلى الاوّل المسئول احد الامرين وعلى الثانى أن يكون لهم شفعاء
امّا لاحد الامرين او لامر واحد وهو الردّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ جواب الاستفهام الثانى وقرئ بالرفع
اى فنحن نعمل قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بصرف اعمارهم فى الكفر وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ بطل عنهم
فلم ينفعهم (٥٢) إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ فى ستّة اوقات كقوله ومن يولّهم ركوع ١٤
يومئذ دُبُرَه او فى مقدار ستّة ايّام فانّ المتعارف باليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم تكن
حينئذ ، وفى خلق الاشياء مدرّجا مع القدرة على ايجادها دفعةً دليلٌ للاختيار واعتبارٌ للنُظّار وحثٌّ
على التأنّى فى الامور ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ استوى امره او استولى وعن اصحابنا انّ الاستواء على العرش
صفة للّه بلا كيف والمعنى انّ له تعالى استواء على العرش على الوجه الّذى عناه منزّها عن الاستقرار
والتمكّن ، والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سُمّى به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فانّ الامور
والتدابير تنزل منه وقيل المُلْك يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يغطّيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لانّ
اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارُ بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائىّ ويعقوب
وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفى الرعد للدلالة على التكرير يَطْلُبُهُ حَثِيثًا يعقبه سريعا كالطالب له
لا يفصل بينهما شىء والحثيث فعيل من الحثّ وهو صفة مصدر محذوف او حالٌ من الفاعل بمعنى

جزء ۸ حاثًا او المفعول بمعنى محثوثا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف
ركوع ۴ على السموات ونصبُ مسخّرات على الحال وقرأ ابن عامر كلّها بالرفع على الابتداء والخبر أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ فانّه الموجد والمتصرّف تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ تعالى بالوحدانيّة فى الالوهيّة وتعظّم بالتفرّد فى الربوبيّة ، وتحقيقُ الآية واللّهُ اعلمُ أنّ الكفرة كانوا متّخذين اربابا فبيّن لهم انّ المستحقّ للربوبيّة واحد وهو اللّه سبحانه وتعالى لانّه الّذى له الخلق والامر فانّه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثمّ زيّنها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضاهنّ سبع سموات فى يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفليّة فخلق جسما قابلا للصور المتبدّلة والهيئات المختلفة ثمّ قسمها بصور نوعيّة متضادّة الآثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض اى ما فى جهة السفل فى يومين ثمّ انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادّها اوّلا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها اقواتها فى اربعة ايّام اى مع اليومين الاوّلين لقوله فى سورة السجدة اللّه الّذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستّة ايّام ثمّ لمّا تمّ له عالم المُلْك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبّر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى والايّام ثمّ صرّح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك اللّه ربّ العالمين ثمّ امرهم بأن يدعوه متذلّلين مخلصين فقال (۵۳) ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً اى ذوى تضرّع وخفية فانّ الاخفاء دليل الاخلاص إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ المجاوزين ما أُمروا به فى الدعاء وغيره نبّه به على انّ الداعى ينبغى ان لا يطلبُ ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبىّ صلعم سيكون قومٌ يعتدون فى الدعاء وحَسْبُ المرء ان يقول اللّهمّ انّى اسألك الجنّة وما قرّب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرّب اليها من قول وعمل ثمّ قرأ انّه لا يحبّ المعتدين (۵۴) وَلَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ بالكفر والمعاصى بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ببعث الانبياء وشرع الاحكام وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا اى ذوى خوف من الردّ لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع فى اجابته تفضّلا واحسانا لفرط رحمته إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ترجيح للطمع وتنبيه على ما يُتوسّل به الى الاجابة ، وتذكيرُ قريب لانّ الرحمة بمعنى الرُّحْم او لانّه صفةُ محذوف اى امرٌ قريب او على تشبيهه بفعيل الّذى بمعنى مفعول او الّذى هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره (۵۵) وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائىّ ٱلرِّيحَ على الوحدة نُشُرًا جمع نَشُور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نُشْرًا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائىّ نَشْرًا بفتح النون حيث وقع على انّه مصدر فى موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فانّ الارسال والنشر متقاربان وعاصم بُشْرًا وهو تخفيف بُشُرًا جمع بَشِير وقد قرئ به وبَشْرًا بفتح الباء مصدر بَشَرَهُ بمعنى باشرات او للبشارة وبُشْرَى بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ قُدّام رحمته يعنى المطر فانّ الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تُدرّه والدبور تفرقه حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا اى حملت واشتقاقه من القلّة فانّ

المثقل للشيء يستقلّه سَحَابًا ثِقَالًا بالماء جمعه لانّ السحاب بمعنى السحائب سُقْنَاهُ اى السحاب جزء ٨
وافراد الضمير باعتبار اللفظ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ مَيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ ركوع ١٤
بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك فَأَخْرَجْنَا بِهِ ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء
واذا كان للبلد فالباء للالصاق فى الاوّل وللظرفيّة فى الثانى واذا كان لغيره فهى للسببيّة فيهما
مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ من كلّ انواعها كَذٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد
الميّت اى كما نحييه باحداث القوّة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من
الاجداث ونحييها بردّ النفوس الى موادّ ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواسّ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
فتعلمون انّ من قدر على ذلك قدر على هذا (٥٦) وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ الارض الكريمة التربة يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ
بمشيئته وتيسيره عبّر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانّه اوقعه فى مقابلة وَٱلَّذِى خَبُثَ كالحرّة
والسبخة لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الّذى خبث لا
يخرج نباته الّا نكدا فحذف المضاف وأُقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يُخْرِجُ اى
يخرج البلد فيكون الّا نكدا مفعولا ونَكَدًا على المصدر اى ذا نكد ونَكْدًا بالاسكان للتخفيف
كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَاتِ نردّدها ونكرّرها لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ نعمة اللّه فيتفكّرون فيها ويعتبرون بها، والآية مثل
لمن تدبّر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثّر بها (٥٧) لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ جواب ركوع ١٥
قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الّا مع قد لانّها مظنّة التوقّع فانّ المخاطب اذا سمعها توقّع
وقوع ما صُدّر بها، ونوح ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس اوّل نبىّ بعده بُعث وهو ابن خمسين سنة او
اربعين فَقَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللّٰهَ اى اعبدوه وحده لقوله مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ وقرأ الكسائىّ غَيْرِهِ بالكسر
على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل إله مِن الّتى تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعى الى عبادته، واليوم يوم القيامة او يوم نزول
الطوفان (٥٨) قَالَ ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ اى الاشراف فانّهم يملئون العيون رُواء إِنَّا لَنَرَاكَ فِى ضَلَالٍ زوال عن الحقّ
مُبِينٍ بيّن (٥٩) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَالَةٌ اى شىء من الضلال بالغ فى النفى كما بالغوا فى الاثبات
وعرّض لهم به وَلٰكِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانّه قال
ولكنّى على هدى فى الغاية لانّى رسول من اللّه (٦٠) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّى وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللّٰهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ صفات لرسول او استيناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا، وقرأ ابو عمرو أُبْلِغُكُمْ
بالتخفيف، وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوّع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام او لانّ
المراد بها ما اوحى اليه والى الانبياء قبله كصُحُف شيث وادريس، وزيادة اللام فى لكم للدلالة على امحاض

جزء ٨ النصح لهم ، وفى اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فانّ معناه اعلم من قدرته وشدّة بطشه او من جهته
ركوع ١٥ بالوحى اشياء لا علم لكم بها (٦١) أَوَعَجِبْتُمْ الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اى اكذّبتم
وعجبتم أَنْ جَآءَكُمْ من أن جاءكم ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ رسالة او موعظة عَلَى رَجُلٍ على لسان رجل مِنْكُمْ
من جملتكم او من جنسكم فانّهم كانوا يتعجّبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لأنزل ملائكة
ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاوّلين لِيُنْذِرَكُمْ عاقبة الكفر والمعاصى وَلِتَتَّقُوا منهما بسبب الانذار وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
بالتقوى وفائدة حرف الترجّى التنبيه على انّ التقوى غير موجب والترحّم من الله تفضّل وانّ
المتّقى ينبغى ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن عذاب الله (٦٢) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ وهم من
آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستّة ممّن آمن به فِي ٱلْفُلْكِ
متعلّق بمعه او بأنجيناه او حال من الموصول او الضمير فى معه وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بالطوفان
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ عمى القلوب غير مستبصرين وأصله عَمِيِين مخفّف وقرئ عَامِينَ والأوّل ابلغ لدلالته على
ركوع ١٦ الثبات (٦٣) وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ عطف على نوحا الى قومه هُودًا عطف بيان لأخاهم والمراد به الواحد منهم
كقولهم يا اخا العرب فانّه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن
نوح وقيل هود بن شالح بن ارفخشد بن سام ابن عمّ ابى عاد وانّما جُعل منهم لانّهم افهم لقوله واعرف
بحاله وارغب فى اقتفائه قَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ استأنف به ولم يعطف كأنّه جواب
سائل قال فما قال لهم حين أُرسل وكذلك جوابهم أَفَلَا تَتَّقُونَ عذابَ الله وكانّ قومه كانوا اقرب
من قوم نوح ولذلك قال افلا تتقون (٦٤) قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ اذ كان من اشرافهم من آمن
به كمرثد بن سعد إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ متمكّنا فى خفّة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك
وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ (٦٥) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (٦٦) أُبَلِّغُكُمْ
رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٧) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ سبق
تفسيره ، وفى اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقى بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح
والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغى لكلّ ناصح ، وفى قوله وانا لكم ناصح امين
تنبيه على انّهم عرفوه بالامرين ، وقرأ ابو عمرو أُبْلِغُكُمْ فى الموضعين فى هذه السورة وفى الاحقاف مخفّفا
وَٱذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ اى فى مساكنهم او فى الارض بأن جعلكم ملوكا فانّ
شدّاد بن عاد ممّن ملك معمورة الارض من رَمْلِ عالج الى شِحْرِ عُمان خوّفهم من عقاب الله ثمّ ذكّرهم
بانعامه وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَسْطَةً قامة وقوّة فَٱذْكُرُوا آلَآءَ ٱللَّهِ تعميم بعد تخصيص لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ لكى
يفضى بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدّى الى الفلاح (٦٨) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ

جزء ٨ ركوع ١٦

يَعْبُدُ آبَاؤُنَا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عمّا اشرك به آباؤهم انهماكا فى التقليد وحبّا لما ألفوه ، ومعنى المجيء فى اجئتنا امّا المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكّم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبّنى فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتّقون إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ فيه (٦٩) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ قد وجب وحقّ عليكم او نزل عليكم على انّ المتوقّع كالواقع مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وَغَضَبٌ ارادة انتقام أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ اى فى اشياء سمّيتموها آلهة وليس فيها معنى الالهيّة لانّ المستحقّ للعبادة بالذات هو الموجد للكلّ وأنّها لو استحقّت كان استحقاقها بجعله تعالى امّا بانزال آية او نصب حجّة بيّن انّ منتهى حجّتهم وسندهم أنّ الاصنام تسمّى آلهة من غير دليل يدلّ على تحقّق المسمّى واسناد الاطلاق الى من لا يُؤْبَه بقوله اظهار لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم ، واستدلّ به على أنّ الاسم هو المسمّى وأنّ اللغات توقيفيّة اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجّه الذمّ والابطال بانّها اسماء مخترعة لم ينزّل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر فَٱنْتَظِرُوا لمّا وضح الحقّ وانتم مصرّون على العناد نزول العذاب بكم إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ ٱلْمُنْتَظِرِينَ (٧٠) فَأَنْجَيْنَاهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ فى الدين بِرَحْمَةٍ مِنَّا عليهم وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اى استأصلناهم وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على انّ الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الايمان ، روى انّهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذّبوه وازدادوا عتوّا فامسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتّى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجّهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهّزوا اليه قَيْل بن عنْز ومرثد بن سعد فى سبعين من اعيانهم وكان اذذاك بمكّة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيّدهم معاوية بن بكر فلمّا قدموا عليه وهو بظاهر مكّة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنّيهم الجرادتان قينتان له فلمّا رأى ذهولهم باللهو عمّا بعثوا له اهمّه ذلك واستحيى ان يكلّمهم فيه مخافة ان يظنّوا به ثقل مقامهم فعلّم القينتين

ألا يا قَيْلُ وَيْحَكَ قُمْ فهَيْنِمْ   لعلّ الله يَسْقِينا غماما
فيَسْقِى ارض عاد انّ عادا   قد امْسَوْا ما يُبِينون الكلاما

حتّى غنّتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تُسْقَوْن بدعائكم ولكن انْ اطعتم نبيّكم وتُبْتم الى الله سُقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنّا لا يقدمنّ معنا مكّة فانّه قد اتّبع دين هود وترك ديننا ثمّ دخلوا مكّة فقال قَيْل اللّهمّ اسْقِ عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثمّ ناداه مناد من السماء يا قيل اختَرْ لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانّها اكثرهنّ ماء فخرجت على عاد من وادى المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود

*

جزء ۸ والمؤمنون معه فأتوا مكّة وعبدوا الله فيها حتّى ماتوا (۷۱) وَإِلَى ثَمُودَ قبيلة اخرى من العرب سُمّوا باسم ركوع ۱۷ ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سُمّوا به لقلّة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحىّ او باعتبار الاصل ، وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشأم الى وادى القرى أَخَاهُمْ صَالِحًا صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود قَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ معجزة ظاهرة الدلالة على صحّة نبوّتى وقوله هٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ آيَةً استيناف لبيانها ، وآيةً نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولَكُمْ بيان لمن هى له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولَكُمْ خبرا عاملا فى آية ، واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانّها جاءت من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ ٱللَّهِ العشبَ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ نهى عن المسّ الّذى هو مقدّمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغةً فى الامر وازاحةً للعذر فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ جواب للنهى (۷۲) وَٱذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ارض الحجر تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا اى تبنون فى سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللّبن والآجرّ وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا وقرئ تَنْحَتُونَ بالفتح وتَنْحَاتُونَ بالاشباع ، وانتصاب بيوتا على الحال المقدّرة او المفعول على انّ التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتّخذون فَٱذْكُرُوا آلَاءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (۷۳) قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ اى عن الايمان لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا اى للّذين استضعفوهم واستذلّوهم لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بدل من للّذين استضعفوا بدل الكلّ ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للّذين ، وقرأ ابن عامر وَقَالَ ٱلْمَلَأُ بالواو أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قالوه على الاستهزاء قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ عدلوا به عن الجواب السوىّ الّذى هو نعم تنبيها على انّ ارساله اظهر من ان يشكّ فيه عاقل ويخفى على ذى رأى وانّما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال (۷۴) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِٱلَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ على المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل ردّا لما جعلوه معلوما مسلّما (۷۵) فَعَقَرُوا ٱلنَّاقَةَ فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانّه كان برضاهم وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلّغهم صالح بقوله فذروها وَقَالُوا يَا صَالِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (۷۶) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ الزلزلة فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ خامدين ميّتين روى انّهم بعد عاد عمّروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمّروا اعمارا طوالا لا تفى بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال ايّة آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الٰهك

جزء ٨ ركوع ١٧

وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتُّبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثمّ اشار سيّدهم جُنْدَع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له أخرِجْ من هذه الصخرة ناقة مُخترَجة جَوْفاء وَبْراء فان فعلتَ صدّقناك فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلتُ ذلك لتؤمنُنّ فقالوا نعم فصلّى ودعا ربّه فتمخّضت الصخرة تمخُّضَ النَّتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عُشَراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثمّ نُتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع فى جماعة ومنع الباقين من الايمان ذُوّاب بن عمرو والحُباب صاحب اوثانهم ورباب بن صغر كاهنهم فمكثت الناقة وولدها ترعى الشجر وتَرِد الماء غِبّا فما ترفع رأسها من البئر حتّى تشرب كلّ ما فيها ثمّ تتفحّج فيحلبون ما شاءوا حتّى تملأ اوانيهم فيشربون ويدّخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشقّ ذلك عليهم وزيّنت عقْرَها لهم عُنَيْزة امّ غَنْم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرَقِىَ سَقْبُها جبلا اسمه قارَةُ فرغا ثلاثا فقال صالح ادركوا الفصيل عسى ان يُرْفَع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تُصْبِح وجوهُكم غدا مصفرّة وبعد غد محمرّة واليوم الثالث مسودّة ثم يصبّحكم العذاب فلمّا رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه اللّه الى ارض فلسطين فلمّا كان ضحوة اليوم الرابع تحنّطوا بالصبر وتكفّنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطّعت قلوبهم فهلكوا (٧٧) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ ٱلنَّاصِحِينَ ظاهره انّ تولّيه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعلّه خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول اللّه صلعم اهل قليب بَدْرٍ وقال انّا وجدنا ما وعدنا ربّنا حقّا فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقّا او ذكر ذلك على سبيل التحسّر عليهم (٧٨) وَلُوطًا اى وأرسلنا لوطا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ وقتَ قوله لهم او واذكرْ لوطا وإذْ بدلٌ منه أَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية فى القبح مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ ما فعلها قبلكم احد قطّ والباء للتعدية ومن الاولى لتأكيد النفى والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقرّر للانكار كانّه وبّخهم اوّلا باتيان الفاحشة ثمّ باختراعها فانّه اسوأُ (٧٩) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ ٱلنِّسَاءِ بيان لقوله اتأتون الفاحشة وهو ابلغ فى الانكار والتوبيخ، وقرأ نافع وحفص إنّكُمْ على الاخبار المستأنف، وشهوةً مفعول له او مصدر فى موقع الحال وفى التقييد بها وَصْفُهم بالبهيميّة الصِرْفة وتنبيهٌ على انّ العاقل ينبغى ان يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم الّتى ادّت بهم الى ارتكاب امثالها وهى اعتياد الاسراف فى كلّ شىء او عن الانكار عليها الى الذمّ على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عُذْرَ لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف (٨٠) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ اى ما جاءوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنّهم قابلوا نُصْحَه بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا

انّهم اناس يتطهّرون اى من الفواحش (٨١) فانجيناه واهله اى من آمن به الّا امرأته استثناء من اهله جزء ٧
فانّها كانت تسرّ الكفر كانت من الغابرين من الّذين بقوا فى ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب ركوع ١٧
الذكور (٨٢) وامطرنا عليهم مطرا اى نوعا من المطر عجيبا وهو مبيّن بقوله وامطرنا عليهم حجارة من
سجّيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روى انّ لوط بن هاران بن تارح لمّا هاجر مع عمّه ابرهيم الى
الشأم نزل بالأردنّ فارسله اللّه الى اهل سذوم ليدعوهم الى اللّه وينهاهم عمّا اخترعوه من الفاحشة فلم
ينتهوا عنها فامطر اللّه عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على
مسافريهم (٨٣) والى مدين اخاهم شعيبا اى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم شعيب بن ميكائيل ركوع ١٨
ابن يسجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا اللّه ما
لكم من اله غيره قد جاءتكم بيّنة من ربّكم يريد المعجزة الّتى كانت له وليس فى القران انّها ما هى
وما روى من محاربة عصا موسى التنّين وولادة الغنم الّتى دفعها اليه الدُّرع خاصّة وكانت الموعودة له
من اولادها ووقوع عصا آدم على يده فى المرّات السبع متأخّرة عن هذه المقاولة ويحتمل ان تكون كرامة
لموسى عم او إرهاصا لنبوّته فاوفوا الكيل اى آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش
على المعاش لقوله والميزان كما قال فى سورة هود اوفوا المكيال والميزان او الكيل ووزن الميزان ويجوز
ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانّما قال اشياءهم
للتعميم تنبيها على انّهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكّاسين لا يدعون
شيئا الّا مكسوه ولا تفسدوا فى الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعدما اصلح امرها او اهلها الانبياء
واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة فى بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان
كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ، ومعنى الخيريّة امّا الزيادة مطلقا او فى
الانسانيّة وحسن الاحدوثة وجمع المال (٨٤) ولا تقعدوا بكلّ صراط توعدون بكلّ طريق من طرق
الدين كالشيطان وصراط الحقّ وإن كان واحدا لكنّه يتشعّب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا
رأوا احدا يسعى فى شىء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انّه
كذّاب فلا يفتننّك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل يقطعون الطريق وتصدّون عن سبيل اللّه
يعنى الّذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكلّ صراط ودلالة على عظم ما يصدّون عنه
وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان باللّه من آمن به اى باللّه او بكلّ صراط على الاوّل ، ومن مفعول
تصدّون على إعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدّونهم ، وتوعدون بما عطف عليه فى
موقع الحال من الضمير فى تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل اللّه عوجا بإلقاء الشُّبه او وصفها
للناس بانّها معوجّة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عُددكم فكثّركم بالبركة فى النسل او المال

جزء ٨ ركوع ١٨ وَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ من الامم قبلكم فاعتبروا بهم (٨٥) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا
بِٱلَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَٱصْبِرُوا فتربّصوا حَتَّى يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا اى بين الفريقين بنصر المحقّين
على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَاكِمِينَ اذ لا معقّب لحكمه ولا حيف فيه
جزء ٩ ركوع ١ (٨٦) قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ
فِى مِلَّتِنَا اى ليكوننّ احدُ الامرين امّا اخراجكم من القرية او عودكم فى الكفر وشعيب لم يكن فى
ملّتهم قطّ لانّ الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلّبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه
بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب فى قوله قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها
او تعيدوننا فى حال كراهتنا (٨٧) قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا قد اختلقنا عليه إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ
نَجَّانَا ٱللَّهُ مِنْهَا شرطٌ جوابُه محذوف دليلُه قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانّه لم يقع لكنّه جُعل
كالواقع للمبالغة وادخل عليه قَدْ لتقريبه من الحال اى قد افترينا الان إن هممنا بالعود بعد الخلاص
منها حيث نزعم انّ للّه ندًّا وانّه قد تبيّن لنا انّ ما كنّا عليه باطل وما انتم عليه حقّ وقيل انّه
جوابُ قسم وتقديره واللّه لقد افترينا وَمَا يَكُونُ لَنَا وما يصحّ لنا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا
خذلانَنا وارتدادَنا وفيه دليل على انّ الكفر بمشيئة اللّه وقيل اراد به حَسْمَ طمعهم فى العود بالتعليق
على ما لا يكون وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا اى احاط علمه بكلّ شىء ممّا كان وما يكون منّا ومنكم
عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا فى ان يثبّتنا على الايمان ويخلّصنا من الاشرار رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ
احكم بيننا والفتّاح القاضى والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتّى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميّز
المحقّ من المبطل من فَتَحَ المُشْكِلَ اذا بيّنه وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ على المعنيين (٨٨) وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا وتركتم دينكم إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ لاستبدالكم ضلالته بهداكم او
لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو سادّ مسدّ جواب الشرط والقسم الموطّا باللام
(٨٩) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ الزلزلة وفى سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلّها كانت من مباديها فَأَصْبَحُوا فِى
دَارِهِمْ جَاثِمِينَ اى فى مدينتهم (٩٠) ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا مبتدأٌ خبرُه كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا اى استؤصلوا
كأن لم يقيموا بها والمَغْنَى المنزل ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ ٱلْخَاسِرِينَ دينًا ودنيا لا الّذين
صدّقوه واتّبعوه كما زعموا فانّهم الرابحون فى الدارَيْن وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرّر الموصول
واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميّتين (٩١) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ
قاله تأسّفا بهم لشدّة حزنه عليهم ثمّ انكر على نفسه فقال فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ليسوا اهل
حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدّة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت

جزء ۹ في الابلاغ والانذار وبذلت وُسْعى في النصح والاشفاق فلم تصدّقوا قولى فكيف آسى عليكم وقرئ
ركوع ۲ ايسى بامالتين (۹۲) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ بالبؤس والضرّ لَعَلَّهُمْ
يَضَّرَّعُونَ كى يتضرعوا ويتذللوا (۹۳) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه
من البلاء والشدّة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حَتَّى عَفَوْا كثروا عَدَدا وعُدَدا قال عفا النبات
اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره
واعتقادا بانّه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضرّاء والسرّاء وقد مسّ آباءنا منه مثل ما مسّنا
فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فجأة وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بنزول العذاب (۹۴) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَى يعنى القرى المدلول عليها
بقوله وما ارسلنا في قرية من نبيّ وقيل مكّة وما حولها آمَنُوا وَٱتَّقَوْا مكان كفرهم وعصيانهم لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ
بَرَكَاتٍ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لوسّعنا عليهم الخير ويسّرناه لهم من كلّ جانب وقيل المراد المطر والنبات ،
وقرأ ابن عامر لَفَتَّحْنَا بالتشديد وَلٰكِنْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ من الكفر والمعاصى
(۹۵) أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَى عطف على قوله فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى أَبَعْدَ
ذلك امن اهل القرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا تبييتا او وقت بيات او مبيّتا او مبيّتين وهو في الاصل
مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وَهُمْ نَائِمُونَ حال من ضميرهم
البارز او المستتر في بياتا (۹۶) أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر أَوْ بالسكون على الترديد
أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وَهُمْ يَلْعَبُونَ يلهون من فرط
الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم (۹۷) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ ٱللّٰهِ تقرير لقوله أفأمن اهل القرى ، ومكر الله استعارة
لاستدراج العبد وأخذه من حيث لا يحتسب فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللّٰهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ الذين خسروا
ركوع ۳ بالكفر وترك النظر والاعتبار (۹۸) أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا اى يخلفون مَنْ خلا
قبلهم ويرثون ديارهم ، وانّما عدّى يهد باللام لانّه بمعنى يبيّن أَنْ لَوْ نَشَآءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ أنّ الشأنَ
لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا مَنْ قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا
وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ عطف على ما دلّ عليه اولم يهد اى يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى
ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انّه بمعنى وطبعنا لانّه في سياقة جواب لَوْ لافضائه الى
نفى الطبع عنهم فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ سماع تفهّم واعتبار (۹۹) تِلْكَ ٱلْقُرَى يعنى قرى الامم المارّ ذكرهم
نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآئِهَا حالٌ إن جُعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبرٌ إن جُعلت صفة
ويجوز ان يكونا خبرين ، ومِنْ للتبعيض اى نقصّ بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصّها وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ بالمعجزات فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا عند مجيئهم بها بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ بما كذّبوه من قبل

الرسل بل كانوا مستمرّين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مُدّةَ عمرهم بما كذّبوا به اوّلا حين جزء ٩
جاءتهم الرسل ولم يؤثّر فيهم قطّ دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة ، واللام لتأكيد النفي والدلالة ركوع ٣
على انّهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم فى التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كَذٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللّٰهُ عَلَى
قُلُوبِ ٱلْكَافِرِينَ فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر (١٠٠) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ لاكثر الناس والآية
اعتراضٌ او لاكثر الامم المذكورين مِنْ عَهْدٍ وفاء عهد فانّ اكثرهم نقضوا ما عهد اللّٰه اليهم فى
الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا فى ضرّ ومخافة مثل لئن
انجيتنا من هذه لنكوننّ من الشاكرين وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ اى علمناهم لَفَاسِقِينَ من وجدتُ زيدا
ذا الحِفاظ لدخول إِن المخفّفة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الّا فى المبتدإ والخبر والأفعال الداخلة
عليهما وعند الكوفيّين إِنْ للنفي واللامُ بمعنى إلّا (١٠١) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى الضمير للرسل فى قوله
ولقد جاءتهم رسلهم او للأمم بِآيَاتِنَا يعنى المعجزات إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا بأن كفروا بها مكانَ
الايمان الّذى هو من حقّها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضعَ كفروا ، وفرعون لقبٌ لمن ملك
مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مُصْعَب بن ريّان فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ (١٠٢) وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ اليك وقوله (١٠٣) حَقِيقٌ عَلَى
أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى ٱللّٰهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ لعلّه جواب لتكذيبه ايّاه فى دعوى الرسالة وانّما لم يُذْكَر لدلالة قوله
فظلموا بها عليه وكان اصله حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ كما قرأه نافع فقُلب لأَمن الالباس كقوله ٭ وتَشْقَى
الرماحُ بالضياطرة الحُمْرِ ٭ او لانّ ما لزمك فقد لزِمْتَه او للاغراق فى الوصف بالصدق والمعنى انّه حقٌّ
واجبٌ على القول الحقّ ان اكون انا قائله لا يرضى الّا بمثلى ناطقا به او ضُمّن حقيق معنى حريص
او وُضع عَلَى مكانَ الباء لافادة التمكّن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيّده قراءة
أُبَىّ بالباء وقرئ حَقِيقٌ أَنْ لَا أَقُولَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فخلّهم حتّى
يرجعوا معى الى الارض المقدّسة الّتى هى وطنُ آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال
قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ مِنْ عند مَنْ ارسلك فَأْتِ بِهَا فأحضرْها عندى ليثبت بها صدقك إِنْ كُنْتَ
مِنَ ٱلصَّادِقِينَ فى الدعوى (١٠٤) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ظاهر امره لا يُشكّ فى انّه ثعبان
وهو الحيّة العظيمة روى انّه لمّا القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحيَيْه ثمانون ذراعا وضع لحيه
الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثمّ توجّه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين
فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالّذى ارسلك خُذْه وانا أُومن بك وأُرسل
معك بنى اسرائيل فأخذه فعاد عصا (١٠٥) وَنَزَعَ يَدَهُ من جيبه او من تحت ابطه فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ
اى بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليها النظّارة او بيضاء للنظّار لا انّها كانت بيضاء فى

جزء ۹ جبلّتها روى انّه كان آدم شديد الأُدْمة فادخل يده فى جيبه او تحت ابطه ثمّ نزعها فاذا هى بيضاء رکوع ۴ نورانيّة غلب شعاعها شعاع الشمس (۱۰۶) قَالَ ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور فى امره فحُكى عنه فى سورة الشعراء وعنهم ههنا (۱۰۷) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ تشيرون فى ان نفعل (۱۰۸) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (۱۰۹) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ كانّه اتّفقت عليه آراؤهم فاشاروا به على فرعون والارجاء التأخير اى اخّر امره واصله أَرْجِئْهُ كما قرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر من ارجأت وكذلك أَرْجِئْهُو على قراءة ابن كثير على الاصل فى الضمير او أَرْجِهِى من ارجيت كما قرأ نافع فى رواية وَرْش واسمعيل والكسائىّ وامّا قراءته فى رواية قالون أَرْجِهِ بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وامّا قراءة حمزة وعاصم وحفص أَرْجِهْ بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتّصل وجَعْلِ جِه كابِل فى اسكان وسطه وامّا قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان أَرْجِئْهِ بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النُحاة فانّ الهاء لا تُكْسَر الّا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه انّ الهمزة لمّا كانت تُقْلَب ياء اجريت مجراها ، وقرأ حمزة والكسائىّ بِكُلِّ سَحَّارٍ فيه وفى يونس ويؤيّده اتّفاقهم عليه فى الشعراء (۱۱۰) وَجَاءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ بعدما ارسل الشُرَط فى طلبهم قَالُوا أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَالِبِينَ استأنف به كانّه جوابُ سائل قال ما قالوا اذ جاءوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم إِنَّ لَنَا على الاخبار وايجاب الاجر كانّهم قالوا لا بدّ لنا من اجر والتنكير للتعظيم (۱۱۱) قَالَ نَعَمْ إِنَّ لكم لاجرا وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ عطفٌ على ما سدّ مسدّه نَعَمْ وزيادةٌ على الجواب لتحريضهم (۱۱۲) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ خيّروا موسى مراعاةً للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم فى ان يلقوا قبله فنبّهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تأكيد ضميرهم المتّصل بالمنفصل فلذلك (۱۱۳) قَالَ بَلْ أَلْقُوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شأنه فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ بأن خيّلوا اليها ما الحقيقةُ بخلافه وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وارهبوهم ارهابا شديدا كانّهم طلبوا رهبتهم وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ فى فنّه روى انّهم القوا حبالا غلاظا وخُشُبا طوالا كانّها حيّات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا (۱۱۴) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فألقاها فصارت حيّة فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ اى ما يزوّرونه من الإفك وهو الصرف وقلب الشىء عن وجهه ويجوز ان تكون ما مصدريّة وهى مع الفعل بمعنى المفعول روى انّها لمّا تلقّفت حبالهم وعصيّهم وابتلعتها بأسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتّى هلك جمع عظيم ثمّ اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصيّنا وقرأ حفص عن عاصم تَلْقَفُ هنا وفى طه والشعراء (۱۱۵) فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ فثبت لظهور امره وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من السحر والمعارضة فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَٱنْقَلَبُوا صَاغِرِينَ صاروا اذلّاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة مقهورين

جزء ٩ والضمير لفرعون وقومه (١١٧) وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَاجِدِينَ جعلهم مُلْقَيْن على وجوههم تنبيها على ان الحق

ركوع ٤ بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة فى سرعة خرورهم وشدته (١١٨) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١١٩) رَبِّ مُوسَى وَهَٰرُونَ ابدلوا الثانى من الاول لئلا يُتوهم انهم ارادوا به فرعون (١٢٠) قَالَ فِرْعَوْنُ ءَآمَنْتُمْ بِهِ بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار، وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمَنْتُمْ على الاخبار وقرأ قنبل قَالَ فِرْعَوْنُ وَآمَنْتُمْ يبدل فى حال الوصل من همزة الاستفهام واوا مفتوحة ويمد بعدها مدة فى تقدير ألفين وقرأ فى طه على الخبر بهمزة والف وقرأ فى الشعراء على الاستفهام بهمزة ومدة مطولة فى تقدير الفين وقرأ الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين الثانية قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ اى ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى فِي ٱلْمَدِينَةِ فى مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا يعنى القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله (١٢١) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ من كل شق طرفا ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن لا على التعاقب لفرط رحمته (١٢٢) قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ بالموت لا محالة فلا نبالى بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا (١٢٣) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا وما تنكر منا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله سبحانه وتعالى فقالوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا أفض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل انه

ركوع ٥ لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون (١٢٤) وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك وَيَذَرَكَ عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة

أَلَمْ أَكُ جارَكُمْ ويكونَ بينى وبينكُمُ المودّةُ والإخاءُ

على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استيناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يُفْسِدوا وَيَذَرْكَ كقوله تعالى فأصدق وأكن وَآلِهَتَكَ معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ إِلَاهَتَكَ اى عبادتك قَالَ فِرْعَوْنُ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ كما كنا

جزء ٩ نفعل من قبل ليُعْلَم انّا على ما كنّا عليه من القهر والغلبة ولا يُتوهّم انّه المولود الّذى حكم المنجّمون والكهنة
ركوع ٥ بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سَنَقْتُلُ بالتخفيف وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ غالبون وهم مقهورون
تحت ايدينا (١٢٥) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوا لمّا سمعوا قول فرعون وتضجّروا منه تسكينا
لهم إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ تسليةٌ لهم وتقريرٌ للامر بالاستعانة بالله والتثبّت فى الامر
وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ وعدٌ لهم بالنصرة وتذكيرٌ لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيقٌ
له وقرئ وَٱلْعَاقِبَةَ بالنصب عطفا على اسم إِنَّ ، واللام فى الارض يحتمل العهد والجنس (١٢٦) قَالُوا اى
بنو اسرائيل أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا بالرسالة بقتل الابناء وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا باعادته قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ
أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تصريحا بما كنّى عنه اوّلا لمّا رأى انّهم لم يتسلّوا بذلك
ولعلّه اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانّهم المستخلَفون بأعيانهم او اولادهم وقد روى انّ مصر انّما فتح
لهم فى زمان داود عم فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجازيكم
ركوع ٦ على حسب ما يُوجَد منكم (١٢٧) وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ بالجدوب لقلّة الامطار والمياه والسنة
غَلَبت على عام القحط لكثرة ما يُذكر عنه ويؤرَّخ به ثمّ اشتُقّ منها فقيل أَسْنَتَ القومُ اذا اقحطوا
وَنَقْصٍ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ بكثرة العاهات لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ لكى يتنبّهوا على انّ ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم
فيتّعظوا او ترقّ قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده (١٢٨) فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ من
الخصب والسعة قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ لأجلنا ونحن مستحقّوها وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ جدب وبلاء يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى
وَمَنْ مَعَهُ يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الّا بشؤمهم وهذا اغراق فى وصفهم بالغباوة والقساوة فانّ
الشدائد تُرقّق القلوب وتذلّل العرائك وتزيل التماسك سيّما بعد مشاهدة الآيات وهم لم تؤثّر فيهم بل
زادوا عندها عتوّا وانهماكا فى الغىّ ، وانّما عرّف الحسنة ونكّرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها
وتعلّق الارادة بإحداثها بالذات ونكّر السيّئة واتى بها مع حرف الشكّ لندورها وعدم القصد لها الّا
بالتبع أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ اى سبب خيرهم وشرّهم عنده وهو حكمه ومشيّته او سبب شؤمهم
عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانّها الّتى ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ إِنَّمَا طَيْرُهُمْ وهو اسم
الجمع وقيل جمعٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ انّ ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم (١٢٩) وَقَالُوا
مَهْمَا اصلها مَا الشرطيّة ضُمّت اليها مَا المزيدة للتأكيد ثمّ قلبت ألفها هاء استثقالا للتكرير وقيل
مركّبة من مَهْ الّذى يصوّت به الكافّ ومَا الجزائيّة ومحلّها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسّره
تَأْتِنَا بِهِ اى ايّما شىء تُحضِرْنا تأتنا به مِنْ آيَةٍ بيان لهما وانّما سمّوها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم
ولذلك قالوا لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ اى لتسحر بها اعيننا وتشبّه علينا والضمير فى به

جزء ٩ ركوع ٩

وبها لمّا نكّره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانّثه بعده باعتبار المعنى (١٣٠) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ ماء طاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدرىّ وقيل الموتان وقيل الطاعون وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ قيل هو كبار القِرْدان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ روى انّهم مُطروا ثمانية ايّام فى ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتّى قاموا فيه الى تَراقيهم وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم فلم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرّف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادْعُ لنا ربّك يكشف عنّا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يُعْهَد مثله ولم يؤمنوا فبعث اللّه عليهم الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم ثمّ اخذت فى اكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحى الّتى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلّط اللّه عليهم القمّل فأكل ما ابقاه الجراد وكان يقع فى اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصّها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحقّقنا الان انّك ساحر ثمّ ارسل اللّه عليهم الضفادع بحيث لا يُكْشَف ثوب ولا طعام الّا وُجِدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهى تغلى وافواههم عند التكلّم ففزعوا اليه وتضرّعوا فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف اللّه عنهم ثمّ نقضوا العهد ثمّ ارسل اللّه عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتّى كان يجتمع القبطىّ والاسرائيلىّ على اناء فيكون ما يليه دما وما يلى الاسرائيلىّ ماء ويمصّ الماء من فم الاسرائيلىّ فيصير دما فى فيه وقيل سلّط اللّه عليهم الرُعاف آيَاتٍ نصب على الحال مُفَصَّلَاتٍ مبيّنات لا يُشْكل على عاقل انّها آيات اللّه تعالى ونقمته عليهم او مفصّلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كلّ اثنتين منها شهر وكان امتداد كلّ واحدة اسبوعا وقيل انّ موسى عم لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يُريهم هذه الآيات على مهل فَٱسْتَكْبَرُوا عن الايمان وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣١) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ يعنى العذاب المفصّل او الطاعون ارسله اللّه تعالى عليهم بعد ذلك قَالُوا يَا مُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ بعهده عندك وهو النبوّة او بالّذى عهد اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك فى آياتك وهو صلة لادْعُ او حال من الضمير فيه بمعنى ادع اللّه متوسّلا اليه بما عهد عندك او متعلّق بفعل محذوف دلّ عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحقّ ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِى إِسْرَائِيلَ اى اقسمنا بعهد اللّه عندك لئن كشفت عنّا الرجز لنؤمننّ ولنرسلنّ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ الى حدّ من الزمان هم بالغوه فمعذّبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عيّنوه لايمانهم إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ جوابُ لمّا اى فلمّا كشفنا عنهم فاجأوا النكث من غير توقّف وتأمّل فيه (١٣٢) فَٱنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فأردنا الانتقام منهم فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِى ٱلْيَمِّ اى البحر الّذى لا يُدْرك

جزء ٩ قعره وقيل لجّته بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات ركوع ٦ وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا (١٣٣) وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم مَشَارِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا يعنى ارض الشأم ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكّنوا فى نواحيها ٱلَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا بالخصب وسعة العيش وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَى عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ ومضت عليهم واتّصلت بالانجاز عدته ايّاهم بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد ان نمنّ الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كَلِمَاتُ رَبِّكَ لتعدّد المواعيد بِمَا صَبَرُوا بسبب صبرهم على الشدائد وَدَمَّرْنَا وخرّبنا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ من القصور والعمارات وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ من الجنّات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر هنا وفى النحل يَعْرُشُونَ بالضمّ ، وهذا آخر قصّة فرعون وقومه (١٣٤) وَجَاوَزْنَا بِبَنِى إِسْرَائِيلَ ٱلْبَحْرَ وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان منّ اللّه عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول اللّه صلعم عمّا رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روى انّ موسى عم عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ فمرّوا عليهم يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اوّل شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الّذين أُمر موسى بقتالهم وقيل من لخم ، وقرأ حمزة والكسائى يَعْكِفُونَ بالكسر قَالُوا يَا مُوسَى ٱجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا مثالا نعبده كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ يعبدونها ، وما كافّة للكاف قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ وصفهم بالجهل المطلق واكّده لبُعْد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل (١٣٥) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ اشارة الى القوم مُتَبَّرٌ مكسّر مدمّر مَا هُمْ فِيهِ يعنى انّ اللّه يهدم دينهم الّذى هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وَبَاطِلٌ مضمحلّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من عبادتها وإن قصدوا به التقرّب الى اللّه ، وانّما بالغ فى هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسمَ انّ والاخبارِ عمّا هم فيه بالتبار وعمّا فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين فى الجملتين الواقعتين خبرا لانّ للتنبيه على انّ الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وانّ الاحباط الكلّى لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عمّا طلبوا (١٣٦) قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا اطلب لكم معبودا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ والحال انّه خصّكم بنعم لم يُعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء معاملتهم حيث قابلوا تخصيص اللّه ايّاهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضّلا بأن قصدوا ان يشركوا به اخسّ شىء من مخلوقاته (١٣٧) وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ واذكروا صنعه معكم فى هذا الوقت وقرأ ابن عامر أَنْجَاكُمْ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ استيناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ بدل منه مبيّن وَفِى ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ وفى

جزء ٩ ركوع ٧

الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة (١٣٨) وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلٰثِينَ لَيْلَةً ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب وَوَعَدْنَا وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ من ذى الحجّة فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً بالغا اربعين روى انّه عم وعد بنى اسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله تعالى فيه بيانُ ما يأتون ويذرون فلمّا هلك سأل ربّه فامره بصوم ثلاثين فلمّا اتمّ انكر خُلوفَ فيه فتسوّك فقالت الملائكة كنّا نشمّ منك رائحة المسك فأفسدتَه بالسواك فأمره الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بأن يتخلّى ثلاثين بالصوم والعبادة ثمّ انزل عليه التورية فى العشر وكلّمه فيها وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي كن خليفتى فيهم وَأَصْلِحْ ما يجب ان يُصْلَح من امورهم او كن مُصْلِحا وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ولا تتبع من سلك الافساد ولا تُطِعْ من دعاك اليه (١٣٩) وَلَمَّا جَآءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا لوقتنا الّذى وقّتناه واللام للاختصاص اى اختصّ مجيئُه بميقاتنا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ من غير وسط كما يكلّم الملائكة وفيما روى انّه عم كان يسمع ذلك الكلام من كلّ جهة تنبيهٌ على انّ سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع كلام المُحْدَثين قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ارنى نفسك بأن تمكّننى من رؤيتك او تتجلّى لى فأنظرَ اليك وأراك ، وهو دليل على انّ رؤيته تعالى جائزة فى الجملة لانّ طلب المستحيل من الانبياء مُحال وخصوصا ما يقتضى الجهل بالله ولذلك ردّه بقوله لن ترانى دون لن أُرَى ولن اريك ولن تنظر الىّ تنبيها على انّه قاصر عن رؤيته لتوقّفها على مُعدّ فى الرائى لم يُوجَد فيه بعدُ وجَعْلُ السؤال لتبكيت قومه الّذين قالوا ارنا الله جهرةً خطأٌ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهّلهم ويزيح شُبَهَهم كما فعل بهم حين قالوا اجعلْ لنا الٰها ولا يتّبعَ سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتّبع سبيل المفسدين والاستدلالُ بالجواب على استحالتها اشدّ خطأً اذ لا يدلّ الإخبارُ عن عدم رؤيته ايّاه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيرُه اصلا فضلا عن ان يدلّ على استحالته ودعوى الضرورة فيه مكابرةٌ او جهالةٌ بحقيقة الرؤية قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَٰكِنِ ٱنْظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي استدراك يريد ان يبيّن به انّه لا يطيقه ، وفى تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل على الجواز ضرورةَ أنّ المعلّق على الممكن ممكنٌ ، والجبل قيل هو جبل زبير فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ظهر له عظمته وتصدّى له اقتداره وأمرُه وقيل اعطى له حيوة ورؤية حتّى رآه جَعَلَهُ دَكًّا مدكوكا مفتّتا والدكّ والدقّ أخوان كالشكّ والشقّ وقرأ حمزة والكسائىّ دَكَّآءَ اى ارضا مستوية ومنه ناقةٌ دكّاء للّتى لا سنام لها وقرئ دُكًّا اى قطَعا دُكًّا جمع دَكّاء وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا مغشيّا عليه من هول ما رأى (١٤٠) فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ تعظيما لما رأى سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مرّ تفسيره وقيل معناه وانا اوّل من آمن بأنّك لا ترى فى الدنيا (١٤١) قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ اخترتك عَلَى ٱلنَّاسِ اى الموجودين فى زمانك وهٰرونُ وان كان نبيّا كان مأمورا باتّباعه ولم يكن كليما ولا صاحبَ شرع بِرِسَالَاتِي يعنى اسفار التورية وقرأ ابن كثير ونافع بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي وبتكليمى

جزء ٩ اياك فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ اعطيتك من الرسالة وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ على النعمة فيه روى انّ سؤال الرؤية
ركوع ٧ كان يوم عَرَفَة واعطاء التورية يوم النّحر (١٤٢) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ممّا يحتاجون اليه من امر الدين مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ بدل من الجارّ والمجرور اى وكتبنا له كلّ شىء من المواعظ وتفصيل الاحكام ؛ واختُلف فى انّ الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرّد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صمّاء ليّنها الله لموسى فقطعها بيده وشقّقها باصابعه وكان فيها التورية او غيرها فَخُذْهَا على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدلٌ من قوله فخذ ما آتيتك ؛ والهاء للالواح او لكلّ شىء فانّه بمعنى الاشياء او للرسالات بِقُوَّةٍ بجِدّ وعزيمة وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا اى باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحثّ على الافضل كقوله واتّبعوا احسن ما أُنزل اليكم من ربّكم او بواجباتها فانّ الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف احرّ من الشتاء سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ دار فرعون وقومه بمصر خاويةً على عروشها او منازل عاد وثمود وأضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم فى الآخرة وهى جهنّم ؛ وقرئ سَأُورِيكُمْ بمعنى سأبيّن لكم من اوريت الزند وسَأُورِثُكُمْ ويؤيّده قوله واورثنا القوم (١٤٣) سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ المنصوبة فى الآفاق والانفس الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بالطبع على قلوبهم فلا يتفكّرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وإن اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بِغَيْرِ الْحَقِّ صلةُ يتكبّرون اى يتكبّرون بما ليس بحقّ وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ منزلة او معجزة لَا يُؤْمِنُوا بِهَا لعنادهم او اختلال عقلهم بسبب انهماكهم فى الهوى والتقليد وهو يؤيّد الوجه الاوّل وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائىّ الرَّشَد بفتحتين وقرئ الرَّشَاد وثلاثتها لغات كالسُّقْم والسَّقَم والسَّقام وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا (١٤٤) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبّرهم للآيات ويجوز ان يُنْصَب ذَلِكَ على المصدر اى سأصرف ذلك الصرف بسببهما (١٤٥) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ اى ولقائهم الدار الآخرة او ما وعد الله فى
ركوع ٨ الآخرة حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ لا ينتفعون بها هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ الّا جزاء اعمالهم (١٤٦) وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ من بعد ذهابه للميقات مِنْ حُلِيِّهِمْ الّتى استعاروا من القبط حين همّوا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانّها كانت فى ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهى جمع حَلْى كثَدْى وثُدِىّ وقرأ حمزة والكسائىّ بالكسر بالاتّباع كدِلِىّ ويعقوب على الافراد عِجْلًا جَسَدًا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل لَهُ خُوَارٌ صوت البقر روى انّ السامرىّ لمّا

جزء ٩ صاغ العجل الّقى فى فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيّا وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل
ركوع ٨ الريح جوفه ويصوّت وانّما نسب الاتّخاذ اليهم وهو فعله امّا لانّهم رضوا به او لانّ المراد اتّخاذهم
اياه الها ، وقرئ جُؤَارٌ اى صياح أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم
بالنظر والمعنى الم يروا حين اتّخذوه الها انّه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتّى
٥ حسبوا انّه خالق الاجسام والقوى والقدر (١٤٧) اِتَّخَذُوهُ تكرير للذمّ اى اتّخذوه الها وَكَانُوا ظَالِمِينَ
واضعين الاشياء فى غير موضعها فلم يكن اتّخاذ العجل بدعا منهم (١٤٨) وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ كناية عن
اشتداد ندمهم فانّ النادم المتحسّر يعضّ يده غمّا فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سَقَطَ على بناء
الفاعل بمعنى وقع العضّ فيها وقيل معناه سقط الندم فى انفسهم وَرَأَوْا وعلموا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا باتّخاذ
العجل قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا بانزال التورية وَيَغْفِرْ لَنَا بالتجاوز عن الخطيئة لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ
١٠ وقرأهما حمزة والكسائىّ بالتاء وربّنا على النداء (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا شديد
الغضب وقيل حزينا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي فعلتم بعدى حيث عبدتم العجل والخطاب
للعبدة او قمتم مقامى فلم تكفّوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه ، وما نكرة موصوفة تفسّر
المستكنّ فى بئس والمخصوص بالذمّ محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم ،
ومعنى من بعدى من بعد انطلاقى او من بعد ما رأيتم منّى من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكفّ
١٥ عمّا ينافيه أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ اتركتموه غير تامّ كانّه ضمّن عجل معنى سبق فعدّى تعديته او اعجلتم
وعد ربّكم الّذى وعدنيه من الاربعين وقدّرتم موتى وغيّرتم بعدى كما غيّرت الامم بعد انبيائهم
وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ طرحها من شدّة الغضب وفرط الضجر حميّة للدين روى انّ التورية كانت سبعة أسباع
فى سبعة الواح فلمّا القاها انكسرت فرفع ستّة اسباعها وكان فيها تفصيل كلّ شىء وبقى سبع كان فيه
المواعظ والاحكام وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ بشعر رأسه يَجُرُّهُ إِلَيْهِ توهّما بانّه قصّر فى كفّهم وهرون كان اكبر
٢٠ منه بثلاث سنين وكان حمولا ليّنا ولذلك كان احبّ الى بنى اسرائيل قَالَ ابْنَ أُمَّ ذكر الامّ ليرقّقه
عليه وكانا من اب وامّ وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائىّ وابو بكر عن عاصم هنا وفى طه يا ابْنَ أُمِّ بالكسر
وأصله يا ابن امّى فحذفت الياء اكتفاء بالكسر تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح
زيادة فى التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ازاحة لتوهّم
التقصير فى حقّه والمعنى بذلت وسعى فى كفّهم حتّى قهرونى واستضعفونى وقاربوا قتلى فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ
٢٥ فلا تفعل بى ما يشمتون بى لاجله وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ معدودا فى عدادهم بالمؤاخذة او
نسبة التقصير (١٥٠) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ما صنعت بأخى وَلِأَخِي ان فرّط فى كفّهم ضمّ اليه نفسه فى
الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ بمزيد الانعام علينا وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

جزء ٩ ركوع ٩

فانت ارحم بنا منّا على انفسنا (١٥١) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وَكَذٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ على اللّه ولا فرية اعظم من فريتهم وهي قولهم هذا الهكم واله موسى ولعلّه لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم (١٥٢) وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسَّيِّـَٔاتِ من الكفر والمعاصي ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا من بعد السيّآت وَآمَنُوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا من بعد التوبة لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وان عَظُمَ الذنب كجريمة عَبَدة العجل وكَثُرَ كجرائم بني اسرائيل (١٥٣) وَلَمَّا سَكَتَ سكن وقرئ به عَنْ مُوسَى ٱلْغَضَبُ باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انّه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمُغْرِي عليه حتّى عبّر عن سكونه بالسكوت وقرئ سُكِّتَ وأُسْكِتَ على انّ المُسْكِت هو اللّه او اخوه او الّذين تابوا أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ الّتى القاها وَفِي نُسْخَتِهَا وفيما نُسخ فيها اى كُتب فُعْلة بمعنى مفعول كالخُطْبة وقيل فيما نُسخ منها اى من الالواح المنكسرة هُدًى بيان للحقّ وَرَحْمَةٌ ارشاد الى الصلاح والخير لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ دخلت اللامُ المفعولَ لضعف الفعل بالتأخير او حُذف المفعول واللامُ للتعليل والتقديرُ يرهبون معاصي اللّه لربّهم (١٥٤) وَٱخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ اى من قومه فحذف الجارّ واوصل الفعل اليه سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ روى انّه تعالى امره ان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كلّ سبط ستّة فزاد اثنان فقال ليتخلّف منكم رجلان فتشاحّوا فقال إنّ لِمَنْ قعد أَجْرَ من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلمّا دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام فخرّوا سُجَّدا فسمعوه تعالى يكلّم موسى يأمره وينهاه ثمّ انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتّى نرى اللّه جهرة فاخذتهم الرجفة اى الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ تمنّى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب آخر او عنى به انّك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحّمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحّمت عليهم مرّة اخرى لم يبعد من عميم احسانك أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَّا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكأنّ ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتّى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشف اللّه عنهم إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتّى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ ضلالته بالتجاوز عن حدّه او باتّباع المخايل وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ هداه فيقوى بها ايمانه أَنْتَ وَلِيُّنَا القائم بامرنا فَٱغْفِرْ لَنَا بمغفرة ما قارفنا وَٱرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْغَافِرِينَ

تغفر السيّئة وتبدّلها بالحسنة (١٥٥) وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً حُسْنَ معيشة وتوفيق طاعة جزء ٩
وَفِي ٱلْآخِرَةِ الجنّة إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ تُبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا ركوع ٩
اماله ويحتمل ان يكون مبنيّا للفاعل وللمفعول بمعنى أَمَلْنا انفسنا وأُمِلْنا اليك ويجوز ان يكون
المضموم ايضا مبنيّا للمفعول منه على لغة من يقول عُودَ المريض قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ تعذيبه
وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلّف وغيره فَسَأَكْتُبُهَا فسأُثبتها في الآخرة او
فسأكتبها كتبة خاصّة منكم يا بنى اسرائيل لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ الكفر والمعاصى وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ خصّها بالذكر
لانافتها ولانّها كانت اشقّ عليهم وَٱلَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ فلا يكفرون بشىء منها (١٥٦) ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدإ تقديره هم الذين او بدل من الذين يتّقون بدل
البعض او الكلّ والمراد من آمن منهم بمحمّد صلعم وانّما سمّاه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيّا
بالاضافة الى العباد ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على انّ كمال علمه مع حاله احدى
معجزاته ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ اسما وصفة يَأْمُرُهُمْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ
ٱلْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ ممّا حُرّم عليهم كالشحوم وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ كالدم ولحم الخنزير او
كالربوا والرشوة وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَالَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ويخفّف عنهم ما كُلّفوا به من التكاليف
الشاقّة كتعيين القصاص في العمد والخطا وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة وأصل الاصر
الثقل الذي يأصر صاحبه اى يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصَارَهُمْ فَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ
وعظّموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف وأصله المنع ومنه التعزير وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ اى
مع نبوّته يعنى القران وانّما سمّاه نورا لانّه باعجازه ظاهر امره مُظْهِر غيره او لانّه كاشف الحقائق مُظْهِر
لها ويجوز ان يكون مَعَهُ متعلّقا باتّبعوا اى واتّبعوا النور المنزل مع اتّباع النبىّ فيكون اشارة الى
اتّباع الكتاب والسنّة أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ الفائزون بالرحمة الابديّة ومضمون الآية جواب دعاء موسى
عم (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ الخطاب عامّ وكان رسول الله صلعم مبعوثا الى كافّة ركوع ١٠
الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم جَمِيعًا حال من اليكم (١٥٨) ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ صفة لله
وان حِيلَ بينهما بما هو متعلّق المضاف اليه لانّه كالمتقدّم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ
خبره لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وهو على الوجوه الأُوَل بيان لما قبله فانّ من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي
يُحْيِي وَيُمِيتُ مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهيّة فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ
ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وَكَلِمَتِهِ على ارادة الجنس او القران او عيسى

جزء ٩ عم تعريضا لليهود وتنبيها على انّ من لم يؤمن به لم يُعتبر ايمانه وانّما عدل عن التكلّم الى الغيبة
ركوع ١٠ لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتّباع له وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ جعل رجاء الاهتداء
أَثَرَ الامرين تنبيها على انّ من صدّقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد فى خطط الضلالة (١٥٩) وَمِنْ قَوْمِ
مُوسَى يعنى من بنى اسرائيل أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ يهدون الناس محقّين او بكلمة الحقّ وَبِهِ بالحقّ
يَعْدِلُونَ بينهم فى الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحقّ من اهل زمانه اتبع ذكرهم
ذكر اضدادهم على ما هو عادة القران تنبيها على انّ تعارض الخير والشرّ وتزاحم اهل الحقّ والباطل
امرٌ مستمرّ وقيل مؤمنو اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول اللّه صلعم ليلة المعراج فآمنوا به
(١٦٠) وَقَطَّعْنَاهُمُ وصيّرناهم قِطَعًا متميّزا بعضهم عن بعض ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ مفعول ثانٍ لقطّع فانّه متضمّن معنى
صيّر او حال وتأنيثه للحمل على الامّة او القطعة أَسْبَاطًا بدل منه ولذلك جُمع او تمييز له على انّ كلّ
واحدة من اثنتى عشرة اسباطٌ كانّه قيل اثنتى عشرة قبيلة ، وقرئ بكسر الشين واسكانها أُمَمًا على
الاوّل بدل بعد بدل او نعتُ اسباطا وعلى الثانى بدل من اسباطا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ ٱسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ
فى التيه أَنِ ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنْبَجَسَتْ اى فضرب فانبجست وحذفه للايماء على انّ موسى
عم لم يتوقّف فى الامتثال وانّ ضربه لم يكن مؤثّرا يتوقّف عليه الفعل فى ذاته مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ
عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ كلّ سبط مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَامَ ليقيهم حرّ الشمس وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَى
كُلُوا اى وقلنا لهم كلوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ سبق
تفسيره فى سورة البقرة (١٦١) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا هَذِهِ ٱلْقَرْيَةَ باضمارِ اذكرْ ، والقرية بيت المقدس
وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّدًا مثلُ ما فى البقرة معنًى غيرَ انّ قوله فكلوا
فيها بالفاء افاد تسبّبَ سُكناهم للاكل منها ولم يتعرّض له ههنا اكتفاء بذكره ثَمّ او بدلالة الحال
عليه وامّا تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له فى المعنى لانّه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة
بينهما نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانّما اخرج الثانى
مُخرَجَ الاستيناف للدلالة على انّه تفضّلٌ محضٌ ليس فى مقابلة ما أُمروا به ، وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب
تُغفَرْ بالتاء والبناء للمفعول وخَطِيئَاتُكُمْ بالجمع والرفع غير ابن عامر فانّه وحّد وقرأ ابو عمرو خَطَايَاكُمْ
(١٦٢) فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ
ركوع ١١ مضى تفسيره فيها (١٦٣) وَٱسْأَلْهُمْ للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم
الّتى لا تعلم الّا بتعليم او وحي ليكون لك ذلك معجزة عليهم عَنِ ٱلْقَرْيَةِ عن خبرها وما وقع باهلها
ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ قريبة منه وهى أَيْلة قرية بين مَدْيَن والطور على شاطئ البحر وقيل مدين

وقيل ظَرْفِيَّة اِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ يتجاوزون حدود اللّه بالصيد يوم السبت ، واِذْ ظرف لكانت او جزء ٩
حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ ظرف ليعدون او بدل بعد ركوع ١١
بدل ، وقرئ يَعَدُّونَ وأصله يعتدون وَيُعِدُّونَ من الاعداد اى يعدّون آلات الصيد يوم السبت وقد
نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا يوم تعظيمهم امرَ السبت مصدرُ سبتت اليهود اذا
عظّمت سبتها بالتجرّد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافةُ لاختصاصهم بأحكام فيه ويؤيّد الاوّل أن قرئ
يَوْمَ اِسْبَاتِهِمْ وقوله وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ وقرئ لا يُسْبِتُونَ من أَسْبَتَ ولا يُسْبَتُونَ على البناء
للمفعول بمعنى لا يُدْخَلون فى السبت ، وشُرَّعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع
علينا اذا دنا واشرف كَذٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ مثلَ ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم
وقيل كذلك متّصل بما قبله اى لا تأتيهم مثلَ اتيانهم يوم السبت والباء متعلّق بيعدون
(١٦٤) وَاِذْ قَالَتْ عطف على اذ يعدون أُمَّةٌ مِنْهُمْ جماعة من اهل القرية يعنى صلحاءهم الّذين اجتهدوا
فى موعظتهم حتّى ايسوا من اتّعاظهم لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللّٰهُ مُهْلِكُهُمْ مخترمُهم أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
فى الآخرة لتماديهم فى العصيان قالوه مبالغةً فى انّ الوعظ لا ينفع بهم او سؤالا عن علّة الوعظ ونفعه
وكأنّه تقاولٌ بينهم او قولُ من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعوِ منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة
الهالكة اجابوا به وُعّاظهم ردّا عليهم وتهكّما بهم قَالُوا مَعْذِرَةٌ اِلَى رَبِّكُمْ جواب للسؤال اى موعظتنا اِنْهاء
عُذْر الى اللّه تعالى حتّى لا نُنْسَب الى تفريط فى النهى عن المنكر وقرأ حفص مَعْذِرَةً بالنصب على المصدر
او العلّة اى اعتذرنا به معذرةً او وعظناهم معذرةً وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ اذ اليأس لا يحصل الّا بالهلاك
(١٦٥) فَلَمَّا نَسُوا تركوا تَرْكَ الناسى مَا ذُكِّرُوا بِهِ ما ذكّرهم به صلحاؤهم أَنْجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ
ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بالاعتداء ومخالفة امر اللّه بِعَذَابٍ بَئِيسٍ شديد فعيلٌ من بَؤُسَ يَبْؤُسُ بَأْسا
اذا اشتدّ وقرأ ابو بكر بَيْئَسٍ على فَيْعَل كضَيْغَم وابن عامر بِئْسٍ بكسر الباء وسكون الهمزة على انّه بَئِس
كحَذِر كما قرئ مخفّفت عينه بنقل حركتها الى الفاء ككِبْد فى كَبِد ونافع بِيسٍ على قلب الهمزة ياء
كما قلبت فى ذِيب اوأنّه فِعْل الذمّ وُصف به فجُعل اسما وقرئ بَيِّسٍ كرَيِّس على قلب الهمزة ياء ثمّ
ادغامها وبَيْسٍ بالتخفيف كهَيْن وبَائِسٍ على وزن فاعل بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ بسبب فسقهم (١٦٦) فَلَمَّا
عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ تكبّروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله تعالى وعتوا عن امر ربّهم قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ
كقوله انّما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهرُ يقتضى انّ اللّه عذّبهم اوّلا بعذاب
شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روى انّ الناهين
لمّا ايسوا عن اتّعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فأصبحوا يوما
ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا انّ لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا

جزء ٩ أنسباءهم ولكن القردة تعرفهم فجعلت تأتى انسباءهم وتشمّ ثيابهم وتدور باكية حولهم ثمّ ماتوا بعد
ركوع ١١ ثلاث وعن مجاهد مُسخت قلوبهم لا ابدانهم وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ اى أَعْلَمَ تفعّل من الايذان بمعناه كالتوعّد
والايعاد او عَزَم لانّ العازم على الشىء يؤذن نفسه بفعله وأُجرى مجرى فعل القسم كعَلِمَ اللّهُ وشَهِدَ
اللّهُ ولذلك أُجيب بجوابه وهو لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ والمعنى واذ اوجب ربّك على نفسه ليسلّطنّ
على اليهود مَنْ يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ كالاذلال وضرب الجزية بعث اللّه عليهم بعد سليمان عم بُخْتَ
نَصَّرَ فخرّب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريّهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا
يؤدّونها الى المجوس حتّى بعث اللّه محمّدا عم ففعل ما فعل ثمّ ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبةً الى
آخر الدهر إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ عاقبهم فى الدنيا وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ لمن تاب وآمن (١٦٧) وَقَطَّعْنَاهُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا وفرّقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قُطْرٌ منهم تتمّةً لادبارهم حتّى لا يكون لهم شوكة
قطّ وأُمَما مفعول ثانٍ او حال مِنْهُمُ ٱلصَّالِحُونَ صفته او بدل منه وهم الّذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم
وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ تقديره ومنهم ناسٌ دون ذلك اى منحطّون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم
وَبَلَوْنَاهُمْ بِٱلْحَسَنَاتِ وَٱلسَّيِّئَاتِ بالنعم والنقم لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ينتبهون فيرجعون عمّا كانوا عليه
(١٦٨) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ من بعد المذكورين خَلْفٌ بدل سوء مصدرٌ نُعت به ولذلك يقع على الواحد
والجمع وقيل جمع وهو شائع فى الشرّ والخَلَف بالفتح فى الخير والمراد به الّذين كانوا فى عصر النبىّ
صلعم وَرِثُوا ٱلْكِتَابَ التورية من اسلافهم يقرءونها ويقفون على ما فيها يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ
حُطام هذا الشىء الادنى يعنى الدنيا وهو من الدنوّ او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرُشى فى
الحكومة وعلى تحريف الكَلِم والجملة حال من الواو وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا لا يؤاخذنا اللّه بذلك ويتجاوز
عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعلُ مسند الى الجارِ والمجرورِ او مصدرِ يأخذون وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ
مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ حال من الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة مُصرّين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين
عنه أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ ٱلْكِتَابِ اى فى الكتاب أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ عطف بيان للميثاق
او متعلّق به اى بأن لا يقولوا والمرادُ توبيخهم على البتّ بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالةُ على انّه
افتراء على اللّه وخروج عن ميثاق الكتاب وَدَرَسُوا مَا فِيهِ عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانّه
تقرير او على ورثوا وهو اعتراض وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ممّا يأخذ هؤلاء أَفَلَا تَعْقِلُونَ فيعلموا
ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدنيّ المؤدّى الى العقاب بالنعيم المخلّد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب
بالتاء على التلوين (١٦٩) وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَابِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ عطفٌ على الّذين يتّقون وقوله افلا
يعقلون اعتراض او مبتدأٌ خبره إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ على تقدير منهم او وضع الظاهر موضعَ
الضمير تنبيها على انّ الاصلاح كالمانع من التضييع ، وقرأ ابو بكر يُمْسِكُونَ بالتخفيف ، وافراد الاقامة

لاتافتها على سائر انواع التمسّكات (١٧٠) وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ اى قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق جزء ٩
الجذب كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ سقيفة وهى كل ما اظلّك وَظَنُّوا وتيقّنوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ساقط عليهم لانّ الجبل لا يثبت ركوع ١١
فى الجوّ ولانّهم كانوا يوعَدون به وانّما اطلق الظنّ لانّه لم يقع متعلّقه وذلك انّهم ابوا ان يقبلوا
احكام التورية لثقلها فرفع اللّه الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والّا ليقعنّ عليكم خُذُوا على
٥ اضمار القول اى وقلنا خذوا او قائلين خذوا مَا آتَيْنَاكُمْ من الكتاب بِقُوَّةٍ بجدّ وعزم على تحمّل
مشاقّه وهو حال من الواو وَٱذْكُرُوا مَا فِيهِ بالعمل به ولا تتركوه كالمنسىّ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ قبائح الاعمال
ورذائل الاخلاق (١٧١) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ اى اخرج من اصلابهم نسلهم ركوع ١٢
على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ، ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض ، وقرأ نافع وابو عمرو
وابن عامر ويعقوب ذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا اى ونصب لهم دلائل
١٠ ربوبيّته وركّب فى عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتّى صاروا بمنزلة مَنْ قيل لهم الست بربّكم
قالوا بلى فنزّل تمكينهم من العلم بها وتمكّنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل
ويدلّ عليه قوله أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ اى كراهة ان تقولوا إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ لم ننبّه عليه بدليل
(١٧٢) أَوْ تَقُولُوا عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لانّ اوّل الكلام على الغيبة إِنَّمَا أَشْرَكَ
آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ فاقتدينا بهم لانّ التقليد عند قيام الدليل والتمكّن من العلم
١٥ به لا يصلح عذرا أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ يعنى آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لمّا خلق
اللّه آدم اخرج من ظهره ذرّيّته كالذرّ واحياهم وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك لحديث رواه
عمر رضه وقد حقّقت الكلام فيه فى شرحى لكتاب المصابيح ، والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام
اليهود بمقتضى الميثاق العامّ بعدما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعيّة
والعقليّة ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال (١٧٣) وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ
٢٠ يَرْجِعُونَ اى عن التقليد واتّباع الباطل (١٧٤) وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ اى على اليهود نَبَأَ ٱلَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا هو
احد علماء بنى اسرائيل او أُميّة بن ابى الصلت فانّه كان قد قرأ الكتب وعلم انّ اللّه مرسل رسولا فى
ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلمّا بعث محمّد صلعم حسده وكفر به او بَلْعم بن باعوراء من
الكنعانيّين أوتى علم بعض كتب اللّه فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا من الآيات بأن كفر بها واعرض عنها فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَانُ
حتّى لحقه وقيل استتبعه فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ فصار من الضالّين روى انّ قومه سألوه ان يدعو على
٢٥ موسى ومَن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فألحّوا عليه حتّى دعا عليهم فبقوا فى التيه
(١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ الى منازل الأبرار من العلماء بِهَا بسبب تلك الآيات وملازمتها وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ

جزء ٩ مال الى الدنيا او الى السفالة وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فى ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات ،
ركوع ١٣ وانّما علّق رفعه بمشيئة اللّه ثمّ استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على أنّ المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وأنّ عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبّب على انتفاء سببه وأنّ السبب الحقيقىّ هو المشيئة وأنّ ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة فى حصول المسبّب من حيث انّ المشيئة تعلّقت به كذلك ، وكان من حقّه أن يقول ولكنّه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتّبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وانّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة فَمَثَلُهُ فصفته التى هى مَثَلٌ فى الخسّة كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ كصفته فى اخسّ احواله وهو إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ اى يلهث دائما سواء حُمل عليه بالزجر والطرد او تُرك ولم يُتعرّض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده ، واللّهث ادلاع اللسان من التنفّس الشديد ، والشرطيّة فى موضع الحال والمعنى لاهثا فى الحالتين ، والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الّذى هو نفى الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لمّا دعا على موسى عم خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ اى المذكورة على اليهود فانّها نحو قصصهم لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ تفكّرا يؤدّى بهم الى الاتّعاظ (١٧٦) سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ اى مثل القوم وقرئ سَآءَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ على حذف المخصوص بالذمّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بعد قيام الحجّة عليها وعلمهم بها وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ إمّا ان يكون داخلا فى الصلة معطوفا على كذّبوا بمعنى الّذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الّا انفسهم فانّ وباله لا يتخطّاها ولذلك قدّم المفعول (١٧٧) مَنْ يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ تصريح بانّ الهدى والضلال من اللّه تعالى وانّ هداية اللّه تختصّ ببعض دون بعض وانّها مستلزمة للاهتداء ، والافراد فى الاوّل والجمع فى الثانى باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على انّ المهتدين كواحد لاتّحاد طريقتهم بخلاف الضالّين ، والاقتصار فى الاخبار عمّن هداه اللّه بالمهتدى تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على انّه فى نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانّه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها (١٧٨) وَلَقَدْ ذَرَأْنَا خلقنا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ يعنى المصرّين على الكفر فى علم اللّه لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا اذ لا يُلقونها الى معرفة الحقّ والنظر فى دلائله وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا اى لا ينظرون الى ما خلق اللّه نظر اعتبار وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا الآيات والمواعظ سماع تأمّل وتذكّر أُولَٰئِكَ كَٱلْأَنْعَامِ فى عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبّر او فى انّ مشاعرهم وقواهم متوجّهة الى اسباب التعيّش مقصورة عليها بَلْ هُمْ أَضَلُّ فانّها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضارّ وتجتهد فى جلبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يَعلم انّه معاند فيُقدم على النار أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ الكاملون فى الغفلة (١٧٩) وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ لانّها دالّة على معانٍ هى احسن المعانى

والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فَٱدْعُوهُ بِهَا فسمّوه بتلك الاسماء وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ جزء ٩
واتركوا تسمية الزائغين فيها الّذين يسمّونه بما لا توقيف فيه اذ ربّما يُوهِم معنى فاسدا كقولهم يا ركوع ١٢
ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمّى به نفسه كقولهم ما نعرف الّا رحمن اليمامة او
ذروهم وإلحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من اللّه والعزّى من العزيز ولا
توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فانّ اللّه مجازيهم كما قال سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وقرأ حمزة هنا
وفي فصّلت يَلْحَدُونَ بالفتح يقال لَحَدَ وأَلْحَدَ اذا مال عن القصد (١٨٠) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ
بِٱلْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ذكر ذلك بعدما بيّن انّه خلق للنار طائفة ضالّين ملحدين عن الحقّ للدلالة
على انّه خلق ايضا للجنّة امّة هادين بالحقّ عادلين في الامر ، واستدلّ به على صحّة الاجماع لانّ المراد
منه في كلّ قرن طائفة بهذه الصفة لقوله صلعم لا يزال من امّتى طائفة على الحقّ الى ان يأتي امر اللّه اذ لو
اختصّ بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فائدة فانّه معلوم (١٨١) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ركوع ١٣
سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا وأصل الاستدراج الاستصعاد والاستنزال درجةً بعد درجة مِنْ حَيْثُ لَا
يَعْلَمُونَ ما نريد بهم وذلك ان يتواتر عليهم النعم فيظنّوا انّها لطفٌ من اللّه بهم فيزدادوا بطرا
وانهماكا في الغيّ حتّى يحقّ عليهم كلمة العذاب (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ وأُمهلهم عطفٌ على سنستدرجهم
إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ انّ اخذى شديد وانّما سمّاه كيدا لانّ ظاهره إحسان وباطنه خِذلان (١٨٣) أَوَلَمْ
يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ يعنى محمّدا عليه افضل الصلوة والسلام مِنْ جِنَّةٍ جُنون روى انّه عم علا
الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذّرهم بأس اللّه فقال قائلهم إنّ صاحبكم لَمجنون بات يهوّت الى الصباح فنزلت
إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ مُوضِحٌ إنذارَه بحيث لا يخفى على ناظر (١٨٤) أَوَلَمْ يَنْظُرُوا نظرَ استدلال فِي مَلَكُوتِ
ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ممّا يقع عليه اسم الشيء من الاجناس الّتى لا يُمْكن حصرُها
ليدلّهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مُبْدعها وعظم شأن مالكها ومتولّى امرها ليظهر لهم صحّة ما
يدعوهم اليه وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ عطف على ملكوت وأَنْ مصدريّة او مخفّفة من
الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسمُ يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقّع حُلولها
فيسارعوا الى طلب الحقّ والتوجّه الى ما يُنجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ
اى بعد القرآن يُؤْمِنُونَ اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كانّه إخبار عنهم بالطبع والتصميم على
الكفر بعد إلزام الحجّة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلّق بقوله عسى ان يكون كانّه قيل لعلّ اجلهم
قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمانَ بالقرآن وما ذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأيّ
حديث احقّ منه يريدون ان يؤمنوا وقوله (١٨٥) مَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ كالتقرير والتعليل له
وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ بالرفع على الاستيناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل اللّه وحمزة

جزء ٩ والكسائىّ به وبالجزم عطفا على محلّ فلا هادى له كانّه قيل لا يَهْدِه احد غيره ويذرْهم يَعْمَهُونَ حال من
ركوع ١٣ هم (١٨٦) يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ عن القيامة وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها امّا لوقوعها بغتةً او لسرعة حسابها او لانّها على طولها عند اللّه كساعة أَيَّانَ مُرْسَاهَا متى ارساؤها اى اثباتها ورسوّ الشىء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة ' واشتقاق أيّان من اىّ لانّ معناه اىّ وقت وهو من أَوَيْتُ لانّ البعض آوٍ الى الكلّ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى استأثر به لم يُطْلع عليه مَلَكا مقرّبا ولا نبيّا مُرْسَلا لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا لا يُظْهر امرها فى وقتها إِلَّا هُوَ والمعنى انّ الخفاء بها مستمرّ على غيره الى وقت وقوعها واللامُ للتأقيت كاللام فى قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ عظمت على اهلها من الملائكة والثقلَيْن لهولها وكانّه اشارة الى الحكمة فى اخفائها لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً فجأة على غفلة كما قال عم انّ الساعة تَهيج بالناس والرجل يُصْلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوّم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (١٨٧) يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا عالم بها فعيل من حَفِىَ عن الشىء اذا سأل عنه فانّ من بالغ فى السؤال عن الشىء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عُدّى بعَنْ وقيل هى صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فانّ قريشا قالوا له انّ بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كانّك حفىّ تتحفّى بهم فتتخصّهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانّك حفىّ بالسؤال عنها تحبّه من حَفِىَ بالشىء اذا فرح اى تكرهه لانّه من الغيب الّذى استأثر اللّه بعلمه قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ ٱللّٰهِ كرّره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ أنّ علمها عند اللّه لم يؤته احدا من خلقه (١٨٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا جلبَ نفعٍ ولا دفع ضرّ وهو اظهار للعبوديّة والتبرّى عن ادّعاء العلم بالغيوب إِلَّا مَا شَاءَ ٱللّٰهُ من ذلك فيُلْهمنى ايّاه ويوفّقنى له وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ولو كنت اعلمه لخالفتْ حالى ما هى عليه من استكثار المنافع واجتناب المضارّ حتّى لا يمسّنى سوء إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ وما انا الّا عبد مرسل للانذار والبشارة لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فانّهم المنتفعون بهما ويجوز
ركوع ١٤ ان يكون متعلّقا بالبشير ومتعلّق النذير محذوف (١٨٩) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ هو آدم عم وَجَعَلَ مِنْهَا من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زَوْجَهَا حوّاء لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ليستأنس بها ويطمئنّ اليها اطمينانَ الشىء الى جُزْئه او جنسه وانّما ذكّر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فَلَمَّا تَغَشَّاهَا اى جامعها حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا خفّ عليها ولم تَلْقَ منه ما تلقى الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا هو النطفة فَمَرَّتْ بِهِ فاستمرّت به اى قامت

وقعدت وقرئ فَمَرَت بالتخفيف وفاستمرّت وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اى جزء ٩
فظنت الحمل وارتابت به فَلَمَّا أَثْقَلَتْ صارت ذات ثقل بكبر الولد فى بطنها وقرئ على البناء للمفعول ركوع ١٤
اى اثقلها حملها دَعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا ولدا سويّا قد صلح بدنه لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ
لك على هذه النعمة المجدّدة (١٩٠) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا اى جعل اولادهما له
شركاء فيما آتى اولادهما فسمّوه عبد العزّى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
ويدلّ عليه قوله فَتَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩١) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ يعنى
الاصنام وقيل لمّا حملت حوّاء اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يُدريك ما فى بطنك لعلّه بهيمة
او كلب وما يُدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته لآدم فهمّا منه ثمّ عاد اليها وقال انّى من
الله بمنزلة فان دعوتُ الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهّل عليك خروجه تُسمّينه عبد الحارث وكان
اسمه حارثا فى الملائكة فقبلت فلمّا ولدت سمّياه عبد الحارث وامثال ذلك لا تليق بالانبياء ويحتمل
ان يكون الخطاب فى خَلَقَكُمْ لآل قُصَىّ من قريش فانّهم خُلقوا من قصىّ وكان له زوج من جنسه
عربيّة قُرشيّة وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمّياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصىّ
وعبد الدار ويكون الضمير فى يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما ، وقرأ نافع وابو بكر شِرْكًا
اى شِرْكة بأن اشركا فيه غيره او ذوى شرك وهم الشركاء ، وهُمْ ضمير الاصنام جىء به على تسميتهم
اياها آلهة وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا اى لعبدتهم وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ فيدفعوا عنها ما يعتريها
(١٩٢) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ اى المشركين إِلَى ٱلْهُدَى الى الاسلام لَا يَتَّبِعُوكُمْ وقرأ نافع بالتخفيف وقيل
الخطاب للمشركين وهُمْ ضمير الاصنام اى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتّبعوكم الى مرادكم فلا
يُجيبوكم كما يجيبكم الله سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ وانّما لم يقل ام صمتّم للمبالغة
فى عدم افادة الدعاء من حيث انّه مسوّى بالثبات على الصمات او لانّهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم
فكانّه قيل سواء عليكم إحداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم (١٩٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ اى تعبدونهم وتسمّونهم آلهة عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ من حيث انّها مملوكة مسخّرة
فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ انّهم آلهة ويحتمل انّهم لمّا نحتوها بصور الاناسىّ قال لهم
انّ قُصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقّون عبادتكم كما لا يستحقّ بعضكم عبادة
بعض ثمّ عاد عليه بالنقض فقال (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ
بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا وقرئ إِنِ ٱلَّذِينَ بتخفيف إن ونصب عبادًا على انّها نافية عملت عمل ما
الحجازيّة ولم يثبت مثله ويَبْطُشون بالضمّ ههنا وفى القصص والدخان قُلِ ٱدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ واستعينوا بهم فى
عداوتى ثُمَّ كِيدُونِ فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهى انتم وشركاؤكم فَلَا تُنْظِرُونِ فلا تمهلونى
فانّى لا ابالى بكم لوثوقى على ولاية الله وحفظه (١٩٥) إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَابَ القران وَهُوَ يَتَوَلَّى

*

جزء ۹ ركوع ۱۴

ٱلصَّالِحِينَ اى ومن عادته تعالى ان يتولّى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه (۱۹۶) وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم (۱۹۷) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ يُشْبهون الناظرين اليك لانّهم صُوّروا بصورة من ينظر الى من يواجهه (۱۹۸) خُذِ ٱلْعَفْوَ اى خذ ما عفا لك من افعال الناس وتَسهّلَ ولا تطلب ما يشقّ عليهم من العفو الّذى هو ضدّ الجهد او خذ العفوَ عن المُذنبين او الفضلَ وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ المعروف المستحسَن من الافعال وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ فلا تُمارِهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم ، وهذه الآية جامعةٌ لمكارم الاخلاق آمرةٌ للرسول باستجماعها (۱۹۹) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ ينخسنّك منه نخسٌ اى وسوسةٌ تحملك على خلاف ما أُمرتَ به كاعتراء غضب وفكر والنّزغ والنَّسغ والنّخس الغرْز شبّه وسوسته للناس اغراءً لهم على المعاصى وازعاجا بغَرْز السائق ما يسوقه فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ يسمع استعاذتك عَلِيمٌ يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مُغنيا ايّاك عن الانتقام ومتابعة الشيطان (۲۰۰) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ لَمّة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانّها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثّر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائىّ ويعقوب طَيْفٌ على انّه مصدر او تخفيف طَيِّف كلَيْن وهَيْن ، والمرادُ بالشيطان الجنسُ ولذلك جمع ضميره تَذَكَّرُوا ما امر اللّه به ونهى عنه فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ بسبب التذكّر مواقعَ الخطإ ومكايدَ الشيطان فيتحرّزون عنها ولا يتّبعونه فيها ، والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله (۲۰۱) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ اى واخوان الشياطين الّذين لم يتّقوا يمدّهم الشياطين فِى ٱلْغَيِّ بالتزيين والحمل عليه وقرئ يُمِدّونهم من أمدّ ويُمادّونهم كانّهم يُعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتّباع والامتثال ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ لا يُمْسكون عن اغوائهم حتّى يُردّوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لا يكفّون عن الغىّ ولا يقصرون كالمتّقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له (۲۰۲) وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ من القران او ممّا اقترحوه قَالُوا لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا هلّا جمعتها تقوّلا من نفسك كسائر ما تقرأه او هلّا طلبتها من اللّه قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي لست بمختلق للآيات او لست بمقترح لها هَٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ هذا القران بصائر للقلوب بها يُبصَر الحقّ ويُدرَك الصواب وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ سبق تفسيره (۲۰۳) وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْآنُ فَٱسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ نزلت فى الصلوة كانوا يتكلّمون فيها فأُمروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهرُ اللفظ يقتضى وجوبهما حيث يقرأ القران مطلقا وعامّةُ العلماء على استحبابهما خارجَ الصلوة واحتجّ به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف (۲۰۴) وَٱذْكُرْ رَبَّكَ فِى نَفْسِكَ

عامّ فى الأذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرّا بعد فراغ الامام عن قراءته كما جزء ٩ هو مذهب الشافعىّ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً متضرعا وخائفا وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ومتكلّما كلاما فوق السرّ ركوع ١٤ دون الجهر فانّه ادخل فى الخشوع والاخلاص بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ باوقات الغدوّ والعشيّات وقرئ وَٱلْإِيصَالِ وهو مصدر آصَلَ اذا دخل فى الاصيل مطابقا للغدوّ وَلَا تَكُنْ مِنَ ٱلْغَافِلِينَ عن ذكر اللّه تعالى (٢٠٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يعنى ملائكة الملأ الاعلى لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وينزّهونه وَلَهُ يَسْجُدُونَ ويخصّونه بالعبادة والتذلّل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلّفين ولذلك شرع السجود لقراءته ، وعن النبىّ صلعم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى فيقول يا ويله أُمر هذا بالسجود فسجد فله الجنّة وأُمرتُ بالسجود فعصيت فلى النار وعنه عم من قرأ سورة الاعراف جعل اللّه يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة •

سُورَةُ ٱلْأَنْفَالِ

مدنيّة وآيها ستّ وسبعون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنْفَالِ اى الغنائم يعنى حُكْمها وانّما سُمّيت الغنيمة نَفَلا لانّها عطيّة من اللّه تعالى ركوع ١٥ ونفل كما سُمّى به ما يشرطه الامام لمقتحِم خَطَرٍ عطيّة له وزيادة على سهمه قُلِ ٱلْأَنْفَالُ لِلّٰهِ وَٱلرَّسُولِ اى امرها مختصّ بهما يقسمها الرسول على ما يأمره اللّه به وسبب نزوله اختلاف المسلمين فى غنائم بَدْرٍ أنّها كيف تُقسَم ومن يَقسِم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول اللّه صلعم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شُبّانهم حتّى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثمّ طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الّذين كانوا عند الرايات كنّا رِدْأً لكم وفئةً تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول اللّه صلعم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام أن يَفِىَ بما وعد وهو قول الشافعىّ وعن سعد بن ابى وقّاص رضه قال لمّا كان يوم بَدْرٍ قُتل اخى عُمَير فقتلتُ به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول اللّه صلعم واستوهبته منه فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحْه فى القَبَض فطرحته وبى ما لا يعلمه الّا اللّه من قَتْل اخى وأَخْذ سَلَبى فما جاوزتُ الّا قليلا حتّى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول اللّه صلعم سألتَنى السيف وليس لى وانّه قد صار لى فاذهبْ فخُذْه ، وقرئ يَسْأَلُونَكَ عَلَّنْفَالِ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عَنْ فيها ويَسْأَلُونَكَ ٱلْأَنْفَالَ اى يسألك الشبّان ما شرطتَ لهم فَٱتَّقُوا ٱللّٰهَ فى الاختلاف والمشاجرة وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ الحال الّتى بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم اللّه وتسليم

جزء ٩ امره الى الله والرسول وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فيه إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فانّ الايمان يقتضى ذلك او ان كنتم
ركوع ١٥ كاملى الايمان فانّ كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتّقاء عن المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان (٢) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ اى الكاملو الايمان ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ فزعت لذكره استعظاما له وتهيّبا من جلاله وقيل هو الرجل يَهُمّ بمعصية فيقال له اتّق الله فينزع عنه خوفا من عقابه ، وقرئ وَجَلَتْ بالفتح وهى لغة وفَرِقَتْ اى خافت وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا لزيادة المؤمَن به او لاطمينان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلّة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على انّ العمل داخل فيه وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ يفوّضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الّا اياه (٣) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٤) أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لانّهم حقّقوا ايمانهم بأن ضمّوا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكّل ومحاسنَ افعال الجوارح التى هى العيار عليها من الصلوة والصدقة ، وحقّا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكّد كقولهم هو عبد الله حقّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ كرامة وعلوّ منزلة وقيل درجات الجنّة يرتقونها باعمالهم وَمَغْفِرَةٌ لما فرط منهم وَرِزْقٌ كَرِيمٌ أُعِدّ لهم فى الجنّة لا ينقطع عدده ولا ينتهى أمده (٥) كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ خبرُ مبتدا محذوف تقديره هذه الحال فى كراهتهم ايّاها كحال اخراجك للحرب فى كراهتهم له وهى كراهة ما رأيتَ من تنفيل الغُزاة او صفة مصدر الفعل المقدّر فى قوله لله والرسول اى الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثلَ ثبات اخراجك ربُّك من بيتك يعنى المدينة لانّها مهاجَره ومسكنه او بيتَه فيها مع كراهتهم وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ فى موقع الحال اى اخرجك فى حال كراهتهم وذلك انّ عِيرَ قريش اقبلت من الشأم وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلعم فاخبر المسلمين فاعجبهم تَلقّيها لكثرة المال وقلّة الرجال فلمّا خرجوا بلغ الخبرُ اهلَ مكّة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكّة النجاء النجاء على كلّ صَعْب وذَلول عيرُكم اموالُكم ان اصابها محمّد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطّلب انّ ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثمّ حلّق بها فلم يبق بيت فى مكّة الّا اصابه شىء منها فحدّثت بها العبّاس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبّئوا حتّى تتنبّأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكّة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما فى السنة وكان رسول الله صلعم بوادى ذَفِران فنزل جبريل بالوعد باحدى الطائفتين إمّا العير وإمّا قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلّا ذكرت لنا القتال حتّى نتأهّب له انّما خرجنا للعير فردّد عليهم وقال انّ العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودَعِ العدوّ فغضب رسول الله صلعم فقام ابو بكر وعمر رضى الله عنهما فاحسنا ثمّ قام سعد بن عُبادة فقال انظرْ امرك

جزء ٩ ركوع ١٥

فامض فوالله لو سرت الى عَدَنِ أَبْيَنَ ما تخلّف عنك رجلٌ من الانصار ثمّ قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانّا معك حيثما احببتَ لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهبْ انت وربّك انّا ههنا قاعدون ولكن اذهبْ انت وربّك فقاتلا انّا معكما مقاتلون فتبسّم رسول الله صلعم ثمّ قال اشيروا علىّ ايّها الناس وهو يريد الانصار لانّهم كانوا عَدَدهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انّهم براء من ذمامه حتّى يصل الى ديارهم فتخوّف ان لا يروا نصرته الّا على عدوّ دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنّك تريدنا يا رسول الله فقال أَجَلْ قال قد آمنّا بك وصدّقناك وشهدنا انّ ما جئت به هو الحقّ واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالّذى بعثك بالحقّ لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلّف منّا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدوّنا وانّا لصُبُر عند الحرب صُدُق عند اللقاء ولعلّ الله يُريك منّا ما تقرّ به عينك فسرْ بنا على بركة الله فنشّطه قوله ثمّ قال سيروا على بركة الله وابشروا فانّ الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنّى انظر الى مصارع القوم وقيل انّه عم لمّا فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العبّاس وهو فى وثاقه لا يصلح فقال له لِمَ فقال لانّ الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله (٦) يُجَادِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ فى ايثارك الجهاد باظهار الحقّ لايثارهم تلقّى العير عليه بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لهم انّهم يُنْصَرون اينما توجّهوا بإعلام الرسول كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ اى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلّة عددهم وعدم تأهّبهم اذ روى انّهم كانوا رجّالة وما كان فيهم الّا فارسان وفيه ايماء الى انّ مجادلتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم (٧) وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّائِفَتَيْنِ على اضمار اذكرْ، واحدى ثانى مفعولَى يعدكم وقد أُبدل عنها أَنَّهَا لَكُمْ بدلَ الاشتمال وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ يعنى العير فانّه لم يكن فيها الّا اربعون فارسا ولذلك يتمنّونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عَدَدهم وعُدَدهم ، والشوكة الحدّة مستعارة من واحدة الشوك وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَنْ يُحِقَّ ٱلْحَقَّ اى يُثْبِته ويُعْلِيه بِكَلِمَاتِهِ الموحَى بها فى هذه الحال او بأوامره للملائكة بالامداد وقرئ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَافِرِينَ ويستأصلهم ، والمعنى انّكم تريدون ان تُصيبوا مالا ولا تَلْقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحقّ وما يحصّل لكم فوزَ الدارَيْن (٨) لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَاطِلَ اى فعل ما فعل وليس بتكرير لانّ الاوّل لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثانى لبيان الداعى الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونَصْرِه عليها وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ذلك (٩) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ بدل من اذ يعدكم او متعلّق بقوله ليحقّ الحقّ او على اضمار اذكرْ، واستغاثتهم انّهم لمّا علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اى ربّ انصرنا على عدوّك أَغِثْنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضه انّه عم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومدّ يديه يدعو اللّهمّ انجزْ لى ما وعدتنى اللّهمّ إنْ تهلك هذه العصابة لا تُعْبَدْ فى الارض فما زال كذلك حتّى سقط رداؤه فقال

جزء ۹ ابو بكر يا نبىّ اللّه كفاك مناشدتك ربّك فانّه سينجز لك ما وعدك فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ باَنّى
ركوع ۱۵ ممدّكم فحذف الجارّ وسلّط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى
قال لانّ الاستجابة من القول بِأَلْفٍ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته انا
اذا جئت بعده او مُتْبِعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته ايّاه فردفه وقرأ نافع
ويعقوب مُرْدَفِينَ بفتح الدال اى مُتْبَعين او مُتْبَعين بمعنى انّهم كانوا مقدّمة الجيش او ساقتهم وقرئ
مُرُدِّفِينَ بكسر الراء وضمّها وأصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء فى الدال فالتقى ساكنان
فحرّكت الراء بالكسر على الاصل او بالضمّ على الاتباع ، وقرئ بِآلَافٍ ليوافق ما فى سورة آل عمران
ووجهُ التوفيق بينه وبين المشهور أنّ المراد بالالف الّذين كانوا على المقدّمة او الساقة او وجوههم
واعيانهم او من قاتل منهم واختُلف فى مقاتلتهم وقد رُوى أخبار تدلّ عليها (۱۰) وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ
اى الامدادَ إِلَّا بُشْرَى الّا بشارةً لكم بالنصر وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ فيزول ما بها من الوجل لقلّتكم وذلّتكم
وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وامداد الملائكة وكثرة العدد والأُهَب ونحوها وسائط
ركوع ۱۶ لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها (۱۱) إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ بدل ثانٍ من اذ
يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلّق بالنصر او بما فى عند اللّه من معنى الفعل او بجعل او باضمار
اذكرْ ، وقرأ نافع بالتخفيف من اغشيته الشىء اذا غشّيته ايّاه والفاعل على القراءتين هو اللّه تعالى
وقرأ ابن كثير وابو عمرو يَغْشَاكُمُ ٱلنُّعَاسُ بالرفع أَمَنَةً مِنْهُ امنا من اللّه وهو مفعول له باعتبار المعنى
فانّ قوله يغشّيكم النعاس متضمّن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنةُ فعلٌ لفاعله ويجوز ان
يراد بها الايمان فيكون فعلَ المغشّى وأن تُجعل على القراءة الاخيرة فعلَ النعاس على المجاز لانّها لاصحابه
او لانّه كان مِنْ حقّه ان لا يغشاهم لشدّة الخوف فلمّا غشيهم فكانّه حصلت له امنة من اللّه لولاها لم
يغشهم كقوله

يَهاب النومُ أن يَغشَى عيونا تَهابُكَ فَهْوَ نَفّارٌ شَرُودُ

وقرئ أَمْنَةً كَرَحْمَة وهى لغة وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ من الحَدَث والجنابة وَيُذْهِبَ
عَنْكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَانِ يعنى الجنابة لانّها من تخييله او وسوسته وتخويفه ايّاهم من العطش روى انّهم
نزلوا فى كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على
الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تُنْصَرون وقد غُلبتم على الماء وانتم تصلّون مُحْدِثين مُجْنِبين
وتزعمون انّكم اولياء اللّه وفيكم رسوله فأشفقوا فأنزل اللّه المطر فمُطروا ليلا حتّى جرى الوادى واتّخذوا
الحياض على عُدْوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضّئوا وتلبّد الرمل الّذى بينهم وبين العدوّ حتّى ثبتت
عليه الاقدام وزالت الوسوسة وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ بالوثوق على لطف اللّه بهم وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ اى
بالمطر حتّى لا تسوخ فى الرمل او بالربط على القلوب حتّى تثبت فى المعركة (۱۲) إِذْ يُوحِى رَبُّكَ بدل

ثالث او متعلّق بيثبت الى الملائكة [illegible] جزء ٩
على ارادة القول او اجراء الوحى مجراه [illegible] ركوع ١٩
اعدائهم فيكون قوله سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ [illegible]
على انّهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع [illegible]
الى قوله كلّ بنان تلقين للملائكة ما يثبّتون المؤمنين به [illegible]
اعاليها الّتى هى المذابح او الرؤس وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ [illegible]
اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكلّ احد من [illegible]
بسبب مشاقّتهم لهما واشتقاقه من الشقّ لانّ كلّا من [illegible]
من العُدْوة والمخاصمة من الخَصْم وهو الجانب وَمَنْ يُشَاقِقِ [illegible]
للتعليل او وعيد بما اعدّ لهم فى الآخرة بعد ما حاق بهم فى الدنيا [illegible]
على طريقة الالتفات ومحلّه الرفع اى الأمر ذلكم او ذلكم واقع او نصب [illegible]
مثل باشروا او عليكم فتكون الفاء عاطفة وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ [illegible]
المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عُجّل لكم مع ما أُجّل لكم فى الآخرة ، ووضع [illegible]
على انّ الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وإنّ بالكسر [illegible]
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا كثيرا بحيث يُرى لكثرتهم كانّهم يزحفون [illegible]
الصبىّ اذا دبّ على مقعده قليلا قليلا سُمّى به وجُمع على زحوف وانتصابه على الحال [illegible]
بالانهزام فضلا ان يكونوا مثلكم او اقلّ منكم والاظهر انّها مُحْكمة مخصوصة بقوله [illegible]
القتال الآية ويجوز ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول اى اذا لقيتموهم متزاحفين [illegible]
وتدبّون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم [illegible]
تولّوا وهم اثنا عشر الفا (١٦) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ يريد الكرّ بعد الفرّ [illegible]
فانّه من مكايد الحرب أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم [illegible]
من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضى اللّه عنهما انّه كان فى سريّة بعثهم رسول اللّه صلعم ففرّوا الى المدينة
فقلتُ يا رسول اللّه نحن الفرّارون فقال بل انتم العكّارون وانا فئتكم ، وانتصاب متحرّفا ومتحيّزا على الحال
والّا لغوٌ لا عمل لها او الاستثناء من المولّين اى الّا رجلا متحرّفا او متحيّزا ، [illegible]
متفعّل والّا لكان متحوّزا لانّه من حاز يحوز فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
هذا اذا لم يزد العدوّ على الضعف لقوله الان خفّف اللّه عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر
والحاضرين معه فى الحرب (١٧) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ بقوّتكم وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ بنصركم وتسليطكم عليهم

جزء ٩ الرعب فى قلوبهم روى انّه لمّا طلعت قريش من العَقَنْقَل قال عم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها
ركوع ١٦ يكذّبون رسولك اللّهمّ انّى اسألك ما وعدتنى فأتاه جبريل عم وقال له خُذْ قُبْضة من تراب فارمهم بها
فلمّا التقى الجمعان تناول كفّا من الحصباء فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الّا
شُغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثمّ لمّا انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول
الرجل قتلتُ واسرتُ فنزلت ، والفاء جوابُ شرط محذوف تقديرُه إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكنّ
اللّه قتلهم وَمَا رَمَيْتَ يا محمّد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه إِذْ رَمَيْتَ اى اذ اتيت بصورة
الرمى وَلٰكِنَّ ٱللّٰهَ رَمَى اتى بما هو غاية الرمى فاوصلها الى اعينهم جميعا حتّى انهزموا وتمكّنتم من قطع
دابرهم وقد عرفتَ انّ اللفظ يطلق على المسمّى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت
بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكنّ اللّه رمى بالرعب فى قلوبهم وقيل انّه نزل فى طعنة طَعَنَ بها أُبَيَّ بن
خَلَف يوم أُحُد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتّى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب
كِنانةَ بن ابى الحقيق على فراشه والجمهورُ على الاوّل ، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وَلٰكِنِ بالتخفيف
ورفع ما بعده فى الموضعين وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ولينعم عليهم نعمةً عظيمةً بالنصر والغنيمة
ومشاهدة الآيات فعل ما فعل إِنَّ ٱللّٰهَ سَمِيعٌ لاستغاثتهم ودعائهم عَلِيمٌ بنيّاتهم واحوالهم (١٨) ذٰلِكُمْ اشارة
الى البلاء الحسن او القتل او الرمى ومحلّه الرفع اى المقصودُ او الامرُ ذلكم وقوله وَأَنَّ ٱللّٰهَ مُوهِنُ كَيْدِ
ٱلْكَافِرِينَ معطوف عليه اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهينُ كيد الكافرين وابطال حِيَلهم ، وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو مُوَهِّنٌ بالتشديد وحفص مُوهِنُ كَيْدِ بالاضافة والتخفيف (١٩) إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ
خطاب لاهل مكّة على سبيل التهكّم وذلك انّهم حين ارادوا الخروج تعلّقوا باستار الكعبة وقالوا اللّهمّ
انصرْ اعلى الجُنْدَيْن واهدى الفئتَيْن واكرم الحِزْبَيْن وَإِنْ تَنْتَهُوا عن الكفر ومعاداة الرسول فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
لتضمّنه سلامة الدارَيْن وخير المنزلَيْن وَإِنْ تَعُودُوا لمحاربته نَعُدْ لنصرته وَلَنْ تُغْنِيَ ولن تدفع عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ
جماعتكم شَيْئًا من الاغناء او المضارّ وَلَوْ كَثُرَتْ فئتكم وَأَنَّ ٱللّٰهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بالنصر والمعونة وقرأ نافع
وابن عامر وحفص وَأَنَّ بالفتح على تقدير ولأنّ اللّه مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين
والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة عمّا يستأثره الرسول فهو
خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدوّ ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن اللّه معكم
ركوع ١٧ بالنصر فانّه مع الكاملين فى ايمانهم ويؤيّد ذلك (٢٠) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ
اى ولا تتولّوا عن الرسول فانّ المراد من الآية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكرُ طاعة اللّه
تعالى للتوطئة والتنبيه على انّ طاعة اللّه فى طاعة الرسول لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع اللّه
وقيل الضمير للجهاد او للامر الّذى دلّ عليه الطاعة وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ القرآن والمواعظ سماعَ فهم وتصديق

(٢١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا كالكفرة والمنافقين الّذين ادّعوا السماع وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ سماعا جزء ٩ ينتفعون به فكانّهم لا يسمعون رأسا (٢٢) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّٰهِ شرّ ما يدبّ على الارض او شرّ البهائم ركوع ١٧ الصُّمُّ عن الحقّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ايّاه عدّهم من البهائم ثمّ جعلهم شرّها لابطالهم ما ميّزوا وفضّلوا لاجله (٢٣) وَلَوْ عَلِمَ اللّٰهُ فِيهِمْ خَيْرًا سعادة كُتبت لهم او انتفاعا بالآيات لَأَسْمَعَهُمْ سماع تفهّم وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ وقد علم ان لا خير فيهم لَتَوَلَّوْا ولم ينتفعوا به او ارتدّوا بعد التصديق والقبول وَهُمْ مُعْرِضُونَ لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبىّ صلعم أَحْيِ لنا قُصيّا فانّه كان شيخا مباركا حتّى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لأسمعهم كلام قصىّ (٢٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ بالطاعة إِذَا دَعَاكُمْ وحّد الضمير فيه لما سبق ولانّ دعوة اللّٰه تُسْمَع من الرسول وروى انّه عم مرّ على أُبَىّ وهو يصلّى فدعاه فعجل فى صلاته ثمّ جاء فقال ما منعك عن اجابتى قال كنت اصلّى قال الم تُخْبَر فيما اوحى الىّ استجيبوا للّٰه وللرسول واختُلف فيه فقيل هذا لانّ اجابته لا تقطع الصلوة فانّ الصلوة ايضا اجابة وقيل لانّ دعاءه كان لأمر لا يحتمل التأخير وللمصلّى أن يقطع الصلوة لمثله وظاهرُ الحديث يناسب الاوّل لِمَا يُحْيِيكُمْ من العلوم الدينيّة فانّها حيوة القلب والجهل موته قال

لا تُعْجِبَنّ الجَهولَ حُلّتُه فذاك مَيْتٌ وثَوْبُه كَفَنُ

او ممّا يورثكم الحيوة الابديّة فى النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانّه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدوّ وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل أحياء عند ربّهم وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ تمثيلٌ لغاية قُرْبه من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيهٌ على انّه مطّلع على مكنونات القلوب ممّا عسى يغفل عنه صاحبها او حثٌّ على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل أن يحول اللّٰه بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصويرٌ وتخييلٌ لتملّكه على العبد قلبَه فيفسخ عزائمه ويغيّر مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته ، وقرئ الْمَرِّ بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدّد فيه وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ فيجازيكم باعمالكم (٢٥) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً اتّقوا ذنبا يعمّكم أَثَرُه كاقرار المُنْكَر بين اظهركم والمداهنة فى الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على انّ قوله لا تصيبنّ امّا جوابُ الامر على معنى انْ اصابتكم لا تُصب الظالمين منكم خاصّة وفيه انّ جواب الشرط متردّد فلا يليق به النون المؤكّدة لكنّه لمّا تضمّن معنى النهى ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم وامّا صفةٌ لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لانّ النون لا تدخل المنفيّ فى غير القسم او للنهى على ارادة القول كقوله

حتّى اذا جَنّ الظلامُ واختلط جاءوا بمَذْقٍ هَلْ رأيتَ الذئبَ قَطّ

*

جزء ٩ وامّا جوابُ قسمٍ محذوف لقراءة من قرأ لَتُصِيبَنَّ وان اختلفا فى المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد ركوع ١٧ الامر باتّقاء الذنب عن التعرّض للظلم فانّ وباله يصيب الظالم خاصّة ويعود عليه ومِنْ فى منكم على الوجوه الأُوَل للتبعيض وعلى الاخيرَيْن للتبيين وفائدته التنبيه على انّ الظلم منكم اقبح من غيركم وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٢٦) وَٱذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ارض مكّة يستضعفكم قريش والخطابُ للمهاجرين وقيل للعربِ كافّةً فانّهم كانوا اذلّاء فى ايدى فارس والروم تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ كفّار قريش او مَنْ عداهم فانّهم كانوا جميعا مُعادين مضادّين لهم فَآوَاكُمْ الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصّنون به عن اعاديكم وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ على الكفّار او بمظاهرة الانصار او بإمداد الملائكة يومَ بدر وَرَزَقَكُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ من الغنائم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ هذه النعم (٢٧) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ بتعطيل الفرائض والسُنَن او بأن تُضمِروا خلافَ ما تُظهِرون او بالغلول فى الغنائم وروى انّه عم حاصر بنى قُرَيْظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصُلْحَ كما صالح اخوانَهم بنى النَضير على ان يسيروا الى اخوانهم بأَذْرِعات وأَرِيحا من الشأم فأبى الّا ان ينزلوا على حكم سعد بن مُعاذ فأبوا وقالوا ارسل الينا ابا لُبابة وكان مناصحا لهم لانّ عياله وماله فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه أنّه الذبحِ قال ابو لبابة فما زالت قَدَمايَ حتّى علمتُ انّى قد خُنْتُ اللّه ورسوله فنزلت فشدّ نفسه على ساريةٍ فى المسجد وقال واللّه لا اذوق طعاما ولا شرابا حتّى اموت او يتوب اللّه علىّ فمكث سبعة ايّام حتّى خرّ مغشيّا عليه ثمّ تاب اللّه عليه فقيل له قد تِيبَ عليك فحُلّ نفسك فقال لا واللّه لا احلّها حتّى يكون رسول اللّه هو الّذى يحلّنى فجاءه فحلّه بيده فقال انّ من تمام توبتى أن اهجر دارَ قومى الّتى اصبتُ فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال عم يُجْزِئك الثلث أن تتصدّق به ؛ وأصل الخون النقص كما انّ اصل الوفاء التمام واستعماله فى ضدّ الامانة لتضمّنه ايّاه وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاوّل او منصوب على الجواب بالواو وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ انّكم تخونون او وانتم علماء تميّزون الحسن من القبيح (٢٨) وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ لانّهم سبب الوقوع فى الاثم او العقاب او محنة من اللّه ليبلوكم فيهم فلا يحملنّكم حُبُّهم على الخيانة كأبى لبابة وَأَنَّ ٱللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ لمن آثر رِضَى اللّه عليهم وراعى حدوده

ركوع ١٨ فيهم فأنيطوا هممكم لما يؤدّيكم اليه (٢٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحقّ والباطل او نصرا يفرق بين المُحِقّ والمُبْطِل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مَخْرَجا من الشبهات او نجاة عمّا تحذرون فى الدارين او ظهورا يشهر امركم ويَبُثّ صيتكم من قولهم بتُّ افعلُ كذا حتّى سطع الفرقانُ اى الصبح وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ويسترها وَيَغْفِرْ لَكُمْ بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيّآتُ الصغائرُ والذنوبُ الكبائرُ وقيل المراد ما تقدّم وما تأخّر لانّها فى اهل بدر وقد غفرهما اللّه لهم وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ تنبيه على انّ ما وعده لهم على التقوى

تفضل منه واحسان وانّه ليس ممّا يوجب تقواهم عليه كالسيّد اذا وعد عبده انعاما على عمل جزء ٩

(٣٠) وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكّة ليشكر نعمة اللّه فى خلاصه ركوع ١٨ من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك لِيُثْبِتُوكَ بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتّى اثبته لا حَراك به ولا بَراح وقرئ لِيُثَبِّتُوكَ بالتشديد ولِيُبَيِّتُوكَ من البيات ولِيُقَيِّدُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ بسيوفهم أَوْ يُخْرِجُوكَ من مكّة وذلك انّهم لمّا سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فَرِقوا واجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى امره فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا من نَجْد سمعتُ اجتماعكم فأردتُ ان احضركم ولن تُعْدَموا منّى رأيا ونُصْحا فقال ابو البَخْتَرى رأيى ان تحبسوه فى بيت وتسدّوا منافذه غيرَ كُوّة تُلْقون اليه طعامه وشرابه منها حتّى يموت فقال الشيخ بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلّصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضرّكم ما صنع فقال بئس الرأى يُفْسِد قوما غيرَكم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كلّ بطنٍ غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرّق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلّهم فاذا طلبوا العَقْلَ عَقَلْناه فقال صدق هذا الفتى فتفرّقوا على رأيه فأتى جبريل النبىّ صلعم واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيّت عليّا على مضجعه وخرج مع ابى بكر الى الغار وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ بردّ مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بأن اخرجهم الى بدر وقلّل المسلمين فى اعينهم حتّى حملوا عليهم فقتلوا وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ اذ لا يُؤْبَه بمكرهم دون مكره واسنادُ امثال هذا ممّا يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداءً لما فيه من ايهام الذمّ

(٣١) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسنادُ ما فعله رئيس القوم اليهم فانّه كان قاصّهم او قول الّذين ائتمروا فى امره عم وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاءوا وقد تحدّاهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثمّ قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يُغْلَبوا خصوصا فى باب البيان إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ما سطره الاوّلون من القصص

(٣٢) وَإِذْ قَالُوا ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَاءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ فى الجحود روى انّه لمّا قال النضر ان هذا الّا اساطير الاوّلين قال له النبىّ صلعم ويلك انّه كلام اللّه فقال ذلك والمعنى ان كان القران حقّا منزلا فامطر علينا الحجارة عقوبةً على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمرادُ منه التهكّم واظهار اليقين والجزم التامّ على كونه باطلا وقرئ ٱلْحَقُّ بالرفع على انّ هو مبتدأ غيرُ فصل وفائدةُ التعريف فيه الدلالة على انّ المعلّق به كونه حقّا بالوجه الّذى يدّعيه النبىّ صلعم وهو تنزيله لا الحقّ مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزّل كاساطير الاوّلين

(٣٣) وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ بيان لما كان الموجب

جزء ٩ لامهالهم والتوقّف فى اجابة دعائهم ، واللامُ لتأكيد النفى والدلالة على انّ تعذيبهم عذابَ استيصال
ركوع ١٨ والنبىّ صلعم بين اظهُرهم خارجٌ عن عادته غيرُ مستقيم فى قضائه ، والمرادُ باستغفارهم امّا استغفارُ من
بقى فيهم من المؤمنين او قولُهم اللّهمّ غفرانك او فرْضُه على معنى لو استغفروا لم يعذَّبوا كقوله تعالى
وما كان ربّك ليهلك القرى بظلم واهلها مُصْلحون (٣٤) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وما لهم ممّا يمنع
تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذَّبون وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وحالُهم ذلك ومِنْ
صدّهم عنه الجاءُ الرسول صلعم والمؤمنين الى الهجرة واحصارُهم عامَ الحُدَيْبِيَة وَمَا كَانُوا أَوْلِيَآءَهُ مستحقّين
ولاية امره مع شركهم وهو ردٌّ لما كانوا يقولون نحن وُلاةُ البيت والحرم فنصدّ من نشاء ونُدْخل من نشاء
إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ من الشرك الّذين لا يعبدون فيه غيرَه وقيل الضميران للّه وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
ان لا ولاية لهم عليه ، كانّه نبّه بالاكثر أنّ منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكلّ كما يراد بالقلّة
العدمُ (٣٥) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ ٱلْبَيْتِ اى دعاؤهم او ما يسمّونه صلوة او ما يضعون موضعها إِلَّا مُكَآءً
صفيرًا فُعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبُكا وَتَصْدِيَةً تصفيقا تفعلة من الصدا او من الصدّ
على ابدال احد حرْفَى التضعيف بالياء ، وقرئ صَلَاتَهُمْ بالنصب على انّه الخبر المقدّم ، ومساق الكلام لتقرير
استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم المسجد فانّها لا تليق بمن هذه صلاته روى انّهم كانوا يطوفون
بالبيت عُراةً الرجالُ والنساء مشبّكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفّقون وقيل كانوا يفعلون ذلك
اذا اراد النبىّ صلعم ان يصلّى يخلّطون عليه ويرون انّهم يصلّون فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ يعنى القتل والاسر
يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهودُ ائتنا بعذاب بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
اعتقادا وعملا (٣٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ نزلت فى المُطْعِمين يوم بدر
وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش يطعم كلّ واحد منهم كلّ يوم عشر جُزُر او فى ابى سفيان استأجر
ليوم أُحُد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقيّة او فى اصحاب
العير فانّه لمّا أُصيبَ قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمّد لعلّنا ندرك منه ثأرنا ففعلوا ،
والمراد بسبيل اللّه دينه واتّباع رسوله فَسَيُنْفِقُونَهَا بتمامها ولعلّ الاوّل إخبار عن انفاقهم فى تلك الحال
وهو انفاق بَدْر والثانى اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق أُحُد ويحتمل ان يراد بهما واحد
على انّ مساق الاوّل لبيان غرض الانفاق ومساق الثانى لبيان عاقبته وانّه لم يقع بعدُ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ
حَسْرَةً ندما وغمّا لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهى عاقبةُ انفاقها مبالغةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ
آخرَ الامر وإن كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك (٣٧) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا اى الّذين ثبتوا على الكفر منهم
اذ اسلم بعضهم إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ يساقون (٣٨) لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ الكافر من المؤمن
او الفساد من الصلاح واللامُ متعلّقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون فى عداوة رسول

جزء ٩ اللّه صلعم ممّا انفقه المسلمون فى نصرته والّلامُ متعلّقة بقوله ثمّ تكون عليهم حسرة ، وقرأ حمزة والكسائىّ
ركوع ١٨ ويعقوب لِيُمَيِّزَ من التمييز وهو ابلغ من الميز وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فيجمعه
ويضمّ بعضه الى بعض حتّى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضمّ الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال
الكافرين فَيَجْعَلَهُ فِى جَهَنَّمَ كلّه أُولٰٓئِكَ اشارة الى الخبيث لانّه مقدّر بالفريق الخبيث او الى المنفقين
ركوع ١٩ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ الكاملون فى الخسران لانّهم خسروا انفسهم واموالهم (٣٩) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يعنى ابا
سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم إِنْ يَنْتَهُوا عن معاداة الرسول صلعم بالدخول فى الاسلام يُغْفَرْ لَهُمْ
مَا قَدْ سَلَفَ من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انّه خاطبهم ويَغْفِرْ على البناء للفاعل وهو اللّه تعالى
وَإِنْ يَعُودُوا الى قتاله فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ الّذين تحزّبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر
فليتوقّعوا مثل ذلك (٤٠) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ لا يوجد فيهم شرك وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ
وتضمحلّ عنهم الاديان الباطلة فَإِنِ ٱنْتَهَوْا عن الكفر فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيجازيهم على انتهائهم
عنه واسلامهم وعن يعقوب تَعْمَلُونَ بالتاء على معنى فانّ اللّه بما تعملون من الجهاد والدعوة الى
الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالةً على انّه
كما يستدعى اثابتهم للمباشرة يستدعى اثابةَ مقاتليهم للتسبّب (٤١) وَإِنْ تَوَلَّوْا ولم ينتهوا فَٱعْلَمُوا أَنَّ
ٱللَّهَ مَوْلَاكُمْ ناصركم فثقوا به ولا تُبالوا بمعاداتهم نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ لا يَضيع من تولّاه وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ لا يُغْلَب
جزء ١٠ من نصره (٤٢) وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ اى الّذى اخذتموه من الكفّار قهرا مِنْ شَىْءٍ ممّا يقع عليه اسم الشىء
ركوع ١ حتّى الخيط فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ مبتدأٌ خبرُه محذوف اى فثابتٌ أنّ للّه خمسه وقرئ فَإِنَّ بالكسر ،
والجمهورُ على أنّ ذكر اللّه للتعظيم كما فى قوله واللّه ورسوله أحقُّ أَنْ يُرْضُوه وأنّ المراد قَسْم الخمس
على الخمسة المعطوفين وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فكانّه قال فانّ للّه
خمسه يُصْرَف الى هؤلاء الأخصّين به وحُكْمُه بعدُ باقٍ غيرَ أنّ سهم الرسول صلعم يُصْرَف الى ما كان يَصْرِفه
اليه من مَصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضى اللّه عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة
وقال ابو حنيفة رضه سقط سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار الكلّ مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن
مالك رضه الامر فيه مفوّض الى الامام يصرفه الى ما يراه اهمّ وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية فقال يُقْسَم
ستّةَ اقسام ويُصْرَف سهم اللّه الى الكعبة لما روى انّه عم كان يأخذ منه قُبْضةً فيجعلها للكعبة ثمّ يقسم
ما بقى على خمسة وقيل سهم اللّه لبيت المال وقيل مضموم الى سهم الرسول صلعم ، وذوو القربى بنو
هاشم وبنو المطّلب لما روى انّه عم قسم سهم ذوى القربى عليهما فقال له عثمان وجُبَيْر بن مُطْعِم رضى
اللّه عنهما هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا نُنْكِر فضلهم لمكانك الّذى جعلك اللّه منهم ارأيت اخواننا من
بنى المطّلب اعطيتهم وحرمتنا وانّما نحن وهم بمنزلة فقال عم انّهم لم يفارقونا فى جاهليّة ولا اسلام وشبّك
بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش الغنىّ والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص

جزء ١٠ بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كلّه لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان
ركوع ١ منهم والعطف للتخصيص ، والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايّام للنصف من شوّال على رأس عشرين شهرا من الهجرة إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِٱللّٰهِ متعلّق بمحذوف دلّ عليه واعلموا اى ان كنتم آمنتم باللّه فاعلموا انّه جعل الخمس لهؤلاء فسلّموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فانّ العلم العمليّ اذا أُمر به لم يُرَدْ منه العلم المجرّد لانّه مقصود بالعَرَض والمقصود بالذات هو العمل وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا محمّد صلعم من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عُبُدِنَا بضمّتين اى الرسول والمؤمنين يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يوم بدر فانّه فُرق فيه بين الحقّ والباطل يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ المسلمون والكافرون وَٱللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة (٤٣) إِذْ أَنْتُمْ بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا بدل من يوم الفرقان ، والعدوة بالحركات الثلاث شطّ الوادى وقد قرئ بها والمشهورُ الضمّ والكسر وهو قراءة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب وَهُمْ بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَى البُعْدَى من المدينة تأنيثُ الأَقْصَى وكان قياسُه قَلْبَ الواو ياء كالدُّنْيَا والعُلْيَا تفرقةً بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقَوَد وهو اكثر استعمالا من القُصْيَا وَٱلرَّكْبُ اى العير او قوّادها أَسْفَلَ مِنْكُمْ فى مكانٍ اسفلَ من مكانكم يعنى الساحل وهو منصوب على الظرف واقعٌ موقعَ الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتُها الدلالة على قوّة العدوّ واستظهارِهم بالركب وحرْصِهم على المقاتلة عنها وتوطينِ نفوسهم على ان لا يُخلّوا مَراكزَهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعفِ شأن المسلمين والتياثِ امرهم واستبعادِ غلبتهم عادةً وكذا ذكر مراكز الفريقين فانّ العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يُمْشَى فيها الّا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف القصوى وكذا قوله وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَادِ اى لو تواعدتم انتم وهم القتالَ ثمّ علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد هيبةً منهم ويأسا عن الظفر عليهم ليتحقّقوا انّ ما اتّفق لهم من الفتح ليس الّا صنعا من اللّه تعالى خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا وَلٰكِنْ جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد لِيَقْضِيَ ٱللّٰهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا حقيقا بأن يُفعَل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله (٤٤) لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ بدل منه او متعلّق بقوله مفعولا والمعنى ليموتَ من يموتُ عن بيّنة عاينَها ويعيشَ من يعيش عن حجّة شاهدَها لئلّا يكون له حجّةٌ ومعذرةٌ فانّ وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفرُ من كفر وايمانُ من آمن عن وضوح بيّنة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حيّ المُشارِف للهلاك والحيوة او من هذا حاله فى علم اللّه وقضائه ، وقرئ لِيَهْلَكَ بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب مَنْ حَيِيَ بفكّ الادغام للحمل على المستقبل وَإِنَّ ٱللّٰهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ بكفرِ من كفر وعقابه وايمانِ من آمن وثوابه ولعلّ الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد (٤٥) إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللّٰهُ فِي

مَنَامِكَ قَلِيلًا مقدّر باذكر او بدل ثانٍ من يوم الفرقان او متعلّق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقلّلهم فى جزء ١٠
عينك فى رؤياك وهو أن تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوّهم وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ ركوع ١
لجبنتم وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فى امر القتال وتفرّقت آراؤكم بين الثبات والفرار وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ انعم بالسلامة
من الفشل والتنازع إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ يعلم ما سيكون فيها وما يغيّر احوالها (٤٦) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ
إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا الضميران مفعولا يُرى وقليلا حال من الثانى وانّما قلّلهم فى اعين المسلمين
حتّى قال ابن مسعود رضه لمن الى جنبه اتُراهم سبعين فقال أُراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا رسول
اللّه صلعم وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ حتّى قال ابو جهل انّ محمّدا واصحابه أَكَلَةُ جَزور قلّلهم فى اعينهم قبل
التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدّوا لهم ثمّ كثّرهم حتّى يرونهم مثْلَيهم لتفجأهم الكثرة
فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة فانّ البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا
والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحدّ وانّما يتصوّر ذلك بصدّ اللّه الأبصار عن ابصار
بعض دون بعض مع التساوى فى الشروط لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا كرّره لاختلاف الفعل المعلّل به
او لانّ المراد بالامر ثمّ الالتقاء على الوجه المحكىّ وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه
وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٤٧) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً حاربتم جماعة ولم يصفها لانّ المؤمنين ركوع ٢
ما كانوا يلقون الّا الكفّار واللقاء ممّا غلب فى القتال فَٱثْبُتُوا للقائهم وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا فى مواطن الحرب
داعين له مستظهرين بذكره مترقّبين لنصره لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة
وفيه تنبيه على انّ العبد ينبغى ان لا يشغله شىء عن ذكر اللّه وأن يلتجئ اليه عند الشدائد ويُقبل
عليه بشراشره فارغ البال واثقا بانّ لطفه لا ينفكّ عنه فى شىء من الاحوال (٤٨) وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا
تَنَازَعُوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر وأُحد فَتَفْشَلُوا جواب النهى وقيل عطف عليه ولذلك قرئ
وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ بالجزم ، والريح مستعارة للدولة من حيث انّها فى تمشّى امرها ونفاذه مشبّهة بها فى
هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فانّ النصرة لا تكون الّا بريح يبعثها اللّه وفى الحديث نُصرت
بالصبا وأُهلكت عادٌ بالدبور وَٱصْبِرُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ بالكلاءة والنصرة (٤٩) وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ
خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ يعنى اهل مكّة حين خرجوا منها لحماية العير بَطَرًا فخرا وأَشرا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ليثنوا
عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انّهم لمّا بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابى سفيان أن ارجعوا فقد
سلمتْ عيرُكم فقال ابو جهل لا واللّه حتّى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيانُ ونُطعم
بها مَنْ حضرنا من العرب فوافوها ولكن سُقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان
يكونوا امثالهم بَطِرين مُرائين وأمرهم بأن يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث انّ النهى عن
الشىء امر بضدّه وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ معطوف على بطرا إن جعل مصدرا فى موضع الحال وكذا

جزء ١٠ ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ فيجازيهم عليه (٥٠) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ
ركوع ٢ مقدّر باذكر أَعْمَالَهُمْ فى معاداة الرسول وغيرها بأن وسوس اليهم وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ مقالة نفسانيّة والمعنى انّه القى فى روعهم وخيّل اليهم انّهم لا يُغلَبون ولا يُطاقون لكثرة عَدَدهم وعُدَدهم واوهمهم انّ اتباعهم ايّاه فيما يظنّون انّها قُربات مُجيرٌ لهم حتّى قالوا اللّهمّ انصرْ اهدى الفئتَيْن وافضل الدينَيْن ، ولَكُمْ خبرُ لا غالبَ او صفته وليس صلته والّا لانتصب كقولك لا ضاربًا زيدًا عندنا فَلَمَّا تَرَاءَتِ ٱلْفِئَتَانِ اى تلاقى الفريقان نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ رجع القهقرى اى بطل كيده وعاد ما خيّل اليهم انّه مجيرهم سببَ هلاكهم وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ اى تبرّأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لمّا رأى امداد اللّه المسلمين بالملائكة وقيل لمّا اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحْنة وكاد ذلك يَثْنيهم فتمثّل لهم ابليس بصورة سُراقة بن مالك الكنانىّ وقال لا غالب لكم اليوم وأنّى مجيركم من بنى كنانة فلمّا رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى اين أتخذلنا فى هذه الحالة فقال انّى ارى ما لا ترون ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلمّا بلغوا مكّة قالوا هزم الناسَ سراقةُ فبلغه ذلك فقال واللّه ما شعرت بمسيركم حتّى بلغتنى هزيمتكم فلمّا اسلموا علموا انّه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكونَ معنى قوله انّى اخاف اللّه انّى اخافه أن يصيبنى مكروهًا من الملائكة او يهلكنى ويكونَ الوقتُ هو الوقتَ المعهودَ اذ رأى فيه ما لم يَرَ قبله والاوّل ما قاله الحسن واختاره ابن بحر وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ
ركوع ٣ يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون مستأنفًا (٥١) إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ والذين لم يطمئنّوا الى الايمان بعدُ وبقى فى قلوبهم شبهةٌ وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غَرَّ هَٰؤُلَاءِ يعنون المؤمنين دِينُهُمْ حتّى تعرّضوا لما لا يَدَىْ لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعةَ عشرَ الى زهاء أَلْف وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ جواب لهم فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غالب لا يذلّ من استجار به وان قلّ حَكِيمٌ يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه (٥٢) وَلَوْ تَرَىٰ ولو رايت فانّ لَوْ تجعل المضارع ماضيا عكسَ إنْ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْمَلَائِكَةُ ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرةَ او حالَهمْ حينئذ والملائكة فاعل يتوفّى ويدلّ عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اللّه عزّ وجلّ وهو مبتدأٌ خبرُه يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ والجملة حال من الّذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاوّل حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين وَأَدْبَارَهُمْ ظهورهم او أستاههم ولعلّ المراد تعميم الضرب اى يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ عطف على يضربون على اضمار القول اى ويقولون ذوقوا بشارةً لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مَقامعُ من حديد كلّما ضربوا التهبت النار منها ، وجوابُ لَوْ محذوف لتفظيع الامر وتهويله (٥٣) ذَٰلِكَ الضرب والعذاب بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ بسبب ما كسبتم من الكفر

جزء ١٠ والمعاصى وهو خبر لذٰلِكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ عطف على ما للدلالة على ان سببيّته مقيّدة
ركوع ٣ بانضمامه اليه اذ لولاه لأمكن ان يعذّبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذّبهم بذنوبهم فانّ ترك التعذيب
من مستحقّه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتّى ينتهض نفى الظلم سببا للتعذيب ، وظلّام للتكثير لاجل
العبيد (٥٤) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ اى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الّذى دأبوا
٥ فيه اى داموا عليه وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من قبل آل فرعون كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ تفسير لدأبهم فَأَخَذَهُمُ
ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ كما اخذ هؤلاء إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ لا يغلبه فى دفعه شىء (٥٥) ذٰلِكَ اشارة الى ما
حلّ بهم بِأَنَّ ٱللَّهَ بسبب انّ اللّه لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ مبدّلا ايّاها بالنقمة حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنْفُسِهِمْ يبدّلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم فى صلة الرحم والكفّ عن
تعرّض الآيات والرسل بمعاداة الرسول عم ومن تبعه منهم والسعى فى اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات
١٠ والاستهزاء بها الى غير ذلك ممّا احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير اللّه ما انعم عليهم
حتّى يغيّروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جرى عادته تعالى على تغييره متى يغيّروا حالهم ، وأصل يَكُ
يَكُونُ فحذفت الحركة للجزم ثمّ الواو لالتقاء الساكنين ثمّ النون لشبهه بالحروف الليّنة تخفيفا
وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ لما يقولون عَلِيمٌ بما يفعلون (٥٦) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم
١٥ بقوله بآيات ربّهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاوّل لتشبيه الكفر والاخذ به والثانى لتشبيه
التغيير فى النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم وَكُلٌّ من الفرق المكذّبة او من غرقى القبط وقتلى قريش
كَانُوا ظَالِمِينَ انفسهم بالكفر والمعاصى (٥٧) إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا اصرّوا على الكفر
ورسخوا فيه فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ فلا يُتوقّع منهم ايمان ولعلّه اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانّهم
لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على انّ تحقّق المعطوف عليه يستدعى تحقّق المعطوف وقوله
٢٠ (٥٨) ٱلَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ بدل من الّذين كفروا بدل البعض للبيان
والتخصيص وهم يهود قُرَيْظة عاهدهم رسول اللّه صلعم ان لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح
وقالوا نسينا ثمّ عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكّة
فحالفهم ، ومِنْ لتضمين المعاهدة معنى الاخذ ، والمرادُ بالمرّة مرّة المعاهدة او المحاربة وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ سُبّة
الغدر ومغبّته او لا يتّقون اللّه فيه او نَصْرَه المؤمنين وتسليطه ايّاهم عليهم (٥٩) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فامّا تصادفنّهم
٢٥ وتظفرنّ بهم فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ ففرّق عن مناصبتك ونكّل عنها بقتلهم والنكاية فيهم مَنْ خَلْفَهُمْ
من وراءهم من الكفرة ، والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فَشَرِّذْ بالذال المعجمة وكانّه مقلوب

جزء ۹ الرعب فى قلوبهم روى انّه لمّا طلعت قريش من العَقَنْقَل قال عم هذه قريش جاءت بخُيَلائها وفخرها
ركوع ۱۶ يكذّبون رسولك اللّهمّ انّى اسألك ما وعدتنى فأتاه جبريل عم وقال له خُذْ قُبْضة من تراب فارْمِهم بها
فلمّا التقى الجمعان تناول كفّا من الحصباء فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الّا
شُغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثمّ لمّا انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول
الرجل قتلتُ واسرتُ فنزلت ، والفاء جوابُ شرط محذوف تقديرُه إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكنّ
اللّه قتلهم وَمَا رَمَيْتَ يا محمّد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اِذْ رَمَيْتَ اى اذ اتيت بصورة
الرمى وَلٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَى اتى بما هو غاية الرمى فاوصلها الى اعينهم جميعا حتّى انهزموا وتمكّنتم من قطع
دابرهم وقد عرفتَ انّ اللفظ يطلق على المسمّى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت
بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكنّ اللّه رمى بالرعب فى قلوبهم وقيل انّه نزل فى طعنة طَعَنَ بها أُبَىَّ بن
خَلَف يوم أُحُد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتّى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب
كِنانةَ بن ابى الحقيق على فراشه والجمهورُ على الاوّل ، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائىّ وَلٰكِنِ بالتخفيف
ورفعِ ما بعده فى الموضعين وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا وليُنْعِم عليهم نعمةً عظيمةً بالنصر والغنيمة
ومشاهدة الآيات فعل ما فعل إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ لاستغاثتهم ودعائهم عَلِيمٌ بنيّاتهم واحوالهم (۱۸) ذٰلِكُمْ اشارة
الى البلاء الحسن او القتلِ او الرميِ ومحلّه الرفع اى المقصودُ او الامرُ ذلكم وقوله وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
ٱلْكَافِرِينَ معطوف عليه اى المقصود ابلاءُ المؤمنين وتوهينُ كيد الكافرين وابطالُ حِيَلهم ، وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو مُوَهِّنٌ بالتشديد وحفص مُوهِنُ كَيْدِ بالاضافة والتخفيف (۱۹) إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ
خطاب لاهل مكّة على سبيل التهكّم وذلك انّهم حين ارادوا الخروج تعلّقوا باستار الكعبة وقالوا اللّهمّ
انصرْ اعلى الجُنْدَيْن واهدى الفئتَيْن واكرم الحِزْبَيْن وَإِنْ تَنْتَهُوا عن الكفر ومعاداة الرسول فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
لتضمّنه سلامة الدارَيْن وخير المنزلَيْن وَإِنْ تَعُودُوا لمحاربته نَعُدْ لنصرته وَلَنْ تُغْنِيَ ولن تدفع عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ
جماعتكم شَيْئًا من الاغناء او المضارّ وَلَوْ كَثُرَتْ فئتكم وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بالنصر والمعونة وقرأ نافع
وابن عامر وحفص وَأَنَّ بالفتح على تقدير ولأنّ اللّه مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين
والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة عمّا يستأثره الرسول فهو
خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدوّ ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن اللّه معكم
ركوع ۱۷ بالنصر فانّه مع الكاملين فى ايمانهم ويؤيّد ذلك (۲۰) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ
اى ولا تتولّوا عن الرسول فانّ المراد من الآية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكرُ طاعة اللّه
تعالى للتوطئة والتنبيه على انّ طاعة اللّه فى طاعة الرسول لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع اللّه
وقيل الضمير للجهاد او للامر الّذى دلّ عليه الطاعة وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ القرآن والمواعظ سماعَ فهم وتصديق

جزء ٩ ركوع ١٧

(٢١) وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا كالكفرة والمنافقين ٱلَّذِين ادّعوا السماع وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ سماعا ينتفعون به فكانّهم لا يسمعون رأسا (٢٢) إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِنْدَ ٱللَّهِ شرّ ما يدبّ على الارض او شرّ البهائم ٱلصُّمُّ عن الحقّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ايّاه عدّهم من البهائم ثمّ جعلهم شرّها لابطالهم ما ميّزوا وفضّلوا لاجله (٢٣) وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا سعادة كُتبت لهم او انتفاعا بالآيات لَأَسْمَعَهُمْ سماع تفهّم وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ وقد علم ان لا خير فيهم لَتَوَلَّوْا ولم ينتفعوا به او ارتدّوا بعد التصديق والقبول وَهُمْ مُعْرِضُونَ لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبيّ صلعم أَحْيِ لنا قُصَيًّا فانّه كان شيخا مباركا حتّى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لأسمعهم كلام قصيّ (٢٤) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ بالطاعة إِذَا دَعَاكُمْ وحّد الضمير فيه لما سبق ولانّ دعوة اللّه تُسْمَع من الرسول وروى انّه عم مرّ على أُبَيّ وهو يصلّي فدعاه فعجل في صلاته ثمّ جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلّي قال الم تُخْبَر فيما اوحى الىّ استجيبوا للّه وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لانّ اجابته لا تقطع الصلوة فانّ الصلوة ايضا اجابة وقيل لانّ دعاءه كان لأمر لا يحتمل التأخير وللمصلّي أن يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاوّل لِمَا يُحْيِيكُمْ من العلوم الدينيّة فانّها حيوة القلب والجهل موته قال

لا تُعْجِبَنَّ الجَهُولَ حُلَّتُه   فذاك مَيْتٌ وثَوْبُه كَفَن

او ممّا يورثكم الحيوة الابديّة في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانّه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدوّ وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل أحياء عند ربّهم وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ تمثيلٌ لغاية قُرْبه من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيهٌ على انّه مطّلع على مكنونات القلوب ممّا عسى يغفل عنه صاحبها او حثٌّ على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول اللّه بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصويرٌ وتخييلٌ لتملّكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغيّر مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته ، وقرئ ٱلْمَرِّ بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدّد فيه وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ فيجازيكم باعمالكم (٢٥) وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً اتّقوا ذنبا يعمّكم أثره كاقرار المُنْكَر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البِدَع والتكاسل في الجهاد على انّ قوله لا تصيبنّ امّا جوابُ الامر على معنى إنْ اصابتكم لا تُصِب الظالمين منكم خاصّة وفيه انّ جواب الشرط متردّد فلا يليق به النون المؤكّدة لكنّه لمّا تضمّن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم وامّا صفةٌ لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لانّ النون لا تدخل المنفيّ في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله

حتّى اذا جَنَّ الظلامُ واختلطْ   جاءوا بمَذْقٍ هل رأيتَ الذئبَ قطْ

جزء ٩ وامّا جوابُ قسمٍ محذوف لقراءة من قرأ لَتُصيبَنّ وان اختلفا فى المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد
ركوع ١٧ الامر باتّقاء الذنب عن التعرّض للظلم فانّ وباله يصيب الظالم خاصّة ويعود عليه ومِنْ فى منكم على
الوجوه الأُوَل للتبعيض وعلى الاخيرَيْن للتبيين وفائدتُه التنبيه على انّ الظلم منكم اقبح من غيركم
وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٢٦) وَٱذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ارض مكّة
يستضعفكم قريش والخطابُ للمهاجرين وقيل للعرب كافّةً فانّهم كانوا اذلّاء فى ايدى فارس والروم
تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ كفّار قريش او مَنْ عداهم فانّهم كانوا جميعا مُعادين مضادّين لهم
فَآوَاكُمْ الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصّنون به عن اعاديكم وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ على الكفّار او
بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يومَ بدر وَرَزَقَكُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ من الغنائم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ هذه النعم
(٢٧) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ بتعطيل الفرائض والسُنَن او بأن تُضمِروا خلافَ ما
تُظهِرون او بالغلول فى الغنائم وروى انّه عم حاصر بنى قُرَيْظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصُلحَ كما
صالح اخوانَهم بنى النَضير على ان يسيروا الى اخوانهم بأذْرِعات وأَرِيحا من الشأم فأبى الّا ان ينزلوا على
حكم سعد بن مُعاذ فأبوا وقالوا ارسل الينا ابا لُبابة وكان مناصحا لهم لانّ عياله وماله فى ايديهم
فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه أنّه الذبح قال ابو لبابة فما زالت
قَدَماىَ حتّى علمتُ انّى قد خُنْتُ اللّه ورسوله فنزلت فشدّ نفسه على سارية فى المسجد وقال واللّه لا
اذوق طعاما ولا شرابا حتّى اموت او يتوب اللّه علىّ فمكث سبعة ايّام حتّى خرّ مغشيّا عليه ثمّ تاب
اللّه عليه فقيل له قد تِيبَ عليك فحلّ نفسك فقال لا واللّه لا احلّها حتّى يكون رسول اللّه هو الّذى
يحلّنى فجاءه فحلّه بيده فقال انّ من تمام توبتى أن اهجر دارَ قومى الّتى اصبتُ فيها الذنب وان انخلع
من مالى فقال عم يُجْزِئك الثلث أن تتصدّق به ، وأصل الخون النقص كما انّ اصل الوفاء التمام واستعماله
فى ضدّ الامانة لتضمّنه ايّاه وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاوّل او منصوب
على الجواب بالواو وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ انّكم تخونون او وانتم علماء تميّزون الحسن من القبيح (٢٨) وَٱعْلَمُوا
أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ لانّهم سبب الوقوع فى الاثم او العقاب او محنة من اللّه ليبلوكم فيهم فلا
يحملنّكم حُبّهم على الخيانة كأبى لبابة وَأَنَّ ٱللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ لمن آثر رِضَى اللّه عليهم وراعى حدوده
ركوع ١٨ فيهم فأنيطوا همكم لما يؤدّيكم اليه (٢٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا هداية فى
قلوبكم تفرقون بها بين الحقّ والباطل او نصرا يفرق بين المُحِقّ والمُبطِل باعزاز المؤمنين واذلال
الكافرين او مَخْرَجا من الشبهات او نجاة عمّا تحذرون فى الدارين او ظهورا يشهّر امركم وبَثَّ
صيتكم من قولهم بتُّ افعل كذا حتّى سطع الفرقانُ اى الصبح وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ويسترها وَيَغْفِرْ لَكُمْ
بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيّآت الصغائرَ والذنوبَ الكبائرَ وقيل المراد ما تقدّم وما تأخّر لانّها فى
اهل بدر وقد غفرها اللّه لهم وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ تنبيه على انّ ما وعده لهم على التقوى

تفضّل منه واحسان وانّه ليس ممّا يوجب تفواهم عليه كالسيّد اذا وعد عبده انعاما على عمل (٣٠) وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكّة ليشكر نعمة اللّه فى خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك لِيُثْبِتُوكَ بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتّى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ لِيُثَبِّتُوكَ بالتشديد ولِيُبَيِّتُوكَ من البيات ولِيُقَيِّدُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ بسيوفهم أَوْ يُخْرِجُوكَ من مكّة وذلك انّهم لمّا سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى امره فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا من نجد سمعتُ اجتماعكم فأردتُ ان احضركم ولن تعدموا منّى رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيى ان تحبسوه فى بيت وتسدّوا منافذه غير كوّة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتّى يموت فقال الشيخ بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلّصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضرّكم ما صنع فقال بئس الرأى يُفسد قوما غيرَكم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كلّ بطنٍ غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرّق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلّهم فاذا طلبوا العَقْلَ عَقَلْنَاه فقال صدق هذا الفتى فتفرّقوا على رأيه فأتى جبريلُ النبىَّ صلعم واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيّت عليّا على مضجعه وخرج مع ابى بكر الى الغار وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللّٰهُ بردّ مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بأن اخرجهم الى بدر وقلّل المسلمين فى اعينهم حتّى حملوا عليهم فقتلوا وَٱللّٰهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ اذ لا يُؤبَه بمكرهم دون مكره واسنادُ امثال هذا ممّا يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذمّ (٣١) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَا هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسنادُ ما فعله رئيس القوم اليهم فانّه كان قاصّهم او قول الّذين ائتمروا فى امره عم وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاءوا وقد تحدّاهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثمّ قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يُغلبوا خصوصا فى باب البيان إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ما سطره الاوّلون من القصص (٣٢) وَإِذْ قَالُوا ٱللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ فى الجحود روى انّه لمّا قال النضر ان هذا الّا اساطير الاوّلين قال له النبىّ صلعم ويلك انّه كلام اللّه فقال ذلك والمعنى ان كان القران حقّا منزّلا فامطر علينا الحجارة عقوبةً على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمرادُ منه التهكّم واظهار اليقين والجزم التامّ على كونه باطلا وقرئ ٱلْحَقُّ بالرفع على انّ هو مبتدأ غيرُ فصل وفائدةُ التعريف فيه الدلالة على انّ المعلّق به كونه حقّا بالوجه الّذى يدّعيه النبىّ صلعم وهو تنزيله لا الحقّ مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزّل كاساطير الاوّلين (٣٣) وَمَا كَانَ ٱللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ بيان لما كان الموجب

جزء ٩ لامهالهم والتوقّف فى اجابة دعائهم ، واللامُ لتأكيد النفى والدلالة على انّ تعذيبهم عذابَ استيصال
ركوع ١٨ والنبىُّ صلعم بين اظهُرِهم خارجٌ عن عادته غيرُ مستقيم فى قضائه ، والمرادُ باستغفارهم امّا استغفارُ من بقى فيهم من المؤمنين او قولُهم اللّهمّ غفرانك او فَرْضُه على معنى لو استغفروا لم يعذَّبوا كقوله تعالى وما كان ربّك ليهلك القرى بظلم واهلها مُصْلِحون (٣٤) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وما لهم ممّا يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذّبون وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وحالُهم ذلك ومِنْ صدّهم عنه الجاء الرسول صلعم والمؤمنين الى الهجرة واحصارُهم عامَ الحُدَيْبِيَة وَمَا كَانُوا أَوْلِيَآءَهُ مستحقّين ولاية امره مع شركهم وهو ردٌّ لما كانوا يقولون نحن وُلاة البيت والحرم فنصدّ من نشاء ونُدْخل من نشاء إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ من الشرك الّذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أن لا ولاية لهم عليه ، كانّه نبّه بالاكثر أنّ منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكلّ كما يراد بالقلّة العدمُ (٣٥) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ اى دعاؤهم او ما يسمّونه صلوة او ما يضعون موضعها إِلَّا مُكَآءً صفيرا فُعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبُكا وَتَصْدِيَةً تصفيقا تفعلة من الصدا او من الصدّ على ابدال احد حرفَى التضعيف بالياء ، وقرئ صَلَاتَهُمْ بالنصب على انّه الخبر المقدّم ، ومساقُ الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم المسجد فانّها لا تليق بمن هذه صلاته روى انّهم كانوا يطوفون بالبيت عُراةً الرجالُ والنساء مشبّكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفّقون ، وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبىّ صلعم ان يصلّى يخلّطون عليه ويُرون انّهم يصلّون فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ يعنى القتل والاسر يومَ بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهودُ ائتنا بعذاب بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ اعتقادا وعملا (٣٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ نزلت فى المُطْعِمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش يطعم كلّ واحد منهم كلّ يوم عشر جُزُر او فى ابى سفين استأجر ليوم أُحُد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين أوقيّة او فى اصحاب العير فانّه لمّا أُصيبَ قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمّد لعلّنا ندرك منه ثأرنا ففعلوا ، والمراد بسبيل اللّه دينه واتّباع رسوله فَسَيُنفِقُونَهَا بتمامها ولعلّ الاوّل اخبار عن انفاقهم فى تلك الحال وهو انفاق بدر والثانى اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق أُحُد ويحتمل ان يراد بهما واحد على انّ مساق الاوّل لبيان غرض الانفاق ومساق الثانى لبيان عاقبته وانّه لم يقع بعدُ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ندما وغمّا لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهى عاقبة انفاقها مبالغة ثُمَّ يُغْلَبُونَ آخرَ الامر وان كان الحرب بينهم سجا[illegible] (٣٧) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا اى الّذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ [illegible] لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلّقة [illegible] او ما انفقه المشركون فى عداوة رسول

اللّه صلعم ممّا انفقه المسلمون فى نصرته والّلامُ متعلّقة بقوله ثمّ تكون عليهم حسرة ؛ وقرأ حمزة والكسائىّ جزء ٩
ويعقوب لِيُمَيِّزَ من التمييز وهو ابلغ من الميز وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فيجمعه ركوع ١٨
ويضمّ بعضه الى بعض حتّى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضمّ الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال
الكافرين فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ كلّه أُولَٰٓئِكَ اشارة الى الخبيث لانّه مقدّر بالفريق الخبيث او الى المنفقين
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ الكاملون فى الخسران لانّهم خسروا انفسهم واموالهم (٣٩) قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا يعنى ابا ركوع ١٩
سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم إِن يَنتَهُوا عن معاداة الرسول صلعم بالدخول فى الاسلام يُغْفَرْ لَهُم
مَّا قَدْ سَلَفَ من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انّه خاطبهم ويَغْفِرْ على البناء للفاعل وهو اللّه تعالى
وَإِن يَعُودُوا الى قتاله فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ الّذين تحزّبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر
فليتوقّعوا مثل ذلك (٤٠) وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ لا يوجد فيهم شرك وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ
وتضمحلّ عنهم الاديان الباطلة فَإِنِ ٱنتَهَوْا عن الكفر فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيجازيهم على انتهائهم
عنه واسلامهم وعن يعقوب تَعْمَلُونَ بالتاء على معنى فانّ اللّه بما تعملون من الجهاد والدعوة الى
الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انّه
كما يستدعى اثابتهم للمباشرة يستدعى اثابة مقاتليهم للتسبّب (٤١) وَإِن تَوَلَّوْا ولم ينتهوا فَٱعْلَمُوٓا أَنَّ
ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ناصركم فثقوا به ولا تُبالوا بمعاداتهم نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ لا يضيع من تولّاه وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ لا يُغلَب
من نصره (٤٢) وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم اى الّذى اخذتموه من الكفّار قهرا مِّن شَىْءٍ ممّا يقع عليه اسم الشىء جزء ١٠
حتّى الخيط فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ مبتدأ خبره محذوف اى فثابتٌ أَنّ للّه خمسه وقرئ فَإِنَّ بالكسر ؛ ركوع ١
والجمهورُ على أنّ ذكر اللّه للتعظيم كما فى قوله واللّه ورسوله أحقّ أن يُرضوه وأنّ المراد قَسْم الخمس
على الخمسة المعطوفين وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فكانّه قال فانّ للّه
خمسه يُصْرَف الى هؤلاء الأخصّين به وحُكْمُه بعدُ باقٍ غيرَ أنّ سهم الرسول صلعم يُصْرَف الى ما كان يَصْرِفه
اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضى اللّه عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة
وقال ابو حنيفة رضه سقط سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار الكلّ مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن
مالك رضه الامر فيه مفوّض الى الامام يصرفه الى ما يراه اهمّ وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية فقال يُقْسَم
ستّة اقسام ويُصْرَف سهم اللّه الى الكعبة لما روى انّه عم كان يأخذ منه قُبْضة فيجعلها للكعبة ثمّ يقسم
ما بقى على خمسة وقيل سهم اللّه لبيت المال وقيل مضموم الى سهم الرسول صلعم ؛ وذوو القربى بنو
هاشم وبنو المطّلب لما روى انّه عم قسم سهم ذوى القربى عليهما فقال له عثمان وجُبَيْر بن مُطْعِم رضى
اللّه عنهما هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا نُنْكِر فضلهم لمكانك الّذى جعلك اللّه منهم ارأيت اخواننا من
بنى المطّلب اعطيتهم وحرمتنا وانّما نحن وهم بمنزلة فقال عم انّهم لم يفارقونا فى جاهليّة ولا اسلام وشبّك
بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش الغنىّ والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص

جزء ۹ لامهالهم والتوقّف فى اجابة دعائهم ، واللامُ لتأكيد النفى والدلالة على انّ تعذيبهم عذابَ استيصال
ركوع ۱۸ والنبىّ صلعم بين اظهرهم خارجٌ عن عادته غيرُ مستقيم فى قضائه ، والمرادُ باستغفارهم امّا استغفارُ من بقى فيهم من المؤمنين او قولُهم اللّهمّ غفرانك او فرْضُه على معنى لو استغفروا لم يعذّبوا كقوله تعالى وما كان ربّك ليهلك القرى بظلم واهلها مُصْلحون (۳۴) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وما لهم ممّا يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذّبون وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وحالُهم ذلك ومن صدّهم عنه الجاء الرسول صلعم والمؤمنين الى الهجرة واحصارُهم عامَ الحُدَيْبِيَة وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ مستحقّين ولاية امره مع شركهم وهو ردٌّ لما كانوا يقولون نحن وُلاة البيت والحرم فنصدّ من نشاء ونُدخل من نشاء إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ من الشرك الّذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران للّه وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أن لا ولاية لهم عليه ، كأنّه نبّه بالاكثر أنّ منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكلّ كما يراد بالقلّة العدمُ (۳۵) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ اى دعاؤهم او ما يسمّونه صلوة او ما يضعون موضعها إِلَّا مُكَآءً صفيرا فُعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبُكا وَتَصْدِيَةً تصفيقا تفعلة من الصدا او من الصدّ على ابدال احد حرْفَى التضعيف بالياء ، وقرئ صَلَاتَهُمْ بالنصب على انّه الخبر المقدّم ، ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم المسجد فانّها لا تليق بمن هذه صلاته روى انّهم كانوا يطوفون بالبيت عُراةً الرجال والنساء مشبّكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفّقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبىّ صلعم ان يصلّى يخلّطون عليه ويُرون انّهم يصلّون فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ يعنى القتل والاسر يومَ بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهودُ ائتنا بعذاب بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ اعتقادا وعملا (۳۶) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ نزلت فى المُطْعِمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش يطعم كلّ واحد منهم كلّ يوم عشر جُزُر او فى ابى سفيان استأجر ليوم أُحُد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقيّة او فى اصحاب العير فانّه لمّا أُصيبَ قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمّد لعلّنا ندرك منه ثأرنا ففعلوا ، والمراد بسبيل اللّه دينه واتّباع رسوله فَسَيُنفِقُونَهَا بتمامها ولعلّ الاوّل اخبار عن انفاقهم فى تلك الحال وهو انفاقُ بَدْر والثانى اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاقُ أُحُد ويحتمل ان يراد بهما واحد على انّ مساق الاوّل لبيان غرض الانفاق ومساق الثانى لبيان عاقبته وأنّه لم يقع بعدُ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ندما وغمّا لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهى عاقبةُ انفاقها مبالغةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ آخرَ الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك (۳۷) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ اى الّذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ يساقون (۳۸) لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللامُ متعلّقة بيحشرون او يغلبون. او ما انفقه المشركون فى عداوة رسول

الله صلعم مما انفقه المسلمون فى نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة ٬ وقرأ حمزة والكسائى جزء ٩
ويعقوب لِيُمَيِّزَ من التمييز وهو ابلغ من الميز وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فيجمعه ركوع ١٨
ويضمّ بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضمّ الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال
الكانزين فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ كله أُولَٰٓئِكَ اشارة الى الخبيث لانه مقدّر بالفريق الخبيث او الى المنفقين
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ الكاملون فى الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم (٣٩) قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا يعنى ابا ركوع ١٩
سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم إِن يَنتَهُوا عن معاداة الرسول صلعم بالدخول فى الاسلام يُغْفَرْ لَهُم
مَّا قَدْ سَلَفَ من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انّه خاطبهم ويَغْفِرْ على البناء للفاعل وهو الله تعالى
وَإِن يَعُودُوا الى قتاله فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ الذين تحزّبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر
فليتوقّعوا مثل ذلك (٤٠) وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ لا يوجد فيهم شرك وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ
وتضمحلّ عنهم الاديان الباطلة فَإِنِ ٱنتَهَوْا عن الكفر فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيجازيهم على انتهائهم
عنه واسلامهم وعن يعقوب تَعْمَلُونَ بالتاء على معنى فانّ الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى
الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالةً على انّه
كما يستدعى اثابتهم للمباشرة يستدعى اثابة مقاتليهم للتسبّب (٤١) وَإِن تَوَلَّوْا ولم ينتهوا فَٱعْلَمُوٓا أَنَّ
ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ناصركم فثقوا به ولا تُبالوا بمعاداتهم نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ لا يضيع من تولاه وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ لا يُغْلَب
من نصره (٤٢) وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم اى الذى اخذتموه من الكفّار قهرا مِّن شَىْءٍ مما يقع عليه اسم الشىء جزء ١٠
حتى الخيط فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ مبتدأ خبره محذوف اى فثابت أَنَّ لله خمسه وقرئ فَإِنَّ بالكسر ٬ ركوع ١
والجمهور على أَنّ ذكر الله للتعظيم كما فى قوله والله ورسوله أحقّ أن يرضوه وأنّ المراد قَسْم الخمس
على الخمسة المعطوفين وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فكانّه قال فانّ لله
خمسه يُصْرَف الى هؤلاء الأخصّين به وحُكْمه بعدُ باقٍ غيرَ أنّ سهم الرسول صلعم يُصْرَف الى ما كان يَصْرِفه
اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضى الله عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة
وقال ابو حنيفة رضه سقط سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار الكلّ مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن
مالك رضه الامر فيه مفوّض الى الامام يصرفه الى ما يراه اهمّ وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية فقال يُقْسَم
ستّة اقسام ويُصْرَف سهم الله الى الكعبة لما روى انّه عم كان يأخذ منه قبضةً فيجعلها للكعبة ثمّ يقسم
ما بقى على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل مضموم الى سهم الرسول صلعم ٬ وذوو القربى بنو
هاشم وبنو المطّلب لما روى انّه عم قسم سهم ذوى القربى عليهما فقال له عثمان وجُبَيْر بن مُطْعِم رضى
الله عنهما هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا نُنْكِر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم أرأيت اخواننا من
بنى المطّلب اعطيتهم وحرمتنا وانّما نحن وهم بمنزلة فقال عم انّهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام وشبّك
بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش الغنىّ والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص

جزء ١٠ بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كلّه لهم والمراد
ركوع ١ منهم والعطف للتخصيص ، والآية نزلت ببدر وقيل كان

وثلاثة ايّام للنصف من شوّال على رأس عشرين شهرا من الهجـ
دلّ عليه واعلموا اى ان كنتم آمنتم باللّه فاعلموا انّه جعـ
بالاخماس الاربعة الباقية فانّ العلم العمليّ اذا أُمر به لم يُرَدْ منه ا
بالذات هو العمل وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا محمّد صلعم من الآيات والـ
اى الرسول والمؤمنين يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يوم بدر فانّه فُرق فيه بين الحق
المسلمون والكافرون وَٱللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على نصر القليل على
(٤٣) إِذْ أَنْتُمْ بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا بدل من يوم الفرقان ، والعدوة بالحركات
بها والمشهور الضمّ والكسر وهو قراءة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب وحمل
المدينة تأنيث الأقصى وكان قياسه قَلْبَ الواو ياء كالدُّنْيَا والعُلْيَا تفرقة
الاصل كالقَوَد وهو اكثر استعمالا من القُصْيَا وَٱلرَّكْبُ اى العير او قوّادها أ
من مكانكم يعنى الساحل وهو منصوب على الظرف واقعٌ موقعَ الخبر والجملة
وفائدتها الدلالة على قوّة العدوّ واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنه
ان لا يُخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم
عادةً وكذا ذكر مراكز الفريقين فانّ العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل
الّا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف القصوى وكذا قوله وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فى
تواعدتم انتم وهم القتال ثمّ علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد هيبةً منهم و
عليهم ليتحققوا انّ ما اتّفق لهم من الفتح ليس الّا صنعا من اللّه تعالى خارقا للعادة
وشكرا وَلٰكِنْ جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد لِيَقْضِيَ ٱللّٰهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا حقيقا
وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله (٤٤) لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ
او متعلّق بقوله مفعولا والمعنى ليموتَ من يموتُ عن بيّنة عاينها ويعيشَ من يعيش عن حجّة
لئلّا يكون له حجّة ومعذرة فانّ وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفرُ من كفر وايمانُ من
عن وضوح بيّنة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حيّ المشارف للهلاك
والحيوة او من هذا حاله فى علم اللّه وقضائه ، وقرئ لِيَهْلَكَ بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر
ويعقوب مَنْ حَيِيَ بفكّ الادغام للحمل على المستقبل وَإِنَّ ٱللّٰهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ بكفر من كفر وعقابه وايمانِ
من آمن وثوابه ولعلّ الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد (٤٥) إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللّٰهُ فِى

ان اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ عطف على ما للدلالة على ان سببيّته مقيّدة جزء ١٠
ان يعذّبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذّبهم بذنوبهم فانّ ترك التعذيب ركوع ٣
لا عقلا حتّى ينتهض نفى الظلم سببا للتعذيب ، وظلّام للتكثير لاجل
دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الّذى دأبوا
عليهم من قبل آل فرعون كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ تفسير لدأبهم فَأَخَذَهُمُ
ان اللّه قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ لا يغلبه فى دفعه شىء (٥٥) ذٰلِكَ اشارة الى ما
يك مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ مبدّلا ايّاها بالنقمة حَتَّى يُغَيِّرُوا
الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم فى صلة الرحم والكفّ عن
ومن تبعه منهم والسعى فى اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات
المبعث وليس السبب عدم تغيير اللّه ما انعم عليهم
جرى عادته تعالى على تغييره متى يغيّروا حالهم ، وأصل يَكُ
الساكنين ثمّ النون لشبهه بالحروف الليّنة تخفيفا
(٥٦) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ
التأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم
الاوّل لتشبيه الكفر والاخذ به والثانى لتشبيه
الفِرَق المكذّبة او من غرقى القبط وقتلى قريش
الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا اصرّوا على الكفر
اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانّهم
عليه يستدعى تحقّق المعطوف وقوله
بدل من الّذين كفروا بدل البعض للبيان
مالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح
وركب كعب بن الاشرف الى مكّة
المعاهدة او المحاربة وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ سُبَّة
(٥٧) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فامّا تصادفنّهم
النكاية فيهم مَنْ خَلْفَهُمْ
المعجمة وكانّه مقلوب

عيد
لجيته
مع انفسهم
حتّى قد
الله عليم
لتحكم القتال
وتكثير
والتقليل كثيرا
بعض دون بعض
او انّ المراد بالامر
وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
ما كانوا يلقون الّا
تاثبين له مستظهرين
وفيه تنبيه على انّ العبد
عليه بشراشره فارغ البال
تنازعوا باختلاف الآراء
بخلاف وتحكم
مختالا وحمل المراد
خرجوا من
عليهم
سلمت عيركم
جبا من حضرنا من العرب
تخيّلوا
تمشى

جزء ١٠ إنْ جُعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ فيجازيهم عليه (٥٠) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ
ركوع ٢ مقدّر باذكر أَعْمَالَهُمْ فى معاداة الرسول وغيرها بأن وسوس اليهم وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ
لَكُمْ مقالة نفسانيّة والمعنى انّه القى فى روعهم وخيّل اليهم انهم لا يُغلَبون ولا يُطاقون لكثرة عَدَدهم
وعُدَدهم واوهمهم انّ اتّباعهم ايّاه فيما يظنّون انّها قُرُبات مُجيرٌ لهم حتّى قالوا اللّهمّ انصرْ اهدى
الفئتَين وافضلَ الدينَين ، ولَكُمْ خبرُ لا غالبَ او صفته وليس صلته والّا لانتصب كقولك لا ضاربًا زيدًا
عندنا فَلَمَّا تَرَاءَتِ ٱلْفِئَتَانِ اى تلاقى الفريقان نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ رجع القهقرى اى بطل كيده وعاد ما
خيّل اليهم انّه مجيرهم سببَ هلاكهم وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ ٱللَّهَ
اى تبرّأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لمّا رأى امداد اللّه المسلمين بالملائكة وقيل لمّا اجتمعت
قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الإحْنة وكاد ذلك يَثْنيهم فتمثّل لهم ابليس بصورة
سُراقة بن مالك الكنانيّ وقال لا غالب لكم اليوم وأنّي مُجيركم من بنى كنانة فلمّا رأى الملائكة تنزل
نكص وكان يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى اين أتخذلنا فى هذه الحالة فقال انّى ارى ما لا
ترون ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلمّا بلغوا مكّة قالوا هزم الناسَ سراقةُ فبلغه ذلك فقال
واللّه ما شعرت بمسيركم حتّى بلغتنى هزيمتكم فلمّا اسلموا علموا انّه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان
يكونَ معنى قوله انّى اخاف اللّه انّى اخافه أن يصيبنى مكروهًا من الملائكة او يهلكنى ويكونَ الوقتُ
هو الوقتَ المعهودَ اذ رأى فيه ما لم يَرَ قبله والاوّل ما قاله الحسن واختاره ابن بحر وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ
ركوع ٣ يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون مستأنفا (٥١) إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ والذين
لم يطمئنّوا الى الايمان بعدُ وبقى فى قلوبهم شبهةٌ وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف
لتغاير الوصفين غَرَّ هَٰؤُلَاءِ يعنون المؤمنين دِينُهُمْ حتّى تعرّضوا لما لا يَدَىْ لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة
وبِضعةَ عشرَ الى زهاء ألف وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ جواب لهم فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غالب لا يذلّ من استجار به
وإن قلّ حَكِيمٌ يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه (٥٢) وَلَوْ تَرَىٰ ولو رأيت
فانّ لَوْ تجعل المضارع ماضيا عكس إنْ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْمَلَائِكَةُ ببدر وإذ ظرف ترى والمفعول
محذوف اى ولو ترى الكفرةَ او حالَهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفّى ويدلّ عليه قراءة ابن عامر بالتاء
ويجوز أن يكون الفاعل ضمير اللّه عزّ وجلّ وهو مبتدأ خبره يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ والجملة حال من الذين
كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاوّل حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على
الضميرين وَأَدْبَارَهُمْ ظهورهم او أستاههم ولعلّ المراد تعميم الضرب اى يضربون ما اقبل منهم وما ادبر
وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ عطف على يضربون على اضمار القول اى ويقولون ذوقوا بشارةً لهم بعذاب
الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلّما ضربوا التهبت النار منها ، وجوابُ لَوْ محذوف
لتفظيع الامر وتهويله (٥٣) ذَٰلِكَ الضرب والعذاب بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ بسبب ما كسبتم من الكفر

والمعاصى وهو خبر لذلك وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ عطف على ما للدلالة على ان سببيّته مقيّدة جزء ١٠
بانضمامه اليه اذ لولاه لأمكن ان يعذّبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذّبهم بذنوبهم فانّ ترك التعذيب ركوع ٣
من مستحقّه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتّى ينتهض نفى الظلم سببا للتعذيب ، وظلّام للتكثير لاجل العبيد (٥٤) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ اى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الّذى دأبوا فيه اى داموا عليه وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من قبل آل فرعون كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ تفسير لدأبهم فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ كما اخذ هؤلاء إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ لا يغلبه فى دفعه شىء (٥٥) ذٰلِكَ اشارة الى ما حلّ بهم بِأَنَّ ٱللَّهَ بسبب انّ الله لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ مبدلا ايّاها بالنقمة حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ يبدّلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم فى صلة الرحم والكفّ عن تعرّض الآيات والرسل بمعاداة الرسول عم ومن تبعه منهم والسعى فى اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك ممّا احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتّى يغيّروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جرْى عادته تعالى على تغييره متى يغيّروا حالهم ، وأصل يَكُ يَكُونُ فحذفت الحركة للجزم ثمّ الواو لالتقاء الساكنين ثمّ النون لشبهه بالحروف الليّنة تخفيفا وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ لما يقولون عَلِيمٌ بما يفعلون (٥٦) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربّهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاوّل لتشبيه الكفر والاخذ به والثانى لتشبيه التغيير فى النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم وَكُلٌّ من الفرق المكذّبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كَانُوا ظَالِمِينَ انفسهم بالكفر والمعاصى (٥٧) إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا اصرّوا على الكفر ورسخوا فيه فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ فلا يُتوقّع منهم ايمان ولعلّه اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بأنّهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على انّ تحقّق المعطوف عليه يستدعى تحقّق المعطوف وقوله (٥٨) ٱلَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ بدل من الّذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قُرَيْظة عاهدهم رسول الله صلعم ان لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثمّ عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكّة فحالفهم ، ومِنْ لتضمين المعاهدة معنى الاخذ ، والمراد بالمرّة مرّة المعاهدة او المحاربة وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ سُبّة الغدر ومغبّته او لا يتّقون الله فيه او نصْرة المؤمنين وتسليطه ايّاهم عليهم (٥٩) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فامّا تصادفنّهم وتظفرنّ بهم فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ ففرّق عن مناصبتك ونكّل عنها بقتلهم والنكاية فيهم مَنْ خَلْفَهُمْ من وراءهم من الكفرة ، والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فَشَرِّذْ بالذال المعجمة وكانّه مقلوب

*

جزء ١٠ شَذِّرْ وَمِنْ خَلْفَهُمْ والمعنى واحد فانّه اذا شرّد مَنْ وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ
ركوع ٣ لعلّ المشرّدين يتّعظون (٦٠) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ معاهدين خِيَانَةً نقض عهد بأمارات تلوح لك
فَٱنْبِذْ إِلَيْهِمْ فاطرح اليهم عهدهم عَلَى سَوَآءٍ على عدل وطريق قصد فى العداوة ولا تناجزهم الحرب
فانّه يكون خيانة منك او على سواء فى الخوف او العلم بنقض العهد وهو فى موضع الحال من النابذ
على الوجه الاوّل اى ثابتا على طريق سوىّ ومنه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَائِنِينَ تعليل للامر بالنبذ والنهى عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة
ركوع ٤ الاستيناف (٦١) وَلَا تَحْسَبَنَّ خطاب للنبىّ وقوله ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة
وحفص بالياء على انّ الفاعل ضمير احد او مَنْ خَلْفَهُمْ او الّذين كفروا والمفعول الاوّل أَنْفُسَهُمْ فحذف
للتكرار او على تقدير أَنْ سبقوا وهو ضعيف لانّ أن المصدريّة كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل
على أَنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ بالفتح على قراءة ابن عامر وأنّ لا صلة وسَبَقُوا حال بمعنى سابقين اى مُفْلِتين
والاظهر انّه تعليل للنهى اى لا تحسبنّهم سبقوا فأفلتوا لانّهم لا يفوتون اللّه ولا يجدون طالبهم
عاجزا عن ادراكهم وكذا إن كسرت إنّ الّا انّه تعليل على سبيل الاستيناف ، ولعلّ الآية ازاحة لما
يحذّر به من نَبْذ العهد وايقاظ العدوّ وقيل نزلت فيمن افلت من فلّ المشركين (٦٢) وَأَعِدُّوا ايّها
المؤمنون لَهُمْ لناقضى العهد او للكفّار مَا ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ من كلّ ما يتقوّى به فى الحرب وعن عُقْبة
ابن عامر سمعته صلعم يقول على المنبر ألا إنّ القوّة الرَّمْىُ قالها ثلاثا ولعلّه عمّ خصّه بالذكر لانّه اقواه
وَمِنْ رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ اسم للخيل الّتى تُرْبَط فى سبيل اللّه فِعال بمعنى مفعول او مصدر سُمّى به يقال
رَبَطَ رَبْطا ورباطا ورَابَطَ مرابطة ورباطا او جمع رَبيط كفصيل وفصال وقرئ رُبُطِ ٱلْخَيْلِ بضمّ الباء
وسكونها جمع رباط ، وعطفها على القوّة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة تُرْهِبُونَ بِهِ تخوّفون
به وعن يعقوب تُرَهِّبُونَ بالتشديد ، والضمير لما استطعتم او للاعداد عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ يعنى كفّار
مكّة وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لَا تَعْلَمُونَهُمْ
لا تعرفونهم باعيانهم ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ يعرفهم وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ جزاؤه
وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ بتضييع العمل او نقص الثواب (٦٣) وَإِنْ جَنَحُوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدّى
باللام وإلى لِلسَّلْمِ للصلح او الاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فَٱجْنَحْ لَهَا وعاهدْ معهم وتأنيث الضمير
لحمل السلم على نقيضها فيه قال

السّلْمُ تأخذ منها ما رضيت به   والحربُ يكفيك من أنفاسها جُرَعُ

وقرئ فَٱجْنُحْ بالضمّ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فانّ اللّه يعصمك من مكرهم
ويحيقه بهم إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ لاقوالهم ٱلْعَلِيمُ بنيّاتهم ، والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتّصالها بقصّتهم

جزء ١٠ ركوع ٤

وقيل عامّة نسختها آية السيف (٦٤) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ فانّ محسبك اللّه وكافيك قال جرير

إنّى وجدتُ من المكارم حَسْبَكم ... أَنْ تَلْبَسوا خُرَّ الثياب وتَشْبَعوا

هُوَ ٱلَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ جميعا وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ مع ما فيهم من العَصَبيّة والضغينة فى ادنى شىء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتّى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلعم وبيانه لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ اى تناهى عداوتهم الى حدّ لو انفق منفقٌ فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ بقدرته البالغة فانّه المالك للقلوب يقلّبها كيف يشاء إِنَّهُ عَزِيزٌ تامّ القدرة والغلبة لا يَعْصى عليه ما يريده حَكِيمٌ يَعْلم انّه كيف ينبغى ان يفعل ما يريده وقيل الآية فى الاوس والخزرج كان بينهم إِحَنٌ لا أَمَدَ لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فأنساهم اللّهُ ذلك وألّف بينهم بالاسلام حتّى تصافَوْا وصاروا انصارا (٦٥) يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ كافيك وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إمّا فى محلّ النصب على المفعول معه كقوله

اذا كانت الهيجاء وٱشْتَجرَ ٱلقنا ... فحَسْبُك وَالضَحّاكَ سَيْفٌ مهنّدُ

او الجرّ عطفا على المكنّى عند الكوفيّين او الرفع عطفا على اسم اللّه اى كفاك اللّه والمؤمنون ، والآية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر وقيل اسلم مع النبىّ صلعم ثلاثة وثلاثون رجلا وستّ نسوة ثمّ اسلم عُمَر رضه فنزلت ولذلك قال ابن عبّاس نزلت فى اسلامه (٦٦) يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ بالغْ فى حثّهم عليه وأصلُه الحَرَض وهو ان يَنْهَكه المرض حتّى يُشْفِى على الموت وقُرئ حَرِّص من الحِرْص ركوع ٥

إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا شرط فى معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانّهم ان صبروا غلبوا بعون اللّه وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تَكُنْ بالتاء فى الآيتين ووافقهم البصريّان فى وَإِنْ تَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ بسبب انّهم جَهَلة باللّه واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالى الدرجات قَتَلوا او قُتلوا ولا يستحقّون من اللّه الّا الهوان والخذلان (٦٧) ٱلْآنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ

ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ لمّا اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفّف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلّة فأُمروا بذلك ثمّ لمّا كثروا خفّف عنهم ، وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على انّ حكم القليل والكثير واحد ، والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضمّ وهو قراءة الباقين وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ

جزء ١٠ بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون (٦٨) مَا كَانَ لِنَبِيٍّ وقرئ لِلنَّبِيِّ على العهد أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى وقرأ
ركوع ٥ البصريّان بالتاء حَتَّى يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ يُكْثِر القتلَ ويبالغ فيه حتّى يَذِلّ الكفرُ ويقلّ حزبُه ويعزّ الاسلامُ ويستولى اهله من اثخنه المرض اذا اثقله وأصله الثخانة وقرئ يُثَخِّن بالتشديد للمبالغة تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا حُطامها بأخذكم الفداء وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ يريد لكم ثوابَ الآخرة او سببَ نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمعِ اعدائه وقرئ بجرّ الآخرة على اضمار المضاف كقوله

أَكُلَّ ٱمْرِءٍ تَحْسِبِينَ ٱمْرَأً ونارٍ توقّدُ بالليل نارا

وَٱللَّهُ عَزِيزٌ يغلّب اولياءه على اعدائه حَكِيمٌ يعلم ما يليق بكلّ حال ويخصّه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخيّر بينه وبين المَنّ لمّا تحوّلت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روى انّه عم أُتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العبّاس وعَقيل بن ابى طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضه قومُك واهلُك استبقِهم لعلّ اللّه يتوب عليهم وخُذْ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضه اضربْ اعناقهم فانّهم ائمّة الكفر وانّ اللّه اغناك عن الفداء مَكِّنّى من فلان لنسيب له ومكّنْ عليّا وحمزة من أخوَيْهما فلنضرب اعناقهم فلم يَهْوَ ذلك رسول اللّه صلعم وقال إنّ اللّه لَيُلِيّن قلوب رجال حتّى تكون أَلْيَنَ من اللبن وانّ اللّه ليشدّد قلوب رجال حتّى تكون أَشَدَّ من الحجارة وانّ مَثَلك يا ابا بكر مَثَلُ ابراهيم قال فمن تبعنى فانّه منّى ومن عصانى فانّك غفور رحيم ومَثَلك يا عمر مَثَلُ نوح قال ربّ لا تذرْ على الارض من الكافرين ديّارا فخيّر اصحابه فأخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول اللّه فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول اللّه اخبرْنى فانْ أَجِدْ بكاءً بكيتُ والّا تباكيتُ فقال ابكى على اصحابك فى اخذهم الفداء ولقد عُرض علىّ عذابُهم أَدْنَى من هذه الشجرة لشجرة قريبة ، والآية دليل على انّ الانبياء يجتهدون وانّه قد يكون خطأً ولكن لا يقرّون عليه (٦٩) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لولا حكم من اللّه سبق إثباتُه فى اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المُخْطِئ فى اجتهاده او لا يعذّب اهل بدر او قوما بما لم يصرّح لهم بالنهى عنه او انّ الفدية الّتى اخذوها ستحلّ لهم لَمَسَّكُمْ لنالكم فِيمَا أَخَذْتُمْ من الفداء عَذَابٌ عَظِيمٌ روى انّه عم قال لو نزل العذاب لما نجا منه غيرُ عمر وسعد بن مُعاذ وذلك لانّه ايضا اشار بالاثخان (٧٠) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ من الفدية فانّها من جملة الغنائم وقيل أَمْسكوا عن الغنائم فنزلت ، والفاء للتسبيب والسببُ محذوف تقديره أَبَحْتُ لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبّث مَنْ زعم انّ الامر الوارد بعد الحَظْر للاباحة حَلَالًا حال من المغنوم او صفة للمصدر اى اكلا حلالا وفائدته ازاحةُ ما وقع فى نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاوّلين ولذلك وصفه بقوله طَيِّبًا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ فى مخالفته إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ غفر لكم ذنبكم رَحِيمٌ اباح لكم ما اخذتم (٧١) يَا أَيُّهَا
ركوع ٦ ٱلنَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ ٱلْأَسْرَى وقرأ ابو عمرو مِنَ ٱلْأُسَارَى إِنْ يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا ايمانا

واخلاصا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ من الفداء روى انّها نزلت فى العبّاس رضه كلّفه رسول اللّه صلعم جزء ١٠
ان يفدى نفسه وابنَىْ اخويْه عَقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمّد تركتَنى اتكفّف ركوع ٦
قريشا ما بقيتُ قال فأين الذهب الّذى دفعتَه الى امّ الفضل وقتَ خروجك وقلتَ لها انّى لا ادرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدثَ بى حدثٌ فهو لك ولعبد اللّه وعُبيد اللّه والفضل وقُثَم فقال وما يُدْريك قال اخبرنى به ربّى قال فأشهدُ انّك صادق وان لا اله الّا اللّه وانّك رسوله واللّه لم يطّلع عليه احدٌ الّا اللّه ولقد دفعتُه اليها فى سواد الليل قال العبّاس فأبدلنى اللّه خيرا من ذلك لى الان عشرون عبدا انّ ادناهم لَيَضْرِب فى عشرين الفا واعطانى زمزم ما أُحِبُّ انّ لى بها جميع اموال اهل مكّة وانا انتظر المغفرة من ربّكم يعنى الموعود بقوله وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٢) وَإِنْ يُرِيدُوا يعنى الاسرى خِيَانَتَكَ نَقْضَ ما عاهدوك فَقَدْ خَانُوا ٱللَّهَ بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ اى فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبّا للّه ولرسوله وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ فصرفوها فى الكراع والسلاح وأنفقوها على المحاويج وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بمباشرة القتال وَٱلَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فى الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتّى نُسِخَ بقوله وأولو الارحام بعضهم أَوْلى ببعض او بالنصرة والمظاهرة وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا اى من تولّيهم فى الميراث وقرأ حمزة وِلَايَتِهِمْ بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانّه بتولّيه صاحبَه يزاول عملا وَإِنِ ٱسْتَنْصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ عهدٌ فانّه لا يُنْقَض عهدهم لنصرهم عليهم وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٤) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فى الميراث او المؤازرة وهو بمفهومه يدلّ على منع التوارث او المؤازرة بينهم وبين المسلمين إِلَّا تَفْعَلُوهُ الّا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولّى بعضكم لبعض حتّى فى التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفّار تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ تحصل فتنة فيها عظيمة وهى ضعف الايمان وظهور الكفر وَفَسَادٌ كَبِيرٌ فى الدين وقرئ كثيرٌ (٧٥) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لمّا قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بيّن انّ الكاملين فى الايمان منهم هم الّذين حقّقوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحقّ

جزء ١٠ ووعد لهم الموعد الكريم فقال لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ لا تبعة له ولا منّة فيه ثمّ الحق بهم فى الامرين
ركوع ٩ من سيلحق بهم ويتّسم بسمتهم فقال (٧٦) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ
اى من جملتكم ايّها المهاجرون والانصار وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فى التوارث من الاجانب فِي كِتَابِ ٱللَّهِ فى حكمه او فى اللوح او فى القران ، واستُدلّ به على توريث ذوى الارحام إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ من المواريث والحكمة فى اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اوّلا واعتبار القرابة ثانيا ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهدٌ انّه برئٌ من النفاق وأُعطى عَشْرَ حسنات بعدد كلّ منافق ومنافقة وكان العرش وحَمَلَته يستغفرون له ايّام حياته •

سُورَةُ بَرَآءَةٍ

مدنيّة

ركوع ٧ وقيلَ الّا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهى آخرُ ما نزلتْ ولها اسماء أُخَر التوبة والمقشقشة والبَحوث والمبعثِرة والمنقِرة والمُثيرة والحافرة والمُخزية والفاضحة والمنكّلة والمشرّدة والمدمدِمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهى التبرّى منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يُخزيهم ويفضحهم وينكّلهم ويشرّدهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلاثون وقيل وتسع وعشرون وانّما تُركت التسمية فيها لانّها نزلت لرفع الامان وبسم اللّه امانٌ وقيل كان النبىّ صلعم اذا نزلت عليه سورة او آية بيّن موضعها وتوفّى ولم يبيّن موضعها وكانت قصّتها تُشابه قصّةَ الانفال وتناسبها لانّ فى الانفال ذكرَ العهود وفى براءة نَبْذَها فضمّت اليها وقيل لمّا اختلفت الصحابة فى انّهما سورة واحدة هى سابعة السبع الطوال او سورتان تُركت بينهما فُرجةٌ ولم يكتب بسم اللّه

(١) بَرَآءَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ اى هذه براءة ومن ابتدائيّة متعلّقة بمحذوف تقديره واصلة من اللّه ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصّصها بصفتها والخبرُ إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى انّ اللّه ورسوله بريئا من العهد الّذى عاهدتم به المشركين وانّما عُلّقت البراءة باللّه ورسوله والمعاهدةُ بالمسلمين للدلالة على انّه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن اللّه واتّفاق الرسول فانّهما بريئا منها وذلك انّهم عاهدوا مشركى العرب فنكثوا الّا ناسا منهم بنو ضَمْرة بنو كنانة فأمرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاءوا فقال (٢) فَسِيحُوا فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ شوّال وذى القعدة وذى الحجّة والمحرّم لانّها نزلت فى شوّال وقيل هى عشرون من ذى الحجّة والمحرّم وصفر وربيع الاوّل وعشرٌ من ربيع الآخر لانّ التبليغ كان يوم النحر لما روى انّها لمّا نزلت ارسل رسول اللّه صلعم عليّا رضه راكب العَضْباء ليقرأها على اهل الموسم

وكان قد بعث ابا بكر رضه اميرا على الموسم فقيل له لو بعثتَ بها الى ابى بكر فقال لا يؤدّى عنّى الّا جزء ١٠ رجل منّى فلمّا دنا علىّ رضه سمع ابو بكر الرُغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول اللّه صلعم فلمّا لحقه قال ركوع ٧ امير او مأمور قال مأمور فلمّا كان قَبْل التروية خطب ابو بكر رضه وحدّثهم عن مناسكهم وقام علىّ رضه يوم النحر عند جَمْرة العَقَبة فقال يا ايّها الناس انّى رسولُ رسول اللّه اليكم فقالوا بما ذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثمّ قال أُمرتُ باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشركٌ ولا يطوف بالبيت عريانٌ ولا يدخل الجنّة الّا كلّ نفس مؤمنة وان يُتمّ الى كلّ ذى عهد عهدُه ولعلّ قوله صلعم لا يؤدّى عنّى الّا رجل منّى ليس على العموم فانّه عم بعث لأن يؤدّىَ عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعُهود فانّ عادة العرب ان لا يتولّى العهد ونقضه على القبيلة الّا رجل منها ويدلّ عليه انّه فى بعض الروايات لا ينبغى لاحد ان يبلّغ هذا الّا رجلٌ من اهلى وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللّٰهِ لا تفوتونه وان امهلكم وَأَنَّ ٱللّٰهَ مُخْزِى ٱلْكَافِرِينَ بالقتل والاسر فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (٣) وَأَذَانٌ مِنَ ٱللّٰهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلنَّاسِ اى اعلام فَعال بمعنى الافعال كالأمان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ يوم العيد لانّ فيه تمامَ الحجّ ومُعْظَمَ افعاله ولانّ الاعلام كان فيه ولما روى انّه عم وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجّة الوداع فقال هذا يوم الحجّ الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عم الحجّ عرفة ، ووصف الحجّ بالاكبر لانّ العمرة تسمّى الحجّ الاصغر او لانّ المراد بالحجّ ما يقع فى ذلك اليوم من اعماله فانّه اكبر من باقى الاعمال او لانّ ذلك الحجّ اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعيادَ اهل الكتاب او لانّه ظهر فيه عزّ المسلمين وذلّ المشركين أَنَّ ٱللّٰهَ اى بانّ اللّه بَرِيٓءٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ اى من عهودهم وَرَسُولُهُ عطف على المستكنّ فى برىء او على محلّ انّ واسمها فى قراءة من كسرها اجراء للاذان مُجرَى القول وقرى بالنصب عطفا على اسم انّ او لانّ الواو بمعنى مع ، ولا تكريرَ فيه فانّ قوله براءة من اللّه اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علّقه بالناس ولم يخصّه بالمعاهدين فَإِنْ تُبْتُمْ من الكفر والغدر فَهُوَ فالتوب خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ عن التوبة او ثبتّم على التولّى عن الاسلام والوفاء فَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللّٰهِ لا تفوتونه طَلَبا ولا تُعْجِزونه هَرَبا فى الدنيا وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فى الآخرة (٤) إِلَّا ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ استثناء من المشركين او استدراك فكانّه قيل لهم بعدَ ان أُمروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الّذين عاهدوا منهم ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضرّوكم قطّ وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا من اعدائكم فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ الى تمام مدّتهم ولا تُجْروهم مجرى الناكثين إِنَّ ٱللّٰهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ تعليل وتنبيه على انّ اتمام عهدهم من باب التقوى (٥) فَإِذَا ٱنْسَلَخَ انقضى وأصل الانسلاخ خروج الشىء ممّا لابَسَه من سلخ الشاة ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ الّتى ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجّة

جزء ١٠ والمحرّم وهذا مُخلّ بالنظم مخالف للاجماع فانّه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بَعْدُ ما
ركوع ٧ ينسخها فَٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ الناكثين حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ من حِلّ او حَرَمٍ وَخُذُوهُمْ واسروهم والاخيذ
الاسير وَٱحْصُرُوهُمْ واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام وَٱقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ كلّ ممرّ لئلّا يتبسّطوا فى البلاد وانتصابه على الظرف فَإِنْ تَابُوا عن الشرك بالايمان وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ تصديقا لتوبتهم وايمانهم فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فدعوهم ولا تتعرّضوا لهم بشىء من ذلك وفيه دليل على انّ تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلّى سبيله إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ تعليل للامر اى فخلّوهم لانّ اللّه غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة (٦) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ المأمور بالتعرّض لهم ٱسْتَجَارَكَ استأمنك وطلب منك جوارك فَأَجِرْهُ فآمنْه حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ ويتدبّره ويطّلع على حقيقة الامر ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ موضعَ أَمْنه ان لم يُسْلِم ٠ وأَحَد مرفوع بفعل يفسّره ما بعده لا بالابتداء لانّ إِنْ من عوامل الفعل ذٰلِكَ الامن او الامر بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ما الايمانُ وما حقيقةُ ما تدعوهم اليه فلا
ركوع ٨ بدّ من امانهم ريثما يسمعون ويتدبّرون (٧) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ ٱللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لأن يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وَغْرة صدورهم او لأن يفى اللّه ورسوله بالعهد وهم نكثوه ٠ وخبرُ يكون كيف وقُدّم للاستفهام او للمشركين او عند اللّه وهو على الأوّلَيْن صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرَيْن حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيينٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ هم المستثنَوْن قبلُ ومحلّه النصب على الاستثناء او الجرّ على البدل او الرفع على انّ الاستثناء منقطع اى ولكن الّذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فَمَا ٱسْتَقَامُوا لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا لَهُمْ اى فتربّصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فأتمّوا اليهم عهدهم غير انّه مطلق وهذا مقيّد ٠ وما تحتمل الشرطيّة والمصدريّة إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ سبق بيانه (٨) كَيْفَ تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلّة وحذف الفعل للعلم به كما فى قوله

وخبّرتمانى أنّما الموتُ بالقُرى فكيف وهاتا هَضْبةٌ وقليبُ

اى فكيف مات وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ اى وحالهم انّهم ان يظفروا بكم لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ لا يراعوا فيكم إِلًّا حلفا وقيل قرابة قال حسّان

لَعَمْرك انّ إِلّك من قريش كإلّ السَّقْب من رَأْل النعام

وقيل ربوبيّة ولعلّه اشتقّ للحلف من الألّ وهو الجؤار لانّهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهّروه ثمّ استعير للقرابة لانّها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثمّ للربوبيّة والتربية وقيل اشتقاقه من ألّ الشىء اذا حدّده او من ألّ البرق اذا لمع وقيل انّه عبرى بمعنى الإله لانّه قرئ إِيلًا كجبرائل وجبرئيل

وَلَا ذِمَّةً عهدا او حقا يعاب على إغفاله يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ استيناف ببيان حالهم المنافية لثباتهم على جزء ١٠
العهد المؤدّية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانّهم بعد ظهورهم ركوع ٨
لا يرضون ولانّ المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد فى الحال واستبطان
الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يُبقوا عليهم والحاليّة تنافيه وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ ما تتفوّه به افواههم
وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ متمرّدون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما فى بعض الكفرة
من التفادى عن الغدر والتعفّف عمّا يجرّ احدوثة السوء (٩) اِشْتَرَوْا بِآيَاتِ ٱللَّهِ استبدلوا بالقران ثَمَنًا قَلِيلًا
عرضا يسيرا وهو اتّباع الاهواء والشهوات فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر
الحجّاج والعمّار، والفاء للدلالة على انّ اشتراءهم أدّاهم الى الصدّ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ عملهم
هذا او ما دلّ عليه قوله (١٠) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً فهو تفسير لا تكرير وقيل الاوّل عامّ فى
الناقضين وهذا خاصّ بالّذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الّذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم
وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ فى الشرارة (١١) فَإِنْ تَابُوا عن الكفر وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي ٱلدِّينِ
فهم اخوانكم فى الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم وَنُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اعتراض للحثّ على
تأمّل ما فصّل من احكام المعاهدين وخصال التائبين (١٢) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وان
نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام
فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ اى فقاتلوهم فوضع ائمّة الكفر موضع الضمير للدلالة على انّهم صاروا بذلك ذوى
الرئاسة والتقدّم فى الكفر احقّاء بالقتل وقيل المراد بالائمّة رؤساء المشركين فالتخصيص امّا لانّ قتلهم
اهمّ وهم احقّ به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائىّ وروح عن يعقوب أَئِمَّةَ
بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ اى لا ايمان لهم على الحقيقة والّا
لما طعنوا ولم ينكثوا، وفيه دليل على انّ الذمّىّ اذا طعن فى الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به
الحنفيّة على انّ يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لانّ المراد نفى الوثوق عليها لا انّها ليست بايمان
لقوله وان نكثوا ايمانهم، وقرأ ابن عامر لَا إِيمَانَ لَهُمْ بمعنى لا أمان او لا اسلام وتشبّث به من لم يقبل
توبة المرتدّ وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معيّنين او ليس لهم
ايمان فيراقبوا لاجله لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ متعلّق بقاتلوا اى ليكن غرضكم فى المقاتلة ان ينتهوا عمّا هم عليه
لا ايصال الاذيّة بهم كما هو طريقة المؤذين (١٣) أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا تحريض على القتال لانّ الهمزة دخلت
على النفى للانكار فافادت المبالغة فى الفعل نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ الّتى حلفوها مع الرسول صلعم والمؤمنين على
ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ حين تشاوروا فى امره بدار الندوة
على ما مرّ ذكره فى قوله واذ يمكر بك الّذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهمّوا باخراجه

*

جزء ١٠ من المدينة وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بالمعاداة والمقاتلة لانّه عم بدأهم بالدعوة والزام الحجّة بالكتاب
ركوع ٨ والتحدّى به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم أَتَخْشَوْنَهُمْ
اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا
امره إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فانّ قضيّة الايمان ان لا يُخْشَى إلّا منه (١٤) قَاتِلُوهُمْ امر بالقتال بعد بيان مُوجبه
والتوبيخ على تركه والتوعّد عليه يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وعدٌ لهم ان قاتلوهم
بالنصر عليهم والتمكّن من قتلهم واذلالهم وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ يعنى بنى خزاعة وقيل بطونا من
اليمن وسبا قدموا مكّة فأسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول اللّه صلعم فقال ابشروا
فانّ الفرج قريب (١٥) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ لما لقوا منهم وقد اوفى اللّه بما وعدهم والآية من المعجزات
وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَآءُ ابتداء اخبار بانّ بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ
وَيَتُوبَ بالنصب على اضمار أَنْ على انّه من جملة ما اجيب به الامر فانّ القتال كما تسبّب لتعذيب قوم
تسبّب لتوبة قوم آخرين وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بما كان وما سيكون حَكِيمٌ لا يفعل ولا يحكم الّا على وفق الحكمة
(١٦) أَمْ حَسِبْتُمْ خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين ، وأَمْ منقطعة ومعنى الهمزة
فيها التوبيخ على الحسبان أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ولم يتبيّن الخُلَّص منكم
وهم الّذين جاهدوا من غيرهم نفي العلم واراد نفى المعلوم للمبالغة فانّه كالبرهان عليه من حيث
انّ تعلّق العلم به مستلزم لوقوعه وَلَمْ يَتَّخِذُوا عطف على جاهدوا داخل فى الصلة مِنْ دُونِ ٱللَّهِ وَلَا
رَسُولِهِ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم ، وما فى لمّا من معنى التوقّع منبّه
على انّ تبيّن ذلك متوقّع وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يُتوهّم من ظاهر
ركوع ٩ قوله ولمّا يعلم اللّه (١٧) مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ ما صحّ لهم أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ ٱللَّهِ شيئا من المساجد
فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانّما جمع لانّه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع
ويدلّ عليه قراءة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب بالتوحيد شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِٱلْكُفْرِ باظهار الشرك
وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة
بيت اللّه وعبادة غيره روى انّه لمّا أُسر العبّاس عيّره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علىّ
رضه فى القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انّا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة
ونسقى الحجيج ونفكّ العانى فنزلت أُولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ الّتى يفتخرون بها بما قارنها من الشرك
وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَالِدُونَ لاجله (١٨) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلٰوةَ وَآتَى
ٱلزَّكٰوةَ اى انّما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلميّة والعمليّة ومن عمارتها تزيينها بالفُرُش
وتنويرها بالسُرُج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها ممّا لم تُبْنَ له كحديث الدنيا

جزء ١٠ ركوع ٩ وعن النبيّ صلعم قال اللّه انّ بيوتي في ارضي المساجد وانّ زوّاري فيها عمّارها فطوبى لعبد تطهّر في بيته ثمّ زارني في بيتي فحقّ على المزور ان يُكرم زائره ، وانّما لم يذكر الايمان بالرسول صلعم لما عُلم انّ الايمان باللّه قرينته وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ اى فى ابواب الدين فانّ الخشية عن المحاذير جِبِلّيّة لا يكاد العاقل يتمالك عنها فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ذكره بصيغة التوقّع قطعًا لأطماع المشركين فى الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانّهم مهتدون فانّ هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعلّ فما ظنّك بأضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغترّوا باحوالهم ويتّكلوا عليها (١٩) أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبّهان بالجُثث بل لا بدّ من اضمارٍ تقديرُه اجعلتم اهل سقاية الحاجّ كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاجّ كايمانِ من آمن ويؤيّد الأوّل قراءة من قرأ سُقَاةَ ٱلْحَآجِّ وَعَمَرَةَ ٱلْمَسْجِدِ والمعنى انكارُ أن يشبَّه المشركون واعمالهم المُحبَطة بالمؤمنين واعمالهم المُثبَتة ثمّ قرّر ذلك بقوله لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وبيّن عدم تساويهم بقوله وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ اى الكفرة ظلمةٌ بالشرك ومعاداة الرسول منهمكون فى الضلالة فكيف يساوون الّذين هداهم اللّه ووفّقهم للحقّ والصواب وقيل المراد بالظالمين الّذين يسوّون بينهم وبين المؤمنين (٢٠) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ اعلى رتبة واكثر كرامة ممّن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ بالثواب ونيل الحسنى عند اللّه دونكم (٢١) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا فى الجنّات نَعِيمٌ مُّقِيمٌ دائم ، وقرأ حمزة يَبْشُرُهُمْ بالتخفيف ، وتنكيرُ المبشَّر به اشعارٌ بانّه وراء التعيين والتعريف (٢٢) خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا اكّد الخلود بالتأبيد لانّه قد يستعمل للمكث الطويل إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ مستحقَر دونه ما استوجبوه لاجله او نعيمُ الدنيا (٢٣) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ نزلت فى المهاجرين فانّهم لمّا أُمروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نَهيا عن موالاة التسعة الّذين ارتدّوا ولحقوا بمكّة والمعنى لا تتّخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدّونكم عن الطاعة لقوله إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ان اختاروه وحرصوا عليه وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بوضعهم الموالاة فى غير محلّها (٢٤) قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ اقرباؤكم مأخوذ من العِشرة وقيل من العَشرة فانّ العشيرة جماعة ترجع الى عَقد كعقد العَشرة وقرأ ابو بكر وَعَشِيرَاتُكُمْ وقرئ وَعَشَائِرُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا اكتسبتموها وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

جزء ١٠ فوات وقت نفاقها وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ الحبّ الاختياريّ
ركوع ٩ دون الطبيعيّ فانّه لا يدخل تحت التكليف التحفّظ عنه فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ جواب ووعيد
والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكّة وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ لا يرشدهم ، وفي الآية
ركوع ١٠ تشديد عظيم وقلّ مَنْ يتخلّص عنه (٢٥) لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ يعنى مواطن الحرب وهى
مواقفها وَيَوْمَ حُنَيْنٍ وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدَّر فى ايّام مواطن او يفسَّر الموطن بالوقت كمقتل
الحسين ولا يمنع ابدالُ قوله إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ منه أن يُعْطَف على موضع فى مواطن فانّه لا يقتضى
تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتّى يقتضى كثرتهم واعجابها ايّاهم فى جميع المواطن ، وحُنَيْن
وادٍ بين مكّة والطائف حارب فيه رسول اللّه صلعم والمسلمون وكانوا اثنى عشر الفا العَشْر الّذين
حضروا فتح مكّة وأُلفان انضمّوا اليهم من الطُلَقاء هوازنَ وثقيفًا وكانوا اربعة آلاف فلمّا التقوا قال
النبىّ صلعم او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نُغْلَب اليوم من قلّة اعجابًا بكثرتهم واقتتلوا قتالا
شديدا فأدرك المسلمين إعجابُهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتّى بلغ فَلُّهم مكّةَ وبقى رسول اللّه
صلعم فى مركزه ليس معه الّا عمّه العبّاس آخذا بلجامه وابن عمّه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا
شهادةً على تناهى شجاعته فقال للعبّاس وكان صيّتا صِحْ بالناس فنادى يا عباد اللّه يا اصحاب الشجرة
يا اصحاب سورة البقرة فكرّوا عُنُقا واحدا يقولون لبّيك لبّيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال
عم هذا حين حَمِيَ الوطيس ثمّ اخذ كفّا من تراب فرماهم ثمّ قال انهزموا وربّ الكعبة فانهزموا
فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ اى الكثرة شَيْئًا من الاغناء او من امر العدوّ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ
برُحْبها اى بسعتها لا تجدون فيها مفرّا تطمئنّ اليه نفوسكم من شدّة الرعب او لا تثبتون فيها
كمن لا يسعه مكانه ثُمَّ وَلَّيْتُمْ الكفّارَ ظهورَكم مُدْبِرِينَ منهزمين والادبارُ الذهاب الى خَلْف خِلاف
الاقبال (٢٦) ثُمَّ أَنْزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ رحمته الّتى سكنوا بها وأمِنوا عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ الّذين انهزموا
واعادةُ الجارّ للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الّذين ثبتوا مع الرسول ولم يفرّوا وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ
تَرَوْهَا باعينكم يعنى الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية او ستّة عشر على اختلاف الاقوال وَعَذَّبَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بالقتل والاسر والسبى وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَافِرِينَ اى ما فعل بهم جزاء كفرهم فى الدنيا
(٢٧) ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَى مَنْ يَشَآءُ منهم بالتوفيق للاسلام وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ يتجاوز عنهم
ويتفضّل عليهم روى انّ ناسا منهم جاءوا الى رسول اللّه صلعم واسلموا وقالوا يا رسول اللّه انت خير
الناس وابرّهم وقد سُبى اهلونا واولادنا وأُخذت اموالنا وقد سُبى يومئذ ستّة آلاف نفس وأُخذ من
الابل والغنم ما لا يُحْصَى فقال عم اختاروا إمّا سباياكم وإمّا اموالكم فقالوا ما كنّا نعدل بالاحساب
شيئًا فقام رسول اللّه صلعم وقال انّ هؤلاء جاءوا مسلمين وانّا خيّرناهم بين الذرارىّ والاموال فلم يعدلوا

بالاحساب شيأ فمن كان بيده سبىٌ وطابت نفسه ان يردّه فشأنه ومن لا فليُعْطِنا وليكن قرضا علينا جزء ١٠
حتّى نُصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلّمنا فقال انّى لا ادرى لعلّ فيكم من لا يرضى فمُروا ركوع ١٠
عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انّهم قد رضوا (٢٨) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ لخبث باطنهم او لانّه يجب ان يجتنَب عنهم كما يجتنَب عن الانجاس او لأنّهم لا يتطهّرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على انّ ما الغالب نجاسته نجسٌ وعن ابن عبّاس رضى الله عنهما انّ اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نِجْسٌ بالسكون وكسر النون وهو ككَبْد فى كَبِد واكثر ما جاء تابعا لرِجْس فَلَا يَقْرَبُوا ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ لنجاستهم وانّما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهى عن الحجّ والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام فى المنع ، وفيه دليل على انّ الكفّار مخاطبون بالفروع بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا يعنى سنة براءة وهى التاسعة وقيل سنة حجّة الوداع وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فقرًا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ من عطائه او تفضّله بوجه آخر وقد انجز وعده بأن ارسل السماء عليهم مدرارا ووفّق اهل تبالة وجُرَش فأسلموا وامتاروا لهم ثمّ فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجّه اليهم الناس من اقطار الارض ، وقرئ عَائِلَةً على انّها مصدر كالعافية او حال إِنْ شَآءَ قيّده بالمشيئة لتنقطع الآمال الى الله ولينبّه على انّه متفضّل فى ذلك وانّ الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفى عام دون عام إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ باحوالكم حَكِيمٌ فيما يعطى ويمنع (٢٩) قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ اى لا يؤمنون بهما على ما ينبغى كما بيّنّاه فى اوّل البقرة فانّ ايمانهم كلا ايمان وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنّة وقيل رسوله هو الّذى يزعمون اتّباعه والمعنى انّهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ الثابت الّذى هو ناسخ سائر الاديان ومُبْطلها مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ بيان للّذين لا يؤمنون حَتَّىٰ يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ ما تقرّر عليهم ان يعطوه مشتقّ من جَزَى دَيْنَه اذا قضاه عَنْ يَدٍ حال من الضمير اى عن يد مُواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلّمين بأيديهم غير باعثين بأيدى غيرهم ولذلك مُنع من التوكيل فيه او عن غنًى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلّاء او من الجزية بمعنى نقدًا مسلّمة عن يد الى يد او عن انعام عليهم فانّ ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة وَهُمْ صَاغِرُونَ اذلّاء وعن ابن عبّاس تؤخذ الجزية من الذمّى وتُوجَأ عُنُقه ، ومفهوم الآية يقتضى تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيّده انّ عمر رضه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتّى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضه انّه عم اخذها من مجوس هَجَر وانّه قال سُنّوا بهم سُنّة اهل الكتاب وذلك لانّ لهم شُبْهة كتاب فأُلحقوا بالكتابيّين وامّا سائر الكفرة فلا يؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابى حنيفة تؤخذ منهم الّا من

جزء ١٠ مُشْرِكِى العرب لما روى الزُهْرِىّ انّه عم صالحَ عَبَدَةَ الاوثان الّا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ
ركوع ١٠ من كلّ كافر الّا المرتدّ واقلّها فى كلّ سنة دينار سواء فيه الغنىّ والفقير وقال ابو حنيفة على الغنىّ
ثمانية واربعون درهمًا وعلى المتوسّط نصفها وعلى الفقير الكَسُوب ربعها ولا شىء على الفقير غير الكسوب
ركوع ١١ (٣٠) وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ انّما قاله بعضهم من متقدّميهم او ممّن كانوا بالمدينة وانّما قالوا ذلك
لانّه لم يبق فيهم بعد وقعة بُخْتَ نَصَّر من يحفظ التورية وهو لمّا احياه اللّه بعد مائة عام املى
عليهم التورية حفظًا فتعجّبوا من ذلك وقالوا ما هذا الّا انّه ابن اللّه والدليل على انّ هذا القول كان فيهم
أنّ الآية قرئت عليهم فلم يكذّبوا مع تهالكهم على التكذيب ، وقرأ عاصم والكسائىّ ويعقوب عُزَيْرٌ
بالتنوين على انّه عربىّ مُخْبَرٌ عنه بأبْنُ غيرُ موصوف به وحذفه فى القراءة الاخرى امّا لمنع صَرْفه للعجمة
والتعريف او التقاء الساكنَيْن تشبيهًا للنون بحرف اللين او لانّ الابن وصفٌ والخبر محذوف مثل معبودُنا
او صاحبُنا وهو مزيّفٌ لانّه يؤدّى الى تسليم النَسَب وانكارِ الخبر المقدّر وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ
هو ايضا قول بعضهم وانّما قالوه استحالةً لأن يكون ولد بلا اب او لأن يفعل ما فعله من ابراء الاكمه
والابرص واحياء الموتى مَنْ لم يكن الٰها ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ امّا تأكيدٌ لنسبة هذا القول اليهم ونفىٌ
للتجوّز عنها او اشعارٌ بانّه قول مجرّد عن برهان وتحقيقٍ مماثل للمُهْمَل الّذى يوجد فى الافواه ولا
يوجد مفهومه فى الاعيان يُضَاهِئُونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا اى يضاهى قولُهم قولَ الّذين كفروا فحُذف المضاف
وأقيم المضاف اليه مقامَه مِنْ قَبْلُ اى من قبلهم والمرادُ قدماؤهم على معنى انّ الكفر قديم فيهم او
المشركون الّذين قالوا الملائكة بنات اللّه او اليهود على انّ الضمير للنصارى ، والمضاهاة المشابهة والهمزُ
لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأةٌ ضَهْيَأُ على فَعْيَل للّتى شابهت الرجال فى انّها لا تحيض
قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ دعاء عليهم بالاهلاك فانّ من قاتله اللّه هلك او تعجّبٌ من شناعة قولهم أَنَّى يُؤْفَكُونَ
كيف يُصْرَفون عن الحقّ الى الباطل (٣١) ٱتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ بأن اطاعوهم
فى تحريم ما احلّ اللّه وتحليل ما حرّم . او بالسجود لهم وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ بأن جعلوه ابنا للّه وَمَا أُمِرُوا
اى وما أُمر المتّخذون او المتّخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتّخاذ إِلَّا لِيَعْبُدُوا ليطيعوا
إِلٰهًا وَاحِدًا وهو اللّه وأمّا طاعة الرسول وسائرِ من امر اللّه بطاعته فهو فى الحقيقة طاعةُ اللّه لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ
صفة ثانية او استيناف مقرّر للتوحيد سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ تنزيه له عن ان يكون له شريك
(٣٢) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا يُخمدوا نُورَ ٱللَّهِ حجّته الدالّة على وحدانيّته وتقدّسه عن الولد او القران
او نبوّة محمّد صلعم بِأَفْوَاهِهِمْ بشركهم او تكذيبهم وَيَأْبَى ٱللَّهُ لا يرضى إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ باعلاء التوحيد
واعزاز الاسلام وقيل انّه تمثيل لحالهم فى طلبهم ابطالَ نبوّة محمّد صلعم بالتكذيب بحال من يطلب
اطفاء نور عظيم منبثّ فى الآفاق يريد اللّه ان يزيده بنفخه ، وانّما صحّ الاستثناء المفرّغ والفعلُ موجبٌ
لانّه فى معنى النفى وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه (٣٣) هُوَ ٱلَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ

بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ كالبيان لقوله ويأبى الله الّا ان يتمّ نوره ولذلك كرّر جزء ١٠
وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ غير انّه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انّهم ضمّوا الكفر بالرسول الى ركوع ١١
الشرك بالله ، والضمير فى ليظهره لدين الحقّ او للرسول ، واللام فى الدين للجنس اى على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم (٣٤) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَاطِلِ يأخذونها بالرشى فى الاحكام سمّى اخذ المال اكلا لانّه الغرض الاعظم منه وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ دينه وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة فى وصفهم بالحرص على المال والضنّ به وان يراد المسلمون الّذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدّون حقّه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدلّ عليه انّه لمّا نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله فقال انّ الله لم يفرض الزكوة الّا ليطيّب بها ما بقى من اموالكم وقوله عم ما أدّى زكاته فليس بكنز اى بكنز أوعد عليه فانّ الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه وامّا قوله عم مَنْ ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤدّ حقّها لقوله عم فيما اورده الشيخان مرويّا عن ابى هريرة رضه ما من صاحب ذهب ولا فضّة لا يؤدّى منها حقّها الّا اذا كان يوم القيامة صُفحت له صفائح من نار فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ هو الكىّ بهما (٣٥) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ اى يوم توقد النار ذات حَمْى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثمّ حذف النار واسند الفعل الى الجارّ والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير ، وانّما قال عليها والمذكور شيآن لانّ المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علىّ رضه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او الاموال فانّ الحكم عامّ وتخصيصهما بالذكر لانّهما قانون التموّل او للفضّة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على انّ الذهب اولى بهذا الحكم فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ لانّ جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعّم بالمطاعم الشهيّة والملابس البهيّة او لانّهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولّوه ظهورهم او لانّها اشرف الاعضاء الظاهرة فانّها المشتملة على الاعضاء الرئيسة الّتى هى الدماغ والقلب والكبد او لانّها اصول الجهات الاربع الّتى هى مقاديم البدن ومآخيره وجنباه هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ على ارادة القول لِأَنْفُسِكُمْ لمنفعتها وكان عين مضرّتها وسبب تعذيبها فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ اى وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تَكْنُزُونَ بضمّ النون (٣٦) إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ اى مبلغ عددها عِنْدَ ٱللَّهِ معمول عدّة لانّها مصدر ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ ٱللَّهِ فى اللوح المحفوظ او فى حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ متعلّق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى انّ هذا امر ثابت فى نفس الامر مذ خلق الله الأجرام والازمنة مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو

جزء ١٠ القعدة وذو الحجّة والمحرّم ذٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ اى تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابرٰهيم
ركوع ١١ واسمٰعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ بهتك حرمتها وارتكاب حرامها ٭
والجمهور على انّ حرمة المقاتلة فيها منسوخة واوّلوا الظلم بارتكاب المعاصى فيهنّ فانّه اعظم وزرا
كارتكابها فى الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انّه لا يحلّ للناس ان يغزوا فى الحرم والاشهر الحرم الّا
ان يقاتَلوا ويؤيّد الاوّل ما روى انّه عم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين فى شوّال وذى القعدة
وَقَاتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً جميعا وهى مصدر كفّ عن الشىء فانّ الجميع مكفوف
عن الزيادة وقع موقع الحال وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللّٰهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم
(٣٧) إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ اى تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلّوه
وحرّموا مكانه شهرا آخر حتّى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرّد العدد ٭ وعن نافع برواية ورش انّما
ٱلنَّسِىُّ بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ ٱلنَّسْىُ بحذفها وٱلنَّسْىُ وٱلنَّسَآءُ وثلاثتها مصادر نَسَأَهُ
اذا اخّره زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ لانّه تحريم ما احلّه اللّه وتحليل ما حرّمه فهو كفر آخر ضمّوه الى كفرهم
يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص يُضَلُّ على البناء للمفعول وعن يعقوب
يُضِلُّ على انّ الفعل للّه يُحِلُّونَهُ عَامًا يحلّون المنسىّ من الاشهر الحرم سنة ويحرّمون مكانه شهرا آخر
وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا فيتركونه على حرمته قيل اوّل من احدث ذلك جُنادة بن عوف الكنانىّ كان يقوم
على جمل فى الموسم فينادى انّ آلهتكم قد احلّت لكم المحرّم فأحلّوه ثمّ ينادى فى القابل انّ آلهتكم قد
حرّمت عليكم المحرّم فحرّموه ٭ والجملتان تفسير للضلال او حال لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللّٰهُ ليوافقوا عدّة
الاربعة المحرّمة واللام متعلّقة بيحرّمونه او بما دلّ عليه مجموع الفعلين فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ ٱللّٰهُ بمواطأة
العدّة وحدها من غير مراعاة الوقت زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَالِهِمْ وقرئ على البناء للفاعل وهو اللّه والمعنى
خذلهم وأضلّهم حتّى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا وَٱللّٰهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ هداية موصلة الى الاهتداء
ركوع ١٢ (٣٨) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنْفِرُوا فِى سَبِيلِ ٱللّٰهِ ٱثَّاقَلْتُمْ تباطأتم وقرئ تَثَاقَلْتُمْ على
الاصل وأَثَّاقَلْتُمْ على الاستفهام للتوبيخ إِلَى ٱلْأَرْضِ متعلّق به كانّه ضمّن معنى الاخلاد والميل فعدّى
بالى وكان ذلك فى غزوة تبوك أُمروا بها بعد رجوعهم من الطائف فى وقت عُسْرة وقيظ مع بُعد الشقّة
وكثرة العدوّ فشقّ عليهم أَرَضِيتُمْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وغرورها مِنَ ٱلْآخِرَةِ بدل الآخرة ونعيمها فَمَا مَتَاعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فما التمتّع بها فِى ٱلْآخِرَةِ فى جنب الآخرة إِلَّا قَلِيلٌ مستحقر (٣٩) إِلَّا تَنْفِرُوا ان لا تنفروا
الى ما استنفرتم اليه يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدوّ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ
ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا اذ لا يقدح تثاقلكم فى

جزء ۱۰ نصرة دينه شيئًا فانّه الغنىّ عن كلّ شىء وفى كلّ امر وقيل الضمير للرسول اى ولا تضرّوه فانّ اللّه سبحانه
ركوع ۱۲ وتعالى وعد له بالعصمة والنصرة وَوَعْدُهُ حقّ وَٱللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب
والنصرة بلا مدد كما قال (۴۰) إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللّٰهُ اى ان لم تنصروه فسينصره اللّه كما نصره
إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ ولم يكن معه الّا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل
۵ عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب اللّه له النصر حتّى نصره فى مثل ذلك الوقت فلن يخذله فى
غيره ، واسناد الاخراج الى الكفرة لانّ همّهم باخراجه اوقتله تسبّب لاذن اللّه له فى الخروج ، وقرئ ثَانِى
ٱثْنَيْنِ بالسكون على لغة من يُجْرى المنقوص مجرى المقصور فى الاعراب ، ونَصْبه على الحال إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ
بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متّسع ، والغار نَقْبٌ فى اعلى ثَوْر وهو جبل فى يُمْنَى مكّة
على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا إِذْ يَقُولُ بدل ثانٍ او ظرف لثانى لِصَاحِبِهِ وهو ابو بكر رضه لَا تَحْزَنْ إِنَّ
۱۰ ٱللّٰهَ مَعَنَا بالعصمة والمعونة روى انّ المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق ابو بكر رضه على رسول اللّه
فقال عم ما ظنّك باثنين اللّهُ ثالثهما فأعماهم اللّه عن الغار فجعلوا يتردّدون حوله فلم يروه وقيل لمّا
دخلا الغار بعث اللّه حمامتين فباضتا فى اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فَأَنْزَلَ ٱللّٰهُ سَكِينَتَهُ أَمَنَته الّتى
تسكن عندها القلوب عَلَيْهِ على النبىّ صلعم او على صاحبه وهو الاظهر لانّه كان منزعجا وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ
تَرَوْهَا يعنى الملائكة انزلهم ليحرسوه فى الغار او ليُعينوه على العدوّ يوم بدرٍ والأحزابِ وحُنَيْنٍ فتكون
۱۵ الجملة معطوفة على قوله نصره اللّه وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلسُّفْلَى يعنى الشرك او دعوة الكفر
وَكَلِمَةُ ٱللّٰهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا يعنى التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلعم عن
ايدى الكفّار الى المدينة فانّه المبدأ له او بتأييده ايّاه بالملائكة فى هذه المواطن او بحفظه ونصره له
حيث حضر ، وقرأ يعقوب وَكَلِمَةَ ٱللّٰهِ بالنصب عطفا على كلمة الّذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار
بأنّ كلمة اللّه عالية فى نفسها وإنْ فاق غيرها فلا ثبات لتفوّقه ولا اعتبار ولذلك وسّط الفصل وَٱللّٰهُ
۲۰ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فى امره وتدبيره (۴۱) ٱنْفِرُوا خِفَافًا لنشاطكم له وَثِقَالًا عنه لمشقّته عليكم او لقلّة عيالكم
ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لمّا قال ابن امّ مكتوم
لرسول اللّه صلعم أَعَلَىَّ ان انفر قال نعم حتّى نزل ليس على الاعمى حرج وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
فِى سَبِيلِ ٱللّٰهِ بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ من تركه إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الخير
علمتم انّه خير او ان كنتم تعلمون انّه خير اذ اخبارُ اللّه به صدق فبادروا اليه (۴۲) لَوْ كَانَ عَرَضًا
۲۵ اى لو كان ما دُعوا اليه نفعا دنيويّا قَرِيبًا سَهْلَ المأخذ وَسَفَرًا قَاصِدًا متوسّطا لَٱتَّبَعُوكَ لوافقوك وَلٰكِنْ
بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ اى المسافة الّتى تُقْطَع بمشقّة وقرئ بكسر العين والشين وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللّٰهِ اى

*

جزء ١٠ المتخلّفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لَوِ ٱسْتَطَعْنَا يقولون لو كان لنا استطاعة العُدّة او البدن
ركوع ١٢ وقرئ لَوُ ٱسْتَطَعْنَا بضمّ الواو تشبيها لها بواو الضمير فى قوله ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَالَةَ لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ سادّ مسدّ
جوابَي القسم والشرط ، وهذا من المعجزات لانّه اخبار عمّا وقع قبل وقوعه يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ بايقاعها
فى العذاب وهو بدل من سيحلفون لانّ الحلف الكاذب ايقاع للنفس فى الهلاك او حال من فاعله
ركوع ١٣ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فى ذلك لانّهم كانوا مستطيعين الخروج (٤٣) عَفَا ٱللَّهُ عَنْكَ كناية عن خطائه فى
الاذن فانّ العفو من روادفه لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ بيانٌ لما كنى عنه بالعفو ومعاتبةٌ عليه والمعنى لاىّ شىء اذنت
لهم فى القعود حين استأذنوك واعتلّوا باكاذيب وهلّا توقّفت حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا فى الاعتذار
وَتَعْلَمَ ٱلْكَاذِبِينَ فيه قيل انّما فعل رسول اللّه صلعم شيئين لم يؤمر بهما أَخْذه الفداء واذنه للمنافقين
فعاتبه اللّه عليهما (٤٤) لَا يَسْتَأْذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
اى ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك فى ان يجاهدوا وانّ الخُلّص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على
الاذن فيه فضلا ان يستأذنوا فى التخلّف عنه او أن يستأذنوك فى التخلّف كراهة ان يجاهدوا وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ شهادةٌ لهم بالتقوى وعدةٌ لهم بثوابه (٤٥) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ فى التخلّف ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ تخصيص الايمان باللّه واليوم الآخر فى الموضعين للاشعار بانّ الباعث على الجهاد
والوازع عنه الايمانُ وعدم الايمان بهما وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ يتحيّرون (٤٦) وَلَوْ أَرَادُوا
ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ للخروج عُدَّةً أُهبة وقرئ عُدَّهُ بحذف التاء عند الاضافة كقوله ، وأَخْلفوك عِدَ
الأمر ٱلّذى وَعَدوا ، وعِدّهُ بكسر العين بالاضافة وعِدّةً بغيرها وَلَكِنْ كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنْبِعَاثَهُمْ استدراك عن مفهوم
قوله ولو ارادوا الخروج كانّه قال ما خرجوا ولكن تثبّطوا لانّه تعالى كره انبعاثهم اى نهوضهم للخروج
فَثَبَّطَهُمْ فحبسهم بالجُبْن والكَسَل وَقِيلَ ٱقْعُدُوا مَعَ ٱلْقَاعِدِينَ تمثيلٌ لالقاء اللّه كراهة الخروج فى قلوبهم او
وسوسةِ الشيطان بالامر بالقعود او حكايةُ قولِ بعضهم لبعض او اذنِ الرسول لهم ، والقاعدين يحتمل
المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذمّ (٤٧) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ بخروجهم شيئا
إِلَّا خَبَالًا فسادا وشرّا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتّى لو خرجوا زادوه لانّ الزيادة باعتبار
أعمّ العامّ ٱلّذى وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهّم جُعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانّه لا يكون
مفرّغا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وَضَعَ
البعيرُ وَضْعًا اذا اسرع يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والرعب فى
قلوبكم والجملة حال من الضمير فى اوضعوا وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او
نمّامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ فيعلم ضمائرهم وما يتأتّى منهم
(٤٨) لَقَدِ ٱبْتَغَوُا ٱلْفِتْنَةَ تشتيت امرك وتفريق اصحابك مِنْ قَبْلُ يعنى يوم أُحُد فانّ ابن أُبَىّ واصحابه كما

جزء ١٠ تخلّفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول الى ذى جُدّة اسفل من ثنيّة الوداع انصرفوا يوم احد
ركوع ١٣ وَقَلَّبُوا لَكَ ٱلْأُمُورَ ودبّروا لك المكايد والحِيَل ودوّروا الآراء فى ابطال امرك حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ النصر والتأييد
الالٰهى وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ علا دينه وَهُمْ كَارِهُونَ اى على رغم منهم ، والآيتان لتسلية الرسول صلعم والمؤمنين
على تخلّفهم وبيانِ ما ثبّطهم اللّه لاجله وكَرِهَ انبعاثهم له وهتكِ استارهم وكشفِ اسرارهم وازاحةِ
اعتذارهم تداركا لما فوّت الرسول صلعم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه (٤٩) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى
فى القعود وَلَا تَفْتِنِّى ولا توقعنى فى الفتنة اى فى العصيان والمخالفة بأن لا تأذن لى وفيه اشعار بانّه لا محالة
متخلّف أَذِنَ له ام لم يأذن او فى الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافلَ لهم بعدى او فى الفتنة
بنساء الروم لما رُوى انّ جدّ بن قيس قال قد علمت الانصار انّى مُولَع بالنساء فلا تفتنّى ببنات الاصفر
ولكن أُعينك بمالى فاتركنى أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا اى انّ الفتنة هى الّتى سقطوا فيها وهى فتنة التخلّف او
ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَافِرِينَ جامعة لهم يوم القيامة او الآن لأنّ
احاطة اسبابها بهم كوجودها (٥٠) إِن تُصِبْكَ فى بعض غزواتك حَسَنَةٌ ظفر وغنيمة تَسُؤْهُمْ لفرط حسدهم
وَإِن تُصِبْكَ فى بعضها مُصِيبَةٌ كسر او شدّة كما اصاب يوم احد يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ تبجّحوا
بانصرافهم واستحمدوا رأيهم فى التخلّف وَيَتَوَلَّوْا عن متحدّثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول وَهُمْ
فَرِحُونَ مسرورون (٥١) قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا الّا ما اختصّنا باثباته وايجابه من النصرة او
الشهادة او ما كتب لاجلنا فى اللوح لا يتغيّر بموافقتكم ولا مخالفتكم ، وقرئ هَلْ يُصِيبُنَا وهَلْ يُصَيِّبُنَا
وهو من فَيْعَلَ لا من فَعَّلَ لانّه من بنات الواو لقولهم صاب السهمُ يَصُوب واشتقاقه من الصواب لانّه وقوع
الشىء فيما قُصد به وقيل من الصَّوْب هُوَ مَوْلَانَا ناصرنا ومتولّى امورنا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ لأنّ
حقّهم ان لا يتوكّلوا على غيره (٥٢) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا تنتظرون بنا إِلَّا إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ الّا احدى
العاقبتين اللّتين كلٌّ منهما حُسْنَى العواقب النصرة والشهادة وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ ايضا احدى السُّوءَيَيْنِ
أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ بقارعة من السماء أَوْ بِأَيْدِينَا او بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر
فَتَرَبَّصُوا ما هو عاقبتنا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ما هو عاقبتكم (٥٣) قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ
امر فى معنى الخبر اى لن يتقبّل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة فى تساوى الانفاقين
فى عدم القبول كانّهم أُمروا بأن يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبّل منهم وهو جوابُ قول جدّ بن
قيس وأُعينك بمالى ونفى التقبّل يحتمل امرين أن لا يؤخذ منهم وان لا يُثابوا عليه وقوله إِنَّكُمْ كُنتُمْ
قَوْمًا فَاسِقِينَ تعليل له على سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له (٥٤) وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ
نفقاتهم إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِ اى وما منعهم قبولَ نفقاتهم الّا كفرهم وقرأ حمزة والكسائىّ أَن يُقْبَلَ

جزء ١٠ بالياء لانّ تأنيث النفقات غير حقيقىّ وقرئ يَقْبَلَ على انّ الفعل للّه وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ
ركوع ١٣ متثاقلين وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ لانّهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا
(٥٥) فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ فانّ ذلك استدراج ووبال لهم كما قال إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصايب
وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتّع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك
استدراجا لهم ، وأصلُ الزهوق الخروج بصعوبة (٥٦) وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ لمن جملة المسلمين
وَمَا هُمْ مِنْكُمْ لكفر قلوبهم وَلٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين
فيظهرون الاسلام تقيّةً (٥٧) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً حصنا يلجئون اليه أَوْ مَغَارَاتٍ غيرانا أَوْ مُدَّخَلًا نفقا
ينجحرون فيه مُفْتَعَل من الدخول وقرأ يعقوب مَدْخَلًا من دخل وقرئ مُدْخَلًا اى مكانا يُدْخِلون
فيه انفسهم ومُتَدَخَّلًا ومُنْدَخَلًا من تدخّل واندخل لَوَلَّوْا إِلَيْهِ لأقبلوا نحوه وَهُمْ يَجْمَحُونَ يسرعون
اسراعا لا يردّهم شىء كالفرس الجَموح وقرئ يَجْمِزُونَ ومنه الجمّازة (٥٨) وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ يعيبك وقرأ
يعقوب يَلْمُزُكَ بالضمّ وابن كثير يُلَامِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَاتِ فى قسمها فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا
إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ قيل انّها نزلت فى ابى الجوّاظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انّما يقسم صدقاتكم
فى رُعاة الغنم ويزعم انّه يعدل وقيل فى ابن ذى الخُوَيْصِرة رأس الخوارج كان رسول اللّه صلعم يقسم
غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكّة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول اللّه قال ويلك ان لم
اعدل فمن يعدل ، وإذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائيّة (٥٩) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ
ما اعطاهم الرسول من الصدقة او الغنيمة وذكرُ اللّه للتعظيم والتنبيه على انّ ما فعله الرسول كان
بأمره وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ كفانا فضله سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ صدقةً او غنيمةً اخرى فيؤتينا اكثر
ممّا آتانا إِنَّا إِلَى ٱللَّهِ رَاغِبُونَ فى ان يغنينا من فضله ، والآية بأسرها فى حيّز الشرط والجواب محذوف
تقديره لكان خيرا لهم ثمّ بيّن مَصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال
ركوع ١٤ (٦٠) إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَاكِينِ اى الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على انّ
المراد باللمز لَمْزُهم فى قسم الزكوات دون الغنائم ، والفقير من لا مال له ولا كسب يقع مَوْقعا من
الحاجة من الفَقار كانّه أُصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كأنّ العجز
اسكنه ويدلّ عليه قوله تعالى أمّا السفينة فكانت لمساكين وانّه عم سأل المسكنة وتعوّذ من الفقر وقيل
بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا مَتْرَبة وَٱلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا الساعين فى تحصيلها وجمعها وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ
قومٌ اسلموا ونيّتهم ضعيفة فيه فيُستألف قلوبهم او اشرافٌ يُترقّب باعطائهم ومراعاتهم اسلامُ نظرائهم
وقد اعطى رسول اللّه عُيَيْنة بن حِصْن والاقرع بن حابس والعبّاس بن مِرْداس لذلك وقيل اشرافٌ

يستألفون على ان يسلموا فانّه عم كان يعطيهم والاصحّ انّه كان يعطيهم من خمس الخمس الّذى جزء ١٠
كان خاصّ ماله وقد عدّ منهم من يؤلّف قلبه بشىء منها على قتال الكفّار ومانعى الزكوة وقيل كان ركوع ١٤
سهم المؤلّفة لتكثير سواد الاسلام فلمّا اعزّه اللّه تعالى وكثّر اهله سقط وَفِى ٱلرِّقَابِ وللصرف فى فكّ الرقاب
بأن يعاون المكاتب بشىء منها على اداء النجوم وقيل بأن تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد
٥ او بأن تفدى الأسارى ، والعدول عن اللام الى فى للدلالة على انّ الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل
للايذان بانّهم احقّ بها وَٱلْغَارِمِينَ والمديونين لانفسهم فى غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح
ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عم لا تحلّ الصدقة لغنىّ الّا لخمسة لغاز فى سبيل اللّه او لغارم او لرجل
اشتراها بماله او لرجل له جار مسكين فتصدّق على المسكين فاهدى المسكين للغنىّ او لعامل عليها
وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وللصرف فى الجهاد بالانفاق على المتطوّعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفى بناء القناطر
١٠ والمصانع وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ المسافر المنقطع عن ماله فَرِيضَةً مِنَ ٱللَّهِ مصدر لما دلّ عليه الآية اى فرض اللّه لهم
الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكنّ فى للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
يضع الاشياء فى مواضعها ، وظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب
الصرف الى كلّ صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضيّة الاشتراك واليه ذهب الشافعىّ وعن عمر
وحذيفة وابن عبّاس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمّة الثلاثة
١٥ واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتى شيخى ووالدى رحمه اللّه على انّ الآية بيان انّ الصدقة لا تخرج
منهم لا ايجاب قسمها عليهم (٦١) وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ يسمع كلّ ما يقال له
ويصدّقه سمّى بالجارحة للمبالغة كانّه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمّى الجاسوس عينا
لذلك او اشتقّ له فعل من أذن أذنا اذا استمع كأنف وشلل روى انّهم قالوا محمّد أُذُنٌ سامعة نقول
ما شئنا ثمّ نأتيه فيصدّقنا بما نقول قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ تصديق لهم بانّه اذن ولكن لا على الوجه الّذى
٢٠ ذمّوا به بل من حيث انّه يسمع الخير ويقبله ثمّ فسّر ذلك بقوله يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ يصدّق به لما قام عنده
من الادلّة وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ويصدّقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق
فانّه بمعنى التسليم وايمان الامان (٦٢) وَرَحْمَةٌ اى وهو رحمة لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ لمن اظهر الايمان حيث
يقبله ولا يكشف سرّه وفيه تنبيه على انّه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحّما عليكم ،
وقرأ حمزة وَرَحْمَةٍ بالجرّ عطفا على خير وقرئ بالنصب على انّها علّة فعل دلّ عليه اذن خير اى يأذن
٢٥ لكم رحمة وقرأ نافع أُذْن بالتخفيف فيهما وقرئ أُذُنٌ خَيْرٌ على انّ خير صفة له او خبر ثان
وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بايذائه (٦٣) يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ على معاذيرهم فيما قالوا او
تخلّفوا لِيُرْضُوكُمْ اى لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ احقّ بالارضاء
بالطاعة والوفاق ، وتوحيد الضمير لتلازم الرضاتين او لانّ الكلام فى ايذاء الرسول وارضائه او لانّ التقدير

جزء ١٠ واللّه احقّ ان يرضوه والرسولُ كذلك اِنْ كانُوا مُؤْمِنِينَ صدقا (٦٤) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ ان الشأن * وقرئ بالتاء
ركوع ١٤ مَنْ يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يشاقق مفاعلة من الحدّ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا على حذف الخبر اى
فحقّ أنّ له او على تكرير أنّ للتأكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على أنّه ويكون الجواب محذوفا
تقديره من يحادد اللّه ورسوله يهلك وقرئ فَإِنَّ بالكسر ذٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ يعنى الهلاك الدائم
(٦٥) يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ على المؤمنين سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ وتهتك عليهم أستارهم
ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين فانّ النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انّه مقروّ ومحتجّ به
عليهم وذلك يدلّ على تردّدهم ايضا فى كفرهم وانّهم لم يكونوا على بتّ فى امر الرسول بشىء وقيل انّه
خبر فى معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مبرز او
مظهر مَا تَحْذَرُونَ اى ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم
(٦٦) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ روى انّ ركب المنافقين مرّوا على رسول اللّه صلعم
فى غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشأم وحصونه هيهات هيهات فأخبر اللّه
به نبيّه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا واللّه ما كنّا فى شىء من امرك وامر اصحابك ولكن كنّا
فى شىء ممّا يخوض فيه الركب ليقصّر بعضنا على بعض السفر قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ
توبيخا على استهزائهم بمن لا يصحّ الاستهزاء به والزاما للحجّة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب
(٦٧) لَا تَعْتَذِرُوا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانّها معلومة الكذب قَدْ كَفَرْتُمْ قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول
والطعن فيه بَعْدَ إِيمَانِكُمْ بعد اظهاركم الايمان إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ لتوبتهم واخلاصهم او
لتجنّبهم عن الايذاء والاستهزاء نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ مصرّين على النفاق او مقدمين على
الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو اللّه وإِنْ تُعْفَ بالتاء
ركوع ١٥ والبناء للمفعول ذهابا الى المعنى كأنّه قال إن ترحم طائفة (٦٨) الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ
اى متشابهة فى النفاق والبعد عن الايمان كأبعاض الشىء الواحد وقيل انّه تكذيب لهم فى حلفهم
باللّه إنّهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانّه يدلّ على مضادّة حالهم لحال
المؤمنين وهو قوله يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ بالكفر والمعاصى وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ عن الايمان والطاعة
وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ عن المبارّ وقبض اليد كناية عن الشحّ نَسُوا اللّهَ اغفلوا ذكر اللّه وتركوا طاعته
فَنَسِيَهُمْ فتركهم من لطفه وفضله إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ الكاملون فى التمرّد والفسوق عن دائرة
الخير (٦٩) وَعَدَ اللّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا مقدّرين الخلود هِيَ حَسْبُهُمْ
عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها وَلَعَنَهُمُ اللّهُ ابعدهم من رحمته واهانهم وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ

جزء ١٠ لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق (٧٠) كَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ اى انتم مثل
ركوع ١٥ الّذين او فعلتم مثل فعل الّذين من قبلكم كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا بيان لتشبيههم
بهم وتمثيل حالهم بحالهم فَٱسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ نصيبهم من ملاذّ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير
فانّه ما قُدّر لصاحبه فَٱسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ ذمّ الاوّلين
٥ باستمتاعهم بحظوظهم المُخْدَجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى
تحصيل اللذائذ الحقيقيّة تمهيدا لذمّ المخاطَبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وَخُضْتُمْ ودخلتم فى الباطل
كَٱلَّذِى خَاضُوا كالّذين خاضوا او كالفوج الّذى خاضوا او كالخوض الّذى خاضوه أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ لم يستحقّوا عليها ثوابا فى الدارين وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ الّذين خسروا
الدنيا والآخرة (٧١) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ اغرقوا بالطوفان وَعَادٍ اهلكوا بالريح وَثَمُودَ
١٠ اهلكوا بالرجفة وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ واهل مدين وهم قوم
شعيب اهلكوا بالنار يوم الظُّلّة وَٱلْمُؤْتَفِكَاتِ قُرَيَات قوم لوط ائتفكتْ بهم اى انقلبت بهم فصار عاليها
سافلها وأُمطروا حجارةً من سجّيل وقيل قريات المكذّبين المتمرّدين وائتفاكهنّ انقلاب احوالهنّ من
الخير الى الشرّ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ يعنى الكلّ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ اى لم يكن من عادته ما يشابه
ظُلْمَ الناس كالعقوبة بلا جُرْم وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ حيث عرّضوها للعقاب بالكفر والتكذيب
١٥ (٧٢) وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فى مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فى سائر
الامور أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ لا محالة فانّ السين موكّدة للوقوع إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غالب على كلّ شىء لا
يمتنع عليه ما يريده حَكِيمٌ يضع الاشياء مواضعها (٧٣) وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى
مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفى الحديث
٢٠ انّها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ اقامة وخلود وعنه عم عدنٌ دار اللّه
الّتى لم ترها عينٌ ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غيرُ ثلاثة النبيّون والصدّيقون والشهداء
يقول اللّه تعالى طوبى لمن دخلك ، ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدّد الموعود لكلّ واحد
او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانّه وصفه اوّلا بانّه من جنس ما هو ابهى الاماكن
الّتى يعرفونها ليميل اليه طباعهم اوّل ما يقرع اسماعهم ثمّ وصفه بانّه محفوف بطيب العيش معرًّى عن
٢٥ شوائب الكدورات الّتى لا يخلو عن شىء منها اماكنُ الدنيا وفيها ما تشتهى الانفس وتلذّ الاعين

جزء ١٠ ثمّ وصفه بانّه دار اقامة وثبات فى جوار علّيّين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغيّر ثمّ وعدهم بما هو اكبر
ركوع ١٥ من ذلك فقال وَرِضْوَانٌ مِنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ لانّه المبدأ لكلّ سعادة وكرامة والمؤدّى الى نيل الوصول والفوز
باللقاء وعنه عم انّ اللّه يقول لاهل الجنّة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تُعْطِ
احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا وايّ شىء افضل من ذلك قال أُحِلّ عليكم
رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا ذٰلِكَ اى الرضوان او جميع ما تقدّم هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٱلَّذِى يُسْتحقر
ركوع ١٦ دونه الدنيا وما فيها (٧٤) يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ بالسيف وَٱلْمُنَافِقِينَ بالزام الحجّة واقامة الحدود
وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ فى ذلك ولا تحابهم وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ مصيرهم (٧٥) يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا
روى انّه عم اقام فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب المتخلّفين فقال الجُلاس بن سُوَيْد
لئن كان ما يقول محمّد لاخواننا حقّا لنحن شرّ من الحمير فبلغ ذلك رسول اللّه صلعم فاستحضره
فحلف باللّه ما قاله فنزلت فتاب الجُلاس وحسنت توبته وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ
واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا من فتك الرسول وهو انّ خمسة عشر منهم توافقوا
عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنّم العَقَبة بالليل فاخذ عمّار بن ياسر
بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الابل
وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء اللّه فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بأن
يتوّجوا عبد اللّه بن أُبَىّ وان لم يرضَ رسول اللّه صلعم وَمَا نَقَمُوا وما انكروا او ما وجدوا ما يورث
نقمتهم إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فانّ اكثر اهل المدينة كانوا محاويج فى ضنك من العيش
فلمّا قدمهم رسول اللّه صلعم أثْرَوْا بالغنائم وقُتل للجُلاس مَوْلًى فأمر رسول اللّه صلعم بديته اثنى عشر
الفا فاستغنى ، والاستثناء مفرّغ من اعمّ المفاعيل او العلل فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وهو الّذى حمل
الجُلاس على التوبة والضمير فى يَكُ للتوب وَإِنْ يَتَوَلَّوْا بالاصرار على النفاق يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى
ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ بالقتل والنار وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِنْ وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ فينجيهم من العذاب (٧٦) وَمِنْهُمْ مَنْ
عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ نزلت فى ثعلبة بن حاطب اتى النبىّ
صلعم وقال ادْعُ اللّه ان يرزقنى مالا فقال عم يا ثعلبة قليلٌ تؤدّى شكره خيرٌ من كثير لا تطيقه فراجعه
وقال والّذى بعثك بالحقّ لئن رزقنى مالا لأُعطينّ كلّ ذى حقّ حقّه فدعا له فاتّخذ غنما فنمت كما
ينمى الدود حتّى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجُمْعة فسأل عنه رسول اللّه صلعم
فقيل كثر ماله حتّى لا يَسَعه وادٍ فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدّقَيْن لأَخْذ الصدقات فاستقبلهما الناس
بصدقاتهم ومرّا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه الكتاب الّذى فيه الفرائض فقال ما هذه الّا جزية ما هذه
الّا اخت الجزية فارجعا حتّى ارى رأيى فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عم انّ اللّه منعنى ان اقبل منك
فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تُطِعْنى فقبض رسول اللّه صلعم فجاء بها

الى ابى بكر رضه فلم يقبلها ثمّ جاء بها الى عمر رضه فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمن عثمان رضه جزء ١٠
(٧٧) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ منعوا حق اللّه منه وَتَوَلَّوْا عن طاعة اللّه وَهُمْ مُعْرِضُونَ وهم قومٌ ركوع ١٩
عادتهم الاعراض عنها (٧٨) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ اى فجعل اللّه عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد فى قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فأورثهم البخل نفاقا متمكّنا فى قلوبهم إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ يلقون اللّه بالموت او يلقون عمله اى جزاءه وهو يوم القيامة بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدّق والصلاح وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ وبكونهم كاذبين فيه فانّ خُلْف الوعد متضمّن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يُكَذِّبُونَ بالتشديد (٧٩) أَلَمْ يَعْلَمُوا اى المنافقون او من عاهد اللّه وقرئ بالتاء على الالتفات أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ ما اسرّوه فى انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف وَنَجْوَاهُمْ وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ فلا يخفى عليه ذلك (٨٠) الَّذِينَ يَلْمِزُونَ ذمّ مرفوع او منصوب او بدل من الضمير فى سرّهم وقرئ يَلْمُزُونَ بالضمّ الْمُطَّوِّعِينَ المتطوّعين مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ روى انّه عم حثّ على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف درهم فأقرضتُ ربّى اربعةً وامسكت لعيالى اربعةً فقال رسول اللّه صلعم بارك اللّه لك فيما اعطيتَ وفيما امسكتَ فبارك اللّه له حتّى صولحتْ احدى امرأتَيْه عن نصف الثّمن على ثمانين الف درهم وتصدّق عاصم بن عَدِىّ بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصارىّ بصاع تمر فقال بِتُّ ليلتى أَجُرُّ بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فأمره رسول اللّه صلعم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم إلّا رئاء ولقد كان اللّه ورسوله لَغنيّين عن صاع ابى عقيل ولكنّه احبّ ان يذكّر بنفسه ليُعْطَى من الصدقات فنزلت وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ الّا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدرُ جَهَدَ فى الامر اذا بالغ فيه فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ يستهزءون بهم سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ جازاهم على سخريّتهم كقوله تعالى اللّه يستهزئ بهم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ على كفرهم (٨١) اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ يريد به التساوى بين الامرَيْن فى عدم الافادة لهم كما نصّ عليه بقوله إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ روى انّ عبد اللّه بن عبد اللّه بن ابىّ وكان من المُخْلِصين سأل رسول اللّه صلعم فى مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عم لازيدنّ على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر اللّه لهم وذلك لانّه عم فهم من السبعين العدد المخصوص لانّه الاصل فجوّز ان يكون ذلك حدًّا يخالفه حكمُ ما وراءه فبيّن له انّ المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها فى التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام

العدد فكأنه العدد بأسره ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ اشارة الى انّ اليأس من المغفرة وعدم قبول جزء ۱۰
استغفارك ليس لبخل منّا ولا قصورٍ فيك بل لعدم قابليّتهم بسبب الكفر الصارف عنها وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي رکوع ۱۹
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ المتمرّدين فى كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فانّ مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر
والارشاد الى الحقّ والمنهمك فى كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدى والتنبيه على عذر الرسول فى
استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انّهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار
بعد العلم لقوله تعالى ما كان للنبىّ والّذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد
ما تبيّن لهم انّهم اصحاب الجحيم (۸۲) فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللّٰهِ بقعودهم عن الغزو رکوع ۱۷
خلفه يقال اقام خلاف الحىّ اى بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلّة او
الحال وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ايثارا للدعة والخفض على طاعة اللّٰه وفيه
تعريض بالمؤمنين الّذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ اى
قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا وقد آثرتموها بهذه المخالفة
لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ أَنَّ مَآبَهُمْ اليها او أنّها كيف هى ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة (۸۳) فَلْيَضْحَكُوا
قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ اخبار عمّا يؤول اليه حالهم فى الدنيا والآخرة اخرجه على
صيغة الامر للدلالة على انّه حتمٌ واجبٌ ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغمّ
والمراد من القلّة العدم (۸۴) فَإِنْ رَجَعَكَ اللّٰهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فان ردّك اللّٰه الى المدينة وفيها طائفة من
المتخلّفين يعنى منافقيهم فانّ كلّهم لم يكونوا منافقين او من بقى منهم وكان المتخلّفون اثنى عشر
رجلا فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ الى غزوة اخرى بعد تبوك فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا
اخبار فى معنى النهى للمبالغة إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة
عقوبة لهم على تخلّفهم واوّل مرّة هى الخرجة الى غزوة تبوك فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ اى المتخلّفين لعدم
لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مَعَ الْخَلِفِينَ على قصر الخالفين (۸۵) وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ
مَاتَ أَبَدًا روى انّ عبد اللّٰه بن أُبَىّ دعا رسول اللّٰه صلعم فى مرضه فلمّا دخل عليه سأله ان يستغفر له
ويكفّنه فى شعاره الّذى يلى جسده ويصلّى عليه فلمّا مات ارسل قميصه ليكفّن فيه وذهب ليصلّى عليه
فنزلت وقيل صلّى عليه ثمّ نزلت وانّما لم ينه عن التكفين فى قميصه ونهى عن الصلوة عليه لانّ
الضنّ بالقميص كان مخلّا بالكرم ولانّه كان مكافأة لالباسه العبّاس قميصه حين أُسر ببدر والمراد من
الصلوة الدعاء للميّت والاستغفار له وهو ممنوع فى حقّ الكافر ولذلك رتّب النهى على قوله مات ابدا
يعنى الموت على الكفر فانّ احياء الكافر للتعذيب دون التمتّع فكأنّه لم يحى وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ولا
تقف عند قبره للدفن او الزيارة إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ تعليل للنهى او لتأبيد الموت

---

(۸۶) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ

تكرير للتأكيد والامر حقيق به فانّ الأبصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز جزء ١٠ ان تكون هذه فى فريق غير الاوّل (٨٧) وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ من القران ويجوز ان يراد بعضها أَنْ آمِنُوا بِٱللَّهِ ركوع ١٧ بأن آمنوا باللّه ويجوز ان تكون أن المفسّرة وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَأْذَنَكَ أُولُو ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ ذوو الفضل والسعة وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ ٱلْقَاعِدِينَ ٱلّذين قعدوا لعذر (٨٨) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للّذى لا خير فيه وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ما فى الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما فى التخلّف عنه من الشقاوة (٨٩) لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ اى ان تخلّف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَاتُ منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنّة والكرامة فى الآخرة وقيل الحور لقوله تعالى فيهنّ خيراتٌ حسانٌ وهى جمع خَيْرة تخفيف خَيِّرة وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ الفائزون بالمطالب (٩٠) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ بيان لما لهم من الخيرات الاخرويّة (٩١) وَجَآءَ ركوع ١٨ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ يعنى اسدا وغطفان استأذنوا فى التخلّف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطُفَيل قالوا ان غزونا معك اغارت طىٌّ على اهالينا ومواشينا ٭ والمعذّر امّا من عذّر فى الامر اذا قصّر فيه مُوهما انّ له عُذْرا ولا عُذْرَ له او من اعتذر اذا مهّد العُذر بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسرُ العين لالتقاء الساكنين وضمُّها للاتّباع لكن لم يُقرأ بهما وقرأ يعقوب ٱلْمُعْذِرُونَ من اعذر اذا اجتهد فى العُذر وقرئ ٱلْمُعَّذِّرُونَ بتشديد العين والذال على انّه من تعذّر بمعنى اعتذر وهو لحنٌ اذ التاء لا تدغم فى العين ٭ وقد اختُلف فى انّهم كانوا معتذرين بالتصنّع او بالصحّة فيكون قوله وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فى غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا اللّه ورسوله فى ادّعاء الايمان وان كانوا هم الاوّلين فكذبهم بالاعتذار سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ من الاعراب او من المعذّرين فانّ منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عَذَابٌ أَلِيمٌ بالقتل والنار (٩٢) لَيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ كالهَرْمَى والزَمْنَى وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ لفقرهم كجُهَيْنة ومُزَيْنة وبنى عُذْرة حَرَجٌ اثمٌ فى التأخّر إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ بالايمان والطاعة فى السرّ والعلانية كما يفعل الموالى الناصح او بما قدروا عليه فعلا وقولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانّما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انّهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتَبين لذلك وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لهم او للمسىء فكيف للمحسن (٩٣) وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكّاؤون سبعة من الانصار مَعْقِل بن يَسار وصَخْر بن خَنْساء وعبد اللّه بن كعب وسالم بن عُمَيْر

جزء ١٠ ركوع ١٨ وثعلبة بن غَنَمة وعبد الله بن مغفّل وعليّة بن زيد اتوا رسول الله صلعم وقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزُ معك فقال لا اجد فتولّوا وهم يبكون وقيل بنو مُقرّن مَعْقل وسُوَيْد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ حال من الكاف فى اتوك باضمار قَدْ تَوَلَّوْا جواب اذا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ تسيل مِنَ ٱلدَّمْعِ اى دمعا فانّ مِنْ للبيان وهى مع المجرور فى محلّ النصب على التمييز وهو ابلغ من يَفيض دمعُها لانّه يدلّ على انّ العين صارت دمعا فيّاضا حَزَنًا نصب على العلّة او الحال او المصدر لفعل دلّ عليه ما قبله أَلَّا يَجِدُوا اى لئلّا يجدوا متعلّق بحزنا او بتفيض مَا يُنْفِقُونَ فى مغزاهم (٩٤) إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ بالمعاتبة عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ واجدون الأهبة رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ استيناف ببيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ايثارا للدعة وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ حتّى غفلوا عن وخامة العاقبة
جزء ١١ ركوع ١ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مغبّته (٩٥) يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ فى التخلّف إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ من هذه السفرة قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا بالمعاذير الكاذبة لانّه لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ لن نصدّقكم لانّه قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ اعلمنا بالوحى الى نبيّه بعضَ اخباركم وهو ما فى ضمائركم من الشرّ والفساد وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانّه استتابة وامهال للتوبة ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ اى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انّه مطّلع على سرّهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شىء من ضمائرهم واعمالهم فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بالتوبيخ والعقاب عليه (٩٦) سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فلا تعاتبوهم فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ولا توبّخوهم إِنَّهُمْ رِجْسٌ لا ينفع فيهم التأنيب فانّ المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علّة للاعراض وترك المعاتبة وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ من تمام التعليل وكانّه قال انّهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ فى الدنيا والآخرة او تعليل ثانٍ والمعنى انّ النار كفتهم عتابا فلا تتكلّفوا عتابهم جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علّة (٩٧) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ اى فانّ رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبّسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبّسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا يُنْزل الهوان بهم ، والمقصود من الآية النهى عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم (٩٨) ٱلْأَعْرَابُ اهل البدو أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا من اهل الحضر لتوحّشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلّة استماعهم للكتاب

والسنّة وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا واحقّ بأن لا يعلموا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ من الشرائع فرائضها جزء ١١
وسُنَنها وَٱللَّهُ عَلِيمٌ يعلم حال كلّ واحد من اهل الوَبَر والمَدَر حَكِيمٌ فيما يصيب به مُسيئهم ومُحْسنهم ركوع ١
عقابا وثوابا (٩٩) وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ يعدّ مَا يُنْفِقُ يصرفه فى سبيل اللّه ويتصدّق به مَغْرَمًا غرامة
وخسرانا اذ لا يحتسبه عند اللّه ولا يرجو عليه ثوابا وانّما ينفق رئاء او تقيّة وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَائِرَ
دوائر الزمان ونُوَبه لينقلب الامر عليكم فيتخلّص من الانفاق عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ اعتراض بالدعاء عليهم
بنحو ما يتربّصون او الاخبار عن وقوع ما يتربّصون عليهم ، والدائرة فى الاصل مصدر او اسم فاعل
من دار يدور وسمّى به عُقْبة الزمان ، والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رَجُل صِدْقٍ
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ٱلسُّوْء هنا وفى الفتح بضمّ السين وَٱللَّهُ سَمِيعٌ لما يقولون عند الانفاق عَلِيمٌ
بما يضمرون (١٠٠) وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ ٱللَّهِ سبب
قربات وهى ثانى مفعولى يتّخذ وعند اللّه صفتها او ظرف ليتّخذ وَصَلَوَاتِ ٱلرَّسُولِ وسبب صلواته لانّه
عم كان يدعو للمتصدّقين ويستغفر ولذلك سُنّ للمصدّق ان يدعو للمتصدّق عند اخذ صدقته لكن
ليس له ان يصلّى عليه كما قال عم اللّهمّ صلّ على آل ابى أَوْفى لانّه مَنْصبه فله ان يتفضّل به على غيره
أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ شهادة من اللّه بصحّة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه
وإنّ المحقّقة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قُرُبَةٌ بضمّ الراء سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِ وعد لهم
باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لتقريره وقيل الاولى فى اسد وغطفان
وبنى تميم والثانية فى عبد اللّه ذى البجادين وقومه (١٠١) وَٱلسَّابِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ هم ركوع ٢
الّذين صلّوا الى القبلتين او الّذين شهدوا بدرا او الّذين اسلموا قبل الهجرة وَٱلْأَنْصَارِ اهل بيعة العَقَبة
الاولى وكانوا سبعة واهل العَقَبة الثانية وكانوا سبعين والّذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مُصْعَب
بن عُمَيْر ، وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ اللاحقون بالسابقين من
القبيلين او من اتّبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم
وَرَضُوا عَنْهُ بما نالوا من نعمه الدينيّة والدنيويّة وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَارُ وقرأ ابن كثير
مِنْ تَحْتِهَا كما فى سائر المواضع خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٠٢) وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ ممّن حول
بلدتكم يعنى المدينة مِنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وهم جُهَيْنة ومُزَيْنة وأَسْلَم وأَشْجَع وغفار كانوا نازلين حولها
وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ عطف على ممّن حولكم او خبرٌ لمحذوف صفته مَرَدُوا عَلَى ٱلنِّفَاقِ ونظيره فى حذف
الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله ⁕ انا ابْنُ جَلَا وطَلَّاعُ الثنايا ⁕ وعلى الأوّل صفة للمنافقين فصل بينهما

جزء ١١ وبينه بالمعطوف على الخبر او كلامٌ مبتدأ لبيان تمرّنهم وتمهّرهم فى النفاق لَا تَعْلَمُهُمْ لا تعرفهم باعيانهم
ركوع ٢ وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوّقهم فى تحامى مواقع التّهم الى حدّ اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ونطّلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبّسوا عليك لم يقدروا ان يلبّسوا علينا سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او بأخذ الزكوة ونهك الابدان ثُمَّ يُرَدُّونَ
٥ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ عذاب النار (١٠٣) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ولم يعتذروا من تخلّفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلّفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد لمّا بلغهم ما نزل فى المتخلّفين فقدم رسول اللّه صلعم فدخل المسجد على عادته فصلّى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انّهم اقسموا ان لا يحلّوا انفسهم حتّى يحلّهم فقال وانا اقسم ان لا احلّهم حتّى أُومَر فيهم فنزلت فاطلقهم خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا خلطوا العمل الصالح الّذى هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيّئ
١٠ هو التخلّف وموافقة اهل النفاق ، والواو امّا بمعنى الباء كما فى قولهم بعتُ الشاء شاةً ودرهما او للدلالة على انّ كلّ واحد منهما مخلوط بالآخر عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ان يقبل توبتهم وهى مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يتجاوز عن التائب ويتفضّل عليه (١٠٤) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً روى انّهم لمّا أُطلقوا قالوا يا رسول اللّه هذه اموالنا الّتى خلّفتنا فتصدّق بها وطهّرنا فقال ما أُمرتُ ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تُطَهِّرُهُمْ عن الذنوب او حبّ المال المؤدّى بهم الى مثله وقرئ
١٥ تُطْهِرُهُمْ من اطهره بمعنى طهّره وتُطَهِّرْهُمْ بالجزم جوابا للامر وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وتُنمى بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وَصَلِّ عَلَيْهِمْ واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ تسكن اليها نفوسهم وتطمئنّ بها قلوبهم وجمعها لتعدّد المدعوّ لهم وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص بالتوحيد وَاللَّهُ سَمِيعٌ باعترافهم عَلِيمٌ بندامتهم (١٠٥) أَلَمْ يَعْلَمُوا الضمير امّا للمتوب عليهم والمرادُ ان يمكّن فى قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمرادُ به التخصيص عليهما أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ
٢٠ عَنْ عِبَادِهِ اذا صحّت وتعديته بعَنْ لتضمّنه معنى التجاوز وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ يقبلها قبولَ من يأخذ شيئا ليؤدّى بدله وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وانّ من شأنه قبول توبة التائبين والتفضّل عليهم (١٠٦) وَقُلِ اعْمَلُوا ما شئتم فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ فانّه لا يخفى عليه خيرا كان او شرّا وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ فانّه تعالى لا يُخفى عنهم كما رأيتم وتبيّن لكم وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ بالموت فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بالمجازاة عليه (١٠٧) وَآخَرُونَ من المتخلّفين مُرْجَوْنَ مؤخّرون اى موقوفٌ امرهم من
٢٥ ارجأته اذا اخّرته وقرأ نافع وحمزة والكسائىّ وحفص مُرْجَوْنَ بالواو وهما لغتان لِأَمْرِ اللَّهِ فى شأنهم إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ان اصرّوا على النفاق وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ان تابوا والترديدُ للعباد وفيه دليل على انّ كلا الامرين بارادة اللّه تعالى وَاللَّهُ عَلِيمٌ باحوالهم حَكِيمٌ فيما يفعل بهم وقرئ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، والمراد

بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن أُمَيّة ومُرارة بن الربيع امر رسول اللّه صلعم اصحابه ان لا يسلّموا عليهم ولا يكلّموهم فلمّا رأوا ذلك اخلصوا نيّاتهم وفوّضوا امرهم الى اللّه فرحمهم اللّه تعالى (۱۰۸) وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مَسْجِدًا عطف على وآخرون مرجَوْن او مبتدأ خبره محذوف اى وفيمن وصفنا الّذين اتّخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضِرَارًا مُضارّة للمؤمنين روى انّ بنى عمرو بن عَوْف لمّا بنوا مسجدَ قُباء سألوا رسول اللّه صلعم ان يأتيهم فأتاهم فصلّى فيه فحسدهم اخوانهم بنو غَنْم بن عوف فبنوا مسجدا على قصدِ أن يؤُمّهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشأم فلمّا اتمّوه اتوا رسول اللّه صلعم فقالوا انّا قد بنينا مسجدا لذى الحاجة والعلّة والليلة المَطيرة والشاتية فصلّ فيه حتى نتّخذه مصلًّى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدُخْشُم ومَعْن بن عَدىّ وعامر ابن السَكَن والوَحْشىّ فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهْدموه وأحْرقوه ففعل واتّخذ مكانه كُناسةً وَكُفْرًا وتقوية للكفر الّذى يُضمرونه وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ يريد الّذين كانوا يجتمعون للصلوة فى مسجد قُباء وَإِرْصَادًا ترقّبا لِمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يعنى الراهب فانّه قال لرسول اللّه صلعم يومَ أُحُد لا اجد قوما يقاتلونك الّا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حُنَيْن انهزم مع هَوازِنَ وهرب الى الشأم ليأتى من قيصر بجنود يحارب بهم رسول اللّه صلعم ومات بقِنّسْرِين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يومَ الأحزاب فلمّا انهزموا خرج الى الشأم مِنْ قَبْلُ متعلّق بحارب او باتّخذوا اى اتّخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلّف لما روى انّه بُنى قُبَيْل غزوة تبوك فسألوا رسول اللّه صلعم ان يأتيه فقال انّا على جَناحِ سفر واذا قدمنا ان شاء اللّه صلّينا فيه فلمّا قفل كُرّر عليه فنزلت وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ما اردنا ببنائه الّا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهى الصلوة والذكر والتوسعة على المصلّين وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فى حلفهم (۱۰۹) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا للصلوة لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ يعنى مسجدَ قُباء أسّسه رسول اللّه صلعم وصلّى فيه ايّام مُقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانّه اوفق للقصّة او مسجدَ رسول اللّه صلعم لقول ابى سعيد سألت رسول اللّه عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ من ايّام وجوده ومِنْ تعمّ الزمان والمكان كقوله

لِمَنِ الديار بقُنّة الحِجْر أَقْوَيْنَ من حِجَجٍ ومن دَهْرِ

أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ اولى بأن تصلّى فيه فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا من المعاصى والخصال المذمومة طلبا لمرضاة اللّه سبحانه وتعالى وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ يرضى عنهم ويُدْنيهم من جنابه ادناء المحبّ حبيبَه قيل لمّا نزلت مشى رسول اللّه صلعم ومعه المهاجرون حتّى وقف على باب مسجد قُباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انّهم مؤمنون وانا معهم فقال عم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون

جزء ۱۱
رکوع ۲

جزء ١١ فى الرخاء قالوا نعم قال عم مؤمنون وربّ الكعبة فجلس ثمّ قال يا معشر الانصار انّ اللّه قد اثنى عليكم
ركوع ٢ فما الّذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول اللّه نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثمّ نتبع
الاحجار الماء فتلا رجال يحبّون ان يتطهّروا (١١٠) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ بنيان دينه عَلَى تَقْوَى مِنَ ٱللَّهِ
وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ على قاعدة محكمة هى التقوى من اللّه وطلب مرضاته بالطاعة أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا
جُرُفٍ هَارٍ على قاعدة هى اضعف القواعد وارخاها فَٱنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فأدّى به لخوره وقلّة استمساكه
الى السقوط فى النار وانّما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا
عليه أمر دينهم فى البطلان وسرعة الانطماس ثمّ رشّحه بانهياره به فى النار ووضعه فى مقابلة الرضوان
تنبيها على انّ تأسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان اللّه ومقتضياته الّتى الجنّة ادناها
وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع فى النار ساعة فساعة ثمّ انّ مصيرهم الى النار لا محالة ،
وقرأ نافع وابن عامر أُسِّسَ على البناء للمفعول وقرئ أَسَاسُ بُنْيَانِهِ وأُسُّ بُنْيَانِهِ على الاضافة وأُسُسُ وآسَاسُ
وإِسَاسُ بالكسر وثلاثتها جمع أُسّ وتَقْوًى بالتنوين على انّ الالف للالحاق لا للتأنيث كتَتْرًى وقرأ ابن
عامر وحمزة وابو بكر جُرْفٍ بالتخفيف وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ الى ما فيه صلاح ونجاة
(١١١) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْا بناؤهم الّذى بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد
تدخله التاء ووُصف بالمفرد وأُخبر عنه بقوله رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ اى شكّا ونفاقا والمعنى انّ بناءهم هذا لا
يزال سبب شكّهم وتزايد نفاقهم فانّه حملهم على ذلك ثمّ لمّا هدمه رسول اللّه صلعم رسخ ذلك فى قلوبهم
وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ قطعا بحيث لا يبقى لها قابليّة الادراك
والاضمار وهو فى غاية المبالغة والاستثناء من اعمّ الازمنة وقيل المراد بالتقطّع ما هو كائن بالقتل او
فى القبر او فى النار وقيل التقطّع بالتوبة ندما وأسفا ، وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء ، وتَقَطَّعَ بمعنى
تتقطّع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يُقَطَّعُ بالياء وتُقْطَعُ بالتخفيف وتُقَطِّعَ قُلُوبَهُمْ على
خطاب الرسول او كلّ مخاطب وَلَوْ قُطِّعَتْ وَلَوْ قَطَعْتَ على البناء للفاعل والمفعول وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بنيّاتهم
ركوع ٣ حَكِيمٌ فيما امر بهدم بنيانهم (١١٢) إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَى مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ
تمثيل لاثابة اللّه ايّاهم الجنّة على بذل انفسهم واموالهم فى سبيله يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ
استيناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون فى معنى الامر ، وقرأ حمزة والكسائىّ بتقديم المبنىّ
للمفعول وقد عرفت انّ الواو لا توجب الترتيب وانّ فعل البعض قد يسند الى الكلّ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا
مصدر مؤكّد لما دلّ عليه الشرى فانّه فى معنى الوعد فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ وَٱلْقُرْآنِ مذكورا فيهما كما
أُثبت فى القران وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللَّهِ مبالغة فى الانجاز وتقرير لكونه حقّا فَٱسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي

جزء ۱۱
ركوع ۳

بَايَعْتُمْ بِهِ فافرحوا به غاية الفرح فانّه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وَذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (۱۱۳) اَلتَّائِبُونَ رفع على المدح اى هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنّة وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكُلًّا وعد اللّٰهُ الحسنى او خبره ما بعده اى التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرًّا صفة للمؤمنين ٱلْعَابِدُونَ الذين عبدوا اللّٰه مُخْلصين له الدين ٱلْحَامِدُونَ لنعمائه او لما نابهم من السرّاء والضرّاء ٱلسَّائِحُونَ الصائمون لقوله عم سياحة امّتى الصوم شُبّه بها لانّه يعوق عن الشهوات او لانّه رياضة نفسانيّة يُتوصّل بها الى الاطّلاع على خفايا المُلْك والمَلَكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم ٱلرَّاكِعُونَ ٱلسَّاجِدُونَ فى الصلوة ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ بالايمان والطاعة وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ عن الشرك والمعاصى ، والعاطف فيه للدلالة على انّه بما عُطف عليه فى حكم خصلة واحدة كانّه قال الجامعون بين الوصفين وفى قوله وَٱلْحَافِظُونَ لِحُدُودِ ٱللّٰهِ اى فيما بيّنه وعيّنه من الحقائق والشرائع للتنبيه على انّ ما قبله مفصّل الفضائل وهذا مُجملها وقيل انّه للايذان بانّ التعداد قد تمّ بالسابع من حيث انّ السبعة هو العدد التامّ والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سُمّى واو الثمانية وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يعنى به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على انّ ايمانهم دعاهم الى ذلك وانّ المؤمن الكامل من كان كذلك ، وحذف المبشَّر به للتعظيم كانّه قيل وبشّرهم بما يَجِلّ عن احاطة الافهام وتعبير الكلام (۱۱۴) مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ روى انّه عم قال لابى طالب لمّا حضره الوفاة قُلْ كلمةً أُحاجّ لك بها عند اللّٰه فأبى فقال لا ازال استغفر لك ما لم أُنْهَ عنه فنزلت وقيل لمّا افتتح مكّة خرج الى الأبواء فزار قبر أُمّه ثمّ قام مستعبرا فقال انّى استأذنت ربّى فى زيارة قبر أُمّى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وانزل علىّ الآيتين وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ بأن ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لأحيائهم فانّه طلبُ توفيقهم للايمان وبه دُفع النقض باستغفار ابرهيم لابيه الكافر فقال (۱۱۵) وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ وعدها ابرهيمُ اباه بقوله لاستغفرنّ لك اى لاطلبنّ مغفرتك بالتوفيق للايمان فانّه يجُبّ ما قبله ويدلّ عليه قراءةُ من قرأ أَبَاهُ او وعدها ابرهيمَ ابوه وهى الوعد بالايمان فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ بأن مات على الكفر او أُوحى اليه بانّه لن يؤمن تَبَرَّأَ مِنْهُ قطع استغفاره إِنَّ إِبْرٰهِيمَ لَأَوَّاهٌ لكثير التأوّه وهو كناية عن فرط ترحّمه ورقّة قلبه حَلِيمٌ صبور على الاذى والجملةُ لبيانِ ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه (۱۱۶) وَمَا كَانَ ٱللّٰهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا اى ليسمّيهم ضُلّالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ للاسلام حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ حتّى يبيّن لهم حظرَ ما يجب اتّقاؤه وكانّه بيان عذر الرسول عم فى قوله لعمّه او لمن استغفر لأسلافه

*

جزء ١١ المشركين قبل المنع وقيل انّه فى قوم مضوا على الامر الأوّل فى القبلة والخمر ونحو ذلك ، وفى الجملة دليل
ركوع ٣ على انّ الغافل غير مكلّف إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ فيعلم امرهم فى الحالين (١١٧) إِنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوٰتِ
وَٱلْأَرْضِ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ لمّا منعهم عن الاستغفار للمشركين
وان كانوا اولى قربى وتضمّن ذلك وجوب التبرّئ عنهم رأسا بيّن لهم انّ اللّه مالك كلّ موجود ومتولّى
امره والغالب عليه ولا يتأتّى لهم ولاية ولا نصرة الّا منه ليتوجّهوا اليه ويتبرّءوا عمّا عداه حتّى لا يبقى
لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه (١١٨) لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ من اذن
المنافقين فى التخلّف او برّأهم عن علقة الذنوب كقوله تعالى ليغفر لك اللّه ما تقدّم من ذنبك وما
تأخّر وقيل هو بعثٌ على التوبة والمعنى ما من احد الّا وهو محتاج الى التوبة حتّى النبىّ صلعم
والمهاجرون والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى اللّه جميعا اذ ما من احد الّا وله مقام يستنقص دونه ما هو
فيه والترقّى اليه توبة من تلك النقيصة واظهارٌ لفضلها بانّها مقام الانبياء والصالحين من عباده
ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ فى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة الظَهر يعتقب العَشرة على
بعير واحد والزاد حتّى قيل انّ الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتّى شربوا الفَظّ مِن بَعْدِ مَا كَادَ
تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ عن الثبات على الايمان او اتّباع الرسول عم ، وفى كاد ضمير الشأن او ضمير القوم
والعائد اليه الضمير فى منهم ، وقرأ حمزة وحفص يَزِيغ بالياء لانّ تأنيث القلوب غير حقيقىّ وقرئ مِن
بَعْدِ مَا زَاغَتْ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ يعنى المتخلّفين ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ تكرير للتأكيد وتنبيه على انّه تاب
عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انّه تاب عليهم لكيدودتهم إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٩) وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ
وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أُميّة ومُرارة بن الربيع ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا تخلّفوا عن الغزو او
خُلّف امرهم فانّهم المرجَون حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ اى برحبها لاعراض الناس عنهم
بالكلّيّة وهو مثل لشدّة الحيرة وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ قلوبهم من فرط الوحشة والغمّ بحيث لا يسعها
أُنس وسرور وَظَنُّوا وعلموا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ من سخطه إِلَّآ إِلَيْهِ الّا الى استغفاره ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ
بالتوفيق للتوبة لِيَتُوبُوٓا او انزل قبول توبتهم ليُعَدّوا فى التوّابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرّة بعد
اخرى ليستقيموا على توبتهم إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ لمن تاب ولو عاد فى اليوم مائة مرّة ٱلرَّحِيمُ المتفضّل
ركوع ٤ عليه بالنعم (١٢٠) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ فيما لا يرضاه وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ فى ايمانهم وعهودهم
او فى دين اللّه نيّة وقولا وعملا وقرئ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ او فى توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء
الثلاثة واضرابهم (١٢١) مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ نهى
عبّر عنه بصيغة النفى للمبالغة وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ لا يصونوا انفسهم عمّا لم يصن نفسه عنه

ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روى انّ ابا خَيْثَمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حَسْناء فرشّتْ له جزء ١١
فى الظلّ وبسطت له الحصير وقرّبت اليه الرُطَبَ والماء البارد فنظر فقال ظلّ ظليل ورطب يانع وماء بارد ركوع ٤
وامرأة حسناء ورسول اللّه فى الضحّ والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومرّ كالريح
فمدّ رسول اللّه صلعم طَرْفَه الى الطريق فاذا براكب يَزْهاه السرابُ فقال كن ابا خيثمة فكانَهُ ففرح به
رسول اللّه صلعم واستغفر له ، وفى لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذٰلِكَ اشارة الى ما دلّ عليه قوله ما كان
من النهى عن التخلّف او وجوب المشايعة بِأَنَّهُمْ بسبب انّهم لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ شىء من العطش وَلَا نَصَبٌ
تعب وَلَا مَخْمَصَةٌ مجاعة فِى سَبِيلِ ٱللّٰهِ وَلَا يَطَـُٔونَ ولا يدوسون مَوْطِئًا مكانا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ يُغْضِبهم وطْؤه
وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا كالقتل والاسر والنهب إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ الّا استوجبوا به الثواب
وذلك ممّا يوجب المشايعة إِنَّ ٱللّٰهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ على احسانهم وهو تعليل لكُتِبَ وتنبيه على
انّ الجهاد احسان أمّا فى حقّ الكفّار فلأنّه سَعْى فى تكميلهم بأقصى ما يمكن كضرب المُداوِى للمجنون
وأمّا فى حقّ المؤمنين فلانّه صيانة لهم عن سطوة الكفّار واستيلائهم (١٢٢) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وله
علاقة وَلَا كَبِيرَةً مثل ما انفق عثمان رضه فى جيش العُسْرة وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا فى مسيرهم وهو كلّ منعرَج
ينفذ فيه السيل اسمُ فاعل من وَدَى اذا سال فشاع بمعنى الارض إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ اثبت لهم ذلك لِيَجْزِيَهُمُ ٱللّٰهُ
بذلك أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ جزاء احسنِ أعمالهم او احسنَ جزاء أعمالهم (١٢٣) وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ
لِيَنْفِرُوا كَافَّةً وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلبِ علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبّطوا
جميعا فانّه يُخِلّ بأمر المعاش فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ فهلّا نفر من كلّ جماعة كثيرة كقبيلة
واهل بلدة جماعة قليلة لِيَتَفَقَّهُوا فِى ٱلدِّينِ ليتكلّفوا الفقاهة فيه ويتجشّموا مشاقّ تحصيلها وَلِيُنْذِرُوا
قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ وليجعلوا غاية سعيهم ومُعْظَمَ غرضهم من الفقاهة ارشادَ القوم وانذارهم
وتخصيصُه بالذكر لانّه اهمّ وفيه دليل على انّ التفقّه والتذكير من فروض الكفاية وانّه ينبغى ان
يكون غرض المتعلّم فيه ان يستقيم ويُقيم لا الترفّع على الناس والتبسّط فى البلاد لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ
ارادة ان يحذروا عمّا يُنْذَرون منه واستُدلّ به على انّ اخبار الآحاد حجّة لانّ عموم كلّ فرقة يقتضى
ان ينفر من كلّ ثلاثة تفرّدوا بقرية طائفةٌ الى التفقّه لتُنْذِر فرقتَها كى يتذكّروا ويحذروا فلو لم يُعْتبر
الاخبار ما لم يتواتر لم يُفِدْ ذلك وقد اشبعْتُ القول فيه تقريرا واعتراضا فى كتاب المرصاد وقد قيل
للآية معنى آخر وهو انّه لمّا نزل فى المتخلّفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقّه فأُمروا
ان ينفر من كلّ فرقة طائفةٌ الى الجهاد ويبقى أعقابُهم يتفقّهون حتّى لا ينقطع التفقّه الّذى هو الجهاد
الاكبر لانّ الجدال بالحجّة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير فى ليتفقّهوا ولينذروا لبواقى

جزء ١١ الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفى رجعوا للطوائف اى وليندر البواقى قومهم النافرين اذا رجعوا
ركوع ٥ اليهم بما حصّلوا ايّام غيبتهم من العلوم (١٢٤) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ
أُمروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما أُمر رسول اللّه صلعم أوّلا بانذار عشيرته فانّ الاقرب احقّ بالشفقة
والاستصلاح وقيل هم يهود حوالى المدينة كقُرَيْظة والنَّضير وخَيْبَر وقيل الروم فانّهم كانوا يسكنون
الشأم وهو قريب من المدينة وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً شدّة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمّها وهما
لغتان فيها وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللّٰهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ بالحراسة والاعانة (١٢٥) وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ فمن المنافقين
مَنْ يَقُولُ انكارا واستهزاء أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ السورة إِيمَانًا وقرئ أَيَّكُمْ بالنصب على اضمار فعل يفسّره زادته
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا بزيادة العلم الحاصل من تدبّر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى
ايمانهم وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ بنزولها لانّه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم (١٢٦) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
كفر فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ واستحكم ذلك
فيهم حتّى ماتوا عليه (١٢٧) أَوَلَا يَرَوْنَ يعنى المنافقين وقرئ بالتاء أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ يبتلون باصناف البليّات
او بالجهاد مع رسول اللّه صلعم فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ
لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ولا يعتبرون (١٢٨) وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ
إِلَى بَعْضٍ تغامزوا بالعيون انكارا لها وسُخْرِيّة او غيظا لما فيها من عيوبهم هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ
اى يقولون هل يراكم احدٌ إن قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد
اقاموا ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا عن حضرته مخافة الفضيحة صَرَفَ ٱللّٰهُ قُلُوبَهُمْ عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء
بِأَنَّهُمْ بسبب انّهم قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ لسوء فهمهم او عدم تدبّرهم (١٢٩) لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
من جنسكم عربىٌّ مثلكم وقرئ مِنْ أَنْفَسِكُمْ اى اشرفكم عَزِيزٌ عَلَيْهِ شديد شاقّ مَا عَنِتُّمْ عنتكم
ولقاؤكم المكروه حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ اى على ايمانكم وصلاح شأنكم بِٱلْمُؤْمِنِينَ منكم ومن غيركم رَؤُوفٌ رَحِيمٌ
قدّم الابلغ منهما وهو الرؤف فانّ الرأفة شدّة الرحمة محافظةً على الفواصل (١٣٠) فَإِنْ تَوَلَّوْا عن الايمان بك
فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللّٰهُ فانّه يكفيك معرّتهم ويعينك عليهم لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ كالدليل عليه عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فلا
ارجو ولا اخاف الّا منه وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ المُلْك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الّذى ينزل منه
الاحكام والمقادير وقرئ ٱلْعَظِيمُ بالرفع ، وعن أُبَىّ بن كعب رضه انّ آخرَ ما نزل هاتان الآيتان ، وعن
النبىّ صلعم ما نزل القران علىّ الّا آيةً آيةً وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو اللّه احدٌ فانّهما أُنزلتا
علىّ ومعهما سبعون الف صفّ من الملائكة ٥

سُورَةُ يُونُسَ

مكّيّة وآيها مائة وتسع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) الٓر فخّمها ابن كثير ونافع برواية قالون وحفص وقرأ وَرْش بين اللفظين وامالها الباقون اجراء لألف جزء ١١
الراء مجرى المنقلبة من الياء تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْحَكِيمِ اشارة الى ما تضمّنه السورةُ او القرانُ من ركوع ٦
الآى والمراد من الكتاب احدهما ووَصْفه بالحكيم لاشتماله على الحِكَم او لانّه كلام حكيم او مُحْكَم آياتُه
لم يُنْسَخ شىء منها (٢) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا استفهامُ انكار للتعجّب وعجبا خبرُ كان واسمُه أَنْ أَوْحَيْنَا
وقرئ بالرفع على انّ الامر بالعكس او على انّ كان تامّة وأن اوحينا بدل من عجبٌ، واللام للدلالة على
انّهم جعلوه اعجوبة لهم يوجّهون نحوه انكارهم واستهزاءهم إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ من أفناء رجالهم دون
عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب أنّ اللّه لم يجد رسولا يرسله الى الناس الّا يتيمَ ابى
طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى والنبوّة هذا
وانّه عم لم يكن يَقْصُر عن عُظَمائهم فيما يعتبرونه الّا فى المال وخِفّةُ الحال أَعْوَنُ شىء فى هذا الباب ولذلك
كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجّبوا من انّه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام
أَنْ أَنْذِرِ ٱلنَّاسَ أنْ هى المفسّرة او المخفّفة من الثقيلة فيكون فى موقع مفعولِ اوحينا وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا
عمّم الانذار اذ قلّ ما مِن احد ليس فيه ما ينبغى ان يُنْذَر منه وخصّص البشارة اذ ليس للكفّار ما
يصحّ ان يبشّروا به أَنَّ لَهُمْ بانّ لهم قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ سابقة ومنزلة رفيعة سُمّيت قدما لانّ السَّبْق
بها كما سمّيت النعمة يدا لانّها تُعْطَى باليد واضافتُها الى الصدق لتحقّقها والتنبيه على انّهم انّما
ينالونها بصدق القول والنيّة قَالَ ٱلْكَافِرُونَ إِنَّ هٰذَا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لَسِحْرٌ مُبِينٌ
وقرأ الكوفيّون وابن كثير لَسَاحِرٌ على انّ الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانّهم صادفوا من الرسول صلعم
امورا خارقةً للعادة مُعْجِزةً ايّاهم عن المعارضة وقرئ مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٣) إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ التى هى اصول المكنات فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يقدّر امر
الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيّئ بتحريكه اسبابها وينزّلها منه والتدبيرُ النظرُ
فى أدبار الامور لتجىء محمودةَ العاقبة مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ تقريرٌ لعظمته وعزّ جلاله وردٌّ على
من زعم انّ آلهتهم تشفع لهم عند اللّه وفيه اثبات الشفاعة لمن أُذِن له ذٰلِكُمُ ٱللَّهُ اى الموصوف بتلك
الصفات المقتضية للالوهيّة والربوبيّة رَبُّكُمْ لا غيرُ اذ لا يشاركه احد فى شىء من ذلك فَٱعْبُدُوهُ فوحّدوه
بالعبادة أَفَلَا تَذَكَّرُونَ تتفكّرون ادنى تفكّر فينبّهكم على انّه المستحقّ للربوبيّة والعبادة لا ما تعبدونه

جزء ١١ ركوع ٩

(٤) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا بالموت والنشور لا الى غيره فاستعدّوا للقائه وَعْدَ ٱللَّهِ مصدر مؤكّد لنفسه لانّ قوله اليه مرجعكم وعدٌ من اللّه حَقًّا مصدر آخر مؤكّد لغيره وهو ما دلّ عليه وعد اللّه إِنَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ بعد بدئه واهلاكه لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ بِٱلْقِسْطِ بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل فى امورهم او بايمانهم لانّه العدل القويم كما انّ الشرك ظلم عظيم وهو الأوجه لمقابلة قوله وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ فانّ معناه ويجزى الّذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنّه غيّر النظم للمبالغة فى استحقاقهم للعقاب والتنبيه على انّ المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقابُ واقعٌ بالعَرَض وانّه تعالى يتولّى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعيّنه وأمّا عقاب الكفرة فكانّه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم ، والآية كالتعليل لقوله تعالى اليه مرجعكم جميعا فانّه لمّا كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة اللّه المكلّفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيّده قراءة من قرأ أَنَّهُ يَبْدَؤُا بالفتح اى لأنّه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد اللّه او بما نصب حقّا

(٥) هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً اى ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضَوْء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وقرأ ابن كثير برواية قُنْبُل هنا وفى الانبياء وفى القصص ضِئَآءً بهمزتين على القلب بتقديم اللام على العين وَٱلْقَمَرَ نُورًا اى ذا نور او سُمّى نورا للمبالغة وهو اعمّ من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوءٌ وما بالعَرَض نورٌ وقد نبّه سبحانه وتعالى بذلك على انّه خلق الشمس نيّرة فى ذاتها والقمر نيّرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ الضمير لكلّ واحد اى قدّر مسيرَ كلّ واحد منهما منازل او قدّره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة أحكام الشرع به ولذلك علّله بقوله لِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وحساب الاوقات من الاشهر والايّام فى معاملاتكم وتصرّفاتكم مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ الّا ملتبسا بالحقّ مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة نُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ فانّهم المنتفعون بالتأمّل فيها وقرأ ابن كثير والبصريّان وحفص يُفَصِّلُ بالياء (٦) إِنَّ فِي ٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ من انواع الكائنات لَآيَاتٍ على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ العواقبَ فانّه يحملهم على التفكّر والتدبّر (٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا اى لا يتوقّعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عمّا وراءها وَرَضُوا بِٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا من الآخرة لغفلتهم عنها وَٱطْمَأَنُّوا بِهَا وسكنوا اليها مقصّرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يُزعَج عنها وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ لا يتفكّرون فيها لانهماكهم فيما يضادّها والعطف إمّا لتغاير الوصفين والتنبيه على انّ الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك فى الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلا وإمّا لتغاير

الفريقين والمراد بالأوّلين من انكر البعث ولم يرَ الّا الحيوة الدنيا وبالآخرين من ألهاه حُبّ العاجل عن جزء ١١ التأمّل فى الآجل والإعداد له (٨) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ بما واظبوا عليه وتمرّنوا به من ركوع ٩ المعاصى (٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدّى الى الجنّة او لادراك الحقائق كما قال عم من عمل بما علم ورّثه اللّه علمَ ما لم يعلم او لما يريدونه فى الجنّة ، ومفهوم الترتيب وإن دلّ على انّ سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دلّ منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببيّة وانّ العمل الصالح كالتتمّة والرديف له تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَارُ استيناف او خبر ثانٍ او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله فِى جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ خبر او حال آخر منه او من الانهار او متعلّق بتجرى او بيهدى (١٠) دَعْوَاهُمْ فِيهَا اى دعاؤهم سُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ اللّهمّ انّا نسبّحك تسبيحا وَتَحِيَّتُهُمْ ما يحيّى به بعضهم بعضا او تحيّة الملائكة ايّاهم فِيهَا سَلَامٌ (١١) وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ وآخر دعائهم أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ اى ان يقولوا ذلك ولعلّ المعنى انّهم اذا دخلوا الجنّة وعاينوا عظمة اللّه وكبرياءه مجّدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثمّ حيّاهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او اللّهُ تعالى فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الاكرام ، وأنْ هى المخفّفة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد (١٢) وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ولو يُسْرعه اليهم ركوع ٧ ٱسْتِعْجَالَهُمْ بِٱلْخَيْرِ وُضع موضعَ تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم فى الخير حتّى كأنّ استعجالهم به تعجيلٌ لهم او بانّ المراد شرٌّ استعجلوه كقولهم فأمْطِرْ علينا حجارةً من السماء وتقديرُ الكلام ولو يعجّل اللّه للناس الشرّ تعجيلَه للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقى عليه لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ لأُميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لَقَضَى على البناء للفاعل وهو اللّه تعالى وقرئ لَقَضَيْنَا فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ عطف على فعل محذوف دلّت عليه الشرطيّة كانّه قيل ولكن لا نعجّل ولا نقضى فنذرهم امهالا لهم واستدراجا (١٣) وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنْسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لازالته مُخْلِصا فيه لِجَنْبِهِ مُلْقيا لجنبه اى مضطجعا أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضارّ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ مضى على طريقته واستمرّ على كفره او مرّ عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا كانّه لم يدعنا فخفّف وحذف ضمير الشأن كما قال

ونحرٍ مُشرقِ اللّون   كأنْ ثدياه حُقّان

إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ الى كشف ضرّ كَذَلِكَ مثل ذلك التزيين زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من الانهماك فى الشهوات والاعراض عن العبادات (١٤) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ يا اهل مكّة لَمَّا ظَلَمُوا حين ظلموا

جزء ١١ ركوع ٧ بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغى وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ بالحجج الدالّة على صدقهم وهو حالٌ عن الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانّهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفى كَذٰلِكَ مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقّق انّه لا فائدة فى امهالهم نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ نجزى كلّ مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانّهم أعلام فيه (١٥) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ استخلفناكم فيها بعد القرون التى اهلكناها استخلاف من يختبر لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ اتعلمون خيرا او شرّا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم، وكيف معمول تعملون فانّ معنى الاستفهام يحجب أن يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على انّ المعتبر فى الجزاء جهات الافعال وكيفيّاتها لا هى من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارةً ويقبح اخرى (١٦) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا يعنى المشركين ٱئْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا بكتاب آخر نقرأه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا أَوْ بَدِّلْهُ بأن تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلّهم سألوا ذلك كى يسعفهم اليه فيلزموه قُلْ مَا يَكُونُ لِى ما يصحّ لى أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآءِ نَفْسِى من قبل نفسى وهو مصدر استعمل ظرفا وانّما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناعَ الاتيان بقرآن آخر إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَىَّ تعليلٌ لما يكون فانّ المتّبع لغيره فى امر لا يستبدّ بالتصرّف فيه بوجه وجوابٌ للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض وردٌّ لما عرّضوا له بهذا السؤال من انّ القران كلامه واختراعه ولذلك قيّد التبديل فى الجواب وسمّاه عصيانا فقال إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى اى بالتبديل عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ وفيه ايماء بانّهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح (١٧) قُلْ لَوْ شَآءَ ٱللّٰهُ غير ذلك مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ولا اعلمكم به على لسانى وعن ابن كثير وَلَأَدْرَاكُمْ بلام التأكيد اى لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيرى والمعنى انّه الحقّ الّذى لا محيص عنه لو لم أُرسَل به لأُرسل به غيرى وقرئ وَلَا أَدْرَأْكُمْ وَلَا أَدْرَأْتُكُمْ بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انّه من الدَّرْء بمعنى الدفع اى ولا جعلتكم بتلاوته خُصَمَاء تدرءوننى بالجدال والمعنى انّ الامر بمشيئة الله لا بمشيئتى حتّى أجعله على نحو ما تشتهونه ثمّ قرّر ذلك بقوله فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مقدار عمر اربعين سنة مِنْ قَبْلِهِ من قبل القران لا اتلوه ولا اعلمه فانّه اشارة الى انّ القران معجز خارق للعادة فانّ من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خُطبة ثمّ قرأ عليهم كتابا بذّت فصاحته كلّ منطيق وعلا كلّ منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمى الاصول والفروع وأعرب عن اقاصيص الأوّلين واحاديث الآخرين على ما هى عليه عُلِم انّه معلّم به

جزء ١١ ركوع ٧

من الله أَفَلَا تَعْقِلُونَ افلا تستعملون عقولكم بالتدبّر والتفكّر فيه لتعلموا انّه ليس إلّا من الله (١٨) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا تفادٍ ممّا اضافوه اليه كناية او تظليمٌ للمشركين بافترائهم على الله فى قولهم انّه لذو شريك وذو ولد أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ فكفر بها إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ (١٩) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ فانّه جماد لا يقدر على نفع ولا ضرّ والمعبود ينبغى ان يكون مُثيبا ومعاقبا حتّى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضرّ وَيَقُولُونَ هٰؤُلَاءِ الاوثان شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ ٱللَّهِ تشفع لنا فيما يهمّنا من امور الدنيا او فى الآخرة إن يكن بعثٌ وكانّهم كانوا شاكّين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة المُوجِد الضارّ النافع الى عبادة ما يُعْلَم قطعا انّه لا يضرّ ولا ينفع على توهّم انّه ربّما يشفع لهم عنده قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ اتخبرونه بِمَا لَا يَعْلَمُ وهو أنّ له شريكا او هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقّقٌ ما وفيه تقريع وتهكّم بهم فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ حال من العائد المحذوف مؤكّدة للنفى منبّهة على أنّ ما يعبدون من دون الله إمّا سماوىّ وإمّا ارضىّ ولا شىء من الموجودات فيهما الّا وهو حادث مقهور مثلكم لا يليق ان يُشْرَك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ عن اشراكهم او عن الشركاء الّذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائىّ هنا وفى الموضعين فى أوّل النحل والروم بالتاء (٢٠) وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً موحّدين على الفطرة او متّفقين على الحقّ وذلك فى عهد آدم الى ان قتل قابيلُ هابيلَ او بعد الطوفان او على الضلال فى فترة من الرسل فَٱخْتَلَفُوا باتّباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة وأصرّت اخرى وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانّه يوم الفصل والجزاء لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ عاجلا فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ باهلاك المُبْطِل وابقاء المُحِقّ (٢١) وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ اى من الآيات الّتى اقترحوها فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ هو المختصّ بعلمه فلعلّه يعلم فى انزال الآيات المقترحة من مفاسدَ تصرف عن انزالها فَٱنْتَظِرُوا لنزول ما اقترحتموه إِنِّى مَعَكُمْ مِنَ ٱلْمُنْتَظِرِينَ لما يفعل الله بكم لجحودكم ما نزّل علىّ من الآيات العظام واقتراحكم غيره (٢٢)

ركوع ٨

وَإِذَا أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً صحّة وسعة مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ كقحط ومرض إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِى آيَاتِنَا بالطعن فيها والاحتيال فى دفعها قيل قُحِط اهل مكّة سبع سنين حتّى كادوا يهلكون ثمّ رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون فى آيات الله ويكيدون رسوله قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا منكم قد دبّر عقابكم قبل ان تدبّروا كيدكم وانّما دلّ على سرعتهم المفضّل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا الشرطيّة، والمكر اخفاء الكيد وهو من الله امّا الاستدراج او الجزاء على المكر إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ تحقيقٌ للانتقام وتنبيهٌ على انّ ما دبّروا فى اخفائه لم يخف

*

جزء ١١ على الحفظة فضلا ان يخفى على الله سبحانه وعن يعقوب يَمْكُرُونَ بالياء ليوافق ما قبله (٢٣) هُوَ ٱلَّذِى
ركوع ٨ يُسَيِّرُكُمْ يحملكم على السير ويمكّنكم منه وقرأ ابن عامر يَنْشُرُكُمْ بالنون والشين من النشر
فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ فى السفن وَجَرَيْنَ بِهِمْ بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة
للمبالغة كانّه تذكرة لغيرهم ليتعجّب من حالهم وينكر عليهم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ليّنة الهبوب وَفَرِحُوا بِهَا
بتلك الريح جَآءَتْهَا جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيّبة بمعنى تلقّتها رِيحٌ عَاصِفٌ ذات عصف
شديدة الهبوب وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ يجيء الموج منه وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ أُهلكوا وسُدّت
عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدوّ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ من غير اشراك لتراجُع الفطرة
وزوال المُعارِض من شدّة الخوف وهو بدل من ظنّوا بدل الاشتمال لانّ دعاءهم من لوازم ظنّهم
لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ على ارادة القول او مفعولُ دَعَوُا لانّه من جملة القول
(٢٤) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ اجابةً لدعائهم إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فاجئوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا
عليه بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ مُبْطِلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع
اشجارهم فانّها افسادٌ بحقّ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فانّ وباله عليكم او انّه على امثالكم
وابناء جنسكم مَتَاعُ ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابُها ورفعه على انّه خبرُ
بغيكم وعلى انفسكم صلتُه او خبر مبتدا محذوف تقديرُه ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبرُ
بغيكم ونصبه حفص على انّه مصدر مؤكّد اى تتمتّعون متاعَ الحيوة الدنيا او مفعولُ البغي لانّه
بمعنى الطلب فيكون الجارّ من صلته والخبر محذوف تقديرُه بغيُكم متاعَ الحيوة الدنيا محذورٌ او ضلالٌ
او مفعولُ فِعْلٍ دلّ عليه البغي وعلى انفسكم خبره ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فى القيامة فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
بالجزاء عليه (٢٥) إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا حالها العجيبة فى سرعة تقضّيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها
واغترار الناس بها كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فاشتبك بسببه حتّى خالط بعضه
بعضا مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَامُ من الزروع والبقول والحشيش حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ
تزيّنت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزيَن فتزيّنت
بها، وازّيّنت اصله تزيّنت فأُدْغم وقد قرئ على الاصل وأَزْيَنَتْ على أَفْعَلَتْ من غير اعلال كاغْيَلَتْ
والمعنى صارت ذاتَ زينة وٱزْيَانَّتْ كابياضّت وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا متمكّنون من حصدها
ورفع غلّتها أَتَاهَا أَمْرُنَا ضَرْبُ زرعها ما يجتاحه لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا فجعلنا زرعها حَصِيدًا شبيها بما
حُصد من اصله كَأَنْ لَمْ تَغْنَ كأن لم يَغْنَ زرعُها اى لم يلبث والمضاف محذوف فى الموضعين للمبالغة
وقرئ بالياء على الاصل بِٱلْأَمْسِ فيما قُبَيْلَه وهو مَثَلٌ فى الوقت القريب، والممثَّل به مضمونُ الحكاية

وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا وٱلتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله جزء ١١
وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وإن وليه حرف التشبيه فانه من التشبيه المركب كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ركوع ٨
ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فانهم المنتفعون به (٢٦) وَٱللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَامِ دار السلامة من التقضى والآفة
او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يُسَلِّم الله والملائكة فيها على من يدخلها
٥ والمراد الجنة وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بالتوفيق إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس
التقوى، وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على أن الامر غير الارادة وأن المصر على
الضلالة لم يرد الله رشده (٢٧) لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ المثوبة الحسنى وَزِيَادَةٌ وما يزيد على المثوبة
تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف
واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ
١٠ لا يغشاها قَتَرٌ غبرة فيها سواد وَلَا ذِلَّةٌ هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما
يوجب ذلك من حزن وسوء حال أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ دائمون لا زوال فيها ولا انقراض
لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها (٢٨) وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا ٱلسَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا عطف على قوله للذين
احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز فى الدار زيدٌ والحجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة
بمثلها على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها اى أن تجازى سيئة بسيئة مثلها
١٥ لا يزاد عليها وفيه تنبيه على أن الزيادة هى الفضل او التضعيف او كانما أغشيت او اولئك اصحاب النار
وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اى فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة
الباء او تقدير مقدر بمثلها وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وقرئ بالياء مَا لَهُمْ مِنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ما من احد يعصمهم من
سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ ٱللَّيْلِ مُظْلِمًا
لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف
٢٠ بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة او معنى الفعل فى من الليل، وقرأ ابن كثير والكسائى
ويعقوب قِطْعًا بالسكون فعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية فى الكفار لاشتمال السيآت على الشرك والكفر
ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه (٢٩) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
يعنى الفريقين جميعا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم
٢٥ أَنْتُمْ تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وَشُرَكَاؤُكُمْ عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه
فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ
مجاز عن برائة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا فى الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما

جزء ١١ لشركوا به وقيل انّ اللّه يُنْطق الاصنام فتُشافههم بذلك مكانَ الشفاعة الّتى يتوقّعون منها وقيل المراد
ركوع ٨ بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين (٣٠) فَكَفَى بِٱللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فانّه العالم بكُنْه الحال إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ إِنْ هى المخفّفة من الثقيلة واللامُ هى الفارقة (٣١) هُنَالِكَ فى ذلك المقام تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ تختبر ما قدّمت من عمل فتُعاين نفعَه وضرَّه وقرأ حمزة والكسائىّ تَتْلُو من التلاوة اى تقرأ ذكرَ ما قدّمتْ او من التُلُوّ اى تتبع عَمَلَها فيقودها الى الجنّة او الى النار وقرئ نَبْلُو بالنون ونصبِ كُلَّ وابدالِ مَا منه والمعنى نختبرها اى نفعل بها فعْلَ المختبر لحالها المتعرّف لسعادتها وشقاوتها بتعرّف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد نُصيب بالبلاء اى العذاب كلَّ نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشرّ فتكون مَا منصوبة بنزع الخافض وَرُدُّوا إِلَى ٱللّٰهِ الى جزائه ايّاهم بما اسلفوا مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ ربّهم ومتولّى امرهم على الحقيقة لا ما اتّخذوه مولى وقرئ ٱلْحَقَّ بالنصب على المدح او المصدر المؤكّد وَضَلَّ عَنْهُمْ وضاع عنهم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ من انّ آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدّعون
ركوع ٩ انّها آلهة (٣٢) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ اى منهما جميعا فانّ الارزاق تحصل باسباب سماويّة وموادّ ارضيّة او من كلّ واحد منهما توسعةً عليكم وقيل مِنْ لبيانِ مَنْ على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض أَمَّنْ يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ امّن يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شىء وَمَنْ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ومن يحيى ويميت او من ينشئ الحيوانَ من النطفة والنطفةَ منه وَمَنْ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ومن يلى تدبيرَ امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فَسَيَقُولُونَ ٱللّٰهُ اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد فى ذلك لفرط وضوحه فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ تقون انفسكم عقابَه باشراككم ايّاه ما لا يشاركه فى شىء من ذلك (٣٣) فَذٰلِكُمُ ٱللّٰهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ اى المتولّى لهذه الامور المستحقّ للعبادة هو ربّكم الثابت ربوبيّته لانّه الّذى انشأكم واحياكم ورزقكم ودبّر اموركم فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَالُ استفهامُ انكار اى ليس بعد الحقّ الّا الضلال فمن تخطّى الحقّ الّذى هو عبادة اللّه وقع فى الضلال فَأَنَّى تُصْرَفُونَ عن الحقّ الى الضلال (٣٤) كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ اى كما حقّت الربوبيّة للّه او أنّ الحقّ بعده الضلال او انّهم مصروفون عن الحقّ حقّت كلمة اللّه وحكمه وقرأ نافع وابن عامر كَلِمَاتُ هنا وفى آخر السورة وفى غافر عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوا تمرّدوا فى كفرهم وخرجوا عن حدّ الاستصلاح أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بدل من الكلمة او تعليل لحقّيّتها والمراد بها العِدة بالعذاب (٣٥) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها لظهور برهانها وإن لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول بأن ينوب عنهم فى الجواب فقال قُلِ ٱللّٰهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لأنّ لجاجهم لا يَدَعهم ان يعترفوا بها فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ تُصرفون عن قصد

السبيل (٣٦) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِى إِلَى ٱلْحَقِّ بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر جزء ١١
والتدبّر ، وهَدَى كما يعدّى بإلى لتضمّنه معنى الانتهاء يعدّى باللام للدلالة على انّ المنتهى غاية الهداية ركوع ٩
وانّها لم تتوجّه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدّى بها ما اسند الى اللّه تعالى قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِى إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِى إِلَّا أَنْ يُهْدَى ام الذى لا يهتدى الّا ان يُهْدَى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدى غيره الّا ان يهديه اللّه وهذا حال أشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يَهَدِّى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يَهْتَدِى فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء وكسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يِهِدّى باتّباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرّد ولم يبال بالتقاء الساكنين لانّ المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع مثله وقرئ الّا أَنْ يُهَدَّى على المبالغة فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ بما يقتضى صريح العقل بطلانه (٣٧) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ فيما يعتقدونه إِلَّا ظَنًّا مستندا الى خيالات فارغة وأقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة ، والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمى منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ من العلم والاعتقاد الحقّ شَيْئًا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحقّ حالا منه ، وفيه دليل على انّ تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظنّ غير جائز إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وعيد على اتّباعهم الظنّ واعراضهم عن البرهان (٣٨) وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ ٱللَّهِ افتراء من الخلق وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ مطابقا لما تقدّمه من الكتب الالهيّة المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحّتها ، ونصبه بانّه خبر لكان مقدّرا او علّة لفعل محذوف تقديره لكن انزله اللّه تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَابِ وتفصيل ما حقّق وأُثبت من العقائد والشرائع لَا رَيْبَ فِيهِ منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل فى حكم الاستدراك ويجوز أن يكون حالا من الكتاب فانّه مفعول فى المعنى وأن يكون استئنافا مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ خبر آخر تقديره كائنا من ربّ العالمين او متعلّق بتصديق او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلّل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير فى فيه ، ومساق الآية بعد المنع عن اتّباع الظنّ لبيان ما يجب اتّباعه والبرهان عليه (٣٩) أَمْ يَقُولُونَ بل ايقولون ٱفْتَرَاهُ محمّد ومعنى الهمزة فيه للانكار قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ فى البلاغة وحسن النظم وقوّة المعنى على وجه الافتراء فانّكم مثلى فى العربيّة والفصاحة واشدّ تمرّنا فى النظم والعبارة وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به مِنْ دُونِ ٱللَّهِ سوى اللّه تعالى فانّه وحده قادر على ذلك إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ انّه اختلقه (٤٠) بَلْ كَذَّبُوا بل سارعوا الى التكذيب بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ بالقرآن اوّل ما سمعوه قبل ان يتدبّروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه او بما جهلوه

جزء ١١ ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ولم يقفوا بعد
ركوع ٩ على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبيّن
لهم انّه صدق ام كذب والمعنى انّ القران معجز من جهة اللفظ والمعنى ثمّ انّهم فاجئوا تكذيبه قبل
ان يتدبّروا نظمه ويتفحّصوا معناه ومعنى التوقّع فى لمّا انّه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لمّا كرّر عليهم
التحدّى فرازوا قواهم فى معارضته فتضاءلت دونها او لمّا شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا
فلم يقلعوا عن التكذيب تمرّدا وعنادا كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ انبياءهم فَٱنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
ٱلظَّالِمِينَ فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به مَنْ قبلهم (٤١) وَمِنْهُمْ ومن المكذّبين مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ من
يصدّق به فى نفسه ويعلم انّه حقّ ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن الكفر وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ
فى نفسه لفرط غباوته وقلّة تدبّره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ بالمعاندين
ركوع ١٠ او المصرّين (٤٢) وَإِنْ كَذَّبُوكَ وان اصرّوا على تكذيبك بعد الزام الحجّة فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ فتبرّأ
منهم فقد أَعْذرت والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقّا كان او باطلا أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ
وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ لا تؤاخذون بعملى ولا أُؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية
سبيلهم قيل انّه منسوخ بآية السيف (٤٣) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ اذا قرأت القران وعلّمت الشرائع
ولكن لا يقبلون كالاصمّ الّذى لا يسمع اصلا أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ تقدر على اسماعهم وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ
ولو انضمّ الى صممهم عدم تعقّلهم وفيه تنبيه على انّ حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه
ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتّى الّا باستعمال العقل السليم فى تدبّره وعقولهم لمّا كانت مأوفة
بمعارضة الوهم ومشايعة الألف والتقليد تعذّر افهامهم الحِكَم والمعانى الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ
عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق (٤٤) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ يعاينون دلائل نبوّتك
ولكن لا يصدّقون أَفَأَنْتَ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ تقدر على هدايتهم وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ وان انضمّ الى عدم
البَصَر عدم البصيرة فانّ المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك البصيرة ولذلك
يَحْدس الاعمى المستبصر ويتفطّن لما لا يدركه البصير الاحمق ، والآية كالتعليل للامر بالتبرّى والاعراض
عنهم (٤٥) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْئًا بسلب حواسّهم وعقولهم وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ
بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على انّ للعبد كسبا وانّه غير مسلوب الاختيار بالكلّيّة
كما زعمت المُجبّرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى انّ ما يحيق بهم من العذاب يوم القيامة
عدل من اللّه لا يظلمهم به ولكنّهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ، وقرأ ابو عمرو والكسائى بالتخفيف
ورفع الناس (٤٦) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ ٱلنَّهَارِ يستقصرون مدّة لبثهم فى الدنيا او

القبور لهول ما يرون ، والجملة التشبيهيّة فى موضع الحال اى يحشرهم مشبّهين بمن لم يلبث الّا ساعة جزء ١١
او صفةٌ ليوم والعائدُ محذوفٌ تقديرُه كأنْ لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اى حشرا كأنْ لم يلبثوا ركوع ١٠
قبله يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ يعرف بعضهم بعضا كانّهم لم يتفارقوا الّا قليلا وهذا اوّل ما نشروا ثمّ ينقطع
التعارف لشدّة الامر عليهم وهو حالٌ اخرى مقدّرة او بيانٌ لقوله كأن لم يلبثوا او متعلّق الظرف
والتقديرُ يتعارفون يومَ يحشرهم قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ ٱللَّهِ استيناف للشهادة على خسرانهم
والتعجّب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى يتعارفون على ارادة القول وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ
لطُرُقِ استعمال ما مُنحوا من المَعاون فى تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات أدّت بهم الى
الرَدَى والعذاب الدائم (٤٧) وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ نبصّرنّك بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ من العذاب فى حياتك كما اراه يومَ
بدر أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ قبل ان نريك فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فنريكه فى الآخرة وهو جوابُ نتوفّينّك وجوابُ نرينّك
محذوف مثلُ فذاك ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ مُجازٍ عليه ذَكَرَ الشهادة وأراد نتيجتها ومقتضاها
ولذلك رتّبها على الرجوع بثُمّ او مؤدٍّ شهادته على افعالهم يوم القيامة (٤٨) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ من الامم الماضية
رَسُولٌ يُبعث اليهم ليدعوهم الى الحقّ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ بالبيّنات فكذّبوه قُضِىَ بَيْنَهُمْ بين الرسول
ومكذّبيه بِٱلْقِسْطِ بالعدل فأُنْجِى الرسول وأُهْلِك المكذّبون وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وقيل معناه لكلّ امّة يومَ
القيامة رسول تُنْسَب اليه فاذا جاء رسولهم المَوْقِف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم بانجاء
المؤمنين وعقاب الكفّار كقوله وجىء بالنبيّين والشهداء وقضى بينهم (٤٩) وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا ٱلْوَعْدُ
استبعادا له واستهزاء به إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ خطاب منهم للنبىّ صلعم والمؤمنين (٥٠) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِى
ضَرًّا وَلَا نَفْعًا فكيف املك لكم فأستعجلَ فى جلب العذاب اليكم إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ان املكه او لكن ما
شاء اللّه من ذلك كائنٌ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ مضروب لهلاكهم إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا
يَسْتَقْدِمُونَ لا يتأخّرون ولا يتقدّمون فلا تستعجلوا فسيَحِين وقتُكم ويَنْجِز وعدُكم (٥١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ ٱلَّذِى تستعجلون به بَيَاتًا وقتَ بيات واشتغال بالنوم أَوْ نَهَارًا حين كنتم مشتغلين
بطلب معاشكم مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ اىّ شىء من العذاب يستعجلونه وكلّه مكروه لا يلائم
الاستعجال وهو متعلّق بأرأيتم لانّه بمعنى أَخْبِرونى ، والمجرمون وُضع موضع الضمير للدلالة على انّهم
لجرمهم ينبغى ان يفزعوا من مجىء العذاب لا ان يستعجلوه ، وجوابُ الشرط محذوف وهو تَنْدَموا على
الاستعجال او تعرفوا خطأه ويجوز ان يكون الجوابَ ماذا كقولك إنْ اتيتُك ما ذا تعطينى وتكونَ
الجملة متعلّقة بأرأيتم او قوله (٥٢) أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه
حين لا ينفعكم الايمان وما ذا يستعجل اعتراضٌ ودخول حرف الاستفهام على ثمّ لانكار التأخير آلْآنَ
على ارادة القول اى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع آلَانَ بحذف الهمزة

جزء ١١ والقاء حركتها على اللام وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ تكذيبا واستهزاء (٥٣) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عطف
ركوع ١٠ على قيل المقدّر ذُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلْدِ المؤلم على الدوام هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ من الكفر
والمعاصى (٥٤) وَيَسْتَنْبِئُونَكَ ويستخبرونك أَحَقٌّ هُوَ احقّ ما تقول من الوعد او ادّعاء النبوّة تقوله
بجدّ ام باطل تهزل به قاله حُيَيّ بن اخطب لمّا قدم مكّة والاظهر انّ الاستفهام فيه على اصله لقوله
ويستنبئونك وقيل انّه للانكار ويؤيّده انّه قرئ آلْحَقُّ هُوَ فانّ فيه تعريضا بانّه باطل واحقّ مبتدأ
والضمير مرتفع به سادّ مسدّ الخبر او خبرٌ مقدّمٌ والجملة فى موضع النصب بيستنبئونك قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ
لَحَقٌّ انّ العذاب لكائنٌ او ما ادّعيته لثابتٌ وقيل كلا الضميرين للقران ، وإى بمعنى نعم وهو من
لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه فى التصديق فيقال إِيْ وَٱللّٰهِ ولا يقال إى وحده وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ
ركوع ١١ فائتين العذاب (٥٥) وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ بالشرك او التعدّى على الغير مَا فِي ٱلْأَرْضِ من خزائنها
واموالها لَٱفْتَدَتْ بِهِ لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه وَأَسَرُّوا ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا
ٱلْعَذَابَ لانّهم بُهتوا بما عاينوا ممّا لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل
اسرّوا الندامة اخلصوها لانّ اخفاءها اخلاصها او لانّه يقال سرّ الشيء لخالصته من حيث انّها تُخفَى
ويُضَنّ بها وقيل اظهروها من قولهم أَسَرّ الشىء وأشرّه اذا اظهره وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
ليس تكريرا لأنّ الأوّل قضاء بين الانبياء ومكذّبيهم والثانى مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين
الظالمين والمظلومين والضميرُ انّما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم (٥٦) أَلَا إِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ
تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب أَلَا إِنَّ وَعْدَ ٱللّٰهِ حَقٌّ ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا
خُلْفَ فيه وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لانّهم لا يعلمون لقصور عقولهم الّا ظاهرا من الحيوة الدنيا
(٥٧) هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فى الدنيا فهو يقدر عليهما فى العقبى لانّ القادر لذاته لا تزول قدرته والمادّة
القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ بالموت والنشور (٥٨) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ
جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ اى قد جاءكم كتاب جامع
للحكمة العمليّة الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها المرغّبة فى المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة
النظريّة الّتى هى شفاء لما فى الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهُدى الى الحقّ واليقين ورحمة للمؤمنين
حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدّلت مقاعدهم من طبقات النيران
بمَصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم (٥٩) قُلْ بِفَضْلِ ٱللّٰهِ وَبِرَحْمَتِهِ بانزال القران والباء
متعلّقة بفعل يفسّره قوله فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا فانّ اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل اللّه وبرحمته
فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدةُ ذلك التكرير التأكيدُ والبيانُ بعد الاجمال وايجابُ
اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دلّ عليه قد جاءتكم وذٰلك اشارة الى مصدره اى فبمجيئها

فليفرحوا ، والفاء بمعنى الشرط كانّه قيل ان فرحوا بشىء فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة جزء ١١
على انّ مجىء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجبٌ للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله • واذا هلكتُ ركوع ١١
فعند ذلك فَاجْزَعِى • وعن يعقوب فَلْتَفْرَحُوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روى مرفوعا ويؤيّده انّه قرئ
فَٱفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ من حُطام الدنيا فانّها الى الزوال وهُوَ ضميرُ ذلك ، وقرأ ابن عامر
تَجْمَعُونَ بالتاء على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير ممّا تجمعونه ايّها المخاطَبون (٦٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ
مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ جعل الرزق مُنْزَلا لانّه مقدّر فى السماء محصّل بأسباب منها ، ومَا فى موضع
النصب بأنزل او بأرأيتم فانّه بمعنى أَخْبِرونى ، ولَكُمْ دلّ على انّ المراد منه ما حَلَّ ولذلك وبّخ على
التبعيض فقال فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا مثل هذه أَنْعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ ما فى بُطون هذه الانعام خالصةٌ
لذكورنا ومحرّمٌ على ازواجنا قُلْ ٱللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ فى التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ
فى نسبة ذلك اليه ويجوز أن تكون المنفصلة متّصلة بأرأيتم وقُلْ مكرّر للتأكيد وأن يكون الاستفهام
للانكار وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله (٦١) وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
اىّ شىء ظنّهم يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظنّ ويدلّ عليه انّه قرئ بلفظ
الماضى لانّه كائن ، وفى ابهام الوعيد تهديد عظيم إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ حيث انعم عليهم
بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ هذه النعمة (٦٢) وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ ركوع ١٢
ولا تكون فى امر وأصله الهمز من شأنْتُ شأنَه اذا قصدْتَ قَصْدَه والضمير فى وَمَا تَتْلُو مِنْهُ له لانّ تلاوة
القران مُعْظَم شأن الرسول صلعم او لانّ القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعولُ تتلو
مِنْ قُرْآنٍ على انّ مِنْ تبعيضيّة او مزيدة لتأكيد النفى او للقران واضماره قبل الذكر ثمّ بيانه
تفخيم لشأنه او لله وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك
ذَكَرَ حيث خصّ ما فيه فخامةٌ ونَكَّرَ حيث عمّ ما يتناول الجليل والحقير إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا رقباء
مُطّلعين عليه إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ تخوضون فيه وتندفعون وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ ولا يبعد عنه ولا يغيب عن
علمه وقرأ الكسائىّ بكسر الزاء مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ موازنُ نملة صغيرة او هباء فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ اى فى
الوجود والامكان فانّ العامّة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلّقا بهما وتقديم الارض لانّ الكلام
فى حال اهلها والمقصود منه هو البرهان على احاطة علمه بها وَلَآ أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ
كلام برأسه مقرّر لما قبله ولَا نافية وأَصْغَرَ اسمها وفِى كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء
والخبر ومَنْ عطف على لفظ مثقال ذرّة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محلّه مع الجارّ
جعل الاستثناء منقطعا ، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (٦٣) أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ الّذين يتولّونه بالطاعة
ويتولّاهم بالكرامة لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من لحوقِ مكروه وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ بفوات مأمول ، والآية كمُجْمَل فسّره

جزء ١١ بقوله (٦٤) ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ وقيل ٱلّذين آمنوا وكانوا يتّقون بيان لتولّيهم له (٦٥) لَهُمُ
ركوع ١٢ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وهو ما بشّر به اللّٰه المتّقين فى كتابه وعلى لسان نبيّه وما يُريهم من الرؤيا الصالحة وما يَسْنَح لهم من المكاشفات وبُشْرَى الملائكة عند النزع وَفِي ٱلْآخِرَةِ بتلقّى الملائكة ايّاهم مسلّمين مبشّرين بالفوز والكرامة بيان لتولّيه لهم ، ومحلّ ٱلّذين آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبرُه لهم البشرى لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ لا تغيير لاقواله ولا إخلاف لمواعيده ذَٰلِكَ اشارة الى كونهم مبشّرين فى الدارَيْن هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ هذه الجملة والّتى قبلها اعتراض لتحقيق المبشَّر به وتعظيمِ شأنه وليس من شرطه أن يقع بعده كلامٌ يتّصل بما قبله (٦٦) وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يُحْزِنْكَ من أَحْزَنَه وكلاهما بمعنى إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا استئناف بمعنى التعليل ويدلّ عليه القراءة بالفتح كانّه قيل لا تحزن بقولهم ولا تُبال بهم لأنّ الغلبة للّه جميعا لا يملك غيرُه شيـئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هُوَ ٱلسَّمِيعُ لاقوالهم ٱلْعَلِيمُ بعزماتهم فيكافئهم عليها (٦٧) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ من الملائكة والثَّقَلَيْن واذا كان هؤلاء الّذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبيّة فما لا يَعْقل منها احقّ ان لا يكون له نِدّا وشريكا فهو كالدليل على قوله وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ اى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمّونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعولَ يدعون ومفعولُ يتّبع محذوف دلّ عليه إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ اى ما يتبعون يقينا وانّما يتبعون ظنّهم أنّها شركاء ويجوز ان تكون مَا استفهاميّةً منصوبةً بيتّبع وموصولةً معطوفةً على مَنْ ، وقرئ تَدْعُونَ والمعنى وأىَّ شىء يتّبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيّين اى انّهم لا يتّبعون الّا اللّه ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتّبعونهم فيه كقوله اولئك الّذين يَدْعون يبتغون الى ربّهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشإ رأيهم وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ يكذبون فيما ينسبون الى اللّه او يحزرون ويقدّرون انّها شركاء تقديرا باطلا (٦٨) هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحّد هو بهما ليدلّهم على تفرّده باستحقاق العبادة ، وانّما قال مُبْصِرا ولم يقل لتُبْصِروا فيه تفرقةً بين الظرف المجرّد والظرف الّذى هو سبب إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سماعَ تدبّر واعتبار (٦٩) قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا تبنّاه سُبْحَانَهُ تنزيهٌ له عن التبنّى فانّه لا يصحّ الّا ممّن يُتصوّر له الولد وتعجّبٌ من كلمتهم الحمقاء هُوَ ٱلْغَنِيُّ علّة لتنزّهه فانّ اتّخاذ الولد مسبّب عن الحاجة لَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ تقرير لغناه إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَٰذَا نفىٌ لمُعارِض ما اقامه من البرهان مبالغةً فى تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم ، وبهذا متعلّق بسلطان او نعت له او بعندكم كانّه قيل ان عندكم فى هذا سلطان أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ توبيخ وتقريع على

اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على أنّ كلّ قول لا دليل عليه فهو جهالة وأنّ العقائد لا بدّ لها من جزء ١١
قاطع وأنّ التقليد فيها غير سائغ (٧٠) قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ باتّخاذ الولد واضافة ركوع ١٢
الشريك اليه لَا يُفْلِحُونَ لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنّة (٧١) مَتَاعٌ فِي ٱلدُّنْيَا خبر مبتدا محذوف
اى افتراؤهم متاع فى الدنيا يقيمون به رئاستهم فى الكفر او حياتهم او تقلّبهم متاع او مبتدأ خبره
٥ محذوف اى لهم تمتّع فى الدنيا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ بالموت فيلقون الشقاء المؤبّد ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ
ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ بسبب كفرهم (٧٢) وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ خبره مع قومه إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ ركوع ١٣
إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ عظم عليكم وشقّ مَقَامِي نفسى كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كونى واقامتى
بينكم مدّة مديدة او قيامى على الدعوة وَتَذْكِيرِي ايّاكم بِآيَاتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ وثقت به
فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ فاعزموا عليه وَشُرَكَاءَكُمْ اى مع شركائكم ويؤيّده القراءة بالرفع عطفا على الضمير
١٠ المتّصل وجاز من غير ان يؤكّد للفصل وقيل انّه معطوف على أَمْرَكُمْ بحذف المضاف اى وأمر
شركائكم وقيل انّه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شُرَكَاءَكُمْ وقد قرئ به ، وعن نافع فَٱجْمَعُوا
من الجمع ، والمعنى أَمَرَهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعى فى اهلاكه على اىّ وجه يمكنهم ثقة
باللّه وقلّة مبالاة بهم ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ فى قصدى عَلَيْكُمْ غُمَّةً مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من
غمّه اذا ستره او ثمّ لا يكن حالكم عليكم غمّا اذ اهلكتمونى وتخلّصتم عن ثقل مقامى وتذكيرى
١٥ ثُمَّ ٱقْضُوا أدّوا إِلَيَّ ذلك الامر الّذى تريدون بى وقرئ ثُمَّ أَفْضُوا بالفاء اى انتهوا الىّ بشرّكم او ابرزوا
الىّ من أَفْضَى اذا خرج الى الفضاء وَلَا تُنْظِرُونِ ولا تمهلونى (٧٣) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ اعرضتم عن تذكيرى
فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ يوجب تولّيكم لثقله عليكم واتّهامكم ايّاى لاجله او يفوتنى لتولّيكم
إِنْ أَجْرِيَ ما ثوابى على الدعوة والتذكير إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ لا تعلّق له بكم يثيبنى به آمنتم او تولّيتم
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره (٧٤) فَكَذَّبُوهُ فأصرّوا على
٢٠ تكذيبه بعد ما الزمهم الحجّة وبيّن انّ تولّيهم ليس الّا لعنادهم وتمرّدهم لا جرم حقّت عليهم كلمة
العذاب فَنَجَّيْنَاهُ من الغرق وَمَنْ مَعَهُ فِي ٱلْفُلْكِ وكانوا ثمانين وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ من الهالكين به
وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بالطوفان فَٱنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُنْذَرِينَ تعظيم لما جرى عليهم وتحذير
لمن كذّب الرسول وتسلية له (٧٥) ثُمَّ بَعَثْنَا ارسلنا مِنْ بَعْدِهِ من بعد نوح رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ كلّ رسول الى
قومه فَجَاءُوهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا فما استقام لهم ان
٢٥ يؤمنوا لشدّة شكيمتهم فى الكفر وخذلان اللّه ايّاهم بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ بسبب تعوّدهم تكذيب
الحقّ وتمرّنهم عليه قبل بعثة الرسل كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ بخذلانهم لانهماكهم فى الضلال

جزء ١١ واتّباع المألوف ، وفى امثال ذلك دليلٌ على انّ الافعال واقعة بقدرة اللّه وكَسْب العبد وقد مرّ تحقيق ذلك
ركوع ١٣ (٧٦) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ من بعد هؤلاء الرسل مُوسَى وَهٰرُونَ اِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا بالآيات التسع فَاسْتَكْبَرُوا عن اتّباعهما وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ معتادين الاجْرام فلذلك تهاونوا برسالة ربّهم واجترءوا على ردّها (٧٧) فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المُزيحة للشكّ قَالُوا من فرط تمرّدهم إِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ظاهر انّه سحر او فائق فى فنّه واضح فيما بين اخوانه (٧٨) قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ انّه لسحر فحذف المحكىّ للقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون أَسِحْرٌ هٰذَا لانّهم بتّوا القول بل هو استيناف بانكار ما قالوه اللّهمّ الّا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكىّ مفهومَ قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحقّ اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله تعالى سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرهم فيُسْتغنى عن المفعول وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُونَ من تمام كلام موسى للدلالة على انّه ليس بسحر فانّه لو كان سحرا لاضمحلّ ولم يبطل سحرُ السحرة ولانّ العالم بانّه لا يُفْلح الساحر لا يَسْحَر او من تمام قولهم ان جُعل اسحرٌ هذا محكيّا كانّهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون (٧٩) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَا من عبادة الاصنام وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ المُلْكُ فيها سُمّى بها لاتّصاف الملوك بالكبر او التكبّرُ على الناس باستتباعهم وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ بمصدّقين فيما جئتما به (٨٠) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَاحِرٍ وقرأ حمزة والكسائىّ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ حاذق فيه فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٨١) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ ٱلسِّحْرُ ٱلَّذِى جئتم به هو السحر لا ما سمّاه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسِّحْرُ على انّ مَا استفهاميّة مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرُها وآلسحر بدلٌ منه او خبرُ مبتدإ محذوف تقديره اهو آلسحر او مبتدأٌ خبره محذوف اى آلسحر هو ويجوز ان ينتصب مَا بفعل يفسّره ما بعده وتقديره أَىَّ شىء اتيتم إِنَّ ٱللّٰهَ سَيُبْطِلُهُ سيمحقه او سيُظْهِر بطلانه إِنَّ ٱللّٰهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ لا يثبته ولا يقوّيه وفيه دليل على انّ السحر افساد وتمويه لا حقيقة له (٨٢) وَيُحِقُّ ٱللّٰهُ ٱلْحَقَّ ويثبته بِكَلِمَاتِهِ بأوامره وقضاياه وقرئ بِكَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ذلك
ركوع ١٤ (٨٣) فَمَا آمَنَ لِمُوسَى فى مبدإ امره إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ الّا اولاد من اولاد قومه بنى اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الّا طائفة من شبّانهم وقيل الضمير لفرعون والذرّيّة طائفة من شبّانهم آمنوا به او مؤمنُ آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ اى مع خوف منهم ، والضمير لفرعون وجمعُه على ما هو المعتاد فى ضمير العظماء او على انّ المراد بفرعون آله

كما يقال ربيعة ومضر او للذرّيّة او للقوم أَنْ يَفْتِنَهُمْ ان يعذّبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول جزء ١١
خوف وافراده بالضمير للدلالة على انّ الخوف من الملأ كان بسببه وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ لغالب فيها ركوع ٥
وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ في الكبر والعتوّ حتّى ادّعى الربوبيّة واسترقّ اسباط الانبياء (٨٤) وَقَالَ مُوسَى لمّا رأى
تخوّف المؤمنين به يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا فثقوا به واعتمدوا عليه إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ
مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فانّ المعلّق بالايمان وجوب
التوكّل فانّه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانّه لا يوجد مع التخليط ونظيره انْ دعاك زيد
فأجبه انْ قدرت (٨٥) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا لانّهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم
رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً موضع فتنة لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ اى لا تسلّطهم علينا فيفتنونا (٨٦) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ
مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ من كيدهم وشؤم مشاهدتهم ، وفي تقديم التوكّل على الدعاء تنبيهٌ على انّ الداعي
ينبغي ان يتوكّل اوّلا لتجاب دعوته (٨٧) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا أن اتّخذا مباءةً
لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا تسكنون فيها او ترجعون اليها للعبادة وَاجْعَلُوا انتما وقومكما بُيُوتَكُمْ تلك
البيوت قِبْلَةً مصلّى وقيل مساجد متوجّهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلّي اليها وَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ
فيها أمروا بذلك اوّل امرهم لئلّا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بالنصرة
في الدنيا والجنّة في العقبى ، وانّما ثنّى الضمير اوّلا لانّ التبوّء للقوم واتّخاذ المعابد ممّا يتعاطاه رؤوس
القوم بتشاور ثمّ جمع لانّ جعل البيوت مساجد والصلوة فيها ممّا ينبغي ان يفعله كلّ احد ثمّ
وحّد لانّ البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة (٨٨) وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً
ما يتزيّن به من اللباس والمراكب ونحوها وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وانواعا من المال رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ
دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انّه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل
اللام للعاقبة وهي متعلّقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلّة لانّ ايتاء النعم على الكفر استدراجٌ وتثبيتٌ
على الضلال ولانّهم لمّا جعلوها سببا في الضلال فكأنّهم اوتوها ليضلّوا فيكون ربّنا تكريرا للاوّل تأكيدا
وتنبيها على انّ المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمةً لقوله رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ
أهلكها والطمس المحو وقرئ اطْمُسْ بالضمّ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ اى واقسها واطبع عليها حتّى لا تنشرح
للايمان فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلّوا
وما بينهما دعاء معترض (٨٩) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا يعني موسى وهرون لانّه كان يؤمّن فَاسْتَقِيمَا
فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجّة ولا تستعجلا فانّ ما طلبتما كائنٌ ولكن في وقته روي
انّه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ طريق الجهلة في الاستعجال

جزء ١١ او عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله تعالى ‌. وعن ابن عامر ولا تَتْبَعَانِ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء

ركوع ١٤ الساكنين ولا تَتْبَعانِّ من تَبِعَ ولا تَتْبَعانِ ايضا (٩٠) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْبَحْرَ اى جوّزناهم فى البحر حتّى بلغوا الشطّ حافظين لهم وقرئ جَوَّزْنَا وهو من فعّل المرادف لفاعل كضعّف وضاعف فَأَتْبَعَهُمْ فأدركهم يقال تَبِعْتُه حتّى أَتْبَعْتُه فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا باغين وعادين او للبغى والعدو وقرئ وَعُدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ لحقه قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ اى بأنّه لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱلَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وانا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وقرأ حمزة والكسائى إِنَّهُ بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوانَ القبول وبالغ فيه حين لا يُقْبَل (٩١) آلْآنَ اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ قبل ذلك مدّة عمرك وَكُنْتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ الضالّين المضلّين عن الايمان (٩٢) فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ننقذك ممّا وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نَجْوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرأ يعقوب نُنْجِيكَ من انجى وقرئ نُنَحِّيكَ بالحاء اى نلقيك بناحية من الساحل بِبَدَنِكَ فى موضع الحال اى ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويّا او عريانا من غير لباس او بدِرْعك وكانت له درع من ذهب يُعْرَف بها وقرئ بِأَبْدَانِكَ اى بأجزاء البدن كلّها كقولهم هَوَى بأجرامه او بدروعك كانّه كان مُظاهِرا بينها لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ما خيّل اليهم انّه لا يهلك حتّى كذّبوا موسى عم حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مُطَّرحا على ممرّهم من الساحل او لمن يأتى بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممّن شاهدك عِبْرة ونَكالا عن الطغيان او حُجّة تدلّهم على انّ الانسان على ما كان عليه من عِظَم الشأن وكبرياء الملك مملوكٌ مقهور بعيد عن مظانّ الربوبيّة وقرئ لِمَنْ خَلَقَكَ اى لخالقك آيةً كسائر الآيات فانّ إفراده ايّاك بالالقاء الى الساحل دليل على انّه تعمّدٌ منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة فى امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمَل على المشهور وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا

ركوع ١٥ لَغَافِلُونَ لا يتفكّرون فيها ولا يعتبرون بها (٩٣) وَلَقَدْ بَوَّأْنَا انزلنا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ منزلا صالحا مرضيّا وهو الشأم ومصر وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ من اللذائذ فَمَا ٱخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ ٱلْعِلْمُ فما اختلفوا فى امر دينهم الّا من بعد ما قرءوا التورية وعلموا احكامها او فى امر محمّد صلعم الّا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فيميّز المُحِقّ من المُبْطل بالانجاء والاهلاك (٩٤) فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ من القصص على سبيل الفرض والتقدير فَسْأَلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ فانّه محقّق عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ما القينا اليك والمرادُ تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدّمة وأنّ القرآن مصدّق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحّة ما انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا إمكانُ وقوع

الشكّ له ولذلك قال عم لا أَشُكّ ولا أَسْأَل وقيل الخطاب للنبيّ والمرادُ أُمّته او لكلّ من يسمع اى ان جزء ١١
كنت ايّها السامع فى شكّ ممّا انزلنا على لسان نبيّنا اليك ، وفيه تنبيه على انّ من خالجته شبهة فى ركوع ١٠
الدين ينبغى ان يسارع الى حلّها بالرجوع الى اهل العلم لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ واضحا انّه لا مَدْخلَ للمرية فيه بالآيات القاطعة فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ بالتزلزل عمّا انت عليه من الجزم واليقين (٩٥) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الأطماع عنه كقوله فلا تكوننّ ظهيرا للكافرين (٩٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ ثبتت عليهم كَلِمَتُ رَبِّكَ بانّهم يموتون على الكفر ويخلّدون فى العذاب لَا يُؤْمِنُونَ اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه (٩٧) وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ فانّ السبب الاصلىّ لايمانهم وهو تعلّق ارادة اللّه به مفقودٌ حَتَّى يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون (٩٨) فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فهلّا كانت قرية من القرى الّتى اهلكناها آمَنَتْ قبل معاينة العذاب ولم تؤخّرْ اليها كما أُخّر فرعون فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا بأن يقبله اللّه منها ويكشف العذاب عنها إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لكن قوم يونس لَمَّا آمَنُوا اوّلَ ما رأوا أمارة العذاب ولم يؤخّروه الى حلوله كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ويجوز ان تكون الجملة فى معنى النفى لتضمّن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متّصلا لانّ المراد من القرى اهاليها كانّه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الّا قوم يونس ويؤيّده قراءة الرفع على البدل وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ الى آجالهم روى انّ يونس عم بُعث الى اهل نِينَوَى من المَوْصِل فكذّبوه واصرّوا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين فلمّا دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتّى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنوا صِدْقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابّهم وفرّقوا بين كلّ والدة وولدها فحنّ بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة والايمان وتضرّعوا الى اللّه تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة (٩٩) وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ بحيث لا يشذّ منهم احد جَمِيعًا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدريّة فى انّه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وانّ من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ بما لم يشأ اللّه منهم حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرفَ الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على انّ خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكن تحصيله بالاكراه فضلا عن الحثّ والتحريض عليه اذ روى انّه كان حريصا على ايمان قومه شديدَ الاهتمام به فنزلت ولذلك قرّره بقوله (١٠٠) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ باللّه إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ الّا بارادته واطلاقه وتوفيقه فلا تجهدْ نفسك فى هُداها فانّه الى اللّه وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ العذاب او الخذلان فانّه سببه وقرئ بالراء وقرأ ابو

جزء ١١ بكر ونجعل بالنون عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والآيات او لا يعقلون
ركوع ١٥ دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيّد الاوّل قوله (١٠١) قُلِ ٱنْظُرُوا اى تفكّروا مَاذَا فِى ٱلسَّمٰوَاتِ
وَٱلْأَرْضِ من عجائب صنعه لتدلّكم على وحدته وكمال قدرته ، وما ذا ان جُعلت استفهاميّة علّقت
انظروا عن العمل وَمَا تُغْنِى ٱلْآيَاتُ وَٱلنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ فى علم الله وحكمه ، وما نافية او
استفهاميّة فى موضع النصب (١٠٢) فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ مثل وقائعهم ونزول
بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايّام العرب لوقائعها قُلْ فَٱنْتَظِرُوا إِنِّى مَعَكُمْ مِنَ ٱلْمُنْتَظِرِينَ
لذلك او فانتظروا هلاكى انّى معكم من المنتظرين هلاككم (١٠٣) ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ آمَنُوا
عطف على محذوف دلّ عليه الّا مثل ايّام الّذين خلوا كانّه قيل نهلك الامم ثمّ ننجّى رسلنا ومن آمن
بهم على حكاية الحال الماضية كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجّى
محمّدا وصحبه حين نهلك المشركين ، وحقّا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدّر وقيل بدل من كذلك ،
ركوع ١٦ وقرأ حفص والكسائىّ نُنْجِ مخفّفا (١٠٤) قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ خطاب لاهل مكّة إِنْ كُنْتُمْ فِى شَكٍّ مِنْ دِينِى
وصحّته فَلَا أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ فهذا خلاصة دينى
اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحّتها وهو انّى لا اعبد ما
تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الّذى هو يوجدكم ويتوفّاكم وانّما خصّ التوفّى بالذكر
للتهديد وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بما دلّ عليه العقل ونطق به الوحى ، وحذف الجارّ من أنْ
يجوز أن يكون من المطّرد مع أنْ وأنّ وأن يكون من غيره كقوله • أمرتك الخير فافعل ما أُمرت به •
(١٠٥) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ عطف على ان اكون غير انّ صلة أنْ محكيّة بصيغة الامر ولا فرق بينهما
فى الغرض لانّ المقصود وصلها بما يتضمّن معنى المصدر لتدلّ معه عليه وصيغ الافعال كلّها كذلك سواء
الخبر منها والطلب والمعنى وأُمرت بالاستقامة فى الدين والاستبداد فيه بأداء الفرائض والانتهاء عن
القبائح او فى الصلوة باستقبال القبلة حَنِيفًا حال من الدين او الوجه وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
(١٠٦) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ بنفسه ان دعوته وخذلته فَإِنْ فَعَلْتَ فان دعوته
فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدّر عن تبعة الدعاء (١٠٧) وَإِنْ يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ
وان يصبك به فَلَا كَاشِفَ لَهُ يرفعه إِلَّا هُوَ الّا الله وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ فلا دافع لِفَضْلِهِ الّذى ارادك به
ولعلّه ذكر الارادة مع الخير والمسّ مع الضرّ مع تلازم الامرين للتنبيه على انّ الخير مراد بالذات وانّ الضرّ
انّما مسّهم لا بالقصد الاوّل ، ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انّه متفضّل بما يريد بهم من الخير
لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لانّ مراد الله لا يمكن ردّه يُصِيبُ بِهِ بالخير مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ

ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ فتعرّضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية (١٠٨) قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ جزء ١١
ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ رسوله والقران ولم يبق لكم عذر فَمَنِ ٱهْتَدَى بالايمان والمتابعة فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ركوع ١٦
لانّ نفعه لها وَمَنْ ضَلَّ بالكفر بهما فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا لانّ وبال الضلال عليها وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ بحفيظ موكول اليّ امركم وانّما انا بشير ونذير (١٠٩) وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ بالامتثال والتبليغ وَٱصْبِرْ على دعوتهم وتحمّل اذيّتهم حَتَّى يَحْكُمَ ٱللَّهُ بالنصرة او بالامر بالقتال وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَاكِمِينَ اذ لا يمكن الخطأ فى حكمه لاطّلاعه على السرائر اطّلاعه على الظواهر ٭ عن النبىّ صلعم من قرأ سورة يونس أُعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق بيونس وكذّب به وبعدد من غرق مع فرعون ٭

سُورَةُ هُودٍ

مكّيّة وآيها مائة وثلث وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) الٓر كِتَابٌ مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدإ محذوف أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ نُظمت نظما محكما لا يعتريه ركوع ١٧
اختلال من جهة اللفظ والمعنى او مُنعت من الفساد والنسخ فانّ المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او أُحكمت بالحجج والدلائل او جُعلت حكيمة منقول من حَكُمَ بالضمّ اذا صار حكيما لانّها مشتملة على أُمّهات الحِكَم النظريّة والعمليّة ثُمَّ فُصِّلَتْ بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فُصّل فيها ولخّص ما يُحتاج اليه وقرئ ثُمَّ فَصَلَتْ اى فرقت بين الحقّ والباطل وأَحْكَمْتُ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلْتُ على البناء للمتكلّم ٭ وثُمّ للتفاوت فى الحُكْم او للتراخى فى الاخبار مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لأُحكمت او فُصّلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغى باعتبار ما ظهر امرُه وما خفى (٢) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا ٱللَّهَ لأن لا تعبدوا وقيل أَنْ مفسّرة لانّ فى تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبرّى عن عبادة الغير كانّه قيل تَرْكَ عبادة غير الله بمعنى ٱلْزَموه او ٱتْرُكوها تركا إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ من الله نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد (٣) وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ عطف على الّا تعبدوا ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ثم توسّلوا الى مطلوبكم بالتوبة فانّ المُعْرِض عن طريق الحقّ لا بدّ له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثمّ توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان تكون ثمّ لتفاوت ما بين الامرين يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا يُعيّشكم فى امن ودعة إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى هو آخر اعماركم المقدّرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال ٭ والارزاق والآجال وان كانت متعلّقة بالاعمال لكنّها مسمّاة بالاضافة الى كلّ

*

جزء ١١ احد فلا تتغيّر وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ ويعط كلّ ذى فضل فى دينه جزاء فضله فى الدنيا والآخرة
ركوع ١٧ وهو وعد للموحّد التائب بخير الدارين وَإِنْ تَوَلَّوْا وان تتولّوا فَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ
يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتّى اكلوا الجيف ، وقرئ وَإِنْ تُوَلُّوا من ولّى
(٤) إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ رجوعكم فى ذلك اليوم وهو شاذّ عن القياس وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على
تعذيبكم اشدّ عذاب وكانّه تقرير لكبر اليوم (٥) أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ يثنونها عن الحقّ
وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبىّ صلعم او يولّون ظهورهم وقرئ تَثْنَوْنِى بالتاء
والياء من ٱثْنَوْنَى وهو بناء مبالغة وتَثْنَوِنُّ وأصله تَثْنَوْنِنُ من الثنّ وهو الكلأ الضعيف اراد به ضعف
قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثنى وَتَثْنَئِنُّ من ٱثْنَأَنَّ كابْيَاضَّ بالهمز وتَثْنَوِى لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ من الله
بسرّهم فلا يُطْلِعَ رسوله والمؤمنين عليه ، قيل انّها نزلت فى طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا
واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمّد كيف يعلم وقيل نزلت فى المنافقين وفيه نظرٌ اذ
الآية مكيّة والنفاق حدث بالمدينة أَلَا حِينَ (٦) يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطّون
بثيابهم يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ فى قلوبهم وَمَا يُعْلِنُونَ بافواههم يستوى فى علمه سرّهم وعلنهم فكيف يخفى
عليه ما عسى يُظْهِرونه (٧) إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها
جزء ١٢ (٨) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا غذاؤها ومعاشها لتكفّله ايّاه تفضّلا ورحمةً وانّما اتى بلفظ
ركوع ١ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكّل فيه وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا اماكنها فى الحيوة والممات او
الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وُجدتْ بالفعل ومودَعها من الموادّ والمقارّ حين كانت
بعدُ بالقوّة كُلٌّ كلّ واحد من الدوابّ واحوالها فِى كِتَابٍ مُبِينٍ مذكورٌ فى اللوح المحفوظ ، وكانّه
اريد بالآية بيانُ كونه عالما بالمعلومات كلّها وبما بعدها بيانُ كونه قادرا على الممكنات بأسرها تقريرا
للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد (٩) وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ اى خلقهما
وما فيهما كما مرّ بيانه فى الاعراف او ما فى جهتَى العُلو والسُفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف
العُلويّات بالاصل والذات دون السُفليّات وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا
انّه كان موضوعا على متن الماء واستُدلّ به على امكان الخلاء وأنّ الماء اوّل حادث بعد العرش من
أجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
متعلّق بخلق اى خلق ذلك كخلْقِ من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فانّ
جملة ذلك اسباب وموادّ لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وأمارات تستدلّون بها
وتستنبطون منها ، وانّما جاز تعليق فعل البَلْوَى لما فيه من معنى العلم من حيث انّه طريق اليه
كالنظر والاستماع ، وانّما ذكر صيغة التفضيل والاختبارُ شاملٌ لفِرَق المكلّفين باعتبار الحسن والقبح

للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقّي دائما في مراتب العلم والعمل فانّ المراد بالعمل ما جزء ١٢
يعمّ عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبيّ صلعم ايّكم احسنُ عقلا واورعُ عن محارم اللّه واسرعُ في ركوع ١
طاعة اللّه والمعنى ايّكم اكمل علما وعملا (١٠) وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ اى ما البعث او القول به او القران المتضمّن لذكره الّا كالسحر
في الخديعة او البطلان وقرأ حمزة والكسائيّ إِلَّا سَاحِرٌ على انّ الاشارة الى القائل وقرئ أَنَّكُمْ بالفتح على
تضمّن قُلْتَ معنى ذَكَرْتَ او أن يكون أَنَّ بمعنى علّ اى ولئن قلت علّكم مبعوثون بمعنى توقّعوا
بعثكم ولا تَبُتّوا بانكاره لَعَدّوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغةً في انكاره (١١) وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ
الموعود إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ الى جماعة من الاوقات قليلة لَيَقُولُنَّ استهزاء مَا يَحْبِسُهُ ما يمنعه من الوقوع
أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ كيوم بدر لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ليس العذاب مدفوعا عنهم ، ويومَ منصوبٌ بخبرِ ليس
مقدَّمٌ عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وَحَاقَ بِهِمْ واحاط بهم وضع الماضي موضع
المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ اى العذاب الّذى كانوا به يستعجلون
فوضع يستهزءون موضع يستعجلون لانّ استعجالهم كان استهزاء (١٢) وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ركوع ٢
ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذّتها ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ثمّ سلبنا تلك النعمة منه إِنَّهُ لَيَئُوسٌ قطوعٌ رجاءه
من فضل اللّه لقلّة صبره وعدم ثقته به كَفُورٌ مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة (١٣) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ
نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ كصحّة بعد سقم وغنًى بعد عُدْم ، وفي اختلاف الفعلين نُكْتَةٌ لا تخفى
لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّئَاتُ عَنِّي اى المصايب الّتى ساءتنى إِنَّهُ لَفَرِحٌ بَطِر بالنعم مغترّ بها فَخُورٌ على الناس
مشغول عن الشكر والقيام بحقّها ، وفي لفظ الاذاقة والمسّ تنبيهٌ على أنّ ما يجده الانسان في الدنيا من
النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وأنّه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء لانّ الذوق ادراكُ الطعم
والمسّ مبتدأُ الوصول (١٤) إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا على الضرّاء ايمانا باللّه واستسلاما لقضائه وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ
شكرا لآلائه سابقها ولاحقها أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لذنوبهم وَأَجْرٌ كَبِيرٌ اقلّه الجنّة ، والاستثناء من الانسان لانّ
المراد به الجنس فاذا كان محلّى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسَبْق ذكرهم جعل
الاستثناء منقطعا (١٥) فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف
رَأْيَ المشركين مخافةَ ردّهم واستهزائهم به ولا يَلْزَم من توقّع الشيء لوجودِ ما يدعو اليه وقوعُه
لجوازِ أن يكون ما يَصْرِف عنه وهو عصمةُ الرسل عن الخيانة في الوحي والثقةُ في التبليغ ههنا
وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ وعارضٌ لك احيانا ضيقُ صدرك بأن تتلوه عليهم مخافةَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ
ينفقه في الاستتباع كالملوك أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ يصدّقه وقيل الضمير في به مُبْهَم يفسّره ان يقولوا إِنَّمَا أَنْتَ

جزء ١٢ نَذِيرٌ ليس عليك الّا الانذار بما اوحى اليك ولا عليك ردّوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك وَٱللَّهُ عَلَى
ركوع ٢ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ فتوكّل عليه فانّه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم (١٦) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ امر منقطعة ، والهاء لما يوحى قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ فى البيان وحسن النظم تحدّاهم اوّلا بعشر سور ثمّ لمّا عجزوا عنها سهّل الامر عليهم وتحدّاهم بسورة ، وتوحيد المثل باعتبار كلّ واحدة مُفْتَرَيَاتٍ مختلَقات من عند انفسكم إن صحّ انّى اختلقته من عند نفسى فانّكم عرب فصحاء مثلى تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلّمكم القصص والاشعار وتعوّدكم القريض والنظم وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ الى المعاونة على المعارضة إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ انّه مفترى (١٧) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير امّا لتعظيم الرسول او لانّ المؤمنين ايضا كانوا يتحدّونهم وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انّه يجب اتباعه عليهم فى كلّ امر الّا ما خصّه الدليل وللتنبيه على انّ التحدّى ممّا يوجب رسوخ ايمانهم وقوّة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتّب عليه قوله فَٱعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ملتبسا بما لا يعلمه الّا اللّه ولا يقدر عليه سواه وَأَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ واعلموا ان لا اله الّا اللّه لانّه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس اللّه آلهتهم فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ثابتون على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذا تحقّق عندكم الاعجاز مطلقا ويجوز ان يكون الكلّ خطابا للمشركين والضمير فى لم يستجيبوا لمن استطعتم اى فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا أنّه نظم لا يعلمه الّا اللّه وأنّه منزّل من عنده وأنّ ما دعاكم اليه من التوحيد حقّ فهل انتم داخلون فى الاسلام بعد قيام الحجّة القاطعة وفى مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر (١٨) مَنْ كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا باحسانه وبرّه نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا نوصل اليهم جزاء اعمالهم فى الدنيا من الصحّة والرئاسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد ، وقرئ يُوفِّ بالياء اى يوفّ اللّه وتُوفَّ على البناء للمفعول ونُوفِى بالتخفيف والرفع لانّ الشرط ماضٍ كقوله

وإنْ اتاه كريمٌ يومَ مَسْغَبةٍ ‏ ‏ ‏ يقولُ لا غائبٌ مالى ولا حَرِمُ

وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ لا ينقصون شيئا من اجورهم ، والآية فى اهل الرياء وقيل فى المنافقين وقيل فى الكفرة وغرضهم وبرّهم (١٩) أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ مطلقا فى مقابلة ما عملوا لانّهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيّئة وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا لانّه لم يبق له ثواب فى الآخرة او لم يكن لانّهم لم يريدوا به وجه اللّه والعمدة فى اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ، ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على انّ الضمير للدنيا وَبَاطِلٌ فى نفسه مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لانّه لم

يعمل على ما ينبغى وكانّ كلّ واحدة من الجملتين علّة لما قبلها ، وقرئ بَاطِلًا على انّه مفعول يعملون جزء ١٢
وما ابهاميّة او فى معنى المصدر كقوله • ولا خارجا مِنْ فِىَّ زورُ كلام • وبَطَلَ على الفعل (٢٠) أَفَمَنْ كَانَ ركوع ٢
عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ برهان من الله يدلّه على الحقّ والصواب فيما يأتيه ويذره ، والهمزة لانكار أن يعقب
مَنْ هذا شأنه هؤلاء المقصّرين همّهم وأفكارهم على الدنيا وأن يقارب بينهم فى المنزلة وهو الّذى اغنى عن
ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بيّنة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعمّ كلّ مؤمن
مخلص وقيل المراد به النبىّ صلعم وقيل مؤمنو اهل الكتاب وَيَتْلُوهُ ويتّبع ذلك البرهانَ الّذى هو دليل
العقل شَاهِدٌ مِنْهُ من الله يشهد بصحّته وهو القران وَمِنْ قَبْلِهِ ومن قبل القران كِتَابُ مُوسَى يعنى
التورية فانّها ايضا تتلوه فى التصديق او البيّنة هو القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او
لسان الرسول عم على انّ الضمير له او من التلوّ والشاهد مَلَكٌ يحفظه والضمير فى يتلوه امّا لِمَنْ او
للبيّنة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كِتَابَ بالنصب عطفا على الضمير فى
يتلوه اى يتلو القرانَ شاهدٌ ممّن كان على بيّنة دالّة على انّه حقّ كقوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل
ويقرأ من قبل القران التورية إِمَامًا مؤتمّا به فى الدين وَرَحْمَةً على المنزل عليهم لانّه الوصلة الى الفوز
بخير الدارين أُولَئِكَ اشارة الى من كان على بيّنة يُؤْمِنُونَ بِهِ بالقران وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ من اهل
مكّة ومن تحزّب معهم على رسول الله فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ يردها لا محالة فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِنْهُ من الموعد او
القران ، وقرئ مُرْيَة بالضمّ وهما الشكّ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ لقلّة نظرهم
واختلال فكرهم (٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا كأن اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما
انزله أُولَئِكَ اى الكاذبون يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ فى الموقف بأن يحبسوا وتعرض اعمالهم وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ
من الملائكة والنبيّين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كأصحاب او شهيد كأشراف هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ تهويل عظيم ممّا يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على
الله (٢٢) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ عن دينه وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا يصفونها بالانحراف عن الحقّ والصواب
او يبغون اهلها أن يعوجّوا بالردّة وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ والحال انّهم كافرون بالآخرة وتكرير هُمْ
لتأكيد كفرهم واختصاصهم به أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِى الْأَرْضِ اى ما كانوا معجزين الله فى الدنيا
أن يعاقبهم وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يمنعونهم من العقاب ولكنّه اخّر عقابهم الى هذا
اليوم ليكون اشدّ وأدوم يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ استيناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يُضَعَّفُ
بالتشديد مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ لتصامّهم عن الحقّ وبغضهم له وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ لتعاميهم

جزء ١٢ عن آيات الله وكأنّه العلّة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيانُ ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم
ركوع ٢ من دون الله من اولياء فانّ ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراضٌ
(٢٣) أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ من
الآلهة وشفاعتها او خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما حصّلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة
(٢٤) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ لا احد أبين وأكثر خسرانا منهم (٢٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
ٱلصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ اطمأنّوا اليه وخشعوا له من الخَبْت وهو الارض المطمئنّة أُولَئِكَ أَصْحَابُ
ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ دائمون (٢٦) مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ الكافر والمؤمن كَٱلْأَعْمَى وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ
يجوز ان يراد به تشبيهُ الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصمّ لتصامّه عن استماع كلام الله
وتأبّيه عن تدبّر معانيه وتشبيهُ المؤمن بالسميع والبصير لانّ امره بالضدّ فيكونَ كلّ منهما مشبّها
باثنين باعتبار وصفين او تشبيهُ الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضدّيهما
والعاطفُ لعطف الصفة على الصفة كقوله • الصابح فالغانم فالآئب • وهذا من باب اللفّ والطباق
هَلْ يَسْتَوِيَانِ هل يستوى الفريقان مَثَلًا تمثيلا او صفة او حالا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ بضرب الامثال والتأمّل
ركوع ٣ فيها (٢٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ بأنّى لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على
ارادة القول نَذِيرٌ مُبِينٌ ابيّن لكم مُوجِبات العذاب ووجه الخلاص (٢٨) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا ٱللَّهَ بدلٌ من انّى لكم
او مفعولُ مبينٌ ويجوز ان تكون أَنْ مفسّرة متعلّقة بأرسلنا او بنذير إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ
مؤلم وهو فى الحقيقة صفة المعذَّب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جَدّ جِدُّه ونهارُه صائمٌ
للمبالغة (٢٩) فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا لا مزيّة لك علينا تخصّك بالنبوّة
ووجوب الطاعة وَمَا نَرَاكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا اخسّاؤنا جمعُ أَرْذَل فانّه بالغلبة صار مثل الاسم
كالاكبر او أَرْذُل جمع رَذْل بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ظاهرَ الرأى من غير تعمّق من البُدُوّ او اوّلَ الرأى من البَدْء
والياء مُبْدَلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف
اى وقتَ حدوث بادى الرأى والعاملُ فيه اتّبعك ، وانّما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانّهم لمّا لم يعلموا
الّا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظّ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وَمَا نَرَى لَكُمْ لك ولمتّبعيك
عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ يؤهّلكم للنبوّة واستحقاق المتابعة بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ايّاك فى دعوى النبوّة وايّاهم فى
دعوى العلم بصدقك فغلّب المخاطب على الغائبين (٣٠) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ اخبرونى إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ
مِنْ رَبِّي حجّة شاهدة بصحّة دعواى وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ بايتاء البيّنة او النبوّة فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ
فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لانّ البيّنة فى نفسها هى الرحمة او لانّ خفاءها يوجب

خفاء النبوّة او على تقدير فعميت بعد البيّنة وحذفها للاختصار او لانّه لكلّ واحدة منهما وقرأ جزء ١٢
حمزة والكسائىّ وحفص فَعُمِّيَتْ اى أُخْفِيت وقرئ فَعَمَّاهَا على انّ الفعل للّه أَنُلْزِمُكُمُوهَا انكرهكم على ركوع ٣
الاهتداء بها وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ لا تختارونها ولا تتأمّلون فيها ، وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما
مرفوعا وقُدّم الاعرف منهما جاز فى الثانى الفصل والوصل (٣١) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ على التبليغ وهو
وان لم يُذكر فمعلوم ممّا ذُكر مَالًا جُعْلا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ فانّه المأمول منه وَمَا أَنَا بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا
جواب لهم حين سألوا طردهم إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ فيخاصمون طاردَهم عنده او انّهم يلاقونه ويفوزون بقربه
فكيف اطردهم وَلٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ بلقاء ربّكم او بأقدارهم او فى التماس طردهم او تتسفّهون
عليهم بأن تدعوهم اراذل (٣٢) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ بدفع انتقامه إِنْ طَرَدْتُهُمْ وهم بتلك الصفة
والمثابة أَفَلَا تَذَكَّرُونَ لتعرفوا انّ التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب (٣٣) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ
عِنْدِي خَزَائِنُ ٱللَّهِ رزقه وامواله حتّى جحدتم فضلى وَلَا أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ عطف على عندى خزائن اللّه اى
ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتّى تكذّبونى استبعادا او حتّى اعلم انّ هؤلاء اتّبعونى بادئ الرأى من
غير بصيرة وعَقْد قلب وعلى الثانى يجوز عطفه على اقول وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ حتّى تقولوا ما انت الّا بشر
مثلنا وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ ولا اقول فى شأن من استرذلتموهم لفقرهم لَنْ يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا
فانّ ما اعدّه لهم فى الآخرة خير ممّا آتاكم فى الدنيا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ
ان قلت شيئا من ذلك ، والازدراء افتعال من زَرَى عليه اذا عابه قُلبت تاؤه دالا لتجانس الراء فى
الجَهْر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انّهم استرذلوهم بادئ الرؤية من غير روِيّة بما عاينوا من
رثاثة حالهم وقلّة منالهم دون تأمّل فى معانيهم وكمالاتهم (٣٤) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا خاصمتنا
فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فأطلته او اتيت بأنواعه فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا من العذاب إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ فى
الدعوى والوعيد فانّ مناظرتك لا تؤثّر فينا (٣٥) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ ٱللَّهُ إِنْ شَاءَ عاجلا او آجلا
وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ بدفع العذاب او الهرب منه (٣٦) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ
شرطٌ ودليلُ جواب والجملة دليلُ جوابِ قوله إِنْ كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ وتقديرُ الكلام إن كان اللّه
يريد ان يغويكم فان اردتُ ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى ولذلك نقول لو قال الرجل انتِ طالقٌ
إن دخلتِ الدار إن كلّمتِ زيدا فدخلتْ ثمّ كلّمتْ لم تَطْلُق ، وهو جواب لما اوهموا من انّ جداله
كلام بلا طائل وهو دليل على أنّ ارادة اللّه تعالى يصحّ تعلّقها بالاغواء وأنّ خلاف مراده مُحال وقيل
أن يُغويكم ان يُهلككم من غوى الفصيلُ غَوًى اذا بَشِم فهلك هُوَ رَبُّكُمْ خالقكم والمتصرّف فيكم وَفْق
ارادته وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فيجازيكم على اعمالكم (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي

جزء ١٢ وباله وقرئ أَجْرَامِى على الجمع وَأَنَا بَرِىٓءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ من اجرامكم فى اسناد الافتراء الىّ (٣٨) وَأُوحِىَ

ركوع ٤ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ فلا تحزن ولا تتأسّف بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ اقنطه اللّه من ايمانهم ونهاه ان يغتمّ بما فعلوا من التكذيب والايذاء (٣٩) وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ملتبسا بأعيننا عبّر بكثرة آلة الحسّ الّذى به يُحْفَظ الشىء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل وَوَحْيِنَا اليك كيف تصنعها وَلَا تُخَاطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ولا تراجعنى فيهم ولا تَدْعُنى باستدفاع العذاب عنهم إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفّه (٤٠) وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ حكاية حال ماضية وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ استهزءوا به لعمله السفينة فانّه كان يعملها فى برّيّة بعيدة من الماء اوان عزّته فكانوا يضحكون منه ويقولون صرتَ نجّارا بعد ما كنت نبيّا قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ اذا اخذكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤١) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ يعنى به ايّاهم وبالعذاب الغرق وَيَحِلُّ عَلَيْهِ وينزل عليه او يحلّ عليه حلولَ الدَّيْن الّذى لا انفكاك عنه عَذَابٌ مُقِيمٌ دائم وهو عذاب النار (٤٢) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتّى هى الّتى يُبْتدأ بعدها الكلام وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ نبع الماء فيه وارتفع كالقِدْر تفور، والتنّور تنّور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان فى الكوفة فى موضع مسجدها او فى الهند او بعَيْن وَرْدة من ارض الجزيرة وقيل التنّور وجه الارض او اشرف موضع فيها قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا فى السفينة مِنْ كُلٍّ من كلّ نوع من الحيوانات المنتفع بها زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كلّ صنف ذكر وصنف انثى وَأَهْلَكَ عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ بأنّه من المغرقين يريد ابنه كنعان وأمّه واعلة فانّهما كانا كافرين وَمَنْ آمَنَ والمؤمنين من غيرهم وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المُسْلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روى انّه عم اتّخذ السفينة فى سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون وجعل لها ثلاثة بطون فحمل فى اسفلها الدوابّ والوحش وفى اوسطها الانس وفى اعلاها الطير (٤٣) وَقَالَ ٱرْكَبُوا فِيهَا اى صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانّها فى الماء كالمركوب فى الارض بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا متّصلٌ باركبوا حال من الواو اى اركبوا فيها مسمّين اللّه او قائلين بسم اللّه وقتَ اجرائها وارسائها او مكانهما على انّ المجرى والمرسى للوقت او للمكان او للمصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوقَ النجم وانتصابهما بما قدّرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم اللّه على انّ المراد بهما المصدر او جملةٌ من مبتدإ وخبر اى اجراؤها بسم الله على انّ بسم اللّه خبرٌ او صلة والخبر محذوف وهى امّا جملة مقتضبة

لا تعلّق لها بما قبلها او حال مقدّرة من الواو او الهاء روى انّه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم اللّه جزء ۱۲
فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم اللّه فرست ويجوز ان يكون الاسم مُقْحَما كقوله • ثمّ ٱسْمُ السلام ركوع ۴
عليكما • وقرأ حمزة والكسائىّ وعاصم برواية حفص مَجْرَاهَا بالفتح من جَرَى وقرئ مَرْسَاهَا ايضا من
رَسَا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومُجْرِيهَا ومُرْسِيهَا بلفظ الفاعل صفتين للّه إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَحِيمٌ اى لولا
۵ مغفرته لفرطاتكم ورحمته ايّاكم لَما نجّاكم (۴۴) وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ متّصل بمحذوف دلّ عليه اركبوا
اى فركبوا مسمّين وهى تجرى وهم فيها فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ فى موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء
عند اضطرابه كلُّ موجة منها كجبل فى تراكمها وارتفاعها وما قيل من انّ الماء طبّق ما بين السماء
والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه ليس بثابت والمشهورُ انّه علا شوامخ الجبال خمسة عشر
ذراعا وإن صحّ فلعلّ ذلك قبل التطبيق وَنَادَى نُوحٌ ٱبْنَهُ كنعان وقرئ ٱبْنَهَا وٱبْنَهَ بحذف الالف
۱۰ على انّ الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رِشْدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عُصمت
من ذلك والمرادُ بالخيانة الخيانة فى الدين وقرئ ٱبْنَاهُ على النُّدْبة ولكونها حكايةً سُوِّغ حَذْف الحرف
وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ عَزَلَ فيه نفسَه عن ابيه او عن دينه مَفْعِل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يَا بُنَىَّ ٱرْكَبْ
مَعَنَا فى السفينة والجمهورُ كسروا الياء ليدلّ على ياء الاضافة المحذوفة فى جميع القران غير ابن كثير فانّه
وقف عليها فى لقمان فى الموضع الاوّل باتّفاق الرُّواة وفى الثالث فى رواية قُنْبُل وعاصم فانّه فتح ههنا
۱۵ اقتصارا على الفتح من الالف المُبْدَلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه فى سائر المواضع وقد ادغم
الباء فى الميم ابو عمرو والكسائىّ وحفص لتقاربهما وَلَا تَكُنْ مَعَ ٱلْكَافِرِينَ فى الدين والانعزال
(۴۵) قَالَ سَآوِى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ أن يُغْرقنى قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللّٰهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ الّا
الراحم وهو اللّه تعالى او الّا مكانَ من رحمهم اللّه وهم المومنون ردّ بذلك أن يكون اليومَ معتصَمٌ من
جبل ونحوه يَعْصِم اللائذ به الّا معتصَم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله فى
۲۰ عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اى لكن من رحمه اللّه يَعْصِمه وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ بين نوح وابنه او
بين ابنه والجبل فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ فصار من المهلكين بالماء (۴۶) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَا سَمَآءُ أَقْلِعِى
نوديا بما ينادَى به اولو العلم وأُمرا بما يؤمَرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما
بأمر المطاع الّذى يأمر المنقادَ لحكمه المبادرَ الى امتثال امره مهابةً من عظمته وخشيةً من اليم عقابه ،
والبَلْع النَّشف والاقلاع الامساك وَغِيضَ ٱلْمَآءُ نُقص وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وأُنْجز ما وعد من اهلاك الكافرين
۲۵ وانجاء المؤمنين وَٱسْتَوَتْ واستقرّت السفينة عَلَى ٱلْجُودِىِّ جبل بالمَوْصِل وقيل بالشّام وقيل بآمِد روى
انّه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرّم فصام ذلك اليوم وصار سُنّة وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ
ٱلظَّالِمِينَ هلاكا لهم يقال بَعِد بُعْدا وبَعَدا اذا بعُد بُعْدا بعيدا بحيث لا يُرْجَى عوده ثمّ استعير

*

جزء ١٢ للهلاك وخصّ بدعاء السوء ، والآية فى غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كُنْه
ركوع ٤ الحال مع الايجاز الخالى عن الاخلال وفى ايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالةٌ على تعظيم الفاعل وأنّه متعيّن فى نفسه مستغنٍ عن ذكره اذ لا يذهب الوهمُ الى غيره للعلم بانّ مثل هذه الافعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهّار (٤٧) وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ واراد نداءه بدليل عطف قوله فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي فانّه النداء وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وانّ كلّ وعد تَعِدُه حقّ لا يتطرّق اليه الخُلْف وقد وعدت ان تنجى اهلى فما حاله او فما له لم يُنْجَ ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وَأَنْتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ لانّك اعلمهم واعدلهم او لانّك اكثر حكمةً من ذوى الحِكَم على انّ الحاكم من الحكمة كالدارع من الدِرْع (٤٨) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فانّه تعليل لنفى كونه من اهله وأصلُه انّه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة

تَرْتَعُ ما رَتَعتْ حتّى اذا ٱدّكرَتْ ... فانّما هى اقبالٌ وادبارُ

ثمّ بدّل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائىّ ويعقوب إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ اى عمل عملا غير صالح فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ما لا تعلم أَصَوابٌ هو ام ليس كذلك وانّما سمّى نداءه سؤالا لتضمّن ذكر الوعد بنجاة اهله استنجازَه فى شأن ولده واستفسارَ المانع للانجاز فى حقّه وانّما سمّاه جهلا وزجر عنه بقوله إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ لانّ استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دلّه على الحال وأغناه عن السؤال لكن اشغله حبُّ الولد عنه حتّى اشتبه الامر عليه ، وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انّهما كسرا النون على انّ اصله تَسْأَلَنَّنِى فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكُسرت الشديدة للياء ثمّ حُذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها فى الوصل (٤٩) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ فيما يستقبل مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ما لا علم لى بصحّته وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وان لم تغفر لى ما فرط منّى فى السؤال وَتَرْحَمْنِي بالتوبة والتفضّل علىّ أَكُنْ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ اعمالا (٥٠) قِيلَ يَا نُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا انزل من السفينة مسلّما من المكاره من جهتنا او مسلّما عليك وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ومبارَكا عليك او زيادات فى نسلك حتّى تصير آدمًا ثانيا ، وقرئ ٱهْبُطْ بالضمّ وبَرَكَةٍ على التوحيد وهى الخير النامى وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وعلى امم هم الّذين معك سُمّوا امما لتحزّبهم او لتشعّب الامم منهم او على امم ناشئة ممّن معك والمرادُ بهم المؤمنون لقوله وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ اى وممّن معك اممٌ سنمتّعهم فى الدنيا ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ فى الآخرة والمرادُ بهم الكفّار من ذرّيّة من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذابُ ما نزل بهم (٥١) تِلْكَ اشارة الى قصّة نوح ومحلّها الرفع بالابتداء

وخبرها مِنْ أَنْبَاءِ ٱلْغَيْبِ اى بعضها نُوحِيهَا إِلَيْكَ خبرٌ ثانٍ والضمير لها اى موحاةٌ اليك او حالٌ من جزء ۱۲
الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلّق به او حال من الهاء فى نوحيها مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ ركوع ۴
مِنْ قَبْلِ هٰذَا خبرٌ آخر اى مجهولةٌ عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حالٌ من الهاء فى نوحيها
او الكاف فى اليك اى جاهلًا انت وقومك بها ، وفى ذكرهم تنبيهٌ على أنّه لم يتعلّمه اذ لم يخالط
۵ غيرهم وأنّهم مع كثرتهم لمّا لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فَٱصْبِرْ على مشاقّ الرسالة واذيّة القوم كما
صبر نوح إِنَّ ٱلْعَاقِبَةَ فى الدنيا بالظفر وفى الآخرة بالفوز لِلْمُتَّقِينَ عن الشرك والمعاصى (۵۲) وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ ركوع ۵
هُودًا عطفٌ على قوله نوحا الى قومه ، وهودا عطف بيان قَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللّٰهَ وحده مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ
غَيْرُهُ قرئ بالجرّ حملا على المجرور وحده إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ على اللّه باتّخاذ الاوثان شركاء وجعلها
شفعاء (۵۳) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِي خاطب كلُّ رسول به قومه ازاحةً
۱۰ للتّهمة وتمحيضا للنصيحة فانّها لا تنجع ما دامت مشوبةً بالمطامع أَفَلَا تَعْقِلُونَ افلا تستعملون عقولكم
فتعرفوا المُحقّ من المُبطل والصواب من الخطاء (۵۴) وَيَا قَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ اطلبوا مغفرة
اللّه بالايمان ثمّ توسّلوا اليها بالتوبة وايضا التبرّؤ عن الغير انّما يكون بعد الايمان باللّه والرغبة فيما
عنده يُرْسِلِ ٱلسَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا كثير الدرّ (۵۵) وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ويضاعف قوّتكم وانّما رغّبهم
بكثرة المطر وزيادة القوّة لانّهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس اللّه عنهم القطر وأعقم ارحام
۱۵ نسائهم ثلاثين سنة فوعدهم هود على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوّة بالتناسل وَلَا تَتَوَلَّوْا
ولا تُعرضوا عمّا ادعوكم اليه مُجْرِمِينَ مُصرّين على اجرامكم (۵۶) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ بحجّة تدلّ
على صحّة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا
بتاركى عبادتهم عَنْ قَوْلِكَ صادرين عن قولك حالٌ من الضمير فى تاركى وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ
اقناط له من الاجابة والتصديق (۵۷) إِنْ نَقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَاكَ ما نقول الّا قولنا اعتراك اى اصابك من عراه
۲۰ يعروه اذا اصابه بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ بجنون لسبّك ايّاها وصدّك عنها ومن ذلك تَهْذِى وتتكلّم بالخرافات
والجملة مقولُ القول وإِلَّا لَغْوٌ لانّ الاستثناء مفرّغ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ ٱللّٰهَ وَٱشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ
(۵۸) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ اجاب عن مقالتهم الحمقاء بأن اشهد اللّه على براءته من
آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وأمرهم بأن يشهدوا عليه استهانةً بهم وان
يجتمعوا على الكيد فى اهلاكه من غير انظار حتّى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انّهم عجزوا عن آخرهم وهم
۲۵ الاقوياء الاشدّاء أن يضرّوه لم يَبْقَ لهم شبهة أنّ آلهتهم الّتى هى جماد لا يضرّ ولا ينفع لا تتمكّن من
اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فانّ مواجهة الواحدِ الجمَّ الغفيرَ من الجبابرة الفتّاك العطاش

جزء ۱۲ الى إراقة دمه بهذا الكلام ليست الّا لثقته بالله وتثبّطهم عن اضراره ليس الّا بعصمته ايّاه ولذلك عقبه
ركوع ٥ بقوله (٥٩) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ تقريرا له والمعنى انّكم وإن بذلتم غاية وسعكم لم تضرّونى
فانّى متوكّل على الله واثق بكلاءته وهو مالكى ومالككم لا يحيق بى ما لم يُرده ولا تقدرون على ما لم
يقدّره ثمّ برهن عليه بقوله مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا الّا وهو مالك لها قادر عليها يصرّفها على
ما يريد بها والأخذ بالنواصي تمثيل لذلك إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اى انّه على الحقّ والعدل لا
يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم (٦٠) فَإِنْ تَوَلَّوْا فان تتولّوا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ فقد
ادّيت ما علىّ من الابلاغ والزام الحجّة فلا تفريط منّى ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما أُرسلت به اليكم
وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ استيناف بالوعيد لهم بانّ الله يهلككم ويستخلف قوما آخرين فى
ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيّده القراءة بالجزم على الموضع كانّه قيل فان تتولّوا
يعذرنى ويستخلف وَلَا تَضُرُّونَهُ بتولّيكم شَيْئًا من الضرر ومن جزم يستخلف يُسقط النون منه
إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ رقيب فلا تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستولٍ
عليه فلا يمكن ان يضرّه شىء (٦١) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا عذابنا او امرنا بالعذاب نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وكانوا اربعة آلاف وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ تكرير لبيان ما نجّاهم عنه وهو
السّموم كانت تدخل أُنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم فتقطّع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من
عذاب الآخرة ايضا والتعريض بانّ المهلكين كما عُذّبوا فى الدنيا بالسّموم فهم معذّبون فى الآخرة
بالعذاب الغليظ (٦٢) وَتِلْكَ عَادٌ انّث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لانّ الاشارة الى قبورهم وآثارهم
جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ كفروا بها وَعَصَوْا رُسُلَهُ لانّهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانّما عصى الكلّ
لانّهم أُمروا بطاعة كلّ رسول وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ يعنى كبراءهم الطاغين وعنيد من عَنَدَ عَنَدًا
وعَنَدًا وعُنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما
يُرديهم (٦٣) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ اى جُعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبّهم فى
العذاب أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجارّ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ دعاء عليهم
بالهلاك والمراد به الدلالة على انّهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حُكى عنهم وانّما كرّر
ألا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثّا على الاعتبار بحالهم قَوْمِ هُودٍ عطف بيان لعاد وفائدته
تمييزهم عن عاد الثانية عاد إرم والايماء الى انّ استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود
ركوع ٦ (٦٤) وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ هو
كوّنكم منها لا غيره فانّه خلق آدم وموادّ النطف الّتى خلق نسله منها من التراب وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا

عمّركم فيها واستبقاكم من العُمْر او اقدركم على عمارتها وأمركم بها وقيل هو من العُمْرَى بمعنى جزء ١٢
اعمركم فيها ديارَكم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم مُعْمِرين ديارَكم تسكنونها مُدّة ركوع ٦
عمركم ثمّ تتركونها لغيركم فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ قريب الرحمة مُجِيبٌ لداعيه
(٦٥) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هٰذَا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد أن تكون
لنا سيّدا ومستشارا فى الامور او أن توافقنا فى الدين فلمّا سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك
أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا على حكاية الحال الماضية وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ من التوحيد
والتبرّى عن الاوثان مُرِيبٍ مُوقع فى الريبة من ارابه او ذى ريبة على الاسناد المجازىّ من اراب فى الامر
(٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي بيانٍ وبصيرة وحرفُ الشكّ باعتبار المخاطَبين
وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً نبوّة فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ فمن يمنعنى من عذابه إِنْ عَصَيْتُهُ فى تبليغ رسالته والمنع
عن الاشراك به فَمَا تَزِيدُونَنِي إِذَنْ باستتباعكم اِيّاى غَيْرَ تَخْسِيرٍ غير ان تخسّرونى بابطال ما منحنى
اللّه به والتعريض لعذابه او فما تزيدوننى بما تقولون لى غير ان انسبكم الى الخسران (٦٧) وَيَا قَوْمِ هٰذِهِ
نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ آيَةً انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدّمت عليها لتنكيرها
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ ٱللَّهِ ترع نباتها وتشرب ماءها وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ عاجل
لا يتراخى عن مسّكم لها بالسوء الّا يسيرا وهو ثلاثة ايّام (٦٨) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ عيشوا
فى منازلكم او فى داركم الدنيا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ الاربعاء والخميس والجمعة ثمّ تهلكون ذٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ
اى غير مكذوب فيه فاتّسع فيه باجرائه مُجرى المفعول به كقوله ● ويوم شهدناه سُلَيْما وعامرا ● او غير
مكذوب على المجاز وكانّ الواعد قال له أَفِي بك فانْ وَفَى به صَدَقَه والّا كَذَبَه او وَعْدٌ غيرُ كَذِبٍ على انّه
مصدر كالمجلود والمعقول (٦٩) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ
اى ونجّيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلّهم وفضيحتهم يوم القيامة ؛ وعن نافع
يَوْمَئِذٍ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفى المعارج فى قوله مِنْ عَذَابِ يَوْمَئِذٍ
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ القادر على كلّ شىء والغالب عليه (٧٠) وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا
فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ قد سبق بيانه فى سورة الاعراف (٧١) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ
نوّنه ابو بكر ههنا وفى النجم والكسائىّ فى جميع القران وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو فى قوله
أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ذهابا الى الحىّ او الاب الاكبر (٧٢) وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرٰهِيمَ يعنى الملائكة قيل كانوا ركوع ٧
تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل بِٱلْبُشْرَى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قَالُوا سَلَامًا

جزء ١٢ ركوع ٧

سلّمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قَالَ سَلَامٌ اى أَمْرُكم او جوابى سلامٌ او وعليكم سلامٌ رفعه اجابةً بأَحْسَنَ من تحيّتهم وقرأ حمزة والكسائىّ سِلْمٌ وكذلك فى الذاريات وهما لغتان كحِرْم وحَرَام وقيل المراد به الصُّلْح فَمَا لَبِثَ أَنْ جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فما ابطأ مجيئُه به او فما ابطأ فى المجىء به او فما تأخّر عنه والجارُّ مقدَّرٌ او محذوفٌ ، والحنيذ المشوىّ بالرَّضْف وقيل الّذى يقطر وَدَكُه من حَنَذْتُ الفرسَ اذا عرّقته بالجلال لقوله بعجل سمين (٧٣) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ لا يمدّون اليه ايديهم نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونَكِرَ وأَنكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قَالُوا له لمّا احسّوا منه اثر الخوف لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ انّا ملائكة مُرْسَلة اليهم بالعذاب وانّما لم نمدّ اليه ايدينا لانّا لا نأكل (٧٤) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة فَضَحِكَتْ سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانّها كانت تقول لابرٰهيم اضمُمْ اليك لوطا فانّى اعلم انّ العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت قال

وعَهْدِى بسَلْمَى ضاحِكًا فى لِبانة ولم يَعْدُ حُقًّا ثَدْيُها أَنْ تَحَلَّما

ومنه ضَحِكَت السَّمُرَةُ اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحٰقَ وَمِنْ وَرَآءِ إِسْحٰقَ يَعْقُوبَ نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسّره ما دلّ عليه الكلام وتقديرُه ووهبناها من وراء اسحٰق يعقوبَ وقيل انّه معطوف على موضع باسحٰق او على لفظ اسحٰق وفتحتُه للجرّ فانّه غير مصروف ورُدّ للفصل بينه وبين ما عُطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انّه مبتدأ خبرُه الظرف اى ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولدُ الولد ولعلّه سُمّى به لانّه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحٰق ليس من حيث انّ يعقوب وراءه بل من حيث انّه وراء ابرٰهيم من جهته وفيه نظرٌ ، والاسمان يُحْتمل وقوعُهما فى البشارة كيحيى ويُحْتمل وقوعُهما فى الحكاية بعد ان وُلدا فسُمّيا به ، وتوجيه البشارة اليها للدلالة على انّ الولد المبشَّر به يكون منها لا من هاجر ولانّها كانت عقيمة حريصة على الولد (٧٥) قَالَتْ يَا وَيْلَتَا يا عَجَبًا وأصلُه فى الشرّ فأُطْلق فى كلّ امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ابنة تسعين او تسع وتسعين وَهٰذَا بَعْلِي زوجى وأصلُه القائم بالامر شَيْخًا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعاملُ فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انّه خبرُ محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلى بدل إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ يعنى الولد من هَرِمَيْن وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك (٧٦) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ رَحْمَتُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ منكرين عليها فانّ خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوّة ومَهْبِط المُعْجِزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بأن يستغربه عاقل فضلا عمّن نشأتْ وشابتْ فى ملاحظة الآيات ، واهلَ

جزء ١٢ ركوع ٧

البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللّهمّ اغفرْ لنا أيّتُها العِصابةُ إنّهُ حَمِيدٌ فاعل ما يستوجب به الحمد مَجِيدٌ كثير الخير والاحسان (٧٧) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ ما اوجس من الخيفة واطمأنّ قلبه بعرْفانهم وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَى بدلَ الروع يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ يجادل رُسُلَنا فى شأنهم ومجادلته ايّاهم قولُه انّ فيها لوطا وهو امّا جوابُ لَمّا جِىءَ به مضارعا على حكاية الحال او لانّه فى سياق الجواب بمعنى الماضى كجوابِ لَوْ او دليلُ جوابه المحذوف مثلِ اجترأ على خطابنا او شرع فى جدالنا او متعلّق به اقيم مقامه مثلَ أَخَذَ او أَقْبَلَ يجادلنا إنَّ إبْرٰهِيمَ لَحَلِيمٌ غير عجول على الانتقام من المُسىء اليه أَوَّاهٌ كثير التأوّه من الذنوب والتأسّف على الناس مُنِيبٌ راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقّة قلبه وفرط ترحّمه (٧٨) يَا إبْرٰهِيمُ على ارادة القول اى قالت الملائكة يا ابرٰهيم أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا الجدال إنَّهُ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ قَدَرُه بمقتضى قضائه الأزلىّ بعذابهم وهو اعلمُ بحالهم وَإنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ مصروفٍ بجدال ولا دعاء ولا غيرِ ذلك (٧٩) وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىءَ بِهِمْ ساءه مجيئُهم لانّهم جاءوا فى صورة غِلمان فظنّ انّهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وضاق بمكانهم صدرُه وهو كناية عن شدّة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وَقَالَ هٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ شديد من عَصَبَه اذا شدّه (٨٠) وَجَآءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إلَيْهِ يسرعون اليه كأنّهم يُدْفَعون دفعًا لطلب الفاحشة من أضيافه وَمِنْ قَبْلُ اى ومن قبل ذلك الوقت كَانُوا يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّآتِ الفواحش فتمرّنوا بها ولم يستحيوا منها حتّى جاءوا يهرعون لها مجاهرين قَالَ يَا قَوْمِ هٰؤُلَآءِ بَنَاتِي فدى بهنّ اضيافه كرما وحميّة والمعنى هؤلاء بناتى فتزوّجوهنّ وكانوا يطلبونهنّ قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفّار فانّه شرعٌ طارٍ او مبالغةً فى تناهى خبث ما يرومونه حتّى انّ ذلك اهون منه او اظهارا لشدّة امتعاضه من ذلك كى يرقّوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فانّ كلّ نبىّ ابو أُمّته من حيث الشفقة والتربية وفى حرف ابن مسعود وأزواجه امّهاتهم وهو اب لهم هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ انظف فعلا واقلّ فحشا كقولك الميتة اطيبُ من المغصوب واحلُّ منه، وقرئ أَطْهَرَ بالنصب على انّ هنّ خبرُ بناتى كقولك هذا اخى هو لا فصلٌ فانّه لا يقع بين الحال وصاحبها فَاتَّقُوا ٱللَّهَ بترك الفواحش او بايثارهنّ عليهم وَلَا تُخْزُونِ ولا تفضحونى من الخِزْى او لا تُخجلونى من الخَزاية بمعنى الحياء فِي ضَيْفِي فى شأنهم فانّ اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يهتدى الى الحقّ ويرعوى عن القبيح (٨١) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ حاجة وَإنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ وهو إتيان الذُكْران (٨٢) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً لو قويتُ بنفسى

جزء ۱۲ على دفعكم أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ الى قوىّ اتمنّع به عنكم شبّهه بركن الجبل فى شدّته وعن النبىّ
رکوع ۷ صلعم رحم الله أخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد ، وقرئ أَوْ آوِيَ بالنصب باضمار أَنْ كانّه قال
لو انّ لى بكم قوّة او أُوِيًا ، وجوابُ لَوْ محذوفٌ تقديره لَدفعتكم ، روى انّه اغلق بابه دون اضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوّروا الجدار فلمّا رأت الملائكة ما على لوط من الكرب (۸۳) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهوّن عليك ودَعْنا وايّاهم فخلّاهم ان يدخلوا فضرب جبريل عم بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فانّ فى بيت لوط سَحَرَةً فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بالقطع من الإسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع فى القران من السُّرَى بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ بطائفة منه وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ولا يتخلّف او ولا ينظر الى ورائه والنهى فى اللفظ لاحد وفى المعنى للوط إِلَّا امْرَأَتَكَ استثناء من قوله فأسر باهلك ويدلّ عليه انّه قرئ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا امْرَأَتَكَ وهذا انّما يصحّ على تأويل الالتفات بالتخلّف فانّه ان فسّر بالنظر الى الوراء فى الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابى عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين فى انّه خلّفها مع قومها او اخرجها فلمّا سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماهْ فأدركها حجر فقتلها لانّ القواطع لا يصحّ حَمْلها على المعانى المتناقضة والأَوْلَى جَعْل الاستثناء فى القراءتين عن قوله ولا يلتفتْ مثله فى قوله ما فعلوه الّا قليلٌ ولا بُعْدَ ان يكون اكثر القُرّاء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرُها بالالتفات بل عدمُ نهيها عنه استصلاحا ولذلك علّله على طريقة الاستيناف بقوله إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ كانّه علّة الامر بالاسراء أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب (۸۴) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا عذابنا او امرُنا به ويؤيّده الاصل وجَعْل التعذيب مسبّبا عنه بقوله جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا فانّه جواب لَمَّا وكان حقّه جعلوا عاليها سافلها اى الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انّه المسبّب تعظيما للامر فانّه روى انّ جبريل عم ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتّى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثمّ قلبها عليهم وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا على المدن او على شُذّاذها حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ من طين متحجّر لقوله حجارة من طين وأصله سَنْك كل فعُرّب وقيل انّه من اسجله اذا ارسله او ادرّ عطيّته والمعنى من مثل الشىء المرسَل او من مثل العطيّة فى الادرار او من السجلّ اى ممّا كتب الله ان يعذّبهم به وقيل اصله من سجّين اى من جهنّم فأُبدلت نونه لاما مَنْضُودٍ نُضد مُعَدّا لعذابهم او نُضد فى الارسال بتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نُضد بعضه على بعض وأُلصق به مُسَوَّمَةً مُعْلَمَة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميّز به عن حجارة الارض او باسمِ من يُرْمَى بها عِنْدَ رَبِّكَ فى خزائنه وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ فانّهم بظلمهم حقيق بأن يمطر عليهم وفيه وعيد لكلّ ظالم وعنه عم انّه سأل جبريل فقال يعنى ظالمى امّتك ما من ظالم منهم الّا وهو

جزء ١٢ ركوع ٨

بعَرَضِ حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى قريبة من ظالمى مكّة يمرّون بها فى اسفارهم الى الشأم ، وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان (٨٥) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا اراد اولاد مدين بن ابرٰهيم عم او اهل مدين وهو بلد بناه فسمّى به قَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ امرهم بالتوحيد اوّلا فانّه ملاك الامر ثمّ نهاهم عمّا اعتادوه من البخس المنافى للعدل المُخلّ بحكمة التعاوض إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ بسعة تُغنيكم عن البخس او بنعمة حقّها ان تتفضّلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تُزيلوها بما انتم عليه وهو فى الجملة علّة للنهى وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ لا يشذّ منه احد منكم وقيل عذاب مُهلك من قوله وأُحيطَ بثمره والمرادُ عذاب يوم القيامة او عذاب الاستيصال ووصفُ اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه (٨٦) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ صرّح بالامر بالايفاء بعد النهى عن ضدّه مبالغةً وتنبيها على انّه لا يكفيهم الكفّ عن تعمّد التطفيف بل يلزمهم السعى فى الايفاء ولو بزيادة لا يتأتّى بدونها بِٱلْقِسْطِ بالعدل والسويّة من غير زيادة ونقصان فانّ الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ تعميم بعد تخصيص فانّه اعمّ من ان يكون فى المقدار او فى غيره وكذا قوله وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ فانّ العثو يعمّ تنقيصَ الحقوق وغيرَه من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كأخذ العشور فى المعاملات والعثوُ السرقة وقطع الطريق والغارة ، وفائدةُ الحال اخراج ما يُقصَد به الاصلاح كما فعله الخضر عم وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض مفسدين امرَ دينكم ومصالحَ آخرتكم (٨٧) بَقِيَّتُ ٱللَّهِ ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزّه عمّا حرّم عليكم خَيْرٌ لَكُمْ ممّا تجمعون بالتطفيف إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بشرط ان تؤمنوا فانّ خيريّتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدّقين لى فى قولى لكم وقيل البقيّة الطاعة كقوله والباقيات الصالحات وقرئ تَقِيَّةُ ٱللَّهِ بالتاء وهى تقواه الّتى تكفّ عن المعاصى (٨٨) وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانّما انا ناصح مبلّغ وقد أعذرتُ حين أنذرتُ او لست بحافظ عليكم نعمةَ اللّه لو لم تتركوا سوء صنيعكم (٨٩) قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا من الاصنام اجابوا به آمرَهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكّم بصلواته والاشعارِ بانّ مثله لا يدعو اليه داعٍ عقلىّ وانّما دعاك اليه خَطَرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيبٌ كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصّوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص على الافراد والمعنى اصلواتك تأمرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لانّ الرجل لا يؤمر بفعل غيره أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ عطف على ما اى وأن نترك فعلَنا ما نشاء فى اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على انّ العطف على ان نترك وهو جواب النهى عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك إِنَّكَ لَأَنْتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ تهكّموا به

جزء ١٢ وقصدوا وصفه بضدّ ذلك او علّلوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانّه موسوم بالحلم والرشد المانعَيْن عن
ركوع ٨ المبادرة الى امثال ذلك (٩٠) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي اشارة الى ما آتاه اللّه من العلم والنبوّة وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا اشارة الى ما آتاه اللّه من المال الحلال ، وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانيّة والجسمانيّة أن اخون فى وحيه وأخالفه فى امره ونهيه وهو اعتذار عمّا انكروا عليه من تغيير المألوف والنهى عن دين الآباء ، والضمير فى منه للّه اى من عنده وباعانته بلا كدّ منّى فى تحصيله وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ اى وما اريد ان آتى ما انهاكم عنه لأستبدّ به فلو كان صوابا لآثرته ولم أُعْرِض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مُوَلٍّ عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ما اريد الّا ان أُصلحكم بأمرى بالمعروف ونهيى عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لَما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النَسَق شأنٌ وهو التنبيه على انّ العاقل يجب ان يراعى فى كلّ ما يأتيه ويذره احدَ حقوق ثلاثة اهمّها واعلاها حقّ اللّه وثانيها حقّ النفس وثالثها حقّ الناس وكلّ ذلك يقتضى ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عمّا نهيتكم عنه ، وما مصدريّة واقعة موقع الظرف وقيل خبريّة بدل من الاصلاح اى المقدارَ الّذى استطعته او اصلاحَ ما استطعته فحذف المضاف وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ وما توفيقى لاصابة الحقّ والصواب الّا بهدايته ومعونته عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فانّه القادر المتمكّن من كلّ شىء وما عداه عاجزٌ فى حدّ ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الّذى هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفى هذه الكلمات طلبُ التوفيق لاصابة الحقّ فيما يأتيه ويذره من اللّه والاستعانة به فى مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسمُ أطماع الكفّار واظهارُ الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدُهم بالرجوع الى اللّه للجزاء
(٩١) وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ لا يكسبنّكم شِقَاقِي معاداتى أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ من الغرق أَوْ قَوْمَ هُودٍ من الريح أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ من الرجفة ، وأنْ بصلتها ثانى مفعولَىْ جَرَمَ فانّه يعدّى الى واحد والى اثنين ككَسَبَ وعن ابن كثير يُجْرِمَنَّكُمْ بالضمّ وهو منقول من المتعدّى الى مفعول واحد والأوّل افصح فانّ أَجْرَمَ اقلّ دَورانا على ألسنة الفصحاء ، وقرئ مثلَ بالفتح لاضافته الى المبنىّ كقوله

لم يَمْنَعِ الشُرْبَ منها غيرَ أنْ نطقتْ ... حمامةٌ فى غصونٍ ذاتِ اوقالِ

وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم فى الكفر والمَساوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم ، وافراد البعيد لانّ المراد وما اهلاكهم او وما هم بشىء بعيد ولا يبعد ان يسوّى فى امثاله بين المذكّر والمؤنّث لانّها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق
(٩٢) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ عمّا انتم عليه إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ عظيم الرحمة للتائبين وَدُودٌ فاعل بهم

من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودّة بمن يودّه وهو وعدٌ على التوبة بعد الوعيد على الاصرار جزء ١٢
(٩٣) قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ ما نفهم كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت ركوع ٨
دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكّرهم وقيل قالوا ذلك استهانةً بكلامه او لانّهم لم يُلقوا اليه
اذهانهم لشدّة نفرتهم عنه وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا لا قوّة لك فتمتنع منّا ان اردنا بك سوءا او مَهينا لا عزّ
٥ لك وقيل اعمى بلغة حِمْيَر وهو مع عدم مناسبته يردّه التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء
الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بيّنٌ وَلَوْلَا رَهْطُكَ قومك وعزّتهم عندنا لكونهم على ملّتنا لا
لخوف من شوكتهم فانّ الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة لَرَجَمْنَاكَ لقتلناك برمى الحجارة
او بأصعب وجه وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ فتمنعنا عزّتك عن الرجم وهذا دَيْدَن السفيه المحجوج يقابل
الحجج والآيات بالسبّ والتهديد وفى ايلاء ضميره حرفَ النفى تنبيهٌ على أنّ الكلام فيه لا فى ثبوت
١٠ العزّة وأنّ المانع لهم عن ايذائه عزّة قومه ولذلك (٩٤) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ
وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا وجعلتموه كالمنسىّ المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تُبقون على للّه
وتُبقون علىّ لرهطى وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والردّ والتكذيب ، وظِهْرىّ منسوب الى الظَهْر
والكسرُ من تغييرات النِسَب إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ فلا يخفى عليه شىء منها فيجازى عليها
(٩٥) وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٩٦) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ سبق مثله فى
١٥ سورة الانعام والفاء فى فسوف ثَمّه للتصريح بانّ الاصرار والتمكّن فيما عليه سبب لذلك وحذفها ههنا
لانّه جوابُ سائل قال فما ذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ فى التهويل وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ عطف على من يأتيه
لا لانّه قسيم له كقولك ستعلم الكاذبَ والصادقَ بل لانّهم لمّا اوعدوه وكذّبوه قال سوف تعلمون مَن
المعذّب والكاذب منّى ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاوّل اليهم والثانى اليه لكنّهم
لمّا كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وَارْتَقِبُوا وانتظروا ما اقول لكم إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ
٢٠ منتظر فعيل بمعنى الراقِب كالصريم او المراقِب كالعشير او المرتقِب كالرفيع (٩٧) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا
شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا انّما ذكره بالواو كما فى قصّة عاد اذ لم يسبقه ذكرُ وعد يجرى
مجرى السبب له بخلاف قصّتىْ صالح ولوط فانّه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب
وقوله انّ موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببيّة وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ قيل صاح بهم جبريل
فهلكوا فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ميّتين وأصلُ الجثوم اللزوم فى المكان (٩٨) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا كأن لم
٢٥ يقيموا فيها أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ شبّههم بهم لانّ عذابهم كان ايضا بالصيحة غيرَ انّ صيحتهم
كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم ، وقرئ بَعُدَتْ بالضمّ على الاصل فانّ الكسر تغيير

جزء ١٢ ركوع ٩

لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبُعْدُ مصدر لهما والبَعَدُ مصدر المكسور (٩٩) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا بالتورية او المعجزات وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ هو المعجزات القاهرة او العصا وإفرادُها لانّها ابهرُها ويجوز ان يراد بهما واحدٌ اى ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوّته واضحا فى نفسه او مُوضحا ايّاها فانّ أَبَانَ جاء لازما ومتعدّيا والفرقُ بينهما انّ الآية تعمّ الأمارة والدليل القاطع والسلطان يخصّ القاطع والمبين يخصّ بما فيه جلاءٌ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ فاتّبعوا امره بالكفر بموسى اى فما اتّبعوا موسى الهادى الى الحقّ المؤيّد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتّبعوا طريقة فرعون المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مُسْكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ مُرْشَد او ذى رشد وانّما هو غىّ محض وضلال صريح (١٠٠) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الى النار كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قَدَمَ بمعنى تقدّم فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه ونزّل النار لهم منزلة الماء فسمّى اتيانها موردا ثمّ قال وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ اى بئس المورد الّذى وردوه فانّه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنارُ بالضدّ ، والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فانّ من كان هذه عاقبته لم يكن فى امره رشد او تفسير له على انّ المراد بالرشيد ما يكون مأمونَ العاقبة حميدَها (١٠١) وَأُتْبِعُوا فِى هَذِهِ هذه الدنيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ اى يُلْعنون فى الدنيا والآخرة بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ بئس العون المُعان او العطاء المُعْطى وأصل الرفد ما يُضاف الى غيره يَعْمِده ، والمخصوص بالذمّ محذوف اى رِفْدُهم وهو اللعنة فى الدارين (١٠٢) ذَلِكَ اى ذلك النبأ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى المهلكة نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مقصوصٌ عليك مِنْهَا قَائِمٌ من تلك القرى باقٍ كالزرع القائم وَحَصِيدٌ ومنها عافى الأثر كالزرع المحصود ، والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء فى نقصّه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير (١٠٣) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ باهلاكنا ايّاهم وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بأن عرّضوها له بارتكاب ما يوجبه فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلِهَتُهُمُ الَّتِى يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَىْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ حين جاءهم عذابه ونقمته وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ هلاك او تخسير (١٠٤) وَكَذَلِكَ ومثلُ ذلك الاخذ أَخْذُ رَبِّكَ وقرئ أَخَذَ رَبُّكَ بالفعل فيكون محلّ الكاف النصب على المصدر إِذَا أَخَذَ الْقُرَى اى اهلها وقرئ اذ لانّ المعنى على المُضىّ وَهِىَ ظَالِمَةٌ حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنّها لمّا اقيمت مقامه أُجْرِيَتْ عليها وفائدتُها الاشعارُ بانّهم أُخذوا لظلمهم وإنذارُ كلّ ظالم ظَلَمَ نفسَه او غيرَه من وخامة العاقبة إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ وجيع غير مرجوّ الخلاصُ عنه وهو مبالغة فى التهديد والتحذير (١٠٥) إِنَّ فِى ذَلِكَ اى فيما نزل بالأمم الهالكة او فيما قصّه الله من قصصهم لَآيَةً لعبرة لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ يعتبر به عظمته لعلمه بانّ ما حاق بهم انموذجٌ ممّا اعدّ الله للمجرمين فى الآخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانّها من إِله مختار يعذّب

جزء ١٢ ركوع ٩

من يشاء ويَرْحم من يشاء فانّ من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكيّة اتّفقت فى تلك الأيّام لا لذنوب المهلكين بها ذٰلك اشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دلّ عليه يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ ٱلنَّاسُ اى يُجْمَع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنّه من شأنه لا محالة وأنّ الناس لا ينفكّون عنه فهو ابلغ من قوله يومَ يجمعكم ليوم الجمع ، ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وَذٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ اى مشهودٌ فيه اهل السموات والارضين فاتّسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله • فى مَحْفِلٍ من نَواصى الناس مشهودِ • اى كثيرٌ شاهدُوه ولو جُعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فانّ سائر الأيّام كذلك (١٠٦) وَمَا نُؤَخِّرُهُ اى اليوم إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ الّا لانتهاء مدّة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدّة التأجيل كلّها بالاجل لا منتهاها فانّه غير معدود (١٠٧) يَوْمَ يَأْتِ اى الجزاء او اليومُ كقوله أن تأتيهم الساعة على انّ يومَ بمعنى حينَ او اللّهُ عزّ وجلّ كقوله تعالى هل ينظرون الّا ان يأتيهم اللّه فى ظلل ونحوه ، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يَأْتِ بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ لا تتكلّم بما ينفع ويُنجى من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمارِ اذكرْ او بالانتهاء المحذوف إِلَّا بِإِذْنِهِ الّا باذن اللّه كقوله لا يتكلّمون الّا مَنْ اذنَ له الرحمن وهذا فى مَوْقف وقولُه هذا يومُ لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر او المأذونُ فيه هى الجوابات الحقّة والممنوعُ عنه هى الاعذار الباطلة فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وجبتْ له النار بمقتضى الوعيد وَسَعِيدٌ وجبتْ له الجنّة بموجَب الوعد ، والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانّه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلّم نفسٌ او للناس (١٠٨) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ الزفير اخراج النَفَس والشهيق ردّه واستعمالهما فى أوّل النهيق وآخره والمراد بهما الدلالةُ على شدّة كربهم وغمّهم وتشبيهُ حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيهُ صراخهم بأصوات الحمير ، وقرئ شُقُوا بالضمّ (١٠٩) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمٰوَاتُ وَٱلْأَرْضُ ليس لارتباطِ دوامهم فى النار بدوامهما فانّ النصوص دالّة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العربُ يعبّرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوالُ عذابهم ولا من دوامهما دوامُهما الّا من قِبَل المفهوم لانّ دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفتَ انّ المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدلّ عليه قوله تعالى يومَ تبدّل الارض غير الارض والسموات وأنّ اهل الآخرة لا بدّ لهم من مُظِلّ ومُقِلّ وفيه نظرٌ لانّه تشبيهٌ بما لا يَعْرف اكثرُ الخلق وُجودَه ودوامَه ومن عرفه فانّما يعرفه بما يدلّ على دوام الثواب والعقاب فلا يُجْدى له التشبيه إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ استثناء من الخلود فى النار لانّ بعضهم وهم فسّاق الموحّدين يخرجون منها وذلك كافٍ فى صحّة الاستثناء لانّ زوال الحكم عن الكلّ يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثانى فانّهم مفارقون عن الجنّة ايّام عذابهم فانّ التأبيد من مَبْدإٍ معيّن ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شَقُوا

بعصيانهم فقد سَعِدوا بإيمانهم ولا يُقال فعلى هذا لم يكن قوله فنهم شقىّ وسعيد تقسيما صحيحا لانّ من جزء ١٢
شرطه ان يكون صفةُ كلّ قسم منتفية عن قسيمه لانّ ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقىّ ركوع ٩
او مانع من الجمع وههنا المراد انّ اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وانّ حالهم لا يخلو عن السعادة
والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين فى شخص باعتبارين او لانّ اهل النار يُنْقَلون منها الى الزمهرير
وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنّة ينعّمون بما هو اعلى من الجنّة كالاتّصال بجناب القدس
والفوز برضوان اللّه ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقّفهم فى الموقف للحساب لانّ ظاهره
يقتضى ان يكونوا فى النار حين يأتى اليوم او مدّة لبثهم فى الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير
مقيّد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفتَ وقيل هو من قوله
لهم فيها زفير وشهيق وقيل إلّا ههنا بمعنى سِوى كقولك علىّ الفٌ الّا الالفان القديمان والمعنى سوى
ما شاء ربّك من الزيادة الّتى لا آخر لها على مدّة بقاء السموات والارض إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ من غير
اعتراض (١١٠) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمٰوَاتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ
عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ غير مقطوع وهو تصريح بانّ الثواب لا ينقطع وتنبيه على انّ المراد من الاستثناء فى
الثواب ليس الانقطاع ولاجله فُرِق بين الثواب والعقاب بالتأبيد ، وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص سُعِدوا
على البناء للمفعول من سَعَدَه اللّه بمعنى أسعده ، وعطاء نصب على المصدر المؤكّد اى أُعْطُوا عطاء او
الحال من الجنّة (١١١) فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ شكّ بعد ما انزل اليك من مآل الناس مِمَّا يَعْبُدُ هٰؤُلَآءِ من عبادة
هؤلاء المشركين فى انّها ضلال مؤدّ الى مثل ما حلّ بمن قبلهم ممّن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من
حال ما يعبدونه فى انّه يضرّ ولا ينفع مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَآؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ استيناف معناه تعليل النهى
عن المرية اى هم وآباؤهم سواء فى الشرك اى ما يعبدون عبادةً الّا كعبادة آبائهم او ما يعبدون شيئا
الّا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لانّ التماثل فى
الاسباب يقتضى التماثل فى المسبّبات ، ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة من قبل عليه
وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ حظّهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع
قيام ما يوجبه غَيْرَ مَنْقُوصٍ حال من النصيب لتقييد التوفية فانّك تقول وفّيته حقّه وتريد به وفاء
بعضه ولو مجازا (١١٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ فآمن به قومٌ وكفر به قومٌ كما اختلف ركوع ١٠
هؤلاء فى القرآن وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ يعنى كلمة الانظار الى يوم القيامة لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بانزال ما
يستحقّه المُبطِل ليتميّز به عن المُحِقّ وَإِنَّهُمْ وانّ كفّار قومك لَفِي شَكٍّ مِنْهُ من القرآن مُرِيبٍ مُوقع فى
الريبة (١١٣) وَإِنَّ كُلًّا وانّ كلّ المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه ، وقرأ
ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لَمَا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ اللام الاولى
موطّئة للقسم والثانية للتأكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة

جزء ١٢ ركوع ١٠

لَمَّا بالتشديد على انّ اصله لَمِنْ مَّا فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهنّ والمعنى لَمِن الّذين يوفّينّهم ربّك جزاء اعمالهم وقرئ لَمًّا بالتنوين اى جميعا كقوله أَكْلًا لَمًّا وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا على انّ إِنْ نافية ولَمَّا بمعنى إِلَّا وقد قرئ به إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فلا يفوته شىء منه وإن خفى (١١٤) فَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ لمّا بيّن امر المختلفين فى التوحيد والنبوّة واطنب فى شرح الوعد والوعيد أَمَرَ رسولَه بالاستقامة مثل ما أُمر بها وهى شاملة للاستقامة فى العقائد كالتوسّط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمالِ من تبليغ الوحى وبيان الشرائع كما أُنزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوّتٍ للحقوق ونحوها وهى فى غاية العُسر ولذلك قال عم شيّبتنى هود وَمَنْ تَابَ مَعَكَ اى تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكنّ فى استقم وان لم يؤكّد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه وَلَا تَطْغَوْا ولا تخرجوا عمّا حُدّ لكم إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فهو مجازيكم عليه وهو فى معنى التعليل للامر والنهى، وفى الآية دليل على وجوب اتّباع النصوص من غير تصرّف وانحراف بنحو قياس واستحسان (١١٥) وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فانّ الركون هو الميل اليسير كالتزيّى بزيّهم وتعظيم ذكرهم واستدامته فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وُجد منه ما يسمّى ظلما كذلك فما ظنّك بالركون الى الظالمين اى الموسومين بالظلم ثمّ بالميل اليهم كلّ الميل ثمّ بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعلّ الآية ابلغ ما يُتصوّر فى النهى عن الظلم والتهديد عليه، وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة الّتى هى العدل فانّ الزوال عنها بالميل الى احد طرفَىْ افراط وتفريط فانّه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم فى نفسه، وقرئ تِرْكَنُوا فَتِمَسَّكُمْ بكسر التاء على لغة تميم وتُرْكَنُوا على البناء للمفعول من أركنه وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ من انصار يمنعون العذاب عنكم، والواو للحال ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ اى ثمّ لا ينصركم اللّه اذ سبق فى حُكْمه ان يعذّبكم ولا يُبْقى عليكم، وثمّ لاستبعاد نصره ايّاهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزّلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانّه لمّا بيّن انّ اللّه معذّبهم وانّ غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انّهم لا ينصرون اصلا (١١٦) وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ غدوة وعشيّة وانتصابه على الظرف لانّه مضاف اليه وَزُلَفًا مِنَ ٱللَّيْلِ وساعات منه قريبة من النهار فانّه من ازلفه اذا قرّبه وهو جمع زُلْفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانّها اقرب الصلوات من اوّل النهار وصلوة العشيّة صلوة العصر وقيل الظهر والعصر لانّ ما بعد الزوال عشىّ وصلوة الزُلَف المغرب والعِشاء وقرئ زُلُفًا بضمّتين وضمّة وسكون كبُسْر وبُسُر وزُلْفى بمعنى زُلْفة كقُرْبى وقُرْبة إِنَّ ٱلْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّئَاتِ يكفّرنها وفى الحديث انّ الصلوة الى الصلوة كفّارة ما بينهما ما اجتُنب الكبائر، وفى سبب النزول انّ رجلا اتى النبىّ صلعم فقال انّى قد أَصَبْت من امرأة غيرَ انّى لم آتها فنزلت ذَٰلِكَ اشارة الى قوله فاستقم فما بعده وقيل الى القران ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ عظة للمتعظين

جزء ١٢ ركوع ١٠ (١١٧) وَٱصْبِرْ على الطاعات وعن المعاصى فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ عُدولٌ عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على انّ الصلوة والصبر احسان وايماء بانّه لا يُعتدّ بهما دون الاخلاص (١١٨) فَلَوْلَا كَانَ فهلّا كان مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ من الرأى والعقل او اولو فضل وانّما سُمّى بقيّة لانّ الرجل يستبقى افضل ما يُخرجه ومنه يقال فلان من بقيّة القوم اى من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتَقِيّة اى ذوو إبقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيّده انّه قرئ بَقْيَة وهى المرّة من مصدر بَقاه يَبْقيه اذا راقبه يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ لكن قليلا منهم انجيناهم لانّهم كانوا كذلك ولا يصحّ اتّصاله الّا اذا جُعل استثناء من النفى اللازم للتحضيض وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ ما أُنعموا فيه من الشهوات واهتمّوا بتحصيل اسبابها واعرضوا عمّا وراء ذلك وَكَانُوا مُجْرِمِينَ كافرين كانّه اراد ان يبيّن ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشوّ الظلم فيهم واتّباعهم للهوى وترك النهى عن المنكرات مع الكفر، وقوله واتّبع عطف على مضمر دلّ عليه الكلام اذ المعنى فلم يَنْهَوا عن الفساد واتّبع الّذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتّبع او اعتراض وقرئ وأُتْبِعَ اى وأُتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسّر به المشهورة ويعضده تقدّم الانجاء (١١٩) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ بشرك وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ فيما بينهم لا يضمّون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته فى حقوقه ومن ذلك قدّم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوقَ العباد وقيل المُلك يَبْقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم (١٢٠) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً مسلمين كلّهم وهو دليل ظاهر على أنّ الامر غيرُ الارادة وأنّه تعالى لم يُرِد الايمان من كلّ واحد وأنّ ما اراده يجب وقوعه وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ بعضهم على الحقّ وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتّفقان مطلقا إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ الّا ناسا هداهم اللّه من فضله فاتّفقوا على ما هو اصول دين الحقّ والعُمدة فيه وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللامُ للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمَن فالى الرحمة وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ وعيده او قوله للملائكة لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ اى من عُصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما (١٢١) وَكُلًّا وكلّ نبأ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلرُّسُلِ نخبرك به مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ بيانٌ لكُلّا او بدلٌ منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفّار او مفعولٌ وكُلّا منصوب على المصدر بمعنى كلَّ نوع من انواع الاقتصاص نقصّ عليك ما نثبّت به فؤادك من انباء الرسل وَجَاءَكَ فِى هَٰذِهِ السورة او الانباء المقتصّة عليك ٱلْحَقُّ ما هو حقّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ اشارة الى سائر فوائده العامّة (١٢٢) وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ على حالكم إِنَّا عَامِلُونَ على حالنا وَٱنتَظِرُوا بنا الدوائرَ إِنَّا مُنتَظِرُونَ

ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم (١٢٣) وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ خاصّة لا يخفى عليه خافية ممّا جزء ١٢
فيهما وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص يُرْجَعُ على البناء للمفعول ركوع ١٠
فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فانّه كافيك وفى تقديم الامر بالعبادة على التوكّل تنبيهٌ على انّه انّما ينفع العابد
وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ انت وهم فيجازى ما تستحقّونه وقرأ نافع وحفص وابن عامر بالياء هنا
وآخر النمل ، عن رسول اللّه صلعم من قرأ سورة هود أُعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق
بنوح ومن كذّب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرٰهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان
شاء اللّه تعالى •

سُورَةُ يُوسُفَ

مكّيّة وآيها مائة واحدى عشرة آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) الٓر تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ تلك اشارة الى آيات السورة وهى المراد بالكتاب اى تلك الآيات آيات ركوع ١١
السورة الظاهرِ امرُها فى الاعجاز او الواضحة معانيها او المبيّنة لمن تدبّرها أنّها من عند اللّه او لليهود
ما سألوا اذ روى انّ علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمّدا لِمَ انتقل آل يعقوب من الشأم الى مصر
وعن قصّة يوسف فنزلت (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ اى الكتاب قُرْآنًا عَرَبِيًّا سمّى البعض قرانا لانّه فى الاصل اسم
جنس يقع على الكلّ والبعض وصار عَلَمًا للكلّ بالغلبة ونصبه على الحال وهو فى نفسه امّا توطئةٌ للحال
الّتى هى عربيّا او حالٌ لانّه مصدر بمعنى مفعول وعربيّا صفةٌ له او حالٌ من الضمير فيه أو حالٌ بعد حال
وفى كلّ ذلك خلافٌ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ علّة لانزاله بهذه الصفة اى انزلناه مجموعا او مقروءا بلغتكم كى
تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا انّ اقتصاصه كذلك ممّن لم يتعلّم القصص
مُعْجِزٌ لا يُتصوّر الّا بالايحاء (٣) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ احسن الاقتصاص لانّه اقتصّ على ابدع
الاساليب او احسن ما يُقصّ لاشتماله على العجائب والحِكَم والآيات والعِبَر فَعَلٌ بمعنى مفعول
كالنَّقَص والسَّلَب واشتقاقه من قصّ اثره اذا اتّبعه بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ اى بايحائنا هٰذَا ٱلْقُرْآنَ يعنى
السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقصّ على انّ احسن نصب على المصدر وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَافِلِينَ
عن هذه القصّة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قطّ وهو تعليل لكونه مُوحًى ، وإنْ هى المخفّفة من
الثقيلة واللام هى الفارقة (٤) إِذْ قَالَ يُوسُفُ بدلٌ من احسن القصص ان جُعل مفعولا بدل الاشتمال
او منصوبٌ باضمار اذكر ، ويوسف عبرىٌّ ولو كان عربيّا لَصُرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعّب

جزء ١٢ ركوع ١١

به لا على انّه مضارع بُنى للمفعول او الفاعل من آسَفَ لانّ المشهورة شهدت بعُجْمته لَأَبِيهِ يعقوب بن اسحٰق بن ابرٰهيم وعنه عم الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحٰق بن ابرٰهيم يَا أَبَتِ اصله يا أَبِى فعُوّض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما فى الزيادة ولذلك قلبها هاء فى الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرُها لانّها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر فى كلّ القران لانّها حركةُ اصلها او لانّه كان يا أَبَتَا فحذف الالف وبقى الفتحة وانّما جاز يا أَبَتَا ولم يَجُز يا أَبَتى لانّه جمعٌ بين العوض والمعوّض وقرئ بالضمّ اجراء لها مجرى الاسماء المؤنّثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانّما لم تسكن كأصلها لانّها حرف صحيح منزّل منزلةَ الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب إِنِّى رَأَيْتُ من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تَقْصُصْ رؤياك ولقوله هذا تأويل رؤياى أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ روى عن جابر انّ يهوديّا جاء الى رسول اللّه صلعم فقال اخبرنى يا محمّد عن النجوم التى رآهنّ يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تُسْلِم قال نعم قال جَرْيَانُ والطارق والذيّال وقابسٌ وعَمُودانِ والفَلِيق والمصبّح والضَرُوح والفَرْغ ووَثّابٌ وذو الكَتِفَيْن رآها يوسف والشمسَ والقمرَ نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودىّ اى واللّه انّها لَأَسْماؤها رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ استيناف ببيان حالهم التى رآهم عليها فلا تكريرَ وانّما أُجْرِيت مجرى العُقَلاء لوصفها بصفاتهم (٥) قَالَ يَا بُنَىِّ تصغير ابن صغّره للشفقة او لصغر السنّ لانّه كان ابن ثنتى عشرة سنة ، وقرأ حفص هنا وفى الصافّات بفتح الياء لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا فيحتالوا لاهلاكك حيلةً فَهِمَ يعقوب من رؤياه انّ اللّه يصطفيه لرسالته ويفـوّقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم ، والرؤيا كالرؤية غير انّها مختصّة بما يكون فى النوم فُرِق بينهما بحرفَي التأنيث كالقُرْبَة والقُرْبَى وهى انطباع الصورة المنحدرة من أُفق المتخيّلة الى الحسّ المشترك والصادقةُ منها انّما تكون باتّصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصوّر بما فيها ممّا يليق بها من المعانى الحاصلة هناك ثمّ انّ المتخيّلة تحاكيه بصورة تُناسبه فترسلها الى الحسّ المشترك فتصير مشاهَدة ثمّ ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الّا بالكلّيّة والجزئيّة استغنت الرؤيا عن التعبير والّا احتاجت اليه ، وانّما عُدّى كاد باللام وهو متعدٍّ بنفسه لتضمّنه معنى فعل يعدّى به تأكيدا ولذلك أُكّد بالمصدر وعلّل بقوله إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحوّاء فلا يألو جهدا فى تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتّى يحملهم على الكيد (٦) وَكَذَٰلِكَ اى وكما اجتباك بمثل هذه الرؤيا الدالّة على شرف وعزّ وكمال نفس يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ للنبوّة والمُلْك او لأمور عظام والاجتباء من جبيت الشىء اذا حصّلته لنفسك وَيُعَلِّمُكَ كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانّه قيل وهو يعلّمك مِنْ تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ من تعبير الرؤيا لانّها احاديث المَلَك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تأويل غوامض كُتُب اللّه وسُنَن الانبياء وكلمات الحكماء

وهو اسم جمع للحديث كأباطيل اسم جمع للباطل وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ بالنبوّة او بأن يصل نعمة الدنيا جزء ١٢
بنعمة الآخرة وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ يريد به سائر بنيه ولعلّه استدلّ على نبوّتهم بضوء الكواكب او نسله ركوع ١١
كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ بالرسالة وقيل على ابرٰهيم بالخلّة والانجاء من النار وعلى اسحٰق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم مِنْ قَبْلُ من قبلك او من قبل هذا الوقت إِبْرٰهِيمَ وَإِسْحٰقَ عطف بيان لابويك إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ بمن يستحق الاجتباء حَكِيمٌ يفعل الاشياء على ما ينبغي (٧) لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ ركوع ١٢
وَإِخْوَتِهِ اى فى قصّتهم آيَاتٌ دلائل قدرة اللّه وحكمته او علامات نبوّتك لِلسَّائِلِينَ لمن سأل عن قصّتهم والمراد باخوته بنو علّاته العشرة وهم يهوذا ورُوبيل وشَمْعُون ولاوى وزبالون ويَشْجُر ودِيْنَة من بنت خالته لَيَّا تزوّجها يعقوب اوّلا فلمّا توفّيت تزوّج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرّما حينئذ واربعة آخرون دان ونَفْتالى وجاد وآشر من سُرِّيَّتَين زُلْفة وبِلْهة (٨) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالأُخُوّة من الطرفين أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وحّده لانّ أَفْعَلَ مِنْ لا يُفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكّر وما يقابله بخلاف اخويه فانّ الفرق واجب فى المحلّى جائز فى المضاف وَنَحْنُ عُصْبَةٌ والحالُ أنّا جماعة اقوياء احقّ بالمحبّة من صغيرين لا كفاية فيهما والعُصْبة والعصابة العَشرة فصاعدا سمّوا بذلك لانّ الامور تُعْصَب بهم إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ لتفضيله المفضولَ او لتركه التعديل فى المحبّة روى انّه كان احبّ اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلمّا رأى الرؤيا ضاعف له المحبّة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتّى حملهم على التعرّض له (٩) اقْتُلُوا يُوسُفَ من جملة المحكىّ بعد قوله اذ قالوا كأنّهم اتّفقوا على ذلك الامر الّا من قال لا تقتلوا وقيل انّما قاله شمعون او دان ورضى به الآخرون أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا منكورة بعيدة من العُمْران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نُصبت كالظروف المُبْهَمة يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ جواب الامر والمعنى يَصْفُ لكم وجه ابيكم فيُقْبِل بكُلّيّته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم فى محبّته احدٌ وَتَكُونُوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار أنْ مِنْ بَعْدِهِ بعد يوسف او الفراغ من امره او قتْله او طرْحه قَوْمًا صَالِحِينَ تائبين الى اللّه عمّا جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعُذْر تمهّدونه او صالحين فى امر دنياكم فانّه ينتظم لكم بعده بخلوّ وجه ابيكم (١٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ يعنى يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ فانّ القتل عظيم وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ فى قعره سُمّى بها لغيبوبته عن عين الناظر وقرأ نافع غَيَابَاتِ فى الموضعين على الجمع كانّه لتلك الجبّ غيابات وقرئ غَيْبَةِ وغَيَّابَاتِ بالتشديد يَلْتَقِطْهُ يأخذه بَعْضُ السَّيَّارَةِ بعض الّذين يسيرون فى الارض إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ بمشورتى او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرّق بينه وبين ابيه

(١١) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ لِمَ تخافنا عليه وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ونحن نُشفق عليه ونريد

جزء ١٢ ركوع ١٢ له الخير ارادوا به استنزاله عن رأيه فى حفظه منهم لما تنسّم من حسدهم ، والمشهور تَأْمَنَّا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذّ ترك الادغام لانّهما من كلمتين وتِيمَنَّا بكسر التاء (١٢) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا الى الصحراء نَرْتَعْ نتّسع فى اكل الفواكه ونحوها من الرَّتْعة وهى الخصب وَنَلْعَبْ بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نَرْتَعِ بكسر العين على انّه من ارتعى يرتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفى يَلْعَبْ وقرأ الكوفيّون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ نُرْتِعْ من ارتع ماشيته ويُرْتِعِ بكسر العين ويَلْعَبُ بالرفع على الابتداء وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ من ان يناله مكروه (١٣) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ لشدّة مفارقته علىّ وقلّة صبرى عنه وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ لانّ الارض كانت مَذْأَبة وقيل رأى فى المنام انّ الذئب قد شدّ على يوسف وكان يحذره عليه وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع فى رواية قالون وفى رواية اليزيدىّ وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبّت من كلّ جهة وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلّة اهتمامكم بحفظه (١٤) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ اللام موطّئة للقسم وجوابه إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ضعفاء مغبونون او مستحقّون لأن يدعى عليهم بالخسار ، والواو فى ونحن للحال (١٥) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الأُرْدُنّ او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب ، وجواب لمّا محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الأذى فقد روى انّهم لمّا برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتّى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتمونى ان لا تقتلوه فأتوا به الى البئر فدلّوه فيها فتعلّق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقال يا إخوتاه ردّوا علىّ قميصى أتوارى به فقالوا ادعُ الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يُلبسوك ويؤنسوك فلمّا بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثمّ اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكى فجاءه جبريل بالوحى كما قال وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا أُوحى اليه فى صغره كما اوحى الى يحيى وعيسى وفى القصص انّ ابرهيم عم حين أُلقى فى النار جُرّد عن ثيابه فأتاه جبريل عم بقميص من حرير الجنّة فألبسه ايّاه فدفعه ابرهيم الى اسحٰق واسحٰق الى يعقوب فجعله فى تميمة علّقها بيوسف فأخرجه جبريل وألبسه ايّاه لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هٰذَا لتحدّثنّهم بما فعلوا بك وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ انّك يوسف لعلوّ شأنك وبُعْده عن اوهامهم وطول العهد المغيّر للحُلى والهيآت وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشّره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متّصل بأوحينا اى آنسناه بالوحى وهم لا يشعرون ذلك (١٦) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً آخر النهار وقرئ عُشَيًّا وهو تصغير عَشِىّ وعُشًى بالضمّ والقصر جمع أعشى اى عَشَوْا من البكاء يَبْكُونَ متباكين روى انّه لمّا سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بَنِىّ اين يوسف

(١٧) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ نتسابق فى العَدْو او الرَّمْى وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتصال جزء ١٢
والتناضل وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا بمصدّق لنا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ركوع ١٢

لسوء ظنّك بنا وفرط محبّتك ليوسف (١٨) وَجَآءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ اى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اى وجاءوا كاذبين وكَدِبٍ بالدال غير المعجمة اى كدر او طرىّ وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبّه به الدم اللاصق على القميص ، وعلى قميصه فى موضع النصب على الظرف اى فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوّز تقديمها على المجرور ، روى انّه لمّا سمع بخبر يوسف صاح وسأل قميصه فأخذه والقاه على وجهه وبكى حتّى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يمزّق عليه قميصه ولذلك قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا اى سهّلت لكم وهوّنت فى اعينكم امرا عظيما من السَّوَل وهو الاسترخاء فَصَبْرٌ جَمِيلٌ اى فأمرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفى الحديث الصبر الجميل الّذى لا شكوى فيه الى الخلق وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف ، وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صحّ (١٩) وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجبّ وكان ذلك بعد ثلاث من القائه فيه فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ الّذى يرد الماء ويستقى لهم وكان مالك بن ذُعر الخزاعىّ فَأَدْلَى دَلْوَهُ فارسلها فى الجبّ ليملأها فتدلّى بها يوسف فلمّا رآه قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ نادى البشرى بشارةً لنفسه او لقومه كانّه قال تعالَىْ فهذا اوانُكِ وقيل هو اسمُ صاحب له ناداه ليُعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيّين يَا بُشْرَاىَ بالاضافة وامال فتحة الراء حمزة والكسائىّ وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يَا بُشْرَىَّ بالادغام وهو لغة وبُشْرَاىْ بالسكون على قصد الوقف وَأَسَرُّوهُ اى الواردُ واصحابُه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك انّ يهوذا كان يأتيه كلّ يوم بالطعام فأتاه يومئذ فلم يجده فيها فأخبر اخوته فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أَبَقَ منّا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بِضَاعَةً نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البَضْع فانّه ما بُضع من المال للتجارة وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بأبيهم وأخيهم (٢٠) وَشَرَوْهُ وباعوه وفى مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بِثَمَنٍ بَخْسٍ مبخوس لزيفه او نقصانه دَرَاهِمَ بدل من الثمن مَعْدُودَةٍ قليلة فانّهم كانوا يزنون ما بلغ الأوقيّة ويعدّون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وَكَانُوا فِيهِ فى يوسف مِنَ ٱلزَّاهِدِينَ الراغبين عنه والضمير فى وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانّهم التقطوه والملتقط للشىء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل فى بيعه وان كانوا مبتاعين فلانّهم اعتقدوا انّه آبق ، وفيه

جزء ١٢ متعلّق بالزاهدين ان جُعل اللام للتعريف وان جُعل بمعنى الّذى فهو متعلّق بمحذوف يبيّنه
ركوع ١٣ الزاهدين لانّ متعلّق الصلة لا يتقدّم على الموصول (٢١) وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ وهو العزيز الّذى
كان على خزائن مصر واسمه قِطْفير او إطْفير وكان الملك يومئذ ريّان بن الوليد العمليقىّ وقد آمن
بيوسف عم ومات فى حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة لقوله تعالى ولقد جاءكم
يوسف من قبل بالبيّنات والمشهورُ انّه من اولادِ فرعونِ يوسفَ والآية من قَبيل خطاب الاولاد بأحوال
الآباء روى انّه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث فى منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريّانُ
وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفّى وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به مَنْ جعل شِراه غير
الاوّل فقيل عشرون دينارًا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل مِلْؤه فضّةً وقيل ذهبا لِٱمْرَأَتِهِ راعيل او
زَليخا أَكْرِمِى مَثْوَاهُ اجعلى مقامه عندنا كريما اى حسنا والمعنى احسنى تعهّده عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا فى
ضياعنا وأموالنا ونستظهر به فى مصالحنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا نتبنّاه وكان عقيما لما تفرّس فيه من الرشد
ولذلك قيل افرسُ الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب الّتى قالت يا ابتِ استأجِرْه وابو بكر حين
استخلف عُمَر وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وكما مكّنّا محبّته فى قلب العزيز او كما مكّنّاه
فى منزله او كما انجيناه وعطّفنا عليه العزيز مكّنّا له فيها وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ عطف على
مضمر تقديرُه ليتصرّف فيها بالعدل ولنعلّمه اى كان القصد فى انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل
ويدبّر امور الناس ويعلم معانىَ كتب اللّه تعالى واحكامه فينْفذها او تعبيرَ المنامات المنبّهة على الحوادث
الكائنة ليستعدّ لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحلّ كما فعل لسِنيه وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ لا يردّه شىء ولا
ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوتُه شيئًا واراد اللّهُ غيرَه فلم يكن الّا ما اراده وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ انّ الامر كلّه بيده او لطائفَ صنعه وخفايا لطفه (٢٢) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ منتهى اشتداد
جسمه وقوّته وهو سنّ الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سنّ الشباب ومبدأُه بلوغ الحُلُم آتَيْنَاهُ حُكْمًا
حكمة وهو العلم المؤيّد بالعمل او حكما بين الناس وَعِلْمًا يعنى علم تأويل الاحاديث وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ تنبيه على انّه سبحانه وتعالى انّما آتاه ذلك جزاء على احسانه فى عمله واتّقائه فى عنفوان امره
(٢٣) وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ طلبت منه وتمحّلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب
لطلب شىء ومنه الرائد وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَابَ قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة فى الايثاق
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ اى اقبلْ وبادرْ او تهيّأتُ والكلمة على الوجهين اسم فعل بُنى على الفتح كأَيْنَ واللام
للتبيين كالّتى فى سُقْيًا لك وقرأ ابن كثير بالضمّ وفتح الهاء تشبيها له بحَيْثُ ونافع وابن عامر بالفتح
وكسر الهاء كعِيطَ وقرأ هشام كذلك الّا انّه يهمز وقد رُوى عنه ضمّ التاء وقرئ هِيْتِ كجَيْرِ
وهِئْتُ كجِئْتُ من هاء يَهِيء اذا تهيّأ وقرئ هُيِّئْتُ وعلى هذا فاللام من صلته قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ اعوذ

بالله معاذا إِنَّهُ ان الشأن رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ سيّدى قطفير احسن تعهّدى اذ قال لك فىّ اكرمى مثواه فما جزاؤه ان اخونه فى اهله وقيل الضمير لله اى انّه خالقى احسن منزلتى بأن عطف علىّ قلبه فلا اعصيه إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ المُجازون الحسن بالسيّئ وقيل الزناة فانّ الزنا ظلم على الزانى والمزنيّ بأهله (٢٤) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهمّ بالشىء قصده والعزم عليه ومنه الهُمام وهو الّذى اذا همّ بشىء امضاه والمراد بهمّه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياريّ وذلك ممّا لا يدخل تحت التكليف بل الحقيقُ بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكفّ نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهمّ او مشارفة الهمّ كقولك قتلته لو لم أَخَف الله لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ فى قبح الزنا وسوء مَغَبّته لَخالطها لشَبَق الغُلْمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يُجْعَل وهمّ بها جوابَ لولا فانّ حكمها حكم ادوات الشرط فلا يتقدّم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدلّ هو عليه ، وقيل رأى جبريل وقيل تمثّل له يعقوب عاضّا على انامله وقيل قطفير وقيل نودى يا يوسف انت مكتوب فى الانبياء وتعمل عمل السفهاء كَذَٰلِكَ مثلَ ذلك التثبيت ثبّتناه او الامرُ مثلُ ذلك لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ خيانة السيّد وَٱلْفَحْشَآءَ الزنا إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ الّذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر فى كلّ القران اذا كان فى اوّله الالف واللام اى الّذين اخلصوا دينهم لله (٢٥) وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ اى تسابقا الى الباب فحذف الجارّ او ضمّن الفعل معنى الابتدار وذلك انّ يوسف عم فرّ منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروجَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ اجتذبته من ورائه فانقدّ قميصه والقدّ الشقّ طولا والقطّ الشقّ عرضا وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا وصادفا زوجها لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ايهاما بانّها فرّت منه تبرئةً لساحتها عند زوجها وتغييرَه على يوسف وإغراءَه به انتقاما منه ، ومَا نافية او استفهاميّة بمعنى ايّ شىء جزاؤه الّا السَّجْن (٢٦) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي طالبتنى بالمؤاتاة وانّما قال ذلك دفعا لما عرّضته له من السجن او العذاب الاليم ولو لم تكذب عليه لما قاله وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا قيل ابن عمّها وقيل ابن خالها صبيًّا فى المهد وعن النبىّ صلعم تكلّم اربعةٌ صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهدُ يوسف وصاحب جريج وعيسى وانّما القى الله الشهادة على لسان اهلها لتكون أَلْزَمَ عليها إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ لانّه يدلّ على انّها قدّت قميصه من قدّامه بالدفع عن نفسها او انّه اسرع خلفها فتعثّر بذيله فانقدّ جيبه (٢٧) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ لانّه يدلّ على انّها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدّته ، والشرطيّة محكيّة على ارادة القول او على انّ فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادةً لانّها ادّت مؤدّاها ، والجمع بين إنْ وكَانَ على تأويل إن يُعْلَم انّه كان ونحوه ونظيرُه قولك إن احسنتَ الىّ فقد احسنتُ اليك من قبلُ فانّ معناه إن تَمْنُن علىّ باحسانك أَمْنُن

جزء ١٢
ركوع ١٣

جزء ١٢ عليك باحسانى السابق ، وقرئ مِنْ قُبُلُ ومِنْ دُبُرُ بالضمّ لانّهما قطعا عن الاضافة كقَبْلُ وبَعْدُ وبالفتح ركوع ١٣ كانّهما جُعلا عَلَمَيْن للجهتين فمُنعا الصرف وبسكون العين (٢٨) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ انّ قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او انّ السوء او انّ هذا الامر مِنْ كَيْدِكُنَّ من حيلتكنّ والخطابُ لها ولامثالها او لسائر النساء إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ فانّ كيد النساء ألطف وأعلق بالقلب واشدّ تأثيرا فى النفس ولانّهنّ يواجهن به الرجالَ والشيطانُ يوسوس به مسارقةً (٢٩) يُوسُفُ حذف منه حرف النداء لقربه وتفطّنه للحديث أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا اكتمه ولا تذكره وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنْبِكِ يا راعيل إِنَّكِ ركوع ١٤ كُنْتِ مِنَ ٱلْخَاطِئِينَ من القوم المذنبين من خَطِئَ اذا اذنب متعمّدا والتذكير للتغليب (٣٠) وَقَالَ نِسْوَةٌ هى اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقىّ ولذلك جرّد فعْله وضمُّ النون لغة فيها فِى ٱلْمَدِينَةِ ظرفٌ لقال اى أَشْعَن الحكاية فى مصر او صفةُ نسوة وكنّ خمسا زوجة الحاجب والساقى والخبّاز والسجّان وصاحب الدوابّ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ تطلب مواقعة غلامها ايّاها ، والعزيز بلسان العرب المَلِك ، وأصلُ فَتًى فَتَيٌ لقولهم فَتَيان والفُتُوّة شاذّة قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا شقّ شَغاف قلبها وهو حجابه حتّى وصل الى فؤادها حُبًّا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شَعَفَهَا من شَعَفَ البعيرَ اذا هنأه بالقطران فأحرقه إِنَّا لَنَرَاهَا فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ فى ضلال عن الرشد وبُعْد عن الصواب (٣١) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ باغتيابهنّ وانّما سمّاه مكرا لانّهنّ اخفينه كما يُخفى الماكر مكره او قلن ذلك لتُريهنّ يوسف او لانّها استكتمتهنّ سرّها فأفشينه عليها أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ تدعوهنّ قيل دعت اربعين امرأة فيهنّ الخمس وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ما يتّكئن عليه من الوسائد وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا حتّى يتّكئن والسكاكينُ بايديهنّ فاذا خرج عليهنّ يُبْهَتْن ويُشْغَلْن عن نفوسهنّ فتقع ايديهنّ على ايديهنّ فيقطعنها فيبكّتن بالحجّة او يهابَ يوسفُ مكرَها اذا خرج وحده على اربعين امرأة فى ايديهنّ الخناجر وقيل متّكأً طعاما او مجلسَ طعام فانّهم كانوا يتّكئون للطعام والشراب ترفًا ولذلك نُهى عنه قال جميل

فظَلِلْنا بنعمة وٱتّكأْنا   وشَرِبْنا الحلالَ من قُلَلِهْ

وقيل المتّكأ طعام يُحَزّ حزًّا كانّ القاطع يتّكئ عليه بالسكّين وقرئ مُتَّكًا بحذف الهمزة ومُتَّكَاءً باشباع الفتحة كمُنْتَزاح ومُتْكًا وهو الاترجّ او ما يُقطع من متك الشيء اذا بتكه ومَتْكَأً من تَكِئَ يَتْكَأُ اذا اتّكأ وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ عظّمنه وهِبْن حسنه الفائق وعن النبىّ صلعم رأيت يوسف ليلةَ المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يُرى تلألأُ وجهه على الجُدْران وقيل اكبرن بمعنى حِضْن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانّها تدخل الكِبَر بالحيض والهاء ضمير المصدر او ليوسف على حذف اللام اى حضن له من شدّة الشَبَق كما قال المتنبّى

خف ٱللّٰهَ وَٱسْتُرْ ذا الجَمَالَ بِبُرْقَعٍ   فإنْ لُحْتَ حاضت في الخُدُورِ العَوَاتِقُ

وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وَقُلْنَ حَاشَ لِلّٰهِ تنزيهًا له من صفات العجز وتعجّبا من قدرته على خلق مثله وأصله حَاشَا كما قرأه ابو عمرو في الدَّرْج فحُذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوُضع موضعَ التنزيه واللام للبيان كما في قولك سَقْيًا لك وقرئ حَاشْ ٱللّٰهِ بغير لام بمعنى براءةَ اللّٰه وحَاشًا لِلّٰهِ بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعَلَ من الحَشَا الّذى هو الناحية وفاعله ضميرُ يوسف اى صار في ناحية للّٰه ممّا يُتوهّم فيه مَا هٰذَا بَشَرًا لانّ هذا الجمال غيرُ معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في إعمال مَا عملَ لَيْسَ لمشاركتهما في نفي الحال وقرئ بَشَرٌ بالرفع على لغة تميم وبِشِرًى اى بعبد مشترًى لئيم إِنْ هٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ فانّ الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواصّ الملائكة او لانّ جماله فوق جمال البشر لا يفوقه فيه الّا الملك (٣٢) قَالَتْ فَذٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ اى فهو ذلك العبد الكنعانيّ الّذى لمتنّنى فيه بالافتتان به قبل ان تتصوّرنه حقّ تصوّره ولو تصوّرتُنّه بما عاينتنّ لعذرتنّنى او فهذا هو الّذى لمتنّنى فيه فوُضع ذلك موضعَ هذا رفعا لمنزلة المشار اليه وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَٱسْتَعْصَمَ فامتنع طلبا للعصمة اقرّت لهنّ حين عرفت انّهنّ يعذرنها كى يعاونّها على الانة عريكته وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ اى ما آمر به فحذف الجارّ او امرى ايّاه بمعنى مُوجَبَ امرى فيكون الضمير ليوسف لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ ٱلصَّاغِرِينَ الاذلاء وهو من صَغِرَ بالكسر يَصْغَر صَغَرًا وصَغَارا والصغير من صَغُرَ بالضمّ صِغَرا وقرئ وَلَيَكُونَنْ وهو يخالف خطَّ المصحف لانّ النون كتبت فيه بالالف كَنَسْفَعًا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين (٣٣) قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِى إِلَيْهِ اى آثَرُ عندى من مؤاتاتها زِنًا نظرا الى العاقبة وان كان هذا ممّا تشتهيه النفس وذلك ممّا تكرهه واسنادُ الدعوة اليهنّ جميعا لانّهنّ خوّفنه عن مخالفتها وزيّنّ له مطاوعتها او دعونه الى انفسهنّ وقيل انّما ابتُلى بالسجن لقوله هذا وانّما كان الأَوْلى به ان يسأل اللّٰهَ العافيةَ ولذلك ردّ رسول اللّٰه صلعم على من كان يسأل الصبر وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى وان لم تصرف عنّى كَيْدَهُنَّ في تحبيب ذلك الىّ وتحسينه عندى بالتثبيت على العصمة أَصْبُ إِلَيْهِنَّ أَمِلْ الى جانبهنّ او الى انفسهنّ بطبعى ومقتضى شهوتى والصَّبْوة الميل الى الهوى ومنه الصَّبَا لانّ النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ أَصَبُّ من الصبابة وهى الشوق وَأَكُنْ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ من السفهاء بارتكاب ما يدعوننى اليه فانّ الحكيم لا يفعل القبيح او من الّذين لا يعملون بما يعلمون فانّهم والجهّال سواءٌ (٣٤) فَٱسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فاجاب اللّٰه دعاءه الّذى تضمّنه قوله والّا تصرف فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ فثبّته بالعصمة حتّى وطّن نفسه على مشقّة السجن وآثرها على اللذّة المتضمّنة للعصيان إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ لدعاء الملتجئين اليه ٱلْعَلِيمُ بأحوالهم وما يُصلحهم (٣٥) ثُمَّ بَدَا

جزء ١٢ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ ثمّ ظهر للعزيز واهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالّة على براءة يوسف
ركوع ١٤ كشهادة الصبيّ وقدّ القميص وقطع النساء ايديهنّ واستعصامه عنهنّ ، وفاعل بدا مضمرٌ يفسّره
لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ وذلك لانّها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتّى تبصرَ ما يكون منه او
يحسبَ الناسُ انّه المجرم فلبث فى السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على انّ بعضهم خاطب به العزيزَ
ركوع ١٥ على التعظيم او العزيز ومن يليه وعَتّى بلغة هذيل (٣٦) وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ اى أُدخل يوسف
السجن واتّفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيُّه وخبّازه للاتّهام بانّهما يريدان ان يَسُمّاه
قَالَ أَحَدُهُمَا يعنى الشرابىّ إِنِّي أَرَانِي فى المنام وهى حكاية حال ماضية أَعْصِرُ خَمْرًا اى عنبا وسمّاه بما يؤول
اليه وَقَالَ الْآخَرُ اى الخبّاز إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ تنهس منه نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا
نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ من الّذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين وانّما قالا ذلك لانّهما رأياه فى
السجن يذكّر الناس ويعبّر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسنْ الينا بتأويل ما رأينا ان
كنت تعرفه (٣٧) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ اى بتأويل ما قصصتما علىّ او
بتأويل الطعام يعنى بيان ماهيّته وكيفيّته فانّه يُشْبه تفسيرَ المُشْكل كانّه اراد ان يدعوهما الى
التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يُسْعِف الى ما سألا منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين
منازلهم من العلماء فى الهداية والارشاد فقدّم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلّهما على
صدقه فى الدعوة والتعبير قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا ذلك التأويل مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي بالالهام والوحى وليس
من قبيل التكهّن والتنجيم إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ تعليل لما
قبله اى علّمنى ذلك لانّى تركت ملّة اولئك (٣٨) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ او كلام
مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهارِ انّه من بيت النبوّة ليقوّى رغبتهما فى الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك
جُوّز للخامل ان يَصف نفسه حتّى يُعْرَف فيُقْتبس منه ، وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد
كفرهم بالآخرة مَا كَانَ لَنَا ما صحّ لنا معشر الانبياء أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ اىّ شىء كان ذَلِكَ اى
التوحيد مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا بالوحى وَعَلَى النَّاسِ وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ المبعوث اليهم لَا يَشْكُرُونَ هذا الفضل فيُعْرِضون عنه ولا يتنبّهون او من فضل الله
علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكنّ اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلّون بها فيُلْغونها
كمن يكفر النعمة ولا يشكرها (٣٩) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ اى يا ساكنيه او يا صاحبَىّ فيه فأضافهما
اليه على الاتّساع كقوله ٭ يا سارقَ الليلةِ اهلَ الدار ٭ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ شتّى متعدّدة متساوية الأقدام
خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ المتوحّد بالالوهيّة الْقَهَّارُ الغالب الّذى لا يعادله ولا يقاومه غيره (٤٠) مَا تَعْبُدُونَ

جزء ۱۲ مِنْ دُونِهِ خطاب لهما ومن على دينهما من اهل مصر إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا
رکوع ۱۵ مِنْ سُلْطَانٍ اى الّا اشياء باعتبار اسامٍ اطلقتم عليها من غير حجّة تدلّ على تحقّق مسمّياتها فيها فكانّكم
لا تعبدون الّا الاسماء المجرّدة والمعنى انّكم سمّيتم ما لم يدلّ على استحقاقه الالهيّة عقلٌ ولا نقلٌ آلهةً
ثمّ اخذتم تعبدونها باعتبار ما تُطلقون عليها إِنِ الْحُكْمُ ما الحكم فى امر العبادة إِلَّا لِلَّهِ لانّه المستحقّ
لها بالذات من حيث انّه الواجب لذاته الموجد للكلّ والمالك لامره أَمَرَ على لسان انبيائه أَلَّا تَعْبُدُوا
إِلَّا إِيَّاهُ الّذى دلّت عليه الحجج ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ الحقّ وانتم لا تميّزون المعوجّ عن القويم وهذا من
التدرّج فى الدعوة والزام الحجّة بيّن لهم اوّلًا رجحان التوحيد على اتّخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثمّ
برهن على انّ ما يسمّونها آلهةً ويعبدونها لا تستحقّ الالهيّة فانّ استحقاق العبادة امّا بالذات وامّا
بالغير وكلا القسمين منتفٍ عنها ثمّ نصّ على ما هو الحقّ القويم والدين المستقيم الّذى لا يقتضى
العقل غيره ولا يرتضى العلم دونه وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ فيتخبّطون فى جهالاتهم (۴۱) يَا صَاحِبَيِ
السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا يعنى الشرابىّ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه
وَأَمَّا الْآخَرُ يريد به الخبّاز فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فقالا كذبنا فقال قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ
اى قطع الامر الّذى تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحّده فانّهما وان استفتيا فى امرين
لكنّهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما (۴۲) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا الظانّ يوسف ان ذكر ذلك
عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجى الّا ان يؤوّل الظنّ باليقين اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ اذكر
حالى عند الملك كى يخلّصنى فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فانسى الشرابىّ ان يذكره لربّه فاضاف اليه
المصدر لملابسته له او على تقدير ذكرِ اخبار ربّه او انسى يوسف ذكر اللّه حتّى استعان بغيره ويؤيّده
قوله عم رحم اللّه اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربّك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس
والاستعانة بالعباد فى كشف الشدائد وان كانت محمودة فى الجملة لكنّها لا تليق بمنصب الانبياء
فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع (۴۳) وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي رکوع ۱۶
أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ لمّا دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر
يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ قد انعقد حبّها وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ
وسبعا أُخَر يابسات قد أدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتّى غلبت عليها وانّما استغنى عن
بيان حالها بما قصّ من حال البقرات ، واجرى السمان على المميّز دون المميَّز لانّ التمييز بها ووصف
السبع الثانى بالعجاف لتعذّر التمييز به مجرّدا عن الموصوف فانّه لبيان الجنس وقياسه عُجْف لانّه جمع
عجفاء لكنّه حمل على سمان لانّه نقيضه يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ عبّروها إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ
ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهى الانتقال من الصور الخياليّة الى المعانى النفسانيّة الّتى هى مثالها من

جزء ١٢ ركوع ١٦

العبور وهو المجاوزة وعَبَرْت الرؤيا عبارة أَثْبَتُ من عَبَّرْتُها تعبيرا ، واللام للبيان او لتقوية العامل فانّ الفعل لمّا أُخّر عن مفعوله ضَعُف فقُوّى باللام كاسم الفاعل او لتضمّن تعبرون معنى فعلٍ يعدّى باللام كانّه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا (٤٤) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ اى هذه اضغاث احلام وهى تخاليطها جمعُ ضِغْث وأصلُه ما جُمع من اخلاط النبات وحُزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانّما جمعوا للمبالغة فى وصف الحُلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمّنه اشياء مختلفة وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصّة اى ليس لها تأويل عندنا وانّما التأويل للمنامات الصادقة كانّه مقدّمة ثانية للعذر فى جهلهم بتأويله (٤٥) وَقَالَ الَّذِى نَجَا مِنْهُمَا من صاحبى السجن وهو الشرابىّ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ وتذكّر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدّة طويلة وقرئ إِمّةٍ بكسر الهمزة وهى النعمة اى بعد ما انعم عليه بالنجاة وأَمَهٍ اى نسيان يقال أَمِهَ يَأْمَهُ أَمَهًا اذا نسى والجملة اعتراض ومقولُ القول أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ اى الى من عنده علمُه او الى السجن (٤٦) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ اى فأُرسل الى يوسف فجاءه فقال يا يوسف وانّما وصفه بالصدّيق وهو المبالغ فى الصدق لانّه جرّب احواله وعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ اى فى رؤيا ذلك لَعَلِّى أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ اعود الى الملك ومَنْ عنده او الى اهل البلد اذ قيل انّ السجن لم يكن فيه لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ تأويلها او فضلَك ومكانَك وانّما لم يَبُتّ الكلامَ فيهما لانّه لم يكن جازما بالرجوع فربّما اخترم دونه ولا بعلمهم (٤٧) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا اى على عادتكم المستمرّة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اى تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دَأَبًا بفتح الهمزة وكلاهما مصدرُ دأب فى العمل وقيل تزرعون امرٌ اخرجه فى صورة الخبر مبالغةً لقوله فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِى سُنْبُلِهِ لئلّا يأكله السوس وهو على الاوّل نصيحة خارجة عن العبارة إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ فى تلك السنين (٤٨) ثُمَّ يَأْتِى مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ اى يأكل اهلهنّ ما ادّخرتم لاجلهنّ فاسند اليهنّ على المجاز تطبيقا بين المعبّر والمعبّر به إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ تُحرِزون لبذور الزراعة (٤٩) ثُمَّ يَأْتِى مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ يُمْطَرُون من الغيث او يُغاثون من القحط من الغوث وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ما يُعْصَر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائىّ بالتاء على تغليب المستفتى وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبنىّ للفاعل منه اى يُغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من أَعْصَرَت السحابة عليهم فعدّى بنزع الخافض او بتضمينه معنى المَطَر، وهذه بشارة بشّرهم بها بعد ان اوّل البقرات السمانَ والسنبلات الخضر بسنين مُخْصِبة والعجافَ واليابسات بسنين مُجْدِبة وابتلاعَ العجافِ السمانَ بأكل ما جُمع فى السنين المخصبة فى السنين المجدبة ولعلّه علم ذلك بالوحى او بانّ انتهاء الجدب بالخصب او بانّ السُنّة الالهيّة على ان

جزء ١٢ ركوع ١٧ يوسّع على عباده بعد ما ضيّق عليهم (٥٠) وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِ بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ ليخرجه قَالَ ٱرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱللَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ انّما تأنّى فى الخروج وقدّم سؤال النسوة وفحص حالهنّ لتظهر براءة ساحته ويُعْلَم انّه سُجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسّل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انّه ينبغى ان يُجتهد فى نفى التُهَم ويُتّقى مواقعها وعن النبىّ صلعم لو كنتُ مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعتُ الاجابة وانّما قال فسْأله ما بال النسوة ولم يقل فسْأله ان يفتّش عن حالهنّ تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانّما لم يتعرّض لسيّدته مع ما صنعت به كرما ومراعاةً للأدب ، وقرئ ٱلنُّسْوَةِ بضمّ النون إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ حين قلن لى أَطِعْ مولاتك وفيه تعظيمُ كيدهنّ والاستشهادُ بعلم اللّه عليه وعلى انّه برىء ممّا قُذف به والوعيدُ لهنّ على كيدهنّ (٥١) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ قال الملك لهنّ ما شأنكنّ والخطب امر يحقّ ان يخاطب فيه صاحبه إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ تنزيه له وتعجّب من قدرته على خلق عفيف مثله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ من ذنب قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ثبت واستقرّ من حصحص البعير اذا القى مباركه ليُناخ قال

فحصحص فى صمّ الصفا ثفناته ‏‏ وناء بسلمى نوءةً ثمّ صمّما

او ظهر من حصّ شعره اذا استأصله بحيث ظهر بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ فى قوله هى راودتنى عن نفسى (٥٢) ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ قاله يوسف لمّا عاد اليه الرسول واخبره بكلامهنّ اى ذلك التثبّت ليعلم العزيز أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ بظهر الغيب وهو حالٌ من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عنّى او ظرفٌ اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلّقة وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ لا يُنْفذه ولا يسدّده او لا يهدى الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل فى خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقّبه

جزء ١٣ ركوع ١ بقوله (٥٣) وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ اى لا انزّهها تنبيها على انّه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعُجْب بحاله بل اظهارَ ما انعم اللّه عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عبّاس رضه انّه لمّا قال ليعلم انّى لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممتَ فقال ذلك إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ من حيث انّها بالطبع مائلة الى الشهوات فتَهُمّ بها وتستعمل القُوى والجوارح فى اثرها كلّ الاوقات إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ الّا وقت رحمة ربّى او الّا ما رحمه اللّه من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة ربّى هى الّتى تصرف الاساءة، وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه ، وعن ابن كثير ونافع بالسوّ على قلب الهمزة واوا ثمّ الادغام إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ يغفر همّ النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه ممّا ارتكبه (٥٤) وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ

جزء ١٣ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى اجعله خالصا لنفسى فَلَمَّا كَلَّمَهُ اى فلمّا اتوا به فكلّمه وشاهد منه الرشد والدهاء
ركوع ١ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ ذو مكانة ومنزلة أَمِينٌ مؤتمن على كلّ شىء روى انّه لمّا خرج من السجن
اغتسل وتنظّف ولبس ثيابا جُدُدا فلمّا دخل على الملك قال اللّهمّ انّى اسألك من خيره واعوذ بعزّتك
وقدرتك من شرّه ثمّ سلّم عليه ودعا له بالعبريّة فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك
يعرف سبعين لسانا فكلّمه بها فاجابه بجميعها فتعجّب منه فقال أُحِبُّ ان اسمع رؤياى منك فحكاها
ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوّض اليه امره وقيل توفّى قطفير
فى تلك الليالى فنصبه مَنْصِبَه وزوّج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا (٥٥) قَالَ
ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ وَلِّنى امرها ، والارض ارض مصر إِنِّى حَفِيظٌ لها ممّن لا يستحقّها عَلِيمٌ بوجوه
التصرّف فيها ، ولعلّه عم لمّا رأى انّه يستعمله فى امره لا محالة آثر ما تعمّ فوائده وتجلّ عوائده ، وفيه
دليل على جواز طلب التولية واظهار انّه مستعدّ لها والتولّى من يد الكافر اذا علم انّه لا سبيل الى اقامة
الحقّ وسياسة الخلق الّا بالاستظهار به وعن مجاهد انّ الملك اسلم على يده (٥٦) وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ
فِى ٱلْأَرْضِ ارض مصر يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نَشَآءُ بالنون
نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَآءُ فى الدنيا والآخرة وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ بل نوفى اجورهم عاجلا وآجلا
ركوع ٢ (٥٧) وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ الشرك والفواحش لعظمه ودوامه (٥٨) وَجَآءَ إِخْوَةُ
يُوسُفَ روى انّه لمّا استوزره الملك اقام العدل واجتهد فى تكثير الزراعات وضبط الغلّات حتّى دخلت
السنون المُجْدِبة وعمّ القحط مصرَ والشأمَ ونواحيهما وتوجّه الناس اليه فباعها اوّلا بالدراهم والدنانير
حتّى لم يبق معهم شىء منها ثمّ بالحُلىّ والجواهر ثمّ بالدوابّ ثمّ بالضياع والعقار ثمّ برقابهم حتّى
استرقّهم جميعا ثمّ عرض الامر على الملك فقال الرأى رأيك فأعتقهم وردّ عليهم اموالهم وكان قد اصاب
كنعان ما اصاب سائر البلاد فأرسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ
مُنْكِرُونَ اى عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم ايّاه فى سنّ الحداثة ونسيانهم ايّاه وتوهّمهم
انّه هلك وبُعْد حاله الّتى رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلّة تأمّلهم فى حُلاه من التهيّب والاستعظام
(٥٩) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ اصلحهم بعُدّتهم واوقر ركائبهم بما جاءوا لاجله والجهاز ما يُعَدّ من
الأمتعة للنُقْلة كعُدَد السفر وما يُحْمَل من بلدة الى اخرى وما تُزَفّ به المرأة الى زوجها وقرئ بِجِهَازِهِمْ
بالكسر قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ روى انّهم لمّا دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلّكم عيون
قالوا معاذ اللّه نحن بنو اب واحد وهو شيخ صدّيق نبىّ من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا
كنّا اثنى عشر فذهب احدنا الى البرّيّة فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الحادى عشر قالوا
عند ابينا يتسلّى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم

جزء ١٣ عندى رهينةً وائتونى باخيكم من ابيكم حتّى اصدّقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف
ركوع ٢ يعطى لكلّ نفر حِمْلا فسألوه حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم أَلَا تَرَوْنَ أَنِّى أُوفِ ٱلْكَيْلَ أُتِمّه وَأَنَا خَيْرُ ٱلْمُنْزِلِينَ للضيف والمُضِيفين لهم وكان احسن إنزالَهم وضيافتهم (٦٠) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِى بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِى وَلَا تَقْرَبُونِ اى لا تقربونى ولا تدخلوا دیاری وهو إمّا نهى او نفى معطوف على الجزاء (٦١) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ سنجتهد فى طلبه من ابيه وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ذلك لا نتوانى فيه (٦٢) وَقَالَ لِفِتْيَتِهِ لغلمانه الكيّالين جمعُ فَتًى وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص لِفِتْيَانِهِ على جمع الكثرة ليوافق قوله ٱجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ فانّه وكّل بكلّ رَحْل واحدا يعبّى فيه بضاعتهم الّتى شروا بها الطعام وكانت نعالا وأَدَما وانّما فعل ذلك توسيعا وتفضّلا عليهم وترفّعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا لعلّهم يعرفون حقّ ردّها او لكى يعرفوها إِذَا ٱنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ وفتحوا اوعيتهم لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ لعلّ معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع (٦٣) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ حُكِم بمنعه بعد هذا ان لم نَذْهب بنيامين فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائىّ بالياء على اسناده الى الاخ اى يكتل لنفسه فينضمّ اكتياله الى اكتيالنا وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ عن ان يناله مكروه (٦٤) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ وقد قلتم فى يوسف وانّا له لحافظون فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا فأتوكّل عليه وافوّض امرى اليه وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ فأرجو ان يرحمنى بحفظه ولا يجمع علىّ مصيبتَيْن ، وانتصاب حفظا على التمييز وحَافِظًا فى قراءة حمزة والكسائىّ وحفص يحتمله والحالَ كقولهم لله درّه فارسا وقرئ خَيْرُ حَافِظٍ وخَيْرُ ٱلْحَافِظِينَ (٦٥) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ وقرئ رِدَّتْ بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نَقْلَها فى بِيعَ وقِيلَ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِى ما ذا نطلب هل من مزيد على ذلك أَكْرَمَنا وأَحسنَ مثوانا وباع منّا وردّ علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغى فى القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ مَا تَبْغِى على الخطاب اى ایّ شیء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا استيناف موضح لقوله ما نبغى وَنَمِيرُ أَهْلَنَا معطوف على محذوف اى ردّت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك وَنَحْفَظُ أَخَانَا عن المخاوف فى ذهابنا وايابنا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهاميّة فامّا اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجُمَل معطوفة على ما نبغى اى لا نبغى فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ اى مكيل قليل لا يكفينا استقلّوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك ويزدادوا اليه ما يُكال لاخيهم ويجوز ان

جزء ١٣ تكون الاشارة الى كيل بعير اى ذلك شىء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انّه من كلام
ركوع ٢ يعقوب ومعناه انّ حمل بعير شىء يسير لا يخاطر لمثله بالولد (٦٦) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ اذ رايت منكم
ما رايت حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ ٱللَّهِ حتّى تعطونى ما اتوثّق به من عند اللّه اى عهدا مؤكّدا بذكر
اللّه لَتَأْتُنَّنِي بِهِ جواب القسم اذ المعنى حتّى تحلفوا باللّه لتأتنّنى إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ الّا ان تغلبوا فلا
تطيقوا ذلك او الّا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرّغ من اعمّ الاحوال والتقدير لتأتنّنى به على كلّ
حال الّا حال الاحاطة بكم او من اعمّ العلل على انّ قوله لتأتنّنى به فى تأويل النفى اى لا تمتنعون من
الاتيان به الّا للاحاطة بكم كقولهم اقسمتُ باللّه الّا فعلتَ اى ما اطلب الّا فِعْلَك فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ
عهدهم قَالَ ٱللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ من طلب الموثق واتيانه وَكِيلٌ رقيب مطّلع (٦٧) وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا
مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَٱدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ لانّهم كانوا ذوى جمال وأُبّهة مشتهرين فى مصر بالقربة والكرامة
عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبةً واحدةً فيُعانوا ولعلّه لم يوصّهم بذلك فى الكرّة الاولى لانّهم
كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعى اليها خوفه على بنيامين وللنَّفْس آثارٌ منها العينُ والّذى يدلّ
عليه قوله عم فى عَوْذته اللّهمّ انّى اعوذ بكلمات اللّه التامّة من كلّ عين لامّة ومن كلّ شيطان وهامّة
وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ ٱللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ممّا قضى عليكم بما اشرتُ به اليكم فانّ الحذر لا يمنع القدر
إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوءا ولا ينفعكم ذلك عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ جمع بين الحرفين فى عطف الجملة على الجملة لتقدّم الصلة للاختصاص كانّ الواو
للعطف والفاء لافادة التسبّب فانّ فعل الانبياء سببٌ لأن يُقْتدى بهم (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ
أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ من ابواب متفرّقة فى البلد مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ رأْىُ يعقوب واتّباعهم له مِنَ ٱللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
ممّا قضاه عليهم كما قال يعقوب فسُرّقوا وأُخذ بنيامين بوجدان الصواع فى رحله وتضاعف المصيبة على
يعقوب إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ استثناء منقطع اى ولكن حاجة فى نفسه يعنى شفقته عليهم وحِرازه
من ان يُعانوا قَضَاهَا اظهرها ووصّى بها وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ بالوحى ونصب الحُجَج ولذلك قال
وما اغنى عنكم من اللّه من شىء ولم يغترّ بتدبيره وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ سرّ القدر وانّه لا
ركوع ٣ يغنى عنه الحذر (٦٩) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ضمّ اليه بنيامين على الطعام او فى المنزل
روى انّه اضافهم فاجلسهم مَثْنَى مَثْنَى فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيّا
لجلس معى فاجلسه معه على مائدته ثمّ قال لينزل كلّ اثنين منكم بيتا وهذا لا ثانى له فيكون معى
فبات عنده وقال له اتحبّ ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك
يعقوب ولا راحيل قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ فلا تحزن افتعال من البُؤس بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فى

حقًا (٧٠) فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ ٱلْمِشْرَبَة فِي رَحْلِ أَخِيهِ قيل كانت مشربة جُعلت صاعا جزء ١٣
يكال به وقيل كانت تسقى الدوابّ بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وَجَعَلَ ركوع ٣
على حذف جواب فلمّا تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ نادى مناد أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ
لعلّه لم يقله بأمر يوسف او كان تعبئة السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انّكم لسارقون
يوسف من ابيه او انّكم لسارقون ، والعير القافلة وهو اسم الابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تتردّد
فقيل لاصحابها كقوله عم يا خيلَ اللّه اركبى وقيل جمع عَيْر وأصله فُعْل كسُقُف ففعل به ما فعل
ببيض تُجوّز به لقافلة الحمير ثمّ استُعير لكلّ قافلة (٧١) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَا ذَا تَفْقِدُونَ اى شىء ضاع
عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحسّ بحيث لا يُعرف مكانه وقرئ تُفْقِدُونَ من افقدته اذا وجدته
فقيدا (٧٢) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وقرئ صَاعَ وصَوْعَ بالفتح والضمّ والعين والغين وصُوَاغ من الصياغة
وَلِمَنْ جَآءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ من الطعام جُعْلا له وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ كفيل أؤدّيه الى من ردّه ، وفيه دليل على
جواز الجعالة وضمان الجُعْل قبل تمام العمل (٧٣) قَالُوا تَٱللّهِ قسم فيه معنى التعجّب والتاء بدل من الباء
مختصّة باسم اللّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ استشهدوا بعلمهم على براءة
انفسهم لما عرفوا منهم فى كرّتى مجيئهم ومداخلتهم للملك ممّا يدلّ على فرط امانتهم كردّ البضاعة التى
جُعلت فى رحالهم وكَعْم الدوابّ لئلّا تتناول زرعا او طعاما لاحد (٧٤) قَالُوا فَمَا جَزَآؤُهُ فما جزاء
السارق او السَرَق او الصواع على حذف المضاف إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ فى ادّعاء البراءة (٧٥) قَالُوا جَزَآؤُهُ
مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَآؤُهُ اى جزاء سرقته اخذ من وُجد فى رحله واسترقاقه وهكذا كان شرع
يعقوب عم وقوله فهو جزاؤه تقريرٌ للحكم والزام له او خبرُ مَنْ والفاء لتضمّنها معنى الشرط او جوابٌ
لها على انّها شرطيّة والجملة كما هى خبرُ جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانّه قيل جزاؤه من
وُجد فى رحله فهو هو كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّالِمِينَ بالسرقة (٧٦) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ فبدأ المؤذّن وقيل يوسف
لانّهم رُدّوا الى مصر قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ بنيامين نفيا للتهمة ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا اى السقاية او الصواع لانّه
يذكّر ويؤنّث مِنْ وِعَآءِ أَخِيهِ وقرئ بضمّ الواو وبقلبها همزة كَذَٰلِكَ مثل ذلك الكيد كِدْنَا لِيُوسُفَ
بأن علّمناه ايّاه واوحينا به اليه مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ ملك مصر لانّ دينه الضرب وتغريم
ضِعْف ما أُخذ دون الاسترقاق وهو بيان الكيد إِلَّا أَنْ يَشَآءَ ٱللّهُ ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك
فالاستثناء من اعمّ الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن اخذه بمشيئة اللّه واذنه نَرْفَعُ
دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَآءُ بالعلم كما رفعنا درجته وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ارفع درجة منه ، واحتجّ به من
زعم انّه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب انّ المراد كلّ ذى علم

*

جزء ١٣ من الخلق لانّ الكلام فيهم ولانّ العليم هو اللّه سبحانه وتعالى ومعناه الّذى له العلم البالغ لغةً ولانّه
ركوع ٣ لا فرق بينه وبين قولنا فوق كلّ العلماء عليم وهو مخصوص (٧٧) قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ بنيامين فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ يعنون يوسف قيل ورثت عمّته من ابيها منطقة ابرهيم وكانت تحضن يوسف وتحبّه فلمّا شبّ اراد يعقوب انتزاعه منها فشدّت المنطقة على وسطه ثمّ اظهرت ضياعها فتُحص عنها فوجدت محزومةً عليه فصارت احقّ به فى حكمهم وقيل كان لابى امّه صنم فسرقه وكسره والقاه فى الجيف وقيل كان فى البيت عَناق او دجاجة فاعطاها السائل فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ اكنّها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انّها كناية بشريطة التفسير ويفسّرها قوله قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا فانّه بدل من اسرّها والمعنى قال فى نفسه انتم شرّ مكانا اى منزلةً فى السرقة لسرقتكم اخاكم او فى سوء الصنيع ممّا كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظرٌ اذ المفسّر بالجملة لا يكون الّا ضمير الشأن وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ وهو يعلم انّ الامر ليس كما تصفون (٧٨) قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا اى فى السنّ او القَدْرِ ذكروا له حاله استعطافا له عليه فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ بدله فانّ اباه ثَكْلانُ على اخيه الهالك مستأنس به إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ الينا فأتممْ احسانك او من المتعوّدين الاحسانَ فلا تغيّرْ عادتك (٧٩) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ فانّ اخذ غيره ظلمٌ على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ فى مذهبكم هذا وانّ مراده انّ اللّه اذن فى اخذ من وجدنا الصاع فى رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو
ركوع ٤ اخذتُ غيره كنت ظالما (٨٠) فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ يئسوا من يوسف واجابته ايّاهم وزيادةُ السين والتاء للمبالغة خَلَصُوا انفردوا واعتزلوا نَجِيًّا متناجين وانّما وحّده لانّه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندىّ واندية قَالَ كَبِيرُهُمْ فى السنّ وهو روبيل او فى الرأي وهو شمعون وقيل يهوذا أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ عهدا وثيقا وانّما جعل حلفهم باللّه موثقا منه لانّه باذن منه وتأكيد من جهته وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ قصّرتم فى شأنه وما مزيدة ويجوز أن تكون مصدريّة فى موضع النصبِ بالعطف على مفعولِ تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسمِ أنّ وخبرُه فى يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبرُ من قبل وفيه نظرٌ لانّ قَبْلُ اذا كان خبرا او صلة لا يُقْطَع عن الاضافة حتّى لا ينقص وأن تكون موصولة اى ما فرّطتموه بمعنى ما قدّمتموه فى حقّه من الجناية ومحلّه ما تقدّم فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ فلن افارق ارض مصر حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي فى الرجوع أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي او يقضى لى بالخروج منها او بخلاص اخى منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روى انّهم كلّموا العزيز فى اطلاقه فقال روبيل ايّها الملك واللّهِ لَتتركنا او لَأصيحنّ صيحةً تضع منها الحواملُ ووقفت شعورُ جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسّه وكان

بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسّه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل مَنْ هذا إنّ فى هذا البلد لَبِرًّا من بِرّ جزء ١٣
يعقوب وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَاكِمِينَ لانّ حكمه لا يكون الّا بالحقّ (٨١) اِرْجِعُوا اِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ٱبْنَكَ ركوع ٤
سَرَقَ على ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سُرِّقَ اى نُسب الى السرقة وَمَا شَهِدْنَا عليه إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا بأن رأينا انّ الصواع استُخرج من وعائه وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ لباطن الحال حَافِظِينَ فلا ندرى انّه سَرَق او سُرِّق ودُسّ الصواع فى رحله او ما كنّا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انّه سيسرق او انّك تُصاب به كما أُصبت بيوسف (٨٢) وَٱسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصّة وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِى أَقْبَلْنَا فِيهَا واصحاب العير الّتى توجّهنا فيهم وكنّا معهم وَإِنَّا لَصَادِقُونَ تأكيد فى محلّ القسم (٨٣) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ اى فلمّا رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سوّلت اى زيّنت وسهّلت لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا اردتموه فقدّرتموه والّا فما أدرى الملكَ انّ السارق يؤخذ بسرقته فَصَبْرٌ جَمِيلٌ اى فأمرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل عَسَى ٱللّٰهُ أَنْ يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا بيوسف وبنيامين واخيهما الّذى توقّف بمصر إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ بحالى وحالهم ٱلْحَكِيمُ فى تدبيرهما (٨٤) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ واعرض عنهم كراهةً لما صادف منهم وَقَالَ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ اى يا اسفا تعالَ فهذا اوانك والاسف اشدّ الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلّم وانّما تأسّف على يوسف دون اخويه والحادثُ رُزْؤُهما لانّ رزءه كان قاعدة المصيبات وكان غضًّا آخذا بمجامع قلبه؛ ولانّه كان واثقا بحياتهما دون حياته ، وفى الحديث لم تُعْطَ أُمّةٌ من الامم إنّا لله وإنّا اليه راجعون عند المصيبة الّا امّة محمّد صلعم الا ترى الى يعقوب عم حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفا وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ لكثرة بكائه من الحزن كانّ العَبْرة محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمى ، وقرئ مِنَ ٱلْحَزَنِ ، وفيه دليل على جواز التأسّف والبكاء عند التفجّع ولعلّ امثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانّه قلّ من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول اللّه صلعم على ولده ابرٰهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يُسْخِط الربَّ وإنّا عليك يا ابرٰهيم لمحزونون فَهُوَ كَظِيمٌ مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له فى قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شدّه على مِلْئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه وأصله كظم البعيرُ جِرّتَه اذا ردّها فى جوفه (٨٥) قَالُوا تَٱللّٰهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ اى لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجّعا عليه فحذف لا كما فى قوله • فقلتُ يمينَ اللّه أَبْرَحُ قاعدا • لانّه لا يلتبس بالاثبات فانّ القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفى حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا مريضا مُشْفِيا على الهلاك وقيل الحرض الّذى اذابه همٌّ او مرضٌ وهو فى الاصل مصدر ولذلك لا يؤنّث ولا

جزء ١٣ ركوع ۴

يجمع والنعت بالكسر كدَنِف ودَنِف وقد قرئ به وبضمّتين كجُنُب أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ من الميّتين (٨٦) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي همّى ٱلّذى لا اقدر الصبرَ عليه من البثّ بمعنى النشر إِلَى ٱللّٰهِ لا الى احد منكم ومن غيركم فخلّونى وشكايتى وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللّٰهِ من صُنْعه ورحمته وأنّه لا يخيّب داعيه ولا يَدَع الملتجئَ اليه او من اللّه بنوع من الالهام مَا لَا تَعْلَمُونَ من حيوة يوسف قيل رأى مَلَكَ الموت فى المنام فسأله عنه فقال هو حىّ وقيل علم من رؤيا يوسف انّه لا يموت حتّى يخرّ له اخوته سجّدا (٨٧) يَا بَنِيَّ ٱذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ فتعرّفوا منهما وتفحّصوا عن حالهما والتحسّس تطلّب الاحساس وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ ٱللّٰهِ لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ مِنْ رُوحِ ٱللّٰهِ اى من رحمته الّتى يحيى بها العباد إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ ٱللّٰهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ باللّه وصفاته فانّ العارف الا يقنط من رحمته فى شىء من الاحوال (٨٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ بعد ما رجعوا الى مصر رَجْعةً ثانيةً مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ شدّة الجوع وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ رديّة او قليلة تُرَدّ وتُدْفع رغبةً عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الرمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبّة الخضراء وقيل الاقط وسويق المُقْل فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ فأتممْ لنا الكيل وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا بردّ اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها ، واختُلف فى انّ حُرْمة التصدّق تعمّ الانبياء او تختصّ بنبيّنا صلعم إِنَّ ٱللّٰهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ احسنَ الجزاء ، والتصدّق التفضّل مطلقا ومنه قوله عم فى القصر هذه صدقة تصدّق اللّه بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنّه اختصّ عرفًا بما يُبْتغى به ثواب من اللّه (٨٩) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه ، وفِعْلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتّى كان لا يستطيع ان يكلّمهم الّا بعجز وذلّة إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانّما قال ذلك تنصّحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقةً عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبةً وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب فى تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانّما جهّلهم لانّ فعلهم كان فعل الجهّال او لانّهم كانوا حينئذ صبيانا طيّاشين (٩٠) قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ استفهامُ تقرير ولذلك حُقّق بانّ ودخول اللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه برُوائه وشمائله حين كلّمهم به وقيل تبسّم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهٰذَا أَخِي من ابى وامّى ذكره تعريفا لنفسه وتفخيما لشأنه وادخالا له فى قوله قَدْ مَنَّ ٱللّٰهُ عَلَيْنَا اى بالسلامة والكرامة إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اى يتق اللّه وَيَصْبِرْ على البليّات او على الطاعات وعن المعاصى فَإِنَّ ٱللّٰهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على انّ المحسن

من جمع بين التقوى والصبر (۹۱) قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال جزء ۱۳
السيرة وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ والحالُ أنّ شأننا أنّا كنّا مذنبين بما فعلنا معك (۹۲) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ركوع ۴
لا تأنيب عليكم تفعيل من الثّرْب وهو الشحم الّذى يغشى الكرش للإزالة كالتجليد فاستعير للتقريع
الّذى يمزق العِرْض ويُذْهِب ماء الوجه اَلْيَوْمَ متعلّق بالتثريب او بالمقدّر للجارّ الواقع خبرا للا تثريب
والمعنى لا اثرّبكم اليوم الّذى هو مظنّته فما ظنُّكم بسائر الأيّام او بقوله يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ لانّه صفح عن
جريمتهم حينئذ واعترفوا بها وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فانّه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضّل على
التائب ، ومِنْ كرم يوسف انّهم لمّا عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انّك تدعونا بالبُكْرة والعشىّ الى الطعام
ونحن نستحى منك لما فرط منّا فيك فقال انّ اهل مصر كانوا ينظرون الىّ بالعين الأُولى ويقولون
سبحان من بَلَّغَ عبدا بيع بعشرين درهما ما بَلَغَ ولقد شُرّفت بكم وعُظّمت فى عيونهم حيث علموا انّكم
اخوتى وانّى من حَفَدة ابرٰهيم (۹۳) اِذْهَبُوا بِقَمِيصِى هٰذَا القميص الّذى كان عليه وقيل القميص المتوارَث
الّذى كان فى التعويذ فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا اى يرجع بصيرا اى ذا بصر وَأْتُونِى انتم وابى
بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ بنسائكم وذراريكم ومواليكم (۹۴) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ من مصر وخرجت من عُمْرانها ركوع ۵
قَالَ أَبُوهُمْ لمن حضره إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ اوجده اللّٰه ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به
اليه يهوذا من ثمانين فرسخا لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ تنسبونى الى الفَنَد وهو نقصان عقل يحدث من هرم
ولذلك لا يقال عجوز مفنّدة لانّ نقصان عقلها ذاتىّ ، وجوابُ لولا محذوف تقديرُه لَصدّقتمونى او لَقلتُ
انّه قريب (۹۵) قَالُوا اى الحاضرون تَاللّٰهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ لفى ذهابك عن الصواب قِدْما بالافراط
فى محبّة يوسف واكثار ذكره والتوقّع للقائه (۹۶) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ يهوذا روى انّه قال كما احزنته
بحمل قميصه الملطّخ بالدم اليه فأفرحه بحمل هذا اليه أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ طرح البشيرُ القميص على وجه
يعقوب او يعقوبُ نفسه فَارْتَدَّ بَصِيرًا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوّة (۹۷) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى
أَعْلَمُ مِنَ اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ من حيوة يوسف وانزال الفرج وقيل انّى اعلم كلام مبتدأ والمقولُ لا تيأسوا
من روح اللّٰه او انّى لاجد ريح يوسف (۹۸) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ومن حقّ
المعترف بذنبه أن يُصْفح عنه ويُسْأل له المغفرة (۹۹) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ
اخّره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحرّيا لوقت الاجابة او الى ان يستحلّ لهم من
يوسف او يعلم انّه عفا عنهم فانّ عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيّده ما روى انّه استقبل القبلة قائما
يدعو وقام يوسف خلفه يؤمّن وقاموا خلفهما اذلّةً خاشعين حتّى نزل جبريل وقال انّ اللّٰه قد اجاب
دعوتك فى وُلْدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوّة وهو إن صحّ فدليل على نبوّتهم وأنّ ما صدر عنهم

جزء ١٣ كان قبل استنبائهم (١٠٠) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ روى انّه وجّه اليه رواحل واموالا ليتجهّز اليه بمن ركوع ٥ معه واستقبله يوسف والملك بأهل مصر وكان اولاده ٱلّذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستّمائة الف وخمس مائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرّيّة والهرمى آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ضمّ اليه أباه وخالته واعتنقهما نزّلها منزلة الامّ تنزيل العمّ منزلة الاب فى قوله وإلٰه آبائك ابرٰهيم واسمٰعيل واسحٰق او لانّ يعقوب تزوّجها بعد امّه والرابّة تُدْعَى امّا وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَآءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ من القحط وأصناف المكاره، والمشيئة متعلّقة بالدخول المكيّف بالامن، والدخول الاوّل كان فى موضع خارج البلد حين استقبلهم (١٠١) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا تحيّة وتكرمة له فانّ السجود كان عندهم يجرى مجراها وقيل معناه خرّوا لاجله سجّدا للّه شكرا وقيل الضمير للّه والواو لأبويه واخوته، والرفع مؤخّر عن الخرور وان قُدّم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وَقَالَ يَا أَبَتِ هٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ٱلّتى رأيتها ايّام الصبى قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا صدقا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ ولم يذكر الجبّ لئلّا يكون تثريبا عليهم وَجَآءَ بِكُمْ مِنَ ٱلْبَدْوِ من البادية لانّهم كانوا اصحاب المواشى واهل البدو مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ ٱلشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي افسد بيننا وحرّش من نزغ الرائض الدابّة اذا نخسها وحملها على الجرى إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَآءُ لطيف التدبير له اذ ما من صَعْب الّا وينفذ فيه مشيئته ويتسهّل دونها إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ بوجوه المصالح والتدابير ٱلْحَكِيمُ ٱلّذى يفعل كلّ شىء فى وقته على وجه يقتضيه الحكمة روى انّ يوسف طاف بابيه فى خزائنه فلمّا رأى خزانة القراطيس قال يا بُنَىّ ما اعقّك عندك هذه القراطيس وما كتبت الىّ على ثمان مراحل قال امرنى جبريل قال اوما تسأله قال انت أَبْسَطُ منّى اليه فسأله فقال جبريل اللّه امرنى بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلّا خفتنى (١٠٢) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ بعض الملك وهو ملك مصر وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانّه لم يُؤتَ كلّ التأويل فَاطِرَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ مُبْدعهما وانتصابه على انّه صفة المنادى او منادى برأسه أَنْتَ وَلِيِّي ناصرى ومتولّى امرى فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ يتولّانى بالنعمة فيهما تَوَفَّنِي مُسْلِمًا اقبضنى وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّالِحِينَ من آبائى او بعامّة الصالحين فى الرتبة والكرامة روى انّ يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثمّ توفّى واوصى ان يُدْفَن بالشأم الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمّه ثمّ عاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثمّ تاقت نفسه الى المُلْك المخلّد فتمنّى الموت فتوفّاه اللّه طيّبا طاهرا فتخاصم اهل مصر فى مدفنه حتّى همّوا بالقتال فرأوا ان يجعلوه فى صندوق من مرمر ويدفنوه فى النيل بحيث يمرّ عليه الماء ثمّ يصل الى مصر ليكونوا شَرَعا فيه ثمّ نقله موسى عم الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين وقد وُلد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جَدُّ يوشع بن نون ورحمة امرأة

ايّوب (١٠٣) ذٰلِكَ اشارة الى ما ذكر من نبإ يوسف والخطاب فيه للرسول صلعم وهو مبتدأ مِنْ أَنْبَآءِ جزء ١٣
ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ خبران له وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ اِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ كالدليل عليهما والمعنى ركوع ٥
انّ هذا النبأ غيبٌ لم تعرفه الّا بالوحى لانّك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما همّوا به من
ان يجعلوه فى غيابة الجبّ وهم يمكرون به وبأبيه ليرسله معهم ومن المعلوم الّذى لا يخفى على مكذّبيك
انّك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلّمته منه وانّما حذف هذا الشقّ استغناء بذكره فى غير هذه القصّة
كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وَمَا أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ على ايمانهم وبالغت
فى اظهار الآيات عليهم بِمُؤْمِنِينَ لعنادهم وتصميمهم على الكفر (١٠٤) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ على الانباء او القران
مِنْ أَجْرٍ جُعْل كما يفعله حَمَلة الأخبار اِنْ هُوَ اِلَّا ذِكْرٌ عظة من اللّه لِلْعَالَمِينَ عامّة (١٠٥) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ ركوع ٦
وكم من آية والمعنى وكأىّ عدد شئت من الدلائل الدالّة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته
وتوحيده فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا على الآيات ويشاهدونها وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ لا يتفكّرون
فيها ولا يعتبرون بها ٭ وقرئ وَٱلْأَرْضُ بالرفع على انّه مبتدأ خبره يمرّون فيكون لها الضمير فى عليها
وبالنصب على ويطئون الارض وقرئ وَٱلْأَرْضُ يَمْشُونَ عَلَيْهَا اى يتردّدون فيها فيرون آثار الامم الهالكة
(١٠٦) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللّٰهِ فى اقرارهم بوجوده وخالقيّته اِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ بعبادة غيره او باتّخاذ
الأحبار اربابا ونسبة التبنّى اليه تعالى او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية
فى مشركى مكّة وقيل فى المنافقين وقيل فى اهل الكتاب (١٠٧) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ ٱللّٰهِ
عقوبة تغشاهم وتشملهم أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً فجأة من غير سابقة علامة وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ باتيانها غير
مستعدّين لها (١٠٨) قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِى يعنى الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسّر السبيل
بقوله أَدْعُو اِلَى ٱللّٰهِ وقيل هو حال من الياء عَلَى بَصِيرَةٍ بيان وحجّة واضحة غير عمياء أَنَا تأكيدٌ للمستتر
فى ادعو او على بصيرة لانّه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى عطف عليه وَسُبْحَانَ ٱللّٰهِ وَمَا
أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وانزّهه تنزيها من الشركاء (١٠٩) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ اِلَّا رِجَالًا ردٌّ لقولهم لو شاء
ربّنا لأنزل ملائكة وقيل معناه نفى استنباء النساء يُوحَى اِلَيْهِمْ كما يوحى اليك وتميّزوا بذلك عن
غيرهم وقرأ حفص نُوحِى فى كلّ القران ووافقه حمزة والكسائىّ فى سورة الانبياء مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَى لانّ
اهلها اعلم واحلم من اهل البدو أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من
المكذّبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبّها
وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ ولدار الحال او الساعة او الحيوة الآخرة خَيْرٌ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا الشرك والمعاصى أَفَلَا يَعْقِلُونَ
يستعملون عقولهم ليعرفوا انّها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه

جزء ١٣ ركوع ٩ سبيلى اى قل لهم افلا تعقلون (١١٠) حَتَّى إِذَا ٱسْتَيْأَسَ ٱلرُّسُلُ غاية محذوف دلّ عليه الكلام اى لا يغرّهم تمادى ايّامهم فانّ مَنْ قبلهم أُمهلوا حتّى أيس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم فى الكفر مترفّهين متمادين فيه من غير وازع وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا اى كذبتهم انفسهم حين حدّثتهم بانّهم يُنْصَرون او كذبهم القومُ بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسَل اليهم اى وظنّ المرسَلُ اليهم انّ الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاوّل للمرسل اليهم والثانى للرسل اى وظنّوا انّ الرسل قد كُذِبوا وأُخْلِفوا فيما وُعد لهم من النصر وخُلّط الامر عليهم وما روى عن ابن عبّاس رضه انّ الرسل ظنّوا انّهم أُخْلِفوا ما وعدهم اللّه من النصر إن صحّ فقد اراد بالظنّ ما يهجس فى القلب على طريق الوسوسة هذا وانّ المراد به المبالغة فى التراخى والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيّين بالتشديد اى وظنّ الرسل انّ القوم قد كذّبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كَذَبُوا بالتخفيف وبناء الفاعل اى وظنّوا انّهم قد كذبوا فيما حدّثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُنَجِّي مَنْ نَشَاءُ النبىّ والمؤمنين وانّما لم يعيّنهم للدلالة على انّهم الّذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضى المبنىّ للمفعول وقرئ فَنَجَا وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ اذا نزل بهم وفيه بيان للمَشِيئين (١١١) لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ فى قصص الانبياء واممهم او فى قصّة يوسف واخوته عِبْرَةٌ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ لذوى العقول المبرّأة عن شوائب الألف والركون الى الحسّ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ما كان القران حديثا يفترى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ من الكتب الالهيّة وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ يُحتاج اليه فى الدين اذ ما من امر دينىّ الّا وله سَنَدٌ من القران بوسط او بغير وسط وَهُدًى من الضلال وَرَحْمَةً يُنال بها خير الدارين لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ يصدّقونه ؛ وعن النبىّ صلعم علّموا ارقّاءكم سورة يوسف فانّه ايّما مسلم تلاها وعلّمها اهلَه وما ملكت يمينه هوّن اللّه عليه سكرات الموت واعطاه القوّة لن لا يحسد مسلما ٠

سُورَةُ ٱلرَّعْدِ

مدنيّة وقيل مكيّة الّا قوله الّذين كفروا الآية وآيها ثلث واربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٧ (١) الٓمٓرٰ قيل معناه انا اللّه اعلم وأرى تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ يعنى بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اى تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القران وَٱلَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هو القران كلّه ومحلّه الجرّ بالعطف على الكتاب عطف العامّ على الخاصّ او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره

ٱلْحَقُّ والجملة كالحجّة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دلّ على اختصاص المُنْزَل [illegible] من المنزل صريحا او ضمنا كالمُثْبَت بالقياس وغيره ممّا نطق المُنْزَل بحسن [illegible] لا يُؤْمِنُونَ لاخلالهم بالنظر والتأمّل فيه (٢) ٱللّٰهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمٰوٰاتِ مبتدأ وخبر [illegible] الموصول صفة والخبرُ يُدَبِّرُ الامر بِغَيْرِ عَمَدٍ اساطين جمع عماد كإهاب واُهُب او عمود [illegible] وقرئ عُمُد كرُسُل تَرَوْنَهَا صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات [illegible] وجود الصانع الحكيم فانّ ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في [illegible] يقتضي ذلك لا بدّ ان يكون بمخصّص ليس بجسم ولا جسمانيّ [illegible] بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ [illegible] ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ذلّلهما لما اراد منهما [illegible] وبقائها كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى لمدّة معيّنة [illegible] الشمس كُوِّرَتْ [illegible]

[illegible]

جزء ١٣ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ فى الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا ممّا يدلّ على الصانع
ركوع ٧ الحكيم فانّ اختلافها مع اتّحاد الاصول والاسباب لا يكون الّا بتخصيص قادر مختار، وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يُسْقَى بالتذكير على تأويل ما ذُكر وحمزة والكسائىّ يُفَضِّلُ بالياء ليطابق قوله يدبّر الامر إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يستعملون عقولهم بالتفكّر (٥) وَإِنْ تَعْجَبْ يا محمّد من انكارهم البعث فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ حقيق بأن يُتعجّب منه فانّ من قدر على انشاء ما قُصّ عليك كانت الإعادة ايسر شىء عليه والآيات المعدودة كما هى دالّة على وجود المُبْدِئ فهى دالّة على امكان الاعادة من حيث انّها تدلّ على كمال قدرته وقبول الموادّ لانواع تصرّفاته أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بدل من قولهم او مفعول له والعامل فى اذا محذوف دلّ عليه ائنّا لفى خلق جديد (٦) أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ لانّهم كفروا بقدرته على البعث وَأُولَٰئِكَ ٱلْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ مقيّدون بالضلال لا يُرجى خلاصهم او يُغلّون يومَ القيامة وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ لا ينفكّون عنها، وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفّار (٧) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ بالعقوبة قبل العافية وذلك انّهم استعجلوا بما هُدّدوا به من عذاب الدنيا استهزاء وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَاتُ عقوباتُ أمثالهم من المكذّبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوّزوا حلول مثلها عليهم والمَثُلة بفتح الثاء وضمّها كالصدُقة والصدْقة العقوبة لانّها مِثْلُ المعاقَب عليه ومنه المِثال للقصاص وأمثلت الرجلَ من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ ٱلْمَثْلَاتُ بالتخفيف وٱلْمُثُلَاتُ باتباع الفاء العينَ وٱلْمُثْلَاتُ بالتخفيف بعد الإتباع والمُثُلاتُ على انّها جمع مُثْلة كرُكْبة ورُكَبات وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ مع ظلمهم انفسَهم ومحلّه النصب على الحال والعاملُ فيه المغفرة والتقييدُ به دليلُ جواز العفو قبل التوبة فانّ التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خصّ الظلم بالصغائر المكفّرة لمجتنب الكبائر او اوّل المغفرةَ بالستر والامهال وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ للكفّار او لمن شاء وعن النبىّ صلعم لولا عفوُ اللّه وتجاوزُه لَما هنأَ احدا العيشُ ولولا وعيده وعقابه لاتّكل كلّ احد (٨) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتى موسى وعيسى عليهما السلام إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الّا الاتيان بما تصحّ به نبوّتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ نبىٌّ مخصوصٌ بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحقّ ويدعوهم الى الصواب او قادرٌ على هدايتهم وهو اللّه تعالى لكن لا يهدى الّا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثمّ اردف ذلك ما يدلّ على كمال علمه وقدرته وشمولِ قضائه وقَدَره تنبيها على انّه قادر على انزال ما اقترحوه وانّما لم ينزل لعلمه بانّ اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانّه قادر على هدايتهم وانّما لم

يهديهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال (٩) ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى اى حَمْلها او ما تحمله جزء ١٣
على ايّ حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقّبة وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وما تنقصه وما تزداده فى ركوع ٨
الجثّة والمدّة والعدد واقصى مدّة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابى حنيفة
روى انّ الضحّاك وُلد لسنتين وهَرِم بن حيّان لاربع سنين وأَعْلَى عدده لا حدّ له وقيل نهايةُ ما عُرف
اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعىّ اخبرنى شيخ باليمن انّ امرأته ولدت بطونا فى كلّ بطن
خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعدّيا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا
تسْعا فان جعلتهما لازمين تعيّن مَا أن تكون مصدريّة واسنادُهما الى الارحام على المجاز فانّهما للّه او لما
فيها وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ بقدْر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انّا كلّ شىء خلقناه بقدر فانّه تعالى
خصّ كلّ حادث بوقت وحال معيّنَيْن وهيّأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضى ذلك (١٠) عَالِمُ ٱلْغَيْبِ الغائب
عن الحسّ وَٱلشَّهَادَةِ الحاضر له ٱلْكَبِيرُ العظيم الشأن الّذى لا يخرج عن علمه شىء ٱلْمُتَعَالِ المستعلى على
كلّ شىء بقدرته او الّذى كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه (١١) سَوَآءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ فى نفسه
وَمَنْ جَهَرَ بِهِ لغيره وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱللَّيْلِ طالب للخفاء فى مختبإ بالليل وَسَارِبٌ بارز بِٱلنَّهَارِ يراه كلّ
احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على مَنْ او مستخف على انّ مَنْ فى معنى الاثنين كقوله
• نكن مِثْلَ مَنْ يا ذئبُ يَصْطحبان • كأنّه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وساربٌ بالنهار ، والآية
متّصلة بما قبلها مقرّرة لكمال علمه وشموله (١٢) لَهُ لمن اسرّ او جهر واستخفى او سرب مُعَقِّبَاتٌ ملائكة
تعتقب فى حفظه جمعُ معقّبة من عقّبه مبالغة عَقَبَه اذا جاء على عقبه كانّ بعضهم يعقب بعضا او لانّهم
يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء فى القاف ، والتاء للمبالغة او لانّ المراد
بالمعقبات جماعات ، وقرئ مَعَاقِيبُ جمع معقِبٍ او معقِبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ من جوانبه او من الاعمال ما قدّم وأخّر يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ من بأسه متى
اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضارّ او يراقبون احواله من اجل امر اللّه وقد قرئ
به وقيل مِنْ بمعنى الباء وقيل من امر اللّه صفة ثانية لمعقّبات وقيل المعقّبات الحَرَس والجلاوزة حول
السلطان يحفظونه فى توهّمه من قضاء اللّه تعالى إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ من العافية والنعمة حَتَّى يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنْفُسِهِمْ من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ فلا رادّ له فالعامل فى
اذا ما دلّ عليه الجواب وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ممّن يلى امرهم فيدفع عنهم السوء ، وفيه دليل على انّ
خلاف مراد اللّه محال (١٣) هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا من اذاه وَطَمَعًا فى الغيث وانتصابهما على العلّة
بتقدير المضاف اى ارادة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطَبين على
اضمار ذو او اطلاقِ المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضرّه ويطمع فيه

جزء ١٣ من ينفعه وَيُنْشِئُ ٱلسَّحَابَ الغيم المنسحب في الهواء ٱلثِّقَالَ وهو جمع ثقيلة وانّما وصف به السحاب
ركوع ٨ لانّه اسم جنس في معنى الجمع (١٤) وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ ويسبّح سامعوه بِحَمْدِهِ ملتبسين به فيصيحون سبحان اللّه والحمد للّه او يدلّ الرعد بنفسه على وحدانيّة اللّه وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عبّاس رضه سُئل النبيّ صلعم عن الرعد فقال مَلَك موكّل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وَٱلْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ من خوف اللّه واجلاله وقيل الضمير للرعد وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَآءُ فيهلكه وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي ٱللّٰهِ حيث يكذّبون رسول اللّه صلعم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرّد بالالوهيّة واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدّد في الخصومة من الجَدْل وهو الفتل ، والواو امّا لعطف الجملة على الجملة او للحال فانّه روى انّ عامر بن الطُّفَيْل وأَرْبَد بن ربيعة اخا لَبيد وفدا على رسول اللّه صلعم قاصدَيْن لقتله فأخذه عامرٌ بالمجادلة ودار اربدُ من خلفه ليضربه بالسيف فتنبّه له الرسول صلعم وقال اللّهمّ ٱكْفِنِيهِمَا بما شئت فارسل اللّه على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغُدّة فمات في بيت سَلوليّة وكان يقول غدّة كغدّة البعير وموت في بيت سلوليّة فنزلت وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ المماحلة المكايدة لاعدائه من مَحَلَ بفلان اذا كاده وعرّضه للهلاك ومنه تمحّل اذا تكلّف استعمال الحيلة ولعلّ اصله المَحْل بمعنى القحط وقيل فَعَال من المَحْل بمعنى القوّة وقيل مِفْعَل من الحَوْل او الحيلة أُعِلّ على غير قياس ويعضده انّه قرئ بفتح الميم على انّه مَفْعَل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفَقار فيكون مَثَلًا في القوّة والقدرة كقولهم فساعدُ اللّه اشدُّ ومُوساه احدُّ (١٥) لَهُ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ الدعاء الحقّ فانّه الّذي يحقّ ان يُعْبَد او يُدْعَى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فانّ مَنْ دعاه اجابه ويؤيّده ما بعده والحقّ على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعوّ الحقّ وقيل الحقّ هو اللّه تعالى وكلّ دعاء اليه دعوة الحقّ ، والمراد بالجملتين ان كانت الآية في عامر واربد انّ اهلاكهما من حيث لم يشعرا به مُحالٌ من اللّه واجابةٌ لدعوة رسوله او دلالةٌ على انّه على الحقّ وان كانت عامّة فالمراد وعيدُ الكفرة على مجادلة رسول اللّه بحلول محاله بهم وتهديدُهم باجابة دعاء الرسول عليهم او بيانُ ضلالهم وفسادِ رأيهم وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ اى والاصنام الّذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الّذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة مِنْ دُونِهِ عليه لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ من الطلبات إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ الّا استجابةً كاستجابة من بسط كفّيه إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ يطلب منه ان يبلغه وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ لانّه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جُبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبّهوا في قلّة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفّيه ليشربه ، وقرئ تدعون بالتاء وباسطٍ بالتنوين وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ في ضياع وخسار وباطل (١٦) وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا يحتمل أن يكون السجود على الحقيقة فانّه

يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثَّقَلَيْن طوعا حالتَي الشدّة والرخاء والكفرة كرها حالة الشدّة والضرورة وَظِلَالُهُمْ بالعَرَض وأن يراد به انقيادهم لإحداث ما اراده فيهم شاءوا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه ايّاها بالمدّ والتقليص ، وانتصاب طوعا وكرها على الحال او العلّة بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حالٌ من الظلال وتخصيص الوقتين لانّ الظلال انّما تعظم وتكثر فيهما ، والغدوّ جمع غداة كقُنِيّ وقناة والآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدوّ مصدر ويؤيّده انّه قد قرئ وَٱلْإِيصَالِ وهو الدخول فى الاصيل (١٧) قُلْ مَنْ رَبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ خالقهما ومتولّى امرهما قُلِ ٱللّٰهُ أجِبْ عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانّه البيّن الّذى لا يمكن المراء فيه او لقّنهم الجواب به قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ ثمّ ألزمهم بذلك لانّ اتّخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرّا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضرّ عنه وهو دليل ثانٍ على ضلالهم وفساد رأيهم فى اتّخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ المشركُ الجاهل بحقيقة العبادة والموجِب لها والموحِّد العالم بذلك وقيل المعبودُ الغافل عنكم والمعبودُ المطّلع على احوالكم أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَاتُ وَٱلنُّورُ الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائىّ وابو بكر بالياء أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَآءَ بل أَجَعلوا والهمزة للانكار وقوله خَلَقُوا كَخَلْقِهِ صفة لشركاء داخلة فى حكم الانكار فَتَشَابَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ خلقُ اللّه وخلقُهم والمعنى انّهم ما اتّخذوا للّه شركاء خالقين مثله حتّى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق اللّه فاستحقّوا العبادة كما استحقّها ولكنّهم اتّخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخَلْق فضلا عمّا يقدر عليه الخالق قُلِ ٱللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ لا خالق غيره فيشاركه فى العبادة جعل الخلق موجبَ العبادة ولازِمَ استحقاقها ثمّ نفاه عمّن سواه ليدلّ على قوله وَهُوَ ٱلْوَاحِدُ المتوحّد بالالوهيّة ٱلْقَهَّارُ الغالب على كلّ شىء (١٨) أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فانّ المبادئ منها فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ انهار جمع وادٍ وهو الموضع الّذى يسيل الماء فيه بكثرة فاتّسع فيه واستُعمل للماء الجارى فيه وتنكيرها لانّ المطر يأتى على تناوب بين البقاع بِقَدَرِهَا اى بمقدارها الّذى علم اللّه انّه نافع غير ضارّ او بمقدارها فى الصغر والكبر فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَفَعه ، والزبد وَضَر الغليان رَابِيًا عاليا وَمِمَّا تُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ يعمّ الفلزّات كالذهب والفضّة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ طلبَ حلىّ أَوْ مَتَاعٍ كالاوانى وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زَبَدٌ مِثْلُهُ اى وممّا توقدون عليه زبدٌ مثل زبد الماء وهو خَبَثه ، ومِنْ للابتداء او التبعيض ، وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص بالياء على انّ الضمير للناس واضماره للعلم به كَذٰلِكَ يَضْرِبُ

جزء ١٣

ركوع ٨

جزء ١٣ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَاطِلَ مَثَلَ الحقّ والباطل فانّه مثل الحقّ فى افادته وثباته بالماء الّذى ينزل من السماء
ركوع ٨ فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فيُنْتفع به انواعَ المنافع ويمكث فى الارض بأن يثبت
بعضه فى مناقعه ويسلك بعضه فى عروق الارض الى العيون والقُنىّ والآبار وبالفلزّ الّذى يُنْتفع به فى صوغ
الحلىّ واتّخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدّة متطاولة والباطلَ فى قلّة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبيّن
ذلك بقوله فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً يجْفأ به اى يرمى به السيلُ والفلزُّ المذاب وانتصابه على الحال وقرئ
جُفالاً والمعنى واحد وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ كالماء وخلاصة الفلزّ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ينتفع به اهلها كَذَٰلِكَ
يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لايضاح المشتبهات لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا للمومنين الّذين استجابوا لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ
الاستجابةَ الحسنى وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ وهم الكفرة واللام متعلّقة بيضرب على انّه جعل ضَرْبَ المثل
لشأن الفريقين ضَرْبَ المثل لهما وقيل للّذين استجابوا خبرُ الحسنى وهى المثوبة او الجنّة والّذين لم
يستجيبوا مبتدأٌ خبره لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَٱفْتَدَوْا بِهِ وهو على الاوّل كلام مبتدأ
لبيان مآل غير المستجيبين أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وهو المناقشة فيه بأن يحاسَب الرجل بذنبه لا يُغْفر
ركوع ٩ منه شىء وَمَأْوَاهُمْ مرجعهم جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ المستقرّ ، والمخصوص بالذمّ محذوف (١٩) أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ فيستجيبُ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ عمى القلبِ لا يستبصر فيستجيبَ ، والهمزة
لانكارِ ان يقع شُبْهةٌ فى تشابههما بعد ما ضرب من المثل إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ ذوو العقول المبرّأة عن
مشايعة الإلْف ومعارضة الوهم (٢٠) ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيّته
حين قالوا بلى او ما عهد اللّه عليهم فى كتبه وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَاقَ ما وثّقوه من المواثيق بينهم وبين
اللّه وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص (٢١) وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ من الرحم
وموالاة المومنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج فى ذلك مراعاة جميع حقوق الناس وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وعيدَه عموما وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسَبوا (٢٢) وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا
على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ طلبا لرضاه لا لجزاء وسُمْعة ونحوها وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ
المفروضة وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ بعضه الّذى وجب عليهم انفاقه سِرًّا لمن لم يُعْرَف بالمال وَعَلَانِيَةً لمن عُرِف به
وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يُتْبِعون الحسنةَ السيّئةَ
فتمحوها أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ عاقبة الدنيا وما ينبغى ان يكون مآل اهلها وهى الجنّة ، والجملة خبرُ
الموصولات ان رُفعت بالابتداء وان جُعلت صفاتٍ لاولى الالباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا بتلك
الصفات (٢٣) جَنَّاتُ عَدْنٍ بدلٌ من عقبى الدار او مبتدأٌ خبره يَدْخُلُونَهَا والعَدْن الاقامة اى جنّات

جزء ١٣ يقيمون فيها وقيل هو بُطنان الجنّة وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ عطفٌ على المرفوع فى ركوع ٩ يدخلون وانّما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعولٌ معه والمعنى أنّه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعًا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على انّ الدرجة تعلو بالشفاعة او أنّ الموصوفين بتلك الصفات يُقرَن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة فى دخول الجنّة زيادةً فى أُنسهم وفى التقييد بالصلاح دلالةٌ على انّ مجرّد الانساب لا ينفع وَٱلْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتُحَف قائلين (٢٤) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بشارة بدوام السلامة بِمَا صَبَرْتُمْ متعلّق بعليكم او بمحذوف اى هذا بما صبرتم لا بسلام فانّ الخبر فاصل والباء للسببيّة او البدليّة فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ وقرئ فَنَعْمَ بفتح النون والاصلُ نَعِمَ فسُكّن العين بنقل حركتها الى الفاء وبغيره (٢٥) وَٱلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ ٱللّٰهِ يعنى مُقابلى الاوّلين مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بالظلم وتهييج الفتن أُولٰئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدَّارِ عذاب جهنّم او سوء عاقبة الدنيا لانّه فى مقابلة عقبى الدار (٢٦) ٱللّٰهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ يوسّعه ويضيّقه وَفَرِحُوا اى اهل مكّة بِٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا بما بسط لهم فى الدنيا وَمَا ٱلْحَيٰوةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْآخِرَةِ فى جنب الآخرة إِلَّا مَتَاعٌ الّا متْعة لا تدوم كعُجالة الراكب وزاد الراعى والمعنى انّهم أَشِروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغترّوا بما هو فى جنبه نَزْر قليل النفع سريع الزوال (٢٧) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ اقبل الى الحقّ ورجع عن العناد ركوع ١٠ وهو جواب يجرى مجرى التعجّب من قولهم كانّه قال قل لهم ما اعظمَ عنادَكم انّ اللّه يضلّ من يشاء ممّن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كلّ آية ويهدى اليه من اناب بما جئتُ به بل بأدنى منه من الآيات (٢٨) ٱلَّذِينَ آمَنُوا بدل من مَنْ او خبر مبتدإ محذوف وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ ٱللّٰهِ أُنسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالّة على وجوده ووحدانيّته او بكلامه يعنى القران الّذى هو اقوى المعجزات أَلَا بِذِكْرِ ٱللّٰهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ تسكن اليه ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ مبتدأٌ خبرُه طُوبَى لَهُمْ وهو فُعْلَى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمّة ما قبلها مصدر لطاب كبُشْرَى وزُلْفَى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وَحُسْنُ مَآبٍ بالنصب (٢٩) كَذٰلِكَ مثلَ ذلك يعنى ارسال الرسل قبلك أَرْسَلْنَاكَ فِى أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ تقدّمتها أُمَمٌ أُرسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليهم لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لتقرأ عليهم الكتاب الّذى اوحيناه اليك وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمٰنِ وحالهم انّهم يكفرون بالبليغ الرحمة الّذى احاطت بهم نعمته

جزء ١٣ وسعت كلّ شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القران الّذى ركوع ١٠ هو مناط المنافع الدينيّة والدنيويّة عليهم وقيل نزلت فى مشركى مكّة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن قُلْ هُوَ رَبِّى اى الرحمن خالقى ومتولّى امرى لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لا مستحقّ للعبادة سواه عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فى نصرتى عليكم وَإِلَيْهِ مَتَابِ مرجعى ومرجعكم (٣٠) وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ شرط حُذف جوابه والمرادُ منه تعظيم شأن القران او المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم اى ولو انّ كتابا زعزعت به الجبال عن مقارّها أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ تصدّعت من خشية اللّه عند قراءته او شُقّقت فجُعلت انهارا وعيونا أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ فتسمع فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القران لانّه الغاية فى الاعجاز والنهاية فى التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله تعالى ولو انّنا نزّلنا اليهم الملائكة الآية وقيل انّ قريشا قالوا يا محمّد إنْ سرّك ان نتّبعك فسيّرْ بقرانك الجبال عن مكّة حتّى تتّسع لنا فنتّخذ فيها بساتين وقطائع او سخّرْ لنا به الريح لنركبها ونتّجر الى الشأم او ابعث لنا به قُصَىّ بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلّمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدّم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض ، وتذكير كُلِّمَ خاصّةً لاشتمال الموتى على المذكّر الحقيقىّ بَلْ لِلّٰهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا بل للّه القدرة على كلّ شيء وهو إضراب عمّا تضمّنه لَوْ من معنى النفى اى بل اللّه قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الّا انّ ارادته لم تتعلّق بذلك لعلمه بانّه لا تلين له شكيمتهم ويؤيّد ذلك قوله أَفَلَمْ يَيْأَسِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى انّ معناه افلم يَعْلَم لما روى انّ عليّا وابن عبّاس وجماعة من الصحابة والتابعين قرءوا افلم يتبيّن وهو تفسيره وانّما استعمل اليأس بمعنى العلم لانّه مسبّب عن العلم فانّ المأيوس عنه لا يكون الّا معلوما ولذلك علّقه بقوله أَنْ لَوْ يَشَاءُ ٱللّٰهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا فانّ معناه نَفْىُ هُدَى بعض الناس لعدم تعلّق المشيئة باهتدائهم وهو على الاوّل متعلّق بمحذوف تقديره افلم ييأس الّذين آمنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء اللّه لهدى الناس جميعا او بآمنوا (٣١) وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا من الكفر وسوء الاعمال قَارِعَةٌ داهية تقرعهم وتقلقلهم أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية فى كفّار مكّة فانّهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول اللّه صلعم فانّه عم كان لا يزال يبعث السرايا فتُغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحلّ خطابا للرسول صلعم فانّه حلّ بجيشه قريبا من دارهم عام الحُدَيْبِيَة حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللّٰهِ الموت او ركوع ١١ القيامة او فتح مكّة إِنَّ ٱللّٰهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ لامتناع الكذب فى كلامه (٣٢) وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا تسلية لرسول اللّه ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه ، والاملاء ان يُترك ملاوةً من الزمان فى دعة وأمن ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ اى عقابى ايّاهم (٣٣) أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ رقيب عليها بِمَا كَسَبَتْ من خير او شرّ لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء

جزء ١٣ ركوع ١١

من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ استيناف او عطف على كسبت ان جعلت ما مصدريّة او لم يوحّدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على أنّه المستحقّ للعبادة وقوله قُلْ سَمُّوهُمْ تنبيه على انّ هؤلاء الشركاء لا يستحقّونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقّون به العبادة ويستأهلون الشركة أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بل اتنبّئونه وقرئ تُنْبِئُونَهُ بالتخفيف بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ بشركاء يستحقّون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقّونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكلّ شيء أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ ٱلْقَوْلِ ام تسمّونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجيّ كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادى على نفسه بالاعجاز بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ تمويههم فتخيّلوا اباطيل ثمّ خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وَصُدُّوا عَنِ ٱلسَّبِيلِ سبيل الحقّ وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وَصَدُّوا بالفتح اى وصدّوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصدٌّ بالتنوين وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ يخذله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ يوفّقه للهدى (٣٤) لَهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ لشدّته ودوامه وَمَا لَهُمْ مِنَ ٱللَّهِ من عذابه او من رحمته مِنْ وَاقٍ حافظ (٣٥) مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ صفتها الّتى هى مثل فى الغرابة وهو مبتدأٌ خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا عليكم مثل الجنّة وقيل خبره تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ على طريقة قولك صفةُ زيد أَسْمَرُ او على حذف موصوف اى مثلُ الجنّة جنّةٌ تجرى من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة أُكُلُهَا دَائِمٌ لا ينقطع ثمرها وَظِلُّهَا اى وظلّها كذلك لا يُنْسَخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس تِلْكَ اى الجنّة الموصوفة عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا مآلهم ومنتهى امرهم وَعُقْبَى ٱلْكَافِرِينَ ٱلنَّارُ لا غيرُ وفى ترتيب النظمين اطماعٌ للمتّقين واقناطٌ للكافرين (٣٦) وَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ يعنى المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة او عامّتهم فانّهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ يعنى كفرتهم الّذين تحزّبوا على رسول اللّه صلعم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيّد والعاقب واشياعهما مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق ما حرّفوه منها قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ جواب للمنكرين اى قل لهم انّى امرت فيما انزل الىّ بأن اعبد اللّه واوحّده وهو العمدة فى الدين ولا سبيل لكم الى انكاره وامّا ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفةُ الشرائع والكتب الالهيّة فى جزئيّات الاحكام ، وقرئ وَلَا أُشْرِكُ بالرفع على الاستيناف إِلَيْهِ أَدْعُو لا الى غيره وَإِلَيْهِ مَآبِ واليه مرجعى للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتّفق عليه بين الانبياء وامّا ما عدا ذلك من التفاريع فممّا يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه

*

جزء ١٣ (٣٧) وَكَذٰلِكَ ومثل ذلك الانزال المشتمل على اصول الديانات المُجمَع عليها أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا يحكم فى
ركوع ١١ القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عَرَبِيًّا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه
على الحال وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُمْ التى يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حُوّلت
عنها بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ بنسخ ذلك مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ينصرك ويمنع العقاب عنك
ركوع ١٢ وهو حسمٌ لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات فى دينهم (٣٨) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ بَشَرًا مثلك
وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً نساء واولادا كما هى لك وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ وما صحّ له ولم يكن فى وسعه
أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ تقترح عليه وحكم يلتمس منه إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فانه المليّ بذلك لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ
لكلّ وقت وأمد حُكْمٌ يُكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم (٣٩) يَمْحُو ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ينسخ ما
يستصوب نسخه وَيُثْبِتُ ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيّآت التائب ويثبت الحسنات مكانها
وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلّق به جزاء ويترك غيره مُثبتا او يثبت ما رآه وحده فى صميم
قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات ، وقرأ نافع وابن عامر
وحمزة والكسائىّ وَيُثَبِّتُ بالتشديد وَعِنْدَهُ أُمُّ ٱلْكِتَابِ اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من
كائن الّا وهو مكتوب فيه (٤٠) وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ وكيفما دارت الحال اريناك
بعض ما اوعدناهم او توفّيناك قبله فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَاغُ لا غير وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ للمجازاة لا عليك فلا
تحتفلْ باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانّا فاعلون له وهذا طلائعه (٤١) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ
ارض الكفرة نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا بما نفتحه على المسلمين منها وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ لا رادّ له وحقيقته
الّذى يَعْقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحقّ معقّب لانّه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انّه
حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ، ومحلّ لا مع المنفيّ النصب على
الحال اى يحكم نافذا حكمه وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ فيحاسبهم عمّا قليل فى الآخرة بعد ما عذّبهم بالقتل
والاجلاء فى الدنيا (٤٢) وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بأنبيائهم والمؤمنين منهم فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا اذ لا
يُؤبَه بمكر دون مكره فانّه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ فيعدّ جزاءها
وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ من الحزبين حيثما يأتيهم العذاب المُعَدّ لهم وهم فى غفلة منه وهذا
كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدلّ على انّ المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما فى الاضافة الى الدار كما
عرفتَ ، وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ٱلْكَافِرُ على ارادة الجنس وقرئ ٱلْكَافِرُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَٱلْكُفْرُ اى
اهله وَسَيَعْلَمُ من اعلمه اذا اخبره (٤٣) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قيل المراد بهم رؤساء اليهود

جزء ١٣ ركوع ١٣

قُلْ كَفَى بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فانّه أظهرَ من الادلّة على رسالتى ما يُغنِى عن شاهد يشهد عليها وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ علم القران وما أُلّف عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو اللّه اى كفى بالّذى يستحقّ العبادة وبالّذى لا يعلم ما فى اللوح الّا هو شهيدا بيننا فيُخزى الكاذب منّا ويؤيّده قراءة من قرأ وَمِنْ عِندِهِ بالكسر وعلم الكتاب على الاوّل مرتفع بالظرف فانّه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعيّن على الثانى وقرئ وَمِنْ عِندِهِ عُلِمَ على الحرف والبناء للمفعول ، عن رسول اللّه صلعم من قرأ سورة الرعد أُعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كلّ سحاب مضى وكلّ سحاب يكون الى يوم القيامة وبُعث يوم القيامة من الموفين بعهد اللّه •

سُورَةُ إِبْرٰهِيمَ

مكّيّة وآيها اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١٣

(١) الٓر كِتَابٌ اى هو كتاب أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ بدعائك ايّاهم الى ما تضمّنه مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ من انواع الضلال إِلَى ٱلنُّورِ الى الهدى بِإِذْنِ رَبِّهِمْ بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الّذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف على انّه جواب لمن يسأل عنه ، واضافة الصراط الى اللّه امّا لانّه مقصده او المُظْهِر له ، وتخصيص الوصفين للتنبيه على انّه لا يذلّ سالكه ولا يخيب سابله (٢) ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُ مَا فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او اللّه خبرُ مبتدإ محذوف والّذى صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانّه كالعَلَم لاختصاصه بالمعبود على الحقّ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور ، والويل نقيض الوأل وهو النجاة وأصله النصب لانّه مصدر الّا انّه لم يُشتقّ منه فِعْل لكنّه رفع لافادة الثبات (٣) ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ يختارونها عليها فانّ المختار للشىء يطلب من نفسه ان يكون احبّ اليها من غيره وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بتعويق الناس عن الايمان وقرئ وَيُصِدُّونَ من أصدّه وهو منقول من صدّ صُدودًا اذا تنكّب وليس فصيحا لانّ فى صدّه مندوحة عن تكلّف التعدية وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحقّ ليقدحوا فيه فحُذف الجارّ وأُوصل الفعل الى الضمير ، والموصول بصلته يحتمل الجرّ صفةً للكافرين والنصبَ على الذمّ والرفعَ عليه او على انّه مبتدأ خبره أُولٰئِكَ

جزء ١٣ فِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ اى ضلّوا عن الحقّ ووقعوا عنه بمراحل والبُعْد فى الحقيقة للضالّ فوصف به فعله للمبالغة

ركوع ١٣ او للامر ٱلّذى به الضلال فوصف به لملابسته (٤) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ الّا بلغة قومه ٱلّذى هو منهم وبُعث فيهم لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثمّ ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانّهم اولى الناس اليه بأن يدعوهم واحقّ بأن ينذرهم ولذلك أُمر النبىّ صلعم بانذار عشيرته اوّلا ولو نُزّل على من بُعث الى امم مختلفة كُتُبٌ على السنتهم استقلّ ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادّى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد فى تعلّم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعّبة منها وما فى اتعاب القرائح وكدّ النفوس من القُرَب المقتضية لجزيل الثواب ، وقرئ بِلِسْنِ وهو لغة فيه كرِيش ورِياش ولُسُنٍ بضمّتين وضمّة وسكون على الجمع كعُمُد وعُمْد ، وقيل الضمير فى قومه لمحمّد صلعم وانّ ٱللّه تعالى انزل الكتب كلّها بالعربيّة ثمّ ترجمها جبريل او كلّ نبىّ بلغة المُنْزَل عليهم وذلك ليس بصحيح يردّه قوله ليبيّن لهم فانّه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبيّن للعرب فَيُضِلُّ ٱللّٰهُ مَنْ يَشَآءُ فيخذله عن الايمان وَيَهْدِى مَنْ يَشَآءُ بالتوفيق له وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ فلا يُغْلَب على مشيئته ٱلْحَكِيمُ ٱلّذى لا يُضِلّ ولا يهدى الّا لحكمة (٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا يعنى اليد والعصا وسائر معجزاته أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ بمعنى اى اخرج لانّ فى الارسال معنى القول او بأن اخرج فانّ صِيَغ الافعال سواءٌ فى الدلالة على المصدر فيصحّ ان توصل بها أَنْ الناصبةُ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ ٱللّٰهِ بوقائعه ٱلّتى وقعت على الامم الدارجة وايّامُ العرب حروبُها وقيل بنعمائه وبلائه إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ يصبر على بلائه ويشكر على نعمائه فانّه اذا سمع بما أُنزل على من قبله من البلاء وأُفيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبّه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكلّ مؤمن وانّما عبّر عنهم بذلك تنبيها على انّ الصبر والشكر عنوان المؤمن (٦) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ اى اذكروا نعمته عليكم وقت انجائه ايّاكم ويجوز ان ينتصب بعليكم إِن جُعلت مستقرّة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطيّة دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة اللّه بدل الاشتمال يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطَبين ، والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به فى سورة البقرة والاعراف لانّه مفسّر بالتذبيح والقتل ثَمّ ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو امّا جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقّة وَفِى ذٰلِكُمْ من حيث انّه باقدار اللّه ايّاهم وامهالهم فيه بَلَآءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة

ركوع ١٤ الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة (٧) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ايضا من كلام موسى وتأذّن بمعنى آذن كتوعّد واوعد غير انّه ابلغ لما فى التفعّل من معنى التكلّف والمبالغة لَئِنْ شَكَرْتُمْ يا بنى اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل لَأَزِيدَنَّكُمْ نعمة الى نعمة وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ ما انعمت عليكم إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ

فلعلّى اعذّبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرّح بالوعد ويعرّض بالوعيد جزء ۱۳ والجملة مقولُ قول مقدّر او مفعول تأذّن على انّه جارٍ مجرى قال لانّه ضربٌ منه (۸) وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا ركوع ۱۴ أَنْتُمْ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا من الثقلين فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عن شكركم حَمِيدٌ مستحقّ للحمد فى ذاته محمود يحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرّات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الّا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرّضتموها للعذاب الشديد (۹) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ من كلام موسى او كلامٌ مبتدأٌ من اللّه (۱۰) وَٱلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جملة وقعت اعتراضا او الّذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انّهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الّا اللّه ولذلك قال ابن مسعود كذب النسّابون جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ فعضّوها غيظا ممّا جاءت به الرسل كقوله تعالى عضّوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجّبا منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انّا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردّوها فى افواه الانبياء يمنعونهم من التكلّم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدى بمعنى الايادى اى ردّوا ايادى الانبياء الّتى هى مواعظهم وما اوحى اليهم من الحِكَم والشرائع فى افواههم لانّهم اذا كذّبوها ولم يقبلوها فكانّهم ردّوها الى حيث جاءت منه وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ على زعمكم وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ من الايمان ، وقرئ تَدْعُونَّا بالادغام مُرِيبٍ موقع فى الريبة او ذى ريبة وهى قلق النفس وأن لا تطمئنّ الى الشىء (۱۱) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ أدخلت همزة الانكار على الظرف لانّ الكلام فى المشكوك فيه لا فى الشكّ اى انّما ندعوكم الى اللّه وهو لا يحتمل الشكّ لكثرة الادلّة وظهور دلالتها عليه واشاروا الى ذلك بقولهم فَاطِرِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وهو صفة او بدل ، وشكّ مرتفع بالظرف يَدْعُوكُمْ الى الايمان ببعثه ايّانا لِيَغْفِرَ لَكُمْ او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرنى على اقامة المفعول له مقام المفعول به مِنْ ذُنُوبِكُمْ بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فانّ الاسلام يجبّه دون المظالم وقيل جىء بمن فى خطاب الكفرة دون المؤمنين فى جميع القران تفرقةً بين الخطابين ولعلّ المعنى فيه انّ المغفرة حيث جاءت فى خطاب الكفّار مرتّبةٌ على الايمان وحيث جاءت فى خطاب المؤمنين مشفوعةٌ بالطاعة والتجنّب عن المعاصى ونحو ذلك فتتناول الخروج عن المظالم وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى الى وقت سمّاه اللّه وجعله آخر اعماركم (۱۲) قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا لا فضل لكم علينا فلِمَ تُخَصّون بالنبوّة دوننا ولو شاء اللّه ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا بهذه الدعوى فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ يدلّ على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزيّة او على صحّة ادّعائكم النبوّة كانّهم لم يعتبروا ما جاءوا به من البيّنات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنّتا ولجاجا

جزء ١٣ (١٣) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلٰكِنَّ ٱللّٰهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ سلّموا مشاركتهم
ركوع ١٤ فى الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوّة فضل اللّه ومنّه عليهم ، وفيه دليل على انّ النبوّة عطائيّة
وانّ ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة اللّه تعالى وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ (١٤) إِلَّا بِإِذْنِ ٱللّٰهِ
اى ليس الينا الاتيان بالآيات ولا تستبدّ به استطاعتنا حتّى نأتى بما اقترحتموه وانّما هو امر يتعلّق
بمشيئة اللّه فيخصّ كلّ نبىّ بنوع من الآيات وَعَلَى ٱللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ فلنتوكّل عليه فى الصبر
على معاندتكم ومعاداتكم عمّموا الامر للاشعار بما يوجب التوكّل وقصدوا به انفسهم قصدا أوّليّا
الا ترى قوله (١٥) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللّٰهِ اى اىّ عذر لنا فى ان لا نتوكّل وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا
ٱلَّتِى بها نعرفه ونعلم انّ الامور كلّها بيده ، وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفى العنكبوت
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا جواب قسم محذوف اكّدوا به توكّلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى من
الكفّار عليهم وَعَلَى ٱللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ فليثبت المتوكّلون على ما استحدثوه من توكّلهم
ركوع ١٥ المسبّب عن ايمانهم (١٦) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا حلفوا
على ان يكون احد الامرين امّا اخراجهم للرسل او عودهم الى ملّتهم وهو بمعنى الصيرورة لانّهم لم
يكونوا على ملّتهم قطّ ويجوز ان يكون الخطاب لكلّ رسول ومن آمن معه فغلّبوا الجماعة على الواحد
فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اى الى رسلهم لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّالِمِينَ على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانّه نوع
منه (١٧) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ اى ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الّذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها ، وقرئ لَيُهْلِكَنَّ وَلَيُسْكِنَنَّكُمْ بالياء اعتبارا لِأَوْحَىٰ كقولك أَقْسَمَ زيدٌ لَيَخْرُجَنَّ
ذٰلِكَ اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لِمَنْ خَافَ مَقَامِى موقفى وهو الموقف
الّذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامى عليه وحفظى لأعماله وقيل المقام مقحم
وَخَافَ وَعِيدِ اى وعيدى بالعذاب او عذابى الموعود للكفّار (١٨) وَٱسْتَفْتَحُوا سألوا اللّه الفتح على
اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وهو
معطوف على فاوحى والضمير للانبياء عم وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانّ كلّهم سألوه ان ينصر
المحقّ ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكنّ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ اى ففتح لهم
فأفلح المؤمنون وخاب كلّ جبّار عات متكبّر على اللّه معاند للحقّ فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان
الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان أوقع (١٩) مِنْ وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ اى من بين يديه فانّه مرصد بها
واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك
وَيُسْقَىٰ مِنْ مَآءٍ عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنّم يَلْقَى فيها ما يَلْقَى ويسقى من ماء صَدِيدٍ
عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار (٢٠) يَتَجَرَّعُهُ يتكلّف جرعه وهو صفة لماء او حال من
الضمير فى يسقى وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغصّ به فيطول عذابه والسوغ

جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ اى اسبابه من الشدائد جزء ١٣
فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كلّ مكان من جسده حتّى من اصول شعره وابهام رجله ركوع ١٥
وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ فيستريح وَمِنْ وَرَآئِهِ ومن بين يديه عَذَابٌ غَلِيظٌ اى يستقبل فى كلّ وقت عذابا اشدّ ممّا هو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصّة الرسل نازلة فى اهل مكّة طلبوا الفتح الّذى هو المطر فى سنيهم الّتى ارسل اللّه عليهم بدعوة رسوله فخيّب رجاءهم فلم يَسْقِهم ووعد لهم ان يسقيهم فى جهنّم بدل سُقْياهم صديدَ اهل النار (٢١) مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ مبتدأ خبره محذوف اى فيما يُتْلَى عليكم صفتهم الّتى هى مثل فى الغرابة او قوله أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ وهو على الاوّل جملة مستأنفة لبيان مَثَلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ حملته واسرعت الذهاب به ؛ وقرأ نافع ٱلرِّيَاحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبّه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها لبنائها على غير أساس من معرفة اللّه والتوجّه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيّرته الريح العاصف لَا يَقْدِرُونَ يوم القيامة مِمَّا كَسَبُوا من اعمالهم عَلَى شَىْءٍ لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذٰلِكَ اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انّهم محسنون هُوَ ٱلضَّلَالُ ٱلْبَعِيدُ فانّه الغاية فى البعد عن طريق الحقّ (٢٢) أَلَمْ تَرَ خطاب للنبىّ والمراد به امّته وقيل لكلّ واحد من الكفرة على التلوين أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ بالحكمة والوجه الّذى يحقّ ان تخلق عليه ؛ وقرأ حمزة والكسائىّ خَالِقُ ٱلسَّمٰوَاتِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتّب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فانّ من خلق اصولهم وما يتوقّف عليه تخليقهم ثمّ كوّنهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدّلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال (٢٣) وَمَا ذٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ بمتعذّر او متعسّر فانّه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن كان هذا شأنه كان حقيقا بأن يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا لعقابه يومَ الجزاء (٢٤) وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا اى يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر اللّه ومحاسبته او للّه على ظنّهم فانّهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنّون انّها تخفى على اللّه فاذا كان يوم القيامة انكشفوا للّه عند انفسهم وانّما ذكر بلفظ الماضى لتحقّق وقوعه فَقَالَ ٱلضُّعَفَآءُ ٱلْأَتْبَاعُ جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأى وانّما كتب بالواو على لفظ من يفخّم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا لرؤسائهم الّذين استتبعوهم واستغووهم إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغَيَب او مصدرٌ نُعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا دافعون عنّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِنْ شَىْءٍ من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشىء الّذى هو عذاب اللّه ويجوز ان تكونا للتبعيض

جزء ١٣ اى بعض شىء هو بعض عذاب اللّه والإعرابُ ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية
ركوع ١٥ مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء (٢٥) قَالُوا اى الّذين استكبروا جوابا عن
معاتبة الاتباع واعتذارا عمّا فعلوا بهم لَوْ هَدَانَا ٱللّٰهُ للايمان ووفّقنا له لَهَدَيْنَاكُمْ ولكن ضللنا فاضللناكم
اى اخترنا لكم ما اخترنا لانفسنا او لو هدانا اللّه طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه
عنكم كما عرّضناكم له لكن سدّ دوننا طريق الخلاص سَوَآءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مستويان علينا
الجزع والصبر مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو
يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين
ويؤيّده ما روى انّهم يقولون تعالوا نجزعْ فيجزعون خمس مائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا
ركوع ١٦ نصبرْ فيصبرون كذلك ثمّ يقولون سواء علينا (٢٦) وَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ أُحْكِم وفُرغ منه
ودخل اهلُ الجنّةِ الجنّةَ واهلُ النار النارَ خطيبا فى الاشقياء من الثقلين إِنَّ ٱللّٰهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ
وعدا من حقّه ان يُنْجَز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء وَوَعَدْتُكُمْ وَعْدَ الباطل وهو ان لا
بَعْث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فَأَخْلَفْتُكُمْ جعل تبيّن خُلْف وَعْده كالاخلاف منه
وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ تسلّط فألجئكم الى الكفر والمعاصى (٢٧) إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ الّا دعائى
ايّاكم اليها بتسويلى وهو ليس من جنس السلطان ولكنّه على طريقة قولهم • تحيّةُ بينهم ضربٌ وجيع •
ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى اسرعتم اجابتى فَلَا تَلُومُونِى بوسوستى فانّ من صرّح
العداوة لا يلام بامثال ذلك وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ حيث اطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربّكم لمّا دعاكم
واحتجّت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدلّ عليه اذ يكفى لصحّتها
ان يكون لقدرة العبد مَدْخلٌ ما فى فعله وهو الكَسْب الّذى يقوله اصحابنا مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ بمُغيثكم
من العذاب وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِىَّ بمُغيثىّ وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو اصل
مرفوض فى مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع انّ حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر
وقبلها الفٌ فبالحرىّ ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء
والكاف فى ضربته واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة إِنِّى كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ما امّا
مصدريّة ومن متعلّقة باشركتمونى اى كفرت اليوم باشراككم ايّاى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا
بمعنى تبرّأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى مَنْ نحو ما فى
قولهم سبحان ما سخّركنّ لنا ومن متعلّقة بكفرت اى كفرت بالّذى اشركتمونيه وهو اللّه تعالى
بطاعتكم ايّاى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددتُ امره بالسجود
لآدم واشرك منقول من شَرِكَ زيدًا للتعدية الى مفعول ثانٍ إِنَّ ٱلظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ تتمّة كلامه او
ابتداء كلام من اللّه وفى حكاية امثال ذلك لطفٌ للسامعين وايقاظ لهم حتّى يحاسبوا انفسهم ويتدبّروا

عواقبهم (٢٨) وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا جزء ١٣
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ بإذن الله وامره والمُدْخِلون هم الملائكة وقرئ وَأُدْخِلُ على التكلّم فيكون قوله بإذن ربّهم ركوع ١٩
متعلّقا بقوله تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ اى يحيّيهم الملائكة بالسلام بإذن ربّهم (٢٩) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
كيف اعتمده ووضعه كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ اى جعل كلمة طيّبة كشجرة طيّبة وهو تفسير لقوله
ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدإ محذوف اى
هى كشجرة وان تكون اوّل مفعولى ضرب اجراء له مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء أَصْلُهَا
ثَابِتٌ فى الارض ضارب بعروقه فيها وَفَرْعُهَا واعلاها فِي ٱلسَّمَآءِ ويجوز ان يريد وفروعها اى افنانها على
الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثَابِتٌ أَصْلُهَا والاوّل على اصله ولذلك قيل
انّه اقوى ولعلّ الثانى ابلغ (٣٠) تُؤْتِي أُكُلَهَا تُعطى ثمرها كُلَّ حِينٍ أقّته الله لاثمارها بِإِذْنِ رَبِّهَا بإرادة
خالقها وتكوينه وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ لانّ فى ضربها زيادة إفهام وتذكير فانّه
تصوير للمعانى وإدناء لها من الحسّ (٣١) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ كمثل شجرة خبيثة ٱجْتُثَّتْ
استؤصلت واخذت جثّته بالكلّيّة مِنْ فَوْقِ ٱلْأَرْضِ لانّ عروقها قريبة منه مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ استقرار،
واختُلف فى الكلمة والشجرة ففسّرت الكلمة الطيّبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة
الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحقّ ولعلّ المراد بهما ما يعمّ ذلك فالكلمة الطيّبة ما
اعرب عن حقّ او دعاء الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسّرت الشجرة الطيّبة
بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وبشجرة فى الجنّة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعلّ المراد بهما ايضا ما
يعمّ ذلك (٣٢) يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ الّذى ثبت بالحجّة عندهم وتمكّن فى قلوبهم
فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فلا يزلّون اذا فُتنوا فى دينهم كزكريّاء ويحيى وجرجيس وشمسون والّذين فتنهم
اصحاب الأُخْدود وَفِي ٱلْآخِرَةِ فلا يتلعثمون اذا سُئلوا عن معتقدهم فى الموقف ولا يدهشهم اهوال القيامة
وروى انّه عم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثمّ يُعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره
ويقولان له من ربّك وما دينك ومن نبيّك فيقول ربّى الله ودينى الاسلام ونبيّى محمّد فينادى مناد من
السماء أنْ صدق عبدى فذلك قوله يثبّت الله الّذين آمنوا بالقول الثابت وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّالِمِينَ الّذين
ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحقّ ولا يثبتون فى مواقف الفتن وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا
يَشَآءُ من تثبيت بعض وإضلال آخرين من غير اعتراض عليه (٣٣) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ركوع ١٧
اى شُكْرَ نعمته كفرا بأن وضعوه مكانه او بدّلوا نفس النعمة كفرا فانّهم لمّا كفروها سُلبت منهم فصاروا
تاركين لها محصّلين للكفر بدلها كأهل مكّة خلقهم الله واسكنهم حَرَمَه وجعلهم قوّام بيته ووسّع عليهم
ابواب رزقه وشرّفهم بمحمّد صلعم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وأُسروا وقُتلوا يوم بدر وصاروا اذلّاء

*

جزء ١٣ فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلىّ هم الأفجران من قريش بنو المُغيرة وبنو أُميّة فأمّا
ركوع ١٧ بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأمّا بنو اميّة فمُتّعوا حتّى حين وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ الّذين شايعوهم فى الكفر دَارَ ٱلْبَوَارِ دار الهلاك بحملهم على الكفر (٣٤) جَهَنَّمَ عطف بيان لها يَصْلَوْنَهَا حالٌ منها او من القوم اى داخلين فيها مُقاسين لحرّها او مفسّرٌ لفعل يقدّر ناصبا لجهنّم وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ وبئس المقرّ جهنّم (٣٥) وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ الّذى هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم فى اتّخاذ الانداد لكن لمّا كان نتيجته جُعل كالغرض قُلْ تَمَتَّعُوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانّها من قبيل الشهوات الّتى يُتمتّع بها وفى التهديد بصيغة الامر ايذانٌ بأنّ المهدّد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدّد به وأنّ الامرين كائنان لا محالة ولذلك علّله بقوله فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ وأنّ المخاطَب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمرٍ مُطاع (٣٦) قُلْ لِعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا خصّهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انّهم المقيمون لحقوق العبوديّة ، ومفعولُ قل محذوف يدلّ عليه جوابه اى قل لعبادى الّذين آمنوا أقيموا الصلوة وأنفقوا يُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ فيكون ايذانا بأنّهم لفرط مطاوعتهم للرسول بحيث لا ينفكّ فعلهم عن امره وانّه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدّر بلام الامر ليصحّ تعلّق القول بهما وانّما حَسُن ذلك ههنا ولم يحسن فى قوله

محمّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كلُّ نفسٍ ... اذا ما خِفْتَ من امرٍ تَبالا

لدلالة قُلْ عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مُقامَيْن مقامهما وهو ضعيف لانّه لا بدّ من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولانّ امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سِرًّا وَعَلَانِيَةً منتصبان على المصدر اى انفاقَ سرّ وعلانية او على الحال اى ذوى سرٍّ وعلانية او على الظرف اى وقتَىْ سرّ وعلانية والاحبُّ إعلان الواجب وإخفاء المتطوّع به مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ فيبتاعَ المقصّرُ ما يتدارك به تقصيره او يفدى به نفسه وَلَا خِلَالٌ ولا مخالّة فيشفعَ لك خليل او من قبل ان يأتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالّة وانّما يُنْتفع فيه بالانفاق لوجه اللّه تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفى العامّ (٣٧) ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ مبتدأ وخبر وَأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعولٌ لاخرج ومن الثمرات بيان له وحال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلّة او المصدر لانّ اخرج فى معنى رزق وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِ بمشيئته الى حيث توجّهتم وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَارَ فجعلها مُعدّة لانتفاعكم وتصرّفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفيّة اتّخاذها وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَائِبَيْنِ يدأبان فى سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكوّنات وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ يتعاقبان لسُباتكم ومعاشكم وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ اى بعضَ جميع ما سألتموه يعنى من

كلّ شىء سألتموه شيأ فانّ الموجود من كلّ صنف بعض ما فى قدرة اللّه ولعلّ المراد بما سألتموه ما جزء ١٣
كان حقيقا بأن يُسْأَل لاحتياج الناس اليه سُئِل او لم يُسْأَل ، ومَا يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ركوع ١٧
ومصدريّة ويكون المصدر بمعنى المفعول ، وقرئ مِنْ كُلٍّ بالتنوين اى وآتاكم من كلّ شىء ما احتجتم
اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية فى موقع الحال اى وآتاكم من كلّ شىء غير
سائليه وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا لا تحصروها ولا تطيقوا عدّ أنواعها فضلا عن أفرادها فانّها
غير متناهية وفيه دليل على انّ المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ يظلم النعمة باغفال
شكرها او يظلم نفسه بأن يعرّضها للحرمان كَفَّارٌ شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدّة يشكو ويجزع
كفّار فى النعمة يجمع ويمنع (٣٨) وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هٰذَا ٱلْبَلَدَ بلدة مكّة آمِنًا ذا أَمْنٍ لمن ركوع ١٨
فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلداً آمنا انّ المسئول فى الاوّل ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفى
الثانى جعله من البلاد الآمنة وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ بعّدنى وايّاهم أَنْ نَعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ واجعلنا منه فى جانب
وقرئ وَأَجْنِبْنِى وهما على لغة نجد وامّا اهل الحجاز فيقولون جنّبنى شرّه ، وفيه دليل على انّ عصمة
الانبياء بتوفيق اللّه وحفظه ايّاهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذرّيّته وزعم ابن عُيَيْنة انّ
اولاد اسمٰعيل لم يعبدوا الصنم محتجّا به وانّما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمّونها الدُّوار ويقولون
البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلته (٣٩) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ فلذلك سألتُ منك
العصمة واستعذت بك من اضلالهنّ واسنادُ الاضلال اليهنّ باعتبار السببيّة كقوله تعالى وغرّتهم الحيوة
الدنيا فَمَنْ تَبِعَنِى على دينى فَإِنَّهُ مِنِّى اى بعضى لا ينفكّ عنّى فى امر الدين وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة ، وفيه دليل على انّ كلّ ذنب فللّه ان يغفره
حتّى الشرك الّا انّ الوعيد فرّق بينه وبين غيره (٤٠) رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى اى بعض ذرّيّتى او
ذرّيّة من ذرّيّتى فحذف المفعول وهم اسمٰعيل ومن وُلد منه فانّ اسكانه متضمّن لاسكانهم بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ
يعنى وادى مكّة فانّها حجريّة لا تُنْبِت عِنْدَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ الّذى حرّمتَ التعرّض له والتهاون به او لم
يزل معظّما ممنّعا يهابه الجبابرة او مُنع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمّى عتيقا اى أُعْتِق منه
ولو دعا بهذا الدعاء اوّل ما قدم فلعلّه قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روى انّ هاجر كانت
لسارة فوهبتها من ابرٰهيم فولدت منه اسمٰعيل فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها
فأخرجهما الى ارض مكّة فأظهر اللّه عين زمزم ثمّ انّ جُرْهُم رأوا ثَمّ طيورا فقالوا لا طير الّا على الماء فقصدوه
فرأوها وعندها عين فقالوا أشركينا فى مائك نُشْرِكْك فى ألباننا ففعلت رَبَّنَا لِيُقِيمُوا ٱلصَّلٰوةَ اللام لام
كى وهى متعلّقة باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادى البلقع من كلّ مرتفق ومرتزق الّا لاقامة الصلوة
عند بيتك المحرّم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانّها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمّ والمقصودُ من
الدعاء توفيقهم لها وقيل لامُ الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانّه طلب منهم الاقامة وسأل
من اللّه ان يوفّقهم لها فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ ٱلنَّاسِ اى افئدة من افئدة الناس ومِنْ للتبعيض ولذلك قيل

جزء ١٣ ركوع ١٨

لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجّت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب منى سقيم اى افئدة ناسٍ وقرئ آفِدَةً وهو يحتمل أن يكون مقلوبَ أَفْئِدَة كآدُر فى أَدْؤُر وأن يكون اسم فاعل من أَفِدَت الرحلة اذا عجلت اى جماعة يعجلون نحوهم وأَفِدَةً بطرح الهمزة للتخفيف وإن كان الوجه فيه إخراجها بين بين ويجوز ان يكون من أَفَدَ تَهْوِى إِلَيْهِمْ تسرع اليهم شوقا ووِدادا وقرئ تُهْوَى على البناء للمفعول من اهوى اليه غيرَه وتَهْوَى من هَوِىَ يَهْوَى اذا احبّ وتعديته بالى لتضمّنه معنى النزوع وَٱرْزُقْهُمْ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ مع سكناهم واديا لا نبات فيه لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ تلك النعمة فأجاب اللّه دعوته فجعله حرما آمنا يُجْبَى اليه ثمرات كلّ شىء حتّى يوجد فيه الفواكه الربيعيّة والصيفيّة والخريفيّة فى يوم واحد (٤١) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ تعلم سرّنا كما تعلم علننا والمعنى انّك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منّا بأنفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنّا ندعوك اظهارا لعبوديّتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفى من وَجْد الفُرْقة وما نعلن من التضرّع اليك والتوكّل عليك وتكرير النداء للمبالغة فى التضرّع واللجا الى اللّه تعالى وَمَا يَخْفَى عَلَى ٱللَّهِ مِنْ شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ لانّه العالم بعلم ذاتىّ يستوى نسبته الى كلّ معلوم ومِنْ للاستغراق ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ اى وهب لى وأنا كبير آيس عن الولد قيّد الهبة بحال الكِبَر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من آلآئه إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ روى انّه وُلد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتى عشرة سنة إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ اى لَمُجيبه من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتدّ به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء اللّه على المجاز وفيه اشعار بانّه دعا ربّه وسأل منه الولد فأجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجلّ النعم وأجلاها (٤٢) رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ معدّلا لها مواظبا عليها وَمِنْ ذُرِّيَّتِى عطف على المنصوب فى اجعلنى والتبعيض لعلمه باعلام اللّه تعالى او استقراء عادته فى الامم الماضية انّه يكون فى ذرّيّته كفّار رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ واستجبْ دعائى او وتقبّل عبادتى رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وقرئ وَلِأَبَوَىَّ وقد تقدّم عُذْر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحوّاء وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ يثبت مستعار من القيام على الرجْل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف او اسند اليه قيامهم مجازا

ركوع ١٩

(٤٣) وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ خطاب لرسول اللّه صلعم والمراد به تثبيته على ما هو عليه من انّه تعالى مطّلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيدُ بانّه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكلّ من توهّم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انّه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ يؤخّر عذابهم وعن ابى عمرو بالنون لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ اى تشخص ابصارهم فلا تقرّ فى اماكنها من هول ما ترى (٤٤) مُهْطِعِينَ اى مسرعين الى الداعى او

مُقْبلين بابصارهم لا يطرفون هيبةً وخوفا وأصلُ الكلمة هو الاقبال على الشيء مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ رافعيها لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ بل تثبت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ خلاء اى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق والجبان قَلْبُه هواء اى لا رأى فيه ولا قوّة قال زهير • من الظُلْمان جُؤْجُؤُهُ هواءُ • وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وَأَنْذِرِ ٱلنَّاسَ يا محمّد يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ يعنى يوم القيامة او يوم الموت فانّه اوّل ايّام عذابهم وهو مفعول ثانٍ لأنذر (٤٥) فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بالشرك والتكذيب رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ اخّر العذاب عنّا او ردّنا الى الدنيا وأمهلنا الى حدّ من الزمان قريب او اخّر آجالنا وأبْقِنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك (٤٦) نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ جواب للامر ونظيرُه لولا اخّرتنى الى اجل قريب فأصّدّق وأكن من الصالحين أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انّكم باقون فى الدنيا لا تزالون بالموت ولعلّهم اقسموا بطرا وغرورا او دلّ عليه حالهم حيث بَنَوْا شديدا وأمّلوا بعيدا وقيل اقسموا انّهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانّهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا باللّه جَهْدَ أيمانهم لا يبعث اللّه من يموت (٤٧) وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بالكفر والمعاصى كعاد وثمود وأصلُ سكن ان يعدّى بفى كقَرَّ وغَنِيَ وأقام وقد يُسْتعمل بمعنى التَبَوُّء فيجرى مجراه كقولك سكنت الدارَ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ بما تشاهدون فى منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ من احوالهم اى بيّنّا لكم انّكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب او صفاتِ ما فعلوا وفعل بهم الّتى هى فى الغرابة كالامثال المضروبة وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمُ المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحقّ وتقرير الباطل وَعِنْدَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ فى العظم والشدّة لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ مسوّى لازالة الجبال وقيل إنْ نافية واللام مؤكّدة لها كقوله وما كان اللّه ليعذّبهم على انّ الجبال مَثَلٌ لامر النبى صلعم ونحوه وقيل مخفّفة من الثقيلة والمعنى انّهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكّنا من آيات اللّه وشرائعه وقرأ الكسائى لَتَزُولُ بالفتح والرفع على انّها المخفّفة واللام هى الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لامَ كَيْ وقرئ وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ (٤٨) فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ مثل قوله انّا لننصر رسلنا كتب اللّه لأغلبنّ انا ورسلى وأصلُه مخلف رسله وَعْدَه فقدّم المفعول الثانى ايذانا بانّه لا يخلف الوعد اصلا كقوله انّ اللّه لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف احدا كيف يخلف رسله إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غالبٌ لا يماكَر قادرٌ لا يدافَع ذُو ٱنْتِقَامٍ لاوليائه من اعدائه (٤٩) يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ بدلٌ من يوم يأتيهم او ظرفٌ للانتقام او مقدّرٌ باذكرْ او لا يخلف وَعْدَه ولا

جزء ١٣

ركوع ١٩

جزء ١٣ يجوز ان ينتصب بمخلف لانّ ما قبل انّ لا يعمل فيما بعده وَٱلسَّمٰوَاتُ عطف على الارض وتقديره ركوع ١٩ والسموات غيرَ السموات والتبديل يكون فى الذات كقولك بدّلت الدراهمَ دنانير وعليه قوله بدّلناهم جلودا غيرها وفى الصفة كقولك بدّلت الحلقةَ خاتما اذا أَذَبْتها وغيّرت شكلها وعليه قوله يبدّل اللّهُ سيّآتهم حسناتٍ والآيةُ تحتملهما وعن علىّ رضه تبدّل ارضا من فضّة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وأنس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئْ عليها احد خطيئة وعن ابن عبّاس هى تلك الارض وانّما تغيّر صفاتها ويدلّ عليه ما روى ابو هريرة رضه انّه عم قال تبدّل الارض غير الارض فتُبْسَط وتُمَدّ مدَّ الاديم العُكاظىّ لا ترى فيها عِوَجا ولا أَمْتا واعلمْ انّه لا يلزم على الوجه الاوّل ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثانى ان يجعل اللّه الارض جهنّم والسموات الجنّة على ما اشعر به قوله كلّا انّ كتاب الأبرار لفى عِلّيّين وقوله انّ كتاب الفُجّار لفى سِجّين وَبَرَزُوا من اجداثهم لِلّٰهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ لمحاسبته ومجازاته وتوصيفُه بالوصفين للدلالة على انّ الامر فى غاية الصعوبة كقوله لمن المُلْكُ اليومَ للّه الواحد القهّار فانّ الامر اذا كان لواحد غلّاب لا يغالَب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار (٥٠) وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ قُرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم فى العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زُوّجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم فِى ٱلْأَصْفَادِ متعلّق بمقرّنين او حال من ضميره والصَّفَد القيد وقيل الغُلّ قال سَلامة بن جَنْدَل

فَزَيْدُ الخيل قد لاقى صِفادا يَعَضّ بساعدٍ وبعَظْمِ ساق

وأصله الشدّ (٥١) سَرَابِيلُهُمْ قمصانهم مِنْ قَطِرَانٍ وجاء قَطْرَانٍ لغتين فيه وهو ما يتحلّب من الأَبْهَل فيُطْبَخ فتُهْنَأ به الابل الجَرْبَى فيحرق الجرب بحدّته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة تُطْلَى به جلود اهل النار حتّى يكون طلاؤه لهم كالقُمُص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار فى جلودهم على انّ التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يُحيط بجوهر النفس من الملكات الرديّة والهيآت الوحشيّة فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قِطْرٍ آنٍ والقطر النحاس او الصُفْر المُذاب والآنى المتناهى حرّه ، والجملة حال ثانية او حال من الضمير فى مقرّنين وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وتغشاها لانّهم لم يتوجّهوا بها الى الحقّ ولم يستعملوا فى تدبّره مشاعرهم وحواسّهم الّتى خُلقت فيها لاجله كما تطّلع على افئدتهم لانّها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله تعالى افمن يتّقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله يوم يُسْحَبون فى النار على وجوههم لِيَجْزِىَ ٱللّٰهُ كُلَّ نَفْسٍ اى يفعل بهم ذلك ليجزى كلّ نفس مُجْرِمة مَا كَسَبَتْ او كلّ نفس من مجرمة او مطيعة لانّه اذا بيّن انّ المجرمين يعاقبون لاجرامهم عُلم انّ المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعيّن ذلك انْ عُلّق اللام ببرزوا إِنَّ ٱللّٰهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ لانّه لا يشغله

حساب عن حساب (٥٢) هٰذَا اشارة الى القران او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه جزء ١٣
من قوله ولا تحسبنّ اللّه بَلَاغٌ لِلنَّاسِ كفاية لهم فى الموعظة وَلِيُنْذَرُوا بِهِ عطف على محذوف اى لينصحوا ركوع ١٩
ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلّقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلّق بمحذوف تقديرُه ولينذروا به
أُنْزِل او تُلى وقرئ بفتح الياء من نَذِرَ به اذا علمه واستعدّ له وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ بالنظر والتأمّل
فيما فيه من الآيات الدالّة عليه او المنبّهة على ما يدلّ عليه وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو ٱلْأَلْبَابِ فيرتدعوا عمّا يُرْديهم
ويتدرّعوا بما يُحْظيهم واعلمْ انّه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هى الغاية والحكمة فى
انزال الكتب تكميلُ الرسل للناس واستكمالُ القوّة النظريّة الّتى منتهى كمالها التوحيد واستصلاحُ القوّة
العمليّة الّذى هو التدرّع بلباس التقوى جعلنا اللّهُ تعالى من الفائزين بهما ؛ وعن النبىّ صلعم من قرأ
سورة ابرٰهيم أُعْطِى من الاجر عشر حسنات بعددِ من عبد الاصنام وعددِ من لم يعبد ٥

سُورَةُ ٱلْحِجْرِ

مكّيّة وآيها تسع وتسعون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) الٓر تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ الاشارة الى آيات السورة والكتابُ هو السورة وكذا القران ركوع ٢٠
وتنكيرُه للتفخيم اى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرانا يبيّن الرشد من الغىّ بيانا غريبا
(٢) رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت جزء ١٤
او يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم رُبَمَا بالتخفيف وقرئ رَبَّمَا بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضمّ ركوع ١
الراء وفتحُها مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافّة تكفّه عن الجرّ فيجوز دخوله
على الفعل ، وحقُّه ان يدخل على الماضى لكنْ لمّا كان المترقّب فى إخبار اللّه تعالى كالماضى فى تحقّقه
أُجْرِى مجراه وقيل مَا نكرة موصوفة كقوله

رُبّما تكرهُ النُفوسُ من الامـــر له فُرْجةٌ كحلّ العقال

ومعنى التقليل فيه الايذان بانّهم لو كانوا يودّون الاسلام مرّة فبالحرىّ ان يسارعوا اليه فكيف وهم
يودّونه كلّ ساعة وقيل تُدهشهم اهوال القيامة فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات تمنّوا ذلك ،
والغيبة فى حكاية وَدادتهم كالغيبة فى قولك حلف باللّه لَيفعلنّ (٣) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا بدنياهم
وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ويشغلهم توقّعهم لطول الاعمار واستقامةُ الاحوال عن الاستعداد للمعاد فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
سُوءَ صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرضُ اقناطُ الرسولِ من ارعوائهم وايذانُه بانّهم من اهل الخِذلان وانّ
نُصحهم بعدُ اشتغالٌ بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجّة وتحذير عن ايثار التنعّم وما يؤدّى اليه

جزء ۱۴ رکوع ۱

طول الامل (۴) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ اجلٌ مقدّرٌ كُتب فى اللوح المحفوظ ، والمستثنى جملة واقعة صفةً لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الّا لها منذرون لكن لمّا شابهت صورتها صورة الحال أُدْخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف (۵) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ اى وما يستأخرون عنه وتذكيرُ ضمير امّة فيه للحمل على المعنى (۶) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ نادَوْا به النبىّ صلعم على التهكّم الا ترى الى ما نادَوه له وهو قولهم إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ونظير ذلك قول فرعونَ انّ رسولكم الّذى أُرْسل اليكم لمجنون والمعنى انّك لتقول قولَ المجانين حين تدّعى انّ اللّه نزّل عليك الذكر اى القران (۷) لَوْمَا تَأْتِينَا ركّب لَوْ مع مَا كما ركّبت مع لا لمعنيَيْن امتناعِ الشىء لوجود غيره والتحضيض بِالْمَلَائِكَةِ ليصدّقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذّبة قبلُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فى دعواك (۸) مَا يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بالياء مسندا الى ضمير اسم اللّه وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تَنَزَّلُ بمعنى تتنزّل إِلَّا بِالْحَقِّ الّا تنزيلا ملتبسا بالحق اى بالوجه الّذى قدّره واقتضته حِكمته ولا حِكمةَ فى ان تأتيكم بصور تشاهدونها فانّه لا يزيدكم الّا لَبْسا ولا فى معاجلتكم بالعقوبة فانّ منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحى او العذاب وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ اذًا جواب لهم وجزاء لشرط مقدّر اى ولو نزّلنا الملائكة ما كانوا منظرين (۹) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ردٌّ لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكّده من وجوه وقرّره بقوله وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ اى من التحريف والزيادة والنقص بأن جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل الدين او نفى تطرّق الخلل اليه فى الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يُطعن فيه بانّه المنزّل له وقيل الضمير فى له للنبىّ صلعم (۱۰) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِى شِيَعِ الْأَوَّلِينَ فى فِرَقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتّفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه وأصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد بها الكبار والمعنى نبّأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم (۱۱) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبىّ صلعم ، وما للحال لا يدخل الّا مضارعا بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية (۱۲) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ نُدخله فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ والسَلك ادخال الشىء فى الشىء كالخيط فى المخيط والرمح فى المطعون ، والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انّه تعالى يوجد الباطلَ فى قلوبهم وقيل للذكر فانّ الضميرَ الآخَرَ فى قوله (۱۳) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نَسلك الذكر فى قلوب المجرمين مكذّبا غير مؤمَن به او بيان للجملة المتضمّنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع اليه ولا يتعيّن ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافى كونها

مفسّرة للمعنى الاوّل بل يقوّيه وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ اى سُنّة اللّه فيهم بأن خذلهم وسلك الكفر فى جزء ١٤
قلوبهم او باهلاك من كذّب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكّة (١٤) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم اى على هؤلاء ركوع ١
المقترحين بَابًا مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين
لما يرون او يصعد الملائكة وهم يشاهدونهم (١٥) لَقَالُوا من غلوّهم فى العناد وتشكيكهم فى الحقّ
إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا سُدّت من الابصار بالسحر من السَّكْر ويدلّ عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او
حُيّرت منَ السُكْر ويدلّ عليه قراءة من قرأ سَكِرَتْ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ قد سحرنا محمّد بذلك كما
قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالةٌ على البتّ بانّ ما يرونه لاحقيقةَ له بل
هو باطل خُيّل اليهم بنوع من السحر (١٦) وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا اثنى عشر مختلفة الهيآت ركوع ٢
والخواصّ على ما دلّ عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وَزَيَّنَّاهَا بالاشكال والهيآت البهيّة لِلنَّاظِرِينَ
المعتبرين المستدلّين بها على قدرة مُبْدِعها وتوحيد صانعها (١٧) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ
فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس الى اهلها ويتصرّف فى امرها ويطّلع على احوالها (١٨) إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ
بدل من كلّ شيطان ، واستراق السمع اختلاسه سرّا شبّه به حفظتهم اليسيرة من قُطّان السموات بما
بينهم من المناسبة فى الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عبّاس انّهم
كانوا لا يُحْجَبون عن السموات فلمّا وُلد عيسى عم مُنعوا من ثلاث سموات فلمّا ولد محمّد عم منعوا
من كلّها بالشُهُب ولا يقدح فيه تكوّنها قبل المولد لجواز أن يكون لها اسباب أُخر وقيل الاستثناء
منقطع اى ولكن من استرق السمع فَأَتْبَعَهُ فتبعه ولحقه شِهَابٌ مُبِينٌ ظاهر للمُبْصِرين ، والشهابُ شُعْلةُ
نار ساطعة وقد يُطْلَق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق (١٩) وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا بسطناها
وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِىَ جبالا ثوابت وَأَنْبَتْنَا فِيهَا فى الارض او فيها وفى الجبال مِنْ كُلِّ شَىْءٍ مَوْزُونٍ مقدّر
بمقدار معيّن تقتضيه حكمته او مستحسَن مناسب من قولهم كلام موزون او ما يُوزَن ويُقدَّر او له
وزنٌ فى ابواب النعمة والمنفعة (٢٠) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ
مَعائش بالهمزة على التشبيه بشمائل وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ عطف على معايش او على محلّ لكم ويريد
به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنّون انّهم يرزقونهم ظنّا كاذبا فانّ اللّه يرزقهم وايّاهم وفذلكةُ
الآيةِ الاستدلالُ بجعل الارض ممدودةً بمقدار وشكل معيّنَيْن مختلفةَ الاجزاء فى الوضع محدَثةً فيها انواعُ
النبات والحيوان المختلفةُ خِلْقةً وطبيعةً مع جوازِ أن لا تكون كذلك على كمال قدرته وتناهى حكمته
والتفرّد فى الوهيّته والامتنانُ على العباد بما انعم عليهم فى ذلك ليوحّدوه ويعبدوه ثمّ بالغ فى ذلك وقال
(٢١) وَإِنْ مِنْ شَىْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ اى وما من شىء الّا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه أضعافَ ما
وُجِد منه فضربُ الخزائن مثلا لاقتداره او شبّه مقدوراته بالاشياء المخزونة الّتى لا يُحْوِج اخراجُها

جزء ١٤ الى كلفة واجتهاد وَمَا نُنَزِّلُهُ من بقاع القدرة إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ حدّه الحكمة وتعلّق به المشيئة فانّ
ركوع ٢ تخصيص بعضها بالايجاد فى بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بدّ له من مخصّص حكيم
(٢٢) وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ حوامل شبّه الريح الّتى جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبّه ما لا يكون كذلك بالعقيم او مُلْقِحاتٍ للشجر او السحابَ ونظيره الطوائح بمعنى المُطيحات فى قوله • ومختبِط ممّا تُطيح الطوائح • وقرئ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيحَ على تأويل الجنس فَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ فجعلناه لكم سُقْيَا وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ قادرين متمكّنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين فى الغُدْران والعيون والآبار وذلك ايضا يدلّ على المدبّر الحكيم كما يدلّ حركة الهواء فى بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فانّ طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دون حدّ لا بدّ له من سبب مخصّص (٢٣) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي بايجاد الحيوة فى بعض الاجسام القابلة لها وَنُمِيتُ بازالتها وقد أُوّل الحيوة بما يعمّ الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر وَنَحْنُ ٱلْوَارِثُونَ الباقون اذا مات الخلائق كلّها (٢٤) وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَأْخِرِينَ من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعدُ او من تقدّم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تأخّر لا يخفى علينا شىء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فانّ ما يدلّ على قدرته دليل على علمه وقيل رغّب رسول اللّه صلعم على الصفّ الاوّل فازدحموا عليه فنزلت وقيل انّ امرأة حسناء كانت تصلّى خلف رسول اللّه صلعم فتقدّم بعض القوم لئلّا ينظر اليها وتأخّر بعض ليبصرها فنزلت (٢٥) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ لا محالة للجزاء ، وتوسيط الضمير للدلالة على انّه القادر والمتولّى لحشرهم لا غيرُ ، وتصدير الجملة بانّ لتحقيق الوعد والتنبيه على انّ ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدلّ على صحّة الحكم كما صرّح به
ركوع ٣ بقوله إِنَّهُ حَكِيمٌ باهر الحكمة متقن فى افعاله عَلِيمٌ وسع علمه كلّ شىء (٢٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ من طين يابس يصلصل اى يصوّت اذا نُقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صلّ مِنْ حَمَإٍ طين تغيّر واسودّ من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اى كائن من حمإ مَسْنُونٍ مصوّر من سُنّة الوجه او مصبوب لييبس ويتصوّر كالجواهر المذابة تُصَبّ فى القوالب من السّنّ وهو الصبّ كانّه افرغ الحمأ فصوّر منها تمثال انسان اجوف فيبس حتّى اذا نُقر صلصل ثمّ غيّر ذلك طَوْرا بعد طور حتّى سوّاه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فانّ ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمّى سَنينا (٢٧) وَٱلْجَآنَّ ابا الجنّ وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لانّ تشعّب الجنس لمّا كان من شخص واحد خُلق من مادّة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها ، وانتصابه بفعل يفسّره خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ من قبل خلق الانسان مِنْ نَارِ ٱلسَّمُومِ من نار الحرّ الشديد النافذ فى المسامّ ولا يمتنع خلق الحيوة فى الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها فى

جزء ١٤ ركوع ٣

الجواهر المجرّدة فضلا عن الاجساد المؤلّفة الّتى الغالب فيها الجزء النارىّ فانّها اقبل لها من الّتى الغالب فيها الجزء الارضىّ وقولُه من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة اللّه سبحانه وبيانِ بدء خلق الثَّقَلَيْن فهو للتنبيه على المقدّمة الثانية الّتى يتوقّف عليها امكان الحشر وهو قبول الموادّ للجمع والاحياء (٢٨) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ واذكر وقتَ قوله لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَالِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٩) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ عدّلت خلقته وهيّأته لنفخ الروح فيه وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى حتّى جرى آثاره فى تجاويف اعضائه فحيى وأصلُ النفخ اجراء الريح فى تجويف جسم آخر ولمّا كان الروح يتعلّق اوّلا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوّة الحيوانيّة فيسرى حاملا لها فى تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعليقَهُ بالبدن نفخا ، واضافة الروح الى نفسه لما مرّ فى النساء فَقَعُوا لَهُۥ فاسقطوا له سَٰجِدِينَ امر من وقع يقع (٣٠) فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ اكّد بتأكيدين للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص وقيل اكّد بالكلّ للاحاطة وباجمعين للدلالة على انّهم سجدوا مجتمعين دفعةً وفيه نظرٌ اذ لو كان الامر كذلك كان الثانى حالا لا تأكيدا (٣١) إِلَّآ إِبْلِيسَ إن جُعل منقطعا اتّصل به قوله أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ اى ولكن ابليس ابى وان جُعل متّصلا كان استينافا على انّه جوابُ سائل قال هلّا سجد (٣٢) قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ اىّ غرض لك فى ان لا تكون مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ لآدم (٣٣) قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ اللام لتأكيد النفى اى لا يصحّ منّى وينافى حالى ان اسجد لِبَشَرٍ جسمانىّ كثيف وانا مَلَك روحانىّ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ وهو اخسّ العناصر وخلقتنى من نار وهى اشرفها استنقص آدم عم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف (٣٤) قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا من السماء او الجنّة او زُمَر الملائكة فَإِنَّكَ رَجِيمٌ مطرود من الخير والكرامة فانّ من يُطْرَد يُرْجَم بالحجر او شيطان يُرْجَم بالشُهُب وهو وعيد يتضمّن الجواب عن شبهته (٣٥) وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ هذا الطرد والابعادَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ فانّه منتهى امد اللعن فانّه يناسب أيّام التكليف ومنه زمان الجزاء وما فى قوله فأذّن مؤذّن بينهم انّ لعنة اللّه على الظالمين بمعنى آخر يُنْسَى عنده هذه وقيل انّما حدّ اللعن به لانّه ابعدُ غاية يضربها الناس او لانّه يعذّب فيه بما يُنْسَى اللعن معه فيصير كالزائل (٣٦) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ فأخّرنى والفاء متعلّقة بمحذوف دلّ عليه فاخرج منها فانّك رجيم إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ اراد ان يجد فُسْحة فى الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاوّل دون الثانى (٣٧) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (٣٨) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ المسمّى فيه اجَلُك عند اللّه او انقراض الناس كلّهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايّام الثلاثة يومَ القيامة واختلافُ العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبّر عنه اوّلا بيوم الجزاء لما عرفتَ وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه فى

جزء ۱۴ الكاملين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعلّه يموت اوّل اليوم ويبعث مع الخلائق فى تضاعيفه ، وهذه
ركوع ۳ المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدلّ على منصب ابليس لانّ خطاب اللّه له على سبيل الاهانة والاذلال (۳۹) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي الباء للقسم وما مصدريّة وجوابه لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ والمعنى اقسم باغوائك ايّاى لازيّننّ لهم المعاصى فى الدنيا الّتى هى دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفى انعقاد القسم بافعال اللّه خلافٌ وقيل للسببيّة ، والمعتزلة اوّلوا الاغواء بالنسبة الى الغىّ او التسبّب له بأمره ايّاه بالسجود لآدم عم او بالاضلال عن طريق الجنّة واعتذروا عن امهال اللّه له وهو سببٌ لزيادة غيّه وتسليطٌ له على اغواء بنى آدم بانّ اللّه تعالى علم منه وممّن تبعه انّهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل ام لم يمهل وأنّ فى امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضَعْفُ ذلك لا يخفى على ذوى الالباب وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ولأحملنّهم اجمعين على الغواية (۴۰) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ اخلصتهم لطاعتك وطهّرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر فى كلّ القرآن اى الّذين اخلصوا نفوسهم للّه تعالى (۴۱) قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ حقّ علىّ ان اراعيه مُسْتَقِيمٌ لا انحراف عنه ، والاشارة الى ما تضمّنه الاستثناء وهو تخليص المخلَصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انّه طريق علىّ يؤدّى الى الوصول الىّ من غير اعوجاج وضلال ، وقرئ عَلِيٌّ من عُلُوّ الشرف (۴۲) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ تصديقٌ لابليس فيما استثناه وتغييرُ الوضع لتعظيم المخلصين ولانّ المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيبٌ له فيما اوهم انّ له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فانّ منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الّا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاوّل يدفع قولَ مَنْ شرط أن يكون المستثنى اقلّ من الباقى لافضائه الى تناقض الاستثنائين (۴۳) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ لموعد الغاوين او المتّبعين أَجْمَعِينَ تأكيد للضمير او حال والعاملُ فيها الموعد إن جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة إن جعلته اسم مكان فانّه لا يعمل (۴۴) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ يدخلون منها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنّم ثمّ لظى ثمّ الحُطَمة ثمّ السعير ثمّ سقر ثمّ الجحيم ثمّ الهاوية ولعلّ تخصيص العدد لانحصار مجامع المُهْلِكات فى الركون الى المحسوسات ومتابعةِ القوّة الشهويّة والغضبيّة او لانّ اهلها سبع فرق لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ من الأتباع جُزْءٌ مَقْسُومٌ أُفْرِز له فأعلاها للموحّدين العُصاة والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين ، وقرأ ابو بكر جُزُءٌ بالتثقيل وقرئ جُزٌّ على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاء ثمّ الوقف عليه بالتشديد ثمّ اجراء الوصل مجرى الوقف ، ومنهم حال منه او من المستكنّ فى الظرف لا فى مقسوم لانّ الصفة لا
ركوع ۴ تعمل فيما تقدّم موصوفها (۴۵) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ من اتّباعه فى الكفر والفواحش فانّ غيرها مكفّرة فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ

لكلّ واحد جنّةٌ وعين او لكلّ عدّةٌ منهما لقوله ولمن خاف مقام ربّه جنّتان ثمّ قوله ومن دونهما جنّتان وقوله مَثَلُ الجنّة الّتى وُعد المتّقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية، وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام وَعُيُونٍ وَٱلْعُيُونِ بضمّ العين حيث وقع والباقون بكسر العين (٤٦) آدْخُلُوهَا على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انّه ماض فلا يكسر التنوين بِسَلَامٍ سالمين او مسلّما عليكم آمِنِينَ من الآفة والزوال (٤٧) وَنَزَعْنَا فى الدنيا بما الّف بين قلوبهم او فى الجنّة بتطييب نفوسهم مَا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ حقد كان فى الدنيا وعن علىّ رضه أَرْجُو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنّة ومراتب القرب إِخْوَانًا حال من ضمير فى جنّات او فاعل ادخلوها او الضمير فى آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانّه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقرّ فى على سرر (٤٨) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير فى متقابلين وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ فانّ تمام النعمة بالخلود (٤٩) نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٥٠) وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له، وفى ذكر المغفرة دليلٌ على انّه لم يرد بالمتّقين من يتّقى الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفى توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفى عطف (٥١) وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرٰهِيمَ على نبّئ عبادى تحقيقٌ لهما بما يعتبرون به (٥٢) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا اى نسلّم عليك سلاما او سلّمنا سلاما قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ خائفون وذلك لانّهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانّهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقّع ما تكره (٥٣) قَالُوا لَا تَوْجَلْ وقرئ لَا تَاْجَلْ ولا تُوجَلْ من اوجله ولا تُوَاجَلْ من واجله بمعنى اوجله إِنَّا نُبَشِّرُكَ استيناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل فانّ المبشّر لا يُخاف منه وقرأ حمزة نَبْشُرُكَ بفتح النون والتخفيف من البَشر بِغُلَامٍ هو اسحق لقوله وبشّرناه باسحق عَلِيمٍ اذا بلغ (٥٤) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَى أَنْ مَسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ تعجّبٌ من ان يولد له مع مسّ الكبر ايّاه او انكارٌ لأن يبشّر به فى مثل هذه الحال وكذا قوله فَبِمَ تُبَشِّرُونَ اى فبأىّ اعجوبة تبشّرون او فبأىّ شىء تبشّرون فانّ البشارة بما لا يُتصوّر وقوعه عادةً بشارة بغير شىء، وقرأ ابن كثير بكسر النون مشدّدةً فى كلّ القران على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية ونافع بكسرها مخفّفة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالةً بابقاء نون الوقاية وكسرها على الياء (٥٥) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِٱلْحَقِّ بما يكون لا محالة او باليقين الّذى لا لَبْسَ فيه او بطريقة هى حقّ وهو قول الله وأمره فَلَا تَكُنْ مِنَ ٱلْقَانِطِينَ من الآيسين من ذلك فانّه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فانٍ وعجوز عاقر وكان

جزء ١٤ استعجاب ابرهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا ٱلضَّالُّونَ
ركوع ٤ ٱلْمُخْطِئُونَ طريقَ المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة اللّه وكمال علمه وقدرته كما قال تعالى لا ييأس من
رَوْحِ اللّه الّا القوم الكافرون ، وقرأ ابو عمرو والكسائيّ يَقْنِطُ بالكسر وقرئ بالضمّ وماضيهما قَنَطَ
بالفتح (٥٧) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ اى فما شأنكم الّذى أُرْسلتم لأجله سوى البشارة ولعلّه
علم انّ كمال المقصود ليس البشارة لانّهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى
بالواحد فى بشارة زكريّاء ومريم او لانّهم بشّروه فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام
المقصود لابتدءوا بها (٥٨) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ يعنى قوم لوط (٥٩) إِلَّا آلَ لُوطٍ ان كان استثناء
من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيّد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير فى مجرمين كان متّصلا والقوم
والارسال شاملَيْن للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انّا ارسلنا الى قوم اجرم كلّهم الّا آل
لوط منهم لنهلك المجرمين وننجى آل لوط ويدلّ عليه قوله إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ اى ممّا يعذّب به
القوم وهو استيناف اذا اتّصل الاستثناء ومتّصل بآل لوط جارٍ مجرى خبر لكنّ اذا انقطع وعلى هذا
جاز ان يكون قوله (٦٠) إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاوّل لا يكون الّا من ضميرهم
لاختلاف الحُكْمَيْن اللّهمّ الّا أن يجعل انّا لمنجّوهم اعتراضا ، وقرأ حمزة والكسائيّ مخفّفا قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَابِرِينَ
الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قَدَرْنَا بالتخفيف وانّما عُلّق والتعليق من خواصّ
افعال القلوب لتضمّنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدّرنا أُجْرِى مجرى قلنا لانّ التقدير بمعنى القضاء
قولٌ وأصله جعل الشىء على مقدار غيره واسنادهم ايّاه الى انفسهم وهو فعل اللّه سبحانه وتعالى لما لهم
ركوع ٥ من القرب والاختصاص به (٦١) فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ (٦٢) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ تنكركم نفسى
وتنفر عنكم مخافة ان تطرقونى بشرّ (٦٣) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ اى ما جئناك بما تنكرنا
لأجله بل جئناك بما يَسُرّك ويشفى لك من عدوّك وهو العذاب الّذى توعّدتهم به فيمترون فيه
(٦٤) وَأَتَيْنَاكَ بِٱلْحَقِّ باليقين من عذابهم وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فيما اخبرناك به (٦٥) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ فاذهب
بهم فى الليل وقرأ الحجازيّان بوصل الالف من السُرَى وهما بمعنى وقرئ فَسِرْ من السَيْر بِقِطْعٍ مِنَ ٱللَّيْلِ
فى طائفة من الليل وقيل فى آخره قال

افتحى الباب وانظرى فى النجوم   كم علينا من قِطْعِ ليلٍ بهيم

وَٱتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطّلع على حالهم وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ لينظر ما
ورائه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلّف امرؤ فيصيبه
العذاب وقيل نُهوا عن الالتفات ليوطّنوا نفوسهم على المهاجرة وَٱمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ اى حيث امركم
اللّه بالمضىّ اليه وهو الشأم او مصر فعدّى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتّساع
(٦٦) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ اى واوحينا اليه مقضيّا ولذلك عدّى بالى ذَلِكَ ٱلْأَمْرَ مبهم تفسيره أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ

جزء ١٤ ومحلّه النصب على البدل منه وفى ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى
ركوع ٥ انّهم يستأصلون عن آخرهم حتّى لا يبقى منهم احد مُصْبِحِينَ داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء
او من الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فانّ دابر هؤلاء فى معنى مُدْبِرِى هؤلاء (٦٧) وَجَآءَ أَهْلُ
ٱلْمَدِينَةِ سدوم يَسْتَبْشِرُونَ باضياف لوط طمعا فيهم (٦٨) قَالَ إِنَّ هٰؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ بفضيحة
٥ ضيفى فانّ من أُسىء الى ضيفه فقد أُسىء اليه (٦٩) وَٱتَّقُوا ٱللّٰهَ فى ركوب الفاحشة وَلَا تُخْزُونِ ولا
تذلّونى بسببهم من الخِزْى وهو الهوان او لا تخجلونى فيهم من الخزاية وهى الحياء (٧٠) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ
عَنِ ٱلْعَالَمِينَ عن ان تُجير منهم احدا او تمنع بيننا وبينهم فانّهم كانوا يتعرّضون لكلّ احد وكان
لوط يمنعهم عنه بقدر وُسْعه او عن ضيافة الناس وانزالهم (٧١) قَالَ هٰؤُلَآءِ بَنَاتِى يعنى نساء القوم فانّ
نبىّ كلّ امّة بمنزلة ابيهم وفيه وجوهٌ ذُكرت فى هود إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قضاء الوطر او ما اقول لكم
١٠ (٧٢) لَعَمْرُكَ قسم بحيوة المخاطَب وهو النبىّ صلعم وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لَعَمْرك قسمى وهو
لغة فى العُمْر يختصّ به القسم لايثار الاخفّ فيه لانّه كثير الدور على السنتهم إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ لفى غوايتهم
او شدّة غُلْمتهم الّتى ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الّذى يشار به اليهم يَعْمَهُونَ
يتحيّرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض (٧٣) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ يعنى
صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل عم مُشْرِقِينَ داخلين فى وقت شروق الشمس (٧٤) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا
١٥ عالى المدينة او عالى قُراهم سَافِلَهَا فصارت منقلبة بهم وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ من طين متحجّر
او طين عليه كتاب من السِجلّ وقد تقدّم مزيد بيان لهذه القصّة فى سورة هود (٧٥) إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِلْمُتَوَسِّمِينَ للمتفكّرين المتفرّسين الّذين يتثبّتون فى نظرهم حتّى يعرفوا حقيقة الشىء بسمته (٧٦) وَإِنَّهَا
وانّ المدينة او القرى لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها (٧٧) إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ
بالله ورسله (٧٨) وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعث الله اليهم
٢٠ شعيبا فكذّبوه فأُهلكوا بالظُلّة ، والايكة الشجرة المتكاثفة (٧٩) فَٱنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ بالاهلاك وَإِنَّهُمَا يعنى سدوم
والايكة وقيل الايكة ومدين فانّه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احداهما منبّها على الاخرى لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ
لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتمّ به فسمّى به الطريق ومِطْمَر البنّاء واللوح لانّها ممّا يؤتمّ به
ركوع ٦ (٨٠) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ يعنى ثمود كذّبوا صالحا ومن كذّب واحدا من الرسل فكانّما
كذّب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالح ومن معه من المؤمنين ، والحجر واد بين المدينة والشام
٢٥ يسكنونه (٨١) وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ يعنى آيات الكتاب المنزل على نبيّهم او معجزاته
كالناقة وسَقْبها وشربها ودرّها او ما نصب لهم من الادلّة (٨٢) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ

جزء ١٤ ركوع ٦ من الانهدام ونَقْب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم انّ الجبال تحميهم منه (٨٣) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٤) فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعُدَد (٨٥) وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ الّا خلقا ملتبسا بالحقّ لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فينتقم اللّه لك فيها ممّن كذّبك فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملةَ الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف (٨٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّاقُ ٱلَّذى خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم ٱلْعَلِيمُ بحالك وحالهم فهو حقيق بأن تَكِل اليه ليحكم بينكم او هو ٱلّذى خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم انّ الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وأُبيّ هُوَ ٱلْخَالِقُ وهو يصلح للقليل والكثير والخلّاق يختصّ بالكثير (٨٧) وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانّهما في حكم سورة ولذلك لم يُفْصَل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الأَسْباع مِنَ ٱلْمَثَانِي بيان للسبع والمثانى من التثنية او الثناء فانّ كلّ ذلك مُثَنًّى تكرّر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مُثْنًى عليه بالبلاغة والاعجاز او مُثْنٍ على اللّه بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثانى القران او كتب اللّه كلّها فيكون مِنْ للتبعيض وَٱلْقُرْآنَ ٱلْعَظِيمَ ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عَطْف الكلّ على البعض او العامّ على الخاصّ وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر (٨٨) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ لا تطمح ببصرك طُموحَ راغب إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ اصنافا من الكفّار فانّه مستحقَر بالاضافة الى ما اوتيتَه فانّه كمال مطلوب بالذات مُفْضٍ الى دوام اللذّات وفي حديث ابى بكر رضه من اوتى القرانَ فرأى انّ احدا اوتى من الدنيا افضل ممّا اوتى فقد صغّر عظيما وعظّم صغيرا وروى انّه عم وافى بأَذْرِعات سبع قوافل ليهود بنى قُرَيْظة والنَّضير فيها انواع البزّ والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوّينا بها وانفقناها في سبيل اللّه فقال لهم لقد أُعْطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ انّهم لم يؤمنوا وقيل انّهم المتمتّعون به وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وتواضعْ لهم وارفقْ بهم (٨٩) وَقُلْ إِنِّي أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ انذركم ببيان وبرهان انّ عذاب اللّه نازل بكم ان لم تؤمنوا (٩٠) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ مثل العذاب ٱلّذى انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر ٱلّذين اقتسموا مَداخلَ مكّة أيّامَ الموسم لينفّروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم اللّه يوم بدر او الرهط ٱلّذين اقتسموا اى تقاسموا على ان يبيّتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدلّ عليه ولقد آتيناك فانّه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم ٱلّذين جعلوا القران عضين حيث قالوا عنادا

بعضه حقّ موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى سحر وشعر وكهانة جزء ۱۴
واساطير الاوّلين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على انّ القران ما يقرءونه من ركوع ٦
كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول اللّه صلعم وقوله لا تمدّنّ الى آخره اعتراضا ممدّا لهما (۹۱) ٱلَّذِينَ
جَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ عِضِينَ أجزاء جمعُ عضة وأصلها عضوة من عضّى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعْلة من
عضَهْتُه اذا بهتّه وفى الحديث لعن رسول اللّه العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضة
السحر وانّما جُمع جَمْعَ السلامة جبرا لما حذف منه ، والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره
(۹۲) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (۹۳) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ من التقسيم او النسبة الى السحر فنجازيهم
عليه وقيل عامّ فى كلّ ما فعلوا من الكفر والمعاصى (۹۴) فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ فاجهرْ به من صدع بالحجّة
اذا تكلّم بها جهارا او افرق به بين الحقّ والباطل وأصله الابانة والتمييز ، وما مصدريّة او موصولة
والراجع محذوف اى بما تؤمر به من الشرائع وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ولا تلتفت الى ما يقولون
(۹۵) إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ بقمعهم واهلاكهم وقيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن
المغيرة والعاص بن وائل وعدىّ بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطّلب يبالغون فى
ايذاء النبىّ صلعم والاستهزاء به فقال جبريل لرسول اللّه صلعم أُمرت ان اكفيكهم فأومى الى ساق
الوليد فمرّ بنبّال فتعلّق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظّما لأخذه فاصاب عرْقا فى عقبه فقطعه فمات
وأومى الى أَخْمَص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتّى صارت كالرحى ومات وأشار
الى انف عدىّ بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة
فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتّى مات والى عينَى الاسود بن عبد المطّلب فعمى
(۹۶) ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عاقبة امرهم فى الدارين (۹۷) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ
يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ من الشرك والطعن فى القران والاستهزاء بك (۹۸) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ فافزعْ
الى اللّه تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغمّ عنك او فنزّهه عمّا يقولون حامدا
له على أنْ هداك للحقّ وَكُنْ مِنَ ٱلسَّاجِدِينَ من المصلّين وعنه صلعم انّه كان اذا حزبه امرٌ فزع
الى الصلوة (۹۹) وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ اى الموت فانّه متيقّنٌ لحاقه كلّ حىّ مخلوق والمعنى
فاعبده ما دمت حيّا ولا تُخلّ بالعبادة لحظةً ، عن رسول اللّه صلعم من قرأ سورة الحجر كان له من
الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمّد ◦

سُورَةُ ٱلنَّحْلِ

مكيّة غير ثلث آيات فى آخرها وآيها مائة وثمان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ١٤ (١) أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلعم من قيام الساعة او اهلاك اللّه
ركوع ٧ ايّاهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صحّ ما تقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلّصنا منه فنزلت والمعنى انّ الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقّق من حيث انّه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانّه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ تبرّأ وجلّ عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائىّ بالتاء على وَفْق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على انّ الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روى انّه نزلت اتى امر اللّه فوثب النبىّ صلعم ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه (٢) يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ بالوحى او القران فانّه يحيى به القلوب الميّتة بالجهل او يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وذكره عقيبَ ذلك اشارة الى الطريق الّذى به علم الرسول ما يحقّق توعّدهم به ودنوّه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو يُنْزِلُ من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تَنَزَّلُ بمعنى تتنزّل وقرأ ابو بكر تُنَزَّلُ على المضارع المبنىّ للمفعول من التنزيل مِنْ أَمْرِهِۦ بأمره او من اجله عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ان يتّخذه رسولا أَنْ أَنذِرُوٓا بأن انذروا اى اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ أنّ الشأن لا اله الّا انا او خوّفوا اهل الكفر والمعاصى بأنّه لا اله الّا انا وقوله فاتّقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود ، وأنّ مفسّرة لانّ الروح بمعنى الوحى الدالّ على القول او مصدريّة فى موضع الجرّ بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخفّفة من الثقيلة ، والآية تدلّ على أنّ نزول الوحى بواسطة الملائكة وأنّ حاصله التنبيهُ على التوحيد الّذى هو منتهى كمال القوّة العلميّة والامرُ بالتقوى الّذى هو اقصى كمال القوّة العمليّة وأنّ النبوّة عطائيّة والآيات الّتى بعدها دليل على وحدانيّته من حيث انّها تدلّ على انّه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع (٣) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدّرها وخصّصها بحكمته تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ منهما او ممّا يفتقر فى وجوده او بقائه اليهما وممّا لا يقدر على خلقهما ، وفيه دليل على انّه تعالى ليس من قبيل الأجرام (٤) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ جماد لا حسّ بها ولا حراك سيّالة لا تحفظ الوضع والشكل فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ منطيق مجادل مُبِينٌ للحجّة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يُحْيى العظام وهى رميم روى انّ أُبَىّ بن خلف اتى النبىّ صلعم بعظم رميم

جزء ١٤ ركوع ٧

وقال يا محمّد اترى اللّه يحيى هذا بعد ما قد رمّ فنزلت (٥) وَٱلْأَنْعَامَ الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسّره خَلَقَهَا لَكُمْ او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خُلقت لاجله وما بعده تفصيل له فِيهَا دِفْءٌ ما يدفأ به فيقى البرد وَمَنَافِعُ نسلها ودرّها وظهورها وانّما عبّر عنها بالمنافع ليتناول عوضها وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ اى تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآى او لانّ الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش وامّا الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوى او التفكّه (٦) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ زينة حِينَ تُرِيحُونَ تردّونها من مراعيها الى مُراحها بالعشىّ وَحِينَ تَسْرَحُونَ تخرجونها بالغداة الى المراعى فانّ الأفنية تتزيّن بها فى الوقتين ويَجِلّ اهلها فى اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لانّ الجمال فيها اظهر فانّها تُقبل مَلأى البطون حافلة الضروع ثمّ تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها ، وقرئ حينًا على انّ تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه (٧) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ احمالكم إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ اى ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا ان تحملوها على ظهوركم اليه إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنْفُسِ الّا بكلفة ومشقّة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شَقَّ الامر عليه وأصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانّه ذهب نصف قوّته بالتعب إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم (٨) وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ عطف على الانعام لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً اى لتركبوها وتتزيّنوا بها زينة وقيل هى معطوفة على محلّ لتركبوها وتغيير النظم لانّ الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولانّ المقصود من خلقها الركوب وامّا التزيّن بها فحاصل بالعَرَض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علّة لتركبوها او مصدرا فى موضع الحال من احد الضميرين اى متزيّنين او متزيّنا بها ، واستُدلّ به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يُقصد منه غالبا ان لا يُقصد منه غيره اصلا ويدلّ عليه انّ الآية مكّيّة وعامّة المفسّرين والمحدّثين على انّ الحُمُر الاهليّة حُرّمت عام خيبر وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ لمّا فصّل الحيوانات الّتى يُحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريّا او غير ضرورىّ اجمل غيرها ويجوز أن يكون اخبارا بانّ له من الخلائق ما لا علم لنا به وأن يراد به ما خلق فى الجنّة والنار ممّا لم يخطر على قلب بشر (٩) وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ بيانُ مستقيم الطريق الموصل الى الحقّ او اقامة السبيل وتعديلها رحمةً وفضلا او عليه قَصْد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيلٌ قَصْدٌ وقاصدٌ اى مستقيم كانّه يقصد الوجه الّذى يقصده السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال وَمِنْهَا جَائِرٌ حائد عن القصد او عن اللّه وتغيير الاسلوب لانّه ليس بحقّ على اللّه ان يبيّن طرق الضلالة او لانّ المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انّما جاء بالعَرَض ، وقرئ وَمِنْكُمْ جَائِرٌ اى عن القصد وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ اى ولو

جزء ١٤ ركوع ٨ شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هدايةً مستلزمةً للاهتداء (١٠) هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ من السحاب او من جانب السماء مَآءً لَكُم مِّنْهُ شَرَابٌ ما تشربونه ولَكُم صلة انزل او خبر شراب ومِنْ تبعيضيّة متعلّقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لانّ مياه العيون والآبار منه لقوله سبحانه فسَلَكَهُ ينابيعَ وقوله فأسْكنّاه فى الارض وَمِنْهُ شَجَرٌ ومنه يكون شجر يعنى الشجر الّذى ترعاه المواشى وقيل كلّ ما نبت على الارض شجر قال

يَعْلِفها اللحمَ اذا عزّ الشَجَرْ والخيلُ فى إطعامها اللحمَ ضَرَرْ

فِيهِ تُسِيمُونَ ترعون من سامت الماشيةُ وأسامها صاحبُها وأصلُه السُومة وهى العلامة لانّها تؤثّر بالرعى علامات (١١) يُنبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ وبعضَ كلّها اذ لم ينبت فى الارض كلّ ما يمكن من الثمار ولعلّ تقديم ما يُسام فيه على ما يؤكل منه لانّه سيصير غذاء حيوانيّا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديمُ الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ على وجود الصانع وحكمته فانّ من تأمّل انّ الحبّة تقع فى الارض ويصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشقّ اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشقّ اسفلها فيخرج منه عروقها ثمّ ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كلّ منها على اجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتّحاد الموادّ ونسبة الطبائع السفليّة والتأثيرات الفلكيّة الى الكلّ عَلِمَ انّ ذلك ليس الّا بفعل فاعل مختار مقدّس عن منازعة الاضداد والانداد ولعلّ فَصْلَ الآية به لذلك (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ بأن هيّأها لمنافعكم مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ حالٌ من الجميع اى نفعكم بها حالَ كونها مسخّرات للّه خلقها ودبّرها كيف شاء او لما خُلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذانٌ بالجواب عمّا عسى ان يقال انّ المؤثّر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فانّ ذلك إنْ سُلّم فلا ريب فى انّها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بدّ لها من موجد مخصّص مختار واجب الوجود دفعًا للدَوْر والتسلسل او مصدرٌ ميمىّ جُمع لاختلاف الانواع ، وقرأ حفص وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر والشمس والقمر ايضا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ جمع الآية وذكر العقل لانّها تدلّ انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير مُحْوِجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات (١٣) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عطف على الليل اى وسخّر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ اصنافه فانّها تتخالف باللون غالبا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ انّ اختلافها فى الطباع والهيآت والمناظر ليس الّا بصنع صانع حكيم (١٤) وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ جعله بحيث تتمكّنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا هو السمك ووصفه بالطراوة لانّه ارطب

اللحوم يسرع اليه الفساد فيسارَع الى اكله ولاظهار قدرته فى خلقه عذبا طريّا فى ماء زعاق وتمسّك به مالك والثورىّ على انّ من حلف لا يأكل لحما حَنِثَ بأكل السمك وأُجيب عنه بانّ مَبْنَى الأيمان على العُرْف وهو لا يُفْهَم منه عند الاطلاق الا ترى انّ اللّه سمّى الكافر دابّة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابّة بركوبه وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا كاللؤلؤ والمرجان اى تلبس نساؤكم فأُسند اليهم لانّهنّ من جملتهم ولانّهنّ يتزيّنّ بها لاجلهم وَتَرَى ٱلْفُلْكَ السفن مَوَاخِرَ فِيهِ جوارى فيه تشقّه بحيزومها من المَخْر وهو شقّ الماء وقيل صوتُ جرى الفلك وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ من سعة رزقه بركوبها للتجارة وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ اى تعرفون نعمه فتقومون بحقّها ولعلّ تخصيصه بتعقيب الشكر لانّه اقوى فى باب الانعام من حيث انّه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش (١٥) وَأَلْقَى فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ جبالا رواسى أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ كراهةَ ان تميل بكم وتضطرب وذلك لانّ الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كُرة حقيقيّة بسيطة الطبع وكان من حقّها ان تتحرّك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرّك بأدنى سبب للتحريك فلمّا خُلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجّهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد الّتى تمنعها عن الحركة وقيل لمّا خلق اللّه الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هى بمقرّ احد على ظهرها فأصبحت وقد أُرسيت بالجبال وَأَنْهَارًا اى وجعل فيها انهارا لانّ القى فيه معناه وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ لمقاصدكم او الى معرفة اللّه (١٦) وَعَلَامَاتٍ معالم يستدلّ بها السابلةُ من جبل وسهل وريح ونحو ذلك وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ بالليل فى البرارى والبحار ، والمراد بالنجم الجنس ويدلّ عليه انّه قرئ بِٱلنُّجُمِ بضمّتين وضمّة وسكون على الجمع وقيل الثريّا والفرقدان وبناتُ نَعْش والجَدْى ، ولعلّ الضمير لقريش لانّهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء فى مسايرهم بالنجوم ، واخراج الكلام عن سَنَن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانّه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزمُ لهم واوجبُ عليهم (١٧) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرّد بخلق ما عدّد من مُبْدَعاته لأن يساويه ويستحقّ مشاركته ما لا يقدر على خلق شىء من ذلك بل على ايجاد شىء ما وكان حقّ الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنّه عكس تنبيها على انّهم بالاشراك باللّه جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كلّ ما عُبد من دون اللّه مغلّبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى اولى العلم لانّهم سمّوها آلهة ومن حقّ الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكانّه قيل انّ من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بما لا عِلْمَ عنده أَفَلَا تَذَكَّرُونَ فتعرفوا فساد ذلك فانّه لجلائه كالحاصل للعقل الّذى يحضر عنده بأدنى تذكّر والتفات (١٨) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجّة على تفرّده باستحقاق العبادة

جزء ١٤ تنبيها على انّ وراء ما عدّد نعما لا تنحصر وانّ حقّ عبادته تعالى غير مقدور إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ حيث
ركوع ٨ يتجاوز عن تقصيركم فى اداء شكرها رَّحِيمٌ لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها
(١٩) وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار
العلم بعد تزييفه باعتبار القدرة (٢٠) وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ اى والآلهة الّذين تعبدونهم من
دونه وقرأ عاصم ويعقوب يَدْعُونَ بالياء لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا لمّا نفى المشاركة بين من ٥
يخلق ومن لا يخلق بيّن انّهم لا يخلقون شيئا لينتج انّهم لا يشاركونه ثمّ اكّد ذلك بأن اثبت
لهم صفات تُنافى الألوهيّة فقال وَهُمْ يُخْلَقُونَ لانّهم ذوات مُمْكِنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله
ينبغى ان يكون واجب الوجود (٢١) أَمْوَاتٌ هم اموات لا يعتريهم الحيوة او اموات حالا وَمَآلا غَيْرُ أَحْيَآءٍ
بالذات ليتناول كلّ معبود والاله ينبغى ان يكون حيّا بالذات لا يعتريه الممات وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٢) أَيَّانَ
يُبْعَثُونَ ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عَبَدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغى ١٠
ركوع ٩ ان يكون عالما بالغيوب مقدّرا للثواب والعقاب ، وفيه تنبيه على انّ البعث من توابع التكليف (٢٣) إِلَٰهُكُمْ
إِلَٰهٌ وَاحِدٌ تكرير للمدّعى بعد اقامة الحجج فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ
بيانٌ لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحقّ وذلك عدمُ ايمانهم بالآخرة فانّ المؤمن بها يكون طالبا
للدلائل متأمّلا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكارُ قلوبهم ما لا يُعْرَف الّا
بالبرهان اتّباعا للأسلاف وركونا الى المألوف فانّه ينافى النظر والاستكبارُ عن اتّباع الرسول وتصديقه ١٥
والالتفات الى قوله والاوّل هو العمدة فى الباب ولذلك رتّب عليه ثبوت الآخرين (٢٤) لَا جَرَمَ حقّا
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ فيجازيهم وهو فى موضع الرفع بجَرَمَ لانّه مصدر او فعل (٢٥) إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ فضلا عن الّذين استكبروا عن توحيده او اتّباع رسوله (٢٦) وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ
القائل بعضهم على التهكّم او الوافدون عليهم او المسلمون قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ اى ما تدّعون نزوله
او المنزّل اساطير الاوّلين وانّما سمّوه منزلا على التهكّم او على الفرض اى على تقدير انّه منزل فهو اساطير ٢٠
الاوّلين لا تحقيق فيه والقائلون قيل هم المقتسمون (٢٧) لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ اى قالوا
ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فانّ اضلالهم نتيجة رسوخهم فى الضلال وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ
يُضِلُّونَهُم وبعض اوزار ضلال من يضلّونهم وهو حصّة التسبّب بِغَيْرِ عِلْمٍ حال من المفعول اى يضلّون من
لا يعلم انّهم ضُلّال وفائدتها الدلالة على انّ جَهْلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميّزوا بين
ركوع ١٠ الحقّ والمبطل أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ بئس شيئا يزرونه فعلهم (٢٨) قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ اى سوّوا ٢٥
منصوبات ليمكروا بها رُسُلَ ٱللَّهِ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فأتاها امره من جهة العُمُد الّتى بنوا

جزء ١٤ ركوع ١٠

عليها بأن ضعضعت فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وصار سبب هلاكهم وَأَتَاهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ لا يحتسبون ولا يتوقّعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصّد امر السماء فاهبّ اللّه الريح فخرّ عليه وعلى قومه فهلكوا (٢٩) ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ يذلّهم او يعذّبهم بالنار كقوله تعالى ربّنا انّك من تدخل النار فقد اخزيته وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِىَ اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم ٱلَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ تعادون المؤمنين فى شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقّوننى فانّ مشاقّة المؤمنين كمشاقّة اللّه قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ اى الانبياء والعلماء الّذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقّونهم ويتكبّرون عليهم او الملائكة إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ الذلّة والعذاب عَلَى ٱلْكَافِرِينَ وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لأن يكون لطفا لمن سمعه (٣٠) ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء فى التاء، وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ظَالِمِى أَنْفُسِهِمْ بأن عرّضوها للعذاب المخلّد فَأَلْقَوُا ٱلسَّلَمَ فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت مَا كُنَّا قائلين ما كنّا نَعْمَلُ مِنْ سُوٓءٍ كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على انّ المراد به القول الدالّ على الاستسلام بَلَى اى فتجيبهم الملائكة بلى إِنَّ ٱللّٰهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اوّل من لم يجوّز الكذب يومئذ ما كنّا نعمل من سوء بأنّا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الرادّ عليهم هو اللّه تعالى او اولو العلم (٣١) فَٱدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ كلّ صنف بابها المعدّ له وقيل ابواب جهنّم اصناف عذابها خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ جهنّم (٣٢) وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا يعنى المؤمنين مَا ذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا اى انزل خيرا وفى نصبه دليل على انّهم لم يتلعثموا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى انّ احياء العرب كانوا يبعثون ايّام الموسم من يأتيهم بخبر النبىّ صلعم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ مكافأة فى الدنيا وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ اى ولثوابهم فى الآخرة خير منها وهو عدة للّذين اتّقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انّه منتصب بقالوا وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ دار الآخرة فحذف لتقدّم ذكرها وقوله (٣٣) جَنَّاتُ عَدْنٍ خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ من انواع المشتهيات، وفى تقديم الظرف تنبيه على انّ الانسان لا يجد جميع ما يريده الّا فى الجنّة كَذٰلِكَ يَجْزِى ٱللّٰهُ ٱلْمُتَّقِينَ مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيّد الوجه الاوّل (٣٤) ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى

جزء ١٤ لانّه فى مقابلة ظالمى انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة ايّاهم بالجنّة او طيّبين بقبض ارواحهم ركوع ١٠ لتوجّه نفوسهم بالكلّيّة الى حضرة القدس يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لا يحيقكم بعد مكروه ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ حين تُبعثون فانّها مُعدّة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفّى وفاة الحشر لانّ الامر بالدخول حينئذ (٣٥) هَلْ يَنْظُرُونَ ما ينتظر الكفّار المارّ ذكرهم إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائىّ بالياء أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ القيامة او العذاب المستأصل كَذٰلِكَ مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فاصابهم ما اصابوا وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللّٰهُ بتدميرهم وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بكفرهم ومعاصيهم المؤدّية اليه (٣٦) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا اى جزاء سيّآت اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ واحاط بهم جزاؤه والحيق ركوع ١١ لا يستعمل الّا فى الشرّ (٣٧) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ ٱللّٰهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ انّما قالوا ذلك استهزاء او منعا للبعثة والتكليف متمسّكين بانّ ما شاء اللّه يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجّين بانّها لو كانت مستقبحة لما شاء اللّه صدورها عنهم ولشاء خلافه مُلجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كَذٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فأشركوا باللّه وحرّموا حلّه وردّوا رسله فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ الّا الابلاغ الموضح للحقّ وهو لا يؤثّر فى هُدى مَن شاء اللّه هُداه لكنّه يؤدّى اليه على سبيل التوسّط وما شاء اللّه وقوعه انّما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدّرها له ثمّ بيّن انّ البعثة امرٌ جرت به السُنّة الالهيّة فى الامم كلّها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادةً لضلال من اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانّه ينفع المزاج السوىّ ويقوّيه ويضرّ المنحرف ويُفنيه بقوله (٣٨) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللّٰهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّاغُوتَ يأمر بعبادة اللّه واجتناب الطاغوت فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى ٱللّٰهُ وفّقهم للايمان بارشادهم وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَالَةُ اذ لم يوفّقهم ولم يُرد هُداهم ، وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على انّ تحقّق الضلال وثباته بفعل اللّه وارادته من حيث انّه قسيمُ من هدى اللّه وقد صرّح به فى الآية الاخرى فَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ يا معشر قريش فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ من عاد وثمود وغيرهم لعلّكم تعتبرون (٣٩) إِنْ تَحْرِصْ يا محمّد عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ ٱللّٰهَ لَا يَهْدِى مَنْ يُضِلُّ من يريد ضلاله وهو المعنىّ بمن حقّت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيّين لا يُهْدَى على البناء للمفعول وهو ابلغ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ من ينصرهم بدفع العذاب عنهم (٤٠) وَأَقْسَمُوا بِٱللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللّٰهُ مَنْ يَمُوتُ عطف على وقال الّذين اشركوا ايذانا بانّهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادةً فى

البتّ على فساده ولقد ردّ اللّه عليهم ابلغ ردّ فقال بَلَى يبعثهم وَعْدًا مصدر مؤكّد لنفسه وهو ما دلّ جزء ١٤
عليه بَلَى فانّ يبعث موعد من اللّه عَلَيْهِ انجازه لامتناع الخُلْف فى وعده او لانّ البعث مقتضى حكمته ركوع ١١
حَقًّا صفة اخرى للوعد وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ انهم يُبْعَثون امّا لعدم علمهم بانّه من مواجب الحكمة الّتى جرت عادته بمراعاتها وامّا لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهّمون امتناعه ثمّ انّه تعالى بيّن الامرين فقال (٤١) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ اى يبعثهم ليبيّن لهم ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وهو الحقّ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَاذِبِينَ فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعى الى البعث المقتضى له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحقّ والباطل والمحقّ والمبطل بالثواب والعقاب ثمّ قال (٤٢) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ وهو بيان امكانه وتقريره انّ تكوين اللّه بمحض قدرته ومشيئته لا توقّف له على سبق الموادّ والمُدَد والّا لزم التسلسل فكما امكن تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادّة ومثال امكن تكوينها اعادةً بعده، ونصب ابن عامر والكسائىّ فَيَكُونَ عطفا على نقول او جوابا للامر
(٤٣) وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ هم رسول اللّه واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر ركوع ١٢
بعضهم الى الحبشة ثمّ الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذّبون بمكّة بعد هجرة رسول اللّه صلعم وهم بلال وصُهَيْب وخَبّاب وعمّار وعابس وابو جَنْدَل وسُهَيْل، وقوله فى اللّه اى فى حقّه ولوجهه لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً مباءة حسنة وهى المدينة او تبوئة حسنة وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ممّا يعجّل لهم فى الدنيا وعن عمر انّه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك اللّه لك فيه هذا ما وعدك اللّه فى الدنيا وما ادّخر لك فى الآخرة افضل لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ الضمير للكفّار اى لو علموا انّ اللّه يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اى لو علموا ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم (٤٤) ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ على الشدائد كأذى الكفّار ومفارقة الوطن ومحلّه النصب او الرفع على المدح وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ منقطعين الى اللّه مفوّضين اليه الامر كلّه (٤٥) وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ردّ لقول قريش اللّه اعظم من ان يكون رسوله بشرا اى جرت السُّنّة الالهيّة بأن لا يبعث للدعوة العامّة الّا بشرا يوحى اليه على ألسنة الملائكة والحكمةُ فى ذلك قد ذُكرت فى سورة الانعام فإن شككتم فيه فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ اهلَ الكتاب او علماء الأحبار ليعلّموكم إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وفى الآية دليل على انّه تعالى لم يرسل امرأة ولا مَلَكا للدعوة العامّة وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يُبْعَثوا الى الانبياء الّا ممثّلين بصورة الرجال وردّ بما روى انّه عم رأى جبريل عم على صورته الّتى هو عليها مرّتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يُعْلَم (٤٦) بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ اى ارسلناهم بالبيّنات والزبر اى المعجزات والكتب كانّه جوابُ قائل قال بمَ أُرْسِلوا ويجوز ان يتعلّق بما ارسلنا داخلًا فى الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الّا رجالا بالبيّنات كقولك ما ضربت الّا زيدا بالسوط او صفةً لهم اى رجالا ملتبسين بالبيّنات او بيوحى على المفعوليّة او الحالِ من القائم مقامَ فاعله على

جزء ١٤ انّ قوله فسألوا اعتراض او بلا تعلمون على انّ الشرط للتبكيت والالزام وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ اى القران
ركوع ١٣ وانّما سُمّى ذكرا لانّه موعظة وتنبيه لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ فى الذكر بتوسّط انزاله اليك ممّا أُمروا به ونُهوا عنه او ممّا تشابه عليهم والتبيين اعمّ من ان ينصّ بالمقصود او يرشد الى ما يدلّ عليه كالقياس ودليل العقل وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ وارادةَ أن يتأمّلوا فيه فيتنبّهوا للحقائق (٤٧) أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا ٱلسَّيِّئَاتِ اى المكرات السيّآت وهم الّذين احتالوا لهلاك الانبياء او الّذين مكروا رسول اللّه وراموا صدّ اصحابه عن الايمان أَنْ يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ كما خسف بقارون أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ بغتةً من جانب السماء كما فعل بقوم لوط (٤٨) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ اى متقلّبين فى مسايرهم ومتاجرهم فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٩) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ على مخافة بأن يُهلك قوما قبلهم فيتخوّفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوّفون او على ان ينقصهم شيئًا بعد شىء فى انفسهم واموالهم حتّى يهلكوا من تخوّفته اذا تنقّصته روى انّ عمر رضه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هُذَيْل فقال هذه لغتنا التخوّف التنقّص فقال هل تعرف العربُ ذلك فى أشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كثير يصف ناقته

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ منها تامكا قَرِدا كما تخوّف عُودَ النَّبْعةِ السَّفَنُ

فقال عمر عليكم بديوانكم لا تَضلّوا قالوا وما ديواننا قال شِعْرُ الجاهليّة فانّ فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة (٥٠) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِنْ شَيْءٍ استفهامُ انكار اى قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالُهم لم يتفكّروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه ، وما موصولة مُبْهَمة بيانُها يَتَفَيَّؤُ ظِلَالُهُ اى اولم ينظروا الى المخلوقات الّتى لها ظلال متفيّئة عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَائِلِ عن أيمانها وشمائلها اى عن جانبَى كلّ واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعلّ توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير فى ظلاله وجمعه فى قوله سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ وهما حالان من الضمير فى ظلاله ، والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلةُ اذا مالت لكثرة الحَمْل وسجد البعيرُ اذا طأطأ رأسه ليُرْكَب او سُجّدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير اللّه تعالى من جانب الى جانب منقادةً لما قدّر لها من التفيّؤ او واقعةً على الارض ملتصقةً بها على هيئة الساجد والاجرامُ فى انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال اللّه تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لانّ من جملتها من يَعْقل او لانّ الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمينُ الفَلَك وهو جانبه الشرقىّ لانّ الكواكب تظهر منه آخذةً فى الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربىّ المقابل له فانّ الظلال فى اوّل النهار تبتدئُ من الشرق واقعة على الرُبع الغربىّ من الارض وعند الزوال تبتدئُ من الغرب واقعة على الربع الشرقىّ من

الارض (٥١) وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمٰوٰاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ اى ينقاد انقيادا يعمّ الانقيادَ لارادته وتأثيره طَبْعا جزء ١٤ والانقيادَ لتكليفه وأمره طَوْعا ليصحّ اسناده الى عامّة اهل السموات والارض وقوله مِنْ دَابَّةٍ بيانٌ لهما لانّ ركوع ١٢ الدبيب هي الحركة الجسمانيّة سواء كانت فى ارض او سماء وَٱلْمَلَائِكَةُ عطف على المبيّن به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجرّدات على الجسمانيّات وبه احتجّ من قال انّ الملائكة ارواح مجرّدة او بيانٌ لما فى الارض والملائكةُ تكرير لما فى السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم ، وما لمّا استُعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان أَوْلَى من اطلاق مَنْ تغليبا للعقلاء وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عن عبادته (٥٢) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ، والجملة حال من الضمير فى يستكبرون او بيان له وتقرير لانّ من خاف اللّه لم يستكبر عن عبادته وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ من الطاعة والتدبير ، وفيه دليل على انّ الملائكة مكلّفون مُدارون بين الخوف والرجاء (٥٣) وَقَالَ ٱللّٰهُ لَا ركوع ١٣ تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ذكر العدد مع انّ المعدود يدلّ عليه دلالةً على انّ مساق النهى اليه او ايماء بانّ الاثنينيّة تنافى الالهيّة كما ذكر الواحد فى قوله إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ للدلالة على انّ المقصود اثبات الوحدانيّة دون الالهيّة او للتنبيه على انّ الوحدة من لوازم الالهيّة فَإِيَّايَ فَٱرْهَبُونِ نقلٌ من الغيبة الى التكلّم مبالغةً فى الترهيب وتصريحا بالمقصود كانّه قال فأنا ذلك الإله الواحد فايّاى فارهبون لا غيرُ (٥٤) وَلَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوٰاتِ وَٱلْأَرْضِ خلقا وملكا وَلَهُ ٱلدِّينُ اى الطاعة وَاصِبًا لازما لما تقرّر من انّه الاله وحده والحقيق بأن يُرْهَب منه وقيل واصبا من الوَصَب اى وله الدين ذا كُلْفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر أَفَغَيْرَ ٱللّٰهِ تَتَّقُونَ ولا ضارّ سواه كما لا نافع غيره كما قال (٥٥) وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ ٱللّٰهِ اى وأىُّ شىء اتّصل بكم من نعمة فهو من اللّه وما شرطيّة او موصولة متضمّنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فانّ استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانّها من اللّه لا لحصولها منه ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ فما تتضرّعون الّا اليه والجُؤار رفع الصوت فى الدعاء والاستغاثة (٥٦) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ وهم كفّاركم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عامّا فان كان خاصّا بالمشركين كان مِنْ للبيان كانّه قال اذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون مِنْ للتبعيض على ان يُعْتبر بعضهم كقوله تعالى فلمّا نجّاهم الى البرّ فمنهم مقتصد (٥٧) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ من نعمة الكشف عنهم كانّهم قصدوا بشركهم كفرانَ النعمة او انكارَ كونها من اللّه فَتَمَتَّعُوا امرُ تهديد فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ أَغْلَظ وعيده وقرئ فيُمَتَّعوا مبنيّا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللامُ لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب (٥٨) وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ اى لآلهتكم الّتى لا عِلْمَ لها لانّها جماد فيكون الضمير لما او الّتى لا يعلمونها فيعتقدون فيها

جزء ١٤ جهالات مثلَ أنّها تنفعهم وتشفع لهم على انّ العائد الى مَا محذوفٌ او لجهلهم على انّ مَا مصدريّة ركوع ١٣ والمجعول له محذوف للعلم به نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ من الزروع والانعام تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ من انّها آلهة حقيقة بالتقرّب اليها وهو وعيد لهم عليه (٥٩) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَاتِ كانت خُزاعةُ وكنانةُ يقولون الملائكة بنات اللّه سُبْحَانَهُ تنزيه له من قولهم او تعجّب منه وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ يعنى البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على انّ الجعل بمعنى الاختيار وهو وإن افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنّه لا يبعد تجويزه فى المعطوف (٦٠) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِٱلْأُنْثَى أُخْبِر بولادتها ظَلَّ وَجْهُهُ صار او دام النهارَ كلّه مُسْوَدًّا من الكآبة والحياء من الناس واسودادُ الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وَهُوَ كَظِيمٌ مملوء غيظا على المرأة (٦١) يَتَوَارَى مِنَ ٱلْقَوْمِ يستخفى منهم مِنْ سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِ من سوء المبشّر به عُرفا أَيُمْسِكُهُ محدّثا نفسه متفكّرا فى ان يتركه عَلَى هُونٍ ذلّ أَمْ يَدُسُّهُ فِى ٱلتُّرَابِ اى يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ مَا وقرئ بالتأنيث فيهما أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محلّه عندهم (٦٢) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ صفة السوء وهى الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهنّ خشيةَ الاملاق وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَى وهو الوجوب الذاتىّ والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ المتفرّد بكمال القدرة

ركوع ١٤ والحكمة (٦٣) وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِمْ بكفرهم ومعاصيهم مَا تَرَكَ عَلَيْهَا على الارض وانّما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابّة عليها مِنْ دَآبَّةٍ قطّ بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجُعَلُ يهلك فى جُحره بذنب ابن آدم او من دابّة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى سمّاه لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ بل هلكوا او عُذّبوا حـ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكون كلّهم ظالمين حتّى الانبياء لجواز أن يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم (٦٤) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ اى ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء فى الرئاسة والاستخفاف بالرسل وأراذل الاموال وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ مع ذلك وهو أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ اى عند اللّه كقوله ولئن رجعتُ الى ربّى إنّ لى عنده لَلحسنى وقرئ ٱلْكُذُبُ جمع كَذوب صفة للألسنة لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ ردٌّ لكلامهم واثباتٌ لضدّه وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ مقدَّمون الى النار من افرطته فى طلب الماء اذا قدّمته وقرأ نافع بكسر الراء على انّه من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرّطته فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى

جزء ١٤ الطاعات (٦٥) تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فأصرّوا على قبائحها
ركوع ١٤ وكفروا بالمرسلين فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ اى فى الدنيا وعبّر باليوم عن زمانها او فهو وليّهم حين كان يزيّن
لهم او يومَ القيامة على انّه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز أن يكون الضمير لقريش اى زيّن
الشيطان للكفرة المتقدّمين اعمالهم وهو وليّ هؤلاء اليومَ يغرّهم ويُغويهم وأن يقدّر مضاف اى فهو وليّ
امثالهم ، والوليّ القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فى القيامة
(٦٦) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ للناس ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا فِيهِ من التوحيد والقَدَر واحوال المعاد
واحكام الافعال وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ معطوفان على محلّ لتبيّن فانّهما فعلا المُنْزِل بخلاف التبيين
(٦٧) وَٱللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا انبت فيها انواع النبات بعد يُبْسها إِنَّ فِى
ركوع ١٥ ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سماعَ تدبّر وانصاف (٦٨) وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً دلالةً يُعْبَر بها من الجهل الى
العلم نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بُطُونِهِ استيناف لبيان العبرة وانّما ذكّر الضمير ووحّده ههنا للّفظ وأنّثه فى سورة المؤمنين للمعنى فانّ الأنعام اسمُ جمع ولذلك عدّه سيبويه فى المُفْرَدات المبنيّة على أَفْعَال كأخلاق وأكياش ومن قال انّه جمعُ نَعَمٍ جعل الضمير للبعض فانّ اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فانّ المراد به الجنس ، وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نَسْقِيكُمْ بالفتح مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا فانّه يُخْلَق من بعض اجزاء الدم المتولّد من الاجزاء اللطيفة الّتى فى الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام فى الكرش وعن ابن عبّاس رضه انّ البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعلّه إن صحّ فالمراد انّ اوسطه يكون مادّة اللبن واعلاه مادّة الدم الّذى يغذّى البدن لانّهما لا يتكوّنان فى الكرش بل الكبد تجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش وتُبْقى ثُفْله وهو الفرث ثمّ تمسكها ريثما تهضمها هضما ثانيا فتُحْدث اخلاطا اربعة معها مائيّة فتميّز القوّة المميّزة تلك المائيّة بما زاد على قدر الحاجة من المرّتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثمّ توزّع الباقى على الاعضاء بحسبها فتُجرى الى كلّ حقّه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثمّ ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اوّلا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصبّ ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيضّ بمجاورة لحومها الغُدديّة البيض فيصير لبنا ومَنْ تدبّر صُنْعَ اللّه فى إحداث الاخلاط والالبان واعداد مقارّها ومجاريها والاسباب المولّدة لها والقوى المتصرّفة فيها كلّ وقت على ما يليق به اضطُرّ الى الاقرار بكمال حكمته وتناهى رحمته ، ومن الاولى تبعيضيّة لانّ اللبن بعض ما فى بطونها والثانية ابتدائيّة كقولك سُقيت من الحوض لانّ بين الفرث والدم المحلّ الّذى يبتدئ منه الاسقاء وهى متعلّقة بنسقيكم او حال من لبنا قُدّم عليه لتنكيره وللتنبيه على انّه موضع العِبْرة خالصًا صافيا لا يستصحب لون

جزء ١٤ الدم ولا رائحة الفرث او مصفّى عمّا يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ

ركوع ١٥ سهل المرور فى حلقهم وقرئ سَيِّغًا بالتشديد والتخفيف (٦٩) وَمِنْ ثَمَرَاتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَابِ متعلّق بمحذوف اى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرها وقولُه تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا استيناف لبيان الاسقاء او بتتّخذون ومِنْهُ تكرير للظرف تأكيدا او خبرٌ لمحذوف صفتُه تتّخذون اى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمرٌ تتّخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاوّلين لانّه للمضاف المحذوف الّذى هو العصير او لانّ الثمرات بمعنى الثمر ، والسَّكَر مصدر سُمّى به الخمر وَرِزْقًا حَسَنًا كالتمر والزبيب والدبس والخلّ والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالّة على كراهتها والّا فجامعة بين العتاب والمنّة وقيل السكر النبيذ وقيل الطُعْم قال • جَعَلْتَ أَعْرَاضَ الكِرامِ سَكَرا • اى تنقّلت بأعراضهم وقيل ما يسدّ الجوع من السَكْر فيكون الرزق ما يحصل من أثمانه إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يستعملون عقولهم بالنظر والتأمّل فى الآيات (٧٠) وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ألهمها وقذف فى قلوبها وقرئ ٱلنَّحَلِ بفتحتين أَنِ ٱتَّخِذِى بأن اتّخذى ويجوز ان تكون مفسّرة لانّ فى الايحاء معنى القول ، وتأنيث الضمير على المعنى فانّ النحل مذكّر مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ذكر بحرف التبعيض لانّها لا تبنى فى كلّ جبل وكلّ شجر وكلّ ما يعرش من كرم او سقف ولا فى كلّ مكان منها وانّما سمّى ما تبنيه لتتعسّل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحّة القسمة الّتى لا يقوى عليها حُذّاق المهندسين الّا بآلات وانظار دقيقة ولعلّ ذكره للتنبيه على ذلك ، وقرئ بِيُوتًا بكسر الباء وقرأ ابن عامر وابو بكر يَعْرُشُونَ بضمّ الراء (٧١) ثُمَّ كُلِى مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ من كلّ ثمرة تشتهينها مُرّها وحُلوها فَٱسْلُكِى ما اكلتِ سُبُلَ رَبِّكِ فى مسالكه الّتى يُحيل فيها بقدرته النَّوْرَ المُرَّ عسلا من أَجْوافك او فاسلكى الطرق الّتى الهمك فى عمل العسل او فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربّك لا تتوعّر عليك ولا تلتبس ذُلُلًا جمعُ ذَلول وهى حال من السبل اى مذلّلةً ذلّلها اللّه وسهّلها لك او من الضمير فى اسلكى اى وانتِ ذُلُلٌ منقادة لما أُمرتِ به يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا كانّه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانّه محلّ الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شَرَابٌ يعنى العسل لانّه ممّا يُشْرَب ، واحتجّ به من زعم انّ النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل فى باطنها عسلا ثمّ تَقِىء ادّخارا للشتاء ومن زعم انّها تلتقط بافواهها اجزاء طَلّيّة حلوة صغيرة متفرّقة على الاوراق والازهار وتضعها فى بيوتها ادّخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شىء كثير منها كان العسل فسّر البطون بالافواه مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سنّ النحل والفصل فِيهِ شِفَآءٌ لِلنَّاسِ امّا بنفسه كما فى الامراض البلغميّة او مع غيره كما فى سائر الامراض اذ قلّ ما يكون معجونٌ الّا والعسل جزءٌ منه مع انّ التنكير فيه مُشْعِر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن

قتادة انّ رجلا جاء الى رسول اللّه صلعم فقال انّ اخى يشتكى بطنَه فقال اسْقِه العسل فذهب ثمّ جزء ١٤
رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق اللّه وكذب بطن اخيك فسقاه ركوع ١٥
فشفاه اللّه فبرأ فكانّما أُنْشط من عقال وقيل الضمير للقران او لما بيّن اللّه من احوال النحل
اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فانّ من تدبّر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال
العجيبة حقّ التدبّر عَلِمَ قطعا انّه لا بدّ له من خالق قادر حكيم يُلْهمها ذلك ويحملها عليه
(٧٢) وَٱللّٰهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفّٰاكُمْ بآجال مختلفة وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ يعاد اِلَى أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ اخسّه يعنى الهرم
الّذى يشابه الطفوليّة فى نقصان القوّة والعقل وقيل هو خمس وتسعون وقيل خمس وسبعون
لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفوليّة فى النسيان وسوء الفهم اِنَّ ٱللّٰهَ عَلِيمٌ
بمقادير اعماركم قَدِيرٌ يُميت الشابّ النشيط ويُبْقى الهرم الفانى وفيه تنبيه على انّ تفاوت آجال الناس
ليس الّا بتقدير قادر حكيم ركّب ابنيتهم وعدّل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع
لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ (٧٣) وَٱللّٰهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فمنكم غنىّ ومنكم فقير ومنكم ركوع ١٦
موالٍ يتولّون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالُهم على خلاف ذلك فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّى رِزْقِهِمْ
بمعطى رزقهم عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ على مماليكهم فانّ ما يردّون عليهم رزقُهم الّذى جعله اللّه فى
ايديهم فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ فالموالى والمماليك سواء فى انّ اللّه رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفيّة او مقرّرة لها
ويجوز ان تكون واقعة موقعَ الجواب كانّه قيل فما الّذين فضّلوا برادّى رزقهم على ما ملكت ايمانهم
فيَسْتووا فى الرزق على انّه ردّ وانكار على المشركين فانّهم يشركون باللّه بعض مخلوقاته فى الالوهيّة
ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم اللّه عليهم فيساووهم فيه أَفَبِنِعْمَةِ ٱللّٰهِ يَجْحَدُونَ حيث
يتّخذون له شركاء فانّه يقتضى ان يضاف اليهم بعض ما انعم اللّه عليهم ويجحدوا انّه من عند
اللّه او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم اللّه عليهم بايضاحها ، والباء لتضمّن الجحود معنى
الكفر ، وقرأ ابو بكر تَجْحَدُونَ بالتاء لقوله خلقكم وفضّل بعضكم (٧٤) وَٱللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
اى من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حوّاء من آدم وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ
أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً واولاد اولاد او وبنات فانّ الحافد هو المُسْرِع فى الخدمة والبنات يخدمن فى
البيوت اتمّ خدمة وقيل هم الأَخْتان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم
والعطفُ لتغايُر الوصفين وَرَزَقَكُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ من اللذائذ او الحلالات ومِنْ للتبعيض فانّ المرزوق
فى الدنيا انموذج منها أَفَبِٱلْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وهو انّ الاصنام تنفعهم او انّ من الطيّبات ما يحرم عليهم
كالبحائر والسوائب وَبِنِعْمَتِ ٱللّٰهِ هُمْ يَكْفُرُونَ حيث اضافوا نِعَمه الى الاصنام او حرّموا ما احلّ اللّه
لهم ، وتقديم الصلة على الفعل امّا للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغةً او للمحافظة على الفواصل

جزء ١٤ (٧٥) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا من مطر ونبات ، ورزقا ان
ركوع ١٦ جعلته مصدرا فشيـًٔا منصوب به والّا فبدل منه وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ان يتملّكوه او لا استطاعة لهم اصلا ، وجمعُ الضمير فيه وتوحيدُه فى لا يملك لانّ مَا مفرد فى معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفّار اى ولا يستطيع هؤلاء مع انّهم احياء متصرّفون شيـًٔا من ذلك فكيف بالجماد (٧٦) فَلَا تَضْرِبُوا لِلّٰهِ ٱلْأَمْثَالَ فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فانّ ضرب المثل تشبيه حال بحال إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ فساد ما تعوّلون عليه من القياس على انّ عبادة عَبيد الملك ادخلُ فى التعظيم من عبادته وعِظَمَ جُرْمِكم فيما تفعلون وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذلك ولو علمتموه لما اجترأتم عليه فهو تعليل للنهى او انّه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصّه ويجوز ان يراد فلا تضربوا للّه الامثال فانّه يعلم كيف تُضرَب الامثال وانتم لا تعلمون ثمّ علّمهم كيف تُضرَب فضرب مثلا لنفسه ولمن عُبد دونه فقال (٧٧) ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ مثّل ما يُشْرَك به بالمملوك العاجز عن التصرّف رأسا ومثّل نفسه بالحرّ المالك الّذى رزقه اللّه مالا كثيرا فهو يتصرّف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتجّ بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما فى الجنسيّة والمخلوقيّة على امتناع التسوية بين الاصنام الّتى هى اعجز المخلوقات وبين اللّه الغنىّ القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفّق وتقييدُ العبد بالمملوكيّة للتمييز عن الحرّ فانّه ايضا عبد للّه وبسلب القدرة للتمييز عن المُكاتب والمأذون وجعلُه قسيما للمالك المتصرّف يدلّ على انّ المملوك لا يملك والاظهر انّ مَنْ موصوفة لتطابق عبدا وجمعُ الضمير فى يستوون لانّه للجنسين فانّ المعنى هل يستوى الاحرار والعبيد ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ كلُّ الحمد له لا يستحقّه غيرُه فضلا عن العبادة لانّه مُولى النِعَم كلّها بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ فيضيفون نِعَمه الى غيره ويعبدونه لاجلها (٧٨) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ وُلد اخرس لا يَفْهَم ولا يُفْهِم لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ عيال وثقل على من يلى امره أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ حيثما يرسله مولاه فى امر وقرئ يُوَجَّهْ على البناء للمفعول ويُوَجِّهْ بمعنى يتوجّه كقوله اينما أُوَجِّهْ أَلْقَ سَعْدًا وتَوَجَّهَ بلفظ الماضى لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ بنُجْحٍ وكفايةِ مُهِمٍّ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ومن هو فَهِمٌ منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثّهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وهو فى نفسه على طريق مستقيم لا يتوجّه الى مَطْلب الّا ويبلغه بأقربِ سَعْى وانّما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانّهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثانٍ ضربه اللّه لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه
ركوع ١٧ وبينها او للمؤمن والكافر (٧٩) وَلِلّٰهِ غَيْبُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يختصّ به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بأن لم يكن محسوسا ولم يدلّ عليه محسوس وقيل يوم القيامة فانّ علمه غائب عن

اهل السموات والارض وَمَا أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ وما امر قيام القيامة فى سرعته وسهولته إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ الا كرجع جزء ١٤
الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها أَوْ هُوَ أَقْرَبُ او امره اقرب منه بان يكون فى زمان نصف تلك الحركة ركوع ١٧
بل فى الآن الذى تبتدئ فيه فانّه تعالى يحيى الخلائق دفعةً وما يوجد دفعةً كان فى آن واو للتخيير
او بمعنى بَلْ وقيل معناه انّ قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشىء الذى تقولون فيه هو
كلمح البصر او هو اقرب مبالغةً فى استقرابه إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر ان يحيى الخلائق دفعةً
كما قدر ان أحياهم متدرجا ثمّ دلّ على قدرته فقال (٨٠) وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ وقرأ
الكسائىّ بكسر الهمزة على انّه لغةٌ او إِتْباعٌ لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها فى
اهراق لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا جهّالا مستصحبين جهل الجمادية وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ آلات
تتعلّمون بها فتحسّون بمشاعركم جزئيّات الاشياء فتدركونها ثمّ تتنبّهون بقلوبكم لمشاركات
ومباينات بينها بتكرّر الاحساس حتى يتحصّل لكم العلوم البديهيّة وتتمكّنوا من تحصيل العلوم الكسبيّة
بالنظر فيها لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ كى تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه (٨١) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ
قراءة ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انّه خطاب للعامّة مُسَخَّرَاتٍ مذلّلات للطيران بما خلق لها من
الاجنحة والاسباب المؤاتية له فِي جَوِّ ٱلسَّمَاءِ فى الهواء المتباعد من الارض مَا يُمْسِكُهُنَّ فيه إِلَّا ٱللَّهُ فانّ
ثقل جسدها يقتضى سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ تسخير الطير
للطيران بأن خلقها خِلْقةً يمكن معها الطيران وخلق الجوّ بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها
فى الهواء على خلاف طبعها لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لانّهم هم المنتفعون بها (٨٢) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا
موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتّخذة من الحجر والمدر فَعَلٌ بمعنى مفعول وَجَعَلَ لَكُمْ
مِنْ جُلُودِ ٱلْأَنْعَامِ بُيُوتًا هى القباب المتّخذة من الأدم ويجوز ان يتناول المتّخذة من الوبر والصوف
والشعر فانّها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انّها من جلودها تَسْتَخِفُّونَهَا تجدونها
خفيفة يخفّ عليكم حملها ونقلها يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وقت ترحالكم وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وضعها وضربها وقت الحضر
او النزول وقرأ الحجازيّان والبصريّان يَوْمَ ظَعَنِكُمْ بالفتح وهو لغة وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا الصوف
للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانّها من جملتها أَثَاثًا ما يلبس ويفرش
وَمَتَاعًا ما يتّجر به إِلَىٰ حِينٍ الى مدّة من الزمان فانّها لصلابتها تبقى مدّة مديدة او الى حين مماتكم
او الى ان تقضوا منه اوطاركم (٨٣) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ من الشجر والجبال والابنية وغيرها ظِلَالًا
تتّقون بها حرّ الشمس وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَانًا مواضع تستكنّون بها من الكهوف والبيوت

جزء ١٤ المنحوتة فيها جمع كِنّ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ ثيابا من الصوف والكتّان والقطن وغيرها تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ
ركوع ١٧ خصّه بالذكر اكتفاء بأحد الضدّين او لانّ وقاية الحرّ كانت اهمّ عندهم وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ
يعنى الدروع والجواشن والسربال يعمّ كلّ ما يُلْبَس كَذٰلِكَ كاتمام هذه النعم الّتى تقدّمت يُتِمُّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ اى تنظرون فى نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تَسْلَمُونَ من السلامة
اى تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح
بلبس الدروع (٨٤) فَإِنْ تَوَلَّوْا اعرضوا ولم يقبلوا منك فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ فلا يضرّك فانّما عليك
البلاغ وقد بلّغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبّب (٨٥) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللّٰهِ اى يعرف المشركون
نعمه الّتى عدّدها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانّها من اللّه ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا بعبادتهم غيرَ المنعم بها
وقولهم انّها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة اللّه نبوّة محمّد
صلعم عرفوها بالمعجزات ثمّ انكروها عنادا ، ومعنى ثمّ استبعاد الانكار بعد المعرفة وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَافِرُونَ
الجاحدون عنادا ، وذكر الاكثر امّا لانّ بعضهم لم يعرف الحقّ لنقصان العقل او التفريط فى النظر
او لم يقم عليه الحجّة لانّه لم يبلغ حدّ التكليف وامّا لانّه قائم مقام الكلّ كما فى قوله بل اكثرهم لا
ركوع ١٨ يعلمون (٨٦) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا وهو نبيّها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا فى الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل فى الرجوع الى الدنيا ، وثمّ لزيادة ما يحيق بهم
من شدّة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلّىّ على ما يُمْنَوْن به من شهادة الانبياء عليهم
وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ولا هم يُسْترضون من العُتْبَى وهى الرضا ، وانتصابُ يوم بمحذوف تقديره اذكرْ او
خوّفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله (٨٧) وَإِذَا رَأَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلْعَذَابَ عذاب جهنّم
فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ العذاب وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ يمهلون (٨٨) وَإِذَا رَأَى ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ اوثانهم
الّتى دعوها شركاء او الشياطين الّذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه قَالُوا رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا
ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانّهم كانوا مخطئين فى ذلك او التماس
لأن يشطّر عذابهم فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ اى اجابوهم بالتكذيب فى انّهم شركاء للّه او
انّهم عبدوهم حقيقة وانّما عبدوا اهواءهم كقوله كلّا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق اللّه الاصنامَ
به حينئذ او فى انّهم حملوهم على الكفر والزموهم ايّاه كقوله وما كان لى عليكم من سلطان الّا ان
دعوتكم فاستجبتم لى (٨٩) وَأَلْقَوْا والقى الّذين ظلموا إِلَى ٱللّٰهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ الاستسلام لحكمه بعد
الاستكبار فى الدنيا وَضَلَّ عَنْهُمْ وضاع عنهم وبطل مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ من انّ آلهتهم ينصرونهم ويشفعون
لهم حين كذّبوهم وتبرّءوا منهم (٩٠) ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللّٰهِ بالمنع عن الاسلام والحمل على

جزء ١٤

ركوع ١٨

الكفر زِدْنَاهُمْ عَذَابًا لصدّهم فَوْقَ ٱلْعَذَابِ المستحقّ بكفرهم بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ بكونهم مفسدين بصدّهم (٩١) وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِنْ أَنْفُسِهِمْ يعنى نبيّهم فانّ نبىّ كلّ امّة بُعث منهم وَجِئْنَا بِكَ يا محمّد شَهِيدًا عَلَىٰ هٰؤُلَاءِ على امّتك وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ استيناف او حال باضمار قد تِبْيَانًا بيانا بليغا لِكُلِّ شَيْءٍ من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنّة او القياس وَهُدًى وَرَحْمَةً للجميع وانّما حرمان المحروم من تفريطه وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ خاصّة (٩٢) إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ بالتوسّط في الامور اعتقادًا كالتوحيد المتوسّط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسّط بين محض الجَبْر والقَدَر وعملًا كالتعبّد باداء الواجبات المتوسّط بين البطالة والترهّب وخُلُقًا كالجود المتوسّط بين البخل والتبذير وَٱلْإِحْسَانِ احسان الطاعات وهو امّا بحسب الكمّيّة كالتطوّع بالنوافل او بحسب الكيفيّة كما قال عم الاحسان ان تعبد اللّه كانّك تراه فإن لم تكن تراه فانّه يراك وَإِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ

ركوع ١٩

واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ عن الافراط في متابعة القوّة الشهويّة كالزنا فانّه اقبح احوال الانسان واشنعها وَٱلْمُنْكَرِ ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوّة الغضبيّة وَٱلْبَغْيِ والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبّر عليهم فانّها الشيطنة الّتى هي مقتضى القوّة الوهميّة ، ولا يوجد من الانسان شرّ الّا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسّط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضه هي اجمعُ آيةٍ في القران للخير والشرّ وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القران غيرُ هذه الآية لصدق عليه انّه تبيان لكلّ شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعلّ ايرادها عقيبَ قوله ونزّلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يَعِظُكُمْ بالامر والنهى والميز بين الخير والشرّ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ تتّعظون (٩٣) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ يعنى البيعة لرسول اللّه صلعم على الاسلام لقوله تعالى انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون اللّه وقيل كلّ امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله إِذَا عَاهَدْتُمْ وقيل النذور وقيل الأيمان باللّه وَلَا تَنْقُضُوا ٱلْأَيْمَانَ أيمان البيعة او مطلق الأيمان بَعْدَ تَوْكِيدِهَا توثيقها بذكر اللّه ومنه أكّد بقلب الواو همزة وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا شاهدا بتلك البيعة فانّ الكفيل مراعٍ لحال المكفول به رقيب عليه إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ من نقض الايمان والعهود (٩٤) وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا ما غزلته مصدر بمعنى المفعول مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ متعلّق بنقضت اى نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام أَنْكَاثًا طاقات نَكَثَتْ فَتْلَها جمعُ نِكْث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعولِ الثانى لنقضت فانّه بمعنى صيّرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنها وقيل ريطة بنت سعد بن تيم القرشيّة فانّها كانت خرقاء تفعل ذلك تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجارّ الواقع موقع الخبر اى ولا تكونوا متشبّهين بامرأة هذا شأنها

جزء ١٤ متّخذين ايمانكم مَفْسَدَةً ودخلا بينكم وأصلُ الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ
ركوع ١٩ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ بأن تكون جماعةٌ ازيدَ عَددا واوفرَ مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلّتهم او لكثرة منابذيهم وقوّتهم كقريش فانّهم كانوا اذا رأوا شوكةً فى اعادى حُلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِ الضمير لأن تكون امّة لانّه بمعنى المصدر اى يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسّكون بحبل الوفاء بعهد اللّه وبيعة رسول اللّه ام تغترّون بكثرة قريش وشوكتهم وقلّة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للرباء وقيل للامر بالوفاء وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب (٩٥) وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً متّفقة على الاسلام وَلٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَآءُ بالخذلان وَيَهْدِى مَنْ يَشَآءُ بالتوفيق وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ سؤالَ تبكيت ومجازاة (٩٦) وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ تصريح بالنهى عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغةً فى قبح المنهىّ فَتَزِلَّ قَدَمٌ اى عن محجّة الاسلام بَعْدَ ثُبُوتِهَا عليها والمراد أقدامهم وانّما وحّد ونكّر للدلالة على انّ زلل قدم واحدة عظيم فكيف بأقدام كثيرة وَتَذُوقُوا ٱلسُّوٓءَ العذاب فى الدنيا بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ بصدودكم عن الوفاء او صدّكم غيركم عنه فانّ من نقض البيعة وارتدّ جعل ذلك سُنّة لغيره وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فى الآخرة (٩٧) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ ولا تستبدلوا عهد اللّه وبيعة رسوله صلعم ثَمَنًا قَلِيلًا عَرَضا يسيرا وهو ما كانت قريش يَعِدون لضعفاء المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد إِنَّمَا عِنْدَ ٱللَّهِ من النصر والتغنيم فى الدنيا والثواب فى الآخرة هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ممّا يعدونكم إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ان كنتم من اهل العلم والتمييز (٩٨) مَا عِنْدَكُمْ من اعراض الدنيا يَنْفَدُ ينقضى ويفنى وَمَا عِنْدَ ٱللَّهِ من خزائن رحمته بَاقٍ لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على انّ نعيم اهل الجنّة باقٍ وَلَيَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ على الفاقة واذى الكفّار او على مشاقّ التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بما يرجح فعلُه من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسنَ من اعمالهم (٩٩) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بيّنه بالنوعين دفعا للتخصيص وَهُوَ مُؤْمِنٌ اذ لا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب وانّما المتوقّع عليها تخفيف العقاب فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً فى الدنيا يعيش عيشا طيّبا فانّه ان كان مُوسرا فظاهرٌ وان كان مُعْسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقّع الاجر العظيم فى الآخرة بخلاف الكافر فانّه ان كان معسرا فظاهرٌ وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنّأ بعيشه وقيل فى الآخرة وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من الطاعة (١٠٠) فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى

الصلوة فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ فأسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلّا يوسوسك فى القراءة جزء ١٤
والجمهورُ على انّه للاستحباب وفيه دليل على انّ المصلّى يستعيذ فى كلّ ركعة لانّ الحكم المرتّب على ركوع ١٩
شرط يتكرّر بتكرّره قياسا وتعقيبُه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذانٌ بانّ الاستعاذة عند القراءة
من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول اللّه صلعم فقلت اعوذ باللّه السميع العليم من
الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح
المحفوظ (١٠١) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ تسلّط وولاية عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ على اوليائه
المؤمنين به والمتوكّلين عليه فانّهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الّا فيما يحتقرون على
ندور وغفلة ولذلك أُمروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلّا يُتوهّم منه انّ له سلطانا
(١٠٢) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ يحبّونه ويطيعونه وَٱلَّذِينَ هُمْ بِهِ باللّه او بسبب الشيطان
مُشْرِكُونَ (١٠٣) وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما ركوع ٢٠
وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ من المصالح فلعلّ ما يكون مَصْلَحة فى وقت يصير مَفْسَدة بعده فينسخه وما لا
يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو يُنْزِلُ بالتخفيف
قَالُوا اى الكفرة إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ متقوّل على اللّه تأمر بشىء ثمّ يبدو لك فتنهى عنه وهو جوابُ اذا
واللّه اعلم بما ينزّل اعتراض لتوبيخ الكفّار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حكمةَ الأحكام ولا يميّزون الخطاء من الصواب (١٠٤) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ يعنى
جبريل واضافةُ الروح الى القدس وهو الطُهْر كقولهم حاتم الجُودِ وقرأ ابن كثير رُوحُ ٱلْقُدْسِ بالتخفيف ،
وفى ينزّل ونزّله تنبيه على انّ انزاله مدرّجا على حسب المصالح ممّا يقتضى التبديل مِنْ رَبِّكَ بِٱلْحَقِّ
ملتبسا بالحكمة لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا على الايمان بانّه كلامه فانّهم اذا سمعوا الناسخ وتدبّروا ما فيه من
رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنّت قلوبهم وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ المنقادين لحكمه
وهما معطوفان على محلّ ليثبّت اى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم ،
وقرئ لِيُثْبِتَ بالتخفيف (١٠٥) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ يعنون جبرا الرومىّ غلام عامر
ابن الحضرمىّ وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكّة ويقرآن التورية والانجيل وكان الرسول
يمرّ عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حُوَيْطب بن عبد العُزّى قد اسلم وكان صاحب كُتُب
وقيل سلمان الفارسىّ لِسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ لغةُ الرجل الّذى يُميلون قولَهم عن الاستقامة
اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائىّ يَلْحَدُونَ بفتح الياء والحاء لسانٌ اعجمىٌّ غير بيّن
وَهَذَا القران لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل
وجهين احدهما انّ ما سمعه منه كلام اعجمىّ لا يفهمه هو ولا انتم والقران عربىّ تفهمونه بأدنى تأمّل

جزء ١٤ فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه
ركوع ٢٠ اللفظ لان ذلك اعجمى وهذا عربى والقران كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع
ان العلوم الكثيرة التى فى القران لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق فى تلك العلوم مدة متطاولة
فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقى سمع منه بعض اوقات مروره عليه كُلَيْمات اعجمية لعلهما لم
يعرفا معناها وطعنهم فى القران بأمثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم (١٠٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ لا يصدقون انها من عند الله لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل
الى الجنة وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فى الآخرة هددهم على كفرهم بالقران بعد ما اماط شبهتهم وردّ طعنهم فيه
ثم قلب الامر عليهم فقال (١٠٧) إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ لانهم لا يخافون
عقابا يردعهم عنه وَأُولَٰئِكَ اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هُمُ ٱلْكَاذِبُونَ اى الكاذبون على الحقيقة
او الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظمُ الكذب او الذين
عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون فى قولهم انما انت مفترٍ انما يعلمه بشر
(١٠٨) مَنْ كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او
من الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز أن ينتصب بالذم وأن
يكون مَنْ شرطية محذوفة الجواب إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة
يعم القول والعقد كالايمان وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَانِ لم يتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو
التصديق بالقلب وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا اعتقده وطاب به نفسا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ اذ لا اعظم من جرمه روى ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد
فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة فى قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا
وهما اول قتيلين فى الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال
كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسولَ الله وهو يبكى
فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك إن عادوا لك فعُدْ لهم بما قلتَ وهو دليل على جواز التكلم
بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يُتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روى ان مسيلمة
اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فىّ قال انت ايضا فخلّاه وقال
للآخر ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فىّ قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله
فبلغ رسولَ الله صلعم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له
(١٠٩) ذَٰلِكَ اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ بسبب انهم
آثروها عليها وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ اى الكافرين فى علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا

يعصمهم عن الزيغ (١١٠) أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ فأبت عن ادراك الحقّ جزء ١٤
والتأمّل فيه وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ الكاملون فى الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبّر العواقب ركوع ٢٠
لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ اذ ضيّعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلّد
(١١١) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا اى عذّبوا كعمّار بالولاية والنصر وثُمّ لتباعد حال
٥ هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فَتَنُوا بالفتح اى من بعد ما عذّبوا المؤمنين كالحضرمىّ أكره
مولاه جبرا حتّى ارتدّ ثمّ اسلما وهاجرا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا على الجهاد وما اصابهم من المشاقّ إِنَّ رَبَّكَ
مِنْ بَعْدِهَا من بعد الهجرة والجهاد والصبر لَغَفُورٌ لما فعلوا قبلُ رَحِيمٌ يُنْعم عليهم مجازاةً على ما صنعوا
بعدُ (١١٢) يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ منصوب برحيم او باذكرْ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا تجادل عن ذاتها وتسعى فى ركوع ١٦
خلاصها لا يهمّها شأنُ غيرها فتقول نفسى نفسى وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ جزاء ما عملت وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
١٠ لا يُنْقَصون اجورهم (١١٣) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً اى جعلها مثلا لكلّ قوم انعم اللّه عليهم فابطرتْهم النعمة
فكفروا فانزل اللّه بهم نقمته او لمكّة كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً لا يزعج اهلَها خوفٌ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا اقواتها رَغَدًا
واسعا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ من نواحيها فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ بنعمه جمعُ نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدِرْع
وأدْرُع او جمعُ نُعْم كبُؤس وأبْؤس فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ استعار الذوقَ لادراك اثر الضرر
واللباسَ لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثيّر

١٥ غَمْرُ الرداء اذا تبسّم ضاحكا غَلِقتْ لضَحْكته رِقابُ المال

فانّه استعار الرداء للمعروف لانّه يصون عِرْضَ صاحبه صونَ الرداء لما يُلْقى عليه واضاف اليه الغمر الّذى
هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد يُنْظَر الى المستعار كقوله

ينازعنى رِدائى عبدُ عمرو رُوَيْدَكَ يا اخا عمرو بن بكر
لِىَ الشَّطْرُ الّذى ملكتْ يمينى ودُونَكَ فاعتجرْ منه بشطر

٢٠ استعار الرداء لسيفه ثمّ قال فاعتجر نظرا الى المستعار بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بصنيعهم (١١٤) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ
رَسُولٌ مِنْهُمْ يعنى محمّدا صلعم والضمير لاهل مكّة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مَثَلهم فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ
ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ اى حالَ التباسهم بالظلم والعذابُ ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر
(١١٥) فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ امرهم بأكل ما احلّ اللّه لهم وشُكْرِ ما انعم
عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهدّدهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الّذى حلّ بهم صدّا

جزء ١٤ ركوع ٢١ لهم عن صنيع الجاهليّة ومذاهبها الفاسدة إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ تطيعون او ان صحّ زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته (١١٦) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ لمّا امرهم بتناول ما احلّ لهم عدّد عليهم محرّماته ليُعلَم انّ ما عداها حلّ لهم ثمّ اكّد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال (١١٧) وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانّما حَصْرُ المحرّمات فى الاجناس الاربعة الّا ما ضمّ اليها دليلٌ كالسباع والحمر الاهليّة ، وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلّق بتصف على ارادة القول اى ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعولٌ لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدريّة اى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحرّموا ولا تحلّلوا بمجرّد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصفُ السنتهم الكذب مبالغةٌ فى وصف كلامهم بالكذب كأنّ حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرّفها بكلامهم هذا ولذلك عُدّ من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر ، وقرئ ٱلْكَذِبِ بالجرّ بدلا من مَا وَٱلْكُذُبُ جمع كَذُوب او كِذَاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذمّ او بمعنى الكلم الكواذب لِّتَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ تعليل لا يتضمّن الغرض إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ لمّا كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نَفَى عنهم الفلاح وبيّنه بقوله (١١٨) مَتَاعٌ قَلِيلٌ اى ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعةٌ قليلةٌ تنقطع عن قريب وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فى الآخرة (١١٩) وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الّذين هادوا حرّمنا كلّ ذى ظفر مِن قَبْلُ متعلّق بقصصنا او بحرّمنا وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ بالتحريم وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانّه كما يكون للمضرّة يكون للعقوبة (١٢٠) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ بسببها او ملتبسين بها ليعمّ الجهلَ بالله وبعقابه وعدمَ التدبّر فى العواقب لغلبة الشهوة ، والسوء يعمّ الافتراء على الله وغيره ثُمَّ تَابُوا مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا من بعد التوبة لَغَفُورٌ لذلك السوء رَّحِيمٌ يثيب على الانابة (١٢١)

ركوع ٢٢ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الّا مفرّقةً فى اشخاص كثيرة كقوله

ليس من اللّه بمستنكر ... أَنْ يَجمع العالَمَ فى واحد

وهو رئيس الموحّدين وقدوة المحقّقين الّذى جادل فِرَق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقّب ذكره تزييفَ مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوّة وتحريم ما احلّه

جزء ١٤ او لانّه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفّارا وقيل هو فُعْلة بمعنى مفعول كالرُحْلة والنُخْبة من
ركوع ٢٣ أَمَّهُ اذا قصده او اقتدى به فانّ الناس كانوا يؤمّونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله انّى جاعلك
للناس اماما قَانِتًا لِلَّهِ مطيعا له قائما بأوامره حَنِيفًا مائلا عن الباطل وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ كما
زعموا فانّ قريشا كانوا يزعمون انّهم على ملّة ابرهيم (١٢١) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ذكر بلفظ القلّة للتنبيه على
٥ انّه كان لا يُخلّ بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة ٱجْتَبَاهُ للنبوّة وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فى الدعوة
الى اللّه (١٢٢) وَآتَيْنَاهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً بأن حبّبه الى الناس حتّى انّ ارباب الملل يتولّونه ويثنون عليه
ورزقه اولادا طيّبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ لمن اهل الجنّة كما سأله
بقوله وألحقنى بالصالحين (١٢٣) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يا محمّد، وثمّ امّا لتعظيمه والتنبيه على انّ اجلّ ما
اوتى ابرهيم اتّباعُ الرسول عم ملّته او لتراخى ايّامه أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا فى التوحيد والدعوة اليه
١٠ بالرفق وايراد الدلائل مرّةً بعد اخرى والمجادلة مع كلّ احد على حسب فهمه وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ بل
كان قدوة الموحّدين (١٢٤) إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ تعظيم السبت والتخلّى فيه للعبادة عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ
اى على نبيّهم وهم اليهود أمرهم موسى عم ان يتفرّغوا للعبادة يوم الجمعة فأبوا وقالوا نريد يوم السبت
لانّه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فألزمهم اللّه السبت وشدّد الامر عليهم وقيل معناه انّما جُعل
وبال السبت وهو المسخ على الّذين اختلفوا فيه فأحلّوا الصيد فيه تارة وحرّموه اخرى واحتالوا له
١٥ الحِيَل وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية الّتى كفرت بأنعم اللّه وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كلّ فريق بما يستحقّه (١٢٥) أدْعُ
من بُعثتَ اليهم إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ الى الاسلام بِٱلْحِكْمَةِ بالمقالة المُحْكَمة وهو الدليل الموضح للحقّ المزيح
للشبهة وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ والخطابات المُقْنعة والعِبَر النافعة فالاولى لدعوة خواصّ الامّة الطالبين للحقائق
والثانية لدعوة عوامّهم وَجَٰدِلْهُمْ وجادل معانديهم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ بالطريقة الّتى هى احسن طرق
٢٠ المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدّمات الّتى هى اشهر فانّ ذلك انفع فى تسكين لَهَبهم
وتليين شَغَبهم إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ اى انّما عليك البلاغ والدعوة
وأمّا حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل اللّه اعلم بالضالّين والمهتدين وهو المجازى لهم
(١٢٦) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ لمّا امره بالدعوة وبيّن طُرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك
المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فانّ الدعوة لا تنفكّ عنه من حيث انّها تتضمّن رفض العادات
٢٥ وترك الشهوات والقَدْح فى دين الأسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انّه عم رأى حمزة رضه وقد
مُثّل به فقال واللّه لئن اظفرنى اللّه بهم لأمثّلنّ بسبعين مكانك فنزلت فكفّر عن يمينه، وفيه دليلٌ على
انّ للمقتصّ ان يماثل الجانى وليس له ان يجاوز وحثٌّ على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على

*

جزء ١٤ الوجه الآكد بقوله وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ اى الصبر خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ من الانتقام للمنتقمين ثمّ صرّح بالامر به
ركوع ٢٣ لرسوله لانّه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال (١٢٨) وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ الّا بتوفيقه
وتثبيته وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ على الكافرين او على المؤمنين وما فُعل بهم وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ
فى ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير فِى ضِيقٍ هنا وفى النمل وهما لغتان كالقَوْل والقِيل ويجوز ان
يكون الضَّيْق تخفيف ضَيِّق إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ المعاصى وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ فى اعمالهم
بالولاية والفضل او مع الّذين اتّقوا الله بتعظيم امره والّذين هم محسنون بالشفقة على خلقه ، عن النبىّ
صلعم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها او ليلة
كان له من الاجر كالّذى مات واحسن الوصيّة ٭

سُورَةُ بَنِى إِسْرَائِيلَ

مكيّة وقيل الّا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وآيها مائة واحدى عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ١٥ (١) سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا سبحان اسمٌ بمعنى التسبيح الّذى هو التنزيه وقد يُستعمل عَلَما له
ركوع ١ فيُقطع عن الاضافة ويُمنع الصرف قال

قد قلتُ لمّا جاءنى فَخْرُه سبحانَ مِن علقمةَ الفاخر

وانتصابه بفعل متروك إظهارُه وتصديرُ الكلام به للتنزيه عن العجز عمّا ذُكر بعدُ ، وأَسْرَى وسَرَى بمعنى ،
وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدّة الاسراء ولذلك قرئ مِنَ ٱللَّيْلِ اى
بعضه كقوله ومن الليل فتهجّد به مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ بعينه لما رُوى انّه عم قال بينا انا فى المسجد
الحرام فى الحِجْر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتانى جبريل بالبُراق او من الحَرَم وسمّاه المسجد
الحرام لانّ كُلّه مسجد او لانّه محيط به او ليطابق المبدأُ المنتهى لما رُوى انّه كان نائما فى بيت امّ
هانئ بعد صلوة العشاء فأُسْرِى به ورجع من ليلته وقصّ القصّة عليها وقال مُثّل لى النبيّون فصلّيت بهم
ثمّ خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجّبوا منه استحالةً وارتدّ ناس ممّن آمن به وسعى رجال الى ابى
بكر رضه فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدّقه على ذلك قال انّى لاصدّقه على ابعد من ذلك فسُمّى
الصِّدّيق واستنعته طائفةٌ سافروا الى بيت المقدس فجُلّى له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا امّا
النعت فقد اصاب فقالوا اخبرْنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جِمالها واحوالها وقال تَقْدَم يومَ كذا مع
طلوع الشمس يَقْدُمها جمل اورق فخرجوا يشتدّون الى الثنيّة فصادفوا العير كما اخبر ثمّ لم يؤمنوا

جزء ١٥ ركوع ١

وقالوا ما هذا الّا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختُلف فى انّه كان فى المنام او فى اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انّه أُسرى بجسده الى بيت المقدس ثمّ عُرج به الى السموات حتّى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجّب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة انّ ما بين طرفَىْ قُرْص الشمس ضِعْفُ ما بين طرفَى كُرة الارض مائةً ونيّفا وستّين مرّة ثمّ انّ طرفها الاسفل يَصل موضعَ طرفها الاعلى فى اقلّ من ثانية وقد بُرْهِن فى الكلام انّ الاجسام متساوية فى قبول الأعراض وانّ اللّه قادر على كلّ الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبىّ صلعم او فيما يحمله والتعجّبُ من لوازم المعجزات إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى بيت المقدس لانّه لم يكن حينئذ وراءه مسجد ٱلَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ ببركات الدين والدنيا لانّه مَهْبط الوحى ومتعبَّد الانبياء من لدن موسى ومحفوف بالانهار والاشجار لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا كذهابه فى برهة من الليل مسيرةَ شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثُّل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم ، وصرف الكلام من الغيبة الى التكلّم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ لِيُرِيَهُ بالياء إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ لاقوال محمّد صلعم ٱلْبَصِيرُ بافعاله فيكرمه ويقرّبه على حسب ذلك (٢) وَآتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِى إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا على اى لا تتّخذوا كقولك كتبت اليه أَنِ ٱفعلْ كذا وقرأ ابو عمرو بالياء على لأن لا يتّخذوا مِنْ دُونِى وَكِيلًا ربّا تَكِلون اليه اموركم غيرى (٣) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ الّا تتّخذوا بالتاء او على انّه احدُ مفعولَىْ لا تتّخذوا ومن دونى حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتّخذوا الملائكة والنبيّين اربابا وقرئ بالرفع على انّه خبرُ محذوف او بدلٌ من واو تتّخذوا وذِرِّيّة بكسر الذال وفيه تذكير انعام اللّه عليهم فى انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح فى السفينة إِنَّهُ انّ نوحا عم كَانَ عَبْدًا شَكُورًا يحمد اللّه على مجامع حالاته وفيه ايماءٌ بانّ انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحثٌّ للذرّيّة على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عم (٤) وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ واوحينا اليهم وحيا مقضيّا مبتوتا فِى ٱلْكِتَابِ فى التورية لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ جوابُ قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مَرَّتَيْنِ افسادتين اولاهما مخالفةُ احكام التورية وقتلُ شعيا وقيل ارميا وثانيهما قتلُ زكريّا ويحيى وقصدُ قتل عيسى عم وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ولتستكبرنّ عن طاعة اللّه او لتظلمنّ الناس (٥) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا وعد عقاب اولاهما بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا بُخْتَنَصَّرَ عاملَ لُهْراسف على بابل وجنودَه وقيل جالوت الجُذَرىّ وقيل سنحاريب من اهل نينوى أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ذوى قوّة وبطش فى الحرب شديد فَجَاسُوا فتردّدوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خِلَالَ ٱلدِّيَارِ وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرّقوا التورية وخرّبوا المسجد والمعتزلة لمّا منعوا تسليط اللّه الكافرَ على ذلك اوّلوا البعث بالتخلية وعدم المنع وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا وكان وعد

جزء ١٥ عقابهم لا بدّ ان يُفعَل (٦) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ اى الدولة والغلبة عَلَيْهِمْ على ٱلّذين بُعثوا عليكم وذلك
ركوع ١ بأن القى اللّه فى قلب بَهْمَن بن اسفنديار لمّا ورث الملك من جدّه كُشْتاسف بن لُهْراسف شفقة عليهم
فردّ أُسَراءهم الى الشأم وملّك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من أتباع بُخْتُ نَصَّر او بأن
سلّط اللّه داود على جالوت فقتله وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ممّا كنتم والنفير
من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نَفَر وهم المجتمعون للذهاب الى العدوّ (٧) إِنْ أَحْسَنْتُمْ
أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ لانّ ثوابه لها وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فانّ وباله عليها وانّما ذُكر باللام ازدواجا
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ وعد عقوبة المرّة الآخرة لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ اى بعثناهم ليسوءوا وجوهكم اى
يجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اوّلا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر لِيَسُوءَ
على التوحيد والضميرُ فيه للوعد او للبعث او للّه ويعضده قراءة الكسائىّ بالنون وقرئ لِنَسُوءَنّ
بالنون والياء والنون المخفّفة والمثقّلة ولَنَسُوءَنّ بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انّه جوابُ اذا واللامُ
فى قوله وَلِيَدْخُلُوا ٱلْمَسْجِدَ متعلّق بمحذوف هو بعثناهم كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا وليُهلكوا مَا عَلَوْا
ما غلبوه واستولوا عليه او مُدّة علوّهم تَتْبِيرًا وذلك بأن سلّط اللّه عليهم الفُرْس مرّة اخرى فغزاهم
ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جُودَرز وقيل حَرْدُوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم
فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يُقْبَل منّا فقال ما صدقونى فقتل عليه أُلوفا منهم
فلم يهدأ الدم ثمّ قال ان لم تصدقونى ما تركت منكم احدا فقالوا انّه دم يحيى فقال لمثل هذا
ينتقم ربّكم منكم ثمّ قال يا يحيى قد علم ربّى وربّك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأْ باذن اللّه قبل
ان لا أُبقى منهم احدا فهدأ (٨) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ بعد المرّة الاخرى وَإِنْ عُدْتُمْ نوبة اخرى عُدْنَا
مرّة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمّد صلعم وقصد قتله فعاد اللّه بتسليطه عليهم فقتل قُرَيْظة
واجلى بنى النَّضِير وضرب الجِزْية على الباقين هذا لهم فى الدنيا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا محبسا
لا يقدرون على الخروج منها ابدَ الآباد وقيل بساطا كما يُبْسَط الحصير (٩) إِنَّ هَذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي
هِيَ أَقْوَمُ للحالة او الطريقة الّتى هى اقوم الحالات او الطرق وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠) ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ
أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وقرأ حمزة والكسائىّ وَيَبْشُرُ بالتخفيف (١١) وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا عطف على انّ لهم اجرا كبيرا والمعنى انّه يبشّر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم
ركوع ٢ او على يبشّر باضمار يخبر (١٢) وَيَدْعُ ٱلْإِنْسَانُ بِٱلشَّرِّ يدعو اللّه عند غضبه بالشرّ على نفسه واهله وماله
او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شرّ دُعَاءَهُ بِٱلْخَيْرِ مثل دعائه بالخير وَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ عَجُولًا يسارع الى
كلّ ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم فانّه لمّا انتهى الروح الى سُرّته ذهب لينهض فسقط
رُوى انّه عم دفع اسيرا الى سَوْدة بنت زَمْعة فرحمته لأنينه فأرخت كِتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد

ثمّ ندم فقال اللّهمّ انّما انا بَشَر فمن دعوت عليه فاجعلْ دعائى رحمةً له فنزلت ويجوز ان يريد جزء ١٥
بالانسان الكافرَ وبالدعاء استعجالَه بالعذاب استهزاءً كقول النضر بن الحارث اللّهمّ انصرْ خير الحِزْبَيْن ركوع ٢
اللّهمّ ان كان هذا هو الحقّ من عندك الآية فأُجيبَ له فضرب عنقه يوم بدر صَبْرا (١٣) وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ يدلّان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نَسَق واحد بإمكان غيره فَمَحَوْنَا آيَةَ ٱللَّيْلِ اى الآية الّتى هى الليل بالاشراق والاضافةُ فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وَجَعَلْنَا آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً اى مُضيئة او مُبْصِرة للناس من أَبْصَرَهُ فبَصُرَ او مُبْصِرا أَهْلَه كقولهم اجبنَ الرجلُ اذا كان اهله جُبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقديرُ الكلام وجعلنا نَيِّرَي الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوى آيتين ومحوُ آية الليل الّتى هى القمر جعلُها مظلمة فى نفسها مطموسة النور او نقصُ نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعلُ آية النهار الّتى هى الشمس مبصرة جعلُها ذات شعاع يُبْصَر الاشياء بضوءها لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ لتطلبوا فى بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصّلوا به الى استبانة اعمالكم وَلِتَعْلَمُوا باختلافهما او بحركاتهما عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وجنس الحساب وَكُلَّ شَيْءٍ تفتقرون اليه فى امور الدين والدنيا فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا بيّنّاه بيانا غير ملتبس (١٤) وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ عمله وما قُدّر له كأنّه طُيّر اليه من عُش الغيب ووَكْر القدر لمّا كانوا يتيمّنون ويتشأّمون بسُنوح الطائر وبُروحه استُعير لما هو سبب الخير والشرّ من قدر اللّه وعمل العبد فِي عُنُقِهِ لزومَ الطوق فى عنقه وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ كِتَابًا هى صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فانّ الافعال الاختياريّة تُحْدِث فى النفس احوالا ولذلك يُفيد تكريرُها لها ملكات ونصبه بانّه مفعول او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب وَيَخْرُجُ من خرج ويُخْرَجُ وقرئ وَيُخْرِجُ اى اللّه تعالى يَلْقَاهُ مَنْشُورًا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يُلَقَّاهُ على البناء للمفعول من لقّيته كذا (١٥) اقْرَأْ كِتَابَكَ على ارادة القول كَفَى بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا اى كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييزٌ وعلى صلته لانّه امّا بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حَسَبَ عليه كذا او بمعنى الكافى فوُضع موضعَ الشهيد لانّه يكفى المدّعى ما اهمّه وتذكيره على انّ الحساب والشهادة ممّا يتولّاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص (١٦) مَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا لا يُنْجى اهتداؤه غيره ولا يُرْدى ضلاله سواه وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ولا تحمل نفس حاملةٌ وزرا وزرَ نفس اخرى بل انّما تحمل وزرها وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا يبيّن الحجج ويمهّد الشرائع فنُلزمهم الحجّة وفيه دليل على انْ لا وجوب قبل الشرع (١٧) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً واذا تعلّقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدّر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدّةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا متنعّميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدلّ

جزء ١٥ ركوع ٢

على ذلك ما قبله وما بعده فانّ الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرّد فى العصيان فيدلّ على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله فَفَسَقُوا فِيهَا كقولك امرته فقرأ فانّه لا يُفْهَم منه الّا الامر بالقراءة على انّ الامر مجاز من الحمل عليه او التسبّب له بأن صبّ عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوىّ كقولك امرته فعصانى وقيل معناه كثّرنا يقال أَمَرْتُ الشىء وآمَرْتُه فَأَمِرَ اذا كثّرته وفى الحديث خير المال سكّة مأبورة ومُهْرة مأمورة اى كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيّده قراءة يعقوب آمَرْنَا ورواية أَمَّرْنَا عن ابى عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من أَمُرَ بالضمّ امارةً اى جعلناهم أُمَراء، وتخصيص المترفين لانّ غيرهم يتبعهم ولانّهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ يعنى كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم فى المعاصى فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارهم (١٨) وَكَمْ أَهْلَكْنَا وكثيرا اهلكنا مِنَ ٱلْقُرُونِ بيان لكم وتمييز له مِنْ بَعْدِ نُوحٍ كعاد وثمود وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدّم متعلّقه (١٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ مقصورا عليها همّه عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ قيّد المعجّل والمعجّل له بالمشيئة والارادة لانّه لا يجد كلّ متمنٍّ ما يتمنّاه ولا كلّ واحد جميع ما يهواه وليُعْلَم انّ الامر بالمشيئة والهمّ فضلٌ، ولمن نريد بدل من له بدل البعض، وقرئ يَشَاءُ والضمير فيه للّه حتّى يطابق المشهورة وقيل لِمَنْ فيكون مخصوصا بمن اراد اللّه به ذلك، وقيل الآية فى المنافقين كانوا يراؤون المسلمين يغزون معهم ولم يكن غرضهم الّا مساهمتهم فى الغنائم ونحوها ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا مطرودا من رحمة اللّه (٢٠) وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا حقّها من السعى وهو الاتيان بما أُمر والانتهاء عمّا نهى لا التقرّب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النيّة والاخلاص وَهُوَ مُؤْمِنٌ ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانّه العُمْدة فَأُولَٰئِكَ الجامعون للشرائط الثلاث كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا من اللّه اى مقبولا عنده مُثابا عليه فانّ شكر اللّه الثواب على الطاعة (٢١) كُلًّا اى كلّ واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نُمِدُّ بالعطاء مرّة بعد اخرى وجعل آنفه مَددا لسالفه هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ بدل من كلّا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ من مُعْطاه متعلّق بنمدّ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ممنوعا لا يمنعه فى الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضّلا (٢٢) ٱنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فى الرزق، وانتصابُ كيف بفضّلنا على الحال وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا اى التفاوت فى الآخرة اكبر لانّ التفاوت فيها بالجنّة ودرجاتها والنار ودركاتها (٢٣) لَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ الخطاب للرسول عم والمراد به امّته او لكلّ احد فَتَقْعُدَ فتصير من قولهم شحذ الشَفْرةَ حتّى قعدت كانّها حَرْبة او فتعجز من قولهم قعد عن الشىء اذا عجز

عنه مَذْمُومًا مَخْذُولًا جامعـا على نفسك الذمّ من الملائكة والمؤمنين والخذلان من اللّه ومفهومه انّ جزء ١٥
الموحّد يكون ممدوحا منصورا (٢٤) وَقَضَى رَبُّكَ وامر امرا مقطوعا به أَلَّا تَعْبُدُوا بأن لا تعبدوا إِلَّا إِيَّاهُ ركوع ٣
لانّ غاية التعظيم لا تحقّ الّا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعى الآخرة ويجوز ان
تكون أَنْ مفسّرة ولا ناهية وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وبأن تحسنوا او وأحْسنوا بالوالدين احسانا لانّهما
٥ السبب الظاهر للوجود والتعيّش ولا يجوز ان يتعلّق الباء بالاحسان لانّ صلته لا تتقدّم عليه
إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا إِمَّا هى إن الشرطيّة زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صحّ
لحوقها النونُ المؤكّدة للفعل ، وأحدهما فاعلُ يبلغنّ ويدلّ على قراءة حمزة والكسائى من الف يَبْلُغَانِّ
الراجعِ الى الوالدين ، وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا
للالف ، ومعنى عندك ان يكونا فى كنفك وكفالتك فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ فلا تتضجّر ممّا تستقذر منهما
١٠ وتستثقل من مؤنتهما وهو صوتٌ يدلّ على تضجّر وقيل اسم الفعل الّذى هو اتضجّرُ وهو مبنىّ على
الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينُه فى قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
بالفتح على التخفيف وقرئ به منوّنا وبالضمّ للاتباع كمُنْذُ منوّنا وغير منوّن ، والنهى عن ذلك يدلّ
على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الأَوْلَى وقيل عُرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير
ولذلك منع رسول اللّه صلعم حُذَيْفة من قتل ابيه وهو فى صفّ المشركين نهى عمّا يؤذيهما بعد الامر
١٥ بالاحسان بهما وَلَا تَنْهَرْهُمَا ولا تزجرهما عمّا لا يُعجبك باغلاظ قيل النهى والنهر والنهم اخوات وَقُلْ لَهُمَا
بدلَ التأفيف والنهر قَوْلًا كَرِيمًا جميلا لا شراسة فيه (٢٥) وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ تذلّلْ لهما وتواضعْ
فيهما جعل للذلّ جناحا كما جعل لبيد فى قوله

وغداة ريح قد كَشَفْتُ وقِرّة اذ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَمال زِمامُها

للشمال يدا وللقرّة زماما وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته
٢٠ الى الذلّ للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهمـا جناحك الذليل وقرئ
ٱلذِّلّ بالكسر وهو الانقياد والنعتُ منه ذلول مِنَ ٱلرَّحْمَةِ من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان
افقر خلق اللّه اليهما وَقُلْ رَبِّ ٱرْحَمْهُمَا وادعُ اللّه ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان
كانا كافرين لانّ من الرحمة ان يهديهما كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا رحمةً مثل رحمتهما علىّ وتربيتهما وارشادهما لى فى
صغرى وفاء بوعدك للراحمين رُوِىَ انّ رجلا قال لرسول اللّه صلعم انّ ابوَىَّ بلغا من الكِبَر انّى ألِى منهما
٢٥ ما وَلِيا منّى فى الصِغَر فهل قضيتُهما حقهما قال لا فانّهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبّان بقاءك وانت تفعل
ذلك وانت تريد موتهما (٢٦) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ من قصد البرّ اليهما واعتقاد ما يجب لهما من
التوقير وكانّه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ قاصدين الصلاح (٢٧) فَإِنَّهُ
كَانَ لِلْأَوَّابِينَ للتوّابين غَفُورًا ما فرط منهم عند حَرَج الصدر من اذيّة وتقصير وفيه تشديد عظيم

جزء ١٥ ويجوز ان يكون عامّا لكلّ تائب ويندرج فيه الجانى على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره
ركوع ٣ (٢٨) وَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبرّ عليهم وقال ابو حنيفة حقّهم اذا كانوا
محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذى القربى اقارب الرسول عم وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ
تَبْذِيرًا بصرف المال فيما لا ينبغى وانفاقه على وجه الاسراف واصلُ التبذير التفريق وعن النبىّ صلعم
انّه قال لسعد وهو يتوضّأ ما هذا السَرَف فقال أَوَفى الوضوء سرفٌ قال نعم وان كنت على نهر جارٍ
(٢٩) إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ ٱلشَّيَاطِينِ امثالهم فى الشرارة فانّ التضييع والاتلاف شرّ او اصدقاءهم
واتباعهم لانّهم يطيعونهمْ فى الاسراف والصرف فى المعاصى روى انّهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون
عليها ويبذّرون اموالهم فى السُمْعة فنهاهم اللّه عن ذلك وامرهم بالانفاق فى القُربات وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ
لِرَبِّهِ كَفُورًا مبالغا فى الكفر به فما ينبغى ان يطاع (٣٠) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ وان اعرضت عن ذى القربى
والمسكين وابن السبيل حياء من الردّ ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية
ٱبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا لانتظار رزق من اللّه ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل
معناه لفقد رزق من اللّه ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانّه مسبّب عنه ويجوز ان يتعلّق
بالجواب الّذى هو قوله فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا اى فقل لهم قولا ليّنا ابتغاء رحمة اللّه برحمتك عليهم باجمال
القول لهم والميسور من يُسر الأمرُ مثل سُعِد الرجل ونُحِس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور
وهو اليُسْر مثل اغناكم اللّه ورزقنا اللّه وايّاكم (٣١) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ ٱلْبَسْطِ تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذّر نهى عنهما آمرا بالاقتصاد بينهما الّذى هو الكرم
فَتَقْعُدَ مَلُومًا فتصير ملوما عند اللّه وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير مَحْسُورًا نادما او منقطعا بك
لا شىء عندك من حَسَرَه السفرُ اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسولُ اللّه صلعم اتاه صبىّ فقال انّ امّى
تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فَعُدْ الينا فذهب الى امّه فقالت قل له انّ امّى تستكسيك
الدرع الّذى عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذّن بلالٌ وانتظروه للصلوة فلم يخرج
فانزل اللّه ذلك ثمّ سلّاه بقوله (٣٢) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ يوسّعه ويضيّقه بمشيئته
التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الّا لمصلحتك إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا يعلم سرّهم
وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز أن يراد أنّ البسط والقبض من امر اللّه العالم
بالسرائر والظواهر فأمّا العباد فعليهم ان يقتصدوا او أنّه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنّوا بسُنّته
ركوع ٤ لا تقبضوا كلّ القبض ولا تبسطوا كلّ البسط وأن يكون تمهيدا لقوله (٣٣) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ
مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال
نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع

جزء ١٥ ركوع ٤

والخِطْأُ الاثم يقال خَطِئَ خِطْأً كأَثِمَ إِثْمًا وقرأ ابن عامر خَطَأً وهو اسم من اخطأ يضادّ الصواب وقيل لغة فيه كمِثْل ومَثَل وحِذْر وحَذَر وقرأ ابن كثير خِطَآءً بالمدّ والكسر وهو امّا لغة او مصدرُ خاطأ وهو وان لم يُسْمَع لكنّه جاء تخاطأ فى قوله

تخاطأه القنّاصُ حتّى وجدته وخُرْطومُه فى مَنْقَع الماء راسبُ

وهو مبنىّ عليه وقرئ خَطَآءً بالفتح والمدّ وخِطًا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا (٣٤) وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَا بالعزم والاتيان بالمقدّمات فضلا ان تباشروه إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً فعلة ظاهرة القبح زائدته وَسَآءَ سَبِيلًا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الأبضاع المؤدّى الى قطع الانساب وهيج الفتن (٣٥) وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ الّا باحدى ثلاث كُفْر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا غير مستوجب للقتل فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ للّذى يلى امره بعد وفاته وهو الوارث سُلْطَانًا تسلّطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فانّ قوله مظلوما يدلّ على انّ القتل عَمْدٌ عُدْوان فانّ الخطأ لا يسمّى ظلما فَلَا يُسْرِفْ اى القاتل فِى ٱلْقَتْلِ بأن يقتل من لا يحقّ قتله فانّ العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولىّ بالمُثْلة او قتل غير القاتل ويؤيّد الاوّل قراءة أُبَىّ فَلَا تُسْرِفُوا وقرأ حمزة والكسائىّ فَلَا تُسْرِفْ على خطاب احدهما إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا علّة النهى على الاستيناف، والضميرُ امّا للمقتول فانّه منصور فى الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفى الآخرة بالثواب وامّا لوليّه فانّ اللّه نصره حيث اوجب القصاص له وامر الوُلاة بمعونته وامّا للّذى يقتله الولىّ اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوِزْر على المسرف (٣٦) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ فضلا ان تتصرّفوا فيه إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ الّا بالطريقة الّتى هى احسن حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ غايةٌ لجواز التصرّف الّذى دلّ عليه الاستثناء وَأَوْفُوا بِٱلْعَهْدِ بما عاهدكم اللّه تعالى من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا مطلوبا يُطْلَب من العاهد ان لا يضيّعه ويفى به او مسـٔولا عنه يُسْأَل الناكثُ ويعاتَب عليه او يُسْأَل العهدُ لِمَ نُكِثْتَ تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة بأىّ ذنب قُتِلتِ فيكون تخييلا ويجوز ان يراد انّ صاحب العهد كان مسـٔولا (٣٧) وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ولا تبخسوا فيه وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ بالميزان السوىّ وهو رومىّ عُرِّب ولا يقدح ذلك فى عربيّة القران لانّ العجمىّ اذا استعملته العرب وأَجرته مجرى كلامهم فى الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيّا وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص بكسر القاف هنا وفى الشعراء ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا واحسن عاقبة تفعيلٌ من آل اذا رجع (٣٨) وَلَا تَقْفُ ولا تتبع وقرئ وَلَا تَقُفْ من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ما لم يتعلّق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتجّ به من منع اتّباع الظنّ وجوابه انّ المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سَنَد سواء كان قطعا او ظنّا واستعماله بهذا المعنى سائغ شائع وقيل انّه مخصوص بالعقائد وقيل

جزء ١٥ ركوع ٤

بالرمى وشهادة الزور ويؤيّده قوله عم من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه اللّه فى ردغة الخبال حتّى يأتى بالمخرج وقولُ الكُمَيْت

ولا أَرمى البرىء بغير ذنب ولا أَقْفو الحواصنَ إنْ قُفينا

إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ اى كلّ هذه الاعضاء فأجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وإنّ اولاء وإنْ غلب فى العقلاء لكنّه من حيث انّه اسمُ جمع لذا وهو يعمّ القبيلَيْن جاء لغيرهم كقوله ◦ والعيشَ بعدَ اولٰئك الايّام ◦ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا فى ثلاثتها ضميرُ كلّ اى كان كلّ واحد منها مسئولا عن نفسه يعنى عمّا فعل به صاحبُه ويجوز ان يكون الضمير فى عنه لمصدرِ لا تقف او لصاحبُ السمع والبصر وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يُسْـأَل صاحبُه عنه وهو خطأ لانّ الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدّم ، وفيه دليل على انّ العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية ، وقرئ وَٱلْفُوَادَ بقلب الهمزة واوا بعد الضمّة ثمّ إبدالها بالفتح (٣٩) وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا اى ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مَرِحًا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ لن تجعل فيها خرقا بشدّة وطأتك وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا بتطاولك وهو تهكّم بالمختال وتعليل للنهى بانّ الاختيال حماقة مجرّدة لا تعود بجدْوى ليس فى التذلّل (٤٠) كُلُّ ذَٰلِكَ اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع اللّه الها آخر وعن ابن عبّـاس انّها المكتوبة فى الواح موسى كَانَ سَيِّئُهُ يعنى المنهىّ عنه فانّ المذكورات مأمورات ومناهٍ وقرأ الحجازيّان والبصريّان سَيِّئَةً على انّها خبرُ كان والاسم ضميرُ كلّ وذلك اشارة الى ما نهى عنه خاصّة وعلى هذا قوله عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا بدلٌ من سيّئةً او صفةٌ لها محمولة على المعنى فانّه بمعنى سَيّئاً وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكنّ فى كان او فى الظرف على انّه صفةُ سيّئة والمرادُ به المبغوض المقابل للمرضىّ لا ما يقابل المرادَ لقيام القاطع على انّ الحوادث كلّها واقعة بارادته تعالى (٤١) ذَٰلِكَ اشارة الى الاحكام المتقدّمة مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ التى هى معرفة الحقّ لذاته والخيرِ للعمل به وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ كرّره للتنبيه على أنّ التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فانّ من لا قصْدَ له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيرَه ضاع سعيُه وأنّه رأس الحكمة وملاكها ورتّب عليه اوّلا ما هو عائدة الشرك فى الدنيا وثانيا ما هو نتيجته فى العقبى فقال فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا تلوم نفسك مَّدْحُورًا مُبْعَدا من رحمة اللّه (٤٢) أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ خطاب لمن قالوا الملائكة بنات اللّه والهمزة للانكار والمعنى أخصّكم ربّكم بافضل الاولاد وهم البنون وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه معقولكم وعادتكم إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا باضافة الاولاد اليه وهى خاصّة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثمّ بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثمّ بجعل الملائكة

الّذين هم من اشرف خلق اللّه اَدْونَهم (٤٣) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا كرّرنا هذا المعنى بوجوه من التقرير فِي هٰذَا ٱلْقُرآنِ جزء ١٥
فى مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القران ابطال اضافة البنات اليه بتقدير ولقد صرّفنا القول فى هذا ركوع ٥
المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صَرَفْنَا بالتخفيف لِيَذَّكَّرُوا ليتذكّروا وقرأ حمزة والكسائىّ
لِيَذْكُرُوا من الذكر الّذى هو بمعنى التذكّر وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا عن الحقّ وقلّة طمأنينة اليه
(٤٤) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ ايّها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده
على انّ الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب فى الثانية على انّ الاولى
ممّا أُمر الرسول ان يخاطب به المشركين والثانية ممّا نزّه به نفسه عن مقالتهم إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي
ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا جواب عن قولهم وجزاء للَوْ والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازّة كما يفعل
الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرّب والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الّذين يدعون
يبتغون الى ربّهم الوسيلة (٤٥) سُبْحَانَهُ تنزّه تنزيها وَتَعَالَى عَمَّا تَقُولُونَ عُلُوًّا تعاليا كَبِيرًا متباعدا غاية
البعد عمّا تقولون فانّه فى اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتّخاذ الولد
من ادنى مراتبه فانّه من خواصّ ما يمتنع بقاؤه (٤٦) تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمٰوَاتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ
مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ تنزّهه عمّا هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدلّ
بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ايّها المشركون
لاخلالكم بالنظر الصحيح الّذى به يُفْهَم تسبيحهم ويجوز ان يُحْمَل التسبيح على المشترك بين اللفظ
والدلالة لاسناده الى ما يتصوّر منه اللفظ والى ما لا يتصوّر منه وعليهما عند من جوّز اطلاق اللفظ
على معنييه ، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يُسَبِّحُ بالياء إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا حيث لا يعاجلكم
بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غَفُورًا لمن تاب منكم (٤٧) وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم مستورا ذا ستر كقوله وَعْدُهُ مَأْتِيًّا
وقولهم سيل مُفْعَم او مستورا عن الحسّ او بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون انّهم لا يفهمون
نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقّه للدلالات المنصوبة فى الانفس
والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرّح به بقوله (٤٨) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً
تكنّها وتحول دونها عن ادراك الحقّ وقبوله أَنْ يَفْقَهُوهُ كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما
دلّ عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنّة اى منعناهم ان يفقهوه وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا يمنعهم عن استماعه
ولمّا كان القران معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ
(٤٩) وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْآنِ وَحْدَهُ واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدرٌ وقع موقع الحال وأصله يحِد
وَحْدَه بمعنى واحدا وَحْدَه وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز

جزء ١٥ ركوع ٥

ان يكون جمعَ نافر كقاعد وقعود (٥٠) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقران إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ظرف لاعلم وكذا وَإِذْ هُمْ نَجْوَى اى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمعَ نَجِيّ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا مقدّر باذكر او بدلٌ من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انّ تناجيهم بقولهم هذا ظلم ، والمسحور الّذى سُحر فزال عقله وقيل الّذى له سَحْرٌ وهو الرئة اى الّا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم (٥١) أُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ مثّلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فَضَلُّوا عن الحقّ فى جميع ذلك فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا الى طعن بوَجْه فيتهافتون ويخبطون كالمتحيّر فى امره لا يدرى ما يصنع او الى الرشاد (٥٢) وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا حُطاما أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحىّ ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة ، والعامل فى اذا ما دلّ عليه مبعوثون لا نفسُه لانّ ما بعد إنّ لا يعمل فيما قبلها ، وخلقا مصدر او حال (٥٣) قُلْ جوابا لهم كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ اى ممّا يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شىء منها فانّ قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام فى قبول الأعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضّة موصوفة بالحيوة قبلُ والشىء أَقْبَلُ لما عُهد فيه ممّا لم يُعْهَد فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ فسيحرّكونها نحوك تعجّبا واستهزاء وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا فانّ كلّ ما هو آتٍ قريب ، وانتصابُه على الخبر او الظرف اى يكون فى زمان قريب وأن يكون اسمُ عسى او خبرُه والاسمُ مضمر (٥٤) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ اى يومَ يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسّرِ امرهما وأنّ المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بِحَمْدِهِ حال منهم اى حامدين للّه على كمال قدرته كما قيل انّهم ينفضون الترابَ عن رءوسهم ويقولون سبحانك اللّهمّ وبحمدك او منقادين لبعثه انقيادَ الحامدين عليه وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا وتستقصرون مدّةَ لبثكم فى القبور كالّذى مرّ على قرية او مدّةَ حياتكم لما ترون من الهول (٥٥) وَقُلْ لِعِبَادِي يعنى المؤمنين يَقُولُوا ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ الكلمة الّتى هى

ركوع ٦

احسن ولا يخاشنوا المشركين إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ يهيج بينهم المراء والشرّ فلعلّ المخاشنة تفضى بهم الى العناد وازدياد الفساد إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ظاهر العداوة (٥٦) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ تفسير للّتى هى احسن وما بينهما اعتراض اى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يصرّحوا بانّهم من اهل النار فانّه يهيّجهم على الشرّ مع انّ ختام امرهم غيبٌ لا

جزء ١٥ ركوع ٦

يعلمه الّا اللّه وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانّما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومُرْ اصحابك بالاحتمال منهم وروى انّ المشركين افرطوا فى ايذائهم فشكوا الى رسول اللّه صلعم فنزلت وقيل شتم عُمَرَ رجلٌ فهمّ به فامره اللّه بالعفو (٥٧) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وباحوالهم فيختار منهم لنبوّته وولايته من يشاء وهو ردٌّ لاستبعاد قريش ان يكون يتيمُ ابى طالب نبيّا وان يكون العُراةُ الجُوّعُ اصحابَه وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ بالفضائل النفسانيّة والتبرّى عن العلائق الجسمانيّة لا بكثرة الاموال والأتباع حتّى داود فانّ شرفه بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتى من المُلْك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول اللّه صلعم وقوله وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا تنبيهٌ على وجه تفضيله وهو انّه خاتم الانبياء وامّته خير الامم المدلول عليه بما كُتب فى الزبور من انّ الارض يرثها عبادى الصالحون وتنكيرُه ههنا وتعريفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لانّه فى الاصل فَعُول للمفعول كالحَلُوب او المصدر كالقَبُول ويؤيّده قراءة حمزة بالضمّ فهو كالعبّاس او الفضل او لانّ المراد وآتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول (٥٨) قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ انّها آلهة مِنْ دُونِهِ كالملائكة والمسيح وعزير فَلَا يَمْلِكُونَ فلا يستطيعون كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنْكُمْ كالمرض والفقر والقحط وَلَا تَحْوِيلًا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم (٥٩) أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ هؤلاء الآلهة يبتغون الى اللّه القُرْبة بالطاعة أَيُّهُمْ أَقْرَبُ بدل من واو يبتغون اى يبتغى من هو اقرب منهم الى اللّه الوسيلة فكيف بغير الاقرب وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ كسائر العباد فكيف يزعمون انّهم آلهة إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا حقيقا بأن يحذره كلّ احد حتّى الرسل والملائكة (٦٠) وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ بالموت والاستيصال أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا بالقتل وانواع البليّة كَانَ ذٰلِكَ فِي ٱلْكِتَابِ فى اللوح المحفوظ مَسْطُورًا مكتوبا (٦١) وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِٱلْآيَاتِ وما صرفنا عن ارسال الآيات التى اقترحتها قريش إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ الّا تكذيبُ الاوّلين الّذين هم امثالهم فى الطبع كعاد وثمود وانّها لو أُرسلت لكذّبوها تكذيبَ اولئك ولستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سُنّتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لانّ فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثمّ ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وَآتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ بسؤالهم مُبْصِرَةً بيّنةً ذاتَ أبصار او بصائر او جاعلتهم ذوى بصائر وقرئ بالفتح فَظَلَمُوا بِهَا فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَاتِ اى بالآيات المقترحة إِلَّا تَخْوِيفًا من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القران الّا تخويفا بعذاب الآخرة فانّ امرَ مَنْ بُعثتَ اليهم مؤخّر الى يوم القيامة والباء مزيدة او فى موقع الحال والمفعول محذوف (٦٢) وَإِذْ قُلْنَا لَكَ واذكر اذ اوحينا اليك إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ فهم فى قبضة

جزء ١٥ قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدوّ فهو بشارة بوقعة بدر والتعبيرُ بلفظ الماضى
ركوع ٦ لتحقّق وقوعه وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِى أَرَيْنَاكَ لیلةَ المعراج وتعلّق به من قال انّه كان فى المنام ومن قال انّه كان فى اليقظة فسّر الرؤيا بالرؤية او عامَ الحُدَيْبِية حين رأى انّه دخل مكّة وفيه انّ الآية مكّيّة الّا أن يقال رآها بمكّة وحكاها حينئذ ولعلّه رؤيا رآها فى وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم اللّه فى منامك قليلا ولما روى انّه لمّا ورد ماءه قال لكانّى انظر الى مصارع القوم هذا مصرعُ فلان هذا مصرعُ فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بنى اميّة يَرْقَوْن منْبره ويَنْزُون عليه نَزْوَ القردة فقال هو حَظُّهم من الدنيا يُعْطَوْنه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ما حدث فى ايّامهم وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْآنِ عطف على الرؤيا وهى شجرة الزقوم لمّا سمع المشركون ذكرها قالوا يزعم محمّد انّ الجحيم تحرق الحجارة ثمّ يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا انّ من قدر ان يحمى وبرَ السمندل من ان تأكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقِطَعِ الحديد المُحْماة الحُمْرِ الّتى تبتلعها قدر ان يخلق فى النار شجرة لا تحرقها ولعنُها فى القران لعنُ طاعميها وُصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانّها فى اصل الجحيم فانّه ابعدُ مكان من الرحمة او بانّها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارّا وقد أُوّلَتْ بالشيطان وبأبى جهل والحكم بن ابى العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبرُ محذوف اى والشجرة الملعونة فى القران كذلك وَنُخَوِّفُهُمْ بانواع التخويف
ركوع ٧ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا الّا عتوّا مجاوز الحدّ (٦٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا لمن خلقته من طين فنُصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طينٌ او منه اى أأسجد له واصله طينٌ وفيه على الوجوه ايماء بعلّة الانكار (٦٤) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ الكاف لتأكيد الخطاب لا محلّ له من الاعراب وهذا مفعول اوّل والّذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرْنى عن هذا الّذى كرّمته علىّ بامرى بالسجود له لِمَ كرّمته علىّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ كلام مبتدأ واللامُ موطّئة للقسم وجوابُه لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا لاستأصلنّهم بالاغواء الّا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجرادُ الارضَ اذا جرد ما عليها اكلا مأخوذ من الحَنَك وانّما علم انّ ذلك يتسهّل له امّا استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يُفْسد فيها مع التقرير او تفرّسا من خلقه ذا وَهْم وشهوة وغضب (٦٥) قَالَ ٱذْهَبْ امض لما قصدته وهو طردٌ وتخليةٌ بينه وبين ما سوّلتْ له نفسه فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جزاؤك وجزاؤهم فغلّب المخاطَب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جَزَاءً مَوْفُورًا مكمّلا من قولهم فِرْ لصاحبك عِرْضَه ، وانتصابُ جزاء على المصدر باضمار فعله او بما فى جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطّئة لقوله موفورا (٦٦) وَٱسْتَفْزِزْ واستخفف

مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ أن تستفزّه والفزّ الخفيف بِصَوْتِكَ بدعائك الى الفساد وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ وصح عليهم جزء ١٥
من الجلبة وهى الصياح بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ بأعوانك من راكب وراجل والخيل الخيّالة ومنه قوله عم يا ركوع ٧
خيل اللّه ٱرْكَبِى والرَجْل اسم جمع للراجل كالصَحْب والرَكْب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلّطه
على من يُغويه بمِغْوار صَوَّت على قوم فاستفزّهم من اماكنهم وأجلب عليهم بجنده حتّى استأصلهم ،
٥ وقرأ حفص وَرَجِلِكَ بالكسر وغيرُه بالضمّ وهما لغتان كنَدِس ونَدُس ومعناه وجَمْعك الرَجِل وقرئ
وَرِجَالِكَ ورُجّالِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَالِ بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرّف فيها على ما
لا ينبغى وَٱلْأَوْلَادِ بالحثّ على التوصّل الى الولد بالسبب المحرّم والاشراك فيه بتسميته عبد العُزّى والتضليل
على الاديان الزائغة والحِرَف الذميمة والافعال القبيحة وَعِدْهُمْ المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتّكال
على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا اعتراض لبيان مواعيده
١٠ الباطلة ، والغرور تزيين الخطإ بما يوهم انّه صواب (٦٧) إِنَّ عِبَادِى يعنى المخلصين وتعظيمُ الاضافة
والتقييد فى قوله الّا عبادك منهم المخلصين يخصّصهم لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ اى على اغوائهم قدرة
وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا يتوكّلون به فى الاستعاذة منك على الحقيقة (٦٨) رَبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى هو الّذى
يُجرى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ الربح وانواع الامتعة الّتى لا تكون عندكم إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا
حيث هيّأ لكم ما تحتاجون اليه وسهّل عليكم ما يعسر من اسبابه (٦٩) وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ
١٥ خوف الغرق ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ ذهب عن خواطركم كلّ من تدعونه فى حوادثكم إِلَّا إِيَّاهُ وَحْدَه فانّكم
حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الّا ايّاه او ضلّ كلّ من تعبدونه عن اغاثتكم الّا اللّه
سبحانه وتعالى فَلَمَّا نَجَّاكُمْ من الغرق إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ عن التوحيد وقيل اتّسعتم فى كفران النعمة
كقول ذى الرُمّة

عطاء فَتًى تمكّنَ فى المَعالى فأعرضَ فى المَكارِم وٱستطالا

٢٠ وَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ كَفُورًا كالتعليل للاعراض (٧٠) أَفَأَمِنْتُمْ الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف
تقديره أَنَجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض فانّ من قدر ان يهلككم فى البحر بالغرق قدر ان
يهلككم فى البرّ بالخسف وغيره أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ ان يقلبه اللّه وانتم عليه او يقلبه بسببكم
فبكم حال او صلة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفى الاربعة الّتى بعده ، وفى ذكر الجانب تنبيهٌ
على أنّهم لمّا وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وأنّ الجوانب والجهات فى قدرته سواء لا مَعْقِلَ يُؤمَن فيه من
٢٥ اسباب الهلاك أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ريحا تحصب اى ترمى بالحصباء ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا
يحفظكم من ذلك فانّه لا رادّ لفعله (٧١) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فيه فى البحر تَارَةً أُخْرَى بخلق دواع

جزء ١٥ تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ ٱلرِّيحِ لا تمرّ بشىء الّا قصفته اى كسرته فَيُغْرِقَكُمْ

ركوع ٧ وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بِمَا كَفَرْتُمْ بسبب اشراككم او كفرانكم نعمةَ الانجاء ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف (٧٢) وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخطّ والتهدّى الى اسباب المعاش والمعاد والتسلّط على ما فى الارض والتمكّن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسبّبات العلويّة والسفليّة الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك ممّا يقف الحصرُ دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عبّاس وهو انّ كلّ حيوان يتناول طعامه بفيه الّا الانسان فانّه يرفعه اليه بيده وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ على الدوابّ والسُفُن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتّى لم تُخْسَف بهم الارض ولم يُغْرِقهم الماء وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ المستلذّات ممّا يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواصّ منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض أفراده والمسئلة موضعُ نظر

ركوع ٨ وقد أُوّل الكثير بالكلّ وفيه تعسّف (٧٣) يَوْمَ نَدْعُو نصبٌ باضمار اذكرْ او ظرفٌ لما دلّ عليه ولا يظلمون وقرئ يَدْعُو ويُدْعَى ويُدْعَوْ على قلب الالف واوا فى لغة من يقول أَفْعَوْ او على انّ الواو علامة الجمع كما فى واسرّوا النجوى الّذين ظلموا او ضميره وكلٌّ بدل منه والنونُ محذوفة لقلّة المبالاة بها فانّها ليست الّا علامة الرفع وهو قد يقدّر كما فى يُدْعَى كُلُّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ بمن ائتمّوا به من نبىّ او مقدّم فى الدين او كتابٍ او دينٍ وقيل بكتاب اعمالهم الّتى قدّموها فيقال يا صاحبَ كتاب كذا اى تنقطع عُلْقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقُوَى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بأُمّهاتهم جمع أُمّ كخُفّ وخِفاف والحكمةُ فى ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح اولاد الزنا فَمَنْ أُوتِيَ من المدعوّين كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ اى كتاب عمله فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ ابتهاجا وتبجّحا بما يرون فيه وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ولا يُنْقَصون من اجورهم ادنى شىء ، وجمع اسم الاشارة والضمير لانّ من اوتى فى معنى الجمع ، وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدلّ على انّ من اوتى كتابه بشماله اذا اطّلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة او يكون قراءتهم لذلك كلا قراءة ولذلك لم يذكرهم مع انّ قوله (٧٤) وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ ايضا مُشْعِر بذلك فانّ الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان فى الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة وَأَضَلُّ سَبِيلًا منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لانّ الاهتداء بعدُ لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسّة وقيل الثانى للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يُمِلْه ابو عمرو ويعقوب فانّ افعل التفضيل تمامه بمِنْ فكانت الفه فى حكم المتوسّطة كما فى اعمالكم بخلاف النعت فانّ الفه واقعة فى الطَرَف لفظا وحكما فكانت

معرّضة للامالة من حيث انّها تصير ياء فى التثنية وقد امالهما حمزة والكسائىّ وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما (٧٥) وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ نزلت فى ثقيف قالوا لا ندخل فى امرك حتّى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نُعْشَر ولا نُحْشَر ولا نُجَبّى فى صلاتنا وكلّ ربوا لنا فهو لنا وكلّ ربوا علينا فهو موضوع عنّا وأن تُمتّعنا باللات سنةً وأن تحرّم وادينا كما حرّمت مكّة فان قالت العرب لِمَ فعلتَ ذلك فقل انّ اللّه امرنى وقيل فى قريش قالوا لا نمكّنك من استلام الحجر حتّى تُلِمّ بآلهتنا وتمسّها بيدك ، وإنْ هى المخفّفة واللام هى الفارقة والمعنى إنّ الشأن قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك فى الفتنة بالاستنزال عَنِ ٱلَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ من الاحكام لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ غير ما اوحينا اليك وَإِذًا لَٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ولو اتّبعت مرادهم لاتّخذوك بافتتانك وليّا لهم بريئا من ولايتى (٧٦) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ ولولا تثبيتُنا ايّاك لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا لقاربت ان تميل الى اتّباع مرادهم والمعنى انّك كنت على صدد الركون اليهم لقوّة خدعهم وشدّة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمُنعتَ ان تقرب من الركون فضلا عن ان تركن اليه وهو صريح فى انّه عم ما همّ باجابتهم مع قوّة الدواعى اليها ودليل على انّ العصمة بتوفيق اللّه وحفظه (٧٧) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ اى لو قاربت لاذقناك ضِعْفَ ٱلْحَيٰوةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ اى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعفَ ما نعذّب به فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرَك لانّ خطأ الخطير اخطرُ وكان اصل الكلام عذابا ضِعْفا فى الحيوة وعذابا ضِعْفا فى الممات بمعنى مضاعَفا ثمّ حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثمّ اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا يدفع العذاب عنك (٧٨) وَإِنْ كَادُوا وان كاد اهل مكّة لَيَسْتَفِزُّونَكَ ليزعجونك بمعاداتهم مِنَ ٱلْأَرْضِ ارض مكّة لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك إِلَّا قَلِيلًا الّا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانّهم أُهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت فى اليهود حسدوا مقام النبىّ صلعم بالمدينة فقالوا الشأم مقام الانبياء فان كنت نبيّا فالحق بها حتّى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثمّ قُتل منهم بنو قُرَيْظة وأُجْلى بنو النَضير بقليل ، وقرئ لا يَلْبَثُوا منصوبا بإذًا على انّه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزّونك لا على خبرِ كاد فانّ إذًا لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائىّ ويعقوب وحفص خِلافَكَ وهو لغة فيه قال

عَفَتِ الديارُ خِلافَهم فكانّما ... بَسَطَ الشواطبُ بَيْنَهنّ حَصيرا

(٧٩) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا نصب على المصدر اى سنّ اللّه ذلك سُنّة وهو ان يهلك كلّ امّة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنّة للّه واضافتها الى الرسل لانّها من اجلهم ويدلّ عليه

جزء ١٥

ركوع ٨

*

جزء ١٥ ركوع ٩

وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا اى تغييرا (٨٠) أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ لزوالها ويدلّ عليه قوله عم اتانى جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلّى بى الظُّهْرَ وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدالك فانّ الدالك لا تستقرّ يده وكذا ما تركّب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لانّ الناظر اليها يدلك عينه ليدفع شعاعها ، واللامُ للتأقيت مثلها فى لِثَلْثٍ خَلَوْنَ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ وصلوة الصبح سمّيت قرآنا لانّه ركنها كما سمّيت ركوعا وسجودا واستُدلّ به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوّز لكونها مندوبة فيها نعمْ لو فُسّر بالقراءة فى صلوة الفجر دلّ الامر باقامتها على الوجوب فيها نصّا وفى غيرها قياسا إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا يشهده ملائكةُ الليل وملائكة النهار او شواهدُ القدرة مِنْ تبدّل الظلمة بالضياء والنومِ الّذى هو اخو الموت بالانتباه او كثيرٌ من المصلّين او مِنْ حقّه ان يشهده الجمّ الغفير ، والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسّر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحْدَها ان فُسّر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستُدلّ به على انّ الوقت يمتدّ الى غروب الشفق (٨١) وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة ، والضمير للقرآن نَافِلَةً لَّكَ فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا مقاما يحمده القائم فيه وكلّ من عرفه وهو مطلق فى كلّ مقام يتضمّن كرامة والمشهورُ انّه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة انّه عم قال هو المقام الّذى اشفع فيه لامّتى ولاشعاره بانّ الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الّا مقام الشفاعة ، وانتصابُه على الظرف باضمار فعله اى فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحالِ بمعنى ان يبعثك ذا مقام (٨٢) وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى اى فى القبر مُدْخَلَ صِدْقٍ ادخالا مرضيّا وَأَخْرِجْنِى اى منه عند البعث مُخْرَجَ صِدْقٍ اخراجا ملقّى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكّة وقيل ادخاله مكّة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حُمّله من أعباء الرسالة واخراجه منه مؤدّيا حقّه وقيل ادخاله فى كلّ ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه ، وقرئ مَدْخَلَ ومَخْرَجَ بالفتح على معنى ادخلنى فأَدْخُل دخولا واخرجنى فأَخْرُج خروجا وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا حجّة تنصرنى على من خالفنى او مُلْكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فانّ حِزْبَ اللهِ هم الغالبون لِيُظْهِره على الدين كلّه لَيستخلفنّهم فى الارض (٨٣) وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ الاسلام وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا مضمحلّا غير ثابت عن ابن مسعود انّه عم دخل مكّة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستّون صنما فجعل ينكت بمخصرته فى عينِ واحدٍ واحدٍ منها فيقول جاء الحقّ وزهق الباطل فينكبّ لوجهه حتّى القى جميعها وبقى صنمُ خُزاعة فوق الكعبة وكان من صُفْر فقال يا علىّ ارمِ به فصعد فرمى به فكسره

(٨٤) وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ما هو فی تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء جزء ١٥ الشافی للمرضی ، ومِنْ للبيان فانّ كلّه كذلك وقيل انّه للتبعيض والمعنی انّ منه ما يشفی من المرض ركوع ٩ كالفاتحة وآيات الشفاء ، وقرأ البصريّان نُنْزِلُ بالتخفيف وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا لتكذيبهم وكفرهم به (٨٥) وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَانِ بالصحّة والسعة أَعْرَضَ عن ذكر اللّه وَنَـَٔا بِجَانِبِهِ لوی عطفه وبَعُدَ بنفسه عنه كانّه مستغنٍ مستبدّ بأمره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانّه من عادة المستكبرين ، وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفی فصلت ونَآءَ علی القلب او علی انّه بمعنی نهض وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ من مرض او فقر كَانَ يَـُٔوسًا شديد اليأس من رَوْح اللّه (٨٦) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ قل كلّ احد يعمل علی طريقته الّتی تشاكل حالَه فی الهدی والضلالة او جوهرَ روحه واحوالَه التابعة لمزاج بدنه فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا اسدّ طريقا وابينُ منهجا وقد فُسّرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين (٨٧) وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ الّذی يُحيی بدنَ الانسان ويدبّره قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی ركوع ١٠ من الابداعيّات الكائنة بكُنْ من غير مادّة وتولّد من اصل كاعضاء جسده او وُجد بأمره وحدث بتكوينه علی انّ السؤال عن قِدَمه وحدوثه وقيل ممّا استأثر اللّه بعلمه لما روی انّ اليهود قالوا لقريش سَلُوه عن اصحاب الكهف وعن ذی القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبیّ وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبیّ فبيّنَ لهم القصّتين وأَبْهَمَ امر الروح وهو مُبْهَم فی التورية وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من المَلَك وقيل القران ومن امر ربّی معناه من وحيه وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا تستفيدونه بتوسّط حواسّكم فانّ اكتساب العقل للمعارف النظريّة انّما هو من الضروريّات المستفادة من احساس الجزئيّات ولذلك قيل من فقد حسّا فقد علما ولعلّ اكثر الاشياء لا يدركه الحسّ ولا شيئًا من احواله المعرِّفة لذاته وهو اشارة الی انّ الروح ممّا لا يمكن معرفة ذاته الّا بعوارض تميّزه عمّا يلتبس به فلذلك اقتصر علی هذا الجواب كما اقتصر موسی فی جواب وما ربّ العالمين بذكر بعض صفاته روی انّه عم لمّا قال لهم ذلك قالوا انحن مختصّون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجبَ شأنَك ساعةً تقول ومن يُؤْتَ الحكمة فقد اوتی خيرا كثيرا وساعةً تقول هذا فنزلت ولو انّ ما فی الارض من شجرة اقلامٌ وما قالوه لسوء فهمهم لانّ الحكمة الانسانيّة أن يعلم من الحقّ والخير ما تسعه القوّة البشريّة بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الی معلومات اللّه سبحانه وتعالی الّتی لا نهاية لها قليلٌ ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثيرٌ (٨٨) وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِیٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ اللام الاولی موطّئة للقسم ولنذهبنّ جوابه النائب منابَ جزاء الشرط والمعنی ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن المصاحف والصدور ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا من يتوكّل علينا استرداده مسطورا محفوظا (٨٩) إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فانّها ان نالتك فلعلّها تستردّه عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنی ولكن رحمة من ربّك تركتْه غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنّة فی تنزيله

جزء ١٥ ركوع ١٠

إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا كارسالة وانزال الكتاب عليه وابقائه فى حفظه (٩٠) قُلْ لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنْسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْقُرْآنِ فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وفيهم العرب العَرْباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دلّ عليه اللام الموطّئة ولولا هى لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زُهَيْر

وإنْ اتاه خليلٌ يومَ مَسْألة يقولُ لا غائبٌ مالى ولا حَرِمُ

وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعلّه لم يذكر الملائكة لانّ اتيانهم بمثله لا يُخْرِجه عن كونه معجزا ولانّهم كانوا وسائط فى اتيانه ويجوز ان تكون الآية تقريرا لقوله ثمّ لا تجد لك به علينا وكيلا (٩١) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا كرّرنا بوجوه مختلفة زيادةً فى التقرير والبيان لِلنَّاسِ فِى هٰذَا ٱلْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ من كلّ معنى هو كالمثل فى غرابته ووقوعه موقعا فى الانفس فَأَبَى أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا الّا جحودا وانّما جاز ذلك ولم يجُزْ ضربتُ الّا زيدا لانّه متأوّل بالنفي (٩٢) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنْبُوعًا تعنّتنا واقتراحا بعد ما لزمتْهم الحُجّة ببيان اعجاز القران وانضمام غيره من المعجزات اليه ، وقرأ الكوفيّون ويعقوب تَفْجُرَ بالتخفيف ، والارض ارض مكّة ، والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعولٌ من نبع الماء كيَعْبوب من عبّ الماء اذا زخر (٩٣) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك (٩٤) أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا يعنون قوله تعالى او نُسْقط عليهم كِسَفا من السماء وهو كقِطَع لفظا ومعنى وقد سكّنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائىّ ويعقوب فى جميع القران الّا فى الروم وابنُ عامر الّا فى هذه السورة ونافع وابو بكر فى غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو امّا مخفّف من المفتوح كسِدْرة وسِدْر او فِعْل بمعنى مفعولٍ كالطِحْن أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا كفيلا بما تدّعيه اى شاهدا على صحّته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المُعاشِر وهو حال من اللّه وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر فى قوله • فانّى وقيّارٌ بها لَغريبُ • او جماعةً فيكون حالا من الملائكة (٩٥) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة أَوْ تَرْقَى فِى ٱلسَّمَاءِ فى معارجها وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ وحده حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ وكان فيه تصديقك قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى تعجّبا من اقتراحاتهم او تنزيها للّه من ان يأتى او يتحكّم عليه او يشاركه احد فى القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قَالَ سُبْحَانَ رَبِّى اى قال الرسول هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا كسائر الناس رَسُولًا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الّا بما يُظْهره اللّه عليهم على ما يلائم حالَ قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكّموا على اللّه حتّى تتخيّروها علىّ هذا هو الجواب المجمل وأمّا التفصيل فقد ذُكر فى آيات أُخَر كقوله ولو نزّلنا عليك

جزء ١٥ ركوع ١١

كتابا فى قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا (٩٦) وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَى اى وما منعهم الايمانَ بعد نزول الوحى وظهور الحق إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا الّا قولهم هذا والمعنى انّه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمّد والقرآن الّا انكارهم ان يرسل الله بشرا (٩٧) قُلْ جوابا لشبهتهم لَوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَآئِكَةٌ يَمْشُونَ كما يمشى بنو آدم مُطْمَئِنِّينَ ساكنين فيها لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَسُولًا لتمكّنهم من الاجتماع به والتلقّى منه وامّا الانس فعامّتهم عماة عن ادراك الملك والتلقّف منه فانّ ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس ، وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاوّل اوفق (٩٨) قُلْ كَفَى بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ على انّى رسول اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواى او على انّى بلّغت ما أُرسلت به اليكم وانكم عاندتم ، وشهيدا نصبٌ على الحال او التمييز إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفّار (٩٩) وَمَنْ يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِنْ دُونِهِ يهدونه وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ يُسْحَبُونَ عليها او يمشون بها روى انّه قيل لرسول الله صلعم كيف يمشون على وجوههم قال انّ الذى امشاهم على اقدامهم قادرٌ على ان يمشيهم على وجوههم عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا لا يبصرون ما يُقرّ اعينهم ولا يسمعون ما يلذّ مسامعهم ولا ينطقون بما يُقْبَل منهم لانّهم فى دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعِبَر وتصامّوا عن استماع الحق وأبوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مَؤوفى القُوَى والحواسّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ سكن لهبها بأن اكلت جلودهم ولحومهم زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا توقّدا بأن تبدّل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كانّهم لمّا كذّبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بأن لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله (١٠٠) ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا لانّ الاشارة الى ما تقدّم من عذابهم (١٠١) أَوَلَمْ يَرَوْا اولم يعلموا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ فانّهم ليسوا اشدّ خلقا منهنّ ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ هو الموت او القيامة فَأَبَى ٱلظَّالِمُونَ مع وضوح الحق إِلَّا كُفُورًا الّا جحودا (١٠٢) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّى خزائن رزقه وسائر نعمه ، وانتم مرفوع بفعل يفسّره ما بعده كقول حاتم ٭ لو ذاتُ سِوارٍ لطمتنى ٭ وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنْفَاقِ لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الّا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشىء فانّما يؤثره لعوضٍ يفوقه فهو اذًا بخيل بالاضافة الى جود

جزء ۱۵ اللّٰه وكرمه هذا وانّ البخلاء اغلب فيهم وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا بخيلا لانّ بناء امره على الحاجة والضنّة
ركوع ۱۲ بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل (۱۰۳) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ هى العصا واليد والجراد والقمّل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكانَ الثلاث الاخيرة وعن صَفْوان انّ يهوديّا سأل النبىّ صلعم عنها فقال ان لا تشركوا باللّٰه شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس الّتى حرّم اللّٰه الّا بالحقّ ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببرىء الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا مُحْصَنة ولا تفرّوا من الزَّحْف وعليكم خاصّةَ اليهود ان لا تعدوا فى السبت فقبّل اليهودىّ يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامّة للملل الثابتة فى كلّ الشرائع سُمّيت بذلك لانّها تدلّ على حال من يتعاطى متعلّقها فى الآخرة من السعادة او الشقاوة وقوله وعليكم خاصّة اليهود ان لا تعدوا حكمٌ مستأنف زائد على الجواب ولذلك غيّر فيه سياق الكلام فَسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيّده قراءة رسول اللّٰه صلعم فَسَألَ على لفظ الماضى بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلّقة بقلنا او سال على هذه القراءة او فَسْأَل يا محمّد بنى اسرائيل عمّا جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلّى نفسك او لتعلم انّ اللّٰه تعالى لو اتى بما اقترحوا لأصرّوا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لانّ تظاهر الأدلّة يوجب قوّة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار يخبروك على انّه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا سُحِرْتَ فتخبّط عقلك (۱۰۴) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ يا فرعون وقرأ الكسائىّ بالضمّ على اخباره عن نفسه مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ يعنى الآيات إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ بيّنات تبصّرك صدقى ولكنّك تعاند وانتصابه على الحال وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشرّ من قولهم ما ثَبَرك عن هذا اى ما صرفك او هالكا قارع ظنّه بظنّه وشتّان ما بين الظنّين فانّ ظنّ فرعون كذبٌ بَحْتٌ وظنّ موسى عم يحوم حول اليقين من ظاهر أماراته ، وقرئ وَإِنْ إِخَالُكَ يَا فِرْعَوْنُ لَمَثْبُورًا على إن المخفّفة واللام الفارقة (۱۰۵) فَأَرَادَ فرعون أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ ان يستخفّ موسى وقومه وينفيهم مِنَ الْأَرْضِ ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا فعكسنا عليه مَكْره فاستفززناه وقومه بالاغراق (۱۰۶) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ من بعد فرعون او اغراقه لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ الّتى اراد ان يستفزّكم منها فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ الكرّة او الحيوة او الساعة او الدار الآخرة يعنى قيام القيامة جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا مختلطين ايّاكم وايّاهم ثمّ نحكم بينكم ونميّز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتّى وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ اى وما انزلنا القران الّا ملتبسا بالحقّ المقتضى لانزاله وما نزل على الرسول الّا ملتبسا

بالحقّ الّذى اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الّا محفوظا بالرَصَد من الملائكة وما نزل على الرسول الّا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعلّه اراد به نفى اعتراء البطلان له اوّلَ الامر وآخرَه وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا للمطيع بالثواب وَنَذِيرًا للعاصى من العقاب فلا عليك الّا التبشير والانذار (١٠٧) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ نزّلناه مفرّقا منجّما وقيل فرقنا فيه الحقّ من الباطل فحذف الجارّ كما فى قوله • ويوما شهدناه • وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانّه نزل فى تضاعيف عشرين سنة لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَى مُكْثٍ على مَهْل وتؤدة فانّه أَيْسَرُ للحفظ وأَعْوَنُ فى الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا على حسب الحوادث (١٠٨) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا فانّ ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا وقوله إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ تعليل له اى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الّذين قرءوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحى وأمارات النبوّة وتمكّنوا من الميز بين الحقّ والباطل اورأوا نعتك وصفة ما انزل اليك فى تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانّه قيل تسلّ بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ القران يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر اللّه او شكرا لانجازه وعده فى تلك الكتب ببعثة محمّد صلعم على فترة من الرُسل وانزال القران عليه وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا عن خُلف الوعد إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا انّه كان وعده كائنا لا محالة (١٠٩) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ كرّره لاختلاف الحالّ والسبب فانّ الاوّل للشكر عند انجاز الوعد والثانى لما اثّر فيهم من مواعظ القران حالَ كونهم باكين من خشية اللّه ، وذكر الذقن لانّه اوّل ما يَلْقى الارضَ من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به وَيَزِيدُهُمْ سماع القران خُشُوعًا كما يزيدهم علما ويقينا باللّه (١١٠) قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَنَ نزلت حين سمع المشركون رسولَ اللّه صلعم يقول يا اللّه يا رحمن فقالوا انّه ينهانا ان نعبد إِلٰهَيْن وهو يدعو الٰها آخر او قالت اليهود انّك لَتُقِلّ ذكر الرحمن وقد اكثره اللّه فى التورية فالمراد على الاوّل هو التسوية بين اللفظين بانّهما مطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انّما هو للذات الّذى هو المعبود وعلى الثانى انّهما سِيّان فى حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو أَجْوَب لقوله أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَى والدعاء فى الآية بمعنى التسمية وهو يتعدّى الى مفعولين حُذف اوّلهما استغناء عنه ، وأوْ للتخيير ، والتنوين فى ايّا عِوَض عن المضاف اليه ، ومَا صلةٌ لتأكيد ما فى ايّ من الابهام ، والضمير فى له للمسمّى لانّ التسمية له لا للاسم ، وكان اصل الكلام ايّا ما تدعوا فهو حَسَنٌ فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونُها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ بقراءة صلاتك حتّى تُسمِع المشركين فانّ ذلك يحملهم على السبّ واللغو فيها وَلَا تُخَافِتْ بِهَا حتّى لا تُسْمِع مَنْ خلفك من المؤمنين

جزء ١٥

ركوع ١٢

جزء ١٥ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فانّ الاقتصاد فى جميع الامور محبوب وروى انّ ابا
ركوع ١٢ بكر رضه كان يخفت ويقول أُناجى ربّى وقد علم حاجتى وعُمر رضه كان يجهر ويقول اطرُد الشيطانَ وأُوقظ الوسنانَ فلمّا نزلت امر رسول اللّه صلعم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمرَ ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلّها ولا تخافت بها بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا

(١١١) وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ فى الالوهيّة وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ولىّ يواليه من اجل مَذلّة به ليدفعها بموالاته نَفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقوّيه ورتّب الحمد عليه للدلالة على انّه الّذى يستحقّ جنس الحمد لانّه الكامل الذات المتفرّد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقصٌ مملوكُ نِعْمة او منعمٌ عليه ولذلك عطف عليه قوله وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا وفيه تنبيه على انّ العبد وان بالغ فى التنزيه والتحميد واجتهد فى العبادة والتمجيد ينبغى ان يعترف بالقصور عن حقّه فى ذلك روى انّه عم كان اذا افصح الغلامُ من بنى عبد المطّلب علّمه هذه الآية ، وعنه صلعم من قرأ سورة بنى اسرائيل فرقّ قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنّة والقنطار الف اوقيّة ومائتا اوقيّة ○

سُورَةُ ٱلْكَهْفِ

مكّيّة وقيل الّا قوله واصبر نفسك مع الّذين يدعون ربّهم الآية وآيها مائة وعشر آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١٣ (١) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ يعنى القران رتّب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انّه اعظم نعمائه وذلك لانّه الهادى الى ما فيه كمال العباد والداعى الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا شيئا من العِوَج باختلال فى اللفظ وتناف فى المعنى او انحراف من الدعوة الى جانب الحقّ وهو فى المعانى كالعَوَج فى الاعيان (٢) قَيِّمًا مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيّما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحّتها وانتصابُه بمضمر تقديرُه جعله قيّما او على الحال من الضمير فى له او من الكتاب على انّ الواو فى ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير ، وقرئ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا اى لينذر الّذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاوّل اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه مِّن لَّدُنْهُ صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال كاسكان الباء من سَبْع مع الاشمام ليدلّ على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتّباع وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا هو الجنّة مَّٰكِثِينَ فِيهِ

جزء ١٥ ركوع ١٣

فى الاجر أَبَدًا بلا انقطاع (٣) وَيُنْذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللّٰهُ وَلَدًا خصّهم بالذكر وكرّر الانذار متعلّقا بهم استعظاما لكفرهم وانّما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدّم ذكره (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ اى بالولد او باتّخاذه او بالقول والمعنى انّهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهّم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الّذى ارادوا به فانّهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثّر والاثر او باللّه اذ لو علموه لما جوّزوا نسبة الاتّخاذ اليه وَلَا لِآبَائِهِمْ الّذين تقوّلوه بمعنى التبنّى كَبُرَتْ كَلِمَةً عظمت مقالتهم هذه فى الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يُعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ ، وكلمةً نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعليّة والاوّل ابلغ وأدلّ على المقصود تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارجُ بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفةُ محذوف هو المخصوص بالذمّ لانّ كبر ههنا بمعنى بِئْسَ وقرئ كَبْرَتْ بالسكون مع الاشمام إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ قاتلها عَلَى آثَارِهِمْ اذ ولّوا عن الايمان شبّهه لما تداخله من الوجد على تولّيهم بمن فارقته أعزّته فهو يتحسّر على آثارهم ويَبْخع نفسه وجدا عليهم وقرئ بَاخِعُ نَفْسِكَ على الاضافة إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا ٱلْحَدِيثِ بهذا القرآن أَسَفًا للتأسّف عليهم او متأسّفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ أَنْ بالفتح على لأن فلا يجوز اعمال باخع الّا اذا جُعل حكاية حال ماضية (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ من الحيوان والنبات والمعادن زِينَةً لَهَا ولأهلها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فى تعاطيه وهو مَن زهد فيه ولم يغترّ به وقنع منه بما يُزجى به ايّامه وصرفه على ما ينبغى وفيه تسكين لرسول اللّه صلعم (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا تزهيد فيه ، والجُرُز الارض الّتى قُطع نباتها من الجَرْز وهو القطع والمعنى انّا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه (٨) أَمْ حَسِبْتَ بل أَحَسِبت أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ فى ابقاء حياتهم مدّة مديدة كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا وقصّتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تُعْجب الناظرين من مادّة واحدة ثمّ ردّها اليها ليس بعجيب مع انّه من آيات اللّه كالنزر الحقير ، والكهف الغار الواسع فى الجبل ، والرقيم اسم الجبل او للوادى الّذى فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال أُميّة بن ابى الصلت

وليس بها الّا الرقيم مجاورا   وَصِيدَهُمْ والقومُ فى الكهف هُجَّد

او لوح رصاصىّ او حجرىّ رُقمتْ فيه اسماؤهم وجُعل على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فأخذتهم السماء فأووا الى كهف فانحطّت صخرة وسدّت بابه فقال احدهم اذكروا ايّكم عَمِلَ حسنة لعلّ اللّه يرحمنا ببركته فقال واحد استعملتُ أُجَراء ذاتَ يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل فى بقيّته مثل عملهم فأعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته فى جانب البيت ثمّ مرّ بى بقر فاشتريت به فصيلة فبلغتْ ما شاء اللّه فرجع الىّ بعد حين شيخا

ضعيفا لا اعرفه وقال انّ لى عندك حقّا وذكره حتّى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللّهمّ إن كنتُ فعلت جزء ١٥
ذلك لوجهك فافرجْ عنّا فانصدع الجبل حتّى رأوا الضوء وقال آخر كان فىَّ فضل واصاب الناس شدّة ركوع ١٣
فجاءتنى امرأة فطلبت منّى معروفا فقلت واللّه ما هو دونَ نفسك فأبت وعادت ثمّ رجعَتْ ثلاثا ثمّ ذكرَتْ لزوجها فقال اجيبى له وأغيثى عيالك فأتت وسلّمت الىّ نفسها فلمّا تكشّفتها وهممت بها ارتعدَتْ فقلت ما لك فقالت اخاف اللّه فقلت لها خِفْتِه فى الشدّة ولم اخَفْه فى الرخاء فتركتها وأعطيتها ملتمَسَها اللّهمّ إن كنتُ فعلتُه لوجهك فافرجْ عنّا فانصدع حتّى تعارفوا وقال الثالث كان لى ابوان هِمّان وكانت لى غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثمّ ارجع الى غنمى فحبسنى ذاتَ يوم غيثٌ فلم ابرح حتّى امسيت فأتيت اهلى واخذت مِحْلبى فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشقّ علىّ ان اوقظهما فتوقّعت جالسا ومِحلبى على يدى حتّى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللّهمّ إن كنتُ فعلتُه لوجهك فافرجْ عنّا ففرج اللّه عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير (٩) إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ يعنى فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا الى الكهف فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدوّ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا من الامر الّذى نحن عليه من مفارقة الكفّار رَشَدًا نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعلْ امرنا كلّه رشدا كقولك رأيتُ منك اسدا • وأصل التهيئة احداث هيئة الشىء (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ اى ضربنا عليهم حجابا يمنع السماع يعنى انمناهم انامة لا تنبّههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف فى قولهم بَنَى على امرأته فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ ظرفان لضربنا عَدَدًا اى ذوات عدد ووصفُ السنين به يحتمل التكثير والتقليل فانّ مدّة لبثهم كبعض يوم عنده (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ ايقظناهم لِنَعْلَمَ ليتعلّق علمنا تعلّقا حاليّا مطابقا لتعلّقه اوّلا تعلّقا استقباليّا أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ المختلفين منهم او من غيرهم فى مدّة لبثهم أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ضبط امدا لزمان لبثهم • وما فى ايّ من معنى الاستفهام علّق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماضٍ وأمدا مفعول له ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انّه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وأمدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو أَحْصَى للمال وأَفْلَسُ من ابن المذلّق وأمدا نصب بفعل دلّ عليه كقوله • وأَضْرَبُ منّا بالسيوف القوانسا •
(١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِٱلْحَقِّ بالصدق إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ جمع فَتًى كصَبِىّ وصِبْيَة آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ ركوع ١٤
هُدًى بالتثبيت (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ وقوّيناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراءة على اظهار الحقّ والردّ على دقيانوس الجبّار إِذْ قَامُوا بين يديه فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا واللّهِ لقد قلنا قولا ذا شطط اى ذا بُعد عن الحقّ مُفرِط فى الظلم (١٤) هٰؤُلَاءِ مبتدأ قَوْمُنَا عطف بيان ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً خبر وهو اخبار فى معنى انكار لَوْلَا يَأْتُونَ هلّا يأتون

عَلَيْهِمْ على عبادتهم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ببرهان ظاهر فانّ الدين لا يؤخذ الّا به وفيه دليل على انّ ما لا دليل جزء ۱۵ عليه من الديانات مردود وانّ التقليد فيه غير جائز فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللّٰهِ كَذِبًا بنسبة ركوع ۱۴ الشريك اليه (۱۵) وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ خطاب بعضهم لبعض وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللّٰهَ عطف على الضمير المنصوب اى واذ اعتزلتم القومَ ومعبوديهم الّا اللّٰهَ فانّهم كانوا يعبدون اللّٰه ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان يكون ما مصدريّة على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الّا عبادة اللّٰه وان تكون نافية على انّه اخبار من اللّٰه تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فَأْوُوا إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ يبسط لكم ويوسّع عليكم مِنْ رَحْمَتِهِ فى الدارين وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ما ترتفقون به اى تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوّة وثوقهم بفضل اللّٰه وقرأ نافع وابن عامر مَرْفِقًا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذًّا كالمَرْجِع والمَحِيض فانّ قياسه الفتح (۱۶) وَتَرَى ٱلشَّمْسَ لو رأيتهم والخطاب لرسول اللّٰه او لكلّ احد إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لانّ الكهف كان جنوبيًّا او لانّ اللّٰه سبحانه زوّرها عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء فى الزاء وقرأ الكوفيّون بحذفها وابن عامر ويعقوب تَزْوَرُّ كتحمرّ وقرئ تَزْوَارُّ كتحمارّ وكلّها من الزَّوَر بمعنى الميل ذَاتَ ٱلْيَمِينِ جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ تقطعهم وتصرمهم ذَاتَ ٱلشِّمَالِ يعنى يمين الكهف وشماله لقوله وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِنْهُ اى وهم فى متّسع من الكهف يعنى فى وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حرّ الشمس وذلك لانّ باب الكهف فى مقابلة بنات نعش واقربُ المشارق والمغارب الى محاذاته مشرقُ رأس السرطان ومغربُه والشمس اذا كان مدارُها مدارَه تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الّذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبَيْه ويحلّل عفونته ويعدّل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذى اجسادهم ويُبْلى ثيابهم ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ ٱللّٰهِ اى شأنهم وايواءهم الى كهف كذلك او اخبارك قصّتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته مَنْ يَهْدِ ٱللّٰهُ بالتوفيق فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ الّذى اصاب الفلاح والمراد به امّا الثناء عليهم او التنبيه على انّ امثال هذه الآيات كثيرة ولكنّ المنتفع بها من وفّقه اللّٰه للتأمّل فيها والاستبصار بها وَمَنْ يُضْلِلْ ومن يخذله فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا من يليه ويرشده (۱۷) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا ركوع ۱۵ لانفتاح عيونهم او كثرة تقلّبهم وَهُمْ رُقُودٌ نيام وَنُقَلِّبُهُمْ فى رقدتهم ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان ، وقرئ ويُقَلِّبُهُم بالياء والضمير للّٰه تعالى وتَقَلُّبَهُمْ على المصدر منصوبا بفعل يدلّ عليه وتحسبهم اى وترى تقلّبهم وَكَلْبُهُمْ هو كلب مرّوا به فتبعهم فطردوه فانطقه اللّٰه تعالى فقال انا احبّ احبّاء اللّٰه فناموا وانا احرسكم او كلبُ راعٍ مرّوا به فتبعهم فتبعه ويؤيّده قراءة من قرأ وَكَالِبُهُمْ اى وصاحب كلبهم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ حكاية حال ماضية ولذلك أُعمل

جزء ١٥ ركوع ١٥ اسمُ الفاعل بِٱلْوَصِيدِ بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ فنظرت اليهم وقرئ لَوُ ٱطُّلِعْتَ بضمّ الواو لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا لهربت منهم ، وفرارا يحتمل المصدر لانّه نوع من التولية والعلّة والحال وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا خوفا يملأ صدرك لما البسهم اللّه من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انّه غزا الروم فمرّ بالكهف فقال لو كُشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عبّاس رضه ليس لك ذلك قد منع اللّه تعالى من هو خير منك فقال لو اطّلعت عليهم لولّيت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلمّا دخلوا جاءت ريح فأحرقتهم ، وقرأ الحجازيّان لَمُلِّئْتَ بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائيّ ويعقوب رُعُبًا بالتثقيل (١٨) وَكَذٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ وكما انمناهم بعثناهم آية على كمال قدرتنا لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ ليسأل بعضهم بعضا فيتعرّفوا حالهم وما صنع اللّه بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة اللّه ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم اللّه به عليهم قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ بناء على غالب ظنّهم لانّ النائم لا يُحصى مدّة نومه ولذلك احالوا العلم الى اللّه تعالى قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انّهم لمّا دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة فظنّوا انّهم فى يومهم او اليوم الّذى بعده قالوا ذلك فلمّا نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثمّ لمّا علموا انّ الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمّهم وقالوا فَٱبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ والورق الفضّة مضروبةً كانت او غيرَها وقرأ ابو عمرو وحمزة وخلف وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف فى الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما او غير مدغم وردّ المدغم لالتقاء الساكنين على غير حدّه ، وحملهم له دليلٌ على انّ التزوّد رأي المتوكّلين ، والمدينة طَرسوس فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا اى اىّ اهلها أَزْكَى طَعَامًا احلّ واطيب او اكثر وارخص فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وليتكلّف اللطف فى المعاملة حتّى لا يُغبن او فى التخفّى حتّى لا يُعرف وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ولا يفعلنّ ما يؤدّى الى الشعور (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ان يطّلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدّر فى ايّها يَرْجُمُوكُمْ يقتلوكم بالرجم أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ او يصيّروكم اليها كرها من العَوْد بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اوّلا على دينهم فآمنوا وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ان دخلتم فى ملّتهم (٢٠) وَكَذٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم لِيَعْلَمُوا ليعلم الّذين اطلعناهم على حالهم أَنَّ وَعْدَ ٱللّٰهِ بالبعث او الموعود الّذى هو البعث حَقٌّ لانّ نومهم وانتباههم كحالِ من يموت ثمّ يُبعث وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا وانّ القيامة لا ريب فى امكانها فانّ من توفّى نفوسهم وامسكها ثلثمائة حافظا ابدانها من التحلّل والتفتّت ثمّ ارسلها اليها قدر ان يتوفّى نفوس جميع الناس ممسكا ايّاها الى ان يحشر ابدانها فيردّها اليها إِذْ يَتَنَازَعُونَ ظرف لأعثرنا اى اعثرناهم عليهم حين يتنازعون

بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ امرَ دينهم وكان بعضهم يقول تُبْعَث الارواح المجرّدة وبعضهم يقول يُبْعَثان معا ليرتفع الخلاف جزء ١٥
ويتبيّن انّهما يبعثان معا او امرَ الفتية حين اماتهم اللّه ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ركوع ١٥
ناموا نومهم اوّل مرّة او قالت طائفة نبنى عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتّخذونه قرية وقال آخرون لنتّخذنّ عليهم مسجدا يصلّى فيه كما قال تعالى فَقَالُوا ٱبْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا وقوله ربّهم اعلم بهم اعتراض امّا من اللّه ردّا على الخائضين فى امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد رسول اللّه صلعم او من المتنازعين للردّ الى اللّه بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام فى انسابهم واحوالهم فلم يتحقّق لهم ذلك حُكى انّ المبعوث لمّا دخل السوق واخرج الدرهم وكان على اسم دقيانوس اتّهموه بانّه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيّا موحّدا فقصّ عليه القصص فقال بعضهم انّ آباءنا اخبرونا انّ فتية فرّوا بدينهم من دقيانوس فلعلّهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلّموهم ثمّ قالت الفتية للملك نستودعك اللّه ونُعيذك به من شرّ الجنّ والانس ثمّ رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك فى الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لمّا انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتّى أَدْخل اوّلا لئلّا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثمّ مسجدا (٢١) سَيَقُولُونَ اى الخائضون فى قصّتهم فى عهد رسول اللّه صلعم من اهل الكتاب والمؤمنين ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ اى هم ثلاثة رجال يَرْبعهم كلبهم بانضمامه اليهم وقيل هو قول اليهود وقيل قول السيّد من نصارى نَجْران وكان يعقوبيّا وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريّا رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ يرمون رَمْيا بالخبر الخفىّ الّذى لا مُطّلع لهم عليه واتّيانا به او ظنّا بالغيب من قولهم رجم بالظنّ اذا ظنّ، وانّما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ انّما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل وايماء اللّه اليه بأن أَتْبعه قوله قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ وأَتْبع الاوّلَيْن قوله رجما بالغيب وبأن اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف فى الثلاثة المذكورة فانّ عدم ايراد رابع فى نحو هذا المحلّ دليل العدم مع انّ الاصل ينفيه ثمّ ردّ الاوّلين بأن اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعيّن الثالث وبأن ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفةً للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على انّ اتّصافه بها امرٌ ثابتٌ وعن علىّ رضه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يَمْليخا ومَكْشَلينيا ومَشْلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومَرْنُوش ودَبَرْنُوش وشاذَنُوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعى الّذى وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم أُفْسُوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم (٢٢) فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَاهِرًا فلا تجادل فى شأن الفتية الّا جدالا ظاهرا غير متعمّق فيه وهو ان تقصّ عليهم ما فى القرآن من غير تجهيل لهم والردّ عليهم وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ولا تسأل احدا منهم عن قصّتهم سؤال مسترشد

جزء ١٥ فانّ فيما أُوحى اليك لمندوحةً عن غيره مع انّه لا علم لهم بها ولا سؤالُ متعنّت تريد تفضيحَ المسئول
ركوع ١٩ وتزييفَ ما عنده فانّه يُخلّ بمكارم الاخلاق (٢٣) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ٱللَّهُ
نهىُ تأديب من اللّه لنبيّه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدا اخبرْكم ولم يَسْتثنِ فابطأ عليه الوحىُ بِضْعَةَ عَشَرَ يوما حتّى شقّ عليه وكذّبته قريش، والاستثناء من النهى اى ولا تقولنّ لاجل شىء تعزم عليه انّى فاعله فيما يستقبل الّا بأن يشاء اللّه اى الّا ملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء اللّه او الّا وقتَ انْ يشاء اللّه ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لانّ استثناء اقتران المشيئة بالفعل غيرُ سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهىَ وَٱذْكُرْ رَبَّكَ مشيئةَ ربّك وقل ان شاء اللّه كما روى انّه لمّا نزل قال عم ان شاء اللّه إِذَا نَسِيتَ اذا فرط منك نسيان لذلك ثمّ تذكّرته وعن ابن عبّاس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوّز تأخير الاستثناء عنه وعامّةُ الفقهاء على خلافه لانّه لو صحّ ذلك لم يتقرّر إقرارٌ ولا طلاقٌ ولا عتاقٌ ولم يُعْلَم صِدْقٌ ولا كذبٌ وليس فى الآية والخبرِ أنّ الاستثناء المتدارَك به من القول السابق بل هو من مقدَّرٍ مدلولٍ به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكرْ ربّك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغةً فى الحثّ عليه او اذكرْ ربّك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكرْه اذا اعتراك النسيان ليذكّرك المنسىَّ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي يدلّنى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا لاقرب رشدا واظهر دلالة على انّى نبىّ من نبا اصحاب الكهف وقد هداه لأَعْظَمَ من ذلك كقصص الانبياء المتباعد عنه ايّامُهم والإخبار بالغيوب والحوادث النازلة فى الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسىّ (٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا تِسْعًا يعنى لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما اجمل قبلُ وقيل انّه حكاية كلام اهل الكتاب فانّهم اختلفوا فى مدّة لبثهم كما اختلفوا فى عدّتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين ، وقرأ حمزة والكسائىّ ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسّنه ههنا أنّ علامة الجمع فيه جبرٌ لما حذف من الواحد وأنّ الاصل فى العدد اضافته الى الجمع ومن لم يُضِف ابدل السنين من ثلث مائة (٢٥) قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ له ما غاب فيهما وخفى من احوال اهلهما فلا خلق يخفى عليه علما أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ذكر بصيغة التعجّب للدلالة على انّ امره فى الادراك خارج ممّا عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شىء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفىّ وجلىّ والهاء تعود الى اللّه ومحلّه الرفعُ على الفاعليّة والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله أَبْصَرَ اى صار ذا بصرٍ ثمّ نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدمِ لياقِ الصيغة له او لزيادة الباء كما فى قوله تعالى وكفى به والنصبُ على المفعوليّة عند الاخفش والفاعلُ ضمير المأمور وهو كلّ احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدّية ان كانت للصيرورة مَا لَهُمْ الضمير لاهل السموات والارض مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ من يتولّى امورهم وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ فى قضائه أَحَدًا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا

وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهى كلّ احد عن الاشراك ، ثمّ لمّا دلّ اشتمال القران جزء ۱۵
على قصّة اصحاب الكهف من حيث انّها من المغيّبات بالاضافة الى الرسول صلعم على انّه وحى معجز أمَرَه ركوع ۱۶
ان يداوم دَرْسَه ويلازم اصحابه فقال (۲۶) وَٱتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ من القران ولا تسمع لقولهم
ائت بقران غير هذا او بدّله لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره وَلَنْ تَجِدَ مِنْ
دُونِهِ مُلْتَحَدًا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به (۲۷) وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ واحبسها وثبّتها مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
رَبَّهُمْ بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ فى مجامع اوقاتهم او فى طرفى النهار وقرأ ابن عامر بِٱلْغُدْوَةِ وفيه انّ غدوة عَلَمٌ فى
الاكثر فتكون اللام فيه على تأويل التنكير يُرِيدُونَ وَجْهَهُ رضى اللّه وطاعته وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ
ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعَنْ لتضمينه معنى نبا وقرئ وَلَا تُعْدِ عَيْنَيْكَ ولا تُعَدِّ من
أعداه وعدّاه والمراد نهى الرسول ان يزدرى بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيّهم طموحا الى طراوة
زىّ الاغنياء تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا حال من الكاف فى المشهورة ومن المستكنّ فى الفعل فى غيرها
وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ من جعلنا قلبه غافلا عَنْ ذِكْرِنَا كأُمَيّة بن خلف فى دعائك الى طرد الفقراء عن
مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على أنّ الداعى له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات
وانهماكه فى المحسوسات حتّى خفى عليه انّ الشرف بتحلية النفس لا بزينة الجسد وأنّه لو اطاعه كان
مثله فى الغباوة ، والمعتزلة لمّا غاظهم اسناد الاغفال الى اللّه قالوا انّه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او
نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اى لم نَسِمْه بذكرنا كقلوب ٱلّذين كتبنا فى
قلوبهم الايمان واحتجّوا على انّ المراد ليس ظاهر ما ذكر اوّلا بقوله وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وجوابه ما مرّ غيرَ
مرّة ، وقرئ أَغْفَلَنَا باسناد الفعل الى القلب على معنى حَسِبَنَا قلبه غافلين عن ذكرنا ايّاه بالمؤاخذة
وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا اى تقدّما على الحقّ ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فُرُط اى متقدّم للخيل ومنه الفَرَط
(۲۸) وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ما يكون من جهة اللّه لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحقّ خبرَ
محذوف ومن ربّكم حالا فَمَنْ شَآءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَآءَ فَلْيَكْفُرْ لا ابالى بايمان من آمن ولا كفر من كفر وهو
لا يقتضى استقلال العبد بفعله فانّه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته إِنَّا أَعْتَدْنَا هيّأنا
لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا فُسْطاطها شبّه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة
الّتى تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا من العطش
يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ كالجسد المذاب وقيل كدُرْدىّ الزيت وهو على طريقة قوله • فأُعْتِبوا بالصَيْلَم •
يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ اذا قُدِّم ليُشْرَب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير فى
الكاف بِئْسَ ٱلشَّرَابُ المهل وَسَآءَتْ النارُ مُرْتَفَقًا متّكأ وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخدّ وهو
لمقابلة قوله وحَسُنت مرتفقا والّا فلا ارتفاق لاهل النار (۲۹) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا

جزء ١٥ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا خبرُ انّ الاولى هى الثانية بما فى حيّزها والراجع محذوفٌ تقديره من احسن
ركوع ١٦ عملا منهم او مستغنًى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه فى قولك نعم الرجلُ زيدٌ او
واقعٌ موقعَه الظاهرَ فانّ من احسن عملا لا يحسن اطلاقه على الحقيقة الّا على الّذين آمنوا وعملوا
الصالحات او (٣٠) أُولٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَارُ وما بينهما اعتراض وعلى الاوّل
استينافٌ لبيان الاجر او خبرٌ ثانٍ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ من الاولى للابتداء والثانية
للبيان صفة لاساور وتنكيره لتعظيم حُسْنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوارٍ فى جمع
سوار وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا لانّ الخُضْرة احسن الالوان واكثرها طراوةً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ممّا
رقّ من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعَيْن للدلالة على انّ فيها ما تشتهى الانفسُ وتلذّ الاعين
مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَائِكِ على السُرُر كما هو هيئة المتنعّمين نِعْمَ ٱلثَّوَابُ الجنّةُ ونعيمها وَحَسُنَتْ الارائك
ركوع ١٧ مُرْتَفَقًا متكأً (٣١) وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا للكافر والمؤمن رَجُلَيْنِ حال رجلين مقدّرين او موجودين هما اخوان
من بنى اسرائيل كافر اسمه قُطْروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى
الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن فى وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه اللّه تعالى وقيل المثّل بهما
اخوان من بنى مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاشدّ ومؤمن وهو ابو سلمة عبد اللّه بن عبد الاشدّ
زوجُ امّ سلمة قبل رسول اللّه جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ بستانين مِنْ أَعْنَابٍ من كروم والجملة بتمامها
بيان للتمثيل او صفة للرجلين وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزّرا بها كرومُهما يقال
حفّه القوم اذا اطافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافّين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشّيتُه
به وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا وسطهما زَرْعًا ليكون كلّ منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصلَ العمارة على الشكل
الحسن والترتيب الانيق كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ثمرها وإفراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كلّ
ٱلْجَنَّتَيْنِ آتَى أُكُلَهُ وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ ولم تنقص من اكلها شَيْئًا يُعْهَد فى سائر البساتين فانّ الثمار تتمّ
فى عام وتنقص فى عام غالبا (٣٢) وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ليدوم شربهما فانّه الاصل ويزيد بهاؤُهما وعن
يعقوب وَفَجَرْنَا بالتخفيف وَكَانَ لَهُ ثُمُرٌ انواع من المال سوى الجنّتين من ثَمَّرَ مَالَهُ اذا كثّره وقرأ عاصم
بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضمّ الثاء واسكان الميم والباقون بضمّهما وكذلك فى قوله واحيط بثمره
فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ يراجعه فى الكلام من حار اذا رجع أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا حشما
واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانّهم الّذين ينفرون معه (٣٣) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ بصاحبه يطوف به فيها
ويفاخره بها وافراد الجنّة لانّ المراد ما هو جنّته وهو ما مُتّع به من الدنيا تنبيها على ان لا جنّة له غيرها
ولا حظّ له فى الجنّة الّتى وُعد المتقون او لاتصال كلّ واحدة من جنّتيه بالاخرى او لانّ الدخول
يكون فى واحدة واحدة وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ضارّ لها بعُجْبه وكفره قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ ان تفنى هٰذه

جزء ١٥ ركوع ١٧

الجنّة أَبَدًا لطول امله وتمادى غفلته واغتراره بمهلته (٣٤) وَمَا أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَائِمَةً كائنة وَلَئِن رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّى بالبعث كما زعمتَ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا من جنّته وقرأ الحجازيّان والشامىّ مِنْهُمَا اى من الجنّتين مُنقَلَبًا مرجعا وعاقبةً لانّها فانية وتلك باقية وانّما اقسم على ذلك لاعتقاده انّه تعالى انّما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه ايّاه لذاته وهو معه اينما تلقّاه (٣٥) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ لانّه اصل مادّتك او مادّة اصلك ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ فانّها مادّتك القريبة ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ثمّ عدّلك وكمّلك انسانا ذكرا بالغا مَبْلَغَ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا باللّه لانّ منشأه الشكّ فى كمال قدرة اللّه ولذلك رتّب الانكار على خلقه ايّاه من التراب فانّ من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه (٣٦) لَّٰكِنَّا هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا اصله لكنْ أنا فحُذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان الادغامُ وقرأ ابن عامر ويعقوب فى رواية بالالف فى الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لَكِنْ أَنَا على الاصل ، وهُوَ ضميرُ الشأن وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبرُ أنا او ضميرُ اللّه واللّه بدله وربّى خبره والجملة خبرُ أنا ، والاستدراك من اكفرت كانّه قال انت كافر باللّه لكنّى مؤمن به ، وقد قرئ لَكِنْ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ولَكِنْ أَنَا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبِّى (٣٧) وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ وهلّا قلت عند دخولها مَا شَآءَ ٱللَّهُ الامرُ ما شاء اللّه او ما شاء اللّه كائنٌ على انّ ما موصولة او اىّ شىء شاء اللّه كان على انّها شرطيّة والجواب محذوف اقرارا بانّها وما فيها بمشيئة اللّه إن شاء ابقاها وإن شاء ابادها لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ وقلت لا قوّة الّا باللّه اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة للّه وانّ ما تيسّر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبىّ صلعم من رأى شيـًٔا فاعجبه فقال ما شاء اللّه لا قوّة الّا باللّه لم يضرّه إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا يحتمل أن يكون انا فصلا وأن يكون تأكيدا للمفعول الاوّل وقرئ أَقَلُّ بالرفع على انّه خبرُ انا والجملة مفعولٌ ثانٍ لترن ، وفى قوله وولدا دليل لمن فسّر النفر بالاولاد (٣٨) فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ فى الدنيا او فى الآخرة لايمانى وهو جواب الشرط وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا على جنّتك لكفرك حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَرامِىَ جمع حُسْبانة وهى الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذابُ حساب الاعمال السيّئة فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ارضا ملساء يُزْلَق عليها باستيصال نباتها واشجارها (٣٩) أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا غائرا فى الارض مصدرٌ وُصف به كالزَّلَق فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا للماء الغائر تردّدا فى ردّه (٤٠) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ وأُهلك امواله حسبما توقّعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدوّ فانّه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيرُه اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدوّ اذا جاءهم مستعليا عليهم فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ظَهْرًا لبَطْن تلهّفا وتحسّرا عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا فى عمارتها وهو متعلّق بيقلّب لانّ تقليب الكفّين كناية عن الندم وكانّه قيل فاصبح يندم او حالٌ اى متحسّرا على ما انفق فيها

*

جزء ١٥ وَهِيَ خَاوِيَةٌ ساقطة عَلَىٰ عُرُوشِهَا بأن سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها وَيَقُولُ عطف على
ركوع ١٧ يقلّب او حال من ضميره يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا كانّه تذكّر موعظة اخيه وعلم انّه أُتِيَ من قِبَل
شركه فتمنّى لو لم يكن مشركا فلم يهلك اللّه بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما
على ما سبق منه (٤١) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ وقرأ حمزة والكسائيّ بالياء لتقدّمه يَنْصُرُونَهُ يقدرون على نصره
بدفع الاهلاك او ردّ المُهْلَك او الاتيان بمثله مِنْ دُونِ ٱللَّهِ فانّه القادر على ذلك وحده وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا
وما كان ممتنعا بقوّته عن انتقام اللّه منه (٤٢) هُنَالِكَ فى ذلك المقام وتلك الحال ٱلْوَلَايَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ
النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين
على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا لاوليائه وقرأ
حمزة والكسائيّ بالكسر ومعناها السلطان والملك اى هنالك السلطان له لا يُغْلَب ولا يُمْنَع منه او لا يُعْبَد
غيره كقوله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا اللّه مخلصين له الدين فيكون تنبيها على انّ قوله يا
ليتنى لم اشرك كان عن اضطرار وجزع ممّا دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة ، وقرأ ابو عمرو والكسائيّ
ٱلْحَقُّ بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكّد وقرأ حمزة وعاصم عُقْبًا بالسكون وقرئ
ركوع ١٨ عُقْبَى وكلّها بمعنى العاقبة (٤٣) وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا واذكر لهم ما يشبه الحيوة الدنيا
فى زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كَمَآءٍ هى كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انّه
بمعنى صيّر أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فالتفّ بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته
وتكاثفه او نجع فى النبات حتّى رَوِىَ ورفّ وعلى هذا كان حقّه فاختلط بنبات الارض لكنّه لمّا كان
كلّ من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة فى كثرته فَأَصْبَحَ هَشِيمًا مهشوما مكسورا
تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ تفرّقه وقرئ تُذْرِيه من اذرى والمشبّه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفيّة المنتزعة من
الجملة وهى حال النبات المُنْبَت بالماء يكون اخضر وارفا ثمّ هشيما تُطيره الرياح فيصير كأنْ لم يكن
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ من الانشاء والافناء مُقْتَدِرًا قادرا (٤٤) ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
يتزيّن بها الانسان فى دنياه وتفنى عنه عمّا قريب وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ واعمال الخير الّتى تبقى له ثمرتها
ابد الآباد ويندرج فيها ما فُسّرت به من الصلوات الخمس واعمال الحجّ وصيام رمضان وسبحان اللّه
والحمد للّه ولا اله الّا اللّه واللّه اكبر والكلام الطيّب خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ من المال والبنين ثَوَابًا عائدة
وَخَيْرٌ أَمَلًا لانّ صاحبها ينال بها فى الآخرة ما كان يأمل بها فى الدنيا (٤٥) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ واذكر
يوم نقلعها ونسيّرها فى الجوّ او نذهب بها فنجعلها هباء منبثّا ويجوز عطفه على عند ربّك اى الباقيات
الصالحات خيرٌ عند اللّه ويوم القيامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تُسَيَّرُ بالتاء والبناء للمفعول
وقرئ تَسِيرُ من سارت وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ

وتُرَى على بناء المفعول وَحَشَرْنَاهُمْ وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسيّر وترى لتحقّق الحشر جزء ١٥
او للدلالة على انّ حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وُعد لهم وعلى هذا يكون الواو للحال ركوع ١٨
باضمار قَدْ فَلَمْ نُغَادِرْ فلم نترك مِنْهُمْ أَحَدًا يقال غادره وأغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير
لما غادره السيل وقرئ بالياء (٤٦) وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ شبّه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان
لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم صَفًّا مصطفّين لا يحجب احد احدا لَقَدْ جِئْتُمُونَا على اضمار القول على وجه
يكون حالا او عاملا فى يومَ نسيّر كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ عُراة لا شىء معكم من المال والولد كقوله
ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا وقتا
لانجاز الوعد بالبعث والنشور وانّ الانبياء كذبوكم به وبَلْ للخروج من قصّة الى اخرى (٤٧) وَوُضِعَ
ٱلْكِتَابُ صحائف الاعمال فى الأيمان والشمائل او فى الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب
فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ خائفين مِمَّا فِيهِ من الذنوب وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ينادون هلكتهم التى هلكوها
من بين الهلكات مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَابِ تعجّبا من شأنه لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً هنة صغيرة وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا
الّا عدّدها واحاط بها وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا مكتوبا فى الصحف وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا فيكتب عليه
ما لم يفعل او يزيد فى عقابه الملائم لعمله (٤٨) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ركوع ١٩
كرّره فى مواضع لكونه مقدّمة للامور المقصود بيانها فى تلك المحالّ وههنا لمّا شنّع على المفتخرين واستقبح
صنيعهم قرّر ذلك بانّه من سُنن ابليس او لمّا بيّن حال المغرور بالدنيا والمُعرض عنها وكان سبب
الاغترار بها حبّ الشهوات وتسويل الشيطان زهّدهم اوّلا فى زخارف الدنيا بانّها عُرضة الزوال والاعمال
الصالحة خيرٌ وابقى من انفسها وأعلاها ثمّ نفّرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة
وهكذا مذهب كلّ تكرير فى القران كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ حال باضمار قَدْ او استيناف للتعليل كانّه قيل ما
له لم يسجد فقيل كان من الجنّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ فخرج عن امره بترك السجود والفاء للسبب
وفيه دليل على انّ المَلَك لا يعصى البتّة وانّما عصى ابليس لانّه كان جنّيا فى اصله والكلام المستقصى
فيه فى سورة البقرة أَفَتَتَّخِذُونَهُ اعقيبَ ما وُجد منه تتّخذونه والهمزة للانكار والتعجّب وَذُرِّيَّتَهُ اولاده
او اتباعه وسمّاهم ذرّيّة مجازا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي فتستبدلونهم بى فتطيعونهم بدل طاعتى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ
بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا من الله ابليس وذرّيّته (٤٩) مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ
نفى احضار ابليس وذرّيّته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدلّ على نفى الاعتضاد
بهم فى ذلك كما صرّح به بقوله وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا اى اعوانا ردّا لاتّخاذهم اولياء من
دون الله شركاء له فى العبادة فانّ استحقاق العبادة من توابع الخالقيّة والاشراك فيه يستلزم الاشراك

جزء ١٥ فيها فوضع المضلّين موضع الضمير ذمّا لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما
ركوع ١٩ اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتّى لو آمنوا تبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانّه لاينبغى لى ان اعتضد بالمضلّين لدينى ويعضده قراءة من قرأ وَمَا كُنْتَ على خطاب الرسول صلعم وقرئ مُتَّخِذًا ٱلْمُضِلِّينَ على الاصل وعَضْدًا بالتخفيف وعُضُدًا بالاتباع وعَضَدًا كخَدَم جمع عاضد من عَضَدَه اذا قوّاه (٥٠) وَيَوْمَ يَقُولُ اى اللّه للكفّار وقرأ حمزة بالنون نَادُوا شُرَكَائِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أنّهم شركائى وشفعاؤكم ليمنعوكم من عذابى واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عُبِد من دونه وقيل ابليس وذرّيّته فَدَعَوْهُمْ فنادوهم للاغاثة فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ فلم يغيثوهم وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ بين الكفّار وآلهتهم مَوْبِقًا مَهْلِكًا يشتركون فيه وهو النار او عداوةً هى فى شدّتها هلاك كقول عُمَر رضه لا يكن حُبّك كَلَفًا ولا بغضك تَلَفًا اسمُ مكان او مصدرٌ من وَبِقَ يَوْبَق وَبَقًا اذا هلك وقيل البين الوصل اى وجعلنا تواصُلَهم فى الدنيا هلاكا يومَ القيامة (٥١) وَرَأَى ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوا فأيقنوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا مخالطوها واقعون فيها وَلَمْ يَجِدُوا
ركوع ٢٠ عَنْهَا مَصْرِفًا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه (٥٢) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هٰذَا ٱلْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ من كلّ جنس يحتاجون اليه وَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَىْءٍ يتأتّى منه الجدل جَدَلًا خصومةً بالباطل وانتصابُه على التمييز (٥٣) وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا من الايمان إِذْ جَاءَهُمُ ٱلْهُدَى وهو الرسول الداعى والقران المبين وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ومن الاستغفار عن الذنوب إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ الّا طلبُ او انتظارُ او تقديرُ ان تأتيهم سنّة الاوّلين وهى الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ عذاب الآخرة قِبَلًا عيانا وقرأ الكوفيّون قُبُلًا بضمّتين وهو لغةٌ فيه او جمعُ قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلةً وقِبَلًا وقَبَلًا وقُبُلًا وقَبَلِيًّا وانتصابُه على الحال من الضمير او العذاب (٥٤) وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ للمؤمنين والكافرين وَيُجَادِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِٱلْبَاطِلِ باقتراحِ الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤالِ عن قصّة اصحاب الكهف ونحوها تعنّتا لِيُدْحِضُوا بِهِ ليزيلوا بالجدال ٱلْحَقَّ عن مقرّه ويُبْطلوه من إدحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الّا بشر مثلنا لو شاء اللّه لانزل ملائكة ونحو ذلك وَٱتَّخَذُوا آيَاتِى يعنى القران وَمَا أُنْذِرُوا وانذارهم او والّذى انذروا به من العقاب هُزُوًا استهزاء وقرئ هُزْءًا بالسكون وهو ما يُسْتهزأ به (٥٥) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ بالقران فَأَعْرَضَ عَنْهَا فلم يتدبّرها ولم يتذكّر بها وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ من الكفر والمعاصى فلم يتفكّر فى عاقبتها إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانّهم مطبوع على قلوبهم أَنْ يَفْقَهُوهُ كراهةَ ان يفقهوه وتذكيرُ الضمير وافرادُه للمعنى وَفِى آذَانِهِمْ وَقْرًا يمنعهم ان يستمعوه حقّ

استماعه (٥٦) وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا تحقيقا ولا تقليدا لانّهم لا يفقهون ولا جزء ١٥
يسمعون ، واذًا كما عرفتَ جزاءٌ وجوابٌ للرسول على تقدير قوله ما لى لا ادعوهم فانّ حرصه على اسلامهم ركوع ٢٠
يدلّ عليه (٥٧) وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ البليغ المغفرة ذُو ٱلرَّحْمَةِ الموصوف بالرحمة لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ
لَهُمُ ٱلْعَذَابَ استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم فى عداوة رسول الله صلعم بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ وهو
يوم بدر او يوم القيامة لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا مَنْجًى ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا
لجأ اليه (٥٨) وَتِلْكَ ٱلْقُرَى يعنى قرى عاد وثمود وأضرابهم وتلك مبتدأ خبره أَهْلَكْنَاهُمْ او مفعول مضمر
مفسَّر به والقرى صفته ولا بدّ من تقدير مضاف فى احدهما ليكون مَرْجِعَ الضمائر لَمَّا ظَلَمُوا كقريش
بالتكذيب والمراء وانواع المعاصى وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه
ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغترّوا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لِمَهْلَكِهِمْ بفتح الميم
واللام اى لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذّ من مصادر يَفْعُلُ كالمَرْجِع والمَحِيض
(٥٩) وَإِذْ قَالَ مُوسَى مقدّر باذكر لِفَتَاهُ يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عم فانّه كان يخدمه ركوع ٢١
ويتبعه ولذلك سمّاه فتاه وقيل لعبده لَا أَبْرَحُ لا ازال اسيرُ فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفرُ وقوله
حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ من حيث انّها تستدعى ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح
مسيرى حتّى ابلغ على انّ حتّى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضميرُ
والفعلُ وأن يكون لا ابرح هو بمعنى لا ازول عمّا انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعى
الخبرَ ، ومجمع البحرين ملتقى بحرَىْ فارس والروم ممّا يلى المشرق وُعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران
موسى وخضر عليهما السلام فانّ موسى كان بحرَ علم الظاهر وخضر بحرَ علم الباطن وقرئ مَجْمِعَ
بكسر الميم على الشذوذ من يَفْعَلُ كالمَشْرِق والمَطْلِع أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا او اسير زمانا طويلا والمعنى
حتّى يقع إمّا بلوغ المجمع او مُضِيّ الحقب او حتّى ابلغ الّا ان امضى زمانا اتيقّن معه فواتَ المجمع
والحُقُبُ الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روى انّ موسى عم خطب الناس بعد هلاك القبط
ودخوله مصر خطبةً بليغةً فأُعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك قال لا فاوحى الله اليه بل
اعلم منك عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر فى ايّام افريدون وكان على مقدّمة ذى
القرنين الاكبر وبقى الى ايّام موسى وقيل انّ موسى عم سأل ربّه أىّ عبادك احبُّ اليك قال الّذى يذكرنى
ولا ينسانى قال فأىّ عبادك اقضى قال الّذى يقضى بالحقّ ولا يتبع الهوى قال فأىّ عبادك اعلم قال
الّذى يبتغى علمَ الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدلّه على هُدًى او تردّه عن رَدًى فقال ان
كان فى عبادك اعلمُ منّى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة
قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مِكْتَل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدتَ الحوت فاخبرْنى
فذهبا يمشيان (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا اى مجمع البحرين وبينهما ظرفٌ أُضيف اليه على الاتّساع

جزء ١٥ او بمعنى الوصل نَسِيَا حُوتَهُمَا نسى موسى أن يطلبه ويتعرّف حاله ويوشعُ أن يذكر له ما رأى من ركوع ٢١ حياته ووقوعه فى البحر رُوى انّ موسى رقد فاضطرب الحوت المشوىّ ووثب فى البحر معجزةً لموسى عم او الخضر وقيل توضّأ يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء وقيل نسيا تفقّد امره وما يكون منه أمارة على الظفر بالمطلوب فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا فاتّخذ الحوت طريقه فى البحر مَسْلَكا من قوله وساربٌ بالنهار وقيل امسك اللّه جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثانى وفى البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلّقه باتّخذ (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا مجمعَ البحرين قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَآءَنَا ما نتغدّى به لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هٰذَا نَصَبًا قيل لم يَنْصَب حتّى جاوز الموعد فلمّا جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر أُلْقى عليه الجوع والنصب وقيل لم يَعْىَ موسى فى سفرٍ غيرِه ويؤيّده التقييد باسم الاشارة (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا ارأيت ما دهانى اذ اوينا إِلَى ٱلصَّخْرَةِ يعنى الصخرة الّتى رقد عندها موسى وقيل هى الصخرة الّتى دون نهر الزيت فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ فقدته او نسيت ذكره بما رأيتُ منه وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ اى وما انسانى ذِكْرَه الّا الشيطان فانّ أن اذكره بدل من الضمير وقرئ أن أُذَكِّرَكَهُ وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحالُ وإن كانت عجيبة لا يُنْسَى مثلها لكنّه لمّا ضَرِىَ بمشاهدة امثالها عند موسى وأَلِفها قلّ اهتمامُه بها ولعلّه نسى ذلك لاستغراقه فى الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانّما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لانّ عدم احتمال القوّة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يُعَدّ من نقصان وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتّخاذا عجبا والمفعولُ الثانى هو الظرف وقيل مصدرٌ فعله المضمَرِ اى قال فى آخر كلامه او موسى فى جوابه عجبا تعجّبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اى اتّخذ موسى سبيل الحوت فى البحر عجبا (٦٣) قَالَ ذٰلِكَ اى امر الحوت مَا كُنَّا نَبْغِ نطلب لانّه أمارة المطلوب فَٱرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا فرجعا فى الطريق الّذى جاءا فيه قَصَصًا يقصّان قصصا اى يتّبعان آثارهما اتّباعا او مقتصّين حتّى اتيا الصخرة (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا الجمهور على انّه الخضر واسمه بَلْيَا بن مَلْكان وقيل ٱلْيَسَع وقيل إِلْياس آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا هى الوحى والنبوّة وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ممّا يختصّ بنا ولا يُعْلَم الّا بتوقيفنا وهو علم الغيوب (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ على شرطِ أن تعلّمنى وهو فى موضع الحال من الكاف مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا علمًا ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريّان بفتحتين وهما لغتان كالبُخْل والبَخَل وهو مفعولُ تعلّمن ومفعولُ عُلِّمتَ العائدُ المحذوف وكلاهما منقولان من عَلِمَ الّذى له مفعول واحد ويجوز ان يكون رشدا علّةً لأتّبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافى نبوّتَه وكونَه صاحبَ شريعة أن يتعلّم من غيره ما لم يكن شَرْطا فى ابواب الدين فانّ الرسول ينبغى ان يكون اعلم ممّن أُرْسل اليه فيما بُعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى فى ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان

يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ جزء ١٥
مَعِيَ صَبْرًا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كانّها ممّا لا يصحّ ولا يستقيم وعلّل ركوع ٢١
ذلك واعتذر عنه بقوله (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا اى وكيف تصبر وانت نبىّ على
ما أُتولّى من امور ظاهرها مناكير وباطنها لم يُحط به خُبْرك وخبرا تمييز او مصدر لانّ لم تحط به
بمعنى لم تخبره (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا معك غيرَ مُنْكِر عليك وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا عطف
على صابرا اى ستجدنى صابرا وغيرَ عاصٍ او على ستجدنى ، وتعليق الوعد بالمشيئة إمّا للتيمّن وخُلْفه
ناسيا لا يقدح فى عِصْمته او لعلمه بصعوبة الامر فانّ مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا
خُلْف وفيه دليل على انّ افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ
فلا تفاتحنى بالسؤال عن شىء انكرته منّى ولم تعلم وجهَ صحّته حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا حتى
ابتدئك ببيانه ، وقرأ نافع وابن عامر فَلَا تَسْأَلَنِّي بالنون الثقيلة (٧٠) فَانْطَلَقَا على الساحل يطلبان ركوع ٢٢
السفينة حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا اخذ الخضر فأسًا فخرق السفينة بأن قلع لوحَيْن من الواحها
قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا فانّ خرقها سبب لدخول الماء فيها المُفضى الى غرق اهلها وقرئ لتُغرّق
بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائىّ لِيَغْرَقَ أَهْلُهَا على اسناده الى الاهل لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا اتيت
امرا عظيما من أَمِرَ الامرُ اذا عظم (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا تذكير لما ذكره قبلُ
(٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ بالّذى نسيته او بشىء نسيته يعنى وصيّته بأن لا يعترض عليه او
بنسيانى ايّاها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه فى معرض النهى عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل
اراد بالنسيان الترك اى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيّتك اوّلَ مرّة وقيل انّه من معاريض الكلام
والمراد شىء آخر نَسِيَه وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ولا تُغْشِنى عسرا من امرى بالمضايقة والمؤاخذة على
المنسىّ فانّ ذلك يعسّر علىّ متابعتك وعسرا مفعول ثانٍ لترهق فانّه يقال رَهِقَه اذا غَشِيَه وأرهقه ايّاه
وقرئ عُسُرًا بضمّتين (٧٣) فَانْطَلَقَا اى بعد ما خرجا من السفينة حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قيل فتل
عنقه وقيل ضرب برأسه الحائطَ وقيل اضجعه فذبحه ، والفاء للدلالة على انّه كما لقيه قتله من غير
تروٍّ واستكشاف حال ولذلك قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ اى طاهرةً من الذنوب وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زَاكِيَةً والاوّل ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية الّتى لم تذنب قطّ
والزكيّة الّتى اذنبت ثمّ غُفرت ولعلّه اختار الاوّل لذلك فانّها كانت صغيرة لم تبلغ الحُلُم او انّه لم
يرها قد اذنبت ذنبا يقتضى قتلها او قتلت نفسا فتُقاد بها نبّه به على انّ القتل انّما يُباح حدًّا او
قصاصا وكلا الامرين مُنتفٍ ، ولعلّ تغيير النظم بأن جعل خرقها جزاءً واعتراضَ موسى مستأنفا فى
الاولى وفى الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لانّ القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان

جديرا بأن يُجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُكْرًا اى مُنْكَرا وقرأ نافع فى رواية
جزء ١٦ قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر نُكُرًا بضمّتين (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا
ركوع ١ زاد فيه لَكَ مكافحةً بالعتاب على رفض الوصيّة ووَسْما بقلّة الثبات والصبر لما تكرّر منه الاشمئزاز والاستنكار
ولم يَرْعَوِ بالتذكير اوّل مرّة حتّى زاد فى الاستنكار ثانى مرّة (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا
تُصَاحِبْنِى وان سألت صُحْبتك وعن يعقوب فَلَا تَصْحَبْنِى اى فلا تجعلنى صاحبك قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّى عُذْرًا
قد وجدت من قِبَلى عذرا لما خالفتك ثلاث مرّات وعن رسول اللّه صلعم رحم اللّه اخى موسى استحيى
فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لأبصر اعجب الاعاجيب ، وقرأ نافع لَدُنِى بتحريك النون والاكتفاء بها
عن نون الدعامة كقوله ، قَدْنِىَ مِنْ نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِى ، وابو بكر بتحريك النون واسكان الدال
اسكانَ الضاد من عَضُد (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ قرية انطاكية وقيل أُبُلّة البصرة وقيل
باجَرْوان ارمينية ٱسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا وقرئ يُضِيفُوهُمَا من اضافه يقال ضافه اذا نزل به
ضيفا وأضافه وضيّفه انزله وأصلُ التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فَوَجَدَا فِيهَا
جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهمّ والعزم قال

يُرِيدُ الرمحُ صَدْرَ ابى بَراء — ويَعْدِل عن دماء بنى عُقَيْل

وقال

إِنَّ دَهْرًا يَلُفُّ شَمْلِى بجُمْلٍ — لَزَمانٌ يَهُمُّ بالاحسان

وانقضّ انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهُوِيّه او افعلّ من النقض وقرئ
أَنْ يُنْقَضَ وأَنْ يَنْقَاصَ بالصاد المهملة من انقاصت السِنّ اذا انشقّت طولا فَأَقَامَهُ بعمارته او بعمود
عَمَدَه به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا تحريضا على
اخذ الجُعْل لينتعشا به او تعريضا بانّه فضول لما فى لَوْ من النفى كانّه لمّا رأى الحرمان ومساس الحاجة
واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه ، واتّخذ افتعل من تخذ كاتّبع من تبع وليس من الاخذ عند
البصريّين وقرأ ابن كثير والبصريّان لَتَخِذْتَ اى لأخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال
وادغمه الباقون (٧٧) قَالَ هٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبنى او الى
الاعتراض الثالث او الوقت اى هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته ، واضافة الفراق الى البين
اضافة المصدر الى الظرف على الاتّساع وقد قرئ على الاصل سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا بالخبر
الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر (٧٨) أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ
يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ لمحاويج وهو دليل على انّ المسكين يطلق على من يملك شيـًٔا اذا لم يَكْفِه وقيل
سُمّوا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانّها كانت لعشرة اخوة خمسة زَمْنَى وخمسة يعملون
فى البحر فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا اجعلها ذات عيب وَكَانَ وَرَآءَهُمْ مَلِكٌ قُدّامهم او خلفهم وكان رجوعهم

جزء ١٦ ركوع ١

من اصحابها يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وقيل منوار بن جلندى الازدى واسمه جَلَنْدَى بن كركر عليه ووراءهم ملك لانّ ارادة التعييب وكان حقّ النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان مسبّب عن خوف الغَصْب وانّما قدّم للعناية او لانّ السبب لمّا كان مجموع الامرين خوف الغصب ومَسْكنة المُلّاك رتّبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقّبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم ، وقرئ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ والمعنى عليها (٧٩) وَأَمَّا ٱلْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا ان يُغْشِيَهما طُغْيَانًا وَكُفْرًا لنعمتهما بعقوقه فيُلحقهما شرّا او يَقْرِنَ بايمانهما طغيانَه وكفرَه فيجتمع فى بيت واحد مؤمنان وطاغٍ كافر او يُعْدِيَهما بعلّته فيرتدّا باضلاله او بممالأتهما على طغيانه وكفره حبّا له وانّما خشى ذلك لانّ اللّه تعالى اعلمه وعن ابن عبّاس انّ نَجْدة الحَرُورىّ كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبىّ صلعم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمتَ من حال الولدان ما علمه عالِمُ موسى فلك ان تقتل ، وقرئ فَخَافَ رَبُّكَ اى فكره كراهةَ مَنْ خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول اللّه عزّ وجلّ (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زَكَوٰةً طهارة من الذنوب والاخلاق الرديّة وَأَقْرَبَ رُحْمًا رحمة وعطفا على والديه قيل وُلِدَتْ لهما جارية فتزوّجها نبىّ فولَدَتْ له نبيّا هدى اللّه به امّةً من الامم وقرأ نافع وابو عمرو يُبَدِّلَهُمَا بالتشديد وابن عامر ويعقوب وعاصم رُحُمًا بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة (٨١) وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ قيل اسمهما أَصْرَم وصُرَيْم واسم المقتول حَيْسُون وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا من ذهب وفضّة رُوى ذلك مرفوعا والذمّ على كنزهما فى قوله والّذين يكنزون الذهب والفضّة لمن لا يؤدّى زكاتهما وما تعلّق بهما من الحقوق وقيل من كُتُب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبتُ لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يطمئنّ اليها لا اله الّا اللّه محمّد رسول اللّه وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا تنبيه على انّ سَعْيه فى ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الّذى حُفظا فيه سبعة آباء وكان سيّاحا واسمه كاشح فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا اى الحُلُم وكمال الرأى وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ مرحومَيْن من ربّك ويجوز ان يكون علّة او مصدرا لاراد فانّ ارادة الخير رحمة وقيل متعلّق بمحذوف تقديره فعلتُ ما فعلتُ رحمةً من ربّك ، ولعلّ اسناد الارادة اوّلا الى نفسه لانّه المباشر للتعييب وثانيا الى اللّه والى نفسه لانّ التبديل باهلاك الغلام وايجاد اللّه بدلَه وثالثا الى اللّه وحده لانّه لا مدخل له فى بلوغ الغلامين او لانّ الاوّل فى نفسه شرّ والثالث خير والثانى ممتزج او لاختلاف حال العارف فى الالتفات الى الوسائط وَمَا فَعَلْتُهُ وما فعلتُ ما رأيتَه عَنْ أَمْرِى عن رأيى وانّما فعلته بأمر اللّه تعالى ومَبْنَى ذلك على انّه متى تعارض ضرران يجب تحمّل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهّد غير انّ الشرائع فى تفاصيله مختلفة

*

جوء ١٦ ذٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا اى ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ، ومن فوائد هذه القصة أن
ركوع ١ لا يُعْجَب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعلّ فيه سرّا لا يعرفه وأن يداوم على التعلّم ويتذلّل
للمعلّم ويراعى الادب فى المقال وأن ينبّه المُجْرِم على جُرْمه ويعفو عنه حتّى يتحقّق اصْرارَه ثمّ يهاجر عنه
ركوع ٢ (٨٢) وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ يعنى اسكندر الروميّ ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك
سُمّى ذا القرنين او لانّه طاف قرنَى الدنيا شرقها وغربها وقيل لانّه انقرض فى ايّامه قرنان من الناس وقيل
كان له قرنان اى ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انّه لقّب بذلك لشجاعته كما يقال
الكبش للشجاع كانّه ينطح أقرانه ، واختُلف فى نبوّته مع الاتّفاق على ايمانه وصلاحه ، والسائلون هم
اليهود سألوه امتحانا او مشركو مكّة قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا خطاب للسائلين ، والهاء لذى
القرنين وقيل للّه (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى ٱلْأَرْضِ اى مكّنا له امره من التصرّف فيها كيف شاء فحذف المفعول
وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ اراده وتوجّه اليه سَبَبًا وُصْلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة فَأَتْبَعَ سَبَبًا
فاراد بلوغ المغرب فاتّبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيّون وابن عامر بقطع الالف مخفّفة التاء (٨٤) حَتَّى
إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ذات حَمْأة من حَمِئَت البئرُ اذا صارت ذات حَمْأة
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائىّ وابو بكر حَامِيَة اى حارّة ولا تنافى بينهما لجواز أن تكون العين جامعة
للوصفين او حَمِيَة على انّ ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعلّه بلغ ساحل البحر المحيط فرآها
كذلك اذ لم يكن فى مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل انّ
ابن عبّاس سمع معاوية يقرؤ حَامِيَة فقال حَمِئَة فبعث معاوية الى كَعْب الأحبار كيف تجد الشمس
تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التورية وَوَجَدَ عِنْدَهَا عند تلك العين قَوْمًا قيل كان لباسهم
جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفّارا فخيّره اللّه بين ان يعذّبهم ويدعوهم الى الايمان
كما حكى بقوله (٨٥) قُلْنَا يَا ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ اى بالقتل على كفرهم وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا
بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيّره بين القتل والاسر وسمّاه احسانا فى مقابلة القتل ويؤيّد الاوّل قوله
(٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا اى فاختار الدعوة وقال أمّا من
دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمرّ على ظلمه الّذى هو الشرك فنعذّبه انا ومن معى فى الدنيا
بالقتل ثمّ يعذّبه اللّه فى الآخرة عذابا منكرا لم يُعْهَد مثله (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وهو ما
يقتضيه الايمان فَلَهُ فى الدارين جَزَآءُ ٱلْحُسْنَى فعْلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائىّ ويعقوب وحفص جزآءً
منوّنا منصوبا على الحال اى فله المثوبة الحسنى مجزيّا بها او على المصدر لفعله المقدّر حالا اى يُجْزَى بها
جزاءً او التمييز وقرئ منصوبا غير منوّن على انّ تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنوّنا مرفوعا على
انّه المبتدأ والحسنى بدله ، ويجوز ان يكون امّا وامّا للتقسيم دون التخيير اى ليكنْ شأنك معهم
امّا التعذيب وامّا الاحسان فالاوّل لمن اصرّ على الكفر والثانى لمن تاب عنه ، ونداء اللّه ايّاه ان كان
نبيّا فبوحى وان كان غيره فبالهام او على لسان نبىّ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا ممّا نأمر به يُسْرًا سهلا

متيسّرا غير شاقّ وتقديره ذا يُسْر وقرئ بضمّتين (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ثمّ اتبع طريقا يوصله الى المشرق جزء ١٦
(٨٩) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ يعنى الموضع الّذى تطلع الشمس عليه اوّلا من معمورة الارض وقرئ ركوع ٢
بفتح اللام على اضمار مضاف اى مكانَ مَطْلَع الشمس فانّه مصدر وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ
مِنْ دُونِهَا سِتْرًا من اللباس او البناء فانّ ارضهم لا تمسك الابنية او انّهم اتّخذوا الأسراب بدل الابنية
٥ (٩٠) كَذٰلِكَ اى امر ذى القرنين كما وصفناه فى رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره فى اهل
المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفةَ مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفةَ قوم
اى على قوم مثل ذلك القبيل الّذين تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ من
الجنود والآلات والعُدَد والاسباب خُبْرًا علما تعلّق بظواهره وخفاياه والمرادُ انّ كثرة ذلك بلغت مبلغا لا
يحيط به الّا علمُ اللطيف الخبير (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا
١٠ من الجنوب الى الشمال (٩٢) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ بين الجبلين المبنىّ بينهما سدّه وهما جبلا ارمينية
وآذربيجان وقيل جبلان فى اواخر الشمال فى منقطع ارض الترك منيفىّ من ورائهما ياجوج وماجوج
وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائىّ وابو بكر ويعقوب بَيْنَ ٱلسُّدَّيْنِ بالضمّ وهما لغتان وقيل المضموم لما
خلقه اللّه والمفتوح لما عمله الناس لانّه فى الاصل مصدر سُمّى به حَدَثٌ يُحْدِثه الناس وقيل بالعكس ،
وبَيْنَ ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرّفة وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا لغرابة لغتهم
١٥ وقلّة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائىّ لَا يُفْقِهُونَ اى لا يُفهمون السامعَ كلامَهم ولا يبيّنونه لتلعثمهم فيه
(٩٣) قَالُوا يَا ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ اى قال مترجمهم وفى مصحف ابن مسعود قَالَ ٱلَّذِينَ مِنْ دُونِهِمْ إِنَّ يَاجُوجَ
وَمَاجُوجَ قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من التُرْك وماجوج من الجِيل وهما اسمان
اعجميّان بدليل منع الصرف وقيل عربيّان من اجّ الظليمُ اذا اسرع وأَصلُهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع
صرفهما للتعريف والتأنيث مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ اى فى ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل
٢٠ كانوا يخرجون فى الربيع فلا يتركون اخضر الّا اكلوه ولا يابسا الّا احتملوه وقيل كانوا يأكلون
الناس فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا جُعْلا نُخْرِجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائىّ خَرَاجًا وكلاهما واحد
كالنَوْل والنَوال وقيل الخراجُ على الارض والذمّة والخَرْجُ المصدر عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا يحجز
دون خروجهم علينا وقد ضمّه مَنْ ضمّ السدّين غير حمزة والكسائىّ (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ
ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك خير ممّا تبذلون لى من الخراج ولا حاجة بى اليه ، وقرأ ابن كثير
٢٥ مَكَّنَنِى على الاصل فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ اى بقوّة فَعَلَة او بما اتقوّى به من الآلات أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا
حاجزا حصينا وهو اكبر من السدّ من قولهم ثوبٌ مردَّم اذا كان رِقاعٌ فوق رِقاع (٩٥) آتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ
قِطَعه والزُبْرة القطعة الكبيرة ، وهو لا ينافى ردّ الخراج والاقتصار على المعونة لانّ الايتاء بمعنى المناولة ويدلّ
عليه قراءة ابى بكر رَدْمًا ٱئْتُونِى بكسر التنوين موصولةَ الهمزةُ على معنى جيئونى بزبر الحديد والباء

جزء ١٦ محذوفة حذفها فى أمرتك الخيرَ ولانّ اعطاء الآلة من الاعانة بالقوّة دون الخراج على العمل حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ
ركوع ٢ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ بين جانبى الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريّان بضمّتين وابو بكر
بضمّ الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضمّ الدال وكلّها لغات من الصَدَف وهو الميل لانّ كلا
منهما منعدل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل قَالَ ٱنفُخُوا اى قال للعَمَلة انفخوا فى الاكوار والحديد
حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ جعل المنفوخ فيه نَارًا كالنار بالاحماء قَالَ آتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا اى آتونى قطرا اى نحاسا
مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاوّل لدلالة الثانى عليه وبه تمسّك البصريّون على انّ اعمال الثانى من
العاملين المتوجّهين نحو معمول واحد أَوْلَى اذ لو كان قطرا مفعولَ آتونى لأضمر مفعول افرغ حذرا من
الالباس، وقرأ حمزة وابو بكر قَالَ ٱئْتُونِى موصولة الالف (٩٦) فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا بحذف التاء حذرا من تلاقى
متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حدّه وقرئ بقلب السين صادا أَن يَظْهَرُوهُ
ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا لَهُۥ نَقْبًا لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتّى بلغ
الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيانَ من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتّى ساوى
اعلى الجبلين ثمّ وضع المنافيخ حتّى صارت كالنار فصبّ النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه
ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس
مذاب فى تجاويفها (٩٧) قَالَ هَٰذَا السدّ او الاقدار على تسويته رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى على عباده (٩٨) فَإِذَا جَآءَ
وَعْدُ رَبِّى وقتُ وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بأن شارف يومُ القيامة جَعَلَهُۥ دَكًّا
مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض مصدرٌ بمعنى مفعول ومنه جَمَلٌ أَدَكُّ لمنبسط السنام وقرأ الكوفيّون
دَكَّآءَ بالمدّ اى ارضا مستوية وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا كائنا لا محالة وهذا آخر حكاية قول ذى القرنين
(٩٩) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون ممّا وراء
السدّ يموجون فى بعض مزدحمين فى البلاد او يموج بعض الخلق فى بعض فيضطربون ويختلطون
انسهم وجنّهم حيارى ويؤيّده وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ لقيام الساعة فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا للحساب والجزاء
(١٠٠) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا وابرزناها واظهرناها لهم (١٠١) ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ
عَن ذِكْرِى عن آياتى التى يُنظر اليها فأُذْكَر بالتوحيد والتعظيم وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا استماعا
لذكرى وكلامى لافراط صممهم عن الحقّ فانّ الاصمّ قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانّهم
ركوع ٣ أُصمّت مسامعهم بالكلّيّة (١٠٢) أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا افظنّوا والاستفهام للانكار أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِى
اتّخاذهم الملائكة والمسيح مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ معبودين نافعهم او لا اعذّبهم به فحذف المفعول الثانى كما
يحذف الخبر للقرينة او سدّ أن يتّخذوا مسدّ مفعوليه، وقرئ أَفَحَسْبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا اى أفكافيهم فى
النجاة وأنْ بما فى حيّزه مرتفع بانّه فاعل حَسْبُ فانّ النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوَى الفعلَ فى

جزء ١٦ ركوع ٣

العمل او إخبرٌ له إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على انّ لهم وراءها من العذاب ما تُسْتحقر دونه (١٠٣) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا نصب على التمييز وجُمع لانّه من اسماء الفاعلين او لتنوّع اعمالهم (١٠٤) ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ضاع وبطل لكفرهم وعُجْبهم كالرهابنة فانّهم خسروا دنياهم وآخرتهم ، ومحلّه الرفع على الخبر لمحذوف فانّه جواب السؤال او الجرّ على البدل او النصب على الذمّ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا لعُجْبهم واعتقادهم انّهم على الحقّ (١٠٥) أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ بالقران او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوّة وَلِقَائِهِ بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ بكفرهم فلا يثابون عليها فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او فلا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها (١٠٦) ذَٰلِكَ اى الامر ذلك وقوله جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ جملة مبيّنة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اى جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنّم خبره او جزاؤهم خبره وجهنّم عطف بيان للخبر بِمَا كَفَرُوا وَٱتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا بسبب ذلك (١٠٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا فيما سبق من حكم الله ووعده ، والفردوس اعلى درجات الجنّة وأصله البستان الّذى يجمع الكرم والنخل (١٠٨) خَالِدِينَ فِيهَا حال مقدّرة لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا تحوّلا اذ لا يجدون اطيب منها حتّى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تأكيد الخلود (١٠٩) قُلْ لَوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا ما يكتب به وهو اسم ما يُمَدّ به الشيء كالحِبْر للدواة والسَّليط للسراج لِكَلِمَاتِ رَبِّي لكلمات علمه وحكمته لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ لنفد جنس البحر بأسره لانّ كلّ جسم متناهٍ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي فانّها غير متناهية لا تنفد كعلمه وقرأ حمزة والكسائىّ بالياء وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ بمثل البحر الموجود مَدَدًا زيادة ومعونة لانّ مجموع المتناهيين متناهٍ بل مجموع ما يدخل فى الوجود من الاجسام لا يكون الّا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الأبعاد والمتناهى ينفد قبل ان ينفد غير المتناهى لا محالة ، وقرئ مِدَدًا بكسر الميم جمع مِدّة وهى ما يستمدّه الكاتب ومِدَادًا ، وسببُ نزولها انّ اليهود قالوا فى كتابكم ومن يؤتَ الحكمة فقد أُوتى خيرا كثيرا وتقرءون وما اوتيتم من العلم الّا قليلا (١١٠) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ لا ادّعى الاحاطة على كلماته يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وانّما تميّزت عنكم بذلك فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ يأمل حسن لقائه او يخاف سوء لقائه فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا يرتضيه الله وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا بأن يرائيه او يطلب منه اجرا روى انّ جُنْدُب بن زُهَيْر قال لرسول الله صلعم انّى لأعمل العمل لله فاذا اطُّلع عليه سرّنى فقال انّ الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عم اتّقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرئاء والآية جامعة لخلاصتى العلم والعمل وهما التوحيد

جزء ١٩ والاخلاص فى الطاعة وعن النبى صلعم من قرأها عند مضجعه كان له نورا فى مضجعه يتلألأ الى مكّة ركوع ٣ حَشْوُ ذلك النور ملائكة يصلّون عليه حتّى يقوم فان كان مضجعه بمكّة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشوُ ذلك النور ملائكة يصلّون عليه حتّى يستيقظ ، وعنه عم من قرأ سورة الكهف من آخِرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلّها كانت له نورا من الارض الى السماء ٥

سُورَةُ مَرْيَمَ

مكّيّة الّا آية السجدة وآيها ثمان وتسعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ۴ (١) كٓهيٰعٓصٓ امال ابو عمرو الهاء؛ لانّ ألفات اسماء التهجّى ياءات وابن عامر وحمزة الياء والكسائىّ وابو بكر كليهما ونافع بين بين وابن كثير ونافع وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمونها ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ خبرُ ما قبله انْ أُوِّل بالسورة او القران فانّه مشتمل عليه او خبرُ محذوف اى هذا المتلوّ ذكر رحمة ربّك او مبتدأٌ حُذف خبره اى فيما يُتْلَى عليك ذكرُها وقرئ ذَكَّرَ رَحْمَةَ على الماضى وَذَكِّرْ على الامر عَبْدَهُ مفعولُ الرحمة او الذكر على انّ الرحمة فاعلُه على الاتّساع كقولك ذَكَرَنِى جُودُ زيد زَكَرِيَّآءَ بدل منه او عطف بيان له (٢) اِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَآءً خَفِيًّا لانّ الاخفاء والجهر عند اللّه سيّان والاخفاء اشدُّ إخباتا واكثرُ اخلاصا او لئلّا يلام على طلب الولد فى إبّان الكبر او لئلّا يطّلع عليه مواليه الّذين خافهم او لانّ ضعف الهرم اخفى صوته ، واختُلف فى سنّه حينئذ فقيل ستّون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون (٣) قَالَ رَبِّ اِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى تفسير للنداء ، والوَهْن الضعف ، وتخصيصُ العظم لانّه دعامة البدن وأصل بنائه او لانّه اصلبُ ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لانّ المراد به الجنس ، وقرئ وَهِنَ ووَهُنَ بالضمّ والكسر ونظيره كَمُلَ فى الحركات الثلاث وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا شبّه الشيبَ فى بياضه وانارته بشواظ النار وانتشارَه وفشوّه فى الشعر باشتعالها ثمّ اخرجه مُخْرَجَ الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس الّذى هو محلّ الشيب مبالغةً وجعله مميّزا ايضاحا للمقصود ، واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على انّ علم المخاطَب بتعيّن المراد يُغْنى عن التقييد (۴) وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا بل كلّما دعوتك استجبتَ لى وهو توسّلٌ بما سلف معه من الاستجابة وتنبيهٌ على أنّ المدعوّ له وان لم يكن معتادا فاجابتُه معتادة وأنّه تعالى عوّده بالاجابة واطمعه فيها ومِنْ حقّ الكريم أن لا يخيّب من اطمعه (٥) وَاِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَالِىَ يعنى بنى عمّه وكانوا اشرار بنى اسرائيل فخاف ان لا يُحْسنوا خلافته على امّته ويبدّلوا عليهم دينهم مِنْ وَرَآئِى بعد موتى وعن ابن كثير المدّ والقصر بفتح الياء وهو متعلّق بمحذوف او بمعنى الموالى اى خفت فِعْلَ الموالى من

ورائي او الذين يلون الامر من ورائي وقرئ خَفَّتِ الْمَوَالِي مِنْ وَرَائِي اي قلّوا وعجزوا عن اقامة جزء ١٦
الدين بعدي او خفّوا ودرجوا قدّامي فعلى هذا كان الظرف متعلّقا بخفّت وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا لا تلد ركوع ١
فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ فانّ مثله لا يُرجى الّا من فضلك وكمال قدرتك فانّي وامرأتي لا نصلح للولادة وَلِيًّا
من صُلبي (٦) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائيّ على انّهما جواب
الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فانّ الانبياء لا يورّثون المال وقيل يرثني الحبورة فانّه كان حبرا
ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما السلام وقيل يعقوب كان اخا زكريّاء او
عمرانَ بن ماثان من نسل سليمان وقرئ يَرِثُنِي وَارِثُ آلِ يَعْقُوبَ على الحال من احد الضميرين وأُوَيْرِثُ
بالتصغير لصغره ووَارِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ على انّه فاعل يرثني وهذا يسمّى التجريد في علم البيان لانّه جرّد
عن المذكور اوّلا مع انّه المراد وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ترضاه قولا وعملا (٧) يَا زَكَرِيَّاءُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ
يَحْيَى جوابٌ لندائه ووعدٌ باجابة دعائه وانّما تولّى تسميته تشريفا له (٨) لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا
لم نسمّ احدا بيحيى قبله وهو شاهد بانّ التسمية بالاسامي الغريبة تنويهٌ للمسمّى وقيل سميّا شبيها
كقوله تعالى هل تعلم له سميّا لانّ المتماثلين يتشاركان في الاسم ٭ والاظهر انّه اعجميّ وان كان عربيّا
فمنقول عن فعل كيَعِيش ويَعْمُر قيل سُمّي به لانّه حَيِيَ به رَحِمُ امّه او لانّ دين الله حَيِيَ بدعوته
(٩) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا جساوة وقحولا في
المفاصل وأصله عُتُوّ كقعود فاستثقلوا توالي الضمّتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثمّ
قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائيّ وحفص عِتيّا بالكسر ٭ وانّما استعجب الولد من شيخ
فانٍ وعجوز عاقر اعترافا بأنّ المؤثّر فيه كمال قدرته وأنّ الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك
(١٠) قَالَ اي الله او الملك المبلّغ للبشارة تصديقا له كَذَلِكَ الامر كذلك ويجوز ان تكون الكاف منصوبة
بقال في قَالَ رَبُّكَ وذلك اشارة الى مبهم يفسّره هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ويؤيّد الاوّل قراءة من قرأ وهو عليّ هيّن اي الامر
كما قلتَ او كما وُعِدْتَ وهو على ذلك يهون عليّ او كما وَعدتُ وهو عليّ هيّن لا احتاج فيما اريد ان
افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا بل كنت معدوما
صرفا وفيه دليل على انّ المعدوم ليس بشيء وقرأ حمزة والكسائيّ خلقناك (١١) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً
علامة اعلم بها وقوع ما بشّرتني به قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا سويّ الخلق ما بك من
خرس ولا بكم ٭ وانّما ذكر الليالي هنا والايّام في آل عمران للدلالة على انّه استمرّ عليه المنع من كلام
الناس والتجرّد للذكر والشكر ثلاثة ايّام ولياليهنّ (١٢) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ من المصلّى او
من الغرفة فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ فأومى اليهم لقوله الّا رمزا وقيل كتب لهم على الارض أَنْ سَبِّحُوا صلّوا او
نزّهوا ربّكم بُكْرَةً وَعَشِيًّا طرفي النهار ولعلّه كان مأمورا بان يسبّح ويأمر قومه بان يوافقوه ٭ وإنّ

جزء ١٦ ركوع ٤ يحتمل ان تكون مصدريّة وان تكون مفسّرة (١٣) يَا يَحْيَى على تقدير القول خُذِ ٱلْكِتَابَ التورية بِقُوَّةٍ بجدّ واستظهار بالتوفيق وَآتَيْنَاهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا يعنى الحكمة وفهم التورية وقيل النبوّة احكم اللّه تعالى عقله فى صباه واستنبأه (١٤) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا ورحمةً منّا عليه او رحمة وتعطّفا فى قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم وَزَكَوةً وطهارة من الذنوب او صدقة اى تصدّق اللّه به على ابويه او مكّنه ووفّقه للتصدّق على الناس وَكَانَ تَقِيًّا مطيعا متجنّبا عن المعاصى وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وبارّا بهما وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا عاقًّا او عاصى ربّه (١٥) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ من اللّه يَوْمَ وُلِدَ من ان يناله الشيطان بما ينال به

ركوع ٥ بنى آدم وَيَوْمَ يَمُوتُ من عذاب القبر وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا من عذاب النار وهول القيامة (١٦) وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ فى القران مَرْيَمَ يعنى قصّتها إِذِ ٱنْتَبَذَتْ اعتزلت بدلٌ من مريم بدل الاشتمال لانّ الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكلّ لانّ المراد بمريم قصّتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرفٌ لمضاف مقدّر وقيل اذ بمعنى أن المصدريّة كقولك اكرمتك اذ لم تكرمنى فيكون بدلا لا محالة مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا شرقىّ بيت المقدس او شرقىّ دارها ولذلك اتّخذ النصارى المشرق قبلةً ومكانا ظرف او مفعول لانّ انتبذت متضمّنة معنى اتت (١٧) فَٱتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا سترا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قيل قعدت فى مَشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بشىء يسترها وكانت تتحوّل من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينما هى فى مغتسلها اتاها جبريل متمثّلا بصورة شابّ امرد سوىّ الخلق لتستأنس بكلامه ولعلّه لتهييج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها (١٨) قَالَتْ إِنِّى أَعُوذُ بِٱلرَّحْمٰنِ مِنْكَ من غاية عفافها إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا تتّقى اللّه وتحتفل بالاستعاذة وجوابُ الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله اى فانّى عائذة منك او فتتّعظ بتعوّذى او فلا تتعرّض لى ويجوز ان يكون للمبالغة اى ان كنت تقيّا متورّعا فانّى اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك (١٩) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ الّذى استعذت به لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا لاكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول اللّه تعالى ويؤيّده قراءة ابى عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء زَكِيًّا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اى مترقّيا من سنّ الى سنّ على الخير والصلاح (٢٠) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ولم يباشرنى رجل بالحلال فانّ هذه الكنايات انّما تطلق فيه أمّا الزنا فانّما يقال فيه خَبُثَ بها وفَجَرَ ونحو ذلك ويعضده عطف قوله وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا عليه وهو فعول من البَغْى قُلبت واوه ياء وادغمت ثمّ كسرت الغين اتّباعا ولذلك لم يلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم يلحقه التاء لانّه للمبالغة او للنسب كطالق (٢١) قَالَ كَذٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ اى ونفعلُ ذلك لنجعله او لنبيّن به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لِيَهَبَ على طريقة الالتفات آيَةً لِلنَّاسِ علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا وَرَحْمَةً مِنَّا على العباد يهتدون بارشاده وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا تعلّق

جزء ١٦ به قضاء الله تعالى فى الازل وقُدّر وسُطر فى اللوح او كان امرا حقيقا بأن يُقضى ويُفعل لكونه آية ورحمة (٢٢) فَحَمَلَتْهُ بأن نفخ فى درعها فدخلت النفخة فى جوفها ، وكانت مدّة حملها سبعة اشهر وقيل ستّة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وُضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنّها ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فَٱنْتَبَذَتْ بِهِ فاعتزلت وهو فى بطنها كقوله ° تدوس بنا الجماجمَ والتريبا ° والجارّ والمجرور فى موضع الحال مَكَانًا قَصِيًّا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار (٢٣) فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ فالجأها وهو فى الاصل منقول من جاء لكنّه خُصّ به فى الاستعمال كآتى فى اعطى ، وقرئ ٱلْمِخَاضُ بالكسر وهما مصدرا مَخَضَت المرأة اذا تحرّك الولد فى بطنها للخروج إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العِرْق والغُصْن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف امّا للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمّ غيرها وكانت كالمتعالَم عند الناس ولعلّه تعالى الهمها ذلك ليُريها من آياته ما يسكّن روعها ويُطعمها الرُطَب الّذى هو خُرْسة النُفساء الموافقة لها قَالَتْ يَا لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرئ مُتُّ من مات يموت وَكُنْتُ نَسْيًا ما من شأنه ان يُنسى ولا يُطلب ونظيره الذِبْح لما يُذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سُمّى به وقرئ به وبالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلّته مَنْسِيًّا منسىّ الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع (٢٤) فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتِهَا عيسى وقيل جبريل عم كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص وروح مِنْ تَحْتِهَا بالكسر والجرّ على انّ فى نادى ضمير احدهما وقيل الضمير فى تحتها للنخلة أَلَّا تَحْزَنِى اى لا تحزنى او بأن لا تحزنى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا جدولا هكذا روى مرفوعا وقيل سيّدا من السَرْو وهو عيسى (٢٥) وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ وأميليه اليك والباء مزيدة للتأكيد او افعلى الهزّ والامالة به او هزّى الثمرة بهزّه والهزّ تحريك بجذب ودفع تَسَّاقَطْ عَلَيْكِ تتساقط فادغمت التاء الثانية فى السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تُسَاقِطْ من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تَتَسَاقَطْ وتَسْقُطْ ويُسْقِطْ فالتاء للنخلة والياء للجذع رُطَبًا جَنِيًّا تمييز او مفعول روى انها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزّتها فجعل الله لها رأسا وخوصا ورطبا ، وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالّة على براءة ساحتها فانّ مثلها لا يتصوّر لمن يرتكب الفواحش والمنبّهة لمن رآها على انّ من قدر ان يثمّر النخلة اليابسة فى الشتاء قدر ان يُحبلها من غير فحل وأنّه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتّب عليه امرين فقال (٢٦) فَكُلِى وَٱشْرَبِى اى من الرطب وماء السرىّ او من الرطب وعصيره وَقَرِّى عَيْنًا وطيّبى نفسك وارفضى عنها ما احزنك وقرئ قِرِّى بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القَرار فانّ العين اذا رأت ما يسرّ النفس ركوع ٥

جزء ١٦ سكنت اليه من النظر الى غيره او من القرّ فانّ دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارّة ولذلك يقال قرّة ركوع ٥ العين وسخنتها للمحبوب وللمكروه فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فان ترى آدميّا وقرئ ترئنّ على لغة من يقول لبّأت بالحجّ لتآخ بين الهمزة وحرف اللين (٢٧) فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْمًا صمتًا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلّمون فى صيامهم فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنْسِيًّا بعد ان اخبرتكم بنذرى وانّما اكلّم الملائكة وأناجى ربّى وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى فانّه قاطع فى قطع الطاعن (٢٨) فَأَتَتْ بِهِ مع ولدها قَوْمَهَا راجعة اليهم بعد ما طهرت من النفاس تَحْمِلُهُ حاملة ايّاه قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا بديعا منكرا من فرى الجلد (٢٩) يَا أُخْتَ هٰرُونَ يعنون هرون النبىّ عم وكانت من اعقاب من كان معه فى طبقة الاخوّة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان فى زمانهم شبّهوها به تهكّما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها به مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا تقرير لانّ ما جاءت به فرىّ وتنبيه على انّ الفواحش من اولاد الصالحين افحش (٣٠) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ الى عيسى اى كلّموه ليجيبكم قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ولم نعهد صبيّا فى المهد كلّمه عاقل ، وكان زائدة والظرف صلة من وصبيّا حال من المستكنّ فيه او تامّة او دائمة كقوله تعالى وكان اللّه عليما حكيما او بمعنى صار (٣١) قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللّٰهِ انطقه اللّه به اوّلا لانّه اوّل المقامات وللردّ على من يزعم ربوبيّته آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ الانجيل وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٢) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا نفّاعا معلّما للخير ، والتعبير بلفظ الماضى امّا باعتبار ما سبق فى قضائه او بجعل المحقّق وقوعه كالواقع وقيل اكمل اللّه عقله واستنبأه طفلا أَيْنَمَا كُنْتُ حيثما كنت وَأَوْصَانِي وامرنى بِٱلصَّلٰوةِ وَٱلزَّكٰوةِ زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل مَا دُمْتُ حَيًّا (٣٣) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وبارًّا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انّه مصدر وصف به او منصوب بفعل دلّ عليه اوصانى اى وكلّفنى برّا ويؤيّده القراءة بالكسر والجرّ عطفا على الصلوة وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا عند اللّه من فرط تكبّره (٣٤) وَٱلسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا كما هو على يحيى عم والتعريف للعهد والاظهر انّه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانّه لمّا جعل جنس السلام على نفسه عرّض بانّ ضدّه عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتّبع الهدى فانّه تعريض بانّ العذاب على من كذّب وتولّى (٣٥) ذٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ اى الّذى تقدّم نعته هو عيسى ابن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهانىّ حيث جعله موصوفا بأضداد ما يصفونه ثمّ عكس الحكم قَوْلَ ٱلْحَقِّ خبر محذوف اى هو قول الحقّ الّذى لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصّة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر

ثانٍ ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قولَ بالنصب على انّه مصدر مؤكّد وقرئ قالُ جزء ١٦
الحقِّ وهو بمعنى القول الّذى فيه يمترون فى امره يشكّون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت ركوع ٥
النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب (٣٦) مَا كَانَ لِلّٰهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ تكذيب
للنصارى وتنزيه لله عمّا بهتوه اِذَا قَضَى أَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ تبكيت لهم بانّ من اذا اراد
شيئا اوجده بكُنْ كان منزّها عن شبه الخلق فى الحاجة الى اتّخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر
فَيَكُونَ بالنصب على الجواب (٣٧) وَاِنَّ اللّٰهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ سبق تفسيره
فى سورة آل عمران وقرأ الحجازيّان والبصريّان وأنّ بالفتح على ولأنّ وقيل انّه معطوف على الصلوة
(٣٨) فَاخْتَلَفَ الْاَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطوريّة قالوا انّه ابن الله
ويعقوبيّة قالوا هو الله هبط الى الارض ثمّ صعد الى السماء وملكانيّة قالوا هو عبد الله ونبيّه فَوَيْلٌ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيامة او من
وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء
والسنتهم وآرابهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به فى عيسى
وامّه (٣٩) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ تعجّب معناه أنّ اسماعهم وابصارهم يَوْمَ يَأْتُونَنَا اى يوم القيامة جدير بأن
يتعجّب منهما بعد ما كانوا صمّا عميا فى الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل
امر بأن يُسمعهم ويبصّرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجارّ والمجرور على الاوّل فى موضع
الرفع وعلى الثانى فى موضع النصب لٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا
بانّهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجّل على اغفالهم بانّه ضلال بيّن
(٤٠) وَاَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ يوم يتحسّر الناس المسىء على اساءته والمحسن على قلّة احسانه اِذْ قُضِىَ الْاَمْرُ
فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنّة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ
وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ حال متعلّقة بقوله فى ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اى انذرهم غافلين
غير مؤمنين فتكون حالا متضمّنة للتعليل (٤١) اِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْاَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا لا يبقى لاحد غيرنا
عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفّى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفّى الوارث لارثه وَاِلَيْنَا يُرْجَعُونَ
يردّون للجزاء (٤٢) وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ اِبْرٰهِيمَ اِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا ملازما للصدق كثير التصديق [illegible] ركوع ٦
[illegible] من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله نَبِيًّا (٤٣) اِذْ قَالَ لِاَبِيهِ بدل من [illegible]
[illegible] او متعلّق بكان او بصدّيقا نبيّا [illegible]
[illegible]
[illegible]

جزء ١٦ وبيّن ضلاله واحتجّ عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق وحُسْن ادب حيث لم يصرّح بضلاله بل طلب
ركوع ٦ العلّة الّتى تدعوه الى عبادة ما يستخفّ به العقلُ الصريحُ ويأبى الركونَ اليه فضلا عن عبادته الّتى هى غاية التعظيم ولا تحقّ الّا لمن له الاستغناء التامّ والانعام العامّ وهو الخالق الرازق المحيى المميت المعاقب المثيب ونبّه على انّ العاقل ينبغى ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشىء لو كان حيّا مميّزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضرّ ولكن مُمْكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيّين لما يراه مثلَه فى الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثمّ دعاه الى ان يتّبعه ليهديه الحقّ القويم والصراطَ المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهىّ مستقلّا بالنظر السوىّ فقال (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ولم يَسِمْ اباه بالجهل المفرط ولا نفسَه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له فى مسير يكون اعرف بالطريق ثمّ ثبّطه عمّا كان عليه بانّه مع خلوّه عن النفع مستلزمٌ للضرّ فانّه فى الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انّه الآمر به فقال (٤٥) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَانَ ولمّا استهجن ذلك بيّن وجه الضرّ فيه بانّ الشيطان مستعصٍ على ربّك المولِى للنعم كلّها بقوله إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ عَصِيًّا ومعلومٌ انّ المطاوع للعاصى عاصٍ وكلّ عاصٍ حقيق بأن يُسْتردّ منه النِعَم ويُنْتقم ولذلك عقّبه بتخويفه سوءَ عاقبته وما يجرّه اليه فقال (٤٦) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ ٱلرَّحْمٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قرينا فى اللعن والعذاب تليه ويليك او ثابتا فى موالاته فانّه اكبر من العذاب كما انّ رضوان اللّه اكبر من الثواب وذكرُ الخوف والمسّ وتنكير العذاب امّا للمجاملة او لخفاء العاقبة ، ولعلّ اقتصاره على عصيان الشيطان من بين جناياته لارتقاء همّته فى الربّانيّة او لانّه ملاكها او لانّه من حيث انّه نتيجة معاداته لآدم وذرّيّته منبّه عليها (٤٧) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرٰهِيمُ قابَلَ استعطافَه ولطفَه فى الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بُنَىّ واخّره وقدّم الخبر على المبتدإ وصدّره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجّب كانّها ممّا لا يرغب عنها عاقلٌ ثمّ هدّده فقال لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ عن مقالك فيها او الرغبة عنها لَأَرْجُمَنَّكَ بلسانى يعنى الشتم والذمّ او بالحجارة حتّى تموت او تبعد منّى وَٱهْجُرْنِي عطف على ما دلّ عليه لارجمنّك اى فاحذرْنى واهجرْنى مَلِيًّا زمانا طويلا من الملاوة او مليًّا بالذهاب عنّى (٤٨) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ توديع ومتاركة ومقابلة للسيّئة بالحسنة اى لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعدُ ما يؤذيك ولكن سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي لعلّه يوفّقك للتوبة والايمان فانّ حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مرّ تقريره فى سورة التوبة إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا بليغا فى البرّ والألطاف (٤٩) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ بالمهاجرة بدينى وَأَدْعُو رَبِّي واعبده وحده عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا خائبا ضائع السعى مثلكم فى دعاء آلهتكم وفى تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على انّ الاجابة والاثابة تفضّل غير واجبتين ولانّ

ملاك الامر خاتمته وهو غيبٌ (٥٠) فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ بالهجرة الى الشأم وَهَبْنَا لَهُ جزء ١٦
إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ بدلَ مَن فارقهم من الكفرة قيل انّه لمّا قصد الشأم اتى اوّلا حرّان وتزوّج بسارة وولدت ركوع ٦
له اسحٰق وولد منه يعقوب ولعلّ تخصيصهما بالذكر لانّهما شجرتا الانبياء او لانّه اراد ان يذكر
اسمٰعيل بفضله على الانفراد وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وكلّا منهما او منهم (٥١) وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا النبوّة
والاموال والاولاد وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابةً لدعوته
واجعلْ لى لسانَ صدقٍ فى الآخرين والمرادُ باللسان ما يوجد به ولسانُ العرب لغتهم واضافته الى
الصدق وتوصيفه بالعلوّ للدلالة على انّهم احقّاء بما يثنون عليهم وأنّ محامدهم لا تخفى على
تباعد الاعصار وتحوّل الدول وتبدّل الملل (٥٢) وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا موحّدا اخلص ركوع ٧
عبادته عن الشرك والرئاء او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عمّا سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على انّ
الله اخلصه وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ارسله الله الى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدّم رسولا مع انّه اخصّ واعلى
(٥٣) وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ من ناحيته اليُمنى من اليمين وهى الّتى تلى يمين موسى او من
جانبه الميمون من اليُمن بأن تمثّل له الكلام من تلك الجهة وَقَرَّبْنَٰهُ تقريبَ تشريف شبّهه بمن قرّبه
الملك لمناجاته نَجِيًّا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النَّجوة وهو الارتفاع لما روى
انّه رُفع فوق السموات حتّى سمع صرير القلم (٥٤) وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا
أَخَاهُ معاضدةَ اخيه وموازرته اجابةً لدعوته واجعلْ لى وزيرا من اهلى فانّه كان اسنّ من موسى ، وهو
مفعول او بدل هَٰرُونَ عطف بيان له نَبِيًّا حال منه (٥٥) وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ
ذكره بذلك لانّه المشهور به والموصوف باشياء فى هذا الباب لم تُعْهَد من غيره وناهيك انّه وعد الصبر
على الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فوفى وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا يدلّ على انّ الرسول لا يلزم
ان يكون صاحب شريعة فانّ اولاد ابرٰهيم كانوا على شريعته (٥٦) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ
اشتغالا بالاهمّ وهو ان يُقبل الرجلُ على نفسه ومن هو اقربُ الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذرْ
عشيرتك الاقربين وأْمُرْ اهلك بالصلوة قُوا انفسكم وأهليكم نارا وقيل اهله امّته فانّ الانبياء آباء الامم
وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا لاستقامة اقواله وافعاله (٥٧) وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ وهو سبطُ شيث وجدُّ
ابى نوح واسمه اخنوخ واشتقاقُ ادريس من الدرس يردّه منعُ صرفه نعمْ لا يبعد ان يكون. معناه فى تلك
اللغة قريبا من ذلك فلُقّب به لكثرة درسه اذ رُوى انّه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانّه اوّلُ من خطّ
بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٥٨) وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا يعنى شرف النبوّة
والزُلفى عند الله وقيل الجنّة وقيل السماء السادسة او الرابعة (٥٩) أُولَٰٓئِكَ اشارة الى المذكورين فى
السورة من زكريّاء الى ادريس عليهم السلام ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم بانواع النعم الدينيّة والدنيويّة

جزء ١٦ ركوع ٧ مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ بيان للموصول مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ بدل منه باعادة الجارّ ويجوز ان يكون مِنْ فيه للتبعيض لانّ المنعَم عليهم اعمّ من الانبياء اخصّ من الذرّيّة وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ اى ومن ذرّيّة من حملنا خصوصا وهم مَنْ عدا ادريس فانّ ابرهيم كان من ذرّيّة سام بن نوح وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرٰهِيمَ الباقون وَإِسْرَائِيلَ عطف على ابرهيم اى ومن ذرّيّة اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريّاء ويحيى وعيسى وفيه دليل على انّ اولاد البنات من الذرّيّة وَمِمَّنْ هَدَيْنَا ومن جملة من هديناهم الى الحقّ وَٱجْتَبَيْنَا للنبوّة والكرامة اذا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ ٱلرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا خبرٌ لاولئك إنْ جعلتَ الموصول صفتَه واستينافٌ ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من اللّه واخباتهم له مع ما لهم من علوّ الطبقة فى شرف النسب وكمال النفس والزلفى من اللّه وعن النبىّ صلعم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكِىّ جمع باكٍ كالسجود فى جمع ساجد ، وقرئ يُتْلَى بالياء لانّ التأنيث غير حقيقىّ وقرأ حمزة والكسائىّ بكِيًّا بكسر الباء (٦٠) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ فعقبهم وجاء بعدهم عَقِبُ سوء يقال خَلَفُ صِدْقٍ بالفتح وخَلْفُ سَوْء بالسكون أَضَاعُوا ٱلصَّلٰوةَ تركوها او اخّروها عن وقتها وَٱتَّبَعُوا ٱلشَّهَوَاتِ كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك فى المعاصى وعن علىّ رضه وٱتّبعوا الشهوات مَنْ بَنَى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا شرًّا كقوله

فمن يَلْقَ خيرا يَحْمَدِ الناسُ أَمْرَه ومن يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغَىِّ لائما

او جزاء غىّ كقوله يَلْقَ أَثَاما او غيّا عن طريق الجنّة وقيل هو وادٍ فى جهنّم يستعيذ منه اوديتها (٦١) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا يدلّ على انّ الآية فى الكفرة فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول مِنْ أَدْخَلَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ولا يُنْقَصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه على انّ كفرهم السابق لا يضرّهم ولا ينقص اجورهم (٦٢) جَنَّاتِ عَدْنٍ بدل من الجنّة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انّه خبرُ مبتدا محذوف ، وعَدْن عَلَمٌ لانّه المضاف اليه فى العَلَم او عَلَمٌ للعَدْن بمعنى الاقامة كبَرّة ولذلك صحّ وصفُ ما اضيف اليه بقوله ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمٰنُ عِبَادَهُ بِٱلْغَيْبِ اى وعدها ايّاهم وهى غائبة عنهم او هم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب إِنَّهُ انّ اللّه كَانَ وَعْدُهُ ٱلّذى هو الجنّة مَأْتِيًّا يأتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من أَتَى اليه احسانا اى مفعولا مُنْجَزا (٦٣) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا فضولَ كلام إِلَّا سَلَامًا ولكن يسمعون قولا يَسْلَمون فيه من العيب والنقيصة او تسليمَ الملائكة عليهم او تسليمَ بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى انّ التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله

ولا عَيْبَ فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فُلولٌ من قِراع الكتائب

ركوع ٧ او على انّ معناه الدعاء بالسلامة وأهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانّما فائدته الاكرام وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا على عادة المتنعّمين والتوسّط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودُروره (٦٤) تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا نُبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى

٥ على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يُستعمل فى التملّك والاستحقاق من حيث انّها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تُبطَل بردّ ولا اسقاط وقيل يُورَث المتّقون من الجنّة المساكن الّتى كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة فى كرامتهم وعن يعقوب نُوَرِّثُ بالتشديد (٦٥) وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ حكاية قول جبريل حين استبطأه رسول اللّه صلعم لمّا سُئل عن قصّة اصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يَدْرِ ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتّى قال المشركون

١٠ ودّعه ربّه وقلاه ثمّ نزل ببيان ذلك ، والتنزّل النزول على مهل لانّه مطاوعُ نَزّلَ وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نَزّلَ بمعنى انزل والمعنى وما نَنْزِل وقتا غِبَّ وقت الّا بأمر اللّه على ما تقتضيه حكمته وقرئ وَمَا يَتَنَزَّلُ بالياء والضمير للوحى لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل فى زمان دون زمان الّا بأمره ومشيئته وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا تاركا لك اى ما كان عدم النزول الّا لعدم الامر به ولم يكن عن ترك اللّه لك وتوديعه ايّاك

١٥ كما زعمت الكفرة وانّما كان لحكمة رآها فيه وقيل اوّل الآية حكاية قول المتّقين حين يدخلون الجنّة والمعنى وما ننزل الجنّة الّا بأمر اللّه ولطفه وهو مالك الامور كلّها السالفة والمترقّبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربّك نسيّا تقرير من اللّه لقولهم اى وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله (٦٦) رَبُّ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبرُ محذوف او بدل من ربّك فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ خطاب للرسول مرتّب عليه

٢٠ اى لمّا عرفت ربّك بانّه لا ينبغى له ان ينساك او اعمال العمّال فأقبِلْ على عبادته واصطبِرْ عليها ولا تتشوّش بابطاء الوحى وهزء الكفرة وانّما عُدّى باللام لتضمّنه معنى الثبات للعبادة فيما تُورِد عليه من الشدائد والمشاقّ كقولك للمحارب اصطبرْ لقِرنك هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا مثلا يستحقّ ان يسمّى الها او احدا سُمّى اللّه فانّ المشركين وان سمّوا الصنم الها لم يسمّوه اللّه قطّ وذلك لظهور احديّته تعالى وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللَّبْس والمكابرة وهو تقرير للامر اى اذا صحّ ان لا احدَ مثله

٢٥ ولا يستحقّ العبادة غيرُه لم يكن بدّ من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقّها

ركوع ٨ (٦٧) وَيَقُولُ ٱلْإِنسَانُ المراد به الجنس بأسره فانّ المقول مقول فيما بينهم وان لم يقله كلّهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتلُ واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او أُبَىّ بن خلف فانّه اخذ عظاما بالية ففتّها وقال يزعم محمّد انّا نُبعَث بعد ما نموت أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا من الارض او من حال

جزء ١٦ الموت وتقديمُ الظرف وايلاؤُه حرفَ الانكار لانّ المنكر كونُ ما بعد الموت وقتَ الحيوة وانتصابُه بفعل دلّ
ربع ٨ عليه اخرج لا به فانّ ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مُخْلَصة للتأكيد مجرّدة عن معنى الحال.
كما خلصت الهمزة واللام في يا أللّه للتعويض فساغ اقترانُها بحرف الاستقبال ورُوى عن ابن ذكوان اذا ما متُّ بهمزة واحدة مكسورة على الخبر (٦٨) أَوَلَا يَذَّكَّرُ ٱلْإِنْسَانُ عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع انّ الاصل ان يتقدّمهما للدلالة على انّ المنكر بالذات هو المعطوف وانّ المعطوف عليه انّما نشأ منه فانّه لو تذكّر وتأمّل أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا بل كان عدما صِرْفا لم يقل ذلك فانّه اعجبُ من جمع الموادّ بعد التفريق وايجادِ مثْل ما كان فيها من الأعراض ، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يَذْكُرُ من الذكر الّذى يراد به التفكّر وقرئ يَتَذَكَّرُ على الاصل (٦٩) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ اقسم باسمه تعالى مضافا الى نبيّه تحقيقا للامر وتفخيما لشأن الرسول وَٱلشَّيَاطِينَ عطفٌ او مفعولٌ معه لما رُوى انّ الكفرة يُحْشَرون مع قرنائهم من الشياطين الّذين أَغْوَوْهم كلٌّ مع شيطانه في سلسلة وهذا وإن كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس بأسره فانّهم اذا حُشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حُشروا جميعا معهم ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ ليرى السعداء ما نجّاهم اللّه منه فيزدادوا غِبْطةً وسرورا وينال الاشقياء ما ادّخروا لمعادهم عُدّةً ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جِثِيًّا على رُكبهم لما يَدْهَمهم من هول المطّلَع او لانّه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهلُ الموقف جاثون لقوله تعالى وترى كلّ امّة جاثية على المعتاد في مَواقف التقاول وإن كان المراد بالانسان الكفرة فلعلّهم يساقون جُثاة من الموقف الى شاطئ جهنّم اهانةً بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدّة وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص جِثِيًّا بكسر الجيم (٧٠) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ من كلّ امّة شاعت دينا أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمٰنِ عِتِيًّا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشدّ تنبيهٌ على انّه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خصّ ذلك بالكفرة فالمراد انّه يميّز طوائفهم اعتاهم فأعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب او يُدْخِل كُلًّا طبقتها الّتى تليق به ، وايّهم مبنىٌّ على الضمّ عند سيبويه لانّ حقّه ان يُبْنَى كسائر الموصولات لكنّه أُعرب حَمْلا على كلّ وبعض للزوم الاضافة واذا حُذف صدرُ صلته زاد نقصُه فعاد الى حقّه منصوبُ المحلّ بننزعنّ ولذلك قرئ منصوبا ومرفوعٌ عند غيره إمّا بالابتداء على انّه استفهامىّ وخبره اشدّ والجملةُ محكيّةٌ وتقدير الكلام لننزعنّ من كلّ شيعة الّذين يقال فيهم ايّهم اشدّ او معلّق عنها لننزعنّ لتضمّنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستأنفةٌ والفعل واقع على منْ كلّ شيعة على زيادة منْ او على معنى لننزعنّ بعضَ كلّ شيعة وإمّا بشيعة لانّها بمعنى تشيّع ، وعَلَى للبيان او متعلّق

بأَفْعَلَ وكذا الباء في قوله (٧١) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا اى لنحن اعلم بالّذين هم اولى بالصلىّ او صليّهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدّهم عتيّا رؤساء الشيع فانّ عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص صِلِيًّا بكسر الصاد (٧٢) وَإِنْ

مِنْكُمْ وما منكم التفات الى الانسان ويؤيّده انّه قرئ وَإِنْ مِنْهُمْ إِلَّا وَارِدُهَا الّا واصلها وحاضرٌ دونها يمرّ جزء ١٦
بها المؤمنون وهى خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر رضه انّه عم سُئل عنه فقال اذا دخل اهلُ الجنّة ركوع ٨
الجنّةَ قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربّنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة وأمّا
قوله تعالى اولئك عنها مُبْعَدون فالمراد عن عذابها وقيل وُرودُها الجوازُ على الصراط فانّه ممدود عليها
كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا كان ورودهم واجبا اوجبه اللّه على نفسه وقضى به بأن وعد به وعدا لا
يُمْكِن خُلْفه وقيل اقسم عليه (٧٣) ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا فيساقون الى الجنّة وقرأ الكسائىّ ويعقوب
نُنْجِى بالتخفيف وقرئ ثَمّ بفتح الثاء اى هناك وَنَذَرُ ٱلظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا منهارا بهم كما كانوا
وهو دليل على انّ المراد بالورود الجثوّ حواليها وانّ المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنّة بعد تجاثيهم
ويبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم (٧٤) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مرتّلات الالفاظ مبيّنات
المعانى بنفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لاجلهم او معهم
أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ المؤمنين والكافرين خَيْرٌ مَقَامًا موضعَ قيام او مكانا وقرأ ابن كثير بالضمّ اى موضعَ
اقامة ومنزل وَأَحْسَنُ نَدِيًّا مجلسا ومجتمَعا والمعنى انّهم لمّا سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها
والدخل عليها اخذوا فى الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظّهم فيها على فضلهم
وحسن حالهم عند اللّه تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فردّ عليهم ذلك
ايضا مع التهديد نقضا بقوله (٧٥) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا وكم مفعول اهلكنا
ومن قرن بيانه وانّما سمّى اهل كلّ عصر قرنا اى مقدّما من قرن الدابّة وهو مقدّمها لانّه يتقدّم مَنْ
بعدهم، وهم احسن صفة لكَمْ، واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جدّ منه والخرثىّ
ما رثّ، والرئى المنظر فِعْل من الرؤية لما يُرى كالطِحْن والخِبْز وقرأ نافع وابن عامر رِيًّا على قلب الهمزة
وادغامها او على انّه من الرِىّ الّذى هو النعمة وابو بكر رِيئًا على القلب وقرئ رِيًا بحذف الهمزة وزِيًّا
من الزىّ وهو الجمع فانّه محاسنُ مجموعةٌ، ثمّ بيّن انّ تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانّما العيار على
الفضل والنقص ما يكون فى الآخرة بقوله (٧٦) قُلْ مَنْ كَانَ فِي ٱلضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا فيمدّه
ويُمْهله بطول العمر والتمتّع به وانّما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بانّ امهاله ممّا ينبغى ان يفعله
استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله انّما نُمْلى لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمّركم ما يتذكّر فيه مَنْ
تذكّر (٧٧) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ غاية المدّ وقيل غاية قول الّذين كفروا للّذين آمنوا اى قالوا
اىّ الفريقين خير حتّى اذا رأوا إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ تفصيل للموعود فانّه امّا العذاب فى الدنيا وهو
غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم ايّاهم قتلا واسرا وامّا يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزى والنكال
فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا من الفريقين بأن عاينوا الامر على عكس ما قدّروه وعاد ما متّعوا به خذلانا
ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكيّة بعد حتّى وَأَضْعَفُ جُنْدًا اى فئة وأنصارا قابل به

جزء ١٦ احسن ندیّا من حیث انّ حُسْن النادی باجتماع وجوه القوم واعیانهم وظهور شوکتهم واستظهارهم

ركوع ٥ (٧٨) وَيَزِيدُ اللّٰهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى عطف على الشرطيّة المحكيّة بعد القول كانّه لمّا بيّن انّ امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبيّن انّ قصور حظّ المؤمن منها ليس لنقصه بل لانّ اللّه تعالى اراد به ما هو خير له وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانّه فى معنى الخبر كانّه قيل من كان فى الضلالة يزيد اللّه فى ضلالته ويزيد المقابل له هدايةً (٧٩) وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ الطاعات الّتى تبقى عائدتها ابدَ الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان اللّه والحمد للّه ولا اله الّا اللّه واللّه اكبر خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا عائدةً ممّا متّع به الكفرة من النعم المُخْدَجة الفانية الّتى يفتخرون بها سيّما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وَخَيْرٌ مَرَدًّا والخير ههنا امّا لمجرّد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احرّ من الشتاء اى ابلغ فى حرّه منه فى برده (٨٠) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا نزلت فى العاص بن وائل كان لخبّاب عليه مال فتقاضاه فقال لا حتّى تكفر بمحمّد قال لا واللّه لا اكفر بمحمّد حيّا ولا ميّتا ولا حين تُبْعَث قال فاذا بُعثتُ جئتَنى فيكون لى ثَمّ مال وولد فأُعطيك ، ولما كانت الرؤية اقوى سَنَد الاخبار استعمل أرأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى أَخْبِرْ بقصّة هذا الكافر عقيبَ حديث اولئك ، وقرأ حمزة والكسائىّ وُلْدًا وهو جمع وَلَد كأُسْد فى أَسَد او لغة فيه كالعُرْب والعَرَب (٨١) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ اقد بلغ من عظمة شأنه الى ان ارتقى الى علم الغيب الّذى توحّد به الواحد القهّار حتّى ادّعى ان يؤتى فى الآخرة مالا وولدا وتألّى عليه أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا او اتّخذ من عالم الغيب عهدا بذلك فانّه لا يتوصّل الى العلم به الّا باحد هذين الطريقين وقيل العهدُ كلمة الشهادة والعمل الصالح فانّ وعد اللّه تعالى بالثواب عليهما كالعهد عليه (٨٢) كَلَّا ردع وتنبيه على انّه مخطئ فيما تصوّره لنفسه سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ سيظهر له انّا كتبنا قوله على طريقة قوله ، اذا ما انْتَسَبْنا لم تَلِدْنى لئيمةٌ ، اى تبيّن انّى لم تلدنى لئيمة او سننتقم منه انتقامَ من كتب جريمة العدوّ وحفظها عليه فانّ نفس الكتبة لا تتأخّر عن القول لقوله تعالى ما يَلْفِظ من قول الّا لديه رقيب عتيد وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ونطوّل له من العذاب ما يستأهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على اللّه جلّت عظمته ولذلك اكّده بالمصدر دلالةً على فرط غضبه عليه (٨٣) وَنَرِثُهُ بموته مَا يَقُولُ يعنى المال والولد وَيَأْتِينَا يوم القيامة فَرْدًا لا يصحبه مال ولا ولد كان له فى الدنيا فضلا ان يؤتى ثَمّ زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه (٨٤) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ليتعزّزوا بهم حيث يكونون لهم وُصْلة الى اللّه وشفعاء عنده (٨٥) كَلَّا ردع وانكار لتعزّزهم بها سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ سيجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله اذ تبرّأ الّذين اتُّبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انّهم عبدوها لقوله ثمّ لم تكن فتنتهم الّا ان قالوا واللّه ربّنا ما كنّا مشركين وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا يؤيّد الاوّل اذا فُسّر الضدُّ بضدّ

العزّ اى ويكونون عليهم ذلّا او بضدّهم على معنى انّها تكون معونةً فى عذابهم بأن توقد بها نيرانهم جزء ١٦
او جُعل الواو للكفرة اى يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى ركوع ٨
الّذى به مضادّتهم فانّهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عم وهم يدٌ على من سواهم ، وقرئ
كَلًّا بالتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قَلْبَ الف الاطلاق فى قوله ٭ أَقِلّى اللومَ عاذلَ والعتابَنْ ٭ او
على معنى كَلَّ هذا الرأى كَلًّا وكَلًّا على اضمارِ فعلٍ يفسّره ما بعده اى سيجحدون كَلًّا سيكفرون
بعبادتهم (٨٦) أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَاطِينَ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ بأن سلّطناهم عليهم او قيّضناهم لهم قرناء ركوع ٩
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا تهزّهم وتُغريهم على المعاصى بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمرادُ تعجيب رسول الله صلعم
من اقاويل الكفرة وتماديهم فى الغىّ وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحقّ على ما نطقت به الآيات
المتقدّمة (٨٧) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ بأن يهلكوا حتّى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من
فسادهم إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ ايّام آجالهم عَدًّا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانّه لم يبق لهم الّا ايّام محصورة
وانفاس معدودة (٨٨) يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ نجمعهم إِلَى ٱلرَّحْمٰنِ الى ربّهم الّذى غمرهم برحمته ولاختيار
هذا الاسم فى هذه السورة شأنٌ ولعلّه لانّ مساق الكلام فيها لتعداد نِعَمه الجسام وشرح حال
الشاكرين لها والكافرين بها وَفْدًا وافدين عليه كما يفد الوُفّاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم
(٨٩) وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ كما تساق البهائم إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا عطاشا فانّ من يرد الماء لا يرده الّا لعطش
او كالدوابّ الّتى ترد الماء (٩٠) لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَاعَةَ الضمير فيه للعباد المدلول عليهم بذكر القسمين
وهو الناصب لليوم إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِنْدَ ٱلرَّحْمٰنِ عَهْدًا الّا من تحلّى بما يستعدّ به ويستأهل ان يشفع
للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الّا من اخذ من الله اذنا فيها لقوله تعالى لا
تنفع الشفاعة الّا من اذن له الرحمن من قولهم عَهِدَ الاميرُ الى فلان بكذا اذا امره به ومحلّه الرفع
على البدل من الضمير او النصبُ على تقدير مضاف اى الّا شفاعةَ من اتّخذ او على الاستثناء وقيل
الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الّا من اتّخذ عند الرحمن عهدا يستعدّ به ان
يشفع له بالاسلام (٩١) وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمٰنُ وَلَدًا الضمير يحتمل الوجهين لانّ هذا لمّا كان مقولا
فيما بين الناس جاز ان يُنْسَب اليهم لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا على الالتفات للمبالغة فى الذمّ والتسجيل
عليهم بالجرأة على الله ، والإدّ بالفتح والكسر العظيم المنكر والادّة الشدّة وأدّنى الامرُ وآدنى اثقلنى وعظم
علىّ (٩٢) تَكَادُ ٱلسَّمٰوَاتُ وقرأ نافع والكسائىّ بالياء يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ينشققن مرّة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو
وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب يَنْفَطِرْنَ والاوّل ابلغ لانّ التفعّل مطاوع فعّل والانفعال مطاوع فَعَلَ ولانّ
اصل التفعّل التكلّف وَتَنْشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا تُهدّ هدًّا او مهدودةً او لانّها تُهَدّ اى تُكسر
وهو تقرير لكونه إِدًّا والمعنى انّ هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصوّرت بصورة محسوسة لم

جزء ١٦ ركوع ٩ يتحمّلها هذه الاجرام العظام وتفتّتت من شدّتها او انّ فظاعتها مجلبة لغضب اللّه بحيث لولا حلْمه لخرّب العالم وبدّد قوائمه غضبا على من تفوّه بها (٩٣) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا يحتمل النصبَ على العلّة لتكادُ او لهدًّا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجرَّ باضمار اللام او بالابدال من الهاء فى منه والرفعَ على انّه خبرُ محذوف تقديرُه الموجب لذلك ان دعوا او فاعلُ هدًّا اى هدّها دعاء الولد للرحمن ، وهو منْ دعا بمعنى سمّى المتعدّى الى مفعولين وانّما اقتصر على المفعول الثانى ليحيط بكلّ ما دُعى له ولدا او منْ دعا بمعنى نسب الّذى مطاوعه ادّعى الى فلان اذا انتسب اليه وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ولا يليق به اتّخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لانّه مستحيل ولعلّ ترتيب الحكم بصفة الرحمانيّة للاشعار بانّ كلّ ما عداه نعمةٌ ومنعَمٌ عليه فلا يجانس من هو مبدأُ النعم كلّها ومُولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتّخذه ولدا ثمّ صرّح به فى قوله (٩٤) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ اى ما منهم إِلَّا آتِي ٱلرَّحْمٰنِ عَبْدًا الّا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبوديّة والانقياد وقرئ آتٍ ٱلرَّحْمٰنَ على الاصل لَقَدْ أَحْصَاهُمْ حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وَعَدَّهُمْ عَدًّا عدّ اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فانّ كلّ شىء عنده بمقدار (٩٥) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ فَرْدًا منفردا عن الأتباع والأنصار فلا يجانسه شىء من ذلك ليتّخذه ولدا ولا يناسبه ليُشْرَك به (٩٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمٰنُ وُدًّا سيُحْدِث لهم فى القلوب مودّة من غير تعرّض منهم لاسبابها وعن النبىّ صلعم اذا احبّ اللّه عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فأَحِبّه فيحبّه جبريل ثمّ ينادى فى اهل السماء انّ اللّه قد احبّ فلانا فأَحِبّوه فيحبّه اهل السماء ثمّ توضع له المحبّة فى الارض والسينُ لانّ السورة مكّيّة وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لانّ الموعود فى القيامة حين تُعْرَض حسناتُهم على رءوس الاشهاد فيُنْزَع ما فى صدورهم من الغلّ (٩٧) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ اى بأن انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمّن يسّرنا معنى انزلنا اى انزلناه بلغتك لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ الصائرين الى التقوى وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا اشدّاء الخصومة آخذين فى كلّ لديد اى شقّ من المراء لفرط لجاجهم فبشّر به وانذر (٩٨) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ تخويف للكفرة وتجسير للرسول عم على انذارهم هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ هل تشعر باحد منهم وتراه أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا وقرئ تُسْمَعُ من أُسْمعت ، والركز الصوت الخفىّ وأصلُ التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيّب طرفه فى الارض والرِكازُ المال المدفون ، عن رسول اللّه صلعم من قرأ سورة مريم أُعْطِى عشر حسنات بعدد من كذّب زكريّاء وصدّق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا اللّه فى الدنيا ومن لم يدع اللّه ٥

سُورَةُ طٰهٰ

مكّيّة وآيها مائة وخمس وثلثون آيــة

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) طٰهٰ فخّمهما قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخّم الطاء وحده ابو عمرو جزء ١٦
وورش لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عكّ فإنْ صحّ ركوع ١٠
فلعلّ اصله يا هذا فتصرّفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهادُ بقوله

إنّ السفاهة طٰهٰ في خلائقكم   لا قدّس اللّهُ اخلاقَ الملاعين

ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا يُنْصَرون وقرئ طَهْ على انّه امر للرسول بأن يطأ الارض بقدميه فانّه كان يقوم في تهجّده على احدى رجليه وأنّ اصله طَأْ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا كقوله لا هَناكِ المَرْتَعُ ثمّ بنى عليه الامر وضمّ اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصلُ طٰهٰ طَأْهَا والالف مُبْدَلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يَرُدّ ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رَجُل او اكتفى بشطرى الكلمتين وعبّر عنهما باسمهما مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ خبرُ طه إن جعلتَه مبتدأً على انّه مأوّل بالسورة او القرانِ والقرانُ فيه واقع موقعَ العائد وجوابُه ان جعلته مقسما به ومنادًى له ان جعلته نداء واستيناف ان كانت جملةً فعليّة او اسميّة باضمار مبتدإ او طائفةً من الحروف محكيّة والمعنى ما انزلنا عليك القران لتتعب بفرط تأسّفك على كفر قريش اذ ما عليك الّا ان تبلّغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجّد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه أشْقَى من رائض المُهْر وسيّدُ القوم اشقاهم ولعلّه عدل اليه للاشعار بانّه أُنْزل عليه ليسعد وقيل ردّ وتكذيب للكفرة فانّهم لمّا رأوا كثرة عبادته قالوا انّك لتشقى بترك ديننا وانّ القران أُنزل عليك لتشقى به
(٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محلّ لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فانّ الفعل الواحد لا يتعدّى الى علّتين وقيل هو مصدرٌ في موضع الحال من الكاف او القرانِ او مفعولٌ له على انّ لتشقى متعلّق بمحذوف هو صفة القران اى ما انزلنا عليك القران المنزّل لتتعب بتبليغه لِمَنْ يَخْشَى لمن في قلبه خشية ورقّة تتأثّر بالانذار او لمن علم اللّهُ منه ان يخشى بالتخويف منه فانّه المنتفع به
(٣) تَنْزِيلًا نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة إن جُعل حالا وإن جُعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لانّ الشيء لا يعلّل بنفسه ولا بنوعه مِمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمٰوَاتِ ٱلْعُلَى مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزّل بفرط تعظيم المنزِل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الّذى هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات الّتى هي اصول العالم وقدّم الارض لانّها اقرب الى الحسّ واظهر عنده من السموات العُلَى

جزء ١٦ ركوع ١ وهو جمع العُليا تأنيث الاعلى ثمّ اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بأنْ قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلّقت به مشيئته فقال (٤) ٱلرَّحْمٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَى (٥) لَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَى ليدلّ بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفكّ عن العلم عقّب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليّات الامور وخفيّاتها على سواء فقال (٦) وَإِنْ تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انّه غنيّ عن جهرك فانّه يعلم السرّ واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على انّ شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومَنْعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرّع والجؤار ثمّ لمّا ظهر بذلك انّه المستجمع لصفات الالوهيّة بيّن انّه المتفرّد بها والمتوحّد بمقتضاها فقال (٧) ٱللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَى ومِنْ في مِمَّنْ خلق صلة لتنزيلا او صفة له ، والانتقال من التكلّم الى الغيبة للتفنّن في الكلام وتفخيم المنزَل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشأن ونسبته الى المختصّ بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انّه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انّه كلامُ من هذا شأنه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه ، وقرئ ٱلرَّحْمٰنِ على الجرّ صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبرَ محذوف وكذا ان رُفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ، والثرى الطبقة الترابيّة من الارض وهي آخِرُ طبقاتها ، والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معانٍ هي اشرفُ المعاني وافضلها (٨) وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى قفّى تمهيدَ نبوّته بقصّة موسى ليأتمّ به في تحمّل اعباء النبوّة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فانّ هذه السورة من اوائل ما نزل (٩) إِذْ رَأَى نَارًا ظرف للحديث لانّه حَدَثٌ او مفعول لاذكر قيل انّه استأذن شُعَيْبًا في الخروج الى امّه فخرج بأهله فلمّا وافى وادي طُوًى وفيه الطور وُلد له ابن في ليلة شاتية مُظلمة مُثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضلّ الطريق وتفرّقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوا اقيموا مكانكم وقرأ حمزة لِأَهْلِهُ ٱمْكُثُوا ههنا وفي القصص بضمّ الهاء في الوصل والباقون بكسرها إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يُؤنَس به (١٠) لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ بشُعْلة من النار وقيل جَمْرة أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى هاديا يدلّني على الطريق او يهديني ابوابَ الدين فانّ افكار الابرار مائلة اليها في كلّ ما يعنّ لهم ولما كان حصولهما مترقّبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانّه كان محقّقا ولذلك حقّقه لهم بانّ ليوطّنوا انفسهم عليه ، ومعنى الاستعلاء في على النار انّ اهلها مُشرِفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انّه لصوق بمكان يقرب منه (١١) فَلَمَّا أَتَاهَا اتى النار وجد نارا بيضاء تتّقد في شجرة خضراء نُودِيَ يَا مُوسَى (١٢) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فتحه ابن كثير وابو عمرو اي بأنّي وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه ، وتكرير الضمير للتأكيد والتحقيق قيل انّه لمّا نودي قال مَن المتكلّم

قال انّى انا اللّه فوسوس اليه ابليس لعلّك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انّه كلام اللّه بانّى اسمعه جزء ١٦
من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انّه عم تلقى من ربّه كلامه تلقّيا روحانيّا ثمّ تمثّل ذلك ركوع ١٠
الكلام لبدنه وانتقل الى الحسّ المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ امره بذلك لانّ الحفوة تواضعٌ وادبٌ ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانّهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرّغْ قلبك من الاهل والمال إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ تعليل للامر باحترام البُقعة والمقدّس يحتمل المعنيين طُوًى عطف بيان للوادى ونوّنه ابن عامر والكوفيّون بتأويل المكان وقيل هو كثُنَى من الطىّ مصدر لنودى او المقدّس اى نودى نداءين او قُدّس مرّتين (١٣) وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ اصطفيتك للنبوّة وقرأ حمزة وَإِنَّا ٱخْتَرْنَاكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى للّذى يوحى اليك او للوحى ، واللام تحتمل التعلّق بكلّ من الفعلين (١٤) إِنَّنِى أَنَا ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَٱعْبُدْنِى بدل من ما يوحى دالّ على انّه مقصور على تقرير التوحيد الّذى هو منتهى العلم والامر بالعبادة الّتى هى كمال العمل وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِى خصّها بالذكر وافردها بالامر للعلّة الّتى اناط بها اقامتها وهو تذكّرُ المعبود وشُغْلُ القلب واللسان بذكره وقيل لذكرى لانّى ذكرتُها فى الكتب وأمرتُ بها او لأنْ اذكرك بالثناء او لذكرى خاصّةً لا تُرائى بها ولا تشوبُها بذكرِ غيرى وقيل لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوة او لذكر صلاتى لما روى انّه عم قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها انّ اللّه يقول واقم الصلوة لذكرى (١٥) إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ كائنة لا محالة أَكَادُ أُخْفِيهَا أُريدُ اخفاء وقتها او أَقْرُبُ ان اخفيها فلا اقول انّها آتية ولولا ما فى الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرتُ به او اكادُ أُظْهِرُها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيّده القراءة بالفتح من خَفاه اذا اظهره (١٦) لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ متعلّق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير (١٧) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا عن تصديق الساعة او عن الصلوة مَنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهَا نهى الكافر ان يصدّ موسى عم عنها والمراد نهيه ان ينصدّ عنها كقولهم لا أُرَيَنَّك ههنا تنبيها على انّ فطرته السليمة لو خُلّيتْ بحالها لاختارها ولم يُعْرِض عنها وانّه ينبغى ان يكون راسخا فى دينه فانّ صدّ الكافر انّما يكون بسبب ضعفه فيه وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ميلَ نفسه الى اللذّات المحسوسة المُخدَجة فقصر نظره عن غيرها فَتَرْدَىٰ فتهلك بالانصداد بصدّه (١٨) وَمَا تِلْكَ استفهام يتضمّن استيقاظا لما يُريه فيها من العجائب بِيَمِينِكَ حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك يَٰمُوسَىٰ تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه (١٩) قَالَ هِىَ عَصَاىَ وقرئ عَصَىَّ على لغة هذيل أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى واخبط الورق بها على رؤس غنمى وقرئ أَهِشُّ وكلاهما من هشّ الخبزُ يَهِشّ اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهسّ وهو زجر الغنم اى أُنْحِى عليها زاجرا لها وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ حاجات أُخَر مثلُ أن كان اذا سار القاها على عاتقه فعلّق بها اداوته وعرض الزندَين

جزء ١٦ على شُعْبَتَيْها والقى عليها الكساء واستظلّ به واذا قصر الرِشاء وصله بها واذا تعرّضت السباعُ لغنمه قاتل
ركوع ١٠ بها وكانّه عم فهم انّ المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتّى اذا رآها بعد
ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان تشتعل شعبتاه بالليل
كالشمع وتصيران دَلْوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتُحارب عنه اذا ظهر عدوّ وينبع الماء بركزها
وينصب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها عَلِمَ انّ ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها
اللّه فيها لاجله وليست من خواصّها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصّلا ومجملا على معنى انّها من جنس
العصا تنفع منافع امثالها ليطابق جوابُه الغرضَ الّذى فهمه (٢٠) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (٢١) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا
هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قيل لمّا القاها انقلبت حيّة صفراء بغلظ العصا ثمّ تورّمت وعظمت فلذلك سمّاها جانّا
تارةً نظرا الى المبدا وثعبانا مرّة باعتبار المنتهى وحيّة اخرى بالاسم الّذى يعمّ الحالَيْن وقيل كانت فى
ضخامة الثعبان وجلادة الجانّ ولذلك قال كانّها جانّ (٢٢) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ فانّه لمّا رآها حيّة
تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَى هيئتها وحالتها المتقدّمة وهى
فِعْلة من السَيْر تُجوّز بها للطريقة والهيئة وانتصابُها على نزع الخافض او على انّ اعاد منقول من عاده
بمعنى عاد اليه او على الظرف اى سنعيدها فى طريقتها او على تقدير فعلها اى سنعيد العصا بعد
ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبلُ قيل لمّا قال له ربّه ذلك اطمأنّت نفسه حتّى
ادخل يده فى فمها وأخذ بلحييها (٢٣) وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ الى جنبك تحت العضد يقال لكلّ
ناحيتين جناحان كجناحى العسكر استعارةٌ من جناحى الطائر سُمّيا بذلك لانّه يُجْنِحهما عند
الطيران تَخْرُجْ بَيْضَاءَ كانّها مُشْعة مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ من غير عاهة وقبح كنّى به عن البرص كما كنّى
بالسَوْءة عن العَوْرة لانّ الطباع تعافه وتنفر عنه آيَةً أُخْرَى معجزة ثانية وهى حالٌ من ضمير تخرج
كبيضاء او من ضميرها او مفعولٌ باضمار خُذْ او دُونَك (٢٤) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا ٱلْكُبْرَى متعلّق بهذا
المضمر او بما دلّ عليه آية او القصّة اى دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك ، والكبرى صفة آياتنا او مفعولُ
نريك ومن آياتنا حال منها (٢٥) ٱذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ بهاتين الآيتين وٱدْعُه الى العبادة إِنَّهُ طَغَى عصى وتكبّر
ركوع ١١ (٢٦) قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٧) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي لمّا امره بخطب عظيم وأمرٍ جسيم سأله ان يشرح صدره
ويُفَسِّحَ قلبَه لتحمّل اعبائه والصبر على مشاقّه والتلقّى لما ينزل عليه ويسهّلَ الامر له باحداث الاسباب
ورفع الموانع ، وفائدةُ لى ابهامُ المشروح والميسّر اوّلا ثمّ رفعُه بذكر الصدر والامرِ تأكيدا ومبالغة
(٢٨) وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٩) يَفْقَهُوا قَوْلِي فانّما يحسن التبليغ من البليغ وكان فى لسانه رُتّة من
جَمْرةٍ ادخلها فاه وذلك انّ فرعون حمله يوما فأخذ بلحيته ونتفها فغضب وأمر بقتله فقالت آسية انّه
صبىّ لا يفرق بين الجمر والياقوت فأُحْضرا بين يديه فأخذ الجمرة ووضعها فى فيه ولعلّ تبيُّض يده كان
لذلك وقيل احترقت يده فاجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرأ ثمّ لمّا دعاه قال الى اىّ ربّ تدعونى قال

الى آلّذى ابرأ يدى وقد عجزتَ عنه ، واختُلف فى زوال العُقدة بكمالها فمن قال به تمسّك بقوله قد جزء ١٦
اوتيتَ سُؤْلَك ومن لم يقل احتجّ بقوله هو افصح منّى لسانا وقوله ولا يكاد يُبين واجاب عن الاوّل ركوع ١١
بانّه لم يسأل حلّ عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكّرها وجعل يفقهوا جواب الامر ،
ومن لسانى يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل (٣٠) وَٱجْعَلْ لِى وَزِيرًا مِنْ أَهْلِى (٣١) هٰرُونَ
٥ أَخِى يُعينني على ما كلّفتنى به واشتقاق الوزير إمّا من الوِزْر لانّه يحمل الثقل عن اميره او من الوَزَر
وهو الملجأ لانّ الامير يعتصم برأيه ويلتجئ اليه فى اموره ومنه الموازرة وقيل اصله أزير من الأزر بمعنى
القوّة فعيل بمعنى مُفاعل كالعشير والجليس قُلبت همزته كقلبها فى مُوازر ، ومفعولا اجعلْ وزيرا وهرون
قدّم ثانيهما للعناية به ولى صلة او حال او لى وزيرا وهرون عطف بيان للوزير او وزيرا من اهلى
ولى تبيين كقوله ولم يكن له كفوًا احد واخى على الوجوه بدل من هرون او مبتدأ خبره
١٠ (٣٢) ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِى (٣٣) وَأَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انّهما جواب
الامر (٣٤) كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا فانّ التعاون يهيج الرغبات ويؤدّى الى تكاثر الخير
وترايُده (٣٥) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا عالما باحوالنا وانّ التعاون ممّا يُصلحنا وانّ هرون نِعْم المعين لى فيما
امرتنى به (٣٦) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى اى مسأولك فُعْل بمعنى مفعول كالخُبْز والأُكْل بمعنى
المخبوز والمأكول (٣٧) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى انعمنا عليك فى وقت آخر (٣٨) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ
١٥ بالهام او فى منام او على لسان نبىّ فى وقتها او ملك لا على وجه النبوّة كما اوحى الى مريم
مَا يُوحَى ما لا يُعْلَم الّا بالوحى او ممّا ينبغى ان يُوحَى ولا يُخَلّ به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به
(٣٩) أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ بأن اقذفيه او اى اقذفيه لانّ الوحى بمعنى القول فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ والقذف
يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى كقوله • غلام رماه اللّه
بالحسن يافعا • فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ لما كان القاء البحر ايّاه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلّق
٢٠ الارادة به جعل البحر كانّه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب مُخْرَجَ الامر ، والأَوْلى ان تجعل
الضمائر كلّها لموسى مراعاةً للنظم فالمقذوف فى البحر والمُلْقَى الى الساحل وان كان التابوت بالذات
فموسى بالعَرَض يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِى وَعَدُوٌّ لَهُ جواب فليلقه ، وتكرير عدوّ للمبالغة او لانّ الاوّل باعتبار
الواقع والثانى باعتبار المتوقَّع ، قيل انّها جعلت فى التابوت قُطْنا ووضعته فيه ثمّ قيّرته والقته فى اليمّ
وكان يَشْرَع منه الى بستان فرعون نهرٌ فدفعه الماء اليه فأدّاه الى بِرْكة فى البستان وكان فرعون
٢٥ جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مُزاحم فأمر به فأُخْرِج ففتح فاذا هو صبىّ اصبح الناس وجها
فأحبّه حبّا شديدا كما قال سبحانه وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى اى محبّة كائنة منّى قد زرعتها فى القلوب
بحيث لا يكاد يَصْبر عنك مَنْ رآك فلذلك احبّك فرعون ويجوز ان يتعلّق منّى بألقيت اى احببتك

جزء ١٦ ركوع ١١ ومن احبّه اللّه احبّته القلوب ، وظاهر اللفظ انّ اليمّ القاه بساحله وهو شاطئه لانّ الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد ان يؤوّل الساحل بجنب فوّهة نهره (٤٠) وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي لتربّى ويُحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علّة مضمرة مثل ليتعطّف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلّل مثل فعلتُ ذلك وقرئ وَلْتُصْنَعْ بكسر اللام وسكونها والجزم على انّه امر وَلِتَصْنَعَ بالنصب وفتح التاء اى وليكون عملك على عين منّى لئلّا تخالف به عن امرى (٤١) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ ظرف لالقيت او لتصنع او بدلٌ من اذ اوحينا على انّ المراد بهما وقت متسع فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ وذلك انّه كان لا يقبل ثدى المراضع فجاءت اخته مريم متفحّصة خبره فصادفتهم يطلبون له مُرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلّكم فجاءت بأمّه فقبل ثديها فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ وفاء بقولنا انّا رادّوه اليك كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا بلقائك وَلَا تَحْزَنَ هى بفراقك او انت على فراقها وفقد اشفاقها وَقَتَلْتَ نَفْسًا نفس القبطىّ الّذى استغاثه عليه الاسرائيلىّ فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ غمّ قتله خوفا من عقاب اللّه واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انّه جمع فَتْنٍ او فِتْنة على ترك الاعتداد بالتاء كحُجُوز وبُدُور فى حُجْزة وبَدْرة فخلّصناك مرّة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الأُلّاف والمشى راجلا على حذر وفقد الزاد وأَجْر نفسه الى غير ذلك او له ولما سبق ذكره (٤٢) فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأَوْفَى الاجلَيْن ومدينُ على ثمانى مراحل من مصر ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ قدّرتُه لأن اكلّمك وأستنبئك غيرَ مستقدِمٍ وقته المعيَّن ولا مستأخِرٍ او على مقدار من السِنّ يوحى فيه الى الانبياء يَا مُوسَى كرّره عقيبَ ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك (٤٣) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي واصطفيتك لمحبّتى مثّله فيما خوّله من الكرامة بمن قرّبه الملك واستخلصه لنفسه (٤٤) اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي بمعجزاتى وَلَا تَنِيَا ولا تَفْتُرا ولا تقصّرا وقرئ تِنِيَا بكسر التاء فِي ذِكْرِي لا تنسيانى حيثما تقلّبتما وقيل فى تبليغ ذكرى والدعاء الىّ (٤٥) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى امر به اوّلا موسى وحده وههنا ايّاه واخاه فلا تكرير قيل اوحى الى هرون ان يتلقّى موسى وقيل سمع بمُقْبَله فاستقبله (٤٦) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا مثل هل لك الى ان تزكّى واهديك الى ربّك فتخشى فانّه دعوة فى صورة عَرْضٍ ومشورةٍ حَذَرَ أن تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما واحتراما لما له من حقّ التربية عليك وقيل كَنِّياه وكان له ثلاث كُنًى ابو العبّاس وابو الوليد وابو مُرّة وقيل عِداه شبابا لا يهرم بعده ومُلْكا لا يزول الّا بالموت لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى متعلّق باذهبا او قولا اى باشرا الامرَ على رجائكما وطمعكما ان يُثْمِر ولا يخيب سعيُكما فانّ الراجى مجتهد والآيس متكلّف ، والفائدة فى ارسالهما والمبالغة عليهما فى الاجتهاد مع علمه بانّه لا يؤمن الزام الحجّة وقطع

المعذرة واظهارُ ما حدث فى تضاعيف ذلك من الآيات، والتذكّرُ للمتحقّق والخشيةُ للمتوهّم ولذلك جزء ١٦
قدّم الاوّل اى ان لم يتحقّق صدقكما ولم يتذكّر فلا اقلّ من ان يتوهّمه فيخشى (٤٧) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا ركوع ١١
نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا ان يعجّل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فَرَطَ اذا تقدّم ومنه الفارط وفرسٌ فُرُطٌ يسبق الخيلَ وقرئ يُفْرَطَ من افرطته اذا حملته على العجلة اى نخاف ان يحمله حاملٌ من استكبارٍ او خوفٍ على الملك او شيطانٍ انسىّ او جنىّ على المعاجلة بالعقاب ويُفْرِطَ من الافراط فى الاذيّة أَوْ أَنْ يَطْغَى او ان يزداد طغيانا فيتخطّى الى ان يقول فيك ما لا ينبغى لجرأته وقساوته واطلاقه من حُسْن الادب (٤٨) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا بالحفظ والنصرة أَسْمَعُ وَأَرَى ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل فأُحْدِث فى كلّ حال ما يصرف شرّه عنكما ويوجب نصرتى لكما ويجوز ان لا يقدّر شىء على معنى انّنى حافظكما سامعا ومبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تمّ الحفظ (٤٩) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اطلقهم وَلَا تُعَذِّبْهُمْ بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانّهم كانوا فى ايدى القبط يستخدمونهم ويُتْعبونهم فى العمل ويقتلون ذكور اولادهم فى عام دون عام وتعقيبُ الاتيان بذلك دليل على انّ تخليص المؤمنين من الكفرة اهمّ من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج فى الدعوة قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ جملة مقرّرة لما تضمّنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانّما وحّد الآية وكان معه آيتان لانّ المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجّة وتعدّدها وكذلك قوله قد جئتكم ببيّنة فأت بآية أَوَلَوْ جئتك بشىء مبين وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وسلام الملائكة وخزنة الجنّة على المهتدين او السلامةُ فى الدارين لهم (٥٠) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى انّ عذاب المنزَلين على المكذّبين للرسل ولعلّ تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لانّ التهديد فى اوّل الامر أهمّ وأنجع وبالواقع أليق (٥١) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى اى بعد ما اتياه وقالا له ما أُمرا به ولعلّه حذف لدلالة الحال فانّ المطيع اذا أُمر بشىء فعله لا محالة وانّما خاطب الاثنين وخصّ موسى بالنداء لانّه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانّه عرف انّ له رُتّة ولاخيه فصاحة فاراد ان يُفْحمه ويدلّ عليه قوله ام انا خير من هذا الّذى هو مَهين ولا يكاد يُبين (٥٢) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ من الانواع خَلْقَهُ صورته وشكله الّذى يطابق كماله المُمْكنَ له او اعطى خليقته كلّ شىء يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدّم المفعول الثانى لانّه المقصود بيانه وقيل اعطى كلّ حيوان نظيره فى الخلق والصورة زوجا وقرئ خَلَقَهُ صفةً للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثانى محذوفا اى اعطى كلّ مخلوق ما يصلحه ثُمَّ هَدَى ثمّ عرّفه كيف يرتفق بما أُعْطى وكيف يتوصّل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب فى غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها ودلالته على انّ الغنىّ القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وانّ جميع ما عداه مفتقر اليه منعَمٌ عليه فى حدّ ذاته وصفاته وافعاله

جزء ١٦ احسن نديًّا من حيث ان حُسْن النادى باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ركوع ٨ (٧٨) وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا هُدًى عطف على الشرطيّة المحكيّة بعد القول كانّه لمّا بيّن انّ امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبيّن انّ قصور حظّ المؤمن منها ليس لنقصه بل لانّ اللّه تعالى اراد به ما هو خير له وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانّه فى معنى الخبر كانّه قيل من كان فى الضلالة يزيد اللّه فى ضلاله ويزيد المقابل له هداية (٧٩) وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ الطاعات التى تبقى عائدتها ابدَ الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان اللّه والحمد للّه ولا اله الّا اللّه واللّه اكبر خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا عائدةً ممّا متّع به الكفرة من النعم المُخْدَجة الفانية التى يفتخرون بها سيّما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وَخَيْرٌ مَرَدًّا والخير هٰهنا امّا لمجرّد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احرّ من الشتاء اى ابلغ فى حرّه منه فى برده (٨٠) أَفَرَأَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا نزلت فى العاص بن وائل كان لخبّاب عليه مال فتقاضاه فقال لا حتّى تكفر بمحمّد قال لا واللّه لا اكفر بمحمّد حيًّا ولا ميّتا ولا حين تُبْعَث قال فاذا بُعِثْتُ جِئْتَنى فيكون لى ثَمّ مال وولد فأُعْطيك ، ولما كانت الرؤية اقوى سَنَد الاخبار استعمل أرأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى أَخْبِرْ بقصّة هذا الكافر عقيبَ حديث اولئك ، وقرأ حمزة والكسائىّ وُلْدًا وهو جمع وَلَد كأُسْد فى أَسَد او لغة فيه كالعُرْب والعَرَب (٨١) أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ اقد بلغ من عظمة شأنه الى ان ارتقى الى علم الغيب الّذى توحّد به الواحد القهّار حتّى ادّعى ان يؤتَى فى الآخرة مالا وولدا وتألّى عليه أَمِ ٱتَّخَذَ عِنْدَ ٱلرَّحْمٰنِ عَهْدًا او اتّخذ من عالم الغيب عهدا بذلك فانّه لا يتوصّل الى العلم به الّا باحد هذين الطريقين وقيل العهدُ كلمة الشهادة والعمل الصالح فانّ وعد اللّه تعالى بالثواب عليهما كالعهد عليه (٨٢) كَلَّا ردع وتنبيه على انّه مخطئٌ فيما تصوّره لنفسه سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ سيظهر له انّا كتبنا قوله على طريقة قوله ٭ اذاما انْتَسَبْنا لم تَلِدْنى لئيمةٌ ٭ اى تبيّن انّى لم تلدنى لئيمة او سننتقم منه انتقامَ من كتب جريمة العدوّ وحفظها عليه فانّ نفس الكتبة لا تتأخّر عن القول لقوله تعالى ما يَلْفِظ من قول الّا لديه رقيب عتيد وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ونطوّل له من العذاب ما يستأهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على اللّه جلّت عظمته ولذلك اكّده بالمصدر دلالةً على فرط غضبه عليه (٨٣) وَنَرِثُهُ بموته مَا يَقُولُ يعنى المال والولد وَيَأْتِينَا يومَ القيامة فَرْدًا لا يصحبه مال ولا ولد كان له فى الدنيا فضلا ان يؤتَى ثَمّ زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه (٨٤) وَٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ليتعزّزوا بهم حيث يكونون لهم وُصْلة الى اللّه وشفعاء عنده (٨٥) كَلَّا ردع وانكار لتعزّزهم بها سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ سيجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله اذ تبرّأ الّذين اتّبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انّهم عبدوها لقوله ثمّ لم تكن فتنتهم الّا ان قالوا واللّه ربّنا ما كنّا مشركين وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا يؤيّد الاوّل اذا فُسّر الضدّ بضدّ

العزّ اى ويكونون عليهم ذلّا او بضدّهم على معنى انّها تكون معونةً فى عذابهم بأن توقد بها نيرانهم جزء ١٦
او جُعل الواو للكفرة اى يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيدُه لوحدة المعنى ركوع ٨
الّذى به مضادّتهم فانّهم بذلك كالشيء الواحد ونظيرُه قوله عم وهم يدٌ على من سواهم ، وقرئ
كَلًّا بالتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قَلْبَ الف الاطلاق فى قوله ° أَقِلّي اللومَ عاذلَ والعِتابَنْ ° او
على معنى كَلَّ هذا الرأى كَلًّا وكُلًّا على اضمارِ فعلٍ يفسّره ما بعده اى سيجحدون كُلًّا سيكفرون
بعبادتهم (٨٦) أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَاطِينَ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ بأن سلّطناهم عليهم او قيّضناهم لهم قرناء ركوع ٩
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا تهزّهم وتُغريهم على المعاصى بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمرادُ تعجيب رسول اللّه صلعم
من اقاويل الكفرة وتماديهم فى الغىّ وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحقّ على ما نطقت به الآيات
المتقدّمة (٨٧) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ بأن يهلكوا حتّى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من
فسادهم إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ ايّام آجالهم عَدًّا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانّه لم يبق لهم الّا ايّام محصورة
وانفاس معدودة (٨٨) يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ نجمعهم إِلَى ٱلرَّحْمٰنِ الى ربّهم الّذى غمرهم برحمته ولاختيار
هذا الاسم فى هذه السورة شأنٌ ولعلّه لانّ مساقَ الكلام فيها لتعداد نِعَمه الجِسام وشرح حال
الشاكرين لها والكافرين بها وَفْدًا وافدين عليه كما يفد الوُفّاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم
(٨٩) وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ كما تساق البهائم إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا عطاشا فانّ من يرد الماء لا يرده الّا لعطش
او كالدوابّ الّتى ترد الماء (٩٠) لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَاعَةَ الضمير فيه للعباد المدلول عليهم بذكر القِسمين
وهو الناصب لليوم إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِنْدَ ٱلرَّحْمٰنِ عَهْدًا الّا من تحلّى بما يستعدّ به ويستأهل ان يشفع
للعُصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد اللّه او الّا من اخذ من اللّه اذنا فيها لقوله تعالى لا
تنفع الشفاعة الّا من اذن له الرحمن من قولهم عَهِدَ الاميرُ الى فلان بكذا اذا امره به ومحلّه الرفع
على البدل من الضمير او النصبُ على تقدير مضاف اى الّا شفاعةَ من اتّخذ او على الاستثناء وقيل
الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الّا من اتّخذ عند الرحمن عهدا يستعدّ به ان
يشفع له بالاسلام (٩١) وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمٰنُ وَلَدًا الضمير يحتمل الوجهين لانّ هذا لمّا كان مقولا
فيما بين الناس جاز ان يُنْسَب اليهم لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا على الالتفات للمبالغة فى الذمّ والتسجيل
عليهم بالجرأة على اللّه ، والأَدّ بالفتح والكسر العظيم المنكر والإدّة الشدّة وأَدّنى الامرُ وآدنى اثقلنى وعظم
علىّ (٩٢) تَكَادُ ٱلسَّمٰوَاتُ وقرأ نافع والكسائىّ بالياء يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ينشققن مرّة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو
وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب يَنْفَطِرْنَ والاوّل ابلغ لانّ التفعّل مطاوعُ فعّلَ والانفعال مطاوع فَعَلَ ولانّ
اصل التفعّل التكلّف وَتَنْشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا تُهَدّ هدًّا او مهدودةً او لانّها تُهَدّ اى تُكْسَر
وهو تقرير لكونه إِدًّا والمعنى انّ هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصوّرت بصورة محسوسة لم

جزء ١٦ يتحمّلها هذه الاجرام العظام وتفتّتت من شدّتها او انّ فظاعتها مجلبة لغضب اللّه بحيث لولا حلمه ركوع ٩ لخرّب العالم وبدّد قوائمه غضبا على من تفوّه بها (٩٣) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا يحتمل النصبَ على العلّة لتكادُ او لهدّا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجرَّ باضمار اللام او بالابدال من الهاء فى منه والرفعَ على انّه خبرُ محذوف تقديرُه الموجب لذلك ان دعوا او فاعلُ هدّا اى هدّها دعاء الولد للرحمن ، وهو مِنْ دعا بمعنى سمّى المتعدّى الى مفعولين وانّما اقتصر على المفعول الثانى ليحيط بكلّ ما دُعى له ولدا او مِنْ دعا بمعنى نسب الّذى مطاوعه ادّعى الى فلان اذا انتسب اليه وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ولا يليق به اتّخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لانّه مستحيل ولعلّ ترتيب الحكم بصفة الرحمانيّة للاشعار بانّ كلّ ما عداه نعمةٌ ومنعَمٌ عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلّها ومُولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتّخذه ولدا ثمّ صرّح به فى قوله (٩٤) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ اى ما منهم إِلَّا آتِي ٱلرَّحْمٰنِ عَبْدًا الّا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبوديّة والانقياد وقرئ آتٍ ٱلرَّحْمٰنَ على الاصل لَقَدْ أَحْصَاهُمْ حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وَعَدَّهُمْ عَدًّا عدّ اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فانّ كلّ شىء عنده بمقدار (٩٥) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ فَرْدًا منفردا عن الأتباع والأنصار فلا يجانسه شىء من ذلك ليتّخذه ولدا ولا يناسبه ليُشْرَك به (٩٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمٰنُ وُدًّا سيُحْدِث لهم فى القلوب مودّة من غير تعرّض منهم لاسبابها وعن النبىّ صلعم اذا احبّ اللّه عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فأَحِبّه فيحبّه جبريل ثمّ ينادى فى اهل السماء انّ اللّه قد احبّ فلانا فأحِبّوه فيحبّه اهل السماء ثمّ توضع له المحبّةُ فى الارض والسينُ لانّ السورة مكّيّة وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لانّ الموعود فى القيامة حين تُعْرَض حسناتُهم على رءوس الاشهاد فيُنْزَع ما فى صدورهم من الغلّ (٩٧) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ اى بأن انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمّن يسّرنا معنى انزلنا اى انزلناه بلغتك لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ الصائرين الى التقوى وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا اشدّاء الخصومة آخذين فى كلّ لديد اى شقّ من المِراء لفرط لجاجهم فبشّر به وانذر (٩٨) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ تخويف للكفرة وتجسير للرسول عم على انذارهم هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ هل تشعر باحد منهم وتراه أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا وقرئ تُسْمَعُ من أُسْمِعت ، والركز الصوت الخفىّ وأصلُ التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيّب طرفه فى الارض والرِكازُ المال المدفون ، عن رسول اللّه صلعم من قرأ سورة مريم أُعْطِى عشر حسنات بعدد من كذّب زكريّاء وصدّق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا اللّه فى الدنيا ومن لم يدع اللّه ٠

سُورَةُ طٰهٰ

مكيّة وآيها مائة وخمس وثلثون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) طٰهٰ فخّمهما قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخّم الطاء وحده ابو عمرو جزء ١٦
وورش لاستعلائه واما لهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عكّ فإن صحّ ركوع ١٠
فلعلّ اصله يا هذا فتصرّفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله

انّ السفاهة طٰهٰ فى خلائقكم لا قدّس اللّهُ اخلاقَ الملاعين

ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا يُنْصَرون وقرئ طَهْ على انّه امر للرسول بأن يطأ الارض بقدميه فانّه كان يقوم فى تهجّده على احدى رجليه وأنّ اصله طَأْ فقلبت همزته هاء او قلبت فى يطأ الفا كقوله ، لا هَنَاكِ المَرْتَعُ ، ثمّ بنى عليه الامر وضمّ اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصلُ طٰه طَأْهَا والالف مُبْدَلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يَرُدّ ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رَجُل او اكتفى بشطرى الكلمتين وعبّر عنهما باسمهما مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَى خبرُ طه إن جعلته مبتدأً على انّه مأوّل بالسورة او القرآن والقرآنَ فيه واقع موقعَ العائد وجوابُه ان جعلته مقسما به ومنادًى له ان جعلته نداء واستيناف ان كانت جملةً فعليّةً او اسميّةً باضمار مبتدإ او طائفةً من الحروف محكيّة والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسّفك على كفر قريش اذ ما عليك الّا ان تبلّغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجّد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه أشقى من رائض المُهر وسيّدُ القوم اشقاهم ولعلّه عدل اليه للاشعار بانّه أُنزل عليه ليسعد وقيل ردّ وتكذيب للكفرة فانّهم لمّا رأوا كثرة عبادته قالوا انّك لتشقى بترك ديننا وانّ القرآن أُنزل عليك لتشقى به
(٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لكن تذكيرا وانتصابُها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محلّ لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فانّ الفعل الواحد لا يتعدّى الى علّتين وقيل هو مصدرٌ فى موضع الحال من الكاف او القرآن او مفعولٌ له على انّ لتشقى متعلّق بمحذوف هو صفة القرآن اى ما انزلنا عليك القرآن المنزّل لتتعب بتبليغه لِمَنْ يَخْشَى لمن فى قلبه خشية ورقّة تتأثّر بالانذار او لمن علم اللّهُ منه ان يخشى بالتخويف منه فانّه المنتفع به
(٣) تَنْزِيلًا نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة إن جُعل حالا وإن جُعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لانّ الشىء لا يعلّل بنفسه ولا بنوعه مِمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمٰوَاتِ ٱلْعُلَى مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزّل بفرط تعظيم المنزِل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الّذى هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات الّتى هى اصول العالم وقدّم الارض لانّها اقرب الى الحسّ واظهر عنده من السموات العُلى

... وتدبير امرها بأن لقصد بالعرش فاجرى
... حكمته وتعلقت به مشيئته
... وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى
... لا تنفك من العلم عقب ذلك
... تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى
... يعلم السر والخفى منه وهو ضمير النفس
... انه لا تتصور النفس بالذكر
... فهو بجمع انه المستجمع لصفات
... لا إله الا هو له الاسماء الحسنى

قال انّى انا اللّه فوسوس اليه ابليس لعلّك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انّه كلام اللّه بانّى اسمعه جزء ١٦
من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انّه عم تلقّى من ربّه كلامه تلقّيا روحانيّا ثمّ تمثّل ذلك ركوع ١٠
الكلام لبدنه وانتقل الى الحسّ المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ امره
بذلك لانّ الحفوة تواضعٌ وادبٌ ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانّهما كانتا من جلد
٥ حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرّغْ قلبك من الاهل والمال إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ تعليل للامر باحترام البُقْعة
والمقدّس يحتمل المعنيين طُوًى عطف بيان للوادى ونوّنه ابن عامر والكوفيّون بتأويل المكان وقيل
هو كثِنَى من الطىّ مصدر لنودى او المقدّس اى نودى نداءين او قُدّس مرّتين (١٣) وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ
اصطفيتك للنبوّة وقرأ حمزة وَإِنَّا ٱخْتَرْنَاكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى للذى يوحى اليك او للوحى، واللام
تحتمل التعلّق بكلّ من الفعلين (١٤) إِنَّنِى أَنَا ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَٱعْبُدْنِى بدل من ما يوحى دالّ على انّه
١٠ مقصور على تقرير التوحيد الّذى هو منتهى العلم والامر بالعبادة الّتى هى كمال العمل وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِى
خصّها بالذكر وافردها بالامر للعلّة الّتى اناط بها اقامتها وهو تذكّر المعبود وشُغْل القلب واللسان
بذكره وقيل لذكرى لانّى ذكرتُها فى الكتب وأمرتُ بها او لأنْ اذكرك بالثناء او لذكرى خاصّةً
لا تُرائى بها ولا تشوبها بذكرِ غيرى وقيل لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوة او لذكر صلاتى لما
روى انّه عم قال من نام عن صلوة او نسيها فليَقْضِها اذا ذكرها انّ اللّه يقول واقم الصلوة لذكرى
١٥ (١٥) إِنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ كائنة لا محالة أَكَادُ أُخْفِيهَا أُرِيدُ اخفاء وقتها او أَقْرُبُ ان اخفيها فلا اقول انّها
آتية ولولا ما فى الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرتُ به او اكادُ أُظْهِرُها من اخفاه اذا
سلب خفاءه ويؤيّده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره (١٦) لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ متعلّق بآتية
او باخفيها على المعنى الاخير (١٧) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا عن تصديق الساعة او عن الصلوة مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا
نهى الكافر ان يصدّ موسى عم عنها والمرادُ نهيه ان ينصدّ عنها كقولهم لا أُرِيَنَّكَ ههنا تنبيها على انّ
٢٠ فطرته السليمة لو خُلّيتْ بحالها لاختارها ولم يُعْرِض عنها وانّه ينبغى ان يكون راسخا فى دينه فانّ
صدّ الكافر انّما يكون بسبب ضعفه فيه وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ ميلَ نفسه الى اللذّات المحسوسة المُخْدَجة فقصر
نظره عن غيرها فَتَرْدَىٰ فتهلكَ بالانصداد بصدّه (١٨) وَمَا تِلْكَ استفهام يتضمّن استيقاظا لما يُريه فيها من
العجائب بِيَمِينِكَ حال من معنى الاشارة وقيل صلةُ تلك يَا مُوسَىٰ تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه
(١٩) قَالَ هِىَ عَصَاىَ وقرئ عَصَىَّ على لغة هذيل أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على
٢٥ رأس القطيع وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى واخبط الورق بها على رءوس غنمى وقرئ أَهِشُّ وكلاهما من
هشّ الخبزُ يَهِشّ اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهسّ وهو زجر الغنم اى أُنَحّى عليها زاجرا لها
وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ حاجات أُخَر مثلُ أن كان اذا سار ألقاها على عاتقه فعلّق بها اداوته وعرض الزندين

جزء ١٦ على شُعْبَتَيْها والقى عليها الكساء واستظلّ به واذا قصر الرِشاء وصله بها واذا تعرّضت السباعُ لغنمه قاتل
ركوع ١٠ بها وكأنّه عم فهم انّ المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتّى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان تشتعل شعبتاه بالليل كالشمع وتصيران دَلْوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتُحارب عنه اذا ظهر عدوّ وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها عَلِمَ انّ ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها اللّه فيها لاجله وليست من خواصّها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصّلا ومجملا على معنى انّها من جنس العصا تنفع منافع امثالها ليطابق جوابُه الغرضَ الّذى فهمه (٢٠) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (٢١) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قيل لمّا القاها انقلبت حيّة صفراء بغلظ العصا ثمّ تورّمت وعظمت فلذلك سمّاها جانّا تارةً نظرا الى المبدإ وثعبانا مرّة باعتبار المنتهى وحيّة اخرى بالاسم الّذى يعمّ الحالَيْن وقيل كانت فى ضخامة الثعبان وجلادة الجانّ ولذلك قال كانّها جانّ (٢٢) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ فانّه لمّا رآها حيّة تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى هيئتها وحالتها المتقدّمة وهى فِعْلة من السَيْر تُجوّز بها للطريقة والهيئة وانتصابُها على نزع الخافض او على انّ اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اى سنعيدها فى طريقتها او على تقدير فعلها اى سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبلُ قيل لمّا قال له ربّه ذلك اطمأنّت نفسه حتّى ادخل يده فى فمها وأخذ بلحييها (٢٣) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ الى جنبك تحت العضد يقال لكلّ ناحيتين جناحان كجناحى العسكر استعارةً من جناحَى الطائر سُمّيا بذلك لانّه يُجْنحهما عند الطيران تَخْرُجْ بَيْضَاءَ كانّها مُشْعة مِنْ غَيْرِ سُوءٍ من غير عاهة وقبح كنّى به عن البرص كما كنّى بالسَوْءة عن العَوْرة لانّ الطباع تعافه وتنفر عنه آيَةً أُخْرَى معجزة ثانية وهى حالٌ من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعولٌ باضمار خُذْ او دُونَك (٢٤) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى متعلّق بهذا المضمر او بما دلّ عليه آية او القصّة اى دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك ، والكبرى صفةُ آياتنا او مفعولُ نريك ومن آياتنا حال منها (٢٥) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ بهاتين الآيتين وادْعُه الى العبادة إِنَّهُ طَغَى عصى وتكبّر

ركوع ١١ (٢٦) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٧) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي لمّا امره بخطب عظيم وأمرٍ جسيم سأله ان يشرح صدره ويَفْسَحَ قلبَه لتحمّل اعبائه والصبر على مشاقّه والتلقّى لما ينزل عليه ويسهّل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع ، وفائدةُ لى ابهامُ المشروح والميسّر اوّلا ثمّ رفعُه بذكر الصدر والامرِ تأكيدا ومبالغة (٢٨) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٩) يَفْقَهُوا قَوْلِي فانّما يحسن التبليغ من البليغ وكان فى لسانه رُتّة من جَمْرة ادخلها فاه وذلك انّ فرعون حمله يوما فأخذ بلحيته ونتفها فغضب وأمر بقتله فقالت آسية انّه صبىّ لا يفرق بين الجمر والياقوت فأُحْضرا بين يديه فأخذ الجمرة ووضعها فى فيه ولعلّ تبيّض يده كان لذلك وقيل احترقت يده فاجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرأ ثمّ لمّا دعاه قال الى اىّ ربّ تدعونى قال

الى الّذى ابرأ يدى وقد محوت عنه ، واختُلف فى زوال العُقدة بكمالها فمن قال به تمسّك بقوله قد جزء ١٦
اوتيتَ سؤلَك ومن لم يقل احتجّ بقوله هو افصح منّى لسانا وقوله ولا يكاد يُبين واجاب عن الاوّل ركوع ١١
بانّه لم يسأل حلّ عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكّرها وجعل يفقهوا جواب الامر ، ومن لسانى يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل (٣٠) وَٱجْعَلْ لِى وَزِيرًا مِنْ أَهْلِى (٣١) هٰرُونَ أَخِى يُعينُنى على ما كلّفتنى به واشتقاق الوزير امّا من الوِزْر لانّه يحمل الثقل عن اميره او من الوَزَر وهو الملجأ لانّ الامير يعتصم برأيه ويلتجئ اليه فى اموره ومنه الموازرة وقيل اصله أزير من الأَزر بمعنى القوّة فعيل بمعنى مُفاعِل كالعشير والجليس قُلبت همزته كقلبها فى مُوازِر ، ومفعولا اجعلْ وزيرا وهرون قدّم ثانيهما للعناية به ولى صلة او حال او لى وزيرا وهرون عطف بيان للوزير او وزيرا من اهلى ولى تبيين كقوله ولم يكن له كفوًا احد واخى على الوجوه بدل من هرون او مبتدأ خبره (٣٢) ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِى (٣٣) وَأَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انّهما جواب الامر (٣٤) كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا فانّ التعاون يهيج الرغبات ويؤدّى الى تكاثر الخير وتزايُده (٣٥) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا عالما باحوالنا وانّ التعاون ممّا يُصلحنا وانّ هرون نِعْم المعين لى فيما امرتنى به (٣٦) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى اى مسأولك فُعْل بمعنى مفعول كالخُبْز والأُكْل بمعنى المخبوز والمأكول (٣٧) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى انعمنا عليك فى وقت آخر (٣٨) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ بالهام او فى منام او على لسان نبىّ فى وقتها او ملك لا على وجه النبوّة كما اوحى الى مريم مَا يُوحَى ما لا يُعلَم الّا بالوحى او ممّا ينبغى ان يُوحَى ولا يُخَلّ به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به (٣٩) أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ بأن اقذفيه او اى اقذفيه لانّ الوحى بمعنى القول فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى كقوله • غلام رماه اللّه بالحسن يافعا • فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ لما كان القاء البحر ايّاه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلّق الارادة به جعل البحر كانّه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب مُخْرَجَ الامر ، والأَولى ان تجعل الضمائر كلّها لموسى مراعاةً للنظم فالمقذوف فى البحر والمُلْقَى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعَرَض يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِى وَعَدُوٌّ لَهُ جواب فليلقه ، وتكرير عدوّ للمبالغة او لانّ الاوّل باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقّع ، قيل انّها جعلت فى التابوت قُطْنا ووضعته فيه ثمّ قيّرته والقته فى اليمّ وكان يَشْرَع منه الى بستان فرعون نهرٌ فدفعه الماء اليه فأدّاه الى بِرْكة فى البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مُزاحِم فأمر به فأُخْرِج ففتح فاذا هو صبىّ اصبح الناس وجها فأحبّه حبّا شديدا كما قال سبحانه وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى اى محبّة كائنة منّى قد زرعتها فى القلوب بحيث لا يكاد يَصْبر عنك مَنْ رآك فلذلك احبّك فرعون ويجوز ان يتعلّق منّى بألقيت اى احببتك

جزء ١٦ ركوع ١١

ومن احبّه اللّه احبّته القلوب ، وظاهر اللفظ انّ اليمّ القاه بساحله وهو شاطئه لانّ الماء يسْحله فالتقط منه لكن لا يبعد ان يؤوّل الساحل بجنب فوّهة نهره (٤٠) وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي لتربّى ويُحْسَن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علّة مضمرة مثل ليُتعطّف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلّل مثل فعلتُ ذلك وقرئ وَلْتُصْنَعْ بكسر اللام وسكونها والجزم على انّه امر وَلِتَصْنَعَ بالنصب وفتح التاء اى وليكون عملك على عين منّى لئلّا تخالف به عن امرى (٤١) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ ظرف لالقيت او لتصنع او بدلٌ من اذ اوحينا على انّ المراد بهما وقت متّسع فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ وذلك انّه كان لا يقبل ثدى المراضع فجاءت اخته مريم متفحّصة خبره فصادفتهم يطلبون له مُرْضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلّكم فجاءت بأمّه فقبل ثديها فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ وفاء بقولنا انّا رادّوه اليك كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا بلقائك وَلَا تَحْزَنَ هى بفراقك او انت على فراقها وفقد اشفاقها وَقَتَلْتَ نَفْسًا نفس القبطىّ الّذى استغاثه عليه الاسرائيلىّ فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ غمّ قتله خوفا من عقاب اللّه واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انّه جمع فَتْنٍ او فُتْنَة على ترك الاعتداد بالتاء كحُجُوز وبُدُور فى حُجْزة وبَدْرة فخلّصناك مرّة بعد اخرى وهو اجمال لما نالهُ فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الأُلّاف والمشى راجلا على حذر وفقد الزاد وأَجْر نفسه الى غير ذلك او له ولما سبق ذكره (٤٢) فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأَوْفَى الاجلَيْن ومدينُ على ثمانى مراحل من مصر ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ قدّرتُه لأن اكلّمك وأستنبئك غيرَ مستقدمٍ وقته المعيَّن ولا مستأخرٍ او على مقدار من السنّ يوحى فيه الى الانبياء يَا مُوسَى كرّره عقيبَ ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك (٤٣) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي واصطفيتك لمحبّتى مثّله فيما خوّله من الكرامة بمن قرّبه الملك واستخلصه لنفسه (٤٤) اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي بمعجزاتى وَلَا تَنِيَا ولا تَفْتُرا ولا تقصّرا وقرئ تِنيا بكسر التاء فِي ذِكْرِي لا تنسيانى حيثما تقلّبتما وقيل فى تبليغ ذكرى والدعاء الىّ (٤٥) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى امر به اوّلا موسى وحده وههنا ايّاه واخاه فلا تكرير قيل اوحى الى هرون ان يتلقّى موسى وقيل سمع بمُقْبَله فاستقبله (٤٦) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا مثل هل لك الى ان تزكّى واهديَك الى ربّك فتخشى فانّه دعوة فى صورة عَرْض ومشورة حَذَرَ أن تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما واحتراما لما له من حقّ التربية عليك وقيل كَنِّياه وكان له ثلاث كُنًى ابو العبّاس وابو الوليد وابو مُرّة وقيل عِداه شبابا لا يهرم بعده ومُلكا لا يزول الّا بالموت لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى متعلّق باذهبا او قولا اى باشرا الامرَ على رجائكما وطمعكما ان يُثمر ولا يخيب سعيكما فانّ الراجى مجتهد والآيس متكلّف ، والفائدة فى ارسالهما والمبالغة عليهما فى الاجتهاد مع علمه بانّه لا يؤمن الزام الحجّة وقطع

المعذرة واظهارُ ما حدث فى تضاعيف ذلك من الآيات، والتذكّرُ للمتحقّق والخشيةُ للمتوهّم ولذلك جزء ١٦
قدّم الاوّل اى ان لم يتحقّق صدقكما ولم يتذكّر فلا اقلّ من ان يتوهّمه فيخشى (٤٧) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا ركوع ١١
نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فَرَطَ اذا تقدّم ومنه الفارط وفرسٌ فُرُطٌ يسبق الخيلَ وقرئ يُفْرَطَ من افرطته اذا حملته على العجلة اى نخاف ان يحمله حاملٌ من استكبارٍ او خوفٍ على الملك او شيطانٍ انسيّ او جنّيّ على المعاجلة بالعقاب ويُفْرِطَ من الافراط فى الاذيّة أَوْ أَنْ يَطْغَى او ان يزداد طغيانا فيتخطّى الى ان يقول فيك ما لا ينبغى لجرأته وقساوته واطلاقُه من حُسْنِ الادب (٤٨) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا بالحفظ والنصرة أَسْمَعُ وَأَرَى ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل فأُحْدِثُ فى كلّ حال ما يصرف شرّه عنكما ويوجب نصرتى لكما ويجوز ان لا يقدّر شيء على معنى انّنى حافظكما سامعا ومبصرا والحافظُ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تمّ الحفظ (٤٩) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اطلقهم وَلَا تُعَذِّبْهُمْ بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانّهم كانوا فى ايدى القبط يستخدمونهم ويُتْعِبونهم فى العمل ويقتلون ذكورَ اولادهم فى عام دون عام وتعقيبُ الاتيان بذلك دليل على انّ تخليص المؤمنين من الكفرة اهمّ من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج فى الدعوة قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ جملة مقرّرة لما تضمّنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانّما وحّد الآية وكان معه آيتان لانّ المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجّة وتعدّدها وكذلك قوله قد جئتكم ببيّنة فأْتِ بآية أَوَلَوْ جئتك بشيء مبين وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وسلام الملائكة وخزنة الجنّة على المهتدين او السلامةُ فى الدارين لهم (٥٠) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى انّ عذاب المَنْزِلَيْن على المكذّبين للرسل ولعلّ تغييرُ النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لانّ التهديد فى اوّل الامر أَهَمّ وأَنْجَعُ وبالواقع أَلْيَقُ (٥١) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى اى بعد ما اتياه وقالا له ما أُمرا به ولعلّه حذف لدلالة الحال فانّ المطيع اذا أُمر بشيء فعله لا محالة وانّما خاطب الاثنين وخصّ موسى بالنداء لانّه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانّه عرف انّ له رُتّةً ولاخيه فصاحة فاراد ان يُفْحِمه ويدلّ عليه قولُه ام انا خير من هذا الّذى هو مَهين ولا يكاد يُبين (٥٢) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ من الانواع خَلْقَهُ صورتَه وشكلَه الّذى يطابق كمالَه المُمْكِنَ له او اعطى خليقتَه كلَّ شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدّم المفعول الثانى لانّه المقصود بيانُه وقيل اعطى كلَّ حيوان نظيرَه فى الخلق والصورة زوجا وقرئ خَلَقَهُ صفةً للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثانى محذوفا اى اعطى كلّ مخلوق ما يصلحه ثُمَّ هَدَى ثمّ عرّفه كيف يرتفق بما أُعْطِى وكيف يتوصّل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب فى غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها ودلالته على انّ الغنيّ القادر بالذات المنعِمَ على الاطلاق هو اللّه تعالى وانّ جميع ما عداه مفتقر اليه منعَمٌ عليه فى حدّ ذاته وصفاته وافعاله

جزء ١٦ ولذلك بهت الّذى كفر وأُفحم عن الدخل عليه فلم يرَ الّا صرف الكلام عنه (٥٣) قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ
ركوع ١١ ٱلْأُولَىٰ فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة (٥٤) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى اى هو غيب لا يعلمه الّا هو وانّما انا عبد مثلك لا اعلم منه الّا ما اخبرنى به فِى كِتَابٍ مُثْبَت فى اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكّنه فى علمه بما استحفظه العالِمُ وقيّده بالكَتْبة ويؤيّده لَا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى والضلال ان تُخطئ الشىء فى مكانه فلم تهتد اليه والنسيانُ ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما مُحالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة اللّه تعالى بالاشياء كلّها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواصّ المختلفة بانّ ذلك يستدعى علمه بتفاصيل الاشياء وجزئيّاتها والقرونُ الخالية مع كثرتهم وتمادى مدّتهم وتباعد أطرافهم كيف احاط علمُه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب انّ علمه تعالى مُحيط بذلك كلّه وانّه مُثْبَت عنده لا يضلّ ولا ينسى (٥٥) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مِهَادًا مرفوعٌ صفة لربّى او خبر محذوف او منصوبٌ على المدح ' وقرأ الكوفيّون هنا وفى الزخرف مَهْدًا اى كالمهد تتمهّدونها وهو مصدر سُمّى به والباقون مِهَادًا وهو اسمُ ما يُمْهَد كالفراش او جمعُ مَهْد ولم يختلفوا فى الّذى فى النبا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبرارى تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً مطرا فَأَخْرَجْنَا بِهِ عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلّم على الحكاية لكلام اللّه تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانّه مُطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر انّ اللّه انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانُها امّنْ خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق الآية أَزْوَاجًا اصنافا سُمّيت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض مِّن نَّبَاتٍ بيان او صفة لازواجا وكذلك شَتَّىٰ ويحتمل ان يكون صفة لنبات فانّه من حيث انّه مصدر فى الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اى متفرّقات فى الصُور والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال (٥٦) كُلُوا وَٱرْعَوْا أَنْعَامَكُمْ وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اى اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى مُعدّيها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِى ٱلنُّهَىٰ لذوى العقول الناهية
ركوع ١٢ عن اتّباع الباطل وارتكاب القبائح جمعُ نُهْيَة (٥٧) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ فانّ التراب اصلُ خلقة اوّل آبائكم واوّل موادّ ابدانكم وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ بالموت وتفكيك الاجزاء وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ بتأليف اجزائكم المتفتّتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة وردّ الارواح اليها (٥٨) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا بصّرناه ايّاها او عرّفناه صحّتها كُلَّهَا تأكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على انّ المراد بآياتنا آيات معهودة وهى الآيات التسع المختصّة بموسى او انّه عم اراه آياته وعدّد عليه ما اوتى غيره من المعجزات فَكَذَّبَ موسى من فرط عناده وَأَبَىٰ الايمان والطاعة لعتوّه (٥٩) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا ارض مصر بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ

جزء ١٦ هذا تعلّل وتحيّر ودليل على انّه علم كونه محقّا حتّى خاف منه على ملكه فانّ الساحر لا يقدر ان يخرج
ركوع ١٢ ملكا مثله من ارضه (٦٠) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ مثل سحرك فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا وعدا لقوله
لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ فانّ الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب مَكَانًا سُوًى بفعل دلّ عليه
المصدر لا به لانّه موصوف او بانّه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون
٥ طباق الجواب فى قوله (٦١) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ من حيث المعنى فانّ يوم الزينة يدلّ على مكان
مشتهر باجتماع الناس فيه فى ذلك اليوم او باضمارِ مثلِ مكانُ موعدكم مكانُ يوم الزينة كما هو على
الاوّل او وعدُكم وعدُ يوم الزينة وقرئ يَوْمَ بالنصب وهو ظاهر فى انّ المراد بهما المصدر ، ومعنى سوًى
مُنْصِفا يستوى مسافته الينا واليك وهو فى النعت كقولهم قومٌ عِدًا فى الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم
وحمزة ويعقوب بالضمّ وقيل فى يوم الزينة يومُ عاشوراء ويومُ النَّيْرُوز ويومُ عيد كان لهم فى كلّ عام وانّما
١٠ عيّنه ليظهر الحقّ ويزهق الباطل على رءوس الاشهاد ويشيع ذلك فى الاقطار وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى
عطف على اليوم او الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على انّ فيه ضميرَ
اليوم او ضميرَ فرعون على انّ الخطاب لقومه (٦٢) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ما يُكاد به يعنى السحرة
وآلاتهم ثُمَّ أَتَى الموعدَ (٦٣) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا بأن تدعوا آياته سحرا
(٦٤) فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ فيهلككم ويستأصلكم به وقرأ حمزة والكسائيّ وحفص ويعقوب بالضمّ من
١٥ الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى كما خاب فرعون فانّه
افترى واحتال ليبقى المُلْك عليه فلم ينفعه (٦٥) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ اى تنازعت السحرة فى امر موسى
حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة وَأَسَرُّوا النَّجْوَى بأنّ موسى إنْ غلبنا
اتّبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا فى السرّ وقيل الضمير لفرعون وقومه
وقوله (٦٦) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ تفسير لأسرّوا النجوى كانّهم تشاوروا فى تلفيقه حذرا ان يَغْلبا
٢٠ فيتبعهما الناس ، وهذان اسم إنّ على لغة بَلْحارث بن كعب فانّهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنّى
تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل إنّ بمعنى نعمْ وما بعدها
مبتدأ وخبر وفيهما انّ اللام لا تدخل خبر المبتدإ وقيل اصله انّه هذان لهما ساحران فحذف الضمير
وفيه انّ الموكّد باللام لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو إنّ هَذَيْنِ وهو ظاهر وابن كثير وحفص
إنْ هَذَانِ على انّها هى المخفّفة واللام هى الفارقة او النافية واللام بمعنى الّا يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ
٢٥ أَرْضِكُمْ بالاستيلاء عليها بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى بمذهبكم الّذى هو افضل المذاهب باظهار
مذهبهما واعلاء دينهما لقوله انّى اخاف ان يبدّل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانّهم
كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسلْ معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم
واشرافهم من حيث انّهم قدوة لغيرهم (٦٧) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ فأزمعوه واجعلوه مُجْمَعا عليه لا

جزء ١٦ يتخلّف عنه واحد منكم وقرأ ابو عمرو فَٱجْمَعُوا ويعضده قوله فجمع كيده ، والضمير فى قالوا ان كان
ركوع ١٣ للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثُمَّ ٱئْتُوا صَفًّا مصطفّين لانّه أَهْيَبُ فى صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا
مع كلّ منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالةً واحدةً وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَى فاز بالمطلوب من غلب
وهو اعتراض (٦٨) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى اى بعد ما اتوا مراعاةً
للادب ، وأنْ بما بعده منصوبٌ بفعلٍ مضمرٍ او مرفوعٌ بخبريّة محذوف اى اخْتَرْ القاءك اوّلًا او القاءنا او
الامرُ القاؤك او القاؤنا (٦٩) قَالَ بَلْ أَلْقُوا مقابلةَ ادب بأدب وعدمَ مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من
الميل الى البدء بذكرِ الاوّل فى شقّهم وتغييرِ النظم الى وجه ابلغ ولأن يُبْرِزوا ما معهم ويستنفدوا
اقصى وُسْعِهم ثمّ يُظْهِر اللّه سلطانه فيقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ
إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى اى فألقوا فاذا حبالهم وعصيّهم وهى للمفاجأة والتحقيق انّها ايضا ظرفيّة
تستدعى متعلّقا ينصبها وجملةً تضاف اليها لكنّها خُصّت بأن يكون المتعلّق فعلَ المفاجأة والجملة
ابتدائيّة والمعنى فالقوا ففاجأ موسى وقتَ تخييلِ سعيِ حبالهم وعصيّهم من سحرهم وذلك بانّهم
لطخوها بالزيبق فلمّا ضربت عليها الشمس اضطربت فخُيّل اليه انّها تتحرّك وقرأ ابن عامر برواية ابن
ذكوان وروح تُخَيَّلُ بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصىّ وابدالِ انّها تسعى منه بدلَ الاشتمال
وقرئ يُخَيِّلُ بالياء على اسناده الى اللّه تعالى وتَخَيَّلُ بمعنى تتخيّل (٧٠) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى
فأضمر فيها خوفا من مفاجأته على ما هو مقتضَى الجبلّة البشريّة او من ان يخالج الناسَ شكٌّ فلا
يتبعوه (٧١) قُلْنَا لَا تَخَفْ ما توهّمتَ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْأَعْلَى تعليل للنهى وتقرير لغلبته موكّدا بالاستيناف
وحرفِ التحقيق وتكريرِ الضمير وتعريفِ الخبر ولفظِ العلوّ الدالّ على الغلبة الظاهرة وصيغةِ التفضيل
(٧٢) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اى لا تُبالِ بكثرة حبالهم وعصيّهم وألقِ
العُوَيْدة الّتى فى يدك او تعظيما لها اى لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فانّ فى يمينك ما هو
اعظم منها اثرا فألقه تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا تبتلعه بقدرته تعالى وأصلُه تتلقّف فحُذفت احدى التاءين وتاء
المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبّب وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان
بالرفع على الحال او الاستيناف وحفص بالجزم والتخفيف على انّه من لَقِفْته بمعنى تلقّفته إِنَّمَا صَنَعُوا انّ
الّذى زوّروا وافتعلوا كَيْدُ سَاحِرٍ وقرئ بالنصب على انّ ما كافّة وهو مفعولُ صنعوا وقرأ حمزة والكسائىّ
سِحْرٍ بمعنى ذى سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم
علمُ فقهٍ وانّما وحّد الساحر لانّ المراد به الجنس المطلق ولذلك قال وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ اى هذا الجنس
وتنكيرُ الاوّل لتنكير المضاف كقول العجّاج

يوم ترى النفوسُ ما أَعَدَّتْ فى سَعْىِ دنيا طالما قد مُدَّتْ

كانّه قيل انّ ما صنعوا كيدُ سِحْرِىٍّ حَيْثُ أَتَى حيث كان واين أقبل (٧٣) فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا

اى فالقى فتلقفت فتحقق عند السحرة انّه ليس بسحر وانّما هو آية من آيات اللّه ومعجزة من معجزاته جزء ١٦
فألقام ذلك على وجوههم سجّدا للّه توبة عمّا صنعوا واعتابا وتعظيما لما رأوا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هٰرُونَ وَمُوسَى ركوع ١٣
قدّم هرون لكبر سنّه او لروىّ الآية او لانّ فرعون ربّى موسى فى صغره فلو اقتصر على موسى او قدّم
ذكره لربّما توهّم انّ المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى انّهم رأوا فى سجودهم الجنّة ومنازلهم
فيها (٧٤) قَالَ أَآمَنْتُمْ لَهُ اى لموسى واللام لتضمّن الفعل معنى الاتّباع وقرأ قنبل وحفص آمَنْتُمْ لَهُ على
الخبر والباقون على الاستفهام قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ فى الايمان له إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ لعظيمكم فى فنّكم واعلمكم
به او لأستاذكم ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ وانتم تواطأتم على ما فعلتم فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ
اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائيّة كانّ القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو وهى مع
المجرور بها فى حيّز النصب على الحال اى لاقطّعنّها مختلفات وقرئ لَأَقْطَعَنَّ وَلَأَصْلُبَنَّ بالتخفيف
وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ شبّه تمكّن المصلوب بالجذع بتمكّن المظروف بالظرف ، وهو اوّل مَنْ صَلَبَ
وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان فى كتاب اللّه لغير اللّه اراد به
توضيع موسى والهزء به فانّه لم يكن من التعذيب فى شىء وقيل ورَبُّ موسى ٱلَّذِى آمنوا به أَشَدُّ
عَذَابًا وَأَبْقَى وأدوم عقابا (٧٥) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ لن نختارك عَلَى مَا جَآءَنَا موسى به ويجوز ان يكون
الضمير فيه لمَا مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ المعجزات الواضحات وَٱلَّذِى فَطَرَنَا عطف على ما جاءنا او قسم فَٱقْضِ مَا أَنْتَ
قَاضٍ ما انت قاضيه اى صانعه او حاكم به إِنَّمَا تَقْضِى هٰذِهِ ٱلْحَيٰوةَ ٱلدُّنْيَا انّما تصنع ما تهواه او
تحكم بما تراه فى هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تُقْضَى
هٰذِهِ ٱلْحَيٰوةُ ٱلدُّنْيَا كقولك صيم يومُ الجمعة إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا من الكفر والمعاصى
وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ من معارضة المعجزة روى انّهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما فوجدوه
تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فانّ الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الّا ان يعارضوه وَٱللّٰهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى
جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا (٧٦) إِنَّهُ انّ الامر مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا بأن يموت على كفره وعصيانه
فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا فيستريح وَلَا يَحْيَا حيوة مهنّأة (٧٧) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّالِحَاتِ
فى الدنيا فَأُولٰئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَاتُ ٱلْعُلَى المنازل الرفيعة (٧٨) جَنَّاتُ عَدْنٍ بدل من الدرجات تَجْرِى مِنْ
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وَذٰلِكَ جَزَآءُ مَنْ تَزَكَّى
تطهّر من ادناس الكفر والمعاصى ، والآيات الثلاث يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان تكون
ابتداء كلام من اللّه تعالى (٧٩) وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى اى من مصر فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا ركوع ١٣

جزء ١٦ ركوع ١٣ فاجعلْ لهم من قولهم ضرب له فى ماله سَهْما او فاتّخذْ من ضرب اللبْن اذا عمله فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا يابسا مصدر وُصف به يقال يَبِس يَبَسا ويُبْسا كسَقِم سَقَما وسُقْما ولذلك وُصف به المؤنّث فقيل شاةٌ يَبَسٌ للّتى جفّ لبنها وقرئ يَبْسًا وهو اما مخفّف منه او وصف على فَعْل كصَعْب او جمعُ يابس كصَحْب وُصف به الواحد مبالغةً كقوله

كأنّ قُتُودَ رَحْلى حين ضَمّتْ حوالبَ غُرّزا ومِعًى جِياعا

او لتعدّده معنًى فانّه جعل لكلّ سبط منهم طريقا (٨٠) لَا تَخَافُ دَرَكًا حال من المأمور اى آمنا من ان يُدْرككم العدوّ او صفة ثانية والعائدُ محذوف وقرأ حمزة لا تَخَفْ على انّه جواب الامر وَلَا تَخْشَى استيناف اى وانت لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنّون باللّه الظنونا او حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق (٨١) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ وذلك انّ موسى عم خرج بهم اوّل الليل فأُخْبر فرعون بذلك فقصّ اثرهم والمعنى فأتْبعهم فرعون نفسَه ومعه جنودُه فحذف المفعول الثانى وقيل فأتْبعهم بمعنى فاتّبعهم ويؤيّده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فأتْبعهم جنودَه وذادهم خلفهم فَغَشِيَهُمْ مِنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اى غشيهم ما سمعت قصّته ولا يعرف كُنْهَه الّا اللّه وقرئ فَغَشّاهُمْ مَا غَشّاهُمْ اى غطّاهم ما غطّاهم والفاعل هو اللّه تعالى او ما غشّاهم او فرعونُ لانّه الّذى ورّطهم للهلاك وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى اى اضلّهم فى الدين وما هداهم وهو تهكّمٌ به فى قوله وما أَهْديكم الّا سبيل الرشاد او اضلّهم فى البحر وما نجّى (٨٢) يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للّذين منهم فى عهد النبىّ صلعم بما فعل بآبائهم قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ فرعونَ وقومه وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ لمناجاة موسى وانزال التورية عليه وانّما عدّى المواعدة اليهم وهى لموسى او له وللسبعين المختارين للملابسة وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَى يعنى فى التيه (٨٣) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ لذائذه او حلالاته وقرأ حمزة والكسائىّ أَنْجَيْتُكُمْ وَوَاعَدْتُكُمْ وما رزقْتُكُمْ على التاء وقرئ وَوَعَدْتُكُمْ ووَعَدْنَاكُمْ وَٱلْأَيْمنِ بالجرّ على الجوار مثل جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدّى لما حدّ اللّه لكم فيه كالسَّرَف والبَطَر والمنع عن المستحقّ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى فيلزمَكم عذابى ويجبَ لكم من حلّ الدَّيْنُ اذا وجب اداؤه وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَى فقد تردّى وهلك وقيل وقع فى الهاوية وقرأ الكسائىّ يَحُلّ ويَحْلُلْ بالضمّ من حلّ يَحُلّ اذا نزل (٨٤) وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ عن الشرك وَآمَنَ بما يجب الايمانُ به وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَى ثمّ استقام على الهدى المذكور (٨٥) وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى سؤال عن سبب العجلة يتضمّن انكارها من حيث انّها نقيصة فى نفسها انضمّ اليها اغفال القوم وايهام التعظّم عليهم

فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدّم جواب الانكار لانّه اهمّ (٨٦) قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰ أَثَرِي اى ما جزء ١٦
تقدّمتهم الّا بخطى يسيرة لا يُعْتَدّ بها عادةً وليس بينى وبينهم الّا مسافة قريبة يتقدّم بها الرُّفْقَةُ ركوع ١٣
بعضهم بعضا وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ فانّ المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك

(٨٧) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الّذين خلّفهم مع هرون وكانوا ستّمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الّا اثنا عشر الفا وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ باتّخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ وَأَضَلُّهُمْ اى اشدّهم ضلالا لانّه كان ضالّا مُضِلّا وإنْ صحّ انّهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بايّامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدّة ثمّ كان أمْرُ العجل وانّ هذا الخطاب كان له عند مَقْدَمه اذ ليس فى الآية ما يدلّ عليه كان ذلك اخبارا من اللّه له عن المترقّب بلفظ الواقع على عادته فانّ اصل وقوع الشيء ان يكون فى علمه ومقتضى مشيئته ، والسامرىّ منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجَرْما واسمه موسى بن ظَفَر وكان منافقا (٨٨) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ بعد ما استوفى الاربعين وأخذ التورية غَضْبَانَ عليهم أَسِفًا حزينا بما فعلوا (٨٩) قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا بأن يعطيكم التورية فيها هدى ونور أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ اى الزمان يعنى زمان مفارقته لهم أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ يجب عليكم غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ بعبادة ما هو مَثَلٌ فى الغباوة فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي وَعْدَكم ايّاى بالثبات على الايمان باللّه والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفتُ وَعْدَه اذا وجدت الخُلْفَ فيه اى فوجدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيبَ على الترديد ولا على الشقّ الّذى يليه ولا جوابَهم له (٩٠) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا بأن مَلَكْنا امرنا اذ لو خُلّينا وأمْرَنا ولم يسوّل لنا السامرىّ لما اخلفناه وقرأ نافع وعاصم بِمَلْكِنَا بالفتح وحمزة والكسائىّ بالضمّ وثلاثتها فى الاصل لغات فى مصدرِ مَلَكْتُ الشيءَ وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ احمالا من حُلِىّ القبط الّتى استعرناها منهم حين همَمنا بالخروج من مصر باسم العُرْس وقيل استعاروا لعيدٍ كان لهم ثمّ لم يردّوا عند الخروج مخافةَ ان يعلموا به وقيل هى ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فأخذوه ولعلّهم سمّوها اوزارا لانّها آثام فانّ الغنائم لم تكن تُحَلّ بعدُ ولانّهم كانوا مستأمَنين وليس للمستأمِن ان يأخذ مال الحربىّ فَقَذَفْنَاهَا اى فى النار فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ اى ما كان معه منها رُوِىَ انّهم لمّا حسبوا انّ العدّة قد كملت قال لهم السامرىّ انّما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حُلِىّ القوم وهو حرام عليكم فالرأى ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كلّ ما معنا فيها ففعلوا ، وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائىّ وابو بكر وروح حَمَلْنَا بالفتح والتخفيف فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا من تلك الحُلِىّ المُذابة لَهُ خُوَارٌ صوت العجل فَقَالُوا يعنى السامرىّ ومن افتتن به اوّل ما رآه هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ اى فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسى السامرىّ اى ترك ما كان عليه من اظهار

*

جزء ١٦ الايمان (٩١) أَفَلَا يَرَوْنَ افلا يعلمون أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا انّه لا يرجع اليهم كلاما ولا يردّ عليهم جوابا
ركوع ١٣ وقرئ يَرْجِعَ بالنصب وفيه ضعف لانّ أن الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ولا
ركوع ١٤ يقدر على انفاعهم واضرارهم (٩٢) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِنْ قَبْلُ من قبل رجوع موسى او قول السامرى
كانّه اوّل ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفيرة توهّم ذلك وبادر تحذيرهم يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ
بالعجل وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ لا غير فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي فى الثبات على الدين (٩٣) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ
على العجل وعبادته عَاكِفِينَ مقيمين حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى وهذا الجواب يؤيّد الوجه الاوّل (٩٤) قَالَ
يَا هَٰرُونُ اى قال له موسى حين رجع مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا بعبادة العجل أَلَّا تَتَّبِعَنِ ان تتبعنى فى
الغضب للّه والمقاتلة مع من كفر به او ان تأتى عقبى وتلحقنى ولا مزيدة كما فى قوله ما منعك ألّا
تسجد أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه (٩٥) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ خصّ الامّ استعطافا وترقيقا
وقيل لانّه كان اخاه من الامّ والجمهور على انّهما كانا من اب وامّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي اى بشعر
رأسى قبض عليهما يجرّه اليه من شدّة غيظه وفرط غضبه للّه وكان عم حديدا خشنا متصلّبا فى
كلّ شىء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لو قاتلت
او فارقت بعضهم ببعض وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي حين قلت اخلفنى فى قومى وأصلح فانّ الاصلاح كان فى حفظ
الدهماء والمداراة لهم الى ان ترجع اليهم فتتدارك الامر برأيك (٩٦) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ اى ثمّ
اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك اى ما طلبك له وما الّذى حملك عليه وهو مصدر خطب الشىء اذا
طلبه قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ وقرأ حمزة والكسائىّ بالتاء على الخطاب اى علمت ما لم يعلموه وفطنت
لما لم يفطنوا له وهو انّ الرسول الّذى جاءك روحانىّ محض لا يمسّ اثره شيئا الّا احياه او رأيت ما لم
يروه وهو انّ جبريل جاءك على فرس الحيوة قيل انّما عرفه لانّ امّه القته حين ولدته خوفا من فرعون
وكان جبريل يغذوه حتّى استقلّ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ من تربة موطئه القبضة المرّة من القبض
وأطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاوّل للاخذ بجميع الكفّ والثانى للاخذ بأطراف
الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل عم ولعلّه لم يسمّه لانّه لم يعرف انّه جبريل او اراد ان
ينبّه على الوقت وهو حين أرسل اليه ليذهب به الى الطور فَنَبَذْتُهَا فى الحلىّ المذابة او فى جوف العجل
حتّى حيى وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي زيّنته وحسّنته (٩٧) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ عقوبة على
ما فعلت أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ خوفا ان يمسّك احد فتأخذك الحمّى ومن مسّك فتتحامى الناس ويتحاموك
وتكون طريدا وحيدا كالوحشىّ النافر وقرئ لا مَسَاسِ كفجارِ وهو علم للمسّة وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا
فى الآخرة لَنْ تُخْلَفَهُ لن يخلفك اللّه وينجزه لك فى الآخرة بعد ما عاقبك فى الدنيا وقرأ ابن كثير

جزء ١٦ ركوع ١٤

والبصريان بكسر اللام اى لن تُخلِف الواعدَ ايّاه وستأتيه لا محالة فحذف المفعول الاوّل لانّ المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفتُ الموعدَ اذا وجدته خُلفا وقرئ بالنون على حكاية قول اللّه وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ظللت على عبادته مُقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لَنُحَرِّقَنَّهُ اى بالنار ويؤيّده قراءة لَنُحْرِقَنَّهُ او بالمِبْرَد على انّه مبالغة فى حَرَقَ اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لَنَحْرُقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ لنذرينّه رمادا او مبرودا وقرئ بضمّ السين فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا فلا يصادَف منه شىء والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهارُ غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظرٍ (٩٨) إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ المستحق لعبادتكم ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ اذ لا احد يماثله او يدانيه فى كمال العلم والقدرة وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا وسع علمُه كلَّ ما يصحّ ان يُعْلَم لا العجلُ الّذى يُصاغ ويحرَّق وان كان حيّا فى نفسه كان مَثَلا فى الغباوة وقرئ وَسَّعَ فيكون انتصابُ علما على المفعوليّة لانّه وان انتصب على التمييز فى المشهورة لكنّه فاعلٌ فى المعنى فلمّا عُدّى الفعل بالتضعيف الى مفعولَيْن صار مفعولا (٩٩) كَذَٰلِكَ مثلَ ذلك الاقتصاص يعنى اقتصاص قصّة موسى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرةً لك وزيادةً فى علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امّتك وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكّر والاعتبار والتنكيرُ فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس (١٠٠) مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ عن الذكر الّذى هو القران الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن اللّه فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سمّاها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقَب وصعوبة احتمالها بالحمل الّذى يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما (١٠١) خَٰلِدِينَ فِيهِ فى الوزر او فى حَمْله ، والجمعُ فيه والتوحيد فى اعرض للحمل على المعنى واللفظ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا اى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسّره حملا والمخصوص بالذمّ محذوف اى ساء حملا وزرُهم واللام فى لهم للبيان كما فى هَيْتَ لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الّذى فيه للوزر أَشْكَلَ امرُ اللام ونَصْبِ حملا ولم يُفِدْ مزيدَ معنى (١٠٢) يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على انّ فيه ضمير اللّه او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانّه المشهور بذلك وقرئ فِى ٱلصُّوَرِ وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ وقرئ وَيَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمُونَ زُرْقًا زرق العيون وُصفوا بذلك لانّ الزُرْقة اسوأُ الوان العين وابغضها الى العرب لانّ الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا فى صفة العدوّ اسودُ الكبد اصهبُ السبال ازرقُ العين او عُمْيا فانّ حدقة الاعمى تزراقّ (١٠٣) يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورَهم من الرعب والهول والخفتُ خفض الصوت واخفاؤه إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا اى فى الدنيا يستقصرون مدّة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدّة الآخرة او لتأسّفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انّهم استحقّوها على اضاعتها

جزء ١٦ في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات (١٠٤) نَحْنُ أَعْلَمُ
ركوع ١٤ بِمَا يَقُولُونَ وهو مدة لبثهم إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً اعدلهم رأيا او عملا إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا استرجاح لقول
ركوع ١٥ من يكون اشد تقالا منهم (١٠٥) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف
فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها (١٠٦) فَيَذَرُهَا فيذر مقارها او الارض
واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قَاعًا خاليا صَفْصَفًا
مستويا كان اجزاءها على صف واحد لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها
بالقياس الهندسي وثلاثتها احوال مرتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار القياس ولذلك
ذكر العوج بالكسر وهو يخص المعاني والامت وهو النتو اليسير وقيل لا ترى استيناف مبين للحالين
(١٠٧) يَوْمَئِذٍ يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم
القيامة يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس
فيقبلون من كل أوب الى صوبه لَا عِوَجَ لَهُ لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ
خفضت لمهابته فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس
بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ الاستثناء من
الشفاعة اى الا شفاعة من اذن له او من اعم المفاعيل اى الا من اذن في ان يشفع له فان الشفاعة
تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من
الاذن ومن الأذن وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا اى ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع
في شأنه او قوله لاجله وفي شأنه (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ما تقدمهم من الاحوال وَمَا خَلْفَهُمْ وما
بعدهم مما يستقبلونه وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير
لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه (١١٠) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ
لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار، وظاهرها يقتضي العموم
ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا وهو
يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم (١١١) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ بعض الطاعات
وَهُوَ مُؤْمِنٌ اذ الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا منع ثواب مستحق
بالوعد وَلَا هَضْمًا ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه، وقرئ
فَلَا يَخَفْ على النهي (١١٢) وَكَذَلِكَ عطف على كذلك نقص اى مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه
الآيات المتضمنة للوعيد أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا كله على هذه الوتيرة وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ مكررين فيه آيات

الوعيد لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ المعاصىَ فتصير التقوى لهم ملكة أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا عظة واعتبارا حين جزء ١٦
يسمعونها فتثبّطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القران (١١٣) فَتَعَالَى ٱللَّهُ فى ذاته ركوع ١٥
وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامُه كلامَهم كما لا تماثل ذاتُه ذاتَهم ٱلْمَلِكُ النافذ امرُه
ونهيُه الحقيق بأن يُرْجَى وعدُه ويخشى وعيدُه ٱلْحَقُّ فى ملكوته يستحقّه لذاته او الثابتُ فى ذاته
وصفاته وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ نهى عن الاستعجال فى تلقّى الوحى من جبريل
ومساوقته فى القراءة حتّى يتمّ وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل عن تبليغ ما كان
مُجْمَلا قبل ان يأتى بيانه وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا اى سَلِ اللّهَ زيادة العلم بدل الاستعجال فانّ ما اوحى اليك
تناله لا محالة (١١٤) وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ ولقد امرناه يقال تقدّم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد
اليه اذا امره ، واللام جواب قسم محذوف ، وانّما عطف قصّة آدم عم على قوله وصرّفنا فيه من الوعيد
للدلالة على انّ اساس بنى آدم على العصيان وعِرْقهم راسخ فى النسيان مِنْ قَبْلُ من قبل هذا الزمان
فَنَسِىَ العهدَ ولم يُعْنَ به حتّى غفل عنه او ترك ما وُصّى به من الاحتراز عن الشجرة وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا
تصميمَ رأى وثباتا على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلّب لم يُزِلّه الشيطان ولم يستطع تغريره ولعلّ
ذلك كان فى بدء امره قبل ان يجرّب الامور ويذوق شَرْيَها وأَرْيَها وعن النبىّ عم لو وُزِنَت احلام بنى
آدم بحلم آدمَ لرَجَحَ حلمُه وقد قال اللّه ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانّه اخطأ ولم
يتعمّد ، ولم نجد ان كان من الوجود الّذى بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود
المناقض للعدم فلهُ حال عن عزما او متعلّق بنجد (١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ مقدّر باذكرْ ركوع ١٦
اى اذكر حاله فى ذلك الوقت ليتبيّن لك انّه نسى ولم يكن من اولى العزيمة والثبات فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ قد سبق القول فيه أَبَى جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى
هذا لا يقدّر له مفعول مثلُ السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لانّ المعنى اظهرَ الاباء عن المطاوعة
فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا فلا يكوننّ سببا لاخراجكما والمرادُ نهيُهما عن
ان يكونا بحيث يتسبّب الشيطانُ الى اخراجهما مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَى افرده باسناد الشقاء اليه بعد
اشراكهما فى الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انّه قيّمٌ عليها ومحافظةً على الفواصل
او لانّ المراد بالشقاء التعب فى طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيّده (١١٦) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا
تَعْرَى (١١٧) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى فانّه بيان وتذكير لما له فى الجنّة من اسباب الكفاية واقطاب
الكفاف الّتى هى الشبع والرىّ والكسوة والكِنّ مستغنيا عن اكتسابها والسعى فى تحصيل أعواض
ما عسى ان ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سَمْعه باصناف الشقوة المحذّر عنها ، وقرأ نافع
وابو بكر وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ بكسر الهمزة والباقون بفتحها والعاطف ناب عن إنّ لكنّه ناب من حيث انّه
عامل لا من حيث انّه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على أنّ امتناعَ دخول إنّ عليه (١١٨) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ

جزء ١٦ ركوع ١٦ ٱلشَّيْطَانُ فَأَنْهَى اليه وسوسته قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ الشجرة التى مَنْ اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد اى الخلود لانّها سببه بزعمه وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى لا يزول ولا يضعف (١١٩) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ أخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستّر وهو ورق التين وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ بأكل الشجرة فَغَوَى فضلّ عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد بأكل الشجرة او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغترّ بقول العدوّ وقرئ فَغَوِىَ من غَوِىَ الفصيلُ اذا اتّخم من اللبن وفى النعى عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلّته تعظيمٌ للزلّة وزجرٌ بليغ لاولاده عنها (١٢٠) ثُمَّ ٱجْتَبَاهُ رَبُّهُ اصطفاه وقرّبه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جُبِىَ الىّ كذا فاجتبيته مثل جُلِيَتْ علىّ العروسُ فاجتليتها وأصلُ الكلمة الجمع فَتَابَ عَلَيْهِ فقبل توبته لمّا تاب وَهَدَى الى الثبات على التوبة والتشبّث بأسباب العِصْمة (١٢١) قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا الخطاب لآدم وحوّاء او له ولابليس ولما كانا أَصْلَىِ الذرّيّة خاطبهما مخاطبتهم فقال بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال حال كلّ من النوعين بواسطة الآخر ويؤيّد الاوّل قوله فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى كتاب ورسول (١٢٢) فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ فى الدنيا وَلَا يَشْقَى فى الآخرة (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي عن الهدى الذاكر لى والداعى الى عبادتى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ضيقا مصدر وُصف به ولذلك يستوى فيه المذكّر والمؤنّث وقرئ ضَنْكَى كسَكْرَى وذلك لانّ مجامع همّته ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انّه تعالى قد يضيّق بشؤم الكفر ويوسّع ببركة الايمان كما قال وضُرِبَتْ عليهم الذلّة والمسكنة ولو انّهم اقاموا التورية والانجيل ولو انّ اهل القرى آمنوا واتّقوا الآيات وقيل هو الضريع والزقّوم فى النار وقيل عذاب القبر (١٢٤) وَنَحْشُرُهُ قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محلّ فانّ له معيشة لانّه جواب الشرط يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَعْمَى البصرِ او القلبِ ويؤيّد الاوّل (١٢٥) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا وقد امالهما حمزة والكسائىّ لانّ الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بانّ الاوّل رأسُ آية ومحلّ الوقف فهو جدير بالتغيير (١٢٦) قَالَ كَذَلِكَ اى مثل ذلك فعلتَ ثمّ فسّره فقال أَتَتْكَ آيَاتُنَا واضحةً نيّرةً فَنَسِيتَهَا فعميتَ عنها وتركتها غير منظور اليها وَكَذَلِكَ ومثل تركك ايّاها ٱلْيَوْمَ تُنْسَى نتركك فى العمى والعذاب (١٢٧) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ بالانهماك فى الشهوات والاعراض عن الآيات وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ بل كذّب بها وخالفها وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اى وللنار بعد ذلك أَشَدُّ وَأَبْقَى من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعلّه اذا دخل النار زال عماه ليرى محلّه وحاله او ممّا فعله من ترك الآيات والكفر بها (١٢٨) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ

مُسْنَد الى اللّه تعالى او الرسولِ او ما دلّ عليه كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ ٱلْقُرُونِ اى اهلاكُنا ايّاهم او (جزء ١٦) الجملةُ بمضمونها والفعلُ على الاوّلين معلّق يجرى مجرى أَعْلَمْ ويدلّ عليه القراءة بالنون يَمْشُونَ (ركوع ١٦) فِي مَسَاكِنِهِمْ ويشاهدون آثار هلاكهم إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي ٱلنُّهَىٰ لذوى العقول الناهية عن التغافل والتعامى (١٢٩) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ وهى العدة بتأخير عذاب هذه الامّة الى الآخرة لَكَانَ لِزَامًا (ركوع ١٧) لكان مثلُ ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وُصف به او اسم آلة سُمّى به اللازم لفرط لزومه كقولهم لِزازُ خَصْمٍ وَأَجَلٌ مُسَمًّى عطف على كلمة اى ولولا العدة بتأخير العذاب واجلٌ مسمّى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيامة او يوم بدر لكان العذاب لزاما . والفصلُ للدلالة على استقلال كلّ منهما بنفى لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكنّ فى كان اى لكان الاخذُ العاجل واجلٌ مسمّى لازمَيْن له (١٣٠) فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وصلِّ وأنت حامدٌ لربّك على هدايته وتوفيقه او نزّهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما ميّزك بالهدى معترفا بانّه مُولِى النعم كلّها قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ يعنى الفجر وَقَبْلَ غُرُوبِهَا يعنى الظهرَ والعصرَ لانّهما فى آخر النهار او العصرَ وحده وَمِنْ آنَاءِ ٱللَّيْلِ ومن ساعاته جمعُ إِنًى بالكسر والقصر او أَنَاء بالفتح والمدّ فَسَبِّحْ يعنى المغرب والعشاء وانّما قدّم زمان الليل لاختصاصه بمزيد الفضل فانّ القلب فيه أَجْمَعُ والنفس أَمْيَلُ الى الاستراحة فكانت العبادة فيه أَحْمَزَ ولذلك قال سبحانه وتعالى انّ ناشئة الليل هى اشدّ وطأً واقومُ قيلا وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ تكريرٌ لصلاتى الصبح والمغرب ارادةَ الاختصاص ومجيئُه بلفظ الجمع لأَمْنِ الالباس كقوله • ظَهْراهما مِثْلُ ظُهورِ التُرْسَيْنِ • او امرٌ بصلوة الظهر فانّه نهايةُ النصف الاوّل من النهار وبدايةُ النصف الاخير وجمعُه باعتبار النصفين او لانّ النهار جنسٌ او بالتطوّع فى اجزاء النهار لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ متعلّق بسبّح اى سبّح فى هذه الاوقات طمعا ان تنال عند اللّه ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائىّ وابو بكر بالبناء للمفعول اى يُرْضيك ربُّك (١٣١) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ اى نظر عينيك إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ استحسانا له وتمنّيا ان يكون لك مثلُه أَزْوَاجًا مِنْهُمْ اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير والمفعولُ مِنْهُمْ اى الى الّذى متّعنا به وهو اصنافٌ بعضهم وناسا منهم زَهْرَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا منصوبٌ بمحذوف دلّ عليه متّعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محلّ به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذمّ وهى الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهى لغة كالجَهَرة فى الجَهْرة او جمعُ زاهرٍ وصفًا لهم بانّهم زاهرو الدنيا لتنعّمهم وبهاء زيّهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهّاد لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذّبهم فى الآخرة بسببه وَرِزْقُ رَبِّكَ وما ادّخر لك فى الآخرة او ما رزقك من الهدى والنبوّة خَيْرٌ ممّا منحهم فى الدنيا وَأَبْقَىٰ فانّه لا ينقطع (١٣٢) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ امرٌ له بأن يأمر اهل بيته او التابعين له من امّته بالصلوة بعد ما أُمر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ولا يهتمّوا بأمر المعيشة

جزء ١٦ ركوع ١٧ ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا وداوم عليها لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ان ترزق نفسك ولا اهلك نَحْنُ نَرْزُقُكَ وايّاهم ففرّغ بالك لأمر الآخرة وَٱلْعَاقِبَةُ المحمودة لِلتَّقْوَى لذوى التقوى روى انّه عم كان اذا اصاب اهله ضرّ امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية (١٣٣) وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ بآية تدلّ على صدقه فى ادّعاء النبوّة او بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنّتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقران الّذى هو امّ المعجزات واعظمها وابقاها لانّ حقيقة المعجزة اختصاص مدّعى النبوّة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شكّ انّ العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبّههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصّة بهذا الباب فقال أَوَلَمْ يَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَى من التورية والانجيل وسائر الكتب السماويّة فانّ اشتمالها على زبدة ما فيها من العقائد والأحكام الكلّيّة مع انّ الآتى بها امّىّ لم يرها ولم يتعلّم ممّن علمها اعجاز بيّن وفيه اشعار بانّه كما يدلّ على نبوّته برهان لما تقدّمه من الكتب من حيث انّه معجز وتلك ليست كذلك بل هى مفتقرة الى ما يشهد على صحّتها وقرئ ٱلصُّحْفِ بالتخفيف وقرأ نافع وابو عمرو وحفص أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بالتاء والباقون بالياء (١٣٤) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ من قبل محمّد او البيّنة والتذكير لانّها فى معنى البرهان او المراد بها القران لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ بالقتل والسبى فى الدنيا وَنَخْزَى بدخول النار يوم القيامة وقد قرئتا بالبناء للمفعول (١٣٥) قُلْ كُلٌّ اى كلّ واحد منّا ومنكم مُتَرَبِّصٌ منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فَتَرَبَّصُوا وقرئ فَتَمَتَّعُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ ٱلصِّرَاطِ ٱلسَّوِيِّ المستقيم وقرئ ٱلسَّوَآءِ اى الوسط الجيّد وَٱلسُّوءَى وَٱلسُّوءِ اى الشرّ وَٱلسُّوَيِّ وهو تصغيره وَمَنِ ٱهْتَدَى من الضلالة ، ومَن فى الموضعين للاستفهام ومحلّها الرفع بالابتداء ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محلّ الجملة الاستفهاميّة المعلّق عنها الفعل على انّ العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على انّ المراد به النبىّ صلعم ، وعنه عم من قرأ طه أُعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار٠

سُورَةُ ٱلْأَنْبِيَاءِ

مكّيّة وآيها مائة واثنتا عشرة آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ١٧ ركوع ١ (١) ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ بالاضافة الى ما مضى او عند اللّه تعالى لقوله انّهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يُخلف اللّه وعده وانّ يوما عند ربّك كألف سنة ممّا تعدّون او

جزء ١٧ ركوع ١

لانّ كلّ ما هو آت قريب وانّما البعيد ما انقرض ومضى ، واللام صلة لاقترب او تأكيد للاضافة وأصله اقترب حسابُ الناس ثمّ اقترب للناس الحسابُ ثمّ اقترب للناس حسابُهم ، وخصّ الناس بالكفّار لتقييدهم بقوله وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ اى فى غفلة من الحساب معرضون عن التفكّر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكنّ فى معرضون (٢) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ ينبّههم عن سنة الغفلة والجهالة مِنْ رَبِّهِمْ صفة لذكر او صلة ليأتيهم مُحْدَثٍ تنزيله ليكرّر على اسماعهم التنبيه كى يتّعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحلّ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ يستهزءون به ويستسخرون منه لتناهى غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر فى الامور والتفكّر فى العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك (٣) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ اى استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهّى والذهول عن التفكّر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انّه خبر آخر للضمير وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى بالغوا فى اخفائها او جعلوها بحيث خفى تناجيهم بها ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بدلٌ من واو اسرّوا للايماء بانّهم ظالمون فيما اسرّوا به او فاعلٌ له والواوُ لعلامة الجمع او مبتدأٌ والجملة المتقدّمة خبره وأصله وهؤلاء اسرّوا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانّه ظلمٌ او منصوبٌ على الذمّ هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ بأسره فى موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقولٍ مقدّرٍ كانّهم استدلّوا بكونه بشرا على كذبه فى ادّعاء الرسالة لاعتقادهم انّ الرسول لا يكون الّا مَلَكا واستلزموا منه انّ ما جاء به من الخوارق كالقران سحرٌ فأنكروا حضوره ، وانّما اسرّوا به تشاوروا فى استنباط ما يهدم امره ويُظهر فساده للناس عامّةً (٤) قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ جهرا كان او سرّا فضلا عمّا اسرّوا به فهو آكد من قوله قل انزله الّذى يعلم السرّ فى السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله واسرّوا النجوى وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص قَالَ بالاخبار عن الرسول وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ فلا يخفى عليه ما يسرّون ولا ما يضمرون (٥) بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ ٱفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انّه تخاليط احلام ثمّ الى انّه كلام افتراه ثمّ الى انّه قول شاعر والظاهر انّ بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى او للاضراب عن تحاورهم فى شأن الرسول وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم فى امر القران والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خُيّلت اليه وخُلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثمّ الى انّه كلام شعرىّ يخيّل الى السامع معانىَ لا حقيقةَ لها ويرغّبه فيها ويجوز ان يكون الكلّ من الله تنزيلا لاقوالهم فى دَرَج الفساد لانّ كونه شعرا ابعدُ من كونه مفترى لانّه مشحون بالحقائق والحِكَم ليس فيه ما يناسب قولَ الشعراء وهو من كونه احلاما لانّه مشتمل على مغيّبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانّهم جرّبوا رسول الله صلعم نيّفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قطّ وهو من كونه سحرا لانّه يجانسه من حيث انّهما من الخوارق فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ اى كما أُرسل به الاوّلون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه

جزء ١٧ واحياء الموتى وصحّة التشبيه من حيث انّ الارسال يتضمّن الاتيان بالآية (٦) مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ
ركوع ١ من اهل قرية أَهْلَكْنَاهَا باقتراح الآيات لمّا جاءتهم أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ لو جئتهم بها وهم أعتى منهم وفيه تنبيه على انّ عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم (٧) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَى إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ جواب لقولهم هل هذا الّا بشر مثلكم فأمرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدّمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة عليهم امّا للالزام فانّ المشركين كانوا يشاورونهم فى امر النبىّ صلعم ويثقون بقولهم او لانّ اخبار الجمّ الغفير يوجب العلم وان كانوا كفّارا ، وقرأ حفص نُوحِي بالنون (٨) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ نفىٌ لما اعتقدوا انّها من خواصّ الملك عن الرسل تحقيقا لانّهم كانوا أبشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فانّ التعيّش بالطعام من توابع التحليل المؤدّى الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانّه مصدر فى الاصل او على حذف المضاف او تأويل الضمير بكلّ واحد وهو جسم ذو لون فلذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لانّ اصله لجمع الشىء واشتداده (٩) ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ اى فى الوعد فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ يعنى المؤمنين بهم ومن فى ابقائه حكمةٌ كمن سيؤمن هو او احد من ذرّيته ولذلك حُميت العرب عن عذاب الاستيصال وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ فى الكفر والمعاصى (١٠) لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ يا قريش كِتَابًا يعنى القران فِيهِ ذِكْرُكُمْ صيتكم كقوله وانّه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما
ركوع ٢ تطلبون به حُسْنَ الذكر من مكارم الاخلاق أَفَلَا تَعْقِلُونَ فتؤمنون (١١) وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ واردة عن غضب عظيم لانّ القصم كسرٌ يُبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم كَانَتْ ظَالِمَةً صفة لاهلها وُصفت بها لما اقيمت مقامه وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا بعد اهلاك اهلها قَوْمًا آخَرِينَ مكانهم (١٢) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا فلمّا ادركوا شدّة عذابنا ادراكَ المشاهد المحسوس والضميرُ للاهل المحذوف إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ يهربون مسرعين راكضين دوابّهم او مشبّهين بهم من فرط اسراعهم (١٣) لَا تَرْكُضُوا على ارادة القول اى قيل لهم استهزاءً لا تركضوا امّا بلسان الحال او المقال والقائلُ مَلَكٌ او مَنْ ثَمّ من المؤمنين وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ من التنعّم والتلذّذ والاتراف ابطار النعمة وَمَسَاكِنِكُمْ التى كانت لكم لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ غدا عن اعمالكم او تعذّبون فانّ السؤال من مقدّمات العذاب او تُقصَدون للسؤال والتشاور فى المهامّ والنوازل (١٤) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ لمّا رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل انّ اهل حَضور من قرى اليمن بُعث اليهم نبىّ فقتلوه فسلّط الله عليهم بُخت نصّر فوضع السيف فيهم فنادى منادٍ من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك (١٥) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ

فما زالوا يردّدون ذلك وانّما سمّاه دعوى لانّ المُوَلْوِل كانّه يدعو الويل ويقول يا وَيْل تعالَ فهذا اوانُك ، جزء ١٧
وكلٌّ من تلك ودعواهم يحتمل الاسميّة والخبريّة حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا مثل الحصيد وهو النبت ركوع ٢
المحصود ولذلك لم يجمع خَامِدِينَ ميّتين من خَمَدَت النارُ وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثانى كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له حال من ضميره (١٦) وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ وانّما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرةً للنظّار وتذكرةً لذوى الاعتبار وتسبّبا لما ينتظم به امور العباد فى المعاش والمعاد فينبغى ان يتسلّقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغترّوا بزخارفها فانّها سريعة الزوال (١٧) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا ما يُتلهّى به ويُلعَب لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا من جهة قدرتنا او من عندنا ممّا يليق بحضرتنا من المجرّدات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم فى رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفُرُش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمرادُ الردّ على النصارى إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ذلك ويدلّ على جوابه الجواب المتقدّم وقيل إِنْ نافية والجملةُ كالنتيجة للشرطيّة (١٨) بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَاطِلِ اضرابٌ عن اتّخاذ اللهو وتنزيهٌ لذاته من اللعب اى بل شأننا ان نغلّب الحقّ الّذى من جملته الجدّ على الباطل الّذى من عداده اللهو فَيَدْمَغُهُ فيمحقه وانّما استعار لذلك القذفَ وهو الرمى البعيد المستلزم لصلابة المرمىّ والدمغَ الّذى هو كسر الدماغ بحيث يُشَقّ غشاؤه المؤدّى الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغةً فيه وقرئ فَيَدْمَغَهُ بالنصب كقوله

سأترُكُ منزلى لبنى تميم وأَلْحَقُ بالحجاز فأستريحا

ووجهُه مع بُعده الحملُ على المعنى والعطفُ على الحقّ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ هالك والزهوق ذهاب الروح وذِكرُه لترشيح المجاز وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ممّا تصفونه ممّا لا يجوز عليه وهو فى موضع الحال وما مصدريّة او موصولة او موصوفة (١٩) وَلَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ خلقا وملكا وَمَنْ عِنْدَهُ يعنى الملائكة المنزّلين منه لكرامتهم عليه منزلةَ المقرّبين عند الملوك ، وهو معطوف على مَنْ فى السموات وافراده للتعظيم او لانّه اعمّ منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعالٍ عن التبوّء فى السماء والارض او مبتدأٌ خبره لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ لا يتعظّمون عنها وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ولا يعيون منها وانّما جىء بالاستحسار الّذى هو ابلغ من الحسور تنبيها على انّ عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يُستحسر منها ولا يستحسرون (٢٠) يُسَبِّحُونَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ينزّهونه ويعظّمونه دائما لَا يَفْتُرُونَ حال من الواو فى يسبّحون وهو استيناف او حال من ضمير قبله (٢١) أَمِ ٱتَّخَذُوا آلِهَةً بل اتّخذوا والهمزة لانكار اتّخاذهم مِنَ ٱلْأَرْضِ صفة لآلهة او متعلّقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص هُمْ يُنْشِرُونَ الموتى

جزء ١٧ وهم وان لم يصرّحوا به لكن لزم ادّعاءهم لها الالهيّة فانّ من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات
ركوع ٢ والمراد به تجهيلهم والتهكّم بهم وللمبالغة فى ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم
(٢٢) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ غير الله وُصف بالّا لتعذّر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمرادُ ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غَيْر كما استثنى بغَيْر حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانّه متفرّع على الاستثناء ومشروط بأن يكون فى كلام غير موجب لَفَسَدَتَا لبطلتا لما يكون بينها من الاختلاف والتمانع فانّها ان توافقت فى المراد تطاردت عليه القُدَر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ المحيط بجميع الاجسام الّذى هو محلّ التدابير ومنشأ التقادير عَمَّا يَصِفُونَ من اتّخاذ الشريك والصاحبة والولد (٢٣) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ لعظمته وقوّة سلطانه وتفرّده بالالوهيّة والسلطنة الذاتيّة وَهُمْ يُسْأَلُونَ لانّهم مملوكون مستعبَدون والضمير للآلهة او للعباد (٢٤) أَمِ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً كرّره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضمّا لانكار ما يكون لهم سَنَدا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى أَوَجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتّخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواصّ الالوهيّة او وجدوا فى الكتب الالهيّة الامر باشراكهم فاتّخذوهم متابعةً للامر ويعضد ذلك انّه رتّب على الاوّل ما يدلّ على فساده عقلا وعلى الثانى ما يدلّ على فساده نقلا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ على ذلك امّا من العقل او من النقل فانّه لا يصحّ القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هَٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي من الكتب السماويّة فانظروا هل تجدون فيها الّا الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك والتوحيدُ لمّا لم يتوقّف على صحّته بعثةُ الرسل وانزالُ الكتب صحّ الاستدلال فيه بالنقل ، ومن معى امّته ومن قبلى الاممُ المتقدّمة واضافةُ الذكر اليهم لانّه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارّة على انّ مع اسمٌ هو ظرفٌ كقَبْل وبَعْد وبحذفها بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ ٱلْحَقُّ بالرفع على انّه خبرُ محذوف وُسّط للتأكيد بين السبب والمسبَّب فَهُمْ مُعْرِضُونَ عن التوحيد واتّباع الرسل من اجل ذلك (٢٥) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَٱعْبُدُونِ تعميم بعد تخصيص فانّ ذكر من قبلى من حيث انّه خبرٌ لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقرأ حفص وحمزة والكسائىّ نُوحِى بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء (٢٦) وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا نزلت فى خُزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سُبْحَانَهُ تنزيه له عن ذلك بَلْ عِبَادٌ بل هم عباد من حيث انّهم مخلوقون وليسوا باولاد مُكْرَمُونَ مقرّبون وفيه تنبيه على مَدْحَض القوم وقرئ بالتشديد (٢٧) لَا يَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ لا يقولون شيئا حتّى يقوله كما هو دَيْدَنُ العبيد المؤدّبين وأصله لا يسبق قولهم

قوله فنسب السبق اليه واليهم وجُعل القول محلّه وأداته تنبيها على استهجان السبق المعرَّض به للقائلين على اللّه سبحانه وتعالى ما لم يقله وأُنيب اللامُ عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يَسْبُقُونَهُ بالضم من سابقته فسبقته أَسْبُقه وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ لا يعملون قطّ ما لم يأمرهم به (٢٨) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ لا تخفى عليه خافية ممّا قدّموا وأخّروا وهو كالعلّة لما قبله والتمهيد لما بعده فانّهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم وَلَا يَشْفَعُونَ (٢٩) إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَى ان يُشفع له مهابةً منه وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ عظمته ومهابته مُشْفِقُونَ مرتعدون وأصلُ الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خصّ بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فإنْ عُدّى بمِنْ فمعنى الخوف فيه اظهر وإن عُدّى بعَلَى فبالعكس (٣٠) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ من الملائكة او من الخلائق إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ يريد به نفيَ البنوّة وادّعاء ذلك عن الملائكة وتهديدَ المشركين بتهديد مدّعى الربوبيّة كَذَلِكَ نَجْزِي ٱلظَّالِمِينَ مَنْ ظلم بالاشراك وادّعاء الربوبيّة (٣١) أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو أَنَّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضمّ والالتحام اى كانتا شيأً واحدا او حقيقة متّحدة فَفَتَقْنَاهُمَا بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة ففُتقت بالتحريكات المختلفة حتّى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجُعلت باختلاف كيفيّاتها واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا بحيث لا فُرْجة بينهما ففرّج وقيل كانتا رتقا لا تُمطر ولا تُنْبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعُها باعتبار الآفاق او السموات بأسرها على انّ لها مدخلا ما فى الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكّنون من العلم به نظرًا فانّ الفتق عارض مفتقر الى مؤثّر واجب ابتداء او بوسط او استفسارًا من العلماء ومطالعةً للكتب وانّما قال كانتا ولم يقل كنّ لانّ المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رَتَقًا بالفتح على تقدير شيئًا رَتَقًا اى مرتوقا كالرَّفَض بمعنى المرفوض وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ وخلقنا من الماء كلّ حيوان كقوله واللّه خلق كل دابّة من ماء وذلك لانّه من اعظم موادّه او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيّرنا كلّ شيء حيّ بسبب من الماء لا يحيا دونه وقرئ حَيًّا على انّه صفة كلّ او مفعول ثانٍ والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان أَفَلَا يُؤْمِنُونَ مع ظهور الآيات (٣٢) وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ ثابتات من رَسَا اذا ثبت أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ كراهةَ ان تميد بهم وتضطرب وقيل لأن لا تميد فحذف لا لأمْن الالباس وَجَعَلْنَا فِيهَا فى الارض او الرواسى فِجَاجًا سُبُلًا مسالك واسعة وانّما قدّم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدلّ على انّه حين خلقها خلقها كذلك او لِيُبْدَل منها سبلا فيدلّ ضمنا على انّه خلقها ووسّعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ الى مصالحهم (٣٣) وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا من الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا احوالها الدالّة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهى حكمته الّتى يحسّ ببعضها ويبحث

جزء ١٧ · ركوع ٢ · ركوع ٣

جزء ١٧ ركوع ٣ عن بعضها فى علمى الطبيعة والهيئة مُعْرِضُونَ غير متفكرين (٣٤) وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ بيان لبعض تلك الآيات كُلٌّ فِى فَلَكٍ اى كلّ واحد منهما والتنوين بدل من المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حُلّةً يَسْبَحُونَ يسرعون على سطح الفلك اسراعَ السابح على سطح الماء وهو خبرُ كلّ والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانّما جمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لانّ السباحة فعلهم (٣٥) وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ نزلت حين قالوا نتربّص به ريبَ المنون وفى معناه قوله

وقُلْ للشامتين بنا أَفيقوا سيَلْقى الشامتون كما لَقِينا

والفاء لتعلّق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرّر ذلك (٣٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ ذائقة مرارة مفارقتها جسدَها وهو برهان على ما انكروه وَنَبْلُوكُمْ ونعاملكم معاملةَ المختبر بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ بالبلايا والنعم فِتْنَةً ابتلاء مصدرٌ من غير لفظه وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ فنجازيكم حسب ما يوجَد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بانّ المقصود من هذه الحيوة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق (٣٧) وَإِذَا رَآكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ ما يتّخذونك إِلَّا هُزُوًا الّا مهزوءا به ويقولون أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ اى بسوء وانّما اطلقه لدلالة الحال فانّ ذكر العدوّ لا يكون الّا بسوء وَهُمْ بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقران هُمْ كَافِرُونَ منكرون فهم احقّ بأن يُهْزأ بهم ، وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر (٣٨) خُلِقَ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ كانّه خلق منه لفرط استعجاله وقلّة ثباته كقولك خُلق زيدٌ من الكَرَم جُعِلَ ما طُبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغةً فى لزومه له ولذلك قيل انّه على القلب ومن عجلته مبادرتُه الى الكفر واستعجال الوعيد روى انّها نزلت فى النَّضْر بن الحارث حين استعجل سَأُرِيكُمْ آيَاتِى نقماتى فى الدنيا كوقعة بدر وفى الآخرة عذاب النار فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ بالاتيان بها والنهىُ عمّا جُبلَتْ عليه نفوسهم ليُقعدوها عن مرادها (٣٩) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ وقتُ وَعْد العذاب او القيامة إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يعنون النبىّ واصحابه (٤٠) لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ محذوف الجواب وحين مفعولُ يعلم اى لو يعلمون الوقت الّذى يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حينٌ تحيط بهم النار من كلّ جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لَما استعجلوا ويجوز ان يُترك مفعولُ يعلم ويُضمَر لحين فعلٌ بمعنى لو كان لهم علمٌ لَما استعجلوا يعلمون بطلان ما هم عليه حين لا يكفّون ، وانّما وُضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك (٤١) بَلْ تَأْتِيهِمُ العِدة او النار او الساعة بَغْتَةً فَجْأَةً مصدر

او حال وقرئ بفتح الغين فَتَبْهَتُهُمْ فتغلبهم او تحيّرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين جزء ١٧
وكذا فى قوله فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا لانّ الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ركوع ٣
ان يكون للنار او البغتة وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ يُمْهَلون وفيه تذكير بامهالهم فى الدنيا (٤٢) وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ
بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ تسلية لرسول اللّه صلعم فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ وعد له بان
٥ ما يفعلونه يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعنى جزاءه (٤٣) قُلْ يا محمّد ركوع ٤
للمستهزئين مَنْ يَكْلَؤُكُمْ يحفظكم بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمٰنِ من بأسه ان اراد بكم وفى لفظ الرحمن
تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامّة وانّ اندفاعه بمهلته بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ لا يُخطرونه
ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتّى اذا كُلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه (٤٤) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ
مِنْ دُونِنَا بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز مَنْعَنا او من عذاب يكون من عندنا والاضرابان
١٠ عن الامر بالسؤال على الترتيب فانّه عن المعرض الغافل عن الشىء بعيدٌ وعن المعتقد لنقيضه أَبْعَدُ
لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ استيناف بابطال ما اعتقدوه فانّ من لا يقدر على نصر
نفسه ولا يصحبه نصرٌ من اللّه كيف ينصر غيرَه (٤٥) بَلْ مَتَّعْنَا هٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ
اضراب عمّا توهّموا ببيان ما هو الداعى الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدّر لهم من الاعمار او
عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انّه تعالى متّعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتّى طالت
١٥ اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانّه بسبب ما هم عليه ولذلك عقّبه بما يدلّ على انّه امل كاذب فقال
أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ ارض الكفرة نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يُجريه
اللّه على ايدى المسلمين أَفَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ رسولَ اللّه والمؤمنين (٤٦) قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِٱلْوَحْيِ بما أُوحى
الىّ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَاءَ وقرأ ابن عامر وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ على خطاب النبىّ صلعم وقرئ بالياء على
انّ فيه ضميره وانّما سمّاهم الصمّ ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامّهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون
٢٠ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لانّ الكلام فى الانذار او للمبالغة فى تصامّهم
وتجاسرهم (٤٧) وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ ادنى شىء وفيه مبالغاتٌ ذكر المسّ وما فى النفحة من معنى القلّة
فانّ اصل النفح هبوب رائحة الشىء والبناء الدالّ على المرّة مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ من الّذى ينذرون به لَيَقُولُنَّ
يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ لَدعَوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم (٤٨) وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ
ٱلْعَدْلَ توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوىّ والجزاء على حسب
٢٥ الاعمال بالعدل ، وافراد القسط لانّه مصدر وُصف به للمبالغة لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ لجزاء يوم القيامة او لاهله
او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا من حقّها او من الظلم وَإِنْ كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ وان كان العمل او الظلم مقدار حبّة ورفع نافع مِثْقالُ على كان التامّة أَتَيْنَا بِهَا

احصرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانّه قريب من اعطينا او من المؤاتاة فانّهم أتوه جزء ١٧
بالاعمال وأتاهم بالجزاء وأثبنا من الثواب وجئنا ، والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبّة وَكَفَى ركوع ٤
بِنَا حَاسِبِينَ اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا (٤٩) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحقّ والباطل وضياء يُستضاء به فى ظلماء الجهالة والحيرة وذكرا يتّعظ به المتّقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انّه حال من الفرقان (٥٠) ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ صفة للمتّقين او مدح لهم منصوب او مرفوع بِٱلْغَيْبِ حال من الفاعل او المفعول وَهُمْ مِنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ خائفون وفى تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض (٥١) وَهٰذَا ذِكْرٌ يعنى القرآن مُبَارَكٌ كثير خيره أَنْزَلْنَاهُ على محمّد صلعم
أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ استفهام توبيخ (٥٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرٰهِيمَ رُشْدَهُ الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدلّ ركوع ٥
على انّه رشد مثله وانّ له شأنا وقرئ رَشَدَهُ وهو لغة مِنْ قَبْلُ من قبل موسى وهرون او محمّد وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال انّى وجّهت وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ علمنا انّه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى انّ فعله سبحانه وتعالى باختيار وحكمة وانّه عالم بالجزئيّات (٥٣) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ متعلّق بآتينا او برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده وقت قوله مَا هٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِى أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فانّ التمثال صورة لا روح فيها لا يضرّ ولا ينفع ، واللام للاختصاص لا للتعدية فانّ تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤوّل بعلى او يضمّن العكوف معنى العبادة (٥٤) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ فقلّدناهم وهو جواب عمّا لزم الاستفهام من السؤال عمّا اقتضى عبادتها وحملهم عليها (٥٥) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ منخرطين فى سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز فانّما يجوز لمن علم فى الجملة انّه على حقّ (٥٦) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ ٱللَّاعِبِينَ كأنّهم لاستبعادهم تضليله ايّاهم ظنّوا انّ ما قاله انّما قاله على وجه الملاعبة فقالوا اتجدّ بقولك ام تلعب به (٥٧) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادّعاه ، وهنّ للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل فى تضليلهم والزام الحجّة عليهم وَأَنَا عَلَىٰ ذٰلِكُمْ اى المذكور من التوحيد مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ من المتحقّقين له والمبرهنين عليه فانّ الشاهد من تحقّق الشىء وحقّقه (٥٨) وَتَاللّٰهِ وقرئ بالباء وهى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجّب لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ لاجتهدنّ فى كسرها ولفظ الكيد وما فى التاء من التعجّب لصعوبة الامر وتوقّفه على نوع من الحيل بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا عنها مُدْبِرِينَ الى عيدكم

ولعلّه قال ذلك سرًّا (٥٩) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا قُطاعًا فُعال بمعنى مفعول كالحُطام من الجذّ وهو القطع وقرأ الكسائىّ بالكسر وهو لغة او جمعُ جذيذ كخِفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجُذُذًا جمع جذيذ وجُذَذًا جمع جُذّة إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ لانّه غلب على ظنّه انّهم لا يرجعون الّا اليه لتفرّده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجّهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجّهم او انّهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شأن المعبود ان يُرجَع اليه فى حلّ العقد فيبكّتهم بذلك او الى اللّه اى يرجعون الى توحيده عند تحقّقهم عجز آلهتهم (٦٠) قَالُوا حين رجعوا مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه فى حطمها او بتوريط نفسه للهلاك (٦١) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يعيبهم فلعلّه فعله ويذكر ثانى مفعولى سمع او صفة لفتى مصحّحة لأن يتعلّق به السمع وهو ابلغ فى نسبة الذكر اليه يُقَالُ لَهُ إِبْرٰهِيمُ خبرُ محذوف اى هو ابرهيم ويجوز ان يُرفَع بالفعل لانّ المراد به الاسم (٦٢) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ بمرأى منهم بحيث تتمكّن صورته فى اعينهم تمكّن الراكب على المركوب لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له (٦٣) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرٰهِيمُ حين احضروه (٦٤) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ اسند الفعل اليه تجوّزا لانّ غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبّب لمباشرته ايّاه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضى كما لو قال لك من لا يُحسِن الخطّ فيما كتبتَه بخطّ رشيق انت كتبته فقلتَ بل كتبتَه او حكايةً لما يلزم من مذهبهم جوازُه وقيل انّه فى المعنى متعلّق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابرهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وُقف على فَعَلَهُ وما روى انّه عم قال لابرهيم ثلاث كذبات تسميةٌ للمعاريض كذبا لما شابهت صورتُها صورتَه (٦٥) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وراجعوا عقولهم فَقَالُوا فقال بعضهم لبعض إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضرّ ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انّه لمن الظالمين (٦٦) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبّه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشىء مستعليا على اعلاه وقرئ نُكِّسُوا بالتشديد ونَكَسُوا اى نكسوا انفسهم لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول (٦٧) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ انكارٌ لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانّها جمادات لا تنفع ولا تضرّ فانّه ينافى الالوهيّة أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ تضجّرٌ منه على اصرارهم بالباطل البيّن وأفّ صوت المتضجّر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفَّف له أَفَلَا تَعْقِلُونَ قبحَ صنيعكم (٦٨) قَالُوا اخذا فى المضارّة لما عجزوا عن المحاجّة حَرِّقُوهُ فانّ النار اهول ما يعاقب به وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ بالانتقام لها إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ان كنتم ناصرين لها نصرا

جزء ١٧ ركوع ٥

جزء ١٧ مؤزرا ، والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هينون خُسف به الارض وقيل نمرود (٦٩) قُلْنَا يَا نَارُ

ركوع ٥ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرٰهِيمَ ذاتَ برد وسلام اى ابْرُدى بردا غير ضارّ وفيه مبالغاتٌ جَعْلُ النار المسخّرة لقدرته مأمورةً مطيعةً واقامةُ كونى ذات برد مقامَ ابردى ثمّ حذفُ المضاف واقامةُ المضاف اليه مقامَه وقيل نصب سلاما بفعله اى وسلّمنا سلاما عليه روى انّهم بنوا حظيرة بكُوثَى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثمّ وضعوه فى المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال أمّا اليك فلا فقال فَسَلْ ربّك فقال حَسْبى من سؤالى عِلْمُه بحالى فجعل اللّه تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الّا وثاقه فاطّلع عليه نمرود من الصرح فقال انّى مقرّب الى الٰهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكفّ عن ابرٰهيم وكان اذذاك ابن ستّ عشرة وانقلابُ النار هواءً طيّبا ليس ببدع غير انّه هكذا على خلاف المعتاد فهو اِذًا من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنّه سبحانه دفع عنه اذاها كما ترى فى السمندل ويُشعر به قوله على ابرٰهيم (٧٠) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا مكرا فى اضراره فَجَعَلْنَاهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ اخسر من كلّ خاسر لمّا عاد سعيُهم برهانا قاطعا على انّهم على الباطل وابرٰهيم على الحقّ ومُوجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشدّ العذاب (٧١) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ اى من العراق الى الشأم وبركاتُه العامّةُ انّ اكثر الانبياء بُعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرائعُهم الّتى هى مبادئ الكمالات والخيرات الدينيّة والدنيويّة وقيل كثرة النِعَم والخِصْب الغالب رُوى انّه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة (٧٢) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً عطيّةً فهى حال منهما او وَلَدَ ولدٍ او زيادةً على ما سأل وهو اسحٰق فتختصّ بيعقوب ولا بأس به للقرينة وَكُلًّا يعنى الاربعة جَعَلْنَا صَالِحِينَ بأن وفّقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين (٧٣) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يُقْتدى بهم يَهْدُونَ الناسَ الى الحقّ بِأَمْرِنَا لهم بذلك وارسالنا ايّاهم حتّى صاروا مكمّلين وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَاتِ ليحثّوهم عليها فيتمّ كمالُهم بانضمام العمل الى العلم وأصلُه أن تُفْعَلَ الخيراتُ ثمّ فَعْلًا الخيراتِ ثمّ فِعْلَ الخيرت وكذلك قوله وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءَ ٱلزَّكَوٰةِ وهو من عطف الخاصّ على العامّ للتفضيل ، وحُذفت تاء الاقامة المعوّضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ موحّدين مخلصين فى العبادة ولذلك قدّم الصلة (٧٤) وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا حكمة او نبوّة او فصلا بين الخصوم وَعِلْمًا بما ينبغى علمه للانبياء وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ قرية سَدُوم ٱلَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ ٱلْخَبَائِثَ يعنى اللواط وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدلّ عليه إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ فانّه كالتعليل له (٧٥) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا فى اهل رحمتنا او جنّتنا إِنَّهُ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى

ركوع ٦ (٧٦) وَنُوحًا إِذْ نَادَى اذ دعا اللّهَ سبحانه على قومه بالهلاك مِنْ قَبْلُ من قبل المذكورين فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ

جزء ١٧ ركوع ٦

دعاءه فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ من الطوفان او اذى قومه والكربُ الغمّ الشديد (٧٧) وَنَصَرْنَاهُ مطاوعُ انتصر اى جعلناه منتصرا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ لاجتماع الامرين تكذيب الحقّ والانهماك فى الشرّ ولعلّهما لم يجتمعا فى قوم الّا واهلكهم اللّه تعالى (٧٨) وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ فى الزرع وقيل فى كَرْم تدلّت عناقيده إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ رَعَتْه ليلا وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ لحكم الحاكمَيْن والمتحاكمَيْن عالمين (٧٩) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فَأَفْهَمْنَاهَا روى انّ داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غيرُ هذا أَرْفَقُ بهما فأمر بدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وشعورها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتّى يعود الى ما كان ثمّ يترادّان ولعلّهما قالا اجتهادا والاوّل نظيرُ قول ابى حنيفة فى العبد الجانى والثانى مثل قول الشافعىّ بغُرْم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمُه فى شرعنا عند الشافعىّ وجوبُ ضمان المُتْلَف بالليل إذ المعتاد ضَبْطُ الدوابّ ليلا وهكذا قضى النبىّ صلعم لمّا دخلت ناقة البَراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظُها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابى حنيفة لا ضمان الّا ان يكون معها حافظ لقوله صلعم جَرْحُ العجماء جُبارٌ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا دليل على انّ خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على انّ كلّ مجتهد مُصيب وهو مُخالف لمفهوم قوله ففهّمناها ولولا النقلُ لاحتمل توافقهما على انّ قوله ففهّمناها لاظهار ما تفضّل عليه فى صغره وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ يقدّسن اللّه معه امّا بلسان الحال او بصوت يتمثّل له او بخلق اللّه تعالى فيها الكلام وقيل يَسِرْنَ معه من السباحة وهو حال او استيناف لبيان وجه التسخير ، ومَعَ متعلّقة بسخّرنا او يسبّحن وَٱلطَّيْرَ عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وَكُنَّا فَاعِلِينَ لامثاله فليس ببدع منّا وان كان عجبا عندكم (٨٠) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ عمل الدرع وهو فى الاصل اللباس قال • الْبَسْ لكلّ حالة لَبُوسَها • وقيل كانت صفائح فحلّقها وسردها لَكُمْ متعلّق بعلّم او صفة للبوس لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجارّ والضمير لداود او للّبوس وفى قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للّبوس على تأويل الدرع وفى قراءة ابى بكر ورُوَيْس بالنون للّه عزّ وجلّ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ذلك امرٌ اخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع (٨١) وَلِسُلَيْمَانَ وسخّرنا له ولعلّ اللام فيه دون الاوّل لانّ الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفى الاوّل امرٌ يظهر فى الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً شديدة الهبوب من حيث انّها تبعد بكرسيّه فى مدّة يسيرة كما قال تعالى غدوّها شهرٌ ورواحها شهرٌ وكانت رُخاء فى نفسها طيّبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته تَجْرِي بِأَمْرِهِ بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا

جزء ١٧ الى الشأم رواحا بعد ما سارت به منه بكرة وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ فنجريه على ما تقتضيه الحكمة
ركوع ٦ (٨٢) وَمِنَ ٱلشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ في البحار ويُخرجون نفائسها ومَنْ عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهى نكرة موصوفة وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ ويتجاوزون ذلك الى اعمال أُخَر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلّتهم (٨٣) وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ بأنّى مسّنى الضرّ وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه، والضرّ بالفتح شائع فى كلّ ضرر وبالضمّ خاصّ بما فى النفس كمرض وهزال وَأَنْتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ وصف ربّه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لُطْفا فى السؤال وكان روميّا من ولد عيص بن اسحٰق استنبأه اللّه وكثّر اهله وماله فابتلاه باستهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة او ثلاث عشرة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وروى انّ امرأته ماخيرَ بنت ميشا ابن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت اللّه فقال كم كانت مدّة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحيى من اللّه ان ادعوه وما بلغت مدّة بلائى مدّة رخائى (٨٤) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ بالشفاء من مرضه وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ بأن وُلد له ضِعْف ما كان او أُحْيى ولده ووُلد له منهم نوافل رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين وانّا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ يعنى إِلْياس وقيل يوشع وقيل زكريّاء سُمّى به لانّه كان ذا حظّ من اللّه تعالى او تكفّلَ امّته او له ضِعْف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجىء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كُلٌّ كلّ هؤلاء مِنَ ٱلصَّابِرِينَ على مشاقّ التكاليف وشدائد النُوَب (٨٦) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا يعنى النبوّة او نعمة الآخرة إِنَّهُمْ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ الكاملين فى الصلاح وهم الانبياء فانّ صلاحهم معصوم عن كدر الفساد (٨٧) وَذَا ٱلنُّونِ وصاحب الحوت يونس بن مَتّى إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا لقومه لمّا برم لطول دعوتهم وشدّة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر، وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظنّ انّه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانّه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لُحوقَ العذاب عندها وقرئ مُغْضَبا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ لن نضيّق عليه او لن نقضى عليه بالعقوبة من القَدَر ويعضده انّه قرئ مثقّلا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظنّ ان لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسُمّيت ظنّا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقّلا فَنَادَى فِي ٱلظُّلُمَاتِ فى الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل أَنْ لَا إِلَٰهَ

ٱلَّآ أَنْتَ بانّه لا اله الّا انت سُبْحَانَكَ ان يُعجزك شىء إِنِّى كُنْتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ لنفسى بالمبادرة الى المهاجرة جزء ١٧
عن النبىّ صلعم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الّا استُجيب له (٨٨) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ركوع ٦
بأن قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فى بطنه وقيل ثلاثة ايّام ، والغمّ غمّ للالتقام وقيل
غمّ الخطيئة وَكَذٰلِكَ نُنْجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ من غموم دعوا اللّه فيها بالاخلاص ، وفى الامام نجى ولذلك
اخفى الجماعة النون الثانية فانّها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على انّ
اصله نُنَجِّى فحُذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية فى تظاهرون وهى وان كانت فاء فحذفها
اوقعُ من حذف حرف المضارعة الّتى لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتَى النونين فانّ الداعى الى
الحذف اجتماعُ المِثْلَيْن مع تعذّر الادغام وامتناعُ الحذف فى تتجافى لخوف اللَّبْس وقيل هو ماضٍ مجهول
أُسْنِد الى ضمير المصدر وسُكّن آخره تخفيفا ورُدّ بانّه لا يسند الى المصدر والمفعولُ مذكورٌ والماضى لا
يسكّن آخره (٨٩) وَزَكَرِيَّآءَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وحيدا بلا ولد يرثنى وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْوَارِثِينَ
فان لم ترزقنى من يرثنى فلا ابالى به (٩٠) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ اى اصلحناها
للولادة بعد عقرها او لزكريّاء بتحسين خُلقها وكانت حَرِدةً إِنَّهُمْ يعنى المتوالدين او المذكورين
من الانبياء كَانُوا يُسَارِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَاتِ يبادرون الى ابواب الخير وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ذوى رغب ورهب
او راغبين فى الثواب راجين للاجابة او فى الطاعة وخائفين العقابَ او المعصيةَ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ
مخبتين او دائمين الوجل والمعنى انّهم نالوا من اللّه ما نالوا بهذه الخصال (٩١) وَٱلَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا
من الحلال والحرام يعنى مريم فَنَفَخْنَا فِيهَا فى عيسى فيها اى احييناه فى جوفها وقيل فعلنا النفخ
مِنْ رُوحِنَا من الروح الّذى هو بأمرنا وَحْدَه او من جهة روحنا جبريل وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَا اى قصّتهما
او حالهما ولذلك وحّد قوله آيَةً لِلْعَالَمِينَ فانّ من تأمّل حالهما تحقّق كمال قدرة الصانع تعالى
(٩٢) إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ انّ ملّة التوحيد والاسلام ملّتكم الّتى يجب عليكم ان تكونوا عليها أُمَّةً وَاحِدَةً
غير مختلفة فيما بين الانبياء ولا مشاركة لغيرها فى صحّة الاتباع وقرئ أُمَّتَكُمْ بالنصب على البدل
وأُمّةٌ بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انّهما خبران وَأَنَا رَبُّكُمْ لا اله لكم غيرى فَٱعْبُدُونِ لا غيرُ
(٩٣) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الّذين تفرّقوا فى الدين وجعلوا امره
قطعا موزّعة بقبيح فعلهم الى غيرهم كُلٌّ من الفِرَق المتحزّبة إِلَيْنَا رَاجِعُونَ فنجازيهم (٩٤) فَمَنْ يَعْمَلْ ركوع ٧
مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ باللّه ورسوله فَلَا كُفْرَانَ فلا تضييع لِسَعْيِهِ استُعير لمنع الثواب كما استُعير
الشكر لاعطائه ونُفى نفيَ الجنس للمبالغة وَإِنَّا لَهُ لسعيه كَاتِبُونَ مُثْبِتون فى صحيفة عمله لا يضيع
بوجه ما (٩٥) وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وممتنع على اهلها غير متصوّر منهم وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائىّ وحِرْمٌ

بكسر الحاء واسكان الراء وقرئ حَرِمَ أَهْلَكْنَاهَا حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ركوع ١٧
رجوعهم الى التوبة او الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له سادّ ركوع ٧
مسدّ خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم او عدم بعثهم او لانّهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرامٌ خبر محذوف اى وحرامٌ عليها ذاك وهو المذكور فى الآية المتقدّمة ويؤيّده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انّهم لا يرجعون (٩٦) حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ متعلّق بحرام او بمحذوف دلّ الكلام عليه او بلا يرجعون اى يستمرّ الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور أماراتها وهو فتح سدّ ياجوج وماجوج وهى حتّى الّتى يُحكى الكلام بعدها والمحكىّ هى الجملة الشرطيّة، وقرأ ابن عامر ويعقوب فُتِّحَتْ بالتشديد وَهُمْ يعنى ياجوج وماجوج او الناس كلّهم مِنْ كُلِّ حَدَبٍ نشز من الارض وقرئ جَدَثٍ وهو القبر يَنْسِلُونَ يُسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضمّ السين (٩٧) وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ وهو القيامة فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا جواب الشرط وإذا للمفاجأة تسُدّ مسدّ الفاء الجزائيّة كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكّد، والضمير للقصّة او مبهمٌ يفسّره الابصار يَا وَيْلَنَا مقدّر بالقول واقعٌ موقع الحال من الموصول قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا لم نعلم انّه حقّ بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ لانفسنا بالاخلال بالنظر والاعتداد بالنذر (٩٨) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ يحتمل الاوثان وابليس وأعوانه لانّهم بطاعتهم لهم فى حكم عبدتهم لما روى انّه عم لمّا تلا الآية على المشركين قال له ابن الزِّبَعْرَى قد خصمتُك وربِّ الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مُلَيْح عبدوا الملائكة فقال عم بل هم عبدوا الشياطين الّتى امرتهم بذلك فانزل اللّه تعالى انّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى الآية وعلى هذا يعمّ الخطاب ويكون مَا مأوّلا بمَنْ او بما يعمّه ويدلّ عليه ما روى انّ ابن الزِّبَعْرَى قال هذا شىء لآلهتنا خاصّة او لكلّ مَنْ عُبِد من دون اللّه فقال عم بل لكلّ مَنْ عُبِد من دون اللّه ويكون قوله انّ الّذين بيانا للتجوّز او التخصيص تأخّر عن الخطاب حَصَبُ جَهَنَّمَ ما يُرْمَى به اليها وتهيّج به من حَصَبَه يَحْصِبُه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ استيناف او بدل من حصب جهنّم، واللام معوّضة من عَلَى للاختصاص والدلالة على انّ ورودهم لاجلها (٩٩) لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا لانّ المؤاخذ بالعذاب لا يكون الها وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ لا خلاص لهم عنها (١٠٠) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ انين وتنفّس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكلّ للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ من الهول وشدّة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرّهم (١٠١) إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا ٱلْحُسْنَىٰ الخصلة الحسنى وهى السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنّة أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لانّهم يرفعون الى اعلى علّيّين روى انّ عليّا رضه خطب وقرأ هذه الآية ثمّ

جزء ١٧ ركوع ٧

قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسَعْد وسَعِيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجرّاح ثمّ اقيمت الصلوة فقام يجرّ رداءه ويقول (١٠٢) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وهو بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة فى ابعادهم عنها ، والحسيس صوت يُحَسّ به وَهُمْ فِيمَا ٱشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ دائمون فى غاية التنعّم وتقديمُ الظرف للاختصاص والاهتمام به (١٠٣) لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ النفخة الاخيرة لقوله تعالى ويومَ ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض او الانصراف الى النار او حين يُطْبَق على النار او يُذْبَح الموت وَتَتَلَقَّاهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ تستقبلهم مهنّئين هٰذَا يَوْمُكُمْ يوم ثوابكم وهو مقدّر بالقول ٱلَّذِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ فى الدنيا (١٠٤) يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَاءَ مقدّرٌ باذكرْ او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حالٌ مقدّرة من العائد المحذوف من توعدون ، والطىّ ضدّ النشر او المحْو من قولك اطْوِ عنّى هذا الحديث وذلك لانّها نُشرت مُظِلّة لبنى آدم فاذا انتقلوا قُوِّضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَابِ طيًّا كطىّ الطومار لاجل الكتابة او لما يُكْتَبُ او كُتب فيه ويدلّ عليه قراءة حمزة والكسائىّ وحفص على الجمع اى للمعانى الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجلّ مَلَك يطوى كتب الاعمال اذا رُفعت اليه او كاتب كان لرسول اللّه صلعم وقرئ ٱلسِّجْلِ كالدَّلْو وٱلسُّجُلِّ كالعُتُلّ وهما لغتان فيه كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ اى نعيد ما خلقناه مبتدأً اعادةً مثلَ بَدْئنا ايّاه فى كونهما ايجادا عن العدم او جمعا بين الاجزاء المتبدّدة والمقصودُ بيان صحّة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتىّ المصحّح للمقدوريّة وتناولِ القدرة القديمة لهما على السواء ، وما كافّة او مصدريّة واوّلَ مفعول لبدأنا او لفعل يفسّره نعيده او موصولة والكاف متعلّقة بمحذوف يفسّره نعيده اى نعيد مثل الّذى بدأناه واوّلَ خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف وَعْدًا مقدّر بفعله تأكيدا لنعيده او منتصب به لانّه عِدَةٌ بالاعادة عَلَيْنَا اى علينا انجازه إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ذلك لا محالة (١٠٥) وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ فى كتاب داود عم مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ اى التورية وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ أَنَّ ٱلْأَرْضَ ارض الجنّة او الارض المقدّسة يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّالِحُونَ يعنى عامّة المؤمنين او الّذين كانوا يُستضعفون مشارقَ الارض ومغاربها او امّة محمّد صلعم (١٠٦) إِنَّ فِى هٰذَا اى فيما ذُكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لَبَلَاغًا لكفايةً او لسببَ بلوغ الى البغية لِقَوْمٍ عَابِدِينَ همّهم العبادةُ دون العادة (١٠٧) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ لانّ ما بُعثت به سببٌ لاسعادهم وموجبٌ لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفّار أَمْنُهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال (١٠٨) قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ اى ما يوحى الىّ الّا انّه لا اله لكم الّا اله واحد وذلك لانّ المقصودَ الاصلىّ من بعثته مقصورٌ على التوحيد فالأُولى لقصر الحكم على الشىء والثانية على العكس فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ مخلصون العبادة للّه تعالى على مقتضى الوحى المصدّق بالحجّة وقد عرفتَ انّ

جزء ١٧ التوحيد ممّا يصحّ اثباته بالسمع (١٠٩) فَإِنْ تَوَلَّوْا عن التوحيد فَقُلْ آذَنْتُكُمْ اعلمتكم ما أُمرتُ به او
ركوع ٧ حربي لكم عَلَى سَوَآءٍ مستوين في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة
او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم انّي على سواء اى عدلٍ واستقامةِ رأى بالبرهان النيّر وَإِنْ أَدْرِي وما
ادرى أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ من غلبة المسلمين او الحشرِ لكنّه كائن لا محالة (١١٠) إِنَّهُ يَعْلَمُ
ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ من الإحَن والأحقاد
للمسلمين فيجازيكم عليه (١١١) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وما ادرى لعلّ تأخير جزائكم استدراج لكم
وزيادة في افتتانكم او امتحان لِيُنْظَر كيف تعملون وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ وتمتيع الى اجل مقدّر تقتضيه مشيئته
(١١٢) قُلْ رَبِّ ٱحْكُمْ بِٱلْحَقِّ اقضِ بيننا وبين اهل مكّة بالعدل المقتضى لاستعجال العذاب والتشديد
عليهم وقرأ حفص قَالَ على حكاية قول رسول الله صلعم وقرئ رَبُّ بالضمّ وربّي أَحْكَمُ على بناء التفضيل
وأَحْكَمَ من الإحكام وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمٰنُ كثير الرحمة على خلقه ٱلْمُسْتَعَانُ المطلوب منه المعونة عَلَى مَا تَصِفُونَ
من الحال بأنّ الشوكة تكون لهم وأنّ راية الاسلام تخفق ايّاما ثمّ تسكن وأنّ المُوعَد به لو كان حقّا
لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله فخيّب أمانيّهم ونصر رسوله عليهم وقرئ بالياء ، وعن النبيّ صلعم من
قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلّم عليه كلّ نبيّ ذُكر اسمه في القرآن •

سُورَةُ ٱلْحَجِّ

مكّيّة الّا ستّ آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد وآيها ثمان وسبعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٨ (١) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ تحريكها للاشياء على الاسناد المجازيّ او تحريك الاشياء
فيها فاضيفت اليها اضافةً معنويّةً بتقدير في او اضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به
وقيل هي زلزلة تكون قُبَيْل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانّها من أشراطها شَيْءٌ عَظِيمٌ
هائل علّل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوّروها بعقولهم ويعلموا انّه لا يُؤمنهم منها سوى التدرّع
بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويتّقوها بملازمة التقوى (٢) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ
تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويومَ منتصب بتذهل وقرئ تُذْهَلُ وتُذْهِلُ مجهولا ومعروفا اى تذهلها
الزلزلة والذهولُ الذهاب عن الامر بدهشة والمقصودُ الدلالةُ على انّ هولها بحيث اذا دهشت الّتي
القمت الرضيعَ ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه ، وما موصولة او مصدريّة وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا
جنينها وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَارَى كانّهم سكارى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى على الحقيقة وَلٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ

جزء ١٧
ركوع ٨

فأرهقهم هوله بحيث طيّر عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ تُرَى من أُرِيتُك قائما او رُوِيتَ قايما بنصب الناس ورفعه على انّه نائب مناب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لانّ الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انّما يراه كلّ احد على غيره وقرأ حمزة والكسائىّ سَكْرَى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل (٣) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ نزلت فى النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات اللّه والقران اساطير الاوّلين ولا بَعْثَ بعد الموت وهى تعمّه واضرابه وَيَتَّبِعُ فى المجادلة او فى عامّة احواله كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ متجرّد للفساد واصله العرى (٤) كُتِبَ عَلَيْهِ على الشيطان أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ تبعه والضمير للشأن فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ خبر لمَنْ او جواب له والمعنى كُتب عليه اضلالُ من يتولّاه لانّه جُبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشأنه أنّه يضلّه لا على العطف فانّه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر فى الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ بالحمل على ما يؤدّى اليه (٥) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ ٱلْبَعْثِ من امكانه وكونه مقدورا وقرئ مِنَ ٱلْبَعَثِ بالتحريك كالجلب فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ اى فانظروا فى بدء خلقكم فانّه يُزيح ريبكم فانّا خلقناكم مِنْ تُرَابٍ بخلق آدم منه او الاغذية الّتى يتكوّن منها المنىّ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ منىّ من النطف وهو الصبّ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ قطعة من الدم جامدة ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ قطعة من اللحم وهى فى الاصل قدرُ ما يُمضغ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ مسوّاة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسوّاة او تامّة وساقطة او مصوّرة وغير مصوّرة لِنُبَيِّنَ لَكُمْ بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأنّ ما قَبِلَ التغيّر والفساد والتكوّن مرّة قَبِلها اخرى وأنّ من قدر على تغييره وتصويره اوّلا قدر على ذلك ثانيا وحذفُ المفعول ايماء الى انّ افعاله هذه يتبيّن بها من قدرته وحكمته ما لا يُحيط به الذكر وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ أَنْ نُقِرَّهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى هو وقت الوضع وأدناه ستّة اشهر وأقصاه اربع سنين وقرئ وَنُقِرَّ بالنصب وكذا قوله ثُمَّ نُخْرِجَكُمْ طِفْلًا عطفا على نُبَيِّنَ كانّ خلقهم مدرّجا لغرضَيْن تبيين القدرة وتقريرهم فى الارحام حتّى يولدوا وينشـؤا ويبلغوا حدّ التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويُقِرُّ بالياء ونَقُرُّ من قررتُ الماء اذا صببته، وطفلا حال أُجريت على تأويل كلّ واحد او للدلالة على الجنس او لانّه فى الاصل مصدر ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ كمالكم فى القوّة والعقل جمع شِدّة كالأَنْعُم جمع نِعْمة كانّها شدّة فى الامور وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى عند بلوغ الاشدّ او قبله وقرئ يَتَوَفَّى اى يتوفّاه اللّه وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ليعود كهيئته الاولى فى اوان الطفوليّة من سخافة العقل وقلّة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه، والآية استدلال ثانٍ على امكان البعث بما يعتري

*

جزء ١٧ الانسان فى إسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادّة فانّ من قدر على ذلك قدر على نظائره وَتَرَى
ركوع ٨ ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ميّتة يابسة من هَمَدَت النارُ اذا صارت رمادا فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ تحرّكت
بالنبات وَرَبَتْ وانتفخت وقرئ وَرَبَأَتْ اى ارتفعت وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ من كلّ صنف بَهِيجٍ حسن
رائق، وهذه دلالة ثالثة كرّرها الله فى كتابه لظهورها وكونها مشاهدة (٦) ذَٰلِكَ اشارة الى ما ذكر من
خلق الانسان فى اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادّة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره
بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ اى بسبب انّه الثابت فى نفسه الّذى به تتحقّق الاشياء وَأَنَّهُۥ يُحْيِى ٱلْمَوْتَىٰ وانّه
يقدر على احيائها والّا لَما احيى النطفة والارض الميّتة وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ لانّ قدرته لذاته الّذى
نسبته الى الكلّ على سواء فلما دلّت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء
كلّها (٧) وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا فانّ التغيّر من مقدّمات الانصرام وطلائعه وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن
فِى ٱلْقُبُورِ بمقتضى وعده الّذى لا يقبل الخُلْف (٨) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ تكرير
للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ على انّه لا سَنَدَ له من استدلال او وحى
او الاوّل فى المقلّدين وهذا فى المقلِّدين، والمراد بالعلم الفطرىّ ليصحّ عطف الهدى والكتاب عليه
(٩) ثَانِىَ عِطْفِهِۦ متكبّرا وثَنْىُ العطف كناية عن التكبّر كلَىّ الجيد او معرضا عن الحقّ استخفافا به
وقرئ بفتح العين اى مانع تعطّفه لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ علّة للجدال وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس
بفتح الياء على انّ اعراضه عن الهدى المتمكّن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروجٌ من الهدى الى
الضلال وانّه من حيث مؤدّاه كالغرض له لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وهو ما اصابه يوم بدر وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ المُحْرِق وهو النار (١٠) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ على الالتفات او ارادة القول اى يقال له
يومَ القيامة ذلك الخزىُ والتعذيبُ بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ
ركوع ٩ وانّما هو مُجازٍ لهم على اعمالهم، والمبالغة لكثرة العبيد (١١) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ
على طَرَف من الدين لا ثبات له فيه كالّذى يكون على طرف الجيش فانْ احسّ بظفر قرّ والّا فرّ
فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ روى انّها نزلت فى اعاريب قدموا المدينة
فكان احدهم اذا صحّ بدنه ونُتجت فرسه مُهْرا سريّا وولدت امرأته غلاما سويّا وكثُر ماله وماشيته
قال ما اصبتُ منذ دخلت فى دينى هذا الّا خيرا واطمأنّ وان كان الامرُ بخلافه قال ما اصبتُ الّا شرّا
وانقلب وعن ابى سعيد انّ يهوديّا اسلمَ فأصابته مصايب فتشأّم بالاسلام فأتى النبىّ صلعم فقال
أَقِلْنى فقال انّ الاسلام لا يُقال فنزلت خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ
خَاسِرًا بالنصب على الحال والرفع على الفاعليّة ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على

جزء ١٧ ركوع ٩

انّه خبرُ محذوف ذٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ اذ لا خسران مثله (١٢) يَدْعُو مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ يعبد جمادا لا يضرّ بنفسه ولا ينفع ذٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَالُ ٱلْبَعِيدُ عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد فى التيه ضالّا (١٣) يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ بكونه معبودا لانّه يوجب القتل فى الدنيا والعذاب فى الآخرة أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ٱلّذى يُتوقّع بعبادته وهو الشفاعة والتوسّل بها الى اللّه تعالى ، واللامُ معلّقة ليدعو من حيث انّه بمعنى يزعم والزعمُ قول مع اعتقاد او داخلةٌ على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول اى يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او مستأنفةٌ على انّ يدعو تكرير للاوّل ومَن مبتدأٌ خبره لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ الناصر وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ الصاحب (١٤) إِنَّ ٱللّٰهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ إِنَّ ٱللّٰهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ من اثابة الموحّد الصالح وعقاب المشرك الطالح لا دافع له ولا مانع (١٥) مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ ٱللّٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ كلام فيه اختصار والمعنى انّ اللّه ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة فمن كان يظنّ خلاف ذلك ويتوقّعه من غيظه وقيل المرادُ بالنصر الرزق والضميرُ لِمَنْ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فليستقص فى ازالة غيظه او جزعه بأن يفعل كلّ ما يفعله الممتلئ غيظا او المبالغ جزعا حتّى يمدّ حبلا الى سماء بيته فيختنق من قَطَعَ اذا اختنق فانّ المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثمّ ليقطع به المسافة حتّى يبلغ عنانها فيجتهد فى دفع نصره او تحصيل رزقه فَلْيَنْظُرْ فليصوّر فى نفسه هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ فعله ذلك وسمّاه على الاوّل كيدا لانّه منتهى ما يقدر عليه مَا يَغِيظُ غيظه او الذى يغيظه مِنْ نصر اللّه وقيل نزلت فى قوم مسلمين استبطئوا نصر اللّه لاستعجالهم وشدّة غيظهم على المشركين (١٦) وَكَذٰلِكَ ومثل ذلك الانزال أَنْزَلْنَاهُ انزلنا القران كلّه آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ واضحات وَأَنَّ ٱللّٰهَ يَهْدِي ولانّ اللّه يهدى به او يثبّت على الهدى مَنْ يُرِيدُ هدايته او اثباته انزله كذلك مبينا (١٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّابِئِينَ وَٱلنَّصَارَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ ٱللّٰهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بالحكومة بينهم واظهار المُحِقّ منهم على المُبْطل او الجزاء فيجازى كلّا ما يليق به ويدخله المحلّ المُعَدّ له ، وانّما أُدْخلت انّ على كلّ واحد من طرفى الجملة لمزيد التأكيد إِنَّ ٱللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ عالم به مُراقب لاحواله (١٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللّٰهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ يتسخّر لقدرته ولا يتأتّى عن تدبيره او يدلّ بذلّته على عظمة مدبّره ، ومَنْ يجوز ان يعمّ أُولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَابُّ افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها ، وقرئ وَٱلدَّوَابُ بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ عطف عليها ان جوّز اعمالُ اللفظ الواحد فى كلّ واحد من مفهوميه واسناده

جزء ١٧ باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فانّ تخصيص الكثير يدلّ على خصوص المعنى المسند اليهم ركوع ٩ او مبتدأٌ خبرُه محذوف يدلّ عليه خبرُ قسيمه نحو حَقَّ له الثواب او فاعلُ فعل مضمر اى ويسجد له كثير من الناس سجودَ طاعة وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز أن يُجْعَل وكثير تكريرا للاوّل مبالغةً فى تكثير المحقوقين بالعذاب وأن يُعْطَف به على الساجدين بالمعنى العامّ موصوفا بما بعده ، وقرئ حُقَّ بالضمّ وحَقًّا باضمار فعله (١٩) وَمَنْ يُهِنِ ٱللَّهُ بالشقاوة فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ من الاكرام والاهانة (٢٠) هَٰذَانِ خَصْمَانِ اى فوجان مختصمان ولذلك قال ٱخْتَصَمُوا حملا على المعنى ولو عكس لجاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون فِى رَبِّهِمْ فى دينه او فى ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن احقّ بالله واقدمُ منكم كتابا ونبيًّا قبل نبيّكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنّا بمحمّد ونبيّكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبيّنا ثمّ كفرتم به حسدا فنزلت فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَصْلُ لخصومتهم وهو المعنىّ بقوله تعالى انّ الله يفصل بينهم يوم القيمة قُطِّعَتْ لَهُمْ قدّرت لهم على مقادير جثّتهم وقرئ بالتخفيف ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ نيران تحيط بهم احاطةَ الثياب يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ حال من الضمير فى لهم او خبر ثانٍ ، والحميم الماء الحارّ (٢١) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ اى يؤثّر من فرط حرارته فى باطنهم تأثيرَه فى ظاهرهم فتذاب به احشاؤهم كما تذاب به جلودهم ، والجملة حال من الحميم او من ضميرهم ، وقرئ بالتشديد للتكثير وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ سياط منه يُجْلَدون بها جمع مِقْمعة وحقيقتها ما يُقْمَع به اى يُكَفّ بعُنْف (٢٢) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا من النار مِنْ غَمٍّ من غمومها بدل من الهاء باعادة الجارّ أُعِيدُوا فِيهَا اى فخرجوا اعيدوا لانّ الاعادة لا تكون الّا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى اعلاها فيُضْرَبون بالمقامع فيَهْوُون فيها ركوع ١٠ وَذُوقُوا اى وقيل لهم ذوقوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ النار البالغة فى الاحراق (٢٣) إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ غيّر الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكّده بانّ احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم يُحَلَّوْنَ فِيهَا من حَلِيَت المرأة اذا لبست الحلى وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد مِنْ أَسَاوِرَ صفةُ مفعول محذوف وأساور جمع أَسْوِرة وهى جمع سِوار مِنْ ذَهَبٍ بيان له وَلُؤْلُؤًا عطف عليها لا على ذهب لانّه لم يُعْهَد السوار منه الّا أن يراد المرصّعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلّها او اضمارا لناصب مثل ويؤتون وترك ابو بكر والسوسىّ عن ابى عمرو الهمزة الاولى وروى حفص بهمزتين وقرئ لُؤْلُوًا بقلب الثانية واوا ولُولِيًا بقلبهما واوين ثمّ قلب الثانية ياء ولِيلِيًا بقلبهما ياءين ولُولٍ كأَدْلٍ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ غيّر اسلوب الكلام فيه للدلالة على انّ الحرير

ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل (٢٤) وَهُدُوا إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وهو قولهم الحمد لله جزء ١٧
ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَه او كلمة التوحيد وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْحَمِيدِ المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او ركوع ١٠
الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله سبحانه وتعالى وصراطه الاسلام (٢٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لا يريد به حالا ولا استقبالا وانّما يريد استمرار الصدّ منهم كقولهم فلان يعطى ويمنع
ولذلك حسن عطفه على الماضى وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر إنّ محذوف دلّ عليه آخر الآية
اى معذّبون وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ عطف على اسم الله اوّله الحنفيّة بمكّة واستشهدوا بقوله ٱلَّذِى جَعَلْنَاهُ
لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ اى المقيم والطارى على عدم جواز بَيْع دُورها واجارتها وهو مع
ضعفه معارَض بقوله تعالى ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا من ديارهم وشرى عُمَر رضه دار السجن فيها من غير نكير،
وسواءٌ خبر مقدّم والجملة مفعول ثانٍ لجعلناه ان جُعل للناس حالا من الهاء والّا فحال من المستكنّ فيه
ونصبه حفص على انّه المفعول او الحال والعاكفُ مرتفع به وقرئ ٱلْعَاكِفِ بالجرّ على انّه بدل من الناس
(٢٦) وَمَن يُرِدْ فِيهِ ممّا ترك مفعوله ليتناول كلّ متناوَل وقرئ بالفتح من الورود بِإِلْحَادٍ عدول عن
القصد بِظُلْمٍ بغير حقّ وهما حالان مترادفان والثانى بدل من الاوّل باعادة الجارّ او صلة له اى
مُلْحِدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ جواب لمَنْ (٢٧) وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ ركوع ١١
مَكَانَ ٱلْبَيْتِ اى واذكر اذ عيّنّاه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زائدة ومكانَ ظرف اى واذ انزلناه فيه
قيل رُفع البيت الى السماء وانطمس ايّام الطوفان فاعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه
على اسّه القديم أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ أن مفسّرة
لبوّأنا من حيث انّه تضمّن معنى تعبّدنا لانّ التبوئة من اجل العبادة او مصدريّة موصولة بالنهى
اى فعلنا ذلك لئلّا تشرك بعبادتى وتطهّر بيتى من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلّى فيه ولعلّه عبّر
عن الصلوة باركانها للدلالة على انّ كلّ واحد منها مستقلّ باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعتْ،
وقرئ يُشْرِكْ بالياء وقرأ نافع وحفص وهشام بَيْتِىَ بفتح الياء (٢٨) وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ نادِ فيهم وقرئ
وَآذِنْ بِٱلْحَجِّ بدعوة الحجّ والامر به روى انّه صعد ابا قُبَيْس فقال يا ايّها الناس حُجّوا بيتَ ربّكم
فاسمعه الله من فى اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممّن سبق فى علمه ان يحجّ
وقيل الخطاب لرسول الله صلعم أُمر بذلك فى حجّة الوداع يَأْتُوكَ رِجَالًا مُشاة جمع راجل كقائم وقيام
وقرئ بضمّ الراء مخفّف الجيم ومثقّله ورُجَالَى كعُجالَى وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ اى وركبانا على كلّ بعير مهزول
اتعبه بُعْد السفر فهزله يَأْتِينَ صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأْتُونَ صفة للرجال والركبان او
استئناف فيكون الضمير للناس مِن كُلِّ فَجٍّ طريق عَمِيقٍ بعيد وقرئ مَعِيق يقال بئر بعيدة العُمْق

والمُعْتَق بمعنى (٢٩) لِيَشْهَدُوا ليحضروا مَنَافِعَ لَهُمْ دينيّة ودنيويّة وتنكيرها لانّ المراد بها نوع من المنافع جزء ١٧
مخصوص بهذه العبادة وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنّى بالذكر ركوع ١١
عن النحر لانّ ذبح المسلمين لا ينفكّ عنه تنبيهًا على انّه المقصود ممّا يُتقرّب به الى اللّه تعالى فِي أَيَّامٍ
مَعْلُومَاتٍ هي عشر ذى الحجّة وقيل ايّام النحر عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَامِ علّق الفعل بالمرزوق
وبيّنه بالبهيمة تحريضا على التقرّب وتنبيها على مقتضى الذكر فَكُلُوا مِنْهَا من لحومها امر بذلك اباحةً
وازاحةً لما عليه اهل الجاهليّة من التحرّج فيه او ندبًا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا فى المتطوّع
به دون الواجب وَأَطْعِمُوا ٱلْبَائِسَ الّذى اصابه بؤس اى شدّة ٱلْفَقِيرَ المحتاج والامرُ فيه للوجوب وقد
قيل به فى الاوّل (٣٠) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ثمّ ليزيلوا وسخهم بقصّ الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد
عند الاحلال وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ما ينذرون من البرّ فى حجّهم وقيل مواجب الحجّ وقرأ ابو بكر بفتح
الواو وتشديد الفاء وَلْيَطَّوَّفُوا طواف الركن الّذى به تمام التحلّل فانّه قرينة قضاء التفث وقيل
طواف الوداع وقرأ ابن عامر وحده بكسر اللام فيهما بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ القديم لانّه اوّل بيت وُضع
للناس او المُعْتَق من تسلّط الجبابرة فكم من جبّار سار اليه ليهدمه فمنعه اللّه وأمّا الحجّاج فانّما
قصد اخراج ابن الزُبَيْر منه دون التسلّط عليه (٣١) ذَٰلِكَ خبرُ محذوف اى الامر ذلك وهو وامثاله تُطْلَق
للفصل بين كلامين وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ ٱللَّهِ أحكامه وسائر ما لا يحلّ هتكه او الحَرَم وما يتعلّق بالحجّ
من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمُحْرِم فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ فالتعظيم
خير له عِنْدَ رَبِّهِ ثوابا وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ الّا المتلوّ عليكم تحريمه وهو ما حُرّم
منهـا لعارض كالميتة ومـا أُهِلّ به لغير اللّه فلا تحرّموا منها غير ما حرّمه اللّه كالبحيرة والسائبة
فَٱجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَانِ الرجس الّذى هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة فى
النهى عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها وَٱجْتَنِبُوا قَوْلَ ٱلزُّورِ تعميم بعد تخصيص فانّ عبادة الاوثان
رأس الزور كانّه لمّا حثّ على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردًّا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر
والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على اللّه بانّه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انّه عم قال
عَدَلَتْ شهادةُ الزور الاشراكَ باللّه ثلاثا وتلا هذه الآية والزُور من الزَوْر وهو الانحراف كما انّ الإفك من
الأَفْك وهو الصرف فانّ الكذب منحرف مصروف عن الواقع (٣٢) حُنَفَاءَ لِلَّهِ مُخْلصين له غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ
وهما حالان من الواو وَمَنْ يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَاءِ لانّه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر
فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ فانّ الاهواء المُرْدِية توزّع افكاره وقرأ نافع وحده فَتَخَطَّفُهُ بفتح الخاء وتشديد الطاء
أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ بعيد فانّ الشيطان قد طوّح به فى الضلالة ، وأَوْ للتخيير كما
فى قوله او كصيّب او للتنويع فانّ من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة

لكن على بُعْد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركّبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت جزء ١٧
نفسه هلاكا يُشبه احدَ الهلاكيْن (٣٣) ذٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ ٱللّٰهِ دين الله او فرائض الحجّ ومواضع ركوع ١١
نسكه او الهدايا لانّها من معالم الحجّ وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمُها ان يختارها حِسانا سِمانا
غالية الاثمان روى انّه عم اهدى مائة بدنة فيها جمل لأبى جهل فى انفه بُرة من ذهب وانّ عمر رضه
اهدى نجيبة طُلبت منه بثلثمائة دينار فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ فانّ تعظيمها منه من افعال ذوى
تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى مَنْ ، وذكر القلوب لانّها منشأ التقوى والفجور او
الآمرة بهما (٣٤) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ اى لكم فيها منافع دَرّها
ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تُنْحَر ثمّ وقت نحرها منتهيةً الى البيت اى ما يليه من الحرَم وثُمّ
تحتمل التراخى فى الوقت والتراخى فى الرتبة اى لكم فيها منافع دنيويّة الى وقت النحر وبعده منافع
دينيّة اعظم منها وهو على الاوّلين امّا متّصل بحديث الأنعام والضميرُ فيه لها او المراد على الاوّل لكم
فيها منافع دينيّة تنتفعون بها الى اجل مسمّى هو الموت ثمّ محلّها منتهية الى البيت الّذى ترفع اليه
الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنّة وعلى الثانى لكم فيها منافع التجارات فى
الاسواق الى وقت المراجعة ثمّ وقت الخروج منها منتهيةً الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة (٣٥) وَلِكُلِّ ركوع ١٢
أُمَّةٍ ولكلّ اهل دين جَعَلْنَا مَنْسَكًا متعبّدا او قربانا يتقرّبون به الى الله وقرأ حمزة والكسائى بالكسر
اى موضع نسك لِيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللّٰهِ دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علّل الجعل به تنبيها على انّ
المقصود من المناسك تذكّر المعبود عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَامِ عند ذبحها وفيه تنبيه على انّ
القربان يجب ان يكون نَعَما فَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا اخلصوا التقرّب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك
وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ المتواضعين او المخلصين فانّ الاخبات صفتهم (٣٦) ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
هيبةً منه لاشراق اشعّة جلاله عليها وَٱلصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ من الكُلَف والمصائب وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلٰوةِ
فى اوقاتها وقرئ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلٰوةَ على الاصل وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فى وجوه الخير (٣٧) وَٱلْبُدْنَ جمع
بَدَنة كخُشْب وخَشَبة وأصله الضمّ وقد قرئ به وانّما سمّيت به الابل لعظم بدنها مأخوذة من بَدُنَ
بدانةً ولا يلزم من مشاركة البقر لها فى إجزائها عن سبعة بقوله عم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة
تناوُل اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابُه بفعل يفسّره جَعَلْنَاهَا لَكُمْ ومَن رفعه
جعله مبتدأ مِنْ شَعَائِرِ ٱللّٰهِ من اعلام دينه الّتى شرعها الله تعالى لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ منافع دينيّة ودنيويّة
فَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللّٰهِ عَلَيْهَا بأن تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الّا الله والله اكبر اللّهمّ منك واليك صَوَافَّ
قائمات قد صففن ايديهنّ وارجلهنّ وقرئ صَوَافِنَ من صَفَنَ الفرسُ اذا قام على ثلاث وطرفِ سنبك
الرابعة لانّ البدنة تُعْقَل احدى يَدَيْها فتقوم على ثلاث وصَوَافِنًا بابدال التنوين من حرف الاطلاق

جزء ١٧ عند الوقف وصَوَافِيَ اى خوالص لوجه اللّه وصَوَافٍ على لغة من يسكّن الياء مطلقا كقولهم أَعْطِ ركوع ١٢ القوسَ باريها فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا سقطت على الارض وهو كناية عن الموت فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْقَانِعَ الراضى بما عنده وبما يُعْطَى من غير مسألة ويؤيّده انّه قرئ ٱلْقَنِعَ او السائلَ من قَنَعْتُ اليه قنوعا اذا خضعت له فى السؤال وَٱلْمُعْتَرَّ والمتعرّض بالسؤال وقرئ وَٱلْمُعْتَرِيَ يقال عرّه وعراه واعترّه واعتراه كَذٰلِكَ مثل ما وصفنا من نحرها قياما سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ مع عظمها وقوّتها حتّى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافّة قوائمها ثمّ تطعنوا فى لبّاتها لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إنعامَنا عليكم بالتقرّب والاخلاص (٣٨) لَنْ يَنَالَ ٱللّٰهَ لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقعَ القبول لُحُومُهَا المتصدَّق بها وَلَا دِمَاؤُهَا المهراقة بالنحر من حيث انّها لحوم ودماء وَلٰكِنْ يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَى مِنْكُمْ ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم الّتى تدعوكم الى تعظيم امر اللّه والتقرّب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهليّة اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قُرْبَةً الى اللّه تعالى فهمّ به المسلمون فنزلت كَذٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ كرّره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لِتُكَبِّرُوا ٱللّٰهَ اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيرُه فتوحّدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفيّة التقرّب بها ، وما تحتمل المصدريّة والخبريّة ، وعَلَى متعلّقة بتكبّروا لتضمّنه معنى الشكر وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ المخلصين فيما يأتونه ويذرونه (٣٩) إِنَّ ٱللّٰهَ يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا غائلةَ المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيّون يُدَافِعُ اى يبالغ فى الدفع مبالغةَ من يغالب فيه إِنَّ ٱللّٰهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ

ركوع ١٣ خَوَّانٍ فى امانة اللّه كَفُورٍ لنعمته كمن يتقرّب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضى فعلهم ولا ينصرهم (٤٠) أُذِنَ رُخِّصَ وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائىّ على البناء للفاعل وهو اللّه لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ المشركين والمأذونُ فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اى للّذين يقاتلهم المشركون بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا بسبب انّهم ظلموا وهم اصحاب رسول اللّه صلعم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلّمون اليه فيقول لهم اصبروا فانّى لم أُومَر بالقتال حتّى هاجر فأُنزلت وهى اوّل آية نزلت فى القتال بعد ما نُهى عنه فى نيّف وسبعين آية وَإِنَّ ٱللّٰهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفّار عنهم (٤١) ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يعنى مكّة بِغَيْرِ حَقٍّ بغير موجب استحقّوه به إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللّٰهُ على طريقة قول النابغة

ولا عَيْبَ فيهم غير انّ سيوفهم بهنّ فُلولٌ من قِراع الكتائب

وقيل منقطع وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللّٰهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لَهُدِّمَتْ لخُرِّبت باستيلاء المشركين على اهل المِلَل ، وقرئ دِفَاعُ وقرأ نافع وابن كثير لَهُدِمَتْ بالتخفيف صَوَامِعُ صوامع

الرهبانية وَبِيَعٌ وبيع النصارى وَصَلَوَاتٌ وكنائس اليهود سُمّيت بها لانّها يصلّى فيها وقيل اصلها صلوتا جزء ١٧
بالعبرية فعرّبت وَمَسَاجِدُ ومساجد المسلمين يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا صفة للاربع او للمساجد ركوع ١٣
خُصّت بها تفضيلا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُ من ينصر دينه وقد انجز وعده بأن سلّط المهاجرين والانصار
على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ على نصرهم عَزِيزٌ لا
يمانعه شيء (٤٢) ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وصفٌ للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحّة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك
غيرهم من المهاجرين وقيل بدل من مَن ينصره وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ فانّ مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد
لما وعده (٤٣) وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ
تسلية له عم بأنّ قومه ان كذّبوه فهو ليس بأوحديّ في التكذيب فانّ هؤلاء قد كذّبوا رسلهم قبل قومه
وَكُذِّبَ مُوسَىٰ غيّر فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لانّ قومه بنو اسرائيل ولم يكذّبوه وانّما كذّبه القبط
ولانّ تكذيبه كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ فأمهلتهم حتى انصرمت آجالهم
المقدّرة ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ انكارى عليهم بتغيير النعمة محنةً والحيوة هلاكًا والعمارة خرابا
(٤٤) فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا باهلاك اهلها وقرأ البصريّان بغير لفظ التعظيم وَهِيَ ظَالِمَةٌ اى اهلها
فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ساقطةٌ حيطانها على سقوفها بأن تعطّل بنيانها فخرّت سقوفها ثمّ تهدّمت
حيطانها فسقطت فوق السقوف او خاليةٌ مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجارّ متعلّقا بخاوية
ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اى هي خالية وهي على عروشها اى مُطلّة عليها بأن سقطت وبقيت
الحيطان مائلة مُشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهي ظالمة فانّها حال والاهلاك ليس
حالَ خوائها فلا محلّ لها ان نصبتَ كأيّن بمقدّر يفسّره اهلكناها وان رفعتَه بالابتداء فمحلّها الرفع
وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ عطف على قرية اى وكم بئر عامرة في البوادى تُركت لا يُستقى منها لهلاك اهلها وقرئ
بالتخفيف من اعطله بمعنى عطّله وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ مرفوع او مجصّص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوّى
انّ معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئرٌ في سفح جبل بحضرموت وبقصر
قصرٌ مشرفٌ على قلّته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلمّا قتلوه اهلكهم الله وعطّلهما
(٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ حثّ لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المُهلَكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد
سافروا فلم يسافروا لذلك فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ما يجب ان يُعقل من التوحيد بما حصل لهم
من الاستبصار والاستدلال أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ما يجب ان يُسمع من الوحى والتذكير بحال من
شاهدوا آثارهم فَإِنَّهَا الضمير للقصّة او مُبهَم يفسّره الأبصار وفى تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه
لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ عن الاعتبار اى ليس الخلل في مشاعرهم وانّما

جزء ١٧ ايغت عقولهم باتّباع الهوى والانهماك فى التقليد وذكرُ الصدور للتأكيد ونفي التجوّز وفضلِ التنبيه
ركوع ١٣ على انّ العمى الحقيقىّ ليس المتعارَف الّذى يخصّ البصر ، قيل لمّا نزل ومن كان فى هذه اعمى قال ابن
امّ مكتوم يا رسول اللّه انا فى الدنيا اعمى افأكون فى الآخرة اعمى فنزلت (٤٦) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ
المتوعَّد به وَلَنْ يُخْلِفَ ٱللّٰهُ وَعْدَهُ لامتناع الخلف فى خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنّه
سبحانه صبورٌ لا يعجل بالعقوبة وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ بيان لتناهى صبره وتأنّيه
حتّى يستقصر المُدَد الطوال او لتمادى عذابه وطول ايّامه حقيقةً او من حيث انّ ايّام الشدائد
مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائىّ بالياء (٤٧) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ وكم من اهل قرية فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغةً فى التعميم والتهويل وانّما
عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لانّ الاولى بدل عن قوله فكيف كان نكير وهذه فى حكم ما تقدّمها من
الجملتين لبيانِ أنّ المتوعَّد به يحيق بهم لا محالة وأنّ تاخره لعادته تعالى أَمْلَيْتُ لَهَا كما امهلتكم
ركوع ١٤ وَهِيَ ظَالِمَةٌ مثلكم ثُمَّ أَخَذْتُهَا بالعذاب وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ والى حكمى مرجعُ الجميع (٤٨) قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ
إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أُوضح لكم ما أُنْذِركم به والاقتصار على الانذار مع عمومِ الخطاب وذكرِ
الفريقين لانّ صَدر الكلام ومساقه للمشركين وانّما ذُكر المؤمنون وثوابهم زيادةً فى غيظهم
(٤٩) فَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لما بدر منهم وَرِزْقٌ كَرِيمٌ هى الجنّة والكريم من كلّ نوع
ما يجمع فضائله (٥٠) وَٱلَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا بالردّ والابطال مُعَاجِزِينَ مسابقين مشاقّين للساعين فيها
بالقبول والتحقيق من عاجزه فأعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لانّ كلّا من المتسابقين يطلب اعجاز
الآخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو مُعَجِّزِينَ على انّه حالٌ مقدرة أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ
النار الموقدة وقيل اسم دركة (٥١) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ الرسول من بعثه اللّه بشريعة
مجدّدة يدعو الناس اليها والنبىّ يعمّه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بنى اسرائيل الّذين كانوا
بين موسى وعيسى ولذلك شبّه النبىّ صلعم علماء امّته بهم فالنبىّ اعمّ من الرسول ويدلّ عليه انّه عم
سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جمّا
غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبىّ غيرُ الرسول من لا كتاب له وقيل
الرسول من يأتيه الملك بالوحى والنبىّ يقال له ولمن يوحى اليه فى المنام إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ زوّر فى نفسه ما يهواه
أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فى تشهّيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عم وانّه لَيُغان على قلبى فأستغفر
اللّه فى اليوم سبعين مرّة فَيَنْسَخُ ٱللّٰهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ فيُبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه
والارشاد الى ما يزيحه ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللّٰهُ آيَاتِهِ ثمّ يثبّت آياته الداعية الى الاستغراق فى امر الآخرة وَٱللّٰهُ عَلِيمٌ
باحوال الناس حَكِيمٌ فيما يفعله بهم قيل حدّثت نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنّى لحرصه على

ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقرّبهم اليه واستمرّ به ذلك حتّى كان فى ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم جزء ١٧ فأخذ يقرأها فلمّا بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتّى سبق لسانه سهوا الى ان قال ركوع ١٤ تلك الغرانيق العُلى وإنّ شفاعتهنّ لترتجى ففرح به المشركون حتّى شايعوه بالسجود لمّا سجد فى آخرها بحيث لم يبْق فى المسجد مؤمن ولا مشرك الّا سجد ثمّ نبّهه جبريل فاغتمّ به فعزّاه اللّه بهذه الآية وهو مردود عند المحقّقين وإن صحّ فابتلاء يتميّز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنّى قرأ كقوله

تمنّى كتابَ اللّه اوّلَ ليله — تمنّيَ داودَ الزبورَ على رِسْلِ

وامنيّتُه قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلّم بذلك رافعا صوته بحيث ظنّ السامعون انّه من قراءة النبىّ وقد رُدّ بانّه ايضا يُخلّ بالوثوق بالقران ولا يندفع بقوله فينسخ اللّه ما يلقى الشيطان ثمّ يحكم اللّه آياته لانّه ايضا يحتمله والآية تدلّ على جواز السهو على الانبياء وتطرّق الوسوسة اليهم (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ علّة لتمكين الشيطان منه وذلك يدلّ على انّ المُلْقى امرٌ ظاهرٌ عرفه المحقّ والمبْطل فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ شكّ ونفاق وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ المشركين وَإِنَّ الظَّالِمِينَ يعنى الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ عن الحقّ او عن الرسول والمؤمنين (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ انّ القران هو الحقّ النازل من عند اللّه او تمكينَ الشيطان من الالقاء هو الحقّ الصادر من اللّه لانّه ممّا جرت به عادته فى الانس من لدن آدم عم فَيُؤْمِنُوا بِهِ بالقران او باللّه فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ بالانقياد والخشية وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِي الَّذِينَ آمَنُوا فيما اشكل إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحقّ فيه (٥٤) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ فى شكّ مِنْهُ من القران او الرسول او ممّا القى الشيطان فى امنيّته يقولون ما باله ذكرها بخير ثمّ ارتدّ عنها حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ القيامة او اشراطها او الموت بَغْتَةً فجأة أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ يوم حرب يُقتلون فيه كيوم بدر سُمّى به لانّ اولاد النساء يُقتلون فيه فيصِرْن كالعُقم او لانّ المقاتلين ابناء الحرب فاذا قُتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتّساعا او لانّه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تُنْشئ مطرا ولم تُلْقح شجرا او لانّه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيامة على انّ المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل (٥٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ التنوين فيه ينوب عن الجملة الّتى دلّت عليها الغاية اى يوم تزول مريتهم يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بالمجازاة والضمير يعمّ المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ وادخال الفاء فى خبر الثانى دون الاوّل تنبيه على انّ اثابة المؤمنين بالجنّات تفضّل من اللّه تعالى وانّ عقاب الكافرين مسبّب من اعمالهم فلذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم فى عذاب

جزء ١٧ (٥٧) وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا فى الجهاد أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا الجنّة ونعيمها

ركوع ١٥ وانّما سوّى بين من قُتل فى الجهاد ومن مات حَتْفَ انفه فى الوعد لاستوائهما فى القصد وأصل العمل روى انّ بعض الصحابة قالوا يا نبىّ اللّه هؤلاء الّذين قُتلوا قد علمنا ما اعطاهم اللّه من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا فنزلت وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ فانّه يرزق بغير حساب (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ هو الجنّة فيها ما يحبّونه وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ باحوالهم واحوال مُعاديهم حَلِيمٌ لا يعاجل فى العقوبة (٥٩) ذَٰلِكَ الامر ذلك وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ولم يزد فى الاقتصاص وانّما سمّى الابتداء بالعقاب الّذى هو الجزاء للازدواج او لانّه سببه ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ بالمعاودة الى العقوبة لَيَنْصُرَنَّهُ ٱللَّهُ لا محالة إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ للمنتصر حيث اتّبع هواه فى الانتقام واعرض عمّا ندب اللّه اليه بقوله وَلَمَنْ صبر وغفر إِنَّ ذلك لَمِنْ عَزْمِ الامور وفيه تعريضٌ بالحثّ على العفو والمغفرة فانّه سبحانه وتعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه لمّا كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيهٌ على انّه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الّا القادر على ضدّه (٦٠) ذَٰلِكَ اى ذلك النصر بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ بسبب انّ اللّه تعالى قادر على تغليب الامور بعضها على بعض جارٍ عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاجُ احد المَلَوَيْن فى الآخر بأن يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل فى مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطّلاعها وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ يسمع قول المعاقِب والمعاقَب بَصِيرٌ يرى افعالهما فلا يُهملهما (٦١) ذَٰلِكَ الوصف بكمال القدرة والعلم بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ الثابت فى نفسه الواجب لذاته وَحْدَه فانّ وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأً لكلّ ما يوجَد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهيّة ولا يَصْلح لها الّا من كان قادرا عالما وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فتكون الواو لمَا فانّه فى معنى الآلهة هُوَ ٱلْبَاطِلُ المعدوم فى حدّ ذاته او باطل الالوهيّة وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ على الاشياء ٱلْكَبِيرُ عن ان يكون له شريك لا شىء اعلى منه شأنا واكبر سلطانا (٦٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً استفهامُ تقرير ولذلك رُفع فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً عطفا على انزل اذ لو نُصب جوابا لَدلّ على نفى الاخضرار كما فى قولك الم تر انّى جئتك فتكرمَنى والمقصودُ إثباته وانّما عدل به عن صيغة الماضى للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ يَصل علمه او لطفه الى كلّ ما جلّ ودقّ خَبِيرٌ بالتدابير الظاهرة والباطنة (٦٣) لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ خلقا وملكا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ فى ذاته عن كلّ شىء ٱلْحَمِيدُ المستوجب للحمد بصفاته وافعاله

ركوع ١٦ (٦٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جعلها مذلّلة لكم معدّة لمنافعكم وَٱلْفُلْكَ عطف على مَا او

جزء ١٧ على اسمِ أنّ وقرئ بالرفع على الابتداء تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ حال منها او خبر وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَنْ تَقَعَ
ركوع ١٦ عَلَى ٱلْأَرْضِ من ان تقع او كراهةَ ان تقع بأن خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ الّا بمشيّته وذلك يومَ القيامة وفيه ردّ لاستمساكها بذاتها فانّها مساوية لسائر الاجسام فى الجسميّة فتكون قابلة للميل الهابط قبولَ غيرها إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ حيث هيّأ لهم اسباب الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضارّ (٦٥) وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ بعد ان كنتم جمادا عناصر ونُطَفا ثُمَّ يُمِيتُكُمْ اذا جاء اجلكم ثُمَّ يُحْيِيكُمْ فى الآخرة إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَكَفُورٌ لجحود للنعم مع ظهورها (٦٦) لِّكُلِّ أُمَّةٍ اهل دين جَعَلْنَا مَنسَكًا متعبّدا او شريعة تعبّدوا بها وقيل عيدا هُمْ نَاسِكُوهُ ينسكونه فَلَا يُنَازِعُنَّكَ سائرُ ارباب الملل فِى ٱلْأَمْرِ فى امر الدين او النسائك لانّهم بين جُهّال واهل عناد او لانّ امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهى الرسول عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدّية الى نزاعهم فانّها انّما تنفع طالب الحقّ وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربنّك زيدٌ وهذا انّما يجوز فى افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت فى كفّار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وقرئ فلا يَنزِعُنَّكَ على تهييج الرسول والمبالغة فى تثبيته على دينه على انّه من نازعته فنزعته اذا غلبته وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ الى توحيده وعبادته إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ طريق الى الحقّ سويّ (٦٧) وَإِن جَٰدَلُوكَ وقد ظهر الحقّ ولزمت الحجّة فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق (٦٨) ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كما فصل فى الدنيا بالحجج والآيات فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ من امر الدين (٦٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ فلا يخفى عليه شىء إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمّنّك امرهم مع علمنا به وحفظنا له إِنَّ ذَٰلِكَ انّ الاحاطة به واثباته فى اللوح او الحكم بينكم عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ لانّ علمه مقتضى ذاته المتعلّق بكلّ المعلومات على سواء (٧٠) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا حجّة تدلّ على جواز عبادته وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم مِن نَّصِيرٍ يقرّر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم (٧١) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا من القرآن بَيِّنَٰتٍ واضحات الدلالة على العقائد الحقّيّة والاحكام الالهيّة تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ الانكار لفرط نكيرهم للحقّ وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الّذين

جزء ١٧ كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشرّ يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يثبون
ركوع ١٩ ويبطشون بهم قل أفأنبئكم بشرّ من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او ممّا اصابكم
من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النّار اى هو النار كانّه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون
مبتدأ خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجرّ بدلا من شرّ فتكون
ركوع ١٧ الجملة استينافا كما اذا رفعت خبرا او حالا منها وبئس المصير النار (٧٢) يا أيّها النّاس ضرب مثل
بيّن لكم حال مستغربة او قصّة رائعة ولذلك سمّاها مثلا او جعل للّه مثل اى مثل فى استحقاق
العبادة فاستمعوا له للمثل او لشأنه استماع تدبّر وتفكّر إنّ الذين تدعون من دون الله يعنى الاصنام
وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاوّلين لن يخلقوا ذبابا
لا يقدرون على خلقه مع صغره لانّ لن بما فيها من تأكيد النفى دالّة على منافاة ما بين المنفىّ
والمنفىّ عنه ، والذباب من الذبّ لانّه يذبّ وجمعه أذبّة وذبّان ولو اجتمعوا له بجوابه المقدّر فى موضع
حال جىء بها للمبالغة اى لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين
وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جهّلهم غاية التجهيل بأن اشركوا الها قدر على المقدورات
كلّها وتفرّد بايجاد الموجودات بأسرها تماثيل هى اعجز الاشياء وبيّن ذلك بانّها لا تقدر على خلق اقلّ
الأحياء وأذلّها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقلّ الاذلّ وتعجز عن ذبّه عن نفسها
واستنقاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل
الذباب من الكوى فيأكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب ما
يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب او الصنم والذباب كانّه يطلبه
ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حقّقت وجدت الصنم اضعف بدرجات (٧٣) ما قدروا الله حقّ قدره
ما عرفوه حقّ معرفته حيث اشركوا به وسمّوا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة إنّ الله لقوىّ على
خلق الممكنات بأسرها عزيز لا يغلبه شىء وآلهتهم الّتى يعبدونها عاجزة عن اقلّها مقهورة من اذلّها
(٧٤) الله يصطفى من الملائكة رسلا يتوسّطون بينه وبين الانبياء بالوحى ومن النّاس يدعون سائرهم
الى الحقّ ويبلّغون اليهم ما نزل عليهم كانّه لمّا قرّر وحدانيّته فى الالوهيّة ونفى ان يشاركه غيره فى
صفاتها بيّن انّ له عبادا مصطفين للرسالة يتوسّل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله تعالى وهو اعلى
المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوّة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الّا ليقرّبونا
الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك إنّ الله سميع بصير مدرك للاشياء كلّها (٧٥) يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم عالم بواقعها ومترقّبها والى الله ترجع الامور واليه ترجع الامور كلّها لانّه مالكها

بالذات لا يُسْأَل عمّا يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يُسْأَلون (٧٦) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱرْكَعُوا وَٱسْجُدُوا جزء ١٧
فى صلاتكم امرهم بهما لانّهم ما كانوا يفعلونهما اوّل الاسلام او صلّوا وعبّر عن الصلوة بهما لانّهما اعظم ركوع ١٧
اركانها او اخضعوا للّه وخرّوا له سجّدا وَٱعْبُدُوا رَبَّكُمْ بسائر ما تعبّدكم به وَٱفْعَلُوا ٱلْخَيْرَ وتحرّوا ما
هو خير واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
اى افعلوا هذه كلّها وانتم راجون الفلاح غير متيقّنين له واثقين على اعمالكم ، والآية آية سجدة عندنا
لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عم فضلت سورة الحجّ بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها
(٧٧) وَجَاهِدُوا فِي ٱللَّهِ اى للّه ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس
وعنه عم انّه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حَقَّ جِهَادِهِ اى جهادا
فيه حقّا خالصا لوجهه فعكس وأضيف الحقّ الى الجهاد مبالغةً كقولك هو حقّ عالمٍ وأضيف الجهاد
الى الضمير اتّساعا او لانّه مختصّ باللّه من حيث انّه مفعول لوجه اللّه ومن اجله هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ اختاركم
لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعى اليه وفى قوله وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ
حَرَجٍ اى ضيق بتكليف ما يشتدّ القيامُ به عليكم اشارةٌ الى انّه لا مانع لهم عنه ولا عُذر لهم فى تركه
او الى الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث شقّ عليهم لقوله عم اذا امرتكم بشىء فأتوا منه ما
استطعتم وقيل ذلك بأن جعل لهم من كلّ ذنب مخرجا بأن رخّص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب
التوبة وشرع لهم الكفّارات فى حقوقه والأروش والديات فى حقوق العباد مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرٰهِيمَ منتصبة على
المصدر بفعل دلّ عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اى وسّع دينكم توسعةَ ملّة ابيكم او على
الاغراء او على الاختصاص ، وانّما جعله اباهم لانّه ابو رسول اللّه صلعم وهو كالاب لأمّته من حيث انّه
سبب لحياتهم الابديّة ووجودهم على الوجه المعتدّ به فى الآخرة او لانّ اكثر العرب كانوا من ذرّيّته
فغلّبوا على غيرهم هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ (٧٨) مِنْ قَبْلُ من قبل القران فى الكتب المتقدّمة وَفِي هٰذَا
وفى القران ، والضمير للّه ويدلّ عليه انّه قرئ اللّهُ سمّاكم او لابرٰهيم وتسميتهم مسلمين فى القران وان
لم تكن منه كانت بسبب تسميته من قبلُ فى قوله ومن ذرّيّتنا امّة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره
وفى هذا بيانُ تسميته ايّاكم مسلمين لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ يوم القيامة متعلّق بسمّاكم شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
بانّه بلّغكم فيدلّ على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيانِ من عصى
وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ بتبليغ الرسل اليهم فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتُوا ٱلزَّكَوٰةَ فتقرّبوا الى اللّه تعالى بانواع
الطاعات لما خصّكم بهذا الفضل والشرف وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ وثقوا به فى مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة
والنصرة الّا منه هُوَ مَوْلَاكُمْ ناصركم ومتولّى اموركم فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ هو اذ لا مثل له فى

جزء ١٧ الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه فى الحقيقة ' عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الحجّ أُعْطى من الاجر
ركوع ١٧ كحاجّةٍ حجّها وعمرةٍ اعتمرها بعددِ من حجّ واعتمر فيما مضى وفيما بقى ٠

قد تمّ بتيسير اللّه وتوفيقه المجلّد الاوّل
وسيتلوه ان شاء اللّه المجلّد الآخر

BEIDHAWII
COMMENTARIUS IN CORANUM
EX CODD. PARISIENSIBUS DRESDENSIBUS ET LIPSIENSIBUS

EDIDIT

INDICIBUSQUE INSTRUXIT

H. O. FLEISCHER

DR. THEOL. ET PHILOS. ET LL. OO. P. O. LIPS.

VOLUMEN I.

LIPSIAE, MDCCCXLVI

SUMTIBUS FRIDERICI CHRISTIANI GUILIELMI VOGELII.

TYPIS GUIL. VOGELII, FILII.

أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ

لِلْقَاضِي الْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ

نَاصِرِ الدِّينِ أَبِي سَعِيدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ

الْبَيْضَاوِيِّ

المجلّد الاوّل

سورة المؤمنين

مكيّة وآيها مائة وثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ قد فازوا بأمانيّهم وقَدْ تُثْبت المتوقّع كما انّ لمّا تنفيه وتدلّ على ثباته اذا جزء ١٨
دخلت على الماضى ولذلك تقرّبه من الحال ولما كان المؤمنون متوقّعين ذلك من فضل الله صُدّرت ركوع ١
بها بشارتهم ، وقرأ ورش عن نافع قَدَ افْلَحَ بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ أُفْلِحُوا على اكلونى البراغيث او على الإبهام والتفسير وأُفْلِحَ بالضمّ اجتزاء بالضمّة عن الواو وأُفْلِحَ على البناء للمفعول (٢) ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ خائفون من الله سبحانه وتعالى متذلّلون له مُلْزِمون ابصارَهم مساجدَهم روى أنّه عم كان يصلّى رافعا بصره الى السماء فلمّا نزلَتْ رمى ببصره نحو مسجده وأنّه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلبُ هذا لخشعت جوارحُه (٣) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ عمّا لا يعنيهم من قول او فعل مُعْرِضُونَ لما بهم من الجدّ ما شغلهم عنه وهو ابلغ من الّذين لا يَلْهون من وجوهٍ جَعْلِ الجملة اسميّةً وبناء الحكم على الضمير والتعبيرِ عنه بالاسم وتقديمِ الصلة عليه واقامةِ الاعراض مقام الترك ليدلّ على بعدهم عنه رأسا مباشرةً وتسبّبا وميلا وحضورا فانّ اصله ان يكون فى عَرْضٍ غيرِ عُرْضه وكذلك قوله (٤) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلوة ليدلّ على انّهم بلغوا الغاية فى القيام على الطاعات البدنيّة والماليّة والتجنّب عن المحرّمات وسائر ما توجب المروءةُ اجتنابَه ، والزكوة تقع على المعنى والعينِ والمرادُ الاوّلُ لانّ الفاعل فاعل الحدث لا المحلّ الّذى هو موقعه او الثانى على تقدير مضاف (٥) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ لا يبذلونها (٦) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ زوجاتهم او سُرّيّاتهم ، وعَلَى صلةٌ لحافظون من قولك احفظ علىّ عنانَ فرسى او حال اى حافظوها فى كافّة الاحوال الّا فى حال التزوّج او التسرّى او لفعلٍ دلّ عليه غير ملومين ، وانّما قال مَا اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ المِلْك اصلٌ شائعٌ فيه ، وافراد ذلك بعد تعميم قوله والّذين هم عن اللغو معرضون لانّ المباشرة اشهى الملاهى الى النفس واعظمها خطرا فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ

جزء ١٨ الضمير لحافظون او لمن دلّ عليه الاستثناء اى فان بذلوها لازواجهم او إمائهم فانّهم غير ملومين على
ركوع ١ ذلك (٧) فَمَنِ ٱبْتَغَى وَرَآءَ ذَٰلِكَ المستثنى فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ الكاملون فى العدوان (٨) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحقّ او الخلق رَاعُونَ قائمون بحفظها واصلاحها ، وقرأ ابن كثير هنا وفى المعارج لِأَمَانَتِهِمْ على الافراد لأمن الالباس او لانّها فى الاصل مصدر (٩) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ يواظبون عليها ويؤدّونها فى اوقاتها ، ولفظ الفعل فيه لما للصلوة من التجدّد والتكرّر ولذلك جمعه غيرُ حمزة والكسائىّ ، وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اوّلا فانّ الخشوع فى الصلوة غيرُ المحافظة عليها ، وفى تصدير الاوصاف وختمها بأمر الصلوة تعظيمٌ لشأنها (١٠) أُولَٰٓئِكَ الجامعون لهذه الصفات هُمُ ٱلْوَارِثُونَ الاحقاء بأن يسمّوا ورّاثا دون غيرهم (١١) ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهى مستعارة لاستحقاقهم الفردوسَ من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغةً فيه وقيل انّهم يرثون من الكفّار منازلهم فيها حيث فوّتوها على انفسهم لانّه سبحانه وتعالى خلق لكلّ انسان منزلا فى الجنّة ومنزلا فى النار هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ انّث الضمير لانّه اسم للجنّة او لطبقتها العليا (١٢) وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن سُلَٰلَةٍ من خلاصة سُلّت من بين الكدر مِّن طِينٍ متعلّق بمحذوف لانّه صفة لسلالة ومن بيانيّة او بمعنى سلالة لانّها فى معنى مسلولة فتكون ابتدائيّة كالاولى ، والانسان آدم عم خُلق من صَفْوة سُلّت من الطين او الجنس فانّهم خُلقوا من سلالات جُعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانّه خلق منه والسلالة نطفته (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ ثمّ جعلنا نسله فحذف المضاف نُطْفَةً بأن خلقناه منها او ثمّ جعلنا السلالة نطفة وتذكيرُ الضمير على تأويل الجوهرِ او المسلولِ او الماء فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ مستقرّ حصين يعنى الرحم وهو فى الاصل صفة للمستقرّ وصف به المحلّ للمبالغة كما عبّر عنه بالقرار (١٤) ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً بأن احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فصيّرناها قطعة لحم فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا بأن صلّبناها فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ممّا بقى من المضغة او ممّا انبتنا عليها ممّا يصل اليها ، واختلافُ العواطف لتفاوت الاستحالات والجمعُ لاختلافها فى الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الآخر ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ وهو صورة البدن او الروحُ او القُوَى بنفخة فيه او المجموعُ ، وثمّ لما بين الخلقين من التفاوت ، واحتجّ به ابو حنيفة على انّ من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانّه خلقٌ آخر فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ فتعالى شأنه فى قدرته وحكمته أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ المقدّرين تقديرا فحذف المميّز لدلالة الخالقين عليه (١٥) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الّذى للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به (١٦) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ للمحاسبة والمجازاة (١٧) وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ سموات لانّها طُورِق بعضها فوق بعض مطارقة النعل بالنعل وكلّ ما فوقه

مثله فهو طريقه او لانّها طُرُق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ عن ذلك جزء ١٨
المخلوق الّذى هو السموات او عن جميع المخلوقات غَافِلِينَ مُهْمِلِين أَمْرَهَا بل نحفظها عن الزوال ركوع ١
والاختلال وندبّر امرها حتّى تبلغ منتهى ما قُدّر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلّقت به المشيئة (١٨) وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ بتقدير يكثر نفعه ويقلّ ضرّه او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فَأَسْكَنَّاهُ فجعلناه ثابتا مستقرّا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذّر استنباطه لَقَادِرُونَ كما كنّا قادرين على انزاله ، وفى تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة فى الايعاد به ولذلك جُعل ابلغ من قوله قل ارأيتم إِنْ أَصْبَحَ ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين (١٩) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ بالماء جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فى الجنّات فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ تتفكّهون بها وَمِنْهَا ومن الجنّات ثمارها وزروعها تَأْكُلُونَ تغذّيا او ترتزقون وتحصّلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حِرْفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اى لكم فى ثمراتها انواعٌ من الفواكه الرُّطَبُ والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه (٢٠) وَشَجَرَةً عطف على جنّات وقرئت بالرفع على الابتداء اى وممّا انشأنا لكم به شجرةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَآءَ جبل موسى بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طورُ سِينِينَ ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركّب منهما عَلَمٌ له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للألف لانّه فيعال كديماس من السَّنَاء بالمدّ وهو الرفعة او بالقصر وهو النور , او مُلْحَقٌ بفِعْلال كعِلْباء من السين اذ لا فِعْلاء بألف التأنيث بخلاف سَيْنَآءَ على قراءة الكوفيّين والشاميّ ويعقوب فانّه فَيْعال ككَيْسان او فَعْلاء كصَحْراء لا فَعْلال اذ ليس فى كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ اى تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان يكون الباء صلة معدّية لتنبت كما فى قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب فى رواية تُنْبِتُ وهو امّا من انبت بمعنى نبت كقول زهير

رأيتُ ذوى الحاجات عند بيوتهم   قَطِينا لهم حتّى اذا أَنْبَتَ البقلُ

او على تقدير تُنْبِت زيتونَها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاوّل وتُثْمِرُ بِٱلدُّهْنِ وتَخْرُجُ بِٱلدُّهْنِ وتُخْرِجُ ٱلدُّهْنَ وتَنْبُتُ بِٱلدِّهَانِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ عطف على الدهن جارٍ على إعرابه عَطْفَ احدِ وصفَي الشىء على الآخر اى تنبت بالشىء الجامع بين كونه دهنا يُدْهَن به ويُسْرَج منه وكونه اداما يُصْبَغ فيه الخبز اى يغمس فيه للائتدام وقرئ وَصِبَاغٍ كدباغ فى دبغ (٢١) وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً تعتبرون بحالها وتستدلّون بها نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا من الالبان او من العلف فانّ اللبن يتكوّن منه فمِنْ للتبعيض او للابتداء وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ فى ظهورها واصوافها وشعورها

جزء ۱۸ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ فتنتفعون باعيانها (۲۲) وَعَلَيْهَا وعلى الانعام فانّ منها ما يُحْمَل عليه كالابل والبقر وقيل
رکوع ۱ المراد الابل لانّها هى المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانّها سفائن البرّ قال ذو الرمّة ٭ سفينة برّ
تحت خدّى زمامها ٭ فيكون الضمير فيه كالضمير فى وبعولتهنّ احقّ بردّهنّ وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ
رکوع ۲ فى البرّ والبحر (۲۳) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ الى آخر القصص مسوق لبيان
كفران الناس ما عدّد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ استيناف
لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائى غَيْرِهِ بالجرّ على اللفظ أَفَلَا تَتَّقُونَ افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه
فيهلككم ويعذّبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نِعَمَه التى لا تحصونها (۲۴) فَقَالَ ٱلْمَلَأُ
الاشراف ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لعوامّهم مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ان يطلب الفضل
عليكم ويسودكم وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ ان يرسل رسولا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً رسلا مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِى آبَائِنَا ٱلْأَوَّلِينَ
يعنون نوحا اى ما سمعنا به انّه نبىّ او ما كلّمهم به من الحثّ على عبادة اللّه سبحانه وتعالى ونفى إله
غيره او من دعوى النبوّة وذلك امّا لفرط عنادهم او لانّهم كانوا فى فترة متطاولة (۲۵) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
بِهِ جِنَّةٌ اى جنون ولاجله يقول ذلك فَتَرَبَّصُوا بِهِ فاحتملوه وانتظروا حَتَّى حِينٍ لعلّه يفيق من جنونه
(۲۶) قَالَ بعد ما ايس من ايمانهم رَبِّ ٱنْصُرْنِى باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بِمَا كَذَّبُونِ
بدل تكذيبهم ايّاى او بسببه (۲۷) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا بحفظنا نحفظه أن تخطئ فيه
او يفسد عليك مفسد وَوَحْيِنَا وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا بالركوب او نزول العذاب
وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ روى انّه قيل لنوح اذا فار الماء من التنّور فاركب انت ومن معك فلمّا نبع الماء منه
اخبرته امرأته فركب ومحلّه فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل ممّا يلى باب كندة وقيل عين وردة
من الشأم وفيه وجوه اخر ذكرتها فى هود (۲۸) فَٱسْلُكْ فِيهَا فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره
قال تعالى ما سلككم فى سقر مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ من كلّ امّتى الذكر والانثى واحدين مزدوجين
وقرأ حفص مِنْ كُلٍّ بالتنوين اى من كلّ نوع زوجين واثنين تأكيد وَأَهْلَكَ وأهل بيتك او من آمن
معك إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ اى القول من اللّه باهلاكه لكفره وانّما جىء بعلى لانّ السابق
ضارّ كما جىء باللام حيث كان نافعا فى قوله انّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى وَلَا تُخَاطِبْنِى فِى
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بالدعاء لهم بالانجاء إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى ومن هذا شأنه لا
يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله (۲۹) فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنْتَ
وَمَنْ مَعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّانَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ كقوله فقطع دابر القوم الّذين ظلموا

والحمد لله رب العالمين (٣٠) وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي في السفينة او في الارض مُنْزَلًا مُبَارَكًا يتسبّب لمزيد الخير في جزء ١٨
الدارين على قراءة ابى بكر وقرئ مَنْزِلًا بمعنى انزالا او موضع انزال وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْمُنْزِلِينَ ثناء مطابق ركوع ٢
لدعائه أَمَرَه بأن يشفعه به مبالغة فيه وتوسّلا به الى الاجابة وانّما افرده بالامر والمعلّق به أن يستوى
هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بانّ في دعائه مندوحة عن دعائهم فانّه يحيط بهم (٣١) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
فيما فعل بنوح وقومه لَآيَاتٍ يستدلّ بها ويعتبر اولو الاستبصار والاعتبار وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ لمصيبين قوم
نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات ، وإنْ هي المخفّفة واللامُ هي الفارقة (٣٢) ثُمَّ أَنْشَأْنَا
مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ هم عاد او ثمود (٣٣) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ هو هود او صالح ، وانّما جعل
القرن موضع الارسال ليدلّ على انّه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانّما اوحى اليه وهو بين اظهرهم
أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ تفسير لأرسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله أَفَلَا تَتَّقُونَ
عذاب الله (٣٤) وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لعلّه ذُكر بالواو لانّ كلامهم لم يتّصل بكلام الرسول ركوع ٣
بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ ٱلْآخِرَةِ بلقاء ما فيها من
الثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث وَأَتْرَفْنَاهُمْ ونعمناهم فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا بكثرة الاموال
والاولاد مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ في الصفة والحال يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ (٣٥) مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ
تقرير للمماثلة وما خبريّة والعائد الى الثانى منصوب محذوف او مجرور حُذف مع الجارّ لدلالة ما قبله
عليه (٣٦) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ فيما يأمركم إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ حيث اذللتم انفسكم وإذًا جزاء
للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه (٣٧) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا مجرّدة عن
اللحوم والاعصاب أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ من الاجداث او من العدم تارةً اخرى الى الوجود ، وأنّكم تكرير
للاوّل أُكّد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انّكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدّم او فاعلٌ
للفعل المقدّر جوابا للشرط والجملة خبر الاوّل اى أنّكم اخراجكم اذا متّم او أنّكم اذا متّم وقع اخراجكم
ويجوز ان يكون خبر الاوّل محذوفا لدلالة خبر الثانى عليه لا ان يكون الظرف لانّ اسمه جثّة
(٣٨) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ بَعُدَ التصديق او الصحّة لِمَا تُوعَدُونَ او بَعُدَ ما توعدون واللامُ للبيان كما في
هَيْتَ لك كانّهم لمّا صوّتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات
بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منوّنا للتنكير وبالضمّ منوّنا على انّه جمع
هَيْهة وغيرَ منوّن تشبيها بقبلُ وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء
(٣٩) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا اصله ان الحيوة الّا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقامَ الاولى لدلالة الثانية
عليها حذرا عن التكرير واشعارا بانّ تعيّنها مغنٍ عن التصريح بها كقوله ٭ هي النفسُ ما حمّلتها

جزء ١٨ ركوع ٣

تتحمّل • ومعناه لا حيوة الّا هذه الحيوة لانّ إنْ نافية دخلت على هى الّتى فى معنى الحيوة الدالّة على الجنس فكانت مثل لَا الّتى تنفي ما بعدها نفيَ الجنس نَمُوتُ وَنَحْيَا يموت بعضنا ويولد بعض وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ بعد الموت (٤٠) إِنْ هُوَ ما هو إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللّٰهِ كَذِبًا فيما يدّعيه من ارساله له وفيما يعدنا من البعث وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ بمصدّقين (٤١) قَالَ رَبِّ ٱنْصُرْنِي عليهم وانتقمْ لى منهم بِمَا كَذَّبُونِ بسبب تكذيبهم ايّاى (٤٢) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عن زمان قليل وَمَا صلةٌ لتوكيد معنى القلّة او نكرةٌ موصوفة لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ على التكذيب اذا عاينوا العذاب (٤٣) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدّعت منها قلوبهم فماتوا واستُدِلّ به على انّ القرن قومُ صالح بِٱلْحَقِّ بالوجه الثابت الّذى لا دافع له او بالعدل من اللّه كقولك فلان يقضى بالحقّ او بالوعد الصدق فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَآءً شبّههم فى دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادى لمن هلك فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ يحتمل الاخبار والدعاء وبُعْدًا مصدرُ بَعِدَ اذا هلك وهو من المصادر الّتى تُنْصَب بافعال لا يُسْتعمل اظهارها واللامُ لبيانِ من دُعى عليه بالبعد ، ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل (٤٤) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ هى قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (٤٥) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا الوقت الّذى حُدّ لهلاكها ، ومِنْ مريدةٌ للاستغراق وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ الاجلَ (٤٦) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى متواترين واحدا بعد واحد من الوِتْر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتَوْلَج وتَيْقُور والألف للتأنيث لانّ الرسل جماعة وقرأ ابو عمرو وابن كثير بالتنوين على انّه مصدر بمعنى المواترة وقع حالا وأماله حمزة وابن عامر والكسائىّ كُلَّمَا جَآءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ اضافة الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجىء الى المرسَل اليهم لانّ الارسال الّذى هو مبدأ الامر منه والمجىء الّذى هو منتهاه اليهم فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا فى الاهلاك وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ لم نُبْقِ منهم الّا حكايات يُسْمَر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهى ما يُتحدّث به تلهّيا فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٧) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هٰرُونَ بِآيَاتِنَا بالآيات التسع وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ وحجّة واضحة مُلْزِمة للخصم ويجوز أن يراد به العصا وافرادها لانّها اوّل المعجزات وأُمّها تعلّقت بها معجزات شتّى كانقلابها حيّة وتلقّفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعةً وشجرةً خضراء مثمرة ورِشاءً ودَلْوًا وأن يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وأن يراد بهما المعجزات فانّها آيات للنبوّة وحجّة بيّنة على ما يدّعيه النبىّ (٤٨) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَٱسْتَكْبَرُوا عن الايمان والمتابعة وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ متكبّرين (٤٩) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ثنّى البشر لانّه يطلق للواحد كقوله بشرا سويّا كما يطلق للجمع كقوله فامّا ترينّ من البشر احدا ولم يثنّ المثل لانّه فى حكم المصدر ، وهذه القصص كما ترى تشهد بانّ قصارى

شبه المنكرين للنبوّة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة فى الحقيقة وفساده يظهر جزء ١٨
للمستبصر بأدنى تأمّل فانّ النفوس البشريّة وان تشاركت فى اصل القوى والادراك لكنّها متباينة الأقدام ركوع ٣
فيهما وكما ترى فى جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برادّة يمكن ان يكون فى طرف الزيادة اغنياء عن التفكّر والتعلّم فى اكثر الاشياء وأغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهى اليه علمهم واليه اشار بقوله قل انّما انا بشر مثلكم يوحى الىّ انّما الهكم اله واحد وَقَوْمُهُمَا يعنى بنى اسرائيل لَنَا عَابِدُونَ خادمون منقادون كالعبّاد (٥٠) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ بالغرق فى بحر قلزم (٥١) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ التورية لَعَلَّهُمْ لعلّ بنى اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لانّ التورية نزلت بعد اغراقهم يَهْتَدُونَ الى المعارف والاحكام (٥٢) وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً بولادتها ايّاه من غير مسيس فالآية امرٌ واحدٌ مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم آية بأن تكلّم فى المهد وظهرت منه معجزات اخر وأمّه آية بأن ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ارض بيت المقدس فانّها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فانّ قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رِبَاوَة بالضمّ والكسر ذَاتِ قَرَارٍ مستقرّ من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فانّ ساكنيها يستقرّون فيها لاجلها وَمَعِينٍ وماء معين ظاهر جارٍ فعيل من مَعَنَ الماء اذا جرى وأصله الابعاد فى الشىء او من الماعون وهو المنفعة لانّه نقّاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانّه لظهوره مُدْرَك بالعيون وصف مأواهما بذلك لانّه الجامع لاسباب التنزّه وطيب المكان
(٥٣) يَا أَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ نداءٌ وخطابٌ لجميع الانبياء لا على معنى انّهم خوطبوا بذلك دفعة ركوع ٤
لانّهم أُرسلوا فى ازمنة مختلفة بل على معنى انّ كلّا منهم خوطب به فى زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوّليّا ويكون ابتداء كلام ذُكر تنبيها على انّ تهيئة اسباب التنعّم لم تكن له خاصّة وانّ اباحة الطيّبات للانبياء شرعٌ قديمٌ واحتجاجا على الرهبانيّة فى رفض الطيّبات او حكايةٌ لما ذكر لعيسى وأمّه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول ما رُزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم ، والطيّبات ما يُستلذّ من المباحات وقيل الحلال الصافى القوام فالحلال ما لا يُعصى اللّه فيه والصافى ما لا يُنسى اللّه فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل وَٱعْمَلُوا صَالِحًا فانّه المقصود منكم والنافع عند ربّكم إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ فأجازيكم عليه (٥٤) وَأَنَّ هٰذِهِ اى ولانّ هذه والمعلّل به فاتّقون او واعلموا انّ هذه وقيل انّه معطوف على ما تعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيّون بالكسر على الاستيناف أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ملّتكم ملّة واحدةً اى متّحدة فى العقائد واصول الشرائع او جماعتكم جماعةً واحدةً متّفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة ، ونصب امّة على الحال وَأَنَا رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ فى شقّ العصا ومخالفة الكلمة (٥٥) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ فتقطّعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرّقوا وتحزّبوا وأمرهم منصوب بنوع الخافض او التمييز ، والضمير لما دلّ عليه الأمّة من اربابها او لها زُبُرًا

جزء ١٨ ركوع ٤

قطعا جمع زَبُور الّذى بمعنى الفرقة ويؤيّده القراءة بفتح الباء فانّه جمع زُبْرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثانٍ لتقطّعوا فانّه متضمّن معنى جعل وقيل كُتُبا من زَبَرْتُ الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مِثْل كُتُب وقرئ بتخفيف الباء كرُسْل فى رُسُل كُلُّ حِزْبٍ من المتحزّبين بِمَا لَدَيْهِمْ من الدين فَرِحُونَ مُعْجَبون معتقدون انّهم على الحقّ (٥٦) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ فى جهالتهم شبّهها بالماء الّذى يغمر القامة لانّهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ فِي غَمَرَاتِهِم حَتَّى حِينٍ الى ان يُقتلوا او يموتوا (٥٧) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ انّ ما نعطيهم ونجعله لهم مددا مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ بيان لما وليس خبرا له فانّه غير معاتَب عليه وانّما المعاتب عليه اعتقادهم انّ ذلك خير لهم فخبره (٥٨) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَاتِ والراجع محذوف والمعنى ايحسبون انّ الّذى نمدّهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بَلْ لَا يَشْعُرُونَ بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأمّلوا فيه فيعلموا انّ ذلك الامداد استدراج لا مسارعة فى الخير وقرئ يُمِدُّهُمْ على الغيبة وكذلك يُسَارِعُ ويُسْرِعُ ويحتمل ان يكون فيهما ضمير المُمَدّ به ويُسَارَعُ مبنيّا للمفعول (٥٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ من خوف عذابه مُشْفِقُونَ حذرون (٦٠) وَٱلَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ المنصوبة والمنزلة يُؤْمِنُونَ بتصديق مدلولها (٦١) وَٱلَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ شركا جليّا ولا خفيّا (٦٢) وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا يعطون ما أعطوا من الصدقات وقرئ يَأْتُونَ مَا أَتَوْا اى يفعلون ما فعلوا من الطاعات وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ خائفة ان لا يُقبَل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ لانّ مرجعهم اليه او من انّ مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم (٦٣) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ يرغبون فى الطاعات اشدّ الرغبة فيبادرونها او يسارعون فى نيل الخيرات الدنيويّة الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فآتاهم اللّه ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفى عن اضدادهم وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناسَ الى الطاعات او الثواب او الجنّة او سابقونها اى ينالونها قبل الآخرة حيث تُعجّلت لهم فى الدنيا كقوله هم لها عاملون (٦٤) وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا قَدْر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يعنى اللوح او صحيفة الاعمال يَنْطِقُ بِٱلْحَقِّ بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بزيادة عقاب او نقصان ثواب (٦٥) بَلْ قُلُوبُهُمْ قلوب الكفرة فِي غَمْرَةٍ فى غفلة غامرة لها مِنْ هَٰذَا من الّذى وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة وَلَهُمْ أَعْمَالٌ خبيثة مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ متجاوزة لما وُصفوا به او متخطّية عمّا هم

عليه من الشرك هُمْ لَهَا عَامِلُونَ معتادون فعلها (٦٦) حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ متنعميهم بِالْعَذَابِ جزء ۱۸
يعنى القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسولُ فقال اللّهمّ اشْدُدْ وَطْأَتك على مُضَر واجعلْها عليهم ركوع ۴
سنين كسنى يوسف فقحطوا حتّى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ فاجأوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حَتَّى ويجوز ان يكون الجواب (٦٧) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ فانّه مقدّر بالقول اى قيل لهم لا تجأروا إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ تعليل للنهى اى لا تجأروا فانّه لا ينفعكم اذ لا تُمْنعون منّا او لا يَلْحقكم نصرٌ ومعونةٌ من جهتنا (٦٨) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ يعنى القران فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ تُعْرِضون مُدْبِرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع القَهْقَرى (٦٩) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ الضمير للبيت وشُهْرةُ استكبارهم وافتخارهم بانّهم قُوّامه اغنت عن سبق ذكره او لآياتى فانّها بمعنى كتابى والباء متعلّقة بمستكبرين لانّه بمعنى مكذّبين او لانّ استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله سَامِرًا اى تسمرون بذكر القران والطعن فيه وهو فى الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سُمَّرًا جمع سامر تَهْجُرُونَ من الهَجْر بالفتح إمّا بمعنى القطيعة او الهذيان اى تُعْرِضون عن القران او تهذون فى شأنه او الهُجْر بالضمّ اى الفُحْش ويؤيّد الثانى قراءة نافع تُهْجِرُونَ من أَهْجَرَ وقرئ تُهَجِّرُونَ على المبالغة (٧٠) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ اى القران ليعلموا انّه الحقّ من ربّهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب اللّه فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمٰعيل واعقابه فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه (٧١) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ بالامانة والصدق وحسن الخُلُق وكمال العلم مع عدم التعلّم الى غير ذلك ممّا هو صفة الانبياء فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجهَ له غيرها فانّ انكار الشىء قطعا او ظنّا انّما يتّجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بُحِث عمّا يدلّ عليه اقصى ما يمكن فلم يُوجَد (٧٢) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انّه ارجحهم عقلا واتقبهم نظرا بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ لانّه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانّما قيّد الحكم بالاكثر لانّه كان منهم مَنْ ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلّة فطنته وعدم فكرته لا كراهةً للحقّ (٧٣) وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ بأن كان فى الواقع آلهة شتّى لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ كما سبق تقريره فى قوله لو كان فيهما آلهة الّا اللّه لفسدتا وقيل لو اتّبع الحقّ اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالَم فلا يبقى او لو اتّبع الحقّ الّذى جاء به محمّد اهواءهم وانقلب شركا لجاء اللّه بالقيامة وأهلك العالم من فرط غضبه او لو اتّبع اللّه اهواءهم بأن انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصى لخرج عن الالوهيّة ولم يقدر ان يُمْسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ بالكتاب الّذى هو ذكرهم اى

وعظهم او صيتهم او الذكر الّذى تمنّوه بقولهم لو انّ عندنا ذكرا من الاوّلين وقرئ بِذِكْرَاهُمْ جزء ١٨
فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ لا يلتفتون اليه (٧٤) أَمْ تَسْأَلُهُمْ قيل انّه قسيم قوله ام به جِنّة خَرْجًا ركوع ۴
اجرا على اداء الرسالة فَخَرَاجُ رَبِّكَ رزقه فى الدنيا او ثوابه فى العقبى خَيْرٌ لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك
عن عطائهم ، والخَرْجُ بازاء الدَّخْل يقال لكلّ ما تخرجه الى غيرك والخَرَاجُ غالب فى الضريبة على الارض
ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبّر به عن عطاء اللّه ايّاه وقرأ ابن عامر خَرْجًا فَخَرْجُ
وحمزة والكسائى خَرَاجًا فَخَرَاجُ للمزاوجة وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ تقرير لخيريّة خراجه (٧٥) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تشهد العقول السليمة على استقامته لا عِوَجَ فيه يوجب اتّهامهم له ، واعلمْ انّه
سبحانه وتعالى الزمهم الحُجّة وأزاح العلل فى هذه الآيات بأن حصر اقسام ما يؤدّى الى الانكار والاتّهام
وبيّن انتفاءها ما عدا كراهة الحقّ وقلّة الفطنة (٧٦) وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَاطِ عن
الصراط السوىّ لَنَاكِبُونَ لعادلون عنه فانّ خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحقّ وسلوك طريقه
(٧٧) وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ يعنى القحط لَلَجُّوا لثبتوا واللجاج التمادى فى الشىء
فِى طُغْيَانِهِمْ افراطهم فى الكفر والاستكبار عن الحقّ وعداوة الرسول والمؤمنين يَعْمَهُونَ عن الهدى روى
انّهم قحطوا حتّى اكلوا العِلْهِز فجاء ابو سفيان الى رسول اللّه صلعم فقال انشدك اللّه والرحمَ الست
تزعم انّك بُعثتَ رحمةً للعالمين قال بلى فقال قتلتَ الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت (٧٨) وَلَقَدْ
أَخَذْنَاهُمْ بِٱلْعَذَابِ يعنى القتل يومَ بدر فَمَا ٱسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ بل اقاموا على عتوّهم واستكبارهم واستكان
استفعل من الكون لانّ المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون أُشبعت فتحته
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ وليس من عادتهم التضرّع وهو استشهاد على ما قبله (٧٩) حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا
عَذَابٍ شَدِيدٍ يعنى الجوع فانّه اشدّ من الاسر والقتل إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ متحيّرون آيسون من كلّ
خير حتّى جاءك اعتاهم يستعطفك (٨٠) وَهُوَ ٱلَّذِى أَنْشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ لتحسّوا بها ما نُصب من ركوع ٥
الآيات وَٱلْأَفْئِدَةَ لتتفكّروا فيها وتستدلّوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينيّة والدنيويّة قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ
تشكرونها شكرا قليلا لانّ العمدة فى شكرها استعمالها فيما خُلقت لاجلها والاذعانُ لمانحها من غير
اشراك ، وما صلة للتأكيد (٨١) وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ خلقكم وبثّكم فيها بالتناسل وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ
تُجمعون يوم القيامة بعد تفرّقكم (٨٢) وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَافُ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ويختصّ
به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردّا لنسبته الى الشمس حقيقةً او لامره وقضائه تعاقبهما او
انتقاصُ احدهما وازدياد الآخر أَفَلَا تَعْقِلُونَ بالنظر والتأمّل أنّ الكلّ منّا وأنّ قدرتنا تعمّ الممكنات كلّها
وأنّ البعث من جملتها وقرئ بالياء على انّ الخطاب السابق لتغليب المؤمنين (٨٣) بَلْ قَالُوا اى كفّار
مكّة مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ آباؤهم ومن دان بدينهم (٨٤) قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ

جزء ١٨ استبعادا ولم يتأمّلوا انّهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا (٨٥) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هٰذَا مِنْ قَبْلُ
ركوع ٥ إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ الّا اكاذيبهم الّتى كتبوها جمعُ أُسْطورة لانّه يُستعمل فيما يُتلهّى به
كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمعُ أسطار جمعِ سَطر (٨٦) قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتّى جهلوا
مثلَ هذا الجليّ الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مُسكةٌ من العلم انكارُه ولذلك اخبر عن جوابهم قبل
ان يجيبوا فقال (٨٧) سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ لانّ العقل الصريح قد اضطرّهم بأدنى نظر الى الاقرار بانّه خالقهما قُلْ
بعد ما قالوه أَفَلَا تَذَكَّرُونَ فتعلمون انّ مَنْ فطر الارض ومن فيها ابتداءً قدر على ايجادها ثانيا فانّ
بدء الخلق ليس اهون من اعادته ، وقرئ تَتَذَكَّرُونَ على الاصل (٨٨) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ فانّهما اعظم من ذلك (٨٩) سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ قرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده
على ما يقتضيه لفظ السؤال قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ عقابَه فلا تشركوا به بعضَ مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على
بعض مقدوراته (٩٠) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ مُلكه غايةَ ما يمكن وقيل خزائنه وَهُوَ يُجِيرُ
يُغيث من يشاء ويحرسه وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ولا يُغاث احد ولا يُمنَع منه وتعديته بعَلَى لتضمين معنى النصرة
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩١) سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ فمن اين تُخدعون فتُصرفون عن الرشد مع
ظهور الامر وتظاهرِ الادلّة (٩٢) بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ من التوحيد والوعد بالنشور وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
حيث انكروا ذلك (٩٣) مَا اتَّخَذَ اللّٰهُ مِنْ وَلَدٍ لتقدّسه عن مماثلة احد وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ يساهمه
فى الالوهيّة إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ جوابُ محاجّتهم وجزاء شرط حُذف
لدلالة ما قبله عليه اى لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كلّ واحد منهم بما خلقه واستبدّ به
وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده
وَحْدَه ملكوتُ كلّ شيء واللازم باطل بالإجماع والاستقراء وقيامِ البرهان على استناد جميع الممكنات الى
واجب واحد سُبْحَانَ اللّٰهِ عَمَّا يَصِفُونَ من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده (٩٤) عَالِمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ خبرُ مبتدإ محذوف وقد جرّه ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على
الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناءً على توافقهم فى انّه المتفرّد بذلك ولهذا رتّب عليه
ركوع ٦ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ بالفاء (٩٥) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي إن كان لا بدّ من ان تريني لانّ مَا والنون للتأكيد
مَا يُوعَدُونَ من العذاب فى الدنيا او الآخرة (٩٦) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قرينا لهم فى العذاب
وهو امّا لهضم النفس او لانّ شُؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتّقوا فتنة لا تُصيبنّ
الّذين ظلموا منكم خاصّة عن الحسن انّه تعالى اخبر نبيّه صلعم انّ له فى امّته نقمةً ولم يُطلعه على

وقتها فأمره بهذا الدعاء ، وتكرير النداء وتصدير كلّ واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرّع وجؤار جزء ١٨
(٩٧) وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ لكنّا نؤخّره علما بانّ بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او ركوع ٦
لانّا لا نعذّبهم وأنت فيهم ولعلّه ردّ لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكّة (٩٨) ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ وهو الصفح عنها والاحسان فى مقابلتها لكن بحيث لم يؤدّ الى وهن فى الدين وقيل هى كلمة التوحيد والسيّئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيّئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيّئة لما فيه من التنصيص على التفضيل نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ بما يصفونك به او بوصفهم ايّاك على خلاف حالك وأقدر على جزائهم فكِل الينا امرهم (٩٩) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وساوسهم وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبّه حثّهم الناس على المعاصى بهمز الراضة للدوابّ على المشى والجمع للمرّات او لتنوّع الوساوس او لتعدّد المضاف اليه (١٠٠) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ يحوموا حولى فى شىء من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القران وحلول الاجل لانّها احرى الاحوال بأن يخاف عليها (١٠١) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ متعلّق بيصفون وما بينهما اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان أن يزلّه عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انّهم لكاذبون قَالَ تحسّرا على ما فرّط فيه من الايمان والطاعة لمّا اطّلع على الامر رَبِّ ارْجِعُونِ ردّنى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى كما قيل فى قفا وأطرقا (١٠٢) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ فى الايمان الّذى تركته اى لعلّى آتى بالايمان واعمل فيه وقيل فى المال او فى الدنيا وعنه عم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله وامّا الكافر فيقول ربّ ارجعون كَلَّا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها إِنَّهَا كَلِمَةٌ يعنى قوله ربّ ارجعون الى آخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هُوَ قَائِلُهَا لا محالة لتسلّط الحسرة عليه وَمِنْ وَرَائِهِمْ أمامهم والضمير للجماعة بَرْزَخٌ حائل بينهم وبين الرجعة إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ يوم القيامة وهو اقناط كلّى عن الرجوع الى الدنيا لما علم انّه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانّما الرجوع فيه الى حيوة تكون فى الآخرة (١٠٣) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد تؤيّد انّ الصور ايضا جمع الصورة فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفرّ المرء من اخيه وامّه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يَوْمَئِذٍ كما يفعلون اليوم وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانّه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنّة الجنّة وأهل النارِ النارَ (١٠٤) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ موزونات عقائده واعماله اى ومن كانت له عقائد واعمال صالحة

يكون لها وزن عند الله وقدر فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ الفائزون بالنجاة والدرجات (١٠٥) وَمَنْ خَفَّتْ جزء ١٨
مَوَازِينُهُ ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفّار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فَأُولٰئِكَ ركوع ٦
ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ غبنوها حيث ضيّعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها فِي جَهَنَّمَ
خَالِدُونَ بدل من الصلة او خبر ثانٍ لاولٰئك (١٠٦) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ تحرقها واللفح كالنفح الّا انّه
اشدّ تأثيرا وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ من شدّة الاحتراق والكُلوح تقلّص الشفتين عن الاسنان وقرئ كَلِحون
(١٠٧) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ على اضمار القول اى يقال لهم الم تكن فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ تأنيب
وتذكير لهم بما استحقّوا هذا العذاب لاجله (١٠٨) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ملكتنا بحيث
صارت احوالنا مؤدّية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائىّ شَقَاوَتُنَا بالفتح كالسّعادة وقرئ بالكسر
كالكتابة وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ عن الحقّ (١٠٩) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا من النار فَإِنْ عُدْنَا الى التكذيب
فَإِنَّا ظَالِمُونَ لانفسنا (١١٠) قَالَ ٱخْسَؤُوا فِيهَا اسكتوا سكوتَ هوان فى النار فانّها ليست مقام سؤال من
خسأتُ الكلبَ اذا زجرته فخسأ وَلَا تُكَلِّمُونِ فى رفع العذاب او لا تكلّمون رأسا قيل انّ اهل النار
يقولون الف سنة ربّنا أَبْصَرْنا وسَمِعْنا فيجابون حقّ القولُ منّى فيقولون الفا ربّنا أَمَتَّنا اثنتين
فيجابون ذلكم بانّه اذا دُعى اللّه وحده كفرتم فيقولون الفا يا مالك لِيَقْضِ علينا ربُّك فيجابون انّكم
ماكثون فيقولون الفا ربّنا أَخِّرْنا الى اجل قريب فيجابون اولم تكونوا اقسمتم فيقولون الفا ربّنا
أَخْرِجْنا نعمَلْ صالحا فيجابون اولم نعمّركم فيقولون الفا ربّ ارجعونِ فيجابون اخسؤا فيها ثمّ لا
يكون لهم الّا زفير وشهيق وعواء (١١١) إِنَّهُ إنّ الشأن وقرئ بالفتح اى لانّه كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي
يعنى المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفّة يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلرَّاحِمِينَ
(١١٢) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا هزوا وقرأ نافع وحمزة والكسائىّ هنا وفى ص بالضمّ وهما مصدرا سَخِرَ زيدت
فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيّين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السُّخرة بمعنى الانقياد
والعبوديّة حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافونى فى اوليائى وَكُنْتُمْ
مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ استهزاء بهم (١١٣) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا على اذاكم أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ فوزهم
بمجامع مُراداتهم مخصوصين به وهو ثانى مفعولى جزيتهم وقرأ حمزة والكسائىّ بالكسر استينافا (١١٤) قَالَ
اى اللّه او المَلَك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائىّ على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل
النار كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ احياء او امواتا فى القبور عَدَدَ سِنِينَ تمييز لكم (١١٥) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ
استقصارا لمدّة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم فى النار او لانّها كانت ايّام سرورهم وايّام السرور
قصار او لانّها منقضية والمنقضى كالمعدوم فَسْأَلِ ٱلْعَادِّينَ الّذين يتمكّنون من عدّ ايّامها إن اردت

جزء ١٨ تحقيقها فانّا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكّرها واحصائها او الملائكة الّذين يعدّون
ركوع ٦ اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ ٱلْعَادِينَ بالتخفيف اى الظلمة فانّهم يقولون ما نقول وٱلْعَادِيِّينَ اى القدماء المعمّرين فانّهم ايضا يستقصرون (١١٦) قَالَ وفى قراءة حمزة والكسائىّ قُلْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ تصديق لهم فى مقالهم (١١٧) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اى لم نخلقكم تلهّيا بكم وانّما خلقناكم لنتعبّدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ معطوف على انّما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائىّ ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ الّذى يحقّ له الملك مطلقا فانّ من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفى حال دون حال لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فانّ ما عداه عبيد له رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ الّذى يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انّه صفة الربّ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ يعبده افرادا او اشراكا لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ صفة اخرى لالها لازمة له فانّ الباطل لا برهان به جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على انّ التديّن بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عمّا دلّ الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ فهو مجاز له مقدار ما يستحقّه إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَافِرُونَ انّ الشأن وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اى حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفى الفلاح عن الكافرين ثمّ امر رسوله بأن يستغفره ويسترحمه فقال (١١٨) وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّاحِمِينَ عن النبىّ صلعم من قرأ سورة المؤمنين بشّرته الملائكة بالرَّوح والريحان وما تقرّ به عينه عند نزول ملك الموت وعنه صلعم انّه قال لقد أُنزلت علىّ عشر آيات من اقامهنّ دخل الجنّة ثمّ قرأ قد افلح المؤمنون حتّى ختم العشر وروى انّ اوّلها وآخرها من كنوز الجنّة مَن عمل بثلاث آيات من اوّلها واتّعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح ◦

سُورَةُ ٱلنُّورِ

مدنيّة وآيها اربع وستّون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٧ (١) سُورَةٌ اى هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة أَنزَلْنَاهَا صفتها ومن نصبها جعله مفسّرا لناصبها فلا يكون له محلّ الّا اذا قدّر اتل او دونك او نحوه وَفَرَضْنَاهَا وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدّده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة فى ايجابها وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ

واضحات الدلالة لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فتتّقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال (٢) اَلزَّانِيَةُ وَالزَّانِي اى فيما فرضنا او انزلنا حُكْمهما وهو الجَلْد ويجوز ان يُرْفَعا بالابتداء والخبرُ فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ والفاء لتضمّنهما معنى الشرط اذ اللام بمعنى الّذى وقرئ بالنصب على اضمارِ فعلٍ يفسّره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر والزّانِ بلا ياء ، وانّما قدّم الزانية لانّ الزنا فى الاغلب يكون بتعرّضها للرجل وعرضِ نفسها عليه ولانّ مَفْسَدته تتحقّق بالاضافة اليها ، والجَلْد ضرب الجِلْد وهو حكم يخصّ بمن ليس بمُحْصَن لما دلّ على انّ حدّ المحصن الرجم وزاد عليه الشافعىّ تغريب الحرّ سنةً لقوله عم البِكْر بالبِكْر جَلْدُ مائة وتغريبُ عام وليس فى الآية ما يدفعه لينسخ احدُهما الآخرَ نسخا مقبولا او مردودا وله فى العبد ثلاثة اقوال ، والاحصانُ بالحرّيّة والبلوغ والعقل والاصابة فى نكاح صحيح واعتبرت الحنفيّة الاسلامَ ايضا وهو مردود برجمه صلعم يهوديّين ولا يعارضه مَنْ اشرك باللّه فليس بمحصن اذ المرادُ بالمحصن الّذى يُقْتَصّ له من المُسْلِم وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ رحمة فِي دِينِ ٱللّٰهِ فى طاعته واقامة حدّه فتعطّلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال عم لو سرقتْ فاطمةُ بنتُ محمّد لقطعتُ يدها ، وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمدّ على فَعَالة إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فانّ الايمان يقتضى الجدّ فى طاعة اللّه والاجتهاد فى اقامة احكامه وهو من باب التهييج وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ زيادة فى التنكيل فانّ التفضيح قد ينكّل اكثر ممّا ينكّل التعذيب ، والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافّة حول شىء من الطوف واقلّها ثلاثة وقيل واحد او اثنان والمرادُ جمعٌ يحصل به التشهير (٣) اَلزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ اذ الغالب انّ المائل الى الزنا لا يرغب فى نكاح الصوالح والمسافحة لا ترغب فيها الصلحاء فانّ المشاكلة علّة للالفة والتضامّ والمخالفة سبب للنفرة والافتراق ، وكان حقّ المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الّا من هو زانٍ او مشرك لكنّ المراد بيان احوال الرجال فى الرغبة فيهنّ لانّ الآية نزلت فى ضَعَفة المهاجرين لمّا همّوا ان يتزوّجوا بغايا يُكْرِين انفسهنّ لينفقن عليهم من اكسابهنّ على عادة الجاهليّة ولذلك قدّم الزانى وَحُرِّمَ ذٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لانّه تشبّهٌ بالفُسّاق وتعرّضٌ للتهمة وتسبّبٌ لسوء القالة والطعنِ فى النَّسَب وغيرِ ذلك من المفاسد ولذلك عبّر عن التنزيه بالتحريم مبالغةً وقيل النفى بمعنى النهى وقد قرئ به والحرمةُ على ظاهرها والحكمُ مخصوص بالسبب الّذى ورد فيه او منسوخ بقوله وأنكحوا الأيامى منكم فانّه يتناول المسافحات ويؤيّده انّه عم سئل عن ذلك فقال اوّله سِفاح وآخره نِكاح والحرامُ لا يحرّم الحلالَ وقيل المراد بالنكاح الوطئ فيؤول الى نهى الزانى عن الزنا الّا بزانية والزانية ان يزنى بها الّا زانٍ وهو فاسد (٤) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ يقذفونهنّ بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهنّ عقيب الزوانى واعتبارِ اربعة شهداء بقوله ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً والقذف بغيره مثل يا فاسق يا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن ، والاحصان ههنا بالحرّيّة والبلوغ والعقل والاسلام والعفّة عن الزنا ولا فرق

جزء ١٨ فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة او لانّ قذف النساء اغلب وأشنع ، ولا
ركوع ٧ يُشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا تُعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابى حنيفة ، وليكن ضربه
اخفّ من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً اىّ شهادة كانت
لانّه مفترٍ وقيل شهادتهم فى القذف ، ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابى حنيفة فانّ الامر
بالجلد والنهى عن القبول سيّان فى وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيبَ بينهما فيترتّبان عليه دفعةً كيف
وحاله قبل الجلد اسوأُ ممّا بعده أَبَدًا ما لم يتب وعند ابى حنيفة الى آخر عمره وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
المحكوم بفسقهم (٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا عن القذف مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا اعمالهم بالتدارك ومنه
الاستسلام للحدّ او الاستحلال من المقذوف ، والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه
الامور ولا يَلزمه سقوطُ الحدّ به كما قيل لانّ من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحلُّ المستثنى
النصبُ على الاستثناء وقيل الى النهى ومحلّه الجرّ على البدل من هُمْ فى لهم وقيل الى الاخيرة ومحلّه
النصب لانّه من موجَب وقيل منقطع متّصل بما بعده فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ علّة للاستثناء (٦) وَالَّذِينَ
يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ نزلت فى هلال بن أُميّة رأى رجلا على فراشه ، وانفسهم
بدل من شهداء او صفة لهم على انّ الّا بمعنى غير فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ فالواجب شهادة
احدهم او فعليهم شهادة احدهم ، واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائىّ وحفص على انّه
خبرُ شهادة بِاللَّهِ متعلّق بشهادات لانّها اقربُ وقيل بشهادة لتقدّمها إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ اى فيما رماها
به من الزنا واصلُه على انّه فحذف الجارّ وكسرت انّ وعلّق العامل عنه باللام تأكيدا (٧) وَالْخَامِسَةُ
والشهادة الخامسة أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ فى الرمى ، هذا لعانُ الرجل وحُكمه
سقوطُ حدّ القذف عنه وحصولُ الفُرقة بينهما بنفسه فرقةَ فَسْخٍ عندنا لقوله عم المتلاعنان لا يجتمعان
ابدا وبتفريق الحاكم فرقةَ طلاقٍ عند ابى حنيفة ونفىُ الولد إن تُعرّض له فيه وثبوتُ حدّ الزنا على المرأة
لقوله (٨) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ اى الحدّ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ فيما رمانى به
(٩) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ فى ذلك ، ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها
الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ويعقوب أَنْ لَعْنَتُ اللَّهِ وأَنْ
غَضِبَ اللَّهُ بتخفيف النون فيهما وكسر الضاد وفتح الباء من غضب ورفع الهاء من اسم الله والباقون
بتشديد النون فيهما ونصب التاء وفتح الضاد وجرّ الهاء (١٠) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ
ركوع ٨ تَوَّابٌ حَكِيمٌ متروك الجواب للتعظيم اى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة (١١) إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ بأبلغ
ما يكون من الكذب من الأَفْك وهو الصرف لانّه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أُفك به على عائشة
رضها وذلك انّه عم استصحبها فى بعض الغزوات فأُذّن ليلةً فى القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثمّ
عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عِقدٌ من جَزْعِ ظَفارِ قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظنّ الذى كان

برحلها انّها دخلت الهودج فرحله على مطيّتها وسار فلمّا عادت الى منزلها لم تجد ثمّ احدا فجلستْ جزء ١٨ كى يرجع اليها مُنْشِدٌ وكان صَفْوان بن المعطّل السُلَمىّ قد عرّس وراء الجيش فادّلج فأصبح عند ركوع ٨ منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتّهمت به عُصْبَةٌ مِنْكُمْ جماعة منكم وهى من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد اللّه بن أُبَىّ وزيد بن رفاعة وحسّان بن ثابت ومِسْطَح بن أُثاثة وحَمْنة بنت جحش ومن ساعدهم وهى خبرُ إنّ وقوله لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ مستأنف والخطاب للرسول وابى بكر وعائشة وصفوان والهاء للافك بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لاكتسابكم به الثوابَ العظيمَ وظهورِ كرامتكم على اللّه تعالى بانزال ثمانى عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلّم فيكم والثناء على من ظنّ بكم خيرا لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ مَا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ لكلٍّ جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصّا به وَٱلَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مُعْظَمه وقرأ يعقوب بالضمّ وهو لغة فيه مِنْهُمْ من الخائضين وهو ابن ابىّ فانّه بدأ به وأذاعه عداوةً لرسول اللّه صلعم او هو وحسّان ومسطح فانّهما شايعاه فى التصريح به وٱلّذى بمعنى ٱلّذين لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ فى الآخرة او فى الدنيا بأن جُلدوا وصار ابن ابىّ مطرودا مشهورا بالنفاق وحسّان اعمى اشلّ اليدين ومسطح مكفوف البصر (١٢) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا بالّذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانّما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغةً فى التوبيخ واشعارا بانّ الايمان يقتضى ظنّ الخير بالمؤمنين والكفّ عن الطعن فيهم وذبّ الطاعنين عنهم كما يذبّونهم عن انفسهم وانّما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانّه منزّل منزلته من حيث انّه لا ينفكّ عنه ولذلك يُتّسع فيه ما لا يُتّسع فى غيره وذلك لانّ ذكر الظرف اهمّ فانّ التحضيض على ان لا يخلّوا باوّله وَقَالُوا هٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ كما يقول المستيقن المطّلع على الحال (١٣) لَوْلَا جَآءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُولٰٓئِكَ عِنْدَ ٱللّٰهِ هُمُ ٱلْكَاذِبُونَ من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فانّ ما لا حجّة عليه كذبٌ عند اللّه اى فى حكمه ولذلك رتّب الحدّ عليه (١٤) وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ لولا هذه لامتناع الشىء لوجود غيره والمعنى لولا فضلُ اللّه عليكم فى الدنيا بانواع النِعَم الّتى من جملتها الامهالُ للتوبة ورحمته فى الآخرة بالعفو والمغفرة المقدّران لكم لَمَسَّكُمْ عاجلا فِيمَا أَفَضْتُمْ خُضْتم فيه عَذَابٌ عَظِيمٌ يستحقر دونه اللوم والجلد إِذْ ظرف لمسّكم او افضتم تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقّى القولَ وتلقّفه وتلقّنه وقرئ تَتَلَقَّوْنَهُ على الاصل وتُلْقُونَهُ من لقيه اذا لقفه وتِلْقَوْنَهُ بكسر حرف المضارعة وتُلْقُونَهُ من إلقائه بعضهم على بعض وتَلِقُونَهُ وتَأْلِقُونَهُ من الوَلْق والأَلْق وهو الكذب وتَثْقَفُونَهُ من ثَقِفْتُه اذا طلبته فوجدته وتَقْفُونَهُ اى تتبعونه وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ اى وتقولون كلاما مختصّا بالافواه بلا مساعدة من القلوب مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ لانّه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله

جزء ١٨ تعالى يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا سهلا لا تبعة له وَهُوَ عِنْدَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ فى الوزر
ركوع ٨ واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علّق بها مسّ العذاب العظيم تلقّى الافك بألسنتهم
والتحدّث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا
ما ينبغى وما يصحّ لنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَٰذَا يجوز أن تكون الاشارة الى القول المخصوص وأن تكون الى
نوعه فانّ قذف آحاد الناس محرّم شرعا فضلا عن تعرّض الصدّيقة ابنة الصدّيق حُرْمة رسول الله صلعم
سُبْحَانَكَ تعجّبٌ من ذلك الافك او ممّن يقول ذلك وأصله ان يُذْكر عند كلّ متعجَّب تنزيها لله
تعالى من أن يصعب عليه مِثْله ثمّ كثر فاستُعْمِل لكلّ متعجَّب او تنزيهٌ لله من ان تكون حرمة نبيّه
فاجرة فانّ فجورها ينفّر عنه ويُخِلّ بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله
هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ لعظمة المبهوت عليه فانّ حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلّقاتها (١٦) يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ
أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ كراهة ان تعودوا او فى ان تعودوا أَبَدًا ما دمتم احياء مكلّفين إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
فانّ الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع (١٧) وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ الدالّة على الشرائع ومحاسن
الآداب كى تتّعظوا وتتأدّبوا وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بالاحوال كلّها حَكِيمٌ فى تدابيره ولا يجوّز الكشخنة على نبيّه ولا
يقرّره عليها (١٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ يريدون أَنْ تَشِيعَ ان تنتشر ٱلْفَاحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
(١٩) فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ الحدّ والسعير الى غير ذلك وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ما فى الضمائر وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فعاقبوا فى
الدنيا على ما دلّ عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما فى القلوب من حبّ الاشاعة (٢٠) وَلَوْلَا فَضْلُ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ تكرير للمنّة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله
وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنًى عنه بذكره مرّة
ركوع ٩ (٢١) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع
والبزّى وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ بيان
لعلّة النهى عن اتّباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفّرة لها مَا زَكَى ما طهر من دنسها مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا
آخر الدهر وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَنْ يَشَاءُ بحمله على التوبة وقبولها وَٱللَّهُ سَمِيعٌ لمقالهم عَلِيمٌ بنيّاتهم
(٢٢) وَلَا يَأْتَلِ ولا يحلف افتعالٌ من الأَلِيّة او ولا يقصّر من الأَلْو ويؤيّد الاوّل انّه قرئ وَلَا يَتَأَلَّ وانّه نزل
فى ابى بكر الصدّيق رضه وقد حلف لا يُنْفِق على مِسْطَح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء
المهاجرين أُولُو ٱلْفَضْلِ مِنْكُمْ فى الدين وَٱلسَّعَةِ فى المال وفيه دليل على فضل ابى بكر وشرفه أَنْ يُؤْتُوا على

جزء ١٨ ركوع ٩

ان لا يؤتوا او فى ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات أُولِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ صفات لموصوف واحد اى ناسا جامعين لها لانّ الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ فى تعليل المقصود وَلْيَعْفُوا ما فرط منهم وَلْيَصْفَحُوا بالاغماض عنه أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مع كمال قدرته فتخلّقوا بأخلاقه روى انّه عم قرأها على ابى بكر رضه فقال بلى أُحِبّ ورجع الى مسطح نفقته (٢٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ العفائف ٱلْغَافِلَاتِ ممّا قُذفن به ٱلْمُؤْمِنَاتِ بالله ورسوله استباحة لعرضهنّ وطعنا فى الرسول والمؤمنين كابن أُبَىّ لُعِنُوا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ لما طعنوا فيهنّ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ لعظم ذنوبهم قيل هو حُكْم كلّ قاذف ما لم يَتُبْ وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبىّ صلعم ولذلك قال ابن عبّاس رضه لا توبة له ولو فتّشتَ وعيدات القران لم تجد اغلظ ممّا نزل فى افك عائشة رضها (٢٤) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانّه موصوف وقرأ حمزة والكسائى بالياء للتقدّم والفصل أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يعترفون بها بانطاق الله ايّاها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفى ذلك مزيد تهويل للعذاب (٢٥) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ جزاءهم المستحقّ وَيَعْلَمُونَ لمعاينتهم الامر أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ الثابت بذاته الظاهر الوهيّته لا يشاركه فى ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحقّ البيّن اى العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة (٢٦) ٱلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَٱلطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ اى الخبائث يتزوّجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله أُولَٰئِكَ يعنى اهل بيت النبىّ صلعم او الرسول وعائشة وصفوان مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم تقرّ عليه وقيل الخبيثات والطيّبات من الاقوال والاشارة الى الطيّبين والضمير فى يقولون للآفكين اى مُبرّءون ممّا يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اى مبرّءون من ان يقولوا مثل قولهم لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ يعنى الجنّة ولقد برّأ الله اربعة باربعة يوسف عم بشاهد من اهلها وموسى عم من قول اليهود بالحجر الّذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة بهذه

ركوع ١٠

الآيات مع هذه المبالغات وما ذلك الّا لاظهار منصب الرسول واعلاء منزلته (٢٧) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ الّتى تسكنونها فانّ الآجر والمُعير ايضا لا يدخلان الّا باذن حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا تستأذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشىء اذا ابصره فانّ المستأذن مستعلم للحال مستكشف انّه هل يراد دخوله او يؤذن له او من الاستيناس الّذى هو خلاف الاستيحاش فانّ المستأذن مستوحش خائف ان لا يُؤذَن له فاذا اذن له استأنس او تتعرّفوا هل ثَمّ انسان من الانس

*

جزء ١٨ ركوع ١٠

وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا بأن تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه عم التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرّات فان اذن له دخل والّا رجع ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ اى الاستيذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتةً او من تحيّة الجاهليّة كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حُيّيتم صباحا وحُيّيتم مساء ودخل فربّما اصاب الرجل مع امرأته فى لحاف وروى انّ رجلا قال للنبىّ صلعم أأستأذن على امّى قال نعمْ قال انّها ليس لها خادم غيرى أأستأذن عليها كلّما دخلتُ قال اتحبّ ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذنْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ متعلّق بمحذوف اى أُنزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكّروا وتعملوا بما هو اصلح لكم (٢٨) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا يأذن لكم فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ حتى يأتى من يأذن لكم فانّ المانع من الدخول ليس الاطّلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادةً مع انّ التصرّف فى ملك الغير بغير اذنه محظور واستُثنى ما اذا عرض فيه حرقٌ او غرقٌ او كان فيه مُنْكَرٌ ونحوها وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ولا تلحّوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ الرجوع اطهرُ لكم عمّا لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة او انفعُ لدينكم ودنياكم وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ فيعلم ما تأتون وما تذرون ممّا خوطبتم به فيجازيكم عليه (٢٩) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ كالرُبُط والحوانيت والخانات والخانقات فِيهَا مَتَاعٌ استمتاع لَكُمْ كالاستكنان من الحرّ والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوتَ المسكونة وغيرَها وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ وعيد لمن دخل مَدْخلا لفساد او تطلّع على عورات (٣٠) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ اى ما يكون نحو محرّم وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ الّا على ازواجهم او ما ملكتْ أيمانُهم ولما كان المستثنى منه كالشاذّ النادر بخلاف الغضّ اطلقه وقيّد الغضّ بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصّة سترها ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ انفع لهم او اطهر لما فيه من البُعْد عن الريبة إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ لا يخفى عليه اجالةُ أبصارهم واستعمالُ سائر حواسّهم وتحريكُ جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه فى كلّ حركة وسكون (٣١) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ فلا ينظرن الى ما لا يحلّ لهنّ النظر اليه من الرجال وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ بالتستّر او التحفّظ عن الزنا وتقديم الغضّ لانّ النظر بريد الزنا وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ كالحلى والثياب والأصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحلّ ان تُبْدَى له إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فانّ فى سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعمّ المحاسن الخلقيّة والتزيينيّة والمستثنى هو الوجه والكفّان لانّها ليست بعورة والاظهر انّ هذا فى الصلوة لا فى النظر فانّ كلّ بدن الحُرّة عورةٌ لا يحلّ لغير الزوج والمَحْرَم النظرُ الى شىء منها الّا لضرورة كالمعالجة وتحمّل الشهادة وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ سترا لأعناقهنّ وقرأ نافع وعاصم وابو عمرو وهشام بضمّ الجيم وَلَا يُبْدِينَ

جزء ١٨ ركوع ١٠

زِينَتَهُنَّ كرّره لبيان من يحلّ له الابداء ومن لا يحلّ له إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ فانّهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهنّ حتّى الفرج بكره أَوْ آبَآئِهِنَّ أَوْ آبَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ لكثرة مداخلتهم عليهنّ واحتياجهنّ الى مداخلتهم وقلّة توقّع الفتنة من قبلهم لما فى الطباع من النفرة عن مماسّة القرائب ولهم ان ينظروا منهنّ ما يبدو عند المهنة والخدمة، وانّما لم يذكر الاعمام والاخوال لانّهم فى معنى الاخوان او لانّ الأحوط أن يتستّرن عنهم حذرا ان يصفوهنّ لابنائهم أَوْ نِسَآئِهِنَّ يعنى المؤمنات فانّ الكافرات لا يتحرّجن عن وصفهنّ للرجال او النساء كلّهنّ وللعلماء فى ذلك خلاف أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ يعمّ الاماء والعبيد لما روى انّه عم اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنّعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطّت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عم انّه ليس عليك بأس انّما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبىّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ اى اولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهمّ والممسوحون وفى المجبوب والخصىّ خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء، وقرأ ابن عامر وابو بكر غَيْرَ بالنصب على الحال أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَآءِ لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطّلاع او لعدم بلوغهم حدّ الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة، والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ليتقعقع خلخالها فيعلم انّها ذات خلخال فانّ ذلك يورث ميلا فى الرجال وهو ابلغ من النهى عن اظهار الزينة وادلّ على المنع من رفع الصوت وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ اذ لا يكاد يخلو احدكم من تفريط سيّما فى الكفّ عن الشهوات وقيل توبوا ممّا كنتم تفعلونه فى الجاهليّة فانّه وان جبّ بالاسلام لكنّه يجب الندم عليه والعزم على الكفّ عنه كلّما يتذكّر، وقرأ ابن عامر أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ وفى الزخرف أَيُّهُ السَّاحِرُ وفى الرحمن أَيُّهُ الثَّقَلَانِ بضمّ الهاء فى الوصل فى الثلاثة والباقون بفتحها ووقف ابو عمرو والكسائىّ عليهنّ بالالف ووقف الباقون بغير الف لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ بسعادة الدارين (٣٢) وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ لمّا نهى عمّا عسى يفضى الى السفاح المخلّ بالنسب المقتضى للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدّية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقّبه بأمر النكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولّية والمملوك وذلك عند طلبهما واشعار بانّ المرأة والعبد لا يستبدّان به اذ لو استبدّا لما وجب على الولىّ والمولى، وأيامى مقلوب أيايم كيتامى جمع أيّم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيّبا قال

فانْ تنكحى أنكح وانْ تتأيّمى ... وانْ كنتُ أفتى منكم أتأيّم

وتخصيص الصالحين لانّ احصان دينهم والاهتمام بشأنهم اهمّ وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه إِنْ يَكُونُوا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ردّ لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعنّ فقر

جزء ١٨ الخاطب او المخطوبة من المناكحة فانّ فى فضل اللّه غُنْيَةً عن المال فانّه غادٍ ورائحٌ او وعدٌ من اللّه ركوع ١٠ بالاغناء لقوله عم اطلبوا الغنى فى هذه الآية لكن مشروطة بالمشيئة كقوله تعالى وان خفتم عَيْلةً فسوف يغنيكم اللّه من فضله ان شاء وَٱللّٰهُ وَاسِعٌ ذو سعة لا تنفد نعمتُه اذ لا تنتهى قدرته عَلِيمٌ يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته (٣٣) وَلْيَسْتَعْفِفِ وليجتهد فى العفّة وقَمْعِ الشهوة ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا اسبابَه ويجوز ان يراد بالنكاح ما يُنْكَح به او بالوجدان التمكّنُ منه حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ فيجدوا ما يتزوّجون به وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَابَ المكاتبةَ وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتُك على كذا من الكتاب لانّ السيّد كتب على نفسه عتقَه اذا ادّى المال او لانّه ممّا يُكْتَب لتأجيله او من الكَتْب بمعنى الجمع لانّ العوض فيه يكون منجّمًا بنجوم يُضَمّ بعضها الى بعض مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ عبدًا كان او امةً ، والموصول بصلته مبتدأٌ خبره فَكَاتِبُوهُمْ او مفعولٌ لمضمرٍ هذا تفسيره ، والفاء لتضمّن معنى الشرط ، والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لانّ الكتابة معاوضة تتضمّن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفيّة باطلاقه على جواز الكتابة الحاليّة ضعيفٌ لانّ المُطْلَق لا يَعُمّ مع انّ العجز عن الاداء فى الحال يمنع صحّتها كما فى السَّلَم فيما لا يوجد عند المَحِلّ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا فى الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدمُ الجواز وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ ٱللّٰهِ ٱلَّذِي آتَاكُمْ امرٌ للموالى كما قبله بأن يبذلوا لهم شيئًا من اموالهم وفى معناه حطُّ شىء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى اقلّ ما يتموّل وعن علىّ رضه يحطّ الربع وعن ابن عبّاس الثلث وقيل ندبٌ لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدّوا ويعتقوا وقيل امرٌ لعامّة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سَهْمَهم من الزكوة ويحلّ للمولى وان كان غنيّا لانّه لا يأخذه صدقةً كالدائن والمشترى ويدلّ عليه قوله عم فى حديث بَرِيرَة هو لها صدقةٌ ولنا هديّةٌ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ اماءكم عَلَى ٱلْبِغَاءِ على الزنا كانت لعبد اللّه بن ابىّ ستّ جوار يكرههنّ على الزنا وضرب عليهنّ الضرائب فشكت بعضهنّ الى رسول اللّه صلعم فنزلت إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا تعففا شرطٌ للاكراه فانّه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جوازُ الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهىّ عنه وايثارُ إِنْ على إِذَا لانّ ارادة التحصّن من الاماء كالشاذّ النادر لِتَبْتَغُوا عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ ٱللّٰهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ اى لهنّ او له ان تاب والاوّل اوفق للظاهر ولما فى مصحف ابن مسعود مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهُنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ولا يَرِد عليه انّ المُكْرَهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لانّ الاكراه لا ينافى المؤاخذة بالذات ولذلك حُرِّم على المُكْرَه القتلُ وأُوجب عليه القصاص (٣٤) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ يعنى الآيات التى بُيِّنت فى هذه السورة وأُوضحت فيها الاحكامُ والحدودُ وقرأ ابن عامر وحمزةُ والكسائىّ وحفص بالكسر

جزء ١٨ لانّها واضحات تصدّقها الكتب المتقدّمة والعقول المستقيمة من بيّن بمعنى تبيّن او لانّها بيّنت الاحكامَ والحدودَ
ركوع ١٠ وَمَثَلًا مِنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ اى ومثلا من امثال من قبلكم اى وقصّة عجيبة مثل قصصهم وهى قصّة
عائشة رضها فانّها كقصّة يوسف ومريم وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ يعنى ما وُعظ به فى تلك الآيات وتخصيص
ركوع ١١ المتّقين لانّهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القران والصفاتُ المذكورة صفاته (٣٥) ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمٰوَاتِ
وَٱلْأَرْضِ النور فى الاصل كيفيّة تُدْركها الباصرةُ اوّلا وبواسطتها سائرَ المُبْصَرات كالكيفيّة الفائضة من النيّرَيْن على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصحّ اطلاقه على اللّه تعالى الّا بتقدير مضاف كقولك زيدٌ كَرَمٌ بمعنى ذو كرم او على تجوّز امّا بمعنى منوِّر السموات والارض وقد قرئ به فانّه تعالى نوّرها بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار او بالملائكة والانبياء او مدبّرها من قولهم للرئيس الفائق فى التدبير نور القوم لانّهم يهتدون به فى الامور او موجدها فانّ النور ظاهر بذاته مُظْهِر لغيره وأصلُ الظهور هو الوجود كما انّ اصل الخفاء هو العدم واللّه سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه او الّذى به تُدْرَك او يُدْرِك اهلُها من حيث انّه يطلق على الباصرة لتعلّقها به او لمشاركتها له فى توقّف الادراك عليه ثمّ على البصيرة لانّها اقوى ادراكا فانّها تدرك نفسها وغيرها من الكلّيّات والجزئيّات الموجودات والمعدومات وتغوص فى بواطنها وتتصرّف فيها بالتركيب والتحليل ثمّ انّ هذه الادراكات ليست لذاتها والّا لما فارقتها فهى اذنْ من سبب يُفيضها عليها وهو اللّه تعالى ابتداءً او بتوسّط من الملائكة والانبياء ولذلك سُمّوا انوارا ويقرب منه قول ابن عبّاس رضه معناه هادى مَنْ فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسّيّة والعقليّة وقصور الادراكات البشريّة عليهما وعلى المتعلّق بهما والمدلول لهما مَثَلُ نُورِهِ صفة نوره العجيبة الشأن واضافته الى ضميره سبحانه دليل على انّ اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كَمِشْكٰوةٍ كصفة مشكوة وهى الكوّة الغير النافذة وقرأ الكسائىّ برواية الدورىّ بالإمالة فِيهَا مِصْبَاحٌ سراج ضخم ثاقب وقيل المشكوة الأنبوبة فى وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ فى قنديل من الزجاج ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ مضىء متلألئ كالزُهَرة فى صفائه وزُهْرَته منسوب الى الدُرّ او فُعّيل كمُرّيق من الدَرْء فانّه يدفع الظلامَ بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الّا انّه قُلبت همزته ياء ويدلّ عليه قراءة حمزة وابى بكر على الاصل وقراءة ابى عمرو والكسائىّ دِرّىءٌ كشرّيب وقد قرئ به مقلوبا يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ اى ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رُوِيتْ ذُبالته بزيتها وفى ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثمّ ابدال الزيتونة عنها تفخيمٌ لشأنها، وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائىّ وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ تَوَقَّدُ من تتوقّد ويَوَّقّدُ بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ تقع الشمس

جزء ١٨ عليها حينا بعد حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالّتى تكون على قلّة او صحراء واسعة فانّ ثمرتها ركوع ١١ تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة فى شرق المعمورة وغربها بل فى وسطها وهو الشأم فانّ زيتونه اجود الزيتون او لا فى مَضْحًى تُشْرِق الشمسُ عليها دائما فتحرقها او فى مَقْنَأَة تغيب عنها دائما فتتركها نيـّـا وفى الحديث لا خير فى شجرة ولا نباتٍ فى مقنأة ولا خير فيهما فى مضحى يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ اى يكاد يضىء بنفسه من غير نار لتلألئه وفرط وبيصه نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ نور متضاعف فانّ نور المصباح زاد فى انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكوة لأشعّته ، وقد ذُكر فى معنى التمثيل وجوهٌ الاوّل انّه تمثيلٌ للهُدَى الّذى دلّ عليه الآيات البيّنات فى جلاء مدلولها وظهور ما تضمّنته من الهدى بالمشكوة المنعوتة او تشبيهٌ للهدى من حيث انّه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانّما ولى الكاف المشكوة لاشتمالها عليه وتشبيهُه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيلٌ لما نوّر اللّه به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكوة المنبثّ فيها من مصباحها ويؤيّده قراءة أُبَىّ مَثَلُ نُورِ ٱلْمُؤمِنِ او تمثيلٌ لما منح اللّه به عباده من القوى الدرّاكة الخمس المترتّبة الّتى مَنُوط بها المعاش والمعادُ وهى الحسّاسةُ الّتى تدرك بها المحسوسات بالحواسّ الخمس والخياليّةُ الّتى تحفظ صُوَر تلك المحسوسات لتعرضها على القوّة العقليّة متى شاءت والعاقلةُ الّتى تدرك الحقائق الكلّيّة والمفكّرةُ الّتى تؤلّف المعقولات لتستنتج منها عِلْمَ ما لم يُعْلَم والقوّةُ القدسيّةُ الّتى تتجلّى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصّةُ بالانبياء والاولياء المعنيّة بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة فى الآية وهى المشكوة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فانّ الحسّاسة كالمشكوة لانّ محلّها كالكُوَى ووَجْهها الى الظاهر لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخياليّة كالزجاجة فى قبول صُوَر المُدْرَكات من الجوانب وضبطها للانوار العقليّة وانارتها بما تشتمل عليه من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلّيّة والمعارف الالهيّة والمفكّرة كالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لا نهاية لها الزيتونةِ المثمرة بالزيت الّذى هو مادّةُ المصابيح الّتى لا تكون شرقيّة ولا غربيّة لتجرّدها عن اللواحق الجسميّة او لوقوعها بين الصُوَر والمعانى متصرّفةً فى القبيلين منتفعةً من الجانبين والقوّة القدسيّة كالزيت فانّها لصفائها وشدّة ذكائها تكاد تُضىء بالمعارف من غير تفكّر ولا تعلّم او تمثيلٌ للقوّة العقليّة فى مراتبها بذلك فانّها فى بدء امرها خالية عن العلوم مستعدّة لقبولها كالمشكوة ثمّ تنتقش بالعلوم الضروريّة بتوسّط إحساس الجزئيّات بحيث تتمكّن من تحصيل النظريّات فتصير كالزجاجة متلألئة فى نفسها قابلة للانوار وذلك التمكّن إن كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وإن كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوّة قدسيّة فكالّتى يكاد زيتها يضىء لانّها تكاد تَعْلَمُ ولو لم تتّصل بملك الوَحْى والالهام الّذى مثله النار من حيث انّ العقول تشتعل عنه ثمّ اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكّن من استحضارها متى شاءت كانت كالمصباح فاذا استحضرتها كانت نورا على نور يَهْدِى ٱللّهُ لِنُورِهِ لهذا النور الثاقب مَنْ يَشَآءُ فانّ الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها وَيَضْرِبُ ٱللّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ

ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او جزء ١٨
خفيّا وفيه وعد ووعيد لمن تدبّرها ولمن لم يكترث بها (٣٦) فِي بُيُوتٍ متعلّق بما قبله اى كمشكوة فى ركوع ١١
بعض بيوت او يوقد فى بيوت فيكون تقييدا للممثّل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فانّ قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلوة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافى جمعُ البيوت وَحْدةَ المشكوة اذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبّح وفيها تكرير مؤكّد لا بيذكر لانّه من صلة أنْ فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبّحوا فى بيوت والمراد بها المساجد لانّ الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم أَذِنَ ٱللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ بالبناء او التعظيم وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ عامّ فيما يتضمّن ذكره حتّى المذاكرة فى افعاله والمباحثة فى احكامه يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ينزّهونه او يصلّون له فيها بالغدوات والعشيّات والغدوّ مصدر أُطلق للوقت ولذلك حَسُن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ وَٱلْإِيصَالِ وهو الدخول فى الاصيل وقرأ ابن عامر وابو بكر يُسَبَّحُ بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلاثة ورفعِ رجال بما يَدُلّ عليه وقرئ تُسَبِّحُ بالتاء مكسورا لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدوّ (٣٧) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ لا تشغلهم معاملة رابحة وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان أُريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو الاهمّ من قسمى التجارة فانّ الربح يتحقّق بالبيع ويتوقّع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانّه اصلها ومبدأها وقيل الجلب لانّه الغالب فيها ومنه يقال تَجَرَ فى كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانّهم تجار وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ عوض فيه الاضافة من التاء المعوّضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله * وأَخْلَفوك عِدَ الامر ٱلّذى وعدوا * وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ما يجب اخراجه من المال للمستحقّين يَخَافُونَ يَوْمًا مع ما هم عليه من الذكر والطاعة تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَارُ تضطرب وتتغيّر من الهول او تتقلّب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلّب القلوب من توقّع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اىّ ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم (٣٨) لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ متعلّق بيسبّح او لا تلهيهم او يخافون أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا احسنَ جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنّة وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ اشياء لم يَعِدْها على اعمالهم ولم تخطر ببالهم وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان (٣٩) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ والّذين كفروا حالهم على ضدّ ذلك فانّ اعمالهم الّتى يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيّبة فى العاقبة كالسراب وهو ما يُرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظَنّ انّه ماء يَسْرُب اى يجرى ، والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية الخالية عن النبات وغيره وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بِقِيعَاتٍ كديمات فى ديمة يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً اى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به فى شدّة الخيبة عند مسيس الحاجة حَتَّىٰ إِذَا جَآءَهُ

جزء ١٨ جاء ما توهمه ماء او موضعه لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا مما ظنه وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِنْدَهُ عقابه او زبانيته او وجده
ركوع ١١ محاسبا اياه فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ استعراضا او مجازاة وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ لا يشغله حساب عن حساب روى
انها نزلت فى عتبة بن ربيعة بن اميّة تعبّد فى الجاهليّة والتمس الدين فلمّا جاء الاسلام كفر (٤٠) أَوْ
كَظُلُمَاتٍ عطف على كسراب وأَوْ للتخيير فانّ اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها
خالية عن نور الحقّ كالظلمات المتراكمة من لجّ البحر والامواج والسحاب او للتنويع فانّ اعمالهم
ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانّها كالظلمات فى
الدنيا وكالسراب فى الآخرة فِى بَحْرٍ لُجِّيٍّ عميق منسوب الى اللّجّ وهو مُعْظم الماء يَغْشَاهُ يغشى البحر
مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ اى امواج مترادفة متراكمة مِنْ فَوْقِهِ من فوق الموج الثانى سَحَابٌ غطّى النجوم
وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظُلُمَاتٌ اى هذه ظلمات بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وقرأ ابن كثير ظُلُمَاتٍ
بالجرّ على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها فى رواية البزّى اِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ وهى اقرب ما يرى اليه
لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله

اذا غيّر النأى المحبّين لم يكد — رسيس الهوى من حبّ ميّة يبرح

والضمائر للواقع فى البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُ نُورًا ومن لم يقدّر
ركوع ١٢ له الهداية ولم يوفّقه لاسبابها فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ خلاف الموفّق الّذى له نور على نور (٤١) أَلَمْ تَرَ الم تعلم علما
يشبه المشاهدة فى اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ينزّه
ذاته عن كلّ نقص وآفة اهل السموات والارض ومَنْ لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدلّ عليه
من مقال او دلالة حال. وَٱلطَّيْرُ على الاوّل تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك
قيّدها بقوله صَافَّاتٍ فانّ اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف فى الجوّ صافّة باسطة اجنحتها
بما فيها من القبض والبسط حجّة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كُلٌّ كلّ واحد ممّا
ذكر او من الطير قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ اى قد علم اللّه دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله
وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ او علم كلٌّ على تشبيه حاله فى الدلالة على الحقّ والميل الى النفع على وجه
يخصّه بحال من علم ذلك مع انّه لا يبعد ان يُلهم اللّهُ الطيرَ دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة
فى اسباب تعيّشها لا يكاد يهتدى اليها العقلاء (٤٢) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فانّه الخالق لهما ولما
فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انّها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ
مرجع الجميع (٤٣) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا يسوقه ومنه البضاعة المُزْجاة فانّها يزجيها كلّ احد
ثمّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ بأن يكون قزعا فيضمّ بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صحّ بَيْنَهُ اذ المعنى بين اجزائه

جزء ١٨ ركوع ١٢

وقرأ نافع برواية ورش يُوَلِّف غير مهموز ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا متراكما بعضه فوق بعض فَتَرَى ٱلْوَدْقَ المطر يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ من فتوقه جمع خَلَل كجبال فى جَبَل وقرئ مِنْ خَلَلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ من الغمام وكلّ ما علاك فهو سماء مِنْ جِبَالٍ فِيهَا من قِطَع عِظام تشبه الجبال فى عظمها او جمودها مِنْ بَرَدٍ بيان للجبال والمفعولُ محذوف اى ينزّل مبتدئا من السماء من جبال فيها من بَرَد بَرَدًا ويجوز ان تكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعةً موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المُظِلّة وفيها جبال من بَرَد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطعٌ يَمْنعه والمشهورُ انّ الابخرة اذا تصاعدت ولم تحلّلها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البَرْدُ هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتدّ البَرْد تقاطر مطرا وان اشتدّ فان وصل الى الاجزاء البخاريّة قبل اجتماعها نزل ثلجا والاّ نزل بَرَدا وقد يبرد الهواء بَرْدا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكلّ ذلك لا بدّ ان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انّها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالّها واوقاتها واليه اشار بقوله فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَآءُ والضمير للبَرَد يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ ضوء برقه وقرئ بالمدّ بمعنى العلوّ وبادغام الدال فى السين وبُرَقِه بفتح الراء وهو جمع بُرْقة وهى المقدار من البَرْق كالغُرْفة وبضمّها للاتباع يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَارِ بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انّه توليد للضدّ من الضدّ وقرئ يُذْهِبُ على زيادة الباء (٤٤) يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحرّ والبرد والظلمة والنور او بما يعمّ ذلك إِنَّ فِى ذَٰلِكَ فيما تقدّم ذكره لَعِبْرَةً لِأُولِى ٱلْأَبْصَارِ لدلالةً على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزّهه عن الحاجة وما يُفضى اليها لمن يرجع الى بصيرة وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ حيوان يدبّ على الارض وقرأ حمزة والكسائىّ خَالِقُ كُلِّ دَآبَّةٍ بالاضافة مِنْ مَآءٍ هو جزء مادّته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكلّ اذ من الحيوانات ما يتولّد لا من النطفة وقيل من ماء متعلّقٌ بدابّة وليس بصلة لخلق فَمِنْهُم مَّنْ يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِ كالحيّة وانّما سمّى الزحف مشيا على الاستعارة او المشاكلة وَمِنْهُم مَّنْ يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ كالانس والطير وَمِنْهُم مَّنْ يَمْشِى عَلَىٰ أَرْبَعٍ كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فانّ اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بِمَنْ عن الاصناف ليوافق التفصيلُ الجملةَ والترتيبُ لتقديم ما هو اعرف فى القُدْرة يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ممّا ذكر وممّا لم يذكر بسيطا ومركّبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقُوَى والافعال مع اتّحاد العنصر بمقتضى مشيئته إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ فيفعل ما يشاء (٤٥) لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ للحقائق بانواع الدلائل وَٱللَّهُ يَهْدِى مَنْ يَشَآءُ بالتوفيق للنظر فيها والتدبّر لمعانيها إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق

*



جزء ١٨ تعالى يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا سهلا لا تبعة له وَهُوَ عِنْدَ ٱللّٰهِ عَظِيمٌ فى الوزر

ركوع ٨ واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتّبة علّق بها مسّ العذاب العظيم تلقّى الافك بألسنتهم والتحدّث به من غير تحقّق واستصغارهم لذلك وهو عند اللّه عظيم (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا ما ينبغى وما يصحّ لنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهٰذَا يجوز أن تكون الاشارة الى القول المخصوص وأن تكون الى نوعه فانّ قذف آحاد الناس محرّم شرعا فضلا عن تعرّض الصدّيقة ابنة الصدّيق حرمة رسول اللّه صلعم سُبْحَانَكَ تعجّب من ذلك الافك او ممّن يقول ذلك وأصله ان يُذكر عند كلّ متعجّب تنزيها للّه تعالى من أن يصعب عليه مثله ثمّ كثر فاستعمل لكلّ متعجّب او تنزيه للّه من ان تكون حرمة نبيّه فاجرة فانّ فجورها ينفّر عنه ويُخلّ بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله هٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ لعظمة المبهوت عليه فانّ حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلّقاتها (١٦) يَعِظُكُمُ ٱللّٰهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ كراهة ان تعودوا او فى ان تعودوا أَبَدًا ما دمتم احياء مكلّفين إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فانّ الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع (١٧) وَيُبَيِّنُ ٱللّٰهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ الدالّة على الشرائع ومحاسن الآداب كى تتّعظوا وتتأدّبوا وَٱللّٰهُ عَلِيمٌ بالاحوال كلّها حَكِيمٌ فى تدابيره ولا يجوّز الكشخنة على نبيّه ولا يقرّره عليها (١٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ يريدون أَنْ تَشِيعَ ان تنتشر ٱلْفَاحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٩) فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ الحدّ والسعير الى غير ذلك وَٱللّٰهُ يَعْلَمُ ما فى الضمائر وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فعاقبوا فى الدنيا على ما دلّ عليه الظاهر واللّه سبحانه يعاقب على ما فى القلوب من حبّ الاشاعة (٢٠) وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ تكرير للمنّة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله وَأَنَّ ٱللّٰهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرّة

ركوع ٩ (٢١) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبزّى وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ بيان لعلّة النهى عن اتّباعه ، والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفّرة لها مَا زَكَى ما طهر من دنسها مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا آخر الدهر وَلٰكِنَّ ٱللّٰهَ يُزَكِّى مَنْ يَشَاءُ بحمله على التوبة وقبولها وَٱللّٰهُ سَمِيعٌ لمقالهم عَلِيمٌ بنيّاتهم (٢٢) وَلَا يَأْتَلِ ولا يحلف افتعال من الأَلِيّة او ولا يقصّر من الأَلْو ويؤيّد الاوّل انّه قرئ وَلَا يَتَأَلَّ وانّه نزل فى ابى بكر الصدّيق رضه وقد حلف لا يُنفق على مسطح بعدُ وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين أُولُو ٱلْفَضْلِ مِنْكُمْ فى الدين وَٱلسَّعَةِ فى المال وفيه دليل على فضل ابى بكر وشرفه أَنْ يُؤْتُوا على

ان لا يؤتوا او فى ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات أُولِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ جزء ۱۸
صفات لموصوف واحد اى ناسا جامعين لها لانّ الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها ركوع ۹
فيكون ابلغ فى تعليل المقصود وَلْيَعْفُوا ما فرط منهم وَلْيَصْفَحُوا بالاغماض عنه أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ ٱللّٰهُ لَكُمْ على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم وَٱللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مع كمال قدرته فتخلّقوا بأخلاقه روى انّه عم قرأها على ابى بكر رضه فقال بلى أُحِبّ ورجع الى مسطح نفقته (۲۳) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ العفائف ٱلْغَافِلَاتِ ممّا قُذفن به ٱلْمُؤْمِنَاتِ باللّه ورسوله استباحةً لعرضهنّ وطعنا فى الرسول والمؤمنين كابن أُبَيّ لُعِنُوا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ لما طعنوا فيهنّ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ لعظم ذنوبهم قيل هو حُكْم كلّ قاذف ما لم يتُبْ وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبىّ صلعم ولذلك قال ابن عبّاس رضه لا توبة له ولو فتّشتَ وعيدات القران لم تجد اغلظ ممّا نزل فى افك عائشة رضها (۲۴) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانّه موصوف وقرأ حمزة والكسائى بالياء للتقدّم والفصل أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يعترفون بها بانطاق اللّه ايّاها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفى ذلك مزيد تهويل للعذاب (۲۵) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللّٰهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ جزاءهم المستحقّ وَيَعْلَمُونَ لمعاينتهم الامر أَنَّ ٱللّٰهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ الثابت بذاته الظاهر الوهيّته لا يشاركه فى ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحقّ البيّن اى العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة (۲۶) ٱلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَٱلطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ اى الخبائث يتزوّجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله أُولَٰئِكَ يعنى اهل بيت النبىّ صلعم او الرسول وعائشة وصفوان مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم تقرّر عليه وقيل الخبيثات والطيّبات من الاقوال والاشارة الى الطيّبين والضمير فى يقولون للآفكين اى مُبَرّءون ممّا يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اى مبرّءون من ان يقولوا مثل قولهم لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ يعنى الجنّة ولقد برّأ اللّه اربعةً باربعة يوسف عم بشاهد من اهلها وموسى عم من قول اليهود بالحجر الّذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة بهذه
الآيات مع هذه المبالغات وما ذلك الّا لاظهار منصب الرسول واعلاء منزلته (۲۷) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا ركوع ۱۰
تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ الّتى تسكنونها فانّ الآجر والمعير ايضا لا يدخلان الّا باذن حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا تستأذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشىء اذا ابصره فانّ المستأذن مستعلم للحال مستكشف انّه هل يراد دخوله او يؤذن له او من الاستيناس الّذى هو خلاف الاستيحاش فانّ المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استأنس او تتعرّفوا هل ثمّ انسان من الانس

جزء ١٨ ركوع ١٠ وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا بأن تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه عم التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرّات فان اذن له دخل والّا رجع ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ اى الاستيذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتةً او من تحيّة الجاهليّة كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حُيّيتم صباحا وحيّيتم مساء ودخل فربّما اصاب الرجل مع امرأته فى لحاف وروى انّ رجلا قال للنبىّ صلعم أأستأذن على امّى قال نعمْ قال انّها ليس لها خادم غيرى أأستأذن عليها كلّما دخلتُ قال اتحبّ ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذنْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ متعلّق بمحذوف اى أُنزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكّروا وتعلموا بما هو اصلح لكم (٢٨) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا يأذن لكم فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ حتّى يأتى من يأذن لكم فانّ المانع من الدخول ليس الاطّلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادةً مع انّ التصرّف فى ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرقٌ او غرقٌ او كان فيه منكرٌ ونحوها وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ولا تلحّوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ الرجوع اطهرُ لكم عمّا لا يخلو الالحاحُ والوقوفُ على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة او انفعُ لدينكم ودنياكم وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ فيعلم ما تأتون وما تذرون ممّا خوطبتم به فيجازيكم عليه (٢٩) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ كالربُط والحوانيت والخانات والخانقات فِيهَا مَتَاعٌ استمتاع لَكُمْ كالاستكنان من الحرّ والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوتَ المسكونة وغيرَها وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلّع على عورات (٣٠) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ اى ما يكون نحو محرم وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ الّا على ازواجهم او ما ملكتْ أيمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذّ النادر بخلاف الغضّ اطلقه وقيّد الغضّ بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصّة سترها ذٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ انفع لهم او اطهر لما فيه من البُعْد عن الريبة إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ لا يخفى عليه اجالةُ أبصارهم واستعمالُ سائر حواسّهم وتحريكُ جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه فى كلّ حركة وسكون (٣١) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ فلا ينظرن الى ما لا يحلّ لهنّ النظر اليه من الرجال وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ بالتستّر او التحفّظ عن الزنا وتقديمُ الغضّ لانّ النظر بريدُ الزنا وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ كالحلى والثياب والأصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحلّ ان تُبْدَى له إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فانّ فى سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعمّ المحاسن الخلقيّة والتزيينيّة والمستثنى هو الوجه والكفّان لانّها ليست بعورة والاظهر انّ هذا فى الصلوة لا فى النظر فانّ كلّ بدن الحرّة عورةٌ لا يحلّ لغير الزوج والمَحْرَم النظرُ الى شىء منها الّا لضرورة كالمعالجة وتحمّل الشهادة وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ سترا لأعناقهنّ وقرأ نافع وعاصم وابو عمرو وهشام بضمّ الجيم وَلَا يُبْدِينَ

جزء ١٨ ركوع ١٠

زِينَتَهُنَّ كرّره لبيان من يحلّ له الابداء ومن لا يحلّ له إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ فانّهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهنّ حتّى الفرج بكُرْه أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ لكثرة مداخلتهم عليهنّ واحتياجهنّ الى مداخلتهم وقلّة توقّع الفتنة من قِبَلهم لما فى الطباع من النفرة عن مماسّة القرائب ولهم ان ينظروا منهنّ ما يبدو عند المِهْنة والخدمة، وانّما لم يذكر الاعمام والاخوال لانّهم فى معنى الاخوان او لانّ الأَحْوَط أن يتستّرن عنهم حذرا ان يصفوهنّ لابنائهم أَوْ نِسَائِهِنَّ يعنى المؤمنات فانّ الكافرات لا يتحرّجن عن وصفهنّ للرجال او النساء كلّهنّ والعلماء فى ذلك خلاف أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ يعمّ الاماء والعبيد لما روى انّه عم اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنّعتْ به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطّت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عم انّه ليس عليك بأس انّما هو ابوك وغلامك وقيل المرادُ بها الاماء وعبدُ المرأة كالاجنبىّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ اى اولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهِمّ والممسوحون وفى المجبوب والخصىّ خلاف وقيل البُلْه الّذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء، وقرأ ابن عامر وابو بكر غَيْرَ بالنصب على الحال أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطّلاع او لعدم بلوغهم حدّ الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة، والطفل جنس وُضع موضعَ الجمع اكتفاء بدلالة الوصف وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ليتقعقع خلخالها فيُعْلَم انّها ذات خلخال فانّ ذلك يورث ميلا فى الرجال وهو ابلغ من النهى عن اظهار الزينة وادلّ على المنع من رفع الصوت وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ اذ لا يكاد يخلو احدكم من تفريط سيّما فى الكفّ عن الشهوات وقيل توبوا ممّا كنتم تفعلونه فى الجاهليّة فانّه وان جُبّ بالاسلام لكنّه يجب الندم عليه والعزم على الكفّ عنه كلّما يتذكّر، وقرأ ابن عامر أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ وفى الزخرف أَيُّهُ السَّاحِرُ وفى الرحمن أَيُّهُ الثَّقَلَانِ بضمّ الهاء فى الوصل فى الثلاثة والباقون بفتحها ووقف ابو عمرو والكسائىّ عليهنّ بالالف ووقف الباقون بغير الف لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ بسعادة الدارين

(٣٢) وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ لمّا نهى عمّا عسى يُفضى الى السفاح المُخلّ بالنسب المقتضى للالفة وحُسْن التربية ومزيد الشفقة المودّية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغةً فيه عقّبه بأمر النكاح الحافظ له والخطابُ للاولياء والسادة وفيه دليلٌ على وجوب تزويج المَوْلِيّة والمملوك وذلك عند طلبهما واشعارٌ بانّ المرأة والعبد لا يستبدّان به اذ لو استبدّا لما وجب على الولىّ والمَوْلى، وأَيامى مقلوبُ أَيائِم كيَتَامى جمعُ أَيِّم وهو العَزَب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيّبا قال

فانْ تَنْكِحى أَنْكِحْ وانْ تتأيّمى وانْ كنتُ أَفْتَى منكمُ أَتأيّمِ

وتخصيص الصالحين لانّ احصان دينهم والاهتمام بشأنهم اهمّ وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ردٌّ لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعنّ فقر

جزء ١٨ ركوع ١٠

الخاطب او المخطوبة من المناكحة فانّ فى فصل اللّه غُنْية عن المال فانّه غادٍ ورائحٌ او وعدٌ من اللّه بالاغناء لقوله عم اطلبوا الغنى فى هذه الآية لكن مشروطة بالمشيّة كقوله تعالى وان خفتم عَيْلة فسوف يغنيكم اللّه من فضله ان شاء وَٱللّٰهُ وَاسِعٌ ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تنتهى قدرته عَلِيمٌ يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته (٣٣) وَلْيَسْتَعْفِفِ وليجتهد فى العفّة وقمع الشهوة ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما يُنْكَح به او بالوجدان التمكّن منه حَتَّى يُغْنِيَهُمُ ٱللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ فيجدوا ما يتزوّجون به وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَابَ المكاتبةَ وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكِتاب لانّ السيّد كتب على نفسه عتقه اذا ادّى المال او لانّه ممّا يُكْتَب لتأجيله او من الكَتْب بمعنى الجمع لانّ العوض فيه يكون منجّما بنجوم يُضَمّ بعضها الى بعض مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ عبدا كان او امة ، والموصول بصلته مبتدأٌ خبره فَكَاتِبُوهُمْ او مفعولٌ لمضمرٍ هذا تفسيره ، والفاء لتضمّن معنى الشرط ، والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لانّ الكتابة معاوضة تتضمّن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفيّة باطلاقه على جواز الكتابة الحاليّة ضعيفٌ لانّ المُطْلَق لا يَعُمّ مع انّ العجز عن الاداء فى الحال يمنع صحّتها كما فى السَّلَم فيما لا يوجد عند المَحِلّ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا فى الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدمُ الجواز وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ ٱللّٰهِ ٱلَّذِى آتَاكُمْ امرٌ للموالى كما قبله بأن يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفى معناه حطّ شىء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى اقلّ ما يتموّل وعن علىّ رضه يحطّ الربع وعن ابن عبّاس الثلث وقيل ندبٌ لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدّوا ويعتقوا وقيل امرٌ لعامّة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سَهْمَهم من الزكوة ويحلّ للمولى وان كان غنيّا لانّه لا يأخذه صدقةً كالدائن والمشترى ويدلّ عليه قوله عم فى حديث بَرِيرة هو لها صدقةٌ ولنا هديّةٌ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ اماءكم عَلَى ٱلْبِغَاءِ على الزنا كانت لعبد اللّه بن ابىّ ستّ جوارٍ يكرههنّ على الزنا وضرب عليهنّ الضرائب فشكت بعضهنّ الى رسول اللّه صلعم فنزلت إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا تعففا شرطٌ للاكراه فانّه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جوازُ الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهىّ عنه وايثارُ إِنْ على اذا لانّ ارادة التحصّن من الاماء كالشاذّ النادر لِتَبْتَغُوا عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ ٱللّٰهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ اى لهنّ او له ان تاب والاوّل اوفق للظاهر ولما فى مصحف ابن مسعود مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهُنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ولا يَرِد عليه انّ المُكْرَهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لانّ الاكراه لا ينافى المؤاخذة بالذات ولذلك حُرّم على المُكْرَه القتلُ وأُوجب عليه القصاص (٣٤) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ يعنى الآيات التى بُيِّنت فى هذه السورة وأُوضحت فيها الاحكامُ والحدودُ وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائىّ وحفص بالكسر

لانّها واضحات تصدّقها الكتب المتقدّمة والعقول المستقيمة من بَيَّنَ بمعنى تَبَيَّنَ او لانّها بيّنت الاحكامَ والحدودَ جزء ١٨
وَمَثَلًا مِنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ اى ومثلا من امثال من قبلكم اى وقصّةً عجيبةً مثل قصصهم وهى قصّة ركوع ١٠
عائشة رضها فانّها كقصّة يوسف ومريم وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ يعنى ما وُعظ به فى تلك الآيات وتخصيص
المتّقين لانّهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القران والصفاتُ المذكورة صفاته (٣٥) ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمٰوَاتِ ركوع ١١
وَٱلْأَرْضِ النور فى الاصل كيفيّة تُدْرِكها الباصرة اوّلا وبواسطتها سائرَ المُبْصَرات كالكيفيّة الفائضة من
النيّرَيْن على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصحّ إطلاقه على اللّه تعالى الّا بتقدير
مضاف كقولك زيدٌ كَرَمٌ بمعنى ذو كرم او على تجوّز إمّا بمعنى منوِّر السموات والارض وقد قرئ به فانّه
تعالى نوّرها بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار او بالملائكة والانبياء او مدبّرها من قولهم للرئيس
الفائق فى التدبير نور القوم لانّهم يهتدون به فى الامور او موجدها فانّ النور ظاهر بذاته مُظْهِر لغيره
وأصلُ الظهور هو الوجود كما انّ اصل الخفاء هو العدم واللّه سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما
عداه او الّذى به تُدْرَك او يُدْرِك اهلُها من حيث انّه يطلق على الباصرة لتعلّقها به او لمشاركتها له فى
توقّف الادراك عليه ثمّ على البصيرة لانّها اقوى ادراكا فانّها تدرك نفسها وغيرها من الكلّيات والجزئيّات
الموجودات والمعدومات وتغوص فى بواطنها وتتصرّف فيها بالتركيب والتحليل ثمّ انّ هذه الادراكات
ليست لذاتها والّا لما فارقتها فهى اذنْ من سبب يُفيضها عليها وهو اللّه تعالى ابتداء او بتوسّط من
الملائكة والانبياء ولذلك سُمّوا انوارا ويقرب منه قول ابن عبّاس رضه معناه هادى مَنْ فيهما فهم بنوره
يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسّيّة والعقليّة وقصور
الادراكات البشريّة عليهما وعلى المتعلّق بهما والمدلول لهما مَثَلُ نُورِهِ صفة نوره العجيبة الشأن واضافته
الى ضميره سبحانه دليل على انّ اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كَمِشْكَوٰةٍ كصفة مشكوة وهى الكُوّة الغير
النافذة وقرأ الكسائىّ برواية الدورىّ بالإمالة فِيهَا مِصْبَاحٌ سراج ضخم ثاقب وقيل المشكوة الأُنبوبة
فى وسط القنديل والمصباحُ الفتيلة المشتعلة ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ فى قنديل من الزجاج ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا
كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ مُضِىء متلألئ كالزهرة فى صفائه وزهرته منسوب الى الدرّ او فُعّيل كمرّيق من الدرء
فانّه يدفع الظلامَ بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الّا انّه قُلبت همزته ياء ويدلّ عليه قراءة حمزة وابى
بكر على الاصل وقراءة ابى عمرو والكسائىّ دِرّىء كشرّيب وقد قرئ به مقلوبا يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
اى ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رُوِيَتْ ذُبالته بزيتها وفى ابهام الشجرة
ووصفها بالبركة ثمّ ابدالِ الزيتونة عنها تفخيمٌ لشأنها، وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء
للمفعول من اوقد وحمزة والكسائىّ وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ
تَوَقَّدُ من تتوقّد ويَوَقَّدُ بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ تقع الشمس

جزء ١٨ عليها حينا بعد حين بل بحيث تقع عليها طولَ النهار كالّتى تكون على قُلّة او صحراء واسعة فانّ ثمرتها
ركوع ١١ تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة فى شرق المعمورة وغربها بل فى وسطها وهو الشأم فانّ زيتونه اجود الزيتون او لا فى مَضْحًى تُشْرِقُ الشمسُ عليها دائما فتحرقها او فى مَقْنَأَة تغيب عنها دائما فتتركها نيـئا وفى الحديث لا خير فى شجرة ولا نباتٍ فى مقنأة ولا خير فيهما فى مضحى يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ اى يكاد يضىء بنفسه من غير نار لتلألئه وفرط وبيصه نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ نور متضاعف فانّ نور المصباح زاد فى انارته صفاءُ الزيت وزهرةُ القنديل وضبطُ المشكوة لأشعّته ، وقد ذُكر فى معنى التمثيل وجوهٌ الاوّل انّه تمثيلٌ للهُدَى الّذى دلّ عليه الآياتُ البيّناتُ فى جلاء مدلولهـا وظهور ما تضمّنته من الهدى بالمشكوة المنعوتة او تشبيهٌ للهدى من حيث انّه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانّما ولى الكافُ المشكوةَ لاشتمالها عليه وتشبيهُه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيلٌ لما نوّر اللّه به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكوة المنبثّ فيها من مصباحها ويؤيّده قراءة أُبَىّ مَثَلُ نُورِ الْمُؤمِنِ او تمثيلٌ لما منح اللّه به عباده من القوى الدَّرّاكة الخمس المترتّبة الّتى مَنُوط بهـا المعاشُ والـمعادُ وهى الحسّاسةُ الّتى تدرك بهـا المحسوسـات بالحواسّ الخمس والخياليّةُ الّـتى تحفظ صُوَر تلـك المحسوسات لتعرضهـا على القوّة العقليّة متى شاءت والعاقلةُ الّتى تدرك الحقـائـق الكلّيّة والمفكّرةُ الّتى تؤلّف المعقولات لتستنتج منها عِلْمَ ما لم يُعْلَم والقوّةُ القدسيّةُ الّتى تتجلّى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصّةُ بالانبياء والاولياء المعنيّة بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة فى الآية وهى المشكوة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فانّ الحسّاسة كالمشكوة لانّ محلّها كالكُوَى ووجْهها الى الظاهر لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخياليّة كالزجاجة فى قبول صُوَر المُدْرَكات من الجوانب وضبطها للانوار العقليّة وانارتها بما تشتمل عليه من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلّيّة والمعارف الالهيّة والمفكّرة كالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لا نهاية لها الزيتونةِ المُثْمِرة بالزيت الّذى هو مادّةُ المصابيح الّتى لا تكون شرقيّة ولا غربيّة لتجرّدها عن اللواحق الجسميّة او لوقوعهـا بين الصُوَر والمعـانى متصرّفةً فى القبيلين منتفعةً من الجانبين والقوّة القدسيّة كالزيت فانّها لصفائها وشدّة ذكائها تكاد تُضىء بالمعارف من غير تفكّر ولا تعلّم او تمثيلٌ للقوّة العقليّة فى مراتبها بذلك فانّها فى بدء امرها خالية عن العلوم مستعدّة لقبولها كالمشكوة ثمّ تنتقش بالعلوم الضروريّة بتوسّط إحساس الجزئيّات بحيث تتمكّن من تحصيل النظريّات فتصير كالزجاجة متلألئة فى نفسها قابلة للانوار وذلك التمكّن إن كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وإن كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوّة قدسيّة فكالّتى يكاد زيتها يضىء لانّها تكاد تَعْلَمُ ولو لم تتّصل بملك الوَحْى والالهام الّذى مثله النار من حيث انّ العقول تشتعل عنه ثمّ اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكّن من استحضارها متى شاءت كانت كالمصباح فاذا استحضرتها كانت نورا على نور يَهْدِى اللّٰهُ لِنُورِهِ لهذا النور الثاقب مَنْ يَشَآءُ فانّ الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها وَيَضْرِبُ اللّٰهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ

ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او جزء ١٨
خفيًا وفيه وعد ووعيد لمن تدبّرها ولمن لم يكترث بها (٣٦) فِى بُيُوتٍ متعلّق بما قبله اى كمشكوة فى ركوع ١١
بعض بيوت او يوقد فى بيوت فيكون تقييدا للممثّل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فانّ قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلوة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافى جمعُ البيوت وَحْدةَ المشكوة اذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبّح وفيها تكرير مؤكّد لا بيذكر لانّه من صلة أنْ فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبّحوا فى بيوت والمراد بها المساجد لانّ الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكيرُ للتعظيم أَذِنَ ٱللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ بالبناء او التعظيم وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ عامّ فيما يتضمّن ذكره حتّى المذاكرة فى افعاله والمباحثة فى احكامه يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ينزّهونه او يصلّون له فيها بالغدوات والعشيّات والغُدُوّ مصدر أُطْلق للوقت ولذلك حَسُن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ وَٱلْإِيصَالِ وهو الدخول فى الاصيل وقرأ ابن عامر وابو بكر يُسَبَّحُ بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلاثة ورفعِ رجال بما يَدُلّ عليه وقرئ تُسَبِّحُ بالتاء مكسورا لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدوّ (٣٧) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ لا تشغلهم معاملة رابحة وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان أُريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو الاهمّ من قسمى التجارة فانّ الربح يتحقّق بالبيع ويتوقّع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانّه اصلها ومبتدأها وقيل الجَلَب لانّه الغالب فيها ومنه يقال تَجَرَ فى كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانّهم تجار وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ عوض فيه الاضافة من التاء المعوّضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله ● وأَخْلَفوك عِدَ الامر ٱلّذى وعـدوا ● وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ما يجب اخراجه من المال للمستحقّين يَخَافُونَ يَوْمًا مع ما هم عليه من الذكر والطاعة تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَارُ تضطرب وتتغيّر من الهول او تتقلّب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلّب القلوب من توقّع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اى ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم (٣٨) لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ متعلّق بيسبّح او لا تلهيهم او يخافون أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا احسنَ جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنّة وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ اشياء لم يَعِدْها على اعمالهم ولم تخطر ببالهم وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان (٣٩) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ والّذين كفروا حالهم على ضدّ ذلك فانّ اعمالهم الّتى يحسبونها صالحة نافعة عند اللّه يجدونها لاغية مخيّبة فى العاقبة كالسراب وهو ما يُرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقتَ الظهيرة فيُظَنّ انّه ماء يَسْرُب اى يجرى ، والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية الخالية عن النبات وغيره وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بِقِيعَاتٍ كديمات فى ديمة يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً اى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به فى شدّة الخيبة عند مسيس الحاجة حَتَّىٰ إِذَا

جزء ١٨ جاء ما توهمه ماء او موضعه لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا مما ظنه وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِنْدَهُ عقابه او زبانيته او وجده
ركوع ١١ محاسبا اياه فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ استعراضا او مجازاة وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ لا يشغله حساب عن حساب روى
انها نزلت في عتبة بن ربيعة بن أُميّة تعبّد في الجاهليّة والتمس الدين فلمّا جاء الاسلام كفر (٤٠) أَوْ
كَظُلُمَاتٍ عطف على كسراب وأَوْ للتخيير فانّ اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها
خالية عن نور الحقّ كالظلمات المتراكمة من لجّ البحر والامواج والسحاب او للتنويع فانّ اعمالهم
ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانّها كالظلمات في
الدنيا وكالسراب في الآخرة فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ عميق منسوب الى اللجّ وهو معظم الماء يَغْشَاهُ يغشى البحر
مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ اى امواج مترادفة متراكمة مِنْ فَوْقِهِ من فوق الموج الثانى سَحَابٌ غطّى النجوم
وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظُلُمَاتٌ اى هذه ظلمات بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وقرأ ابن كثير ظُلُمَاتٍ
بالجرّ على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها في رواية البزّىّ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ وهى اقرب ما يرى اليه
لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله

اذا غيّر النأْىُ المحبّين لم يكد رسيسُ الهوى من حبّ ميّة يبرحُ

والضمائر للواقع في البحر وان لم يجرِ ذكره لدلالة المعنى عليه وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُ نُورًا ومن لم يقدّر
ركوع ١٢ له الهداية ولم يوفّقه لاسبابها فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ خلاف الموفّق الذى له نور على نور (٤١) أَلَمْ تَرَ الم تعلم علما
يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ينزّه
ذاته عن كلّ نقص وآفة اهلُ السموات والارض ومَنْ لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدلّ عليه
من مقالٍ او دلالة حال. وَٱلطَّيْرُ على الاوّل تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك
قيّدها بقوله صَافَّاتٍ فانّ اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجوّ صافّة باسطة اجنحتها
بما فيها من القبض والبسط حجّة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كُلٌّ كلّ واحد ممّا
ذكر او من الطير قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ اى قد علم اللّهُ دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله
وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ او علم كلٌّ على تشبيه حاله في الدلالة على الحقّ والميل الى النفع على وجه
يخصّه بحال من علم ذلك مع انّه لا يبعد ان يُلهم اللّهُ الطيرَ دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة
في اسباب تعيّشها لا يكاد يهتدى اليها العقلاء (٤٢) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فانّه الخالق لهما ولما
فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انّها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ
مرجع الجميع (٤٣) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا يسوقه ومنه البضاعة المُزْجاة فانّها يزجيها كلّ احد
ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ بأن يكون قزعا فيضمّ بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صحّ بَيْنَهُ اذ المعنى بين اجزائه ،

جزء ١٨ ركوع ١٣

وقرأ نافع برواية ورش يُوَلِّف غير مهموز ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا متراكما بعضه فوق بعض فَتَرَى ٱلْوَدْقَ المطر يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ من فتوقه جمع خَلَل كجبال فى جَبَل وقرئ مِنْ خَلَلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ من الغمام وكلُّ ما علاك فهو سماء مِنْ جِبَالٍ فِيهَا من قِطَع عظام تشبه الجبال فى عظمها او جمودها مِنْ بَرَدٍ بيان للجبال والمفعول محذوف اى ينزّل مبتدئا من السماء من جبال فيها من بَرَد بَرَدًا ويجوز ان تكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعةً موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المُظِلّة وفيها جبال من بَرَد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطعٌ يَمْنعه والمشهورُ انّ الابخرة اذا تصاعدت ولم تحلّلها حرارة فبلغت الطبقةَ الباردةَ من الهواء وقوى البَرْدُ هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتدّ البَرْد تقاطر مطرا وان اشتدّ فان وصل الى الاجزاء البخاريّة قبل اجتماعها نزل ثلجا والّا نزل بَرَدا وقد يبرد الهواء بَرْدا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكلّ ذلك لا بدّ ان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انّها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالّها واوقاتها واليه اشار بقوله فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَآءُ والضمير للبَرَد يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ ضوء برقه وقرئ بالمدّ بمعنى العلوّ وبادغام الدال فى السين وبُرَقِهِ بفتح الراء وهو جمع بُرْقة وهى المقدار من البَرْق كالغُرْفة وبضمّها للاتّباع يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَارِ بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انّه توليد للضدّ من الضدّ وقرئ يُذْهِبُ على زيادة الباء (۴۴) يُقَلِّبُ ٱللّٰهُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحرّ والبرد والظلمة والنور او بما يعمّ ذلك إِنَّ فِى ذٰلِكَ فيما تقدّم ذكره لَعِبْرَةً لِأُولِى ٱلْأَبْصَارِ لدلالةً على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيّته وتنزّهه عن الحاجة وما يُفضى اليها لمن يرجع الى بصيرة وَٱللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ حيوان يدبّ على الارض وقرأ حمزة والكسائىّ خَالِقُ كُلِّ دَآبَّةٍ بالاضافة مِنْ مَآءٍ هو جزء مادّته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكلّ اذ من الحيوانات ما يتولّد لا من النطفة وقيل من ماء متعلّقٌ بدابّة وليس بصلة لخلق فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِ كالحيّة وانّما سمّى الزحف مشيا على الاستعارة او المشاكلة وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ كالانس والطير وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَىٰ أَرْبَعٍ كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فانّ اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمَنْ عن الاصناف ليوافق التفصيلُ الجملةَ والترتيبُ لتقديم ما هو اعرف فى القُدْرة يَخْلُقُ ٱللّٰهُ مَا يَشَآءُ ممّا ذكر وممّا لم يذكر بسيطا ومركّبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقُوَى والافعال مع اتّحاد العنصر بمقتضى مشيّته إِنَّ ٱللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ فيفعل ما يشاء (۴۵) لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ للحقائق بانواع الدلائل وَٱللّٰهُ يَهْدِى مَنْ يَشَآءُ بالتوفيق للنظر فيها والتدبّر لمعانيها إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ هو دين الاسلام الموصل الى درك الحقّ

*

والفوز بالجنّة (٤٦) وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِٱللّٰهِ وَبِٱلرَّسُولِ نزلت فى بِشْر المنافق خاصم يهوديّا فدعاه الى كعب جزء ١٨
ابن الاشرف وهو يدعوه الى النبىّ صلعم وقيل فى مُغيرة بن وائل خاصم عليّا رضه فى ارض فأبى ان يحاكمه ركوع ١٢
الى الرسول وَأَطَعْنَا اى واطعناهما ثُمَّ يَتَوَلَّى بالامتناع عن قبول حكمه فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ بعد
قولهم هذا وَمَا أُولٰئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ اشارة الى القائلين بأسرهم فيكون اعلاما من اللّٰه تعالى بانّ جميعهم
وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق منهم وسلبُ الايمان عنهم لتولّيهم ، والتعريف
فيه للدلالة على انّهم ليسوا بالمؤمنين الّذين عرفتَهم وهم المخلصون فى الايمان والثابتون عليه
(٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى ٱللّٰهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ليحكم النبىّ فانّه الحاكم ظاهرا والمدعوّ اليه وذكرُ اللّٰه
لتعظيمه والدلالة على انّ حكمه فى الحقيقة حكم اللّٰه إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ فاجأ فريق منهم الاعراضَ
اذا كان الحقّ عليهم لعلمهم بانّك لا تحكم لهم وهو شرح للتولّى ومبالغة فيه (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ ٱلْحَقُّ
اى الحكم لا عليهم يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ منقادين لعلمهم بانّه يحكم لهم وإِلَيْهِ صلةٌ ليأتوا او لمذعنين
وتقديمه للاختصاص (٤٩) أَفِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ كفر او ميل الى الظلم أَمِ ٱرْتَابُوا بأن رأوا منك تهمةً فزال يقينهم
وثقتهم بك أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ ٱللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ فى الحكومة بَلْ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ اضراب عن
القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاوّل ووجهُ التقسيم انّ امتناعهم امّا لخلل فيهم او فى الحاكم والثانى
امّا ان يكون محقّقا عندهم او متوقّعا وكلاهما باطل لانّ منصب نبوّته وفرط امانته يمنعه فتعيّن
الاوّل وظلمهم يعمّ خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصلُ لنفى ذلك عن غيرهم سيّما المدعوّ
الى حكمه (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى ٱللّٰهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ركوع ١٣
وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ على عادته تعالى فى اتْباع ذكر المحقّ المبطلَ والتنبيه على ما ينبغى بعد انكاره
لما لا ينبغى ، وقرئ قَوْلُ بالرفع ولِيُحْكَمَ على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليُفْعَلَ
الحكمُ (٥١) وَمَنْ يُطِعِ ٱللّٰهَ وَرَسُولَهُ فيما يأمرانه او فى الفرائض والسُنَن وَيَخْشَ ٱللّٰهَ على ما صدر عنه من
الذنوب وَيَتَّقْهِ فيما بقى من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو بكر وابو عمرو بسكون
الهاء وحفص بسكون القاف فشبّه تَقْهِ بكَتِف وخفّف والهاء ساكنة فى الوقف بالاتّفاق فَأُولٰئِكَ
هُمُ ٱلْفَائِزُونَ بالنعيم المقيم (٥٢) وَأَقْسَمُوا بِٱللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ انكار للامتناع عن حكمه لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ
بالخروج عن ديارهم واموالهم لَيَخْرُجُنَّ جواب لأقسموا على الحكاية قُلْ لَا تُقْسِمُوا على الكذب طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ
اى المطلوبُ منكم طاعةٌ معروفةٌ لا اليمينُ على الطاعة النفاقيّة المنكرة او طاعة معروفة امثلُ منها او ليكن
طاعة وقرئت بالنصب على أطيعوا طاعةً إِنَّ ٱللّٰهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ فلا يخفى عليه سرائركم
(٥٣) قُلْ أَطِيعُوا ٱللّٰهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ امر بتبليغ ما خاطبهم اللّٰه به على الحكاية مبالغةً فى تبكيتهم

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ على محمد مَا حُمِّلَ من التبليغ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ من الامتثال وَإِنْ تُطِيعُوهُ فى حكمه جزء ١٨
تَهْتَدُوا الى الحق وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ التبليغ الموضح لما كُلّفتم به وقد ادّى وانّما بقى ما ركوع ١٣
حُمّلتم فان ادّيتم فلكم وان تولّيتم فعليكم (٥٤) وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ خطاب
للرسول والامّة او له ولمن آمن معه ومن للبيان لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ليجعلنّهم خلفاء متصرّفين فى
الارض تصرّف الملوك فى مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنّهم او
الوعد فى تحققه منزّل منزلة القسم كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يعنى بنى اسرائيل استخلفهم فى
مصر والشأم بعد الجبابرة ، وقرأ ابو بكر بضمّ التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضمّ الالف والباقون بفتحهما
واذا ابتدءوا كسروا الالف وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَى لَهُمْ وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت
وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ من الاعداء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف أَمْنًا منهم وكان رسول
الله صلعم واصحابه مكثوا بمكّة عشر سنين خائفين ثمّ هاجروا الى المدينة وكانوا يُصْبِحون فى السلاح
ويُمْسُون فيه حتّى انجز الله وَعْدَه فأظهرهم على العرب كلّهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل
على صحّة النبوّة بالاخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود
عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه فى الآخرة يَعْبُدُونَنِى حالٌ من الّذين لتقييد
الوعد بالثبات على التوحيد او استيناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا
حال من الواو اى يعبدوننى غير مشركين وَمَنْ كَفَرَ ومن ارتدّ او كفر هذه النعمة بَعْدَ ذٰلِكَ بعد الوعد
او حصول الخلافة فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ الكاملون فى فسقهم حيث ارتدّوا بعد وضوح مثل هذه الآيات
او كفروا تلك النعمة العظيمة (٥٥) وَأَقِيمُوا ٱلصَّلٰوةَ وَآتُوا ٱلزَّكٰوةَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فى سائر ما امركم به
ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فانّ الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول
للتأكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة فيه بقوله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ كما علّق به الهدى
(٥٦) لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ لا تحسبنّ يا محمّد الكفّار معجزين لله عن ادراكهم
واهلاكهم وفى الارض صلة معجزين ، وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على انّ الضمير فيه لمحمّد والمعنى كما
هو فى القراءة بالتاء او الّذين كفروا فاعلٌ والمعنى لا يحسبنّ الكفّار فى الارض احدا معجزا لله فيكون
معجزين فى الارض مفعوليه او لا يحسبنّهم معجزين فحذف المفعول الاوّل لانّ الفاعل والمفعولين لشىء
واحد فاكتفى بذكر الاثنين عن الثالث وَمَأْوَاهُمُ ٱلنَّارُ عطف عليه من حيث المعنى كانّه قيل الّذين
كفروا ليسوا بمعجزين ومأواهم النار لانّ المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز
وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ المأوى الّذى يصيرون اليه (٥٧) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ركوع
رجوع الى تتمّة الاحكام السالفة بعد الفراغ من الالهيّات الدالّة على وجوب الطاعة فيما سلف من

لاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمرادُ به خطاب الرجال والنساء غلّب فيه الرجال لما روى انّ غلامَ أَسْماء بنت ابى مُرْشِد دخل عليها فى وقتٍ كَرِهَتْه فنزلت وقيل ارسل رسول اللّه صلعم مُدْلِجَ بن عمرو الانصارىّ وكان غلاما وقتَ الظهيرة ليدعو عُمَرَ فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددتُ انّ اللّه نهى آباءنا وابناءنا وخدمَنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الّا باذن ثمّ انطلق معه الى النبىّ صلعم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا ٱلْحُلُمَ مِنْكُمْ والصبيان الّذين لم يبلغوا من الأَحْرار فعبّر عن البلوغ بالاحتلام لانّه اقوى دلائله ثَلٰثَ مَرّٰاتٍ فى اليوم والليلة مرّة مِنْ قَبْلِ صَلٰوةِ ٱلْفَجْرِ لانّه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحلّه النصب بدلا من ثلث مرّات او الرفع خبرا لمحذوف اى هى من قبل صلوة الفجر وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ اى ثيابكم لليقظة للقيلولة مِنَ ٱلظَّهِيرَةِ بيان للحين وَمِنْ بَعْدِ صَلٰوةِ ٱلْعِشَاءِ لانّه وقت التجرّد عن اللباس والالتحاف باللحاف ثَلٰثُ عَوْرٰاتٍ لَكُمْ اى هى ثلاثة اوقات يختلّ فيها تستّركم ويجوز ان يكون مبتدأً خبرُه ما بعده وأصلُ العورة الخلل ومنها أَعْوَرَ المكانُ ورجلٌ أَعْوَرُ، وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائىّ ثَلٰثَ بالنصب بدلا من ثلث مرّات لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ بعد هذه الاوقات فى ترك الاستيذان وليس فيه ما ينافى آية الاستيذان فينسخها لانّه فى الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك فى الاحرار والبالغين طَوّٰافُونَ عَلَيْكُمْ اى هم طوّافون استيناف ببيان العُذْر المرخّص فى ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا فى الفرق بين الاوقات الثلاثة وغيرها بانّها عورات بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض كَذٰلِكَ مثل ذلك التبيين يُبَيِّنُ ٱللّٰهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ اى الاحكام وَٱللّٰهُ عَلِيمٌ باحوالكم حَكِيمٌ فيما شرع لكم (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَالُ مِنْكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا ٱسْتَأْذَنَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ الّذين بلغوا من قبلهم فى الاوقاتِ كلّها واستدلّ به من اوجب استيذان العبد البالغ على سيّدته وجوابُه انّ المراد بهم المعهودون الّذين جُعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللّٰهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَٱللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ كرّره تأكيدا ومبالغةً فى الامر بالاستيذان (٥٩) وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَاءِ العجائز اللّاتى قعدن عن الحيض والحمل ٱللّٰاتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا لا يطمعن فيه لكبرهنّ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ اى الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لانّ اللام فى القواعد بمعنى اللّاتى او لوصفها بها غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ غير مظهرات زينةً ممّا أُمرن باخفائه فى قوله ولا يُبْدين زينتهنّ وأصلُ التبرّج التكلّف فى اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبَرَج سعة العين بحيث يُرى بياضها محيطا بسوادها كلّه لا يغيب منه شىء الّا انّه خصّ بتكشّف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ من الوضع لانّه ابعد من

التهمة وَٱللّٰهُ سَمِيعٌ لمقالهن للرجال عَلِيمٌ بمقصودهن (٦٠) لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى جزء ١٨
ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ نفى لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من ركوع ١٤
بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلّفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيبة قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت آبائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كَلًّا عليهم وهذا انما يكون اذا عُلم رِضَى صاحب البيت باذنٍ او قرينة او كان فى اوّل الاسلام ثمّ نُسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبىّ الّا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفىٌ للحرج عنهم فى القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنۢ بُيُوتِكُمْ من البيوت الّتى فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لانّ بيت الولد كبيته لقوله عم انت ومالك لابيك وقوله عم انّ اطيبَ ما يأكل المرء مِنْ كسبه وانّ ولده من كسبه أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرّفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك ، والمفاتح جمع مِفتح وهو ما يُفتح به وقرئ مِفْتاحه أَوْ صَدِيقِكُمْ او بيوت صديقكم فانّهم ارضى بالتبسّط فى اموالهم وأسرّ به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كلّه انّما يكون اذا عُلم رِضى صاحب البيت باذنٍ او قرينة ولذلك خصّص هؤلاء فانّه يُعتاد التبسّط بينهم او كان فى اوّل الاسلام فنسخ فلا احتجاجَ للحنفيّة به على انْ لا قَطْعَ بسرقة مال المَحْرَم لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا مجتمعين او متفرّقين نزلت فى بنى ليث بن عمرو بن كنانة كانوا يتحرّجون ان يأكل الرجل وحده او فى قوم من الأنصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الّا معه او فى قوم تحرّجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطبائع فى القذارة والنهمة (٦١) فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا من هذه البيوت فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ على اهلها الّذين هم منكم دينا وقرابة تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحيّة فانّه طلب الحيوة وهى من عنده تعالى وانتصابها بالمصدر لانّها بمعنى التسليم مُبَارَكَةً لانّها يُرجى بها زيادة الخير والثواب طَيِّبَةً تطيب بها نفس المستمع وعن أَنس انّه عم قال لى متى لقيتَ احدا من امّتى فسلّم عليه يَطُل عمرك واذا دخلت بيتك فسلّم عليهم يكثر خير بيتك وصلّ صلوة الضحى فانّها صلوة الابرار الاوّابين كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ كرّره ثلاثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاوّلين بما هو المقتضى لذلك
وهذا بما هو المقصود منه فقال لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ اى الحقّ والخير فى الامور (٦٢) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ اى ركوع ١٥
الكاملون فى الايمان ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ من صميم قلوبهم وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ كالجمعة والأعياد والحروب والمشاورة فى الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ أَمْرٍ جَمِيعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ

جزء ١٨ يستأذنوا رسول الله فيأذن لهم واعتباره فى كمال الايمان لانّه كالمصداق لصحّته والمميّز للمخلص فيه ركوع ١٥ عن المنافق فانّ ديدنه التسلّل والفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب عن مجلس رسول الله صلعم بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكّدا على اسلوب ابلغ فقال إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فانّه يفيد انّ المستأذن مؤمن لا محالة وانّ الذاهب بغير اذن ليس كذلك فَإِذَا ٱسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ما يعرض لهم من المهامّ وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ تفويض للامر الى رأى الرسول واستدلّ به على انّ بعض الاحكام مفوّضة الى رأيه ومن منع ذلك قيّد المشيئة بأن تكون تابعة لعلمه بصدقه فكانّ المعنى فأذن لمن علمت انّ له عذرا وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ بعد الاذن فانّ الاستيذان ولو لعذر قصور لانّه تقديم لامر الدنيا على امر الدين إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ لفرطات العباد رَّحِيمٌ بالتيسير عليهم (٦٣) لَا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا لا تقيسوا دعاءه ايّاكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز الاعراض والمساهلة فى الاجابة والرجوع بغير اذن فانّ المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرّمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظّم مثل يا نبىّ الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فانّ دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربّه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرّة ويردّه فانّ دعاءه مستجاب قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ ينسلّون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلّل تدرّج وتدخّل لِوَاذًا ملاوذة بأن يستتر بعضكم ببعض حتّى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كانّه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمّنه معنى الاعراض او يصدّون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صدّ عنه دونه وحذف المفعول لانّ المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فانّ الامر له حقيقة او للرسول فانّه المقصود بالذكر أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ محنة فى الدنيا أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فى الآخرة واستدلّ به على انّ الامر للوجوب فانّه يدلّ على انّ ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فانّ الامر بالحذر عنه يدلّ على خشية المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب (٦٤) أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ايها المكلّفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص ، وانّما اكّد علمه بقد لتأكيد الوعيد وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات ، وقرأ يعقوب بفتح الياء وكسر الجيم فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ لا يخفى عليه خافية ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة النور أُعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كلّ مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى .

سُورَةُ ٱلْفُرْقَانِ

مكيّة وآيها سبع وسبعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ١٨ ركوع ١٩

(١) تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ تكاثر خيره من البَرَكة وهى كثرة الخير او تزايد على كلّ شىء وتعالى عنه فى صفاته وافعاله فانّ البركة تتضمّن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بُرُوك الطير على الماء ومنه البِرْكة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرّف فيه ولا يُسْتعمل الّا للّه تعالى ، والفرقان مصدرُ فَرَقَ بين الشيئين اذا فصل بينهما سمّى به القران لفصله بين الحقّ والباطل بتقريره او المُحِقّ والمُبْطِل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض فى الانزال ، وقرئ عَلَى عِبَادِهِ وهم رسول اللّه وامّته كقوله تعالى لقد انزلنا اليكم او الانبياء على انّ الفرقان اسم جنس للكتب السماويّة لِيَكُونَ العبدُ او الفرقانُ لِلْعَالَمِينَ للجنّ والانس نَذِيرًا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنّها لقوّة دليلها أُجْرِيت مجرى المعلوم وجُعِلت صلة (٢) ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ بدل من الاوّل او مدح مرفوع او منصوب وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا كزعم النصارى وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ كقول الثَنَوِيّة أَثْبَتَ له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثمّ نبّه على ما يدلّ عليه فقال وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ احدثه احداثا مراعى فيه التقديرُ حسبَ ارادته كخلقه الانسانَ من موادّ مخصوصة وصُوَرٍ وأشكالٍ معيّنة فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا فقدّره وهيّأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوّعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدّره للبقاء الى اجل مسمّى وقد يُطْلَق الخلق لمجرّد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى وأوجد كلّ شىء فقدّره فى ايجاده حتّى لا يكون متفاوتا (٣) وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لمّا تضمّن الكلامُ اثباتَ التوحيد والنبوّة اخذ فى الردّ على المخالفين فيهما لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ لانّ عَبَدتهم ينحتونهم ويصوّرونهم (٤) وَلَا يَمْلِكُونَ ولا يستطيعون لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا دفعَ ضرٍّ وَلَا نَفْعًا ولا جلبَ نفع وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ولا يملكون اماتة احد واحياءه اوّلا وبعثَه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهيّة لعرائه عن لوازمها واتّصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على انّ الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء (٥) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ كذب مصروف عن وجهه ٱفْتَرَىٰهُ اختلقه وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ اى اليهود فانّهم يلقون اليه أخبار الامم وهو يعبّر عنها بعبارته وقيل جَبْرٌ ويَسار وعدّاس وقد سبق فى قوله انّما يعلّمه بشر فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقّفا من اليهود وَزُورًا بنسبة ما هو برىء منه اليه ، وأَتَى وجاء يُطْلَقان

جزء ١٨ بمعنى فَعَلَ فيعدّيان تعديته (٦) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ما سطره المتقدّمون ٱكْتَتَبَهَا كتبها لنفسه او
ركوع ١٦ استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانّه أُمّىّ وأصله اكتتبها كاتبٌ له فحُذف اللام وأُفضى الفعل الى
الضمير فصار اكتتبها ايّاه كاتبٌ ثمّ حُذف الفاعل وبُنى الفعل للضمير فاستتر فيه فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ليحفظها فانّه أُمّىّ لا يقدر ان يكرّر من الكتاب او لتُكتَب (٧) قُلْ أَنْزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي
ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لانّه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمّنه اخبارا عن مغيّبات مستقبلة واشياء
مكنونة لا يعلمها الّا عالمُ الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاوّلين إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا فلذلك
لا يعجّل عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصبّ عليكم العذاب صبّا
(٨) وَقَالُوا مَالِ هٰذَا ٱلرَّسُولِ ما لهذا الّذى يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكّم يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ كما نأكل
وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لطلب المعاش كما نمشى والمعنى ان صحّ دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا
وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فانّ تميّز الرسل عمّن عداهم ليس بامور جسمانيّة وانّما
هو باحوال نفسانيّة كما اشار اليه تعالى بقوله قل انّما انا بشر مثلكم يوحى الىّ انّما الهكم اله واحد
لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا لنعلم صدقه بتصديق الملك (٩) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ فيستظهر به
ويستغنى عن تحصيل المعاش أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا هذا على سبيل التنزّل اى ان لم يلق
اليه كنز فلا أقلّ من ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيّش بريعه وقرأ حمزة والكسائى
بالنون والضمير للكفّار وَقَالَ ٱلظَّالِمُونَ وضع الظالمون موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا
إِنْ تَتَّبِعُونَ ما تتبعون إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا سُحر فغلب على عقله وقيل ذا سَحْر وهو الرئة اى بشرا لا
ملكا (١٠) ٱنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ اى قالوا فيك الاقوال الشاذّة واخترعوا لك الاحوال النادرة فَضَلُّوا
عن الطريق الموصل الى معرفة خواصّ النبىّ والمميّز بينه وبين المتنبّى فخبطوا خَبْطَ عشواء فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
ركوع ١٧ سَبِيلًا الى القدح فى نبوّتك او الى الرشد والهدى (١١) تَبَارَكَ ٱلَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ فى الدنيا
خَيْرًا مِنْ ذٰلِكَ ممّا قالوا لكن اخّره الى الآخرة لانّه خير وابقى جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ بدل من
خيرا وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا عطف على محلّ الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لانّ الشرط
اذا كان ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع كقوله

وإنْ اتاه خليلٌ يومَ مَسْألةٍ　　　يقولُ لا غائبٌ مالى ولا حَرِمُ

ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له فى الآخرة وقرئ بالنصب على انّه جواب بالواو
(١٢) بَلْ كَذَّبُوا بِٱلسَّاعَةِ فقصرت انظارهم على الحطام الدنيويّة وظنّوا انّ الكرامة انّما هى بالمال فطعنوا

فيك بفقرك او فلذلك كذّبوك لا لما تمحّلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب جزء ١٨
ويصدّقونك بما وعد اللّه لك فى الآخرة او فلا تعجب من تكذيبهم ايّاك فانّه اعجب منه وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ ركوع ١٧
كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنّم فيكون صَرْفه باعتبار المكان (١٣) اِذَا رَأَتْهُمْ اذا كانت بمرأى منهم كقوله عم لا تتراءى ناراهما اى لا تتقاربان بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانّه بمعنى النار او جهنّم مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ هو اقصى ما يمكن ان تُرى منه سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا صوتَ تغيّظ شبّه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يُسْمَع من جوفه هذا وانّ الحيوة لمّا لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق اللّه فيها حيوة فترى وتتغيّظ وتزفر وقيل انّ ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف (١٤) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا فى مكان ومنها بيانٌ تقدّم فصار حالا ضَيِّقًا لزيادة العذاب فانّ الكَرْب مع الضيق والرَّوْح مع السعة ولذلك وصف اللّه الجنّة بانّ عرضها كعرض السموات والارض مُقَرَّنِينَ قُرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دَعَوْا هُنَالِكَ فى ذلك المكان ثُبُورًا هلاكا اى يتمنّون الهلاك وينادونه فيقولون تَعالَ يا ثبوراه فهذا حينُك (١٥) لَا تَدْعُوا ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا اى يقال لهم ذلك وَٱدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا لانّ عذابكم انواع كثيرة كلّ نوع منها ثبور لشدّته او لانّه يتجدّد لقوله تعالى كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانّه لا ينقطع فهو فى كلّ وقت ثبور (١٦) قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ الاشارةُ الى العذاب والاستفهامُ والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكّم او الى الكنز والجنّة ، والراجع الى الموصول محذوف ، واضافة الجنّة الى الخلد للمدح او الدلالة على خلودها او التمييز عن جنّات الدنيا كَانَتْ لَهُمْ فى علم اللّه او للوح او لانّ ما وعده اللّه فى تحقّقه كالواقع جَزَآءً على اعمالهم بالوعد وَمَصِيرًا ينقلبون اليه ولا يمنع كونُها جزاء لهم أن يُتفضّل بها على غيرهم برضاهم مع جواز أن يراد بالمتّقين من يتّقى الكفر والتكذيب لانّهم فى مقابلتهم (١٧) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ما يشاءونه من النعيم ولعلّه تقصر هِمَمُ كلّ طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر انّ الناقص لا يُدرك شأوَ الكامل بالتشهّى وفيه تنبيه على انّ كلّ المرادات لا تحصل الّا فى الجنّة خَالِدِينَ حال من احد ضمائرهم كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْـُٔولًا الضمير فى كان لما يشاءون والوعدُ الموعود اى كان ذلك موعودا حقيقا بأن يُسأل ويُطلب او مسئولا سأله الناس فى دعائهم ربّنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربّنا وأدخلهم جنّات عدن الّتى وعدتهم وما فى عَلَى من معنى الوجوب لامتناع الخُلف فى وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فانّ تعلّق الارادة بالموعود مقدّم على الوعد الموجب للانجاز (١٨) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ يعمّ كلّ معبود سواه واستعمالُ مَا امّا لانّ وضعه اعمّ ولذلك يطلق لكلّ شبح يُرى ولا يُعرف او لانّه اريد به

*

جزء ١٨ ركوع ١٧

الوصف كانّه قيل ومعبودهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عُبّادها او يخصّ الملائكة وعزيرا والمسيح لقرينة السؤال والجواب او الاصنام يُنطقها اللّٰه او تتكلّم بلسان الحال كما قيل فى كلام الايدى والارجل فَيَقُولُ اى للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون ءَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعَبَدة وأصله أضللتم ام ضلّوا فغيّر النظم ليَلِيَ حرفَ الاستفهام المقصودَ بالسؤال وهو المتولّى للفعل دونه لانّه لا شبهة فيه والّا لما توجّه العتاب ، وحذف صلة ضلّ للمبالغة (١٩) قَالُوا سُبْحَانَكَ تعجّبا ممّا قيل لهم لانّهم امّا ملائكة وانبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شىء او اشعارا بانّهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها للّه عن الأنداد مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا يصحّ لنا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصحّ لنا ان ندعو غيرنا ان يتولّى احدا دونك وقرئ نُتَّخَذَ على البناء للمفعول من اتّخذ الّذى له مفعولان كقوله واتّخذ اللّه ابرٰهيم خليلا ومفعوله الثانى من اولياء ومِنْ للتبعيض وعلى الاوّل مزيدة لتأكيد النفى وَلٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ بانواع النعم فاستغرقوا فى الشهوات حَتَّى نَسُوا ٱلذِّكْرَ حتّى غفلوا عن ذكرك او التذكّر لآلائك والتدبّر فى آياتك ، وهو نسبةٌ للضلال اليهم من حيث انّه بكسبهم واسنادٌ له الى ما فعل اللّه بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجّةً علينا للمعتزلة وَكَانُوا فى قضائك قَوْمًا بُورًا هالكين مصدرٌ وُصف به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع او جمعُ بائر كعائذ وعُوذ (٢٠) فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ التفات الى العَبَدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذّبكم المعبودون بِمَا تَقُولُونَ فى قولكم انّهم آلهةٌ او هؤلاء اضلّونا والباء بمعنى فى او مع المجرور بدل من الضمير ، وعن ابن كثير بالياء اى كذّبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا فَمَا يَسْتَطِيعُونَ اى المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين صَرْفًا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انّه ليتصرّف اى يحتال وَلَا نَصْرًا يعينكم عليه (٢١) وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ ايها المكلّفون نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا هى النار والشرطُ وان عمّ كلّ من كفر وفسق لكنّه فى اقتضاء الجزاء مقيّد بعدم المُزاحم وِفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا (٢٢) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ اى الّا رسلا انّهم فحُذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأُقيمت الصفةُ مقامه كقوله تعالى وما منّا الّا له مقامٌ معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ، وقرئ يُمَشَّوْنَ اى تمشّيهم حوائجهم او الناس وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ ايها الناس لِبَعْضٍ فِتْنَةً ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسَلين بالمرسَل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول اللّه صلعم على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر

أَتَصْبِرُونَ علّة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله تعالى ليبلوكم جزء ١٨
ايكم احسن عملا او حثّ على الصبر على ما افتتنوا به وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا بمن يصبر او بالصواب فيما ركوع ١٠
يبتلى به وغيره (٢٣) وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لا يأملون لِقَآءَنَا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون جزء ١٩
لقاءنا بالشرّ على لغة تهامة وأصل اللقاء الوصول الى الشىء ومنه الرؤية فانّه وصول الى المرئىّ والمراد به ركوع ١
الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاوّل لَوْلَآ هلّا أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَآئِكَةُ فتخبرنا بصدق محمّد وقيل فيكونوا رسلا الينا أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا فيأمرنا بتصديقه واتّباعه لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ فى شأنها حتّى ارادوا لها ما يتّفق لأفراد من الانبياء الّذين هم اكمل خلق اللّه فى اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك وَعَتَوْا وتجاوزوا الحدّ فى الظلم عُتُوًّا كَبِيرًا بالغا أقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سُدّت دونه مطامح النفوس القدسيّة ، واللام جواب قسم محذوف وفى الاستيناف بالجملة حُسْنٌ واشعارٌ بالتعجّب من استكبارهم وعتوّهم كقوله

وجارةُ جَسّاسٍ أَبَأْنا بِنابِها كُلَيْبًا غَلَتْ نابٌ كليبٌ بَوَاؤُها

(٢٤) يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَآئِكَةَ ملائكة الموت او العذاب ، ويوم نصب باذكر او بما دلّ عليه لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ فانّه بمعنى يُمنَعون البشرى او يُعْدَمونها ويومئذ تكريرٌ او خبرٌ وللمجرمين تبيينٌ او خبر ثانٍ او ظرف لما يتعلّق به اللام او لبشرى إِنْ قُدّرت منوّنة غيرَ مبنيّة مع لا فانّها لا تعمل ، وللمجرمين امّا عامّ يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفى البشرى لعامّة المجرمين حينئذ نفىُ البشرى بالعفو والشفاعة فى وقت آخر وامّا خاصّ وُضع موضعَ ضميرهم تسجيلا على جُرْمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا عطف على المدلول اى ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذةً وطلبا من اللّه ان يمنع لقاءهم وهى ممّا كانوا يقولون عند لقاء عدوّ او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرّما عليكم الجنّة او البشرى وقرئ حُجْرًا بالضمّ وأصله الفتح غيرَ انّه لمّا اختصّ بموضع مخصوص غُيّر كقِعْدَك وعَمْرَك ولذلك لا يُتصرّف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موتٌ مائتٌ (٢٥) وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَآءً مَّنثُورًا اى وعمدنا الى ما عملوا فى كفرهم من المكارم كقِرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فأحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيهُ حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا على سلطانهم فقدم الى اشيائهم فمزّقها وأبطلها ولم يُبْق لها اثرا ، والهباء غبار يُرى فى شعاع يطلع من الكوّة من الهَبْوة وهى الغبار ومنثورا صفته شبّه عملهم المحبط بالهباء فى حقارته وعدم نفعه ثمّ بالمنثور منه فى انتشاره بحيث لا يُمكن نظمه او تفرّقه نحو اغراضهم الّتى كانوا يتوجّهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انّه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين (٢٦) أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا مكانا يُستقرّ فيه فى اكثر الاوقات للتجالس والتحادث وَأَحْسَنُ مَقِيلًا مكانا يُؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتّع بهنّ تجوّزا له

جزء ١٩ ركوع ١

من مكان القيلولة على التشبيه او لانّه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنّة وفي احسن رمزٌ الى ما يتميّز به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارةً الى انّ مكانهم وزمانهم اطيب ما يُتخيّل من الامكنة والازمنة والتفضيل امّا لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين في الدنيا وروى انّه يُفرَغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنّة في الجنّة واهل النار في النار (٢٧) وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ اصله تتشقّق فحذفت التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بِٱلْغَمَامِ بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الّا ان يأتيهم اللّه في ظلل من الغمام والملائكة وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا في ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرأ ابن كثير وَنُنْزِلُ وقرئ وَنُزِلَتْ وَأُنْزِلَ وَنَزَلَ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بحذف نون الكلمة (٢٨) ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ الثابت له لانّ كلّ ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الّا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحقّ لانّه متأخّر او صفته والخبر يومئذ او للرحمن وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا شديدا (٢٩) وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ من فرط الحسرة وعضّ اليدين وأكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانّها من روادفهما ، والمراد بالظالم الجنس وقيل عُقبة بن ابي مُعيط كان يُكثر مجالسة النبيّ صلعم فدعاه الى ضيافته فأبى ان يأكل من طعامه حتّى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أُبَىّ بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأتَ فقال لا ولكن آلى ان يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييتُ منه فشهدتُ له فقال لا أَرضى منك الّا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار النّدوة ففعل ذلك فقال عم لا أَلقاك خارجا من مكّة الّا علوتُ رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليّا فقتله وطعن ابيّا بأُحُد في المبارزة فرجع الى مكّة ومات يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحقّ ولم يتشعّب به طُرُق الضلالة (٣٠) يَٰوَيْلَتَىٰ وقرئ بالياء على الاصل لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا يعني من اضلّه وفلانٌ كناية عن الأعلام كما انّ هَنًا كناية عن الأجناس (٣١) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ عن ذكر اللّه او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وتمكّنت منه وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يعني الخليل المضلّ او ابليس لانّه حمله على مخالّته ومخالفة الرسول او كلّ من تشيطن من جنّ وانس لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا يواليه حتّى يؤدّيه الى الهلاك ثمّ يتركه ولا ينفعه فعولٌ من الخذلان (٣٢) وَقَالَ ٱلرَّسُولُ محمّد يومئذ او في الدنيا بثّا الى اللّه يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي قريشا ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا بأن تركوه وصدّوا عنه وعنه عم من تعلّم القران وعلّق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلّقا به يقول يا ربّ عبدك هذا اتّخذني مهجورا اقضِ بيني وبينه او هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انّه هُجْر واساطير الأوّلين فيكون اصلها مهجورا فيه فحذف الجارّ ويجوز ان يكون بمعنى الهُجْر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه فانّ الانبياء اذا شكوا الى اللّه قومهم عجّل لهم العذاب (٣٣) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا

لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انّه خالق الشرّ والعدوّ جزء ١٩
يحتمل الواحد والجمع وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا الى طريق قهرهم وَنَصِيرًا لك عليهم (٣٤) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ركوع ١
لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنُ اى أُنزل عليه كخبّر بمعنى اخبر لئلّا يناقض قوله جُمْلَةً وَاحِدَةً دفعة واحدة
كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته لانّ الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او مفرّقا مع انّ للتفريق
٥ فوائد منها ما اشار اليه بقوله كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ اى كذلك انزلناه مفرّقا لنقوّى بتفريقه فؤادك على
حفظه وفهمه لانّ حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان امّيًا وكانوا يكتبون فلو أُلقى
عليه جملة لَعَيِى بحفظه ولعلّه لم يستتبّ له فانّ التلقّف لا يتأتّى الّا شيئًا فشيئًا ولانّ نزوله بحسب
الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص فى المعنى ولانّه اذا نزّل منجّما وهو يتحدّى بكلّ نجم فيعجزون
عن معارضته زاد ذلك قوّة قلبه ولانّه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ
١٠ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحاليّة الى الدلالات اللفظيّة فانّه يُعين على البلاغة ، وكذلك صفة
مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرّقا فانّه مدلول عليه بقوله لولا نزّل عليه القران جملة واحدة
ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وُقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة
واللام على الوجهين متعلّق بمحذوف وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وقرأناه عليك شيئًا بعد شيء على تُؤَدة وتمهّل فى
عشرين سنة او ثلاث وعشرين وأصل الترتيل فى الاسنان وهو تفليجها (٣٥) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ سؤال
١٥ عجيب كانّه مثل فى البطلان يريدون به القدح فى نبوّتك إِلَّا جِئْنَاكَ بِٱلْحَقِّ الدامغ له فى جوابه
وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم او لا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلّا كانت
هذه حاله الّا اعطيناك من الاحوال ما يحقّ لك فى حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بُعثت له
(٣٦) ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ اى مقلوبين او مسحوبين عليها او متعلّقة قلوبهم
بالسُّفليّات متوجّهة وجوههم اليها وعنه عم يُحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف صنف على
٢٠ الدوابّ وصنف على الأقدام وصنف على الوجوه وهو ذمّ منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره أُولَٰئِكَ شَرٌّ
مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا والمفضّل عليه هو الرسول على طريقة قوله قل هل انبّئكم بشرّ من ذلك مثوبة عند الله
من لعنه الله وغضب عليه كانّه قيل انّ حاملهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا
يعلمون حالهم ليعلموا انّهم شرّ مكانا واضلّ سبيلا وقيل انّه متّصل بقوله اصحاب الجنّة يومئذ خير
مستقرّا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازىّ للمبالغة (٣٧) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَجَعَلْنَا ركوع ٢
٢٥ مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا يوازره فى الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافى ذلك مشاركته فى النبوّة لانّ المتشاركين
فى الامر متوازرون عليه (٣٨) فَقُلْنَا ٱذْهَبَا إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا يعنى فرعون وقومه بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ
تَدْمِيرًا فذهبا اليهم فكذّبوهما فدمّرناهم فاقتصر على حاشيتى القصّة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو
الزام الحجّة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع ، وقرى

جزء ١٩ فَدَمَّرْنَاهُمْ فَدَمَّرَاهُم فَدَمِّرَانِّهِمْ على التأكيد بالنون الثقيلة (٣٩) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا ٱلرُّسُلَ كذّبوا
ركوع ٢ نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكلّ او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة أَغْرَقْنَاهُمْ بالطوفان وَجَعَلْنَاهُمْ وجعلنا اغراقهم او قصّتهم لِلنَّاسِ آيَةً عبرة وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع الضمير تظليما لهم (٤٠) وَعَادًا وَثَمُودًا عطف على هم فى جعلناهم او على الظالمين لانّ المعنى ووعدنا الظالمين ، وقرأ حمزة وحفص وَثَمُودَ على تأويل القبيلة وَأَصْحَابَ ٱلرَّسِّ قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث اللّه اليهم شعيبا فكذّبوه فبينما هم حول الرسّ وهى البئر الغير المطويّة فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرسّ قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبيّ فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجّار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبيّ ابتلاهم اللّه بطير عظيم كان فيها من كلّ لون وسمّوها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الّذى يقال له فتخ او دمخ وتنقضّ على صبيانهم فتخطفهم اذا أعوزها الصيد ولذلك سمّيت مُغْرِبا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثمّ انّهم قتلوه فأُهلكوا وقيل هم قوم كذّبوا نبيّهم ورسّوه اى دسّوه فى بئر وَقُرُونًا واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بَيْنَ ذَٰلِكَ اشارة الى ما ذكر كَثِيرًا لا يعلمها الّا اللّه (٤١) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ بيّنّا له القصص العجيبة من قصص الأوّلين انذارا واعذارا فلمّا اصرّوا أهلكوا كما قال وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا فتّتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضّة ، وكلّا الاوّل منصوب بما دلّ عليه ضربنا كانذرنا والثانى بتبّرنا لانّه فارغ (٤٢) وَلَقَدْ أَتَوْا يعنى قريشا مرّوا مرارا فى متاجرهم الى الشأم عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ يعنى سذوم عظمى قرى قوم لوط أُمطرت عليها الحجارة أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا فى مرار مرورهم فيتعظوا بما يرون فيها من آثار عذاب اللّه بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا بل كانوا كفرة لا يتوقّعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتّعظوا فمرّوا بها كما مرّت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا فى الثواب او لا يخافونه على اللغة التهاميّة (٤٣) وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ما يتّخذونك الّا موضع هزء او مهزوءا به أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا محكىّ بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث اللّه رسولا فى معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكّم واستهزاء ولولاه لقالوا اهذا الّذى زعم انّه بعثه اللّه رسولا (٤٤) إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده فى الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يوردها ممّا يسبق الى الذهن انّها حجج ومعجزات لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا فى مثله يقيّد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلّنا فانّه يفيد نفى ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انّه لا يهملهم وان امهلهم (٤٥) أَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ بأن اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجّة ولا يتبصّر دليلا

وانّما قدّم المفعول الثانى للعناية به أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصى وحاله جزء ١٩ هذا فالاستفهام الاوّل للتقرير والتعجيب والثانى للانكار (٤٤) أَمْ تَحْسَبُ بل اتحسب أَنَّ أَكْثَرَهُمْ ركوع ٣ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ فتجدى لهم الآيات او الحجج فتهتمّ بشأنهم وتطمع فى ايمانهم وهو اشدّ مذمّة ممّا قبله حتّى حُقّ بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانّه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحقّ وكابر استكبارا وخوفا على الرئاسة إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ فى عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبّرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا من الانعام لانّها تنقاد لمن يتعهّدها وتميّز من يحسن اليها ممّن يسىء اليها وتطلب ما ينفعها وتتجنّب ما يضرّها وهؤلاء لا ينقادون لربّهم ولا يعرفون إحسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الّذى هو اعظم المنافع ولا يتّقون العقاب الّذى هو اشدّ المضارّ ولانّها ان لم تعتقد حقّا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرّا بخلاف هؤلاء ولانّ جهالتها لا تضرّ بأحد وجهالة هؤلاء تؤدّى الى هيج الفتن وصدّ الناس عن الحقّ ولانّها غير متمكّنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذمّ وهؤلاء مقصّرون ومستحقّون اعظم العقاب على تقصيرهم (٤٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ الم تنظر الى صنعه كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ كيف بسطه او الم تنظر الى الظلّ ركوع ٣ كيف مدّه ربّك فغيّر النظم اشعارا بانّ المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرّفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على انّ ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهَد المرئىّ فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى انّ ربّك كيف مدّ الظلّ وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فانّ الظلمة الخالصة تنفّر الطبع وتسدّ النظر وشعاع الشمس يسخّن الجوّ ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنّة فقال وظلّ ممدود وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثابتا من السُّكنى او غير متقلّص من السُّكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا فانّه لا يظهر للحسّ حتّى تطلع فيقع ضوءها على بعض الأجرام او لا يوجَد ولا يتفاوت الّا بسبب حركتها (٤٨) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا اى ازلناه بايقاع الشمس موقعه لمّا عبّر عن احداثه بالمدّ بمعنى التسيير عبّر عن ازالته بالقبض الى نفسه الّذى هو فى معنى الكفّ قَبْضًا يَسِيرًا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصّل به ما لا يُحصَى من منافع الخلق وثمّ فى الموضعين لتفاضل الامور او لتفاصل مبادئ اوقات ظهورها وقيل مدّ الظلّ لمّا بنى السماء بلا نيّر ودحا الارض تحتها فألقت عليها ظلّها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ثمّ خلق الشمس عليه دليلا اى مسلّطا عليه مستتبعا ايّاه كما يستتبع الدليلُ المدلولَ او دليلَ الطريق من يهديه يتفاوت بحركتها ويتحوّل بتحوّلها ثمّ قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهى غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الأجرام المُظلّة والمُظلّ عليها (٤٩) وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا شبّه ظلامه باللباس فى ستره وَالنَّوْمَ سُبَاتًا راحة للأبدان بقطع المشاغل وأصل السبت القطع او موتا كقوله وهو الّذى يتوفّاكم باللّيل الحيوة

جزء ١٩ ركوع ٣

ومنه المسبوت للميّت وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ذا نشور اى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بَعْث من النوم بَعْثَ الاموات فيكون اشارة الى انّ النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عم يا بُنَىّ كما تنام فتُوقظ كذلك تموت فتنشر (٥٠) وَهُوَ ٱلَّذِى أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ قرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس نُشُرًا ناشرات للسحاب جمع نَشُور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائىّ به وبفتح النون على انّه مصدر وُصف به وعاصم بُشْرًا تخفيف بُشُر جمع بَشُور بمعنى مبشّر بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ يعنى قدّام المطر وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا مطهّرا لقوله ليطهّركم به وهو اسم لما يُتطهّر به كالـوَضوء والوَقود لما يُتوضّأ به ويُوقد به قال عم التراب طَهور المؤمن طَهورُ اناء احدكم اذا ولغ الكلبُ فيه أنْ يُغْسَل سَبْعا احداهنّ بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وفَعولٌ وإنْ غلب فى المعنيين لكنّه قد جاء للمفعول كالضَبُوث وللمصدر كالقَبُول وللاسم كالذَنُوب وتوصيف الماء به اشعارٌ بالنعمة فيه وتتميم للمنّة فيما بعده فانّ الماء الطهور اهنأ وانفع ممّا خالطه ما يزيل طَهوريّته وتنبيهٌ على انّ ظواهرهم لمّا كانت ممّا ينبغى ان يطهّروها فبواطنهم بذلك اولى (٥١) لِنُحْيِىَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا بالنبات وتذكيرُ ميتا لانّ البلدة فى معنى البلد ولانّه غير جارٍ على الفعل كسائر ابنية المبالغة فأُجْرى مجرى الجامد وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا يعنى اهل البوادى الّذين يعيشون بالحيا ولذلك نكّر الانعام والاناسىّ وتخصيصُهم لانّ اهل المُدن والقُرى يقيمون بقُرْب الانهار والمنافع فبهم وبما حولهم من الأنعام غُنْيةٌ عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يُعْوِزها الشرب غالبا مع انّ مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والأنعامُ قنية الانسان وعامّةُ منافعهم وعلّية معايشهم منوطة بها ولذلك قدّم سقيها على سقيهم كما قدّم عليه احياء الارض فانّه سبب لحياتها وتعيّشها ٭ وقرئ نَسْقِيَهُ وسَقَى وأَسْقَى لغتان وقيل اسقاه جعل له سُقْيا وَأَنَاسِىَ بحذف ياء وهو جمع إِنْسِىّ او انسان كظَرَابِىّ فى ظَرِبان على انّ اصله أَنَاسِينُ فقلبت النون ياء (٥٢) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ صرّفنا هذا القولَ بين الناس فى القران وسائر الكتب او المطرَ بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطلّ وغيرهما وعن ابن عبّاس رضه ما عامٌ أمطرُ من عام ولكنّ اللّه قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية او فى الانهار والمنافع لِيَذَّكَّرُوا ليتفكّروا ويعرفوا كمال القدرة وحقّ النعمة فى ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا الّا كفرانَ النعمة وقلّة الاكتراث لها او جحودَها بأن يقولوا مُطرنا بنَوْء كذا ومن لا يرى الأمطار الّا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انّها من خلق اللّه والانواء وسائط وأمارات بجعله تعالى (٥٣) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا نبيّا يُنْذر اهلها فيخفّ عليك اعباء النبوّة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابلْ ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحقّ (٥٤) فَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وَجَاهِدْهُم بِهِ بالقران

او بترك طاعتهم الّذى يدلّ عليه فلا تطع والمعنى انّهم يجتهدون فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى جزء ١٩
مخالفتهم وازاحة باطلهم جِهَادًا كَبِيرًا لانّ مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف ركوع ٣
او لانّ مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوّهم وظهورهم او لانّه جهاد مع كلّ الكفرة لانّه
مبعوث الى كافّة القرى (٥٥) وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ خلّاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان
٥ من مرج دابّته اذا خلّاها هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ قامع للعطش من فرط عذوبته وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ بليغ الملوحة
وقرئ مَلِحٌ على فَعِل ولعلّ اصله مَالِح فخفّف كبَرِد فى بَارِد وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا حاجزا من قدرته وَحِجْرًا
مَّحْجُورًا وتنافرا بليغا كانّ كلّا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوّذ عنه وقيل حدّا محدودا وذلك
كدجلة تدخل البحر فتشقّه فتجرى فى خلاله فراسخ لا يتغيّر طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهرُ
العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحرُ الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة فى
١٠ الفصل واختلاف الصفة مع انّ مقتضى طبيعة اجزاء كلّ عنصر أن تضامّت وتلاصقت وتشابهت فى
الكيفيّة (٥٦) وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا يعنى الّذى خمّر به طينة آدم او جعله جزءا من مادّة
البشر لتجتمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيآت بسهولة او النطفة فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا اى قسمه
قسمين ذوى نسب اى ذكورا يُنْسَب اليهم وذوات صِهْر اى اناثا يصاهَر بهنّ كقوله فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا حيث خلق من مادّة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة
١٥ وجعله قسمين متقابلين وربّما يخلق من نطفة واحدة توءمين ذكرا وانثى (٥٧) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ يعنى الاصنام او كلّ ما عُبد من دون اللّه اذ ما من مخلوق يستقلّ بالنفع
والضرّ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمرادُ بالكافر الجنس او ابو جهل
وقيل هيّنا مَهينا لا وَقْع له عنده من قولهم ظَهَرْت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلّمهم
اللّه ولا ينظر اليهم (٥٨) وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا للمومنين والكافرين (٥٩) قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
٢٠ على تبليغ الرسالة الّذى يدلّ عليه الّا مبشّرا ونذيرا مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ الّا فعلَ من شاء أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ
رَبِّهِۦ سَبِيلًا ان يتقرّب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصوّر ذلك بصورة الاجر من حيث انّه
مقصودُ فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتدّ بانفاعك نفسك بالتعرّض
للثواب والتخلّص عن العقاب اجرا وافيا مرضيّا به مقصورا عليه واشعارا بانّ طاعتهم تعود عليه بالثواب
من حيث انّها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من يشاء ان يتّخذ الى ربّه سبيلا فليفعل
٢٥ (٦٠) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ فى استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانّه الحقيق بأن
يُتوكّل عليه دون الاحياء الّذين يموتون فانّهم اذا ماتوا ضاع من توكّل عليهم وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ
ونزّهه عن صفات النقصان مُثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه

جزء ١٩ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ ما ظهر منها وما بطن خَبِيرًا مطّلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا ٱلَّذِى خَلَقَ
ركوع ٣ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمٰنُ قد سبق الكلام فيه ولعلّ ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بأن يُتوكّل عليه من حيث انّه الخالق للكلّ والمتصرّف فيه وتحريض على الثبات والتأنّى فى الامر فانّه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره فى كلّ مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرّج ، والرحمن خبر للّذى ان جعلته مبتدأ ولمحذوف ان جعلته صفة للحىّ او بدل من المستكنّ فى استوى وقرئ بالجرّ صفةً للحىّ فَٱسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا فاسأل عمّا ذُكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو اللّه تعالى او جبريل او من وجده فى الكتب المتقدّمة ليصدّقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى إن انكروا اطلاقه على اللّه فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجىء ما يرادفه فى كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده ، والسؤال كما يعدّى بعَن لتضمّنه معنى التفتيش يعدّى بالباء لتضمّنه معنى الاعتناء وقيل انّه صلة خبيرا (٦١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قَالُوا وَمَا ٱلرَّحْمٰنُ لانّهم ما كانوا يطلقونه على اللّه او لانّهم ظنّوا انّه اراد به غيره ولذلك قالوا أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا اى للّذى تأمرناه يعنى تأمرنا بسجوده او لأمرك لنا من غير عرفان وقيل لانّه كان معرّبا لم يسمعوه ، وقرئ يَأْمُرُنَا بالياء على انّه قول بعضهم لبعض وَزَادَهُمْ اى الامر بالسجود للرحمن نُفُورًا
ركوع ٤ عن الايمان (٦٢) تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَاءِ بُرُوجًا يعنى البروج الاثنى عشر سمّيت به وهى القصور العالية لانّها للكواكب السيّارة كالمنازل لسكّانها واشتقاقه من التبرّج لظهوره وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا يعنى الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائىّ سُرُجًا وهى الشمس والكواكب الكبار وَقَمَرًا مُنِيرًا مضيئا بالليل وقرئ وقُمْرًا اى ذا قُمْر وهو جمع قَمْراء ويحتمل ان يكون بمعنى القَمَر كالرُشْد والرَشَد والعُرْب والعَرَب (٦٣) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً اى ذوَىْ خِلْفة يخلف كلّ منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغى ان يُعْمَل فيه او بأن يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار وهى للحالة من خَلَفَ كالرِكْبة والجِلْسة لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ بأن يتذكّر آلاء اللّه ويتفكّر فى صُنْعه فيعلم ان لا بدّ له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ان يشكر اللّه على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكّرين والشاكرين من فاتَه وِرْدُه فى احدهما تداركه فى الآخر ، وقرأ حمزة أَنْ يَذْكُرَ من ذكر بمعنى تذكّر وكذلك لِيَذْكُرُوا ووافقه الكسائىّ فيه (٦٤) وَعِبَادُ ٱلرَّحْمٰنِ مبتدأ خبره اولئك يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانّهم الراسخون فى عبادته على انّ عِباد جمع عابد كتاجر وتجار هَوْنًا هيّنين او مشيا هيّنا مصدرٌ وُصف به والمعنى انّهم يمشون بسكينة وتواضع وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا تسلّما منكم ومتاركةً لكم لا خير بيننا ولا شرّ او سدادا من القول يَسْلَمون فيه من الايذاء والاثم ولا

جزء ١٩ ركوع ٤

تنافيه آية القتال لتنسخه فانّ المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم فى الكلام (٦٥) وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا فى الصلوة وتخصيص البيتوتة لانّ العبادة بالليل احمز وابعد من الرئاء وتأخير القيام للروىّ وهو جمع قائم او مصدر أُجْرِى مجراه (٦٦) وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بأنّهم مع حُسْن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحقّ وَجِلون من العذاب مبتهلون الى اللّه فى صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا اى بئست مستقرّا وفيها ضميرٌ مُبْهَمٌ يفسّره المميّز والمخصوص بالذمّ ضميرٌ محذوف به ترتبط الجملة باسم انّ او أَحْزَنَتْ وفيها ضميرُ اسم انّ ومستقرّا حالٌ او تمييزٌ والجملة تعليل للعلّة الاولى او تعليل ثانٍ وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من اللّه (٦٧) وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا لم يجاوزوا حدّ الكرم وَلَمْ يَقْتُرُوا ولم يضيّقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق فى المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر والكوفيّون بضمّ الياء وكسر التاء من اقتر وقرئ بالتشديد والكلّ واحد وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا وَسطا عَدْلا سُمّى به لاستقامة الطرفين كما سمّى سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يَفْضل عنها ولا يَنْقص وهو خبرٌ ثانٍ او حالٌ مؤكّدة ويجوز ان يكون الخبرَ وبين ذلك لَغْوا وقيل انّه اسمُ كان لكنّه مبنىّ لاضافته الى غير متمكّن وهو ضعيف لانّه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشىء عن نفسه (٦٨) وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ اى حرّمها بمعنى حرّم قتلها إِلَّا بِٱلْحَقِّ متعلّق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون وَلَا يَزْنُونَ نفى عنهم امّهات المعاصى بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بانّ الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة بأضداده ولذلك عقّبه بالوعيد تهديدا لهم فقال وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ أَيَّامًا اى شدائد يقال يومٌ ذو أيّام اى صعب (٦٩) يُضَاعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بدل من يلق لانّه فى معناه كقوله • متى تأتنا تُلْمِمْ بنا فى ديارنا • تَجِدْ حَطَبا جَزْلا ونارا تأجّجا • وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستيناف او الحال وكذلك وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا وابن كثير ويعقوب يُضَعَّفْ بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف فى يضعف وقرئ وَيُخْلَدْ على بناء المفعول مخفّفا وقرئ مثقّلا وتضعيف العذاب مضاعفته لانضمام المعصية الى الكفر ويدلّ عليه قوله (٧٠) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَاتٍ بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدّل ملكة المعصية فى النفس بملكة الطاعة وقيل بأن يوفّقه لاضداد ما سلف منه او بأن يثبت له بدل كلّ عقاب ثوابا وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا فلذلك يعفو عن السيّآت ويثيب على الحسنات (٧١) وَمَن تَابَ عن المعاصى بتركها والندم

جزء ١٩ ركوع ٤ عليها وَعَمِلَ صَالِحًا يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصى ودخل فى الطاعة فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ يرجع الى اللّه بذلك مَتَابًا مرضيّا عند اللّه ماحيا للعقاب محصّلا للثواب او يتوب متابا الى اللّه ٱلَّذِى يحبّ التائبين ويصطنع بهم او فانّه يرجع الى اللّه والى ثوابه مرجعا حسنا ، وهو تعميم بعد تخصيص (٧٢) وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فانّ مشاهدة الباطل شركة فيه وَإِذَا مَرُّوا بِٱللَّغْوِ ما يجب ان يُلْغَى ويُطْرَح مَرُّوا كِرَامًا معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عمّا يُستهجن التصريح به (٧٣) وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ بالوعظ او القراءة لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصّرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يُبصر بل اكبّوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفى نفى الحال دون الفعل كقولك لا يلقانى زيد مسلّما وقيل الهاء للمعاصى المدلول عليها باللغو (٧٤) وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فانّ المؤمن اذا شاركه اهله فى طاعة اللّه سُرّ بهم قلبه وقرّت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له فى الدين وتوقّع لحوقهم به فى الجنّة ، ومن ابتدائيّة او بيانيّة كقولك رأيتُ منك أسدا ، وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائىّ وابو بكر وَذُرِّيَّتِنَا وقرأ ابن عامر والحرميّان وحفص وَذُرِّيَّاتِنَا بالالف ، وتنكير الاعين لارادة تنكير القرّة تعظيما وتقليلها لانّ المراد اعين المتّقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا يقتدون بنا فى امر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم اللّبس كقوله ثمّ يُخرجكم طفلا او لانّه مصدر فى اصله او لانّ المراد واجعل كلّ واحد منّا او لانّهم كنفس واحدة لاتّحاد طريقتهم واتّفاق كلمتهم وقيل جمع آمّ كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم (٧٥) أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ اعلى مواضع الجنّة وهى اسم جنس أُريد به الجمع لقوله وهم فى الغرفات آمنون وللقراءة بها وقيل هى من اسماء الجنّة بِمَا صَبَرُوا بصبرهم على المشاقّ من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمّل المجاهدات وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا دعاء بالتعمير والسلامة اى يحيّيهم الملائكة ويسلّمون عليهم او يحيّى بعضهم بعضا ويسلّم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كلّ آفة ، وقرأ حمزة والكسائىّ وابو بكر يَلْقَوْنَ من لقى (٧٦) خَالِدِينَ فِيهَا لا يموتون ولا يخرجون حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا مقابل ساءت مستقرّا معنى ومثله إعرابا (٧٧) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيّأته او لا يعتدّ بكم لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ لولا عبادتكم فانّ شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والّا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما إن جُعلت استفهاميّة فمحلّها النصب على المصدر كانّه قيل اىّ عبء يعبأ بكم فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصّرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال

اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذّب الكافرون اى الكافرون منكم لانّ توجّه الخطاب الى الناس عامّة بما جزء ١٩
وُجد فى جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزامًا يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا ركوع ٤
محالة او اثره لازما بكم حتى يكبّكم فى النار وانّما أُضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انّه ممّا لا
يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانّه لُوزم بين القتلى لزاما ، وقرئ لَزامًا بالفتح بمعنى اللزوم
كالثبات والثبوت ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الفرقان لقى اللّه وهو مؤمن بانّ الساعة آتية لا ريب
فيها وأُدخل الجنّة بغير نصب .

سورة الشعراء

مكّيّة الّا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخره وآيها مائتان وثمان وعشرون آية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

(١) طسٓمٓ قرأ حمزة والكسائىّ وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها وأظهر ركوع ٥
نونه حمزة لانّه فى الاصل منفصل ممّا بعده تلك آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحّته ، والاشارة الى السورة او القرآن على ما مرّ فى اوّل البقرة (٢) لعلّك باخع نفسك قاتل نفسك وأصل البخع ان يبلغ بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حدّ الذبح وقرئ باخعُ نفسِك بالاضافة ، ولعلّ للاشفاق اى اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة ألّا يكونوا مؤمنين لئلّا يؤمنوا او خيفة أن لا يؤمنوا (٣) إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آية دلالة ملجئة الى الايمان او بليّة قاسرة عليه فظلّت أعناقهم لها خاضعين منقادين وأصله فظلّوا لها خاضعين فأقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وتُرك الخبر على اصله وقيل لمّا وُصفت الأعناق بصفات العقلاء أُجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عُنُق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعةً ، فظلّت عطف على ننزّل عطف وأكن على فأصّدّق لانّه لو قيل أنزلنا بدله لصحّ (٤) وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه الى نبيّه محدَث مجدّد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الّا كانوا عنه معرضين الّا جدّدوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه (٥) فقد كذّبوا اى بالذكر بعد اعراضهم وأمعنوا فى تكذيبه بحيث ادّى بهم الى الاستهزاء به المخبَر به عنهم ضمنا فى قوله فسيأتيهم اى اذا مسّهم عذاب اللّه يوم بدر او يوم القيامة أنباء ما كانوا به يستهزءون من انّه كان حقّا ام باطلا وكان حقيقا بأن يصدَّق ويعظَّم قدره او يكذَّب فيستخفّ امره (٦) أولم يروا الى الأرض اولم ينظروا الى عجائبها كم أنبتنا فيها من كلّ زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكلّ ما يُحمد ويُرضى وههنا

جزء ١٩ يحتمل ان تكون مقيّدة لما يتضمّن الدلالة على القدرة وأن تكون منبّهة على انّه ما مِنْ نبت الّا وله
ركوع ٥ فائدةٌ امّا وحده او مع غيره وكُلّ لاحاطة الأزواج وكَمْ لكثرتها (٧) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ انّ فى انبات تلك
الأصناف او فى كلّ واحد لَآيَةً على انّ مُنْبتها تامّ القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ فى علم اللّه وقضائه فلذلك لا ينفعهم أمثال هذه الآيات العظام (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الغالب
القادر على الانتقام من الكفرة الرَّحِيمُ حيث امهلهم او العزيز فى انتقامه ممّن كفر الرحيم لمن تاب وآمن
ركوع ٦ (٩) وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى مقدّر باذكر او ظرف لما بعده أَنِ ائْتِ اى ائتِ او بأن ائت الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
بالكفر واستعباد بنى اسرائيل وذبح اولادهم (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ بدل من الاوّل او عطف بيان له ولعلّ
الاقتصار على القوم للعلم بانّ فرعون كان اولى بذلك أَلَا يَتَّقُونَ استيناف اتبعه ارساله اليهم للانذار
تعجيبا له من افراطهم فى الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم
وهم وان كانوا غُيّبا حينئذ أُجْرُوا مجرى الحاضرين فى كلام المرسَل اليهم من حيث انّه مبلّغه اليهم
واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحثّ على التقوى لمن تدبّره وتأمّل مَوْرِدَه وقرئ بكسر
النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى ألا يا ناسُ اتّقونِ كقوله ألا يا اسجدوا
(١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ رتّب
استدعاء ضمّ اخيه اليه واشراكه له فى الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا
عنه وازدياد الحُبْسة فى اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانّها اذا
اجتمعت مَسّت الحاجة الى مُعِين يقوّى قلبه وينوب منابه متى تعتريه حُبْسة حتّى لا تختلّ دَعْوته ولا
تنبتر حُجّته وليس ذلك تعلّلا منه وتوقّفا فى تلقّى الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيدَ
عذره ، وقرأ يعقوب وَيَضِيقَ وَلَا يَنْطَلِقَ بالنصب عطفا على يكذّبون فيكونان من جملة ما خاف
(١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ اى تَبِعة ذنب فحذف المضاف او سُمّى باسمه والمراد قتل القبطىّ وانّما سمّاه ذنبا على
زعمهم وهذا اختصار قصّته المبسوطة فى مواضع فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس
تعلّلا وانّما هو استدفاع للبليّة المتوقّعة كما انّ ذاك استمداد واستظهار فى امر الدعوة وقوله (١٤) قَالَ كَلَّا
فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا اجابةٌ له الى الطلبتين بوعده للدفع اللازم رَدْعه عن الخوف وضمّ اخيه اليه فى الارسال ،
والخطاب فى فاذهبا على تغليب الحاضر لانّه معطوف على الفعل الّذى يدلّ عليه كلّا كانّه قيل ارتدع يا
موسى عمّا تظنّ فاذهبْ انت والّذى طلبته إِنَّا مَعَكُمْ يعنى موسى وهرون وفرعون مُسْتَمِعُونَ سامعون
لما يجرى بينكما وبينه فأُظْهِركم عليه مَثّل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجرى بينهم
وترقّبا لامداد اوليائه منهم مبالغةً فى الوعد بالاعانة ولذلك تَجَوّز بالاستماع الّذى هو بمعنى الاصغاء
للسمع الّذى هو مُطْلَق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثانٍ او الخبر وحده ومعكم لغو (١٥) فَأْتِيَا
فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ افرد الرسول لانّه مصدرٌ وُصف به فانّه مشترك بين المُرْسَل والرسالة قال

لقد كَذَبَ الواشون ما فُهْتُ عندهم بسِرٍّ ولا ارسلتُهم برسول

ولذلك ثُنّي تارةً وأُفرِد اخرى او لاتحادهما للاخوّة او لوحدة المرسل والمرسَل به او لانّه اراد انّ كلّ واحد منّا (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اى ارسل لتضمّن الرسول معنى الارسال المتضمّن معنى القول والمرادُ خلّهم يذهبوا معنا الى الشأم (١٧) قَالَ اى فرعون لموسى بعدما اتياه فقالا له ذلك أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا فى منازلنا وَلِيدًا طفلا سُمّى به لقربه من الولادة وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثمّ خرج الى مدين عشر سنين ثمّ عاد اليهم يدعوهم الى اللّه ثلاثين ثمّ بقى بعد الغرق خمسين (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ يعنى قتل القبطىّ وبخّه به معظّما ايّاه بعدما عدّ عليه نعمته وقرئ فِعْلَتَكَ بالكسر لانّها كانت قِتْلة بالوكز وَأَنْتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ بنعمتى حتّى عمدتَ الى قتل خواصّى او ممّن تكفّرهم الآن فانّه عم كان يعايشهم بالتقيّة فهو حال من احدى التاءين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانّه من الكافرين بالاهيّته او بنعمته لمّا عاد عليه بالمخالفة او من الّذين كانوا يكفرون فى دينهم (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ ٱلضَّالِّينَ من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل أُولى الجهل والسفه او من الخاطئين لانّه لم يتعمّد قتله او من الذاهلين عمّا يؤول اليه الوكز لانّه اراد به التأديب او الناسين من قوله أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا حكمة وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ردّ اوّلا بذلك ما وبّخه به قدحا فى نبوّته ثمّ كرّ على ما عدّ عليه من النعمة ولم يصرّح بردّه لانّه كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبّه على انّه كان فى الحقيقة نقمة لكونه مسبّبا عنها فقال (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِى إِسْرَائِيلَ اى وتلك التربية نعمةٌ تمنّها علىّ ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدُك بنى اسرائيل وقصدُهم بذبح ابنائهم فانّه السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك وقيل انّه مقدّر بهمزة الانكار اى أَوَتلك نعمة تمنّها علىّ وهى ان عبّدت ومحلّ أن عبّدت الرفع على انّه خبرُ محذوف او بدلُ نعمة او الجرّ باضمار الباء او النصبُ بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مُبْهَمة وأن عبّدت عطف بيانها والمعنى تعبيدُك بنى اسرائيل نعمةٌ تمنّها علىّ، وانّما وحّد الخطاب فى تمنّها وجمع فيما قبله لانّ المنّة كانت منه وَحْدَه والخوف والفرار منه ومن مَلَئه (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ لمّا سمع جوابَ ما طعن به فيه ورأى انّه لم يَرْعَوِ بذلك شرع فى الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار على حقيقة المرسل (٢٣) قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا عرّفه بأظهر خواصّه وآثاره لما امتنع تعريف الأفراد الّا بذكر الخواصّ والافعال واليه اشار بقوله إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ اى ان كنتم موقنين الاشياء محقّقين لها علمتم انّ هذه الاجرام المحسوسة مُمْكنةٌ لتركّبها وتعدّدها وتغيّر احوالها فلها مُبدئٌ واجب لذاته وذلك المبدئ لا بدّ وأن يكون مبدئا لسائر المكنات ما يمكن ان يُحَسّ بها وما لا يمكن والّا لزم تعدّدُ الواجب او استغناءُ بعض المكنات عنه وكِلاهما مُحال ثمّ ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الّا

جزء ١٩ بلوازمه الخارجيّة لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب فى ذاته (٢٤) قَالَ لِمَنْ

ركوع ٦ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ جوابَه سألتُه عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انّه ربّ السموات وهى واجبة متحرّكة لذاتها كما هو مذهب الدّهريّة او غيرُ معلوم افتقارُها الى مؤثّرٍ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ عدولا الى ما لا يمكن ان يُتوهّم فيه مِثْلُه ويُشكّ فى افتقاره الى مصوّرٍ حكيم ويكونُ اقربَ الى الناظر واوضحَ عند المتأمّل (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ اسأله عن شىء ويجيبنى عن آخر وسمّاه رسولا على السخرية (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا تشاهدون كلّ يوم انّه يأتى بالشمس من المشرق ويحرّكها على مدارٍ غيرِ مدار اليوم الّذى قبله حتّى يبلّغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امورُ الكائنات إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ان كان لكم عقل علمتم أنْ لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اوّلا ثمّ لمّا رأى شدّة شكيمتهم خاشَنَهم وعارضهم بمثل مقالهم (٢٨) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ عدولا الى التهديد عن المحاجّة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج ، واستدلّ به على ادّعائه الالوهيّة وانكاره الصانعَ وانّ تعجّبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبيّة الى غيره ولعلّه كان دَهْريّا اعتقد انّ مَنْ ملك قُطرا او تولّى أمْرَه بقوّة طالعه استحقّ العبادةَ من اهله ، واللام فى المسجونين للعهد اى ممّن عرفت حالهم فى سجونى فانّه كان يطرحهم فى هُوّة عميقة حتّى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لأسجننّك (٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ اى اتفعل ذلك ولو جئتُك بشىء يُبين صِدْقى دعواى يعنى المعجزة فانّها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدّعى نبوّته فالواو للحال وَلِيَها الهمزةُ بعد حذف الفعل (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فى انّ لك بيّنة او فى دعواك فانّ مدّعى النبوّة لا بدّ له من حجّة (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ظاهرٌ ثعبانيّتُه واشتقاق الثعبان من ثَعَبْتُ الماءَ فانثعب اذا فجّرته فانفجر (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ روى انّ فرعون لمّا رأى الآية الاولى قال فهل غيرُها فأخرج يده قال فما فيها فأدخلها فى ابطه ثمّ نزعها ولها

ركوع ٧ شعاع يكاد يغشى الأبصار ويسدّ الافق (٣٣) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ مستقرّين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ فائق فى علم السحر (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ بَهَرَه سلطانُ المعجزة حتّى حطّه عن دعوى الربوبيّة الى مؤامرتهم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ اى اخّرْ امرهما وقيل احبسهما وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ شُرَطا يحشرون السّحرة (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ يفضلون عليه فى هذا الفنّ وأمالها ابن عامر وابو عمرو والكسائىّ وقرئ بِكُلِّ سَاحِرٍ (٣٧) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ

لما وُقِت به من ساعات يوم معيّن وهو وقت الضحى من يوم الزينة (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ جزء ١٩
فيه استبطاء لهم فى الاجتماع حثًّا على مبادرتهم اليه كقول تأبّط شرّا ركوع ٧

هل انت باعثُ دينارٍ لحاجتنا   اوعَبْدَ ربٍّ اخا عَوْنِ بن مِخْراق

اى ابعثْ احدهما الينا سريعا (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ ٱلْغَالِبِينَ لعلّنا نتّبعهم فى دينهم إنْ غلبوا والترجّى باعتبار الغلبة المقتضية للاتّباع ومقصودُهم الاصلىّ ان لا يتّبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانّهم اذا اتّبعوهم لم يتّبعوا موسى (٤٠) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ التزم لهم الاجرَ والقُربةَ عنده زيادةً عليه ان غلبوا فاذًا على ما يقتضيه من الجواب والجزاء ، وقرئ نَعِمْ بالكسر وهما لغتان (٤٢) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ اى بعدما قالوا له إمّا ان تلقى وإمّا ان نكون نحن الملقين ولم يُرِدْ به امرهم بالسحر والتمويه بل الإذْنَ فى تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسّلا به الى اظهار الحقّ (٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَالِبُونَ اقسموا بعزّته على انّ الغلبة لهم لفرط اعتقادهم فى انفسهم واتيانهم بأقصى ما يُمْكِن ان يؤتى به من السحر (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ تبتلع وقرأ حفص تَلْقَفُ بالتخفيف مَا يَأْفِكُونَ ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيّلون حبالهم وعصيّهم انّها حيّات تسعى او أَفْكَهم تسميةً للمأفوك به مبالغةً (٤٥) فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَاجِدِينَ لعلمهم بانّ مثله لا يتأتّى بالسحر وفيه دليل على انّ منتهى السحر تمويه وتزويق يخيّل شيئًا لا حقيقة له وانّ التبحّر فى كلّ فنّ نافعٌ ، وانّما بدّل الخرورَ بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدلّ على انّهم لمّا رأَوا ما رأَوا لم يتمالكوا انفسهم كانّهم أُخذوا فطُرحوا على وجوههم وانّه تعالى القاهم بما خوّلهم من التوفيق (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ بدل من أُلقى بدل الاشتمال او حال باضمار قَدْ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَٰرُونَ ابدال للتوضيح ودفعِ التوهّم والاشعارِ على انّ الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما (٤٨) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فعلّمكم شيئًا دون شىء ولذلك غلبكم او فواعدكم على ذلك وتواطأتم عليه وأراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انّهم آمنوا عن بصيرة وظهور حقّ ، وقرأ حمزة والكسائىّ وابو بكر وروح أَآمَنْتُمْ بهمزتين فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ وبالَ ما فعلتم وقوله (٤٩) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ بيان له (٥٠) قَالُوا لَا ضَيْرَ لا ضرر علينا فى ذلك إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ بما تُوعدنا به فانّ الصبر عليه محّاء للذنوب مُوجِب للثواب والقرب من الله تعالى او بسبب من أسباب الموت والقتلُ انفعها وأرجاها (٥١) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا

جزء ١٩ لأن كنا أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ من أتّباع فرعون او من اهل المشهد والجملة فى المعنى تعليل ثانٍ لنفى الضير
ركوع ٧ او تعليل للعلّة المتقدّمة ، وقرئ إِنْ كُنَّا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة
ركوع ٨ المدلّ بأمره نحو إن احسنتُ اليك فلا تنس حقى (٥٢) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي وذلك بعد
سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويُظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الّا عتوّا وفسادا وقرأ ابن كثير
ونافع أَنِ ٱسْرِ بِعِبَادِي بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ أَنْ سِرْ من السير إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ
يتبعكم فرعون وجنوده وهو علّة الامر بالاسراء اى اسر بهم حتّى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدّم
عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر
فيدخلون مدخلكم فأُطبقه عليهم فأغرقهم (٥٣) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ حين أُخبر بسراهم فِي ٱلْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ
العساكرَ ليتّبعوهم (٥٤) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ على ارادة القول وانّما استقلّهم وكانوا ستمائة الف
وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روى انّه خرج وكانت مقدّمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة
ومنها ثوبٌ شَرَاذِمُ لما بلى وتقطّع وقليلون باعتبار انّهم اسباط كلّ سبط منهم قليل (٥٥) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ
لفاعلون ما يغيظنا (٥٦) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ وانّا لجمعٌ من عادتنا الحذر واستعمال الحزم فى الامور
اشار اوّلا الى عدم ما يمنع اتّباعهم من شوكتهم ثمّ الى تحقّق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم
ووجوب التيقّظ فى شأنهم حثّا عليه او اعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظنّ به ما يكسر سلطانه ،
وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر والكوفيّون حَاذِرُونَ والاوّل للثبات والثانى للتجدّد وقيل الحاذر المؤدى
فى السلاح وهو ايضا من الحذر لانّ ذلك انّما يُفعل حذرا وقرئ حَادِرُونَ بالدال المهملة اى اقوياء قال

أُحِبُّ الصبيَّ السَّوْءَ من اجل أُمّه وأُبغضه مِنْ بُغْضِها وَهْوَ حادِرُ

او تامّوا السلاح فانّ ذلك يوجب حدارة فى أجسامهم (٥٧) فَأَخْرَجْنَاهُمْ بأن خلقنا داعية الخروج بهذا
السبب فحملتهم عليه مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٨) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهيّة
(٥٩) كَذَٰلِكَ مثلَ ذلك الاخراج اخرجنا فهو مصدر او مثلَ ذلك المقام الّذى كان لهم على انّه صفة مقام
او الامرُ كذلك فيكون خبرا لمحذوف وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٦٠) فَأَتْبَعُوهُمْ وقرئ فَٱتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ
داخلين فى وقت شروق الشمس (٦١) فَلَمَّا تَرَاءَى ٱلْجَمْعَانِ تقاربا بحيث رأى كلّ منهما الآخر وقرئ
تَرَاءَتِ ٱلْفِئَتَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ لَمُلْحَقُون وقرئ لَمُدَّرَكُونَ من ادّرك الشىء اذا
تتابع ففنى اى لمتتابعون فى الهلاك على ايديهم (٦٢) قَالَ كَلَّا لن يدركوكم فانّ اللّه وعدكم الخلاص
منهم إِنَّ مَعِيَ رَبِّي بالحفظ والنصرة سَيَهْدِينِ طريقَ النجاة منهم روى انّ مؤمن آل فرعون كان بين
يدى موسى فقال أين أُمِرْتَ فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أُمِرتُ بالبحر ولعلّى أُومر بما
أصنع (٦٣) فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ بحر القلزم او النيل فَٱنْفَلَقَ اى ضرب فانفلق

وصار اثنى عشر فرقا بينها مسالك فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ كالجبل المنيف الثابت فى مقرّه جزء ١٩
فدخلوا فى شعابها كلّ سبط فى شعب (٦٤) وَأَزْلَفْنَا وقرّبنا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ فرعونَ وقومه حتّى دخلوا على ركوع ٨
اثرهم مَداخلَهم (٦٥) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا
(٦٦) ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ باطباقه عليهم (٦٧) إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وأيّة آية وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ
وما تنبّه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احدٌ ممّن بقى فى مصر من القبط وبنو اسرائيل بعدما نجوا
سألوا بقرة يعبدونها واتّخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتّى نرى اللّه جهرة (٦٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
المنتقم من اعدائه ٱلرَّحِيمُ باوليائه (٦٩) وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ على مشركى العرب نَبَأَ إِبْرٰهِيمَ (٧٠) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ركوع ٩
وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ سألهم ليُريهم انّ ما يعبدونه لا يستحقّ العبادة (٧١) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا
عَاكِفِينَ فأطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجّحا به وافتخارا ، ونظلّ ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا
يعبدونها بالنهار دون الليل (٧٢) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف
ذلك لدلالة إِذْ تَدْعُونَ عليه وقرئ يُسْمِعُونَكُمْ اى يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع
اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها (٧٣) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ على عبادتكم لها أَوْ يَضُرُّونَ من اعرض عنها
(٧٤) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ اضربوا عن ان يكون لهم سمعٌ او يُتوقّع منهم ضرٌّ او نفعٌ
والتجـؤا الى التقليد (٧٥) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٦) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ فانّ التقدّم لا
يدلّ على الصحّة ولا ينقلب به الباطل حقّا (٧٧) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي يريد انّهم اعداء لعابديهم من حيث
انّهم يتضرّرون من جهتهم فوق ما يتضرّر الرجل من جهة عدوّه او انّ المُغرى بعبادتهم اعدى اعدائهم
وهو الشيطان لكنّه صوّر الامر فى نفسه تعريضا لهم فانّه انفعُ فى النصح من التصريح واشعارا بـانّها
نصيحةٌ بدأ بها نفسَه ليكون ادعى الى القبول ، وافرادُ العدوّ لانّه فى الاصل مصدر او بمعنى النسب
إِلَّا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ استثناء منقطع او متّصل على انّ الضمير لكلّ معبود عَبَدوه وكان من آبائهم مَنْ عبد
اللّه (٧٨) ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ لانّه يهدى كلّ مخلوق لما خُلق له من امور المعاش والمعاد كما قال
والّذى قدّر فهدى هدايةً مدرّجةً من مبدا ايجاده الى منتهى اجله يتمكّن بها من جلب المنافع ودفع
المضارّ مبدأُها بالنسبة الى الانسان هدايةُ الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهدايةُ الى
طريق الجنّة والتنعّم بلذائذها ، والفاء للسببيّة ان جُعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جُعل صفةَ ربّ
العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدّم الخلق واستمرار الهداية وقوله (٧٩) وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ
على الاوّل مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللّذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين
للدلالة على انّ كلّ واحدة من الصلات مستقلّة باقتضاء الحكم (٨٠) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ عطف على

جزء ١٩ يطعمنى ويسقين لانّه من روادفهما من حيث انّ الصحّة والمرض فى الاغلب يتبعان المأكول والمشروب
ركوع ٩ وانّما لم ينسب المرض اليه لانّ المقصود تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فانّ الموت من حيث انّه لا يُحَسّ به لا ضرر فيه وانّما الضرر فى مقدّماته وهى المرض ثمّ انّه لأهل الكمال وصلةٌ الى نيل المحابّ التى تستحقر دونها الحيوة الدنيويّة وخلاصٌ من انواع المحن والبليّات ولانّ المرض فى غالب الامر انّما يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وبما بين الأخلاط والأركان من التنافى والتنافر والصحّة انّما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم (٨١) وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ فى الآخرة (٨٢) وَٱلَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيٓئَتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامّة أن يجتنبوا المعاصى ويكونوا على حذر وطلب لأن يُغْفَر لهم ما يفْرط منهم واستغفارا لما عسى يَنْدر منه من الصغائر وحَمْلُ الخطيئة على كلماته الثلاث انّى سقيم بل فعلَه كبيرُهم هذا هى أُخْتى ضعيفٌ لانّها معاريض وليست خطايا (٨٣) رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا كمالا فى العلم والعمل أَستعدّ به لخلافة الحقّ ورئاسة الخلق وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّالِحِينَ ووفّقنى للكمال فى العمل لأنتظم به فى عداد الكاملين فى الصلاح الّذين لا يشوب صلاحهم كبيرُ ذنبٍ ولا صغيرُه (٨٤) وَٱجْعَلْ لِى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ جاها وحُسْنَ صيتٍ فى الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امّة الّا وهم مُحِبّون له مُثْنون عليه او صادقا من ذرّيّتى يجدّد اصلَ دينى ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمّد صلعم (٨٥) وَٱجْعَلْنِى مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ فى الآخرة وقد مرّ معنى الوراثة فيها (٨٦) وَٱغْفِرْ لِأَبِى بالهداية والتوفيق للايمان إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلضَّالِّينَ طريقَ الحقّ وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعلّه كان لظنّه انّه كان يُخْفى الايمان تقيّةً من نمرود ولذلك وعده به او لانّه لم يُمْنَعْ بعدُ من الاستغفار للكفّار (٨٧) وَلَا تُخْزِنِى بمعاتبتى على ما فرّطت او بنقص رتبتى عن رتبة بعض الورّاث او بتعذيبى لخفاء العاقبة وجوازِ التعذيب عقلا او بتعذيب والدى او ببعثه فى عداد الضالّين وهو من الخِزْى بمعنى الهوان او من الخِزاية بمعنى الحياء يَوْمَ يُبْعَثُونَ الضمير للعباد لانّهم معلومون او للضالّين (٨٨) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٩) إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ لا ينفعان احدا الّا مخلصا سليمَ القلب عن الكفر وميل المعاصى وسائر آفاته او لا ينفعان الّا مالُ مَنْ هذا شأنه وبنوه حيث انفق ماله فى سبل البرّ وارشد بنيه الى الحقّ وحثّهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عبادا للّه مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء ممّا دلّ عليه المال والبنون اى لا ينفع غنًى الّا غناه وقيل منقطع والمعنى لكن سلامة مَنْ اتى اللّه بقلب سليم تنفعه (٩٠) وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ بحيث يرونها من الموقف فيتبجّحون بانّهم المحشورون اليها (٩١) وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ فيرونها مكشوفة ويتحسّرون على انّهم المسوقون اليها وفى اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد (٩٢) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٣) مِنْ دُونِ ٱللَّهِ

اين آلهتكم الّذين تزعمون انّهم شفعاؤكم هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ بدفع العذاب عنكم أَوْ يَنْتَصِرُونَ بدفعه عن جزء ١٩
انفسهم لانّهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال (٩٤) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُونَ اى الآلهة وعبدتهم ، ركوع ٩
والكبكبة تكرير الكبّ لتكرير معناه كانّ من القى فى النار ينكبّ مرّة بعد اخرى حتّى يستقرّ فى قعرها
(٩٥) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ متّبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه أَجْمَعُونَ تأكيد للجنود ان جُعل مبتدأ
خبره ما بعده او للضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه فى قوله (٩٦) قَالُوا وَهُمْ
فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٧) تَٱللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ على انّ اللّه يُنْطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيّده
الخطاب فى قوله (٩٨) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ اى فى استحقاق العبادة ويجوز ان تكون الضمائر
للعبدة كما فى قالوا والخطاب للمبالغة فى التحسّر والندامة والمعنى انّهم مع تخاصمهم فى مبدأ ضلالهم
معترفون بانهماكهم فى الضلالة متحسّرون عليها (٩٩) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ (١٠٠) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ
كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء (١٠١) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ اذ الاخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ
الّا المتّقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممّن نعدّهم شفعاء واصدقاء او وقعنا فى مهلكة لا يخلّصنا
منها شافع ولا صديق ، وجمعُ الشافع ووحدةُ الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة وقلّة الصديق او لانّ
الصديق الواحد يسعى اكثر ممّا يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدوّ لانّه فى الاصل
مصدر كالحنين والصهيل (١٠٢) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً تمنٍّ للرجعة أُقيم فيه لَوْ مقام لَيْتَ لتلاقيهما فى معنى
التقدير او شرطٌ حُذف جوابُه فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ جوابُ التمنّى او عطف على كرّة اى لو أنّ لنا أن
نكرّ فنكونَ (١٠٣) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ فيما ذكر من قصّة ابرهيم لَآيَةً لحجّةً وعظةً لمن اراد ان يستبصر بها
ويعتبر فانّها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطّن المتأمّل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة
الى اصول العلوم الدينيّة والتنبيه على دلائلها وحُسْنِ دعوته للقوم وحُسْنِ مخالقته معهم وكمال اشفاقه
عليهم وتصوّر الامر فى نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون أنجع
لهم الى الاستماع والقبول وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ اكثر قومه مُؤْمِنِينَ به (١٠٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ القادر على
تعجيل الانتقام ٱلرَّحِيمُ بالامهال لكى يؤمنوا هم او احد من ذرّيّتهم (١٠٥) كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ركوع ١٠
القوم مؤنّثة ولذلك تصغّر على قُوَيْمة ، وقد مرّ الكلام فى تكذيبهم المرسلين (١٠٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ
لانّه كان منهم أَلَا تَتَّقُونَ اللّهَ فتتركوا عبادةَ غيره (١٠٧) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ مشهور بالامانة فيكم
(١٠٨) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ فيما آمركم به من التوحيد والطاعة للّه سبحانه (١٠٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
على ما انا عليه من الدعاء والنصح مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١١٠) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
كرّره للتأكيد والتنبيه على دلالة كلّ واحد من امانته وحَسْم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم

جزء ١٩ اليه فكيف اذا اجتمعا ، وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص بفتح الياء فى أَجْرِىَ فى الكلمات
ركوع ١٠ الخمس (١١١) قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ الاقلّون جاهًا ومالا جمعُ الارذل على الصحّة وقرأ يعقوب
وأَتْبَاعُكَ وهو جمعُ تابعٍ كشاهد وأَشهاد او تَبَعٍ كبَطَل وأَبطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور
رأيهم على الحطام الدنيويّة حتّى جعلوا اتّباعَ المُقلّين فيها مانعا عن اتّباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه
ودليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى انّ اتّباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانّما هو لتوقّع مال ورفعة فلذلك
(١١٢) قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ انّهم عملوه اخلاصا او طمعا فى طعمة وما علىّ الّا اعتبار الظاهر
(١١٣) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّى ما حسابهم على بواطنهم الّا على اللّه فانّه المطّلع عليها لَوْ تَشْعُرُونَ
لَعلمتم ذلك ولكنّكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون (١١٤) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ جواب لما اوهم قولهم
من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتّباعهم المانع عنه وقوله (١١٥) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ
كالعلّة له اى ما انا الّا رجل مبعوث لانذار المكلّفين عن الكفر والمعاصى سواءٌ كانوا اعزّاء او اذلّاء فكيف
يليق بى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علىّ الّا انذارُكم انذارا بيّنا بالبرهان الواضح ولا علىّ ان
اطردهم لاسترضائكم (١١٦) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ عمّا تقول لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ من المشتومين
او المضروبين بالحجارة (١١٧) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحقّ
لا تخويفهم له واستخفافهم عليه (١١٨) فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا فاحكمْ بينى وبينهم من الفُتاحة وَنَجِّنِى
وَمَنْ مَعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ من قصدهم او شؤم عملهم (١١٩) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ المملوء
(١٢٠) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ بعد انجائه ٱلْبَاقِينَ من قومه (١٢١) إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً شاعت وتواترت وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
ركوع ١١ مُؤْمِنِينَ (١٢٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٣) كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ انّثه باعتبار القبيلة وهو فى الاصل
اسم ابيهم (١٢٤) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٥) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٦) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
(١٢٧) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ تصديرُ القصص بها دلالةٌ على انّ البعثة
مقصورة على الدعاء الى معرفة الحقّ والطاعة فيما يقرّب المدعوّ الى ثوابه ويبعّده عن عقابه وكان الانبياء
متّفقين على ذلك وان اختلفوا فى بعض التفاريع مبرّئين عن المطامع الدنيّة والاغراض الدنيويّة
(١٢٨) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ بكلّ مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها آيَةً عَلَما للمارّة تَعْبَثُونَ ببنائها
اذ كانوا يهتدون بالنجوم فى أسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه
للعَبَث بمن يمرّ عليهم او قصورا يفتخرون بها (١٢٩) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ مآخذ الماء وقيل قصورا مُشيدة
وحصونا لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ فتُحكمون بنيانها (١٣٠) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بسوط او سيف بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ

متسلّطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر فى العاقبة (١٣١) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ بترك هذه الاشياء وَأَطِيعُونِ جزء ١٩
فيما ادعوكم اليه فانّه انفع لكم (١٣٢) وَٱتَّقُوا ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ كرّره مرتبا على امداد اللّه ركوع ١١
ايّاهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه
بالانقطاع ثمّ فصّل بعض تلك النعم كما فصّل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار فى الا تتّقون
مبالغةً فى الايقاظ والحثّ على التقوى فقال (١٣٣) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٤) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ثمّ اوعدهم
فقال (١٣٥) إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ فى الدنيا والآخرة فانّه كما قدر على الانعام قدر على
الانتقام (١٣٦) قَالُوا سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَاعِظِينَ فانّا لا نرعوى عمّا نحن عليه وتغيير
شقّ النفى عمّا يقتضيه المقابلة للمبالغة فى قلّة اعتدادهم بوعظه (١٣٧) إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خَلْقُ ٱلْأَوَّلِينَ ما هذا
الّذى جئتنا به الّا كذب الاوّلين او ما خلقنا هذا الّا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خُلُق بضمّتين اى ما هذا الّذى جئت به الّا عادة الاوّلين كانوا
يلفّقون مثله او ما هذا الّذى نحن عليه من الدين الّا خُلُق الاوّلين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او
ما هذا الّذى نحن عليه من الحيوة والموت الّا عادة قديمة لم يزل الناس عليها (١٣٨) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ
على ما نحن عليه (١٣٩) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بسبب التكذيب بريح صرصر إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٤٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٤١) كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٤٢) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ ركوع ١٢
صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٣) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٤) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٥) وَمَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١٤٦) أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَاهُنَآ آمِنِينَ انكارٌ لأن يتركوا كذلك او تذكيرٌ
بالنعمة فى تخلية اللّه ايّاهم وأسبابَ تنعّمهم آمنين ثمّ فسّره بقوله (١٤٧) فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٨) وَزُرُوعٍ
وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ لطيف ليّن للطف الثمر او لانّ النخل أُنثى وطلع إناث النخل الطف وهو ما
يطلع منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ القِنْو او متدلٍّ منكسر من كثرة الحمل ، وافراد النخل لفضله
على سائر اشجار الجنّات او لانّ المراد بها غيرها من الاشجار (١٤٩) وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ
بطرين او حاذقين من الفراهة وهى النشاط فانّ الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع وابن
كثير وابو عمرو فَرِهِينَ وهو ابلغ (١٥٠) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥١) وَلَا تُطِيعُوٓا أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ استعير الطاعة
الّتى هى انقياد الآمر لامتثال الأمر او نُسب حكم الآمر الى أمره مجازا (١٥٢) ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
وصفٌ موضحٌ لإسرافهم ولذلك عطف وَلَا يُصْلِحُونَ على يفسدون دلالةً على خلوص فسادهم
(١٥٣) قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ الّذين سُحروا كثيرا حتّى غلب على عقلهم او من ذوى السَّحْر

جزء ١٩ وهى الرئة اى من الأناسىّ فيكون (١٥٤) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تأكيدا له فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ
ركوع ١٢ فى دعواك (١٥٥) قَالَ هٰذِهِ نَاقَةٌ اى بعدما اخرجها اللّه من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لَهَا شِرْبٌ
نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ
فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها فى شربها (١٥٦) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ كضرب وعقر فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ
عَظِيمٍ عظّم اليوم لعظم ما يحلّ فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب (١٥٧) فَعَقَرُوهَا اسند العقر الى كلّهم
لانّ عاقرها انّما عقر برضاهم ولذلك أُخذوا جميعا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ على عقرها خوفا من حلول
العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم (١٥٨) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ اى العذاب الموعود
إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ فى نفى الايمان عن
اكثرهم فى هذا المعرض ايماء بانّه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما أُخذوا بالعذاب وانّ قريشا انّما
ركوع ١٣ عُصموا عن مثله ببركة من آمن منهم (١٦٠) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ
أَلَا تَتَّقُونَ (١٦٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ
أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٥) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ اتأتون من بين من عداكم من
العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة
الاناث فيهم كانّهنّ قد اعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاوّل كلّ من ينكح وعلى الثانى الناس
(١٦٦) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ لأجل استمتاعكم رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ لبيان ما ان اريد به جنس الاناث
او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهنّ فيكون تعريضا بانّهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا
بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ متجاوزون عن حدّ الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او
مفرطون فى المعاصى وهذا من جملة ذلك او احقّاء بأن توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة
(١٦٧) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ عمّا تدّعيه او عن نهينا وتقبيح أمرنا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ من
المنفيّين من بين اظهرنا ولعلّهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال (١٦٨) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ
مِنَ الْقَالِينَ من المبغضين غاية البغض لا أقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول انّى
لعملكم قال لدلالته على انّه معدود فى زمرتهم مشهور بانّه من جملتهم (١٦٩) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ
اى من شومه وعذابه (١٧٠) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ اهل بيته والمتّبعين له على دينه باخراجهم من بينهم
وقت حلول العذاب بهم (١٧١) إِلَّا عَجُوزًا هى امرأة لوط فِي الْغَابِرِينَ مقدّرة فى الباقين فى العذاب اذ اصابها
حجر فى الطريق فأهلكها لانّها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كائنة فيمن بقى فى القرية

فانها لم تخرج مع لوط (١٧٢) ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ اهلكناهم (١٧٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا وقيل امطر الله على جزء ١٩
شذّاذ القوم حجارة فأهلكهم فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ اللام فيه للجنس حتّى يصحّ وقوع المضاف اليه فاعل ركوع ١٣
ساء والمخصوص بالذمّ محذوف وهو مطرهم (١٧٤) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥) وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٧٦) كَذَّبَ أَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة ركوع ١٤
بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعثه الى مدين وكان اجنبيّا منهم فلذلك
قال (١٧٧) اذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتفّ وكان
شجرهم الدَّوْم وهو المُقْل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
وقرئت كذلك مفتوحة على انها لَيْكَةُ وهي اسم بلدتهم وانّما كُتبت ههنا وفي صٓ بغير الف اتّباعا للّفظ
(١٧٨) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٩) فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٨٠) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ
رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١٨١) أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ أتمّوه وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ الناقصين حقوق الناس بالتطفيف
(١٨٢) وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ بالميزان السويّ وهو إن كان عربيّا فان كان من القِسْط ففعلاس
بتكرير العين والّا ففعلال وقرأ حمزة والكسائيّ وحفص بكسر القاف (١٨٣) وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ
ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بالقتل والغارة وقطع الطريق (١٨٤) وَٱتَّقُوا
ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ وذوى الجبلّة الاوّلين يعنى من تقدّمهم من الخلائق (١٨٥) قَالُوا إِنَّمَا
أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ (١٨٦) وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا اتوا بالواو للدلالة على انّه جامع بين وصفين منافيين
للرسالة مبالغةً في تكذيبه وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَاذِبِينَ في دعواك (١٨٧) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَاءِ
قطعة منها ولعلّه جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّادِقِينَ في دعواك (١٨٨) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ وبعذابه مُنزِلٌ عليكم ما اوجبه لكم عليه في وقته
المقدّر له لا محالة (١٨٩) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ على نحو ما اقترحوا بأن سلّط عليهم
الحرّ سبعة ايّام حتّى غلت انهارهم فأظلّتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا
إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٩٠) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٩١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ
هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسليةً لرسول الله صلعم وتهديدا للمكذّبين
به واطّراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدمَ مبالاة
به يدفع أن يقال انه كان بسبب اتّصالات فلكيّة او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم
(١٩٢) وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١٩٣) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٤) عَلَىٰ قَلْبِكَ تقرير لحقّيّة تلك القصص وتنبيه ركوع ١٥

جزء ١٩ ركوع ١٥ على اعجاز القران ونبوّة محمّد صلعم فانّ الاخبار عنها ممّن لم يتعلّمها لا يكون الّا وحيا من اللّه ، والقلب إن اراد به الروح فذاك وإن اراد به العضو فتخصيصه لانّ المعانى الروحانيّة انّما تنزل اوّلا على الروح ثمّ تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلّق ثمّ تصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيّلة ، والروح الامين جبريل عم فانّه امين اللّه على وحيه ، وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائى بتشديد الزاء ونصب الروح الامين لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنْذِرِينَ عمّا يؤدّى الى عذاب من فعل او ترك (١٩٥) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ واضح المعنى لئلّا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلّق بنزل ويجوز ان يتعلّق بالمنذرين اى لتكون ممّن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمّد صلعم (١٩٦) وَإِنَّهُ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ وانّ ذكره او معناه لفى الكتب المتقدّمة (١٩٧) أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً على صحّة القران او نبوّة محمّد صلعم أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِى إِسْرَائِيلَ ان يعرفوه بنعته المذكور فى كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا ، وقرأ ابن عامر تَكُنْ بالتاء وآيَةٌ بالرفع على انّها الاسم والخبر لهم وأن يعلمه بدل او الفاعل وأن يعلمه بدل ولهم حال او انّ الاسم ضميرُ القصّة وآيةٌ خبرُ أن يعلمه والجملة خبرُ تكن (١٩٨) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ كما هو زيادة فى اعجازه او بلغة العجم (١٩٩) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتّباع العجم ، والاعجمين جمع اعجمىّ على التخفيف ولذلك جُمع جَمْعَ السلامة (٢٠٠) كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ ادخلناه فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدلّ الآية على انّه بخلق اللّه وقيل للقران اى ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثمّ لم يؤمنوا به عنادا (٢٠١) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ المُلجىء الى الايمان (٢٠٢) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فى الدنيا والآخرة وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ باتيانه (٢٠٣) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ تحسّرا وتأسّفا (٢٠٤) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فيقولون امطِرْ علينا حجارة فأْتنا بما تعدنا وحالُهم عند نزول العذاب طلبُ النَظِرة (٢٠٥) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٦) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٧) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ لم يُغْنِ عنهم تمتّعهم المتطاول فى دفع العذاب وتخفيفه (٢٠٨) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ انذروا اهلها الزاما للحجّة (٢٠٩) ذِكْرَى تذكرةً ومحلّها النصبُ على العلّة او المصدرِ لانّها فى معنى الانذار او الرفعُ على انّها صفةُ منذرين باضمارِ ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم فى التذكرة او خبرُ محذوف والجملةُ اعتراضيّة وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ فنُهلِك غير الظالمين وقبل الانذار (٢١٠) وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَاطِينُ كما زعم المشركون انّه من قبيل ما يُلقى الشياطين على الكهنة (٢١١) وَمَا يَنْبَغِى لَهُمْ وما يصحّ لهم ان ينزلوا به وَمَا يَسْتَطِيعُونَ وما يقدرون (٢١٢) إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لكلام الملائكة لَمَعْزُولُونَ لانّه مشروط بمشاركة فى صفاء الذات وقبول فيضان الحقّ والانتقاش بالصور الملكوتيّة ونفوسهم خبيثة ظلمانيّة شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقران مشتمل على حقائق ومغيّبات لا

يُمْكِن تلقّيها الّا من الملائكة (٢١٣) فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ تهييجٌ لازدياد جزء ١٩
الاخلاص ولطفٌ لسائر المكلّفين (٢١٤) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ الاقربَ منهم فالاقربَ فانّ الاهتمام ركوع ١٥
بشأنهم اهمّ روى انّه لمّا نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتّى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتُكم
انّ بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدّقِيّ قالوا نعم قال فانّي نذير لكم بين يدى عذاب شديد
٥ (٢١٥) وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ليّنْ جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا
اراد ان ينحطّ ، ومِنْ للتبيين لانّ مَن اتّبع اعمّ ممّن اتّبع لدين او غيره او للتبعيض على انّ المراد
من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدّقون باللسان (٢١٦) فَإِنْ عَصَوْكَ ولم يتّبعوك فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِمَّا
تَعْمَلُونَ ممّا تعملونه او من اعمالكم (٢١٧) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٱلَّذِى يقدر على قهر اعدائه ونصر
اوليائه يَكْفِك شرّ مَنْ يعصيك منهم ومن غيرهم ، وقرأ نافع وابن عامر فَتَوَكَّلْ على الابدال من جواب
١٠ الشرط (٢١٨) ٱلَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ الى التهجّد (٢١٩) وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ وتردّدك فى تصفّح احوال
المتهجّدين كما روى انّه عم لمّا نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما
يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله
والتلاوة او تصرّفك فيما بين المصلّين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا أمّمتهم وانّما وصفه الله
بعلمه بحاله الّتى بها يَسْتأهل ولايته بعد وصفه بانّ مِنْ شأنه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكّل
١٥ وتطمينا لقلبه عليه (٢٢٠) إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ لما تقوله ٱلْعَلِيمُ بما تنويه (٢٢١) هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ
ٱلشَّيَاطِينُ (٢٢٢) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ لمّا بيّن انّ القران لا يصحّ ان يكون ممّا تنزّلت به الشياطين
اكّد ذلك بأن بيّن انّ محمّدا صلعم لا يصلح ان يتنزّلوا عليه من وجهين احدهما انّه انّما يكون
على شرير كذّاب كثير الاثم فانّ اتّصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتوادّ وحالُ محمّد
صلعم على خلاف ذلك وثانيهما قوله (٢٢٣) يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ اى الافّاكون يُلْقون السمع الى الشياطين
٢٠ فيتلقّون منهم ظنونا وأمارات لنقصان علمهم فيضمّون اليها على حسب تخيّلاتهم اشياء لا يطابق
اكثرها كما جاء فى الحديث الكلمة يحفظها الجنّىّ فيقرّها فى اذن وليّه فيزيد فيها اكثر من مائة
كذبة ولا كذلك محمّد صلعم فانّه اخبر عن مغيّبات كثيرة لا تُحْصَى وقد طابق كلّها وقد فُسّر
الاكثر بالكلّ لقوله كلّ افّاك والاظهرُ انّ الاكثريّة باعتبار اقوالهم على معنى انّ هؤلاء قلّ من يَصْدق
منهم فيما يحكى عن الجنّىّ وقيل الضمائر للشياطين اى يلقون السمع الى الملا الاعلى قبل ان يُرْجَموا
٢٥ فيختطفون منهم بعض المغيّبات ويوحون به الى اوليائهم او يُلْقون مسموعهم منهم الى اوليائهم
وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ فيما يوحون به اليهم اذ يُسْمعونهم لا على نحو ما تكلّمت به الملائكة لشرارتهم
او لقصور فهمهم او ضبطهم او إفهامهم (٢٢٤) وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ وأتباع محمّد ليسوا كذلك وهو

جزء ١٩ ركوع ١٥ استيناف ابطل كونه شاعرا وقرّره بقوله (٢٢٥) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ لانّ اكثر مقدّماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم فى النسيب بالحُرَم والغزل والابتهار وتمزيق الأعراض والقدح فى الأنساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومَدْح من لا يستحقّه والاطراء فيه والبه اشار بقوله (٢٢٦) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وكانّه لمّا كان اعجاز القران من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا فى المعنى بانّه ممّا تنزّلت به الشياطين وفى اللفظ بانّه من جنس كلام الشعراء تكلّم فى القسمَيْن وبيّن منافاة القران لهما ومضادّة حال الرسول لحال اربابهما ، وقرأ نافع يَتْبَعُهُمْ على التخفيف وقرئ بتسكين العين تشبيها لبَعُه بعَضُد (٢٢٧) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا (٢٢٨) وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الّذين يكثرون ذكر اللّه ويكون اكثر اشعارهم فى التوحيد والثناء على اللّه والحثّ على طاعته ولو قالوا هَجْوا ارادوا به الانتصار ممّن هجاهم ومكافحة هُجاة المسلمين كعبد اللّه بن رَواحة وحسّان بن ثابت والكَعْبَيْن وكان عم يقول لحسّان قُلْ وروحُ القدس معك وعن كعب بن مالك انّه عم قال له اهْجُهم فوالّذى نفسى بيده لهو اشدّ عليهم من النَّبْل وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ تهديد شديد لما فى سيعلم من الوعيد البليغ وفى الّذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى اىّ منقلب ينقلبون اى بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر رضى اللّه عنهما حين عهد اليه وقرئ أَيَّ مُنْفَلَتٍ يَنْفَلِتُونَ من الانفلات وهو النجاة والمعنى انّ الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب اللّه وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق بنوح وكذّب به وهود وصالح وشعيب وابرهيم وبعدد من كذّب بعيسى وصدّق بمحمّد صلعم .

سُورَةُ النَّمْلِ

مكّيّة وآيها خمس وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ركوع ١٦ (١) طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ الاشارة الى آى السورة ، والكتاب المبين امّا اللوح وابانته أنّه خُطّ فيه ما هو كائن فهو يُبيّنه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلّق علمنا به وتقديمه فى الحِجْر باعتبار الوجود او القرآن وابانته لما أُودع فيه من الحِكَم والأحكام او لصحّته باعجازه وعطفه على القران كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وَكِتَابٌ بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه (٢) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران آخران او خبران لمحذوف (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ الّذين يعلمون

الصالحات من الصلوة والزكوة وَهُمْ بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ من تتمّة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوّة يقينهم وثباته وانّهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضيّة كانّه قيل وهؤلاء ٱلّذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فانّ تحمّل المشاقّ انّما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص (٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ زيّن اعمالهم القبيحة بأن جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة ٱلّتى وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها فَهُمْ يَعْمَهُونَ عنها لا يدركون ما يتبعها من ضرّ او نفع (٥) أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ ٱلْعَذَابِ كالقتل والاسر يوم بدر وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ اشدّ الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة (٦) وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْآنَ لتؤتاه مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ اى حكيم واىّ عليم والجمع بينهما مع انّ العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بأنّ علوم القران منها ما هى حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيّبات ثمّ شرع فى بيان بعض تلك العلوم بقوله (٧) إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا اى اذكر قصّته اذ قال ويجوز ان يتعلّق بعليم سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ اى عن حال الطريق لانّه قد ضلّه وجمع الضمير ان صحّ انّه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل ، والسين للدلالة على بُعْد المسافة والوعد بالاتيان وان ابطأ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانّه يكون قبسا وغير قبس ونوّنه الكوفيّون ويعقوب على انّ القبس بدل منه او وصف له لانّه بمعنى المقبوس ، والعدتان على سبيل الظنّ ولذلك عبّر عنهما بصيغة الترجّى فى طٰه والترديد للدلالة على انّه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر او ثقة بعادة الله انّه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ رجاء ان تستدفئوا بها والصلا النار العظيمة (٨) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ اى بورك فانّ النداء فيه معنى القول او بأن بورك على انّها مصدريّة او مخفّفة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنّه دعاء وهو يخالف غيره فى أحكام كثيرة مَنْ فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا من فى مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة فى قوله تعالى نودى من شاطئ الواد الايمن فى البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انّه عامّ فى كلّ من فى تلك الارض وفى ذلك الوادى وحواليهما من ارض الشأم الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة ٱلّتى كلّم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانّه قد قُضى له امر عظيم تنتشر بركته فى اقطار الشأم وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ من تمام ما نودى به لئلّا يتوهّم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة ذلك الامر او تعجّب من موسى لما دهاه من عظمته (٩) يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا ٱللَّهُ الهاء للشأن وانا الله جملة مفسّرة له او للمتكلّم وانا خبره والله بيان له

جزء ١٩
ركوع ١٩

جزء ١٩ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ صفتان للّه ممهّدتان لما اراد ان يُظْهِره يريد انا القويُّ القادرُ على ما يَبْعد من الاوهام
ركوع ١٦ كقلب العصا حيّةً الفاعلُ كلَّ ما افعله بحكمة وتدبير (١٠) وَأَلْقِ عَصَاكَ عطف على بورك اى نودى أَنْ
بورك من فى النار وأَنْ الق عصاك ويدلّ عليه قوله وأَنْ الق عصاك بعد قوله أَنْ يا موسى انّى انا اللّه
بتكرير أَنْ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ تتحرّك باضطراب كَأَنَّهَا جَانٌّ حيّة خفيفة سريعة وقرئ جَأَنٌّ على لغة من
جدّ فى الهرب من التقاء الساكنين وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ولم يرجع من عقب المقاتلُ اذا كرّ بعد
الفرار وانّما رعب لظنّه انّ ذلك لأمرٍ أُرِيدَ به ويدلّ عليه قوله يَا مُوسَى لَا تَخَفْ اى من غيرى ثقةً بى
او مُطْلقا لقوله إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانّهم اخوفُ الناس
اى من اللّه تعالى او لا يكون لهم عندى سوء عاقبة فيخافوا منه (١١) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ
سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ استثناءٌ منقطعٌ استدرك به ما يختلج فى الصدر مِنْ نفى الخوف عن كلّهم وفيهم
من فرطت منه صغيرة فانّهم وإن فعلوها أَتْبعوا فعْلَها ما يُبْطلها ويستحقّون به من اللّه مغفرة ورحمة
وقصد تعريض موسى بوكزه القبطىَّ وقيل متّصلٌ وثمّ بدّل مستأنف معطوف على محذوف اى من
ظلم ثمّ بدّل ذنبه بالتوبة (١٢) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ لانّه كان مِدْرَعة صوف لا كُمّ لها وقيل الجيب
القميص لانّه يُجاب اى يُقطع تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آفة كبرص فِي تِسْعِ آيَاتٍ فى جملتها او معها على
انّ التسع هى الفَلْق والطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان
فى مزارعهم ولمن عدّ العصا واليد من التسع أن يعدّ الاخيرَيْن واحدا ولا يعدّ الفلق لانّه لم يُبْعَث به
الى فرعون او اذهبْ فى تسع آيات على انّه استيناف بالارسال فيتعلّق به إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ وعلى الاوّلين
يتعلّق بنحو مبعوثا او مُرْسَلا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ تعليل للارسال (١٣) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا بأن
جاءهم موسى بها مُبْصِرَةً بيّنةً اسمُ فاعل أُطْلق للمفعول اشعارا بانّها لفرط اجتلائها للأبصار بحيث
تكاد تُبْصِر نفسُها لو كانت ممّا تُبْصِر او ذات بصر من حيث انّها تَهْدى والعُمْى لا تهتدى فضلا ان
تَهْدى او مبصّرةً كلَّ من نظر اليها وتأمّل فيها وقرئ مَبْصَرَةً اى مكانا يكثر فيه التبصّر قَالُوا هَٰذَا
سِحْرٌ مُبِينٌ واضحٌ سِحْرِيّته (١٤) وَجَحَدُوا بِهَا وَكذّبوا بها وَٱسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ وقد استيقننها لانّ الواو
للحال ظُلْمًا لأنفسهم وَعُلُوًّا ترفّعا عن الايمان وانتصابُهما على العلّة من جحدوا فَٱنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
ركوع ١٧ ٱلْمُفْسِدِينَ وهو الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الاخرى (١٥) وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا طائفةً من
العلم وهو علم الحِكَم والشرائع او علما اىَّ علم وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ عطفه بالواو اشعارا بانّ ما قالاه بعض
ما أُتيا به فى مقابلة هذه النعمة كانّه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد للّه ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ
مِنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يعنى من لم يؤتَ علما او مثل علمهما وفيه دليلٌ على فضل العلم وشرف اهله حيث

جزء ١٩ ركوع ١٧ شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من المُلْك ٱلّذى لم يؤت غيرهما وتحريضٌ للعالم على ان يحمد اللّه على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انّه وان فُضّل على كثير فقد فُضّل عليه كثير (١٦) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ النبوّةَ او العلمَ او المُلْكَ بأن قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وَقَالَ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَىْءٍ تشهيرا لنعمة اللّه وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة ٱلّتى هى علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق فى المتعارف كلّ لفظ يعبّر به عمّا فى الضمير مُفْرَدا كان او مركّبا وقد يطلق لكلّ ما يصوّت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامةُ ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فانّ الاصوات الحيوانيّة من حيث انّها تابعة للتخيّلات منزّلةٌ منزلةَ العبارات سيّما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما من جنسه ولعلّ سليمان عم مهما سمع صوت حيوان علم بقوّته القدسيّة التخيّل ٱلّذى صَوّته والغرض ٱلّذى توخّاه به ومن ذلك ما حكى انّه مرّ ببلبل يصوّت ويترقّص فقال يقول اذا اكلت نِصْفَ تَمْرة فعلى الدنيا العَفاء وصاحت فاختة فقال انّها تقول ليت الخَلْق لم يُخلَقوا فلعلّه كان صوت البلبل عن شبع وفراغِ بال وصياحُ الفاختة عن مقاساة شدّة وتألّم قلب ، والضمير فى عُلّمنا واوتينا له ولأبيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة ، والمرادُ من كلّ شىء كثرةُ ما اوتى كقولك فلانٌ يقصده كلّ احد ويعلم كلّ شىء إِنَّ هٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ٱلّذى لا يخفى على احد (١٧) وَحُشِرَ وجمع لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ يحبسون يحبس اوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا (١٨) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ ٱلنَّمْلِ واد بالشأم كثير النمل ، وتعديةُ الفعل اليه بعَلَى امّا لانّ اتيانهم كان من عُلْى او لانّ المراد قَطْعُه من قولهم اتى على الشىء اذا انفده وبلغ آخرَه كانّهم ارادوا ان ينزلوا أُخْرِيات الوادى قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ كانّها لمّا رأتهم متوجّهين الى الوادى فرّت عنهم مخافةَ حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة نبّهت ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبّه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أُجْرُوا مجراهم مع انّه لا يمتنع أنْ خلق اللّه سبحانه وتعالى فيها العقل والنطق لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ نهىٌ لهم عن الحطم والمرادُ نهيُها عن التوقّف بحيث يحطمونها كقولهم لا أَرَيَنّك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر لا جواب له فانّ النون لا تدخله فى السعة وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بانّهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانّها شعرت عِصْمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استيناف اى فَهِم سليمان والقوم لا يشعرون (١٩) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا تعجّبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها وسرورا بما خصّه اللّه به من ادراك هَمْسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ اى اجعلنى أَزَعُ شكر نعمتك عندى اى أَكُفّه وارتبطه لا ينفلت عنّى بحيث لا انفكّ عنه ، وقرأ البزّى وورش بفتح ياء أَوْزِعْنِى ٱلّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ ادرج فيه ذِكْرَ والدَيْه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فانّ النعمة

جزء ١٩ عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيّما الدينية وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ اتماما للشكر
ركوع ١٧ واستدامة للنعمة وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ فى عدادهم الجنّة (٢٠) وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ وتعرّف الطير فلم يجد فيها الهدهد فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَائِبِينَ ام منقطعة كانّه لمّا لم يره ظنّ انّه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لى لا اراه ثمّ احتاط فلاح له انّه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول اهو غائب كانّه يسأل عن صحّة ما لاح له (٢١) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا كنتف ريشه والقائه فى الشمس او حيث النمل تأكله او جَعْلِه مع ضدّه فى قفص أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ ليعتبر به ابناء جنسه أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ بحجّة تُبيّن عذره ، والحلف فى الحقيقة على احد الاوّلين بتقدير عدم الثالث لكن لمّا اقتضى ذلك وقوعَ احد الامور الثلاثة ثلّث المحلوف عليه بعطفه عليهما ، وقرأ ابن كثير أَوْ لَيَأْتِيَنَّنِي بنونين الاولى مفتوحة مشدّدة (٢٢) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ يعنى حالَ سبأ وفى مخاطبته ايّاه بذلك تنبيه له على انّ فى ادنى خلق الله من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه ، وقرئ بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير إطباق وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ وقرأ ابن كثير برواية البزّى وابو عمرو غيرَ مصروف على تأويل القبيلة او البلدة والقوّاس بهمزة ساكنة بِنَبَإٍ يَقِينٍ بخبر متحقّق روى انّه عم لمّا اتمّ بناء بيت المقدس تجهّز للحجّ فوافى الحَرَم واقام به ما شاء ثمّ توجّه الى اليمن فخرج من مكّة صباحا فوافى صنعاء ظهيرةً فأعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثمّ لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانّه يُحْسِن طلب الماء فتفقّده لذلك فلم يجده اذ حلّق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحطّ اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثمّ رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعلّ فى عجائب قدرة الله وما خصّ به خاصّة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها (٢٣) إِنِّي وَجَدْتُ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ يعنى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريّان ، والضمير لسبإ او لاهلها وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يحتاج اليه الملوك وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ عظّمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين عرضا وسمكا او ثمانين فى ثمانين من ذهب وفضّة مكلّلا بالجواهر (٢٤) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ كانّهم كانوا يعبدونها وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ عبادة الشمس وغيرها من مقابح اعمالهم فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ عن سبيل الحقّ والصواب فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ اليه (٢٥) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ فصدّهم لأن لا يسجدوا او زيّن لهم ان لا يسجدوا على انّه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائىّ ويعقوب أَلَا بالتخفيف على انّها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اى أَلَا يا قوم ٱسْجُدُوا كقوله

وقالَتْ أَلَا يا ٱسْمَعْ نَعِظْكَ بِخُطَّةٍ   فقلتُ سَمِيعًا فَٱنْطِقِى وأَصِيبِى

وعلى هذا صحّ ان يكون استينافا من اللّه او من سليمان والوقف على لا يهتدون فيكون امرا بالسجود جزء ١٩
وعلى الاوّل ذمّا على تركه وعلى الوجهين يقتضى وجوب السجود فى الجملة لا عند قراءتها وقرئ هَلَّا رکوع ١٧
وهَلَا بقلب الهمزة هاء وأَلَا تَسْجُدُونَ وهَلَا تَسْجُدُونَ على الخطاب ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ
وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرّد
٥ بكمال القدرة والعلم حثّا على سجوده وردّا على من يسجد لغيره ، والخَبْء ما خفى فى غيره واخراجه
اظهاره وهو يعمّ اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانّه اخراج ما فى الشىء
بالقوّة الى الفعل والابداع فانّه اخراج ما فى الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انّه يختصّ
بالواجب لذاته ، وقرأ حفص والكسائىّ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ بالتاء (٢٦) ٱللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ
ٱلْعَظِيمِ ٱلّذى هو اوّل الأجرام وأعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون بعيد (٢٧) قَالَ سَنَنْظُرُ
١٠ سنتعرّف من النظر بمعنى التأمّل أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ اى ام كذبت والتغيير للمبالغة
ومحافظة الفواصل (٢٨) ٱذْهَبْ بِكِتَابِي هٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ثمّ تنحّ عنهم الى مكان قريب تتوارى
فيه فَٱنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ما ذا يرجع بعضهم الى بعض من القول (٢٩) قَالَتْ اى بعد ما القى اليها يَا أَيُّهَا
ٱلْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ لكرم مضمونه او مرسله او لانّه كان مختوما او لغرابة شأنه اذ كانت
مستلقية فى بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوّة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به
١٥ (٣٠) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ استيناف كانّه قيل لها ممّن هو وما هو فقالت انّه اى انّ الكتاب او العنوان من
سليمان وَإِنَّهُ وانّ المكتوب او المضمون وقرئا بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه بِسْمِ ٱللَّهِ
ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣١) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ أن مفسّرة او مصدريّة فتكون بصلتها خبر محذوف اى هو او المقصود
أن لا تعلوا او بدلا من كتاب وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ مؤمنين او منقادين وهذا كلام فى غاية الوجازة مع
كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالّة على ذات الصانع وصفاته صريحا والتزاما والنهى
٢٠ عن الترفّع الّذى هو امّ الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامّهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل
اقامة الحجّة على رسالته حتّى يكون استدعاء للتقليد فانّ القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم
الدلالة (٣٢) قَالَتْ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي اجيبونى فى امرى الفتىّ واذكروا ما تستصوبون فيه رکوع ١٨
مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا اى ما أبتّ امرا حَتَّى تَشْهَدُونِ الّا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على
الاجابة (٣٣) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ بالاجساد والعدد وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ نجدة وشجاعة وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ موكول
٢٥ فَٱنْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ من المقاتلة او الصلح نطعك ونتبع رأيك (٣٤) قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً عنوة
وغلبة أَفْسَدُوهَا تزييف لما احسّت منهم من الميل الى المقاتلة بادّعائهم القوى الذاتيّة والعرضيّة واشعار

*

جزء ١٩ بأنّها ترى الصلح مخافة ان يتخطّى سليمان خِطَطَهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم
ركوع ١٨ ثمّ انّ الحرب سجالٌ لا تُدْرَى عاقبتها وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ تأكيدٌ لما وصفت من حالهم وتقريرٌ بأنّ ذلك من عادتهم الثابتة المستمرّة او تصديقٌ لها من اللّه عزّ وجلّ (٣٥) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ بيان لما ترى تقديمه فى المصالحة والمعنى انّى مرسلة رسلا بهديّة ادفعه بها عن ملكى فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ من حاله حتّى اعمل بحسب ذلك روى انّها بعثت مُنْذِر بن عمرو فى وفد وارسلت معهم غلمانا على زىّ الجوارى وجوارىَ على زىّ الغلمان وحُقّا فيه دُرّة عذراء وجَزْعة مُعْوجّة الثقب وقالت ان كان نبيّا ميّز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرّة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا فلمّا وصلوا الى معسكره ورأوا عظمة شأنه تقاصرت اليهم نفوسهم فلمّا وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب الحُقّ وأخبر عمّا فيه فأمر الأَرَضة فأخذت شعرة ونفذت فى الدرّة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت فى الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثمّ تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثمّ ردّ الهديّة (٣٦) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ اى الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فَلَمَّا جَاءُوا قَالَ أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء فَمَا آتَانِيَ ٱللّٰهُ من النبوّة والمُلْك الّذى لا مزيد عليه وقرأ نافع وابو عمرو وحفص بفتح الياء والباقون باسكانها وبامالتها الكسائىّ وحده خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ فلا حاجة لى الى هديّتكم ولا وَقْعَ لها عندى بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ لانّكم لا تعلمون الّا ظاهرا من الحيوة الدنيا فتفرحون بما يُهْدَى اليكم حبّا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والإضرابُ عن انكار الامداد بالمال وتعليله الى بيان ما حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم فى قصور الهمّة بالدنيا والزيادة فيها (٣٧) ٱرْجِعْ ايّها الرسول إِلَيْهِمْ الى بلقيس وقومها فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها وقرئ بِهِمْ وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا من سبا أَذِلَّةً بذهاب ما كانوا فيه من العزّ وَهُمْ صَاغِرُونَ أُسَراء مُهانون (٣٨) قَالَ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا اراد بذلك ان يُرِيَها بعض ما خصّه اللّه به من العجائب الدالّة على عظم القدرة وصدقه فى دعوى النبوّة ويختبرَ عقلها بأن ينكّر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ فانّها اذا اتت مُسْلِمةً لم يَحِلّ اخذه الّا برضاها (٣٩) قَالَ عِفْرِيتٌ خبيث مارد مِنَ ٱلْجِنِّ بيان له لانّه يقال للرجل الخبيث المنكَر المعفِّر أقرانه وكان اسمه ذَكْوان او صَخْرا أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وَإِنِّي عَلَيْهِ على حمله لَقَوِيٌّ أَمِينٌ لا اختزل منه شيئا ولا

ابداله (٤٠) قَالَ ٱلَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ ٱلْكِتَابِ آصف بن بَرْخِيَاء وزيره او الخضر او جبريل عليهما السلام جزء ١٩
او مَلَك ايّده اللّه به او سليمان عم نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وانّ هذه ركوع ١٨
الكرامة كانت بسببه والخطاب فى أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ للعفريت كانّه استبطأه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة فى نقله فتحدّاهم اوّلا ثمّ اراهم انّه يتأتّى له ما لا يتأتّى لعفاريت الجنّ فضلا عن غيرهم ، والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح ، وآتيك فى الموضعين صالح للفعلية والاسميّة ، والطَّرْف تحريك الاجفان للنظر فوُضع موضعه ولمّا كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما فى قوله

وكنتَ اذا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رائدا   لِقَلْبِك يوما أَتْعَبَتْكَ المَناظِرُ

وُصف بردّ الطرف والطرفُ بالارتداد والمعنى إنّك ترسل طرفك نحو شيء فقبل ان تردّه أُحْضِرُ عرشها بين يديك وهذا غايةٌ فى الاسراع ومَثَلٌ فيه فَلَمَّا رَآهُ اى العرش مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ حاصلا بين يديه قَالَ تلقّيا للنعمة بالشكر على شاكلة المُخْلِصين من عباد اللّه تعالى هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى تفضّل به علىّ من غير استحقاق ، والاشارةُ الى التمكّن من احضار العرش فى مدّة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلامُ فى امكانِ مِثْلِه قد مرّ فى آية الاسراء لِيَبْلُوَنِى أَأَشْكُرُ بأن اراه فضلا من اللّه بلا حول منّى ولا قوّة وأَقوم بحقّه أَمْ أَكْفُرُ بأن أَجِدَ نفسى فى البين او اقصّرَ فى اداء مواجبه ، ومحلّهما النصب على البدل من الياء وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ لانّه به يستجلب لها دوامَ النعمة ومزيدها ويحطّ عنها عِبْءَ الواجب ويحفظها عن وَصْمة الكفران وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ عن شكره كَرِيمٌ بالانعام عليه ثانيا (٤١) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا بتغيير هيئته وشكله نَنْظُرْ جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف أَتَهْتَدِى أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان باللّه ورسوله اذا رأت تقدّم عرشها وقد خلّفته مُغْلقةً عليه الابواب موكّلةً عليه الحُرّاس (٤٢) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهٰكَذَا عَرْشُكِ تشبيها عليها زيادةً فى امتحان عقلها اذ ذُكِرَتْ عنده بسخافة العقل قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ولم تقل هو هو لاحتمالِ أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ من تتمّة كلامها كانّها ظنّت انّه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت وأوتينا العلم بكمال قدرة اللّه تعالى وصحّة نبوّتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدّم من الآيات وقيل انّه من كلام سليمان عم وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها باللّه ورسوله حيث جوّزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمّ من المعجزات الّتى لا يقدر عليها غيرُ اللّه ولا تظهر الّا على الانبياء اى وأوتينا العلم باللّه وقدرته وصحّة ما جاء من عنده قبلها وكنّا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدّث بما انعم اللّه عليهم من التقدّم فى ذلك شكرا له (٤٣) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ ٱللّهِ

جزء ١٩ اى وصدّها عبادتُها الشمس عن التقدّم الى الاسلام , او صدّها اللّهُ عن عبادتها بالتوفيق للايمان إِنَّهَا
ركوع ١٨ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ وقرئ بالفتح على الابدال من فاعلِ صَدَّ على الاوّل اى صدّها نشوُها بين اظهر
الكفّار او التعليل له (٤٤) قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ القصر وقيل عرصة الدار فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا روى انّه امر قبل قدومها فبُنى قصرٌ صَحْنُه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء
والقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلمّا ابصرته ظنّته ماء راكدا فكشفت
عن ساقيها ، وقرأ ابن كثير برواية قنبل سَأْقَيْهَا بالهمز حملا على جمعه سُؤُوق وأَسْؤُق قَالَ إِنَّهُ ما تظنّينه
ماء صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مملّس مِنْ قَوَارِيرَ من الزجاج (٤٥) قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بعبادتى الشمس وقيل
بظنّى بسليمان فانّها حسبت انّه يُغرقها فى اللجّة وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ فيما امر به عبادَه
ركوع ١٩ وقد اختُلف فى انّه تزوّجها او زوّجها مِنْ ذى تُبّع ملك همْدان (٤٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا
أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ بأَنِ ٱعبدوه وقرئ بضمّ النون على إتباعها الباء فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ففاجؤا
التفرّق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواوُ لمجموع الفريقين (٤٧) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِٱلسَّيِّئَةِ بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ قبل التوبة فتؤخّرونها الى نزول العقاب فانّهم
كانوا يقولون إِنْ صدَق ايعاده تُبْنا حينئذ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ قبل نزوله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ بقبولها
فانّها لا تقبل حينئذ (٤٨) قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا تشاءمنا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ اذ تتابعت علينا الشدائد او وقع بيننا
الافتراق منذ اخترعتم دينكم قَالَ طَائِرُكُمْ سببكم الّذى جاء منه شرّكم عِنْدَ ٱللَّهِ وهو قدَرُه او
عملُكم المكتوب عنده بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ تُختَبرون بتعاقب السرّاء والضرّاء والاضرابُ من بيان
طائرهم الّذى هو مبدأُ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعى اليه (٤٩) وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ
تسعة انفس وانّما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انّه من الثلاثة او السبعة
الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ اى شأنُهم الافساد الخالص عن
شوب الصلاح (٥٠) قَالُوا اى قال بعضهم لبعض تَقَاسَمُوا بِٱللَّهِ امرٌ مقول او خبرٌ وقع بدلا او حالا بإضمار
قَدْ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ لنباغتنّ صالحا وأهله ليلا وقرأ حمزة والكسائىّ بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ
بالياء على انّ تقاسموا خبر ثُمَّ لَنَقُولَنَّ فيه القراءات الثلاث لِوَلِيِّهِ لولىّ دمه مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ فضلا
ان تولّينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مَهْلَكَ فى قراءة حفص فانّ مَفْعَلا قد
جاء مصدرا كمَرْجِع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ونحلف انّا لصادقون او

جزء ١٩ — ركوع ١٩

والحال انّا لصادقون فيما ذكرنا لانّ الشاهد للشيء غير المباشر له عُرْفًا او لانّا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثَمَّ رجلا بل رجلين (٥١) وَمَكَرُوا مَكْرًا بهذه المواضعة وَمَكَرْنَا مَكْرًا بأن جعلناها سببا لاهلاكهم وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بذلك روى انّه كان لصالح فى الحِجْر مسجد فى شِعْب يصلّى فيه فقالوا زعم انّه يفرغ منّا الى ثلاث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فذهبوا الى الشِّعْب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حِيالَهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمّ وهلك الباقون فى اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه بقوله (٥٢) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ انَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ وكان إن جُعِلَتْ ناقصة فخبرها كيف وانّا دمّرناهم استيناف او خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامّة فكيف حال وقرأ الكوفيّون ويعقوب أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ بالفتح على انّه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال (٥٣) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهى حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انّه خبر مبتدإ محذوف بِمَا ظَلَمُوا بسبب ظلمهم إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ فيتّعظون (٥٤) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا صالحا ومن معه وَكَانُوا يَتَّقُونَ الكفر والمعاصى فلذلك خصّوا بالنجاة (٥٥) وَلُوطًا واذكرْ لوطا او وأرسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ بدل على الاوّل وظرف على الثانى أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ تعلمون فُحْشَها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانّهم كانوا يعلنون بها فتكون افحش (٥٦) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً بيان لاتيانهم الفاحشةَ وتعليلُه بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على انّ الحكمة فى المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر مِنْ دُونِ النِّسَاءِ اللّاتى خُلقن لذلك بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ تفعلون فعلَ مَنْ يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميّز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة ، والتاء فيه لكون الموصوف به فى معنى المخاطَب (٥٧) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ اى يتنزّهون عن افعالنا او عن الاقذار ويَعُدّون فعلنا قذرا (٥٨) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ قدّرنا كونها من الباقين فى العذاب (٥٩) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ مرّ مثله (٦٠) قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى امر رسوله صلعم بعد ما قصّ عليه القصص الدالّة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خصّ به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العِدَى بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلّمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحقّ تقدّمهم واجتهادهم فى الدين او لوطا بأن يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلّم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك آللّٰهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ الزام لهم وتهكّم بهم وتسفيه لرائهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأسا حتّى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كلّ خير

جزء ١٩ وعاصم ويعقوب بالياء (٦١) أَمَّنْ بل أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ ٱلَّتى هى
ركوع ٢٠ وقرئ أَمَنْ بالتخفيف على انّه بدل من اللّه وَأَنْزَلَ لَكُمْ لاجلكم مِنَ ٱلسَّ
بَهْجَةٍ عدل به عن الغيبة الى التكلّم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته
البهيّة المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من الموادّ المتشابهة لا يقدر
مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا شجر الحدائق وهى البساتين من الـ
اغيرهُ يُقْرَن به ويُجْعَل له شريكا وهو المتفرّد بالخلق والتكوين ، وقرئ
او انشركون وبتوسيط مدّة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين
ٱلَّذى هو التوحيد (٦٢) أَمَّنْ جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا بدل من امّن خلق السـ
من الماء وتسويتها بحيث يتأتّى استقرار الانسان والدوابّ عليها وَ
وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِىَ جبالا تتكوّن فيها المعادن وتنبع من حضيضها الـ
والمالح او خليجَىْ فارس والروم حَاجِزًا برزخا وقد مرّ بيانه فى الفرقان
الحقّ فيشركون به (٦٣) أَمَّنْ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ اذا دَعَاهُ المضطرّ الّذى
اللّه من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغ
وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ويدفع عن الانسان ما يسوءه وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ
والتصرّف فيها ممّن قبلكم أَءِلٰهٌ مَعَ ٱللَّهِ ٱلّذى خصّكم بهذه النعم الـ
اى تذكّرون آلاءه تذكّرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلّة العدم او [illegible] وقرأ ابو
عمرو وهشام وروح بالياء وحمزة والكسائىّ وحفص بالتاء وتخفيف الذال (٦٤) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَاتِ
ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بالنجوم وعلامات الارض ، والظلمات ظلمات الليالى واضافتها الى البرّ والبحر للملابسة او
مشتبهات الطُرُق يقال طريقة ظلماء وعمياء للّتى لا منار بها وَمَنْ يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ
يعنى المطر ولو صحّ انّ السبب الاكثرىّ فى تكوّن الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة
لانكسار حرّها وتمويجها الهواء فلا شكّ انّ الاسباب الفاعليّة والقابليّة لذلك من خلق اللّه تعالى والفاعل
للسبب فاعلٌ للمسبّب أَءِلٰهٌ مَعَ ٱللَّهِ يقدر على مثل ذلك تَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ تعالى القادر الخالق
عن مشاركة العاجز المخلوق (٦٥) أَمَّنْ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ والكفرة وان انكروا الاعادة فهم
محجوجون بالحجج الدالّة عليها وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ اى بأسباب سماويّة وارضيّة أَءِلٰهٌ مَعَ ٱللَّهِ
يفعل ذلك قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ على انّ غيره يقدر على شىء من ذلك إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى اشراككم فانّ
كمال القدرة من لوازم الالوهيّة (٦٦) قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِى ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ لمّا بيّن اختصاصه

جزء ٢٠ بالقدرة التامّة الفائقة العامّة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرّد بعلم الغيب ، والاستثناء منقطعٌ ورفعُ المستثنى على اللغة التميميّة للدلالة على انّه تعالى ان كان ممّن فى السموات والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغةً فى نفيه عنهم او متّصلٌ على انّ المراد ممّن فى السموات والارض من تعلّق علمه بها واطّلع عليها اطّلاعَ الحاضر فيها فانّه يعمّ اللّه وأُولى العلم من خلقه وهو موصول او موصوف وَمَا يَشْعُرُونَ ركوع ١ (٦٧) أَيَّانَ يُبْعَثُونَ متى يُنْشَرون مركّبةٌ من أىّ وآن وقرئت بكسر الهمزة ، والضميرُ لِمَنْ وقيل للكفرة (٦٨) بَلِ ٱدَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ لمّا نفى عنهم علم الغيب واكّد ذلك بنفى شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بأن اضرب عنه وبيّن انّ ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو انّ القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغى بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِنْهَا كمن تحيّر فى الامر لا يجد عليه دليلا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختصّ بالمشركين ممّن فى السموات والارض نُسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكلّ والاضراباتُ الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل الاوّل اضراب عن نفى الشعور بوقت القيامة عنهم الى وصفهم باستحكام علمهم فى امر الآخرة تهكّما بهم وقيل أَدْرَكَ بمعنى انتهى واضمحلّ من قولهم أَدْرَكَتِ الثمرةُ لانّ تلك غايتها الّتى عندها تُعْدَم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائىّ وحفص بَلِ ٱدَّارَكَ بمعنى تتابع حتّى استحكم او تتابع حتّى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا فى الهلاك وابو بكر ٱدَّرَكَ وأصلهما تفاعل وافتعل وقرئ أَأَدْرَكَ بهمزتين وءَآدْرَكَ بألف بينهما وبَلِ ٱدْرَكَ وبَلْ تَدَارَكَ وبَلَى تَدَارَكَ وبَلَى أَدْرَكَ وبَلَى أَأَدْرَكَ وَأَمْ أَدْرَكَ وَأَمْ تَدَارَكَ وما فيه استفهامٌ صريحٌ او مضمّنٌ من ذلك فانكارٌ وما فيه بَلَى فاثباتٌ لشعورهم وتفسيرٌ له بالادراك على التهكّم وما بعده اضرابٌ عن التفسير مبالغةً فى نفيه ودلالةً على انّ شعورهم بها انّهم شاكّون فيها بل انّهم منها عمون او ردٌّ وانكارٌ لشعورهم (٦٩) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ كالبيان لعمههم ، والعامل ركوع ٢ فى اذا ما دلّ عليه ائنّا لمخرجون وهو نُخْرَج لا مخرجون لانّ كلّا من الهمزة وانّ واللام مانعة من عمله فيما قبلها ، وتكريرُ الهمزة للمبالغة فى الانكار ، والمرادُ بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحيوة ، وقرأ نافع اذا كُنَّا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائىّ إنَّنا بنونين على الخبر (٧٠) لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ من قبل وعد محمّد ، وتقديمُ هٰذا على نَحْنُ لانّ المقصود بالذكر هو البعث وحيث أُخّر فالمقصود به المبعوث إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ الّتى هى كالأسمار (٧١) قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ تهديد لهم على التكذيب وتخويف بأن ينزل بهم مثلُ ما نزل بالمكذّبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين فى ترك الجرائم (٧٢) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ على تكذيبهم واعراضهم وَلَا تَكُنْ فِى ضَيْقٍ فى حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضَيِّق اى امرٍ ضَيِّقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ من مكرهم فانّ اللّه يعصمك من الناس

جزء ٢٠ ركوع ٢ (٧٣) وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا ٱلْوَعْدُ العذاب الموعود إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧٤) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد او الفعل مضمّن معنى فعل يعدّى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ حلوله وهو عذاب يوم بدر ، وعسى ولعلّ وسوف فى مواعيد الملوك كالجزم بها وانّما يطلقونها اظهارا لوقارهم واشعارا بانّ الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وَعْد اللّه ووعيده (٧٥) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ بتأخير عقوبتهم على المعاصى ، والفضل والفاضلة الافضال وجمعهما فضول وفواضل وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ لا يعرفون حقّ النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه (٧٦) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اى سترت وَمَا يُعْلِنُونَ من عداوتك فيجازيهم عليه (٧٧) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما فى الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء فى عافية وعاقبة إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ بيّن او مبيّن ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة (٧٨) إِنَّ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنّة والنار وعزير والمسيح (٧٩) وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ فانّهم المنتفعون به (٨٠) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ بين بنى اسرائيل بِحُكْمِهِ بما يحكم به وهو الحقّ او بحكمته ويدلّ عليه انّه قرئ بِحِكَمِهِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ فلا يردّ قضاؤه ٱلْعَلِيمُ بحقيقة ما يقضى فيه وحكمه (٨١) فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللّٰهِ ولا تبال بمعاداتهم إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ وصاحب الحقّ حقيق بالوثوق بحفظ اللّه ونصره (٨٢) إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَى تعليل آخر للامر بالتوكّل من حيث انّه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وانّما شبّهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يُتْلَى عليهم كما شبّهوا بالصمّ فى قوله وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ فانّ اسماعهم فى هذه الحالة أبعد ، وقرأ ابن كثير وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ (٨٣) وَمَا أَنْتَ بِهَادِى ٱلْعُمْىِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ حيث الهداية لا تحصل الّا بالبصر ، وقرأ حمزة وحده وَمَا أَنْتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ إِنْ تُسْمِعُ اى ما يُجدى اسماعك إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا من هو فى علم اللّه كذلك فَهُمْ مُسْلِمُونَ مخلصون من اسلم وَجْهَه للّه (٨٤) وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ اذا دنا وقوع معناه وهو ما وُعدوا به من البعث والعذاب أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ ٱلْأَرْضِ وهى الجسّاسة رُوى انّ طولها ستّون ذراعا ولها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروى انّه عم سُئل عن مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمةً على اللّه يعنى المسجد الحرام تُكَلِّمُهُمْ من الكلام وقيل من الكَلْم اذ قرئ تَكْلِمُهُمْ وروى انّها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتنكت بالعصا فى مسجد المؤمن نكتةً

بيضاء فيبيضّ وجهه وبالخاتم فى انف الكافر نكتة سوداء فيسودّ وجهه إِنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا جزء ٢٠
خروجها وسائر احوالها فانّها من آيات اللّه تعالى وقيل القران ، وقرأ الكوفيّون أَنَّ ٱلنَّاسَ بالفتح لَا يُوقِنُونَ ركوع ٢
لا يتيقّنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول اللّه او علّة خروجها او تكلّمها على حذف الجارّ
(٨٥) وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا يعنى يوم القيامة مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا بيان للفوج اى فوجا مكذّبين ركوع ٣
ومن الاولى للتبعيض لانّ امّة كلّ نبىّ واهل كلّ قرن شامل للمصدّقين والمكذّبين فَهُمْ يُوزَعُونَ يحبس
اوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم (٨٦) حَتَّى إِذَا جَاءُوا الى المحشر
قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا الواو للحال اى اكذّبتم بها بادئ الرأى غير ناظرين فيها
نظرا يحيط علمكم بكنهها وأنّها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اى اجمعتم بين التكذيب
بها وعدم القاء الاذهان لتحقّقها أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ام اىّ شىء كنتم تعملون بعد ذلك وهو للتبكيت
اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك (٨٧) وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ
حلّ بهم العذاب الموعود وهو كبّهم فى النار بعد ذلك بِمَا ظَلَمُوا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات
اللّه فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ باعتذار لشغلهم بالعذاب (٨٨) أَلَمْ يَرَوْا ليتحقّق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز
الحشر وبعثة الرسل لانّ تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعيّن بذاته لا يكون الّا بقدرة قاهر
وأنّ من قدر على ابدال الظلمة بالنور فى مادّة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة فى موادّ الابدان وأنّ
من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعلّه لا يخلّ بما هو مناط جميع مصالحهم فى
معاشهم ومعادهم أَنَّا جَعَلْنَا ٱللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ بالنوم والقرار وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا فانّ اصله ليبصروا فيه فبولغ
فيه بجعل الابصار حالا من احوال المجعول عليها بحيث لا ينفكّ عنها إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
لدلالتها على الامور الثلاثة (٨٩) وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ فى الصّور او القرن وقيل انّه تمثيل لانبعاث الموتى
بانبعاث الجيش اذا نفخ فى البوق فَفَزِعَ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ من الهول عبّر عنه بالماضى
لتحقّق وقوعه إِلَّا مَنْ شَاءَ ٱللَّهُ ان لا يفزع بأن يثبّت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل
وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانّه صعق مرّة ولعلّ المراد ما
يعمّ ذلك وَكُلٌّ آتُوهُ حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره ، وقرأ حمزة وحفص أَتَوْهُ
على الفعل وقرئ أَتَاهُ على التوحيد للفظ الكلّ دَاخِرِينَ صاغرين وقرئ دَخِرِينَ (٩٠) وَتَرَى ٱلْجِبَالَ
تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ثابتة فى مكانها وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ فى السرعة وذلك لانّ الاجرام الكبار اذا تحرّكت
فى سمت واحد لا تكاد تبين حركتها صُنْعَ ٱللَّهِ مصدر مؤكّد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدّمة
كقوله وَعْدَ ٱللَّهِ ٱلَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ احكم خلقه وسوّاه على ما ينبغى إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ عالم
بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيكم عليها كما قال (٩١) مَنْ جَاءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا اذ ثبت

*

جزء ٢٠ له الشريف بالخسيس والباقى بالفانى وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها اى خير حاصل من جهتها وهو
ركوع ٣ الجنّة ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام يَفْعَلُونَ بالياء والباقون بالتاء وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ يعنى به خوف عذاب يوم القيامة وبالاوّل ما يلحق الانسان من التهيّب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعمّ الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيّون بالتنوين لانّ المراد فزع واحد من أفزاع ذلك اليوم ، وآمن يعدّى بالجارّ وبنفسه كقوله تعالى افأمنوا مكرَ اللّه ، وقرأ الكوفيّون ونافع يَوْمَئِذٍ بفتح الميم والباقون بكسرها (٩٢) وَمَنْ جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ قيل بالشرك فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ فكبّوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدى فى قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ على الالتفات او اضمار القول اى قيل لهم ذلك (٩٣) إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا امر الرسول ان يقول لهم ذلك بعد ما بيّن المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة اشعارا بانّه قد اتمّ الدعوة وقد كملت وما عليه بعدُ الّا الاشتغال بشأنه والاستغراق فى عبادة ربّه ، وتخصيص مكّة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها ، وقرئ ٱلَّتِى حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَىْءٍ خلقا وملكا وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ المنقادين او الثابتين على ملّة الاسلام (٩٤) وَأَنْ أَتْلُوَ ٱلْقُرْآنَ وان اواظب على تلاوته لتنكشف لى حقائقه فى تلاوته شيئا فشيئا او اتّباعه ، وقرئ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ وَأَنِ ٱتْلُ فَمَنِ ٱهْتَدَى باتّباعه ايّاى فى ذلك فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ فانّ منافعه عائدة اليه وَمَنْ ضَلَّ بمخالفتى فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُنْذِرِينَ فلا علىّ من وبال ضلاله شىء اذ ما على الرسول الّا البلاغ وقد بلّغتُ (٩٥) وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ على نعمة النبوّة او على ما علّمنى ووفّقنى للعمل به سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ القاهرة فى الدنيا كوقعة بدر وخروج دابّة الارض او فى الآخرة فَتَعْرِفُونَهَا فتعرفون انّها آيات اللّه ولكن حين لا تنفعكم المعرفة وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ فلا تحسبوا انّ تأخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ فى السبعة بالياء ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة طسٓ كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق سليمان وكذّب به وهودا وصالحا وابرٰهيم وشعيبا ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الّا اللّه .

سُورَةُ ٱلْقَصَصِ

مكّيّة وقيل الّا قوله الّذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وآيها ثمان وثمانون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٤ (١) طسٓمٓ تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ (٢) نَتْلُو عَلَيْكَ نقرأ بقراءة جبريل ويجوز ان يكون بمعنى نُنزله مجازا مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بعض نبئهما مفعول نتلو بِٱلْحَقِّ محقّين لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لانّهم المنتفعون به

جزء ٢٠ ركوع ٤

(٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ استيناف مبيّن لذلك البعض ، والارض ارض مصر وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا فى طاعته او اصنافا فى استخدامه استعمل كلّ صنف فى عمل او احزابا بأن اغرى بينهم العداوة كيلا يتّفقوا عليه يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ وهم بنو اسرائيل والجملة حالٌ من فاعل جعل او صفةٌ لشيعا او استينافٌ وقوله يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَآءَهُمْ بدل منها وكان ذلك لانّ كاهنا قال له يولد مولود فى بنى اسرائيل يَذهب مُلْكك على يده وكان ذلك من غاية حمقه فانّه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيّل فاسد (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ ان نتفضّل عليهم بانقاذهم من بأسه ، ونريد حكايةُ حال ماضية معطوفة على انّ فرعون علا من حيث انّهما واقعان تفسيرا للنبا او حالٌ من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة الاستضعافَ مقارنةُ المراد له لجواز ان يكون تعلّق الارادة به حينئذ تعلّقا استقباليّا مع انّ منّة الله بخلاصهم لمّا كانت قريبة الوقوع منه جاز ان تجرى مجرى المقارن وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً مقدّمين فى امر الدين وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ لما كان فى مُلْك فرعون وقومه (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ارض مصر والشأم ، وأصل التمكين ان تجعل للشىء مكانا يتمكّن فيه ثمّ استعير للتسليط واطلاق الامر وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ من بنى اسرائيل مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم ، وقرأ حمزة والكسائىّ وَيَرَى بالياء وفِرْعَوْنُ وَهَامَانُ وَجُنُودُهُمَا بالرفع (٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى بإلهام او رؤيا أَنْ أَرْضِعِيهِ ما امكنك اخفاؤه فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ بأن يُحَسّ به فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فى البحر يريد النيل وَلَا تَخَافِي عليه ضيعة ولا شدّة وَلَا تَحْزَنِي لفراقه إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ عن قريب بحيث تأمنين عليه وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ رُوى انّها لمّا ضربها الطلق دعت قابلة من الموكّلات بحبالى بنى اسرائيل فعالجتها فلمّا وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبُّه قلبها بحيث منعها من السعاية فأرضعته ثلاثة اشهر ثمّ الحّ فرعون فى طلب المواليد واجتهد العيون فى تفحّصها فأخذت له تابوتا فقذفته فى النيل (٧) فَٱلْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا تعليل لالتقاطهم ايّاه بما هو عاقبته ومؤدّاه تشبيها له بالغرض الحامل عليه ، وقرأ حمزة والكسائىّ وَحُزْنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ فى كلّ شىء فليس ببدع منهم ان قتلوا أُلوفا لأجله ثمّ اخذوه يربّونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم اللّه سبحانه وتعالى بأن ربّى عدوّهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به ، وقرئ خَاطِينَ تخفيف خاطئين او خاطين الصوابَ الى الخطاء (٨) وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ اى لفرعون حين اخرجته من التابوت قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ هو قرّة عين لنا لانّهما لمّا رأياه أُخْرِج من التابوت احبّاه او لانّه كانت له ابنة برصاء وعالجها الاطبّاء بريق حيوان بحرى

جزء ٢٠ ركوع ٤ يُشْبِهِ الانسانَ فلطخت برصها بريقه فبرئت وفى الحديث انّه قال لك لا لى ولو قال لى كما هو لك لهداه اللّه كما هداها لَا تَقْتُلُوهُ خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا فانّ فيه مخايل اليُمْن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابْهامَه لبنا وبُرْء البرصاء بريقه أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا او نتبنّاه فانّه اهل له وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ حال من الملتقطين او من القائلة والمقول له اى وهم لا يشعرون انّهم على الخطاء فى التقاطه او فى طمع النفع منه والتبنّى له او من احد ضميرى نتّخذه على انّ الضمير للناس اى وهم لا يشعرون انّه لغيرنا وقد تبنّيناه (٩) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا صِفْرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله وأَفْئِدَتُهم هَواء اى خلاء لا عقول فيها ويؤيّده انّه قرئ فَرِغًا من قولهم دماؤهم بينهم فِرْغٌ اى هَدَرٌ او من الهمّ لفرط وثوقها بوعد اللّه تعالى او سماعها انّ فرعون عطف عليه وتبنّاه إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ انّها كادت لتظهر بموسى اى بأمره وقصّته من فرط الضجر او الفرح بتبنّيه لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا بالصبر والثبات لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ من المصدّقين بوعد اللّه او من الواثقين بحفظه لا بتبنّى فرعون وعطفه ' وقرئ مُؤْسَى اجراء للضمّة فى جوار الواو مجرى ضمّتها فى استدعاء همزها همز واوِ وُجوه ' وهو علّة الربط وجوابُ لولا محذوفٌ دلّ عليه ما قبله (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ مريم قُصِّيهِ اتّبعى اثره وتتبّعى خبره فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ عن بُعْد وقرئ عَنْ جَانِبٍ وعَنْ جَنْبٍ وهو بمعناه وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ انّها تقصّ او انّها اخته (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمعُ مُرْضِع او مَرْضَع وهو الرضاع او موضعه يعنى الثدى مِنْ قَبْلُ من قبل قصّها اثره فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ لأجلكم وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ لا يقصّرون فى ارضاعه وتربيته رُوى انّ هامان لمّا سمعه قال انّها لتعرفه وأهلَه فخذوها حتّى تُخْبِر بحاله فقالت انّما اردتُ وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون بأن تأتى بمن يكفله فأتت بامّها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلّله فلمّا وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من انتِ منه فقد ابى كلّ ثدى الّا ثديك فقالت انّى امرأة طَيِّبة الريح طيّبة اللبن لا أُوتى بصبىّ الّا قبلنى فدفعه اليها وأجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا بولدها وَلَا تَحْزَنَ بفراقه وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ علم مشاهدة وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ انّ وعده حقّ فيرتابون فيه او انّ الغرض الاصلىّ من الردّ علمها

ركوع ٥ بذلك وما سواه تبعٌ وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون (١٣) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ مَبْلَغه الّذى لا يزيد عليه نشوُه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فانّ العقل يكمل حينئذ وروى انّه لم يُبْعَث نبىّ الّا على رأس اربعين وَاسْتَوَى قدّه او عقله آتَيْنَاهُ حُكْمًا نبوّة وَعِلْمًا بالدين او علم الحكماء والعلماء وسَمْتَهم قَبْلَ استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يُسْتَجْهَل فيه وهو اوفق لنظم القصّة لانّ

جزء ٢٠ استنباطه بعد الهجرة فى المراجعة وَكَذَٰلِكَ ومثل ذلك الّذى فعلنا بموسى وامّه نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ على
ركوع ٥ احسانهم (١٤) وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ ودخل مصرَ آتيا من قصر فرعون وقيل مَنْف او حائين او عين الشمس
من نواحيها عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فى وقت لا يُعْتاد دخولها ولا يتوقّعونه فيه قيل كان وقت القيلولة
وقيل بين العشائين فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ احدهما ممّن شايعه
على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية فَٱسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِى مِنْ
شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عُدّى بعلى وقرئ ٱسْتَعَانَهُ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ
فضرب القبطىّ بجُمْع كفّه وقرئ فَلَكَزَهُ اى فضرب به صدره فَقَضَىٰ عَلَيْهِ فقتله وأصله فأنهى حياته من
قوله وقضينا اليه ذلك الامر قَالَ هٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ لانّه لم يؤمر بقتل الكفّار او لانّه كان مأمونا
فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطاء وانّما عدّه من عمل الشيطان وسمّاه
ظلما واستغفر عنه على عادتهم فى استعظام محقّرات فرطت منهم إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ظاهر العداوة
(١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بقتله فَٱغْفِرْ لِي ذنبى فَغَفَرَ لَهُ لاستغفاره إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ لذنوب عباده ٱلرَّحِيمُ
بهم (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ قسم محذوف الجواب اى أُقْسِم بانعامك علىّ بالمغفرة وغيرها لأتوبنّ
فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ او استعطاف اى بحقّ انعامك علىّ اعصمْنى فلن اكون معينا لمن ادّت
معاونته الى جُرْم وعن ابن عبّاس لم يَسْتثنِ فابتُلى به مرّة اخرى وقيل معناه بما انعمت علىّ من القوّة
أُعين اولياءك فلن استعملها فى مظاهرة اعدائك (١٧) فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ يترصّد الاستقادة
فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنْصَرَهُ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ يستغيثه مشتقّ من الصُراخ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ بيّن
الغواية لانّك تسبّبت لقتل رجل وتقاتل آخر (١٨) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا لموسى
وللاسرائيلىّ لانّه لم يكن على دينهما ولانّ القبط كانوا اعداء لبنى اسرائيل قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى
كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ قاله الاسرائيلىّ لانّه لمّا سمّاه غويّا ظنّ انّه يبطش عليه او القبطىّ وكأنّه
توهّم من قوله انّه الّذى قتل القبطىّ بالامس لهذا الاسرائيلىّ إِنْ تُرِيدُ ما تريد إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِى
ٱلْأَرْضِ تطاول على الناس ولا تنظر فى العواقب وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ بين الناس فتدفع
التخاصم بالّتى هى احسن ولمّا قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملئه وهمّوا بقتله فخرج
مؤمن آل فرعون وهو ابن عمّه ليخبره كما قال (١٩) وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ يسرع صفة
لرجل او حال منه اذا جُعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لانّ تخصيصه بها يُلْحقه بالمعارف
قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ يتشاورون بسببك وانّما سمّى التشاور ائتمارا لانّ كلّا من

جزء ٢٠ المتشاورين بأمر الآخر ويأتمر فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّاصِحِينَ اللام للبيان وليس صلة للناصحين لانّ معمول
ركوع ٥ الصلة لا يتقدّم الموصول (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا من المدينة خَائِفًا يَتَرَقَّبُ لحوق طالب قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ
ركوع ٦ ٱلظَّالِمِينَ خلّصنى منهم واحفظنى من لحوقهم (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قُبالة مدين قرية شعيب
سُمّيت باسم مدين بن ابرهيم ولم تكن فى سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان
قَالَ عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ توكّلا على اللّه وحُسْنَ ظنّ به وكان لا يعرف الطريق فعنّ
له ثلاث طرق فأخذ فى اوسطها وجاء الطُلّاب عقيبه فأخذوا فى الآخرَيَيْن (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وصل
اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وَجَدَ عَلَيْهِ فوق شفيرها أُمَّةً مِنَ ٱلنَّاسِ جماعة كثيرة مختلفين يَسْقُونَ
مواشيهم (٢٣) وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ فى مكان اسفل منهم ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ تمنعان اغنامهما عن الماء
لئلّا تختلط بأغنامهم قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ما شأنكما تذودان قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّى يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ يَصْرِف
الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لانّ الغرض هو بيان ما يدلّ على
عفّتهما ويدعوه الى السقى لهما ثمّ دونه ، وقرأ ابو عمرو وابن عامر يَصْدُرَ اى ينصرف وقرئ ٱلرُّعَآءُ بالضمّ
وهو اسم جمع كالرُخال وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ كبير السنّ لا يستطيع ان يخرج للسقى فيرسلنا اضطرارا
(٢٤) فَسَقَى لَهُمَا مواشيهما رحمةً عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يُقِلّه الّا سبعة
رجال او اكثر فأقلّه وحده مع ما كان به من الوَصَب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئر اخرى
عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ لاىّ شىء انزلت مِنْ خَيْرٍ
قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام فَقِيرٌ محتاج سائل ولذلك عُدّى باللام وقيل معناه انّى لما
انزلت الىّ من خير الدين صرتُ فقيرا فى الدنيا لانّه كان فى سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجّح
والشكر على ذلك (٢٥) فَجَآءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ اى مستحيية متخفّرة قيل كانت
الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء او صَفْراء وهى الّتى تزوّجها موسى عم قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ
لِيَجْزِيَكَ ليكافئك أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا جزاء سقيك لنا ولعلّ موسى انّما اجابها ليتبرّك برؤية الشيخ
ويستظهر بمعرفته لا طمعا فى الاجر بل روى انّه لمّا جاءه قدّم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انّا اهلُ بيت
لا نبيع ديننا بالدنيا حتّى قال شعيب هذه عادتنا مع كلّ من ينزل بنا هذا وانّ من فعل معروفا
فأُهْدى بشىء لم يَحْرُم اخذه فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ
يريد فرعون وقومه (٢٦) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يعنى الّتى استدعته يَآ أَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ لرعى الغنم إِنَّ خَيْرَ مَنِ
ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ تعليل شائع يجرى مجرى الدليل على انّه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه
جعل خير اسما وذكر الفعل بلفظ الماضى للدلالة على انّه امرؤ مجرَّب معروف روى انّ شعيبا قال لها

وما اعلمك بقوّته وأمانته فذكرت اقلال الحجر وانّه صوّب رأسه حتّى بلّغته رسالته وأمرها بالمشى خلفه جزء ٢٠
(٢٧) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ان تأجر نفسك منّى او تكون لى ركوع ٩
اجيرا او تُثيبنى من أَجَرَكَ اللّهُ ثَمَانِيَ حِجَجٍ ظرف على الاوّلين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اى
رِعْيَة ثمانى حجج فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا عمل عشر حجج فَمِنْ عِندِكَ فاتمامه من عندك تفضّلا لا من عندى
الزاما عليك ، وهٰذا استدعاء العَقْد لا نفسه فلعلّه جرى على معيّنة وبمَهْرٍ آخَرَ او برعية الاجل الاوّل
ووَعَدَ له ان يوفى الاخيرَ إن تيسّر له قَبْلَ العَقْد وكانت الاغنام للمزوّجة مع انّه يمكن اختلاف
الشرائع فى ذلك وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ بالزام اتمام العشر او المناقشة فى مراعاة الاوقات واستيفاء
الاعمال واشتقاق المشقّة من الشقّ فانّ ما يصعب عليك يشقّ عليك اعتقادك فى اطاقته ورأيك فى مزاولته
سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ فى حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة (٢٨) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي
وَبَيْنَكَ اى ذلك الّذى عاهدتنى فيه قائم بيننا لا نخرج عنه أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ اطولهما او اقصرهما قَضَيْتُ
وفيتك ايّاه فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ فلا يُعتدى علىّ بطلب الزيادة فكما لا اطالَب بالزيادة على العشر لا اطالَب
بالزيادة على الثمانى او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثْمَ علىّ وهو ابلغ فى اثبات
الخِيَرة وتساوى الاجلين فى القضاء من ان يقال إن قضيت الاقصر فلا عدوانَ علىّ ، وقرئ أَيْمَا كقوله

تنظّرتُ نَصْرًا والسِماكَيْنِ أَيْهُمَا   علىَّ من الغَيْثِ ٱسْتَهَلَّتْ مَواطِرُهْ

وأيّ ٱلْأَجَلَيْنِ مَا قَضَيْتُ فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل اى ايّ الاجلين جرّدتُ عزمى لقضائه
وعِدْوانَ بالكسر وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ من المشارطة وَكِيلٌ شاهد حفيظ (٢٩) فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ركوع ٧
وَسَارَ بِأَهْلِهِ بامرأته روى انّه قضى اقصى الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشرا اخرى ثمّ عزم على
الرجوع آنَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ابصر من الجهة الّتى تلى الطور قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي
آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ بخبر الطريق أَوْ جِذْوَةٍ عود غليظ سواء كان فى رأسه نار او لم تكن قال

باتت حواطبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لها   جَزْلَ الجِذَى غيرَ خَوّارٍ ولا دَعِرِ
وقال   وأَلْقَى على قَبْسٍ من النار جِذْوَةً   شديدا عليه حرُّها والتهابُها

ولذلك بيّنه بقوله مِّنَ ٱلنَّارِ وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضمّ وكلّها لغات لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ تستدفئون
بها (٣٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ
متّصل بالشاطئ او صلة لنودى مِنَ ٱلشَّجَرَةِ بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانّها كانت نابتة على
الشاطئ أَن يَا مُوسَىٰ اى يا موسى إِنِّي أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ هذا وان خالف ما فى طٰه والنمل فى اللفظ

جزء ٢٠ ركوع ٧ فهو طِبْقُهُ فى المقصود (٣١) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ اى فألقاها فصارت ثعبانا واهتزّت فلمّا رآها تهتزّ كَأَنَّهَا جَانٌّ فى الهيئة والجثّة او فى السرعة وَلَّى مُدْبِرًا منهزما من الخوف وَلَمْ يُعَقِّبْ ولم يرجع يَا مُوسَى نودى يا موسى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ عن المخاوف فانّه لا يخاف لدىّ المرسلون (٣٢) اُسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ادخلها تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ عيب وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ يديك المبسوطتين تتّقى بهما الحيّة كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما فى الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدوّ اظهارَ جرأةٍ ومبدأً لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضمّ التجلّد والثبات عند انقلاب العصا حيّةً استعارةً من حال الطائر فانّه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأنّ ضمّهما اليه مِنَ الرَّهْبِ من اجل الرهب اى اذا عراك الخوف فافعلْ ذلك تجلّدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائىّ وابو بكر بضمّ الراء وسكون الهاء وقرئ بضمّهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكلّ لغات فَذَانِكَ اشارة الى العصا واليد وشدّده ابن كثير وابو عمرو ورويس بُرْهَانَانِ حجّتان وبرهان فُعْلان لقولهم أَبْرَهَ الرجلُ اذا جاء بالبرهان من قولهم بَرِهَ الرجلُ اذا ابيضّ ويقال بَرْهاء وبَرَهْرَهَةٌ للمرأة البيضاء وقيل فُعْلال لقولهم بَرْهَنَ مِنْ رَبِّكَ مُرْسَلًا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فكانوا احقّاء بأن يرسل اليهم (٣٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ بها (٣٤) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا مُعينا وهو فى الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرأ نافع رِدًا بالتخفيف يُصَدِّقُنِي بتلخيص الحقّ وتقرير الحجّة وتزييف الشبهة إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ولسانى لا يطاوعنى عند المحاجّة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنّه اسند اليه اسنادَ الفعل الى السبب، وقرأ عاصم وحمزة يُصَدِّقُنِي بالرفع على انّه صفة والجواب محذوف (٣٥) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ سنقوّيك به فانّ قوّة الشخص بشدّة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبّر عنه باليد وشدّتها بشدّة العضد وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا غلبة او حجّة فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا باستيلاء او حجاج بِآيَاتِنَا متعلّق بمحذوف اى اذهبا بآياتنا او بنجعل اى نسلّطكما بها او بمعنى لا يصلون اى تمتنعون منهم او قسمٌ جوابه لا يصلون او بيانٌ للغالبون فى قوله أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ بمعنى انّه صلة لما بيّنه او صلة له على انّ اللام فيه للتعريف لا بمعنى الّذى (٣٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى سحر تختلقه لم يُفْعَلْ قبلُ مثلُه او سحر تعلمه ثمّ تفتريه على اللّه او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا يعنون السحر او ادّعاء النبوّة فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ كائنا فى ايّامهم (٣٧) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ فيعلم انّى محقّ وانتم مُبْطلون، وقرأ ابن كثير قَالَ بغير واو لانّه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف انّ المراد حكاية القولين ليوازن الناظر

بينهما فيميّز صحيحهما من الفاسد وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ ٱلدَّارِ العاقبة المحمودة فانّ المراد بالدار الدنيا جزء ٢٠
وعاقبتُها الاصليّة هى الجنّة لانّها خُلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها بالذات الثواب والعقابُ انّما قُصد ركوع ٧
بالعرض ، وقرأ حمزة والكسائىّ يَكُونُ بالياء إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ لا يفوزون بالهدى فى الدنيا وحسن
العاقبة فى العقبى (٣٨) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي نفى علمه باله غيره دون
وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضى الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطّلع على الحال
بقوله فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلٰهِ مُوسَى كانّه توهّم انّه لو كان
لكان جسما فى السماء يمكن الترقى اليه ثمّ قال وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ او اراد ان يبنى له رصدا
يترصّد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدلّ على بعثة رسول وتبدّل دولة وقيل المراد بنفى
العلم نفى المعلوم كقوله اتنبّئون اللّه بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض فانّ معناه بما ليس فيهنّ
وهذا من خواصّ العلوم الفعليّة فانّها لازمة لتحقّق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك
العلوم الانفعاليّة قيل اوّل من اتّخذ الآجُر فرعون ولذلك امر باتّخاذه على وجه يتضمّن تعليم الصنعة
مع ما فيه من تعظّم ولذلك نادى هامان باسمه بيا فى وسط الكلام (٣٩) وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي ٱلْأَرْضِ
بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ بغير الاستحقاق وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائىّ بفتح
الياء وكسر الجيم (٤٠) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي ٱلْيَمِّ كما مرّ بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن
الآخذ واستحقار للمأخوذين كانّه اخذهم مع كثرتهم فى كفّ وطرحهم فى اليمّ ونظيره وما قدروا اللّه
حقّ قدره والارضُ جميعا قبضتُه يوم القيمة والسمواتُ مطويّاتٌ بيمينه فَٱنْظُرْ يا محمّد كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ ٱلظَّالِمِينَ وحذّر قومك عن مثلها (٤١) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً قدوة للضلّال بالحمل على الاضلال وقيل
بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ
الى موجباتها من الكفر والمعاصى وَيَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ لَا يُنْصَرُونَ بدفع العذاب عنهم (٤٢) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هٰذِهِ
ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون وَيَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ هُمْ مِنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ
من المطرودين او ممّن قُبح وجوههم (٤٣) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ التورية مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا ركوع ٨
ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَى اقوام نوح وهود وصالح ولوط بَصَائِرَ لِلنَّاسِ انوارا لقلوبهم تتبصّر بها الحقائق وتميّز بين
الحقّ والباطل وَهُدًى الى الشرائع الّتى هى سبل اللّه وَرَحْمَةً لانّهم لو عملوا بها نالوا رحمة اللّه سبحانه
وتعالى لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ليكونوا على حال يُرجى منهم التذكّر وقد فُسّرت بالارادة وفيه ما عرفتَ
(٤٤) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ يريد الوادى او الطور فانّه كان فى شقّ الغرب من مقام موسى او
الجانبَ الغربىّ منه ، والخطاب لرسول اللّه صلعم اى ما كنت حاضرا إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى ٱلْأَمْرَ اذ

جزء ٢٠ ركوع ٨ اوحينا اليه الامر ٱلّذى اردنا تعريفه وَمَا كُنْتَ مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ للوحى اليه او على الوحى اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على انّ اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيّبات الّتى لا تُعْرَف الّا بالوحى ولذلك استدرك عنه بقوله (٤٥) وَلٰكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ اى ولكنّا اوحينا اليك لانّا انشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحُرّفت الاخبار وتغيّرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا مقيما فِى أَهْلِ مَدْيَنَ شعيب والمؤمنين به تَتْلُو عَلَيْهِمْ تقرأ عليهم تعلّما منهم آيَاتِنَا الّتى فيها قصّتهم وَلٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ اياك ومخبرين لك بها (٤٦) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا لعلّ المراد به وقت ما اعطاه التورية وبالاوّل حين ما استنبأه لانّهما المذكوران فى القصّة وَلٰكِنْ علّمناك رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وقُرِئت بالرفع على هذه رحمةٌ لِتُنْذِرَ قَوْمًا متعلّق بالفعل المحذوف مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لوقوعهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمٰعيل على انّ دعوة موسى وعيسى مختصّة ببنى اسرائيل وما حواليهم لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ يتّعظون (٤٧) وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا لَوْلا الاولى امتناعيّة والثانية تحضيضيّة واقعة فى سياقها لانّها انّما اجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر مفعولُ يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المُعْطية معنى السببيّة المنبّهة على انّ القول هو المقصود بأن يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانّه لا يَصْدر عنهم حتّى تلجئهم العقوبة والجوابُ محذوفٌ والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربّنا هلّا ارسلت الينا رسولا يبلّغنا آياتك فنتّبعها ونكون من المصدّقين ما ارسلناك اى انّما ارسلناك قطعا لعُذرهم والزاما للحجّة عليهم فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ يعنى الرسول المصدّق بنوع من المعجزات وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٤٨) فَلَمَّا جَاءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِىَ مِثْلَ مَا أُوتِىَ مُوسَى من الكتاب جملةً واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنّتا أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِىَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ يعنى ابناء جنسهم فى الرأى والمذهب وهم كفرة زمان موسى او كان فرعون عربيّا من اولاد عاد قَالُوا سَاحِرَانِ يعنى موسى وهٰرون او موسى ومحمّدا تَظَاهَرَا تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابَيْن ، وقرأ الكوفيّون سِحْرَانِ بتقدير مضاف او جعلهما سحرَيْن مبالغةً او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالةً على سبب الاعجاز وقرِئ اظّاهرا على الادغام وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ اى بكلّ منهما او بكلّ الانبياء (٤٩) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ ٱللّٰهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا ممّا انزل على موسى وعلىّ واضمارُهما لدلالة المعنى وهو يؤيّد انّ المراد بالساحرين موسى ومحمّد أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أنّا ساحران مختلقان وهذا من الشروط الّتى يراد بها الالزام والتبكيت ولعلّ مجىء حرف الشكّ للتهكّم بهم (٥٠) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم

به ولانّ فعل الاستجابة يعدّى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعى فاذا عُدّى اليه حُذف الدعاء غالبا كقوله جزء ٢٠ ركوع ٨

وداعٍ دعا يا مَنْ يُجيبُ الى الندا   فلم يستجبْه عند ذاك مُجيبُ

فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ اذ لو اتّبعوا حجّة لأتوا بها وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ استفهام بمعنى النفى بِغَيْرِ هُدًى مِنَ ٱللَّهِ فى موضع الحال للتوكيد او التقييد فانّ هوى النفس قد يوافق الحق إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ الذين ظلموا انفسهم بالانهماك فى اتّباع الهوى (٥١) وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ ركوع ٩
أتبعنا بعضه بعضا فى الانزال ليتّصل التذكير او فى النظم لتتقرّر الدعوة بالحجّة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعِبَر لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فيؤمنون ويطيعون (٥٢) ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب وقيل فى اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاءوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام ، والضمير فى من قبله للقران كالمستكنّ فى (٥٣) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ اى بانّه كلام الله إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا استيناف لبيانِ ما اوجب ايمانهم به إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ استيناف آخر للدلالة على انّ ايمانهم به ليس ممّا احدثوه حينئذ وانّما هو أمرٌ تقادم عهده لمّا رأوا ذكره فى الكتب المتقدّمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القران او تلاوته عليهم باعتقادهم صحّته فى الجملة (٥٤) أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ مرّة على ايمانهم بكتابهم ومرّة على ايمانهم بالقران بِمَا صَبَرُوا بصبرهم وثباتهم على الايمانَيْن او على الايمان بالقران قبل النزول وبعده او على اذى المشركين ومن هاجرهم من اهل دينهم وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عم أتبع الحسنة السيّئة تمحها وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فى سبيل الخير (٥٥) وَإِذَا سَمِعُوا ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ تكرّما وَقَالُوا للّاغين لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ متاركةً لهم وتوديعا او دعاء لهم بالسلامة عمّا هم فيه لَا نَبْتَغِى ٱلْجَاهِلِينَ لا نطلب صحبتهم ولا نريدها (٥٦) إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ لا تقدر ان تدخله فى الاسلام وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَآءُ فيدخله فى الاسلام وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ بالمستعدّين لذلك ، والجمهور على انّها نزلت فى ابى طالب فانّه لمّا احتضر جاءه رسول الله صلعم وقال يا عمّ قل لا اله الّا الله كلمة احاجّ لك بها عند الله قال يا ابن اخى قد علمتُ انّك لصادق ولكنّى اكره ان يقال خَرِعَ عند الموت (٥٧) وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا نُخرج منها ، نزلت فى الحارث بن عثمان ابن نوفل بن عبد مناف اتى النبىّ صلعم فقال نحن نعلم انّك على الحق ولكنّا نخاف ان اتّبعناك وخالفنا العرب وانّما نحن أُكلة رأس ان يتخطّفونا من ارضنا فردّ الله عليهم بقوله [illegible] آمِنًا

جزء ٢٠ اولم نجعل مكانهم حَرَمًا ذا امنٍ بحُرْمة البيت الّذى فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون يُجْبَى إِلَيْهِ

ركوع ٩ يُحْمَل اليه ويُجْمَع فيه وقرأ نافع ويعقوب فى رواية بالتاء ثَمَرَاتُ كُلِّ شَىْءٍ من كلّ اوب رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا فاذا كان حالهم هذه وهم عَبَدة اصنام فكيف نعرّضهم للتخوّف والتخطّف اذا ضمّوا الى حرمة البيت حرمةَ التوحيد وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ جهلة لا يتفطّنون له ولا يتفكّرون ليعلموه وقيل انّه متعلّق بقوله من لدنّا اى قليل منهم يتدبّرون فيعلمون انّ ذلك رزق من عند اللّه اذ لو علموا لما خافوا غيره ، وانتصابُ رزقا على المصدرِ من معنى يجبى او الحالِ من الثمرات لتخصّصها بالاضافة ، ثمّ بيّن انّ الامر بالعكس فانّهم احقّاء بأن يخافوا من بأس اللّه على ما هم عليه بقوله (٥٨) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا اى وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالهم فى الامن وخفض العيش حتّى اشروا فدمّر اللّه عليهم وخرّب ديارهم فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ خاوية لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا من السُّكْنى اذ لا يسكنها الّا المارّة يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الّا قليلا من شؤم معاصيهم وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرّف تصرّفهم فى ديارهم وسائر متصرّفاتهم ، وانتصابُ معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيدٌ ظنّى مُقيمٌ او باضمار زمانٍ مضافٍ اليها او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت (٥٩) وَمَا كَانَ رَبُّكَ وما كانت عادته مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِى أُمِّهَا فى اصلها الّتى هى أعمالها لانّ اهلها يكون افطن وانبل رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا لالزام الحجّة وقطع المعذرة وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ بتكذيب الرسل والعتوّ فى الكفر (٦٠) وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَىْءٍ من اسباب الدنيا فَمَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا تتمتّعون وتتزيّنون به مدّةَ حياتكم المنقضية وَمَا عِنْدَ اللّٰهِ وهو ثوابه خَيْرٌ فى نفسه من ذلك لانّه لذّة خالصة وبهجة كاملة وَأَبْقَى لانّه ابدىّ أَفَلَا

ركوع ١٠ تَعْقِلُونَ فتستبدلون الّذى هو ادنى بالّذى هو خير ، وقرئ بالياء وهو ابلغ فى الموعظة (٦١) أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا وعدا بالجنّة فانّ حسن الوعد بحسن الموعود فَهُوَ لَاقِيهِ مُدْرِكه لا محالة لامتناع الخُلْف فى وعده ولذلك عُطف بالفاء المُعْطية معنى السببيّة كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا الّذى هو مشوبٌ بالآلام مكدَّرٌ بالمتاعب مستعقِبٌ للتحسّر على الانقطاع ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ للحساب او العذاب ، وثُمّ للتراخى فى الزمان او الرتبة ، وقرأ نافع وابن عامر فى رواية والكسائىّ ثمّ هْوَ بسكون الهاء تشبيهًا للمنفصل بالمتّصل ، وهذه الآية كالنتيجة للّتى قبلها ولذلك رتّبت عليها بالفاء (٦٢) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِىَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ اى الّذين كنتم تزعمونهم شركاءى فحُذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما (٦٣) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ بثبوت مقتضاه وحصول مؤدّاه وهو قوله لأملأنّ جهنّم من الجنّة والناس اجمعين وغيرِه من آيات الوعيد

رَبَّنَا هٰؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَا اى هؤلاء هم الّذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا جزء ٢٠
اى اغويناهم فغووا غيّا مثل ما غوينا وهو استيناف للدلالة على انّهم غووا باختيارهم وانّهم لم يفعلوا ركوع ١٠
بهم الّا وسوسةً وتسويلا ويجوز ان يكون الّذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتّصل به فافاده زيادةً على الصفة وهو وان كان فضلة لكنّه صار من اللوازم تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ منهم وممّا اختاروه من الكفر هوًى منهم وهو تقرير للجملة المتقدّمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ اى ما كانوا يعبدوننا وانّما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدريّة متّصلة بتبرّأنا اى تبرّأنا من عبادتهم ايّانا (٦٤) وَقِيلَ ٱدْعُوا شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ من فرط الحيرة فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ لعجزهم عن الاجابة والنصرة وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ لازما بهم لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ لوجه من الحِيَل يدفعون به العذاب او الى الحقّ لمّا رأوا العذاب وقيل لو للتمنّى اى تمنّوا انّهم كانوا مهتدين (٦٥) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ عطف على الاوّل فانّه تعالى يسأل اوّلا عن اشراكهم به ثمّ عن تكذيبهم الانبياء (٦٦) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنبَآءُ يَوْمَئِذٍ فصارت الانباء كالعُمْى عليهم لا تهتدى اليهم وأصله فعموا عن الانباء لكنّه عكس مبالغةً ودلالةً على انّ ما يحضر الذهنَ انّما يفيض ويَرِد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمرادُ بالانباء ما اجابوا به الرسلَ او ما يعمّها واذا كانت الرسل يتتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوّضون الى علم اللّه تع فما ظنّك بالضُلّال من أُممهم ، وتعديةُ الفعل بعَلَى لتضمّنه معنى الخفاء فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانّه مثله (٦٧) فَأَمَّا مَنْ تَابَ من الشرك وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ عند اللّه وعَسَى تحقيقٌ على عادة الكِرام او ترجٍّ من التائب بمعنى فليتوقّع ان يفلح (٦٨) وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ لا موجب عليه ولا مانع له مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ اى التخيّر كالطِيَرة بمعنى التطيّر وظاهره نفى الاختيار عنهم رأسا والامرُ كذلك عند التحقيق فانّ اختيار العباد مخلوق باختيار اللّه منوط بدواعٍ لا اختيارَ لهم فيها وقيل المراد انّه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيّده ما رُوى انّه نزل فى قولهم لولا نُزّل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولةٌ مفعولٌ ليختار والراجعُ اليه محذوف والمعنى ويختار الّذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح سُبْحَانَ ٱللَّهِ تنزيه له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيارٌ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه (٦٩) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ كعداوة الرسول وحقده وَمَا يُعْلِنُونَ كالطعن فيه (٧٠) وَهُوَ ٱللَّهُ المستحقّ للعبادة لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لا احد يستحقّها الّا هو لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ لانّه المولى للنعم كلّها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الد

جزء ٢٠ بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنّا الحزن الحمد لله الذى صَدَقَنا وَعْدَه ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده
ركوع ١٠ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ القضاء النافذ فى كلّ شىء وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ بالنشور (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا دائما من السَّرْد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دُلامص إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَآءٍ كان حقّه هل اله فذكر بمَنْ على زعمهم انّ غيره آلهة ، وعن ابن كثير بِضِئَآءٍ بهمزتين أَفَلَا تَسْمَعُونَ سماع تدبّر واستبصار (٧٢) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ باسكانها فى وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ استراحةً عن متاعب الاشغال ولعلّه لم يصف الضياء بما يقابله لانّ الضوء نعمة فى ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ولانّ منافع الضوء اكثر ممّا يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل أَفَلَا تُبْصِرُونَ لانّ استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر (٧٣) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ فى الليل وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ فى النهار بانواع المكاسب وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ولكى تعرفوا نعمة الله فى ذلك فتشكروه عليها (٧٤) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ تقريع بعد تقريع للاشعار بانّه لا شىء اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاوّل لتقرير فساد رأيهم والثانى لبيان انّه لم يكن عن سند وانّما كان محض تَشَهٍّ وهوى (٧٥) وَنَزَعْنَا وأخرجنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا وهو نبيّهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فَقُلْنَا للامم هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ على صحّة ما كنتم تدينون به فَعَلِمُوا حينئذ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ فى الالهيّة لا يشاركه فيها احد وَضَلَّ عَنْهُمْ وغاب عنهم غيبة الضائع مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ من الباطل
ركوع ١١ (٧٦) إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ كان ابن عمّه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممّن آمن به فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبّر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملّكه فرعون على بنى اسرائيل او حسدهم لما روى انّه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وأنا فى غير شىء الى متى اصبر وَآتَيْنَاهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ من الاموال المدّخرة مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ مفاتيح صناديقه جمع مِفْتح بالكسر وهو ما يُفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المَفْتح لَتَنُوءُ بِٱلْعُصْبَةِ أُولِى ٱلْقُوَّةِ خبر انّ والجملة صلة ما وهو ثانى مفعولى آتى ، وناء به الحِمْل اذا اثقله حتّى اماله ، والعُصْبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعْصَوْصَبوا اجتمعوا ، وقرئ لَيَنُوءُ بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ منصوب بتنوء لَا تَفْرَحْ لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانّه نتيجة حبّها والرضى بها والذهول عن ذهابها

فانّ العلم بانّ ما فيها من اللذّة مفارقةٌ لا محالة يوجب الترح كما قال

اشدُّ الغمّ عندى فى سرور تيقّنَ عنه صاحبُه آنتقالا

ولذلك قال تع ولا تفرحوا بما آتاكم وعلّل النهى ههنا بكونه مانعا من محبّة اللّه فقال إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ اى بزخارف الدنيا (٧٧) وَٱبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ ٱللَّهُ من الغنى ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ بصرفه فيما يوجبها لك فانّ المقصود منه ان يكون وُصْلة اليها وَلَا تَنْسَ ولا تترك ترْكَ المنسىّ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وهو ان تحصّل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك وَأَحْسِنْ الى عباد اللّه كَمَا أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فيما انعم عليك وقيل احسنْ بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ بأمر يكون علّة للظلم والبغى نهىٌ له عمّا كان عليه من الظلم والبغى إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ لسوء افعالهم (٧٨) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِى فُضّلتُ به على الناس واستوجبت به التفوّق عليهم بالجاه والمال، وعلى علم فى موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف، وعندى صفة له او متعلّق بأُوتيته كقولك جاز هذا عندى اى فى ظنّى واعتقادى أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا تعجّبٌ وتوبيخٌ على اغتراره بقوّته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانّه قرأه فى التورية وسمعه من حفّاظ التواريخ او ردٌّ لادّعائه العلم وتعظّمه به بنفى هذا العلم منه اى اعنده مثلُ ذلك العلم الّذى ادّعى ولم يعلم هذا حتّى يقى به نفسَه مصارعَ الهالكين وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ سؤالَ استعلام فانّه تع مطّلع عليها او معاتبة فانّهم يعذّبون بها بغتةً كأنّه لمّا هدّد قارون بذكر اهلاك مَن قبله ممّن كانوا اقوى منه واغنى اكّد ذلك بأن بيّن انّه لم يكن ممّا يخصّهم بل اللّه مطّلع على ذنوب المجرمين كلّهم معاقبُهم عليها لا محالة (٧٩) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِى زِينَتِهِ كما قيل انّه خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوانُ وعليها سرجٌ من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيّه قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا على ما هو عادة الناس من الرغبة يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِىَ قَارُونُ تمنّوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ من الدنيا (٨٠) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ بأحوال الآخرة للمتمنّين وَيْلَكُمْ دعاء بالهلاك استُعمل للزجر عمّا لا يُرتضى ثَوَابُ ٱللَّهِ فى الآخرة خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ممّا اوتى قارون بل من الدنيا وما فيها وَلَا يُلَقَّاهَا الضمير فيه للكلمة الّتى تكلّم بها العلماء او للثواب فانّه بمعنى المثوبة او الجنّة او للايمان والعمل الصالح فانّهما فى معنى السيرة والطريقة إِلَّا ٱلصَّابِرُونَ على الطاعات وعن المعاصى (٨١) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ روى انّه كان يؤذى موسى عم كلّ وقت وهو يداريه لقرابته حتّى نزلت

جزء ٢٠ الزكوة فصالحه عن كلّ الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بنى اسرائيل
ركوع ١١ ليرفضوه فبرطل بَغِيّةً لترميه بنفسها فلمّا كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه
ومن زنى غيرَ مُحْصَن جلدناه ومن زنى مُحْصَنا رجمناه فقال قارون ولو كنتَ قال ولو كنتُ قال انّ بنى
اسرائيل يزعمون انّك فجرت بفلانة فأُحْضِرَتْ فناشدها موسى باللّه ان تصدق فقالت جعل لى قارون
جُعْلا على ان ارميك بنفسى فخرّ موسى شاكيا عنه الى ربّه فاوحى اللّه اليه ان مُر الارض بما شئت
فقال يا ارض خذيه فأخذته الى ركبتيه ثمّ قال خذيه فأخذته الى وسطه ثمّ قال خذيه فأخذته الى
عنقه ثمّ قال خذيه فخسف به وكان قارون يتضرّع اليه فى هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى اللّه اليه
ما أَفَظّك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزّتى وجلالى لو دعانى مرّة لأجبته ثمّ قال بنو اسرائيل انّما فعله ليرثه
فدعا اللّه حتّى خسف بداره وامواله فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ اعوان مشتقّةٌ من فَأَوْت رأسه اذا ميّلته
يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ فيدفعون عنه عذابه وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنْتَصِرِينَ الممتنعين منه من قولهم نصره
من عدوّه فانتصر اذا منعه منه فامتنع (٨٢) وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ منزلته بِٱلْأَمْسِ منذ زمان قريب
يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللّٰهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة
تقتضى البسط ولا لهوان يوجب القبض ، وويكأنّ عند البصريّين مركّب من وَىْ للتعجّب وكأنّ
للتشبيه والمعنى ما اشبهَ الامرَ انّ اللّه يبسط الرزق وقيل من وَيْكَ بمعنى وَيْلَكَ وأَنّ وتقديره وَيْكَ اعلمْ
انّ اللّه لَوْلَا أَنْ مَنَّ ٱللّٰهُ عَلَيْنَا فلم يُعْطِنا ما تمنّينا لَخَسَفَ بِنَا لتوليده فينا ما ولّده فيه فخسف به
لأجله ، وقرأ حفص بفتح الخاء والسين وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَافِرُونَ لنعمة اللّه او المكذّبون برسله وبما
ركوع ١٢ وعدوا لهم من ثواب الآخرة (٨٣) تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ اشارةُ تعظيمٍ كأنّه قال تلك الّتى سمعتَ خبرَها
وبلغك وصفُها ، والدار صفة والخبر نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ غلبةً وقهرا وَلَا فَسَادًا ظلما
على الناس كما اراد فرعون وقارون وَٱلْعَاقِبَةُ المحمودة لِلْمُتَّقِينَ ما لا يرضاه اللّه (٨٤) مَنْ جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ
فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ذاتا وقدرا وصفةً وَمَنْ جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسَّيِّآتِ وضع فيه الظاهر
موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيّئة اليهم إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اى الّا مثل ما كانوا
يعملون فحذف المثل وأُقيم ما كانوا يعملون مقامه مبالغة فى المماثلة (٨٥) إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ
اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعملَ بما فيه لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ اىّ معاد وهو المقام المحمود الّذى وعدك ان
يبعثك فيه او مكّة الّتى اعتدتَ بها على انّه من العادة ردّه اليها يوم الفتح كأنّه لمّا حكم بانّ العاقبة
للمتّقين وأكّد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين روى انّه لمّا

جزء ٢٠ ركوع ١٢

بلغ جُحْفَةَ فى مُهاجَرِه اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ مَنْ جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وما يستحقّه من الثواب والنصر ، ومَنْ منتصب بفعل يفسّره اعلم وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ وما استحقّه من العذاب والاذلال يعنى به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله (٨٦) وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ ٱلْكِتَابُ اى سيردّك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ولكن القاه رحمةً منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كأنّه قال وما القى اليك الكتاب الّا رحمة فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ بمداراتهم والتحمّل عنهم والاجابة الى طلبتهم (٨٧) وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ ٱللَّهِ عن قراءتها والعمل بها بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وقرئ يُصِدُّنَّكَ من اصدّ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ الى عبادته وتوحيده وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ بمساعدتهم (٨٨) وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ هذا وما قبله للتهييج وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ الّا ذاته فانّ ما عداه مُمْكِنٌ هالكٌ فى حدّ ذاته معدومٌ لَهُ ٱلْحُكْمُ القضاء النافذ فى الخلق وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ للجزاء بالحقّ ، عن النبىّ صلعم من قرأ طسٓمٓ القصص كان له من الاجر بعدد من صدّق موسى وكذّب ولم يبق مَلَك فى السموات والارض الّا شهد له يوم القيٰمة انّه كان صادقا .

سُورَةُ ٱلْعَنْكَبُوتِ

مَكِّيَّةٌ وَآيُهَا تِسْعٌ وَسِتُّونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١٣

(١) الٓمٓ سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه او بما يُضْمَر معه أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ الحِسْبان ممّا يتعلّق بمضامين الجُمَل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسدّ مسدّهما كقوله أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ فانّ معناه احسبوا تَرْكَهم غيرَ مفتونين لقولهم آمنّا فالترك اوّل مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم آمنّا هو الثانى كقولك حسبتُ ضَرْبَه للتأديب او انفسَهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنّا بل يمتحنهم الله بمشاقّ التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصايب فى الانفس والاموال ليتميّز المُخْلِص من المنافق والثابت فى الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالى الدرجات فانّ مجرّد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود فى العذاب رُوِى انّها نزلت فى ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل فى عمّار قد عذّب فى الله وقيل فى مِهْجَع مولى عُمَر بن الخطّاب رماه عامر بن الحضرمىّ بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

جزء ٢٠ متّصل بأحسب او بلا يفتنون والمعنى انّ ذلك سنّة قديمة جارية فى الامم كلّها فلا ينبغى ان يُتوقع
ركوع ١٣ خلافُه فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللّٰهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَاذِبِينَ فليتعلّقنّ علمه بالامتحان تعلّقا حاليّا يتميّز به
الّذين صدقوا فى الايمان والّذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى وليميّزنّ او
ليجازينّ وقرئ وَلَيُعْلِمَنَّ من الاعلام اى وليعرّفنّهم النّاس او وليَسِمنّهم بسمة يُعْرفون بها يوم
القيامة كبياض الوجوه وسوادها (٣) أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ الكفر والمعاصى فانّ العمل يعمّ ٥
افعال القلوب والجوارح أَنْ يَسْبِقُونَا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو سادّ مسدّ
مفعولَى حسب لاشتماله على مُسْنَد ومُسْنَد اليه ويجوز ان يضمّن حسب معنى قدّر ، وأم منقطعة
والاضراب فيها لانّ هذا الحسبان ابطل من الاوّل ولهذا عقّبه بقوله سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ اى بئس الّذى يحكمونه
او حكما يحكمونه حُكْمُهم هذا فحذف المخصوص بالذمّ (٤) مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ ٱللّٰهِ فى الجنّة وقيل المراد
بلقاء اللّه الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد ١٠
قدم على سيّده بعد زمان مديد وقد اطّلع السيّد على احواله فامّا ان يلقاه ببشر لما رضى من افعاله
او بسخط لما سخط منها فَإِنَّ أَجَلَ ٱللّٰهِ فانّ الوقت المضروب للقائه لَآتٍ لجاء واذا كان وقت اللقاء
آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فَلْيُبادِرْ ما يحقّق امله ويصدّق رجاءه او ما يستوجب به القربة والرضى
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ لاقوال العباد ٱلْعَلِيمُ بعقائدهم وافعالهم (٥) وَمَنْ جَاهَدَ نفسَه بالصبر على مضض الطاعة
والكفّ عن الشهوات فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ لانّ منفعته لها إِنَّ ٱللّٰهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ فلا حاجة به الى ١٥
طاعتهم وانّما كلّف عباده رحمةً عليهم ومراعاةً لصلاحهم (٦) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ الكفر بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ
اى احسن جزاء اعمالهم (٧) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا بايتائهما فعلا ذا حُسْنٍ او كانّه فى ذاته
حُسْنٌ لفرط حُسْنه ، ووصّى يجرى مجرى أَمَرَ معنى وتصرّفا وقيل هو بمعنى قال اى وقلنا له احسنْ
بوالديك حُسْنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسّر للتوصية اى قلنا أَوْلِهما ٢٠
او افعلْ بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يَحْسُن الوقف على بوالديه ، وقرئ حَسَنًا واحْسانًا
وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ بالهيّته عبّر عن نفيها بنفى العلم بها اشعارا بانّ ما لا يُعلم
صحّته لا يجوز اتّباعه وإن لم يُعْلَم بطلانه فضلا عمّا عُلم بطلانه فَلَا تُطِعْهُمَا فى ذلك فانّه لا طاعة
لمخلوق فى معصية الخالق ولا بدّ من اضمار القول ان لم يُضْمَر قبلُ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ مرجع من آمن منكم
ومن اشرك ومن برّ بوالديه ومن عقّ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بالجزاء عليه ، والآية نزلت فى سعد ٢٥
ابن ابى وقّاص وأمّه حَمْنة فانّها لمّا سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضحّ ولا تطعم ولا تشرب
حتّى يرتدّ ولبثت ثلاثة ايّام كذلك وكذا الّتى فى لقمان والاحقاف (٨) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ

لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّالِحِينَ في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنّى انبياء اللّه جزء ٢٠
المرسلين او في مُدْخَلهم وهو الجنّة (٩) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ بأن عذّبهم ركوع ١٣
الكفرة على الايمان جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ ما يصيبهم من اذيّتهم في الصرف عن الايمان كَعَذَابِ ٱللَّهِ في الصرف
عن الكفر وَلَئِنْ جَآءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ فتح وغنيمة لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ في الدين فأشركونا فيه والمراد
المنافقون او قوم ضعف ايمانهم فارتدّوا من اذى المشركين ويؤيّد الاوّل أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي
صُدُورِ ٱلْعَالَمِينَ من الاخلاص والنفاق (١٠) وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بقلوبهم وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ
فيجازي الفريقين (١١) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّبِعُوا سَبِيلَنَا الذي نسلكه في ديننا وَلْنَحْمِلْ
خَطَايَاكُمْ ان كان ذلك خطيئة او ان كان بَعْث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على
امرهم بالاتّباع مبالغةً في تعليق الحمل بالاتّباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم
عليه وبهذا الاعتبار ردّ عليهم وكذّبهم بقوله وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ
اثقال ما اقترفته انفسهم وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ واثقالا أُخَر معها لما تسبّبوا له بالاضلال والحمل على المعاصي
من غير ان ينقص من اثقال مَنْ تبعهم شيء وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ سؤال تقريع وتبكيت عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ
من الاباطيل التي اضلّوا بها (١٣) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ركوع ١٤
بعد المبعث اذ روي انّه بُعث على رأس الاربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستّين
ولعلّ اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فانّ تسعمائة وخمسين قد يُطلَق على ما يقرب منه
ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدّة الى السامع فانّ المقصود من القصّة تسلية رسول اللّه صلعم
وتثبيته على ما يكابد من الكفرة، واختلاف المميّزين لما في التكرير من البشاعة فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ
طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما وَهُمْ ظَالِمُونَ بالكفر (١٤) فَأَنْجَيْنَاهُ اى نوحا
وَأَصْحَابَ ٱلسَّفِينَةِ ومن اركب معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة
نصفهم ذكور ونصفهم اناث وَجَعَلْنَاهَا اى السفينة او الحادثة آيَةً لِلْعَالَمِينَ يتّعظون ويستدلّون بها
(١٥) وَإِبْرٰهِيمَ عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرهيم
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ ظرف لأرسلنا اى ارسلناه حين كمل عقله وتمّ نظره بحيث عرف الحقّ وأمر
الناس به او بدلٌ منه بدل الاشتمال ان قُدّر باذكر وَٱتَّقُوهُ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ ممّا انتم عليه إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
الخيرَ والشرّ وتميّزون ما هو خير ممّا هو شرّ او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل

جزء ٢٠ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا وتكذبون كذبا فى تسميتها آلهة وادّعاء شفاعتها
ركوع ١٤ عند الله او تعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انّه زور باطل ، وقرئ وَتَخَلِّقُونَ من خلّق للتكثير وَتَخَلَّقُونَ من تخلّق للتكلّف وأَفِكًا على انّه مصدر كالكَذِب او نعت بمعنى خَلْقًا ذا افك إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا دليل ثانٍ على شرارة ذلك من حيث انّه لا يُجْدِى بطائل ، ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وأن يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فَٱبْتَغُوا عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ كلّه فانّه المالك له وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا لَهُ متوسّلين الى مطالبكم بعبادته مقيّدين لما حفّكم من النعم بشكره او مستعدّين للقائه بهما فانّه إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وقرئ بفتح التاء (١٧) وَإِن تُكَذِّبُوا وان تكذّبونى فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ مَن قبلى من ٱلرُّسُل فلم يضرّهم تكذيبهم وانّما ضرّ انفسهم حيث تسبّب لما حلّ بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ الّذى يزال معه الشكّ وما عليه ان يصدّق ولا يكذّب فالآية وما بعدها من جملة قصّة ابرٰهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شأن النبىّ صلعم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسّط بين طرفى قصّته من حيث انّ مساقها لتسلية رسول الله صلعم والتنفيس عنه بأنّ اباه خليل الله كان ممنوّا بنحو ما مُنِىَ به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابرٰهيم فى قومه (١٧) أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ من مادّة ومن غيرها ، وقرأ حمزة والكسائىّ وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يَبْدَأُ ثُمَّ يُعِيدُهُ اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فانّ الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان تؤوّل الاعادة بأن ينشئ فى كلّ سنة مثل ما كان فى السنة السابقة من النبات والثمار ونحوها وتُعْطَف على يبدئ إِنَّ ذَٰلِكَ الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ اذ لا يفتقر فى فعله الى شىء

(١٩) قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ حكاية كلام الله لابرٰهيم او محمّد عليهما الصلوة والسلام فَٱنظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ على اختلاف الاجناس والاحوال ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ بعد النشأة الاولى الّتى هى الابداء فانّه والاعادة نشأتان من حيث انّ كلّا اختراع واخراج من العدم ، والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره فى بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على انّ المقصود بيان الاعادة وأنّ من عُرِف بالقدرة على الابداء ينبغى ان يُحْكَم له بالقدرة على الاعادة لانّها اهون ، والكلام فى العطف ما مرّ ، وقرئ ٱلنَّشَآءَةَ كالرأفة إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ لانّ قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كلّ الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى (٢٠) يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ تعذيبه وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ رحمته وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ تُرَدّون (٢١) وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ربّكم عن ادراككم فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ان فررتم من قضائه بالتوارى فى الارض او الهبوط فى مهاويها والتحصّن فى السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من فى السماء كقول حسّان

أَمَنْ يهجو رسولَ اللّه منكم ويَمْدحُه وينْصرُه سواء جزء ۲۰

وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه كوع ١٤

عنكم (۲۲) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللّٰهِ بدلائل وحدانيّته او بكتبه وَلِقَائِهِ بالبعث أُولٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي ركوع ١٥

اى ييأسون منها يوم القيمة فعبّر عنه بالماضى للتحقيق والمبالغة او ايسوا فى الدنيا لانكار البعث

٥ والجزاء وَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بكفرهم (۲۳) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ قوم ابرهيم له وقرئ بالرفع على انّه

الاسم والخبرُ إِلَّا أَنْ قَالُوا ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ وكان ذلك قول بعضهم لكن لمّا قيل فيهم ورضى به الباقون

أُسْند الى كلّهم فَأَنْجَاهُ ٱللّٰهُ مِنَ ٱلنَّارِ اى فقذفوه فى النار فأنجاه اللّه منها بأن جعلها عليه بردا وسلاما

إِنَّ فِي ذٰلِكَ فى انجائه منها لَآيَاتٍ هى حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها فى زمان يسير وانشاء

روض مكانها لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لانّهم المنتفعون بالتفحّص عنها والتأمّل فيها (۲۴) وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُمْ مِنْ

١٠ دُونِ ٱللّٰهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا اى لتتوادّوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها

وثانى مفعولَىْ اتّخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودّةَ المفعول الثانى بتقدير مضاف اى اتّخذتم

اوثانا سببَ المودّة بينكم او بتأويلها بالمودودة وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منوّنةً ناصبةً بَيْنَكُمْ

والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائىّ ورويس مرفوعةً مضافةً على انّها خبرُ مبتدإ محذوف

اى هى مودودةٌ او سببُ مودّة بينكم والجملةُ صفةُ اوثانا او خبرُ انّ على انّ ما مصدريّة او موصولة

١٥ والعائدُ محذوف وهو المفعول الاوّل وقرئت مرفوعة منوّنة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطّع

بينكم وقرئ إِنَّمَا مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا اى يقوم

التناكر والتلاعن بينكم وبينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدّا

وَمَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ يخلّصونكم منها (۲٥) فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ هو ابن اخيه واوّل من آمن به

وقيل انّه آمن به حين رأى النار لم تحرقه وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ من قومى إِلَىٰ رَبِّي الى حيث امرنى إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَزِيزُ

٢٠ الّذى يمنعنى من اعدائى ٱلْحَكِيمُ الّذى لا يأمرنى الّا بما فيه صلاحى روى انّه هاجر من كوثى من

سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمّه الى حرّان ثمّ منها الى الشأم فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم

(۲٦) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ ولدا ونافلةً حين ايس عن الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر

اسمعيل وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ فكثر منهم الانبياء وَٱلْكِتَابَ يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة

وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ على هجرته الينا فِي ٱلدُّنْيَا باعطاء الولد فى غير اوانه والذرّيّة الطيّبة واستمرار النبوّة فيهم

٢٥ وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى آخر الدهر وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ لفى عداد الكاملين

فى الصلاح (۲۷) وَلُوطًا عطف على ابرهيم او على ما عُطف عليه إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ

جزء ٢٠ الفعلة البالغة فى القبح ، وقرأ الحرميّان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على ركوع ١٥ الاستفهام وأجمعوا على الاستفهام فى الثانى مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ استيناف مقرّر لفحاشتها من حيث انّهـا ممّـا اشمأزّت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتّى اقدموا عليهـا لخبث طينتهم (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وتتعرّضون للسابلة بالقتل وأخذ المال او بالفاحشة حتّى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ فى مجالسكم الغاصّة ولا يقال النادى الّا لما فيه اهله ٱلْمُنْكَرَ كالجماع والضراط وحلّ الازار وغيرها من القبائح عدمَ مبالاة بها وقيل الخذف ورمْى البنادق فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ فى استقباح ذلك او فى دعوى النبوّة المفهومة من التوبيخ (٢٩) قَالَ رَبِّ ٱنْصُرْنِي بانزال العذاب عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ بابتداع الفاحشة وسنّها فيمن بعدهم وصَفهم بذلك مبالغةً فى ركوع ١٦ استنزال العذاب واشعارا بأنّهم احقاء بأنْ يعجّل لهم العذاب (٣٠) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَى بالبشارة بالولد والنافلة قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ قرية سدوم ، والاضافة لفظيّة لانّ المعنى للاستقبال إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ تعليل لإهلاكهم لهم باصرارهم وتماديهم فى ظلمهم الّذى هو الكفر وانواع المعاصى (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا اعتراضٌ عليهم بانّ فيها من لم يظلم او معارضةٌ للموجب بالمانع وهو كونُ النبىّ بين اظهُرهم قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ تسليمٌ لقوله مع ادّعاء مزيد العلم به وأنّهم ما كانوا غافلين عنه وجوابٌ عنه بتخصيص الاهل بمن عداه وأهله او تأقيت الاهلاك بإخراجهم عنهـا وفيه تأخير للبيان عن الخطاب إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَابِرِينَ الباقين فى العذاب او القريـة (٣٢) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ جاءته المساءة والغمّ بسببهم مخافةَ أن يقصدهم قومه بسوء ، وأَنْ صلةٌ لتأكيد الفعلين واتّصالهما وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعُه اى طاقتُه كقولهم ضاقت يده وبإزائه رَحُبَ ذرعه بكذا اذا كان مُطيقا له وذلك لانّ طويل الذراع ينال ما لا ينال قصير الذراع وَقَالُوا لمّا رأوا فيه اثر الضجرة لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ على تمكّنهم منّا إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَابِرِينَ وقرأ حمزة والكسائىّ ويعقوب لَنُنْجِيَنَّهُ ومُنْجُوكَ بالتخفيف ووافقهم ابو بكر وابن كثير فى الثانى ، وموضع الكاف الجرّ على المختار ونصب أهلك باضمارِ فعل او بالعطف على محلّهـا باعتبار الاصل (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ عذابـا منهـا سُمّى بذلك لانّه يقلق المعذّب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اى اضطرب ، وقرأ ابن عامر مُنَزِّلُـونَ بالتشديد بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ بسبب فسقهم (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً هى حكايتها الشائعة او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة المُمْطَرة فانّها كانت باقية بعدُ وقيل بقيّة انهارها المسوّدة لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلّق بتركنا او آية (٣٥) وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا جزء ٢٠
قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱرْجُوا ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وافعلوا ما ترجون به ثوابه فأُقيم المسبّب مقام السبب وقيل انّه ركوع ١٦
من الرجاء بمعنى الخوف وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ الزلزلة الشديدة
وقيل صيحة جبريل لانّ القلوب ترجف لها فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ فى بلدهم او دورهم ولم يُجمع لأمن
اللّبس جَاثِمِينَ باركين على الركب ميّتين (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَا منصوبان باضمار اذكرْ او فعلٍ دلّ عليه
ما قبله مثل اهلكنا ، وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمودَ غير مصروف على تأويل القبيلة وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ
مِنْ مَسَاكِنِهِمْ اى تبيّن لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها
عند مروركم بها وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ من الكفر والمعاصى فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ السوىّ الّذى
بيّن الرسل لهم وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ متمكّنين من النظر والاستبصار ولكنّهم لم يفعلوا او متبيّنين
انّ العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنّهم لجّوا حتّى هلكوا (٣٨) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
معطوف على عادًا وتقديم قارون لشرف نسبه وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِٱلْبَيِّنَاتِ فَٱسْتَكْبَرُوا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا
كَانُوا سَابِقِينَ فائتين بل ادركهم امر اللّه من سبق طالبه اذا فاته (٣٩) فَكُلًّا من المذكورين
أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ عاقبنا بذنبه فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم
بها كقوم لوط وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ كمدين وثمود وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ كقارون
وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا كقوم نوح وفرعون وقومه وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم
بغير جُرم اذ ليس ذلك من عادته وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بالتعريض للعذاب (٤٠) مَثَلُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَاءَ فيما اتّخذوه معتمدًا ومتّكلا كَمَثَلِ ٱلْعَنْكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا فيما
نسجته فى الوهن والخور بل ذاك اوهن فانّ لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحّد
كمثلها بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجصّ ، والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكّر
والمؤنّث والتاء فيه كتاء طاغوت ويُجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعَكَبة وأعْكُب
وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنْكَبُوتِ لا بيت اوهى واقلّ وقاية الحرّ والبرد منه لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
يرجعون الى علم لعلموا انّ هذا مثلهم وانّ دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت
العنكبوت دينهم سمّاه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وانّ اوهن ما يعتمد به فى الدين دينهم
(٤١) إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَىْءٍ على اضمار القول اى قل للكفرة انّ اللّه يعلم ، وقرأ
البصريّان بالياء حملا على ما قبله ، وما استفهاميّة منصوبة بتدعون ويعلم معلّقة عنها ومنْ للتبيين او

جزء ٢٠ نافيةٌ ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون او مصدريّة وشيء مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول
ركوع ١٦ تدعون عائدها المحذوف والكلام على الأوّلين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ تعليل على المعنيَيْن فانّ مِنْ فرط الغباوة اشراكَ ما لا يُعَدّ شيئا بمن هذا شأنه
وانّ الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كلّ شيء البالغ فى العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وانّ مَنْ
هذا وصفه قادرٌ على مجازاتهم (٤٢) وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ يعنى هذا المثل ونظائره نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ تقريبا لما بَعُد
من افهامهم وَمَا يَعْقِلُهَا ولا يعقل حسنها وفائدتها إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ الّذين يتدبّرون الاشياء على ما
ينبغى ' وعنه عليه السلام انّه تلا هذه الآية فقال العالم مَن عقل عن اللّه فعمل بطاعته واجتنب سخطه
ركوع ١٧ (٤٣) خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ محقّا غير قاصد به باطلا فانّ المقصود بالذات من خلقها
افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ لانّهم المنتفعون به
(٤٤) ٱتْلُ مَا أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَابِ تقرّبا الى اللّه بقراءته وتحفّظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فانّ
القارئ المتأمّل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اوّل ما قرع سمعه وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ
عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ بأن تكون سببا للانتهاء عن المعاصى حالَ الاشتغال بها وغيرها من حيث انّها
تذكّر اللّهَ وتورث النفس خشيةً منه رُوى انّ فتى من الانصار كان يصلّى مع رسول اللّه صلعم
الصلوات ولا يَدَع شيئا من الفواحش الّا ركبه فوُصف له فقال انّ صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب
وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانّما عبّر عنها به للتعليل بانّ اشتمالها على ذكره
هو العمدة فى كونها مفضّلة على الحسنات ناهية عن السيّئات او لَذكر اللّه ايّاكم برحمته اكبر من
ذكركم ايّاه بطاعته وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسنَ المجازاة
جزء ٢١ (٤٥) وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ الّا بالخصلة الّتى هى احسن كمعارضة الخشونة باللين
ركوع ١ والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ بآية السيف اذ لا مجادلة اشدّ منه وجوابه
انّه آخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ بالافراط فى الاعتداء والعناد او
باثبات الولد وقولهم يد اللّه مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية وَقُولُوا آمَنَّا بِٱلَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ
هو من المجادلة بالّتى هى احسن وعن النبىّ صلعم لا تصدّقوا اهل الكتاب ولا تكذّبوهم
وقولوا آمنّا باللّه وكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدّقوهم وان قالوا حقّا لم تكذّبوهم
وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ مطيعون له خاصّة وفيه تعريض باتّخاذهم أحبارهم ورهبانهم
اربابا من دون اللّه (٤٦) وَكَذَٰلِكَ ومثل ذلك الانزال أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ وحيا مصدّقا لسائر الكتب
الالهيّة وهو تحقيق لقوله فَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ هم عبد اللّه بن سلام وأضرابه او من
تقدّم عهد الرسول صلعم من اهل الكتاب وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ ومن العرب او اهل مكّة او ممّن فى عهد الرسول

جزء ٢١ ركوع ١

من اهل الكتابين مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بالقران وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا مع ظهورها وقيام الحجّة عليها إِلَّا ٱلْكَافِرُونَ الّا المتوغّلون فى الكفر فانّ جزمهم به يمنعهم عن التأمّل فيما يُفيد لهم صِدْقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول كما اشار اليه بقوله (٤٧) وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ فانّ ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على أُمّيّ لم يُعْرَف بالقراءة والتعلّم خارقٌ للعادة ، وذكرُ اليمين زيادة تصوير للمنفيّ ونَفْى للتجوّز فى الاسناد إِذًا لَارْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ اى لو كنت ممّن يخطّ ويقرأ لقالوا لعلّه تعلّمه او التقطه من كتب الاوّلين الاقدمين وانّما سمّاهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما فى كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدّر (٤٨) بَلْ هُوَ بل القران آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ يحفظونه لا يقدر احد على تحريفه وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا ٱلظَّالِمُونَ المتوغّلون فى الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتّى لم يعتدّوا بها (٤٩) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى ، وقرأ نافع وابن عامر والبصريّان وحفص آيَاتٌ قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَاتُ عِنْدَ ٱللَّهِ يُنْزِلها كما يشاء لستُ املكها فآتيكم بما تقترحونه وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ليس من شأنى الّا الانذار وإبانته بما أُعطيتُ من الآيات (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ آية مُغنية عمّا اقترحوه أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ تدوم تلاوته عليهم مُتحدَّيْن به فلا يزال معهم آيةً ثابتةً لا تضمحلّ بخلاف سائر الآيات او يُتْلَى عليهم يعنى اليهود بتحقيق ما فى ايديهم من نعتك ونعت دينك إِنَّ فِي ذَٰلِكَ الكتاب الّذى هو آية مستمرّة وحجّة مُبينة لَرَحْمَةً لنعمة عظيمة وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وتذكرة لمن همّه الايمان دون التعنّت وقيل انّ اناسا من المسلمين اتوا رسول اللّه صلعم بكتف كُتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالةَ قوم أن يرغبوا عمّا جاءهم به نبيّهم الى ما جاء به غير نبيّهم فنزلت (٥١) قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا

ركوع ٢

بصدقى وقد صدّقنى بالمعجزات او بتبليغى ما أُرسلتُ به اليكم ونصحى ومقابلتكم ايّاى بالتكذيب والتعنّت (٥٢) يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فلا يخفى عليه حالى وحالكم وَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱلْبَاطِلِ وهو ما يُعْبَد من دون اللّه وَكَفَرُوا بِٱللَّهِ منكم أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان (٥٣) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ بقولهم امطرْ علينا حجارة من السماء وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لكلّ عذاب او قوم لَجَاءَهُمُ ٱلْعَذَابُ عاجلا وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً فجأة فى الدنيا كوقعة بدر او الآخرة عند نزول الموت بهم وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ باتيانه (٥٤) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَافِرِينَ ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هى كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصى الّتى توجبها بهم ، واللام للعهد على وضع الظاهر موضعَ المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس

جزء ٢١ ركوع ٢

على حكمهم (٥٥) يَوْمَ يَغْشَاهُمُ ٱلْعَذَابُ ظرف لمحيطة او مقدّر مثل كان كيت وكيت مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ من جميع جوانبهم وَيَقُولُ اللّٰه او بعض ملائكته بأمره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريّين بالنون ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اى جزاءه (٥٦) يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَٱعْبُدُونِ اى اذا لم يتسهّل لكم العبادة فى بلدة ولم يتيسّر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشّى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فرّ بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرًا استوجب الجنّة وكان رفيق ابرٰهيم ومحمّد ، والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى انّ ارضى واسعة ان لم تخلصوا العبادة لى فى ارض فأخلصوها فى غيرها (٥٧) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ تناله لا محالة ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ للجزاء ومَنْ هذا عاقبته ينبغى ان يجتهد فى الاستعداد له ، وقرأ ابو البكر بالياء (٥٨) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ لننزلنّهم مِنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا علالىّ ، وقرأ حمزة والكسائىّ لَنُثْوِيَنَّهُمْ اى لنقيمنّهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنّهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف الموقّت بالمبهم تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَامِلِينَ وقرئ فَنِعْمَ والمخصوص بالمدح محذوف دلّ عليه ما قبله (٥٩) ٱلَّذِينَ صَبَرُوا على اذيّة المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاقّ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ولا يتوكّلون الّا على اللّٰه (٦٠) وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا لا تطيق حمله لضعفها او لا تدّخره وانّما تصبح ولا معيشة عندها ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ثمّ انّها مع ضعفها وتوكّلها وايّاكم مع قوّتكم واجتهادكم سواء فى انّه لا يرزقها وايّاكم الّا اللّٰه لانّ رزق الكلّ بأسباب هو المسبّب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانّهم لمّا أُمروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ لقولكم هذا ٱلْعَلِيمُ بضميركم (٦١) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ المسئول منهم اهل مكّة لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ لما تقرّر فى العقول وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك (٦٢) ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ يحتمل أن يكون الموسّع له والمضيّق عليه واحدا على انّ البسط والقبض على التعاقب وأن لا يكون على وضع الضمير موضع مَن يشاء وابهامه لانّ من يشاء مبهم إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يعلم مصالحهم ومفاسدهم (٦٣) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ معترفين بانّه الموجد للممكنات بأسرها اصولها وفروعها ثمّ انّهم يشركون به بعض مخلوقاته الّذى لا يقدر على شىء من ذلك قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجّتك بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ فيتناقضون حيث

يُقرّون بانّه المُبْدئ لكلّ ما عداه ثمّ انّهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك جزء ٢١
عند مقالهم (٦٤) وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا اشارةُ تحقير وكيف لا وهى لا تزن عند اللّه جناحَ بعوضة ركوع ٣
إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ الّا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعةً ثمّ يتفرّقون
مُتْعَبين وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لهى دار الحيوة الحقيقيّة لامتناع طَرَيان الموت عليها او هى فى
ذاتها حيوة للمبالغة والحَيَوان مصدر حَيِىَ سُمّى به ذو الحيوة وأصله حَيَيان فقُلبت الياء الثانية واوا
وهو ابلغ من الحيوة لما فى بناء فَعَلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها ههنا
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لم يؤثروا عليها الدنيا الّتى اصلها عدم الحيوة والحيوةُ فيها عارضة سريعة الزوال
(٦٥) فَإِذَا رَكِبُوا فِي ٱلْفُلْكِ متّصل بما دلّ عليه شرح حالهم اى هم على ما وُصفوا به من الشرك فاذا
ركبوا البحر دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كائنين فى صورةِ من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون
الّا اللّه ولا يدعون سواه لعلمهم بأنّه لا يكشف الشدائد الّا هو فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ
فاجَئوا المعاودة الى الشرك (٦٦) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ اللام فيه لامُ كَىْ اى يشركون ليكونوا كافرين
بشركهم نعمةَ النجاة وَلِيَتَمَتَّعُوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادّهم عليها او لامُ الامر على التهديد
ويؤيّده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائىّ وقالون عن نافع وَلْيَتَمَتَّعُوا بالسكون فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عاقبةَ ذلك
حين يعاقبون (٦٧) أَوَلَمْ يَرَوْا يعنى اهل مكّة أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا اى جعلنا بلدهم مصونا عن النهب
والتعدّى آمنا اهلُه عن القتل والسبى وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ يختلسون قتلا وسبيا اذا كانت
العرب حوله فى تغاور وتناهب أَفَبِٱلْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ أَبَعْدَ هذه النعمة المكشوفة وغيرها ممّا لا يقدر عليه
الّا اللّه يؤمنون بالصنم او الشيطان وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ حيث اشركوا به غيره ، وتقديم الصلتين
للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة (٦٨) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا بأن زعم انّ له
شريكا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ يعنى الرسول او الكتاب وفى لمّا تسفيه لهم بأن لم يتوقّفوا ولم يتأمّلوا
قطّ حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اوّل ما سمعوه أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ تقرير لثوائهم
كقوله • أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطايا • اى الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب
على اللّه وكذّبوا بالحقّ مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اى الم يعلموا انّ فى جهنّم مثوى للكافرين
حتّى اجترءوا هذه الجرأة (٦٩) وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا فى حقّنا واطلاق المجاهدة ليعمّ جهاد الاعادى
الظاهرة والباطنة بأنواعه لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنّهم هداية الى
سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله والّذين اهتدوا زادهم هُدًى وفى الحديث من عمل بما علم ورّثه

جزء ٢١ ركوع ٣ اللّه عِلْمَ ما لم يعلم وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ بالنصر والاعانة ، قال عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشرُ حسنات بعدد كلّ المؤمنين والمنافقين •

سُورَةُ ٱلرُّومِ

مكّيّة الّا قوله فسبحان اللّه وآيها ستّون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٤ (١) الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ (٢) فِى أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ارض العرب منهم لانّها الارض المعهودة عندهم او فى ادنى ارضهم من العرب واللامُ بدل من الاضافة وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ من اضافة المصدر الى المفعول ، وقرئ غَلْبِهِمْ وهو لغة كالجَلَب والجَلْب سَيَغْلِبُونَ (٣) فِى بِضْعِ سِنِينَ روى انّ فارس غزوا الروم فوافوهم بأذْرِعات وبُصْرى وقيل بالجزيرة وهى ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكّة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس أُمّيّون فقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرنّ عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر لا يُقِرّنّ اللّهُ اعينَكم فواللّه ليَظْهرنّ الرومُ على فارس بعد بضع سنين فقال له أُبيّ بن خلف كذبتَ اجعلْ بيننا اجلا أُناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كلّ واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فأخبر ابو بكر رسول اللّه صلعم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر ومادّه فى الاجل فجعلاه مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابىّ من جرح رسول اللّه صلعم بعد قفوله من أُحُد وظهرت الروم على فارس يوم الحُدَيْبية فأخذ ابو بكر الخطر من وَرَثة ابىّ وجاء به الى رسول اللّه فقال تصدّقْ به واستدلّ به الحنفيّة على جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب وأُجيبَ بانّه كان قبل تحريم القمار ، والآية من دلائل النبوّة لانّها اخبار عن الغيب ، وقرئ غَلَبَتِ بالفتح وسَيُغْلَبُونَ بالضمّ ومعناه انّ الروم غَلَبوا على ريف الشأم والمسلمون سيغلبونهم وفى السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا تكون اضافة الغلب الى الفاعل لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اى له الامر حين غُلبوا وحين يَغْلبون ليس شىء منهما الّا بقضائه وقرئ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ من غير تقدير مضاف اليه كأنّه قيل قبلا وبعدا اى اوّلا وآخرا وَيَوْمَئِذٍ ويوم يغلب الروم يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ ٱللَّهِ من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم فى رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم فى دينهم وقيل بنصر اللّه المؤمنين باظهار صدقهم او بأن ولّى بعض اعدائهم بعضا حتّى تفانوا يَنْصُرُ مَنْ يَشَآءُ فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

الرَّحِيمُ ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضّل عليهم بنصرهم اخرى (٥) وَعْدَ ٱللَّهِ مصدر مؤكّد لنفسه لانّ ما قبله فى معنى الوعد لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ لامتناع الكذب عليه وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَعْدَه ولا صحّة وعده لجهلهم وعدم تفكّرهم (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا ما يشاهدونه منها والتمتّع بزخارفها وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ التى هى غايتها والمقصود منها هُمْ غَافِلُونَ لا تخطر ببالهم ، وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكّن غفلتهم عن الآخرة المحقّقة لمقتضى الجملة المتقدّمة المُبْدَلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصورِ ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فانّ من العلمِ بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وافعالها واسبابها وكيفيّة صدورها منها وكيفيّة التصرّف فيها ولذلك نكّر ظاهرا وأمّا باطنها انّها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعارا بانّه لا فَرْق بين عدمِ العلم والعلمِ الّذى يختصّ بظاهر الدنيا (٧) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ اولم يُحْدِثوا التفكّر فيها او اولم يتفكّروا فى امر انفسهم فانّها اقربُ اليهم من غيرها ومرآة يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له فى الممكنات بأسرها ليتحقّق لهم قدرة مبدعها على اعادتها مثل قدرته على ابدائها مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ متعلّق بقولٍ او علمٍ محذوف يدلّ عليه الكلام وَأَجَلٍ مُسَمًّى تنتهى عنده ولا تبقى بعده وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ بلقاء جزائه عند انقضاء الاجل المسمّى او قيام الساعة لَكَافِرُونَ جاحدون يحسبون انّ الدنيا ابديّة وانّ الآخرة لا تكون (٨) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ تقرير لسيرهم فى اقطار الارض ونظرهم فى آثار المدمَّرين قبلهم كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً كعاد وثمود وَأَثَارُوا ٱلْأَرْضَ وقلّبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وَعَمَرُوهَا وعمروا الارض أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا من عمارة اهل مكّة ايّاها فانّهم اهل وادٍ غير ذى زَرْع لا تبسّطَ لهم فى غيرها وفيه تهكّم بهم من حيث انّهم مغترّون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسّط فى البلاد والتسلّط على العباد والتصرّف فى اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء مُلْجَئون الى دار لا نفع لها وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ بالمعجزات او الآيات الواضحات فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمّرهم من غير جرم ولا تذكير وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ حيث عملوا ما ادّى الى تدميرهم (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَآءُوا ٱلسُّوٓأَى اى ثمّ كان عاقبتهم العاقبة السوءى او الخصلة السوءى فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانّهم جاءوا بمثل افعالهم ، والسوءى تأنيث الاسوإ كالحُسْنَى او مصدر كالبُشْرَى نعت به أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ علّة او بدل او عطف بيان للسوءى

جزء ٢١ او خبرُ كان والسوءى مصدرُ اساءوا او مفعولُه بمعنى ثمّ كان عاقبةَ الّذين اقترفوا الخطيئة ان طبع اللّه
ركوع ٤ على قلوبهم حتّى كذّبوا بآيات اللّه واستهزءوا بها ويجوز ان يكون السوءى صلة الفعل وأن كذّبوا
تابعها والخبر محذوفا للابهام والتهويل وان تكون أَنْ مفسّرة لانّ الاساءة ان كانت مفسّرة بالتكذيب
والاستهزاء كانت متضمّنة معنى القول ، وقرأ ابن عامر والكوفيّون عَاقِبَةَ بالنصب على انّ الاسم السوءى
ركوع ٥ وان كذّبوا على الوجوه المذكورة (١٠) ٱللَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ينشئهم ثُمَّ يُعِيدُهُ يبعثهم ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة فى المقصود ، وقرأ ابو بكر وابو عمرو وروح بالياء على الاصل
(١١) وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ يسكتون متحيّرين آيسين يقال ناظرته فأبلس اذا سكت
وأيس ان يحتجّ ومنه الناقة المِبْلاس الّتى لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته (١٢) وَلَمْ يَكُنْ
لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ ممّن اشركوهم باللّه شُفَعَاءُ يجيرونهم من عذاب اللّه ومجيئه بلفظ الماضى لتحقّقه
وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ يكفرون بآلهتهم حيث يئسوا منهم وقيل كانوا فى الدنيا كافرين
بسببهم ، وكُتب فى المصحف شفعوا وعلموا بنى اسرائل بالواو والسوای بالالف اثباتا للهمزة على
صورة الحرف الّذى منه حركتها (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ اى المومنون والكافرون لقوله
(١٤) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ ارض ذات ازهار وانهار يُحْبَرُونَ يُسَرّون سرورا
تهلّلت له وجوههم (١٥) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ ٱلْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ
مُدْخلون لا يغيبون عنه (١٦) فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ
وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ اخبارٌ فى معنى الامر بتنزيه اللّه تعالى والثناء عليه فى هذه الاوقات الّتى
تظهر فيها قدرته وتتجدّد فيها نعمته او دلالةٌ على انّ ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزّهه
واستحقاقه الحمدَ ممّن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيصُ التسبيح بالمساء والصباح لانّ آثار
القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيصُ الحمد بالعشىّ الّذى هو آخر النهار من عَشِىَ العينُ اذا نقص
نورها والظهيرةِ الّتى هى وسطه لانّ تجدّد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيّا معطوفا على
حين تمسون وقوله وله الحمد فى السموات والارض اعتراضا وعن ابن عبّاس انّ الآية جامعة للصلوات
الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيّا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر
ولذلك زعم الحسن انّها مدنيّة لانّه كان يقول كان الواجب بمكّة ركعتين فى اىّ وقت اتّفقتا وانّما
فُرضت الخمسُ بالمدينة والاكثرُ على انّها فرضت بمكّة وعنه عم مَنْ سرّه ان يُكال له بالقفيز الاوفى
فليقل فسبحان اللّه حين تمسون الآية وعنه عم من قال حين يصبح فسبحان اللّه الى قوله وكذلك
تخرجون ادرك ما فاته فى ليلته ومن قاله حين يمسى ادرك ما فاته فى يومه ، وقرئ حِينًا تُمْسُونَ
وحِينًا تُصْبِحُونَ اى تمسون فيه وتصبحون فيه (١٨) يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ كالانسان من النطفة

والطائر من البيضة وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ كالنطفة والبيضة او يعقب الحيوة الموتَ وبالعكس جزء ٢١
وَيُحْيِي ٱلْأَرْضَ بالنبات بَعْدَ مَوْتِهَا يبسها وَكَذَٰلِكَ ومثل ذلك الاخراج تُخْرَجُونَ من قبوركم فانّه ركوع ٥
ايضا تعقيب للحيوة الموتَ وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء (١٩) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ركوع ٦
اى فى اصل الانشاء لانّه خلق اصلهم منه ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ثمّ فاجأتم وقتَ كونكم بشرا
منتشرين فى الارض (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لانّ حوّاء خلقت من ضلع آدم
وسائر النساء خلقن من نُطَف الرجال او لانّهنّ من جنسهم لا من جنس آخر لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا لتميلوا
اليها وتألفوا بها فانّ الجنسيّة علّة للضمّ والاختلاف سبب للتنافر وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ اى بين الرجال والنساء
او بين افراد الجنس مَوَدَّةً وَرَحْمَةً بواسطة الزواج حالَ الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لامر
المعاش او بانّ تعيّش الانسان متوقّف على التعارُف والتعاوُن المحوج الى التوادّ والتراحم وقيل المودّة
كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كقوله ورحمةً منّا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فيعلمون ما فى
ذلك من الحِكَم (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ لغاتكم بأَنْ علّم كلّ صنف
لغتَه او ألهمه وَضْعَها وأقدره عليها او أجناس نطقكم وأشكاله فانّك لا تكاد تسمع مَنْطِقَيْن متساويين
فى الكيفيّة وَأَلْوَانِكُمْ بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيآتها والوانها وحِلاها بحيث وقع
التمايز والتعارف حتّى انّ التوأمين مع توافق موادّهما واسبابهما والامور الملاقية لهما فى التخليق
يختلفان فى شىء من ذلك لا محالة إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ لا تكاد تخفى على عاقل من ملك او
انس او جنّ وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيّده قوله وما يعقلها الّا العالمون (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِٱللَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ منامكم فى الزمانين لاستراحة القوى النفسانيّة وتقوّى القوى الطبيعيّة
وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلفّ وضمّ بين الزمانين والفعلين بعاطفين
اشعارا بانّ كلّا من الزمانين وان اختصّ باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيّده سائر الآيات
الواردة فيه إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سماعَ تفهّم واستبصار فانّ الحكمة فيه ظاهرة (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ
يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ مقدّر بأَنْ كقوله

أَلا ايّها ذا الزاجرى أَحْضُرَ الوَغَى   وأَنْ أَشْهَدَ اللذّاتِ هل انت مُخْلِدى

او الفعل فيه منزّل منزلةَ المصدر كقولهم تَسْمَعُ بالمُعَيْدِيِّ خيرٌ من أن تراه او صفة لمحذوف تقديره آيةٌ
يريكم بها البرق كقوله

فما الدهر الّا تارتان فمنهما   اموت وأُخْرَى أبتغى العيشَ أَكْدَحُ

خَوْفًا من الصاعقة للمسافر وَطَمَعًا فى الغيث للمقيم ، ونصبهما على العلّة لفعل يلزم المذكور فانّ

جزء ٢١ ارادتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تأويل الخوف والطمع بالاخافة
ركوع ٦ والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلّمته شفاها وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً وقرئ
بالتشديد فَيُحْيِي بِهِ ٱلْأَرْضَ بالنبات بَعْدَ مَوْتِهَا يبسها إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يستعملون
عقولهم فى استنباط اسبابها وكيفيّة تكوّنها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته (٢٤) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ
تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِ قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما فى حيّزيهما المعيّنين من غير مقيم
محسوس والتعبير بالامر للمبالغة فى كمال القدرة والغنى عن الآلة ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ ٱلْأَرْضِ إِذَا
أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ عطف على ان تقوم على تأويل مفرد كأنّه قيل ومن آياته قيام السموات والارض بأمره
ثمّ خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايّها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة
ترتّب حصول ذلك على تعلّق ارادته بلا توقّف واحتياج الى تجشّم عمل بسرعة ترتّب اجابة الداعى
المطاع على دعائه ، وثمّ امّا لتراخى زمانه او لعظم ما فيه ، ومن الارض متعلّق بدعا كقولك دعوته
من اسفل الوادى فطلع الىّ لا بتخرجون لانّ ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها ، واذا الثانية للمفاجأة
ولذلك نابت مناب الفاء فى جواب الاولى (٢٥) وَلَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ منقادون
لفعله فيهم لا يمتنعون عليه (٢٦) وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ بعد هلاككم وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ
والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والّا فهما عليه سواء ولذلك
قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هيّن ، وتذكير هو لأهون او لانّ الاعادة بمعنى أن يعيد
وَلَهُ ٱلْمَثَلُ الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامّة والحكمة التامّة ومن فسّره بقول لا اله الّا اللّه اراد به
الوصف بالوحدانيّة ٱلْأَعْلَى الّذى ليس لغيره ما يساويه او يدانيه فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يصفه به ما فيهما
دلالة ونطقا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ القادر الّذى لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته ٱلْحَكِيمُ الّذى يجرى الافعال على
ركوع ٧ مقتضى حكمته (٢٧) ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ منتزعا من احوالها الّتى هى اقرب الامور اليكم
هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ من مماليككم مِنْ شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ من الاموال وغيرها فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ
فتكونون انتم وهم فيه شرعا يتصرّفون فيه كتصرّفكم مع انّهم بشر مثلكم وانّها معارة لكم ، ومن الاولى
للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى تَخَافُونَهُمْ ان
يستبدّوا بتصرّف فيه كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض كَذٰلِكَ مثل ذلك التفصيل
نُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ نبيّنها فانّ التمثيل ممّا يكشف المعانى ويوضحها لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يستعملون عقولهم فى تدبّر
الامثال (٢٨) بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بالاشراك أَهْوَآءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ جاهلين لا يكفّهم شىء فانّ العالم اذا
اتّبع هواه ربّما ردعه علمه فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ فمن يقدر على هدايته وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ يخلّصونهم

جزء ٢١ ركوع ٧

من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها (٢٩) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فقوّمه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به فِطْرَتَ ٱللَّهِ خِلْقته نصبٌ على الاغراء او المصدر لما دلّ عليه ما بعدها ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا خلقهم عليها وهو قبولهم للحق وتمكّنهم من ادراكه او ملّة الاسلام فانّهم لو خُلّوا وما خُلقوا عليه أدّى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريّته لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ لا يقدر احد ان يغيّره او ما ينبغى ان يغيّر ذٰلِكَ اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسّرت بالملّة ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ المستقيم الّذى لا عوج فيه وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ استقامته لعدم تدبّرهم (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ راجعين اليه من اناب اذا رجع مرّة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير فى الناصب المقدّر لفطرت اللّه او فى اقم لانّ الآية خطاب للرسول والامّة لقوله وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلٰوةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ غير انّها صُدّرت بخطاب الرسول تعظيما له (٣١) مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وقرأ حمزة والكسائىّ فَارَقُوا بمعنى تركوا دينهم الّذى أُمروا به وَكَانُوا شِيَعًا فرقا تُشايع كلٌّ امامها الّذى اضلّ دينها كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ مسرورون ظنّا بانّه الحقّ ويجوز ان يُجعل فرحون صفة كلّ على انّ الخبر من الّذين فرّقوا (٣٢) وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ شدّة دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ راجعين اليه من دعاء غيره ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً خلاصا من تلك الشدّة إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ فاجأ فريق منهم الاشراك بربّهم الّذى عافاهم (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد كقوله فَتَمَتَّعُوا غير انّه التفت فيه مبالغة وقرئ وَلْيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ عاقبة تمتّعكم وقرئ بالياء على انّ تمتّعوا ماضٍ (٣٤) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا حجّة وقيل ذا سلطان اى ملكا معه برهان فَهُوَ يَتَكَلَّمُ تكلّم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحقّ او نطق بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ باشراكهم وصحّته او بالامر الّذى بسببه يشركون به فى الوهيّته (٣٥) وَإِذَا أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً نعمة من صحّة وسعة فَرِحُوا بِهَا بطروا بسببها وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ شدّة بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ بشؤم معاصيهم إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ فاجأوا القنوط من رحمته وقرأ ابو عمرو والكسائىّ بكسر النون (٣٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا فى السرّاء والضرّاء كالمؤمنين إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فيستدلّون بها على كمال القدرة والحكمة (٣٧) فَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ كصلة الرحم واحتجّ به الحنفيّة على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ما وُظّف لهما من الزكوة ، والخطاب

*

جزء ٢١ للنبىّ عم او لمن بسط له ولذلك رتّب على ما قبله بالفاء ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ذاته او
ركوع ٧ جهته اى يقصدون بمعروفهم ايّاه خالصا او جهة التقرّب اليه لا جهة اخرى وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ
حيث حصّلوا بما بسط لهم النعيم المقيم (٣٨) وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا زيادة محرّمة فى المعاملة او عطيّة يتوقّع
بها مزيد مكافأة ، وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربوا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ليزيد
ويزكو فى اموالهم فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه ، وقرأ نافع ويعقوب لِتُرْبُوا۟ اى لتزيدوا
او لتصيروا ذوى ربوا وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ تبتغون به وجهه خالصا فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ
ذوو الأضعاف من الثواب ونظير المُضْعِف المُقْوِى والمُوسِر لذى القوّة واليسار او الذين ضعّفوا ثوابهم
واموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سَنَن المقابلة عبارةً ونظما للمبالغة والالتفات
فيه للتعظيم كانّه خاطب به الملائكة وخواصّ الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانّه قال فمن فعل ذلك
فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت مَا موصولةً تقديره المضعفون به او فمؤتوه اولئك
هم المضعفون (٣٩) ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن
ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ اثبت له لوازمَ الالوهيّة ونفاها رأسا عمّا اتّخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها موكّدا
بالانكار على ما دلّ عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثمّ استنتج من ذلك تقدّسه عن ان يكون
له شركاء فقال سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم
والرابط من ذلكم لانّه بمعنى من افعاله ، ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم فى جنس الشركاء
والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفىّ وكلٌّ منها مستقلّة بتأكيد لتعجيز الشركاء ، وقرأ حمزة والكسائىّ
ركوع ٨ بالتاء (٤٠) ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة
ومحق البركات وكثرة المضارّ او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ وَٱلْبُحُورِ
بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ بشؤم معاصيهم او بكسبهم ايّاه وقيل ظهور الفساد فى البرّ بقتل قابيل اخاه
وفى البحر بأنّ جلندى ملك عمان كان يأخذ كلّ سفينة غصبا لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ بعض
جزائه فانّ تمامه فى الآخرة ، واللام للعلّة او للعاقبة ، وعن ابن كثير ويعقوب لِنُذِيقَهُم بالنون
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عمّا هم عليه (٤١) قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ
لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحقّقوا صدقه كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ استيناف للدلالة على انّ سوء
عاقبتهم كان لفشوّ الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك فى اكثرهم وما دونه من المعاصى فى قليل منهم
(٤٢) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ البليغ الاستقامة مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ لا يقدر ان يردّه احد
وقوله مِنَ ٱللَّهِ متعلّق بيأتى ويجوز ان يتعلّق بمردّ لانّه مصدر على معنى لا يردّه اللّه لتعلّق ارادته
القديمة بمجيئه يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ يتصدّعون اى يتفرّقون فريق فى الجنّة وفريق فى السعير كما قال

جزء ۲۱ (۴۳) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ اى وباله وهو النار المؤبّدة وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ يسوّون منزلا
ركوع ۸ فى الجنّة وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على الاختصاص (۴۴) لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
ٱلصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ علّة ليمهدون او ليصّدّعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانّه المقصود
بالذات والاكتفاء على فحوى قوله إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْكَافِرِينَ فانّ فيه اثبات البغض لهم والمحبّة للمؤمنين
۵ وتأكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ، ومن فضله دالّ على انّ
الاثابة تفضّل محض وتأويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر (۴۵) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ
الشمال والصبا والجنوب فانّها رياح الرحمة وامّا الدبور فريح العذاب ومنه قوله عم اللّهمّ اجعلها رياحا
ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائىّ ٱلرِّيحَ على ارادة الجنس مُبَشِّرَاتٍ بالمطر وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ
يعنى المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبّب عنها والرَّوْح الّذى هو مع هبوبها ،
۱۰ والعطف على علّة محذوفة دلّ عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلّل دلّ
عليه وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ يعنى تجارة البحر وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ولتشكروا نعمة اللّه
فيها (۴۶) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَٱنْتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا بالتدمير
وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ اشعار بانّ الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقّين على
اللّه ان ينصرهم وعنه عم ما من امرئ مسلم يردّ عن عرض اخيه الّا كان حقّا على اللّه ان يردّ عنه نار
۱۵ جهنّم ثمّ تلا ذلك وقد يوقف على حقّا على انّه متعلّق بالانتقام (۴۷) ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ
سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ متصلا تارة فِي ٱلسَّمَاءِ فى سمتها كَيْفَ يَشَاءُ سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب
دون جانب الى غير ذلك وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على انّه مخفّف او
جمع كسفة او مصدر وصف به فَتَرَى ٱلْوَدْقَ المطر يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فى التارتين فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ يعنى بلادهم واراضيهم إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ بمجيء الخصب (۴۸) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ
۲۰ المطر مِنْ قَبْلِهِ تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل الضمير للمطر
او السحاب او الارسال لَمُبْلِسِينَ لآيسين (۴۹) فَٱنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ اثر الغيث من النبات والاشجار
وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائىّ وحفص كَيْفَ يُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وقرئ
بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة إِنَّ ذَلِكَ يعنى الّذى قدر على احياء الارض بعد موتها لَمُحْيِي ٱلْمَوْتَى
لقادر على احيائهم فانّه احداث لمثل ما كان فى موادّ ابدانهم من القوى الحيوانيّة كما انّ احياء الارض احداث
۲۵ لمثل ما كان فيها من القوى النباتيّة هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراجعة ما يكون من

جزء ٢١ موادّ ما تفتّتت وتبدّدت من جنسها فى بعض الاعوام السالفة وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لانّ نسبة قدرته
ركوع ٨ الى جميع الممكنات على سواء (٥٠) وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا فرأوا الاثر او الزرع فانّه مدلول عليه
بما تقدّم وقيل السحاب لانّه اذا كان مصفرًّا لم يمطر، واللامُ موطّئة للقسم دخلت على حرف الشرط
وقوله لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ جوابٌ سدّ مسدّ الجزاء ولذلك فُسّر بالاستقبال، وهذه الآية ناعية
على الكفّار بقلّة تثبّتهم وعدم تدبّرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكّرهم وسوء رأيهم فانّ النظر السوىّ
يقتضى ان يتوكّلوا على اللّه ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولا ييئسوا من رحمته
وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا فى الاستبشار وان يصبروا على
بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولا يكفروا نعمه (٥١) فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وهم مثلهم لما سدّوا على
الحقّ مَشاعرَهم وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ قيّد الحكم به ليكون اشدّ استحالة فانّ
الاصمَّ المُقبِل وان لم يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيئًا، وقرأ ابن كثير بالياء مفتوحة
ورفع الصمّ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي ٱلْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ سمّاهم عُميا لفقدهم المقصودَ الحقيقىَّ من الابصار
او لعَمى قلوبهم وقرأ حمزة وحده تَهْدِى ٱلْعُمْىَ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فانّ ايمانهم يدعوهم الى
تلقّى اللفظ وتدبّر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المُشارِف للايمان فَهُمْ مُسْلِمُونَ لما تأمرهم به
ركوع ٩ (٥٣) ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضُعْفٍ اى ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق
الانسان ضعيفا او خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضُعْفٍ قُوَّةً وذلك اذا بلغتم
الحُلُم او تعلّق بأبدانكم الروح ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا وَشَيْبَةً اذا اخذ منكم السنّ، وفتح
عاصم وحمزة الضاد فى جميعها والضمّ اقوى لقول ابن عمر قرأتها على رسول اللّه صلعم مِنْ ضَعْفٍ فأقرأنى
مِنْ ضُعْفٍ وهما لغتان كالفَقْر والفُقْر والتنكيرُ مع التكرير لانّ المتأخّر ليس عينَ المتقدّم يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ
من ضعف وقوّة وشيبة وشيبة وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ فانّ الترديد فى الاحوال المختلفة مع امكان غيره
دليل العلم والقدرة (٥٤) وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ القيامة سمّيت بها لانّها تقوم فى آخر ساعة من ساعات
الدنيا او لانّها تقع بغتة وصارت علَما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ (٥٥) مَا لَبِثُوا
فى الدنيا او فى القبور او فى ما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث ما بين فناء
الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايّام والاعوام غَيْرَ سَاعَةٍ استقلّوا مدّة لبثهم اضافةً الى
مدّة عذابهم فى الآخرة او نسيانا كَذَٰلِكَ مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كَانُوا يُؤْفَكُونَ
يُصْرَفون فى الدنيا (٥٦) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَانَ من الملائكة والانس لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَابِ ٱللَّهِ فى
علمه او قضائه او ما كتبه لكم اى اوجبه او اللوح او القران وهو قوله ومن ورائهم برزخ

جزء ٢١ ركوع ٩

إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ردّوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ ٱلذى انكرتموه وَلَٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أنّه حقّ لتفريطكم فى النظر ، والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اى فقد تبيّن بطلان انكاركم (٥٧) فَيَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وقرأ الكوفيّون بالياء لانّ المعذرة بمعنى العذر او لانّ تأنيثها غير حقيقىّ وقد فصل بينهما وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ لا يُدْعَوْن الى ما يقتضى إعتابهم اى إزالة عَتْبهم من التوبة والطاعة كما دُعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فأعتبته اى استرضانى فأرضيته (٥٨) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات الّتى هى فى الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بيّنّا لهم من كلّ مثل ينبّههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ من آيات القران لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم إِنْ أَنْتُمْ يعنون الرسول والمؤمنين إِلَّا مُبْطِلُونَ مزوّرون (٥٩) كَذَٰلِكَ مثل ذلك الطبع يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لا يطلبون العلم ويُصرّون على خُرافات اعتقدوها فانّ الجهل المركّب يمنع ادراك الحقّ ويوجب تكذيب المُحِقّ (٦٠) فَٱصْبِرْ على اذاهم إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ بنصرتك واظهار دينك على الدين كلّه حَقٌّ لا بدّ من انجازه وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ولا يحملنّك على الخفّة والقلق ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ بتكذيبهم وإيذائهم فانّهم شاكّون ضالّون لا يُستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يَسْتَحِقَّنَّكَ اى لا يُزيغنّك فيكونوا احقّ بك من المؤمنين ، عن رسول اللّه صلعم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كلّ ملك سبّح اللّه بين السماء والارض وادرك ما ضيّع فى يومه وليلته ٭

سُورَةُ لُقْمَانَ

مكّيّة الّا آية الّذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وقيل الّا ثلثا من قول ولو انّ ما فى الارض من شجرة اقلام وآيها اربع وثلثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١٠

(١) الٓمٓ تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْحَكِيمِ سبق بيانه فى يونس (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ حالان عن الآيات والعاملُ فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبرِ لمحذوف (٣) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلاث من شُعَبه لفضل اعتداد بها وتكريرُ الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى

جزء ٢١ مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ لاستجماعهم العقيدة الحقّة والعمل الصالح (٥) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ
ركوع ١٠ ٱلْحَدِيثِ ما يُلْهِى عمّا يَعْنِى كالاحاديث الّتى لا اصل لها والاساطير الّتى لا اعتبار بها والمضاحك وفضول
الكلام والاضافة بمعنى مِنْ وهى تبيينيّة ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضيّة ان اراد به الاعمّ منه وقيل
نزلت فى النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدّث بها قريشا ويقول ان كان محمّد
يحدّثكم بحديث عاد وثمود فانا احدّثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشترى
القيان ويحملهنّ على معاشرة من اراد الاسلام ومَنْعه عنه لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ دينه او قراءة كتابه ،
وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بِغَيْرِ عِلْمٍ بحال ما يشتريه او
بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القران وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ويتّخذ السبيل سخريّة وقد نصبه حمزة
والكسائىّ ويعقوب وحفص عطفا على ليضلّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ لاهانتهم الحقّ باستيثار الباطل عليه
(٦) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا متكبّرا لا يعبأ بها كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا مشابها حاله حال من لم
يسمعها كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْرًا مشابها من فى اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكنّ فى
ولّى او مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكنّ فى لم يسمعها ويجوز ان تكونا استينافيّين ،
وقرأ نافع فى أُذْنَيْهِ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أعلمه بانّ العذاب يحيق به لا محالة وذكر البشارة على التهكّم
(٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ ٱلنَّعِيمِ اى لهم نعيم الجنّات فعكس للمبالغة
(٨) خَالِدِينَ فِيهَا حال من الضمير فى لهم او من جنّات والعامل ما تعلّق به اللام وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا
مصدران مؤكّدان الاوّل لنفسه والثانى لغيره لانّ قوله لهم جنّات وعدٌ وليس كلّ وعد حقّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
الّذى لا يغلبه شىء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده ٱلْحَكِيمُ الّذى لا يفعل الّا ما يستدعيه حكمته
(٩) خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا قد سبق فى الرعد وَأَلْقَى فِى ٱلْأَرْضِ رَوَاسِىَ جبالا شوامخ
أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ كراهة ان تميد بكم فانّ تشابه اجزائها يقتضى تبدّل احيازها واوضاعها لامتناع
اختصاص كلّ منها لذاته او لشىء من لوازمه بحيّز ووضع معيّنين وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ من كلّ صنف كثير المنفعة وكأنّه استدلّ بذلك على
عزّته الّتى هى كمال القدرة وحكمته الّتى هى كمال العلم ومهّد به قاعدة التوحيد وقرّرها بقوله
(١٠) هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِنْ دُونِهِ هذا الّذى ذكر مخلوقه فما ذا خلق آلهتكم
حتّى استحقّوا مشاركته ، وما ذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته وأرونى معلّق عنه
بَلِ ٱلظَّالِمُونَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ إضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الّذى لا يخفى على

جزء ۲۱ ركوع ۱۱

ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انّهم ظالمون باشراكهم (١١) وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ ٱلْحِكْمَةَ يعنى لقمان بن باعوراء من اولاد آزر ابن اخت ايّوب او خالته وعاش حتّى ادرك داود وأخذ منه العلم وكان يُفتى قبل مَبْعَثه والجمهورُ على انّه كان حكيما ولم يكن نبيّا والحكمةُ فى عُرف العلماء استكمال النفس الانسانيّة باقتباس العلوم النظريّة واكتساب الملكة التامّة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته أنّه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلمّا اتمّها لبسها وقال نِعْمَ لبوسُ الحرب انتِ فقال الصمتُ حُكْمٌ وقليلٌ فاعلُه وأنّ داود عليه السلام قال له يوما كيف اصبحت قال اصبحت فى يدَىْ غيرى فتفكّر داود فيه فصعق صعقة وأنّه امره بأن يذبح شاة ويأتى بأطيب مُضْغتين منها فأتى باللسان والقلب ثمّ بعد ايّام امره بأن يأتى بأخبث مضغتين منها فأتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيبُ شىء اذا طابا واخبثُ شىء اذا خبثا أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ لأن اشكرْ او اى اشكرْ فانّ ايتاء الحكمة فى معنى القول وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ فانّ نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ لا يحتاج الى الشكر حَمِيدٌ حقيق بالحمد وان لم يُحْمَد او محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِ أَنْعَم او أَشْكَم او ماثان وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ تصغيرُ اشفاق وقرأ ابن كثير هنا وفى يا بنى اقم الصلوة باسكان الياء وحفص فيهما وفى يا بنىّ انّها ان تك بفتح الياء والبزّى مثله فى الاخير وقرأ الباقون فى الثلاثة بكسر الياء لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ قيل كان كافرا فلم يزل به حتّى اسلم ، ومن وقف على لا تشرك جعل باللّه قسما إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ لانّه تسوية بين من لا نعمة الّا منه ومن لا نعمة منه (١٣) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا ذاتَ وهن او تَهِن وهنا عَلَى وَهْنٍ اى تضعف ضعفا فوق ضعف فانّها لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة فى موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وَهَن يَهِن وَهْنا ووَهِن يَوْهَن وَهَنا وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ وفطامه فى انقضاء عامين وكانت ترضعه فى تلك المدّة وقرئ وَفَصْلُهُ وفيه دليل على انّ اقصى مدّة الرضاع حولان أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ تفسير لوصّينا او علّة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكرُ الحمل والفصال فى البين اعتراضٌ مؤكّدٌ للتوصية فى حقّها خصوصا ومن ثمّ قال عم لمن قال له مَنْ أَبَرُّ أُمّك ثمّ أُمّك ثمّ أُمّك ثمّ قال بعد ذلك ثمّ اباك إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ فأحاسبك على شكرك وكفرك (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفى العلم به نَفْيَه فَلَا تُطِعْهُمَا فى ذلك وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم وَٱتَّبِعْ فى الدين سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ بالتوحيد والاخلاص فى الطاعة ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ مرجعك ومرجعهما فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بأن اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما ، والآيتان معترضتان فى

جزء ٢١ تضاعيف وصيّة لقمان تأكيدا لما فيها من النهى عن الشرك كانّه قال وقد وصّينا بمثل ما وصّى به
ركوع ١١ ونكر الوالدين للمبالغة فى ذلك فانّهما مع انّهما تِلْو البارئ فى استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز
ان يستحقّاه فى الاشراك فما ظنّك بغيرهما ونزولُهما فى سعد بن ابى وقّاص وأمّه مكثت لاسلامه ثلاثا لا
تطْعم فيها شيئًا ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر فانّه اسلم بدعوته (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ
حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ اى انّ الخصلة من الاحسان او الاساءة ان تك مثلا فى الصغر كحبّة الخردل ورفع نافع
مثقال على انّ الهاء ضمير القصّة وكان تامّة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبّة كقول الشاعر • كما شَرِقَتْ
صَدْرُ القناةِ من الدمِ • او لانّ المراد به الحسنة او السيّئة فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ
فى اخفى مكان وأحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدّب السموات او اسفله كمقعّر الارض ، وقرئ
بكسر الكاف من وَكَنَ الطائرُ اذا استقرّ فى وُكْنته يَأْتِ بِهَا اللّٰهُ يحضرها فيحاسب عليها إِنَّ اللّٰهَ لَطِيفٌ
يصل علمه الى كلّ خفىّ خَبِيرٌ عالم بكنهه (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ تكميلا لنفسك وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ
عَنِ الْمُنْكَرِ تكميلا لغيرك وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ من الشدائد سيّما فى ذلك إِنَّ ذٰلِكَ الاشارة الى الصبر او
الى كلّ ما أُمر به مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ممّا عزمه اللّه من الامور اى قطعه قَطْعَ ايجاب مصدرٌ اطلق للمفعول
ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عَزَمَ الامرُ اى جدّ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ لا تُمِلْه
عنهم ولا تولّهم صفحة وجهك كما يفعل المتكبّرون من الصَعَر وهو الصَيَد داء يعترى البعير فيلوى
عنقه وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائىّ وَلَا تُصَاعِرْ وقرئ تُصْعِرْ والكلّ واحد مثل علّاه وأعلاه وعالاه
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا اى فَرِحا مصدرٌ وقع موقع الحال او تمرحُ مرحا او لاجل المرح والبطر
إِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ علّة للنهى وتأخيرُ الفخور وهو مقابل للمصعّر خدّه والمختالُ للماشى
مرحا لتوافق رءوس الآى (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ توسّطْ فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عم سرعة المشى
تُذْهِب بهاء المؤمن وقولُ عائشة فى عمر رضى اللّه عنهما كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت ،
وقرئ بقطع الهمزة من أقصد الرامى اذا سدّد سهمه نحو الرميّة وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ وانقصْ منه واقصرْ
إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ اوحشها لَصَوْتُ الْحَمِيرِ والحمار مَثَل فى الذمّ سيّما نُهاقه ولذلك يُكنّى عنه فيقال
الطويل الاذنين وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثمّ إخراجه مخرجَ الاستعارة مبالغةٌ شديدةٌ ، وتوحيدُ
ركوع ١٢ الصوت لانّ المراد تفضيل الجنس فى النكير دون الآحاد او لانّه مصدر فى الاصل (١٩) أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللّٰهَ سَخَّرَ
لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ بأن جعله اسبابا محصّلة لمنافعكم وَمَا فِي الْأَرْضِ بأن مكّنكم من الانتفاع به بوسط
او غير وسط وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مرّ
شرح النعمة وتفصيلها فى الفاتحة ، وقرئ وَأَصْبَغَ بالابدال وهو جارٍ فى كلّ سين اجتمع مع الغين او الخاء

او القاف كصلح وصَقْر وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نِعَمَهُ بالجمع والاضافة وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِى ٱللَّهِ جزء ٢١
فى توحيده وصفاته بِغَيْرِ عِلْمٍ مستفاد من دليل وَلَا هُدًى راجع الى رسول وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ انزله الله بل ركوع ١٣
بالتقليد كما قال (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وهو منع
صريح من التقليد فى الاصول أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ يحتمل ان يكون الضمير لهم ولآبائهم
٥ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ الى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك ، وجوابُ لَوْ محذوف مثل لاتّبعوه والاستفهام
للانكار والتعجّب (٢١) وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى ٱللَّهِ بأن فوّض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمتُ
المتاعَ الى الزبون ويؤيّده القراءة بالتشديد وحيث عُدّى باللام فلتضمّن معنى الاخلاص وَهُوَ مُحْسِنٌ
فى عمله فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ تعلّق بأوثق ما يُتعلّق به وهو تمثيل للمتوكّل المشتغل بالطاعة
بمن اراد ان يترقّى الى شاهق جبل فتمسّك باوثق عُرى الحبل المتدلّى منه وَإِلَى ٱللَّهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ الكلّ
١٠ صائر اليه (٢٢) وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ فانّه لا يضرّك فى الدنيا والآخرة وقرئ فَلَا يُحْزِنْكَ من أحزن
وليس بمستفيض إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فى الدارين فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا بالاهلاك والتعذيب إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ فمجازٍ عليه فضلا عمّا فى الظاهر (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا تمتيعا او زمانا قليلا فانّ ما يزول بالنسبة
الى ما يدوم قليل ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ يثقل عليهم ثِقَلَ الاجرام الغلاظ او يضمّ الى الاحراق
الضَغْط (٢٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ لوضوح الدليل المانع من إسناد
١٥ الخلق الى غيره بحيث اضطرّوا الى اذعانه قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب
بطلان معتقدهم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ انّ ذلك يلزمهم (٢٥) لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لا يستحقّ
العبادة فيهما غيره إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ عن حمد الحامدين ٱلْحَمِيدُ المستحقّ للحمد وان لم يحمد
(٢٦) وَلَوْ أَنَّ مَا فِى ٱلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ولو ثبت كونُ الاشجار اقلاما وتوحيدُ شجرة لانّ المراد
تفصيل الآحاد وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ والبحر المحيط بسعته مدادا ممدودا بسبعة ابحر
٢٠ فأغنى عن ذكر المداد يمدّه لانّه من مدّ الدواة وأمدّها ورفعه للعطف على محلّ أنّ ومعمولها ويمدّه
حال او الابتداء على انّه مستأنف او الواو للحال ونصبه البصريّان بالعطف على اسم أنّ او اضمار
فعل يفسّره يمدّه ، وقرئ تَمُدُّهُ ويُمِدُّهُ بالياء والتاء مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ ٱللَّهِ بكتبها بتلك الاقلام بذلك
المداد ، وايثار جمع القلّة للاشعار بانّ ذلك لا يفى بالقليل فكيف بالكثير إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ لا يُعجزه شىء
حَكِيمٌ لا يخرج عن علمه وحكمته امرٌ ، والآية جواب لليهود سألوا رسول الله صلعم او امروا وفد

جزء ۲۱ قريش ان يسألوه عن قوله تعالى وما اوتيتم من العلم الّا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كلّ شیء
رکوع ۱۲ (۲۷) مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ الّا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شأنٌ عن شأن لانّه يكفى
لوجود الكلّ تعلّق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتيّة كما قال انّما أَمْرُنا لشیء اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ يسمع كلّ مسموع بَصِيرٌ يبصر كلّ مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك
الخلق (۲۸) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
كلّ من النيّرين يجرى فى فلكه إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى الى منتهى معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر
الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لأجل مسمّى انّ الاجل هٰهنا منتهى الجرى وثمّ
غرضه حقيقةً او مجازا وكلا المعنيين حاصل فى الغايات وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ عالم بكنهه (۲۹) ذَٰلِكَ
اشارة الى الّذى ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارئ بها بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ
بسبب انّه الثابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الٰهيّته وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَاطِلُ
المعدوم فى حدّ ذاته لا يوجد ولا يتّصف الّا بجعله او الباطل الٰهيّته ، وقرأ البصريّان والكوفيّون غير
رکوع ۱۳ ابى بكر بالياء وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ مترفّع عن كلّ شیء ومتسلّط عليه (۳۰) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي
فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ باحسانه فى تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته
وشمول انعامه ، والباء للصلة او الحال ، وقرئ ٱلْفُلُكَ بالتثقيل وبِنِعْمَاتِ ٱللَّهِ بسكون العين وقد جوّز
فى مثله الكسر والفتح والسكون لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ دلائله إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ على المشاقّ
فيتعب نفسه بالتفكّر فى الآفاق والانفس شَكُورٍ يعرف النعم ويتعرّف مانحها او للمؤمنين فانّ الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر (۳۱) وَإِذَا غَشِيَهُم علاهم وغطاهم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ كما يظلّ من جبل او
سحاب او غيرهما وقرئ كَٱلظِّلَالِ جمع ظُلّة كقُلّة وقلال دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لزوال ما ينازع
الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ مقيم على
الطريق القصد الّذى هو التوحيد او متوسّط فى الكفر لانزجاره بعض الانزجار وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا
كُلُّ خَتَّارٍ غدّار فانّه نقض للعهد الفطرىّ او لما كان فى البحر والختر اشدّ الغدر كَفُورٍ للنعم
(۳۲) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ لا يقضى عنه وقرئ لا يُجْزِئُ من
اجزأ اذا اغنى ، والراجع الى الموصوف محذوف اى لا يجزى فيه وَلَا مَوْلُودٌ عطف على والد او مبتدأ خبره
هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا وتغيير النظم للدلالة على انّ المولود اولى بأن لا يجزى وقطع طمع مَن توقّع من

جزء ٢١ ركوع ١٣

المؤمنين ان ينفع اباه الكافر فى الآخرة (٣٣) إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ بالثواب والعقاب حَقٌّ لا يمكن خُلْفه فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ الشيطان بأن يُرجيكم التوبة والمغفرة فيجسّركم على المعاصى (٣٤) إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ علمُ وقت قيامها لما رُوى انّ الحارث بن عمرو اتى رسول اللّه فقال متى قيام الساعة وإنّى قد القيت حَبّاتى فى الارض فمتى السماء تمطر وحَمْل امرأتى أذكرٌ ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ فى إبّانه المقدّر له والمحلّ المعيّن له فى علمه ، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ اذكر ام انثى اتامّ ام ناقص وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا من خير او شرّ وربّما تعزم على شىء وتفعل خلافه وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ كما لا تدرى فى اىّ وقت تموت روى انّ ملك الموت مرّ على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانّه يريدنى فمُر الريح ان تحملنى وتلقينى بالهند ففعل فقال الملك كان دوامُ نظرى اليه تعجّبا منه اذ أُمِرْتُ ان اقبض روحه بالهند وهو عندك ، وانّما جعل العلم للّه والدراية للعبد لانّ فيها معنى الحيلة فيُشعر بالفرق بين العلمين ويدلّ على انّه ان اعمل حِيَلَه وانفد فيها وُسْعَه لم يعرف ما هو أَلحقُ به مِنْ كسبه وعاقبته فكيف بغيره ممّا لم ينصب له دليل عليه ، وقرئ بأَيّة أرضٍ وشبّه سيبويه تأنيثها بتأنيث كُلّ فى كُلّتهنّ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ يعلم الاشياء كلّها خَبِيرٌۢ يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها ، وعنه عم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة وأُعطى من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر ،

سُورَةُ ٱلسَّجْدَةِ

مكيّة وآيها ثلثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١٤

(١) الٓمٓ ان جُعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبرُه تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ على انّ التنزيل بمعنى المنزّل وان جُعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبرَ محذوف او مبتدأ خبرُه لَا رَيْبَ فِيهِ فيكون مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ حالا من الضمير فى فيه لانّ المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حالٌ من الكتاب او اعتراضٌ والضمير فى فيه لمضمون الجملة ويؤيّده (٢) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ فانّه انكار لكونه من ربّ العالمين وقوله بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فانّه تقرير له ونظمُ الكلام على هذا أنّه اشار أوّلا الى الاعجاز ثمّ رتّب عليه انّ تنزيله من ربّ العالمين وقرّر ذلك بنفى الريب عنه ثمّ اضرب عن ذلك الى ما يقولون

جزء ٢١ ركوع ١٤

فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فانّ أَمْ منقطعة ثمّ اضرب عنه الى اثبات انّه الحقّ المنزل من اللّه وبيّن المقصود من تنزيله فقال لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ اذ كانوا اهل الفترة لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ بانذارك ايّاهم (٣) اَللّٰهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ مرّ بيانه فى الاعراف مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ما لكم اذا جاوزتم رضا اللّه احدٌ ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولىّ ولا شفيع بل هو الّذى يتولّى مصالحكم وينصركم فى مواطن نصركم على انّ الشفيع متجوّزٌ به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولىّ ولا ناصر أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ بمواعظ اللّه (٤) يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ يدبّر امر الدنيا بأسباب سماويّة كالملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ثمّ يصعد اليه ويثبت فى علمه موجودا فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ فى برهة من الزمان متطاولة يعنى بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبّر الامر باظهاره فى اللوح فينزل به الملك ثمّ يعرج اليه فى زمان هو كالف سنة لانّ مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فانّ ما بين السماء والارض مسيرة خمس مائة سنة وقيل يقضى قضاء الف سنة فينزل به الملك ثمّ يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبّر الامر الى قيام الساعة ثمّ يعرج اليه الامر كلّه يوم القيٰمة وقيل يدبّر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحى ثمّ لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الّا فى مدّة متطاولة لقلّة المخلصين والاعمال الخُلّص ، وقرئ يُعْرَجُ ويَعُدُّونَ (٥) ذٰلِكَ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ فيدبّر امرهما على وفق الحكمة ٱلْعَزِيزُ الغالب على امره ٱلرَّحِيمُ على العباد فى تدبيره وفيه ايماء بانّه يراعى المصالح تفضّلا واحسانا (٦) ٱلَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ خَلَقَهُ موفّرا عليه ما يستعدّ له ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخَلْقَهُ بدل من كلّ بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قولهم قيمة المرء ما يُحْسِنه اى يُحْسِن معرفته وخَلْقَهُ مفعول ثانٍ وقرأ نافع والكوفيّون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاوّل مخصوص بمنفصل وعلى الثانى بمتّصل وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنْسَانِ يعنى آدم مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ ذرّيّته سمّيت به لانّها تنسل منه اى تنفصل مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ممتهن (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ قوّمه بتصوير اعضائه على ما ينبغى وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ اضافه الى نفسه تشريفا له واشعارا بانّه خلقٌ عجيب وانّ له شأنا له مناسبةٌ ما الى الحضرة الربوبيّة ولاجله قيل من عرف نفسه فقد عرف ربّه وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ تشكرون شكرا قليلا (٩) وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ اى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا يتميّز منه او غبنا فيها وقرئ ضَلِلْنَا بالكسر من ضَلّ يضَلّ وصَلَلْنَا من صَلّ اللحمُ اذا انتن وقرأ ابن عامر إِذَا على الخبر والعاملُ فيه ما دلّ عليه أَئِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ وهو نُبْعَث او يجدّد خَلْقُنا وقرأ نافع والكسائىّ ويعقوب إِنَّا على

الخبر ، والقائل أُبَيّ بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به (١٠) بَلْ هُمْ بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ بالبعث او بتلقّى جزء ٢١
ملك الموت وما بعده كَافِرُونَ جاحدون (١١) قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ يستوفى نفوسكم لا يترك منها شيئا ولا ركوع ١٤
يُبْقِى منكم احدا والتفعّل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقضّيته واستقضيته وتعجّلته واستعجلته
مَلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ لقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ للحساب والجزاء
٥ (١٢) وَلَوْ تَرَى إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ من الحياء والخزى رَبَّنَا قائلين ربّنا أَبْصَرْنَا ركوع ١٥
ما وعدتنا وَسَمِعْنَا منك تصديق رسلك فَارْجِعْنَا الى الدنيا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ اذ لم يبق لنا
شكّ بما شاهدنا ، وجوابُ لَوْ محذوف تقديره لرأيتَ امرا فظيعا ويجوز أن تكون للتمنّى والمضىّ
فيها وفى إِذْ لانّ الثابت فى علم اللّه بمنزلة الواقع ، ولا يقدّر لترى مفعول لانّ المعنى لو يكون منك رؤية
فى هذا الوقت او يقدّر ما دلّ عليه صلةُ اذ والخطابُ للرسول او لكلّ احد (١٣) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ
١٠ نَفْسٍ هُدَاهَا ما تهتدى به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ثبت قضائى
وسبق وعيدى وهو لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم
المشيئة المسبَّب عن سبق الحكم بأنّهم من اهل النار ولا يدفعه جَعْلُ ذوق العذاب مسبَّبا عن
نسيانهم العاقبةَ وعدمِ تفكّرهم فيها بقوله (١٤) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا فانّه من الوسائط
والاسباب المقتضية له إِنَّا نَسِينَاكُمْ تركناكم من الرحمة او فى العذاب تَرْكَ المنسىّ وفى استينافه
١٥ وبناء الفعل على إنّ واسمها تشديدٌ فى الانتقام منهم وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
كرّر الامر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيّئة من التكذيب
والمعاصى كما علّله بتركهم تدبّر امر العاقبة والتفكّر فيها دلالةً على انّ كلّا منهما يقتضى ذلك
(١٥) إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا وُعظوا بها خَرُّوا سُجَّدًا خوفا من عذاب اللّه وَسَبَّحُوا
نزّهوه عمّا لا يليق به كالعجز عن البعث بِحَمْدِ رَبِّهِمْ حامدين له شكرا على ما وفّقهم للاسلام وآتاهم
٢٠ الهدى وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عن الايمان والطاعة كما يفعل من يُصِرّ مستكبرا (١٦) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ ترتفع
وتتنحّى عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ الفُرش ومواضع النوم يَدْعُونَ رَبَّهُمْ داعين ايّاه خَوْفًا من سخطه وَطَمَعًا فى رحمته
وعن النبىّ صلعم فى تفسيرها قيامُ العبد من الليل وعنه عم اذا جمع اللّه الاوّلين والآخرين فى صعيد
واحد جاء منادٍ ينادى بصوت يُسْمِع الخلائق كلّهم سيَعْلم اهلُ الجمعِ اليومَ مَنْ أَوْلَى بالكرم ثمّ يرجع
فينادى ليقم الّذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثمّ يرجع فينادى ليقم
٢٥ الّذين كانوا يحمدون اللّه فى البأساء والضرّاء فيقومون وهم قليل فيسرّحون جميعا الى الجنّة ثمّ
يحاسب سائر الناس وقيل كان أُناسٌ من الصحابة يصلّون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم

جزء ٢١ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فى وجوه الخير (١٧) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِىَ لَهُمْ لا ملك مقرّب ولا نبىّ مرسل
ركوع ١٥ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ممّا تقرّ به عيونهم وعنه عم يقول اللّه اعددتُ لعبادى الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا اذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر بَلْهَ ما أَطْلعتُهم عليه اقرءوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم وقرأ حمزة ويعقوب أُخْفِى على انّه مضارعُ اخفيت وقرئ نُخْفِى وأَخْفَى والفاعل للكلّ هو اللّه تعالى وقرّات أَعْيُن لاختلاف انواعها ، والعلم بمعنى المعرفة ، وما موصولة او استفهاميّة معلّق عنها الفعل جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اى جُزوا جزاء او أُخْفِى للجزاء فانّ اخفاءه لعلوّ شأنه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فأخفى اللّه ثوابهم (١٨) أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا خارجا عن الايمان فى الشرف والمثوبة لَا يَسْتَوُونَ تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى (١٩) أَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ ٱلْمَأْوَى فانّها المأوى الحقيقىّ والدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنّة من الجنان نُزُلًا سبق فى آل عمران بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بسبب اعمالهم او على اعمالهم (٢٠) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ ٱلنَّارُ مكانَ جنّة المأوى للمؤمنين كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا عبارة عن خلودهم فيها وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ اهانةً لهم وزيادةً فى غيظهم (٢١) وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَى عذاب الدنيا يريد ما مُحنوا به من السَنَة سبع سنين والقتل والاسر دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ عذاب الآخرة لَعَلَّهُمْ لعلّ من بقى منهم يَرْجِعُونَ يتوبون عن الكفر رُوى انّ الوليد بن عُقْبة فاخَرَ عليّا رضه يوم بدر فنزلت هذه الآيات (٢٢) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا فلم يتفكّر فيها ، وثُمّ لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلًا كما فى بيت الحماسة

ولا يَكْشِفُ الغَمّآءَ إلّا ابنُ حُرّةٍ   يَرَى غَمَراتِ الموت ثُمّ يزورُها

ركوع ١٦ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ فكيف ممّن كان اظلم من كلّ ظالم (٢٣) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ كما آتيناك فَلَا تَكُنْ فِى مِرْيَةٍ فى شكّ مِنْ لِقَائِهِ من لقائك الكتاب كقوله وانّك لتُلقّى القرآنَ فانّا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قطّ حتّى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى وعنه عم رأيتُ ليلةَ أُسْرِىَ بى موسى رجلا آدم طُوالا جَعْدا كانّه من رجال شَنُوءة وَجَعَلْنَاهُ اى المنزل على موسى هُدًى لِبَنِى إِسْرَائِيلَ (٢٤) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ الناسَ الى ما فيه من الحِكَم والاحكام بِأَمْرِنَا ايّاهم به او بتوفيقنا له لَمَّا صَبَرُوا وقرأ حمزة والكسائىّ ورُوَيس لِمَا صَبَرُوا اى لصبرهم على الطاعة اوعن الدنيا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ لإمعانهم فيها النظر (٢٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ

جزء ٢١ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ يقضى فيميّز الحقّ من الباطل بتمييز المُحِقّ من المُبْطِل فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
ركوع ١٦ من امر الدين (٢٦) أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ الواو للعطف على منويّ من جنس المعطوف والفاعلُ ضميرُ ما دلّ عليه
كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ ٱلْقُرُونِ اى كثرةُ مَنْ اهلكناهم من القرون الماضية او ضميرُ اللّه بدليل القراءة
بالنون يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ يعنى اهل مكّة يمرّون فى متاجرهم على ديارهم وقرئ يُمَشُّونَ بالتشديد
٥ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ سماعَ تدبّرٍ واتّعاظ (٢٧) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ
ٱلَّتِي جُرِزَ نباتُها اى قُطع وأُزيل لا الّتى لا تنبت لقوله فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا وقيل اسم موضع باليمن تَأْكُلُ
مِنْهُ من الزرع أَنْعَامُهُمْ كالتبن والورق وَأَنْفُسُهُمْ كالحبّ والثمر أَفَلَا يُبْصِرُونَ فيستدلّون به على كمال
قدرته وفضله (٢٨) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هٰذَا ٱلْفَتْحُ النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربّنا افتح بيننا
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى الوعد به (٢٩) قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ
١٠ وهو يوم القيٰمة فانّه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكّة والمرادُ
بالّذين كفروا المقتولون منهم فيه فانّهم لا ينفعهم ايمانهم حالَ القتل ولا يُمْهَلون ، وانطباقُه جوابا على
سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عُرف من غرضهم فانّهم لمّا ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء
أُجيبوا بما يمنع الاستعجال (٣٠) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ولا تُبالِ بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وَٱنْتَظِرْ
النصرةَ عليهم إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ الغلبةَ عليك وقرئ بالفتح على معنى انّهم احقّاء بأن يُنْتَظر هلاكهم او
١٥ انّ الملائكة ينتظرونه ، عن النبىّ صلعم من قرأ الم تنزيل وتبارك الّذى بيده الملك أُعْطى من الاجر
كانّما أَحْيى ليلةَ القدر وعنه من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايّام ٥

سُورَةُ ٱلْأَحْزَابِ

مدنيّة وآيها ثلث وسبعون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٢٠ (١) يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللّٰهَ ناداه بالنبىّ وأمره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمرادُ به الامر ركوع ١٧
بالثبات عليه ليكون مانعا له عمّا نُهى عنه بقوله وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ فيما يعود بوَهْن فى
الدين رُوى انّ ابا سفيان وعكرمة بن ابى جهل وأبا الاعور السلمىّ قدموا عليه فى الموادعة الّتى كانت
بينه وبينهم وقام معهم ابن أُبىّ ومعتّب بن قُشَيْر والجدّ بن قَيْس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقلْ انّ
لها شفاعة وندعك وربّك فنزلت إِنَّ ٱللّٰهَ كَانَ عَلِيمًا بالمصالح والمفاسد حَكِيمًا لا يحكم الّا بما يقتضيه

جزء ٢١ ركوع ١٧

الحكمة (٢) وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ كالنّهى عن طاعتهم إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا فموحٍ اليك ما تصلح به اعمالك ويُغْنى عن الاستماع الى الكفرة ، وقرأ ابو عمرو بالياء على انّ الواو ضمير الكفرة والمنافقين اى انّ اللّه خبير بمكايدهم فيدفعها عنك (٣) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وكِلْ امرك الى تدبيره وَكَفَى بِٱللَّهِ وَكِيلًا موكولا اليه الامورُ كلّها (٤) مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ اى ما جمع قلبين فى جوف لانّ القلب معدنُ الروح الحيوانىّ المتعلّق للنفس الانسانىّ اوّلا ومنبعُ القُوَى بأسرها وذلك يمنع التعدّد وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱللَّائِي تُظَّهَّرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ وما جمع الزوجيّةَ والامومةَ فى امرأة ولا الدعْوةَ والبنوّةَ فى رجل والمرادُ بذلك ردُّ ما كانت العرب تزعم من انّ اللبيبَ الاريبَ له قلبان ولذلك قيل لأبى مَعْمَر او جميل بن اسد الفهْرىّ ذو القلبين والزوجةُ المظاهَرُ عنها كالامّ ودعىُّ الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبىّ عتيقِ رسول اللّه صلعم ابنُ محمّد او المرادُ نفى الامومة والبنوّة عن المظاهَر عنها والمتبنَّى ونفىُ القلبين لتمهيد اصل يُحْمَلان عليه والمعنى كما لم يجعل اللّه قلبين فى جوف لأدائه الى تناقض وهو ان يكون كلّ منهما اصلا لكلّ القُوَى وغيرَ اصل لم يجعل الزوجةَ والدعىَّ اللّذين لا ولادة بينهما وبينه امّه وابنَه اللّذين بينهما وبينه ولادة ، وقرأ ابو عمرو ٱللَّاي بالياء وحده على انّ اصله ٱللَّاء بهمزة مخفّفة وعن الحجازيّين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده ، وأصل تظّهّرون تتظهّرون فأدغمت التاء الثانية فى الظاء وقرأ ابن عامر تَظَّاهَرُونَ بالادغام وحمزة والكسائى بالحذف وعاصم تُظَاهِرُونَ من ظاهَرَ وقرئ تُظَهِّرُونَ من ظهّر بمعنى ظاهر كعقّد بمعنى عاقد وتَظْهَرُونَ من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انتِ علىّ كظهر امّى مأخوذٌ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبّيك وتعديتُه بمِنْ لتضمّنه معنى التجنّب لانّه كان طلاقا فى الجاهليّة وهو فى الاسلام يقتضى الطلاقَ او الحرمةَ الى اداء الكفّارة كما عُدّى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الّذى هو عموده فانّ ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ فى التحريم فانّهم كانوا يحرّمون اتيان المرأة وظهرُها الى السماء ، وأَدْعِيَاء جمعُ دَعِىّ على الشذوذ وكانّه شبّه بفعيل بمعنى فاعل فجُمع جمْعَه ذَٰلِكُمْ اشارة الى ما ذكر او الى الاخير قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ لا حقيقةَ له فى الأعيان كقول الهاذى وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ ما له حقيقة عينيّة مطابقة له وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ سبيل الحقّ (٥) ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ انسبوهم اليهم وهو إفراد للمقصود من اقواله الحقّة وقوله هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ ٱللَّهِ تعليل له ، والضميرُ لمصدرِ ادعوا ، واقسط افعلُ تفضيل قُصد به الزيادة مطلقا من القِسْط بمعنى العَدْل ومعناه البالغ فى الصدق فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فتنسبوهم اليهم فَإِخْوَانُكُمْ فِي ٱلدِّينِ فهم اخوانكم فى الدين وَمَوَالِيكُمْ واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخى ومولاى بهذا التأويل وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى او بعده على

جزء ٢١ النسيان او سبق اللسان وَلٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ولكن الجناح فيما تعمّدت او لكن ما تعمّدت فيه
ركوع ١٧ الجناح وَكَانَ ٱللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا لعفوه عن المخطئ ، واعلم انّ التبنّى لا عبرة به عندنا وعند ابى حنيفة
يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله ٱلّذى يمكن الحاقه به (٦) ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ
فى الامور كلّها فانّه لا يأمرهم ولا يرضى منهم الّا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك
أُطْلِق فيجب عليهم ان يكون احبّ اليهم من انفسهم وأَمْرُه انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه اتمّ
من شفقتهم عليها رُوى انّه عليه السلام اراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا
وامّهاتنا فنزلت ، وقرئ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ اى فى الدين فانّ كلّ نبىّ اب لامّته من حيث انّه اصل فيما به
الحيوة الابديّة ولذلك صار المؤمنون اخوة وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ منزّلات منزلتهنّ فى التحريم واستحقاق
التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيّات ولذلك قالت عائشة رضى اللّه عنها لسنا امّهات النساء
وَأُولُو ٱلْأَرْحَامِ وذوو القرابات بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فى التوارث وهو نسخ لما كان فى صدر الاسلام من
التوارث بالهجرة والموالاة فى الدين فِي كِتَابِ ٱللّٰهِ فى اللوح او فيما أُنزل وهو هذه الآية او آية المواريث
او فيما فرض اللّه مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ بيان لاولى الارحام او صلة لأَوْلَىٰ اى اولو الارحام بحقّ
القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحقّ الدين والمهاجرين بحقّ الهجرة إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا
استثناء من اعمّ ما يقدّر الاولويّة فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كَانَ ذٰلِكَ فِي
ٱلْكِتَابِ مَسْطُورًا كان ما ذكر فى الآيتين ثابتا فى اللوح او القرآن وقيل فى التورية (٧) وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ
ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ مقدّر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيّم وَمِنْكَ وَمِنْ
نُوحٍ وَإِبْرٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ خصّهم بالذكر لانّهم مشاهير ارباب الشرائع وقدّم نبيّنا تعظيما له
وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا عظيم الشأن او مؤكّدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف (٨) لِيَسْأَلَ
ٱلصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ اى فعلنا ذلك ليسأل اللّه يوم القيمة الانبياء ٱلّذين صدقوا عهدهم عمّا قالوه
لقومهم او تصديقهم ايّاهم تبكيتا لهم او المصدّقين لهم عن تصديقهم فانّ مصدّق الصادق صادق او
المؤمنين ٱلّذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
عطف على اخذنا من جهة انّ بعثة الرسل وأخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دلّ عليه ليسأل
ركوع ١٨ كانّه قال فاثاب المؤمنين واعدّ للكافرين (٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ
يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر الفا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
ريح الصبا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا الملائكة رُوى انّه عم لمّا سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثمّ خرج

*

جزء ٢١ البهم فى ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريبٌ من شهر لا حرب بينهم الّا الترامى
ركوع ١٨ بالنبل والحجارة حتّى بعث اللّه عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فأَخْصَرَتْهم وسَفَت التراب فى وجوههم
واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيلُ بعضها فى بعض وكبّرت الملائكة فى جوانب العسكر فقال
طُلَيْحة بن خُوَيْلد الاسدىّ امّا محمّد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال
وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ من حفر الخندق وقرأ البصريّان بالياء اى بما يعمل المشركون من التحزّب
والمحاربة بَصِيرًا رائيا (١٠) إِذْ جَآءُوكُمْ بدل من اذ جاءتكم مِنْ فَوْقِكُمْ من اعلى الوادى من قِبَل المشرق
بنو غطفان وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ من اسفل الوادى من قبل المغرب قريش وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ مالت عن
مستوى نظرها حيرةً وشخوصا وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ رُعْبا لانّ الرئة تنتفخ من شدّة الروع فيرتفع
القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا الانواع
من الظنّ فظنّ المخلصون الثُبّتُ القلوب انّ اللّه مُنْجِز وعده فى اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل
وضعف الاحتمال والضعافُ القلوب والمنافقون ما حكى عنهم ، والالف مزيدة فى امثاله تشبيها للفواصل
بالقوافى وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة
ويعقوب مطلقا وهو القياس (١١) هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ اختُبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من
المتزلزل وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا من شدّة الفزع وقرئ زَلْزالا بالفتح (١٢) وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى
قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ضعف اعتقاد مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ من الظفر واعلاء الدين إِلَّا غُرُورًا وعدا باطلا قيل
قائله معتّب بن قُشَيْر قال يعدنا محمّد بفتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرّز فَرَقا ما هذا الّا وعد
غرور (١٣) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يعنى أَوْس بن قَيْظىّ واتباعه يَا أَهْلَ يَثْرِبَ اهل المدينة وقيل هو اسم
ارض وقعت المدينة فى ناحية منها لَا مُقَامَ لَكُمْ لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضمّ على انّه مكان
او مصدر من اقام فَٱرْجِعُوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمّد فارجعوا الى الشرك
وأَسْلِموه لتَسْلَموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفّارا ليمكنكم المقام بها وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ
للرجوع يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ غير حصينة وأصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العَوِرة من
عَوِرَت الدارُ اذا اختلّت وقد قرئ بها وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ بل هى حصينة إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا اى ما يريدون
بذلك الّا الفرار من القتال (١٤) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ دخلت المدينة او بيوتهم مِنْ أَقْطَارِهَا من جوانبها
وحذف الفاعل للايماء بانّ دخول هؤلاء المتحزّبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيّان فى اقتضاء
الحكم المرتّب عليه ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ الردّة ومقاتلة المسلمين لَآتَوْهَا لأعطوها وقرأ الحجازيّان بالقصر
بمعنى لجاءوها وفعلوها وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا بالفتنة اى باعطائها إِلَّا يَسِيرًا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل

ما لبثوا فى المدينة بعد تمام الارتداد الّا يسيرا (۱۵) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا ٱللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَارَ جزء ۲۱
يعنى بنى حارثة عاهدوا رسول اللّه صلعم يومَ أُحُد حين فشلوا ثمّ تابوا ان لا يعودوا لمثله وَكَانَ عَهْدُ ركوع ۱۸
ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا مسـٔولا عن الوفاء به مُجازى عليه (۱۶) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ
فانّــه لا بدّ لـكـلّ شخص من حتف انف او قتل فى وقت معيّن سبق به القضـاء وجرى عليه القلم
۵ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا اى وإنْ نفعكم الفرار مَثَلا فمُتّعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الّا تمتيعا او
زمانا قليلا (۱۷) قُلْ مَنْ ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً اى او يصيبكم
بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما فى قوله متقلّدا سَيْفا ورُمحا او حمل الثانى على الاوّل لما فى
العصمة من معنى المنع وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا ينفعهم وَلَا نَصِيرًا يدفع الضرر عنهم
(۱۸) قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ المثبّطين عن رسول اللّه وهم المنافقون وَٱلْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ من ساكنى
۱۰ المدينة هَلُمَّ إِلَيْنَا قرّبوا انفسكم الينا وقد ذُكر اصله فى الأنعام وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا الّا اتيانا او
زمانا او بأساً قليلا فانّهم يعتذرون ويتثبّطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون
الّا قليلا كقوله ما قاتلوا الّا قليلا وقيل انّه مَن تتمّة كلامهم ومعناه لا يأتى اصحاب محمّد حرب الاحزاب
ولا يقاومونهم الّا قليلا (۱۹) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة فى سبيل اللّه او الظفر والغنيمة
جمعُ شحيح ونصبُها على الحال من فاعل يأتون او المعوّقين او على الذمّ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ
۱۵ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ فى احداقهم كَٱلَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ كنظر المغشىّ عليه او كدوران عينه او
مشبّهين به او مشبّهة بعينه مِنَ ٱلْمَوْتِ من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ
وحيزت الغنائم سَلَقُوكُمْ ضربوكم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ذَرِبة يطلبون الغنيمة ، والسلق البسط بقهر باليد
او اللسان أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ نصب على الحال او الذمّ ويؤيّده قراءة الرفع وليس بتكرير لانّ كُلّا منهما
مُفيد من وجه أُولَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا اخلاصا فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ فأظهرَ بطلانها اذ لم يَثْبُت لهم اعمال
۲۰ فتُبْطَلَ او ابطل تصنّعهم ونفاقهم وَكَانَ ذَٰلِكَ الاحباط عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا هيّنا لتعلّق الارادة به وعدمِ
ما يمنعه عنه (۲۰) يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا اى هؤلاء بجبنهم يظنّون انّ الاحزاب لم ينهزموا وقد
انهزموا ففرّوا الى داخل المدينة وَإِنْ يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ كرّة ثانية يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ تمنّوا انّهم
خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب يَسْأَلُونَ كلّ قادم من جانب المدينة عَنْ أَنْبَآئِكُمْ عمّا جرى
عليكم وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ هذه الكرّة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا رئاء وخوفا من
۲۵ التعـيـيـر (۲۱) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ خصلة حسنة من حقّها ان يؤتسى بها

جزء ٢١ ركوع ١٩ كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد او هو فى نفسه قدوة يحسن التأسّى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا اى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد ، وقرأ عاصم بضمّ الهمزة وهو لغة فيه لِمَنْ كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ اى ثواب اللّه او لقاءه ونعيم الآخرة او ايّام اللّه واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فانّ اليوم الآخر داخل فيها ، والرجاء يحتمل الامل والخوف ، ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على انّ ضمير المخاطب لا يُبْدَل منه وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدّية الى ملازمة الطاعة فانّ المؤتسى بالرسول من كان كذلك (٢٢) وَلَمَّا رَأَى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنّة ولمّا يأتكم مثلُ الّذين خلوا من قبلكم الآية وقوله عم سيشتدّ الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبةُ لكم عليهم وقوله عليه السلام انّهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وظهر صدق خبر اللّه ورسوله او صَدَقَا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء ، واظهارُ الاسم للتعظيم وَمَا زَادَهُمْ فيه ضمير لمّا رأوا او الخطب او البلاء إلّا إيمَانًا باللّه ومواعيده وَتَسْلِيمًا لأوامره ومقاديره (٢٣) مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعداء الدين من صَدَقَنى اذا قال لك الصدق فانّ المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فَمِنْهُم مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ نَذْرَه بأن قاتل حتّى استشهد كحمزة ومُصْعَب بن عُمَيْر وأَنَس بن النَّضْر ، والنحب النذر واستعير للموت لانّه كنذر لازم فى رقبة كلّ حيوان وَمِنْهُم مَّن يَنْتَظِرُ الشهادةَ كعثمان وطلحة وَمَا بَدَّلُوا العهدَ ولا غيّروه تَبْدِيلًا شيئا من التبديل روى انّ طلحة ثبت مع رسول اللّه صلعم يوم أُحد حتى اصيبت يده فقال عم أَوْجَبَ طلحةُ وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله (٢٤) لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ تعليل للمنطوق والمعرّض به فكأنّ المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبةُ عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد بها التوفيق للتوبة إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا لمن تاب (٢٥) وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يعنى الاحزاب بِغَيْظِهِمْ متغيّظين لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ بالريح والملائكة وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا على احداث ما يريده عَزِيزًا غالبا على كلّ شىء (٢٦) وَأَنْزَلَ ٱلَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ ظاهروا الاحزاب مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ يعنى قريظة مِن صَيَاصِيهِمْ من حصونهم جمع صيصية وهى ما يُتحصّن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبى وشوكة الديك وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ الخوف وقرئ بالضمّ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وقرئ بضمّ السين روى انّ جبريل اتى رسول اللّه عليهما السلام صبيحة الليلة الّتى انهزم فيها الاحزاب فقال أَتَنْزِع لأمتك

والملائكة لم يضعوا السلاح انّ اللّه يأمرك بالسير الى بنى قريظة وانا عامد اليهم فأذّن فى الناس ان لا جزء ٢١
يصلّوا العصر الّا ببنى قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتّى جهدهم الحصار فقال لهم ركوع ١٩
تنزلون على حكمى فأبوا فقال على حكم سعد بن مُعاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتلتهم وسبى ذراريّهم
ونسائهم فكبّر النبىّ وقال لقد حكمت بحكم اللّه من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستّمائة او اكثر وأسر
سبعمائة (٢٧) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ مزارعهم وَدِيَارَهُمْ حصونهم وَأَمْوَالَهُمْ نقودهم ومواشيهم وأثاثهم روى انّه عم
جعل عقارهم للمهاجرين فتكلّم فيه الانصار فقال انّكم فى منازلكم وقال عمر اما تخمّس كما خمست
يوم بدر قال لا انّما جُعلت هذه لى طُعمة وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كلّ ارض
تفتح الى يوم القيمة وَكَانَ ٱللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا فيقدر على ذلك (٢٨) يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ ركوع ٢٠
كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا السعة والتنعّم فيها وَزِينَتَهَا زخارفها فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ أُعطكنّ المتعة
وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا طلاقا من غير ضرار وبدعة روى انّهنّ سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت
فبدأ بعائشة فخيّرها فاختارت اللّه ورسوله ثمّ اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهنّ اللّه ذلك فانزل لا
يحلّ لك النساء من بعدُ، وتعليق التسريح بارادتهنّ الدنيا وجعلها قسيما لارادتهنّ الرسول يدلّ على
انّ المخيّرة اذا اختارت زوجها لم تطلّق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن علىّ ويؤيّده
قول عائشة خيّرنا رسول اللّه فاخترناه ولم يعدّه طلاقا، وتقديم التمتيع على التسريح المسبّب عنه من
الكرم وحسن الخلق وقيل لانّ الفرقة كانت بارادتهنّ كاختيار المخيّرة نفسها فانّه طلقة رجعيّة عندنا
وبائنة عند ابى حنيفة واختلف فى وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدلّ عليه، وقرئ أُمتّعُكنّ
وأُسرّحُكنّ بالرفع على الاستيناف (٢٩) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ٱللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللّٰهَ أَعَدَّ
لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا يستحقر دونه الدنيا وزينتها، ومِنْ للتبيين لانّهنّ كلّهنّ كنّ محسنات
(٣٠) يَا نِسَاءَ ٱلنَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ بكبيرة مُبَيِّنَةٍ ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وابى بكر
والباقون بكسر الياء يُضَاعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ضعفَىْ عذاب غيرهنّ اى مثليه لانّ الذنب منهنّ
اقبح فانّ زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جُعل حدّ الحرّ ضعفَىْ حدّ العبد
وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم، وقرأ البصريّان يُضَعَّفْ وابن كثير وابن عامر نُضَعِّفُ بالنون
وبناء الفاعل ونصب العذاب وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللّٰهِ يَسِيرًا لا يمنعه عن التضعيف كونهنّ نساء النبىّ
وكيف وهو سببه (٣١) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ ومن يدم على الطاعة لِلّٰهِ وَرَسُولِهِ ولعلّ ذكر اللّه للتعظيم جزء ٢٢
او لقوله وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ مرّة على الطاعة ومرّة على طلبهنّ رضا النبىّ بالقناعة وحسن ركوع ١
المعاشرة، وقرأ حمزة والكسائىّ وَيَعْمَلْ بالياء حملا على لفظ مَنْ ويؤتها على انّ فيه ضمير اسم اللّه

جزء ۲۲ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا فى الجنّة زيادة على اجرها (۳۲) يَا نِسَاءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ ٱلنِّسَاءِ
ركوع ۱ اصل أَحَد وَحَد بمعنى الواحد ثمّ وضع فى النفى العامّ مستويا فيه المذكّر والمؤنّث والواحد والكثير
والمعنى لستنّ كجماعة واحدة من جماعات النساء فى الفضل إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ مخالفة حكم اللّه ورضا رسوله
فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فلا تجئن بقولكنّ خاضعا ليّنا مثل قول المريبات فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ فجور
وقرئ بالجزم عطفا على محلّ فعل النهى على انّه نهى مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهنّ عن الخضوع
بالقول وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا حسنا بعيدا عن الريبة (۳۳) وَقِرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ من وَقَرَ يَقِرُ وَقارا او من قَرَّ يَقِرُّ
حذفت الاولى من راءى اقْرِرْن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغنى عن همزة الوصل ويؤيّده قراءة نافع
وعاصم بالفتح من قَرِرْتُ أَقَرُّ وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع وَلَا تَبَرَّجْنَ
ولا تتبخترن فى مشيكنّ تَبَرُّجَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ٱلْأُولَى تبرّجا مثل تبرّج النساء فى ايّام الجاهليّة القديمة قيل
هى ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الّذى وُلد فيه ابرٰهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى
وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهليّة الاخرى ما بين عيسى ومحمّد عم وقيل الجاهليّة
الاولى جاهليّة الكفر قبل الاسلام والجاهليّة الاخرى جاهليّة الفسوق فى الاسلام ويعضده قوله عم لابى
الدرداء انّ فيك جاهليّة قال جاهليّة كفر او اسلام قال بل جاهليّة كفر وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَآتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فى سائر ما امركنّ به ونهاكنّ عنه إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ
الذنب المدنّس لعرضكم وهو تعليل لامرهنّ ونهيهنّ على الاستيناف ولذلك عمّم الحكم أَهْلَ ٱلْبَيْتِ
نصب على النداء او المدح وَيُطَهِّرَكُمْ عن المعاصى تَطْهِيرًا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير
للتنفير عنها ، وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلىّ وابنيهما رضى اللّه عنهم لما رُوى انّه عم
خرج ذات غدوة عليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ من شعر اسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثمّ جاء علىّ فأدخله
فيه ثمّ جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ثمّ قال انّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون إجماعهم حجّة ضعيف لانّ التخصيص بهم لا يناسب ما قبل
الآية وما بعدها والحديث يقتضى انّهم من اهل البيت لا انّه ليس غيرهم (۳۴) وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِى
بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهنّ من
حيث جعلهنّ اهل بيت النبوّة ومهبط الوحى وما شاهدن من بُرَحاء الوحى ممّا يوجب قوّة الايمان
والحرص على الطاعة حثّا على الانتهاء والائتمار فيما كلّفن به إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا يعلم ويدبّر ما
يصلح فى الدين ولذلك خيّركنّ ووعظكنّ او يعلم من يصلح لنبوّته ومن يصلح ان يكون اهل بيته
ركوع ۲ (۳۵) إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ الداخلين فى السلم المنقادين لحكم اللّه وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ
المصدّقين بما يجب ان يصدّق به وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْقَانِتَاتِ المداومين على الطاعة وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلصَّادِقَاتِ

في القول والعمل وَٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّابِرَاتِ على الطاعات وعن المعاصي وَٱلْخَاشِعِينَ وَٱلْخَاشِعَاتِ المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَاتِ بما وجب في مالهم وَٱلصَّائِمِينَ وَٱلصَّائِمَاتِ الصوم المفروض وَٱلْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَافِظَاتِ عن الحرام وَٱلذَّاكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّاكِرَاتِ بقلوبهم وألسنتهم أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً لما اقترفوا من الصغائر لانهنّ مكفّرات وَأَجْرًا عَظِيمًا على طاعاتهم ، والآية وعد لهنّ ولامثالهنّ على الطاعة والتدرّع بهذه الخصال روى انّ ازواج النبيّ قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران بخير فما فينا خير نُذكر به فنزلت وقيل لمّا نزل فيهنّ ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت ، وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروريّ وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين وليس بضروريّ ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على انّ اعداد المُعَدّ لهم للجمع بين هذه الصفات (٣٦) وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ما صحّ له إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا اى قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بانّ قضاءه قضاء الله لانّه نزل في زينب بنت جحش بنت عمّته اميمة بنت عبد المطّلب خطبها رسول الله صلعم لزيد بن حارثة فأبت هي واخوها عبد الله وقيل في امّ كُلثوم بنت عُقبة وهبت نفسها للنبيّ فزوّجها من زيد أَنْ تَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله ، والخيرة ما يُتخيّر ، وجمع الضمير الاوّل لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انّهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم ، وقرأ الكوفيّون وهشام يكون بالياء وَمَنْ يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا بيّن الانحراف عن الصواب (٣٧) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ بما وفّقك الله فيه وهو زيد بن حارثة أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ زينب وذلك انّه عم ابصرها بعد ما انكحها ايّاه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلّب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فأتى النبيّ وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك أرابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الّا خيرا ولكن لشرفها تتعظّم عليّ فقال له امسك عليك زوجك وَٱتَّقِ ٱللَّهَ في امرها فلا تطلّقها ضرارا وتعلّلا بتكبّرها وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وهو نكاحها ان طلّقها او ارادة طلاقها وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ تعييرهم ايّاك به وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ان كان فيه ما يُخشى ، والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانّه حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فانّ الأولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوّض الامر الى ربّه فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا حاجة بحيث ملّها ولم يبق له فيها حاجة وطلّقها وانقضت عدّتها زَوَّجْنَاكَهَا وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زَوَّجْتُكَهَا والمعنى انّه امر بتزويجها

جزء ٢٢ منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيّده انّها كانت تقول لسائر ازواج النبيّ انّ اللّه تولّى انكاحى
ركوع ٢ وانتنّ زوّجكنّ اولياؤكنّ وقيل كان زيد السفير فى خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بيّن على قوّة
ايمانه لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ اِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا علّة للتزويج وهو دليل
على انّ حكمه وحكم الامّة واحد الّا ما خصّه الدليل وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ امره الّذى يريده مَفْعُولًا مكوّنا
لا محالة كما كان تزويج زينب (٣٨) مَا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُ قسم له وقدّر من
قولهم فرض له فى الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم سُنَّةَ ٱللَّهِ سنّ ذلك سنّة فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ
من الانبياء وهو نفى الحرج عنهم فيما اباح لهم وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا قضاء مقضيًّا وحكما مبتوتا
(٣٩) ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ ٱللَّهِ صفة للّذين خلوا او مدحٌ لهم منصوب او مرفوع وقرئ رِسَالَةَ ٱللَّهِ
وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ تعريض بعد تصريح وَكَفَى بِٱللَّهِ حَسِيبًا كافيا للمخاوف او
محاسبا فينبغى ان لا يُخشى الّا منه (٤٠) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ على الحقيقة فيثبت بينه
وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم
وابرٰهيم لانّهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وكلّ رسول
ابو امّته لا مطلقا بل من حيث انّه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيدٌ منهم ليس
بينه وبينه ولادة ، وقرئ رَسُولُ ٱللَّهِ بالرفع على انّه خبرُ محذوف وَلَٰكِنَّ بالتشديد على حذف الخبر اى
ولكنّ رسولَ اللّه من عرفتم انّه لم يعش له ولد ذكر وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ وآخرهم الّذى ختمهم او خُتموا
به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاقَ بمنصبه ان يكون نبيًّا كما قال عليه السلام فى
ابرٰهيم حين توفّى لو عاش لكان نبيًّا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانّه اذا نزل كان على دينه مع انّ
المراد منه انّه آخرُ من نُبِّئَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا فيعلم من يليق بأن يختم به النبوّة وكيف
ركوع ٣ ينبغى شأنه (٤١) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا يغلب الاوقاتَ ويعمّ انواعَ ما هو اهله
من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا اوّلَ النهار وآخرَه خصوصا وتخصيصُهما
بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودَيْن كإفراد التسبيح من جملة الاذكار
لانّه العمدة فيها وقيل الفعلان موجّهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة (٤٢) هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ
بالرحمة وَمَلَائِكَتُهُ بالاستغفار لكم والاهتمام بما يُصلحكم والمرادُ بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح
امركم وظهور شرفكم مستعارٌ من الصَّلْو وقيل الترحّم والانعطاف المعنوىّ مأخوذ من الصلوة المشتملة
على الانعطاف الصورىّ الّذى هو الركوع والسجود واستغفارُ الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحّمٌ عليهم

سيما وهو سبب للرحمة من حيث انّهم مجابو الدعوة لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ من ظلمات الكفر جزء ٢٢
والمعصية الى نور الايمان والطاعة وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا حيث اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم ركوع ٣
واستعمل فى ذلك ملائكته المقرّبين (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ من اضافة المصدر الى المفعول اى يحيّون يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ
يوم لقائه عند الموت او الخروج من القبور او دخول الجنّة سَلَامٌ اخبار بالسلامة عن كلّ مكروه وآفة
٥ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا هى الجنّة ولعلّ اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهمّ (٤٤) يَا أَيُّهَا
ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا على من بُعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدّرة
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته بِإِذْنِهِ بتيسيره
واُطلق له من حيث انّه من اسبابه وقيّد به الدعوة ايذانا بانّه امرٌ صعبٌ لا يتأتّى الّا بمعونة من
جناب قدسه وَسِرَاجًا مُنِيرًا يُستضاء به عن ظلمات الجهالة ويُقتبس من نوره انوار البصائر (٤٦) وَبَشِّرِ
١٠ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعلّه معطوف على محذوف
مثل فراقبْ احوال امّتك (٤٧) وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم
وَدَعْ أَذَاهُمْ ايذاءهم ايّاك ولا تحتفل به او ايذاءك ايّاهم مجازاةً او مؤاخذةً على كفرهم ولذلك قيل انّه
منسوخ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فانّه يكفيكهم وَكَفَى بِٱللَّهِ وَكِيلًا موكولا اليه الامر فى الاحوال كلّها ولعلّه
تعالى لمّا وصفه بخمس صفات قابل كلّا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة
١٥ لانّ ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشّرَ بالامر ببشارة المؤمنين والنذيرَ بالنهى عن مراقبة الكفّار والمبالاة
باذاهم والداعىَ الى اللّه بتيسيره بالتوكّل عليه والسراجَ المنير بالاكتفاء به فانّ من اناره اللّه برهانا على
جميع خلقه كان حقيقا ان يُكتفى به عن غيره (٤٨) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ
طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ تجامعوهنّ وقرأ حمزة والكسائىّ بألف وضمّ التاء فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ
عِدَّةٍ ايّام يتربّصن فيها بانفسهنّ تَعْتَدُّونَهَا تستوفون عددها من عددتُ الدراهم فاعتدّها كقولك كِلْتُه
٢٠ فَٱكْتاله او تَعُدّونها والاسنادُ الى الرجال للدلالة على انّ العدّة حقّ الازواج كما اشعر به فما لكم ،
وعن ابن كثير تَعْتَدُونَهَا مخفّفا على ابدال احدى الدالين بالياء او على انّه من الاعتداء بمعنى تعتدون
فيها ، وظاهره يقتضى عدمَ وجوب العدّة بمجرّد الخلوة ، وتخصيصُ المؤمنات والحكمُ عامّ للتنبيه على
انّ من شأن المؤمن ان لا ينكح الّا مؤمنة تخيّرا للنطفة ، وفائدةُ ثُمَّ ازاحةُ ما عسى يُتوهّم انّ تراخى
الطلاق ريثما تمكن الاصابةُ كما يؤثّر فى النسب يؤثّر فى العدّة فَمَتِّعُوهُنَّ اى ان لم يكن مفروضا لها
٢٥ فانّ الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المُتعة ويجوز ان يؤوّل التمتيع بما يعمّهما او الامرُ
بالمشترك بين الوجوب والندب فانّ المتعة سُنّة للمفروض لها وَسَرِّحُوهُنَّ اخرجوهنّ من منازلكم اذ ليس

*

جزء ٢٢ لكم عليهنّ عدّة سَرَاحًا جَمِيلًا من غير ضرار ولا منع حقّ ولا يجوز تفسيره بالطلاق السنّىّ لانّه مرتّب
ركوع ٣ على الطلاق والضمير لغير المدخول بهنّ (٤٩) يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ٱللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ مهورهنّ لانّ المهر اجرٌ على البُضع ، وتقييدُ الاحلال له باعطائها معجّلة لا لتوقّف الحلّ عليه بل لايثار الافضل له كتقييدِ احلال المملوكة بكونها مسبيّة بقوله وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ فانّ المشتراة لا يتحقّق بدوُّ امرها وما جرى عليها وتقييدِ القرائب بكونها مهاجرات معه فى قوله وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ ٱللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ويحتمل تقييد الحلّ بذلك فى حقّه خاصّةً ويعضده قولُ أُمّ هانئ بنت ابى طالب خطبنى رسول اللّه فاعتذرت اليه فعذرنى ثمّ انزل اللّه هذه الآية فلم أُحِلّ له لانّى لم اهاجر معه كنتُ من الطُلَقاء وَٱمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ نصب بفعل يفسّره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بانّ الّتى للاستقبال فانّ المعنى بالاحلال الاعلام بالحلّ اى اعلمناك حلّ امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتّفق ولذلك نكّرها واختُلف فى اتّفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خُزَيْمة الانصاريّة وامّ شريك بنت جابر وخَوْلة بنت حكيم ، وقرئ أَنْ بالفتح اى لِأَنْ وهبتْ او مدّةَ أَنْ وهبت كقولك اجلسْ ما دام زيد جالسا إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا شرط للشرط الاوّل فى استيجاب الحلّ فانّ هبتها نفسها منه لا توجب له حلّها الّا بارادته نكاحها فانّها جارية مجرى القبول ، والعُدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبىّ مكرّرا ثمّ الرجوع اليه فى قوله خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ايذانٌ بانّه ممّا خُصّ به لشرف نبوّته وتقريرٌ لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتجّ به اصحابنا على انّ النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لانّ اللفظ تابع للمعنى وقد خُصّ عم بالمعنى فيختصّ باللفظ ، والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه ، وخالصةً مصدرٌ مؤكّد اى خَلَصَ احلالُها او احلالُ ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حالٌ من الضمير فى وَهَبَتْ او صفةٌ لمصدر محذوف اى هبةً خالصةً (٥٠) قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ من شرائط العقد ووجوب القَسْم والمهر بالوطئ حيث لم يُسَمّ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ من توسيع الامر فيها انّه كيف ينبغى ان يُفرَض عليهم ، والجملة اعتراض بين قوله لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ومتعلّقه وهو خالصة للدلالة على انّ الفرق بينه وبين المؤمنين فى نحو ذلك لا لمجرّد قصد التوسيع عليه بل لمعانٍ تقتضى التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس اخرى وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا لما يَعْسُر التحرّز عنه رَحِيمًا بالتوسعة فى مظانّ الحرج (٥١) تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ تؤخّرها وتترك مضاجعتها وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وتضمّ اليك من تشاء وتضاجعها او تطلّق من تشاء وتُمسك من تشاء ، وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص تُرْجِى بالياء والمعنى واحد وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ طلبت ممّن عَزَلْتَ طلّقت بالرجعة فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ فى شىء من ذلك ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا

جزء ۲۲ آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ذلك التفويض الى مشيئتك اقربُ الى قرّة عيونهنّ وقلّة حزنهنّ ورضاهنّ جميعا لانّ حكم
ركوع ۳ كلّهنّ فيه سواء ثمّ ان سوّيت بينهنّ وجدن ذلك تفضّلا منك وان رجّحت بعضهنّ علمن انّه بحكم
اللّه فتطمئنّ نفوسهنّ وقرئ تُقِرّ بضمّ التاء وأَعْيُنَهُنَّ بالنصب وتُقَرّ على البناء للمفعول ٬ وكلّهنّ
تأكيدُ نونِ يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لهنّ وَٱللّٰهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ فاجتهدوا فى إحسانه
٥ وَكَانَ ٱللّٰهُ عَلِيمًا بذات الصدور حَلِيمًا لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يُتّقى (٥٢) لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَاءُ
بالياء لانّ تأنيث الجمع غير حقيقىّ وقرأ البصريّان بالتاء مِنْ بَعْدُ من بعد التسع وهو فى حقّه كالاربع
فى حقّنا او من بعد اليوم حتّى لو ماتت واحدة لم يحلّ له نكاح اخرى وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ
فتطلّق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومِنْ مزيدةٌ لتأكيد الاستغراق وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ حسن
الازواج المستبدَلة وهو حال من فاعل تبدّل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغّله فى التنكير وتقديرُه
۱۰ مفروضا إعجابُك بهنّ واختُلف فى انّ الآية مُحْكَمة او منسوخة بقوله ترجئ من تشاء منهنّ وتؤوى
اليك من تشاء على المعنى الثانى فانّه وان تقدّمها قراءةً فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحلّ لك
النساء من بعد الاجناس الاربعة اللّاتى نُصّ على احلالهنّ لك ولا ان تبدّل بهنّ ازواجا من اجناس اخر
إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ استثناء من النساء لانّه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وَكَانَ ٱللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ
ركوع ۴ شَيْءٍ رَقِيبًا فتحفّظوا امركم ولا تتخطّوا ما حدّ لكم (٥٣) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ
۱٥ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ الّا وقتَ أن يؤذن لكم او الّا مأذونا لكم إِلَىٰ طَعَامٍ متعلّق بيؤذن لانّه متضمّن معنى
يُدْعَى للاشعار بانّه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان أُذن كما اشعر به قوله غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ
غير منتظرين وقته او ادراكه حالٌ من فاعلِ لا تدخلوا او المجرورِ فى لكم وقرئ بالجرّ صفةً لطعامٍ
فيكون جاريا على غيرِ من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريّين ٬ وقد امال حمزة والكسائىّ
اناه لانّه مصدرُ أَنَى الطعامُ اذا ادرك وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنْتَشِرُوا تفرّقوا ولا تمكثوا ٬
۲۰ والآية خطابٌ لقوم كانوا يتحيّنون طعامَ رسول اللّه صلعم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه
مخصوصةٌ بهم وبأمثالهم والّا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام
لمُهِمّ وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمّع له عطفٌ على
ناظرين او مقدّرٌ بفعل اى ولا تدخلوا او ولا تمكثوا مستأنسين إِنَّ ذَٰلِكُمْ اللبث كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ
لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشغاله فيما لا يعنيه فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ من اخراجكم لقوله وَٱللّٰهُ لَا
۲٥ يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ يعنى انّ اخراجكم حقّ فينبغى ان لا يُترك حياء كما لم يتركه اللّه ترْكَ الحيىّ
فامركم بالخروج ٬ وقرئ لَا يَسْتَحِي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا

جزء ٢٢ شيئًا يُنتفع به فَاسْأَلُوهُنَّ المتاع مِنْ وَرَآءِ حِجَابٍ ستر رُوى انّ عمر قال يا رسول اللّه يدخل عليك البرّ
ركوع ٤ والفاجر فلو امرت امّهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انّه عم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فأصابت
يدُ رجل يدَ عائشة فكره النبىّ ذلك فنزلت ذٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ من الخواطر النفسانيّة
الشيطانيّة وَمَا كَانَ لَكُمْ وما صحّ لكم أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللّٰهِ ان تفعلوا ما يكرهه وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ
مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا من بعد وفاته او فراقه وخصّ الّتى لم يدخل بها لما رُوى انّ اشعث بن قيس تزوّج
المستعيذة فى ايّام عمر فهمّ برجمها فأُخبر بانّه عم فارقها قبل ان يمسّها فتركها من غير نكير إِنَّ ذٰلِكُمْ
يعنى ايذاءه ونكاح نسائه كَانَ عِنْدَ ٱللّٰهِ عَظِيمًا ذنبا عظيما وفيه تعظيم من اللّه لرسوله وايجاب لحرمته
حيًّا وميّتا ولذلك بالغ فى الوعيد عليه فقال (٥٤) إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا كنكاحهنّ على السنتكم أَوْ تُخْفُوهُ
فى صدوركم فَإِنَّ ٱللّٰهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا فيعلم ذلك فيجازيكم به وفى هذا التعميم مع البرهان على
المقصود مزيدُ تهويل ومبالغة فى الوعيد (٥٥) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا
أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم رُوى انّه لمّا نزلت آية الحجاب
قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول اللّه أَوَنكلّمهنّ ايضا من وراء حجاب فنزلت ، وانّما لم يذكر العمّ
والخال لانّهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمّى العمّ ابا فى قوله واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحٰق او
لانّه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يَصفا لابنائهما وَلَا نِسَائِهِنَّ يعنى نساء المؤمنات وَلَا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُنَّ من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصّة وقد مرّ فى سورة النور وَٱتَّقِينَ ٱللّٰهَ فيما أُمرتنّ به
إِنَّ ٱللّٰهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا لا يخفى عليه خافية (٥٦) إِنَّ ٱللّٰهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ
يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شأنه يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ اعتنوا انتم ايضا فانّكم اولى بذلك
وقولوا اللّهمّ صلّ على محمّد وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا وقولوا السلام عليك ايّها النبىّ وقيل وانقادوا لأوامره ، والآية
تدلّ على وجوب الصلوة والسلام عليه فى الجملة وقيل تجب الصلوة كلّما جرى ذكره لقوله عم رَغِمَ
انف رجل ذُكِرْتُ عنده فلم يصلّ علىّ وقوله من ذُكرت عنده فلم يصلّ علىّ فدخل النار فأبعده
اللّه وتجوز الصلوة على غيره تبعا وتُكره استقلالا لانّه فى العُرف صار شعارا لذكر الرسول صلعم ولذلك
كُرِه ان يقال محمّد عزّ وجلّ وان كان عزيزا وجليلا (٥٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللّٰهَ وَرَسُولَهُ يرتكبون ما
يكرهانه من الكفر والمعاصى او يؤذون رسول اللّه بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو
ذلك وذكرُ اللّه للتعظيم له ومن جوّز اطلاق اللفظ على معنيين فسّره بالمعنيين باعتبار المعمولين
لَعَنَهُمُ ٱللّٰهُ ابعدهم من رحمته فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا يهينهم مع الايلام (٥٨) وَٱلَّذِينَ
يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا بغير جناية استحقّوه بها فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا
ظاهرا قيل انّها نزلت فى منافقين كانوا يؤذون عليًّا وقيل فى اهل الافك وقيل فى زُناة كانوا يتبعون

جزء ٢٢ النساء وهنّ كارهات (٥٩) يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ
ركوع ٥ يغطّين وجوههنّ وأبدانهنّ بملاحفهنّ اذا برزن لحاجة ، ومِنْ للتبعيض فانّ المرأة ترخى بعض جلبابها
وتتلفّع ببعض ذٰلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ يميّزن من الاماء والقينات فَلَا يُؤْذَيْنَ فلا يؤذيهنّ اهل الريبة
بالتعرّض لهنّ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا لما سلف رَحِيمًا بعباده حيث يراعى مصالحهم حتّى الجزئيّات منها
(٦٠) لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ عن نفاقهم وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ضعف ايمان وقلّة ثبات عليه او فجور
عن تزلزلهم فى الدين او فجورهم وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين
ونحوها من ارجافهم وأصله التحريك من الرجفة وهى الزلزلة سمّى به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير
ثابت لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ لنأمرنّك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرّهم الى طلب الجلاء ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ عطف
على لنغرينّك وثمّ للدلالة على انّ الجلاء ومفارقة جوار الرسول اعظم ما يصيبهم فِيهَا فى المدينة إِلَّا قَلِيلًا
زمانا او جوارا قليلا (٦١) مَلْعُونِينَ منصوب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اى لا يجاورونك
الّا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا لانّ ما بعد كلمة الشرط
لا يعمل فيما قبلها (٦٢) سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ مصدر مؤكّد اى سنّ اللّه ذلك فى الامم الماضية
وهو ان يقتل الّذين نافقوا الانبياء وسعوا فى وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ
تَبْدِيلًا لانّه لا يبدّلها ولا يقدر احد ان يبدّلها (٦٣) يَسْأَلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ عن وقت قيامها استهزاء
وتعنّتا او امتحانا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ ٱللَّهِ لم يطّلع عليه ملكا ولا نبيّا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا
شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لانّ الساعة
فى معنى اليوم ، وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنّتين (٦٤) إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا
نارا شديدة الاتّقاد (٦٥) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا يحفظهم وَلَا نَصِيرًا يدفع العذاب عنهم
(٦٦) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ تصرّف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال
وقرئ تَقَلَّبُ بمعنى تتقلّب وتُقَلِّبُ ، ومتعلّق الظرف يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا فلن
نُبْتلى بهذا العذاب (٦٧) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا يعنون قادتهم الّذين لقّنوهم الكفر ، وقرأ
ابن عامر ويعقوب سَادَاتِنَا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا بما زيّنوا لنا (٦٨) رَبَّنَا آتِهِمْ
ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ مثلَى ما آتيتنا منه لانّهم ضلّوا وأضلّوا وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَثِيرًا كثير العدد وقرأ عاصم
ركوع ٦ بالباء اى لعنا هو اشدّ اللعن واعظمه (٦٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ
مِمَّا قَالُوا فأظهر براءته من مقولهم يعنى مؤدّاه ومضمونه وذلك انّ قارون حرّض امرأة على قذفه بنفسها

جزء ٢٢ ركوع ٦ فعصمه اللّه كما مرّ فى القصص او اتّهمه ناس بقتل هرون لمّا خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومرّوا به حتّى رأوه غير مقتول وقيل احياه اللّه فأخبرهم ببراءته او قرفوه بعيب فى بدنه من برص او أُدْرة لفرط تستّره حياء فأطلعهم اللّه على انّه برئ منه وَكَانَ عِنْدَ ٱللّٰهِ وَجِيهًا ذا قربة ووجاهة وقرئ وَكَانَ عَبْدًا لِلّٰهِ وَجِيهًا (٧٠) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللّٰهَ فى ارتكاب ما يكرهه فضلا عمّا يؤذى رسوله وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا قاصدا الى الحقّ من سدّ يسدّ سدادا والمرادُ النهىُ عن ضدّه كحديث زينب من غير قصد (٧١) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ يوفّقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ويجعلها مكفّرة باستقامتكم فى القول والعمل وَمَنْ يُطِعِ ٱللّٰهَ وَرَسُولَهُ فى الاوامر والنواهى فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا يعيش فى الدنيا حميدا وفى الآخرة سعيدا (٧٢) إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنْسَانُ تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسمّاها امانة من حيث انّها واجبة الاداء والمعنى انّها لعظمة شأنها بحيث لو عُرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوّته لا جرم فاز الراعى لها والقائم بحقوقها بخير الدارين إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا حيث لم يفِ بها ولم يراعِ حقّها جَهُولًا بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة الّتى تعمّ الطبيعيّةَ والاختياريّةَ وبعرضها استدعاؤها الّذى يعمّ طلبَ الفعل من المختار وارادةَ صدوره من غيره وبحملها الخيانةُ فيها والامتناعُ عن ادائها ومنه قولهم حاملُ الامانة ومحتملُها لمن لا يؤدّيها فتبرأ ذمّته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتأتّى منه والظلمُ والجهالةُ الخيانةَ والتقصيرَ وقيل انّه تعالى لمّا خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انّى فرضت فريضة وخلقت جنّة لمن اطاعنى فيها ونارا لمن عصانى فقلن نحن مسخّرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغى ثوابا ولا عقابا ولمّا خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمّله ما يشقّ عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعلّ المراد بالامانة العقلُ والتكليفُ وبعرضها عليهنّ اعتبارُها بالاضافة الى استعدادهنّ وبإبائهنّ الاباءُ الطبيعىّ الّذى هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليّتُه واستعدادُه لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوّة الغضبيّة والشهويّة وعلى هذا يحسن ان يكون علّةً للحمل عليه فانّ من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوّتين حافظا لهما عن التعدّى ومجاوزة الحدّ ومُعظَم مقصود التكليف تعديلُهما وكسر سَورتهما (٧٣) لِيُعَذِّبَ ٱللّٰهُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ ٱللّٰهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ تعليل للحمل من حيث انّه نتيجته كالتأديب للضرب فى ضربته تأديبا ٭ وذكر التوبة فى الوعد اشعارٌ بانّ كونهم ظلوما جهولا فى جبلّتهم لا يخلّيهم عن فرطات وَكَانَ ٱللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا حيث تاب عن فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم ٭ قال عم من قرأ سورة الاحزاب وعلّمها اهله وما ملكت يمينه أُعطى الامانَ من عذاب القبر٭

سُورَةُ سبإ

مكّيّة وقيل الّا قوله ويرى الّذين اوتوا العلم الآية وآيها اربع وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ٢٢ ركوع ٧

(١) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُ مَا فِى ٱلسَّمٰوٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ خلقا ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ لانّ ما فى الآخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيّد على المطلق فانّ الوصف بما يدلّ على انّه المنعم بالنعم الدنيويّة قيّد الحمد بها ، وتقديم الصلة للاختصاص فانّ النعم الدنيويّة قد تكون بواسطة من يستحقّ الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ الّذى احكم امور الدارين ٱلْخَبِيرُ ببواطن الاشياء (٢) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ كالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى آخر والكنوز والدفائن والاموات وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا كالحيوان والنبات والفلزّات وماء العيون وَمَا يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ للمفرّطين فى شكر نعمته مع كثرتها او فى الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر (٣) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ انكارٌ لمجيئها او استبطاءٌ استهزاءً بالوعد به قُلْ بَلَى ردّ لكلامهم واثبات لما نفوه وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ تكرير لايجابه مؤكّدا بالقسم مقرّرا بوصف المُقْسَم به بصفات تقرّر امكانه وتنفى استبعاده على ما مرّ غير مرّة وقرأ حمزة والكسائىّ عَلَّامِ ٱلْغَيْبِ للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عَالِمُ ٱلْغَيْبِ بالرفع على انّه خبرُ محذوف او مبتدأٌ خبره لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمٰوٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وقرأ الكسائىّ لا يَعْزِبُ بالكسر وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ جملة مؤكّدة لنفى العزوب ، ورفعهما بالابتداء ويؤيّده القراءة بالفتح على نفى الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرّة بانّه فُتح فى موضع الجرّ لامتناع الصرف لانّ الاستثناء يمنعه اللّهمّ الّا اذا جُعل الضمير فى عَنْهُ للغيب وجُعل المُثْبَت فى اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شىء الّا مسطورا فى اللوح (٤) لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ علّةٌ لقوله لتأتينّكم وبيانٌ لما يقتضى اتيانها أُولٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ لا تعب فيه ولا منّ عليه (٥) وَٱلَّذِينَ سَعَوْا فِى آيَاتِنَا بالابطال وتزهيد الناس فيها مُعَاجِزِينَ مسابقين كى يفوتونا وقرأ ابن كثير وابو عمرو مُعَجِّزِينَ اى مثبّطين عن الايمان من اراده

جزء ٢٢ ركوع ٧

أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ من سيّئ العذاب أَلِيمٌ مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص (٦) وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ويعلم اولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامّة او مسلمى اهل الكتاب ٱلَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ القران هُوَ ٱلْحَقَّ ومن رفع الحقّ جعل هُوَ مبتدأً والحقّ خبرَه والجملة ثانى مفعولَىْ يرى وهو مرفوعٌ مستأنف للاستشهاد بأولى العلم على الجهلة الساعين فى الآيات وقيل منصوبٌ معطوف على ليجزى اى وليعلم اولو العلم عند مجىء الساعة انّه الحقّ عيانا كما علموه الان برهانا وَيَهْدِى إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ٱلَّذِى هو التوحيد والتدرّع بلباس التقوى (٧) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا قال بعضهم لبعض هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يعنون محمّدا عليه الصلوة والسلام يُنَبِّئُكُمْ يحدّثكم باعجب الاعاجيب إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ انّكم تنشأون خلقا جديدا بعد ان تمزّق اجسادكم كلّ تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا ، وتقديمُ الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعاملُه محذوف دلّ عليه ما بعده فانّ ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بانّ ، وممزّق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مُزّقتم وذهبت بكم السيول كلّ مذهب وطُرحتم كلّ مطرح ، وجديد بمعنى فاعل من جدّ كحديد من حدّ وقيل بمعنى مفعول من جدّ النسّاجُ الثوبَ اذا قطعه (٨) أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ جنونٌ يُوهمه ذلك ويُلقيه على لسانه ، واستدلّ بجعلهم ايّاه قسيمَ الافتراء غيرَ معتقدين صدْقَه على انّ بين الصدق والكذب واسطة وهو كلّ خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفُه بيّنٌ لانّ الافتراء اخصّ من الكذب بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَالِ ٱلْبَعِيدِ ردٌّ من اللّه عليهم ترديدَهم واثباتٌ لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يُرْجى الخلاصُ منه وما هو مؤدّاه من العذاب وجعلُه رسيلا له فى الوقوع ومقدّما عليه فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له ، والبُعْدُ فى الاصل صفة الضالّ ووصف الضلال به على الاسناد المجازىّ (٩) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ تذكير بما يعاينونه ممّا يدلّ على كمال قدرة اللّه وما يحتملُ فيه ازاحةً لاستحالتهم الاحياء حتّى جعلوه افتراء وهزوًا وتهديدًا عليها والمعنى أَعَمُوا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكّروا أَهُمْ اشدّ خلقا ام هى وأنّا ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البيّنات ، وقرأ حمزة والكسائىّ يَشَأْ وَيَخْسِفْ وَيُسْقِطْ بالياء لقوله افترى على اللّه والكسائىّ وحده بادغام الفاء فى الباء وحفص كِسَفًا بالتحريك إِنَّ فِى ذَٰلِكَ النظر والفكر فيهما وما يدلّان عليه لَآيَةً لدلالة لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ راجع الى ربّه فانّه يكون كثير التأمّل فى امره (١٠) وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا اى على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس فيندرج فيه النبوّة والكتاب والمُلْك والصوت الحسن يَا جِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ رجّعى معه التسبيح او النوحة

ركوع ٨

على الذنب وذلك امّا بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها ايّاه على التسبيح اذا تأمّل ما فيها او جزء ٢٢
سيرى معه حيث سار وقرئ أُوبِى من الاوب اى ارجعى فى التسبيح كلّما رجع فيه وهو بدل من فضلا ركوع ٨
او من آتينا باضمار قولنا او قُلنا وَٱلطَّيْرَ عطف على محلّ الجبال ويؤيّده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائيّة العارضة بحركة الاعراب او على فضلا او مفعول معه لأَوّبى وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره ، وكان الاصل ولقد آتينا داود منّا فضلا تأويبَ الجبالِ والطيرِ فبُدّل بهذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظم شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره فى نفاذ مشيئته فيها وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ جعلناه فى يده كالشمع يصرّفه كيف يشاء من غير احماء وطَرْقٍ بالآلة او بقوّته أَنِ ٱعْمَلْ أَمَرْناه أَنِ اعمل وأَنْ مفسّرة او مصدريّة سَابِغَاتٍ دروعا واسعات وقرئ صَابِغَاتٍ وهو اوّل من اتّخذها وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وقدّرْ فى نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدّرْ مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلَق ولا غلاظا فتخرِق ورُدّ بأنّ دروعه لم تكن مسمّرة ويؤيّده قوله وألنّا له الحديد وَٱعْمَلُوا صَالِحًا الضمير فيه لداود واهله إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فأجازيكم عليه (١١) وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ اى وسخّرنا له الريح وقرئ ٱلرِّيحُ بالرفع اى ولسليمان الريحُ مسخّرة وقرئ ٱلرِّيَاحُ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ جريها بالغداة مسيرةُ شهر وبالعشىّ كذلك وقرئ غَدْوَتُهَا وَرَوْحَتُهَا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ النحاس المذاب اساله له من معدنه فنبع منه نبوعَ الماء من الينبوع ولذلك سمّاه عينا وكان ذلك باليمن وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ عطفٌ على الريح ومن الجنّ حال متقدّمة او جملةٌ من مبتدإ وخبر بِإِذْنِ رَبِّهِ بأمره وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ ومن يعدل منهم عَنْ أَمْرِنَا عمّا امرناه من طاعة سليمان ، وقرئ يُزِغْ من ازاغه نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ عذاب الآخرة (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِنْ مَحَارِيبَ قصورا حصينة ومساكن شريفة سُمّيت بها لانّها يُذَبّ عنها ويحارَب عليها وَتَمَاثِيلَ وصُوَرا هى تماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيَعْبُدوا نحوَ عبادتهم وحُرْمةُ التصاوير شرعٌ مجدّدٌ روى انّهم عملوا له اسدَيْن فى اسفل كرسيّه ونسرَيْن فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعَيْهما واذا قعد اظلّه النسران باجنحتهما وَجِفَانٍ وصحاف كَٱلْجَوَابِ كالحياض الكبار جمعُ جابية من الجباية وهى من الصفات الغالبة كالدابّة وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ثابتات على الاثافى لا تنزل عنها لعظمها ٱعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا حكايةٌ عمّا قيل لهم ، وشكرا نصبٌ على العلّة اى اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدرِ لانّ العمل له شكرٌ او الوصفِ له او الحالِ او المفعولِ به وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ المتوفّر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثرَ اوقاته ومع ذلك لا يوفى حقّه لانّ توفيقه للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن

جزء ٢٢ الشكر (١٣) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ اى على سليمان مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ ما دلّ الجنّ وقيل آله إِلَّا دَابَّةُ
ركوع ٨ ٱلْأَرْضِ اى الأَرَضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثّر الخشبة من فعلها يقال أَرِضَت الأَرَضةُ الخشبةَ أَرْضًا فأَرِضَتْ أَرَضًا مثل أَكَلت القوادحُ الاسنانَ أَكْلًا فأَكِلَتْ أَكَلًا تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ عصاه من نَسَأْتُ البعيرَ اذا طردته لانها يُطْرَد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس إخراجها بين بين ومِنْسَآءَتَهُ على مِفْعَالة كميضاءة فى ميضأة ومِنْ سَأَتِه اى طرف عصاه مستعار من سأة القوس وفيه لغتان كما فى قَحَة وقِحَة وقرأ نافع وابو عمرو مِنسَاتَه بالف بدلا من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ علمت الجنّ بعد التباس الامر عليهم أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ أنّهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حين ما وقع فلم يلبثوا بعده حولا فى تسخيره الى ان خرّ او ظهرت الجنّ وأَنْ بما فى حيّزه بدلٌ منه اى ظهر انّ الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب وذلك انّ داود اسّس بيت المقدس فى مَوضع فسطاط موسى عليهما السلام فمات قبل تمامه فوصّى به الى سليمان فاستعمل الجنّ فيه فلم يتمّ بعدُ اذ دنا اجله وأُعْلِم به فاراد ان يعمّى عليهم موته ليتمّوه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلّى متّكئا على عصاه فقُبض روحه وهو متّكئ عليها فبقى كذلك حتّى اكلتها الأَرَضة فخرّ ثمّ فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فأكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه (١٤) لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ لاولاد سبا بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانّه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلبُ همزته الفا ولعلّه اخرجه بين بين فلم يؤدّه الراوى كما وجب فِى مَسَاكِنِهِمْ فى مواضع سُكناهم وهى باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صَنْعاء مسيرةُ ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائىّ بالكسر حملا على ما شذّ من القياس كالمَسْجِد والمَطْلِع آيَةٌ علامةٌ دالّةٌ على وجود الصانع المختار وانّه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مُجازٍ للمُحْسِن والمُسِيء معاضدةٌ للبرهان السابق كما فى قصّتى داود وسليمان جَنَّتَانِ بدل من آيةٌ او خبرُ محذوف تقديره الآيةُ جنّتان وقرئ بالنصب على المدح والمرادُ جماعتان من البساتين عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ جماعةٌ من يمين بلدتهم وجماعةٌ عن شمالها كلُّ واحدة منهما فى تقاربها وتضامّها كانّها جنّة واحدة او بستانًا كلِّ رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا لَهُ حكايةٌ لما قال لهم نبيُّهم او لسانُ الحال او دلالةٌ بانّهم كانوا احقّاء بأن يقال لهم ذلك بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ استيناف للدلالة على موجب الشكر اى هذه البلدةُ الّتى فيها رزقكم بلدةٌ طيّبة وربّكم الّذى رزقكم وطلب شكركم ربٌّ غفور فرطاتِ من يشكره وقرئ الكلّ بالنصب على المدح قيل كانت اخصب البلاد

جزء ۲۲ واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامّة (۱۵) فَأَعْرَضُوا عن الشكر فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ سيل الامر العرم
ركوع ۸ اى الصعب من عَرِمَ الرجل فهو عارم وعَرِم اذا شرِس خُلُقه وصَعُب او المطر الشديد او الجُرَذ اضاف
اليه السيل لانّه نقب عليهم سكرا ضربته لهم بلقيس فحقنت به ماء السُّجر وتركت فيه ثُقبا على مقدار
ما يحتاجون اليه او المُسَنّاة الّتى عُقدت سكرا على انّه جمع عَرِمة وهى الحجارة المركومة وقيل اسم
۵ وادٍ جاء السيل من قِبَله وكان ذلك بين عيسى ومحمّد عليهما الصلوة والسلام وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ ثمر بَشِع فانّ الخمط كلّ نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الأراك او كلّ
شجر لا شوك له والتقدير اكلِ اكلِ خمطٍ فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فى كونه بدلا
او عطف بيان وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ معطوفان على اكل لا على خمط فانّ الاثل هو الطرفاء ولا ثمر
له وقرئا بالنصب عطفا على جنّتين ، ووصف السدر بالقلّة لانّ جناه وهو النبق ممّا يطيب اكله
۱۰ ولذلك يُغرس فى البساتين ، وتسمية البدل جنّتين للمشاكلة والتهكّم ، وقرأ ابو عمرو أُكُلِ بغير
تنوين اللام والحرميّان بتخفيف أُكْلِ (۱۶) ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا بكفرانهم النعمة او بكفرهم
بالرسل اذ روى انّه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيّا فكذّبوهم ، وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص
وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا ٱلْكَفُورَ وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم الّا البليغ فى الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائىّ
ويعقوب وحفص نُجَازِى بالنون وَٱلْكَفُورَ بالنصب (۱۷) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا
۱۵ بالتوسعة على اهلها وهى قرى الشأم قُرًى ظَاهِرَةً متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق
ظاهرة لابناء السبيل وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ بحيث يقيل الغادى فى قرية ويبيت الرائح فى قرية الى ان يبلغ
الشأم سِيرُوا فِيهَا على ارادة القول بلسان الحال او المقال لَيَالِىَ وَأَيَّامًا متى شئتم من ليل ونهار آمِنِينَ
لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدّة سفركم فيها او سيروا فيها
ليالى اعماركم وايّامها لا تلقون فيها الّا الامن (۱۸) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا أَشِروا النعمة وملّوا
۲۰ العافية كبنى اسرائيل فسألوا اللّه ان يجعل بينهم وبين الشأم مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب
الرواحل وتزوّد الازواد فأجابهم اللّه بتخريب القرى المتوسّطة ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام
بَعِّدْ ويعقوب رَبُّنَا بَاعَدَ بلفظ الخبر على انّه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا فى الترفّه وعدم
الاعتداد بما انعم اللّه عليهم فيه ومثله قراءة من قرأ رَبَّنَا بَعُدَ او بَعِّدَ على النداء واسناد الفعل الى بين
وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ حيث بَطِروا النعمة ولم يعتدّوا بها فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ يتحدّث الناس بهم تعجّبا
۲۵ وضربَ مَثَلٍ فيقولون تفرّقوا أَيْدِى سَبَا وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ وفرّقناهم غاية التفريق حتّى لحق غسّان
منهم بالشأم وأنمار بيثرب وجُذام بتهامة والأزد بعُمان إِنَّ فِى ذٰلِكَ فى ما ذُكر لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ
عن المعاصى شَكُورٍ على النعم (۱۹) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ اى صدق فى ظنّه او صدق يظنّ

جزء ٢٢ ظنّه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدّى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وَعْدَه لانّه نوع من القول
ركوع ٥ وشدّده الكوفيّون بمعنى حقّق ظنّه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظنّ مع التشديد
بمعنى وجده ظنّه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنّه الصدقَ حين خيّله إغواءهم وبرفعهما
والتخفيف على الابدال وذلك إمّا ظنّه بسبإ حين رأى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين
رأى اباهم النبيّ ضعيف العزم او ما رُكّب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها
من يفسد فيها فقال لأضلّنّهم ولأغوينّهم فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ الّا فريقا هم المؤمنون لم يتّبعوه
وتقليلهم بالاضافة الى الكفّار او الّا فريقا من فرق المؤمنين لم يتّبعوه في العصيان وهم المخلصون
(٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ تسلّط واستيلاء بوسوسة واستغواء إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِٱلْآخِرَةِ مِمَّنْ
هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ الّا ليتعلّق علمنا بذلك تعلّقا يترتّب عليه الجزاء او ليتميّز المؤمن من الشاكّ او
ليؤمن من قُدّر ايمانه ويشكّ من قُدّر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلّقه مبالغةً ، وفي نظم
ركوع ٦ الصلتين نكتة لا تخفى وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ محافظ والزنتان متآخيتان (٢١) قُلِ للمشركين
ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ اى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حُذف الاوّل لطول الموصول بصلته
والثاني لقيام صفته مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانّه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا
يملكون لانّهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمّكم من جلب نفع او دفع ضرّ لعلّهم يستجيبون
لكم ان صحّ دعواكم ثمّ اجاب عنهم اشعارا بتعيّن الجواب وانّه لا يقبل المكابرة فقال لَا يَمْلِكُونَ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ من خير او شرّ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ في امرٍ ما وذكرهما للعموم العُرفيّ او لانّ آلهتهم
بعضها سماويّة كالملائكة والكواكب وبعضها ارضيّة كالاصنام او لانّ الاسباب القريبة للشرّ والخير سماويّة
وارضيّة والجملة استيناف لبيان حالهم وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ من شركة لا خلقا ولا ملكا وَمَا لَهُ
مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ يُعينه على تدبير امرهما (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ فلا تنفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون
اذ لا تنفع الشفاعة عند الله إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ان يَشْفع او اذن ان يُشفع له لعلوّ شأنه ولم يثبت ذلك
واللام على الاوّل كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في قولك جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة
والكسائيّ بضمّ الهمزة حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ غاية لمفهوم الكلام من انّ ثمّ توقّفا وانتظارا للاذن اى
يتربّصون فزعين حتّى اذا كُشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة
وقد تقدّم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فَزَّعَ على البناء للفاعل وقرئ فُرِّغ اى نُفي الوجل
من فَرَغ الزاد اذا فنى قَالُوا قال بعضهم لبعض مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ في الشفاعة قَالُوا ٱلْحَقَّ قالوا قال القول
الحقّ وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اى مقوله الحقّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ
ذو العلوّ والكبرياء ليس لملك او نبيّ ان يتكلّم ذلك اليوم الّا باذنه (٢٣) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمٰوَاتِ

وَٱلْأَرْضِ يريد به تقرير قوله لا يملكون قُلِ ٱللَّهُ اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانّهم ان سكتوا او تلعثموا جزء ٢٢
فى الجواب مخافة الالزام فهم مُقِرّون به بقلوبهم وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ اى وانّ احد ركوع ٩
الفريقين من الموحّدين المتوحّد بالرزق والقدرة الذاتيّة بالعبادة والمشركين به الجمادَ النازلَ فى ادنى المراتب الامكانيّة لَعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبينَيْن وهو بعد ما تقدّم من التقرير البليغ الدالّ على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال ابلغ من التصريح لانّه فى صورة الانصاف المُسْكِت للخصم المشاغِب ونظيرُه قولُ حَسّان

أَتَهْجوه ولستَ له بكُفْوٍ فشرُّكما لخيركما الفداءُ

وقيل انّه على اللفّ والنشر وفيه نظرٌ ، واختلاف الحرفين لانّ الهادى كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويطّلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضالّ كانّه منغمس فى ظلام مرتبك لا يرى شيئا او محبوس فى مطمورة لا يستطيع ان يتفصّى منها (٢٤) قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ هذا ادخلُ فى الانصاف وابلغُ فى الاخبات حيث أُسْنِد الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطَبين (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا يوم القيٰمة ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ بحكم ويفصل بأن يُدْخِل المحقّين الجنّة والمبطلين النار وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ الحاكم الفيصل فى القضايا المنغلقة ٱلْعَلِيمُ بما ينبغى ان يقضى به (٢٦) قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ لأرى باىّ صفة الحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شُبَهِهم بعد الزام الحجّة عليهم زيادةً فى تبكيتهم كَلَّا ردعٌ لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء المُلْحَقون به متّسمون بالذلّة متأبّية عن قبول العلم والقدرة رأسا ، والضمير لله او للشأن (٢٧) وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ الّا ارسالةً عامّةً لهم من الكفّ فانّها اذا عمّتهم فقد كفّتهم ان يخرج منها احدٌ منهم او الّا جامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ فيحملهم جهلهم على مخالفتك (٢٨) وَيَقُولُونَ من فرط جهلهم مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ يعنون المبشّر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربّنا إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ يخاطبون به رسول الله صلعم والمؤمنين (٢٩) قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ وَعْدُ يوم او زمانٍ وَعْدٍ واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيّده انّه قرئ يَوْمٌ على البدل وقرئ يَوْمًا باضمارِ اعنى لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ اذا فاجأكم وهو جوابُ تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنّت والانكار

(٣٠) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ولا بما تقدّمه من الكتب الدالّة ركوع ١٠
على النعت قيل انّ كفّار مكّة سألوا اهل الكتاب عن الرسول فأخبروهم انّهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الّذى بين يديه يومُ القيٰمة وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ

جزء ٢٢ اى فى موضع المحاسبة يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يتحاورون ويتراجعون القول يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا
ركوع ١٠ يقول الأتباع لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا للرؤساء لَوْلَا أَنْتُمْ لولا اضلالكم وصدّكم ايانا عن الايمان لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ
باتّباع الرسول عم (٣١) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ ٱلْهُدَى بَعْدَ إِذْ
جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ انكروا انّهم كانوا صادّين لهم عن الايمان واثبتوا انّهم هم
ٱلَّذين صدّوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم
(٣٢) وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ اضراب عن اضرابهم اى لم يكن
اجرامنا الصادّ بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتّى اعورتم علينا رأينا إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ
لَهُ أَنْدَادًا والعاطف يعطفه على كلامهم الاوّل ، واضافة المكر الى الظرف على الاتّساع وقرئ مَكْرَ
ٱللَّيْلِ بالنصب على المصدر ومَكْرٌ ٱللَّيْلَ بالتنوين ونصب الظرف ومَكَرُّ ٱللَّيْلِ من الكرور وَأَسَرُّوا ٱلنَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا ٱلْعَذَابَ واضمر الفريقان الندامة على الضلالة والاضلال واخفاها كلّ عن صاحبه مخافة التعيير او
اظهروها فانّه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما فى اشكيته وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا اى فى اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمّهم واشعارا بموجب اغلالهم هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ اى لا يُفْعَل بهم ما يفعل الّا جزاء على اعمالهم ، وتعديته يجزى امّا لتضمين معنى يُقْضَى
او لنزع الخافض (٣٣) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا تسلية لرسول الله صلعم ممّا مُنِى به
من قومه ، وتخصيص المتنعّمين بالتكذيب لانّ الداعى المعظم اليه التكبّر والمفاخرة بزخارف الدنيا
والانهماك فى الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضمّوا التهكّم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا
إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ مقابلة الجمع بالجمع (٣٤) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فنحن اولى بما تدّعونه
ان امكن وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ امّا لانّ العذاب لا يكون او لانّه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب
(٣٥) قُلْ ردّا لحسبانهم إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة
فى الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
فيظنّون انّ كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما تكون للاستدراج كما قال
ركوع ١١ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى قُرْبَةً ، وَٱلَّتِى امّا لانّ المراد وما جماعة
اموالكم واولادكم او لانّها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بِٱلَّذِى اى بالشىء ٱلَّذى يقرّبكم
إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا استثناء من مفعول تقرّبكم اى الاموال والاولاد لا تقرّب احدا الّا المؤمن الصالح
ٱلَّذى ينفق ماله فى سبيل الله ويعلّم ولده الخير ويربّيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على
حذف المضاف فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة

اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء جزء ٢٢
على التمييز او المصدر لفعله الذى دلّ عليه لَهُمْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَاتِ آمِنُونَ من المكاره وقرئ بفتح الراء ركوع ١١
وسكونها وقرأ حمزة فِى ٱلْغُرْفَةِ على ارادة الجنس (٣٧) وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِى آيَاتِنَا بالردّ والطعن فيها مُعَاجِزِينَ
مسابقين لانبيائنا او ظانّين انهم يفوتوننا أُولٰئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
٥ لِمَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ يوسّع عليه تارة ويضيّق عليه اخرى فهذا فى شخص واحد باعتبار
وقتين وما سبق فى شخصين فلا تكرير وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ عوضا امّا عاجلا او آجلا
وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ فانّ غيره وسط فى ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيّته (٣٩) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا المستكبرين
والمستضعفين ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَآئِكَةِ أَهٰؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا
لهم عمّا يتوقّعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانّهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم
١٠ ولانّ عبادتهم مبدأ الشرك واصله ، وقرأ حفص بالياء فيهما (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ
انت الّذى نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانّهم بيّنوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم
ثمّ اضربوا عن ذلك ونفوا انّهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ اى الشياطين
حيث اطاعوهم فى عبادة غير اللّه وقيل كانوا يتمثّلون لهم ويخيّلون اليهم انّهم الملائكة فيعبدونهم
أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ الضمير الاوّل للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكلّ والثانى للجنّ
١٥ (٤١) فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا اذ الامر فيه كلّه له لانّ الدار دار الجزاء وهو المجازى
وحده وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ عطف على لا يملك مبيّن للمقصود
من تمهيده (٤٢) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هٰذَا يعنون محمّدا عم إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ
يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ فيستتبعكم بما يستبدعه وَقَالُوا مَا هٰذَا يعنون القران إِلَّا إِفْكٌ
لعدم مطابقة ما فيه الواقع مُفْتَرًى باضافته الى اللّه سبحانه وتعالى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ
٢٠ لامر النبوّة او للاسلام او للقران والاوّل باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ
ظاهر سحريّته ، وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول
فيه وما فى لمّا من المبادهة الى البتّ بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه (٤٣) وَمَا آتَيْنَاهُمْ
مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا فيها دليل على صحّة الاشراك وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ يدعوهم اليه وينذرهم
على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية التجهيل لهم

جزء ٢٢ والتسفيه لرأيهم ثمّ هدّدهم فقال (٤٤) وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كما كذّبوا وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ
ركوع ١١ وما بلغ هؤلاء عُشْرَ ما آتينا اولئك من القوّة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عُشْرَ ما آتينا
هؤلاء من البيّنات والهدى فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ فحين كذّبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير
فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله ، ولا تكرير فى كذّب لانّ الاوّل للتكثير والثانى
ركوع ١٢ للتكذيب او الاوّل مطلق والثانى مقيّد ولذلك عطف عليه بالفاء (٤٥) قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ارشدكم
وانصح لكم بخصلة واحدة هى ما دلّ عليه أَنْ تَقُومُوا لِلّٰهِ وهو القيام من مجلس رسول اللّه صلعم او
الانتصاب فى الامر خالصا لوجه اللّه مُعْرِضا عن المِراء والتقليد مَثْنَى وَفُرَادَى متفرّقين اثنين اثنين وواحدا
واحدا فانّ الازدحام يشوّش الخاطر ويخلّط القول ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا فى امر محمّد وما جاء به لتعلموا حقيقته
ومحلّه الجرّ على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هى او اعنى مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ فتعلموا
ما به من جنون يحمله على ذلك او استيناف منبّه لهم على انّ ما عرفوا من رجاحة عقله كاف فى
ترجيح صدقه فانّه لا يَدَعُه ان يتصدّى لادّعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقّق ووثوق ببرهان
فيفتضح على رءوس الاشهاد ويُلْقِىَ نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضمّ اليه معجزات كثيرة وقيل ما
استفهاميّة والمعنى ثمّ تتفكّروا اىّ شىء به من آثار الجنون إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ
قدّامه لانّه مبعوث فى نَسَم الساعة (٤٦) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ اىّ شىء سألتكم من اجر على الرسالة
فَهُوَ لَكُمْ والمراد نفى السؤال كانّه جَعَلَ التنبّىَ مستلزما لاحد الامرين امّا الجنون وامّا توقّع نفع دنيوىّ
عليه لانّه امّا ان يكون لغرض او غيره وأيًّا ما كان يلزم احدهما ثمّ نفى كلّ منهما وقيل ما موصولة
مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الّا من شاء ان يتّخذ الى ربّه سبيلا وقوله لا اسألكم
عليه اجرا الّا المودّة فى القربى واتّخاذ السبيل ينفعهم وقُرْباه قُرْباهم إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللّٰهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ مطّلع يعلم صدقى وخلوص نيّتى ، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائىّ وابو بكر باسكان الياء
(٤٧) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ يُلْقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمى به الباطل فيدمغه
او يرمى به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه ، وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء
عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ صفةٌ محمولةٌ على محلّ إنّ واسمها او بدلٌ من المستكنّ فى يقذف او خبرٌ ثانٍ او خبرُ
محذوف وقرئ بالنصب صفةً لربّى او مقدّرا بأعنى وقرأ حمزة وابو بكر ٱلْغِيُوبِ بالكسر كالبِيُوت وقرئ
بالفتح كالصَبُور على انّه مبالغة غائب (٤٨) قُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ اى الاسلام وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ
وزهق الباطل اى الشرك بحيث لم يبق له اثر مأخوذ من هلاك الحىّ فانّه اذا هلك لم يبق له
ابداء ولا اعادة قال

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ فاليومَ لا يُبْدِى ولا يُعيدُ

جزء ۲۲ وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيدها او لا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده وقيل
ركوع ۱۲ ما استفهاميّة منتصبة بما بعدها (۴۹) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ عن الحق فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي فانّ وبال ضلالى
عليها لانّه بسببها اذ هى الجاهلة بالذات والامّارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابَلَ الشرطيّة بقوله وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ
فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي فانّ الاهتداء بهدايته وتوفيقه إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ يُدْرِكُ قولَ كلّ ضالّ ومهتدٍ وفعلَه وان
اخفاه (۵۰) وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا عند الموت او البعث او يوم بدر ، وجوابُ لَوْ محذوف مثل لَرأيتَ فظيعا
فَلَا فَوْتَ فلا يفوتون اللّه بهرب او تحصّن وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ من ظهر الارض الى بطنها او من
الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القَليب ، والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيّده انّه قرئ وَأَخْذٌ
عطفا على محلّه اى فلا فَوْتَ هناك وهناك اخذٌ (۵۱) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ بمحمّد وقد مرّ ذكره فى قوله ما
بصاحبكم وَأَنَّى لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ فانّه فى حيّز
التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل لحالهم فى الاستخلاص بالايمان بَعْدَ ما فات عنهم وبَعُدَ عنهم
بحالِ من يريد ان يتناول الشىء من غَلْوة تناوُلَه من ذراع فى الاستحالة ، وقرأ ابو عمرو والكوفيّون غير
حفص بالهمز على قلب الواو لضمّتها او انّه من نَأَشْتُ الشىء اذا طلبته قال رُؤْبة

اقحمنى جارُ ابى الجاموش اليك نَأْشَ القَدَرِ النَّؤُوش

او من نأشت اذا تأخّرت ومنه قوله

تَمَنَّى نَئِيشًا أَنْ يَكُونَ أَطَاعَنِي وقد حدثَتْ بعدَ الأُمورِ أُمورُ

فيكون بمعنى التناول من بُعْد (۵۲) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ بمحمّد او بالعذاب مِنْ قَبْلُ من قبل ذلك اوانَ
التكليف وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ ويرجمون بالظنّ ويتكلّمون بما لم يظهر لهم فى الرسول عم من المطاعن
او فى العذاب من البتّ على نفيه مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ من جانب بعيدٍ من امره وهو الشُبَه الّتى تمحّلوها
فى امرِ الرسول او حالِ الآخرة كما حكاه مِنْ قبلُ ولعلّه تمثيل لحالهم فى ذلك بحالِ من يرمى شيئا لا
يراه من مكان بعيد لا مجالَ للظنّ فى لحوقه وقرئ وَيُقْذَفُونَ على انّ الشيطان يُلْقى اليهم ويلقّنهم
ذلك ، والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال
القاذف فى تحصيل ما ضيّعوه من الايمان فى الدنيا (۵۳) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ من نفع الايمان
والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائىّ باشمام الضمّ للحاء (۵۴) كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ
بأشباههم من كفرة الامم الدارجة إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ مُوقِعٍ فى الريبة او ذى ريبة منقول من
المشكّك او الشاكّ نُعت به الشكّ للمبالغة ، عن رسول اللّه صلعم من قرأ سورة سبا لم يبق رسول ولا
نبىّ الّا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا ٭

*

سُورَةُ ٱلْمَلَائِكَةِ

مكّيّة وآيها خمس واربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ٢٢ ركوع ١٣ (١) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ مبدعهما من الفطر بمعنى الشقّ كانّه شقّ العدم باخراجهما منه ، والاضافة محضة لانّه بمعنى الماضى جَاعِلِ ٱلْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وسائط بين اللّه وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلّغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صُنْعه أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ذوى اجنحة متعدّدة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكّلهم اللّه عليه فيتصرّفون فيه على ما امرهم به ولعلّه لم يُرِد به خصوصيّة الاعداد ونفىَ ما زاد عليها لما روى انّه عم رأى جبريل ليلة المعراج وله ستّمائة جناح يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ استيناف للدلالة على انّ تفاوتهم فى ذلك مقتضى مشيئته ومؤدّى حكمته لا امرٌ تستدعيه ذواتهم لانّ اختلاف الاصناف والانواع بالخواصّ والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزِمَ تنافى لوازم الامور المتّفقة وهو محال ، والآية متناولة زيادات الصُّوَر والمعانى كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انّما هو من جهة الارادة (٢) مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوّز السبب للمسبّب مِنْ رَحْمَةٍ كنعمة وأمن وصحّة وعلم ونبوّة فَلَا مُمْسِكَ لَهَا يحبسها وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ يطلقه واختلاف الضميرين لانّ الموصول الاوّل مفسّر بالرحمة والثانى مطلق يتناولها والغضب وفى ذلك اشعار بانّ رحمته سبقت غضبه مِنْ بَعْدِهِ من بعد امساكه وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه ٱلْحَكِيمُ لا يفعل الّا بعلم واتقان ثمّ لمّا بيّن انّه الموجد للمُلك والملكوت والمتصرّف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال (٣) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ احفظوها بمعرفة حقّها والاعتراف بها وطاعة مُوليها ثمّ انكر ان يكون لغيره فى ذلك مدخل فيستحقّ ان يُشْرَك به بقوله هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ فمن اىّ وجه تُصْرَفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ، ورفع غَيْرُ للحمل على محلّ مِنْ خَالِقٍ بأنّه وصف او بدلٌ فانّ الاستفهام بمعنى النفى او لانّه فاعل خالق وجرّه حمزة والكسائىّ حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ، ويرزقكم صفة لخالق او استيناف مفسّر له او كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير اللّه (٤) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ اى فتأسّ بهم فى الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذّبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبّب ، وتنكير رسل للتعظيم

المقتضى زيادة التسلية والحث على المصابرة وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ فيجازيك وإيّاهم على الصبر والتكذيب جزء ٢٢
(٥) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ بالحشر والجزاء حَقٌّ لا خُلْف فيه فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فيذهلكم ركوع ١٣
التمتّع بها عن طلب الآخرة والسعى لها وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ الشيطان بأن يمنّيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانّها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقّع كتناول السمّ اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضمّ وهو مصدر او جمع كقعود (٦) إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ عداوة عامّة قديمة فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا فى عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه فى مجامع احوالكم إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ تقرير لعداوته وبيان لغرضه فى دعوة شيعته الى اتّباع الهوى والركون الى الدنيا (٧) ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٨) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد

لمن خالفه وقطعٌ للامانى الفارغة وبناءٌ للامر كلّه على الايمان والعمل الصالح وقوله (٩) أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ ركوع ١٤
سُوٓءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا تقرير له اى افمن زيّن له سوء عمله بأن غلب وهمه وهواه على عقله حتّى انتكس رأيه فرأى الباطل حقّا والقبيح حسنا كمن لم يزيّن له بل وُفّق حتّى عرف الحقّ واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هى عليه فحذف الجواب لدلالة فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَآءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَآءُ وقيل تقديره افمن زيّن له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيّهم واصرارهم على التكذيب والفاءات الثلاث للسببيّة غير انّ الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبّب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوى افعالهم المقتضية للتأسّف وعليهم ليس صلة لها لانّ صلة المصدر لا تتقدّمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسّر عليه إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ فيجازيهم عليه (١٠) وَٱللَّهُ ٱلَّذِى أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائىّ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالّة على كمال الحكمة ولانّ المراد بيان احداثها بهذه الخاصّية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ وقرأ نافع وحمزة والكسائىّ وحفص بتشديد الياء فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانّه سبب السبب او الصائر مطرا بَعْدَ مَوْتِهَا بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل فى الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ اى مثل احياء الموات نشور الاموات فى صحّة المقدوريّة اذ ليس بينهما الّا احتمال اختلاف المادّة فى المقيس عليه وذلك لا مدخل له فيها وقيل فى كيفيّة الاحياء فانّه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه اجساد الخلق (١١) مَنْ كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ الشرف والمنعة فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا اى فليطلبها من

جزء ٢٢ ركوع ١٤

عنده فانّ له كلّها فاستغنى بالدليل عن المدلول إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ بيان لما يُطْلَب به العزّة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودُهما اليه مجازٌ عن قبوله ايّاهما او صعود الكَتَبة بصحيفتهما ، والمستكنّ فى يرفعه للكلم فانّ العمل لا يُقْبَل الّا بالتوحيد ويؤيّده انّه نُصب العمل او للعمل فانّه يحقّق الايمان ويقوّيه او للّه وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكُلفة ، وقرئ يُصْعَدُ على البنائَيْن والمُصْعِدُ هو اللّه تعالى او المتكلّم به او المَلَك ، وقيل الكلم الطيّب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القران وعنه عم هو سبحانَ اللّه والحمدُ للّه ولا اله الّا اللّه واللّه اكبر اذا قالها العبد عرج بها المَلَك الى السماء فحيّا بها وجهَ الرحمن فاذا لم يكن عملٌ صالحٌ لم تُقْبَل وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّآتِ المكرات السيّآت يعنى مكراتِ قريش للنبىّ عم فى دار النَّدْوة وتداوُرَهم الرأىَ فى احدى ثلاث حبسه وقتله واجلائه لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ لا يُؤْبَه دونه بما يمكرون به وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ يَفْسد ولا ينفذ لانّ الامور مقدّرة لا تتغيّر به كما دلّ عليه بقوله (١٢) وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ بخلق آدم منه ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ بخلق ذرّيّته منها ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ذُكرانا واناثا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ الّا معلومةً له وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وما يُمَدّ فى عمرِ من مصيرُه الى الكِبَر وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ من عمر المعمَّر لغيره بأن يعطى له عمرٌ ناقصٌ من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمرُه بجعله ناقصا والضمير له وإن لم يُذْكَر لدلالة مقابله عليه او للمعمَّر على التسامح فيه ثقةً بفهم السامع كقولهم لا يثيب اللّه عبدا ولا يعاقبُه الّا بحقّ وقيل الزيادة والنقصان فى عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة أُثْبِتت فى اللوح مثلَ أن يكون فيه إنْ حجّ عمرو فعمره ستّون سنة والّا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمرّ من عمره وينقضى فانّه يكتب فى صحيفة عمره يوما فيوما ، وعن يعقوب وَلَا يَنْقُصُ على بناء الفاعل إِلَّا فِي كِتَابٍ هو علم اللّه او اللوح او الصحيفة إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص (١٣) وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ضربُ مثل للمؤمن والكافر ، والفرات الّذى يكسر العطش والسائغ الّذى يسهل انحداره والاجاج الّذى يحرق بملوحته ، وقرئ سَيِّغٌ بالتشديد وسَيْغٌ بالتخفيف ومَلِحٌ على فَعِل وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا استطرادٌ فى صفة البحرَيْن وما فيهما من النِعَم او تمامُ التمثيل والمعنى كما انّهما وإن اشتركا فى بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انّهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانّه خالَطَ احدَهما ما افسده وغيّره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر وإن اتّفق اشتراكهما فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصّيّة العظمى وهى بقاء احدهما على الفطرة الاصليّة دون الآخر او تفضيلٌ للاجاج على الكافر بما يشارك العذبَ من المنافع ، والمراد بالحلية اللآلى واليواقيت وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ فى كلٍّ مَوَاخِرَ تشقّ الماء بجريها لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ من فضل اللّه بالنُقْلة فيها ، واللام

متعلّقة بمواخر ويجوز ان تتعلّق بما دلّ عليه الافعال المذكورة وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ على ذلك ، وحرف جزء ٢٢ الترجّى باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال (١٤) يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱللَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ ركوع ١٤ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى هى مدّة دوره او منتهاه او يوم القيمة ذٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء ، وفيها اشعار بانّ فاعليّته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ فى قِرانٍ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ للدلالة على تفرّده بالالوهيّة والربوبيّة ، والقطمير لفافة النواة (١٥) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ لانّهم جماد وَلَوْ سَمِعُوا على سبيل الفرض مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبرّئهم منكم ممّا تدّعون لهم وَيَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ باشراككم لهم يقرّون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايّانا تعبدون وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ولا يخبرك بالامر مُخْبِرٌ مثل خبير به اخبرك وهو اللّه سبحانه فانّه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفى ما يدّعون لهم (١٦) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنْتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ فى انفسكم وما يعنّ لكم ، وتعريف الفقراء للمبالغة فى فقرهم ركوع ١٥ كانّهم لشدّة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وانّ افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتدّ به ولذلك قال وخُلق الانسان ضعيفا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ المستغنى على الاطلاق المُنْعِم على سائر الموجودات حتّى استحقّ عليهم الحمد (١٧) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ بقوم آخرين أَطْوَع منكم او بعالم آخر غير ما تعرفونه (١٨) وَمَا ذٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ بمتعذّر او متعسّر (١٩) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى وامّا قوله وليحملنّ اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففى الضالّين المضلّين فانّهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكلّ ذلك اوزارهم ليس فيها شىء من اوزار غيرهم وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ نفس اثقلها الاوزار إِلَىٰ حِمْلِهَا تحمّل بعض اوزارها لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ لم تُجَبْ بحمل شىء منه نفى ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ولو كان المدعوّ ذا قرابتها فأضمر المدعوّ لدلالة إِنْ تَدْعُ عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو أولى من جعل كان التامّة فانّها لا تلائم نظم الكلام إِنَّمَا تُنْذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَيْبِ غائبين عن عذابه او عن الناس فى خلواتهم او غائبا عنهم عذابه وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ فانّهم المنتفعون بالانذار لا غير ، واختلاف الفعلين لما مرّ وَمَنْ تَزَكَّىٰ ومن تطهّر عن دنس المعاصى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ اذ نفعه لها وقرئ وَمَنِ ٱزَّكَّىٰ فَإِنَّمَا يَزَّكَّىٰ وهو اعتراض مؤكّد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانّهما من جملة التزكّى وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ فيجازيهم على تزكّيهم (٢٠) وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ الكافر والـ

جزء ٢٢ هما مثلان للصنم واللّه عزّ وجلّ وَلَا ٱلظُّلُمَاتُ وَلَا ٱلنُّورُ ولا الباطل ولا الحق وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ولا
ركوع ١٥ الثواب ولا العقاب ولَا لتأكيد نفى الاستواء وتكريرها على الشقّين لمزيد التأكيد ، والحرور فَعُول من
الحرّ غلب على السموم وقيل السموم ما يهبّ نهارا والحرور ما يهبّ ليلا (٢١) وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا
ٱلْأَمْوَاتُ تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاوّل ولذلك كرّر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء
إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَآءُ هدايته فيوفّقه لفهم آياته والاتّعاظ بعظاته وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي ٱلْقُبُورِ
ترشيح لتمثيل المصرّين على الكفر بالاموات ومبالغة فى اقناطه عنهم إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ فما عليك الّا
الانذار وأمّا الإسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه فى المطبوع على قلوبهم (٢٢) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِٱلْحَقِّ محقّين
او محقّا او إرسالا مصحوبا بالحقّ ويجوز ان يكون صلة لقوله بَشِيرًا وَنَذِيرًا اى بشيرا بالوعد الحقّ
ونذيرا بالوعيد الحقّ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ اهل عصر إِلَّا خَلَا مضى فِيهَا نَذِيرٌ من نبىّ او عالم ينذر عنه
والاكتفاء بذكره للعلم بانّ النذارة قرينة البشارة سيّما وقد قُرن به من قبل او لانّ الانذار هو
المقصود الاهمّ من البعثة (٢٣) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ
بالمعجزات الشاهدة على نبوّتهم وَبِٱلزُّبُرِ كصحف ابرٰهيم وَبِٱلْكِتَابِ ٱلْمُنِيرِ كالتورية والانجيل على ارادة
التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين (٢٤) ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا
ركوع ١٦ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ اى إنكارى بالعقوبة (٢٥) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا
أَلْوَانُهَا اجناسها او اصنافها على انّ كلّا منها ذو اصناف مختلفة او هيئآتها من الصفرة والخضرة ونحوها
وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ اى ذو جُدَد اى خُطَط وطرائق يقال جُدّة الحمار للخطّة السوداء على ظهره
وقرئ جُدُدٌ بالضمّ جمع جديدة بمعنى الجُدّة وجَدَدٌ بفتحتين وهو الطريق الواضح بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ
أَلْوَانُهَا بالشدّة والضعف وَغَرَابِيبُ سُودٌ عطف على بيض او على جدد كانّه قيل ومن الجبال ذو جدد
مختلف اللون ومنها غرابيب متّحدة اللون وهو تأكيدُ مُضمَرٍ يفسّره ما بعده فانّ الغربيب تأكيد
للاسود ومن حقّ التأكيد ان يتبع المؤكَّد ونظيرُ ذلك فى الصفة قول النابغة • والمؤمن العائذات
الطيرِ • وفى مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَابِّ وَٱلْأَنْعَامِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ كاختلاف الثمار والجبال إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَآءُ اذ شرط الخشية
معرفةُ المخشىّ والعلمُ بصفاته وأفعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال عم انّى اخشاكم
للّه واتقاكم له ولهذا أتبعه ذكرَ افعاله الدالّة على كمال قدرته ، وتقديمُ المفعول لانّ المقصود حصر
الفاعليّة ولو اخّر انعكس الامر ، وقرئ برفع اسم اللّه ونصب العلماء على انّ الخشية مستعارة للتعظيم

فانّ المعظَّم يكون مَهيبا إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقبٌ للمُصرّ على طغيانه غفورٌ للتائب عن عصيانه (٢٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ ٱللَّهِ يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتّى صارت سِمةً لهم وعنوانا ، والمرادُ بكتاب اللّه القرانُ او جنسُ كتب اللّه فيكون ثناء على المصدّقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذّبين وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً كيف اتّفق من غير قصد اليهما وقيل السرّ فى المسنونة والعلانية فى المفروضة يَرْجُونَ تِجَارَةً تحصيلَ ثواب بالطاعة وهو خبرُ إنّ لَن تَبُورَ لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفةٌ للتجارة وقولُه (٢٧) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ علّةٌ لمدلوله اى ينتفى عنها الكساد وتنفق عند اللّه ليوفّيهم بنَفاقها اجورَ اعمالهم او لمدلولِ ما عُدّ من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفّيهم او عاقبةٌ ليرجون وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ على ما يقابل اعمالَهم إِنَّهُ غَفُورٌ لفرطاتهم شَكُورٌ لطاعاتهم اى مجازيهم عليها وهو علّة للتوفية والزيادة او خبرُ إنّ ويرجون حال من واوِ انفقوا (٢٨) وَٱلَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَابِ يعنى القرانَ ومِنْ للتبيين او الجنسَ ومِنْ للتبعيض هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ احقّه مصدّقا لما تقدّمه من الكتب السماويّة حالٌ مؤكّدة لانّ حقّيته تستلزم موافقته ايّاه فى العقائد وأصولِ الاحكام إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ عالم بالظواهر والبواطن فلو كان فى احوالك ما ينافى النبوّة لم يُوحِ اليك مثلَ هذا الكتاب المعجز الّذى هو عيار على سائر الكتب ، وتقديمُ الخبير للدلالة على انّ العمدة فى ذلك الامور الروحانيّة (٢٩) ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبّر عنه بالماضى لتحقّقه او ورّثناه من الامم السالفة ، والعطفُ على انّ الّذين يتلون والّذى اوحينا اليك اعتراضٌ لبيان كيفيّة التوريث ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا يعنى علماء الامّة من الصحابة ومن بعدهم او الامّة بأسرهم فانّ اللّه اصطفاهم على سائر الامم فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ بالتقصير فى العمل به وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ يعمل به فى اغلب الاوقات وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ بضمّ التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالمُ الجاهل والمقتصد المتعلّم والسابق العالم وقيل الظالم المُجْرِم والمقتصد الّذى خلط الصالح بالسيّء والسابق الّذى ترجّحت حسناته بحيث صارت سيّـآته مكفّرة وهو معنى قوله عم امّـا الّذين سبقوا فاولئـك يدخلون الجنّة يُرْزَقون بغيـر حساب وامّـا الّذين اقتصدوا فاولئـك يحاسَبون حسابا يسيرا وامّا الّذين ظلموا انفسهم فاولئك يُحْبَسون فى طول المحشر ثمّ يتلقّاهم اللّه برحمته وقيل الظالم الكافر على انّ الضمير للعباد وتقديمُه لكثرة الظالمين ولانّ الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضَى الجبلّة والاقتصادُ والسبقُ عارضان ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا مبتدأ وخبر ، والضميرُ للثلاثة او للّذين او للمقتصد والسابق فانّ المراد بهما الجنس ، وقرئ جَنّةُ عَدْنٍ وجَنّاتِ عَدْنٍ منصوبة بفعل

جزء ٢٢ ركوع ١٦

يفسّره الظاهر وقرأ ابو عمرو يُدْخَلُونَهَا على بناء المفعول يُحَلَّوْنَ فِيهَا خبر ثانٍ او حال مقدّرة ، وقرئ جزء ٢٢
يَحْلَوْنَ من حَلِيَت المرأة فهى حالٍ مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ مِن الاولى للتبعيض والثانية للتبيين وَلُؤْلُؤًا ركوع ١٦
عطف على ذهبٍ اى من ذهبٍ مرصّع باللؤلؤ او من ذهب فى صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا
على محلّ من اساور وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣١) وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ همّهم من
خوف العاقبة او همّهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها ، وقرئ الحُزْنَ
إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ للمذنبين شَكُورٌ للمطيعين (٣٢) ٱلَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ دار الاقامة مِنْ فَضْلِهِ من إنعامه
وتفضّله اذ لا واجب عليه لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ تعب وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ كلالٌ اذ لا تكليف فيها ولا
كدّ أُتبع نفىَ النصب نفيَ ما يتبعه مبالغةً (٣٣) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ لا يحكم
عليهم بموت ثانٍ فَيَمُوتُوا فيستريحوا ونصبه باضمار أَنْ وقرئ فَيَمُوتُونَ عطفا على يقضى كقوله ولا
يُؤْذَنُ لهم فيعتذرون وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا بل كلما خَبَتْ زيد إسعارها كَذٰلِكَ مثل ذلك الجزاء
نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ مبالغ فى الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو يُجْزَى على بناء المفعول واسناده الى كلّ وقرئ
يُجَازَى (٣٤) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا يستغيثون يفتعلون من الصُراخ وهو الصياح استعمل فى الاستغاثة
لجهر المستغيث صوته رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ باضمار القول ، وتقييد العمل الصالح
بالوصف المذكور للتحسّر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بانّ استخراجهم لتلافيه
وانّهم كانوا يحسبون انّه صالح والآن تحقّق لهم خلافه أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ
جواب من اللّه وتوبيخ لهم ، وما يتذكّر فيه متناولٌ كلَّ عمرٍ يمكن المكلّف فيه من التفكّر والتذكّر
وقيل ما بين العشرين الى الستّين وعنه عم العمر الّذى اعذر اللّهُ فيه الى ابن آدم ستّون سنة ، والعطف
على معنى اولم نعمّركم فانّه للتقرير كانّه قيل عمّرناكم وجاءكم النذير وهو النبىّ او الكتاب وقيل
العقل او الشيب او موت الاقارب (٣٥) فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ يدفع العذاب عنهم (٣٦) إِنَّ ٱللّٰهَ ركوع ١٧
عَالِمُ غَيْبِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
تعليل له لانّه اذا علم مُضْمَرات الصدور وهى اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها (٣٧) هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ
خَلَائِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مُلْقَى اليكم مقاليدُ التصرّف فيها وقيل خَلَفًا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع
خليف فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ جزاء كفره وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَافِرِينَ
كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا بيان له والتكرير للدلالة على انّ اقتضاء الكفر لكلّ واحد من الامرين مستقلّ
باقتضاء قبحه ووجوب التجنّب عنه والمراد بالمقت وهو اشدّ البغض مقتُ اللّه وبالخسار خسارُ الآخرة
(٣٨) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ يعنى آلهتهم والاضافة اليهم لانّهم جعلوهم

جزء ٢٢ ركوع ١٧

شركاء للّه او لانفسهم فيما يملكونه أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ بدل من أرأيتم بدل الاشتمال لانّه بمعنى اخبرونى كانّه قال اخبرونى عن هؤلاء الشركاء اورنى اىّ جزء من الارض استبدّوا بخلقه أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ ام لهم شركة مع اللّه فى خلق السموات فاستحقّوا بذلك شركة فى الالوهيّة ذاتيّة أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا ينطق على انّا اتّخذناهم شركاء فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ على حجّة من ذلك الكتاب بانّ لهم شركة جَعْليّة ويجوز ان يكون هم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ، وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر والكسائىّ عَلَى بَيِّنَاتٍ فيكون ايماء الى انّ الشرك خطير لا بدّ فيه من تعاضد الدلائل بَلْ إِنْ يَعِدُ ٱلظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا لمّا نفى انواع الحجج فى ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلافَ او الرؤساء الأتباعَ بانّهم شفعاء عند اللّه يشفعون لهم بالتقرّب اليه (٣٩) إِنَّ ٱللّٰهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا كراهةَ ان تزولا فانّ الممكن حالَ بقائه لا بدّ له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لانّ الامساك منعٌ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا ما امسكهما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ من بعد اللّه او من بعد الزوال والجملة سادّة مسدّ الجوابَيْن ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدّا هدّا كما قال تكاد السموات يتفطّرن منه وتنشقّ الارض (٤٠) وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ وذلك انّ قريشا لمّا بلغهم انّ اهل الكتاب كذّبوا رسلهم قالوا لعن اللّه اليهود والنصارى لو اتانا رسول لنكوننّ اهدى من احدى الامم اى من واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامّة التى يقال فيها هى احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ يعنى محمّدا عم مَا زَادَهُمْ اى النذير او مجيئه على التسبّب إِلَّا نُفُورًا تباعدا عن الحقّ (٤١) ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ بدل من نفورا او مفعول له وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ اصله وأن مكروا المكر السيّء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثمّ بُدّل أن مع الفعل بالمصدر ثمّ اضيف ، وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة فى الوصل وَلَا يَحِيقُ ولا يحيط ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر ، وقرئ وَلَا يُحِيقُ ٱلْمَكْرَ اى ولا يُحيق اللّه فَهَلْ يَنْظُرُونَ ينتظرون إِلَّا سُنَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ سنّة اللّه فيهم بتعذيب مكذّبيهم فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللّٰهِ تَبْدِيلًا (٤٢) وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللّٰهِ تَحْوِيلًا اذ لا يبدّلها بجعله غير التعذيب تعذيبا ولا يحوّلها بأن ينقله من المكذّبين الى غيرهم وقوله (٤٣) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ استشهاد عليهم بما يشاهدونه فى مسايرهم الى الشأم واليمن والعراق من آثار الماضين وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللّٰهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ ليسبقه ويفوته فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا بالاشياء

*

جزء ٢٢ كلّها قديرًا عليها (٤٤) وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا من المعاصى مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا ظهر الارض

ركوع ١٧ مِنْ دَابَّةٍ من نَسَمة تدبّ عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابّة الانس وحده لقوله وَلٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ

إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى هو يوم القيٰمة (٤٥) فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا فيجازيهم على اعمالهم ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنّة أن ادخل من اىّ باب شئت ٭

سُورَةُ يس

مكّيّة وآيها ثلث وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١٨ (١) يٰسٓ كالٓمٓ فى المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طىّء على انّ اصله يا أُنَيْسِين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل مُنُ اللّه فى أَيْمُنُ اللّه وقرئ بالكسر كجَيْرِ وبالفتح على البناء كأَيْنَ او الاعراب على اتْلُ ياسينَ او باضمارِ حرف القسم والفتحةُ لمنع الصرف وبالضمّ بناء كحَيْثُ او اعرابا على هذه ياسينُ وامال الياء حمزة والكسائىّ وابو بكر وروح وادغم النون فى واوِ وَٱلْقُرْآنِ ٱلْحَكِيمِ ابن عامر والكسائىّ ويعقوب وابو بكر وورش وهى واوُ القسم او العطفِ ان جعل يٰسٓ مُقْسَما به (٢) إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ لمن الّذين أُرسلوا (٣) عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وهو التوحيد والاستقامة فى الامور ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكنّ فى الجارّ والمجرور وفائدتُه وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دلّ عليه لمن المرسلين التزاما (٤) تَنْزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ خبرُ محذوف والمصدرُ بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائىّ وحفص بالنصب على اضمارِ اعنى او فعلِه على انّه على اصله وقرئ بالجرّ على البدل من القران (٥) لِتُنْذِرَ قَوْمًا متعلّق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ قوما غيرَ مُنْذَر آباؤُهم يعنى آباءهم الاقربين لتطاول مدّة الفترة فيكون صفة مبيّنة لشدّة حاجتهم الى ارساله او ٱلّذى انذر به او شيئًا انذر به آباؤُهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذارَ آبائهم على المصدر فَهُمْ غَافِلُونَ متعلّق بالنفى على الاوّل اى لم ينذروا فبقوا غافلين وبقوله انّك لمن المرسلين على الوجوه الاخرى اى ارسلناك اليهم لتنذرهم فانّهم غافلون (٦) لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ يعنى قوله لأملأنّ جهنّم من الجنّة والناس اجمعين فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لانّهم ممّن علم انّهم لا يؤمنون (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تُغْنى عنهم الآياتُ والنذرُ بتمثيلهم بالّذين غُلّت اعناقهم فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخلّيهم يطأطئون رءوسهم فَهُمْ مُقْمَحُونَ رافعون رءوسهم غاضّون ابصارهم فى انّهم لا يلتفتون لِفْتَ الحقّ ولا يعطفون اعناقهم نحوه

ولا يطاطئون رءوسهم له (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ جزء ٢٢
وبمن احاط بهم سدّان فغطّى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدّامهم ووراءهم فى انّهم محبوسون فى ركوع ١٨
مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات والدلائل ، وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص سَدًّا بالفتح وهو
لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضمّ وقرئ فَأَعْشَيْنَاهُمْ من
العَشَى ، وقيل الآيتان فى بنى مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ رأس النبىّ عم فأتاه وهو يصلّى ومعه
حجرٌ ليدمغه فلمّا رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتّى فكّوه عنها بجهد فرجع الى قومه
فأخبرهم فقال مخزومىّ آخرُ انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله تعالى (٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ
أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ سبق تفسيره فى البقرة (١٠) إِنَّمَا تُنْذِرُ انذارا يترتّب عليه البغية المرومة
مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ اى القران بالتأمّل فيه والعمل به وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ وخاف عقابه قبل حلوله
ومعاينة اهواله او فى سريرته ولا يغترّ برحمته فانّه كما هو رحمن منتقم قهّار فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ
(١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى الاموات بالبعث او الجهّال بالهداية وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا ما اسلفوا من الاعمال
الصالحة والطالحة وَآثَارَهُمْ الحسنةَ كعلمٍ علّموه وحبيسٍ وقفوه والسيّئةَ كاشاعة باطل وتأسيس ظلم
وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ يعنى اللوح المحفوظ (١٢) وَاضْرِبْ لَهُمْ ومثّل لهم من قولهم هذه الاشياء ركوع ١٩
على ضَرْبٍ واحد اى مثال واحد وهو يتعدّى الى مفعولين لتضمّنه معنى الجعل وهما مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ
على حذف مضاف اى اجعلْ لهم مَثَلَ اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يُقْتصر على واحد ويُجعل
المقدّرُ بدلا من الملفوظ او بيانا له ، والقرية انطاكية إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ بدل من اصحاب القرية ،
والمرسلون رسل عيسى الى اهلها واسنادُه الى نفسه فى قوله (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ لانّه فعلُ رسوله
وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا فقوّينا وقرأ ابو بكر مخفّفا من عزّه اذا
غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولانّ المقصود ذكرُ المعزَّز به بِثَالِثٍ هو شمعون فَقَالُوا إِنَّا
إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ وذلك انّهم كانوا عَبَدة اصنام فأرسل اليهم عيسى اثنين فلمّا قربا من المدينة رأيا حبيبا
النجّار يرعى غنما فسألهما فأخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان
له ولد مريض فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشُفى على ايديهما خلقٌ وبلغ حديثهما الى
الملك وقال لهما النا الهٌ سوى آلهتنا قالا من اوجدك وآلهتك قال حتّى انظر فى امركما فحبسهما ثمّ
بعث عيسى شمعون فدخل متنكّرا وعاشرَ اصحابَ الملك حتّى استأنسوا به واوصلوه الى الملك فأنس به
فقال له يوما سمعتُ انّك حبست رجلين فهل سمعتَ ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما
قالا الله الّذى خلق كلّ شىء وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
قال وما آيتكما قالا ما يتمنّى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتّى انشقّ له بصرٌ وأخذا
بندقتين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال شمعون ارأيتَ لو سألتَ إلٰهك حتّى يصنع

جزء ٢٢ مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس لى عنك سرّ الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضرّ ولا ينفع ثمّ
ركوع ١٩ قال إن قدر إلهكما على احياء ميّت آمنّا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايّام فقام وقال انّى أُدْخلت
فى سبعة اودية من النار وانّى احذّركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فُتحت ابواب السماء فرأيتُ شابّا حسنا
يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فلمّا رأى شمعون انّ قوله قد اثّر فيه نصحه
فآمن فى جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا لا مزيّة
لكم علينا تقتضى اختصاصكم بما تدّعون ، ورفع بشر لانتقاض النفى المقتضى إعمالَ مَا بالّا
وَمَا أَنْزَلَ ٱلرَّحْمٰنُ مِنْ شَيْءٍ وحى ورسالة إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ فى دعوى رسالته (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا
إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ استشهدوا بعلم اللّه وهو يجرى مجرى القسم وزادوا اللام المؤكّدة لانّه جوابٌ عن
انكارهم (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ الظاهر البيّن بالآيات الشاهدة بصحّته وهو المحسّن للاستشهاد
فانّه لا يحسن الّا ببيّنة (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ تشأمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادّعوه واستقباحهم
له وتنفّرهم عنه لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا عن مقالتكم هذه لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا
طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ سببُ شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طَيْرُكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ
وُعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيّرتم او توعّدتم بالرجم والتعذيب ، وقرئ بالف بين الهمزتين
وبفتح أنْ بمعنى أَتطيّرتم لأن ذُكّرتم وإنْ وأنْ بغير استفهام وأَيْنَ ذُكِرْتُمْ بمعنى طائركم معكم
حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فمن
ثمّ جاءكم الشؤم او فى الضلال ولذلك توعّدتم وتشأمتم بمن يجب ان يُكْرَم ويُتبرّك به
(١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى هو حبيب النجّار كان ينحت اصنامهم وهو ممّن آمن
بمحمّد عم وبينهما ستّمائة سنة وقيل كان فى غار يعبد اللّه فلمّا بلغه خبر الرسل اظهر دينه
قَالَ يَا قَوْمِ ٱتَّبِعُوا ٱلْمُرْسَلِينَ (٢٠) ٱتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا على النصح وتبليغ الرسالة وَهُمْ مُهْتَدُونَ
الى خير الدارين (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي على قراءة غير حمزة فانّه يُسكّن الياء فى الوصل ، تلطّف
فى الارشاد بايراده فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم
على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ مبالغة فى التهديد ثمّ عاد الى
المساق الاوّل (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ ٱلرَّحْمٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا لا تنفعنى
شفاعتهم وَلَا يُنْقِذُونِ بالنصرة والمظاهرة (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ فانّ ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرّا
بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضرّ واشراكه به ضلال بيّنٌ لا يخفى على عاقل ، وقرأ نافع
ويعقوب وابو عمرو بفتح الياء (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمُ ٱلَّذِي خلقكم ، وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح

جزء ٢٣ ركوع ١٩

الياء فَٱسْمَعُونِ فاسمعوا ايمانى وقيل الخطاب للرسل فانّه لمّا نصح قومه اخذوا يرجمونه فأسرع نحوهم قبل ان يقتلوه (٢٥) قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قيل له ذلك لمّا قتلوه بُشْرَى له بانّه من اهل الجنّة او اكراما واذنا فى دخولها كسائر الشهداء او لمّا همّوا بقتله فرفعه اللّه الى الجنّة على ما قاله الحَسَنُ وانّما لم يقل لَهُ لانّ الغرض بيان المقول دون المقول له فانّه معلوم ، والكلام استيناف فى حيّز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربّه بعد تصلّبه فى نصر دينه وكذلك قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ فانّه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول وانّما تمنّى علْمَ قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثْلها بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة على دأب الاولياء فى كظم الغيظ والترحّم على الاعداء او ليعلموا انّهم كانوا على خطا عظيم فى امره وانّه كان على الحقّ ، وقرئ ٱلْمُكَرَّمِينَ ، ومَا خبريّةٌ او مصدريّةٌ والباء صلةُ يعلمون او استفهاميّةٌ جاءت على الاصل والباء صلةُ غفر اى بأىّ شىء غفر لى يريد به المهاجرةَ عن دينهم والمصابرةَ على اذيّتهم (٢٧) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ من بعد اهلاكه او رفعه مِنْ جُنْدٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ لاهلاكهم كما ارسلنا يومَ بدرٍ والخندقِ

جزء ٢٣ ركوع ١

بل كَفَيْنَا أَمْرَهم بصيحة مَلَك وفيه استحقارٌ لاهلاكهم وايماءٌ بتعظيم الرسول عم وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ وما صحّ فى حكمتنا أن ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدّرنا لكلّ شىء سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل مَا موصولةٌ معطوفةٌ على جند اى وممّا كنّا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة (٢٨) إِنْ كَانَتْ ما كانت الاخذةُ او العقوبةُ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً صاح بها جبريل وقرئت بالرفع على كان التامّة فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ميّتون شُبّهوا بالنار رمزا الى انّ الحىَّ كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لَبيد

وما المرءُ الّا كالشهاب وضوئه   يَحُور رَمادا بَعْدَ اذ هو ساطِعُ

(٢٩) يَا حَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ تعالَىْ فهذه من الاحوال الّتى من حقّها ان تحضرى فيها وهى ما دلّ عليها مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ فانّ المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوطِ بنصحهم خيرُ الدارين احقّاء بأنْ يَتحسّروا او يُتحسّر عليهم وقد تلهّف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثَقَلَيْن ويجوز ان يكون تحسّرا من اللّه عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جَنَوْه على انفسهم ويؤيّده قراءةُ يَا حَسْرَتَا ونصبُها لطولها بالجارّ المتعلّق بها وقيل باضمارِ فعلها والمنادَى محذوفٌ وقرئ يَا حَسْرَةَ ٱلْعِبَادِ بالاضافة الى الفاعلِ او المفعولِ ويَا حَسْرَهْ بالهاء عَلَى ٱلْعِبَادِ بإجراء الوصل مجرى الوقف (٣٠) أَلَمْ يَرَوْا الم يعلموا وهو معلّق عن قوله كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ ٱلْقُرُونِ لانّ كَمْ لا يعمل فيها ما قبلها وإنْ كانت خبريّة لانّ اصلها الاستفهام (٣١) أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ بدل من كَمْ على المعنى اى الم يروا كثرةَ اهلاكنا مَنْ قبلهم كونَهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستيناف

جزء ٢٣ (٣٢) وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ يومَ القيمة للجزاء ، وإنْ مخففة من الثقيلة واللامُ هي الفارقة
ركوع ١ وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لمّا بالتشديد بمعنى الّا فتكون إنْ نافية ، وجميع
ركوع ٢ فعيل بمعنى مفعول ، ولدينا ظرف له او لمحضرون (٣٣) وَآيَةٌ لَهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ وقرأ نافع بالتشديد أَحْيَيْنَاهَا خبرٌ للارض والجملة خبرُ آية او صفةٌ لها اذ لم يرد بها معيّنة وهي الخبرُ او المبتدأُ والآية خبرها او استيناف لبيان كونها آية وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا جنس الحبّ فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ قدّم الصلة للدلالة على انّ الحبّ مُعْظَمُ ما يؤكل ويعاش به (٣٤) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحبّ فانّ الدالّ على الجنس مُشْعِرٌ بالاختلاف ولا كذلك الدالّ على الانواع ، وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحبّ والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصُنْع وَفَجَّرْنَا فِيهَا وقرئ بالتخفيف والفجرُ والتفجيرُ كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى مِنَ ٱلْعُيُونِ اى شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيونَ ومِنْ مزيدةٌ عند الاخفش (٣٥) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ثمرِ ما ذكر وهو الجنّات وقيل الضمير للّه على طريقة الالتفات والاضافةُ اليه لانّ الثمر بخلقه ، وقرأ حمزة والكسائيّ بضمّتين وهو لغة فيه او جمعُ ثمار وقرئ بضمّة وسكون وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ عطف على الثمر والمرادُ ما يُتّخذ منه كالعصير والدبس ونحوها وقيل ما نافية والمراد انّ الثمر بخلق اللّه لا بفعلهم ويؤيّد الاوّل قراءة الكوفيّين غير حفص بلا هاء فانّ حذفه من الصلة احسن من غيرها أَفَلَا يَشْكُرُونَ امرٌ بالشكر من حيث انّه انكار لتركه (٣٦) سُبْحَانَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا الانواع والاصناف مِمَّا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ من النبات والشجر وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ الذكر والانثى وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ وازواجا ممّا لم يُطْلعهم اللّه عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته (٣٧) وَآيَةٌ لَهُمُ ٱللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ نُزيله ونكشف عن مكانه مستعارٌ من سلخ الجلد والكلامُ في اعرابه ما سبق فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ داخلون في الظلام (٣٨) وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا لحدّ معيّن ينتهى اليه دَوْرها فشبّه بمستقرّ المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فانّ حركتها فيه يوجد فيها ابطاء بحيث يظنّ انّ لها هناك وقفة قال • والشمس حَيْرَى لها بالجوّ تدويمُ • او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدّر لكلّ يوم من المشارق والمغارب فانّ لها في دورها ثلثمائة وستّين مشرقا ومغربا تطلع كلّ يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثمّ لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم ، وقرئ لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا اى لا سكونَ فانّها متحركة دائما ولا مُسْتَقَرٌّ على انّ لا بمعنى ليس ذٰلِكَ الجرى على هذا التقدير المتضمّن للحكم الّتى تكلّ الفِطَنُ عن احصائها تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ الغالب بقدرته على كلّ مقدور ٱلْعَلِيمِ المحيط علمه بكلّ معلوم (٣٩) وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مسيرَه مَنَازِلَ او سَيْرَه في منازل وهى ثمانية وعشرون الشَرَطان البُطَيْن الثريّا الدَبَران الهَقْعة الهَنْعة الذِراع النَثْرة الطَرْف الجَبْهة الزُبْرة الصَرْفة العَوّاء السِماك الغَفْر الزُبانَى الاكليل

القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم جزء ٢٣
فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كلّ ليلة فى واحد منها لا يتخطّاه ولا يتقاصر عنه فاذا ركوع ٢
كان فى آخر منازله وهو الّذى يكون فيه قُبَيْل الاجتماع دقّ واستقوس ، وقرأ الكوفيّون وابن عامر وَٱلْقَمَرَ بنصب الراء حَتَّى عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ كالشمراخ المعوجّ فُعْلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كَٱلْعِرْجَوْنِ وهما لغتان كالبُزْيُون والبِزْيَوْن ٱلْقَدِيمِ العتيق وقيل ما مرّ عليه حَوْلٌ فصاعدا (٤٠) لَا ٱلشَّمْسُ يَنْبَغِى لَهَا يصحّ لها ويتسهّل أَنْ تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ فى سرعة سيره فانّ ذلك يُخِلّ بتكوّن النبات وتعيّش الحيوان او فى آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محلّه او سلطانه فتطمس نوره ، وايلاء حرف النفى الشمس للدلالة على انّها مسخّرة لا يتيسّر لها الّا ما اريد بها وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيّران وبالسبق سَبْق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاوّل وتبديل الادراك بالسبق لانّه الملائم لسرعة سيره وَكُلٌّ وكلّهم والتنوين عوض المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فانّ اختلاف الاحوال يوجب تعدّدا مّا فى الذات او الى الكواكب فانّ ذكرهما مُشْعِر بها فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ يسيرون فيه بانبساط (٤١) وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ اولادهم الّذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الّذين يستصحبونهم فانّ الذرّيّة تقع عليهنّ لانّهنّ مزارعها وتخصيصهم لانّ استقرارهم فى السفن اشقّ وتماسكهم فيها اعجب ، وقرأ نافع وابن عامر ذُرِّيَّاتِهِمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ المملوء وقيل المراد فلك نوح عم وحمل اللّه ذرّيّاتهم فيها انّه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفى اصلابهم هم وذرّيّاتهم وتخصيص الذرّيّة لانّه ابلغ فى الامتنان وادخل فى التعجّب مع الايجاز (٤٢) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ من مثل الفلك مَا يَرْكَبُونَ من الابل فانّها سفائن البرّ او من السفن والزوارق (٤٣) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ فلا مُغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا اغاثة كقولهم اتاهم الصريخ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ يُنْجَوْن من الموت به (٤٤) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا الّا لرحمة ولتمتيع بالحيوة إِلَى حِينٍ زمان قُدّر لآجالهم (٤٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ الوقائع الّتى خَلَتْ والعذاب المعدّ فى الآخرة او نوازل السماء ونوائب الارض كقوله اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدّم من الذنوب وما تأخّر لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ لتكونوا راجين رحمة اللّه وجواب اذا محذوف دلّ عليه قوله (٤٦) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ كانّه قال واذا قيل لهم اتّقوا العذاب اعرضوا لانّهم اعتادوه وتمرّنوا عليه (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ على محاويجكم قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بالصانع يعنى معطّلة كانوا بمكّة لِلَّذِينَ آمَنُوا

جزء ۲۳ تهكّما بهم من اقرارهم به وتعليقهم للامور بمشيئته أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُ على زعمكم وقيل قاله ركوع ۲ مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بانّ الله لمّا كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احقّ بذلك وهذا من فرط جهالتهم فانّ الله يطعم بأسباب منها حثّ الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم (۴۸) وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا ٱلْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يعنون وعد البعث (۴۹) مَا يَنْظُرُونَ ما ينتظرون إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً هي النفخة الاولى تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله او تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون وأصله يختصمون فسكّنت التاء وأُدغمت ثمّ كُسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو وقالون به مع الاختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان والتشديد وكانّه جوّز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرأ حمزة يَخْصِمُونَ من خَصَمَه اذا جادله (۵۰) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً في شيء من امورهم

ركوع ۳ وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم (۵۱) وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ اى مرّة ثانية وقد سبق تفسيره في سورة المؤمنين فَإِذَا هُمْ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ من القبور جمع جَدَث وقرئ بالفاء إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ يسرعون وقرئ بالضمّ (۵۲) قَالُوا يَا وَيْلَنَا وقرئ يا وَيْلَتَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا وقرئ مَنْ أَهَبَّنَا من هَبَّ من نومه اذا انتبه ومَنْ هَبَّنَا بمعنى اهبّنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانّهم لاختلاط عقولهم يظنّون انّهم كانوا نياما ومِنْ بَعْثِنَا ومِنْ هَبِّنَا على من الجارّة والمصدر وسكت حفص وحده عليها سكتة لطيفة والوقف عليها في سائر القراءات حسن هٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ مبتدأ وخبر وما مصدريّة او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبرُ محذوف او مبتدأ خبره محذوف اى هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون او ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حقّ وهو من كلامهم وقيل جوابٌ للملائكة او المؤمنين عن سؤالهم معدولٌ عن سَنَنه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بأنّ الّذى يهمّهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كانّهم قالوا بعثكم الرحمن الّذى وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنّون فانّه ليس ببعث النائم فيهمّكم السؤال عن الباعث وانّما هو البعث الاكبر ذو الاهوال (۵۳) إِنْ كَانَتْ ما كانت الفعلة إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامّة فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ بمجرّد تلك الصيحة وفي كلّ ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب الّتى ينوطان بها فيما يشاهدونه (۵۴) فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله (۵۵) إِنَّ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ

[illegible]

بدل منه او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب رحيم اي يقول الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص (٥٩) وَٱمْتَازُوا ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون، وقيل اعتزلوا من كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى (٦٠) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا ٱلشَّيْطَانَ من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة، وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها، وقرئ إِعْهَدْ بكسر حرف المضارعة وأَحْهَدْ وأَحْدْ على لغة تميم إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه (٦١) وَأَنِ ٱعْبُدُونِي عطف على ان لا تعبدوا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته فالجملة استئناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بالشق الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم (٦٢) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأي، والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضم وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع

جزء ٢٣ كخِلْقة وخِلْف وجِبِلّا واحد الاجبال (٦٣) هٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٤) ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا
ركوع ٣ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ذوقوا حرّها اليوم بكفركم فى الدنيا (٦٥) ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَاهِهِمْ نمنعها من الكلام
وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ بظهور آثار المعاصى عليها ودلالتها على افعالها
او بانطاق اللّه ايّاها وفى الحديث انّهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلّم ايديهم
وارجلهم (٦٦) وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ لمسحنا اعينهم حتّى تصير ممسوحة فَٱسْتَبَقُوا ٱلصِّرَاطَ
فاستبقوا الى الطريق الّذى اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار
او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتّساع او بالظرف فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره
(٦٧) وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَاهُمْ بتغيير صُوَرهم وابطال قواهم عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ
ابو بكر مَكَانَاتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَاعُوا مُضِيًّا ذهابا وَلَا يَرْجِعُونَ ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل
ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مِضِيًّا باتّباع الميم الضادَ المكسورة لقلب الواو ياء كالعُتِىّ والعِتِىّ
ومَضِيًّا كصَبِىّ والمعنى انّهم بكفرهم ونقضهم ما عُهد اليهم احقّاء بأن يُفْعَل بهم ذلك لكنّا لم نفعل لشمول
ركوع ٤ الرحمة لهم واقتضاء الحكمة إمهالَهم (٦٨) وَمَنْ نُعَمِّرْهُ ومن نُطِلْ عمره نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ نقلبه فيه فلا يزال
تَزايُدُ ضعفه وانتقاصُ بنيته وقواه عَكْسَ ما كان عليه بَدْء امره ، وابن كثير على هذه يشبع ضمّة الهاء على
اصله وقرأ عاصم وحمزة نُنَكِّسْهُ من التنكيس وهو ابلغ والنَّكْس اشهر أَفَلَا يَعْقِلُونَ أنّ من قدر على ذلك
قدر على الطمس والمسخ فانّه مشتمل عليهما وزيادة غيرَ انّه على تدرّج ، وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن
ذكوان ويعقوب بالتاء لجرى الخطاب قبله (٦٩) وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ ردّ لقولهم انّ محمّدا شاعر اى ما علّمناه
الشعر بتعليم القران فانّه غير مُقفّى ولا موزون وليس معناه ما يتوخّاه الشعراء من التخييلات المرغّبة
والمنفّرة ونحوها وَمَا يَنْبَغِى لَهُ وما يصحّ له الشعر ولا يتأتّى له إن اراد قَرْضَه على ما خَبَرْتم طَبْعَه نحوا من
اربعين سنة وقوله عم • انا النبىّ لا كَذِبْ • انا ابن عبد المطّلِبْ • وقوله • هل انتِ الّا اِصْبَعٌ دَمِيتِ • وفى
سبيل اللّه ما لَقِيتِ • اتّفاقىٌّ من غير تكلّف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا فى تضاعيف
المنثورات على انّ الخليل ما عدّ المشطور من الرجز شعرا هذا وقد رُوى انّه حرّك البائين وكسر التاء
الاولى بلا اشباع وسكّن الثانية وقيل الضمير للقران اى وما يصحّ للقران ان يكون شعرا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
عظة وارشاد من اللّه تعالى وَقُرْآنٌ مُبِينٌ وكتاب سماوىّ يُتْلَى فى المعابد ظاهرٌ انّه ليس من كلام البشر لما
فيه من الاعجاز (٧٠) لِيُنْذِرَ القرانُ او الرسولُ ويؤيّده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء مَنْ كَانَ حَيًّا
عاقلا فهما فانّ الغافل كالميت او مؤمنا فى علم اللّه فانّ الحيوة الابديّة بالايمان وتخصيصُ الانذار به
لانّه المنتفع به وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ وتجب كلمة العذاب عَلَى ٱلْكَافِرِينَ المُصرّين على الكفر وجَعْلُهم فى مقابلة
من كان حيّا اشعارٌ بانّهم لكفرهم وسقوط حجّتهم وعدم تأمّلهم اموات فى الحقيقة (٧١) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا

خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا مما تولّينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرُنا وذكرُ الايدى واسنادُ جزء ٢٣
العمل اليها استعارة تفيد مبالغة فى الاختصاص والتفرّد بالاحداث أَنْعَامًا خصّها بالذكر لما فيها من ركوع ٤
بدائع الفطرة وكثرة المنافع فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ متملّكون بتمليكنا ايّاهم او متمكّنون من ضبطها والتصرّف فيها بتسخيرنا ايّاها لهم قال

اصبحتُ لا أَحْمِلُ السلاحَ ولا أَمْلِكُ رأسَ البعيرِ إِنْ نَفَرا

(٧٢) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ وصيّرناها منقادة لهم فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ مركوبهم وقرئ رَكُوبَتُهُمْ وهى بمعناه كالحَلُوب والحَلُوبة وقيل جمعه وركُوبُهُمْ اى ذو ركوبهم او فمن منافعها رُكوبهم وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ اى ما يأكلون لحمه (٧٣) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ من الجلود والاصواف والاوبار وَمَشَارِبُ من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر وأمال الشين ابن عامر وحده برواية هشام أَفَلَا يَشْكُرُونَ نعمَ الله فى ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله ايّاها كيف امكن التوسّل الى تحصيل هذه المنافع المهمّة (٧٤) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً اشركوها به فى العبادة بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انّه المتفرّد بها لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامرُ بالعكس لانّه (٧٥) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ لآلهتهم جُنْدٌ مُحْضَرُونَ مُعَدّون لحفظهم والذبّ عنهم او مُحْضَرون اثرَهم فى النار (٧٦) فَلَا يَحْزُنْكَ فلا يهمّك وقرئ بضمّ الياء من احزن قَوْلُهُمْ فى الله بالالحاد والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ فنجازيهم عليه وكفى ذلك ان تتسلّى به وهو تعليل للنهى على الاستيناف ولذلك لو قرئ أَنَّا بالفتح على حذف لام التعليل جاز (٧٧) أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث تعجّب منه وجعله افراطا فى الخصومة بيّنا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون ممّا عمله فى بدء خلقه ومقابلة النعمة التى لا مزيد عليها وهى خَلْقُه من اخسّ شىء وامهنه شريفا مكرّما بالعقوق والتكذيب روى انّ أُبَىّ بن خلف اتى النبىّ عم بعظم بالٍ يفتّته بيده فقال اترى الله يُحيى هذا بعد ما رمّ قال عم نعم ويبعثك ويُدخلك النارَ فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا مميّزٌ منطيقٌ قادرٌ على الخصام مُعْرِبٌ عمّا فى نفسه (٧٨) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا امرا عجيبا وهو نفى القدرة على احياء الموتى او تشبيهَه بخلقه بوصفه بالعجز عمّا عجزوا عنه وَنَسِيَ خَلْقَهُ خلقنا ايّاه قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ منكرا ايّاه مستبعدا له والرميمُ ما بلى من العظام ولعلّه فعيل بمعنى فاعل من رمّ الشىء صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنّث او بمعنى مفعول من رَمَمْتُه وفيه دليل على انّ العظم ذو حيوة فيؤثّر فيه الموت كسائر الاعضاء (٧٩) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فانّ قدرته كما كانت لامتناع التغيّر فيه والمادّة على حالها فى القابليّة اللازمة لذاتها وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ يعلم تفاصيل

المخلوقات بعلمه وكيفيّة خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتّتة المتبدّدة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضمّ بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض والقُوَى الّتى كانت فيها او احداث مثلها (٨٠) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ كالمَرْخِ والعَفار نَارًا بأن يُسْحَق المرخ على العفار وهما خَضْراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ لا تشكّون فى انّها نار خرجت منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائيّة المضادّة لها بكيفيّتها كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضّا فيبس وبلى ، وقرئ مِنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْخَضْرَآءِ على المعنى كقوله فمالئون منها البطون (٨١) أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مع كبر جِرْمها وعظم شأنها بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم فى الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم فى اصول الذات وصفاتها وهو المعاد ، وعن يعقوب يَقْدِرُ بَلَىٰ جوابٌ من اللّه لتقرير ما بعد النفى مُشْعِرٌ بانّه لا جواب سواه وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ كثير المخلوقات والمعلومات (٨٢) إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ انّما شأنه إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن اى تكوّنْ فَيَكُونُ فهو يكون اى يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته فى مراده بأمر المُطاع للمُطيع فى حصول المأمور من غير امتناع وتوقّف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطْعا لمادّة الشبهة وهو قياس قدرة اللّه تعالى على قدرة الخلق ، ونصبه ابن عامر والكسائىّ عطفا على يقول (٨٣) فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ تنزيهٌ له عمّا ضربوا له وتعجيبٌ ممّا قالوا فيه معلّلا بكونه مالكا للامر كلّه قادرا على كلّ شىء وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وعد ووعيد للمُقرّين والمُنْكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء ، وعن ابن عبّاس رضه كنت لا أعلم ما رُوِى فى فضل يٰس كيف خُصّت به فاذا انّه لهذه الآية وعنه عم انّ لكلّ شىء قلبا وقلبُ القران يٰس وأيّما مُسْلِم قرأها يريد بها وجه اللّه غفر اللّه له وأُعْطِى من الاجر كانّما قرأ القران اثنتين وعشرين مرّة وايّما مسلم قرِئَ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يٰس نزل بكلّ حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صُفوفا يصلّون عليه ويستغفرون له ويشهدون غَسْله ويشيّعون جنازته ويصلّون عليه ويشهدون دفنه وايّما مسلم قرأ يٰس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتّى يجيئه رضوانُ بشربة من الجنّة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريّان ويمكث فى قبره وهو ريّان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتّى يدخل الجنّة وهو ريّان •

سُورَةُ ٱلصَّٰٓفَّٰتِ

مكّيّة وآيها مائة واثنتان وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا (٢) فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا (٣) فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا قسم بالملائكة الصافّين فى مقام العبوديّة جزء ٢٣ على مراتب باعتبارها يَفيض عليهم الانوار الالهيّة منتظرين لامر اللّه الزاجرين الاجرامَ العُلويّة والسُفليّة ركوع ٥ بالتدبير المأمور فيها او الناسَ عن المعاصى بالهام الخير او الشياطينَ عن التعرّض لهم التالين آيات اللّه وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المرتّبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبّرة لها والجواهر القدسيّة المستغرقة فى بحار القدس يسبّحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء الصافّين فى العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحُجَج والنصائح التالين آيات اللّه وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافّين فى الجهاد الزاجرين الخيلَ او العدوَّ التالين ذكر اللّه لا يشغلهم عنه مباراة العدوّ والعطف لاختلاف الذوات او الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله

يا لَهْفَ زَيّابةَ للحارث الـــصابح فالغانم فالآئب

فانّ الصفّ كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشرّ او الاشاقة الى قبول الخير والتلاوة افاضته او الرتبة كقوله عم رحم اللّه المحلّقين فالمقصّرين غيرَ انّه لفصل المتقدّم على المتأخّر وهذا للعكس، وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربها فانّها من طرف اللسان وأصول الثنايا (٤) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ جواب للقسم والفائدةُ فيه تعظيم المُقْسَم به وتأكيد المُقْسَم عليه على ما هو المألوف فى كلامهم وأمّا تحقيقه فبقوله (٥) رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ فانّ وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكانِ غيره دليلٌ على وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مرّ غيرَ مرّة، وربّ بدلٌ من واحد او خبرٌ ثانٍ او خبرُ محذوف، وما بينهما يتناول افعال العباد فيدلّ على انّها من خلقه، والمشارقُ مشارق الكواكب او مشارق الشمس فى السنة وهى ثلثمائة وستّون تشرق كلّ يوم فى واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع انّ الشروق ادلّ على القدرة وابلغ فى النعمة وما قيل انّها مائة وثمانون انّما يصحّ لو لم تختلف اوقات الانتقال (٦) إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا القربى منكم بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ بزينة هى الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجرّ ٱلْكَوَاكِبِ على ابدالها منها او بزينة هى لها كاضوائها واوضاعها او بأن زيّنّا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانّها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيّده قراءة ابى بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بأن زيّنتها الكواكبُ على اضافته الى الفاعل، وركوز الثوابت فى الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيّارات فى الستّ المتوسّطة بينها وبين السماء الدنيا إن تحقّق لم يقدح فى ذلك فانّ اهل

جزء ٢٣ الارض يرونها بأسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الازرق بأشكال مختلفة (٧) وَحِفْظًا منصوب
ركوع ٥ باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كأنّه قال انّا خلقنا الكواكب زينةً للسماء الدنيا وحفظا
مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ خارج من الطاعة برمى الشهب (٨) لَا يَسَّمَّعُونَ اِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَى كلام مبتدأ لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفةً لكلّ شيطان فانّه يقتضى ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علّةً للحفظ على حذف اللام كما فى جئتُك أنْ تكرمَنى ثمّ حذفِ أنْ واهدارِها كقوله • ألا أيّهذا الزاجرى أحضُرُ الوغى • فانّ اجتماع ذلك منكر ، والضمير لكلّ باعتبار المعنى ، وتعدية السّماع بالى لتضمّنه معنى الاصغاء مبالغةً لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدلّ عليه قراءة حمزة والكسائىّ وحفص بالتشديد من التسمّع وهو طلب السماع ، والملأ الاعلى الملائكة او أشرافهم وَيُقْذَفُونَ ويرمون مِنْ كُلِّ جَانِبٍ من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده (٩) دُحُورًا علّةٌ اى للدحور وهو الطرد او مصدرٌ لانّه والقذف متقاربان او حالٌ بمعنى مدحورين او منزوعٌ عنه الباء جمعُ دَحْرٍ وهو ما يُطْرَد به ويقوّيه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفةً له اى قذفا دَحُورا وَلَهُمْ عَذَابٌ اى عذاب آخر وَاصِبٌ دائم او شديد وهو عذاب الآخرة (١٠) اِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ استثناء من واو يسمعون ومَنْ بدل منه والخطف الاختلاس والمرادُ اختلاس كلام الملائكة مسارقةً ولذلك عرّف الخطفة وقرئ خَطَّفَ بالتشديد مفتوحَ الخاء ومكسورها وأصلهما اختطف فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ أَتْبَعَ بمعنى تَبِعَ ، والشهابُ ما يُرَى كأنّ كوكبا انقضّ وما قيل انّه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمينٌ إن صحّ لم ينافِ ذلك اذ ليس فيه ما يدلّ على انّه ينقضّ من الفلك ولا فى قوله ولقد زيّنّا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رُجوما للشياطين فانّ كلّ نيّر يحصل فى الجوّ العالى فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انّه يرى كانّه على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذُكر فى بعض الاوقات رجما للشيطان يتصعّد الى قرب الفلك للتسمّع وما رُوى انّ ذلك حدث بميلاد النبىّ صلعم إن صحّ فلعلّ المراد كثرةُ وقوعه او مصيرُه دحورا واختُلف فى انّ المرجوم يتأذّى به فيرجع او يحترق به لكن قد يُصيب الصاعدَ مرّة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولا يقال انّ الشيطان من النار فلا يحترق لانّه ليس من النار الصرف كما انّ الانسان ليس من التراب الخالص مع انّ النار القويّة اذا استولت على الضعيفة استهلكتها ثَاقِبٌ مُضىء كانّه يثقب الجوّ بضوئه (١١) فَٱسْتَفْتِهِمْ فاستخبرهم والضميرُ لمشركى مكّة او لبنى آدم أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا يعنى ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومَنْ لتغليب العقلاء ويدلّ عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءةُ من قرأ أَمْ مَنْ عَدَدْنَا وقوله اِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ فانّه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود وأنّ المراد اثباتُ المعاد وردُّ استحالتهم والامرُ فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواءٌ وتقريره انّ استحالة ذلك امّا لعدم قابليّة المادّة ومادّتهم الاصليّة هى الطين اللازب الحاصل من ضمّ الجزء المائىّ الى الجزء الارضىّ وهما باقيان قابلان

جزء ٢٣ ركوع ٥

للانصرام بعد وقد علموا ان الانسان الاوّل انّما تولّد منه امّا لاعترافهم بحدوث العالم او بقصّة آدم وشاهدوا تولّد كثير من الحيوانات منه بلا توسّط مواقعة فلزمهم ان يجوّزوا اعادتهم كذلك وامّا لعدم قدرة الفاعل ومن قدر على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا يُعتدّ به بالاضافة اليها سيّما ومن ذلك بدؤهم اوّلا وقدرته ذاتيّة لا تتغيّر (١٢) بَلْ عَجِبْتَ من قدرة الله تعالى وانكارهم للبعث وَيَسْخَرُونَ من تعجّبك وتقريرك للبعث ، وقرأ حمزة والكسائىّ بضمّ التاء اى بلغ كمال قدرتى وكثرة خلائقى أن تعجّبتُ منها وهؤلاء بجهلهم يسخرون منها او عجبتُ من ان يُنْكِرَ البعث ممّن هذه افعاله وهم يسخرون ممّن يجوّزه والعجبُ من الله امّا على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانّه رَوْعة تعترى الانسان عند استعظامه الشىء وقيل انّه مقدّر بالقول اى قل يا محمّد بل عجبتُ (١٣) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ واذا وُعظوا بشىء لا يتّعظون به او اذا ذُكر لهم ما يدلّ على صحّة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلّة فكرهم (١٤) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً معجزة تدلّ على صدق القائل به يَسْتَسْخِرُونَ يبالغون فى السخريّة ويقولون انّه سِحْرٌ او يستدعى بعضهم من بعض ان يسخر منها (١٥) وَقَالُوا إِنْ هٰذَا يعنون ما يرونه إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ظاهر سحريّته (١٦) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ اصله أَنُبْعَث اذا متنا فبدّلوا الفعليّة بالاسميّة وقدّموا الظرف وكرّروا الهمزة مبالغةً فى الانكار واشعارا بانّ البعث مستنكر فى نفسه وفى هذه الحال اشدّ استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائىّ ويعقوب بطرح الثانية (١٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ عطف على محلّ انّ واسمها او على الضمير فى مبعوثون فانّه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكّن نافع برواية قالون وابن عامر الواو على معنى الترديد (١٨) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ صاغرون وانّما اكتفى به فى الجواب لسبق ما يدلّ على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبِر عن وقوعه وقرئ قال اى الله او الرسول وقرأ الكسائىّ وحده نَعِمْ بالكسر وهو لغة فيه (١٩) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ جواب شرط مقدّر اى اذا كان ذلك فانّما البعثة زجرة اى صيحة واحدة هى النفخة الثانية من زجر الراعى غنمه اذا صاح عليها وأمرُها فى الاعادة كأمرِ كُنْ فى الابداء ولذلك رتّب عليها فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يُفعل بهم (٢٠) وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هٰذَا يَوْمُ الدِّينِ اليوم الذى نجازى باعمالنا وقد تمّ به كلامهم وقوله (٢١) هٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض ، والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسىء (٢٢) احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا امرُ الله للملائكة او امرُ بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم وَأَزْوَاجَهُمْ وأشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدة كقوله وكنتم ازواجا ثلثة او نساءهم اللاتى على دينهم او قرناءهم من الشياطين وَمَا كَانُوا

جزء ٢٣ (٢٣) مِنْ دُونِ ٱللَّهِ من الاصنام وغيرها زيادةً فى تحسيرهم وتخجيلهم وهو عامّ مخصوص بقوله انّ ٱلَّذِينَ
ركوع ٦ سبقت لهم منّا الحسنى الآية وفيه دليل على انّ ٱلَّذِينَ ظلموا هم المشركون فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْجَحِيمِ
فعرّفوهم طريقها ليسلكوها (٢٤) وَقِفُوهُمْ احبسوهم فى الموقف إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ عن عقائدهم واعمالهم
والواو لا توجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفه (٢٥) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ لا ينصر بعضكم بعضا
بالتخليص وهو توبيخ وتقريع (٢٦) بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم
وأصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانّه يُسْلِم بعضهم بعضا ويخذله (٢٧) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يعنى الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء يَتَسَاءَلُونَ يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فُسّر
بيتخاصمون (٢٨) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ عن اقوى الوجوه وأيمنها او عن الدين او عن
الخير كانّكم تنفعوننا نَفْعَ السانح فتبعناكم وهلكنا مستعارٌ من يمين الانسان ٱلَّذِى هو اقوى
الجانبين واشرفهما وانفعهما ولذلك سُمّى يمينا وتُيُمِّن بالسانح او عن القوّة والقهر فتقسروننا على الضلال
او عن الحلف فانّهم كانوا يحلفون لهم انّهم على الحقّ (٢٩) قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَنَا
عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ اجابهم الرؤساء اوّلا بمنع اضلالهم بانّهم كانوا ضالّين فى انفسهم
وثانيا بانّهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلّط وانّما جنحوا اليه لانّهم كانوا قوما
مختارين الطغيان (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ثمّ بيّنوا انّ
ضلال الفريقين ووقوعهم فى العذاب كان امرا مقضيّا لا محيص لهم عنه وانّ غاية ما فعلوا بهم انّهم دعوهم
الى الغىّ لانّهم كانوا على الغىّ فاحبّوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بانّ غوايتهم فى الحقيقة ليست من
قِبَلهم اذ لو كان كلّ غواية لاغواء غاوٍ فمَنْ اغواهم (٣٢) فَإِنَّهُمْ فانّ الاتباع والمتبوعين يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ
مُشْتَرِكُونَ كما كانوا مشتركين فى الغواية (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ مثلَ ذلك الفعل نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ
بالمشركين لقوله (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ اى عن كلمة التوحيد او على
من يدعوهم اليه (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ يعنون محمّدا (٣٦) بَلْ جَاءَ بِٱلْحَقِّ
وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ردٌّ عليهم بأنّ ما جاء به من التوحيد حقّ قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون
(٣٧) إِنَّكُمْ لَذَائِقُو ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون
كقوله ● ولا ذاكرِ اللّهَ الّا قليلا ● وهو ضعيف فى غير المحلّى باللام وعلى الاصل (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا
مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ الّا مثلَ ما عملتم (٣٩) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ استثناء منقطع الّا ان يكون الضمير
فى تجزون لجميع المكلّفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فانّ ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا
بهذا الاعتبار (٤٠) أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ خصائصه من الدوام وتمحّض اللذّة ولذلك فسّره بقوله .

جزء ٢٣ ركوع ٦

(٤١) فَوَاكِهُ فانّ الفاكهة ما يُقْصَد للتلذّذ دون التغذّى والقوتُ بالعكس وأهلُ الجنّة لمّا أُعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلّل كانت ارزاقهم فواكهَ خالصةً وَهُمْ مُكْرَمُونَ فى نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا (٤٢) فِى جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ فى جنّات ليس فيها الّا النعيم وهو ظرفٌ او حالٌ من المستكنّ فى مكرمون او خبر ثانٍ لاولئك وكذلك (٤٣) عَلَى سُرُرٍ يحتمل الحال والخبر فيكون مُتَقَابِلِينَ حالا من المستكنّ فيه او فى مكرمون وأن يتعلّق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ باناء فيه خمرٌ او خمرٍ كقوله ٭ وكأسٍ شربتُ على لذّة ٭ مِنْ مَعِينٍ من شراب معين او نهر معين اى ظاهر للعيون او خارج من العيون وهو صفة للماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنّة لانّها تجرى كالماء او للاشعار بانّ ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامعٌ لما يُطْلَب من انواع الاشربة لكمال اللذّة وكذلك قوله (٤٥) بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وهما ايضا صفتان لكأس ووصفها بلذّة إمّا للمبالغة او لانّها تأنيثُ لَذّ بمعنى لذيذ كَطَبٍّ ووزنه فَعْل قال

وَلَذٍّ كَطَعْم الصَّرْخَدِىّ تركتُه ... بأرض العِدَى من خَشْية الحَدَثان

(٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ غائلة كما فى خمر الدنيا كالخُمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ يُسْكَرون من نُزف الشاربُ فهو نزيفٌ ومنزوفٌ اذا ذهب عقله افرده بالنفى وعطفه على ما يعمّه لانّه من عظم فساده كانّه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائىّ بكسر الزاء وتابعهما عاصم فى الواقعة من انزف الشاربُ اذا نفد عقله او شرابه وأصلُه للنفاد يقال نزف المطعونُ اذا خرج دمه كلّه ونزحت الرَّكِيّة حتّى نزفتُها (٤٧) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ قصرْن ابصارهنّ على ازواجهنّ عِينٌ نُجْل العيون جمعُ عيناء كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ شبّههنّ بِبَيْض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فانّه احسن الوان الابدان (٤٨) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ معطوف على يطاف عليهم اى يشربون فيتحادثون على الشراب قال

وما بقيَتْ من اللذّات الّا ... احاديثُ الكرام على المُدام

والتعبير عنه بالماضى للتأكيد فيه فانّه الذُّ تلك اللذّات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم فى الدنيا (٤٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ فى مكالمتهم إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ جليس فى الدنيا (٥٠) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ يوبّخنى على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدّق (٥١) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ لمجزيّون من الدين بمعنى الجزاء (٥٢) قَالَ اى ذلك القائل هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ على اهل النار لأُرِيكم ذلك القرين وقيل القائل هو اللّه او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبّون ان تطّلعوا على اهل النار لأُريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم وعن ابى

عمرو مُطْلِعُونِ فَأُطْلِعَ بالتخفيف وكسر النون وضمّ الالف على انّه جعل اطّلاعهم سبب اطّلاعه من حيث انّ ادب المجالسة يمنع الاستبداد به او خاطب الملائكة على وضع المتّصل موضع المنفصل كقوله ◦ هم الآمرون الخيرَ والفاعلونَهْ ◦ او شبّه اسم الفاعل بالمضارع (٥٣) فَٱطَّلَعَ عليهم فَرَآهُ اى قرينه فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ وسطه (٥٤) قَالَ تَٱللَّهِ إِنْ كِدْتَّ لَتُرْدِينِ لتهلكنى بالاغواء وقرئ لَتُغْوِينِ وإِنْ هى المخفّفة واللام هى الفارقة (٥٥) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى بالهداية والعصمة لَكُنْتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ معك فيها (٥٦) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ عطف على محذوف اى انحن مخلّدون منعّمون فما نحن بميّتين اى بمن شأنه الموت وقرئ بِمَائِتِينَ (٥٧) إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَى التى كانت فى الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ كالكفّار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدّثا بنعمة الله او تبجّحا بها وتعجّبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ (٥٨) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ يحتمل أن يكون من كلامهم وأن يكون كلام الله لتقرير قوله ، والاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب (٥٩) لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُونَ اى لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيويّة المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين (٦٠) أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفى ذكره دلالة على انّ ما ذكر من النعيم لاهل الجنّة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم وراء ذلك ما يقصر عنه الافهام وكذلك الزقّوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرّة تكون بتهامة سمّيت به الشجرة الموصوفة (٦١) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ محنة وعذابا لهم فى الآخرة او ابتلاء فى الدنيا فانّهم لمّا سمعوا انّها فى النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا انّ من قدر على خلق حيوان يعيش فى النار ويلتذّ بها فهو اقدر على خلق الشجر فى النار وحفظه من الاحراق (٦٢) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ منبتها فى قعر جهنّم واغصانها ترتفع الى دركاتها (٦٣) طَلْعُهَا حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته ايّاه فى الشكل او الطلوع من الشجر كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَاطِينِ فى تناهى القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيّل كتشبيه الفائق فى الحسن بالملك وقيل الشياطين حيّات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلّها سمّيت بها لذلك (٦٤) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا من الشجرة او من طلعها فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ من غلبة الجوع او الجبر على اكلها (٦٥) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا اى بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثمّ لما فى شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ لشرابا من غسّاق او صديدا مشوبا بماء حميم يقطّع امعاءهم وقرئ بالضمّ وهو اسم لما يشاب به والاوّل مصدر سمّى به (٦٦) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ مصيرهم لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ الى دركاتها او الى نفسها فانّ الزقّوم والحميم نزل يقدّم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه

جهنّم الّتى يكذّب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما تورد الابل الى الماء ثمّ جزء ٢٣
تردّون الى الجحيم ويؤيّده انّه قرئ ثمّ انّ منقلبهم (٦٧) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٨) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ركوع ٦
تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الضلال ، والاهراع الاسراع الشديد كانّهم يزعجون
على الاسراع على اثرهم وفيه اشعار بانّهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث (٦٩) وَلَقَدْ ضَلَّ
قَبْلَهُمْ قبل قومك أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧٠) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ انبياء انذروهم من العواقب (٧١) فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ من الشدّة والفظاعة (٧٢) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ الّا الّذين تنبّهوا بانذارهم
فاخلصوا دينهم للّه وقرئ بالفتح اى الّذين اخلصهم اللّه لدينه ، والخطاب مع الرسول والمقصود خطاب
قومه فانّهم ايضا سمعوا اخبارهم ورأوا آثارهم (٧٣) وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ شروع فى تفصيل القصص بعد اجمالها ركوع ٧
اى ولقد دعانا حين ايس من قومه فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ اى فأجبناه احسن الاجابة فواللّه لنعم المجيبون
نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدلّ عليه (٧٤) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ من الغرق او
اذى قومه (٧٥) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيمة اذ روى انّه
مات كلّ من كان معه فى السفينة غير بنيه وازواجهم (٧٦) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ من الامم
(٧٧) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلّمون عليه تسليما وقيل هو سلامٌ من
اللّه عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء فِي الْعَالَمِينَ متعلّق بالجارّ والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت
هذه التحيّة فى الملائكة والثقلين جميعا (٧٨) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ تعليل لما فعل بنوح من
التكرمة بانّه مجازاة له على احسانه (٧٩) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة
قدره وأصالة امره (٨٠) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ يعنى كفّار قومه (٨١) وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ ممّن شايعه فى الايمان
وأصول الشريعة لَإِبْرَاهِيمَ ولا يبعد اتّفاق شرعهما فى الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستّمائة واربعون
سنة وكان بينهما نبيّان هود وصالح (٨٢) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ متعلّق بما فى الشيعة من معنى المشايعة او
بمحذوف هو اذكر بِقَلْبٍ سَلِيمٍ من آفات القلوب او من العلائق خالص للّه او مخلص له وقيل
حزين من السليم بمعنى اللديغ ، ومعنى المجيء به ربّه اخلاصه له كانّه جاء به متحفا ايّاه (٨٣) إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم (٨٤) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ
اى اتريدون آلهة دون اللّه افكا فقدّم المفعول للعناية ثمّ المفعول له لانّ الاهمّ ان يقرّر انّهم على الباطل
ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على انّها افك فى انفسها للمبالغة
او المراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين (٨٥) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ بمن هو حقيق
بالعبادة لكونه ربّا للعالمين حتّى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار

جزء ٢٣ يوجب ظنّا فضلا عن قطع يصدّ عن عبادته او يجوّز الاشراك به او يقتضى الامن من عقابه على طريقة
ركوع ٧ الالزام وهو كالحجّة على ما قبله (٨٦) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ فرأى مواقعها واتّصالاتها او فى علمها او فى كتابها ولا مَنْعَ منه مع انّ قصده ايهامهم وذلك حين سألوه ان يعيّد معهم (٨٧) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ اراهم انّه استدلّ بها لانّهم كانوا منجّمين على انّه مشارف للسقم لئلّا يخرجوه الى معيّدهم فانّه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العَدْوَى او اراد انّى سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قلّ من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوتُ ربّى بالسلامة جاهدا ليُصحّنى فاذا السلامةُ داء

(٨٨) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ هاربين مخافةَ العدوى (٨٩) فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب وأصله الميل بحيلة فَقَالَ اى للاصنام استهزاء أَلَا تَأْكُلُونَ يعنى الطعام الّذى كان عندهم (٩٠) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ بجوابى (٩١) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وأنّ الميل لمكروه ضَرْبًا بِالْيَمِينِ مصدر لراغ عليهم لانّه فى معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم وتقييده باليمين للدلالة على قوّته فانّ قوّة الآلة تستدعى قوّة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لأكيدنّ اصنامكم (٩٢) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ الى ابرهيم بعد ما رجعوا فرأوا اصنامهم مكسورة وبحثوا عن كاسرها فظنّوا انّه هو كما شرحه فى قوله مَنْ فعل هذا بآلهتنا الآية يَزِفُّونَ يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازفّه اى يُحملون على الزفيف وقرئ يُزَفُّونَ اى يُزفّ بعضهم بعضا ويَزِفُونَ من وَزَفَ يَزِفُ اذا اسرع ويَزْفُونَ من زفاه اذا حداه كأنّ بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه (٩٣) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ما تنحتونه من الاصنام (٩٤) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ اى وما تعملونه فانّ جوهرها بخلقه وشكلها وإن كان بفعلهم ولذلك جُعلت من اعمالهم فباقداره ايّاهم عليه وخلقه ما يتوقّف عليه فعلهم من الدواعى والعُدَد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او أنّه بمعنى الحَدَث فانّ فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقّف على فعلهم أَوْلَى بذلك وبهذا المعنى تمسّك به اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجّحوه على الاوّلَين لما فيهما من حذف او مجاز (٩٥) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فى النار الشديدة من الجحمة وهى شدّة التأجّج واللامُ بدل الاضافة اى جحيم ذلك البنيان (٩٦) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فانّه لمّا قهرهم بالحجّة قصدوا تعذيبه بذلك لئلّا يظهر للعامّة عجزهم فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ الاذلّين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيّرا على علوّ شأنه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما (٩٧) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي الى حيث امرنى ربّى وهو الشأم او حيث اتجرّد فيه لعبادته سَيَهْدِينِ الى ما فيه صلاح دينى او الى مقصدى وانّما بتّ القول لسبق

وحده او لفرط توكّله او البناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عم حين قال عسى جزء ٢٣
ربّى ان يهدينى سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقّع (٩٨) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّالِحِينَ بعض الصالحين ركوع ٧
يعيننى على الدعوة والطاعة ويونسنى فى الغربة يعنى الولد لانّ لفظ الهبة غالب فيه ولقوله (٩٩) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ بشّره بالولد وبانّه ذكر يبلغ اوان الحلم فانّ الصبىّ لا يوصف بالحلم ويكون حليما وأىّ حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيّا بالحلم لعزّة وجوده غير ابرهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه (١٠٠) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ اى فلمّا وجد وبلغ ان يسعى معه فى اعماله ومعه متعلّق بمحذوف دلّ عليه السعى لا به لانّ صلة المصدر لا تتقدّمه ولا ببلغ فانّ بلوغهما لم يكن معا كانّه قال فلمّا بلغ السعى فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لانّ الاب اكمل فى الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانّه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة (١٠١) قَالَ يَا بُنَيَّ وقرأ حفص وحده بفتح الياء إِنِّي أَرَى فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ يحتمل انّه رأى ذلك وانّه رأى ما هو تعبيره وقيل انّه رأى ليلة التروية انّ قائلا يقول له انّ الله يأمرك بذبح ابنك فلمّا اصبح روّأ انّه من الله او من الشيطان فلمّا امسى رأى مثل ذلك فعرف انّه من الله ثمّ رأى مثله فى الليلة الثالثة فهمّ بنحره وقال له ذلك ولهذا سمّيت الايّام الثلثة بالتروية وعرفة والنحر، والاظهر أنّ المخاطب اسمعيل لانّه الّذى وهب له اثر الهجرة ولانّ البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله عم انا ابن الذبيحين فاحدهما جدّه اسمعيل والآخر ابوه عبد الله فانّ جدّه عبد المطّلب نذر ان يذبح ولدا ان سهّل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلمّا سهّل اقرع فخرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنّت الدية مائة ولانّ ذلك كان بمكّة وكان قرنا الكبش معلّقين بالكعبة حتّى احترقا معها فى ايّام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمّه ولانّ البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روى انّه عم سئل اىّ النسب اشرف فقال يوسف صدّيق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فالصحيح انّه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوائد من الراوى وما روى انّ يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت، وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء فيهما فَٱنْظُرْ مَاذَا تَرَى من الرأى وانّما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبّت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطّن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله، وقرأ حمزة والكسائىّ ماذا تُرِى بضمّ التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحهما وابو عمرو يميل فتحة التاء وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها (١٠٢) قَالَ يَا أَبَتِ وقرأ ابن عامر بفتح التاء ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ اى ما تؤمر به فحذفا دفعة او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المأمور به والاضافة الى المأمور، ولعلّه فهم من كلامه انّه رأى انّه يذبحه مأمورا به او علم انّ رؤيا الانبياء حقّ وانّ مثل ذلك لا يقدمون عليه الّا بأمر، ولعلّ الامر به فى المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال

جزء ٢٣ ركوع ٧

ادلّ على كمال الانقياد والاخلاص ، وانّما ذُكر بلفظ المضارع لتكرّر الرؤيا سَتَجِدُنِي إِنْ شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّابِرِينَ على الذبح او على قضاء اللّه ، وقرأ نافع بفتح الياء (١٠٣) فَلَمَّا أَسْلَمَا استسلما لأمر اللّه او سلّما الذبيح نفسه وابرٰهيمُ ابنه وقد قرئ بهما وأصلها سَلِمَ هذا لفلان اذا خلص له فانّه سَلِمَ من ان ينازَع فيه وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ صرعه على شقّه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبى الجبهة وقيل كبّه على وجهه باشارته لئلّا يرى فيه تغيّرا يرقّ له فلا يذبحه ، وكان ذلك عند الصخرة بمنًى او فى الموضع المُشْرِف على مسجده او المنحر الّذى يُنْحَر فيه اليوم (١٠٤) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَٰهِيمُ (١٠٥) قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّؤْيَا بالعزم والاتيان بالمقدّمات وقد رُوى انّه امرّ السكّين بقوّته على حلقه مرارا فلم تقطع ، وجواب لَمّا محذوف تقديره كان ما كان ممّا ينطق به الحالُ ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما للّه تعالى على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفّق غيرهما لمثله واظهارِ فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ تعليل لافراج تلك الشدّة عنهما باحسانهما ، واحتجّ به من جوّز النسخ قبل وقوعه فانّه عم كان مأمورا بالذبح لقوله افعلْ ما تؤمر ولم يحصل (١٠٦) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَآءُ ٱلْمُبِينُ الابتلاء البيّن الّذى يتميّز فيه المخلص من غيره او المحنة البيّنة الصعوبة فانّه لا أَصْعَبَ منها (١٠٧) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ بما يذبح بدله فيتمّ به الفعل عَظِيمٍ عظيم الجثّة سمين او عظيم القدر لانّه يفدى به اللّه نبيّا ابنَ نبىّ وايّ نبىّ مِنْ نسله سيّدُ المرسلين قيل كان كبشا من الجنّة وقيل وَعْلًا أُهْبِط عليه من ثَبِير وروى انّه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سُنّة ، والفادى على الحقيقة ابرٰهيم وانّما قال وفديناه لانّه المعطى له والآمر به على التجوّز فى الفداء او الاسناد ، واستدلّ به الحنفيّة على انّ من نذر ذبحَ ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدلّ عليه (١٠٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ (١٠٩) سَلَٰمٌ عَلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ سبق بيانه فى قصّة نوح (١١٠) كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ (١١١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ لعلّه طرح عنه إنّا اكتفاء بذكره مرّة فى هذه القصّة (١١٢) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ مقضيّا نبوّته مقدّرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالَيْن ولا حاجةَ الى وجود المبشَّر به وقتَ البشارة فانّ وجود ذى الحال غيرُ شرط بل الشرطُ مقارَنةُ تعلّق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجةَ الى تقدير مضاف يُجْعَل عاملا فيهما مثل وبشّرناه بوجود اسحٰق اى بأن يوجد اسحٰق نبيّا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظيرَ قوله فادْخلوها خالدين فانّ الداخلين مقدّرون خلودَهم وقتَ الدخول واسحٰق لم يكن مقدّرا نبوّة نفسه وصلاحَها حينَ ما يوجد ، ومن فسّر الذبيح باسحٰق جعل المقصود من البشارة نبوّته وفى ذكر الصلاح بعد النبوّة تعظيمٌ لشأنه وايماءٌ بانّه الغاية لها لتضمّنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق (١١٣) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ على ابرٰهيم فى اولاده وَعَلَىٰ إِسْحَٰقَ بأن اخرجنا من صلبه انبياء بنى اسرائيل

وغيرهم كأيوب وشعيب او أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا ، وقرئ وبرّكنا وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ جزء ۲۳
فى عمله او الى نفسه بالايمان والطاعة وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ بالكفر والمعاصى مُبِينٌ ظاهر ظلمه وفى ذلك تنبيه رکوع ۷
على أنّ النسب لا أثر له فى الهدى والضلال وأنّ الظلم فى أعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب
(۱۱۴) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَٰرُونَ انعمنا عليهما بالنبوّة وغيرها من المنافع الدينيّة والدنيويّة رکوع ۸
(۱۱۵) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ من تغلّب فرعون او الغرق (۱۱۶) وَنَصَرْنَاهُمْ الضمير لهما
مع القوم فَكَانُوا هُمُ ٱلْغَالِبِينَ على فرعون وقومه (۱۱۷) وَآتَيْنَاهُمَا ٱلْكِتَابَ ٱلْمُسْتَبِينَ البليغ فى بيانه وهو
التورية (۱۱۸) وَهَدَيْنَاهُمَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ الطريق الموصل الى الحقّ والصواب (۱۱۹) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي
ٱلْآخِرِينَ (۱۲۰) سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَٰرُونَ (۱۲۱) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ (۱۲۲) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ
سبق مثل ذلك (۱۲۳) وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ هو الياس بن ياسين من سبط هرون اخى موسى عم بُعث
بعده وقيل ادريس لانّه قرئ إدريس وإدراس مكانه وفى حرف أُبَىّ وإنّ إبليس وقرأ ابن ذكوان مع
خلاف عنه بحذف همزة الياس (۱۲۴) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ عذاب الله (۱۲۵) أَتَدْعُونَ بَعْلًا اتعبدونه
او اتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بكّ من الشأم وهو البلد الّذى يقال له الآن بعلبكّ
وقيل البعل الربّ بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض البعول وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَالِقِينَ وتتركون عبادته
وقد اشار فيه الى المقتضى للانكار المعنىّ بالهمزة ثمّ صرّح به بقوله (۱۲۶) ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ
وقرأ حمزة والكسائىّ ويعقوب وحفص بالنصب على البدل (۱۲۷) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ اى فى العذاب
وانّما اطلقه اكتفاء منه بالقرينة او لانّ الاحضار المطلق مخصوص بالشرّ عرفا (۱۲۸) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ
مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى (۱۲۹) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ (۱۳۰) سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ
لغة فى الياس كسيناء وسينين وقيل جمعٌ له مراد به هو وأتباعه كالمهلّبين لكن فيه أنّ العلم اذا
جُمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالأعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع
وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانّهما فى المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس وقيل
محمّد صلعم او القرآن او غيره من كتب الله والكلّ لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله
(۱۳۱) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ (۱۳۲) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ اذ الظاهر انّ الضمير لالياس
(۱۳۳) وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (۱۳۴) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (۱۳۵) إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَابِرِينَ (۱۳۶) ثُمَّ دَمَّرْنَا
ٱلْآخَرِينَ سبق بيانه (۱۳۷) وَإِنَّكُمْ يا اهل مكّة لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ على منازلهم فى متاجركم الى الشأم فانّ
سدوم فى طريقه مُصْبِحِينَ داخلين فى الصباح (۱۳۸) وَبِٱللَّيْلِ اى ومساء او نهارا وليلا ولعلّها وقعت قريب

جزء ٢٣ ركوع ٩

يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتّصل بقوله ولقد علمت الجنّة كانّه قال ولقد علم الملائكة انّ المشركين معذّبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثمّ استثنوا المخلصين تبرئةً لهم منه ثمّ خاطبوا الكفرة بانّ الافتتان بذلك للشقاوة المقدّرة ثمّ اعترفوا بالعبوديّة وتفاوت مراتبهم فيه لا يتجاوزونها فحذف الموصوف وأُقيمت الصفة مقامه (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ فى اداء الطاعة ومنازل الخدمة (١٦٦) وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ المنزّهون اللهَ عمّا لا يليق به ولعلّ الاوّل اشارة الى درجاتهم فى الطاعات وهذا فى المعارف وما فى إنّ واللام وتوسيط الفصل من التأكيد والاختصاص لانّهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبىّ صلعم والمؤمنين والمعنى وما منّا الّا له مقام معلوم فى الجنّة او بين يدى الله فى القيٰمة وانّا لنحن الصافّون له فى الصلوة المنزّهون له عن السوء (١٦٧) وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ اى مشركو قريش (١٦٨) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ ٱلْأَوَّلِينَ كتابا من الكتب الّتى نزلت عليهم (١٦٩) لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ لأخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم (١٧٠) فَكَفَرُوا بِهِ اى لمّا جاءهم الذكر الّذى هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عاقبة كفرهم (١٧١) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ اى وعدُنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله (١٧٢) إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنْصُورُونَ (١٧٣) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ وهو باعتبار الغالب والمقضىّ بالذات وانّما سمّاه كلمة وهى كلمات لانتظامها فى معنى واحد (١٧٤) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فأعرض عنهم حَتَّىٰ حِينٍ هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح (١٧٥) وَأَبْصِرْهُمْ على ما ينالهم حينئذ والمرادُ بالامر الدلالة على انّ ذلك كائنٌ قريبٌ كانّه قدّامه فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ما قضينا لك من التأييد والنصرة والثواب فى الآخرة، وسوف للوعيد لا للتبعيد (١٧٦) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ رُوى انّه لمّا نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزلت (١٧٧) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فاذا نزل العذاب بفنائهم شبّهه بجيش هجمهم فأناخ بفنائهم بغتةً وقيل الرسولُ وقرئ نُزِلَ على اسناده الى الجارّ والمجرور ونَزَلَ اى العذاب فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنْذَرِينَ فبئس صباحُ المنذرين صباحُهم واللامُ للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيِّت لوقت نزول العذاب ولمّا كثرت فيهم الهجوم والغارة فى الصباح سمّوا الغارة صباحا وإن وقعت فى وقت آخر (١٧٨) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٩) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ تأكيد الى تأكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بأنّه يبصر وانّهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرّة وانواع المساءة او الاوّل لعذاب الدنيا والثانى لعذاب الآخرة (١٨٠) سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ عمّا قاله المشركون فيه على ما حكى فى السورة واضافةُ الربّ الى العزّة لاختصاصها به اذ لا عزّة الّا له او لمن اعزّه وقد أُدرج فيه جملة صفاته السلبيّة والثبوتيّة مع الاشعار بالتوحيد (١٨١) وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم (١٨٢) وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ على ما افاض عليهم وعلى من اتّبعهم من النعم وحسن العاقبة

ولذلك اخّره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلّمون على رسله ، وعن علىّ رضه من جزء ٢٣
احبّ ان يُكْتال بالمكيال الأَوْفَى من الأجر يومَ القيْمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربّك ركوع ٩
ربّ العزّة الى آخر السورة وعن النبىّ صلعم من قرأ والصافّات أُعْطِى من الأجر عَشْرَ حسنات بعدد كلّ جنّىّ وشيطان وتباعدت عنه مَرَدة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يومَ القيْمة أنّه كان مؤمنا بالمرسلين ٠

سُورَةُ ص

مكّيّة وآيها ستّ وثمان وثمانون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) صٓ وقرئ بالكسر لالتقاء الساكنَيْن وقيل انّه امرٌ من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصَّدَى فانّه ركوع ١٠
يعارض الصوت الاوّل اى عارِضِ القرانَ بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتحُ فى موضع الجرّ فانّها غير مصروفة لانّها عَلَمُ السورة وبالجرّ والتنوين على تأويل الكتاب وَٱلْقُرْآنِ ذِى ٱلذِّكْرِ الواوُ للقسم إن جُعل صٓ اسما للحرف او مذكورا للتحدّى او للرمز بكلام مثل صَدَقَ محمّد او للسورة خبرا لمحذوف او لفظ الامر وللعطف إن جُعل مُقْسَما به والجواب محذوف دلّ عليه ما فى صٓ من الدلالة على التحدّى او الامر بالمعادلة اى انّه لمعجز او لَواجب العمل به او انّ محمّدا لصادق او قوله بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا اى ما كفر به مَنْ كفر لخلل وجده فيه بل الّذين كفروا به فِى عِزَّةٍ اى استكبار عن الحقّ وَشِقَاقٍ خلاف للّه ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاوّلَيْن الاضراب ايضا من الجواب المقدّر ولكن من حيث اشعاره بذلك، والمراد بالذكر العظة او الشرف والشهرة او ذكرُ ما يحتاج اليه فى الدين من العقائد والشرائع والمواعيد ، والتنكير فى عزّة وشقاق للدلالة على شدّتهما وقرئ فى غِرَّةٍ اى غفلة عمّا يجب عليهم النظر فيه (٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا فَنَادَوْا استغاثةً او توبةً واستغفارا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ اى ليس الحينُ حينَ مناص ولا هى المشبّهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رُبَّ وثُمَّ وخصّت بلزوم الأحيان وحذف احد المعمولين وقيل هى النافية للجنس اى ولا حينَ مناص لهم وقيل للفعل والنصبُ باضماره اى ولا أَرَى حينَ مناص وقرئ بالرفع على انّه اسمُ لا او مبتدأٌ محذوف الخبر اى ليس حينُ مناص حاصلا لهم او لا حينُ مناص كائنٌ لهم وبالكسر كقوله

طلبوا صُلْحَنا ولاتَ أَوانٍ فأَجَبْنا أَنْ لاتَ حينَ بقاء

امّا لانّ لاتَ تجرّ الاحيان كما انّ لَوْلَا تجرّ الضمائر فى نحو قوله ٠ لولاك هذا العلم لم احجج ٠ او لأنّ

جزء ٢٣ اوان شبّه بـاذ لانّه مقطوع عن الاضافة اذ اصله أَوَانَ صُلْحٍ ثمّ حُمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف
ركوع ١٠ منزلته لما بينهما من الاتّحاد اذ اصله حينَ مناصِهِم ثمّ بُنى الحين لاضافته الى غير متمكّن ولاتِ بالكسر كجَيْرِ ويقف الكوفيّة عليها بالهاء كالاسماء والبصريّة بالتاء كالافعال وقيل انّ التاء مزيدة على حين لاتّصالها به فى الامام ولا يَرِد عليه انّ خطّ المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يُعْهَد فيه والاصلُ اعتباره الّا فيما خصّه الدليل ولقوله

العاطفون تَحِينَ لا مِنْ عاطف   والمُطْعِمون زمانَ لا مِنْ مُطْعِم

والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته (٣) وَعَجِبُوا أَنْ جَآءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ بَشَرٌ مثلهم او أُمّىّ من عدادهم وَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ وضع فيه الظاهر موضعَ الضمير غضبا عليهم وذمّا لهم واشعارا بأنّ كفرهم جسّرهم على هذا القول هَٰذَا سَاحِرٌ فيما يُظهره معجزةً كَذَّابٌ فيما يقوله على اللّه (٤) أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا بأن جعل الالوهيّة الّتى كانت لهم لواحد إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ بليغ فى العجب فانّه خلاف ما اطبق عليه آباؤنا وما نشاهده من انّ الواحد لا يفى علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشدّدا وهو ابلغ ككُرَام وكُرّام روى انّه لمّا اسلم عُمَر شقّ ذلك على قريش فأتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانّا جئناك لتقضى بيننا وبين ابن اخيك فاستحضرَ رسولَ اللّه وقال هؤلاء قومك يسألونك السَواء فلا تَمِلْ كلَّ الميل عليهم فقال ما ذا يسألوننى قالوا ارفضْنا وارفضْ ذكر آلهتنا ونَدَعك وإلٰهك قال أرأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أَمُعْطِىَّ انتم كلمةً واحدةً تملكون بها العربَ ويدين لكم بها العجمُ قالوا نعم وعَشْرا فقال قولوا لا اله الّا اللّه فقاموا وقالوا ذلك (٥) وَٱنْطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ وانطلق اشراف قريش من مجلس ابى طالب بعد ما بكّتهم رسول اللّه صلعم أَنِ ٱمْشُوا قائلين بعضهم لبعض امشوا وَٱصْبِرُوا واثبتوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وأَنْ هى المفسّرة لانّ الانطلاق عن مجلس التقاول يُشْعِر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت اولادها ومنه الماشية اى اجتمعوا وقرئ بغير أَنْ وقرئ يَمْشُونَ أَنِ ٱصْبِرُوا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ انّ هذا الامر لشىء من ريب الزمان يراد بنا فلا مردّ له او انّ هذا الّذى يدّعيه من التوحيد او يقصده من الرئاسة والترفّع على العرب والعجم لشىء يُتمنّى او يريده كلّ احد او انّ دينكم لشىء يُطْلَب ليؤخذ منكم (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا بالّذى يقوله فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ فى الملّة الّتى ادركنا عليها آباءنا او فى ملّة عيسى الّتى هى آخر الملل فانّ النصارى يثلّثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اى ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهّان بالتوحيد كائنا فى الملّة المترقّبة إِنْ هَٰذَا إِلَّا ٱخْتِلَاقٌ كذب اختلقه (٧) أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا انكار لاختصاصه بالوحى وهو مثلهم او أدْوَن منهم فى الشرف والرئاسة كقولهم لولا نُزّل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وأمثالُ ذلك دليل على انّ مبدأ تكذيبهم لم يكن الّا الحسد وقصور النظر على الحُطام الدنيوىّ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِنْ ذِكْرِى من القران او الوحى

لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس فى عقيدتهم ما يبتّون به من قولهم هذا ساحر كذّاب جزء ٢٣
ان هذا الّا اختلاق بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ بل لم يذوقوا عذابى بعدُ فاذا ذاقوه زال شكّهم والمعنى انّهم ركوع ١٠
لا يصدّقون به حتّى يمسّهم العذاب فيلجئهم الى التصديق (٨) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ بل
اعندهم خزائن رحمته وفى تصرّفهم حتّى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عمّن شاءوا فيتخيّروا للنبوّة
٥ بعض صناديدهم والمعنى انّ النبوّة عطيّة من اللّه يتفضّل بها على من يشاء من عباده لا مانعَ له فانّه
ٱلْعَزِيزِ اى الغالب الّذى لا يُغْلَب ٱلْوَهَّابِ الّذى له ان يهب ما شاء لمن يشاء ثمّ رشّح ذلك فقال

(٩) أَمْ لَهُمْ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا كأنّه لمّا انكر عليهم التصرّف فى نبوّته بأن ليس عندهم
خزائن رحمته الّتى لا نهاية لها اردف ذلك بأنّه ليس لهم مَدْخَل فى امر هذا العالَم الجسمانىّ الّذى هو
جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرّفوا فيها فَلْيَرْتَقُوا فِى ٱلْأَسْبَابِ جوابُ شرط محذوف اى ان
١٠ كان لهم ذلك فليصعدوا فى المعارج الّتى يُتوصّل بها الى العرش حتّى يستووا عليه ويدبّروا امر العالَم
فينزّلوا الوحى الى من يستصوبون وهو غاية التهكّم بهم ، والسبب فى الاصل هو الوُصْلة وقيل المراد
بالاسباب السموات لانّها اسباب الحوادث السُفْليّة (١٠) جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ اى هم جندٌ
ما من الكفّار المتحزّبين على الرسل مهزوم مكسور عمّا قريبٍ فمن اين لهم التدابير الالهيّة والتصرّف فى
الامور الربّانيّة او فلا تكترثْ بما يقولون ، وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيئًا ما وقيل للتعظيم
١٥ على الهزء وهو لا يلائم ما بعده ، وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول
(١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ذو المُلْك الثابت بالاوتاد كقوله

ولقد غَنُوا فيها بأَنْعَمِ عيشةٍ فى ظلّ مُلْكٍ ثابتِ الاوتادِ

مأخوذ من ثبات البيت المطنّب بأوتاده او ذو الجموع الكثيرة سمّوا بذلك لانّ بعضهم يشدّ بعضًا
كالوتد يشدّ البناء وقيل نَصَبَ اربع سَوارٍ وكان يمدّ يدى المعذَّب ورجلَيْه اليها ويضرب عليها اوتادا
٢٠ ويتركه حتّى يموت (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ واصحاب الغَيْضة وهم قوم شُعَيْب أُولٰئِكَ ٱلْأَحْزَابُ
يعنى المتحزّبين على الرسل الّذين جعل الجند المهزوم منهم (١٣) إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ بيانٌ لما اسند
اليهم من التكذيب على الابهام مشتملٌ على انواع من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم
العذاب ولذلك رتّب عليه فَحَقَّ عِقَابِ وهو إمّا مقابلةُ الجمع بالجمع او جعلُ تكذيب الواحد منهم
تكذيبَ جميعهم (١٤) وَمَا يَنْظُرُ هٰؤُلَاءِ وما ينتظر قومك او الاحزاب فانّهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر ركوع ١١
٢٥ او حضورهم فى علم اللّه إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً هى النفخة الاولى مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ من توقّف مقدارَ فُواق وهو ما
بين الحَلْبَتَيْن او رجوعٍ وترداد فانّه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائىّ بالضمّ وهما لغتان
(١٥) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قِسْطنا من العذاب الّذى تُوعِدنا به او الجنّة الّتى تعدها للمؤمنين وهو من

جزء ٢٣ ركوع ١١

قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قطّ لانّها قطعة من القرطاس وقد فُسّر بها اى عجّل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ استعجلوا ذلك استهزاء (١٦) ٱصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ واذكر لهم قصّته تعظيما للمعصية فى اعينهم فانّه مع علوّ شأنه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لمّا اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبّخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتّى تفطّن فاستغفر ربّه وأناب فما الظنّ بالكفرة وأهل الطغيان او تذكّر قصّته وصُنْ نفسك ان تزلّ فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهمال عنان نفسه أدنى اهمال ذَا ٱلْأَيْدِ ذا القوّة يقال فلان أَيِّدٌ وذو أَيْدٍ وآدٍ وإِيَادٍ بمعنى إِنَّهُ أَوَّابٌ رجّاع الى مرضاة اللّه وهو تعليل للأيد ودليل على انّ المراد به القوّة فى الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ قد مرّ تفسيره ويسبّحن حالٌ وُضع موضعَ مسبّحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدّد التسبيح حالا بعد حال بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ووقت الاشراق وهو حين تُشْرِق الشمس اى تضىء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأمّا شروقها فطلوعها يقال شَرَقت الشمسُ ولمّا تُشْرِقْ وعن امّ هانئ انّه عم صلّى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق وعن ابن عبّاس ما عرفتُ صلوة الضحى الّا بهذه الآية (١٨) وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً اليه من كلّ جانب وانّما لم يُراع المطابقة بين الحاليّن لانّ الحشر جملةً ادلّ على القدرة منه مدرّجا وقرئ وَٱلطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ بالابتداء والخبر كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ كلّ واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجّاع الى التسبيح فالفرق بينه وبين ما قبله انّه يدلّ على الموافقة فى التسبيح وهذا على المداومة عليها او كلّ منهما ومن داود مرجّع للّه التسبيح (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وقوّيناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل انّ رجلا ادّعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فأوحى اليه أن اقتل المدّعَى عليه فأعلمه فقال صدقتَ انّى قتلت اباه غيلةً وأخذت البقرة فعظمتْ بذلك هيبته وَآتَيْنَاهُ ٱلْحِكْمَةَ النبوّة او كمال العلم وإتقان العمل وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ وفصل الخصام بتمييز الحقّ عن الباطل او الكلام الملخّص الّذى ينبّه المخاطَب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظانّ الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانّما سُمّى به أمّا بعدُ لانّه يفصل المقصود عمّا سبق مقدّمةً له من الحمد والصلوة وقيل هو الخطاب القصْد الّذى ليس فيه اختصارٌ مُخِلّ ولا إشباعٌ مُمِلّ كما جاء فى وصف كلام الرسول صلعم فَصْلٌ لا نَزْرٌ ولا هَذْرٌ (٢٠) وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ ٱلْخَصْمِ استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه ؛ والخصم فى الاصل مصدر ولذلك أُطْلِق للجمع إِذْ تَسَوَّرُوا ٱلْمِحْرَابَ اذ تصعّدوا سور الغرفة تفعّل من السُور كتسنّم من السَنام ؛ واذ متعلّق بمحذوف اى نبأُ تحاكمِ الخصم اذ تسوّروا او بالنبا على انّ المراد الواقع فى عهد داود وانّ اسنادَ اتى اليه على حذف مضاف اى قصّةُ نبا الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا بأتى لانّ اتيانه الرسول لم يكن حينئذ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ بدل من الاولى او

جزء ٢٣ ركوع ١١

ظرف لتسوّروا فَفَزِعَ مِنْهُمْ لانّهم نزلوا عليه من فوق فى يوم الاحتجاب والحَرَس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانّه عم كان جزّأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصّته فتسوّر عليه ملائكة على صورة الانسان فى يوم الخلوة قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ نحن فوجان متخاصمان على تسمية مُصاحب الخصم خصما بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ على الفرض وقصدِ التعريض إن كانوا ملائكة وهو المشهور فَٱحْكُمْ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ولا تَجُرْ فى الحكومة وقرئ وَلَا تَشْطُطْ اى ولا تَبْعُد عن الحق ولا تُشَطِّطْ ولا تُشَاطِطْ والكلّ من معنى الشَطَط وهو مجاوزة الحدّ وَٱهْدِنَا إِلَى سَوَآءِ ٱلصِّرَاطِ اى الى وسطه وهو العدل (٢٢) إِنَّ هٰذَا أَخِي بالدين او الصحبة لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ هى الانثى من الضأن وقد يُكَنَّى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ فى المقصود، وقرئ تَسْعٌ وَتَسْعُونَ بفتح التاء ونِعْجة بكسر النون فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ملّكنيها وحقيقته اجعلنى أَكْفُلُها كما اكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كِفْلى اى نصيبى وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ وغلبنى فى مخاطبته ايّاى محاجّةً بأن جاء بحجاج لم اقدر على ردّه او فى مغالبته ايّاى فى الخِطْبة يقال خطبتُ المرأة وخطبَها هو فخاطَبَنى خِطابا حيث زَوّجها دونى وقرئ وَعَازَّنِي اى غالبنى وعَزَنِي على تخفيف غريب (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ جوابُ قسم محذوف قصد به المبالغة فى انكارِ فعل خليطه وتهجين طمعه ولعلّه قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدّعى، والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمّنه معنى الاضافة وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلْخُلَطَآءِ الشركاء الّذين خلطوا اموالهم جمعُ خليط لَيَبْغِي لينعدّى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وقرئ بفتح الياء على تقديرِ النون الخفيفة وحذفها كقوله • اِضْرِبَ عَنْكَ الهمومَ طارِقَها • وبحذف الياء اكتفاء بالكسر إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجيب من قلّتهم وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ابتليناه بالذنب او امتحنّاه بتلك الحكومة هل يتنبّه بها فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُ لذنبه وَخَرَّ رَاكِعًا ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانّه مبدؤه او خرّ للسجود راكعا اى مصلّيا كانّه أَحْرَم بركعتى الاستغفار وَأَنَابَ ورجع الى اللّه بالتوبة، وأقصى ما فى هذه القصّة الاشعارُ بانّه عم ودّ ان يكون له ما لغيره وكان له أمثاله فنبّهه اللّه بهذه القضيّة فاستغفر وأناب عنه وما روى انّ بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتّى تزوّجها وولدت منه سليمان إن صحّ فلعلّه خَطَبَ مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصارُ المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انّه ارسل أُورِياء الى الجهاد مرارا وامر ان يقدّم حتّى قُتل فتزوّجها هزؤ وافتراء ولذلك قال علىّ رضه من حدّث بحديث داود على ما يرويه القُصّاص جلدته مائة وستّين وقيل انّ قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوّروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا

جزء ٢٣ عنده اقواما فتصنّعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظنّ انّ ذلك ابتلاء من اللّه
ركوع ١١ له فاستغفر ربّه ممّا همّ به واناب (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذٰلِكَ اى ما استغفر عنه وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى لقربة بعد
المغفرة وَحُسْنَ مَآبٍ مرجع فى الجنّة (٢٥) يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ استخلفناك على الملك فيها
او جعلناك خليفة ممّن قبلك من الانبياء القائمين بالحقّ فَٱحْكُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ بحكم اللّه
وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَى ما تهوى النفس وهو يؤيّد ما قيل انّ ذنبه المبادرة الى تصديق المدّعى وتظليم الآخر
قبل مسألته فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ ٱللّٰهِ دلائله الّتى نصبها على الحقّ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللّٰهِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ ٱلْحِسَابِ بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فانّ تذكّره يقتضى
ركوع ١٢ ملازمة الحقّ ومخالفة الهوى (٢٦) وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا خلقا باطلا لا حكمة فيه
او ذوى باطل بمعنى مُبْطِلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين او للباطل
الّذى هو متابعة الهوى بل للحقّ الّذى هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرّع بالشرع كقوله وما
خلقتُ الجنّ والانس الّا ليعبدونِ على وضعه موضعَ المصدر مثل هنيئا ذٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا الاشارة الى
خلقها باطلا والظنّ بمعنى المظنون فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ بسبب هذا الظنّ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ منقطعة والاستفهامُ فيها لانكار التسوية بين الحزبين
الّتى هى من لوازم خلقها باطلا ليدلّ على نفيه وكذا الّتى فى قوله أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ كانّه
انكر التسوية اوّلا بين المؤمنين والكافرين ثمّ بين المتّقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون
تكريرا للانكار الاوّل باعتبار وصفين آخرَيْن يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم ، والآية تدلّ على صحّة
القول بالحشر فانّ التفاضل بينهما امّا ان يكون فى الدنيا والغالبُ فيها عكسُ ما تقتضى الحكمةُ فيه
او فى غيرها وذلك يستدعى ان يكون لهم حال اخرى يجازَوْن فيها (٢٨) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ نفّاع
وقرئ بالنصب على الحال لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ليتفكّروا فيها فيعرفوا ما يُدبِر ظاهرها من التأويلات الصحيحة
والمعانى المستنبطة وقرئ لِيَتَدَبَّرُوا على الاصل ولِتَدَبَّرُوا اى انت وعلماء امّتك وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو ٱلْأَلْبَابِ
وليتّعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكّنهم من معرفته
بما نُصب عليه من الدلائل فانّ الكتب الالهيّة بيانٌ لما لا يُعرف الّا من الشرع وارشادٌ الى ما يستقلّ به
العقل ولعلّ التدبّر للاوّل والتذكّر للثانى (٢٩) وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ اى نعم العبد سليمانُ
اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله إِنَّهُ أَوَّابٌ رجّاع الى اللّه بالتوبة او الى التسبيح مرجِّع له
(٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ ظرف لأوّاب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بِٱلْعَشِيِّ بعد الظهر ٱلصَّافِنَاتُ
الصافن من الخيل الّذى يقوم على طرف سنبكِ يدٍ او رجلٍ وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لا يكاد

جزء ٢٣ ركوع ١٢

يكون الّا فى العِراب الخُلّص آلْجِيَادُ جمعُ جَواد او جَوْد وهو آلّذى يسرع فى جريه وقيل آلّذى يجود بالركض وقيل جمعُ جَيِّد روى انّه عم غزا دمشق ونصيبين وأصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تُعْرَض عليه حتّى غربت الشمس وغفل عن العَصْر او عن وِرْد كان له فاغتمّ لما فاته فاستردّها فعقرها مقرّبا للّه (٣١) فَقَالَ انِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى اصلُ احببت ان يعدّى بعَلَى لانّه بمعنى آثرت لكن لمّا أُنيب مناب أَنبْتُ عُدّى تعديته وقيل بمعنى تقاعدت من قوله • مثلَ بعيرِ السَوْء اذ أَحبّا • اى برك وحُبَّ الخير مفعول له ' والخيرُ المال الكثير والمراد به الخيل آلّتى شغلته ويحتمل انّه سمّاها خيرا لتعلّق الخير بها قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة ' وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء حَتَّى تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ اى غربت الشمس شبّه غروبها بتوارى المخبّأة بحجابها واضمارُها من غير ذكر لدلالة العشىّ عليها (٣٢) رُدُّوهَا عَلَىَّ الضمير للصافنات فَطَفِقَ مَسْحًا فأخذ يمسح السيف مسحا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ اى بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح عِلاوتَه اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبّا لها ' وعن ابن كثير بِٱلسُّؤْقِ على همز الواو لضمّة ما قبلها كمُؤْقِن وعن ابى عمرو بِٱلسُّؤُوقِ وقرئ بِٱلسَّاقِ اكتفاء بالواحد عن الجمع لأَمْن الالباس (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ واظهرُ ما قيل فيه ما روى مرفوعا انّه قال لأطوفنّ على سبعين امرأة تأتى كلّ واحدة بفارس يجاهد فى سبيل اللّه ولم يقل ان شاء اللّه فطاف عليهنّ فلم يحمل الّا امرأة جاءت بشِقّ رَجُل فوآلّذى نفسُ محمّد بيده لو قال إن شاء اللّه لجاهدوا فرسانا وقيل وُلد له ابن فاجمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه فى السحاب فما شعر به الّا أنْ أُلقى على كرسيّه ميتا فتنبّه على خطائه بأن لم يتوكّل على اللّه وقيل انّه غزا صَيْدُونَ من الجزائر فقتل ملكها وأصاب ابنته جرادة فأحبّها وكان لا يرقأ دمعُها جزعا على ابيها فأمر الشياطين فمثّلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهنّ فى ملكه فأخبره آصف فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج الى الفلاة باكيا متضرّعا وكانت له امّ ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان مُلْكه فيه فاعطاها يوما فتمثّل لها بصورته شيطان اسمه صَخْرٌ وأخذ الخاتم فتختّم به وجلس على كرسيّه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كلّ شىء الّا فى نسائه وغيّر سليمانَ عن هيئته فأتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف انّ الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفّف حتّى مضى اربعون يوما عددَ ما عُبدت الصورة فى بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختّم به ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسدُ صَخْرٌ سُمّى به وهو جسمٌ لا روحَ فيه لانّه كان متمثّلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافلُه عن حال اهله لانّ اتّخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضرّه (٣٤) قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَا يَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى لا يتسهّل له ولا يكون ليكون معجزةً لى مناسبةً لحالى او لا ينبغى لاحد ان يسلبه منّى بعد هذه السلبة او لا يصحّ لاحد

*

جزء ٢٣ من بعدى لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا
ركوع ١٢ يُعْطَى احدٌ مثلَه فيكونَ منافسةً ، وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر الدين ووجوب
تقديم ما يَجْعل الدعاء بصدد الاجابة ، وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء إنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ المعطي ما
تشاء لمن تشاء (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ فذلّلناها لطاعته اجابةً لدعوته وقرئ ٱلرِّيَاحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً
ليّنة من الرخاوة لا تزعزع او لا تُخالف ارادته كالمأمور المنقاد حَيْثُ أَصَابَ اراد من قولهم اصاب
الصوابَ فأخطأ الجوابَ (٣٦) وَٱلشَّيَاطِينَ عطف على الريح كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ بدل منه (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ
فِى ٱلْأَصْفَادِ عطف على كلّ كأنّه فصل الشياطين الى عَمَلة استعملهم فى الاعمال الشاقّة كالبناء والغوص
ومَرَدة قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل ليكفّوا عن الشرّ ولعلّ اجسامهم شفّافةٌ صُلْبةٌ فلا تُرى ويُمْكن
تقييدُها هذا والاقربُ انّ المراد تمثيل كفّهم عن الشرور بالاقران فى الصَّفَد وهو القيد وسُمّى به
العطاء لانّه يُرْتبط به المُنْعَم عليه وفرقوا بين فعليْهما فقالوا صَفَدَه قيّده وأَصْفَدَه اعطاه عكسَ وَعَدَ
وأَوْعَدَ وفى ذلك نكتة (٣٨) هَٰذَا عَطَآؤُنَا اى هذا الّذى اعطيناك من الملك والبسطة والتسلّط على
ما لم يسلّط غيرك عطاؤنا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ فأعطِ من شئت وٱمنعْ من شئتَ بِغَيْرِ حِسَابٍ حال
من المستكنّ فى الامر اى غير محاسَب على منّه وامساكه لتفويض التصرّف فيه اليك او من العطاء او صلة
له وما بينهما اعتراض والمعنى انّه عطاء جمّ لا يكاد يُمْكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين
والمراد بالمنّ والامساك اطلاقهم وابقاؤهم فى القيد (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى فى الآخرة مع ما له من الملك
ركوع ١٣ العظيم فى الدنيا وَحُسْنَ مَآبٍ هو الجنّة (٤٠) وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ هو ابن عَيْص بن اسحٰق وامرأتُه
ليّا بنت يعقوب إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ بدل من عبدنا وايوبَ عطف بيان له أَنِّى مَسَّنِىَ بأنّى مسّنى وقرأ حمزة
باسكان الياء واسقاطها فى الوصل ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ تعب وَعَذَابٍ ألم وهو حكاية لكلامه الّذى ناداه به
ولولا هى لقال انّه مسّه ، والاسناد الى الشيطان إمّا لانّ اللّه مسّه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انّه
أُعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يُغثه او كانت مواشيه فى ناحية مَلِك كافر فداهَنه ولم يَغْزه او
لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاةً للأدب او لانّه وسوس الى أَتْباعه حتّى رفضوه
واخرجوه من ديارهم او لانّ المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس اليه فى مرضه من عظم البلاء
والقنوط من الرحمة ويُغْريه على الجزع ، وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة
كالرُشْد والرَشَد وبضمّتين للتثقيل (٤١) ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ حكاية لما اجيب به اى اضربْ برجلك الارض
هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ اى فضربها فنبعت عينٌ فقيل هذا مغتسل اى ماء تغتسل به وتشرب منه
فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارّة وباردة فاغتسل من الحارّة وشرب من الاخرى (٤٢) وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ بأن جمعناهم عليه بعد تفرّقهم او أحييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ

جزء ٢٣ ركوع ١٣

حتّى كان له ضِعْفُ ما كان رَحْمَةً مِنَّا لرحمتنا عليه وَذِكْرَى لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجاء الى اللّه فيما يحيق بهم (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فَٱضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ روى انّ زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افراثيم بن يوسف ذهبت لحاجة وابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلّل اللّه يمينه بذلك وهى رخصة باقية فى الحدود إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا فيما اصابه فى النفس والاهل والمال ولا يُخلّ به شكواه الى اللّه من الشيطان فانّه لا يسمّى جزعا كتمنّى العافية وطلب الشفاء مع انّه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه فى الدين (٤٤) نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ايوب إِنَّهُ أَوَّابٌ مُقبل بشراشره على اللّه (٤٥) وَٱذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرٰهِيمَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وقرأ ابن كثير عَبْدَنَا وضع الجنس موضع الجمع او على انّ ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحٰق ويعقوب عطف عليه أُولِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَارِ اولى القوّة فى الطاعة والبصيرة فى الدين او اولى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبّر بالايدى عن الاعمال لانّ اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانّها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهّال انّهم كالزمنى والعماة (٤٦) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هِيَ ذِكْرَى ٱلدَّارِ تذكّرهم للآخرة دائما فانّ خلوصهم فى الطاعة بسببها وذلك لانّ مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار اللّه والفوز بلقائه وذلك فى الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانّها الدار الحقيقة والدنيا معبر، واضاف نافع وهشام بخالصة الى ذكرى للبيان او لانّه مصدر بمعنى الخلوص فأضيف الى فاعله (٤٧) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم فى الخير جمع خَيِّر كشرّ وأشرار وقيل جمع خَيْر او خَيِّر على تخفيفه كأموات فى جمع مَيِّت او مَيْت (٤٨) وَٱذْكُرْ إِسْمٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ هو ابن أُخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثمّ استنبئ واللام فيه كما فى قوله • رأيتُ الوليدَ بن اليزيد مباركا • وقرأ حمزة والكسائى وَٱللَّيْسَعَ تشبيها بالمنقول من لَيْسَع من اللّسع وَذَا ٱلْكِفْلِ ابن عمّ يسع او بشر بن ايّوب واختُلف فى نبوّته ولقبه فقيل فرّ اليه مائة من بنى اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كَفَل بعمل رجل صالح كان يصلّى كلّ يوم مائة صلوة وَكُلٌّ اى وكلّهم مِنَ ٱلْأَخْيَارِ (٤٩) هٰذَا اشارة الى ما تقدّم من امورهم ذِكْرٌ شرف لهم او نوع من الذكر وهو القران ثمّ شرع فى بيان ما اعدّ لهم ولامثالهم فقال وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ مرجع (٥٠) جَنّٰتِ عَدْنٍ عطف بيان لحسن مآب وهو من الأعلام الغالبة لقوله جنّات عدن التى وعد الرحمن عباده وانتصب عنها مُفَتَّحَةً لَهُمُ ٱلْأَبْوَابُ على الحال والعامل فيها ما فى المتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او أنّهما خبران لمحذوف (٥١) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ حالان متعاقبان او متداخلان من الضمير فى لهم لا من المتقين للفصل، والاظهر انّ يدعون استيناف لبيان حالهم فيها ومتّكئين حال من ضميره، والاقتصار على الفاكهة

جزء ۲۳ للاشعار بأنّ مطاعمهم لمحض التلذّذ فانّ التغذّى للتحلّل ولا تحلّل ثمّه (۵۲) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ
ركوع ۱۳ لا ينظرن الى غير ازواجهنّ أَتْرَابٌ لِداتٌ لهم فانّ التّحابّ بين الاقران اثبت او بعضهنّ لبعض لا عجوز فيهنّ ولا صبيّة واشتقاقه من التراب فانّه يمسّهم فى وقت واحد (۵۳) هٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ لاجله فانّ الحساب علّة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله (۵۴) إِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ انقطاع (۵۵) هٰذَا اى الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (۵۶) جَهَنَّمَ اعرابه ما سبق يَصْلَوْنَهَا حال من جهنّم فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ المهد والمفترش مستعارٌ من فراش النائم ، والمخصوص بالذمّ محذوف وهو جهنّم لقوله لهم من جهنّم مهاد (۵۷) هٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ اى ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأً خبره حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وهو على الاوّلين خبرُ محذوف اى هو حميم ، والغساق ما يَغْسِق من صديد اهل النار من غسقت العينُ اذا سال دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائىّ غسّاقٌ بتشديد السين (۵۸) وَآخَرُ اى مذوق او عذاب آخر وقرأ البصريّان وَأُخَرُ اى ومذوقات او انواع عذاب أُخَر مِنْ شَكْلِهِ من مثل هذا المذوق او العذاب فى الشدّة وتوحيدُ الضمير على انّه لما ذُكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق ، وقرئ بالكسر وهو لغة أَزْوَاجٌ أجناس خبرٌ لأخر او صفةٌ له او للثلاثة او مرتفعٌ بالجارّ والخبرُ محذوفٌ مثلُ لهم (۵۹) هٰذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ حكايةُ ما يقال لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم فى الضلال والاقتحامُ ركوب الشدّة والدخول فيها لَا مَرْحَبًا بِهِمْ دعاءٌ من المتبوعين على أتباعهم او صفةٌ لفوج او حالٌ اى مقولا فيهم لا مرحبا اى ما اتوا بهم رُحْبا وسعةً إِنَّهُمْ صَالُو ٱلنَّارِ داخلون النار باعمالهم مثلنا (۶۰) قَالُوا اى الأتباع للرؤساء بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ بل انتم احقّ بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا قدّمتم العذاب او الصلى لنا باغوائنا على ما قدّمه من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ فبئس المقرّ جهنّم (۶۱) قَالُوا اى الاتباع ايضا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ مضاعفا اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضِعْفَيْن كقوله ربّنا آتهم ضِعْفَيْن من العذاب (۶۲) وَقَالُوا اى الطاغون مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ ٱلْأَشْرَارِ يعنون فقراء المسلمين الّذين يسترذلونهم ويسخرون بهم (۶۳) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا صفةٌ اخرى لرجالا وقرأ الحجازيّان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انّه انكار على انفسهم وتأنيب لها فى الاستسخار منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائىّ سُخْرِيًّا بالضمّ وقد سبق مثله فى المؤمنين أَمْ زَاغَتْ مالت عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَارُ فلا نراهم وأَمْ معادلةٌ لما لنا لا نرى على انّ المراد نفىُ رؤيتهم لغيبتهم كانّهم قالوا اليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا او لاتّخذناهم على القراءة الثانية بمعنى أىّ الامرين فعلنا بهم

جزء ٢٣ الاستسخار منهم ام تحقيرهم فانّ زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارها على انفسهم او منقطعة والمراد الدلالة
ركوع ١٣ على انّ استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم (٦٤) إِنَّ ذَٰلِكَ ٱلَّذى
حكيناه عنهم لَحَقٌّ لا بدّ ان يتكلّموا به ثمّ بيّن ما هو فقال تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ وهو بدل من حقّ او
ركوع ١٤ خبرُ محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك (٦٥) قُلْ يا محمّد للمشركين إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ انذركم
عذاب اللّه وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ الّذى لا يقبل الشركة والكثرة فى ذاته ٱلْقَهَّارُ لكلّ شىء (٦٦) رَبُّ
ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا منه خلقها واليه امرها ٱلْعَزِيزُ الّذى لا يُغلَب اذا عاقب ٱلْغَفَّارُ الّذى يغفر ما
يشاء من الذنوب لمن يشاء وفى هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحّدين والمشركين
وتثنيةُ ما يُشعِر بالوعيد وتقديمُه لأنّ المدعوّ به هو الانذار (٦٧) قُلْ هُوَ اى ما انبأتكم به من انّى نذير من
عقوبة من هذا صفته وأنّه واحد فى ألوهيّته وقيل ما بعده من نبا آدم نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٨) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ
لتمادى غفلتكم فانّ العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة أمّا على التوحيد
فما مرّ وأمّا على النبوّة فقوله (٦٩) مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ فانّ اخباره عن تقاول
الملائكة وما جرى بينهم على ما ورد فى الكتب المتقدّمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يُتصوّر الّا
بالوحى ، وإذْ متعلّق بعِلْم او بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملإ الاعلى (٧٠) إِنْ يُوحَىٰ إِلَىَّ إِلَّا أَنَّمَا
أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ اى لانّما كانّه لمّا جوّز انّ الوحى يأتيه بيّن بذلك ما هو المقصود به تحقيقا لقوله انّما
انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ إِنَّمَا بالكسر على الحكاية (٧١) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ
إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ بدل من اذ يختصمون مبيّن له فانّ القصّة الّتى دخلت اذ عليها مشتملة على
تقاول الملائكة وابليس فى خلق آدم واستحقاقه الخلافة والسجود على ما مرّ فى البقرة غير انّها اختصرت
اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود منها وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبىّ بمثل ما
حاق بابليس على استكباره على آدم هذا ومن الجائز أن يكون مقاولة اللّه ايّاهم بواسطة ملك وأن يفسّر
الملأ الاعلى بما يعمّ اللّه والملائكة (٧٢) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ عدّلت خلقته وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى وأحييته بنفخ
الروح فيه وإضافته الى نفسه لشرفه وطهارته فَقَعُوا لَهُ فخرّوا له سَاجِدِينَ تكرمةً وتبجيلا له وقد مرّ
الكلام فيه فى البقرة (٧٣) فَسَجَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٤) إِلَّا إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ تعظّم وَكَانَ وصار
مِنَ ٱلْكَافِرِينَ باستنكاره امر اللّه تعالى واستكباره عن المطاوعة او كان منهم فى علم اللّه (٧٥) قَالَ يَا
إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ خلقته بنفسى من غير توسّط كأب وأمّ والتثنيةُ لما
فى خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد ، وترتيبُ الانكار عليه للاشعار بانّه
المستدعى للتعظيم او بانّه الّذى تشبّثت به فى تركه وهو لا يصلح لمانع اذ للسيّد ان يستخدم

جزء ٢٣ بعض عبيده لبعض سيّما وله مزيد اختصاص (٧٦) أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ تكبّرت من غير
ركوع ١٤ استحقاق او كنت ممّن علا واستحقّ التفوّق وقيل استكبرت الان ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرئ اِسْتَكْبَرْتَ بحذف الهمزة لدلالة أَمْ عليها او بمعنى الاخبار (٧٧) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ابداء للمانع وقوله خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ دليل عليه وقد سبق الكلام فيه (٧٨) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا من الجنّة او السماء او من الصورة الملكيّة فَإِنَّكَ رَجِيمٌ مطرود من الرحمة ومحلّ الكرامة (٧٩) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ ٱلدِّينِ (٨٠) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٨١) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنْظَرِينَ (٨٢) إِلَى يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ مرّ بيانه فى الحِجْر (٨٣) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ فبسلطانك وقهرك لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٤) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ الّذين اخلصهم اللّه لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم للّه على اختلاف القراءتين (٨٥) قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ اى فأُحقّ الحقّ واقوله وقيل الحقّ الاوّل اسم اللّه ونصبه بحذف حرف القسم كقوله • إِنَّ عَلَيْكَ ٱللّٰهَ أَنْ تُبايِعا • وجوابه لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ وما بينهما اعتراض وهو على الاوّل جوابٌ محذوف والجملة تفسير للحقّ المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاوّل على الابتداء اى الحقّ يمينى او قسمى او الخبر اى انا الحقّ وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله • كُلُّه لم أَصْنَعِ • ومجرورين على اضمار حرف القسم فى الاوّل وحكاية لفظ المقسم به فى الثانى للتوكيد وهو سائغ فيه اذا شارك الاوّل وبرفع الاوّل وجرّه ونصب الثانى وتخريجه على ما ذكرناه ، والضمير فى منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد بِمِنْكَ من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين ، واجمعين تأكيد له او للضميرين (٨٦) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ اى على القران او تبليغ الوحى وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ المتصنّعين بما ليسوا من اهله على ما عرفتم من حالى فأنتحلَ النبوّة وأتقوّلَ القران (٨٧) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ عظة لِلْعَالَمِينَ للثقلين (٨٨) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيان ذلك بَعْدَ حِينٍ بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة صٓ كان له بوزن كلّ جبل سخّره اللّه لداود عشرُ حسنات وعصمه أن يُصِرّ على ذنب صغير او كبير ؟

سُورَةُ ٱلزُّمَرِ

مكّيّة الّا قوله قل يا عبادى الآية وآيها خمس وسبعون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١٥ (١) تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ خبرُ محذوف مثل هذا او مبتدأٌ خبره مِنَ ٱللّٰهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ وهو على الاوّل صلة

التنزيل او خبرٌ ثانٍ او حالٌ عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر انّ الكتاب على الاوّل السورة وعلى الثانى القران ، وقرئ تَنْزِيلَ بالنصب على اضمار فعلٍ نحو اقرأْ او الزم (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ ملتبسا بالحقّ او بسبب اثبات الحقّ واظهاره وتفصيله فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ ٱلدِّينَ مُمْحِصا له الدين من الشرك والرئاء وقرئ برفع الدين على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرّح به مؤكّدا وأجراه مجرى المعلوم المقرّر لكثرة حُجَجه وظهور براهينه فقال (٣) أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ اى الا هو الّذى وجب اختصاصه بأن يُخْلَص له الطاعة فانّه المتفرّد بصفات الالوهيّة والاطّلاع على الاسرار والضمائر (٤) وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ يحتمل المتّخذين من الكفرة والمتّخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأٌ خبره على الاوّل مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَى باضمار القول او إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ وهو متعيّن على الثانى وعلى هذا يكون القول المضمر بما فى حيّزه حالا او بدلا من الصلة ، وزلفى مصدر او حال ، وقرئ قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ وما نَعْبُدُكُمْ إِلَّا لِتُقَرِّبُونَا حكايةً لما خاطبوا به آلهتهم ونُعْبُدُهُمْ بضمّ النون إتباعا فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ من الدين بادخال المُحِقّ الجنّة والمُبْطل النار ، والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانّهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم (٥) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى لا يوفّق للاهتداء الى الحقّ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ فانّهما فاقدا البصيرة (٦) لَوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا كما زعموا لَٱصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ اذ لا موجود سواه الّا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبَيْن ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البيّن انّ المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد ثمّ قرّر ذلك بقوله سُبْحَانَهُ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ فانّ الالوهيّة الحقيقيّة تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتيّة وهى تنافى المماثلة فضلا عن التوالد لانّ كلّ واحد من المِثْلَيْن مركّب من الحقيقة المشتركة والتعيّن المخصوص والقهّاريّة المطلقة تنافى قبول الزوال المُحْوِج الى الولد ثمّ استدلّ على ذلك بقوله (٧) خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱللَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱللَّيْلِ يُغْشِى كلّ واحد منهما الآخرَ كانّه يلفّه عليه لفّ اللباس باللابس او يغيّبه به كما يغيّب الملفوف باللفافة او يجعله كارّا عليه كرورا متتابعا تتابعَ أكوار العمامة وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى هو منتهى دوره او منقطَع حركته أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ القادرُ على كلّ ممكن الغالبُ على كلّ شىء ٱلْغَفَّارُ حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما فى هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة (٨) خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا استدلال آخر بما اوجده فى العالم السُفْلىّ مبدوءا به من خلق الانسان لانّه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات خلق آدم اوّلا من غير اب وامّ ثمّ خلق حوّاء من قُصَيْراه ثمّ تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما ، وثمّ للعطف على محذوف هو صفة

جزء ٢٣ ركوع ١٥

جزء ٢٣ ركوع ١٥ نفس مثل خَلْقِهَا او على معنى واحدة اى من نفس وَحِدَةٍ ثُمَّ جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فانّ الاولى عادة مستمرّة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذرّيّته كالذرّ ثمّ خلق منه حوّاء وَأَنْزَلَ لَكُمْ وقضى او قسم لكم فانّ قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتبت فى اللوح او احدث لكم باسباب نازلة كأشعّة الكواكب والامطار مِنَ ٱلْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ذكرا وانثى من الابل والبقر والضأن والمعز يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ بيان لكيفيّة خلق ما ذكر من الاناسىّ والانعام إظهارا لما فيها من عجائب القدرة غيرَ انّه غلّب اولى العقل او خصّهم بالخطاب لانّهم المقصودون خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ حيوانا سويّا من بعد عظام مكسوّة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف فِى ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ذَلِكُمُ ٱلَّذِى هذه افعاله ٱللَّهُ رَبُّكُمْ المستحقّ لعبادتكم والمالك لَهُ ٱلْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ اذ لا يشاركه فى الخلق غيره فَأَنَّى تُصْرَفُونَ يُعْدَل بكم عن عبادته الى الاشراك (٩) إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنْكُمْ عن ايمانكم وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ لاستضرارهم به رحمةً عليهم وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ لانّه سببُ فلاحكم، وقرأ ابن كثير ونافع فى رواية وابو عمرو والكسائىّ باشباع ضمّة الهاء لانّها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرّك وعن ابى عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بالمحاسبة والمجازاة (١٠) إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ فلا يخفى عليه خافيةٌ من اعمالكم (١١) وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ لزوال ما ينازع العقلَ فى الدلالة على انّ مبدأ الكلّ منه ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ اعطاه من الخَوْل وهو التعهّد او الخَوْل وهو الافتخار نِعْمَةً مِنْهُ من الله نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ اى الضرّ الّذى كان يدعو اللهَ الى كشفه او ربّه الّذى كان يتضرّع اليه وما مثل الّذى فى قوله وما خلق الذكر والانثى مِنْ قَبْلُ من قبل النعمة وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لمّا كانا نتيجةَ جعله صحّ تعليله بهما وان لم يكونا غرضَيْن قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا امرُ تهديد فيه اشعارٌ بانّ الكفر نوعُ تشهٍّ لا سَنَد له واقناطٌ للكافرين من التمتّع فى الآخرة ولذلك علّله بقوله إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ على سبيل الاستيناف للمبالغة (١٢) أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ قائم بوظائف الطاعات آنَاءَ ٱللَّيْلِ ساعاته، وأَمْ متّصلةٌ بمحذوف تقديره ألكافرُ خيرٌ ام من هو قانت او منقطعةٌ والمعنى بل ام من هو قانت كمن هو بضدّه وقرأ الحجازيّان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت للّه كمن جعل له اندادا سَاجِدًا وَقَائِمًا حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر، والواو للجمع بين الصفتين يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ فى موضع

جزء ٢٣ الحال او الاستيناف للتعليل قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ نفىٌ لاستواء الفريقين
ركوع ١٥ باعتبار القوّة العلميّة بعد نفيه باعتبار القوّة العمليّة على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقريرٌ للاوّل على
سبيل التشبيه اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو
ركوع ١٩ ٱلْأَلْبَابِ بأمثال هذه البيانات وقرئ يَذَّكَّرُ بالادغام (١٣) قُلْ يَا عِبَادِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ بلزوم
طاعته لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ اى للّذين احسنوا بالطاعات فى الدنيا مثوبةٌ حسنةٌ فى
الآخرة وقيل معناه للّذين احسنوا حسنةٌ فى الدنيا هى الصحّة والعافية وفِى هٰذِهِ بيانٌ لمكان حسنة
وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةٌ فمن تعسّر عليه التوفّر على الاحسان فى وطنه فليهاجرْ الى حيث يتمكّن منه إِنَّمَا يُوَفَّى
ٱلصَّابِرُونَ على مشاقّ الطاعات من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ اجرا لا
يهتدى اليه حساب الحُسّاب وفى الحديث انّه يُنْصَب الموازين يوم القيامة لاهل الصلوة والصدقة والحجّ
فيوفّون بها اجورهم ولا تُنْصَب لاهل البلاء بل يُصَبّ عليهم الاجر صبّا حتّى يتمنّى اهل العافية فى الدنيا
أنّ اجسادهم تُقْرَض بالمقاريض ممّا يذهب به اهلُ البلاء من الفضل (١٤) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ
مُخْلِصًا لَهُ ٱلدِّينَ موحّدا له وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدّمهم
فى الدنيا والآخرة لانّ قصبَ السَبْق فى الدين بالاخلاص او لانّه اوّل من اسلم وجهه للّه من قريش
ومن دان بدينهم والعطفُ لمغايرة الثانى الاوّلَ بتقييده بالعلّة والاشعارِ بانّ العبادة المقرونة بالاخلاص وان
اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهى ايضا تقتضيه لما يلزمها من السبق فى الدين ويجوز ان تجعل اللام
مزيدة كما فى اردتُ لأنْ افعل فيكون امرا بالتقدّم فى الاخلاص والبدء بنفسه فى الدعاء اليه بعد الامر
به (١٥) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرئاء عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ لعظمة ما فيه (١٦) قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي امرٌ بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له
دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مأمورا بالعبادة والاخلاص خائفا عن المخالفة من العقاب قطعا
لأطماعهم ولذلك رتّب عليه قوله (١٧) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ تهديدا وخذلانا لهم قُلْ إِنَّ ٱلْخَاسِرِينَ
الكاملين فى الخسران ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بالضلال وَأَهْلِيهِمْ بالاضلال يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ حين يدخلون النار
بدل الجنّة لانّهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم لانّهم ان كانوا من اهل النار فقد
خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنّة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده
أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ مبالغة فى خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير بألا وتوسيط الفصل
وتعريف الخسران ووصفه بالمبين (١٨) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ ٱلنَّارِ شرحٌ لخسرانهم وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ
اطباق من النار هى ظلل للآخرين ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ذلك العذاب هو الّذى يخوّفهم به

*

جزء ٢٣ ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ولا تتعرّضوا لما يوجب سخطى (١٩) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ
ركوع ١٩ البالغ غاية الطغيان فَعَلُوتٌ منه بتقديم اللام على العين بُنى للمبالغة فى المصدر كالرَّحَموت ثمّ وُصف به للمبالغة فى النعت ولذلك اختصّ بالشيطان أَنْ يَعْبُدُوهَا بدل اشتمال منه وَأَنَابُوا إِلَى اللّٰهِ وأقبلوا اليه بشراشرهم عمّا سواه لَهُمُ الْبُشْرَى بالثواب على ألسنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وضع فيه الظاهر موضعَ ضمير الّذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم وانّهم نُقّاد فى الدين يميّزون بين الحقّ والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللّٰهُ لدينه وَأُولٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفى ذلك دلالة على انّ الهداية تحصل بفعل اللّه وقبول النفس لها (٢٠) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ جملة شرطيّة معطوفة على محذوف دلّ عليه الكلام تقديره أأنت مالك امرهم فمن حقّ عليه العذاب فأنت تنقذه فكرّرت الهمزة فى الجزاء لتأكيد الانكار والاستبعاد ووُضع من فى النار موضعَ الضمير لذلك وللدلالة على انّ من حُكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخُلف فيه وانّ اجتهاد الرسول فى دعائهم الى الايمان سعىٌ فى انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف (٢١) لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ علالىّ بعضها فوق بعض مَبْنِيَّةٌ بنيت بناء المنازل على الارض تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ اى من تحت تلك الغرف وَعْدَ اللّٰهِ مصدر مؤكّد لانّ قوله لهم غرف فى معنى الوعد لَا يُخْلِفُ اللّٰهُ الْمِيعَادَ لانّ الخلف نقص وهو على اللّه محال (٢٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً هو المطر فَسَلَكَهُ فأدخله يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ هى عيون ومجارٍ كائنة فيها او مياه نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على الظرف او الحال ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ اصنافه من برّ وشعير وغيرهما او كيفيّاته من خضرة وحمرة وغيرهما ثُمَّ يَهِيجُ يتمّ جفافه لانّه اذا تمّ جفافه حان له ان يثور عن منبته فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا من يبسه ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا فُتاتا إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرَى لتذكيرا بانّه لا بدّ من صانع حكيم دبّره وسوّاه او بانّه مثل الحيوة الدنيا فلا
ركوع ١٧ تغترّ بها لِأُولِي الْأَلْبَابِ اذ لا يتذكّر به غيرهم (٢٣) أَفَمَنْ شَرَحَ اللّٰهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ حتّى تمكّن فيه بيُسْر عبّر به عمّن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبّية عنه من حيث انّ الصدر محلّ القلب المنبع للروح المتعلّق للنفس القابلة للاسلام فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ يعنى المعرفة والاهتداء الى الحقّ وعنه عم اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهّب للموت قبل نزوله ، وخبر مَنْ محذوف دلّ عليه فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللّٰهِ من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عَنْ مكان مِنْ لانّ القاسى من اجل الشىء اشدّ تأبّيا عن

قبوله من القاسى عنه لسبب آخر ، وللمبالغة فى وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر جزء ٢٣ واسنده الى اللّه وقابله بقساوة القلب واسندها اليه أُولَٰئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ يظهر للناظر بأدنى نظر ، والآية ركوع ١٧ نزلت فى حمزة وعلىّ وابى لهب وولده (٢٤) اَللّٰهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ يعنى القران روى انّ اصحاب رسول اللّه صلعم ملّوا ملّة فقالوا له حدّثنا فنزلت ، وفى الابتداء باسم اللّه وبناء نزّل عليه تأكيدٌ للاسناد اليه وتفخيمٌ للمنزّل واستشهادٌ على حسنه كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا بدل من احسن او حال منه ، وتشابهه تشابهُ أبعاضه فى الاعجاز وتجاوبِ النظم وصحّة المعنى والدلالة على المنافع العامّة مَثَانِيَ جمعُ مُثْنًى او مُثَنًّى او مُثْنٍ على ما مرّ فى الحِجْر وُصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القران سور وآيات والانسان عظام وعروق واعصاب او جُعل تمييزا من متشابها كقولك رأيت رجلا حَسَنا شمائلَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ تشمئزّ خوفا ممّا فيه من الوعيد وهو مَثَلٌ فى شدّة الخوف واقشعرارُ الجلد تقبّضه وتركيبه من حروف القَشْع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيّا كتركيب اقمطرّ من القَمْط وهو الشدّ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاقُ للاشعار بانّ اصل امره الرحمة وانّ رحمته سبقت غضبه ، والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان ، وذكر القلوب لتقدّم الخشية التى هى من عوارضها ذَٰلِكَ اى الكتاب او الكائن من الخشية والرجاء هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَن يَشَآءُ هدايته وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ ومن يخذله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ يخرجهم من الضلال (٢٥) أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِ يجعله دَرَقة يقى بها نفسه لانّه يكون يداه مغلولة الى عنقه فلا يقدر ان يتّقى الّا بوجهه سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كمن هو آمنٌ منه فحُذف الخبر كما حذف فى نظائره وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ اى لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجِب لما يقال لهم وهو ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ اى وباله ، والواوُ للحال وقدْ مقدّرة (٢٦) كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ من الجهة التى لا يخطر ببالهم انّ الشرّ يأتيهم منها (٢٧) فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ الذل فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كالمسخ والخسف والقتل والسبى والاجلاء وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ المُعَدّ لهم أَكْبَرُ لشدّته ودوامه لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به (٢٨) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ يحتاج اليه الناظر فى امر دينه لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ يتعظون به (٢٩) قُرْءَانًا عَرَبِيًّا حالٌ من هذا والاعتمادُ فيها على الصفة كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا او مدحٌ له غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لا اختلال فيه بوجهٍ ما وهو ابلغ من المستقيم واخصّ بالمعانى وقيل بالشكّ استشهادا بقوله

وقد اتاك يقينٌ غيرُ ذى عِوَجٍ ‏ ‏ ‏ من الالٰه وقولٌ غيرُ مكذوب

جزء ٢٣ وهو تخصيص له ببعض مدلوله لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ علّة اخرى مرتّبة على الاولى (٣٠) ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا للمشرك
ركوع ١٧ والموحّد رَجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَالِمًا لِرَجُلٍ مثّل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من أن
يدّعى كلّ واحد من معبوديه عبوديّته ويتنازعوا فيه بعبد يتشارك فيه جمعٌ يتجاذبونه ويتعاورونه فى
مهامّهم المختلفة فى تحيّره وتوزّع قلبه والموحّد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ، ورجلا
بدل من مثلا ، وفيه صلة شركاء ، والتشاكس والتشاخس الاختلاف ، وقرأ نافع وابن عامر والكوفيّون
سَلَمًا بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون العين وثلاثتها مصادر سَلِمَ نُعت بها او حُذف
منها ذا ورجلٌ سَالِمٌ اى وهناك رجل سالم ، وتخصيص الرجل لانّه افطن للضرّ والنفع هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
صفةً وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحّده وقرئ مَثَلَيْنِ للاشعار باختلاف النوع او لانّ المراد هل
يستويان فى الوصفين على انّ الضمير للمَثَلَيْن فانّ التقدير مَثَلَ رجل ومَثَلَ رجل ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ كلّ الحمد
له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانّه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
فيشركون به غيره من فرط جهلهم (٣١) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ فانّ الكلّ بصدد الموت وفى عداد
الموتى وقرئ مَائِتٌ ومَائِتُونَ لانّه ممّا سيحدث (٣٢) ثُمَّ إِنَّكُمْ على تغليب المخاطب على الغُيّب
يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ فتحتجّ عليهم بانّك كنت على الحقّ فى التوحيد وكانوا على الباطل
فى التشريك واجتهدت فى الارشاد والتبليغ ولجّوا فى التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا
سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام العامّ يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم فى
جزء ٢٤ الدنيا (٣٣) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ باضافة الولد والشريك اليه وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ وهو ما جاء
ركوع ١ به محمّد عم إِذْ جَآءَهُ من غير توقّف وتفكّر فى امره أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ وذلك يكفيهم
مجازاةً لاعمالهم واللام تحتمل العهد والجنس ، واستدلّ به على تكفير المبتدعة فانّهم يكذّبون بما علم
صدقه وهو ضعيف لانّه مخصوص بمن فاجأ ما علم مجيء الرسول به بالتكذيب (٣٤) وَٱلَّذِي جَآءَ
بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ وقيل هو النبىّ والمراد هو
ومن تبعه كما فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلّهم يهتدون وقيل الجائى هو الرسول والمصدّق ابو
بكر وذلك يقتضى اضمار الّذى وهو غير جائز وقرئ وَصَدَقَ بِهِ بالتخفيف اى صدق به الناس
فأدّاه اليهم كما نزّل او صار صادقا بسببه لانّه معجز يدلّ على صدقه وصُدِّقَ به على البناء للمفعول
(٣٥) لَهُمْ مَا يَشَآءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ فى الجنّة ذٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ على احسانهم (٣٦) لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ
أَسْوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُوا خصّ الاسوء للمبالغة فانّه اذا كُفّر كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانّهم لاستعظامهم
الذنوب يحسبون انّهم مقصّرون مذنبون وانّ ما يفرط منهم من الصغائر اسوء ذنوبهم ويجوز ان
يكون بمعنى السيّئ كقولهم الناقص والاشجّ أعدلا بنى مروان وقرئ أَسْوَاءَ جمع سوء وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ

ويعطيهم ثوابهم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ فيعدّ لهم محاسن اعمالهم بأحسنها فى زيادة الاجر جزء ٢٤
وعظمه لفرط اخلاصهم فيها (٣٧) أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ استفهام انكار للنفى مبالغة فى الاثبات ، ركوع ١
والعبدُ الرسول صلعم ويحتمل الجنس ويؤيّده قراءة حمزة والكسائى عِبَادَهُ وفسّر بالانبياء صلوات الله
عليهم وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِنْ دُونِهِ يعنى قريشا فانّهم قالوا له انّا نخاف ان يخبلك آلهتنا لعيبك ايّاها
وقيل انّه بعث خالدا ليكسر العُزّى فقال له سادنها أُحذّركها انّ لها شدّة فعمد اليها خالد فهشم
انفها فنزّل تخويف خالد منزلة تخويفه لانّه الآمر له بما خُوّف عليه وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ حتّى غفل عن كفاية
الله له وخوّفه بما لا ينفع ولا يضرّ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ يهديه الى الرشاد (٣٨) وَمَنْ يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ
اذ لا رادّ لفعله كما قال أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ غالب منيع ذِى ٱنْتِقَامٍ ينتقم من اعدائه (٣٩) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ لوضوح البرهان على تفرّده بالخالقيّة قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ
دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ اى ارأيتم بعد ما تحقّقتم أنّ خالق العالم هو الله
أنّ آلهتكم ان اراد الله ان يصيبنى ضرّ هل يكشفنه أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ بنفع هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ
فيمسكنها عنّى ، وقرأ ابو عمرو كَاشِفَاتٌ ضُرَّهُ مُمْسِكَاتٌ رَحْمَتَهُ بالتنوين فيهما ونصب ضرّه ورحمته
قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ كافيا فى اصابة الخير ودفع الضرّ اذ تقرّر بهذا التقرير انّه القادر الّذى لا مانع لما يريده
من خير او شرّ رُوى انّه عم سألهم فسكتوا فنزل ذلك ، وانّما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها به
من الأنوثة تنبيها على كمال ضعفها عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ لعلمهم بانّ الكلّ منه (٤٠) قُلْ يَا قَوْمِ
ٱعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ على حالكم اسمٌ للمكان استُعير للحال كما استعير هُنَا وحَيْثُ من المكان للزمان
وقرئ مَكَانَاتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ اى على مكانتى فحُذف للاختصار والمبالغة فى الوعيد والاشعار بانّ حاله لا
تقف فانّه تعالى يزيده على مرّ الايّام قوّة ونصرة ولذلك توعّدهم بكونه منصورا عليهم فى الدارين فقال
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤١) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ فانّ خزى اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يومَ بدر
وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ دائم وهو عذاب النار (٤٢) إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ لِلنَّاسِ لاجلهم فانّه مناط
مصالحهم فى معاشهم ومعادهم بِٱلْحَقِّ ملتبسا به فَمَنِ ٱهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ اذ نفع به نفسه وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا
يَضِلُّ عَلَيْهَا فانّ وباله لا يتخطّاها وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ وما وُكّلت عليهم لتجبرهم على الهدى
وانّما أُمرتَ بالبلاغ وقد بلّغت (٤٣) ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا اى يقبضها ركوع ٢
عن الابدان بأن يقطع تعلّقها عنها وتصرّفها فيها إمّا ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو
فى النوم فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَى عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ ولا يردّها الى البدن وقرأ حمزة والكسائى قُضِىَ بضمّ القاف

جزء ٢٤ وكسر الضاد وَٱلْمَوْتَ بالرفع وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَى اى النائمة الى بدنها عند اليقظة إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى هو الوقت
ركوع ٢ المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وما روى عن ابن عبّاس رضه انّ فى ابن آدم نَفْسا وروحا بينهما مِثْلُ شعاع الشمس فالنَّفْسُ الّتى بها العقل والتمييز والرُوحُ الّتى بها النَفَس والحيوة فيتوقّيان عند الموت ويُتوفّى النفس وحدها عند النوم قريبٌ ممّا ذكرناه إِنَّ فِي ذَٰلِكَ من التوفّى والامساك والارسال لَآيَاتٍ دالّة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فى كيفيّة تعلّقها بالابدان وتوفّيها عنها بالكلّيّة حين الموت وإمساكها باقيةً لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة فى توفّيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفّى آجالها (٤٤) أَمِ ٱتَّخَذُوا بل اتّخذ قريش مِنْ دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَاءَ تشفع لهم عند اللّه قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ أَوَيَشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما يشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم (٤٥) قُلْ لِلَّهِ ٱلشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لعلّه ردٌّ لما عسى يجيبون به وهو انّ الشفعاء اشخاص مقرّبون هى تماثيلهم والمعنى انّه مالك الشفاعة كلّها لا يستطيع احدٌ شفاعةً الّا باذنه ولا يستقلّ بها ثمّ قرّر ذلك فقال لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فانّه مالك الملك كلّه لا يملك احد ان يتكلّم فى امره دون اذنه ورضاه ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ يوم القيامة فيكون الملك له ايضا حينئذ (٤٦) وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ دون آلهتهم ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ انقبضت ونفرت وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِنْ دُونِهِ يعنى الاوثان إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حقّ اللّه ولقد بالغ فى الامرين حتّى بلغ الغاية فيهما فانّ الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتّى ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز أن يمتلئ غمّا حتّى ينقبض اديم وجهه، والعامل فى اذا ذكر العامل فى اذا المفاجأة (٤٧) قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ عَالِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ التجئ الى اللّه بالدعاء لمّا تحيّرت فى امرهم وضجرت من عنادهم وشدّة شكيمتهم فانّه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلّها أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فأنت وحدك تقدر ان تحكم بينى وبينهم (٤٨) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَٱفْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وعيد شديد واقناط كلّىّ لهم من الخلاص وَبَدَا لَهُمْ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفى لهم فى الوعد (٤٩) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا سيّآت اعمالهم او كسبهم حين تُعرض صحائفهم وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ واحاط بهم جزاؤه (٥٠) فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله اذا ذكر اللّه وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم فى التسبّب بمعنى انّهم يشمئزّون عن ذكر اللّه وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسّهم ضرّ دعوا من اشمأزّوا من ذكره دون من استبشروا

جزء ٢٤ ركوع ٢

بذكره وما بينهما اعتراض موكّد لانكار ذلك عليهم ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا اعطيناه ايّاها تفضّلا فانّ التخويل مختصّ به قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ منّى بوجوه كسبه او بانّى سأُعطاه لما لى من استحقاقه او من اللّه بى واستحقاقى ، والهاء لما إن جُعلت موصولة والّا فللنعمة والتذكير لانّ المراد شىء منها بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ امتحان له أيشكر ام يكفر وهو ردّ لما قاله ، وتأنيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ذلك وهو دليل على انّ الانسان للجنس (٥١) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ الهاء لقوله انّما اوتيته على علم لانّها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير ، والّذين من قبلهم قرون وقومه فانّه قاله ورضى به قومه فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ من متاع الدنيا (٥٢) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا جزاء سيّآت اعمالهم او جزاء اعمالهم وسمّاه سيّئة لانّه فى مقابلة اعمالهم السيّئة رمزا الى انّ جميع اعمالهم كذلك وَالَّذِينَ ظَلَمُوا بالعتوّ مِنْ هَؤُلَاءِ المشركين ومِنْ للبيان او للتبعيض سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانّهم قحطوا سبع سنين وقُتل ببدر صناديدهم وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ فائتين (٥٣) أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثمّ بسط لهم سبعا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بانّ الحوادث كلّها من اللّه بوسط او غيره

ركوع ٣

(٥٤) قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ افرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعاصى ، واضافة العباد تخصّصه بالمؤمنين على ما هو عُرْف القرآن لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ لا تيأسوا من مغفرته اوّلا وتفضّله ثانيا إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا عفوا ولو بعْد بعْد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدلّ على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله انّ اللّه لا يغفر أن يُشرك به الآية والتعليل بقوله إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعى عموم المغفرة ممّا فى عبادى من الدلالة على الذلّة والاختصاص المقتضيَيْن للترحّم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهى عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بانّ اللّه يغفر الذنوب ووضع اسم اللّه موضع الضمير لدلالته على انّه المستغنى والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وما رُوى انّه عم قال ما احبّ ان تكون لى الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول اللّه ومن اشرك فسكت ساعة ثمّ قال الّا ومن اشرك ثلاث مرّات ، وما رُوى انّ اهل مكّة قالوا يزعم محمّد انّ مَنْ عبد الوثن وقتل النفس بغير حقّ لم يُغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل فى عيّاش والوليد بن الوليد فى جماعة فُتنوا فافتتنوا او فى الوحشىّ لا ينفى عمومها وكذا قوله (٥٥) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ فانّها لا تدلّ على حصول المغفرة لكلّ احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغنى عن التوبة والاخلاص فى العمل وتنافى الوعيد بالعذاب (٥٦) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ

جزء ٢٤ القران او المأمور به دون المنهىّ عنه او العزائم دون الرُّخَص او الناسخ دون المنسوخ ولعلّه ما هو
ركوع ٣ أَنْجَى وَأَسْلَمُ كالانابة والمواظبة على الطاعة مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ بمجيئه فتتداركوا (٥٧) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ كراهةَ ان تقول وتنكيرُ نفس لانّ القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى

وربَّ بَقيعٍ لو هتفتُ بجَوِّه اتانى كريمٌ يَنْغِضُ الرأسَ مُغْضَبا

يَا حَسْرَتَى وقرئ بالياء على الاصل عَلَى مَا فَرَّطْتُ بما قصّرت فِي جَنْبِ ٱللَّهِ جانبه اى فى حقّه وهو طاعته قال سابق البَرْبَرِى

أَمَا تتّقين اللّهَ فى جنبِ وامقٍ له كَبِدٌ حَرّى عليكِ تقطَّعُ

وهو كناية فيها مبالغة كقوله

انّ السماحة والمروّة والنَّدَى فى قبّة ضُرِبَتْ على ابن الحَشْرَجِ

وقيل فى ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل فى قربه من قوله والصاحب بالجَنْب وقرئ فى ذكر ٱللّٰه وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ ٱلسَّاخِرِينَ المستهزئين بأهله ومحلّ وإن كنت نصبٌ على الحال كانّه قال فرّطت وأنا ساخر (٥٨) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَانِي بالارشاد الى الحقّ لَكُنْتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ الشرك والمعاصى (٥٩) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ فى العقيدة والعمل ، وأَوْ للدلالة على انّه لا يخلو من هذه الاقوال تحيّرا وتعلّلا بما لا طائل تحته (٦٠) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ ردٌّ من اللّه عليه لما تضمّنه قوله لو انّ اللّه هدانى من معنى النفى وفصله عنه لانّ تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يُخِلّ بالنظم المطابق للوجود لانّه يتحسّر بالتفريط ثمّ يتعلّل بفقد الهداية ثمّ يتمنّى الرجعة ، وهو لا يمنع تأثير قدرة اللّه فى فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفتَ ، وتذكيرُ الخطاب على المعنى وقرئ بالتأنيث للنفس (٦١) وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى ٱللَّهِ بأن وصفوه بما لا يجوز كاتّخاذ الولد وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ بما ينالهم من الشدّة او بما يتخيّل عليها من ظلمة الجهل ، والجملة حال اذ الظاهر أنّ تَرَى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى مقام لِلْمُتَكَبِّرِينَ عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانّهم يُرَوْنَ كذلك (٦٢) وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وقرئ وَيُنْجِي بِمَفَازَتِهِمْ بفلاحهم مَفْعَلة من الفوز وتفسيرُها بالنجاة تخصيصُها بأهمّ أقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاقٌ لها على السبب وقرأ الكوفيّون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه ، والباء فيها للسببيّة صلة لينجّى او لقوله لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وهو حال او استيناف لبيان المفازة (٦٣) ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ من خير وشرّ وايمان وكفر وَهُوَ عَلَى كُلِّ

جزء ٢٤ ركوع ٣

شَيْءٍ وَكِيلٌ يتولّى التصرّف فيه لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لا يملك امرها ولا يتمكّن من التصرّف فيها غيرُه وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لانّ الخزائن لا يدخلها ولا يتصرّف فيها الّا من بيده مفاتيحها، وهو جمعُ مِقْليد او مِقْلاد من قلّدته اذا الزمته وقيل جمعُ اقليد معرّب اكْليدْ على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضه انّه سأل النبيّ صلعم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الّا اللّه واللّه اكبر وسبحان اللّه وبحمده واستغفر اللّه ولا حول ولا قوّة الّا باللّه هو الاوّل والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير والمعنى على هذا انّ للّه هذه الكلمات يوحّد بها ويمجّد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلّم بها اصابه وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ متّصل بقوله وينجّي اللّه الّذين اتّقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انّه مهيمن على العباد مطّلع على افعالهم مجازٍ عليها وتغييرُ النظم للاشعار بانّ العمدة في فلاح المؤمنين فضلُ اللّه وفي هلاك الكافرين أن خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضيّةً للكرم او بما يليه والمرادُ بآيات اللّه دلائل قدرته واستبداده بأمر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده ، وتخصيص الخسار بهم لانّ غيرهم له حظٌّ من الرحمة والثواب

ركوع ٤

(٦٤) قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَاهِلُونَ اى افغير اللّه اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتأمرونّي اعتراض للدلالة على انّهم امروه به عقيبَ ذلك وقالوا اسْتلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غيرَ بما دلّ عليه تأمرونّي اعبد لانّه بمعنى تعبّدونني على انّ اصله تأمرونني أنْ اعبد فحذف أنْ ورفع كقوله • أحْضُرُ الوغى • ويؤيّده قراءةُ أَعْبُدَ بالنصب ، وقرأ ابن عامر تَأْمُرُونَنِي بإظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانّها تحذف كثيرا (٦٥) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اى من الرسل لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ كلام على سبيل الفرض والمرادُ به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامّة وافرادُ الخطاب باعتبار كلّ واحد ، واللام الاولى موطّئة للقسم والاخريان للجواب ، واطلاقُ الاحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم لانّ شركهم اقبح وأن يكون على التقييد بالموت كما صرّح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمُتْ وهو كافر فاولئك حبطَتْ اعمالهم وعطفُ الخسران عليه من عطف المسبّب على السبب (٦٦) بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ ردٌّ لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وَكُنْ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ انعامَه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص (٦٧) وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ما قدروا عظمته في انفسهم حقّ تعظيمه حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ تنبيهٌ على عظمته وحقارة الافعال العظام الّتي يتحيّر فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالةٌ على انّ تخريب العالم اهونُ شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقةً ولا مجازا كقولهم شابَتْ لِمّةُ الليل ، والقَبْضة المرّة من القبض أُطْلقت بمعنى القُبْضة وهي المقدار المقبوض بالكفّ تسميةً بالمصدر او بتقدير ذات قَبْضة

جزء ۲۴ ركوع ۴ وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقّت بالمُبْهَم ، وتأكيد الارض بالجميع لانّ المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة ، وقرئ مَطْوِيّاتٍ على انّها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة فى حكمها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ما ابعدَ واعلى مَنْ هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركاء (۶۸) وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ يعنى المرّة الاولى فَصَعِقَ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ خرّوا ميّتا او مغشيّا عليه إِلَّا مَنْ شَآءَ ٱللّٰهُ قيل جبريل وميكائيل واسرافيل فانّهم يموتون بعد وقيل حَمَلة العرش ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى نفخة اخرى وهى تدلّ على انّ المراد بالاوّل ونفخ فى الصور نفخة واحدة كما صرّح به فى مواضع ، واخرى تحتمل النصب والرفع فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ قائمون من قبورهم او متوقّفون وقرئ بالنصب على انّ الخبر يَنْظُرُونَ وهو حال من ضميره والمعنى يقلّبون ابصارهم فى الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم (۶۹) وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا بما اقام فيها من العدل سمّاه نورا لانّه يزيّن البقاع ويُظْهِر الحقوق كما سمّى الظلم ظلمة وفى الحديث الظلم ظلمات يومَ القيٰمة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنورٍ خُلِق فيها بلا توسّط اجسام مُضيئة ولذلك اضافه الى نفسه وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الأعمال فى ايدى العُمّال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابَل به الصحائف وَجِيٓءَ بِٱلنَّبِيِّينَ وَٱلشُّهَدَآءِ للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهَدون وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بين العباد بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد (۷۰) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ جزاءه وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ فلا يفوته شىء من افعالهم ثمّ فصّل التوفية فقال (۷۱) وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا افواجا متفرّقة بعضها فى اثر بعض على تفاوت اقدامهم فى الضلالة والشرارة جمعُ زُمْرة واشتقاقها من الزَمْر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة زَمِرة قليلة الشعر ورجل زَمِر قليل المروّة وهى الجمع القليل حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ليدخلوها وحتّى هى التى تحكى بعدها الجملة ، وقرأ الكوفيّون فُتِحَتْ بتخفيف التاء وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا تقريعا وتوبيخا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ من جنسكم يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار ، وفيه دليل على انّه لا تكليف قبل الشرع من حيث انّهم علّلوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قَالُوا بَلَى وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وأنّهم من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لأملأنّ جهنّم من الجنّة والناس اجمعين (۷۲) قِيلَ ٱدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ابهم القائل لتهويل ما يقال فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ اللام فيه للجنس والمخصوص بالذمّ سبق ذكره ، ولا ينافى اشعاره

بأنّ مثواهم فى النار لتكبّرهم عن الحقّ أن يكون دخولهم فيها لانّ كلمة العذاب حقّت عليهم فانّ تكبّرهم وسائر جزء ٢٤
مقابحهم مسبّبة عنه كما قال عم انّ اللّه اذا خلق العبد للجنّة استعمله بعمل اهل الجنّة حتّى يموت على عمل ركوع ٤
من اعمال اهل الجنّة فيدخل به الجنّة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتّى يموت على عمل من
اعمال اهل النار فيدخل به النار (٧٣) وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل ركوع ٥
سيق مراكبهم اذ لا يُذْهَب بهم الّا راكبين زُمَرًا على تفاوت مراتبهم فى الشرف وعلوّ الطبقة حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا حذف جواب اذا للدلالة على أنّ لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط
به الوصف وأنّ ابواب الجنّة تفتح لهم قبل مجيئها غير منتظرين ٠ وقرأ الكوفيّون فُتِحَتْ بالتخفيف
وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لا يعتريكم بعدُ مكروهٌ طِبْتُمْ طهرتم من دنس المعاصى فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ
مقدّرين الخلود فيها ٠ والفاء للدلالة على انّ طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصى
بعفوه لانّه مطهّره (٧٤) وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ بالبعث والثواب وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ يريدون
المكان الّذى استقرّوا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلّفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرّف
فيها تمكينَ الوارث فيما يرثه نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ اى يتبوّأ كلّ منّا فى اىّ مقام اراده من جنّته
الواسعة مع انّ فى الجنّة مقامات معنويّة لا يتمانع واردوها فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ الجنّة (٧٥) وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
حَآفِّينَ محدقين مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ اى حوله ومِنْ مزيدة او لابتداء الحفوف يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
ملتبسين بحمده ٠ والجملة حال ثانية او مقيّدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفى جلاله واكرامه تلذّذا
به وفيه اشعار بانّ منتهى درجات العلّيّين واعلى لذائذهم هو الاستغراق فى صفات الحقّ وَقُضِىَ بَيْنَهُم
بِٱلْحَقِّ اى بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنّة او بين الملائكة باقامتهم فى منازلهم على
حسب تفاضلهم وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ اى على ما قضى بيننا بالحقّ ٠ والقائلون هم المومنون
من المقضىّ بينهم او الملائكة وطىّ ذكرهم لتعيّنهم وتعظيمهم ٠ عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الزمر لم
يقطع اللّه رجاءه يوم القيمة واعطاه اللّه ثواب الخائفين وعنه انّه عم كان يقرأ كلّ ليلة بنى اسرائيل
والزمر ٠

سورة المومن

مكّيّة وآيها خمس وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) حم اماله ابن عامر وحمزة والكسائىّ وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرئ ركوع ٦
بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين او النصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث او لانّها

جزء ٢٤ ركوع ٦

على زنة اعجمىّ كقابيل وهابيل تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ لعلّ تخصيص الوصفين لما فى القران من الاعجاز والحكم الدالّ على القدرة الكاملة والحكمة البالغة (٢) غَافِرِ ٱلذَّنْبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ (٣) ذِى ٱلطَّوْلِ صفاتٌ أُخَرُ لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحثّ على ما هو المقصود منه والاضافة فيها حقيقيّة على انّه لم يُرَد بها زمان مخصوص وأُريد بشديد العقاب مشدّده او الشديد عقابُه فحُذف اللام للازدواج وأمن الالتباس او أبدالٌ وجعله وحده بدلا مشوّش للنظم ، وتوسيط الواو بين الاوّلَيْن لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربّما يُتوهّم الاتّحاد او تغاير موقع الفعلين لانّ الغفر هو الستر فيكون لذنب باقٍ وذلك لمن لم يتب فانّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها ، والطول الفضل بترك العقاب المستحَقّ ، وفى توحيد صفة العذاب مغمورةً بصفات الرحمة دليل رجحانها لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فيجب الاقبال الكلّى على عبادته إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ فيجازى المطيع والعاصى (٤) مَا يُجَادِلُ فِى آيَاتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لمّا حقّق امر التنزيل سجّل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحقّ لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ فأمّا الجدال فيه لحلّ عُقَده واستنباط حقائقه وقطع تشبّث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عم انّ جدالا فى القران كفرٌ بالتنكير مع انّه ليس جدالا فيه على الحقيقة فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَادِ فلا يغررك امهالهم واقبالهم فى دنياهم وتقلّبهم فى بلاد الشأم واليمن بالتجارات المُرْبِحة فانّهم مأخوذون عمّا قريب بكفرهم أَخْذ مَنْ قبلهم كما قال (٥) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ والّذين تحزّبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ من هؤلاء بِرَسُولِهِمْ وقرئ بِرَسُولِهَا لِيَأْخُذُوهُ ليتمكّنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وَجَادَلُوا بِٱلْبَاطِلِ بما لا حقيقة له لِيُدْحِضُوا بِهِ ٱلْحَقَّ ليزيلوه به فَأَخَذْتُهُمْ بالاهلاك جزاء لهم فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ فانّكم تمرّون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب (٦) وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ وعيده او قضاؤه بالعذاب عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لكفرهم أَنَّهُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ بدل من كلمة ربّك بدل الكلّ او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى (٧) ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ الكروبيّون اعلى طبقات الملائكة واوّلهم وُجودا وحملهم ايّاه وحفيفهم حوله مجازٌ عن حفظهم وتدبيرهم له او كنايةٌ عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم عنده وتوسّطهم فى نفاذ امره يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام ، وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لانّ الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح وَيُؤْمِنُونَ بِهِ اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرّح به بقوله وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا واشعارا بانّ حملة العرش وسكّان الفرش فى معرفته سواء ردّا على المجسّمة ،

واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة ، وفيه تنبيه على انّ المشاركة فى جزء ٢٤
الايمان توجب النصح والشفقة وإن تخالفت الاجناس لانّها اقوى المناسبات كما قال تعالى انّما المؤمنون ركوع ٦
اخوة رَبَّنَا اى يقولون ربّنا وهو بيان ليستغفرون او حال وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا اى وسعت
رحمتك وعلمك فأزيل عن اصله للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما ، وتقديم الرحمة
٥ لانّها المقصود بالذات ههنا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَٱتَّبَعُوا سَبِيلَكَ للذين علمت منهم التوبة واتّباع سبيل
الحق وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد والدلالة على شدّة
العذاب (٨) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدْتَهُمْ وعدتهم اياها وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
وَذُرِّيَّاتِهِمْ عطف على هم الاوّل اى ادخلهم ومعهم هؤلاء ليتمّ سرورهم او الثانى لبيان عموم الوعد ،
وقرئ جَنَّةَ عَدْنٍ وصَلُحَ بالضمّ وذُرِّيَّتِهِمْ بالتوحيد إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلَّذِى لا يمتنع عليه مقدور ٱلْحَكِيمُ
١٠ ٱلّذى لا يفعل الّا ما يقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد (٩) وَقِهِمُ ٱلسَّيِّئَاتِ العقوبات او جزاء
السيّآت وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصى فى الدنيا لقوله وَمَنْ تَقِ
ٱلسَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ اى من تقها فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كانّهم طلبوا السبب بعد ما
سألوا المسبّب وَذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ يعنى الرحمة او الوقاية او مجموعهما (١٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ ركوع ٧
يوم القيامة فيقال لهم لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ اى لمقت الله ايّاكم اكبر من مقتكم
١٥ انفسكم الامّارة بالسوء إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ظرف لفعل دلّ عليه المقت الاوّل لا له لانّه أُخْبِر
عنه ولا للثانى لانّ مقتهم انفسهم يومَ القيامة حين عاينوا جزاء اعمالهم الخبيثة الّا أن يؤوّل بنحو فى
الصيف ضَيَّعتِ اللَّبَنَ او تعليلٌ للحكم وزمانُ المقتين واحد (١١) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ اماتتين بأن
خلقتنا امواتا اوّلا ثمّ صيّرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فانّ الاماتة جعل الشىء عادم الحيوة ابتداء
او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغّر البعوض وكبّر الفيل وإن خُصّ بالتصيير
٢٠ فاختيار الفاعل المختار احدَ مفعوليه تصيير وصرفٌ له عن الآخر وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ الاحياءة الاولى واحياءة
البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءان ما فى
القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبّب بقوله
فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فانّ اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم البعث فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ نوعِ خروج من
النار مِنْ سَبِيلٍ طريق فنسلكه وذلك انّما يقولونه من فرط قنوطهم تعلّلا وتحيّرا ولذلك اجيبوا بقوله
٢٥ (١٢) ذٰلِكُمْ ٱلّذى انتم فيه بِأَنَّهُ بسبب انّه إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ متّحدا او توحّد وَحْدَه فحذف الـ

جزء ٢٤ ركوع ٧ واقيم مقامه فى الحاليّة كَفَرْتُمْ بالتوحيد وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا بالاشراك فَالْحُكْمُ لِلّٰهِ المستحق للعبادة الْعَلِيِّ عن ان يُشْرَك به ويسوّى بغيره الْكَبِيرِ حيث حكم على من اشرك وسوّى به بعض مخلوقاته فى استحقاق العبادة بالعذاب السرمد (١٣) هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ آيَاتِهِ الدالّة على التوحيد وسائر ما يجب ان يُعْلَم تكميلا لنفوسكم وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَآءِ رِزْقًا اسباب رزق كالمطر مراعاةً لمعاشكم وَمَا يَتَذَكَّرُ بالآيات التى هى كالمركوزة فى العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك فى التقليد واتّباع الهوى إِلَّا مَنْ يُنِيبُ يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكّر فيها فانّ الجازم بشىء لا ينظر فيما ينافيه (١٤) فَادْعُوا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ من الشرك وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ اخلاصكم وشقّ عليهم (١٥) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ خبران آخران للدلالة على علوّ صمديّته من حيث المعقول والمحسوس الدالّ على تفرّده فى الالوهيّة فانّ من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الّذى هو اصل العالم الجسمانىّ فى قبضة قدرته لا يصحّ ان يُشْرَك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش او السموات او درجات الثواب ، وقرئ رَفِيعَ بالنصب على المدح يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ خبر رابع للدلالة على انّ الروحانيّات ايضا مسخّرات لامره باظهار آثارها وهو الوحى وتمهيد النبوّة بعد تقرير التوحيد ، والروح الوحى ومِنْ امره بيانه لانّه امرٌ بالخير او مبدأه والامر هو المَلَك المبلّغ عَلَى مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ يختاره للنبوّة وفيه دليل على انّها عطائيّة لِيُنْذِرَ غاية الالقاء ، والمستكنّ فيه للّه او لمن او للروح واللام مع القرب تؤيّد الثانى يَوْمَ التَّلَاقِ يوم القيمة فانّ فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء والارض او المعبودون والعُبّاد او الاعمال والعُمّال (١٦) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شىء او ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشى الابدان او اعمالهم وسرائرهم لَا يَخْفَى عَلَى اللّٰهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يُتوهّم فى الدنيا لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ حكاية لما يُسْأَل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دلّ عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط وأمّا حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما (١٧) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ كأنّه نتيجة لما سبق وتحقيقه انّ النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيآت توجب لذّتها وألمها لكنّها لا تشعر بها فى الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وادركت لذّتها وألمها لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ بنقص الثواب وزيادة العقاب إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ اذ لا يشغله شأنٌ عن شأن فيصل اليهم ما يستحقّونه سريعا (١٨) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ اى القيمة سُمّيت بها لأزوفها اى قربها او الخطّة الآزفة وهى مشارفتهم النار وقيل الموت إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ فانّها ترتفع عن اماكنها

فتلصق بحلوقهم فلا تعود فيتروّحوا ولا تخرج فيستريحوا كَاظِمِينَ على الغمّ حال من اصحاب القلوب جزء ۲۴
على المعنى لانّه على الاضافة او منها او من ضميرها فى لدى وجمعه كذلك لانّ الكظم من افعال العقلاء ركوع ۷
كقوله فظلّت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انّه حال مقدّرة (۱۹) مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ
قريب مشفق وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ولا شفيع مشفّع ، والضمائر ان كانت للكفّار وهو الظاهر كان وضع الظالمين
۵ موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانّه لظلمهم (۲۰) يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ النظرة الخائنة
كالنظرة الثانية الى غير المَحْرَم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ من الضمائر
والجملة خبر خامس للدلالة على انّه ما من خفىّ الّا وهو متعلّق العلم والجزاء (۲۱) وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ
لانّه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشىء الّا وهو حقّه وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ
تهكّم بهم لانّ الجماد لا يقال فيه انّه يقضى او لا يقضى ، وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل
۱۰ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحقّ ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون
وتعريض بحال ما يدعون من دونه (۲۲) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا ركوع ۸
مِنْ قَبْلِهِمْ مآل حال الّذين كذّبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً قدرة وتمكّنا ، وانّما
جىء بالفصل وحقّه ان يقع بين معرفتين لمضارعة أَفْعَلَ مِنْ للمعرفة فى امتناع دخول اللام عليه ، وقرأ ابن
عامر أَشَدَّ مِنْكُمْ بالكاف وَآثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله
۱۵ • متقلّدا سيفا ورمحا • فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ ٱللَّهِ مِنْ وَاقٍ يمنع العذاب عنهم
(۲۳) ذَٰلِكَ الاخذ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ بالمعجزات او الاحكام الواضحة فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ
ٱللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ متمكّن ممّا يريده غاية التمكّن شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ لا يؤبه بعقاب دون عقابه (۲۴) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا يعنى المعجزات وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ وحجّة قاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض
المعجزات كالعصا تفخيما لشأنه (۲۵) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ يعنون موسى ،
۲۰ وفيه تسلية لرسول اللّه صلعم وبيان لعاقبة من هو اشدّ الّذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا
(۲۶) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِٱلْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا ٱقْتُلُوا أَبْنَاءَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَٱسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ اى اعيدوا
عليهم ما كنتم تفعلون بهم اوّلا كى يصدّوا عن مظاهرة موسى وَمَا كَيْدُ ٱلْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ فى ضياع ،
ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلّة (۲۷) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ
كانوا يكفّونه عن قتله ويقولون انّه ليس الّذى تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظنّ انّك عجزت عن
۲۵ معارضته بالحجّة وتعلّله بذلك مع كونه سفّاكا فى اهون شىء دليل على انّه تيقّن انّه نبىّ فخاف من

Digitized by Google

جزء ٢٤ قتله او ظنّ انّه لو حاوله لم يتيسّر له ويؤيّده قوله وَلْيَدْعُ رَبَّهُ فانّه تجلّد وعدم مبالاة بدعائه إِنِّيٓ أَخَافُ
ركوع ٨ ان لم اقتله أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ان يغيّر ما انتم عليه من عبادتى وعبادة الاصنام لقوله ويذرك وآلهتك
أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلّيّة ، وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيّون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد (٢٨) وَقَالَ مُوسَىٰ اى لقومه لمّا سمع بكلامه إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ صدّر الكلام بانّ تأكيدا واشعارا على انّ السبب المؤكّد فى دفع الشرّ هو العياذ باللّه وخصّ اسم الربّ لانّ المطلوب هو الحفظ والتربية واضافه اليه واليهم حثّا لهم على موافقته لما فى تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسمّ فرعون وذكر وصفا يعمّه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحقّ والدلالة على الحامل له على القول ، وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائىّ عُدّتُّ فيه وفى
ركوع ٩ الدخان بالادغام وعن نافع مثله (٢٩) وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ من اقاربه وقيل مِنْ متعلّق بقوله يَكْتُمُ إِيمَانَهُ والرجل اسرائيلىّ او غريب موحّد كان ينافقهم أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا اتقصدون قتله أَنْ يَقُولَ لأن يقول او وقت ان يقول من غير رويّة وتأمّل فى امره رَبِّىَ ٱللَّهُ وحده وهو فى الدلالة على الحصر مثل صديقى زيدٌ وَقَدْ جَآءَكُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ المتكثّرة الدالّة على صدقه من المعجزات والاستدلالات مِنْ رَبِّكُمْ اضافه اليهم بعد ذكر البيّنات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثمّ اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ لا يتخطّاه وبال كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ فلا اقلّ من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغةٌ فى التحذير واظهارٌ للانصاف وعدم التعصّب ولذلك قدّم كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانّه خوّفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسيرُ البعض بالكلّ كقول لبيد

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ اذا لم أَرْضَهَا   او يَرْتَبِطْ بعضَ النفوس حِمَامُهَا

مردود لانّه اراد بالبعض نفسه إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انّه لو كان مسرفا كذّابا لما هداه اللّه الى البيّنات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما انّ من خذله اللّه واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعلّه اراد به المعنى الاوّل وخيّل اليهم الثانى لتلين شكيمتهم وعرّض به لفرعون بانّه مسرف كذّاب لا يهديه اللّه سبيل الصواب وطريق النجاة (٣٠) يَا قَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَاهِرِينَ غالبين عالين فِى ٱلْأَرْضِ ارض مصر فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ ٱللَّهِ إِنْ جَآءَنَا اى فلا تفسدوا امركم ولا تتعرّضوا لبأس اللّه بقتله فانّه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانّما ادرج نفسه فى الضميرين لانّه كان منهم فى القرابة وليريهم انّه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ ما اشير عليكم إِلَّا مَا أَرَىٰ واستصوبه من قتله او ما أُعلمكم الّا ما علمت من الصواب وقلبى ولسانى متواطئان عليه

جزء ۲۴ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انّه فعّال للمبالغة من رَشَدَ كعلّام
ركوع ۹ او من رَشَدَ كعبّاد لا من أَرْشَدَ كجبّار لانّه مقصور على السماع او النسبة الى الرشد كعوّاج وبتّات
(۳۱) وَقَالَ ٱلَّذِى آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ فى تكذيبه والتعرض له مِثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ مثل ايّام الامم
الماضية يعنى وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم (۳۲) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ
مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل (۳۳) وَٱلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ كقوم لوط وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ
ظُلْمًا لِلْعِبَادِ فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلّى الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربّك بظلّام
للعبيد من حيث انّ المنفىّ فيه حدوث تعلّق ارادته بالظلم (۳۴) وَيَا قَوْمِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ
ٱلتَّنَادِ يوم القيمة ينادى فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او ينادى اصحاب
الجنّة اصحاب النار كما حكى فى الاعراف ، وقرئ بالتشديد وهو ان يندّ بعضهم من بعض كقوله يوم
يفرّ المرء من اخيه (۳۵) يَوْمَ تُوَلُّونَ عن الموقف مُدْبِرِينَ منصرفين عنه الى النار وقيل فارّين عنها
مَا لَكُمْ مِنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ يعصمكم من عذابه وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (۳۶) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ
يوسف بن يعقوب على انّ فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد او سبطه يوسف
ابن افرائيم بن يوسف مِنْ قَبْلُ من قبل موسى بِٱلْبَيِّنَاتِ بالمعجزات فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ
من الدين حَتَّى إِذَا هَلَكَ مات قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ضمّا الى تكذيب رسالته تكذيب
رسالة مَنْ بعده او جزما بأن لا يبعث بعده رسول مع الشكّ فى رسالته ، وقرئ أَلَنْ يَبْعَثَ ٱللَّهُ على ان
بعضهم يقرّر بعضا بنفى البعث كَذَلِكَ مثل ذلك الاضلال يُضِلُّ ٱللَّهُ فى العصيان مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ
شاكّ فيما يشهد به البيّنات لغلبة الوهم والانهماك فى التقليد (۳۷) ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِى آيَاتِ ٱللَّهِ بدل
من الموصول الاوّل لانّه بمعنى الجمع بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ بغير حجّة امّا بتقليد او شبهة داحضة كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ
ٱللَّهِ وَعِنْدَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا فيه ضمير مَنْ وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على
حذف مضاف اى وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر كَذَلِكَ اى كبر مقتا
مثل ذلك الجدال فيكون قوله يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ استينافا للدلالة على الموجب لجدالهم
وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان قَلْبٍ بالتنوين على وصفه بالتكبّر والتجبّر لانّه منبعهما كقولهم رأت عينى
وسمعت اذنى او على حذف مضاف اى على كلّ ذى قلب متكبّر (۳۸) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا
بناء مكشوفا عاليا من صَرَحَ الشىء اذا ظهر لَعَلِّى أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَابَ الطرق (۳۹) أَسْبَابَ ٱلسَّمَوَاتِ بيان لها
وفى ابهامها ثمّ ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى عطف على ابلغ

جزء ٢٤ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجّي ، ولعلّه اراد أن يبنى له رَصَدا فى موضع عالٍ يرصد منه احوال
ركوع ٩ الكواكب التى هى اسباب سماويّة تدلّ على الحوادث الارضيّة فيرى هل فيها ما يدلّ على ارسال اللّه ايّاه او أن يُرِىَ فسادَ قول موسى بأنّ اخباره من إلٰه السماء يتوقّف على اطّلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتّى الّا بالصعود الى السماء وهو ممّا لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله باللّه وكيفيّة استنبائه وَإِنِّى لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا فى دعوى الرسالة (٤٠) وَكَذٰلِكَ مثل ذلك التزيين زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو اللّه تعالى ويدلّ عليه انّه قرئ زَيَّنَ بالفتح وبالتوسّط الشيطانُ ، وقرأ الحجازيّان والشاميّ وابو عمرو وَصَدَّ على انّ فرعون صدّ الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات
ركوع ١٠ ويؤيّده وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ اى خسار (٤١) وَقَالَ ٱلَّذِىٓ آمَنَ يعنى مومن آل فرعون وقيل موسى يَا قَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ بالدلالة سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بانّ ما عليه فرعون وقومه سبيلُ الغىّ (٤٢) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هٰذِهِ ٱلْحَيٰوةُ ٱلدُّنْيَا مَتَاعٌ تمتّعٌ يسيرٌ لسرعة زوالها وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ لخلودها (٤٣) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا عدلا من اللّه ، وفيه دليل على انّ الجنايات تُغْرَم بمثلها وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافا مضاعفةً فضلا منه ورحمة ولعلّ تقسيم العُمّال وجعل الجزاء اسميّة مصدَّرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انّه شرط فى اعتبار العمل وانّ ثوابه اعلى من ذلك (٤٤) وَيَا قَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ كرّر نداءهم ايقاظا لهم عن سِنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغةً فى توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ، وعطفه على النداء الثانى الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يُعطَف على الاوّل فانّ ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا او على الاوّل (٤٥) تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللّٰهِ بدل او بيان فيه تعليل ، والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِى بِهِ بربوبيّته عِلْمٌ والمراد نفىُ المعلوم والاشعارُ بانّ الالوهيّة لا بدّ لها من برهان فاعتقادها لا يصحّ الّا عن ايقان وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّارِ المستجمع لصفات الالوهيّة من كمال القدرة والغلبة وما يتوقّف عليه من العلم والارادة والتمكّن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران (٤٦) لَا جَرَمَ لا ردٌّ لما دعوه اليه وجَرَم فعلٌ بمعنى حَقَّ وفاعله أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْآخِرَةِ اى حقّ عدمُ دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا لانّها جمادات ليس لها ما يقتضى الوهيّتها او عدمُ دعوة مستجابة او عدمُ استجابة دعوة لها وقيل جَرَمَ بمعنى كَسَبَ وفاعله مستكنّ فيه اى كسب ذلك الدعاء اليه أَنْ لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الّا ظهورُ بطلان دعوته وقيل فَعَلٌ من الجَرْم بمعنى القطع كما انّ بُدًّا من لا

جزء ٢٤ بُدَّ فُعْلٌ من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قَطْعَ لبطلان دعوة الوهيّة الاصنام اى لا ينقطع فى وقت ما
ركوع ١٠ فينقلب حقًا ويؤيّده قولهم لا جُرْمَ انّه يفعل لغة فيه كالرَّشد والرُّشد وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى ٱللَّهِ بالموت وَأَنَّ
ٱلْمُسْرِفِينَ فى الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ ملازموها (٤٧) فَسَتَذْكُرُونَ وقرئ فَسَتَذَّكَّرُونَ اى فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب مَا أَقُولُ لَكُمْ من النصيحة وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللَّهِ ليعصمنى من كلّ سوء إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ فيحرسهم وكأنّه جواب توعّدهم المفهوم من قوله (٤٨) فَوَقَاهُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى عم وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ بفرعون وقومه فاستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانّه اولى بذلك وقيل بطَلَبة المومن من قومه فانّه فرّ الى جبل فاتّبعه طائفة فوجدوه يصلّى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رُعْبا فقتلهم سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ الغرق او القتل او النار (٤٩) ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا جملة مستأنفة او النار خبرُ محذوف ويعرضون استيناف للبيان او بدلٌ ويعرضون حال منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعلٍ يفسّره يعرضون مثل يَصْلَوْن فانّ عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عُرِض الاسارى على السيف اذا قُتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود انّ ارواحهم فى اجواف طيرٍ سودٍ تُعْرَض على النار بكرةً وعشيًّا الى يوم القيامة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتأبيد ، وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ اى هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ يا آل فرعون أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ عذابَ جهنّم فانّه اشدّ ممّا كانوا فيه او اشدّ عذاب جهنّم ، وقرأ نافع وحمزة والكسائىّ ويعقوب وحفص أَدْخِلُوا على امر الملائكة بادخالهم النار (٥٠) وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِى ٱلنَّارِ واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل العطف على غدوّا فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَآءُ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا تفصيل له إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا تُبّاعا كخَدَم فى جمع خادم او ذوى تَبَع بمعنى أَتْباع على الاضمار او التجوّز فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ ٱلنَّارِ بالدفع او الحمل ، ونصيبا مفعولٌ به لما دلّ عليه مغنون او له بالتضمين او مصدرٌ كشيئًا فى قوله لن تُغْنِى عنهم اموالهم ولا اولادهم من اللّه شيئًا فيكون مِنْ صلة لمغنون (٥١) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا نحن وانتم فكيف نُغْنى عنكم ولو قدرنا لَأَغْنينا عن انفسنا ، وقرئ كُلًّا على التأكيد لانّه بمعنى كُلّنا وتنوينه عوض المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكنّ فى الظرف فانّه لا يعمل فى الحال المتقدّمة كما يعمل فى الظرف المتقدّم كقولك كلَّ يوم لك ثوبٌ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ بأن ادخل اهل الجنّة الجنّة واهل النار النار ولا معقّبَ لحكمه (٥٢) وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ اى لخزنتها ووضع جهنّم موضع الضمير للتهويل او لبيان محلّهم فيها اذ يحتمل ان تكون جهنّم ابعدَ دركاتها من قولهم بئر جِهِنّامٌ بعيدةُ القعر ٱدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا

جزء ۲۴ قدر يوم من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب

ركوع ۱۰ بيانه (۵۳) قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبيّنات ارادوا به الزامهم الحجّة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فانّا لا نجترئ عليه اذ لم يؤذن في الدعاء لأمثالكم

ركوع ۱۱ وما دعاء الكافرين الّا في ضلال ضياع لا يجاب وفيه اقناط لهم عن الاجابة (۵۴) انّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا بالحجّة والظفر والانتقام لهم من الكفرة في الحيوة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد اى في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة امتحانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الأمر ، والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين (۵۵) يوم لا ينفع الظّالمين معذرتهم بدل من الاوّل ، وعدم نفع المعذرة لانّها باطلة او لانّه لم يؤذن لهم فيعتذروا ، وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء ولهم اللّعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدّار جهنّم (۵۶) ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف والشرائع وأورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده من ذلك التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكّرا لأولي الألباب لذوى العقول السليمة (۵۷) فاصبر على اذى المشركين انّ وعد اللّه بالنصر حقّ لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك وأقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك كترك الأولى والاهتمام بأمر العدى بالاستغفار فانّه تعالى كافيك في النصر واظهار الأمر وسبّح بحمد ربّك بالعشيّ والابكار ودم على التسبيح والتحميد لربّك وقيل صلّ لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكّة ركعتين بكرة وركعتين عشيّا (۵۸) انّ الّذين يجادلون في آيات اللّه بغير سلطان أتاهم عامّ في كلّ مجادل مبطل وان نزلت في مشركي مكّة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البرّ والبحر وتسير معه الانهار ان في صدورهم الّا كبر الّا تكبّر عن الحقّ وتعظّم عن التفكّر والتعلّم او ارادة الرئاسة او انّ النبوّة والملك لا يكونان الّا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الآيات او المراد فاستعذ باللّه فالتجئ اليه انّه هو السّميع البصير لاقوالكم وافعالكم (۵۹) لخلق السّموات والأرض أكبر من خلق النّاس فمن قدر على خلقها مع عظمها اوّلا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لأشكل ما يجادلون فيه من امر التوحيد ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتأمّلون لفرط غفلتهم واتّباعهم اهواءهم (۶۰) وما يستوى الأعمى والبصير الغافل والمستبصر والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ولا المسيء والمحسن والمسيء فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث ، وزيادة لا في المسيء لانّ المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة ، والعاطف

الثانى عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود او الدلالة بالصراحة جزء ٢٤
والتمثيل قَلِيلًا مَا يَتَذَكَّرُونَ اى تذكرًا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار ، وقرأ ركوع ١١
الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول بالمخاطبة (٦١) إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا
رَيْبَ فِيهَا فى مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ لا يصدّقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسّون به (٦٢) وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي اعبدونى
أَسْتَجِبْ لَكُمْ أثبكم لقوله إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ صاغرين وان
فسّر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانّه من
ابوابها ، وقرأ ابن كثير وابو بكر سَيُدْخَلُونَ بضمّ الياء وفتح الخاء (٦٣) ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ ركوع ١٢
لِتَسْكُنُوا فِيهِ لتستريحوا فيه بأن خلقه باردا مظلما ليؤدّى الى ضعف المحرّكات وهدوّ الحواسّ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا
يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو
فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ لجهلهم
بالمنعم واغفالهم مواقع النعم ، وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم (٦٤) ذَٰلِكُمُ المخصوص بالافعال
المقتضية للالوهيّة والربوبيّة ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ أخبار مترادفة تخصّص اللاحقة السابقة
وتقرّرها ، وقرئ خالقَ بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الّا هو استينافا بما هو كالنتيجة للاوصاف
المذكورة فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ فكيف ومن اىّ وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره (٦٥) كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ
ٱلَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ اى كما أفكوا أفك عن الحقّ كلّ من جحد بآيات الله ولم يتأمّلها
(٦٦) ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً استدلال ثانٍ بافعال أُخر مخصوصة وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ
صُوَرَكُمْ بأن خلقكم منتصب القامة بادى البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيّأ لمزاولة
الصنائع واكتساب الكمالات وَرَزَقَكُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ اللذائذ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ
فانّ كلّ ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرّض للزوال (٦٧) هُوَ ٱلْحَيُّ المتفرّد بالحيوة الذاتيّة لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
اذ لا موجد سواه ولا موجود يساويه او يدانيه فى ذاته وصفاته فَٱدْعُوهُ فاعبدوه مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ اى
الطاعة من الشرك والرياء ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ قائلين له (٦٨) قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ
دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ ٱلْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي من الحجج والآيات او من الآيات فانّها مقوية لادلّة العقل منبهة
عليها وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ بان انقاد له او أُخلص له دينى (٦٩) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ

جزء ۲۴ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا اطفالا والتوحيدُ لارادة الجنس او على تأويل كلّ واحد منكم
ركوع ۱۲ ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ اللام فيه متعلّقة بمحذوف تقديره ثمّ يبعثكم لتبلغوا وكذا فى قوله ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا
ويجوز عطفه على لتبلغوا • وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام شُيُوخًا بضمّ الشين وقرئ شَيْخًا كقوله
طفلا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ من قبل الشيوخة او بلوغ الاشدّ وَلِتَبْلُغُوا ويفعل ذلك لتبلغوا أَجَلًا مُسَمًّى
هو وقت الموت او يوم القيامة وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ما فى ذلك من الحُجَج والعِبَر (۷۰) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ
فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فاذا اراده فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فلا يحتاج فى تكوينه الى عُدّة وتجشّم كلفة • والفاء
الاولى للدلالة على انّ ذلك نتيجةُ ما سبق من حيث انّه يقتضى قدرةً ذاتيّة غير متوقّفة على العُدَد
ركوع ۱۳ والموادّ (۷۱) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ عن التصديق به • وتكريرُ ذمّ المجادلة
لتعدّد المجادِل او المجادَل فيه او للتوكيد (۷۲) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ بالقران او بجنس الكتب
السماويّة وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا من سائر الكتب او الوحى والشرائع فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ جزاء تكذيبهم
(۷۳) اِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ظرفٌ ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبيرُ بلفظ المُضىّ لتيقّنه وَالسَّلَاسِلُ
عطفٌ على الاغلال او مبتدأٌ خبره يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ والعائد محذوف اى يُسْحَبُون بها وهو على
الاوّل حال وقرئ وَالسَّلَاسِلَ يَسْحَبُونَ بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعليّة على
الاسميّة وَالسَّلَاسِلِ بالجرّ حملا على المعنى اذ الاغلال فى اعناقهم بمعنى اعناقهم فى الاغلال او اضمارا للباء
ويدلّ عليه القراءة به ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ يُحرَقون من سَجَرَ التنّورَ اذا ملأه بالوقود ومنه السجير
للصديق كانّه سُجِر بالحبّ اى مُلِئ والمرادُ تعذيبهم بانواع من العذاب يُنقَلون من بعضها الى بعض
(۷۴) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا غابوا عنّا وذلك قبل ان يُقرَن بهم
آلهتهم او ضاعوا عنّا فلم نجد ما كنّا نتوقّع منهم بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا اى بل تبيّن
لنا انّا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانّهم ليسوا شيئا يُعتدّ به كقولك حسبتُه شيئا فلم يكن
كَذَلِكَ مثلَ ذلك الضلال يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ حتّى لا يهتدوا الى شىء ينفعهم فى الآخرة او يضلّهم عن
آلهتهم حتّى لو تطالبوا لم يتصادفوا (۷۵) ذَلِكُمْ الاضلال بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ تبطَرون وتتكبّرون
بِغَيْرِ الْحَقِّ وهو الشرك والطغيان وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ تتوسّعون فى الفرح والعدولُ الى الخطاب للمبالغة
فى التوبيخ (۷۶) اُدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ الابواب السبعة المقسومة لكم خَالِدِينَ فِيهَا مقدّرين الخلود فَبِئْسَ
مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ عن الحقّ جهنّم وكان مقتضى النظم فبئس مَدخل المتكبّرين ولكن لمّا كان
الدخول المقيّد بالخلود بسبب الثواء عبّر بالمثوى (۷۷) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بهلاك الكفّار حَقٌّ كائن لا
محالة فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ فإن نُرِك وما مزيدة لتأكيد الشرطيّة ولذلك لحقت النونُ الفعلَ ولا تلحقه مع انْ

وحدها بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ وهو القتل والاسر أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ قبل ان تراه فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جوابُ نتوفّينّك وجوابُ نرينّك محذوفٌ مثلُ فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى إنْ نعذّبهم فى حياتك او لم نعذّبهم فانّا نعذّبهم فى الآخرة اشدّ العذاب ويدلّ على شدّته الاقتصار بذكر الرجوع فى هذا المعرض (۷۸) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكورُ قصّتُهم اشخاص معدودة وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِىَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فانّ المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القِسَم ليس لهم اختيارٌ فى ايثارِ بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ بالعذاب فى الدنيا او الآخرة قُضِىَ بِٱلْحَقِّ بانجاء المُحِقّ وتعذيب المُبْطِل وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يُغْنيهم عنها (۷۹) ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ فانّ من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر (۸۰) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كالالبان والجلود والاوبار وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ بالمسافرة عليها وَعَلَيْهَا فى البرّ وَعَلَى ٱلْفُلْكِ فى البحر تُحْمَلُونَ وانّما قال وعلى الفلك ولم يقل فى الفلك للمزاوجة ، وتغييرُ النظم فى الاكل لانّه فى حيّز الضرورة وقيل لانّه يُقْصَد به التعيّش والتلذّذ والركوبُ والمسافرة عليها قد تكون لاغراض دينيّة واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة (۸۱) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ دلائله الدالّة على كمال قدرته وفرط رحمته فَأَىَّ آيَاتِ ٱللَّهِ اى فأىّ آية من تلك الآيات تُنْكِرُونَ فانّها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصبُ أىّ اذ لو قدّرته متعلّقا بضميره كان الاولى رفعُه ، والتفرقةُ بالتاء فى اىّ اغرب منها فى الاسماء غير الصفات لابهامه (۸۲) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ما بقى منهم من القصور والمصانع ونحوها وقيل آثار اقدامهم فى الارض لعظم أجرامهم فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ما الاولى نافية او استفهاميّة منصوبة بأغنى والثانية موصولة او مصدريّة مرفوعة به (۸۳) فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ بالمعجزات او الآيات الواضحات فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ ٱلْعِلْمِ واستحقروا علم الرسل ، والمرادُ بالعلم عقائدهم الزائغة وشُبَهُهم الداحضة كقوله بل ٱدّارَكَ علمُهم فى الآخرة وهو قولهم لا نُبْعَث ولا نعذّب وما اظنّ الساعة قائمة ونحوها وسمّاها علما على زعمهم تهكّما بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحُهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيّده وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ وقيل الفرح ايضا للرسل فانّهم لمّا رأوا تمادى جهل الكفّار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا اللّه عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم

جزء ۲۴
ركوع ۱۳
ركوع ۱۴

جزء ۲۴ (۸۴) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا شدّة عذابنا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ يعنون الاصنام
ركوع ۱۴ (۸۵) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصحّ ولم يستقم ، والفاء الاولى لأنّ قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لانّ قوله فلمّا جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى والباقيتان لانّ رؤية البأس مسبّبة عن مجيء الرسل وامتناعَ نفع الايمان مسبّب عن الرؤية سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ اى سنّ الله ذلك سُنّةً ماضية فى العباد وهى من المصادر المؤكّدة وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ اى وقتَ رؤيتهم البأسَ اسمُ مكان استُعير للزمان ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبىّ ولا صدّيق ولا شهيد ولا مؤمن الّا صلّى عليه واستغفر له ○

سُورَةُ السَّجْدَةِ

مكّيّة وآيها اربع وخمسون آيــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ركوع ۱۵ (۱) حٰمٓ إن جعلته مبتدأً فخبره تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبرُ محذوف او مبتدأٌ لتخصّصه بالصفة وخبره (۲) كِتَابٌ وهو على الاوّلين بدلٌ منه او خبرٌ آخر او خبرُ محذوف ، ولعلّ افتتاحَ هذه السور السبع بحٰمٓ وتسميتَها به لكونها مصدّرة ببيان الكتاب متشاكلة فى النظم والمعنى ، واضافةُ التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انّه مناط المصالح الدينيّة والدنيويّة فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ميّزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فَصَلَتْ اى فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعانى او فصلت بين الحقّ والباطل قُرْآنًا عَرَبِيًّا نصب على المدح او الحال من فصّلت ، وفيه امتنانٌ بسهولة قراءته وفهمه لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ لقوم يعلمون العربيّة او لاهل العلم والنظر ، وهو صفة اخرى لقرانا او صلة لتنزيل او لفصّلت والاوّل اولى لوقوعه بين الصفات (۳) بَشِيرًا وَنَذِيرًا للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة لكتاب او الخبر لمحذوف فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عن تدبّره وقبوله فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ سماعَ تأمّل وطاعة (۴) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ أغطية جمع كِنان وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ صَمَمٌ وأصله الثقل وقرئ بالكسر وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ يمنعنا عن التواصل ومِنْ للدلالة على انّ الحجاب مبتدئ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسّطة ولم يبق فراغ ، وهذه تمثيلات لنبوّ قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقاده ومجّ اسماعهم له وامتناعِ مواصلتهم وموافقتهم للرسول فَاعْمَلْ على دينك او فى ابطال امرنا إِنَّنَا عَامِلُونَ على ديننا او فى ابطال امرك (۵) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ

لست ملكا ولا جنّيا لا يمكنكم التلقّى منه وما ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانّما ادعوكم الى جزء ٢٤
التوحيد والاستقامة فى العمل وقد يدلّ عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فَٱسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ فاستقيموا فى ركوع ١٥
افعالكم متوجّهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص فى العمل وَٱسْتَغْفِرُوهُ ممّا انتم عليه من سوء
العقيدة والعمل ثمّ هدّدهم على ذلك فقال وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله
(٦) ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل
على انّ الكفّار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكّى انفسهم وهو الايمان والطاعة
وَهُمْ بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ حال مُشعرة بانّ امتناعهم عن الزكوة لاستغراقهم فى طلب الدنيا وانكارهم
للآخرة (٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ عظيم غَيْرُ مَمْنُونٍ لا يُمَنّ به عليهم من المنّ وأصله
الثقل او لا يُقطع من مننت الحبلَ اذا قطعته وقيل نزلت فى المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كُتب
لهم الاجر كأصحّ ما كانوا يعملون (٨) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ فى مقدار ركوع ١٦
يومين او بنوبتين وخلق فى كلّ نوبة ما خلق فى اسرع ما يكون ولعلّ المراد من الارض ما فى جهة
السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها فى يومين انّه خلق لها اصلا مشتركا ثمّ خلق لها صُوَرا بها
صارت انواعا وكفرهم به الحادهم فى ذاته وصفاته وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ولا يصحّ ان يكون له ندّ ذَٰلِكَ
ٱلَّذِى خلق الارض فى يومين رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ خالقُ جميع ما وُجد من الممكنات ومربّيها (٩) وَجَعَلَ فِيهَا
رَوَاسِىَ استيناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة مِن فَوْقِهَا مرتفعةً عليها ليظهر
للنظّار ما فيها من وُجوه الاستبصار وتكون منافعها معرّضة للطلّاب وَبَارَكَ فِيهَا واكثر خيرها بأن خلق
فيها انواع النبات والحيوان وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا اقوات اهلها بأن عيّن لكلّ نوع ما يُصلحه ويعيش به
او اقواتا تنشأ منها بأن خصّ حدوث كلّ قوت بقُطر من اقطارها وقرئ وَقَسَمَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ
فى تتمّة اربعة ايّام كقولك سِرْت من البصرة الى بغداد فى عَشْر والى الكوفة فى خمس عشرة ولعلّه قال ذلك
ولم يقل فى يومين للاشعار باتّصالهما باليومين الاوّلين والتصريح على الفذلكة سَوَآءً اى استوت سواء
بمعنى استواء والجملة صفة ايّام ويدلّ عليه قراءة يعقوب بالجرّ وقيل حال من الضمير فى اقواتها او فى فيها
وقرئ بالرفع على هى سواءٌ لِلسَّائِلِينَ متعلّق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مُدّة خلق
الارض وما فيها او بقدّر اى قدّر فيها الاقوات للطالبين لها (١٠) ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ قصد نحوها من
قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجّه اليه توجّها لا يلوى على غيره، والظاهر انّ ثمّ لتفاوت ما بين
الخلقتين لا للتراخى فى المدّة لقوله والارض بعد ذلك دحاها ودَحْوُها متقدّم على خلق الجبال من فوقها
وَهِىَ دُخَانٌ امر ظُلمانىّ ولعلّه اراد به مادّتها او الاجزاء المتصغّرة الّتى رُكّبت منها فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا
بما خلقت فيكما من التأثير والتأثّر وأبرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوّعة او

جزء ۲۴ رکوع ۱۹

ائتيا فى الوجود على انّ الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيانُ السماء حدوثُها واتيان الارض أن تصير مدحوّة وقد عرفتَ ما فيه او لتأت كلّ منكما الاخرى فى حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيّده قراءةُ وَآتِيَا من المُؤاتاة اى لتوافقْ كلُّ واحدة اختَها فيما اردتُ منكما طَوْعًا أَوْ كَرْهًا شئتما ذلك او ابيتما والمرادُ اظهارُ كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثباتُ الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ منقادين بالذات والاظهرُ انّ المراد تصويرُ تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلُهما بأمر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انّه تعالى خاطبهما وأقدرهما على الجواب انّما يتصوّر على الوجه الاوّل والاخير ، وانّما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطَبتين كقوله ساجدين (۱۱) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فخلقهنّ خلقا ابداعيًا واتقن امرهنّ والضميرُ للسماء على المعنى او مُبْهَم وسبع سموات حال على الاوّل وتمييز على الثانى فِي يَوْمَيْنِ قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا شأنها وما يتأتّى منها بأن حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها بأوامره ونواهيه وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ فانّ الكواكب كلّها ترى كانّها تتلألأ عليها وَحِفْظًا اى وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنّه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينةً وحفظا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ البالغ فى القدرة والعلم (۱۲) فَإِنْ أَعْرَضُوا عن الايمان بعد هذا البيان فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً فحذّرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنّه صاعقة مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ وقرئ صَعْقَةً مِثْلَ صَعْقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ وهى المرّة من الصَّعْق او الصَّعَق يقال صعقته الصاعقةُ صَعْقًا فصَعِق صَعَقًا (۱۳) إِذْ جَاءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لأنذرتكم لفساد المعنى مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كلّ جهة او من جهة الزمن الماضى بالانذار عمّا جرى فيه على الكفّار ومن جهة المستقبل بالتحذير عمّا أُعدّ لهم فى الآخرة وكلّ من اللفظين يحتملهما او من قَبْلهم ومن بَعْدهم اذ قد بلّغتهم خبر المتقدّمين وأَخْبَرَهم هود وصالح عن المتأخّرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كلّ مكان أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا ٱللّٰهَ بأن لا تعبدوا او اى لا تعبدوا قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا ارسالَ الرسل لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً برسالته فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ على زعمكم كَافِرُونَ اذ انتم بشر مثلنا لا فضلَ لكم علينا (۱۴) فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ فتعظّموا فيها على اهلها بغير استحقاق وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً اغترارا بقوّتهم وشوكتهم قيل كان من قوّتهم انّ الرجل منهم ينزع الصخرة فيتقلعها بيده أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللّٰهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً قدرةً فانّه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوىّ على ما لا يقدر عليه غيره وَكَانُوا بِآيَاتِنَا

يجحدون يعرفون انّها حقّ وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا جزء ٢٤
باردة تُهلك بشدّة بردها من الصِرّ وهو البرد الّذى يَصُرّ اى يجمع او شديدة الصوت فى هبوبها من ركوع ١٦
الصرير فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ جمع نَحِسة من نَحِسَ نَحْسًا نقيض سَعِدَ سَعْدًا وقرأ الحجازيّان والبصريّان
بالسكون على التخفيف او النعت على فَعْل او الوصف بالمصدر قيل كنّ آخرَ شوّال من الاربعاء الى
الاربعاء وما عُذّب قوم الّا فى يوم الاربعاء لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا اضاف العذاب الى
الخزى وهو الذلّ على قصد وصفه به لقوله وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وهى فى الاصل صفة المعذَّب وانّما وصف به
العذاب على الاسناد المجازىّ للمبالغة وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ بدفع العذاب عنهم (١٦) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ
فدللناهم على الحقّ بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثَمُودَ بالنصب بفعل مضمر يفسّره ما بعده
ومنونا فى الحالين وبضمّ الثاء فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فاختاروا الضلالة على الهدى فَأَخَذَتْهُمْ
صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ من اختيار الضلالة (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ من تلك الصاعقة
(١٨) وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ وقرأ نافع نَحْشُرُ بالنون مفتوحة وضمّ الشين ونصب اعداء وقرئ ركوع ١٧
على البناء للفاعل وهو الله عزّ وجلّ فَهُمْ يُوزَعُونَ يحبس اوّلهم على آخرهم لئلّا يتفرّقوا وهى عبارة عن
كثرة اهل النار (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتّصال الشهادة بالحضور
شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بأن يُنطقها الله تعالى او يُظهر عليها آثار
تدلّ على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا سؤال توبيخ او
تعجّب ولعلّ المراد به نفس التعجّب قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ اى ما نطقنا باختيارنا
بل انطقنا الله الّذى انطق كلّ شىء او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الّذى انطق كلّ حىّ ولو
أُوّل الجواب والنطق بدلالة الحال بقى الشىء عامّا فى الموجودات الممكنة وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ يحتمل أن يكون تمام كلام الجلود وأن يكون استينافا (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ
عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ اى كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة
الفضاحة وما ظننتم انّ اعضاءكم تشهد عليكم بها فما استترتم عنها وفيه تنبيه على انّ المؤمن ينبغى
ان يتحقّق ان لا يمرّ عليه حال الّا وعليه رقيب وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ فلذلك
اجترأتم على ما فعلتم (٢٢) وَذَلِكُمْ اشارة الى ظنّهم هذا وهو مبتدأ وقوله ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ
خبران له ويجوز ان يكون ظنّكم بدلا وأرداكم خبرا فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ اذ صار ما منحوا

جزء ٢٤ للاستعاد به فى الدارَيْن سببا لشقاء المنزلَيْن (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ لا خلاص لهمر عنها
ركوع ١٧ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا يَسْأَلُوا العُتْبَى وهى الرجوع الى ما يُحِبّون فَمَا هُمْ مِنَ ٱلْمُعْتَبِينَ المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكايةً أَجَزِعْنا ام صبرنا ما لنا من محيص ، وقرئ وَإِنْ يُسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ ٱلْمُعْتِبِينَ اى ان يُسْأَلوا أن يُرْضُوا ربّهم فما هم فاعلون لفوات المُكْنة (٢٤) وَقَيَّضْنَا وقدّرنا لَهُمْ للكفرة قُرَنَاءَ أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاءَ القَيْض على البَيْض وهو القِشْر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ من امر الدنيا واتّباع الشهوات وَمَا خَلْفَهُمْ من امر الآخرة وانكاره وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ اى كلمة العذاب فِي أُمَمٍ فى جملة امم كقوله

ان تك عن احسن الصنيعة مأ ... فُوكًا ففى آخرين قد أُفِكوا

وهو حال من الضمير المجرور قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ وقد عملوا مثل اعمالهم إِنَّهُمْ كَانُوا
ركوع ١٨ خَاسِرِينَ تعليل لاستحقاقهم العذاب والضميرُ لهم وللامم (٢٥) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهٰذَا ٱلْقُرْآنِ وَٱلْغَوْا فِيهِ وعارِضوه بالخرافات او ارفعوا اصواتكم بها لتنشوّشوه على القارئ وقرئ بضمّ الغين والمعنى واحد يقال لَغِيَ يَلْغَى ولَغَا يَلْغُو اذا هذى لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ تغلبونه على قراءته (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا المراد بهم هؤلاء القائلون او عامّة الكفّار (٢٧) وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ سيّآت اعمالهم وقد سبق مثله (٢٨) ذٰلِكَ اشارة الى الاسوإ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ خبره ٱلنَّارُ عطف بيان للجزاء او خبرُ محذوف لَهُمْ فِيهَا فى النار دَارُ ٱلْخُلْدِ فانّها دار اقامتهم وهو كقولك فى هذه الدار دارُ سرور وتعنى بالدار عينَها على انّ المقصود هو الصفة جَزَآءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ينكرون الحقّ او يلغون وذكر الجحود الّذى هو سبب اللغو (٢٩) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ يعنى شيطانَى النوعَيْن الحاملَيْن على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانّهما سنّا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسُّوسىّ أَرْنَا بالتخفيف كفَخْذ فى فَخِذ وقرأ الدُّورىّ باختلاس كسرة الراء نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا نَدُسْهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ مكانا او ذلّا (٣٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ اعترافا بربوبيّته واقرارا بوحدانيّته ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا فى العمل وثمّ لتراخيه عن الاقرار فى الرتبة من حيث انّه مبدأ الاستقامة او لانّها عسرٌ قلّ ما يتبع الاقرار وما رُوى عن الخلفاء الراشدين فى معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئيّاتها تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَآئِكَةُ فيما يعنّ لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند الموت او الخروج عن القبر أَلَّا تَخَافُوا ما تقدمون عليه وَلَا تَحْزَنُوا على ما

خلقتم ، وأنْ مصدريّة او مخفّفة مقدّرة بالباء او مفسّرة وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ فى الدنيا جزء ٢٤
على لسان الرسل (٣١) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا نُلْهِمكم الحقّ ونحملكم على الخير بدلَ ما كانت ركوع ١٨
الشياطين تفعل بالكفرة وَفِي ٱلْآخِرَةِ بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم وَلَكُمْ فِيهَا فى الآخرة
مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ من اللذائذ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ما تتمنّون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعمّ
من الاوّل (٣٢) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ حال ممّا تدّعون للاشعار بانّ ما يتمنّون بالنسبة الى ما يُعْطَوْنَ
ممّا لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف (٣٣) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى ٱللَّهِ الى عبادته وَعَمِلَ صَالِحًا ركوع ١٩
فيما بينه وبين ربّه وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ تفاخرا به واتّخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا
قولُ فلان لمذهبه ، والآية عامّة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت فى النبىّ صلعم وقيل فى المؤذّنين
(٣٤) وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ فى الجزاء وحُسْن العاقبة ، ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفى
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ادفع السيّئة حيث اعترضتك بالّتى هى احسن منها وهى الحسنة على انّ المراد
بالاحسن الزائد مطلقا او بأحسنِ ما يمكن دفعها به من الحسنات ، وانّما اخرجه مخرج الاستيناف على
انّه جوابُ من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع الاحسن موضع الحسنة فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ
عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ اى اذا فعلت ذلك صار عدوّك المشاقّ مثل الولىّ الشفيق (٣٥) وَمَا يُلَقَّاهَا
وما يلقّى هذه السجيّة وهى مقابلة الاساءة بالاحسان إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا فانّها تحبس النفس عن الانتقام
وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ من الخير وكمال النفس وقيل الحظّ العظيم الجنّة (٣٦) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ
ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ نخس شبّه به وسوسته لانّها بعثٌ على ما لا ينبغى كالدفع بما هو اسوأ وجعل النزغ
نازغا على طريقة جَدَّ جدُّه او أُرِيدَ به نازغٌ وَصْفا للشيطان بالمصدر فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ من شرّه ولا تطعه
إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ لاستعاذتك ٱلْعَلِيمُ بنيّتك او بصلاحك (٣٧) وَمِنْ آيَاتِهِ ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا
تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ لانّهما مخلوقان مأموران مثلكم وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ الضمير للاربعة
المذكورة والمقصودُ تعليق الفعل بهما إشعارا بانّهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ
فانّ السجود اخصّ العبادات ، وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابى حنيفة آخر الآية
الاخرى لانّه تمام المعنى (٣٨) فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا عن الامتثال فَٱلَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ من الملائكة يُسَبِّحُونَ لَهُ
بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ اى دائما لقوله وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ اى لا يملّون (٣٩) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَاشِعَةً
يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلّل فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ تزخرفت
وانتفخت بالنبات وقرئ رَبَأَتْ اى زادت إِنَّ ٱلَّذِي أَحْيَاهَا بعد موتها لَمُحْيِي ٱلْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

جزء ٢٤ من الاحياء والاماتة (٤٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ يميلون عن الاستقامة فِي آيَاتِنَا بالطعن والتحريف والتأويل
ركوع ١٩ الباطل والالغاء فيها لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا فنجازيهم على الحادهم أَفَمَنْ يُلْقَى فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ قابَل الالقاء فى النار بالاتيان آمنا مبالغةً فى احماد حال المؤمنين ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ تهديد شديد إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وعيد بالمجازاة (٤١) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ بدلٌ من قوله انّ الّذين يلحدون فى آياتنا او مستأنفٌ وخبرُ إنّ محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادَوْن، والذكر القران وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتّى ابطاله وتحريفه (٤٢) لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ لا يتطرّق اليه الباطل من جهة من الجهات او ممّا فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ اىّ حكيم حَمِيدٍ يحمده كلّ خلق بما ظهر عليه من نعمه (٤٣) مَا يُقَالُ لَكَ اى ما يقول لك كفّار قومك إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ الّا مثلَ ما قال لهم كفّار قومهم ويجوز ان يكون المعنى ما يقول لك اللّه الّا مثل ما قال لهم إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لانبيائه وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ لاعدائهم وهو على الثانى يحتمل ان يكون المقول بمعنى انّ حاصل ما اوحى اليك واليهم وعدُ المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة (٤٤) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا جواب لقولهم هلّا انزل القران بلغة العجم والضميرُ للذكر لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ بُيّنت بلسان نفقهه ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ اكلام اعجمىّ ومخاطَب عربىّ انكارٌ مقرِّر للتخصيص، والاعجمىّ يُقال للّذى لا يُفْهَم كلامه وهذا قراءة ابى بكر وحمزة والكسائىّ وقرأ قالون وابو عمرو بالمدّ والتسهيل وورش بالمدّ وابدال الثانية الفا وابن كثير وابن ذكوان وحفص بغير الثانية وقرئ أَعْجَمِيٌّ وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام أَعْجَمِيٌّ على الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلّا فصّلتْ آياته فجُعل بعضها اعجميًّا لافهام العجم وبعضها عربيًّا لافهام العرب، والمقصودُ ابطالُ مقترحهم باستلزامه لمحذور او الدلالةُ على انّهم لا ينفكّون عن التعنّت فى الآيات كيف جاءت قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى الى الحقّ وَشِفَاءٌ لما فى الصدور من الشكّ والشُبَه وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ مبتدأٌ خبره فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ على تقديرِ هو فى آذانهم وقر لقوله وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى وذلك لتصامّهم عن سماعه وتعاميهم عمّا يُريهم من الآيات ومن جوّز العطف على عاملَيْن مختلفَيْن عطف ذلك على للّذين آمنوا هدى أُولٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ اى صُمٌّ وهو تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصاح
ركوع ٢٠ به من مسافة بعيدة (٤٥) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ بالتصديق والتكذيب كما اختُلف فى القران وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ وهى العدةُ بالقيامة وفصلِ الخصومة حينئذ او تقديرُ الآجال لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ باستيصال المكذّبين وَإِنَّهُمْ وانّ اليهود او الّذين لا يؤمنون لَفِي شَكٍّ مِنْهُ من التورية او

جزء ٢٤ ركوع ١٩

القران مريب موجب للاضطراب (٤٦) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ نفعه وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ضره وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ فيفعل بهم ما ليس له ان يفعل

جزء ٢٥ ركوع ١

(٤٧) إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ اى اذا سُئل عنها اذ لا يعلمها الّا هو وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَةٍ مِنْ أَكْمَامِهَا من اوعيتها جمع كِمّ بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص مِنْ ثَمَرَاتٍ بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا، وَمَا نافية ومِن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان تكون موصولة معطوفة على الساعة ومِن مبيّنة بخلاف قوله وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ بمكان إِلَّا بِعِلْمِهِ الّا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلّقه به وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى بزعمكم قَالُوا آذَنَّاكَ اعلمناك مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرّأنا عنهم لمّا عاينّا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانّهم ضلّوا عنّا وقيل هو قول الشركاء اى ما منّا من يشهد لهم بانّهم كانوا مُحِقّين (٤٨) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ يعبدون مِنْ قَبْلُ لا ينفعهم او لا يرونه وَظَنُّوا وأيقنوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ مَهْرب والظنّ معلّق عنه بحرف النفي (٤٩) لَا يَسْأَمُ ٱلْإِنْسَانُ لا يملّ مِنْ دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ من طلب السعة فى النعمة وقرئ مِنْ دُعَآءٍ بِالْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ ٱلشَّرُّ الضيقة فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انّه لا ييأس من رَوح الله الّا القوم الكافرون وقد بولغ فى يأسه من جهة البنية والتكرير وما فى القنوط من ظهور اثر اليأس (٥٠) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ بتفريجها عنه لَيَقُولَنَّ هَذَا لِى حقّى أستحقّه بما لى من الفضل والعمل او لى دائما لا يزول وَمَا أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَائِمَةً تقوم وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّى إِنَّ لِى عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى اى ولئن قامت على التوهّم كان لى عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده انّ ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفكّ عنه فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فلنخبرنّهم بِمَا عَمِلُوا بحقيقة اعمالهم ولنبصّرنّهم عكس ما اعتقدوا فيها وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ لا يمكنهم التفصّى عنه (٥١) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنْسَانِ أَعْرَضَ عن الشكر وَنَأَى بِجَانِبِهِ وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكلّيته تكبّرا والجانبُ مجاز عن النفس كالجَنْب فى قوله فى جَنْب الله وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ كثيرٍ مستعارٌ ممّا له عرضٌ متّسعٌ للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنّك بطوله (٥٢) قُلْ أَرَأَيْتُمْ اخبرونى إِنْ كَانَ القران مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ من غير نظر واتّباع دليل مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ اى من اضلّ منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم (٥٣) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ يعنى ما اخبرهم النبىّ عم به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسّر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وَفِى أَنْفُسِهِمْ ما ظهر فيما بين اهل مكّة وما حلّ بهم او ما

جزء ٢٥ فى بدن الانسان من عجائب الصنع الدالّة على كمال القدرة حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ الضمير للقران ركوع ١ او الرسول او التوحيد او اللّه أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ اى اولم يكف ربّك والباء مزيدة للتأكيد كانّه قيل اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد فى الفاعل الّا مع كفى أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ بدل منه والمعنى اولم يكف انّه سبحانه وتعالى على كلّ شىء شهيد محقّق فيحقّق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقّق سائر الاشياء الموعودة او مطّلع فيعلم حالك وحالهم او اولم يكف الانسان رادعا عن المعاصى أنّه تعالى مطّلع على كلّ شىء لا يخفى عليه خافية (٥٤) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ شكّ وقرئ بالضمّ كخفية وخُفية وهو لغة مِنْ لِقَآءِ رَبِّهِمْ بالبعث والجزاء أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ عالم بجُمَل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شىء منها ؛ عن النبىّ صلعم من قرأ سورة السجدة اعطاه اللّه بكلّ حرف عشر حسنات ٠

سُورَةُ حم عسق

مكّيّة وتسمّى سورة الشورى وآيها ثلث وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٢ (١) حٰمٓ عٓسٓقٓ لعلّه اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعُدّا آيتين وان كانا اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ اى مثل ما فى هذه السورة من المعانى او ايحاء مثل ايحائها اوحى اللّه اليك والى الرسل قبلك وانّما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحى وانّ ايحاء مثله عادته ، وقرأ ابن كثير يُوحَى بالفتح على انّ كذلك مبتدأ ويُوحَى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويُوحَى مسند الى اليك واللّهُ مرتفع بما دلّ عليه يُوحَى والعزيزُ الحكيمُ صفتان له مقرّرتان لعلوّ شأن المُوحَى به كما مرّ فى السورة السابقة او بالابتداء كما فى قراءة نُوحِي بالنون والعزيز وما بعده أخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله (٢) لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ خبران له وعلى الوجوه الأُخر استيناف مقرّر لعزّته وحكمته (٣) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَاتُ وقراءة نافع والكسائىّ بالياء يَتَفَطَّرْنَ ينشققن من عظمة اللّه وقيل من ادّعاء الولد له وقرأ البصريّان وابو بكر بالنون والاوّل ابلغ لانّه مطاوع فَطّر وهذا مطاوع فَطَر وقرئ تَتَفَطَّرْنَ بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر مِنْ فَوْقِهِنَّ اى يبتدئ الانفطار من جهتهنّ الفوقانيّة وتخصيصها على الاوّل لانّ اعظم الآيات وادلّها على علوّ شأنه من تلك الجهة وعلى الثانى ليدلّ على الانفطار من تحتهنّ بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فانّ المراد بها الجنس وَٱلْمَلَٰئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة

والالهام واعداد الاسباب المقرّبة الى الطاعة وذلك فى الجملة يعمّ المؤمن والكافر بل لو فُسّر الاستغفار بالسعى جزء ٢٥
فيما يدفع الخلل المتوقّع عمّ الحيوانَ بل الجمادَ وحيث خصّ بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة أَلَا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ركوع ٢
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ اذ ما من مخلوق الّا وهو ذو حظّ من رحمته ، والآية على الاوّل زيادة تقرير لعظمته وعلى
الثانى دلالة على تقدّسه عمّا نسب اليه وأنّ عدمَ معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار
الملائكة وغفرانه ورحمته (٤) وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَآءَ شركاء وأندادا ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ رقيب
على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وَمَا أَنْتَ يا محمّد عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ بموكّل بهم او بموكول اليك
امرهم (٥) وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا الاشارة الى مصدرِ يوحى او الى معنى الآية المتقدّمة فانّه
مكرّر فى القران فى مواضع جمّة فيكون الكاف مفعولا به وقرانا عربيّا حال منه لِتُنْذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَى اهل امّ
القرى وهى مكّة وَمَنْ حَوْلَهَا من العرب وَتُنْذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ يوم القيامة يُجمَع الخلائق فيه او الارواح
والاشباح او العمّال والاعمال ، وحُذف ثانى مفعولى الاوّل واوّل مفعولى الثانى للتهويل وايهام التعميم ، وقرئ
لِيُنْذِرَ بالياء والفعلُ للقران لَا رَيْبَ فِيهِ اعتراض فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ اى بعد جمعهم فى
الموقف يُجمَعون اوّلا ثمّ يفرّقون والتقديرُ منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا
منصوبين على الحال منهم اى وتنذر يوم جمعهم متفرّقين بمعنى مشارفين للتفرّق او متفرّقين فى دارَى
الثواب والعقاب (٦) وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً مهتدين او ضالّين وَلٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِ
بالهداية والحمل على الطاعة وَٱلظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ اى يدعهم من غير ولىّ ولا نصير فى
عذابه ولعلّ تغيير المقابلة للمبالغة فى الوعيد اذ الكلام فى الانذار (٧) أَمِ ٱتَّخَذُوا بل أتّخذوا مِنْ دُونِهِ
دون اللّه أَوْلِيَآءَ كالاصنام فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ جواب لشرط محذوف مثل إن ارادوا اولياء بحقّ فاللّه هو
الولىّ بالحقّ وَهُوَ يُحْيِى ٱلْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية (٨) وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ ركوع ٣
انتم والكفّار فِيهِ مِنْ شَىْءٍ من امر من امور الدين والدنيا فَحُكْمُهُ إِلَى ٱللَّهِ مفوّض اليه يميّز المُحِقّ من
المُبطِل بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم
من كتاب اللّه ذٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فى مجامع الامور وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ارجع فى المُعضِلات (٩) فَاطِرُ
ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ خبرٌ آخرُ لذلكم او مبتدأٌ خبرُه جَعَلَ لَكُمْ وقرئ بالجرّ على البدل من الضمير او
الوصف لإلى اللّه مِنْ أَنْفُسِكُمْ من جنسكم أَزْوَاجًا نساء وَمِنَ ٱلْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا اى وخلق للانعام من
جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يَذْرَؤُكُمْ يكثّركم من الذرء وهو
البثّ وفى معناه الذرّ والذرو فِيهِ فى هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد

*

جزء ٢٥ ركوع ٣

فانّه كالمنبع للبثّ والتكثير لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ اى ليس مثله شئ يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانّه اذا نُفى عمّن يناسبه ويسدّ مسدّه كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رُقَيْقة بنت صيفىّ فى سُقْيا عبد المطّلب الا وفيهم الطيّبُ الطاهرُ كذاته ومن قال فيه الكاف زائدة لعلّه عنى انّه يعطى معنى ليس مثله غيرَ انّه آكَدُ لما ذكرناه وقيل مثله صفته اى ليس كصفته صفة وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ لكلّ ما يُسْمَع ويُبْصَر (١٠) لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ خزائنها يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ يوسّع ويضيّق على وفق مشيئته إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فيفعله على ما ينبغى (١١) شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ اى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمّد ومن بينهما من ارباب الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسّر بقوله أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فى احكام الله ، ومحلّه النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستيناف كانّه جواب وما ذلك المشروع او الجرّ على البدل من هاء بِهِ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ولا تختلفوا فى هذا الاصل أمّا فروع الشرائع فمختلفة كما قال لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ عظم عليهم (١٢) مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ من التوحيد ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ بالارشاد والتوفيق مَن يُنِيبُ يُقْبِل اليه (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا يعنى الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما تفرّق الّذين اوتوا الكتاب إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ العلمُ بانّ التفرّق ضلالٌ متوعّدٌ عليه او العلمُ بمبعث الرسول او اسبابُ العلم من الرسل والكتب وغيرها فلم يلتفتوا اليها بَغْيًا بَيْنَهُمْ عداوةً او طلبا للدنيا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ بالامهال إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى هو يوم القيامة او آخر اعمارهم المقدّرة لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ باستيصال المُبْطلين حتّى افترقوا لعظم ما اقترفوا وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا ٱلْكِتٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ يعنى اهل الكتاب الّذين كانوا فى عهد الرسول او المشركين الّذين اورثوا القران من بعد اهل الكتاب وقرئ وَرِثُوا ووُرِّثُوا لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حقّ الايمان او من القران مُرِيبٍ مُقْلِق او مُدْخِل فى الريبة (١٤) فَلِذٰلِكَ فلاجل ذلك التفرّق او الكتاب او العلم الّذى اوتيته فَٱدْعُ الى الاتّفاق على الملّة الحنيفيّة او الاتّباع لما أُوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام فى موضع إِلى لافادة الصلة والتعليل وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ واستقم على الدعوة كما امرك الله وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ الباطلة وَقُلْ آمَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتٰبٍ يعنى جميع الكتب المنزلة لا كالكفّار الّذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ فى تبليغ الشرائع والحكومات والاوّل اشارة الى كمال القوّة النظريّة وهذا اشارة الى كمال القوّة العمليّة ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ خالق الكلّ ومتولّى امره لَنَآ أَعْمٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمٰلُكُمْ فكلٌّ مجازى بعمله لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ

لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحقّ قد ظهر ولم يبق للمحاجّة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد جزء ٢٥
اَللّٰهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا يوم القيامة وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ مرجع الكلّ لفصل القضاء ، وليس فى الآية ما يدلّ على متاركة ركوع ٣
الكفّار رأسا حتى تكون منسوخة بآية القتال (١٥) وَٱلَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى ٱللّٰهِ فى دينه مِنْ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُ
من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب اللّٰه لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم
بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بأن اقرّوا بنبوّته واستفتحوا به حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
زائلة باطلة وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ بمعاندتهم وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ على كفرهم (١٦) اَللّٰهُ ٱلَّذِى أَنْزَلَ ٱلْكِتَابَ
جنس الكتاب بِٱلْحَقِّ ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحقّ انزاله من العقائد والاحكام وَٱلْمِيزَانَ
والشرع ٱلَّذِى يوازَن به الحقوق ويسوّى بين الناس او العدل بأن انزل الامر به او آلة الوزن بأن اوحى
باعدادها وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ اتيانها فاتبع الكتاب واعملْ بالشرع وواظبْ على العدل قبل ان
يفاجئك اليوم ٱلَّذِى تُوزَن فيه اعمالُك وتوفّى جزاءك وقيل تذكير القريب لانّه بمعنى ذات قُرْب او
لانّ الساعة بمعنى البعث (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا استهزاء وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا
خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقّع الثواب وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ اى الكائن لا محالة أَلَا إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ
فِى ٱلسَّاعَةِ يجادلون فيها من المِرْيَة او من مريتُ الناقة اذا مسحتَ ضرعها بشدّة للحلب لانّ كلّا
من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدّة لَفِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ عن الحقّ فانّ البعث اشبهُ
الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزه فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءه (١٨) اَللّٰهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ
برٌّ بهم بصنوف من البرّ لا تبلغها الاوهام يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ اى يرزقه كما يشاء فيخصّ كلّا من عباده
بنوع من البرّ على ما اقتضته حكمته وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ الباهر القدرة ٱلْعَزِيزُ المنيع ٱلَّذِى لا يُغلَب (١٩) مَنْ كَانَ ركوع ٤
يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ ثوابها شبّهه بالزروع من حيث انّه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا
مزرعة الآخرة والحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض ويقال للزرع الحاصل منه نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ فنعطه
بالواحد عشرا الى سبعمائة فما فوقها وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا شيئا منها على ما قسمنا له
وَمَا لَهُ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ اذ الاعمال بالنيّات ولكلّ امرئ ما نوى (٢٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ بل ألهم شركاء
والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم شَرَعُوا بالتزيين لَهُمْ مِنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ ٱللّٰهُ
كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانّهم متّخذوها شركاء
واسناد الشرع اليها لانّها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تديّنوا به او صُوَر من سنّه لهم وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ
اى القضاء السابق بتأجيل الجزاء او العدة بأنّ الفصل يكون يوم القيامة لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ بين الكافرين
والمؤمنين او المشركين وشركائهم وَإِنَّ ٱلظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وقرئ أَنَّ بالفتح عطفا على كلمة

جزء ٢٥ الفصل اى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فانّ العذاب الاليم ركوع ٤ غالب فى عذاب الآخرة (٢١) تَرَى ٱلظَّالِمِينَ فى القيامة مُشْفِقِينَ خائفين مِمَّا كَسَبُوا من السيّئات وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ اى وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ فى اطيب بقاعها وانزهها لَهُمْ مَا يَشَآءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ اى ما يشتهونه ثابت لهم عند ربّهم ذٰلِكَ اشارة الى ما للمؤمنين هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ الّذى يصغر دونه ما لغيرهم فى الدنيا (٢٢) ذٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللّٰهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ ذلك الثواب الّذى يبشّرهم اللّه به فحذف الجارّ ثمّ العائد او ذلك التبشير الّذى يبشّر اللّه عباده ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائىّ يَبْشُرُ من بَشَرَه قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة أَجْرًا نفعا منكم إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ان تودّونى لقرابتى منكم او تودّوا قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قطّ ولكن اسألكم المودّة وفى القربى حال منها اى الّا المودّة ثابتة فى ذوى القربى متمكّنة فى اهلها او فى حقّ القرابة ومن اجلها كما جاء فى الحديث الحُبّ فى اللّه والبُغض فى اللّه روى انّها لمّا نزلت قيل يا رسول اللّه مَن قرابتك هؤلاء قال علىّ وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرّب الى اللّه اى ان تودّوا اللّه ورسوله فى تقرّبكم اليه بالطاعة والعمل الصالح ، وقرئ إِلَّا مَوَدَّةً فِي ٱلْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً ومن يكتسب طاعة سيّما حبّ آل الرسول وقيل نزلت فى ابى بكر رضه ومودّته لهم نَزِدْ لَهُ فِيهَا فى الحسنة حُسْنًا بمضاعفة الثواب وقرئ يَزِدْ اى يزد اللّه وحُسْنَى إِنَّ ٱللّٰهَ غَفُورٌ لمن اذنب شَكُورٌ لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضّل عليه بالزيادة (٢٣) أَمْ يَقُولُونَ بل ايقولون ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللّٰهِ كَذِبًا افترى محمّد بدعوى النبوّة او القران فَإِنْ يَشَإِ ٱللّٰهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار على انّه انّما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربّه فامّا من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانّه قال ان يشأ اللّه خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القران والوحى عنه او يربط عليه بالصبر فلا يشقّ عليك اذاهم وَيَمْحُ ٱللّٰهُ ٱلْبَاطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ استيناف لنفى الافتراء عمّا يقوله بانّه لو كان مفترى لمحقه اذ من عادته سبحانه وتعالى محو الباطل واثبات الحقّ بوحيه او بقضائه او بوعده بمحو باطلهم واثبات حقّه بالقران او بقضائه الّذى لا مردّ له ، وسقوط الواو من يَمْحُ فى بعض المصاحف لاتّباع اللفظ كما فى قوله وَيَدْعُ الانسانُ (٢٤) وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ بالتجاوز عمّا تابوا عنه ، والقبول يعدّى الى مفعول ثانٍ بمِنْ وعَنْ لتضمّنه معنى الاخذ والابانة ، وقد عرفتَ حقيقة التوبة وعن علىّ رضه هو اسم يقع على ستّة معانٍ على الماضى من الذنوب الندامةُ ولتضييع الفرائض الاعادةُ وردُّ المظالم واذابةُ النفس فى الطاعة كما ربّيتها فى المعصية واذاقتها مرارةَ الطاعة كما اذقتها حلاوة

مقتضية والتمكين بدل كل على حكمته وَيَعْفُو عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ صغيرها وكبيرها لمن يشاء وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ جزء ٢٥
فيجازى ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ الكوفيون بالتاء غير ابى بكر (٢٥) وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ركوع ۴
وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ اى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف فى واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء والاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله صلعم افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة وَٱلْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل (٢٦) وَلَوْ بَسَطَ ٱللّٰهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي ٱلْأَرْضِ لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ بتقدير مَا يَشَاءُ ما اقتضته مشيئته إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روى ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل فى العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا (٢٧) وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ المطر الذى يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم يُنَزِّلُ بالتشديد مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ايسوا منه وقرئ بكسر النون وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ فى كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ الذى يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته ٱلْحَمِيدُ المستحق للحمد على ذلك (٢٨) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم وَمَا بَثَّ فِيهِمَا عطف على السموات او الخلق مِنْ دَابَّةٍ من حى على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض وما يكون فى احد الشيئين يصدق انه فيهما فى الجملة وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ أىّ وقت يشاء قَدِيرٌ متمكن منه واذا كما تدخل على الماضى تدخل على
المضارع (٢٩) وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ فبسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية او ركوع ٥
متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما فى الباء من معنى السببية وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ من الذنوب فلا يعاقب عليها ، والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب أُخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه (٣٠) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فائتين ما قضى عليكم من المصائب وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ يحرسكم عنها وَلَا نَصِيرٍ يدفعها عنكم (٣١) وَمِنْ آيَاتِهِ ٱلْجَوَارِ السفن الجارية فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَامِ كالجبال قالت الخنساء شعر

وانّ صخرا لتأتمّ الهداة به   كأنه علم فى رأسه نار

إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ وقرأ نافع ٱلرِّيَاحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ فيبقين ثوابت على ظهر البحر إِنَّ فِي ذٰلِكَ

جزء ٢٥ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ لكلّ من وَكَّل هِمّته وحبس نفسه على النظر فى آيات الله والتفكّر فى الآية او
ركوع ٥ لكلّ مؤمن كامل فانّ الايمان نصفان نصفٌ صبرٌ ونصفٌ شكرٌ (٣٢) أَوْ يُوبِقْهُنَّ او يُهْلكهنّ بارسال الريح
العاصفة المُغرِقة والمراد اهلاك اهلها لقوله بِمَا كَسَبُوا وأصله او يرسلها فيوبقهنّ لانّه قسيم يُسْكِن فاقتصر فيه على المقصود كما فى قوله وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ اذ المعنى او يرسلها فيوبق ناسا بذنوبهم ويُنْجِ ناسا على العفو منهم وقرئ ويَعفو على الاستيناف (٣٣) وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا عطف على علّة مقدّرة مثل لِينتقمَ منهم ويعلمَ او على الجزاء ونُصب نَصْبَ الواقع جوابا للاشياء الستّة لانّه ايضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستيناف وقرئ بالجزم عطفا على يَعْفُ فيكون المعنى ويجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ محيد من العذاب والجملة معلّق عنها الفعل (٣٤) فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا تُمتّعون به مُدّة حياتكم وَمَا عِنْدَ ٱللَّهِ من ثواب الآخرة خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ لخلوص نفعه ودوامه ، وما الاولى موصولة تضمّنت معنى الشرط من حيث انّ ايتاء ما اوتوا سبب للتمتّع بها فى الحيوة الدنيا فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية وعن علىّ رضه تصدّق ابو بكر بماله كلّه فلامه جمعٌ فنزلت (٣٥) وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ والذين بما بعده عطف على الذين آمنوا او مدح منصوب او مرفوع ، وبناء يغفرون على ضمير هم خبرا للدلالة على انّهم الاخصّاء بالمغفرة حالَ الغضب ، وقرأ حمزة والكسائىّ كَبِيرَ ٱلْإِثْمِ (٣٦) وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ نزلت فى الانصار دعاهم رسول الله صلعم الى الايمان فاستجابوا له وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ذو شورى لا ينفردون برأى حتّى يتشاوروا ويجمعوا عليه وذلك من فرط تدبّرهم وتيقّظهم فى الامور وهى مصدر كالفُتْيا بمعنى التشاور وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فى سبيل الخير (٣٧) وَٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ على ما جعله الله لهم كراهة التذلّل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امّهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانّه يُنْبئ عن عجز المغفور والانتصارَ عن مقاومة الخصم والحلمُ عن العاجز محمود وعن المتغلّب مذموم لانّه اجراء واغراء على البغى ، ثمّ عقّب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدّى (٣٨) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا وسمّى الثانية سيّئة للازدواج او لانّها تسوء مَن تنزل به فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ بينه وبين عدوّه فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ عدة مُبْهَمة تدلّ على عظم الموعود إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ المبتدئين بالسيّئة والمتجاوزين فى الانتقام (٣٩) وَلَمَنِ ٱنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ بعد ما ظُلم وقد قرئ به فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ بالمعاتبة والمعاقبة (٤٠) إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ يبتدئونهم بالاضرار ويطلبون ما لا يستحقّونه تجبّرا عليهم وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ

جزء ۲۵ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ على ظلمهم وبغيهم (۴۱) وَلَمَنْ صَبَرَ على الاذى وَغَفَرَ ولم ينتصر إِنَّ ذَٰلِكَ
ركوع ۶ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ اى ان ذلك منه فحذف كما حذف فى قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به (۴۲) وَمَنْ
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وَتَرَى ٱلظَّالِمِينَ (۴۳) لَمَّا
رَأَوُا ٱلْعَذَابَ حين يرونه فذكر بلفظ الماضى تحقيقا يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ هل الى رجعة الى الدنيا
۵ (۴۴) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا على النار ويدل عليه العذاب خَاشِعِينَ متذللين متقاصرين مما يلحقهم
مِنَ ٱلذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ اى يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور
ينظر الى السيف وَقَالَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ ٱلْخَاسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ بالتعريض للعذاب
المخلد يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ظرف لخسروا والقول فى الدنيا او لقال اى يقولون اذا رأوهم على تلك الحالة أَلَا إِنَّ
ٱلظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ تمام كلامهم او تصديق من الله لهم (۴۵) وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ
۱۰ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ الى الهدى والنجاة (۴۶) ٱسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة يأتى اى من قبل ان
يأتى يوم من الله لا يمكن رده مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ مفر وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ انكار لما اقترفتموه لانه
مدون فى صحائف اعمالكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم (۴۷) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا
رقيبا او محاسبا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ وقد بلغت وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا اراد بالانسان
۱۵ الجنس لقوله وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنْسَانَ كَفُورٌ بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا
ويذكر البلية ويعظمها ولا يتأمل سببها وهذا وإن اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم
واندراجهم فيه، وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بإن لأن اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة
مقتضاة بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر فى الثانية للدلالة
على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة (۴۸) لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فله ان يقسم النعمة والبلية
۲۰ كيف شاء يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ من غير لزوم ومجال اعتراض يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ ٱلذُّكُورَ
(۴۹) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل
احوال العباد فى الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او
الصنفين جميعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الآية
للدلالة على ان الواقع ما تعلق به مشيئة الله لا مشيئة الانسان والاناث كذلك او لان الكلام فى البلاء

جزء ٢٥ ركوع ٦ والعرب تعدّهنّ بلاء او لتطييب قلوب آبائهنّ او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرّف الذكور او لجبر التأخير ، وتغيير العاطف فى الثانى لانّه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانّه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدّمة إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار (٥٠) وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ وما صحّ له أَنْ يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا كلاما خفيّا يُدْرَك بسرعة لانّه تمثيل ليس فى ذاته مركّبا من حروف مقطّعة تتوقّف على تموّجات متعاقبة وهو ما يعمّ المشافهَ به كما روى فى حديث المعراج وما وُعد به فى حديث الرؤية والمهتّف به كما اتّفق لموسى فى طُوًى والطور لكن عَطْف قوله أَوْ مِنْ وَرَآءِ حِجَابٍ عليه يخصّه بالاوّل فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء فى الرُّوع او الوحى المنزّل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله (٥١) أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ او يرسل اليه نبيّا فيبلّغ وحيه كما امره وعلى الاوّل المراد بالرسول الملَك الموحى الى الرسول ، ووحيا بما عُطف عليه منتصب بالمصدر لانّ من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرَين ومن وراء حجاب ظرفا وقعتْ احوالا ، وقرأ نافع أَوْ يُرْسِلُ برفع اللام إِنَّهُ عَلِيٌّ عن صفات المخلوقين حَكِيمٌ يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلّم تارة بوسط وتارة بغير وسط إمّا عيانا وإمّا من وراء حجاب (٥٢) وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا يعنى ما اوحى اليه وسمّاه روحا لانّ القلوب تحيى به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك بالوحى مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَلَا ٱلْإِيمَانُ اى قبل الوحى وهو دليل على انّه لم يكن متعبّدا قبل النبوّة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الّا السمع وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ اى الروح او الكتاب او الايمان نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا بالتوفيق للقبول والنظر فيه وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ هو الاسلام وقرئ لَتُهْدَى اى ليهديك الله (٥٣) صِرَاطِ ٱللَّهِ بدل من الاوّل ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ خلقا وملكا أَلَا إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ بارتفاع الوسائط والتعلّقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين ، عن النبىّ صلعم من قرأ حمٓ عٓسٓقٓ كان ممّن يصلّى عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له ٠

سُورَةُ ٱلزُّخْرُفِ

مكّيّة الّا قوله واسأل من ارسلنا من قبلك الآية وآيها تسع وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٧ (١) حمٓ وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا اقسم بالقران على انّه جعله قرانا عربيّا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابى تمام ٠ وثناياك انّها اغريض ٠ ولعلّ اقسام الله بالاشياء

استشهادٌ بما فيها من الدلالة على المقسَم عليه وبالقران من حيث انّه معجزٌ مبينٌ لطرق الهدى وما يُحْتاج اليه فى الديانة او بيّنٌ للعرب يدلّ على انّه تعالى صيّره كذلك لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ لكى تفهموا معانيه (٣) وَإِنَّهُ عطف على إِنَّا فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ اى اللوح المحفوظ فانّه اصل الكتب السماويّة وقرئ إِمِّ ٱلْكِتَابِ بالكسر لَدَيْنَا محفوظا عندنا عن التغيير لَعَلِيٌّ رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها حَكِيمٌ ذو حكمة بالغة او مُحْكَم لا ينسخه غيره وهما خبران لإنّ وفى امّ الكتاب متعلّق بعلىّ واللامُ لا تمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او حال من امّ الكتاب (٤) أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا افنذوده ونُبْعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائبَ عن الحوض قال طَرَفة

اِضْرِبَ عَنْكَ الهُمومَ طارِقَها ضَرْبَكَ بالسيف قَوْنَسَ الفَرَس

والفاء للعطف على محذوف اى أَنُهْمِلكم فنضرب عنكم الذكر ، وصَفْحًا مصدر من غير لفظه لانّ تنحيةَ الذكر عنهم إعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين وأصلُه أن تُوَلِّي الشيء صفحةَ عنقك وقيل انّه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيّده انّه قرئ صُفْحًا وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيفَ صُفُح جمعِ صَفُوح بمعنى صافحين والمراد انكارُ أن يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ اى لأن كنتم وهو فى الحقيقة علّة مقتضية لترك الاعراض وقرأ نافع وحمزة والكسائىّ إِنْ بالكسر على انّ الجملة شرطيّة مُخْرِجة للمحقّق مُخْرَجَ المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليلُ الجزاء (٥) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ تسلية لرسول اللّه صلعم عن استهزاء قومه (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا اى من القوم المسرفين لانّه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم وَمَضَى مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ وسلف فى القران قصّتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاوّلين (٨) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ لعلّه لازمُ مقولهم او ما دلّ عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجّة عليهم فكانّهم قالوا اللّه كما حكى عنهم فى مواضعَ أُخَر وهو الّذى من صفته ما سُرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولَهم وما بعده استيناف (٩) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا فتستقرّون فيها وقرأ غير الكوفيّين مِهادًا بالالف وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا تسلكونها لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ لكى تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر فى ذلك (١٠) وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ بمقدار ينفع ولا يضرّ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا مالَ عنه النماء وتذكيره لانّ البلدة بمعنى البلد او المكان كَذٰلِكَ مثلَ ذلك الانشار تُخْرَجُونَ تُنْشَرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائىّ تَخْرُجُونَ بفتح التاء وضمّ الراء (١١) وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا اصناف المخلوقات وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ما تركبونه على تغليب المتعدّى

*

جزء ٢٥ بنفسه على المتعدّى بغيره اذ يقال ركبت الدابّة وركبت فى السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع
ركوع ٧ له او الغالب على النادر ولذلك قال (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ اى ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وَتَقُولُوا
سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ مطيقين من اقرن الشىء اذا اطاقه واصله وجده قرينته
اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عم انّه كان اذا وضع رجله ٥
فى الركاب قال بسم اللّه واذا استوى على الدابّة قال الحمد للّه على كلّ حال سبحان الّذى سخّر لنا
هذا الى قوله (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ اى راجعون واتصاله بذلك لانّ الركوب للتنقّل والنقلة
العظمى هو الانقلاب الى اللّه او لانّه مخطر فينبغى للراكب ان لا يغفل عنه ويستعدّ للقاء اللّه
(١٤) وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا متّصل بقوله ولئن سألتهم اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من
عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات اللّه ولعلّه سمّاه جزءا كما سمّى بعضا لانّه بضعة من الوالد دلالة على ١٠
استحالته على الواحد الحقّ فى ذاته وقرئ جُزُؤًا بضمّتين إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ظاهر الكفران ومن
ركوع ٨ ذلك نسبة الولد الى اللّه تعالى لانّها من فرط الجهل به والتحقير لشأنه (١٥) أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ
وَأَصْفَاكُمْ بِٱلْبَنِينَ معنى الهمزة فى ام الانكار والتعجّب من شأنهم حيث لم يقنعوا بأن جعلوا له جزءا
حتّى جعلوا له من مخلوقاته اجزاء اخسّ ممّا اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بُشّر احدهم
بها اشتدّ غمّه به كما قال (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمٰنِ مَثَلًا بالجنس الّذى جعله له مثلا ١٥
اذ الولد لا بدّ ان يماثل الوالد ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا صار وجهه اسود فى الغاية لما يعتريه من الكآبة وَهُوَ كَظِيمٌ
مملوء قلبه من الكرب وفى ذلك دلالات على فساد ما قالوه، وتعريف البنين لما مرّ فى الذكور، وقرئ مُسْوَدٌّ
ومُسْوَادٌّ على انّ فى ظلّ ضمير المبشّر ووجهه مسودّ جملة وقعت خبرا (١٧) أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِى ٱلْحِلْيَةِ اى
اوجعلوا له او اتّخذ من يتربّى فى الزينة يعنى البنات وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ اى المجادلة غَيْرُ مُبِينٍ مقرّر لما يدّعيه
من نقصان العقل وضعف الرأى ويجوز ان يكون مَنْ مبتدأ محذوف الخبر اى اومن هذا حاله ولده، ٢٠
وفى الخصام متعلّق بمبين واضافة غير اليه لا تمنعه لما عرفت، وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص يُنَشَّأُ اى يُربّى
وقرئ يُنْشَأُ ويُنَاشَأُ بمعناه ونظير ذلك أعلاه وعلّاه وعالاه بمعنى (١٨) وَجَعَلُوا ٱلْمَلَائِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَادُ ٱلرَّحْمٰنِ إِنَاثًا
كفر آخر تضمّنه مقالهم شنّع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على اللّه انقصهم رأيا
واخسّهم صنفا وقرئ عَبِيدُ وقرأ الحجازيّان والبصريّان عِنْدَ على تمثيل زلفاهم وقرئ أُنُثًا وهو جمع
الجمع أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ أحضروا خلق اللّه ايّاهم فشاهدوهم اناثا فانّ ذلك ممّا يُعلم بالمشاهدة وهو ٢٥
تجهيل وتهكّم بهم وقرأ نافع أأُشْهِدُوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآأُشْهِدُوا بمدّة
بينهما سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ الّتى شهدوا بها على الملائكة وَيُسْأَلُونَ اى عنها يوم القيامة وهو وعيد شديد

وقرئ سيُكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهى ان لله جزءا وان له بنات وهنّ الملائكة جزء ٢٥
ويُسأَلون من المساءلة (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ اى لو شاء عدم عبادة الملائكة ما ركوع ١
عبدناهم فاستدلّوا بنفى مشيئة عدم العبادة على امتناع النهى عنها او على حسنها وذلك باطل لانّ
المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان او منهيّا حسنا او غيره ولذلك جهّلهم فقال
مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ يتمحّلون تمحّلا باطلا ويجوز ان تكون الاشارة الى
اصل الدعوى كانّه لمّا ابدى وجوه فسادها وحكى شبههم المزيّفة نفى ان يكون لهم بها علم من
طريق العقل ثمّ اضرب عنه الى انكارِ ان يكون لهم سَنَد من جهة النقل فقال (٢٠) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ
قَبْلِهِ من قبل القران او ادّعائهم ينطق على صحّة ما قالوه فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ بذلك الكتاب (٢١) بَلْ قَالُوا
إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ لا حجّة لهم على ذلك عقليّة ولا نقليّة وانّما جنحوا
فيه الى تقليد آبائهم الجهلة، والأُمّة الطريقة التى تؤمّ كالرُّحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهى الحالة
التى يكون عليها الآمّ اى القاصد ومنها الدين (٢٢) وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا
قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ تسلية لرسول الله صلعم ودلالة على ان
التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم وانّ مقدّميهم ايضا لم يكن لهم سَنَد منظور اليه وتخصيص المترفين
اشعار بانّ التنعّم وحبّ البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد (٢٣) قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ
عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ اى اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امرٍ ماضٍ
أُوحى الى النذير او خطاب لرسول الله صلعم ويؤيّد الاوّل انّه قرأ ابن عامر وحفص قَالَ وقوله قَالُوا إِنَّا
بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ اى وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا ويتفكّروا فيه (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ
بالاستيصال فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ولا تكترث بتكذيبهم (٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ واذكر وقت ركوع ٩
قوله هذا ليروا كيف تبرّأ عن التقليد وتمسّك بالدليل او ليقلّدوه إن لم يكن لهم بدّ من التقليد فانّه
اشرف آبائهم لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ برىء من عبادتكم او معبودكم مصدر نُعت به ولذلك
استوى فيه الواحد والمتعدّد والمذكّر والمؤنّث وقرئ بَرِيءٌ وبُرَآءُ ككريم وكُرام (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي
استثناء منقطع او متّصل على انّ مَا تعمّ أُولى العلم وغيرهم وانّهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على
انّ مَا موصوفة اى انّنى براء من آلهة تعبدونها غيرِ الذى فطرنى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ سيثبّتنى على الهداية او
سيهدينى الى ما وراء ما هدانى اليه (٢٧) وَجَعَلَهَا وجعل ابرهيم عم او الله تعالى كلمة التوحيد كَلِمَةً
بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ فى ذرّيّته فيكون فيهم ابدا من يوحّد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كَلْمَةً وفى
عَقْبِهِ على التخفيف وفى عَاقِبِهِ اى فيمن عقبه لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ يرجع مَنْ أشرك منهم بدعاء من وحّد

جزء ٢٥ ركوع ٩ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ هؤلاء المعاصرين للرسول صلعم من قريش وآباءهم بالمدّ فى العمر والنعمة فاغترّوا بذلك وانهمكوا فى الشهوات وقرئ مَتَّعْتَ بالفتح على انّه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية مبالغةً فى تعييرهم حَتَّىٰ جَاءَهُمُ ٱلْحَقُّ دعوة التوحيد او القران وَرَسُولٌ مُبِينٌ ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج والآيات (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ ٱلْحَقُّ لينبّههم عن غفلتهم قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ زادوا شرارةً فضمّوا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسمّوا القران سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول (٣٠) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا ٱلْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ من احدى القريتين مكّة والطائف عَظِيمٍ بالجاه والمال كالوليد بن المُغيرة وعُروة بن مسعود الثقفى فانّ الرسالة منصب عظيم لا يليق الّا بعظيم ولم يعلموا انّها رتبة روحانيّة تستدعى عظمَ النفس بالتحلّى بالفضائل والكمالات القدسيّة لا التزخرف بالزخارف الدنيويّة (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكّمهم والمراد بالرحمة النبوّة نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وهم عاجزون عن تدبيرها وهى خُوَيْصّة امرهم فى دنياهم فمن اين لهم ان يدبّروا امر النبوّة الّتى هى اعلى المراتب الانسيّة ، واطلاق المعيشة يقتضى ان يكون حلالها وحرامها من اللّه تعالى وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ وأوقعنا بينهم التفاوت فى الرزق وغيره لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ليستعمل بعضهم بعضا فى حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضامّ ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال فى الموسع ولا لنقص فى المُقتر ثمّ انّهم لا اعتراض لهم علينا فى ذلك ولا تصرّف فكيف فيما هو اعلى منه وَرَحْمَتُ رَبِّكَ هذه يعنى النبوّة وما يتبعها خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ من حُطام الدنيا والعظيم من رُزق منها لا منه (٣٢) وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لولا ان يرغبوا فى الكفر اذا رأوا الكفّار فى سعة وتنعّم لحبّهم الدنيا فيجتمعوا عليه لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ مصاعد جمع مَعْرَج وقرئ مَعَارِيجَ جمع مِعْرَاج عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ يعلون السطوح لحقارة الدنيا ، ولبيوتهم بدل من لِمَنْ بدل الاشتمال او علّة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو سَقْفًا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سُقْفًا بالتخفيف وسُقُوفًا وسَقَفًا وهى لغة فى سَقْف (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ اى ابوابا وسررا من فضّة (٣٤) وَزُخْرُفًا وزينةً عطف على سقفا او ذهبا عطف على محلّ من فضّة وَإِنْ كُلُّ ذٰلِكَ لَمَا مَتَاعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا إِنْ هى المخفّفة واللام هى الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لَمَّا بالتشديد بمعنى الّا وإِنْ نافية وقرئ به مع إِنْ ومَا وَٱلْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ الكفرَ والمعاصىَ وفيه دلالةٌ على انّ العظيم هو العظيم فى الآخرة لا فى الدنيا واشعارٌ بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتّى يجتمع الناس على الايمان وهو انّه تمتّع قليلٌ بالاضافة الى ما لهم فى الآخرة مُخلّ به فى الاغلب لما فيه من

جزء ٢٥ ركوع ١٠

الآفات قلّ من يتخلّص عنها كما اشار اليه بقوله (٣٥) وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ ٱلرَّحْمٰنِ يتعامَ ويُعْرِض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه فى الشهوات وقرئ يَعْشَ بالفتح اى يَعْمَ يقال عَشِيَ اذا كان فى بصره آفة وعَشا اذا تعشّى بلا آفة كعَرِجَ وعَرَجَ وقرئ يَعْشُو على انّ مَنْ موصولة نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ يوسوسه ويُغْويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغى ان يرفعه (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ عن الطريق الّذى من حقّه ان يُسْبَلَ ، وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشى والشيطان المقيّض له وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ الضمائر الثلاثة الاوّل له والباقيان للشيطان (٣٧) حَتَّىٰ إِذَا جَآءَنَا اى العاشى وقرأ الحجازيّان وابن عامر وابو بكر جَآءَانَا اى العاشى والشيطان قَالَ اى العاشى للشيطان يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ بُعْد المشرق من المغرب فغلّب المشرق وثنّى وأُضيف البعد اليهما فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ انت (٣٨) وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ اى ما انتم عليه من التمنّى إِذْ ظَلَمْتُمْ اذ صحّ انّكم ظلمتم انفسكم فى الدنيا بدلٌ من اليوم أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ لانّ حقّكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى امرٍ صعبٍ معاونتهم فى تحمّل اعبائه وتقسّمهم لمكابدة عنائه اذ لكلّ منكم ما لا تسعه طاقته وقرئ إِنَّكُمْ بالكسر وهو يقوّى الاوّل (٣٩) أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ انكارُ تعجيب من أن يكون هو الّذى يقدر على هدايتهم بعد تمرّنهم على الكفر واستغراقهم فى الضلال بحيث صار عشاهم عَمًى مقرونا بالصمم كان رسول اللّه صلعم يَتْعب نفسه فى دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيّا فنزلت وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بانّ الموجب لذلك تمكّنهم فى ضلال لا يخفى (٤٠) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ اى فانْ قبضناك قبل ان نبصّرك عذابهم وما مزيدة مؤكّدة بمنزلة لام القسم فى استجلاب النون المؤكّدة فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ بعذاب فى الدنيا والآخرة (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدْنَاهُمْ او ان اردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ لا يفوتوننا (٤٢) فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ من الآيات والشرائع وقرئ أَوْحَى على البناء للفاعل وهو اللّه تعالى إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لا عِوَج له (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ لَشرفٌ لك وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ اى عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقّه (٤٤) وَٱسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا اى واسأل اممهم وعلماء دينهم أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ ٱلرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملّة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انّه ليس ببِدْعٍ ابتدعه فيكذّب ويعادى له فانّه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة

(٤٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ يريد باقتصاصه تسلية ركوع ١١

جزء ۲۵ ركوع ۱۱

الرسول ومناقضة قولهم لولا نُزّل هذا القران على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عم الى التوحيد (۴۶) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ فاجأوا وقت ضحكهم منها اى استهزءوا بها اوّل ما رأوها ولم يتأمّلوا فيها (۴۷) وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا الّا وهى بالغةٌ اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انّها اكبر ممّا يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكلّ بالكِبَر كقولك رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله

من تلْقَ منهم تقلْ لاقيتُ سيّدهم   مثل النجوم الّتى يَسْرِى بها السارى

او الّا وهى مختصّة بنوع من الاعجاز مفضّلة على غيرها بذلك الاعتبار وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ كالسنين والطوفان والجراد لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ على وجه يُرْجى رجوعهم (۴۸) وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ نادوه بذلك فى تلك الحال لشدّة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانّهم كانوا يسمّون العالم الباهر ساحرا ، وقرأ ابن عامر بضمّ الهاء ادْعُ لَنَا رَبَّكَ فيكشف عنّا العذاب بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ بعهده عندك من النبوّة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب عمّن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (۴۹) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فاجأوا نكث عهدهم بالاهتداء (۵۰) وَنَادَى فِرْعَوْنُ بنفسه او بمناديه فِي قَوْمِهِ فى مجمعهم او فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ انهار النيل ومعظمها اربعة أنْهُر نهر المَلِك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنّيس تَجْرِي مِنْ تَحْتِي تحت قصرى او امرى او بين يدىّ فى جنانى ، والواو امّا عاطفة لهذه الانهار على الملك وتجرى حال منها او واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجرى خبرها أَفَلَا تُبْصِرُونَ ذلك (۵۱) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مع هذه المملكة والبسطة مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ضعيف حقير لا يستعدّ للرئاسة من المهانة وهى القلّة (۵۲) وَلَا يَكَادُ يُبِينُ الكلام لما به من الرُّتّة فكيف يصلح للرسالة ، وأمْ امّا منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدّم من اسباب فضله او متّصلة على اقامة المسبّب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون انّى خير منه (۵۳) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ اى فهلّا القى اليه مقاليدُ المُلْك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سوّدوا رجلا سوّروه وطوّقوه بطوق من ذهب ، وأساورة جمع أُسْوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص أَسْوِرَةٌ وهى جمع سِوار وقرئ أَسَاوِرُ جمع أَسْوِرة وأَلْقَى عَلَيْهِ أَسْوِرَةً وأَسَاوِرَ على البناء للفاعل وهو اللّه تعالى أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ مقرونين يعينونه او يصدّقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن (۵۴) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فطلب منهم الخفّة فى مطاوعته او فاستخفّ احلامهم فَأَطَاعُوهُ فيما امرهم به إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق (۵۵) فَلَمَّا آسَفُونَا

جزء ٢٥ اغضبونا بالافراط فى العناد والعصيان منقول من أَسِفَ اذا اشتدّ غضبه ٱنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ فى اليمّ (٥٦) ركوع ١١ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا قدوة لمن بعدهم من الكفّار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم مصدرٌ نعت به او جمعُ سالف كخَدَم وخادم وقرأ حمزة والكسائىّ بضمّ السين واللام جمع سليف كرُغُف او سالف كصُبُر جمع صابر او سَلَف كخُشُب وقرئ سُلَفًا بابدال ضمّة اللام فتحة او على انّه جمعُ سُلْفة اى ثُلّة سَلَفَتْ وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ وعظةً لهم او قصّة عجيبة تسير مسيرَ الامثال لهم فيقال مَثَلُكم مَثَلُ قوم فرعون (٥٧) ركوع ١٢ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا اى ضربه ابن الزِبَعْرَى لمّا جادل رسولَ اللّه صلعم فى قوله انّكم وما تعبدون من دون اللّه حَصَبُ جهنّم او غيرُه بأن قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انّه ابن اللّه والملائكة اولى بذلك او على قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا او انّ محمّدا يريد ان نعبده كما عُبِدَ المسيح إِذَا قَوْمُكَ قريش مِنْهُ من هذا المَثَل يَصِدُّونَ يضجّون فرحا لظنّهم انّ الرسول صار مُلْزَمًا به وقرأ نافع وابن عامر والكسائىّ بالضمّ من الصدود اى يَصُدّون عن الحقّ ويُعْرِضون عنه وقيل هما لغتان نحو يَعْكِف ويَعْكُف (٥٨) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ اى أآلهتنا خير عندك ام عيسى فإنْ يكن فى النار فلتكن آلهتنا معه او آلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يُعْبَد ويكون ابن اللّه كانت آلهتنا اولى بذلك او آلهتنا خير ام محمّد فنعبدَه ونَدَعَ آلهتنا وقرأ الكوفيّون ءَآلِهَتُنَا بتحقيق الهمزتين والف بعدهما مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ما ضربوا هذا المَثَل الّا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحقّ من الباطل بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ شِدادُ الخصومة حِراصٌ على اللجاج (٥٩) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بالنبوّة وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ امرا عجيبا كالمثل السائر لبنى اسرائيل وهو كالجواب المُزِيح لتلك الشبهة (٦٠) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ لولّدنا منكم يا رجال كما ولّدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ملائكة يخلفونكم فى الارض والمعنى انّ حال عيسى وان كانت عجيبة فاللّه تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وانّ الملائكة مثلكم من حيث انّها ذوات ممكنة يُحْتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهيّة والانتساب اليه سبحانه وتعالى (٦١) وَإِنَّهُ وانّ عيسى لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ لانّ حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يُعْلَم به دنوّها او لانّ احياءه الموتى يدلّ على قدرة اللّه تعالى عليه وقرئ لَعَلَمٌ اى علامة ولَذِكْرٌ على تسمية ما يُذْكَر به ذكرا وفى الحديث ينزل عيسى عم على ثنيّة بالارض المقدّسة يقال لها أَفِيق وبيده حَرْبَةٌ يقتل بها الدجّال فيأتى بيتَ المقدس والناسُ فى صلوة الصبح فيتأخّر الامام فيقدّمه عيسى ويصلّى خلفه على شريعة محمّد صلعم ثمّ يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرّب البيع والكنائس ويقتل النصارى الّا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فانّ فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا فلا تشكّنّ فيها وَٱتَّبِعُونِ واتّبعوا هداى وشرعى او رسولى وقيل هو قول الرسول أُمِر ان

جزء ٢٥ يقوله هٰذَا ٱلَّذِى ادعوكم اليه صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ لا يضلّ سالكه (٦٢) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ عن المتابعة
ركوع ١٢ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ثابتٌ عداوته بأن اخرجكم عن الجنّة وعرّضكم للبليّة (٦٣) وَلَمَّا جَآءَ عِيسَى بِٱلْبَيِّنَاتِ
بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِٱلْحِكْمَةِ بالانجيل او بالشريعة
وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلّق بامر الدنيا فانّ
الانبياء لم يُبْعَثوا لبيانه ولذلك قال عم انتم اعلم بامور دنياكم فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ فيما ابلّغه عنه
(٦٤) إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبّد بالشرائع
هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ الاشارة الى مجموع الامرين ، وهو تتمّة كلام عيسى عم او استيناف من اللّه تعالى
يدلّ على ما هو المقتضى للطاعة فى ذلك (٦٥) فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ الفرق المتحزّبة مِنْ بَيْنِهِمْ من بين النصارى
او اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا من المتحزّبين مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ
هو القيامة (٦٦) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ الضمير لقريش او للذين ظلموا أَنْ تَأْتِيَهُمْ بدل من الساعة
والمعنى هل ينظرون الّا اتيان الساعة بَغْتَةً فجأة وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا
وانكارهم لها (٦٧) ٱلْأَخِلَّآءُ الاحبّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ اى يتعادون يومئذ لانقطاع العُلَق لظهور
ما كانوا يتخالّون له سببا للعذاب إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ فانّ خُلّتهم لمّا كانت فى اللّه تبقى نافعة ابد الآباد
ركوع ١٣ (٦٨) يَا عِبَادِى لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ حكاية لما ينادى به المتّقون المتحابّون فى اللّه
يومئذ (٦٩) ٱلَّذِينَ آمَنُوا صفة للمنادى بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ حال من الواو اى الّذين آمنوا مخلصين
غير انّ هذه العبارة آكد وابلغ (٧٠) ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ نساؤكم المؤمنات تُحْبَرُونَ تُسَرّون
سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم او تزيّنون من الحَبْر وهو حسن الهيئة او تُكرمون
اكراما يبالَغ فيه والحَبْرة المبالغة فيما وُصف بجميل (٧١) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
الصحاف جمعُ صحفة والاكواب جمعُ كُوب وهو كوز لا عُروة له وَفِيهَا فى الجنّة مَا تَشْتَهِى ٱلْأَنْفُسُ
وقرأ نافع وابن عامر وحفص تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنْفُسُ على الاصل وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص
مَا يُعدّ من الزوائد فى التنعّم والتلذّذ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ فانّ كلّ نعيم زائل موجبٌ لكلفة الحفظ
من خوف الزوال ومستعقبٌ للتحسّر فى ثانى الحال (٧٢) وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
وقرئ وُرِّثْتُمُوهَا شبّه جزاء العمل بالميراث لانّه يخلفه عليه العامل ، وتلك اشارة الى الجنّة المذكورة وقعت
مبتدأ والجنّة خبرها والّتى اورثتموها صفتها او الجنّة صفة تلك والّتى خبرها او صفة الجنّة والخبر
بما كنتم تعملون وعليه تتعلّق الباء بمحذوف لا باورثتموها (٧٣) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا

تَأْكُلُونَ بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعلّ تفصيل التنعّم بالمطاعم والملابس وتكريره فى القران جزء ۲۵
وهو حقير بالاضافة الى سائر نعيم الجنّة لما كان بهم من الشدّة والفاقة (۷۴) إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ الكاملين فى ركوع ۱۳
الاجرام وهم الكفّار لانّه جُعل قسيمَ المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخصّ الكفّار فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ
خبران او خالدون خبر والظرف متعلّق به (۷۵) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ لا يخفّف عنهم من فترت عنه الحمّى
۵ اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وَهُمْ فِيهِ فى العذاب مُبْلِسُونَ آيسون من النجاة (۷۶) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ
وَلٰكِنْ كَانُوا هُمُ ٱلظَّالِمِينَ مرّ مثله غير مرّة وهم فصل (۷۷) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ وقرئ يا مالِ على الترخيم
مكسورا ومضموما ولعلّه اشعار بانّهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا
لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ والمعنى سل ربّنا ان يقضى علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافى ابلاسهم فانّه
جُؤار وتمنٍّ للموت من فرط الشدّة قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ لا خلاص لكم بموت ولا غيره (۷۸) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ
۱۰ بِٱلْحَقِّ بالارسال والانزال ، وهو تتمّة الجواب ان كان فى قال ضمير اللّه والّا فجواب منه وكانّه تعالى تولّى
جوابهم بعد جواب مالك وَلٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ لما فى اتّباعه من اتعاب النفس وادآب
الجوارح (۷۹) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فى تكذيب الحقّ وردّه ولم يقتصروا على كراهته فَإِنَّا مُبْرِمُونَ امرا فى مجازاتهم
والعدول من الخطاب للاشعار بانّ ذلك اسوأ من كراهتهم او ام احكم المشركون امرا من كيدهم
بالرسول فانّا مبرمون كيدنا بهم ويؤيّده قوله (۸۰) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ حديث انفسهم بذلك
۱۵ وَنَجْوَاهُمْ وتناجيهم بَلَى نسمعهما وَرُسُلُنَا والحفظة مع ذلك لَدَيْهِمْ ملازمهم يَكْتُبُونَ ذلك (۸۱) قُلْ إِنْ كَانَ
لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْعَابِدِينَ منكم فانّ النبىّ صلعم يكون اعلم باللّه وبما يصحّ له وبما لا يصحّ
وأولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحّة كينونة الولد
وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة
الّا اللّه لفسدتا غير انّ لَوْ ثَمّ مشعرة بانتفاء الطرفين وإنْ ههنا لا تشعر به ولا بنقيضه فانّها لمجرّد الشريطة
۲۰ بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدالّ على انتفاء ملزومه والدلالة على انّ انكاره الولد ليس لعناد ومراء
بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد فى زعمكم فانا اوّل العابدين للّه
الموحّدين له او الآنفين منه او من أن يكون له ولد من عَبِدَ يَعْبَدُ اذا اشتدّ أنفه او ما كان له
ولد فانا اوّل الموحّدين من اهل مكّة ، وقرأ حمزة والكسائىّ وُلْدٌ بالضمّ وسكون اللام (۸۲) سُبْحَانَ رَبِّ
ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ عن كونه ذا ولد فانّ هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار
۲۵ تبرّأت عمّا يتّصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنّك بمبدعها وخالقها (۸۳) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا
فى باطلهم وَيَلْعَبُوا فى دنياهم حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ اى القيامة وهو دلالة على انّ قولهم
هذا جهل واتّباع هوى وانّهم مطبوع على قلوبهم معذّبون فى الآخرة (۸۴) وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَاءِ إِلٰهٌ وَفِى

*

جزء ٢٥ ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ مستحق لأن يُعْبَد فيهما والظرف متعلّق به لانّه بمعنى المعبود او مضمّن معناه كقولك هو
ركوع ١٣ حاتم فى البلد وكذا فيمن قرأ ٱللّٰهُ والراجع مبتدأ محذوفٌ لطول الصلة بمتعلّق الخبر والعطف عليه
ولا يجوز جعلُه خبرَ اله لانّه لا يَبْقَى عائد لكن لو جُعل صلةً وقُدّر لاله مبتدأ محذوف يكون به جملة
مبيّنة للصلة دالّة على انّ كونه فى السماء بمعنى الالوهيّة دون الاستقرار ، وفيه نفى الآلهة السماويّة والارضيّة
واختصاصه باستحقاق الالوهيّة وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ كالدليل عليه (٨٥) وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا كالهواء وَعِنْدَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ العلم بالساعة التى تقوم القيامة فيها وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ
للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ورَوْح بالتاء على الالتفات للتهديد (٨٦) وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ٱلشَّفَاعَةَ كما زعموا انّهم شفعاؤهم عند اللّه إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
بالتوحيد ، والاستثناء متّصل إن اريد بالموصول كلّ ما عُبد من دون اللّه لاندراج الملائكة والمسيح فيه
ومنفصل ان خصّ بالاصنام (٨٧) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ سألت العابدين او المعبودين لَيَقُولُنَّ ٱللّٰهُ
لتعذّر المكابرة فيه من فرط ظهوره فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ يُصْرَفون عن عبادته الى عبادة غيره (٨٨) وَقِيلِهِ وقول
الرسول ونصبُه للعطف على سِرَّهم او على محلّ الساعة او لاضمار فعله اى وقال قيله وجرّه عاصم وحمزة
عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انّه مبتدأ خبره يَا رَبِّ إِنَّ هٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ او معطوف على علم
الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجارّ او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيلُه
يا ربّ قَسَمى وانّ هؤلاء جوابه (٨٩) فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ فأعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم وَقُلْ سَلَامٌ
تسلّمٌ منكم ومتاركةٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انّه
من المأمور بقوله ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الزخرف كان ممّن يقال له يوم القيامة يا عبادى لا
خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ٭

سُورَةُ ٱلدُّخَانِ

مكّيّة الّا قوله انّا كاشفو العذاب قليلا وآيها تسع وخمسون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١٤ (١) حٰمٓ وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ القران ، والواو للعطف ان كان حٰمٓ مُقْسَما به والّا فللقسم والجوابُ قوله
(٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ليلة القدر او البراءة ابْتُدِئَ فيها انزاله او أُنْزِل فيها جملةً الى سماء الدنيا
من اللوح ثمّ انزل على الرسول صلعم نجوما وبركتُها لذلك فانّ نزول القران سبب للمنافع الدينيّة
والدنيويّة او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقَسْم النعمة وفَصْل الاقضية

جزء ٢٥ انّا كُنّا مُنْذِرِينَ استيناف يبيّن المقتضى للانزال وكذلك قوله (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ
ركوع ١٤ فانّ كونها مَفْرَق الامور المُحْكَمة او الملتبسة بالحكمة يستدعى ان ينزل فيها القران الّذى هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفةَ ليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدلّ على انّ الليلة ليلة القدر لانّه صفتها لقوله تعالى تَنزّل الملائكة والروحُ فيها باذن ربّهم من كلّ امر ، وقرئ يُفَرَّق بالتشديد ويَفْرُق كُلَّ اى يفرقه اللّه ونَفْرُق بالنون (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز أن يكون حالا من كلّ او امر او ضميره المستكنّ فى حكيم لانّه موصوف وأن يراد به مقابل النهى وقع مصدرا ليفرق او لفعله مُضمَرا من حيث انّ الفرق به او حالا من احد ضميرىْ انزلناه بمعنى آمِرِين او مأمورا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ بدلٌ من انّا كنّا منذرين اى انزلنا القران لانّ من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الربّ موضعَ الضمير للاشعار بانّ الربوبيّة اقتضت ذلك فانّه اعظم انواع التربية او علّةٌ ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اى يفصّل فيها كلُّ امر او تصدر الاوامرُ من عندنا لانّ من شأننا ان نرسل رحمتنا فانّ فصلَ كلّ امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدورَ الاوامر الالهيّة من باب الرحمة ، وقرئ رحمةٌ على تلك رحمةٌ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيّته فانّها لا تحقّ الّا لمن هذه صفاته (٦) رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا خبر آخر او استيناف وقرأ الكوفيّون بالجرّ بدلا من ربّك إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ اى ان كنتم من اهل الايقان فى العلوم او ان كنتم موقنين فى اقراركم اذا سُئلتم مَنْ خلقها فقلتم اللّه علمتم انّ الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك (٧) لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ اذ لا خالق سواه يُحْيِي وَيُمِيتُ كما تشاهدون رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ وقرئا بالجرّ بدلا من ربّك (٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ردّ لكونهم موقنين (٩) فَارْتَقِبْ فانتظرْ لهم يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يومَ شدّة ومجاعة فانّ الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره او لانّ الهواء يُظْلِم عامَ القحط لقلّة الامطار وكثرة الغبار او لانّ العرب تسمّى الشرّ الغالب دخانا وقد قحطوا حتّى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسنادُ الاتيان الى السماء لانّ ذلك يكفّه عن الامطار او يومَ ظهور الدخان المعدود فى أشراط الساعة لما رُوى انّه عم لمّا قال اوّلُ الآيات الدخانُ ونزولُ عيسى عم ونارٌ تخرج من قعر عَدَنِ أَبْيَنَ تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول اللّه الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة أمّا المؤمن فيصيبه كهيئة الزُكام وأمّا الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودُبره او يومَ القيامة والدخانُ يحتمل المعنيين (١٠) يَغْشَى النَّاسَ يحيط بهم صفةٌ للدخان وقوله هٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ مقدّر بقول وقع حالا وانّا مؤمنون وَعْد بالايمان ان كشف العذاب عنهم (١٢) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى من اين لهم وكيف يتذكّرون بهذه الحالة وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ بيّن لهم ما هو اعظم منها فى ايجاب الادّكار

من الآيات والمعجزات (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ قال بعضهم يعلّمه غلامٌ اعجميٌّ لبعض ثقيف جزء ٢٥
وقال آخرون انّه مجنون (١٤) إِنَّا كَاشِفُو ٱلْعَذَابِ بدعاء النبيّ فانّه دعا فرُفع القحط قَلِيلًا كشفا قليلا ركوع ١٤
او زمانا قليلا وهو ما بقى من اعمارهم إِنَّكُمْ عَائِدُونَ الى الكفر غبَّ الكشف ، ومن فسّر الدخان بما هو
من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوّث الكفّار بالدعاء فيكشفه اللّه عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه
عنهم يرتدّون ومن فسّره بما فى القيامة أوّله بالشرط والتقدير (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَى
يوم القيامة او يوم بدر ظرفٌ لفعلٍ دلّ عليه إِنَّا مُنْتَقِمُونَ لا لمنتقمون فانّ إِنَّ تحجزه عنه او بدل
من يوم تأتى وقرئ نُبْطِشُ اى نجعل البطشةَ الكبرى باطشة لهم او نحمل الملائكة على بطشهم
وهو التناول بصَوْلة (١٦) وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ امتحنّاهم بارسال موسى اليهم او اوقعناهم فى
الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد او لكثرة القوم وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ
على اللّه او على المؤمنين او فى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ ٱللّٰهِ بأن ادّوهم
الىّ وارسلوهم معى او بأن ادّوا الىّ حقّ اللّه من الايمان وقبول الدعوة يا عباد اللّه ويجوز ان يكون
أَنْ مخفّفة ومفسّرة لانّ مجىء الرسول يكون برسالة ودعوة إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ غير متّهم لدلالة المعجزات
على صدقه او لائتمان اللّه ايّاه على وحيه وهو علّة الامر (١٨) وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى ٱللّٰهِ ولا تتكبّروا عليه
بالاستهانة بوحيه ورسوله ، وأَنْ كالأُولى فى وجهيها إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ علّة النهى ، ولذكر الامين
مع الاداء والسلطان مع العلاء شأنٌ لا يخفى (١٩) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ التجأت اليه وتوكّلت عليه
أَنْ تَرْجُمُونِ ان تؤذونى ضربا او شتما او ان تقتلونى ، وقرئ عُذتُّ بالادغام (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَٱعْتَزِلُونِ
فكونوا بمعزل منّى لا علىّ ولا لى ولا تتعرّضوا لى بسوء فانّه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم
(٢١) فَدَعَا رَبَّهُ بعد ما كذّبوه أَنَّ هٰؤُلَاءِ بأنّ هؤلاء قَوْمٌ مُجْرِمُونَ وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما
استوجبوه به ولذلك سمّاه دعاء ، وقرئ بالكسر على اضمار القول (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا اى فقال اسر
او قال ان كان الامر كذلك فاسر وقرأ نافع وابو عمرو وابن كثير بوصل الهمزة من سرى إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ
يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم (٢٣) وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا مفتوحا ذا فجوة واسعة او
ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغيّر منه شيئا ليدخله القبط إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ
وقرئ بالفتح بمعنى لأنّهم (٢٤) كَمْ تَرَكُوا كثيرا تركوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ
محافل مزيّنة ومنازل حسنة (٢٦) وَنَعْمَةٍ وتنعّم كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ متنعّمين وقرئ فَكِهِينَ (٢٧) كَذٰلِكَ
مثلَ ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامرُ كذلك وَأَوْرَثْنَاهَا عطف على الفعل المقدّر او على تركوا

قَوْمًا آخَرِينَ ليسوا منهم فى شىء وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانّهم لم يعودوا الى مصر (٢٨) فَمَا بَكَتْ جزء ٢٥
عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم ركوع ١٤
السماء والارض وكسفت لمهلكهم الشمس فى نقيض ذلك ومنه ما روى فى الأخبار انّ المؤمن ليبكى عليه
مصلّاه ومحلّ عبادته ومَصْعَدُ عمله ومَهْبَطُ رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض
وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ممهلين الى وقت آخر (٢٩) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ من استعباد ركوع ١٥
فرعون وقتله ابناءهم (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ بدلٌ من العذاب على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه فى
التعذيب او حالٌ من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ مَنْ فِرْعَوْنُ على الاستفهام تنكيرا له لنُكْرِ
ما كان عليه من الشيطنة إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا متكبّرا مِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ فى العُتُوّ والشرارة وهو خبرٌ ثانٍ اى
كان متكبّرا مسرفا او حالٌ من الضمير فى عاليا اى كان رفيع الطبقة من بينهم (٣١) وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَاهُمْ
اخترنا بنى اسرائيل عَلَى عِلْمٍ عالمين بانّهم احقّاء بذلك او مع علم منّا بانّهم يزيغون فى بعض الاحوال
عَلَى ٱلْعَالَمِينَ لكثرة الانبياء فيهم او على عالَمِى زمانهم (٣٢) وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ ٱلْآيَاتِ كفلق البحر وتظليل
الغمام وانزال المنّ والسلوى مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ نعمة جليّة او اختبار ظاهر (٣٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ يعنى كفّار
قريش لانّ الكلام فيهم وقصّة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انّهم مثلهم فى الاصرار على الضلالة
والانذار عن مثل ما حلّ بهم لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَى ما العاقبة ونهاية الامر الّا الموتة الاولى
المزيلة للحيوة الدنيويّة ولا قصْدَ فيه الى اثبات ثانية كما فى قولك حَجَّ زيدٌ الحَجّةَ الاولى ومات وقيل
لمّا قيل لهم انّكم تموتون موتةً يعقبها حيوةٌ كما تقدّم منكم موتة كذلك قالوا ان هى الّا موتتنا
الاولى اى ما الموتة الّتى مِنْ شأنها كذلك الّا الموتة الاولى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ بمبعوثين (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا
خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى وعدكم ليدلّ عليه (٣٦) أَهُمْ خَيْرٌ
فى القوّة والمنعة أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ تبع الحِمْيَرِىّ الّذى سار بالجيوش وحَيَّرَ الحِيرَةَ وبنى سمرقند وقيل هدمها
وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمّهم دونه وعنه عم ما ادرى اكان تبّع نبيّا او غير نبىّ وقيل
لملوك اليمن التبابعة لانّهم يُتْبَعون كما قيل لهم الأقيال لانّهم يتقيّلون (٣٧) وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كعاد
وثمود أَهْلَكْنَاهُمْ استيناف بمآل قوم تبّع والّذين من قبلهم هدّد به كفّار قريش او حال باضمار قَدْ او
خبر من الموصول ان استونف به إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ بيان للجامع المقتضى للاهلاك (٣٨) وَمَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا وما بين الجنسين وقرئ وَمَا بَيْنَهُنَّ لَاعِبِينَ لاهين وهو دليل على صحّة الحشر
كما مرّ فى الانبياء وغيرها (٣٩) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ الّا بسبب الحقّ الّذى اقتضاه الدليل من
الايمان والطاعة او البعث والجزاء وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لقلّة نظرهم (٤٠) إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ فصل الحقّ

جزء ٢٥ عن الباطل والمُحِقّ عن المُبْطِل بالجزاء او فصلِ الرجل عن اقاربه واحبّائه مِيقَاتُهُمْ وقت موعدهم ركوع ١٥ أَجْمَعِينَ وقرئ مِيقاتَهُمْ بالنصب على انّه الاسم اى انّ ميعاد جزائهم فى يوم الفصل (٤١) يَوْمَ لَا يُغْنِي بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دلّ عليه الفصل لا له للفصل مَوْلًى من قرابة او غيرها عَنْ مَوْلًى اىّ مولى كان شَيْئًا من الاغناء وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ الضمير لمولى الاوّل باعتبار المعنى لانّه عامّ (٤٢) إِلَّا مَنْ رَحِمَ ٱللَّهُ بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحلّه الرفعُ على البدل من الواو او النصبُ على

ركوع ١٦ الاستثناء إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَزِيزُ لا يُنْصَر منه من اراد تعذيبه ٱلرَّحِيمُ لمن اراد ان يرحمه (٤٣) إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ وقرئ بكسر الشين ، ومعنى الزقّوم سبق فى الصافّات (٤٤) طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه (٤٥) كَٱلْمُهْلِ وهو ما يُمْهَل فى النار حتّى يذوب وقيل دُرْدىّ الزيت تَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ وقرأ ابن كثير وحفص ورُوَيْس بالياء على انّ الضمير للطعام او الزقّوم لا للمهل اذ الاظهر انّ الجملة حال من احدهما (٤٦) كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ غليانا مثل غليه (٤٧) خُذُوهُ على ارادة القول والمقولُ له الزبانية فَٱعْتِلُوهُ فجُرّوه والعتلُ الاخذ بمجامع الشىء وجرّه بقهر وقرأ الحجازيّان وابن عامر ويعقوب بالضمّ وهما لغتان إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ وسطه (٤٨) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ كان اصلـه يُصَبّ مِنْ فوق رءوسهم الحميم فقيل يُصبّ من فوق رءوسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثمّ اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد مِنْ للدلالة على انّ المصبوب بعضُ هذا النوع (٤٩) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ اى وقولوا له ذلك استهزاء وتقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائىّ أَنَّكَ بالفتح اى ذق لأنّك او عذابَ أنّك (٥٠) إِنَّ هَٰذَا انّ هذا العذاب مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ تشكّون وتمارون فيه (٥١) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ فى موضع اقامة وقرأ نافع وابن عامر بضمّ الميم أَمِينٍ يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال (٥٢) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ بدل من مقام جىء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يُسْتلذّ به من المآكل والمشارب (٥٣) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ خبر ثانٍ او حال من الضمير فى الجارّ او استيناف ، والسندس ما رقّ من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرّب او مشتقّ من البراقة مُتَقَابِلِينَ فى مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض (٥٤) كَذَٰلِكَ الامرُ كذلك او آتيناهم مثل ذلك وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ قرنّاهم بهنّ ولذلك عُدّى بالباء ، والحوراء البيضاء والعيناء العظيمة العينين ، واختُلف فى انّهنّ نساء الدنيا او غيرها (٥٥) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصّص شىء منها بمكان ولا زمان آمِنِينَ من الضرر (٥٦) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ بل يحيون فيها دائمًا ، والاستثناء منقطع او متّصل والضمير للآخرة والموتُ اوّل احوالها او الجنّة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكانّه فيها او الاستثناء للمبالغة فى تعميم النفى وامتناع الموت فكانّه قال لا يذوقون

فيها الموت الّا اذا امكن ذوق الموتة الاولى فى المستقبل وَوَقَاهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ وقرئ وَوَقَّاهُمْ على المبالغة جزء ٢٥
(٥٧) فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ اى أُعْطُوا كلّ ذلك عطاء وتفضّلا منه وقرئ بالرفع اى ذلك فضلٌ ذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ركوع ١٦
ٱلْعَظِيمُ لانّه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب (٥٨) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ سهّلناه حيث انزلناه بلغتك
وهو فذلكة للسورة لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ لعلّهم يفهمونه فيتذكّرون به ما لم يتذكّروا (٥٩) فَٱرْتَقِبْ
فانتظرْ ما يحلّ بهم إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ منتظرون ما يحلّ بك ٭ عن النبىّ صلعم من قرأ حٰم الدخان ليلةَ
جُمْعة اصبح مغفورا له ٭

سُورَةُ ٱلْجَاثِيَةِ

مكّيّة وآيها ستّ وثلثون آيــة

بِسْــــــــــــــــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) حٰمٓ تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ إن جعلتَ حم مبتدأ خبرُه تنزيل الكتاب احتجتَ الى اضمار مثل تنزيلُ حم وإن ركوع ١٧
جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبرُه مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ وقيل حم مقسم به وتنزيل
الكتاب صفته وجواب القسم (٢) إِنَّ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وهو يحتمل ان يكون على
ظاهره وان يكون المعنى انّ فى خلق السموات لقوله (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ولا يحسن
عطف مَا على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فانّ بثّه وتنوّعه واستجماعه لما
به يتمّ معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ محمول على محلّ إنّ واسمها
وقرأ حمزة والكسائىّ ويعقوب بالنصب حملا على الاسم (٤) وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ
مِنْ رِزْقٍ من مطر وسمّاه رزقا لانّه سببه فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا يبسها وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ باختلاف
جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والكسائىّ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ فيه القراءتان ويلزمهما العطف
على عاملَيْن فِي والابتداء او إنّ الّا ان يُضْمَر فِي او يُنْصَب آيات على الاختصاص او يُرْفَع باضمار هِىَ ٭
ولعلّ اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات فى الدقّة والظهور (٥) تِلْكَ آيَاتُ ٱللَّهِ اى تلك الآيات دلائله
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ حال عاملها معنى الاشارة بِٱلْحَقِّ ملتبسين به او ملتبسة به فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ
وَآيَاتِهِ تُؤْمِنُونَ اى بعد آيات الله وتقديمُ اسم الله للمبالغة والتعظيم كما فى قولك اعجبنى زيدٌ وكرمُه
او بعد حديث الله وهو القران كقوله تعالى اللّهُ نزّل احسن الحديث ٭ وآياتُه دلائله المتلوّة او القران
والعطف لتغاير الوصفين ٭ وقرأ الحجازيّان وابو عمرو وحفص وروح يُؤْمِنُونَ ليوافق ما قبله

جزء ٢٥ (٦) وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ كذّاب أَثِيمٍ كثير الآثام (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ ٱللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ يقيم على كفره مُسْتَكْبِرًا
ركوع ١٧ عن الايمان بالآيات، وثُمّ لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله ° يَرَى غَمَرَاتِ الموت ثُمَّ يَزُورُهَا °
كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا اى كانّه فخفّف وحذف ضمير الشأن، والجملة فى موضع الحال اى يصرّ مثل غير السامع
فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ على اصراره، والبشارة على الاصل او التهكّم (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا واذا بلغه شىء
من آياتنا وعلم انّه منها ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا لذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزء، والضمير لآياتنا
وفائدته الاشعار بانّه اذا سمع كلاما وعلم انّه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلّها ولم يقتصر على ما
سمعه او لشىء لانّه بمعنى الآية أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ من قدّامهم لانهم
متوجّهون اليها او من خلفهم لانّه بعد آجالهم وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ ولا يدفع عنهم مَا كَسَبُوا من الاموال
والاولاد شَيْئًا من عذاب الله وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَاءَ اى الاصنام وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ لا يتحمّلونه
(١٠) هَٰذَا هُدًى الاشارة الى القران ويدلّ عليه قوله وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ
ركوع ١٨ وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع أَلِيمٌ، والرجز اشدّ العذاب (١١) ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ بأن
جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ
بتسخيره وانتم راكبوها وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ بالتجارة والغوص والصيد وغيرها وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
هذه النعم (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا بأن خلقها نافعة لكم مِنْهُ حال من ما
اى سخّر هذه الاشياء كائنةً منه او خبر لمحذوف اى هى جميعا منه او لما فى السموات وسخّر لكم
تكرير للتأكيد او لما فى الارض وقرئ مِنَّةً على المفعول له ومَنُّهُ على انّه فاعل سخّر على الاسناد المجازىّ
او خبر محذوف إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فى صنائعه (١٣) قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا حذف المقول
لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يَغْفِرُوا اى يعفوا ويصفحوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لا
يتوقّعون وقائعه بأعدائه من قولهم ايّام العرب لوقائعهم او لا يأملون الاوقات الّتى وقّتها الله لنصر
المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها، والآية نزلت فى عمر رضه شتمه غفارىّ فهمّ ان يبطش به وقيل انّها
منسوخة بآية القتال لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ علّة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون او
كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمّهما، وقرأ ابن
عامر وحمزة والكسائىّ لِنَجْزِيَ بالنون وقرئ لِيُجْزَى قَوْمٌ ولِيُجْزَى قَوْمًا اى ليجزى الخيرُ او الشرُّ او
الجزاء اعنى ما يُجْزَى به لا المصدر فانّ الاسناد اليه سيّما مع المفعول به ضعيف (١٤) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ
وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا اى لها ثواب العمل وعليها عقابه ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ فيجازيكم على اعمالكم
(١٥) وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْكِتَابَ التورية وَٱلْحُكْمَ والحكمة النظريّة والعمليّة او فصل الخصومات

وَٱلنُّبُوَّةَ اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثروا فى غيرهم وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ ممّا احلّ اللّه من اللذائذ جزء ٢٥
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم (١٦) وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ ادلّة فى امر ركوع ١٨
الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من امر النبىّ صلعم مبيّنة لصدقه فَمَا ٱخْتَلَفُوا فى ذلك الامر
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بحقيقة الحال بَغْيًا بَيْنَهُمْ عداوةً وحسدا إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ بالمؤاخذة والمجازاة (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ طريقة مِنَ ٱلْأَمْرِ امر الدين
فَٱتَّبِعْهَا فاتبعْ شريعتك الثابتة بالحجج وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ آراء الجهّال التابعة للشهوات
وهم رؤساء قريش قالوا له ارجعْ الى دين آبائك (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا ممّا اراد بك
وَإِنَّ ٱلظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ اذ الجنسيّة علّة التضامّ فلا توالهم باتّباع اهوائهم وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ
فواله بالتقى واتّباع الشريعة (١٩) هٰذَا اى القران او اتّباع الشريعة بَصَائِرُ لِلنَّاسِ بيّنات تُبصّرهم وجهَ
الفلاح وَهُدًى اى من الضلال وَرَحْمَةٌ ونعمة من اللّه لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ يطلبون اليقين (٢٠) أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ
ٱجْتَرَحُوا ٱلسَّيِّـَٔاتِ ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان ، والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة
أَنْ نَجْعَلَهُمْ ان نصيّرهم كَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ مثلهم وهو ثانى مفعولَى نجعل وقوله
سَوَآءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ بدلٌ منه إن كان الضمير للموصول الاوّل لانّ المماثلة فيه اذ المعنى انكارُ أن
يكون حياتهم ومماتهم سيّين فى البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدلّ عليه قراءة حمزة والكسائىّ
وحفص سَوَآءً بالنصب على البدل او الحال من الضمير فى الكاف او المفعوليّة والكافُ حال وإن كان
للثانى فحالٌ منه او استينافٌ يبيّن المقتضى للانكار وإن كان لهما فبدلٌ او حالٌ من الثانى وضميرِ الاوّل
والمعنى انكارُ أن يستووا بعد الممات فى الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا فى الصحّة والرزق فى الحيوة
او استينافٌ مقرِّر لتساوى محيا كلّ صنف ومماته فى الهدى والضلال وقرئ مَمَاتَهُمْ بالنصب على أنّ
محياهم ومماتهم ظرفان كمقْدَمَ الحاجّ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ساء حكمهم هذا او بئس شيئًا حكموا به ذلك
(٢١) وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ كانّه دليل على الحكم السابق من حيث انّ خلق ذلك ركوع ١٩
بالحقّ المقتضى للعدل يستدعى انتصارَ المظلوم من الظالم والتفاوتَ بين المحسن والمسىء واذا لم يكن
فى المحيا كان بعد الممات وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ عطف على بالحقّ لانّه فى معنى العلّة او على
علّة محذوفة مثل ليدلّ بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بنقص ثواب وتضعيف عقاب
وتسميةُ ذلك ظلما ولو فعله اللّه لم يكن منه ظلما لانّه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار
(٢٢) أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانّه يعبده وقرئ آلِهَةً هَوَاهُ
لانّه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ وخذله عَلَى عِلْمٍ عالما

جزء ٢٥ بضلاله وفساد جوهر روحه وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ فلا يبالى بالمواعظ ولا يتفكّر فى الآيات وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ
ركوع ١٩ غِشَاوَةً فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار ، وقرأ حمزة والكسائىّ غَشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ ٱللّٰهِ من بعد
اضلاله أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وقرئ تَتَذَكَّرُونَ (٢٣) وَقَالُوا مَا هِيَ الحيوة او الحال إِلَّا حَيَوتُنَا ٱلدُّنْيَا الّتى نحن فيها نَمُوتُ وَنَحْيَا اى نكون امواتا نُطَفًا وما قبلها ونحيا بعد ذلك او نموت بأنفسنا ونحيا ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيا بعض او يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انّهم ارادوا به التناسخ فانّه عقيدةُ اكثر عبدة الاوثان وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ الّا مرور الزمان وهو فى الاصل مدّة بقاء العالم من دَهَرَه اذا غلبه وَمَا لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ يعنى نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلّق بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ اذ لا دليل لهم عليه وانّما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسّوا به (٢٤) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبيّنات له مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ ما كان لهم متشبّث يعارضونها به إِلَّا أَنْ قَالُوا ٱئْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وانّما سمّاه حجّة على حسبانهم ومَساقهم او على اسلوب قولهم • تحيّةُ بينهم ضربٌ وجيعٌ • فانّه لا يلزم من عدم حصول الشىء حالا امتناعُه مطلقا (٢٥) قُلِ ٱللّٰهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ على ما دلّ عليه الحجج ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ فانّ من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمةُ اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرّر مرارا والوعدُ المصدَّق بالآيات دلّ على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
ركوع ٢٠ لقلّة تفكّرهم وقصور نظرهم على ما يحسّونه (٢٦) وَلِلّٰهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ تعميم للقدرة بعد تخصيصها وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ اى ويخسر يومَ تقوم ويومئذ بدل منه (٢٧) وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً مجتمعة من الجَثْوة وهى الجماعة او باركة مستوفزة على الرُكَب وقرئ جَاذِيَةً اى جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا صحيفة اعمالها ، وقرأ يعقوب كُلَّ على انّه بدل من الاوّل وتدعى صفة او مفعول ثانٍ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ محمول على القول (٢٨) هٰذَا كِتَابُنَا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانّه امر الكَتَبة ان يكتبوا فيها اعمالهم يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِٱلْحَقِّ يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ نستكتب الملائكة مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اعمالكم (٢٩) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ الّتى من جملتها الجنّة ذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ الظاهر لخلوصه عن الشوائب (٣٠) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ اى فيقال لهم الم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه

اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فَٱسْتَكْبَرْتُمْ عن الايمان بها وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ عادتكم الاجرام جزء ٢٥
(٣١) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ يحتمل الموعود والمصدر حَقٌّ كائن هو او متعلّقه لا محالة وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا ركوع ٢٠
إفراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم إِنّ قُلْتُمْ مَا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ اىّ شىء الساعة استغرابا لها إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا اصله نَظُنُّ ظنّا فأُدخل حرفا النفي والاستثناء لاثبات الظنّ ونفي ما عداه كانّه قال ما نحن الّا نظنّ ظنّا او لنفي ظنّهم فيما سوى ذلك مبالغة ثمّ اكّده بقوله وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ اى لامكانه ولعلّ ذلك قول بعضهم تحيّروا بين ما سمعوا من آبائهم وما تُليت عليهم من الآيات فى امر الساعة (٣٢) وَبَدَا لَهُمْ ظهر لهم سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا على ما كانت عليه بأن عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاؤها وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ وهو الجزاء (٣٣) وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ نترككم فى العذاب ترك ما يُنْسَى كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا كما تركتم عُدّته ولم تبالوا به ، واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه وَمَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ يخلّصونكم منها (٣٤) ذٰلِكُمْ بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ آيَاتِ ٱللَّهِ هُزُوًا استهزأتم بها ولم تتفكّروا فيها وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فحسبتم ان لا حيوة سواها فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وقرأ حمزة والكسائيّ بفتح الياء وضمّ الراء وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ يُطلب منهم ان يُعْتبوا ربّهم اى يُرضوه لفوات اوانه (٣٥) فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ اذ الكلّ نعمة منه دالّ على كمال قدرته (٣٦) وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ اذ ظهر فيها آثارها وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ الّذى لا يُغلب ٱلْحَكِيمُ فيما قدّر وقضى فاحمدوه وكبّروه واطيعوا له ، عن النبىّ صلعم من قرأ حمٓ الجاثية ستر اللّه عورته وسكّن روعته يوم الحساب ٥

سُورَةُ ٱلْأَحْقَافِ

مكّيّة وآيها خمس وثلثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) حمٓ تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ جزء ٢٦
الّا خلقا ملتبسا بالحقّ وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث ركوع ١
للمجازاة على ما قرّرناه مرارا وَأَجَلٍ مُسَمًّى وبتقدير اجلٍ مسمّى ينتهى اليه الكلّ وهو يوم القيامة او كلّ واحد وهو آخر مدّة بقائه المقدّر له وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا من هول ذلك الوقت ويجوز ان

جزء ٢٦ ركوع ١ تكون ما مصدريّة مُعْرِضُونَ لا يتفكّرون فيه ولا يستعدّون لحلوله (٣) قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ اى أَخْبِروا عن حال آلهتكم بعد تأمّل فيها هل يُعْقَل ان يكون لها فى نفسها مدخل فى خلق شىء من اجزاء العالم فتستحقّ به العبادة ، وتخصيصُ الشرك بالسموات احتراز عمّا يُتوهّم انّ للوسائط شركة فى ايجاد الحوادث السفليّة ٱئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هٰذَا من قبل هذا الكتاب يعنى القران فانّه ناطق بالتوحيد أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ او بقيّة من علم بقيت عليكم من علوم الاوّلين هل فيها ما يدلّ على استحقاقهم للعبادة او الامر بها إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى دعواكم وهو الزام بعدم ما يدلّ على الوهيّتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا ، وقرئ إِثَارَةٍ بالكسر اى مناظرة فانّ المناظرة تثير المعانى وَأَثَرَةٍ اى شىء اوثرتم به وأُثْرَةٍ بالحركات الثلاث فى الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرّة من مصدرِ أَثَرَ الحديثَ اذا رواه والمكسورة بمعنى الأَثَرة والمضمومة اسمُ ما يؤثَر (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ انكار ان يكون احد اضلّ من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعى مصالحهم إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ ما دامت الدنيا وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ لانّهم إمّا جمادات وإمّا عباد مسخّرون مشتغلون باحوالهم (٥) وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً يضرّونهم ولا ينفعونهم وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ مكذّبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقولهم واللّٰهِ ربّنا ما كنّا مشركين (٦) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ واضحات او مبيّنات قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لأجله وفى شأنه والمرادُ به الآيات ووضعُه موضعَ ضميرها ووضعُ الّذين كفروا موضعَ ضمير المتلوّ عليهم للتسجيل عليها بالحقّ وعليهم بالكفر والانهماك فى الضلالة لَمَّا جَاءَهُمْ حين جاءهم من غير نظر وتأمّل هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ظاهر بطلانه (٧) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ اضراب عن ذكر تسميتهم ايّاه سحرا الى ذكرِ ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ على الفرض فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللّٰهِ شَيْئًا اى ان عاجلنى اللّٰه بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شىء منها فكيف اجترئ عليه واعرّض نفسى للعقاب من غير توقّع نفع ولا دفع ضرّ من قبلكم هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ تندفعون فيه من القدح فى آياته كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ وعدٌ بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعارٌ بحلم اللّٰه عنهم مع عظم جُرْمهم (٨) قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ ٱلرُّسُلِ بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلّها ونظيره الخِفّ بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انّه كقِيَم او مقدّر بمضاف اى ذا بدع وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ فى

الدارين على التفصيل اذ لا علم لى بالغيب، ولا لتأكيد النفى المشتمل على ما يفعل بى ، وما امّا موصولة جزء ٢٦
منصوبة او استفهاميّة مرفوعة ، وقرئ يَفْعَلُ اى يفعل اللّه إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ لا اتجاوزه وهو ركوع ١
جواب عن اقتراحهم الاخبارَ عمّا لم يوحَ اليه من الغيوب أو استعجالِ المسلمين ان يتخلّصوا عن اذى
المشركين وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ عن عقاب اللّه مُبِينٌ بيّن الانذار بالشواهد المبيّنة والمعجزات المصدّقة (٩) قُلْ
٥ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ اى القران وَكَفَرْتُمْ بِهِ وقد كفرتم به ويجوز ان تكون الواو عاطفة على
الشرط وكذا الواو فى قوله وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الّا انّها تعطفه بما عُطف عليه على جملة ما
قبله ، والشاهد هو عبد اللّه بن سلام وقيل موسى عم وشهادته ما فى التورية من نعت الرسول عم
عَلَى مِثْلِهِ مثل القران وهو ما فى التورية من المعانى المصدّقة للقران المطابقة له او مثل ذلك وهو كونه
من عند اللّه فَآمَنَ اى بالقران لمّا رآه من جنس الوحى مطابقا للحقّ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ عن الايمان
١٠ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ استيناف مُشْعِرٌ بأنّ كفرهم به لضلالهم المسبَّب عن ظلمهم ودليلٌ على
الجواب المحذوف مثل أَلَسْتُمْ ظالمين (١٠) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لاجلهم لَوْ كَانَ اى الايمان او ركوع ٢
ما اتى به محمّد خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وهم سُقّاط اذ عامّتهم فقراء وموالٍ ورُعاة وانّما قاله قريش وقيل
بنو عامر وغَطَفان وأَسَد واشجع لمّا اسلم جُهَيْنة ومُزَيْنة وأَسْلَمُ وغفار او اليهود حين اسلم ابن سلام واصحابه
وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ظرف لمحذوف مثل ظَهَر عنادهم وقوله فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ مسبَّب عنه وهو
١٥ كقولهم اساطير الاوّلين (١١) وَمِنْ قَبْلِهِ ومن قبل القران خبرٌ لقوله كِتَابُ مُوسَى ناصب لقوله إِمَامًا وَرَحْمَةً
على الحال وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لكتاب موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لِسَانًا عَرَبِيًّا حالٌ من ضمير
كتاب فى مصدّق او منه لتخصّصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على انّ
كونه مصدّقا للتورية كما دلّ على انّه حقّ دلّ على انّه وحيٌ وتوقيف من اللّه وقيل مفعولُ مصدّق
اى يصدّق ذا لسان عربىّ باعجازه لِيُنْذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا علّةُ مصدّق وفيه ضمير الكتاب او اللّه او
٢٠ الرسول ويؤيّد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزّى بخلاف عنه ويعقوب بالتاء وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ عطف
على محلّه (١٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا جمعوا بين التوحيد الّذى هو خلاصة العلم
والاستقامة فى الامور الّتى هى منتهى العمل ، وثمّ للدلالة على تأخّر رتبة العمل وتوقّف اعتباره على التوحيد
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من لحوق مكروه وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ على فوات محبوب ، والفاء لتضمّن الاسم معنى الشرط
(١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من اكتساب الفضائل العلميّة
٢٥ والعمليّة ، وخالدين حال من المستكنّ فى اصحاب ، وجزاء مصدر لفعل دلّ عليه الكلام اى جوزوا جزاء

جزء ٢٦ (١٤) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وقرأ الكوفيون إِحْسَانًا وقرئ حَسَنًا اى ايصاء حسنا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ
ركوع ٢ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ذاتَ كره او حملا ذا كره وهو المشقّة وقرأ الحجازيّان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفُقْر والفَقْر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ومُدّة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدلّ عليه قراءة يعقوب وَفَصْلُهُ او وقته والمراد به الرضاع التامّ المنتهى به ولذلك عُبّر به كما يعبّر بالأمد عن المدّة قال

كلُّ حيٍّ مستكمِلٌ عِدّةَ العُمْـــــــرِ ومودٍ اذا انتهى أَمَدُهْ

ثَلٰثُونَ شَهْرًا كلّ ذلك بيان لما تكابده الأمّ فى تربية الولد مبالغةً فى التوصية بها ؛ وفيه دليل على انّ اقلّ مدّة الحمل ستّة اشهر لانّه اذا حُطّ عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتمّ الرضاعة بقى ذلك وبه قال الاطبّاء ولعلّ تخصيص اقلّ الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حَتّٰى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ اذا اكتهل واستحكم قوّته وعقله وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قيل لم يُبْعث نبيّ الّا بعد اربعين قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي ألْهِمْنى وأصله أَوْلِعْنى من اوزعته بكذا أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ يعنى نعمة الدين او ما يعمّهما وغيرها وذلك يؤيّد ما روى انّها نزلت فى ابى بكر رضه لانّه لم يكن احدٌ أَسْلَمَ هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ نكّره للتعظيم او لانّه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضى اللّه تعالى وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِى واجعل لى الصلاح ساريا فى ذرّيّتى راسخا فيهم ونحوه قوله

وإنْ تعتذرْ بالمَحْلِ عن ذى ضُروعها الى الضيف يَجْرحْ فى عراقيبها نَصْلى

إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ عمّا لا ترضاه او يشغل عنك وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ المخلصين لك (١٥) أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ يُتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا يعنى طاعاتهم فانّ المباح حَسَنٌ لا يثاب عليه وَيُتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ لتوبتهم ؛ وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص بالنون فيهما فِى أَصْحَابِ ٱلْجَنَّةِ كائنين فى عدادهم او مثابين او معدودين فيهم وَعْدَ ٱلصِّدْقِ مصدر مؤكّد لنفسه فانّ يتقبّل ويتجاوز وعدٌ ٱلَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ اى فى الدنيا

(١٦) وَٱلَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا مبتدأ خبرُه اولئك والمراد به الجنس وإن صحّ نزولها فى عبد الرحمن ابن ابى بكر قبل اسلامه فانّ خصوص السبب لا يوجب التخصيص ؛ وفى أُفّ قراءات ذُكرت فى بنى اسرائيل أَتَعِدَانِنِى أَنْ أُخْرَجَ أُبْعَث ؛ وقرأ هشام أَتَعِدَانِّى بنون واحدة مشدّدة وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِنْ قَبْلِى فلم يرجع احد منهم وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللّٰهَ يقولان الغياث باللّه منك او يسألانه ان يُغيثه بالتوفيق للايمان وَيْلَكَ آمِنْ اى يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحثّ على ما يخاف على تركه إِنَّ وَعْدَ ٱللّٰهِ

حَقَّ فَيقولُ مَا هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ اباطيلهم التى كتبوها (١٧) أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ جزء ٢٦
بانّهم اهل النار وهو يردّ النزول فى عبد الرحمن لانّه يدلّ على انّه من اهلها لذلك وقد جُبّ عنه ان كان ركوع ٢
لاسلامه فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ كقوله فى اصحاب الجنّة مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ بيان للامم إِنَّهُمْ كَانُوا
خَاسِرِينَ تعليل للحكم على الاستيناف (١٨) وَلِكُلٍّ من الفريقين دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا مراتب من جزاء ما
عملوا من الخير والشرّ او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة فى المثوبة وههنا جاءت على التغليب
وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ جزاءها وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وابن ذكوان بالنون وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
بنقص ثواب وزيادة عقاب (١٩) وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى ٱلنَّارِ يعذّبون بها وقيل تُعرض النار عليهم
فقلب مبالغةً كقولهم عرضت الناقة على الحوض أَذْهَبْتُمْ اى يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن
كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير انّ ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين
محقّقتين طَيِّبَاتِكُمْ لذّاتكم فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا باستيفائها وَٱسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فما بقى لكم منها شىء
فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ الهوان وقد قرئ به بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا
كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة اللّه وقرئ تَفْسِقُونَ بالكسر (٢٠) وَٱذْكُرْ ركوع ٣
أَخَا عَادٍ يعنى هودا إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِٱلْأَحْقَافِ جمع حِقْف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف
الشىء اذا اعوجّ وكانوا يسكنون بين رمال مُشْرِفة على البحر بالشِحْر من اليمن وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ
الرسل مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ قبل هود وبعده ، والجملة حال او اعتراض أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا ٱللّٰهَ اى لا تعبدوا
او بأن لا تعبدوا فانّ النهى عن الشىء انذار عن مضرّته إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ هائل
بسبب شرككم (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا لتصرفنا عَنْ آلِهَتِنَا عن عبادتها فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا من العذاب
على الشرك إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ فى وعدك (٢٢) قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِنْدَ ٱللّٰهِ لا علم لى بوقت عذابكم ولا
مدخل لى فيه فأستعجل به وانّما علمه عند اللّه فيأتيكم به فى وقته المقدّر له وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ
وما على الرسول الّا البلاغ وَلٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ لا تعلمون انّ الرسل بُعثوا مبلّغين منذرين لا
معذّبين مقترحين (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا سحابا عرض فى افق السماء مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ متوجّهة اوديتهم
والاضافة لفظيّة وكذا فى قوله قَالُوا هٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا اى يأتينا بالمطر بَلْ هُوَ اى قال هود بل هو
مَا ٱسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ من العذاب وقرئ قُلْ بَلْ رِيحٌ هى ريح ويجوز ان يكون بدل ما فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ
صفتها وكذا قوله (٢٤) تُدَمِّرُ تهلك كُلَّ شَيْءٍ من نفوسهم واموالهم بِأَمْرِ رَبِّهَا اذ لا توجد نابضة حركة
ولا قابضة سكون الّا بمشيئته ، وفى ذكر الامر والربّ واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا ، وقرئ

جزء ٢٦ يُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ من دَمَّرَ دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء فى ربّها ويحتمل ان يكون
ركوع ٣ استينافا للدلالة على انّ لكلّ ممكن فناء مقضيّا لا يتقدّم ولا يتأخّر وتكون الهاء لكلّ شىء فانّه بمعنى
الاشياء فَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ اى فجاءتهم الريح فدمّرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت
بلادهم لا ترى الّا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائىّ لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ بالياء المضمومة ورفع
المساكن كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ روى انّ هودا عليه السلام لمّا احسّ بالريح اعتزل بالمؤمنين
فى الحظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايّام ثمّ كشفت
عنهم واحتملتهم وقذفتهم فى البحر (٢٥) وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ إِنْ نافية وهى احسن
من مَا ههنا لانّها توجب التكرير لفظا ولذلك قُلِبَتْ الفُها هاءً فى مَهْمَا او شرطيّة محذوفة الجواب
والتقدير ولقد مكّنّاهم فى الّذى او فى شىء ان مكّنّاكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما فى قوله

يرجّى المرء ما إِنْ لا يَراهُ ويَعْرِضُ دون أَدْناهُ الخُطوبُ

والاوّل اظهر واوفق لقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشدّ قوّة وآثارا وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا
وَأَفْئِدَةً ليعرفوا تلك النعم ويستدلّوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا
أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ من الاغناء وهو القليل إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ صلة لما اغنى وهو
ظرف جرى مجرى التعليل من حيث انّ الحكم مرتّب على ما اضيف اليه وكذلك حَيْثُ وَحَاقَ بِهِمْ
ركوع ٤ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ من العذاب (٢٦) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا يا اهل مكّة مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى كحجر ثمود
وقرى قوم لوط وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ بتكريرها لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عن كفرهم (٢٧) فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا
مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً فهلّا منعهم من الهلاك آلهتهم الّذين يتقرّبون بهم الى اللّه حيث قالوا هؤلاء
شفعاؤنا عند اللّه ، واوّل مفعولى اتّخذوا الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل او
عطف بيان او آلهة وقربانا حال او مفعول له على انّه بمعنى التقرّب ، وقرئ قُرُبَانًا بضمّ الراء بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ
غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدّوا بهم امتناعَ الاستمداد بالضالّ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وذلك الاتّخاذ الّذى
هذا اثره صرفهم عن الحقّ وقرئ أَفَكَهُمْ بالتشديد للمبالغة وَآفَكَهُمْ اى جعلهم آفكين وَأَفَكُهُمْ اى
قولهم الآفك اى ذو الافك وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٨) وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ املناهم اليك ، والنفر
دون العشرة وجمعه انفار يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ حال محمولة على المعنى فَلَمَّا حَضَرُوهُ اى القران او الرسول
قَالُوا أَنْصِتُوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه فَلَمَّا قُضِيَ أُتِمَّ وفُرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل
وهو ضمير الرسول عم وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ اى منذرين ايّاهم بما سمعوا روى انّهم وافوا رسولَ اللّه
صلعم بوادى النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ فى تهجّده (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا

جزء ٢٦ ركوع ٤

أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى قيل انما قالوا ذلك لانّهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى عم مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ من العقائد وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ من الشرائع (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ ٱللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ بعض ذنوبكم وهو ما يكون فى خالص حق اللّه فانّ المظالم لا تغفر بالايمان وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ هو معدّ للكفّار ، واحتجّ ابو حنيفة باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انّهم فى توابع التكليف كبنى آدم (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ اذ لا ينجى منه مهرب وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ يمنعونه منه أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه (٣٢) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ ولم يتعب ولم يعجز والمعنى انّ قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الآباد بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَىٰ اى قادر ويدلّ عليه قراءة يعقوب يَقْدِرُ والباء مزيدة لتأكيد النفى فانّه مشتمل على أنّ وما فى حيّزها ولذلك اجاب عنه بقوله بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تقريرا للقدرة على وجه عامّ يكون كالبرهان على المقصود كانّه لمّا صدّر السورة بتحقيق المبدإ اراد ختمها باثبات المعاد (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى ٱلنَّارِ منصوب بقول مضمر مقوله أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ والاشارة الى العذاب قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ بكفركم فى الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم (٣٤) فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ اولو الثبات والجدّ منهم فانّك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولو العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا فى تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمّل مشاقّها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابرٰهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقيل الصابرون على بلاء اللّه كنوح صبر على بلاء اللّه وصبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتّى يغشى عليه وابرٰهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجبّ والسجن وايوب على الضرّ وموسى قال له قومه إنّا لمدركون قال كلّا انّ معى ربّى سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ لكفّار قريش بالعذاب فانّه نازل بهم فى وقته لا محالة كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ (٣٥) لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ استقصروا من هوله مدّة لبثهم فى الدنيا حتّى يحسبونها ساعة بَلَاغٌ هذا الّذى وعظتم به او هذه السورة بلاغ اى كفاية او تبليغ من الرسول عم ويؤيّده انّه قرئ بَلِّغْ وقيل مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض اى لهم وقت يبلغون اليه كانّهم اذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدّة عمرهم وقرئ بالنصب اى بَلِغوا بلاغا فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ

*

جزء ٢٦ ٱلْفَاسِقُونَ الخارجون عن الاتّعاظ او الطاعة ، وقرئ يَهْلِكُ بفتح اللام وكسرها من هلِك وهلَك ونُهْلِكُ
ركوع ٤ بالنون ونصب القوم ، عن النبيّ صلعم من قرأ سورة الاحقاف كُتب له عَشْرُ حسنات بعدد كلّ رملة فى الدنيا ٥

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

وتسمّى سورة القتال وهى مدنيّة وقيل مكّيّة وآيها اربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٥ (١) ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ امتنعوا عن الدخول فى الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه كالمُطْعِمين يوم بدر او شياطينِ قريش او المُصرّين من اهل الكتاب او عامّ فى جميع من كفر وصدّ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ جعل مكارمهم كصلة الرحم وفكّ الاسارى وحفظ الجوار ضالّة اى ضائعة مُحْبَطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضلّ الماء فى اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصدّ عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كلّه (٢) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ يعمّ المهاجرين والانصار والّذين آمنوا من اهل الكتاب وغيرهم وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ تخصيص للمنزّل عليه ممّا يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بانّ الايمان لا يتمّ دونه وانّه الاصل فيه ولذلك اكّده بقوله وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ اعتراضا على طريقة الحصر وقيل حقيّته بكونه ناسخا لا يُنْسَخ ، وقرئ نَزَّلَ على البناء للفاعل وأَنْزَلَ على البناءين ونَزَلَ بالتخفيف كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ سترها بالايمان وعملهم الصالح وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ حالهم فى الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد (٣) ذٰلِكَ اشارة الى ما مرّ من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأٌ خبره بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱتَّبَعُوا ٱلْبَاطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّبَعُوا ٱلْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ بسبب اتّباعِ هؤلاء الباطلَ واتّباعِ هؤلاء الحقَّ وهذا تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك سُمّى تفسيرا كَذٰلِكَ مثلَ ذلك الضرب يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ يبيّن لهم أَمْثَالَهُمْ احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بأن جعل اتّباعَ الباطل مثلا لعمل الكفّار والاضلالَ مثلا لخيبتهم واتّباعَ الحقّ مثلا لعمل المؤمنين وتكفيرَ السيّآت مثلا لفوزهم (٤) فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فى المحاربة فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحُذف الفعل وقُدّم المصدرُ وأُنيب منابه مضافا الى المفعول ضمّا الى التأكيد الاختصارَ ، والتعبيرُ به عن القتل اشعارٌ بانّه ينبغى ان يكون بضرب الرقاب حيث امكن وتصويرٌ له بأشنع صورة حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ

جزء ٢٦ فأسروهم واحفظوهم، والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به (٥) فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً اى فامّا تمنّون
ركوع ٥ منًّا او تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المنّ والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا
فانّ الذكر الحرّ المكلّف اذا أُسر تخيّر الامام بين القتل والمنّ والفداء والاسترقاق منسوخ عند الحنفيّة
او مخصوص بحرب بدر فانّهم قالوا بتعيّن القتل او الاسترقاق، وقرئ فَدًا كعصًا حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا
آلاتها واثقالها الّتى لا تقوم الّا بها كالسلاح والكراع اى تنقضى الحرب ولا يبقى الّا مسلم او مسالم
وقيل آثامها والمعنى حتّى يضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم، وهو غاية للضرب او للشدّ او للمنّ
والفداء او للمجموع بمعنى انّ هذه الاحكام جارية فيهم حتّى لا يكون حرب مع المشركين بزوال
شوكتهم وقيل بنزول عيسى عم ذَلِكَ اى الامر ذلك او افعلوا ذلك وَلَوْ يَشَآءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ لانتقم
منهم بالاستيصال وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ولكن أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن
يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كى
يرتدع بعضهم عن الكفر وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ اى جاهدوا وقرأ البصريّان وحفص قُتِلُوا اى
استشهدوا فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ فلن يضيعها وقرئ يَضِلَّ من ضلّ ويُضَلَّ على البناء للمفعول (٦) سَيَهْدِيهِمْ
الى الثواب او سيثبّت هدايتهم وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٧) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ وقد عرّفها لهم فى الدنيا
حتّى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقّوها به او بيّنها لهم بحيث يعلم كلّ احد منزله ويهتدى اليه
كأنّه كان ساكنه منذ خلق او طيّبها لهم من العَرْف وهو طيب الرائحة او حدّدها لهم بحيث
يكون لكلّ جنّةٌ مفرزة (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ اى تنصروا دينه ورسوله يَنْصُرْكُمْ على
عدوّكم وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ فى القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفّار (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ
فعثورا وانحطاطا ونقيضه لعًا قال الاعشى • فالتعس اولى بها من ان اقول لعا • وانتصابه بفعله الواجب
اضماره سماعا، والجملة خبر الّذين كفروا او مفسّرة لناصبه وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ عطف عليه (١٠) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ القران لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو
تخصيص وتصريح بسببيّة الكفر بالقران للتعس والاضلال فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ كرّره اشعارا بانّه يلزم الكفر
بالقران ولا ينفكّ عنه بحال (١١) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ استأصل عليهم ما اختصّ بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وَلِلْكَافِرِينَ مِنْ وضع الظاهر
موضع المضمر أَمْثَالُهَا امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لانّ التدمير يدلّ عليها او السنّة لقوله
تعالى سنّة اللّه الّتى قد خلت (١٢) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ناصرهم على اعدائهم وَأَنَّ الْكَافِرِينَ
لَا مَوْلَى لَهُمْ فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردّوا الى اللّه مولاهم الحقّ فانّ المولى فيه بمعنى
ركوع ٦ المالك (١٣) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

جزء ۲۶ يَتَمَتَّعُونَ ينتفعون بمتاع الدنيا وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَامُ حرصين غافلين عن العاقبة وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ
ركوع ۶ منزل ومقام (۱۴) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ ٱلَّتِي أَخْرَجَتْكَ على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه ، والاخراج باعتبار التسبّب أَهْلَكْنَاهُمْ بانواع العذاب فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ يدفع عنهم وهو كالحال المحكيّة (۱۵) أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ حجّة من عنده وهو القران او ما يعمّه والحجج العقليّة كالنبىّ صلعم والمؤمنين كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ كالشرك والمعاصى وَٱتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ فى ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجّة (۱۶) مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ اى فيما قصصنا عليك صفتُها العجيبة وقيل مبتدأٌ خبرُه كمن هو خالد فى النار وتقديرُ الكلام أَمَثَلُ اهل الجنّة كمثل من هو خالد او أَمَثَلُ الجنّة كمثل جزاء من هو خالد فعُرّى عن حرف الانكار وحُذف ما حُذف استغناء بجرى مثله تصويرا لمكابرةِ من يسوّى بين المتمسّك بالبيّنة والتابع للهوى بمكابرةِ من سوّى بين الجنّة والنار وهو على الاوّل خبرُ محذوف تقديرُه افمن هو خالد فى هذه الجنّة كمن هو خالد فى النار او بدلٌ من قوله كمن زيّن وما بينهما اعتراض لبيانِ ما يمتاز به من على بيّنة فى الآخرة تقريرا لانكار المساواة فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ استيناف بشرح المثل او حالٌ من العائد المحذوف او خبرٌ لمَثَل ، وآسن من أَسَنَ الماء بالفتح اذا تغيّر طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير أَسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ لم يصر قارصا ولا حازرا وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ لذيذة لا يكون فيها كراهةُ طعم وريح ولا غائلةُ سُكْر وخُمار تأنيثُ لَذّ او مصدرٌ نُعت به باضمار ذات او تجوّز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصبِ على العلّة (۱۷) وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها ، وفى ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة فى الجنّة بانواع ما يُستلذّ منها فى الدنيا بالتجريد عمّا ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ صنفٌ على هذا القياس وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ عطفٌ على الصنف المحذوف او مبتدأٌ خبرُه محذوف اى لهم مغفرة كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا مكانَ تلك الاشربة فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ من فرط الحرارة (۱۸) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ يعنى المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول صلعم ويسمعون كلامه فاذا خرجوا قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ اى لعلماء الصحابة مَاذَا قَالَ آنِفًا ما الّذى قال الساعةَ استهزاء او استعلاما اذ لم يُلقوا له آذانهم تهاونا به ، وآنفا من قولهم أَنِفُ الشىء لما تقدّم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرفٌ بمعنى وقتا مؤتنفا او حالٌ من الضمير فى قال وقرأ ابن كثير أَنِفًا أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ فلذلك استهزءوا وتهاونوا بكلامه (۱۹) وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا

جزء ٢٦ زَادَهُمْ هُدًى اى زادهم اللّٰه بالتوفيق والالهام او قولُ الرسول وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ بيّن لهم ما يتّقون او اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها (٢٠) فَهَلْ يَنْظُرُونَ اِلَّا ٱلسَّاعَةَ فهل ينتظرون غيرها أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ركوع ٦ بدل اشتمال من الساعة وقوله فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا كالعلّة له وقرئ اِنْ تَأْتِهِمْ على انّه شرط مستأنف جزاؤه فَأَنَّى لَهُمْ اِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ والمعنى اِن تأتهم الساعة بغتة لانّه قد ظهر اماراتها كمبعث النبىّ صلعم وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اى تذكّرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يُفْرَغ له ولا يَنْفَع (٢١) فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا ٱللّٰهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ اى اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبتْ على ما انت عليه من العلم بالوحدانيّة وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعى غفرانهم ، وفى اعادة الجارّ وحذف المضاف اِشعارٌ بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانّها جنس آخر فانّ الذنب ما له تَبِعة ما بترك الأَوْلَى وَٱللّٰهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ فى الدنيا فانّها مراحل لا بدّ من قطعها وَمَثْوَاكُمْ فى العقبى فانّها دار اقامتكم فاتّقوا اللّٰه واستغفروه وأعِدّوا لمعادكم (٢٢) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ اى هلّا نزلت ركوع ٧ سورة فى امر الجهاد فَاِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ مبيّنة لا تشابهَ فيها وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ الامر به رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ضعف فى الدين وقيل نفاق يَنْظُرُونَ اِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ جُبْنًا ومخافة فَأَوْلَى لَهُمْ فويل لهم أَفْعَل من الوَلْى وهو القُرْب او فَعْلَى من آلَ ومعناه الدعاء عليهم بأنْ يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ استيناف اى امرُهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم لقراءة أُبَىّ يَقُولُونَ طَاعَةٌ (٢٣) فَاِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ اى جدّ وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعاملُ الظرف محذوف وقيل فَلَوْ صَدَقُوا ٱللّٰهَ اى فيما زعموا من الحِرْص على الجهاد اوِ الايمان لَكَانَ الصدقُ خَيْرًا لَهُمْ (٢٤) فَهَلْ عَسَيْتُمْ فهل يُتوقّع منكم اِنْ تَوَلَّيْتُمْ امورَ الناس وتأمّرتم عليهم او اعرضتم وتولّيتم عن الاسلام أَنْ تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ تناحرا على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه فى الجاهليّة من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى انّهم لضعفهم فى الدين وحرصهم على الدنيا احقّاء بأن يُتوقَّع ذلك منهم مَنْ عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فانّ بنى تميم لا يُلحقون الضمير به وخبرُه ان تفسدوا وان تولّيتم اعتراض وعن يعقوب تُوُلِّيتُمْ اى ان تولّاكم ظَلَمَةٌ خرجتم معهم وساعدتموهم فى الافساد وقطيعة الرحم وتَقْطَعوا من القطع وقرئ تَقَطَّعوا من التقطّع (٢٥) أُولٰئِكَ اشارة الى المذكورين ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللّٰهُ لافسادهم وقطعهم الارحام فَأَصَمَّهُمْ عن استماع الحق وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ فلا يهتدون سبيله (٢٦) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ يتصفّحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتّى لا يجسروا على المعاصى أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا لا يصل اليها ذكرٌ ولا ينكشف لها امر

جزء ٢٦ وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير ، وتنكير القلوب لانّ المراد قلوب بعض منهم او للاشعار
ركوع ٧ بانّها لابهام امرها فى القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كانّها مبهمة منكورة ، واضافة الاقفال اليها للدلالة
على اقفال مناسبة لها مختصّة بها لا تجانس الاقفال المعهودة ، وقرئ اقفالها على المصدر (٢٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم اى ما كانوا عليه من الكفر مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة ٱلشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ سهّل لهم اقتراف الكبائر من السَوَل وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السُول وهو التمنّى وفيه انّ السول مهموز قُلبت همزته واوا لضمّ ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن ردّه بقولهم هما يتساولان وقرئ سُوِّلَ على تقدير مضاف اى كيدُ الشيطان سُوّل لهم وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ومدّ لهم فى الآمال والامانى او امهلهم اللّه ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب وَأُمْلِى لَهُم اى وانا املى لهم فتكون الواو للحال او الاستيناف وقرأ ابو عمرو وَأُمْلِىَ على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم (٢٨) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ قال اليهود الّذين كفروا بالنبىّ بعد ما تبيّن لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ فى بعض اموركم او فى بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة فى الخروج معهم ان أُخرجوا والتظافر على الرسول وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ ومنها قولهم هذا الّذى افشاه اللّه عليهم ، وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص إِسْرَارَهُمْ على المصدر (٢٩) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ فكيف يعملون ويحتالون حينئذ ، وقرئ تَوَفَّاهُمْ وهو يحتمل الماضى والمضارع المحذوف احدى تاءيه يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ تصوير لتوقيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له (٣٠) ذَٰلِكَ اشارة الى التوفّى الموصوف بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ ٱللَّهَ من الكفر وكتمان نعت الرسول وعصيان الامر وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيره من
ركوع ٨ الطاعات فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ لذلك (٣١) أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ ان لن يبرز اللّه لرسوله صلعم والمؤمنين أَضْغَانَهُمْ احقادهم (٣٢) وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ لعرّفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ بعلاماتهم الّتى نَسِمُهم بها واللام لام الجواب كُرّرت فى المعطوف وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ جوابُ قسم محذوف ، ولحنُ القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانّه يعدل بالكلام عن الصواب وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيّات (٣٣) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقّة حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ على مشاقّها وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ما يُخبَر به عن اعمالكم فيظهر حُسنها وقبحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين فى صدقها وكذبها ، وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء لتوافق ما قبلها وعن يعقوب وَنَبْلُو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو (٣٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

جزء ٢٦ ركوع ٨ وَشَاقُّوا ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لَنْ يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْئًا بكفرهم وصدّهم او لن يضرّوا رسول الله بمشاقّته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقّته وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ثوابَ حسنات اعمالهم بذلك او مكايدهم التى نصبوها فى مشاقّته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الّا القتال والجلاء عن اوطانهم (٣٥) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعُجب والرئاء والمنّ والاذى ونحوها ، وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر (٣٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ عامّ فى كلّ من مات على كفره وان صحّ نزوله فى اصحاب القليب ويدلّ بمفهومه على انّه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه (٣٧) فَلَا تَهِنُوا فلا تضعفوا وَتَدْعُوا إِلَى ٱلسَّلْمِ ولا تدعوا الى الصلح خَوَرًا وتذلّلا ويجوز نصبه باضمار أَنْ وقرئ ولا تَدَّعُوا من ادّعى بمعنى دعا وَأَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ الاغلبون وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ناصركم وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ولن يضيّع اعمالكم من وَتَرْتُ الرجلَ اذا قتلت متعلّقا به من قريب او حميم فأفردته منه من الوِتْر شبّه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه (٣٨) إِنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ لا ثبات لها وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ ثواب ايمانكم وتقواكم وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر والعشر (٣٩) إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ فيجهدكم بطلب الكلّ والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربَه اذا استأصله تَبْخَلُوا فلا تعطوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ويُضغنكم على رسول الله صلعم ، والضمير فى يخرج لله ويؤيّده القراءة بالنون او البخلِ لانّه سبب الاضغان ، وقرئ يَخْرُجْ بالياء والتاء ورفع أَضْغَانُكُمْ (٤٠) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ اى انتم يا مخاطَبون هؤلاء الموصوفون وقوله تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ استيناف مقرّر لذلك او صلة لهؤلاء على انّه بمعنى الّذين ، وهو يعمّ نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدّمة وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ فانّ نفع الانفاق وضرّ البخل عائدان اليه ، والبخل يعدّى بعَنْ وعَلَى لتضمّنه معنى الامساك والتعدّى فانّه امساك عن مستحقّ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ ٱلْفُقَرَاءُ فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان تولّيتم فعليكم وَإِنْ تَتَوَلَّوْا عطف على ان تؤمنوا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ يقيم مقامكم قوما آخرين ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ فى التولّى والزهد فى الايمان وهم الفرس لانّه عم سئل عنهم وكان سلمانُ الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة محمّد كان حقّا على الله ان يسقيه من انهار الجنّة ٠

سورة الفتح

مدنيّة نزلت فى مرجع رسول اللّه صلعم من الحديبية وآيها تسع وعشرون آية

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

جزء ٢٦ (١) انّا فتحنا لك فتحا مبينا وعدٌ بفتح مكّة والتعبيرُ عنه بالماضى لتحقّقه او بما اتّفق له فى تلك
ركوع ٩ السنة كفتح خيبر وفدك او اخبارٌ عن صلح الحديبية وانّما سمّاه فتحا لانّه كان بعد ظهوره على المشركين حتّى سألوا الصلح وتسبّب لفتح مكّة وفرغ به رسول اللّه صلعم لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل فى الاسلام خلقا عظيما وظهر له فى الحديبية آية عظيمة وهو انّه نزح ماؤها بالكلّيّة فتمضمض ثمّ مجّه فيها فدرّت بالماء حتّى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانّهم غلبوا الفرس فى تلك السنة وقد عرفت كونه فتحا للرسول صلعم فى سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اى قضينا لك ان تدخل مكّة من قابل (٢) ليغفر لك اللّه علّة للفتح من حيث انّه مسبّب عن جهاد الكفّار والسعي فى اعلاء الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدى الظلمة ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر جميع ما فرط منك ممّا يصحّ ان تعاتب عليه ويتمّ نعمته عليك باعلاء الدين وضمّ الملك الى النبوّة ويهديك صراطا مستقيما فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرئاسة (٣) وينصرك اللّه نصرا عزيزا نصرا فيه عزٌّ ومنعةٌ او يعزّ به المنصور فوصف بوصفه مبالغةً (٤) هو الّذى انزل السّكينة الثبات والطمأنينة فى قلوب المؤمنين حتّى ثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمينان النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم باللّه واليوم الآخر وللّه جنود السّموات والأرض يدبّر امرها فيسلّط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السّلم اخرى كما تقتضيه حكمته وكان اللّه عليما بالمصالح حكيما فيما يقدّر ويدبّر (٥) ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها علّة بما بعده لما دلّ عليه قوله وللّه جنود السموات والارض من معنى التدبير اى دبّر ما دبّر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة اللّه فيه ويشكروها فيدخلهم الجنّة ويعذّب الكفّار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انّه بدل منه بدل الاشتمال ويكفّر عنهم سيّآتهم يغطّيها ولا يظهرها وكان ذلك اى الادخال والتكفير عند اللّه فوزا عظيما لانّه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضرّ وعند حالٌ من الفوز (٦) ويعذّب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل الّا اذا جعلته بدلا فيكون

عطفا على المبدل ٱلظَّانِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ظنّ الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمومنين عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ جزء ٢٦
دائرة ما يظنّونه ويتربّصونه بالمومنين لا يتخطّاهم ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو دَائِرَةُ ٱلسُّوءِ بالضمّ وهما ركوع ٩
لغتان غير انّ المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمّه والمضموم جرى مجرى الشرّ وكلاهما فى الاصل مصدر وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ عطف لما استحقّوه فى الآخرة على ما استوجبوه فى الدنيا ، والواو فى الاخيرَيْن والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكلّ فى الوعيد بلا اعتبار السببيّة وَسَآءَتْ مَصِيرًا جهنّم (٧) وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٨) إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا على امّتك وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا على الطاعة والمعصية (٩) لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ الخطاب للنبىّ صلعم والامّة او لهم على انّ خطابه منزّل منزلة خطابهم وَتُعَزِّرُوهُ وتقوّوه بتقوية دينه ورسوله وَتُوَقِّرُوهُ وتعظّموه وَتُسَبِّحُوهُ وتنزّهوه او تصلّوا له بُكْرَةً وَأَصِيلًا غدوة وعشيّا او دائما ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تُعْزِرُوهُ بسكون العين وتَعْزُرُوهُ بفتح التاء وضمّ الزاء وكسرها وتُعَزِّزُوهُ وتُوقِرُوهُ من اوقره بمعنى وقّره (١٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ لانّه المقصود ببيعته يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ حال او استيناف مؤكّد له على سبيل التخييل فَمَنْ نَكَثَ نقض العهد فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ فلا يعود ضرر نكثه الّا عليه وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فى مبايعته فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا هو الجنّة ، وقرئ عَهِدَ وقرأ حفص عَلَيْهُ بضمّ الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فَسَنُؤْتِيهِ
بالنون ، والآية نزلت فى بيعة الرضوان (١١) سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ هم أَسْلَم وجُهَيْنَة ومُزَيْنَة ركوع ١٠
وغفار استنفرهم رسول الله صلعم عام الحُدَيْبِيَة فتخلّفوا واعتلّوا بالشغل باموالهم واهاليهم وانّما خلّفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف عن مقابلة قريش ان صدّوهم شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا اذ لم يكن لنا من يقوم بأشغالهم ، وقرئ بالتشديد للتكثير فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا من الله على التخلّف يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ تكذيب لهم فى الاعتذار والاستغفار قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا ما يضرّكم كقتل او هزيمة وخلل فى المال والاهل وعقوبة على التخلّف ، وقرأ حمزة والكسائى بالضمّ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ما يضادّ ذلك وهو تعريض بالردّ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا فيعلم تخلّفكم وقصدكم فيه (١٢) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا لظنّكم انّ المشركين يستأصلونهم ، واهلون جمع اهل وقد يُجْمَع على أَهْلَات كأَرَضَات على انّ اصله أَهْلَة وأمّا أَهَالٍ فاسم جمع كلَيَالٍ وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ فتمكّن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ الظنّ المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر ما يظنّون بالله

جزء ٢٦ ورسوله من الامور الرائغة وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيّتكم (١٣) وَمَنْ لَمْ
ركوع ١٠ يُؤْمِنْ بِٱللّٰهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بأنّ من لم يجمع
بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر فانّه مستوجب للسعير بكفره ٬ وتنكير سعيرا للتهويل او لانّها نار
مخصوصة (١٤) وَلِلّٰهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يدبّره كيف يشاء يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ اذ لا
وجوب عليه وَكَانَ ٱللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا فانّ الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه
بالعرض ولذلك جاء فى الحديث الالهىّ سبقت رحمتى غضبى (١٥) سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ يعنى المذكورين
إِذَا ٱنْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا يعنى مغانم خيبر فانّه عم رجع من الحُدَيْبِيَة فى ذى الحجّة من سنة
ستّ واقام بالمدينة بقيّتها واوائل المحرّم ثمّ غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة
فخصّها بهم ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ ٱللّٰهِ اى يغيّروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوّضهم
من مغانم مكّة مغانمَ خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معى ابدا والظاهر انّه فى تبوك ٬ والكلام اسم للتكليم
غلب فى الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائىّ كَلِمَ ٱللّٰهِ وهو جمع كلمة قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا نفى فى معنى النهى
كَذٰلِكُمْ قَالَ ٱللّٰهُ مِنْ قَبْلُ من قبل تهيّئهم للخروج الى خيبر فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا أن نشارككم
فى الغنائم وقرئ بالكسر بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ لا يفهمون إِلَّا قَلِيلًا الّا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور
الدنيا ٬ والاضراب الاوّل ردّ منهم ان يكون حكم الله ان لا يتّبعوهم واثباتٌ للحسد والثانى ردّ من الله
لذلك واثباتٌ لجهلهم بامور الدين (١٦) قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ كرّر ذكرهم بهذا الاسم مبالغةً فى الذمّ
واشعارا بشناعة التخلّف سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ بنى حنيفة او غيرهم ممّن ارتدّوا بعد رسول
الله صلعم او المشركين فانّه قال تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ اى يكون احدُ الامرين إمّا المقاتلة او الاسلامُ
لا غيرُ كما دلّ عليه قراءة أَوْ يُسْلِمُوا ومن عداهم يقاتَل حتّى يسلم او يعطى الجزية ٬ وهو يدلّ على
امامة ابى بكر رضه اذ لم يتّفق هذه الدعوة لغيره الّا اذا صحّ انّهم ثقيف وهوازن فانّ ذلك كان فى عهد
النبوّة وقيل فارس والروم ومعنى يُسلمون ينقادون ليتناول تقبّلهم الجزية فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ ٱللّٰهُ أَجْرًا
حَسَنًا هو الغنيمة فى الدنيا والجنّة فى الآخرة وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ عن الحديبية يُعَذِّبْكُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا لتضاعف جرمكم (١٧) لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ
لمّا اوعد على التخلّف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد وَمَنْ يُطِعِ ٱللّٰهَ وَرَسُولَهُ
يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ فصّل الوعد واجمل الوعيد مبالغةً فى الوعد لسبق رحمته ثمّ
جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب ٬

وقرأ نافع وابن عامر نُدْخِلْهُ ونُعَذِّبْهُ بالنون (١٨) لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ جزء ٢٦
روى انّه عم لمّا نزل الحديبية بعث جوّاس بن أُميّة الخزاعى الى اهل مكّة فهمّوا به فمنعه الاحابيش ركوع ١١
فرجع فبعث عثمان بن عفّان رضه فحبسوه فأُرجف بقتله فدعا رسول اللّه اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا يفرّوا عنهم وكان جالسا تحت سَمُرة او سِدْرة فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ من الاخلاص فَأَنْزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا فتح خيبر غبّ انصرافهم وقيل مكّة او هَجَر (١٩) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا يعنى مغانم خيبر وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا غالبا مراعيا مقتضى الحكمة (٢٠) وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا وهى ما يفىء على المؤمنين الى يوم القيامة فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ يعنى مغانم خيبر وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنْكُمْ ايدى اهل خيبر وحلفائهم من بنى اسد وغطفان او ايدى قريش بالصلح وَلِتَكُونَ هذه الكفّة او الغنيمة آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ أمارةً يعرفون بها انّهم من اللّه بمكان او صِدْقَ الرسول فى وعدهم فتح خيبر فى حين رجوعه عن الحديبية او وعد الغنائم او عنوانًا لفتح مكّة ، والعطف على محذوف هو علّة لكفّ او عجّل مثل لتسلموا او لتأخذوا او العلّة لمحذوف مثل فعل ذلك وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا هو الثقة بفضل اللّه تعالى والتوكّل عليه (٢١) وَأُخْرَى ومغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة بفعل يفسّره قد احاط اللّه بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانّها موصوفة وجرّها باضمار رُبّ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا بَعْدُ لما كان فيها من الجولة قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا استولى فأظفركم بها وهى مغانم هوازن او فارس وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا لانّ قدرته ذاتيّة لا تختصّ بشىء دون شىء (٢٢) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا من اهل مكّة ولم يصالحوا لَوَلَّوُا ٱلْأَدْبَارَ لانهزموا ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا يحرسهم وَلَا نَصِيرًا ينصرهم (٢٣) سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ اى سنّ غلبة انبيائه سُنّة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال تعالى لأغلبنّ انا ورسلى وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا تغييرا (٢٤) وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ اى ايدى كفّار مكّة وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ فى داخل مكّة مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ اظهركم عليهم وذلك انّ عكرمة بن ابى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول اللّه صلعم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتّى ادخلهم حيطان مكّة ثمّ عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستُشهد به على انّ مكّة فُتحت عنوةً وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ من مقاتلتهم اوّلا طاعةً لرسوله وكفّهم ثانيا لتعظيم بيته ، وقرأ ابو عمرو بالياء بَصِيرًا فيجازيهم عليه (٢٥) هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ يدلّ على انّ ذلك كان عام

جزء ۲۶ الحديبية ، والهَدْى ما يُهْدَى الى مكّة وقرئ ٱلْهَدِىّ وهو فعيل بمعنى مفعول ، ومَحِلّه مكانه الّذى يحِلّ
ركوع ۱۱ فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منًى لا مكانه الّذى لا يجوز ان يُنْحَر فى غيره والّا لَما نحره الرسول
صلعم حيث أُحْصِرَ فلا ينتهض حجّةً للحنفيّة على انّ مذبح هَدْى المُحْصَر هو الحرم وَلَوْلَا رِجَالٌ
مُؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين أَنْ تَطَـُٔوهُمْ ان توقعوا
بهم وتُبيدوهم قال

وَوَطِئْتَنا وَطْأً على حَنَقٍ   وَطْأَ المُقَيَّدِ نابِتَ ٱلْهَرْمِ

وقال عم انّ آخِرَ وَطْأةٍ وَطِئَها اللّهُ بِوَجّ وهو وادٍ بطائف كان آخِرُ وقعة النبىّ بها وأصله الدَّوْس وهو
بدل اشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم فى تعلموهم فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ من جهتهم مَعَرَّةٌ مكروه
كوجوب الدية والكفّارة بقتلهم والتأسّف عليهم وتعيير الكفّار بذلك والاثم بالتقصير فى البحث عنهم
مَفْعَلةٌ من عَرّه اذا اعراه ما يكرهه بِغَيْرِ عِلْمٍ متعلّق بأن تطـٔوهم اى تطـٔوهم غير عالمين بهم ، وجوابُ
لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهةُ أَنْ تُهلكوا ناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين
بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لَما كفّ ايديكم عنهم لِيُدْخِلَ ٱللّهُ فِى رَحْمَتِهِ علّة لما دلّ عليه كفّ
الايدى من اهل مكّة صونا لمن فيهم من المؤمنين اى كان ذلك ليدخل اللّه فى رحمته اى فى توفيقه
لزيادة الخير او للاسلام مَنْ يَشَآءُ من مؤمنيهم او مشركيهم لَوْ تَزَيَّلُوا لو تفرّقوا وتميّز بعضهم من بعض ،
وقرئ تَزَايَلُوا لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا بالقتل والسبى (۲۶) إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مقدّر
بأذكر او ظرف لعذّبنا او صدّوكم فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ الأنفة حَمِيَّةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ التى تمنع اذعان الحقّ
فَأَنْزَلَ ٱللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ فانزل عليهم الوقار والثبات وذلك ما روى انّه عم لمّا همّ
بقتالهم بعثوا سُهَيْل بن عمرو وحُوَيْطِب بن عبد العُزى ومِكْرَز بن حفص ليسألوه ان يرجع من عامه
على ان يخلّى له قريش مكّة من القابل ثلاثة ايّام فأجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عم لعلىّ رضه
اكتبْ بسم اللّه الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتبْ باسمك اللّهمّ ثمّ قال اكتبْ هذا ما صالح
رسولُ اللّه اهلَ مكّة فقالوا لو كنّا نعلم انّك رسول اللّه ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا
ما صالح عليه محمّد بن عبد اللّه اهلَ مكّة فقال عم اكتب ما يريدون فهمّ المؤمنون ان يأبوا ذلك
ويبطشوا عليهم فانزل اللّه السكينة عليهم فتوقّروا وتحلّموا وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَى كلمةَ الشهادة او بسم
اللّه الرحمن الرحيم محمّد رسول اللّه اختارها لهم او الثباتَ والوفاء بالعهد واضافةُ الكلمة الى التقوى لانّها
سببها او كلمة اهلها وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا من غيرهم وَأَهْلَهَا والمستأهل لها وَكَانَ ٱللّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا
ركوع ۱۲ فيعلم اهل كلّ شىء وييسّره له (۲۷) لَقَدْ صَدَقَ ٱللّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّؤْيَا رأى عم انّه واصحابه دخلوا مكّة آمنين وقد
حلقوا وقصّروا فقصّ الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا انّ ذلك يكون فى عامهم فلمّا تأخّر قال بعضهم

جزء ۲۶ والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه فى رؤياه بِٱلْحَقِّ ملتبسا به فان ما رآه
ركوع ۴ كائن لا محالة فى وقته المقدّر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اى
صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى الميز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما
باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ جوابه وعلى الاوّلين جواب قسم
٥ محذوف إِن شَآءَ ٱللَّهُ تعليقٌ للعدة بالمشيئة تعليما للعباد او اشعارا بانّ بعضهم لا يدخل لموت او غيبة
او حكاية لما قاله مَلَك الرؤيا او النبىّ لاصحابه آمِنِينَ حال من الواو والشرط معترض مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ
وَمُقَصِّرِينَ اى محلّقا بعضكم ومقصّرا آخرون لَا تَخَافُونَ حال مؤكّدة او استيناف اى لا تخافون
بعد ذلك فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا من الحكمة فى تأخير ذلك فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ من دون دخولكم
المسجد او فتح مكّة فَتْحًا قَرِيبًا هو فتح خيبر ليستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسّر الموعود
١٠ (۲۸) هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ ملتبسا به او بسببه ولاجله وَدِينِ ٱلْحَقِّ وبدين الاسلام لِيُظْهِرَهُۥ
عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ليغلّبه على جنس الدين كلّه بنسخ ما كان حقّا واظهار فساد ما كان باطلا وبتسليط
المؤمنين على اهله اذ ما من اهل دين الّا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعده من الفتح
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا على انّ ما وعده كائن او على نبوّته باظهار المعجزات (۲۹) مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ
جملة مبيّنة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمّد خبر محذوف او مبتدأ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ
١٥ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ اشدّاء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انّهم يغلظون على من
خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلّة على المؤمنين اعزّة على الكافرين تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا
لانّهم مشتغلون بالصلوة فى اكثر اوقاتهم يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا الثواب والرضى سِيمَاهُمْ فِى
وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ يريد السمة الّتى تحدث فى جباههم من كثرة السجود فِعْلَى من سَامَه اذا
اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حالٌ من المستكنّ فى الجارّ ذَٰلِكَ اشارة الى
٢٠ الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسّرها كزرع مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ صفتهم العجيبة الشأن المذكورة فيها
وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ عطف عليه اى ذلك مثلهم فى الكتابين وقوله كَزَرْعٍ تمثيل مستأنف او تفسير او
مبتدأ وكزرع خبره أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فراخه يقال أَشْطَأَ الزرع اذا فرّخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن
ذكوان شَطَأَهُ بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شَطَاهُ بتخفيف الهمزة وشَطَآءَهُ بالمدّ وشَطَهُ بنقل حركة
الهمزة وحذفها وشَطْوَهُ بقلبها واوا فَـَٔازَرَهُۥ فقوّاه من المؤازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهى الاعانة وقرأ
٢٥ ابن عامر برواية ابن ذكوان فَأَزَرَهُ كأجره فى آجره فَٱسْتَغْلَظَ فصار من الرقّة الى الغلظ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ
فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سُؤْقه بالهمزة يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ بكثافته وقوّته وغلظه وحسن

جزء ٢٦ منظره وهو مثلٌ ضربه اللّه تعالى للصحابة قلّوا فى بدء الاسلام ثمّ كثروا واستحكموا فترقّى امرهم
ركوع ١٢ بحيث اعجب الناس لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ علّة لتشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه او لقوله وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا فانّ الكفّار لمّا سمعوه غاظهم ذلك ، ومنهم للبيان ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الفتح فكانّما كان ممّن شهد مع محمّد فتح مكّة

سُورَةُ ٱلْحُجُرَاتِ

مدنيّة وآيها ثمانى عشرة آيـــة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١٣ (١) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا اى لا تقدّموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كلّ ما يمكن او تُرك لانّ المقصود نفىُ التقديم رأسا او لا تتقدّموا ومنه مقدّمة الجيش لمتقدّميهم ويؤيّده قراءة يعقوب لَا تَقَدَّمُوا وقرئ لا تَقَدَّمُوا من القدوم بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ مستعار ممّا بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تهجينا لما نُهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول اللّه وذكرُ اللّه تعظيم له واشعار بانّه من اللّه بمكانٍ يوجب اجلاله وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ فى التقديم او مخالفة الحكم إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ لاقوالكم عَلِيمٌ بافعالكم (٢) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ اى اذا كلّمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماةً على الترجيب ومراعاةً للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبىّ والرسول ، وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة فى الاتّعاظ والدلالة على استقلال المنادَى له وزيادة الاهتمام به أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ كراهةَ أن تحبط فيكونُ علّة للنهى او لأن تحبط على انّ النهى عن الفعل المعلّل باعتبار التأدية لانّ فى الجهر والرفع استخفافا قد يؤدّى الى الكفر المُحْبِط وذلك اذا انضمّ اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روى انّ ثابت بن قيس كان فى أُذُنه وَقْرٌ وكان جَهْوَرِيًّا فلمّا نزلت تخلّف عن رسول اللّه صلعم فتفقّده ودعاه فقال يا رسول اللّه لقد أُنزِلَتْ اليك هذه وانّى رجل جهير الصوت فأخافُ ان يكون عملى قد حبط فقال عم لستَ هناك انّك تعيش بخير وتموت بخير وانّك من اهل الجنّة وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أنها محْبَطة (٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ يخفضونها عِنْدَ رَسُولِ ٱللَّهِ مراعاةً للادب او مخافةً عن مخالفة النهى قيل كان ابو بكر وعمر بعد ذلك يسارّانه حتّى يستفهمهما أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ جرّبها للتقوى ومرّنها عليها او عرفها كائنةً للتقوى خالصةً

لها فانّ الامتحان سبب المعرفة واللامُ صلةُ محذوف او الفعل باعتبار الاصل او ضرب اللّه قلوبهم جزء ٢٦
بانواع المِحَن والتكاليف الشاقّة لاجل التقوى فانّها لا تظهر الّا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى ركوع ١٣
من امتحن الذهب اذا اذابه وميّز ابريزه من خبثه لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لذنوبهم وَأَجْرٌ عَظِيمٌ لغضّهم وسائر
طاعاتهم والتنكيرُ للتعظيم والجملة خبرٌ ثانٍ لإنّ او استيناف لبيان ما هو جزاء الغاضّين احمادًا لحالهم
كما اخبر عنهم بجملة مؤلّفة من معرفتين والمبتدأُ اسم الاشارة المتضمّن لما جُعل عنوانا لهم والخبرُ
الموصول بصلة دلّت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغةً فى الاعتداد بغضّهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة
الرفع والجهر وأنّ حال المرتكب لهما على خلاف ذلك (٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَاتِ من
خارجها خلفها او قدّامها ومن ابتدائيّة فانّ المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على انّ
المنادَى داخل الحجرة اذ لا بدّ أن يختلف المبتدأُ والمنتهى بالجهة ، وقرئ ٱلْحُجَرَاتِ بفتح الجيم
وسكونها وثلثتها جمع حُجْرة وهى القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حُجْرة
وهى فُعْلة بمعنى مفعول كالغُرْفة والقُبْضة والمرادُ حجرات نساء النبىّ صلعم وفيها كناية عن خلوته بالنساء
ومناداتُهم من ورائها امّا بانّهم اتوها حجرةً حجرةً فنادوه من ورائها او بانّهم تفرّقوا على الحجرات متطلّبين
له فاسند فعل الابعاض الى الكلّ وقيل انّ الّذى ناداه عُيَيْنة بن حِصْن والاقرع بن حابس وَفَدا على
رسول اللّه صلعم فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمّد اخرجْ الينا وانّما
أُسْنِد الى جميعهم لانّهم رضوا بذلك او امروا به او لانّه وُجد فيما بينهم أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ اذ العقل
يقتضى حسن الادب ومراعاة الحشمة سيّما لمن كان بهذا المنصب (٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ
اى ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتّى تخرج اليهم فانّ أنّ وان دلّت بما فى حيّزها على المصدر دلّت
بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمارُ الفعل ، وحتّى تُفيد انّ الصبر ينبغى ان يكون مُغيًّا بخروجه
فانّ حتّى مختصّة بغاية الشىء فى نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتّى رأسها ولا تقول حتّى نصفها
بخلاف الى فانّها عامّة ، وفى اليهم اشعار بانّه لو خرج لا لاجلهم ينبغى ان يصبروا حتّى يفاتحهم بالكلام
او يتوجّه اليهم لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم
الرسول المُوجِبَيْن للثناء والثواب والاسعاف بالمسئول اذ روى انّهم وفدوا شافعين فى اسارَى بنى العنبر
فأطلق النصف وفادَى النصف وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المُسيئين
الادب التاركين تعظيم الرسول (٦) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا فتعرّفوا وتصفّحوا
روى انّه عم بعث وليد بن عُقْبة مصدّقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احْنة فلمّا سمعوا به
استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال للرسول صلعم قد ارتدّوا ومنعوا الزكوة فهمّ بقتالهم فنزلت
وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجّدين فسلّموا اليه الصدقات فرجع ،
وتنكير الفاسق والنبا للتعميم ، وفى تعليق الامر بالتبيّن على فسق المخبِر جوازُ قبول خبر العدل من

جزء ٢٦ حيث انّ المعلّق على شىء بكلمة إِنْ عدم عند عدمه وانّ خبر الواحد لو وجب تبيُّنه من حيث هو ركوع ١٣ كذلك لَما رُتّب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلّل بالغير ٠ وقرأ حمزة والكسائىّ فَتَثَبَّتُوا اى فتوقّفوا الى ان يتبيّن لكم الحال أَنْ تُصِيبُوا كراهةَ اصابتكم قَوْمًا بِجَهَالَةٍ جاهلين بحالهم فَتُصْبِحُوا فتصيروا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ مغتمّين غمّا لازما متمنّين انّه لم يقع وتركيبُ هذه الاحرف الثلثة دائر مع الدوام (٧) وَٱعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ أنّ بما فى حيّزه سادّ مسدّ مفعولَى اعلموا باعتبار ما قُيّد به من الحال وهو قوله لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ فانّه حال من احدِ ضميرَىْ فيكم ولو جُعل استينافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى انّ فيكم رسول اللّه على حال يجب تغييرها وهى انّكم تريدون ان يتبع رأيكم فى الحوادث ولو فعل ذلك لعنتّم اى لوقعتم فى الجهد من العَنَت وفيه اشعار بانّ بعضهم اشار اليه بالايقاع ببنى المصطلق وقوله وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ استدراك ببيانِ عذرهم وهو انّه من فرط حبّهم للايمان وكراهتهم للكفر حملهم على ذلك لمّا سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذمّ من فعل ويؤيّده قوله أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلرَّاشِدُونَ اى اولئك المستثنون هم الّذين اصابوا الطريق السوىّ ٠ وكَرّه معدًّى بنفسه الى مفعول واحد فاذا شُدّد زاد له آخر لكنّه لمّا تضمّن معنى التبغيض نُزّل كرّه منزلة بغّض فعدّى الى آخر بالى ٠ والكفرُ تغطية نعم اللّه بالجحود والفسوقُ الخروج عن القصد والعصيانُ الامتناع عن الانقياد (٨) فَضْلًا مِنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً تعليلٌ لكرّه او حبّب وما بينهما اعتراض لا للراشدون فانّ الفضل فعل اللّه والرشد وان كان مسبّبا من فعله مُسْنَد الى ضميرهم او مصدرٌ لغير فعله فانّ التحبيب والرشد فضل من اللّه وانعام وَٱللَّهُ عَلِيمٌ باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حَكِيمٌ حين يُفضل ويُنعم بالتوفيق عليهم (٩) وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فانّ كلّ طائفة جمعٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بالنصح والدعاء الى حكم اللّه فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ تعدّت عليها فَقَاتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ٱللَّهِ ترجع الى حكمه او ما امر به وانّما أُطلق الفَىْء على الظلّ لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفّار الى المسلمين فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ بفصل ما بينهما على ما حكم اللّه وتقييدُ الاصلاح بالعدل ههنا لانّه مظنّة الحيف من حيث انّه بعد المقاتلة وَأَقْسِطُوا واعدلوا فى كلّ الامور إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ يحمد فعلهم بحسن الجزاء ٠ والآية نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عم بالسَّعَف والنعال وهو يدلّ على انّ الباغى مؤمن وانّه اذا قبض عن الحرب تُرك كما جاء فى الحديث لانّه فَىْءٌ الى امر اللّه وانّه يجب معاونة من بُغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة (١٠) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ من حيث انّهم منتسبون الى اصل

واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابديّة وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرّره مرتّبا عليه جزء ٢٦
بالفاء فقال فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المأمورين للمبالغة فى التقرير رکوع ١٣
والتحضيض، وخصّ الاثنين بالذكر لانّهما اقلّ مَنْ يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس
والخزرج وقرئ بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ وإِخْوَانِكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللّٰهَ فى مخالفة حكمه والاهمال فيه لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ على
تقواكم (١١) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ رکوع ١٤
عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ اى لا يَسْخَر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه
خيرا عند اللّه من الساخر، والقوم مختصّ بالرجال لانّه امّا مصدرٌ نُعت به فشاع فى الجمع او جمعٌ لقائم
كزائر وزَوْر والقيامُ بالامور وظيفة الرجال كما قال تعالى الرجال قوّامون على النساء وحيث فُسّر بالقبيلين
كقوم عاد وفرعون فامّا على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهنّ لانّهنّ توابع، واختيارُ
الجمع لانّ السخريّة تغلب فى المجامع، وعسى باسمها استيناف بالعلّة الموجبة للنهى ولا خبر لها لاغناء
الاسم عنه وقرئ عَسَوْا أَنْ يَكُونُوا وعَسَيْنَ أَنْ يَكُنَّ فهى على هذا ذاتُ خبرٍ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ولا يَعِبْ
بعضكم بعضا فانّ المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تُلْمَزون به فانّ من فعل ما يستحقّ به اللمز
فقد لمز نفسه واللمزُ الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضمّ وَلَا تَنَابَزُوا بِٱلْأَلْقَابِ ولا يَدْعُ بعضكم بعضا
بلقب السوء فانّ النبز يختصّ بلقب السوء عرفًا بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ اى بئس الذكر
المرتفع للمؤمنين ان يُذْكَروا بالفسق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمرادُ به امّا تهجين نسبة
الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روى انّ الآية نزلت فى صَفِيّة بنت حُيَيّ اتت رسول اللّه صلعم
فقالت انّ النساء يقلن لى يا يهوديّة بنت يهوديّين فقال لها هلّا قلتِ انّ ابى هرون وعمّى موسى وزوجى
محمّد او الدلالةُ على انّ التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبَح وَمَنْ لَمْ يَتُبْ عمّا نُهى عنه
فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب (١٢) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا
ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ ٱلظَّنِّ كونوا على جانب منه، وابهامُ الكثير ليُحْتاط فى كلّ ظنّ ويُتأمّل حتّى يُعلم
انّه من أىّ قبيل فانّ من الظنّ ما يجب اتّباعه كالظنّ حيث لا قاطع فيه من العمليّات
وحُسْنِ الظنّ باللّه سبحانه وتعالى وما يَحْرُم كالظنّ فى الالهيّات والنبوّات وحيث يخالفه قاطعٌ وظنّ
السوء بالمؤمنين وما يُباح كالظنّ فى الامور المعاشيّة إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ تعليل مستأنَف للامر، والاثمُ الذنب
الّذى يُستحقّ العقوبة عليه والهمزةُ فيه من الواو كانّه يَثِم الاعمال اى يكسرها وَلَا تَجَسَّسُوا ولا تبحثوا
عن عورات المسلمين تفعّل من الجسّ باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمّس وقرئ بالحاء من الحسّ
الّذى هو اثر الجسّ وغايته ولذلك قيل للحواسّ الخمس الجواسّ وفى الحديث لا تتبّعوا عورات المسلمين
فانّ من تتبّع عوراتهم تتبّع اللّه عورته حتّى يفضحه ولو فى جوف بيته وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا

*

جزء ٢٦ ركوع ١٤

ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل عم عن الغيبة فقال أن تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهتّه أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا تمثيل لما يناله المغتاب من عِرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرِر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبّة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فَكَرِهْتُمُوهُ تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صحّ ذلك او عُرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكارُ كراهته ، وانتصابُ ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدّده نافع وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ لمن اتقى ما نُهى عنه وتاب ممّا فرط منه ، والمبالغة فى التوّاب لانّه بليغ فى قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم ، روى انّ رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول اللّه صلعم يبغى لهما اداما وكان أُسامة على طعامه فقال ما عندى شىء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سُمَيْحة لَغارَ ماؤها فلمّا راحا الى رسول اللّه صلعم قال لهما ما لى ارى خُضْرة اللحم فى افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انّكما قد اغتبتما فنزلت

(١٣) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى من آدم وحوّاء او خلقنا كلّ واحد منكم من اب وامّ فالكلّ سواء فى ذلك فلا وَجْهَ للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوّة المانعة عن الاغتياب وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ الشَّعْب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلةُ تجمع العمائر والعمارةُ تجمع البطون والبطنُ تجمع الافخاذ والفخذُ تجمع الفصائل فخُزَيْمةُ شعب وكِنانةُ قبيلة وقريش عمارة وقُصَىٌّ بطن وهاشمُ فخذ وعبّاسُ فصيلة وقيل الشعوبُ بطون العجم والقبائلُ بطون العرب لِتَعَارَفُوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرِئ لِتَّعارَفُوا بالادغام ولِتَتَعارَفُوا ولِتَعْرِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ فانّ التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمسْه منها كما قال عم من سرّه أن يكون اكرم الناس فليتّق اللّه وقال يا ايّها الناس انّما الناس رجلان مؤمن تقىّ كريم على اللّه وفاجر شقىّ هيّن على اللّه إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بكم خَبِيرٌ ببواطنكم (١٤) قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ آمَنَّا نزلت فى نفر من بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدبة فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول اللّه صلعم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويَمُنّون قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم والّا لما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دلّ عليه آخر السورة وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا فانّ الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهارُ الشهادة وترك المحاربة يُشْعر به ، وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنّا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهى عن القول بالايمان والجزم باسلامهم ،قد فُقد شرط اعتباره شرعا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ توقيت لقولوا

فانّه حال من ضميره اى ولكن قولوا اسلمنا ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعدُ وَإِنْ تُطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ جزء ٢٦
بالاخلاص وترك النفاق لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ لا ينقصكم من اجورها شَيْئًا من لات يليت ليتًا اذا نقص ركوع ١٤
وقرأ البصريّان لَا يَأْلِتْكُمْ من الألت وهو لغة غطفان إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ لما فرط من المطيعين رَحِيمٌ بالتفضّل
عليهم (١٥) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا لم يشكّوا من ارتاب مطاوع رابه اذا
اوقعه فى الشكّ مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفى الايمان عنهم وثُمَّ للاشعار بانّ اشتراط عدم
الارتياب فى اعتبار الايمان ليس حالَ الايمان فقط بل وفيما يستقبل فهى كما فى قوله ثُمَّ استقاموا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فى طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات الماليّة
والبدنيّة بأسرها أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ الذين صدقوا فى ادّعاء الايمان (١٦) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ
اتخبرونه به بقولكم آمنّا وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ لا يخفى عليه
خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روى انّه لمّا نزلت الآية المتقدّمة جاءوا وحلفوا انّهم مؤمنون معتقدون
فنزلت هذه (١٧) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا يعدّون اسلامهم عليك منّةً وهى النعمة التى لا يستثيب
موليها ممّن يزلّها اليه من المنّ بمعنى القطع لانّ المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المنّ
قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ اى باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد بَلِ ٱللَّهُ
يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ على ما زعمتم مع انّ الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ إِنْ هَدَاكُمْ
بالكسر وإذْ هَدَاكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى ادّعاء الايمان وجوابه محذوف يدلّ عليه ما قبله اى فللّه
المنّة عليكم ، وفى سياق الآية لطف وهو انّهم لمّا سمّوا ما صدر عنهم ايمانا ومنّوا به فنفى انّه ايمان وسمّاه
اسلاما بأن قال يمنّون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يُمَنّ به عليك بل لو صحّ ادّعاؤهم
للايمان فللّه المنّة عليهم بالهداية له لا لهم (١٨) إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ما غاب فيهما
وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ فى سرّكم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما
فى الآية من الغيبة ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الحجرات أُعطى من الاجر بعدد من اطاع اللّه وعصاه •

سُورَةُ قٓ

مكّيّة وآيها خمس واربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) قٓ وَٱلْقُرْآنِ ٱلْمَجِيدِ الكلام فيه كما مرّ فى صٓ والقران ذى الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على ركوع ١٥
سائر الكتب او لانّه كلام المجيد او لانّ مَن علم معانيه وامتثل احكامه مَجُدَ (٢) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ

جزء ٢٦ ركوع ١٥

مُنْذِرٌ مِنْهُمْ انكار لتعجّبهم ممّا ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ حكايةٌ لتعجّبهم وهٰذا اشارة الى اختيار اللّٰه محمّدا للرسالة واضمار ذكرهم ثمّ اظهاره للاشعار بتعيّنهم لهذا المقال ثمّ التسجيل على كفرهم بذلك | او عطفٌ لتعجّبهم من البعث على تعجّبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجّبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مُبْهَم يفسّره ما بعده او مُجْمَلا ان كانت الاشارة الى محذوف دلّ عليه مُنْذِر ثمّ تفسيره او تفصيله لانّه ادخل فى الانكار اذ الاوّل استبعاد لأَنْ يفضّل عليهم مثلهم والثانى استقصار لقدرة اللّٰه عمّا هو اهون ممّا يشاهدون من صُنْعه (٣) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا اى أَنُرْجَع اذا متنا وصرنا ترابا ويدلّ على المحذوف قوله ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ اى بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرَّجْع بمعنى المرجوع (٤) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ما تأكل من اجساد موتاهم وهو ردّ لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل إنّه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام | وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ حافظ لتفاصيل الاشياء كلّها او محفوظ عن التغيّر | والمرادُ امّا تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم مَنْ عنده كتاب محفوظ يطالعه او تأكيد لعلمه بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده (٥) بَلْ كَذَّبُوا بِٱلْحَقِّ يعنى النبوّة الثابتة بالمعجزات او النبىّ او القران لَمَّا جَاءَهُمْ وقرئ لِمَا بالكسر فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ مضطرب من مَرِجَ الخاتَم فى اصبعه اذا جَرِجَ وذلك قولهم تارة انّه شاعر وتارة انّه ساحر وتارة انّه كاهن (٦) أَفَلَمْ يَنْظُرُوا حين كفروا بالبعث إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوْقَهُمْ الى آثار قدرة اللّٰه فى خلق العالم كَيْفَ بَنَيْنَاهَا رفعناها بلا عمد وَزَيَّنَّاهَا بالكواكب وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ فتوق بأن خلقها ملساء متلاصقة الطباق (٧) وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا بسطناها وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ جبالا ثوابت وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ من كلّ صنف بَهِيجٍ حَسَن (٨) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ راجع الى ربّه متفكّر فى بدائع صُنْعه وهما علّتان للافعال المذكورة معنًى وان انتصبتا عن الفعل الاخير (٩) وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا كثير المنافع فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ اشجارا واثمارا وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ وحبّ الزرع الّذى من شأنه ان يُحْصَد كالبرّ والشعير (١٠) وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ طوالا او حوامل من أَبْسَقَت الشاةُ اذا حَمَلَتْ فيكون من أَفْعَلَ فهو فاعل وإفرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ بَاصِقَات لاجل القاف لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ منضود بعضه فوق بعض والمرادُ تراكُمُ الطلع او كثرةُ ما فيه من الثمر (١١) رِزْقًا لِلْعِبَادِ علّةٌ لأنبتنا او مصدرٌ فانّ الانبات رزق وَأَحْيَيْنَا بِهِ بذلك الماء بَلْدَةً مَيْتًا ارضا جدبة لا نماء فيها كَذٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم | (١٢) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ (١٣) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ اراد اياه وقومه

جزء ٢٦ ليلائم ما قبله وما بعده وَإِخْوَانُ لُوطٍ أخدانه لانّهم كانوا اطهاره وَأَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ سبق فى
ركوع ١٥ الحجر والدخان كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ اى كلّ واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه
فَحَقَّ وَعِيدِ فوجب وحلّ عليه وعيدى وفيه تسلية للرسول وتهديد لهم (١٤) أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ
اى افعجزنا عن الإبداء حتّى نعجز عن الاعادة مِنْ عَيِىَ بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه
للانكار بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ اى هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاوّل بل هم فى خلط
وشُبْهة فى خلق مستأنَف لما فيه من مخالفة العادة ، وتنكيرُ الخلق الجديد لتعظيم شأنه والاشعار بانّه
ركوع ١٦ على وجه غير متعارَف ولا معتاد (١٥) وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ما تحدّثه به
نفسه وهو ما يخطُر بالبال والوسوسةُ الصوت الخفىّ ومنه وسواس الحُلىّ ، والضمير لما ان جُعلت موصولة
والباء مثلها فى صوّت بكذا وللانسان ان جُعلت مصدريّة والباء للتعدية وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ
اى ونحن اعلم بحاله ممّن كان اقربَ اليه من حبل الوريد تجوّز بقرب الذات لقرب العلم لانّه
موجبه وحبلُ الوريد مَثَل فى القرب قال • والموت ادنى لى من الوريد • والحبل العِرْق واضافته للبيان
والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدّمها متّصلان بالوَتِين يردان من الرأس اليه وقيل
سُمّى وريدا لانّ الروح تَرِده (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ مقدّر باذكرْ او متعلّق بأقرب اى هو اعلم بحاله
من كلّ قريب حين يتلقّى اى يتلقّن الحفيظان ما يتلفّظ به وفيه ايذان بانّه غنىّ عن استحفاظ الملكين
فانّه اعلم منهما ومطّلع على ما يخفَى عليهما لكنّه لحكمة اقتضته وهى ما فيه من تشديد يثبّط العبدَ
عن المعصية وتأكيد فى اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام للحجّة يوم يقوم الاشهاد عَنِ ٱلْيَمِينِ
وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ اى عن اليمين قعيدٌ وعن الشمال قعيدٌ اى مُقاعد كالجليس فحذف الاوّل لدلالة
الثانى عليه كقوله • فانّى وقيّارٌ بها لغريب • وقد يُطْلَق الفعيل للواحد والمتعدّد كقوله والملائكة بعد
ذلك ظهير (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ ما يرمى به من فيه إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ ملك يرقُب عمله عَتِيدٌ مُعَدّ حاضر
ولعلّه يكتب عليه ما فيه ثواب او عقاب وفى الحديث كاتب الحسنات امين على كاتب السيّآت فاذا
عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيّئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبعَ
ساعات لعلّه يسبّح او يستغفر (١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ لمّا ذكر استبعادهم البعثَ للجزاء
وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانّهم ملاقوه عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبّه
على اقترابه بأن عبّر عنه بلفظ الماضى وسكرةُ الموت شدّته الذاهبة بالعقل ، والباء للتعدية كما فى
قولك جاء زيد بعمرو والمعنى وأحضرتْ سكرةُ الموت حقيقةَ الامر او الموعودَ الحقّ او الحقَّ الّذى ينبغى
ان يكون من الموت او الجزاء فانّ الانسان خُلق له او مثلُ الباء فى تَنْبُتُ بالدُّهْنِ ، وقرئ سَكْرَةُ
ٱلْحَقِّ بِٱلْمَوْتِ على انّها لشدّتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كانّها جاءت به او على انّ الباء

جزء ٢٦ بمعنى مع وقيل سكرة الحقّ سكرة اللّه واضافتها اليه للتهويل * وقرئ سَكَرَاتُ ٱلْمَوْتِ ذَٰلِكَ اى الموت

ركوع ١٦ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان (١٩) وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ يعنى نفخة البعث ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ اى وقت ذلك يوم تحقّق الوعيد وإنجازه والاشارة الى مصدر نفخ (٢٠) وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ملكان احدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيّآت والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ، ومحلّ معها النصب على الحال من كلّ لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا على اضمار القول ، والخطاب لكلّ نفس اذ ما من احد الّا وله اشتغال ما عن الآخرة او للكافر فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَآءَكَ الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب للنبىّ والمعنى كنت فى غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحى وتعليم القران فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيّد الاوّل قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ قال الملك الموكّل عليه هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ هذا ما هو مكتوب عندى حاضر لدىّ او الشيطان الّذى قيّض له هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنّم هيّأته لها باغوائى واضلالى ، وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ خطاب من اللّه تعالى للسائق والشهيد او لملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزّل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله

فإنْ تَزْجُرانى يا ابن عفّان أنزجرْ ... وإنْ تَدَعانى أَحْمِ عِرْضا ممنّعا

او الالف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيّده انّه قرئ أَلْقِيَنْ بالنون الخفيفة عَنِيدٍ معاند للحقّ (٢٤) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فانّ الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة لمّا منع بنى اخيه عنه مُعْتَدٍ متعدّ مُرِيبٍ شاكّ فى اللّه وفى دينه (٢٥) ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ مبتدأ متضمّن معنى الشرط وخبره فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ او بدل من كلّ كفّار فيكون فألقياه تكريرا للتوكيد او مفعول لمضمر يفسّره فألقياه (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ اى الشيطان المقيّض له وانّما استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول فانّه جواب لمحذوف دلّ عليه رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ كانّ الكافر قال هو اطغانى فقال قرينه ربّنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانّها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما فى الحصول اعنى مجىء كلّ نفس مع الملكين وقول

قرينه وَلٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ فأعانه عليه فانّ اغواء الشياطين انّما يؤثّر فيمن كان مختلّ الرأى مائلا جزء ٢٦
الى الفجور كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الّا أن دعوتكم فاستجبتم لى (٢٧) قَالَ اى اللّٰه ركوع ١٦
لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ اى فى موقف الحساب فانّه لا فائدة فيه وهو استيناف مثل الاوّل وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ
بِالْوَعِيدِ على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فلم يبق لكم حجّة وهو حال فيه تعليل للنهى اى لا
تختصموا عالمين انّى اوعدتكم ، والباء مزيدة او معدّية على انّ قدّم بمعنى تقدّم ويجوز ان يكون
بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ اى بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدّل
وعيدى وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فانّ دلائل العفو تدلّ على تخصيص
الوعيد وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ فاعذّب من ليس لى تعذيبه (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ ركوع ١٧
مِنْ مَزِيدٍ سؤال وجواب جىء بهما للتخييل والتصوير والمعنى انّها مع اتّساعها يطرح فيها الجنّة والناس
فوجا فوجا حتّى تمتلئ لقوله لاملأنّ او انّها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ
او انّها من شدّة زفيرها وحدّتها وتشبّثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم ، وقرأ نافع وابو
بكر يقول بالياء ، والمزيد مصدر كالمحيد او مفعول كالمبيع ، ويوم مقدّر باذكر او ظرف لنفخ فيكون
ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ قربت لهم غَيْرَ بَعِيدٍ مكانا غير
بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانّه صفة محذوف اى شيئا غير بعيد او على زنة المصدر او
لانّ الجنّة بمعنى البستان (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ على اضمار القول ، والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت ،
وقرأ ابن كثير بالياء لِكُلِّ أَوَّابٍ رجّاع الى اللّٰه بدل من المتّقين باعادة الجارّ حَفِيظٍ حافظ لحدوده
(٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ بدل بعد بدل او بدل من موصوف اوّاب ولا يجوز
ان يكون فى حكمه لانّ من لا يوصف به او مبتدأ خبره (٣٣) ادْخُلُوهَا على تأويل يقال لهم ادخلوها
فانّ من بمعنى الجمع ، وبالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة للمصدر اى خشية ملتبسة بالغيب
حيث خشى عقابه وهو غائب او العقاب بعد غيب او هو غائب عن الاعين لا يراه احد ، وتخصيص
الرحمن للاشعار بانّهم يرجون رحمته ويخافون عذابه او بانّهم يخشون مع علمهم بسعة رحمته ، ووصف
القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى اللّٰه بِسَلَامٍ سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلّما عليكم من
اللّٰه وملائكته ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا
وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ وهو ما لا يخطر ببالهم ممّا لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (٣٥) وَكَمْ
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ قبل قومك مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا كعاد وفرعون فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ فخرقوا فى البلاد
وتصرّفوا فيها او جالوا فى الارض كلّ مجال حذر الموت فالفاء على الاوّل للتسبيب وعلى الثانى لمجرّد
التعقيب وأصل التنقيب التنقير عن الشىء والبحث عنه هَلْ مِنْ مَحِيصٍ اى لهم من اللّٰه او الموت وقيل

جزء ٢٦ الضمير في نقّبوا لاهل مكّة اى ساروا في اسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتّى يتوقعوا مثله
ركوع ١٧ لانفسهم ويؤيّده انّه قرئ فَنَقِبُوا على الامر وقرئ فَنَقِبُوا بالكسر من النَّقَب وهو ان ينتقب خُفّ البعير
اى اكثروا السير حتّى نَقِبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم (٣٦) إِنَّ فِي ذٰلِكَ فيما ذُكر في هذه السورة لَذِكْرَى لتذكرة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ اى قلبٌ واعٍ يتفكّر في حقائقه أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ او اصغى لاستماعه وَهُوَ شَهِيدٌ حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتّعظ بظواهره وينزجر بزواجره، وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بانّ كلّ قلب لا يتفكّر ولا يتدبّر كَلا قلب (٣٧) وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ مرّ تفسيره مرارا وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ من تَعَبٍ واعياء وهو ردّ لما زعمت اليهود من انّه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش (٣٨) فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ما يقول المشركون من انكارهم البعث فانّ مَنْ قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ونزّهه عن العجز عمّا يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحقّ وغيرها قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ يعنى الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين (٣٩) وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وسبّحه بعض الليل وَأَدْبَارَ ٱلسُّجُودِ وأعقاب الصلوات جمع دُبْر وقرأ الحجازيّان وحمزة وخلف بالكسر من أَدْبَرَت الصلاةُ اذا انقضت وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالصلوة قبل الطلوع الصبحُ وقبل الغروب الظُهرُ والعصرُ ومن الليل العشاءان والتهجّد وأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء (٤٠) وَٱسْتَمِعْ لما اخبرك به من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمُخبَر به يَوْمَ يُنَادِى ٱلْمُنَادِى اسرافيل او جبريل فيقول ايّتها العظام البالية واللحوم المتمزّقة والشعور المتفرّقة انّ اللّه يأمركنّ ان تجتمعن لفصل القضاء مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ بحيث يصل نداؤه الى الكلّ على سواءٍ ولعلّه في الاعادة نظير كُن في الابداء، ويومَ نُصب بما دلّ عليه يوم الخروج (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بدل منه والصيحة النفخة الثانية بِٱلْحَقِّ متعلّق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ من القبور وهو من اسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ في الدنيا وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ للجزاء في الآخرة (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ تتشقّق وقرئ تَنْشَقُّ وقرأ عاصم وحمزة والكسائيّ وخلف وابو عمرو بتخفيف الشين ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا مُسْرِعين ذٰلِكَ حَشْرٌ بعثٌ وجمعٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ هيّن، وتقديم الظرف للاختصاص فانّ ذلك لا يتيسّر الّا على العالم القادر لذاته الّذى لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الّا كنفس واحدة (٤٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ تسلية لرسول اللّه صلعم وتهديد لهم وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ بمسلّط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانّما انت داعٍ (٤٥) فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ

وَعِيدِ فانّه لا ينتفع به غيره ٬ عن النبىّ صلعم من قرأ سورة قٓ هوّن اللّه عليه تاراتِ الموتِ وسكراته جزء ٢٦
واللّه اعلم ٠ ركوع ١٧

سُورَةُ ٱلذَّارِيَاتِ

مكّيّة وآيها ستّون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) وَٱلذَّارِيَاتِ ذَرْوًا يعنى الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولود فانّهنّ يذرين الاولاد او الاسباب ركوع ١٨ الّتى تذرى الخلائق من الملائكة وغيرهم ٬ وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء فى الذال (٢) فَٱلْحَامِلَاتِ وِقْرًا فالسُحُب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك ٬ وقرئ وَقْرًا على تسمية المحمول بالمصدر (٣) فَٱلْجَارِيَاتِ يُسْرًا فالسفن الجارية فى البحر سهلا او الرياح الجارية فى مهابّها او الكواكب الّتى تجرى فى منازلها ٬ ويُسْرًا صفة مصدرٍ محذوف اى جريا ذا يسر (٤) فَٱلْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا الملائكة الّتى تقسّم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمّهم وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح يقسّمن الامطار بتصريف السحاب ٬ فان حُملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة والّا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجوّ حتّى تنعقد سحابا فتحمله فتجرى به باسطة له الى حيث أُمرَتْ به فتقسّم المطر (٥) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٦) وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ جواب القسم كانّه استدلّ باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود ٬ وما موصولة او مصدريّة ٬ والدين الجزاء والواقع الحاصل (٧) وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ذات الطرائق والمراد امّا الطرائق المحسوسة الّتى هى مسير الكواكب او المعقولة الّتى يسلكها النظّار وتتوصّل بها الى المعارف او النجوم فانّ لها طرائق او انّها تزيّنها كما تزيّن الموشىّ طرائقُ الوشى جمع حبيكة كطريقة وطُرُق او حِباك كمِثال ومُثُل وقرئ ٱلْحُبْكِ بالسكون وٱلْحِبِكِ كالابل وٱلْحِبْكِ كالسِلْك وٱلْحَبَكِ كالجَبَل وٱلْحِبَكِ كالنِعَم وٱلْحِبْرِقِ كالبُرَق (٨) إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ فى الرسول وهو قولهم تارة انّه شاعر وتارة انّه مجنون وتارة انّه ساحر او فى القران او القيامة او امر الديانة ٬ ولعلّ النكتة فى هذا القسم تشبيهُ اقوالهم فى اختلافها وتنافى اغراضها بطرائق السموات فى تباعدها واختلاف غاياتها (٩) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ يُصْرَف عنه والضمير للرسول او القران او الايمان من صُرِف اذ لا صَرْف اشدّ منه فكانّه لا صَرْف بالنسبة اليه او يُصْرَف من صُرِف فى علم اللّه وقضائه ٬ ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر إفكُ من أُفِكَ عن القول المختلف وبسببه

جزء ٢٦ حيث انّ المعلّق على شىء بكلمة إِنْ عدم عند عدمه وانّ خبر الواحد لو وجب تبيُّنه من حيث هو
ركوع ١٣ كذلك لَما رُتّب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلَّل بالغير ، وقرأ حمزة والكسائىّ فَتَثَبَّتُوا اى فتوقّفوا الى ان يتبيّن لكم الحال أَنْ تُصِيبُوا كراهةَ إصابتكم قَوْمًا بِجَهَالَةٍ جاهلين بحالهم فَتُصْبِحُوا فتصيروا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ مغتمّين غمّا لازما متمنّين انّه لم يقع وتركيبُ هذه الاحرف الثلثة دائر مع الدوام (٧) وَٱعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ أَنّ بما فى حيّزه سادّ مسدّ مفعولَى اعلموا باعتبار ما قُيّد به من الحال وهو قوله لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ فانّه حال من احد ضميرَىْ فيكم ولو جُعل استينافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى انّ فيكم رسول اللّه على حال يجب تغييرها وهى انّكم تريدون ان يتبع رأيكم فى الحوادث ولو فعل ذلك لعنتّم اى لوقعتم فى الجهد من العَنَت وفيه اشعار بانّ بعضهم اشار اليه بالايقاع ببنى المصطلق وقوله وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ استدراك ببيانِ عذرهم وهو انّه من فرط حبّهم للايمان وكراهتهم للكفر حملهم على ذلك لمّا سمعوا قول الوليد او بصفةِ من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذمّ من فعل ويؤيّده قوله أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلرَّاشِدُونَ اى اولئك المستثنون هم الّذين اصابوا الطريق السوىّ ، وكَرّه معدًّى بنفسه الى مفعول واحد فاذا شُدّد زاد له آخر لكنّه لمّا تضمّن معنى التبغيض نُزّل كرّه منزلة بغّض فعدّى الى آخر بالى ، والكفرُ تغطية نعم اللّه بالجحود والفسوقُ الخروج عن القصد والعصيانُ الامتناع عن الانقياد (٨) فَضْلًا مِنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً تعليلٌ لكرّه او حبّب وما بينهما اعتراض لا للراشدون فانّ الفضل فعل اللّه والرشد وان كان مسبَّبا من فعله مُسْنَد الى ضميرهم او مصدرٌ لغير فعله فانّ التحبيب والرشد فضل من اللّه وانعام وَٱللَّهُ عَلِيمٌ باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حَكِيمٌ حين يُفضل ويُنْعم بالتوفيق عليهم (٩) وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فانّ كلّ طائفة جمعٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بالنصح والدعاء الى حكم اللّه فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ تعدّت عليها فَقَاتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ٱللَّهِ ترجع الى حكمه او ما امر به وانّما أُطلِق الفَىْء على الظلّ لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفّار الى المسلمين فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ بفصلِ ما بينهما على ما حكم اللّه وتقييدُ الاصلاح بالعدل ههنا لانّه مظنّة الحيف من حيث انّه بعد المقاتلة وَأَقْسِطُوا واعدلوا فى كلّ الامور إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ يحمد فعلهم بحسن الجزاء ، والآية نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عم بالسَّعَف والنعال وهو يدلّ على أنّ الباغى مؤمن وانّه اذا قبض عن الحرب تُرك كما جاء فى الحديث لانّه فَىْءٌ الى امر اللّه وانّه يجب معاونةُ من بُغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة (١٠) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ من حيث انّهم منتسبون الى اصل

واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابديّة وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرّره مرتّبا عليه جزء ٢٦
بالفاء فقال فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المأمورين للمبالغة فى التقرير ركوع ١٣
والتحضيض، وخصّ الاثنين بالذكر لانهما اقلّ مَنْ يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ وإِخْوَانِكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ فى مخالفة حكمه والاهمال فيه لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ على
تقواكم (١١) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ ركوع ١٤
عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ اى لا يَسْخَر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر، والقوم مختصّ بالرجال لانّه امّا مصدرٌ نُعت به فشاع فى الجمع او جمعٌ لقائم كزائر وزُوْر والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال تعالى الرجال قوّامون على النساء وحيث فُسّر بالقبيلين كقوم عاد وفرعون فامّا على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهنّ لانّهنّ توابع، واختيار الجمع لانّ السخريّة تغلب فى المجامع، وعسى باسمها استيناف بالعلّة الموجبة للنهى ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عَسَوْا أَنْ يَكُونُوا وعَسَيْنَ أَنْ يَكُنَّ فهى على هذا ذاتُ خبرٍ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ولا يَعِب بعضكم بعضا فانّ المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تُلْمَزون به فانّ من فعل ما يستحقّ به اللمز فقد لمز نفسه واللمزُ الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضمّ وَلَا تَنَابَزُوا بِٱلْأَلْقَابِ ولا يَدْعُ بعضكم بعضا بلقب السوء فانّ النبز يختصّ بلقب السوء عُرْفا بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ اى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يُذْكَروا بالفسق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمرادُ به امّا تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روى انّ الآية نزلت فى صَفِيّة بنت حُيَيّ اتت رسول الله صلعم فقالت انّ النساء يقلن لى يا يهوديّة بنت يهوديّين فقال لها هلّا قلتِ انّ ابى هٰرون وعمّى موسى وزوجى محمّد او الدلالة على انّ التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح وَمَنْ لَمْ يَتُبْ عمّا نُهى عنه فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب (١٢) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ ٱلظَّنِّ كونوا على جانب منه، وابهامُ الكثير ليُحتاط فى كلّ ظنّ ويُتأمّل حتّى يُعْلَم انّه من أىّ قبيل فانّ من الظنّ ما يجب اتّباعُه كالظنّ حيث لا قاطع فيه من العمليّات وحُسْنِ الظنّ بالله سبحانه وتعالى وما يَحْرُم كالظنّ فى الالهيّات والنبوّات وحيث يخالفه قاطعٌ وظنّ السوء بالمؤمنين وما يُباح كالظنّ فى الامور المعاشيّة إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ تعليل مستأنف للامر، والاثمُ الذنب الّذى يُسْتحقّ العقوبة عليه والهمزةُ فيه من الواو كانّه يَثِم الاعمال اى يكسرها وَلَا تَجَسَّسُوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعّل من الجسّ باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمّس وقرئ بالحاء من الحسّ الّذى هو اثر الجسّ وغايته ولذلك قيل للحواسّ الخمس الجواسّ وفى الحديث لا تتبّعوا عورات المسلمين فانّ من تتبّع عوراتهم تتبّع الله عورته حتّى يفضحه ولو فى جوف بيته وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا

*

جزء ٢٦ ركوع ١٤ ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غَيْبته وسئل عم عن الغيبة فقال أن تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهتّه أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا تمثيل لما يناله المغتاب من عِرْض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرِّر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبّة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فَكَرِهْتُمُوهُ تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صحّ ذلك او عُرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكارُ كراهته ، وانتصابُ ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدّده نافع وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ لمن اتّقى ما نُهى عنه وتاب ممّا فرط منه ، والمبالغة فى التوّاب لانّه بليغ فى قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم ، روى انّ رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلعم يبغى لهما اداما وكان أُسامة على طعامه فقال ما عندى شىء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئرِ سُمَيْحة لَغارَ ماؤها فلمّا راحا الى رسول الله صلعم قال لهما ما لى ارى خُضْرة اللحم فى افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انّكما قد اغتبتما فنزلت (١٣) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى من آدم وحوّاء او خلقنا كلّ واحد منكم من اب وامّ فالكلّ سواء فى ذلك فلا وَجْهَ للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوّة المانعة عن الاغتياب وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ الشَّعْب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلةُ تجمع العمائر والعمارةُ تجمع البطون والبطنُ تجمع الافخاذ والفخذُ تجمع الفصائل فخُزيمةُ شعب وكِنانةُ قبيلة وقريش عمارة وقُصَىٌّ بطن وهاشم فخذ وعبّاس فصيلة وقيل الشعوبُ بطون العجم والقبائلُ بطون العرب لِتَعَارَفُوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لِتَّعارَفوا بالادغام ولِتَتَعارَفوا ولِتَعْرِفوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ فانّ التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمسْه منها كما قال عم من سَرّه أن يكون اكرم الناس فليتّق الله وقال يا ايّها الناس انّما الناس رجلان مؤمن تقىّ كريم على الله وفاجر شقىّ هيّن على الله إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بكم خَبِيرٌ ببواطنكم (١٤) قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا نزلت فى نفر من بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدبة فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلعم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنّون قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم والّا لَما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دلّ عليه آخر السورة وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا فانّ الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهارُ الشهادة وترك المحاربة يُشْعر به ، وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنّا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهى عن القول بالايمان والجزم باسلامهم ،وقد فُقد شرط اعتباره شرعا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ توقيت لقولوا

فانّه حال من ضميره اى ولكن قولوا اسلمنا ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعدُ وَإِن تُطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ جزء ٢٦
بالاخلاص وترك النفاق لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ لا ينقصكم من اجورها شَيْـًٔا من لات يليت ليتًا اذا نقص ركوع ١٤
وقرأ البصريّان لَا يَأْلِتْكُم من الألْت وهو لغة غطفان إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ لما فرط من المطيعين رَّحِيمٌ بالتفضّل عليهم (١٥) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا لم يشكّوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه فى الشكّ مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفى الايمان عنهم وثُمّ للاشعار بانّ اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس حالَ الايمان فقط بل وفيما يستقبل فهى كما فى قوله ثمّ استقاموا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فى طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات الماليّة والبدنيّة بأسرها أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ الّذين صدقوا فى ادّعاء الايمان (١٦) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ اتخبرونه به بقولكم آمنّا وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روى انّه لمّا نزلت الآية المتقدّمة جاءوا وحلفوا انّهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه (١٧) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا يعدّون اسلامهم عليك منّة وهى النعمة الّتى لا يستثيب موليها ممّن يزلّها اليه من المنّ بمعنى القطع لانّ المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المَنّ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَامَكُم اى باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ على ما زعمتم مع انّ الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ إِنْ هَدَاكُمْ بالكسر واِذْ هَدَاكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فى ادّعاء الايمان وجوابه محذوف يدلّ عليه ما قبله اى فللّه المنّة عليكم ، وفى سياق الآية لطف وهو انّهم لمّا سمّوا ما صدر عنهم ايمانا ومنّوا به فنفى انّه ايمان وسمّاه اسلاما بأن قال يمنّون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يُمَنّ به عليك بل لو صحّ ادّعاؤهم للايمان فللّه المنّة عليهم بالهداية له لا لهم (١٨) إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ما غاب فيهما وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ فى سرّكم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما فى الآية من الغيبة ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الحجرات أُعطى من الاجر بعدد من اطاع اللّه وعصاه •

سورة ق

مكّيّة وآيها خمس واربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٤٠٦٨ (١) قٓ وَٱلْقُرْآنِ ٱلْمَجِيدِ الكلام فيه كما مرّ فى صٓ والقرآن ذى الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على ركوع ١٥
سائر الكتب او لانّه كلام المجيد او لانّ مَن علم معانيه وامتثل احكامه مَجُدَ (٢) بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم

جزء ٢٦ ركوع ١٥

مُنْذِرٌ مِنْهُمْ انكار لتعجّبهم ممّا ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ حكايةٌ لتعجّبهم وهٰذا اشارة الى اختيار اللّه محمّدا للرّسالة واضمار ذكرهم ثمّ اظهارُه للاشعار بتعيّنهم لهذا المقال ثمّ التسجيل على كفرهم بذلك او عطفٌ لتعجّبهم من البعث على تعجّبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجّبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مُبْهَم يفسّره ما بعدَه او مُجْمَلا ان كانت الاشارة الى محذوف دلّ عليه مُنْذِر ثمّ تفسيرِه او تفصيلِه لانّه ادخل فى الانكار اذ الاوّل استبعاد لأنْ يفضّل عليهم مثلهم والثانى استقصار لقدرة اللّه عمّا هو اهون ممّا يشاهدون من صُنْعه (٣) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا اى أَنُرْجَع اذا متنا وصرنا ترابا ويدلّ على المحذوف قوله ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ اى بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرَّجْع بمعنى المرجوع (٤) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ما تأكل من اجساد موتاهم وهو ردّ لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل إنّه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ حافظ لتفاصيل الاشياء كلّها او محفوظ عن التغيّر والمرادُ إمّا تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلمِ مَنْ عنده كتاب محفوظ يطالعه او تأكيد لعلمه بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده (٥) بَلْ كَذَّبُوا بِٱلْحَقِّ يعنى النبوّة الثابتة بالمعجزات او النبىّ او القران لَمَّا جَآءَهُمْ وقرئ لِمَا بالكسر فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ مضطرب من مَرِجَ الخاتَمُ فى اصبعه اذا جَرِج وذلك قولهم تارة انّه شاعر وتارة انّه ساحر وتارة انّه كاهن (٦) أَفَلَمْ يَنْظُرُوا حين كفروا بالبعث إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ الى آثار قدرة اللّه فى خلق العالم كَيْفَ بَنَيْنَاهَا رفعناها بلا عمد وَزَيَّنَّاهَا بالكواكب وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ فتوق بأن خلقها ملساء متلاصقة الطباق (٧) وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا بسطناها وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ جبالا ثوابت وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ من كلّ صنف بَهِيجٍ حَسَن (٨) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ راجع الى ربّه متفكر فى بدائع صُنْعه وهما علّتان للافعال المذكورة معنًى وان انتصبتا عن الفعل الاخير (٩) وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُبَارَكًا كثير المنافع فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ اشجارا واثمارا وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ وحبّ الزرع الّذى من شأنه ان يُحْصَد كالبرّ والشعير (١٠) وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ طوالا او حوامل من أَبْسَقَت الشاةُ اذا حَمَلَتْ فيكون من أَفْعَلَ فهو فاعل وإفرادُها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ بَاصِقَات لاجل القاف لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ منضود بعضه فوق بعض والمرادُ تراكُمُ الطلع او كثرةُ ما فيه من التمر (١١) رِزْقًا لِلْعِبَادِ علّةٌ لأنبتنا او مصدرٌ فانّ الانبات رزق وَأَحْيَيْنَا بِهِ بذلك الماء بَلْدَةً مَيْتًا ارضا جدبة لا نماء فيها كَذٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم (١٢) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ (١٣) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ اراد اياه وقومه

جزء ٢٦ ركوع ١٥ ليلائم ما قبله وما بعده وَإِخْوَانُ لُوطٍ أخدانه لانّهم كانوا اظهاره وَأَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ سبق فى الحجر والدخان كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ اى كلّ واحدٍ او قومٍ منهم او جميعُهم وإفرادُ الضمير لافراد لفظه فَحَقَّ وَعِيدِ فوجب وحلّ عليه وعيدى وفيه تسلية للرسول وتهديد لهم (١٤) أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ اى افعجزنا عن الإبداء حتّى نعجز عن الاعادة مِنْ عَيِىَ بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ اى هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاوّل بل هم فى خَلْطٍ وشُبْهةٍ فى خلق مستأنَف لما فيه من مخالفة العادة ، وتنكيرُ الخلق الجديد لتعظيم شأنه والاشعارِ بانّه على وجهٍ غير متعارَفٍ ولا معتاد (١٥) وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ما تحدّثه به نفسه وهو ما يخطُر بالبال والوسوسةُ الصوت الخفىّ ومنه وسواس الحُلِىّ ، والضمير لِمَا ان جُعلت موصولة ركوع ١٦
والباء مثلها فى صوّت بكذا وللانسان ان جُعلت مصدريّة والباء للتعدية وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ اى ونحن اعلم بحاله ممّن كان اقربَ اليه من حبل الوريد تجوّز بقرب الذات لقرب العلم لانّه موجِبه وحبلُ الوريد مَثَلٌ فى القرب قال ، والموت ادنى لى من الوريد ، والحبل العِرْق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان بصَفحتى العنق فى مقدّمها متّصلان بالوَتِينِ يردان من الرأس اليه وقيل سُمّى وريدا لانّ الروح تَرِده (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ مقدّر باذكُرْ او متعلّق بأقرب اى هو اعلم بحاله من كلّ قريب حين يتلقّى اى يتلقّن الحفيظان ما يتلفّظ به وفيه ايذان بانّه غنىّ عن استحفاظ الملكين فانّه اعلم منهما ومطّلع على ما يخفَى عليهما لكنّه لحكمة اقتضته وهى ما فيه من تشديد يثبّط العبدَ عن المعصية وتأكيد فى اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام للحجّة يوم يقوم الاشهاد عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ اى عن اليمين قعيدٌ وعن الشمال قعيدٌ اى مُقاعد كالجليس فحذف الاوّل لدلالة الثانى عليه كقوله ، فانّى وقيّارٌ بها لَغريب ، وقد يُطلَق الفعيل للواحد والمتعدِّد كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ ما يرمى به من فيه إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ ملك يرقُب عمله عَتِيدٌ مُعَدّ حاضر ولعلّه يكتب عليه ما فيه ثواب او عقاب وفى الحديث كاتب الحسنات امين على كاتب السيّآت فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عَشْرا واذا عمل سيّئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبعَ ساعات لعلّه يسبّح او يستغفر (١٨) وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ لمّا ذكر استبعادهم البعثَ للجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانّهم ملاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبّه على اقترابه بأن عبّر عنه بلفظ الماضى ، وسكرةُ الموت شدّته الذاهبة بالعقل ، والباء للتعدية كما فى قولك جاء زيد بعمرو والمعنى وأحضرتْ سكرةُ الموت حقيقةَ الامر او الموعودَ الحقّ او الحقَّ الّذى ينبغى ان يكون من الموت او الجزاء فانّ الانسان خُلق له او مثل الباء فى تَنْبُت بالدهن ، وقرئ [illegible] ٱلْحَقِّ بِٱلْمَوْتِ على انّها لشدّتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كانّها جاءت به او [illegible]

جزء ٢٦ بمعنى مع وقيل سكرة الحقّ سكرة اللّه واضافتها اليه للتهويل وقرئ سَكَرَاتُ ٱلْمَوْتِ ذٰلِكَ اى الموت
ركوع ١٦ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ تميل وتنفر عنه والخطابُ للانسان (١٩) وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ يعنى نفخة البعث ذٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ اى وقتُ ذلك يومُ تحقّق الوعيد وإنجازه والاشارة الى مصدرِ نفخ (٢٠) وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ملكان احدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيّآت والشهيدُ كاتب الحسنات وقيل السائقُ نفسه او قرينه والشهيدُ جوارحه او اعماله ومحلُّ معها النصب على الحال من كلّ لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا على اضمار القول والخطابُ لكلّ نفس اذ ما من احد الّا وله اشتغالٌ ما عن الآخرة او للكافر فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَآءَكَ الغطاءَ الحاجبَ لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والإلْف بها وقصور النظر عليها فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ نافذ لزوال المانع للإبصار وقيل الخطاب للنبىّ والمعنى كنت فى غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحى وتعليم القران فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيّد الاوّلَ قراءةُ من كسر التاء والكافاتِ على خطاب النفس (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ قال الملكُ الموكَّل عليه هٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ هذا ما هو مكتوب عندى حاضر لدىّ او الشيطانُ الّذى قُيّض له هذا ما عندى وفى مَلَكتى عتيد لجهنّم هيّأته لها باغوائى واضلالى وما إن جُعلت موصوفةً فعتيد صفتها وإن جُعلت موصولةً فبدلها او خبرٌ بعد خبر او خبرُ محذوف (٢٣) أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ خطاب من اللّه تعالى للسائق والشهيد او لملكين من خزنة النار او لواحد وتثنيةُ الفاعل منزّل منزلة تثنيةِ الفعل وتكريره كقوله

فإنْ تَزْجُرانى يا ابن عفّان أنزجِرْ وإنْ تَدَعانى أَحْمِ عِرْضا ممنّعا

او الالف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيّده انّه قرئ أَلْقِيَنْ بالنون الخفيفة عَنِيدٍ معاند للحقّ (٢٤) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فانّ الآية نزلت فى الوليد بن المُغيرة لمّا منع بنى اخيه عنه مُعْتَدٍ متعدٍّ مُرِيبٍ شاكّ فى اللّه وفى دينه (٢٥) ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللّٰهِ إِلٰهًا آخَرَ مبتدأ متضمّن معنى الشرط وخبره فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ او بدل من كلّ كفّار فيكون فألقياه تكريرا للتوكيد او مفعول لمضمر يفسّره فألقياه (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ اى الشيطان المقيَّض له وانّما استؤنفت كما تُستأنف الجُمَل الواقعة فى حكاية التقاول فانّه جواب لمحذوف دلّ عليه رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ كانّ الكافر قال هو اطغانى فقال قرينه ربّنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانّها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما فى الحصول اعنى مجىء كلّ نفس مع الملكين وقول

جزء ٢٦ قرينه وَلٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ فأعنته عليه فانّ اغواء الشياطين انّما يؤثر فيمن كان مختلّ الرأى مائلا
ركوع ١٦ الى الفجور كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الّا أن دعوتكم فاستجبتم لى (٢٧) قَالَ اى اللّه
لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ اى فى موقف الحساب فانّه لا فائدة فيه وهو استيناف مثل الاوّل وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ
بِالْوَعِيدِ على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فلم يبق لكم حجّة وهو حال فيه تعليل للنهى اى لا
٥ تختصموا عالمين انّى اوعدتكم ؛ والباء مزيدة او معدّية على انّ قدّم بمعنى تقدّم ويجوز ان يكون
بالوعيد حالا والفعلُ واقعا على قوله (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ اى بوقوع الخُلف فيه فلا تطمعوا ان ابدّل
وعيدى وعفوُ بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فانّ دلائل العفو تدلّ على تخصيص
ركوع ١٧ الوعيد وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ فاعذّب من ليس لى تعذيبه (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ
مِنْ مَزِيدٍ سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير والمعنى انّها مع اتّساعها يُطرح فيها الجنّة والناس
١٠ فوجا فوجا حتّى تمتلئ لقوله لاملأنّ او انّها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعدُ فراغٌ
او انّها من شدّة زفيرها وحدّتها وتشبّثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم ؛ وقرأ نافع وابو
بكر يقول بالياء ؛ والمزيد مصدر كالمحيد او مفعول كالمبيع ؛ ويومَ مقدّرٌ باذكر او ظرفٌ لنفخ فيكون
ذلك اشارةً اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ قرّبت لهم غَيْرَ بَعِيدٍ مكانا غير
بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانّه صفة محذوف اى شيأً غير بعيد او على زنة المصدر او
١٥ لانّ الجنّة بمعنى البستان (٣١) هٰذَا مَا تُوعَدُونَ على اضمار القول ؛ والاشارة الى الثواب او مصدرِ ازلفت ؛
وقرأ ابن كثير بالياء لِكُلِّ أَوَّابٍ رجّاع الى اللّه بدل من المتّقين باعادة الجارّ حَفِيظٍ حافظ لحدوده
(٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ بدلٌ بعد بدل او بدلٌ من موصوف اوّاب ولا يجوز
ان يكون فى حكمه لانّ مَن لا يوصف به او مبتدأٌ خبرُه (٣٣) ادْخُلُوهَا على تأويل يقال لهم ادخلوها
فانّ مَن بمعنى الجمع ؛ وبالغيب حالٌ من الفاعل او المفعول او صفةٌ للمصدر اى خشيةً ملتبسةً بالغيب
٢٠ حيث خشى عقابه وهو غائب او العقابُ بعدُ غيبٌ او هو غائب عن الاعين لا يراه احد ؛ وتخصيص
الرحمن للاشعار بانّهم يرجون رحمته ويخافون عذابه او بانّهم يخشون مع علمهم بسعة رحمته ؛ ووصف
القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى اللّه بِسَلَامٍ سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلّما عليكم من
اللّه وملائكته ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا
وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ وهو ما لا يخطر ببالهم ممّا لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (٣٥) وَكَمْ
٢٥ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ قبل قومك مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا كعاد وفرعون فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ فخرقوا فى البلاد
وتصرّفوا فيها او جالوا فى الارض كلّ مجال حذرَ الموت فالفاء على الاوّل للتسبيب وعلى الثانى لمجرّد
التعقيب وأصلُ التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه هَلْ مِنْ مَحِيصٍ اى لهم من اللّه او الموت وقيل

جزء ٢٦ الضمير في نقّبوا لاهل مكّة اى ساروا في اسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتّى يتوقّعوا مثله
ركوع ١٧ لانفسهم ويؤيّده انّه قرئ فَنَقِّبُوا على الامر وقرئ فَنَقِبُوا بالكسر من النَّقَب وهو ان ينتقب خُفّ البعير
اى اكثروا السير حتّى نَقِبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم (٣٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ فيما ذُكر في هذه السورة
لَذِكْرَىٰ لتذكرة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ اى قلب واعٍ يتفكّر في حقائقه أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ او اصغى لاستماعه
وَهُوَ شَهِيدٌ حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتّعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير القلب
وابهامه تفخيم واشعار بانّ كلّ قلب لا يتفكّر ولا يتدبّر كلا قلب (٣٧) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ مرّ تفسيره مرارا وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ من تَعَبٍ واعياء وهو ردّ لما زعمت اليهود من
انّه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش
(٣٨) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ما يقول المشركون من انكارهم البعث فانّ مَنْ قدر على خلق العالم
بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
ونزّهه عن العجز عمّا يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة
الحقّ وغيرها قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ يعنى الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين (٣٩) وَمِنَ
اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وسبّحه بعض الليل وَأَدْبَارَ السُّجُودِ وأعقاب الصلوات جمع دُبُر وقرأ الحجازيّان وحمزة وخلف
بالكسر من أَدْبَرَت الصلاة اذا انقضت وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالصلوة قبل الطلوع الصبح وقبل
الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان والتهجّد وأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر
بعد العشاء (٤٠) وَاسْتَمِعْ لما اخبرك به من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمُخبَر به يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ
اسرافيل او جبريل فيقول ايّتها العظام البالية واللحوم المتمزّقة والشعور المتفرّقة انّ الله يأمركنّ ان
تجتمعن لفصل القضاء مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ بحيث يصل نداؤه الى الكلّ على سواءٍ ولعلّه في الاعادة نظير كُنْ
في الابداء ويومَ نُصب بما دلّ عليه يوم الخروج (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بدل منه والصيحة النفخة
الثانية بِالْحَقِّ متعلّق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ من القبور وهو من اسماء
يوم القيامة وقد يقال للعيد (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ في الدنيا وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ للجزاء في الآخرة
(٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ تتشقّق وقرئ تَنْشَقُّ وقرأ عاصم وحمزة والكسائىّ وخلف وابو عمرو بتخفيف الشين
الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا مسرعين ذَٰلِكَ حَشْرٌ بعث وجمع عَلَيْنَا يَسِيرٌ هيّن وتقديم الظرف للاختصاص فانّ
ذلك لا يتيسّر الّا على العالم القادر لذاته الّذى لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الّا
كنفس واحدة (٤٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ تسلية لرسول الله صلعم وتهديد لهم وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ
بمسلّط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانّما انت داعٍ (٤٥) فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ

وَعِيدِ فانّه لا ينتفع به غيره ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة قٓ هوّن اللّه عليه تاراتِ الموتِ وسكراته جزء ٢٦
واللّه اعلم ٠ ركوع ١٧

سُورَةُ ٱلذَّارِيَاتِ

مكيّة وآيها ستّون آيــــة

بِسْــــــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) وَٱلذَّارِيَاتِ ذَرْوًا يعنى الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الوَلود فانّهنّ يذرين الاولاد او الاسباب ركوع ١٨ الّتى تذرى الخلائق من الملائكة وغيرهم ، وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء فى الذال (٢) فَٱلْحَامِلَاتِ وِقْرًا فالسُحُب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك ، وقرئ وَقْرًا على تسمية المحمول بالمصدر (٣) فَٱلْجَارِيَاتِ يُسْرًا فالسفن الجارية فى البحر سهلا او الرياح الجارية فى مهابّها او الكواكب الّتى تجرى فى منازلها ، ويُسْرًا صفة مصدر محذوف اى جريا ذا يسر (٤) فَٱلْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا الملائكة الّتى تقسّم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمّهم وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح يقسّمن الامطار بتصريف السحاب ، فان حُملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينهـا من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة والّا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجوّ حتّى تنعقد سحابا فتحمله فتجرى به باسطة له الى حيث أُمرَتْ به فتقسّم المطر (٥) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٦) وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ جواب القسم كانّه استدلّ باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود ، وما موصولة او مصدريّة ، والدين الجزاء والواقع الحاصل (٧) وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ذات الطرائق والمراد امّا الطرائق المحسوسة الّتى هى مسير الكواكب او المعقولة الّتى يسلكها النظّار وتتوصّل بها الى المعارف او النجوم فانّ لها طرائق او انّها تزيّنها كما تزيّن الموشّى طرائق الوشى جمع حبيكة كطريقة وطُرُق او حِباك كمثال ومُثُل وقرئ ٱلْحُبْكِ بالسكون وَٱلْحِبِكِ كالابِل وَٱلْحِبْكِ كالسِلْك وَٱلْحَبَكِ كالجَبَل وَٱلْحِبَكِ كالنِعَم وَٱلْحِبُكِ كالبِرُق (٨) إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ فى الرسول وهو قولهم تارة انّه شاعر وتارة انّه مجنون وتـارة انّه ساحر او فى القران او القيامة او امر الديانة ، ولعلّ النكتة فى هذا القسم تشبيه اقوالهم فى اختلافها وتنافى اغراضها بطرائق السموات فى تباعدها واختلاف غاياتها (٩) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ يُصْرَف عنه والضمير للرسول او القران او الايمان من صُرِف اذ لا صَرْفَ اشدّ منه فكانّه لا صَرْفَ بالنسبة اليه او يُصْرَف من صُرِف فى علم اللّه وقضائه ، ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر إفْكُ من أُفِكَ عن القول المختلف وبسببه

جزء ٢٦ كقوله • يَنْهَوْنَ عن اكل وعن شرب • اى يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما ، وقرئ أُفِكَ بالفتح اى
ركوع ١٨ مَنْ أَفَكَ الناسَ وهم قريش كانوا يَصُدّون الناس عن الايمان (١٠) قُتِلَ ٱلْخَرَّاصُونَ الكذّابون من اصحاب
القول المختلف وأصله الدعاء بالقتل أُجْرِىَ مجرى اللعن (١١) ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ فى جهل يغمرهم
سَاهُونَ غافلون عمّا أُمروا به (١٢) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ اى فيقولون متى يوم الجزاء اى وقوعه
وقرئ إِيَّانَ بالكسر (١٣) يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ يُحرَقون جواب للسؤال اى يقع يومَ هم على النار
يفتنون او هو يومُ هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكّن ويدلّ عليه انّه قرئ بالرفع
(١٤) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ اى مقولا لهم هذا القول هٰذَا ٱلَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ هذا العذاب هو الّذى كنتم
به تستعجلون ويجوز ان يكون هٰذا بدلا من فتنتكم والّذى صفته (١٥) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
(١٦) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه انّ كلّ ما آتاهم حسنٌ مرضىّ متلقى
بالقبول إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُحْسِنِينَ قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك (١٧) كَانُوا قَلِيلًا
مِنَ ٱللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ تفسير لاحسانهم ، وما مزيدةٌ اى يهجعون فى طائفة من الليل او يهجعون
هجوعا قليلا او مصدريّةٌ او موصولةٌ اى فى قليل من الليل هجوعُهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان
تكون نافية لانّ ما بعدها لا يعمل فيما قبلها ، وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكرُ القليلِ والليلِ
الّذى هو وقت السُبات والهجوعِ الّذى هو الغِرار من النوم وزيادةُ ما (١٨) وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
اى انّهم مع قلّة هجوعهم وكثرة تهجّدهم اذا اسحروا اخذوا فى الاستغفار كانّهم اسلفوا فى
ليلهم الجرائم ، وفى بناء الفعل على الضمير اشعارٌ بانّهم أَحِقّاء بذلك لوفور علمهم باللّه وخشيتهم منه
(١٩) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ نصيب يستوجبونه على انفسهم تقرّبا الى اللّه واشفاقا على الناس لِلسَّائِلِ وَٱلْمَحْرُومِ
للمستجدى والمتعفّف الّذى يُظَنّ غنيّا فيُحرَم الصدقةَ (٢٠) وَفِي ٱلْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ اى فيها دلائل من
انواع المعادن والحيوان او وجوهُ دلالاتٍ من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف
اجزائها فى الكيفيّات والخواصّ والمنافع تدلّ على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته
(٢١) وَفِي أَنْفُسِكُمْ اى وفى انفسكم آيات اذ ما فى العالم شىء الّا وفى الانسان له نظيرٌ يدلّ دلالته مع ما
انفرد به من الهيآت النافعة والمناظر البهيّة والتركيبات العجيبة والتمكّن من الافعال الغريبة واستنباط
الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوّعة أَفَلَا تُبْصِرُونَ تنظرون نظر من يعتبر (٢٢) وَفِي ٱلسَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
اسبابُ رزقكم او تقديرُه وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانّه سبب الاقوات وَمَا تُوعَدُونَ
من الثواب لانّ الجنّة فوق السماء السابعة او لانّ الاعمال وثوابها مكتوبة مقدّرة فى السماء وقيل انّه
مستأنف خبره (٢٣) فَوَرَبِّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاوّل يحتمل ان يكون

له ولما ذُكر من امر الآيات والرزق والوعد مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ اى مثل نطقكم كما انّه لا شكّ لكم جزء ٢٦
فى انّكم تنطقون ينبغى ان لا تشكّوا فى تحقّق ذلك ونصبه على الحال من المستكنّ فى لحقّ او الوصف ركوع ١٨
لمصدر محذوف اى انّه لحقّ حقّا مثل نطقكم وقيل انّه مبنىّ على الفتح لاضافته الى غير متمكّن وهو
مَا إن كانت بمعنى شىء وأنّ بما فى حيّزها إن جُعلت زائدة ومحلّه الرفع على انّه صفة لحقّ ويؤيّده
قراءة حمزة والكسائىّ وابى بكر بالرفع (٢٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرٰهِيمَ فيه تفخيمٌ لشأن الحديث ركوع ١٩
وتنبيهٌ على انّه أُوحى اليه ٭ والضيف فى الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والمتعدّد قيل كانوا
اثنى عشر ملكا وقيل ثلاثةً جبريل وميكائيل واسرافيل وسمّاهم ضيفا لانّهم كانوا فى صورة الضيف
ٱلْمُكْرَمِينَ اى مكرمين عند اللّه او عند ابرٰهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته (٢٥) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ظرف
للحديث او الضيف او المكرمين فَقَالُوا سَلَامًا اى نسلّم عليكم سلاما قَالَ سَلَامٌ اى عليكم عدل به الى
الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتّى يكون تحيّته احسن من تحيّتهم وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة
والكسائىّ قَالَ سِلْمٌ وقرئ منصوبا والمعنى واحد قَوْمٌ مُنْكَرُونَ اى انتم قوم منكرون وانّما انكرهم لانّه
ظنّ انّهم بنو آدم ولم يعرفهم او لانّ السلامَ لم يكن تحيّتهم فانّه عَلَمُ الاسلام وهو كالتعرّف عنهم
(٢٦) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فذهب اليهم فى خفية من ضيفه فانّ من ادب المُضيف ان يبادر بالقِرى حذرا من
ان يكفّه الضيف او يصير منتظرا فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ لانّه كان عامّة ماله البقر (٢٧) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ بأن
وضعه بين ايديهم قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ اى منه وهو مُشعِر بكونه حنيذا ٭ والهمزة فيه للعرض والحثّ
على الاكل على طريقة الادب إن قاله اوّل ما وضعه وللانكار إن قاله حيثما رأى اعراضهم (٢٨) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ
خِيفَةً فأضمر منهم خوفا لمّا رأى اعراضهم عن طعامه لظنّه انّهم جاءوه لشرّ وقيل وقع فى نفسه انّهم
ملائكة أُرسلوا لعذاب قَالُوا لَا تَخَفْ انّا رسل اللّه قيل مسح جبريل العجل بجناحيه فقام يدرج
حتّى لحق بأمّه فعرفهم وأَمِن منهم وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ هو اسحٰق عَلِيمٍ يكمل علمه اذا بلغ (٢٩) فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُ
سارة الى بيتها وكانت تنظر اليهم فِى صَرَّةٍ فى صيحة من الصرير ومحلّه النصب على الحال او المفعول ان
أُوّل اقبلت بأخذت فَصَكَّتْ وَجْهَهَا فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فِعْلَ المتعجّب وقيل وجدت حرارة
دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ اى انا عجوز عاقر فكيف ألِد (٣٠) قَالُوا كَذٰلِكَ
مثلَ ذلك الّذى بشّرنا به قَالَ رَبُّكِ وانّما نخبرك به عنه إِنَّهُ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ فيكون قوله حقّا وفعله
محكما (٣١) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ لمّا علم انّهم ملائكة وانّهم لا ينزلون مجتمعين الّا لامر عظيم جزء ٢٧
سأل عنه (٣٢) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ يعنون قوم لوط (٣٣) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ يريد ركوع ١
السجّيل فانّه طين متحجّر (٣٤) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ مُرْسَلة من أسمت الماشية او مُعلّمة من السُومة وهى

جزء ٢٧ العلامة لِلْمُسْرِفِينَ المجاوزين الحدّ فى الفجور (٣٥) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا فى قرى قوم لوط واضمارها

ركوع ١ ولم يجر ذكرها لكونها معلومة مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ممّن آمن بلوط (٣٦) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ غير اهل بيت من المسلمين ، واستُدلّ به على اتّحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لانّ ذلك لا يقتضى الّا صدق المؤمن والمسلم على من اتّبعه وذلك لا يقتضى اتّحاد مفهومَيْهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة (٣٧) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً علامة لِلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ فانّهم المعتبرون بها وهى تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن (٣٨) وَفِي مُوسَى عطف على وفى الارض او تركنا فيها على معنى وجعلنا فى موسى كقوله • علفتها تبنًا وماء باردا • إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ وهو معجزاته كاليد والعصا (٣٩) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ فأعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولّى بما يتقوّى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشىء ويتقوّى به وقرئ بضمّ الكاف وَقَالَ سَاحِرٌ اى هو ساحر أَوْ مَجْنُونٌ كانّه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجنّ وتردّد فى انّه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما (٤٠) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي ٱلْيَمِّ فاغرقناهم فى البحر وَهُوَ مُلِيمٌ آتٍ بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير فى فأخذناه (٤١) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ سمّاها عقيما لانّها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانّها لم تتضمّن منفعة وهى الدبور او الجنوب او النكباء (٤٢) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ مرّت عليه إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ كالرماد من الرمّ وهو البلى والتفتّت (٤٣) وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ تفسيره قوله تمتّعوا فى داركم ثلثة ايّام (٤٤) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فاستكبروا عن امتثاله فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّاعِقَةُ اى العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائىّ ٱلصَّعْقَةُ وهى المرّة من الصعق وَهُمْ يَنْظُرُونَ اليها فانّها جاءتهم معاينة بالنهار (٤٥) فَمَا ٱسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ كقوله فأصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ممتنعين منه (٤٦) وَقَوْمَ نُوحٍ اى وأهلكنا قوم نوح لانّ ما قبله يدلّ عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محلّ فى عاد ويؤيّده قراءة ابى عمرو وحمزة والكسائىّ بالجرّ مِنْ قَبْلُ من قبل هؤلاء المذكورين إِنَّهُمْ كَانُوا

ركوع ٢ قَوْمًا فَاسِقِينَ خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان (٤٧) وَٱلسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ بقوّة وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ لقادرون من الوُسع بمعنى الطاقة والمُوسِع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق (٤٨) وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا مهدناها لتستقرّوا عليها فَنِعْمَ ٱلْمَاهِدُونَ اى نحن (٤٩) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ من الاجناس خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ نوعين لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فتعلمون انّ التعدّد من خواصّ الممكنات وانّ الواجب بالذات لا يقبل التعدّد والانقسام (٥٠) فَفِرُّوا إِلَى ٱللَّهِ من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة

جزء ۲۷ رکوع ۲

الطاعة إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ من عذابه المُعَدّ لمن اشرك او عصى نَذِيرٌ مُبِينٌ بيّنٌ كونُه منذرا من الله بالمعجزات او مبيّنٌ ما يجب ان يُحْذَر عنه (۵۱) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللّٰهِ إِلٰهًا آخَرَ افراد لأعظم ما يجب ان يُفَرّ منه إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ تكرير للتأكيد او الاوّل مرتّب على ترك الايمان والطاعة والثانى على الاشراك (۵۲) كَذٰلِكَ اى الامر مثلُ ذلك والاشارةُ الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم ايّاه ساحرا او مجنونا وقوله مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ كالتفسير له ولا يجوز نصبه بأتى او ما يفسّره لانّ ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها (۵۳) أَتَوَاصَوْا بِهِ اى كأنّ الاوّلين والآخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتّى قالوه جميعا بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ اضراب عن انّ التواصى جامعهم لتباعد ايّامهم الى انّ الجامع لهم على هذا القول مشاركتُهم فى الطغيان الحامل عليه (۵۴) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فأعرِضْ عن مجادلتهم بعد ما كرّرت عليهم الدعوة فأبوا الّا الاصرار والعناد فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ على الاعراض بعد ما بذلتَ جهدك فى البلاغ (۵۵) وَذَكِّرْ ولا تدع التذكير والموعظة فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ من قدّر الله ايمانه او من آمن فانّه يزداد بصيرة (۵۶) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ لمّا خلقهم على صورة متوجّهة الى العبادة مغلّبة لها جعل خلقهم مُغيًّا بها مبالغةً فى ذلك ولو حُمل على ظاهره مع انّ الدليل يمنعه لَنافى ظاهرَ قوله ولقد ذرأنا لجهنّم كثيرا من الجنّ والانس وقيل معناه الّا لآمرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا لى (۵۷) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ اى ما اريد ان اَصْرِفكم فى تحصيل رزقى فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمأمورين به والمراد ان يبيّن انّ شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم فانّهم انّما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدّر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا (۵۸) إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الرَّزَّاقُ الذى يرزق كلّ مفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ إِنِّي أَنَا الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ الشديد القوّة وقرئ الْمَتِينِ بالجرّ صفةً للقوّة (۵۹) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا اى للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة السُقاة الماء بالدلاء فانّ الذنوب هو الدلو العظيم المملوء فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (۶۰) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ من يوم القيامة او يوم بدر، عن النبيّ صلعم من قرأ والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كلّ ريح هبّت وجرت فى الدنيا ٠

سُورَةُ ٱلطُّورِ

مكّيّة وآيها تسع واربعون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ٢٧ ركوع ٣ (١) وَٱلطُّورِ يريد طورَ سينين وهو جبل بمَدْيَن سمع فيه موسى كلام اللّه تعالى والطورُ الجبل بالسريانيّة او ما طار من أَوْج الايجاد الى حضيض الموادّ او من عالم الغيب الى عالم الشهادة (٢) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ مكتوب والسطرُ ترتيب الحروف المكتوبة والمرادُ به القران او ما كتبه اللّه فى اللوح المحفوظ او الواحِ موسى او فى قلوب اوليائه من المعارف والحِكَم او ما يكتبه الحَفَظة (٣) فِى رَقٍّ مَنْشُورٍ الرقّ الجلد الّذى يُكْتَب فيه استعير لما كُتب فيه الكتاب وتنكيرُهما للتعظيم والاشعارِ بانّهما ليسا من المتعارَف فيما بين الناس (٤) وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ يعنى الكعبة وعمارتُها بالحُجّاج والمجاورين او الضُراحَ وهو فى السماء الرابعة وعُمْرانُه كثرة غاشيته من الملائكة او قلبَ المؤمن وعمارتُه بالمعرفة والاخلاص (٥) وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ يعنى السماء (٦) وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ اى المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سُجِّرَتْ روى انّ اللّه تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارا يسجر بها جهنّم او المختلط من السجير وهو الخليط (٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ لنازل (٨) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ يدفعه، ووجهُ دلالة هذه الامور المقسَم بها على ذلك انّها امور تدلّ على كمالِ قدرة اللّه تعالى وحكمته وصدقِ اخباره وضبطه اعمال العباد للمجازاة (٩) يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَاءُ تضطرب مَوْرًا والمور تردّدٌ فى المجىء والذهاب وقيل تحرّكٌ فى تموّج ، ويومَ ظرف (١٠) وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا اى تسير عن وجه الارض فتصير هباء (١١) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ اى اذا وقع ذلك فويل لهم (١٢) ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ اى فى الخوض فى الباطل (١٣) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا يُدْفَعون اليها دفعا بعُنف وذلك بأَنْ تُغَلّ ايديهم الى اعناقهم وتُجْمَع نواصيهم الى اقدامهم فيُدْفَعوا الى النار وقرئ يُدْعَوْنَ من الدعاء فيكون دَعًّا حالا بمعنى مدعوعين ، ويوم بدل من يومَ تمور او ظرف لقولٍ مقدَّر محكيُّه (١٤) هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ اى فيقال لهم ذلك (١٥) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا اى كنتم تقولون للوحى هذا سِحْرٌ افهذا المصداق ايضا سِحْرٌ وتقديمُ الخبر لانّه المقصود بالانكار والتوبيخ أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا ما يدلّ عليه وهو تقريع وتهكّم او ام سُدّتْ ابصاركم كما سدّت فى الدنيا على زعمكم حين قلتم انّما سُكّرتْ ابصارنا (١٦) ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا اى ادخلوها على اىّ وجه شئتم من الصبر وعدمه فانّه لا محيص لكم عنها سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ اى الامران الصبر وعدمه إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ تعليل للاستواء فانّه لمّا كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر

جزء ۲۷ ركوع ۳

وعدمه سيّان فى عدم النفع (۱۷) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فى أيّة جنّات وأىّ نعيم او فى جنّات ونعيم مخصوصة بهم (۱۸) فَاكِهِينَ ناعمين متلذّذين بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وقرئ فَكِهِينَ وفَاكِهُونَ على انّه الخبر والظرف لغو وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ عطف على آتاهم ان جُعل ما مصدريّة او فى جنّات او حالٌ باضمار قد من المستكنّ فى الظرف او الحال او من فاعلِ آتى او مفعوله او منهما (۱۹) كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيئًا اى اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الّذى لا تنغيص فيه بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعلُ هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون اى جزاؤه (۲۰) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ مصطفّة وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ الباء لما فى التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببيّة اذ المعنى صيّرناهم ازواجا بسببهنّ ولما فى التزويج من معنى الالصاق والقرن عطف (۲۱) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا على حور اى قرنّاهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انّه مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذُرِّيَّاتُهُمْ بالجمع وضمّ التاء للمبالغة فى كثرتهم والتصريح فانّ الذرّيّة تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرّيّة او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانّه يكفى للالحاق المتابعةُ فى اصل الايمان أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ فى دخول الجنّة او الدرجة لما روى انّه عم قال انّ اللّه يرفع ذرّيّة المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقرّ بهم عينه ثمّ تلا هذه الآية ، وقرأ نافع وابن عامر والبصريّان ذُرِّيَّاتِهِمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ وما نقصناهم مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ بهذا الالحاق فانّه كان يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الآباء او باعطاء الابناء بعض مثوباتهم ويحتمل ان يكون بالتفضّل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه ، وقرأ ابن كثير بكسر اللام من أَلِتَ يَأْلَتُ وعنه لِتْنَاهُمْ من لاتَ يَليت وَآلَتْنَاهُمْ من آلتَ يُولِت وَوَلَتْنَاهُمْ من وَلَتَ يَلِت ومعنى الكلّ واحد كُلُّ ٱمْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ بعمله مرهونٌ عند اللّه تعالى فإنْ عمل صالحا فكّه وإلّا اهلكه (۲۲) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ اى وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع التنعّم (۲۳) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كَأْسًا خمرا سمّاها باسم محلّها ولذلك انّث الضمير فى قوله لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ اى لا يتكلّمون بلغو الحديث فى اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثّم به فاعله كما هو عادة الشاربين فى الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول ، وقرأهما ابن كثير والبصريّان بالفتح (۲۴) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ بالكأس غِلْمَانٌ لَهُمْ اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الّذين سبقوهم كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عم والّذى نفسى بيده انّ فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر

جزء ٢٧ ركوع ٣ الكواكب (٢٥) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله (٢٦) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ خائفين من عصيان اللّه معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة (٢٧) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بالرحمة والتوفيق وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ عذاب النار النافذة فى المسامّ نفوذ السموم وقرئ وَوَقَّانَا بالتشديد (٢٨) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ من قبل ذلك فى الدنيا نَدْعُوهُ نعبده او نسأله الوقاية إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْمُحْسِنُ وقرأ نافع والكسائىّ أَنَّهُ بالفتح الرَّحِيمُ الكثير الرحمة (٢٩) ركوع ٤ فَذَكِّرْ فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بحمد اللّه وانعامه بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ كما يقولون (٣٠) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ما يُقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فَعول من مَنّه اذا قطعه (٣١) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ اتربّص هلاككم كما تتربّصون هلاكى (٣٢) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ عقولهم بِهَذَا التناقض فى القول فانّ الكاهن يكون ذا فطنة ودقّة نظر والمجنون مغطّى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متّسق مخيّل ولا يتأتّى ذلك من المجنون، وأمرُ الاحلام به مجاز عن ادائها اليه أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ مجاوزون الحدّ فى العناد، وقرئ بَلْ هُمْ (٣٣) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ اختلقه من تلقاء نفسه بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم (٣٤) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ مثل القران إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فى زعمهم اذ فيهم كثير ممّن عُدّوا فصحاء فهو ردٌّ للاقوال المذكورة بالتحدّى ويجوز ان يكون ردّا للتقوّل فانّ سائر الاقسام ظاهر الفساد (٣٥) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ امر أُحْدِثوا وقُدّروا من غير مُحْدِث ومقدّر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شىء من عبادة ومجازاة أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ يؤيّد الاوّل فانّ معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقّبه بقوله (٣٦) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وأمْ فى هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بَلْ لَا يُوقِنُونَ اذ سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا اللّه اذ لو ايقنوا ذلك لَما اعرضوا عن عبادته (٣٧) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ خزائن رزقه حتّى يرزقوا النبوّة من شاءوا او خزائن علمه حتّى يختاروا لها من اختارته الحكمة أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ الغالبون على الاشياء يدبّرونها كيف شاءوا (٣٨) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ مرتقى الى السماء يَسْتَمِعُونَ فِيهِ صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتّى يعلموا ما هو كائن فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ بحجّة واضحة تصدّق استماعه (٣٩) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ فيه تسفيهٌ لهم واشعارٌ بأنّ مَن هذا رأيه لا يُعدّ من العقلاء فضلا ان يترقّى بروحه الى عالم الملكوت فيتطلّع على الغيوب (٤٠) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا على تبليغ الرسالة فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ من التزام غُرْم مُثْقَلُونَ محمّلون الثقل فلذلك زهدوا فى اتّباعك (٤١) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ اللوح المحفوظ المُثْبَت فيه المغيّبات فَهُمْ يَكْتُبُونَ منه

جزء ٢٧ ركوع ٤

(٤٢) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا وهو كيدهم فى دار الندوة برسول اللّه صلعم فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انّه الموجب للحكم المذكور هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ هم الّذين يحيق بهم الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته (٤٣) أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يعينهم ويحرسهم من عذابه سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ عن اشراكهم او شركة ما يشركونه به (٤٤) وَإِن يَرَوْا كِسْفًا قطعة مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا من فرط طغيانهم وعنادهم سَحَابٌ مَّرْكُومٌ هذا سحاب تراكم بعضه على بعض وهو جواب قولهم فأسقط علينا كسفا من السماء (٤٥) فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ وهو عند النفخة الاولى ، وقرئ يَلْقَوْا وقرأ ابن عامر وعاصم يُصْعَقُونَ على المبنىّ للمفعول من صَعَقه او أَصْعَقه (٤٦) يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا اى شيأ من الاغناء فى ردّ العذاب وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ يمنعون من عذاب اللّه (٤٧) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا يحتمل العموم والخصوص عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ اى دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة فى الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٨) وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ بامهالهم وابقائك فى عنائهم فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا فى حفظنا بحيث نراك ونكلأك ، وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ من اىّ مكان قمت او من منامك او الى الصلوة (٤٩) وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ فانّ العبادة فيه اشقّ على النفس وابعد عن الرئاء ولذلك افرده بالذكر وقدّمه على الفعل وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح اى فى اعقابها اذا غربت او خفيت ، وعنه عم من قرأ سورة الطور كان حقّا على اللّه ان يؤمنه من عذابه وان ينعّمه فى جنّته •

سُورَةُ ٱلنَّجْمِ

مكّيّة وآيها ثنتان وستّون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٥

(١) وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ اقسم بجنس النجوم او الثريّا فانّه غلب فيها اذا غرب او انتثر يوم القيامة او انقضّ او طلع فانّه يقال هَوَى هَوِيًّا بالفتح اذا سقط وغرب وهُوِيًّا بالضمّ اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القران اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض او اذا نمى وارتفع على قوله (٢) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ما عدل محمّد صلعم عن الطريق المستقيم وَمَا غَوَىٰ وما اعتقد باطلا والخطاب لقريش والمرادُ نفى ما

*

ينسبون اليه (٣) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى وما يصدر نطقه بالقران عن الهوى (٤) إِنْ هُوَ ما القران او الّذى ينطق به إِلَّا وَحْىٌ يُوحَى الّا وحى يوحيه اللّه اليه واحتجّ به من لم ير الاجتهاد له وأُجيبَ عنه بانّه اذا اوحىَ اليه بأن يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وَحْيًا وفيه نظرٌ لانّ ذلك حينئذ يكون بالوحى لا الوحى (٥) عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَى مَلَكٌ شديد قواه وهو جبريل فانّه الواسطة فى ابداء الخوارق روى انّه قلع قُرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثمّ قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين (٦) ذُو مِرَّةٍ حصافة فى عقله ورأيه فَٱسْتَوَى فاستقام على صورته الحقيقيّة الّتى خلقه اللّه عليها قيل ما رآه احد من الانبياء فى صورته غير محمّد مرّتين مرّة فى السماء ومرّة فى الارض وقيل استوى بقوّته على ما جُعل له من الامر (٧) وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَى افق السماء والضمير لجبريل (٨) ثُمَّ دَنَا من النبىّ فَتَدَلَّى فتعلّق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثمّ تدلّى من الافق الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانّه عرج به غير منفصل عن محلّه وتقريرا لشدّة قوّته فانّ التدلّى استرسال مع تعلّق كتدلّى الثمرة ويقال دَلَّى رجليه من السرير وأدْلَى دَلْوَه والدوالى الثمر المعلّق (٩) فَكَانَ جبريل كقولك هو منّى مَعْقِدَ الازار او المسافة بينهما قَابَ قَوْسَيْنِ مقدارهما أَوْ أَدْنَى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتّصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البُعْد الملبّس (١٠) فَأَوْحَى جبريل إِلَى عَبْدِهِ عبد اللّه واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها مَا أَوْحَى جبريل وفيه تفخيم للموحَى به او اللّهُ اليه وقيل الضمائر كلّها للّه تعالى وهو المعنىّ بشديد القوى كما فى قوله هو الرزّاق ذو القوّة المتين ودنوّه منه برفع مكانته وتدلّيه جذبه بشراشره الى جناب القدس (١١) مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَى ما رأى ببصره من صورة جبريل او اللّه تعالى اى ما كذب بصرَه بما حكاه له فانّ الامور القدسيّة تُدْرَك اوّلا بالقلب ثمّ تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لمّا رآه لَمْ اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانّه عرفه بقلبه كما رآه ببصره او ما رآه بقلبه والمعنى انّه لم يكن تخيّلا كاذبا ويدلّ عليه انّه عم سئل هل رأيتَ ربّك فقال رأيتُه بفؤادى ، وقرأ هشام مَا كَذَّبَ اى صدّقه ولم يشكّ فيه (١٢) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مَرْى الناقة كأنّ كلّا من المتجادلين يَمْرِى ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائىّ وخلف ويعقوب أَفَتَمْرُونَهُ اى أَفَتَغْلبونه فى المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه من مَرَاه حقّه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فانّ المارى والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم (١٣) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى مرّة اخرى فَعْلة من النزول أُقيمت مقام المرّة ونُصبت نَصْبها اشعارا بانّ الرؤية فى هذه المرّة كانت ايضا بنزول ودنوّ والكلام فى المرئىّ والدنوّ ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفى الريبة عن المرّة الاخيرة (١٤) عِنْدَ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَى الّتى ينتهى اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلّها شُبّهت بالسدرة وهى شجرة النبق لانّهم يجتمعون فى ظلّها روى مرفوعا انّها فى السماء السابعة (١٥) عِنْدَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَى الجنّة

جزء ٢٧ ركوع ٥

التى يأوى اليها المتقون او ارواح الشهداء (١٦) اِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَى تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعتٌ ولا يحصيها عدٌّ وقيل يغشاها الجمّ الغفير من الملائكة يعبدون اللّه عندها (١٧) مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ ما مال بصر رسول اللّه عمّا رآه وَمَا طَغَى وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التى أُمر برؤيتها وما جاوزها (١٨) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَى اى واللّه لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه المُلْكيّة والملكوتيّة ليلة المعراج وقيل انّها المعنيّة بما رأى ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات على انّ المفعول محذوف اى شيئا من آيات ربّه او من مزيدة (١٩) أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّى (٢٠) وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَى هى اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهى فَعْلة من لَوَى لانّهم كانوا يلوون عليها اى يطوفون وقرأ هبة اللّه عن البزّى ورويس عن يعقوب ٱللَّاتّ بالتشديد على انّه سُمّى به لانّه صورة رجل كان يَلُتّ السويق بالسمن ويُطْعِم الحاجّ ، والعُزّى بالتشديد سَمُرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول اللّه صلعم خالد بن الوليد فقطعها وأصلها تأنيث الأعزّ ، ومناة صخرة كانت لهُذَيل وخزاعة او لثقيف وهى فَعْلة من مَنَاه اذا قطعه فانّهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منًى وقرأ ابن كثير مَنَاءَة وهى مَفْعَلة من النَّوْء كانّهم يستمطرون الأنواء عندها تبرّكا بها ، وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من التأخّر فى الرتبة (٢١) أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنْثَى انكار لقولهم الملائكة بنات اللّه وهذه الاصنام استوطنها جنّيّاتٌ هنّ بناته او هياكل الملائكة ، وهو المفعول الثانى لقوله افرايتم (٢٢) تِلْكَ اِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهى فُعْلَى من الضَّيْز وهو الجور لكنّه كُسر فاؤه لتَسْلَم الياء كما فُعل فى بِيض فانّ فِعْلى بالكسر لم تأت وَصْفا وقرأ ابن كثير بالهمز من ضأزه اذا ظلمه على انّه مصدرٌ نُعت به (٢٣) اِنْ هِيَ اِلَّا أَسْمَاءٌ الضمير للاصنام اى ما هى باعتبار الالوهيّة الّا اسماء تطلقونها عليها لانّهم يقولون انّها آلهة وليس فيها شىء من معنى الالوهيّة او للصفة التى تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء او للاسماء المذكورة فانّهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزّى لعزّتها ومناة لاعتقادهم انّها تستحقّ ان يُتقرّب اليها بالقرابين سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ سمّيتم بها بهواكم مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ برهان تتعلّقون به اِنْ يَتَّبِعُونَ وقرئ بالتاء اِلَّا ٱلظَّنَّ الّا توهّم انّ ما هم عليه حقّ تقليدا وتوهّما باطلا وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنْفُسُ وما تشتهيه انفسهم وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ ٱلْهُدَى الرسول او الكتاب فتركوه (٢٤) أَمْ لِلْاِنْسَانِ مَا تَمَنَّى أمْ منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كلّ ما يتمنّاه والمراد نفى طمعهم فى شفاعة الآلهة وقولهم لئن رُجعتُ الى ربّى انّ لى عنده للحسنى وقولهم لولا نُزّل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ونحوها (٢٥) فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَى يعطى منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكّم عليه

جزء ٢٧ شىء منهما (٢٦) وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْـًٔا وكثير من الملائكة لا تُغنى شفاعتهم
ركوع ٦ شيئا ولا تنفع (٢٧) إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ ٱللَّهُ فى الشفاعة لِمَنْ يَشَآءُ من الملائكة ان يَشْفع او من الناس
ان يُشْفع له وَيَرْضَى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعَبَدتهم (٢٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ
لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَائِكَةَ اى كلَّ واحد منهم تَسْمِيَةَ ٱلْأُنْثَى بأن يسمّوه بنتا (٢٩) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ اى بما
يقولون وقرئ بها اى بالملائكة او بالتسمية إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا
فانّ الحقّ الّذى هو حقيقة الشىء لا يُدْرَك الّا بالعلم والظنّ لا اعتبار له فى المعارف الحقيقية وانّما العبرة
به فى العمليّات وما يكون وصلةً اليها (٣٠) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيٰوةَ ٱلدُّنْيَا
فاعرضْ عن دعوته والاهتمام بشأنه فانّ من غفل عن اللّه واعرض عن ذكره وانهمك فى الدنيا بحيث
كانت منتهى همّته ومبلغ علمه لا يزيده الدعوة الّا عنادا واصرارا على الباطل (٣١) ذٰلِكَ اى امرُ الدنيا
او كونها شهيّة مَبْلَغُهُمْ مِنَ ٱلْعِلْمِ لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرّر لقصور هممهم بالدنيا وقوله
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَى تعليل للامر بالاعراض اى انّما يعلم اللّه من
يجيب ممّن لا يجيب فلا تُتْعِبْ نفسك فى دعوتهم اذ ما عليك الّا البلاغ وقد بلّغت (٣٢) وَلِلَّهِ مَا فِي
ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ خلقا وملكا لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَآءُوا بِمَا عَمِلُوا بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله
او بسبب ما عملوا من السوء ، وهو علّة لما دلّ عليه ما قبله اى خلق العالم وسوّاه للجزاء او ميّز
الضالّ عن المهتدى وحفظ احوالهم لذلك وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا بِٱلْحُسْنَى بالمثوبة الحسنى وهى الجنّة
او بأحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى (٣٣) ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ ٱلْإِثْمِ ما يكبر عقابه
من الذنوب وهو ما رُتّب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحدّ وقرأ حمزة والكسائىّ كَبِيرَ
ٱلْإِثْمِ على ارادة الجنس او الشرك وَٱلْفَوَاحِشَ ما فحش من الكبائر خصوصا إِلَّا ٱللَّمَمَ الّا ما قلّ وصغر
فانّه مغفور من مجتنبى الكبائر والاستثناء منقطع، ومحلّ الّذين النصبُ على الصفة او المدح او الرفع
على انّه خبرُ محذوف إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما شاء
من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعلّه عقّب به وعيدَ المسيئين ووعْدَ المحسنين لئلّا ييئس صاحب الكبيرة
من رحمته ولا يتوهّم وجوب العقاب على اللّه تعالى هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ اعلم باحوالكم منكم إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ
ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ خلقكم من
التراب بخلق آدم وحينما صوّركم فى الارحام فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ فلا تُثْنوا عليها بزكاء العمل وزيادة
الخير او بالطهارة عن المعاصى والرذائل هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَى فانّه يعلم التقىّ وغيره منكم قبل ان يخرجكم
ركوع ٧ من صلب آدم عم (٣٤) أَفَرَأَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّى عن اتباع الحقّ والثبات عليه (٣٥) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى

وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكُدْيَة وهى الصخرة الصلبة فترك الحفر، والاكثر على انّها جزء ٢٧
نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول اللّه صلعم فعيّره بعض المشركين وقال تركتَ دين الاشياخ ركوع ٧
وضلّلتهم فقال اخشى عذاب اللّه فضمِنَ ان يتحمّل عنه العقابَ إن اعطاه بعض ماله فارتدّ واعطى
بعض المشروط ثمّ بخل بالباقى (٣٦) أَعِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى يعلم انّ صاحبه يتحمّل عنه (٣٧) أَمْ لَمْ
يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَى (٣٨) وَإِبْرٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّى وفّر واتمّ ما التزمه او امر به او بالغ فى الوفاء بما
عاهد اللّه وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمل غيره كالصبر على نار نمرود حتّى اتاه جبريل حين
أُلقى فى النار فقال الك حاجة فقال أمّا اليك فلا وذبح الولد وانّه كان يمشى كلّ يوم فرسخا يرتاد
ضيفا فإن وافقه اكرمه والّا نوى الصومَ، وتقديمُ موسى عم لانّ صحفه وهى التورية كانت اشهر واكثر
عندهم (٣٩) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى أنْ هى المخفّفة من الثقيلة وهى بما بعدها فى محلّ الجرّ بدلا من
ما فى صحف موسى او الرفع على هو أن لا تزر كانّه قيل ما فى صحفهما فأجاب به والمعنى انّه لا يؤاخذ
احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قولُه كتبنا على بنى اسرائيل انّه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى
الارض فكانّما قتل الناس جميعا وقولُه عم مَنْ سنّ سُنّة سيّئة فله وزرُها ووِزْرُ من عمل بها الى يوم القيامة
فانّ ذلك للدلالة والتسبّب الّذى هو وزره (٤٠) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٤١) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى
الّا سَعْيَه اى كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء فى الأخبار من انّ الصدقة
والحجّ ينفعان الميت فلكون الناوى له كالنائب عنهُ (٤٢) ثُمَّ يُجْزَاهُ ٱلْجَزَاءَ ٱلْأَوْفَى اى يجزى العبدُ
سَعْيَه بالجزاء الاوفر فنُصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول
عليه بيجزى والجزاء بدله (٤٣) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنْتَهَى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انّه
منقطع عمّا فى الصحف وكذلك ما بعده (٤٤) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٥) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا لا يقدر
على الاماتة والاحياء غيرُه فانّ القاتل ينقض البِنْية والموت يحصل عنده بفعل اللّه على سبيل العادة
(٤٦) وَأَنَّهُ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنْثَى (٤٧) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى تُدفَق فى الرحم او تُخلَق او
يقدّر منها الولد من منَى اذا قدّر (٤٨) وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ
ابن كثير وابو عمرو ٱلنَّشَاءَةَ بالمدّ وهو ايضا مصدرُ نشأ (٤٩) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى وأعطى القِنْيَة وهو ما
يتأثّل من الاموال وإفرادُها لانّها اشفّ الاموال او أرْضَى وتحقيقه جعل الرضا له قنية (٥٠) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ
ٱلشِّعْرَى يعنى العَبور وهى اشدّ ضياء من الغُمَيْصاء عبدها ابو كَبْشة احد اجداد الرسول صلعم وخالف
قريشا فى عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمّون الرسول ابن ابى كبشة ولعلّ تخصيصها للاشعار بانّه عم
وان وافق ابا كبشة فى مخالفتهم خالفه ايضا فى عبادتها (٥١) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَى القدماء لانّهم
اولى الامم هلاكا بعد نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عَادًا لُولَى

جزء ۲۷ بحذف الهمزة ونقل ضمّتها الى لام التعريف وقرأ نافع وابو عمرو عادًا لُّولَى بضمّ اللام بحركة الهمزة
رکوع ۷ وبادغام التنوين وقالون بعد ضمّة اللام بهمزة ساكنة فى موضع الواو (۵۲) وَثَمُودَا عطف على عادا لانّ ما بعده لا يعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف والباقون بالتنوين ويقفون بالالف فَمَا أَبْقَى الفريقين (۵۳) وَقَوْمَ نُوحٍ ايضا عطف عليه مِنْ قَبْلُ من قبل عاد وثمود إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى من الفريقين لانّهم كانوا يؤذونه وينفّرون عنه ويضربونه حتّى لا يكون به حراك (۵۴) وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ والقرى الّتى ائتفكت باهلها اى انقلبت وهى قرى قوم لوط أَهْوَى بعد ان رفعها فقلبها (۵۵) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم (۵۶) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى تتشكّك والخطابُ للرسول او لكلّ احد ، والمعدودات وان كانت نِعَما ونِقَما سمّاها آلاء من قِبَل ما فى نقمه من العِبَر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين (۵۷) هَذَا نَذِيرٌ مِنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَى اى هذا القران نذير من جنس الانذارات المتقدّمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاوّلين (۵۸) أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ دنت الساعة الموصوفة بالدنوّ فى نحو قوله اقتربت الساعة لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الّا اللّه لكنّه لا يكشفها او الآنَ بتأخيرها الّا اللّه او ليس لها كاشفة لوقتها الّا اللّه اذ لا يطّلع عليه سواه او ليس لها من غير اللّه كشف على انّها مصدر كالعافية (۵۹) أَفَمِنْ هَذَا ٱلْحَدِيثِ يعنى القران تَعْجَبُونَ انكارا (۶۰) وَتَضْحَكُونَ استهزاء وَلَا تَبْكُونَ تحزّنا على ما فرّطتم (۶۱) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ لاهون او مستكبرون من سمد البعير فى مسيره اذا رفع رأسه او مغنّون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء (۶۲) فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا اى واعبدوه دون الآلهة ، عن النبىّ صلعم من قرأ والنجم اعطاه اللّه عشر حسنات بعدد من صدّق بمحمّد وجحد به بمكّة ٭

سُورَةُ ٱلْقَمَرِ

مكّيّة وآيها خمس وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رکوع ۸ (۱) اقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنْشَقَّ ٱلْقَمَرُ روى انّ الكفّار سألوا رسول اللّه صلعم آية فانشقّ القمر وقيل معناه سينشقّ يوم القيامة ويؤيّد الاوّل انّه قرئ وَقَدِ ٱنْشَقَّ ٱلْقَمَرُ اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله (۲) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا عن تأمّلها والايمان بها وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ مطّرد وهو يدلّ على انّهم رأوا قبله آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتّى قالوا ذلك او مُحْكَمٌ من المرّة

جزء ٢٧ ركوع ٨

يقال امررته فاستمرّ اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمرّ اذا اشتدّت مرارته او مارّ ذاهب لا يبقى (٣) وَكَذَّبُوا وَٱتَّبَعُوٓا أَهْوَآءَهُمْ وهو ما زيّن لهم الشيطان من ردّ الحقّ بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضى للاشعار بانّهما من عادتهم القديمة وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ منتهٍ الى غاية من خذلان او نصر فى الدنيا وشقاوة او سعادة فى الآخرة فانّ الشىء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقرّ وقرئ بالفتح اى ذو مستقَرّ بمعنى استقرار وبالكسر والجرّ على انّه صفة امر وكلٌّ معطوف على الساعة (٤) وَلَقَدْ جَآءَهُمْ فى القران مِنَ ٱلْأَنۢبَآءِ انباء القرون الخالية او انباء الآخرة مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ازدجار من تعذيب او وعيد، وتاء الافتعال تُقْلَب دالا مع الدال والذال والزاى للتناسب وقرئ مُزَّجَرٌ بقلبها زايا وادغامها (٥) حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ غايتها لا خلل فيها وهى بدل من مَا او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من مَا فانّها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ نفى او استفهام انكار اى فأىّ غناء تغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى المُنْذِر او المُنْذَر منه او مصدر بمعنى الانذار (٦) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ لعلمك انّ الانذار لا يغنى فيهم يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر فى قوله كن فيكون، واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف، وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ فظيع تنكره النفوس لانّها لم تعهد مثله وهو هول يوم القيامة وقرأ ابن كثير نُكْرٍ بالتخفيف وقرئ نُكِرَ بمعنى أُنْكِر (٧) خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ اى يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا أبصارهم من الهول وإفراده وتذكيره لانّ فاعله ظاهر غير حقيقىّ التأنيث وقرئ خَاشِعَةً على الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خُشَّعًا وانّما حَسُن ذلك ولم يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانّه ليس على صيغة تُشْبِه الفعل وقرئ خُشَّعٌ أَبْصَٰرُهُمْ على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ فى الكثرة والتموّج والانتشار فى الامكنة (٨) مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ مسرعين مادّى اعناقهم اليه او ناظرين اليه يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ صعب (٩) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ قبل قومك فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذّبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلّما خلا منهم قرن مكذّب تبعه قرن مكذّب او كذّبوه بعد ما كذّبوا الرسل وَقَالُوا مَجْنُونٌ هو مجنون وَٱزْدُجِرَ وزُجِر عن التبليغ بانواع الاذيّة وقيل انّه من جملة قيلهم اى هو مجنون وقد ازدجرته الجنّ وتخبّطته (١٠) فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى بأنّى وقرئ بالكسر على ارادة القول مَغْلُوبٌ غلبنى قومى فَٱنتَصِرْ فانتقم لى منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روى انّ الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتّى يخرّ مغشيّا عليه فيفيق ويقول اللهمّ اغفر لقومى فانّهم لا يعلمون (١١) فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ منصبّ وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدّة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب فَفَتَّحْنَا بالتشديد لكثرة الابواب (١٢) وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا وجعلنا الارض كلّها كأنّها عيون منفجرة وأصله وفجّرنا عيون الارض فغيّر

جزء ٢٧ للمبالغة فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ ماء السماء وماء الارض وقرئ ٱلْمَآءَانِ لاختلاف النوعين وٱلْمَاوَانِ بقلب الهمزة
ركوع ٨ واوا عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ على حال قدّرها الله تعالى فى الازل من غير تفاوت او على حال قُدّرت وسُوّيت وهو
ان قُدّر ما أُنزل على قدر ما أُخرج او على امر قدّره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (١٣) وَحَمَلْنَاهُ
عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ ذات اخشاب عريضة وَدُسُرٍ ومسامير جمع دِسار من الدَّسْر وهو الدفع الشديد وهى صفة
للسفينة اقيمت مقامها من حيث انّها كالشرح لها تؤدّى مؤدّاها (١٤) تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا بمرأى منّا اى
محفوظة بحفظنا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ اى فعلنا ذلك جزاء لنوح لانّه نعمة كفروها فانّ كلّ نبىّ
نعمة من الله ورحمة على امّته ويجوز ان يكون على حذف الجارّ وايصال الفعل الى الضمير وقرئ
لِمَنْ كَفَرَ اى للكافرين (١٥) وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا اى السفينة او الفعلة آيَةً يُعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر
فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ معتبر وقرئ مُذْتَكِر على الاصل ومُذَّكِر بقلب التاء ذالا والادغام فيها (١٦) فَكَيْفَ
كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ استفهام تعظيم ووعيد، والنذر يحتمل المصدر والجمع (١٧) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ سهّلناه
او هيّأناه من يسّر ناقته للسفر اذا رحلها لِلذِّكْرِ للادّكار والاتّعاظ بأن صرّفنا فيه انواع المواعظ والعبر
او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ متّعظ (١٨) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ
وانذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم فى تعذيبهم (١٩) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا باردا او
شديد الصوت فِى يَوْمِ نَحْسٍ شؤم مُّسْتَمِرٍّ اى استمرّ شؤمه او استمرّ عليهم حتّى اهلكهم او على
جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يُبق منهم احدا او اشتدّ مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر
(٢٠) تَنزِعُ ٱلنَّاسَ تقلعهم روى انّهم دخلوا فى الشعاب والحُفر وتمسّك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها
وصرعتهم موتى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبّهوا
بالاعجاز لانّ الريح طيّرت رءوسهم وطرحت اجسادهم، وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث فى
قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى (٢١) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ كرّره للتهويل وقيل الاوّل لما حاق بهم فى
الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة كما قال ايضا فى قصّتهم لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا
ركوع ٩ ولَعذابُ الآخرة اخزى (٢٢) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٢٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ
بالانذارات والمواعظ او الرسل (٢٤) فَقَالُوٓا أَبَشَرًا مِّنَّا من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا،
وانتصابه بفعل يفسّره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاوّل أوجه للاستفهام وَاحِدًا منفردا لا تبع له
او من آحادهم دون اشرافهم نَّتَّبِعُهُ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ جمع سَعير كانّهم عكسوا عليه فرتّبوا على
اتّباعهم ايّاه ما رتّبه على ترك اتّباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة (٢٥) أَأُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ
الكتاب والوحى عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا وفينا من هو احقّ منه بذلك بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ حمله بطره على الترفّع

علينا بادّعائه (٢٦) سَيَعْلَمُونَ غَدًا عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة مَنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ٱلّذى حمله جزء ٢٧
أَشَرُه على الاستكبار عن الحقّ وطلب الباطل اصالحٌ ام من كذّبه ، وقرأ ابن عامر وحمزة ورُوَيس ركوع ٩
سَتَعْلَمُونَ على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ ٱلْأَشُر كقولهم حَذُر فى حَذِر. وٱلْأَشَرّ اى الابلغ
فى الشرارة وهو اصل مرفوض كالأَخْيَر (٢٧) إِنَّا مُرْسِلُو ٱلنَّاقَةِ مُخْرِجوها وباعثوها فِتْنَةً لَهُمْ امتحانا لهم
فَٱرْتَقِبْهُمْ فانتظرهم وتبصّر ما يصنعون وَٱصْطَبِرْ على اذاهم (٢٨) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ مقسوم
لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ يحضره صاحبه فى نوبته او يحضره عنه غيره
(٢٩) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ قُدار بن سالف أُحَيْمِرَ ثمود فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ فاجترأ على تعاطى قتلها او فتعاطى
السيف فقتلها والتعاطى تناول الشىء بتكلّف (٣٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ (٣١) إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَاحِدَةً صيحة جبريل عم فَكَانُوا كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ كالشجر اليابس المتكسّر الّذى يتّخذه من
يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الّذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء وقرئ
بفتح الظاء اى كهشيم الحظيرة او الشجر المتّخذ لها (٣٢) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ
(٣٣) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ (٣٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ريحا تحصبهم بالحجارة اى ترميهم
إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ فى سحر وهو آخر الليل او مُسْحِرين (٣٥) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا انعاما منّا وهو
علّة لنجّينا كَذٰلِكَ نَجْزِى مَنْ شَكَرَ نعمتنا بالايمان والطاعة (٣٦) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ لوط بَطْشَتَنَا اخذتنا
بالعذاب فَتَمَارَوْا بِٱلنُّذُرِ فكذّبوا بالنذر متشاكّين (٣٧) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ قصدوا الفجور بهم
فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فمسحناها وسوّيناها بسائر الوجه روى انّهم لمّا دخلوا داره عَنْوةً صفقهم جبريل
صفقةً فأعماهم فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة او ظاهر الحال (٣٨) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ
بُكْرَةً وقرئ بُكْرَةَ غير مصروفة على انّ المراد بها اوّل نهار معيّن عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ يستقرّ بهم حتّى يسلّمهم الى
النار (٣٩) فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ (٤٠) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ كرّر ذلك فى كلّ قصّة
اشعارا بانّ تكذيب كلّ رسول مقتضٍ لنزول العذاب واستماعَ كلّ قصّة مستدعٍ للادّكار والاتّعاظ
واستينافا للتنبيه والاتّعاظ لئلّا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فباىّ آلاء ربّكما تكذّبان وويل
يومئذ للمكذّبين ونحوهما (٤١) وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانّه ركوع ١٠
اولى بذلك (٤٢) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا يعنى الآيات التسع فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ لا يغالَب مُقْتَدِرٍ لا يعجزه
شىء (٤٣) أَكُفَّارُكُمْ يا معشر العرب خَيْرٌ مِنْ أُولٰئِكُمْ الكفّار المعدودين قوّةً وعُدّةً او مكانةً ودينا عند
اللّه أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ام نزل لكم فى الكتب السماوية أنّ من كفر منكم فهو فى امان من العذاب

*

جزء ٢٧ (٤٤) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ جماعةٌ امرُنا مجتمع مُنْتَصِرٌ ممتنع لا نُرام او منتصر من الاعداء لا نُغْلَب

ركوع ١٠ او متناصر ينصر بعضنا بعضا ، والتوحيدُ على لفظ الجميع (٤٥) سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ اى الأدبار وإفرادُه لارادة الجنس او لانّ كلّ واحد يولّى دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوّة وعن عمر رضه انّه لمّا نزلت قال لَمْ اعلم ما هو فلمّا كان يوم بدر رأيت رسول اللّه صلعم يلبس الدرع ويقول سيُهْزَم الجمع فعلمتُه (٤٦) بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ موعد عذابهم الاصلىّ وما يحيق بهم فى الدنيا فمن طلائعه وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ اشدّ والداهية امر فظيع لا يُهْتدى لدوائه وَأَمَرُّ مذاقا من عذاب الدنيا (٤٧) إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ عن الحقّ فى الدنيا وَسُعُرٍ ونيران فى الآخرة (٤٨) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ يُجرّون عليها ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ اى يقال لهم ذوقوا حرّ النار وألمها فانّ مسّها سبب التألّم بها ، وسَقَر عَلَمٌ لجهنّم ولذلك لم يُصْرَف من سَقَرَتْه النار وصَقَرَتْه اذا لوّحته (٤٩) إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ انّا خلقنا كلّ شىء مقدّرا مرتّبا على مقتضى الحكمة او مقدّرا مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه ، وكلّ شىء منصوب بفعل يفسّره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يُجْعَل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة فى الدلالة على انّ كلّ شىء مخلوق بقدر ولعلّ اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصيّة على المقصود (٥٠) وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ الّا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومُعاناة او الّا كلمة واحدة وهو قوله كُنْ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ فى اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امرُ الساعة الّا كلمح البصر (٥١) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ اشباهكم فى الكفر ممّن قبلكم فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ متّعظ (٥٢) وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ مكتوب فى كتب الحفظة (٥٣) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ من الاعمال مُسْتَطَرٌ مسطور فى اللوح (٥٤) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ نُهُرٍ بضمّ الهاء جمع نَهَر كأَسَد وأُسْد (٥٥) فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ فى مكان مرضىّ وقرئ مَقَاعِدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ مقرّبين عند من تعالى امرُه فى الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة القمر فى كلّ غِبٍّ بعثه اللّه يوم القيٰمة ووجهُه كالقمر ليلةَ البدر ٥

سُورَةُ ٱلرَّحْمَٰنِ

مكّيّة او مدنيّة او متبعّضة وآيها ثمان وسبعون آيـة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١١ (١) ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ لمّا كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيويّة والاخرويّة صدّرها بالرحمن وقدّم ما هو اصل الدينيّة واجلّها وهو إنعامه بالقران وتنزيله وتعليمه فانّه اساس الدين ومنشأ الشرع

واعظم الوحى واعزّ الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدّق لنفسه ومصداق لها ثمّ أتبعه قوله (٢) خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ايماء بانّ خلق البشر وما يميّز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عمّا فى الضمير وإفهامُ الغير لما ادركه لتلقّى الوحى وتعرّف الحقّ وتعلّم الشرع ، واخلاء الجُمَل الثلاث الّتى هى أخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد (٤) ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ يجريان بحساب معلوم مقدّر فى بروجهما ومنازلهما ويتّسق بذلك امور الكائنات السفليّة ويختلف الفصول والاوقات ويُعْلَم السنون والحساب (٥) وَٱلنَّجْمُ والنبات الّذى ينجم اى يطلع من الارض ولا ساق له وَٱلشَّجَرُ الّذى له ساق يَسْجُدَانِ ينقادان للّه تعالى فيما يريد بهما طبعا انقيادَ الساجد من المكلّفين طوعا وكان حقّ النظم فى الجملتين ان يقال وأَجْرى الشمسَ والقمر وأَسْجد النجمَ والشجرَ او الشمسُ والقمر بحسبانه والنجمُ والشجر يسجدان له لتطابقا ما قبلهما وما بعدهما فى اتّصالهما بالرحمن لكنّهما جُرّدتا عمّا يدلّ على الاتّصال اشعارا بأنّ وضوحه يُغْنيه عن البيان ، وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما فى الدلالة على انّ ما يُحَسّ به من تغيّرات احوال الاجرام العُلْويّة والسُفْليّة بتقديره وتدبيره (٦) وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا خلقها مرفوعة محلّا ورتبةً فانّها منشأ اقضيته ومتنزّل احكامه ومحلّ ملائكته ، وقرئ بالرفع على الابتداء وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ العدلَ بأن وفّر على كلّ مستعدّ مستحقّه ووفّى كلّ ذى حقّ حقّه حتّى انتظم امر العالَم واستقام كما قال عم بالعدل قامت السموات والارض او ما يُعْرَف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كانّه لمّا وصف السماء بالرفعة من حيث انّها مصدر القضايا والأقدار اراد وصف الارض بما فيها ممّا يظهر به التفاوت ويُعْرَف المقدار ويسوّى به الحقوق والمواجب (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِى ٱلْمِيزَانِ لأن لا تطغوا فيه اى لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تَطْغَوْا على ارادة القول (٨) وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ ولا تنقصوه فانّ من حقّه ان يسوّى لانّه المقصود من وضعه وتكريره مبالغةٌ فى التوصية به وزيادةُ حثّ على استعماله وقرئ وَلَا تَخْسُروا بفتح التاء وضمّ السين وكسرها وتَخْسَروا بفتحها على انّ الاصل ولا تَخْسَروا فى الميزان فحذف الجارّ وأُوصل الفعل (٩) وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا خفضها مدحوّة لِلْأَنَامِ للخلق وقيل الانام كلّ ذى روح (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ ضروب ممّا يُتفكّه به وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ اوعية التمر جمع كِمّ او كلّ ما يُكَمّ اى يغطّى من ليف وسَعَف وكُفُرّى فانّه يُنْتفع به كالمكموم كالجذع والجُمّار والتمر (١١) وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذّى به ، والعَصْف ورق النبات اليابس كالتبن وَٱلرَّيْحَانُ يعنى المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان اللّه ، وقرأ ابن عامر وَٱلْحَبَّ ذَا ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانَ اى وخَلَقَ الحبّ والريحان او وأَخُصّ ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائىّ وَٱلرَّيْحَانِ بالخفض وما عدا ذلك بالرفع وهو فَيْعَلان من الروح فقلبت الواو ياء وأُدْغم وخُفّف وقيل رَوْحان فقلبت واوه بالتخفيف (١٢) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله أيُّهَ الثقلان (١٣)

جزء ٢٧
ركوع ١١

جزء ٢٧ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ الصلصال الطين اليابس ٱلّذى له صلصلة ، والفخّار الخزف ، وقد خلق ركوع ١١ ٱللّه آدم من تراب جعله طينا ثمّ حمأ مسنونا ثمّ صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه (١٤) وَخَلَقَ ٱلْجَانَّ الجنّ او ابا الجنّ مِنْ مَارِجٍ من صاف من الدخان مِنْ نَارٍ بيان لمارج فانّه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب (١٥) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ممّا افاض عليكما فى اطوار خلقتكما حتى صيّركما افضل المركّبات وخلاصة الكائنات (١٦) رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ (١٧) وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ مشرقى الشتاء والصيف ومغربيهما (١٨) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ممّا فى ذلك من الفوائد ٱلّتى لا تُحْصَى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كلّ فصل فيه الى غير ذلك (١٩) مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ارسلهما من مرجت الدابّة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يَلْتَقِيَانِ يتجاوران ويتماسّ سطوحهما او بحرَىْ فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانّهما خليجان يتشعّبان منه (٢٠) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ حاجز من قدرة اللّه او من الارض لَا يَبْغِيَانِ لا يبغى احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصيّة او لا يتجاوزان حدّيهما باغراق ما بينهما (٢١) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٢) يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ كبار الدرّ وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وإن صحّ انّ الدرّ يخرج من الملح فعلى الاوّل انّما قال منهما لانّه يُخرَج من مجتمع الملح والعذب او لانّهما لمّا اجتمعا صارا كالشىء الواحد فكانّ المُخرَج من احدهما كالمخرج منهما ، وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يُخْرَجُ وقرئ يُخْرِجُ ونُخْرِجُ بنصب اللؤلؤ والمرجان (٢٣) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٤) وَلَهُ ٱلْجَوَارِ السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقوله

لها ثنايا اربعٌ حِسانٌ   واربعٌ فكلّها ثمانٌ

ٱلْمُنْشَآتُ المرفوعات الشُرُع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اى الرافعات الشُرُع او اللّاتى يُنشئن الامواجَ او السيرَ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَامِ كالجبال جمع عَلَم وهو الجبل الطويل (٢٥) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ من خلق موادّ السفن والارشاد الى اخذها وكيفيّة تركيبها واجرائها فى البحر بأسباب لا ركوع ١٢ يقدر على خلقها وجمعها غيره (٢٦) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا على الارض من الحيوانات او المركّبات ومَنْ للتغليب او من الثقلين فَانٍ (٢٧) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحّصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية فى حدّ ذاتها الّا وجه اللّه اى الوجه ٱلّذى يلى جهته ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ذو الاستغناء المطلق والفضل العامّ (٢٨) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ اى من بقاء الربّ وابقاء ما لا يُحْصَى ممّا هو على صدد الفناء رحمةً وفضلا او ممّا يترتّب على فناء الكلّ من الاعادة والحيوة الدائمة والنعيم المقيم (٢٩) يَسْأَلُهُ مَنْ فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فانّهم مفتقرون اليه فى ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يُهمّهم ويَعِنّ لهم والمراد بالسؤال ما يدلّ على الحاجة الى تحصيل الشىء نُطْقا كان او غيره كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ كلّ وقت

يُحْدِث اشخاصا ويجدّد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفى الحديث من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا جزء ٢٧ ويرفع قوما ويضع آخرين وهو ردّ لقول اليهود انّ اللّه لا يقضى يوم السبت شيئا (٣٠) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا ركوع ١٢ تُكَذِّبَانِ اى ممّا يُسْعِف به سؤالكما وما يُخْرِج لكما من مَكْمَن العدم حينا فحينا (٣١) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ اى سنتجرّد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانّه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدّده سأفرغ لك فانّ المتجرّد للشىء كان اقوى عليه وأجدّ فيه ، وقرأ حمزة والكسائىّ بالياء وقرئ سَنَفْرُغُ إِلَيْكُمْ اى سنقصد اليكم ، والثقلان الانس والجنّ سمّيا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهما وقدرهما او لانّهما مُثْقَلان بالتكليف (٣٢) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٣) يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إن قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من اللّه فارّين من قضائه فَٱنْفُذُوا فأخرجوا لَا تَنْفُذُونَ لا تقدرون على النفوذ إِلَّا بِسُلْطَانٍ الّا بقوّة وقهر وأنّى لكم ذلك او إن قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما فى السموات والارض فأنفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الّا ببيّنة نصبها اللّه فتعرجون عليها بافكاركم (٣٤) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او ممّا نصب من المصاعد العقليّة والمعارج النقليّة فتنفذون بها الى ما فوق السموات العُلَى (٣٥) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ لهب مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ ودخان قال

يُضىء كضَوْء سِراجِ السَّلِيــط لم يَجْعَلِ اللّهُ فيه نُحاسا

او صُفْر مُذاب يُصَبّ على رؤوسهم ، وقرأ ابن كثير شِوَاظٌ بالكسر وهو لغة وَنُحَاسٍ بالجرّ عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب فى رواية وقرئ وَنُحُسٌ وهو جمع كلُحُف فَلَا تَنْتَصِرَانِ فلا تمتنعان (٣٦) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فانّ التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصى بالجزاء والانتقام من الكفّار فى عداد الآلاء (٣٧) فَإِذَا ٱنْشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً اى حمراء كالوردة وقرئت بالرفع على كان التامّة فيكون من باب التجريد كقوله

فلَئِنْ بقيتُ لأَرْحَلَنَّ بغَزْوة نحوَ الغنائم او يموتَ كريمُ

كَٱلدِّهَانِ مُذابة كالدهن وهو اسم لما يُدْهَن به كالحِزام او جمعُ دُهْن وقيل هو الاديم الاحمر (٣٨) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ اى ممّا يكون بعد ذلك (٣٩) فَيَوْمَئِذٍ اى فيوم تنشقّ السماء لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ لانّهم يُعْرَفون بسيماهم وذلك حينما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذَوْدًا ذَوْدًا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربّك لنسألنّهم ونحوه فحين يحاسبون فى المجمع ،

جزء ٢٧ والهاء للانس باعتبار اللفظ فانّه وان تأخّر لفظا تقدّم رتبة (٤٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ اى ممّا انعم ركوع ١٢ على عباده المؤمنين فى هذا اليوم (٤١) يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَاصِى وَٱلْأَقْدَامِ مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصى تارة وبالاقدام اخرى (٤٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٣) هَٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ (٤٤) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا بين النار يحرقون بها وَبَيْنَ حَمِيمٍ ماء حارّ آنٍ بلغ النهاية فى الحرارة يُصَبّ عليهم او يُسْقَوْن منه وقيل اذا استغاثوا من ركوع ١٣ النار أُغيثوا بالحميم (٤٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٦) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ موقفه الّذى يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقامَ الخائف عند ربّه للحساب باحد المعنيين واضيف الى الربّ تفخيما وتهويلا او ربّه ومقام مُقْحَم للمبالغة كقوله • ونَفَيْتُ عنه • مقامَ الذئب كالرَجُل اللَعين • جَنَّتَانِ جنّة للخائف الانسىّ وجنّة للخائف الجنّىّ فانّ الخطاب للفريقين والمعنى لكلّ خائفين منكما او لكلّ واحد جنّة لعقيدته واخرى لعمله او جنّة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصى او جنّة يُثاب بها واخرى يُتفضّل بها عليه او روحانيّة وجسمانيّة وكذا ما جاء مثنّى بعدُ (٤٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٨) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ انواع من الاشجار والثمار جمع فنّ او اغصان جمع فَنَن وهى الغصنة الّتى تتشعّب من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانّها الّتى تورق وتثمر وتمدّ الظلّ (٤٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٠) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ حيث شاءوا فى الاعالى والاسافل قيل احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل (٥١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٢) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس (٥٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٤) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنّك بالظهائر ، ومتّكئين مدح للخائفين او حال منهم لانّ من خاف فى معنى الجمع وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ قريب يناله القاعد والمضطجع ، وجَنَى اسم بمعنى مجنىّ وقرئ بكسر الجيم (٥٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٦) فِيهِنَّ فى الجنان فانّ جنّتان تدلّ على جنان هى للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او فى هذه الآلاء المعدودة من الجنّتين والعينين والفاكهة والفرش قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ نساء قصرن ابصارهنّ على ازواجهنّ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ لم يمسّ الانسيّات انس ولا الجنيّات جنّ وفيه دليل على انّ الجنّ يطمثون ، وقرأ الكسائىّ بضمّ الميم (٥٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٨) كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ اى فى حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما (٥٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٠) هَلْ جَزَاءُ ٱلْإِحْسَانِ فى العمل إِلَّا ٱلْإِحْسَانُ فى الثواب (٦١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٢) وَمِنْ دُونِهِمَا ومن دون تينك الجنّتين

الموعودتين للخائفين المقرّبين جَنَّتَانِ لمن دونهم من اصحاب اليمين (٦٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ جزء ٢٧
(٦٤) مُدْهَامَّتَانِ خضراوان تضربان الى السواد من شدّة الخضرة وفيه اشعار بأنّ الغالب على هاتين النبات ركوع ١٣
والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالةً على ما بينهما من التفاوت
(٦٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٦) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ فوّارتان بالماء وهو ايضا اقلّ ممّا وصف به
الاوليين وكذا ما بعده (٦٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٨) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ عطفهما على
الفاكهة بيانا لفضلهما فانّ ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمّان فاكهة ودواء واحتجّ به ابو حنيفة
رضه على انّ من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رُطبا او رمّانا لم يحنث (٦٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
(٧٠) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ اى خيّرات فخفّفت لانّ خيرا الذى بمعنى أَخْيَر لا يُجْمَع وقد قرئ على الاصل حِسَانٌ
حسان الخَلْق والخُلُق (٧١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٢) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ قُصرن فى خدورهنّ
يقال امرأة قَصيرة وقَصورة ومَقصورة اى مخدّرة او مقصورات الطرف على ازواجهنّ (٧٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ (٧٤) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ كحور الأوليين وهم لاصحاب الجنّتين فانّهما يدلّان
عليهم (٧٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٦) مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف
ضربٌ من البُسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكلّ ثوب عريض خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ العبقريّ منسوب الى عَبْقَر تزعم العرب انّه اسم بلد الجنّ فينسبون اليه كلّ شىء عجيب
والمراد به الجنس ولذلك جُمع حسان حملا على المعنى (٧٨) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ تعالى اسمه من حيث انّه
مُطْلَق على ذاته فما ظنّك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مُقْحَم كما فى قوله • الى الحول ثمّ اسمُ
السلام عليكما • ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وقرأ ابن عامر بالرفع صفةً للاسم ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة
الرحمن أدّى شكر ما انعم اللّه عليه •

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

مكّيّة وآيها ستّ وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ اذا حدثت القيامة سمّاها واقعة لتحقّق وقوعها ، وانتصاب اذا بمحذوف مثل ركوع ١٤
انكرْ او كان كيت وكيت (٢) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ اى لا يكون حين تقع نفس تكذب على اللّه
تعالى او تكذب فى نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها فى قوله قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي او ليس لاحد فى وقعتها

جزء ٢٧ كاذبةٌ فانّ من أَخْبر عنها صَدَق او ليس لها حينئذ نفسٌ تُحدّث صاحبها باطاقة شدّتها واحتمالها
ركوع ١٤ وتُغريه عليها من قولهم كذبَتْ فلانا نفسُه فى الخطب العظيم اذا شجّعَتْه عليه وسوّلت له انّه يُطيقه (٣) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فانّ الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء اللّه ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارّها بنثر الكواكب وتسيير الجبال فى الجوّ، وقرئتا بالنصب على الحال (٤) إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا حُرّكت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل، والظرف متعلّق بخافضة او بدل من اذا وقعت (٥) وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا فُتّتت حتّى صارت كالسويق الملتوت من بسّ السويق اذا لتّه او سِيقت وسُيّرت من بسّ الغنم اذا ساقها (٦) فَكَانَتْ هَبَآءً غبارا مُنْبَثًّا منتشرا (٧) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا اصنافا ثَلٰثَةً وكلّ صنف يكون او يُذكر مع صنف آخر زوجٌ (٨) فَأَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ (٩) وَأَصْحَابُ ٱلْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ ٱلْمَشْأَمَةِ فاصحاب المنزلة السنيّة واصحاب المنزلة الدنيّة من تيمّنهم بالميامن وتشأّمهم بالشمائل او الّذين يُؤْتَوْن صحائفهم بايمانهم والّذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليُمْن والشُّوم فانّ السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم، والجملتان استفهاميّتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مُقام الضمير ومعناهما التعجيب من حال الفريقين (١٠) وَٱلسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ والّذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحقّ من غير تَلَعْثُم وتوانٍ او سبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فهم مقدّمو اهل الاديان هم الّذين عَرَفْتَ حالهم وعُرِفتَ مآلهم كقول ابى النجم • وشِعْرِى شِعْرِى • او الّذين سبقوا الى الجنّة (١١) أُولٰئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١٢) فِى جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ الّذين قُرّبتْ درجاتهم فى الجنّة وأُعْليتْ مراتبهم (١٣) ثُلَّةٌ مِنَ ٱلْأَوَّلِينَ اى هم كثير من الاوّلين يعنى الامم السالفة من لدن آدم الى محمّد صلعم (١٤) وَقَلِيلٌ مِنَ ٱلْآخِرِينَ يعنى امّة محمّد صلعم ولا يخالف ذلك قوله عم انّ امّتى يَكْثُرون سائر الامم لجوازِ أن يكون سابقو سائر الامم اكثر من سابقى هذه الامّة وتابعو هذه اكثر من تابعيهم ولا يردّه قوله فى اصحاب اليمين ثلّة من الاوّلين وثلّة من الآخرين لانّ كثرة الفريقين لا تنافى اكثريّة احدهما وروى مرفوعا انّهما من هذه الامّة واشتقاقها من الثلّ وهو القطع (١٥) عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ خبر آخر للضمير المحذوف، والموضونة المنسوجة بالذهب مشبّكةً بالدرّ والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع (١٦) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ حالان من الضمير فى على سرر (١٧) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ للخدمة وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ مُبقَوْن ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم (١٨) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ حال الشرب وغيره، والكوب اناء بلا عروة ولا خرطوم والابريق اناء له ذلك وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ من خمر (١٩) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا بخمار وَلَا يُنْزِفُونَ ولا يُنزف عقولهم او لا يُنْفد شرابهم، وقرئ لا يَصَّدّعون بمعنى لا

يتصدّعون اى لا يتفرّقون (٢٠) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ اى يختارون (٢١) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ جزء ٢٧
يتمنّون (٢٢) وَحُورٌ عِينٌ عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اى وفيها او ولهم حور وقرأ حمزة ركوع ١٤
والكسائىّ بالجرّ عطفا على جنّات بتقدير مضاف اى هم فى جنّات ومصاحبة حورٍ او على اكواب لانّ
معنى يطوف عليهم ولدان مخلّدون باكواب ينعّمون باكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتَون حورا
كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ المصون عمّا يضرّ به فى الصفاء والنقاء (٢٣) جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اى يفعل
ذلك بهم جزاء لاعمالهم (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا باطلا وَلَا تَأْثِيمًا ولا نسبةً الى الاثم اى لا يقال
لهم اثمتم (٢٥) إِلَّا قِيلًا اى قولا سَلَامًا سَلَامًا بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الّا سلاما او
صفته او مفعوله بمعنى الّا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشوّ السلام بينهم وقرئ
سَلَامٌ سَلَامٌ على الحكاية (٢٦) وَأَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ (٢٧) فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ لا شوك فيه من
خَضَدَ الشوكَ اذا قطعه او مثنىّ اغصانه من كثرة حمله من خَضَدَ الغصنَ اذا ثناه وهو رطب (٢٨) وَطَلْحٍ
وشجرِ موزٍ او امّ غيلان وله انوار كثيرة طيّبة الرائحة وقرئ بالعين مَنْضُودٍ نُضِدَ حملُه من اسفله الى
اعلاه (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ منبسط لا يتقلّص ولا يتفاوت (٣٠) وَمَآءٍ مَسْكُوبٍ يُسْكَب لهم اين شاءوا وكيف
شاءوا بلا تعب او مصبوب سائل كأنّه لمّا شبّه حال السابقين فى التنعّم بأعلى ما يُتصوّر لاهل المدن
شبّه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمنّاه اهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ
كثيرة الاجناس (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ لا تنقطع فى وقت وَلَا مَمْنُوعَةٍ لا تُمنَع من متناولها بوجه (٣٣) وَفُرُشٍ
مَرْفُوعَةٍ رفيعة القدر او منضّدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انّها على الارائك ويدلّ عليه قوله
(٣٤) إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً اى ابتدأناهنّ ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء او اعادة وفى الحديث هنّ
اللواتى قُبِضن فى الدنيا عجائز شُمْطا رُمْصا جعلهنّ اللّه بعد الكِبَر اترابا على ميلاد واحد كلّما اتاهنّ
ازواجهنّ وجدوهنّ ابكارا (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا متحبّبات الى ازواجهنّ جمع عَرُوب وسكّن
راءه حمزة وروى عن نافع وعاصم مثله أَتْرَابًا فانّ كلّهنّ بنات ثلاث وثلاثين وكذا ازواجهنّ
(٣٧) لِأَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ متعلّق بانشأنا او جعلنا او صفةٌ لابكارا او خبرٌ لمحذوف مثل هنّ او لقوله
(٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ وهى على الوجوه الأُوَل خبرُ محذوف (٤٠) وَأَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ مَا ركوع ١٥
أَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ (٤١) فِى سَمُومٍ فى حرّ نار ينفذ فى المسامّ وَحَمِيمٍ وماء متناهٍ فى الحرارة (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ
من دخان اسود يفعول من الحُمَمة (٤٣) لَّا بَارِدٍ كسائر الظلّ وَلَا كَرِيمٍ نافع نفى بذلك ما اوهم
الظلّ من الاسترواح (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ منهمكين فى الشهوات (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى

*

جزء ٢٧ ركوع ١٥ ٱلْحِنْثِ ٱلْعَظِيمِ الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه بَلَغَ الغلامُ الحِنْثَ اى الحُلُم ووقتَ المؤاخذة بالذنب وحَنِثَ فى يمينه خلافُ بَرَّ فيها وتحنّث اذا تأثّم (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ (٤٧) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ كُرِّرت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا فى هذا الوقت كما دخلت العاطفَ فى قوله (٤٨) أَوَآبَاؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ للدلالة على انّ ذلك اشدّ انكارا فى حقّهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حَسُن العطف على المستكنّ فى لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر أَوْ بالسكون وقد سبق مثله ، والعاملُ فى الظرف ما دلّ عليه مبعوثون لا هو للفصل بانّ والهمزة (٤٩) قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ (٥٠) لَمَجْمُوعُونَ وقرئ لَمُجَمَّعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ الى ما وُقِّتت به الدنيا وحُدِّدت من يوم معيَّن عند اللّه معلومٍ له (٥١) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّالُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ اى بالبعث ، والخطابُ لاهل مكّة وأضرابهم (٥٢) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ من الاولى للابتداء والثانيةُ للبيان (٥٣) فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ من شدّة الجوع (٥٤) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ لغلبة العطش ، وتأنيثُ الضمير فى مِنْهَا وتذكيره فى عَلَيْهِ على معنى الشجر ولفظه وقرئ مِنْ شَجَرَةٍ فيكون التذكير للزقّوم فانّه تفسيرها (٥٥) فَشَارِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ الابل الّتى بها الهُيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمعُ أَهْيَم وهَيْماء قال ذو الرمّة

فأَصْبَحْتُ كالهَيْماء لا الماءُ مُبْرِدٌ صَداها ولا يَقْضِى عليها هُيامُها

وقيل الرمال على انّه جمعُ هَيام بالفتح وهو الرمل الذى لا يتماسك جُمع على هُيُم كسُحُب ثمّ خفّف وفُعل به ما فُعل بجمع ابيض وكلّ من المعطوف والمعطوف عليه اخصّ من الآخر من وجه فلا اتّحاد وقرأ نافع وحمزة وعاصم شُرْبَ بضمّ الشين (٥٦) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ يوم الجزاء فما ظنّك بما يكون لهم بعد ما استقرّوا فى الجحيم وفيه تهكّم كما فى قوله فبشّرهم بعذاب اليم لانّ النزل ما يُعَدّ للنازل تكرمةً له وقرئ نُزْلُهُمْ بالتخفيف (٥٧) نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ بالخلق متيقّنين محقّقين للتصديق بالاعمال الدالّة عليه او بالبعث فانّ من قدر على الابداء قدر على الاعادة (٥٨) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ اى ما تقذفونه فى الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من مَنَى النطفةَ بمعنى امناها (٥٩) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ تجعلونه بشرا سويّا أَمْ نَحْنُ ٱلْخَالِقُونَ (٦٠) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ قسمناه عليكم وأقّتنا موتَ كلّ بوقت معيّن وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ لا يسبقنا احد فيهربَ من الموت او يغيّر وقته او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه (٦١) عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ على الاوّل حالٌ او علّة لقدّرنا وعلى بمعنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثانى صلةٌ والمعنى على ان نبدّل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدّل صفاتكم على انّ امثالكم جمعُ مَثَل بمعنى صفة

وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ فى خلق او صفات لا تعلمونها (٦٢) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ جزء ٢٧ أنّ من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانّها اقلّ صُنْعا لحصول الموادّ وتخصّص الاجزاء وسَبْق المثال ، ركوع ١٥ وفيه دليل على صحّة القياس (٦٣) أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ تبذرون حبّه (٦٤) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ تُنْبِتونه أَمْ نَحْنُ ٱلزَّارِعُونَ ٱلْمُنْبِتون (٦٥) لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا هشيما فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصى فتحدّثون فيه والتفكّهُ التنقّل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقّل بالحديث وقرئ فَظِلْتُمْ بالكسر وفَظَلِلْتُمْ على الاصل (٦٦) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغَرام وقرأ ابو بكر أَئِنَّا لَمُغْرَمُونَ على الاستفهام بَلْ نَحْنُ قوم مَحْرُومُونَ حُرِمْنا رِزْقَنا او محدودون لا مجدودون (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ اى العذب الصالح للشرب (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ من السحاب واحده مُزْنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ بقدرتنا ، والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلّقة بالاستفهام (٦٩) لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ملحا من الاجيج فانّه يحرق الفم ، وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحّض للشرط وما يتضمّن معناه لعلم السامع بمكانها او الاكتفاء بسبق ذكرها او يختصّ ما يُقْصَد لذاته ويكون اهمّ وفقده اصعب بمزيد التأكيد فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ امثال هذه النعم الضروريّة (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ تقدحون (٧١) أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِئُونَ يعنى الشجرة التى منها الزناد (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا جعلنا نار الزناد تَذْكِرَةً تبصرة فى امر البعث كما مرّ فى سورة يٓس او فى الظلام او تذكيرا وانموذجا لنار جهنّم وَمَتَاعًا ومنفعة لِّلْمُقْوِينَ للذين ينزلون القَواء وهى القفر او للذين خَلَتْ بطونهم او مَزاودهم من الطعام من أقْوَت الدارُ اذا خلت من ساكنيها (٧٣) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ فأحْدِث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فانّ اطلاق اسم الشيء ذكرُه ، والعظيم صفة للاسم او الربّ ، وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدّد من بدائع صنعه وانعامه امّا لتنزيهه تعالى عمّا يقول الجاحدون لوحدانيّته الكافرون لنعمته او للتعجّب من امرهم فى غَمْط نعمه او للشكر على ما عدّها من النعم (٧٤) فَلَآ أُقْسِمُ اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فأقسم ولا مزيدة للتأكيد ركوع ١٦ كما فى لئلّا يعلم او فلأنا اقسم فحذف المبتدأ وأُشْبع فتحة لام الابتداء ويدلّ عليه انّه قرئ فَلَأُقْسِمُ او فلا ردٌّ لكلام يخالف المقسَم عليه بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ بمساقطها وتخصيص المغارب لما فى غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثّر لا يزول تأثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القران ومواقعها اوقات نزولها (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ لما فى المقسَم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سُدًى ، وهو اعتراض فى اعتراض فانّه اعتراض بين القسم والمقسَم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ كثير النفع

جزء ٢٧ (٤٤) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ جماعةٌ امرُنا مجتمع مُنْتَصِرٌ ممتنع لا نُرام او منتصر من الاعداء لا نُغْلَب
ركوع ١٠ او متناصر ينصر بعضنا بعضا ، والتوحيد على لفظ الجميع (٤٥) سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ اى الأدبار وإفرادُه لارادة الجنس او لانّ كلّ واحد يولّى دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوّة وعن عمر رضه انّه لمّا نزلت قال لَمْ اعلم ما هو فلمّا كان يوم بدر رأيت رسول اللّه صلعم يلبس الدرع ويقول سيُهْزَم الجمع فعلمتُه (٤٦) بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ موعد عذابهم الاصلىّ وما يحيق بهم فى الدنيا فمن طلائعه وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَى اشدّ والداهية امر فظيع لا يُهْتدى لدوائه وَأَمَرُّ مذاقا من عذاب الدنيا (٤٧) إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ عن الحقّ فى الدنيا وَسُعُرٍ ونيران فى الآخرة (٤٨) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ يجرّون عليها ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ اى يقال لهم ذوقوا حرّ النار وألمها فانّ مسّها سبب التألّم بها ، وسَقَر عَلَمٌ لجهنّم ولذلك لم يُصْرف من سَقَرَتْه النار وصَقَرَتْه اذا لوّحته (٤٩) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ انّا خلقنا كلّ شىء مقدّرا مرتّبا على مقتضى الحكمة او مقدّرا مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه ، وكلّ شىء منصوب بفعل يفسّره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يُجْعَل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة فى الدلالة على انّ كلّ شىء مخلوق بقدر ولعلّ اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصيّة على المقصود (٥٠) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ الّا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الّا كلمة واحدة وهو قوله كُنْ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ فى اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امرُ الساعة الّا كلمح البصر (٥١) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ اشباهكم فى الكفر ممّن قبلكم فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ متّعظ (٥٢) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ مكتوب فى كتب الحفظة (٥٣) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ من الاعمال مُسْتَطَرٌ مسطور فى اللوح (٥٤) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ نُهُرٍ بضمّ الهاء جمع نَهَر كأَسَد وأُسْد (٥٥) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ فى مكان مرضىّ وقرئ مَقَاعِدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ مقرّبين عند من تعالى امره فى الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة القمر فى كلّ غِبٍّ بعثه اللّه يوم القيٰمة ووجهه كالقمر ليلة البدر ٭

سُورَةُ ٱلرَّحْمٰنِ

مكّيّة او مدنيّة او متبعّضة وآيها ثمان وسبعون آيــة

بِسْــــــــمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١١ (١) ٱلرَّحْمٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ لمّا كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيويّة والاخرويّة صدّرها بالرحمن وقدّم ما هو اصل الدينيّة واجلّها وهو انعامه بالقران وتنزيله وتعليمه فانّه اساس الدين ومنشأ الشرع

جزء ٢٧ واعظم الوحى واعزّ الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدّق لنفسه ومصداق لها ثمّ أتبعه
ركوع ١١ قوله (٢) خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ايماء بانّ خلق البشر وما يميّز به عن سائر الحيوان من
البيان وهو التعبير عمّا فى الضمير وافهامُ الغير لما ادركه لِتلقّى الوحى وتعرّف الحقّ وتعلّم الشرع ٬
واخلاء الجُمَل الثلاث الّتى هى أخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد (٤) ٱلشَّمْسُ
وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ يجريان بحساب معلوم مقدّر فى بروجهما ومنازلهما ويتّسق بذلك امور الكائنات
السفليّة ويختلف الفصول والاوقات ويُعْلَم السنون والحساب (٥) وَٱلنَّجْمُ والنبات الّذى ينجم اى
يطلع من الارض ولا ساق له وَٱلشَّجَرُ الّذى له ساق يَسْجُدَانِ ينقادان للّه تعالى فيما يريد بهما طبعا
انقيادَ الساجد من المكلّفين طوعا وكان حقّ النظم فى الجملتين ان يقال وأَجْرى الشمسَ والقمر
وأَسْجد النجمَ والشجر او الشمسُ والقمر بحسبانه والنجمُ والشجر يسجدان له لتطابقا ما قبلهما
وما بعدهما فى اتّصالهما بالرحمن لكنّهما جُرّدتا عمّا يدلّ على الاتّصال اشعارا بأنّ وضوحه يُغْنيه عن
البيان ٬ وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما فى الدلالة على انّ ما يُحَسّ به من تغيّرات احوال الاجرام
العُلْويّة والسُفْليّة بتقديره وتدبيره (٦) وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا خلقها مرفوعة محلّا ورتبةً فانّها منشأ اقضيته
ومتنزَّل احكامه ومحلّ ملائكته ٬ وقرئ بالرفع على الابتداء وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ العدلَ بأن وفّر على كلّ مستعدّ
مستحقّه ووفّى كلّ ذى حقّ حقّه حتّى انتظم امر العالَم واستقام كما قال عم بالعدل قامت السموات
والارض او ما يُعْرَف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كانّه لمّا وصف السماء بالرفعة من
حيث انّها مصدر القضايا والأَقدار اراد وصف الارض بما فيها ممّا يظهر به التفاوت ويُعْرَف المقدار ويسوّى
به الحقوق والمواجب (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِى ٱلْمِيزَانِ لأن لا تطغوا فيه اى لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ
لَا تَطْغَوْا على ارادة القول (٨) وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ ولا تنقصوه فانّ من حقّه ان
يسوّى لانّه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة فى التوصية به وزيادة حثّ على استعماله وقرئ وَلَا
تَخْسُرُوا بفتح التاء وضمّ السين وكسرها وتَخْسَرُوا بفتحها على انّ الاصل ولا تخسروا فى الميزان فحذف الجارّ وأُوصل
الفعل (٩) وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا خفضها مدحوّة لِلْأَنَامِ للخلق وقيل الانام كلّ ذى روح (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ
ضروب ممّا يُتفكّه به وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ اوعية الثمر جمع كِمّ او كلّ ما يُكَمّ اى يغطّى من ليف
وسَعَف وكُفُرّى فانّه يُنْتفع به كالمكموم كالجذع والجُمّار والثمر (١١) وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ كالحنطة والشعير
وسائر ما يتغذّى به ٬ والعَصْف ورق النبات اليابس كالتبن وَٱلرَّيْحَانُ يعنى المشموم او الرزق من قولهم
خرجت اطلب ريحان اللّه ٬ وقرأ ابن عامر وَٱلْحَبَّ ذَا ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانَ اى وخَلَقَ الحبَّ والريحان
او وأَخُصّ ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائىّ وَٱلرَّيْحَانِ بالخفض وما عدا
ذلك بالرفع وهو فَيْعَلان من الروح فقلبت الواو ياء وأُدغم وخُفّف وقيل رَوْحان فقلبت واوه بالتخفيف
(١٢) فَبِأَىِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله أَيُّهَ الثقلان (١٣) خَلَقَ

جزء ۲۷ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ الصلصال الطين اليابس الّذى له صلصلة، والفخّار الخزف، وقد خلق
ركوع ۱۱ اللّه آدم من تراب جعله طينا ثمّ حمأ مسنونا ثمّ صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه
(۱۴) وَخَلَقَ ٱلْجَانَّ الجنّ او ابا الجنّ مِنْ مَارِجٍ من صاف من الدخان مِنْ نَارٍ بيان لمارج فانّه فى
الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب (۱۵) فَبِأَىِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ممّا افاض عليكما فى اطوار خلقتكما
حتى صيّركما افضل المركّبات وخلاصة الكائنات (۱۶) رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ (۱۷) وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ مشرقى الشتاء
والصيف ومغربيهما (۱۸) فَبِأَىِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ممّا فى ذلك من الفوائد الّتى لا تحصى كاعتدال الهواء
واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كلّ فصل فيه الى غير ذلك (۱۹) مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ارسلهما من مرجت
الدابّة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يَلْتَقِيَانِ يتجاوران ويتماسّ سطوحهما او
بحرَى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانّهما خليجان يتشعّبان منه (۲۰) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ حاجز من قدرة
اللّه او من الارض لَا يَبْغِيَانِ لا يبغى احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصّيّة او لا يتجاوزان
حدّيهما باغراق ما بينهما (۲۱) فَبِأَىِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۲۲) يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ كبار الدرّ
وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صحّ انّ الدرّ يخرج من الملح فعلى الاوّل انّما قال منهما لانّه يخرج
من مجتمع الملح والعذب او لانّهما لمّا اجتمعا صارا كالشىء الواحد فكانّ المُخْرَج من احدهما
كالمخرج منهما، وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يُخْرَجُ وقرئ يُخْرِجُ ونُخْرِجُ بنصب اللؤلؤ والمرجان
(۲۳) فَبِأَىِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۲۴) وَلَهُ ٱلْجَوَارِ السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع
الراء كقوله

لها ثنايا اربعٌ حسانٌ   واربعٌ فكلّها ثمانٌ

ٱلْمُنْشَآتُ المرفوعات الشُّرُع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اى الرافعات الشُّرُع او اللاتى
ينشئن الامواج او السيرَ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَامِ كالجبال جمع عَلَم وهو الجبل الطويل (۲۵) فَبِأَىِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ من خلق موادّ السفن والارشاد الى اخذها وكيفيّة تركيبها واجرائها فى البحر بأسباب لا
ركوع ۱۲ يقدر على خلقها وجمعها غيره (۲۶) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا على الارض من الحيوانات او المركّبات ومَنْ للتغليب
او من الثقلين فَانٍ (۲۷) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحّصت وجوهها
وجدتها بأسرها فانية فى حدّ ذاتها الّا وجه اللّه اى الوجه الّذى يلى جهته ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ذو
الاستغناء المطلق والفضل العامّ (۲۸) فَبِأَىِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ اى من بقاء الربّ وابقاء ما لا يُحصى ممّا
هو على صدد الفناء رحمةً وفضلا او ممّا يترتّب على فناء الكلّ من الاعادة والحيوة الدائمة والنعيم المقيم
(۲۹) يَسْأَلُهُ مَنْ فِى ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ فانّهم مفتقرون اليه فى ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمّهم ويعنّ لهم
والمراد بالسؤال ما يدلّ على الحاجة الى تحصيل الشىء نُطقا كان او غيره كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ كلّ وقت

جزء ٢٧ ركوع ١٢

يُحْدِث اشخاصا ويجدّد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفى الحديث من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو ردّ لقول اليهود انّ اللّه لا يقضى يوم السبت شيئا (٣٠) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ اى ممّا يُسْعف به سؤالكما وما يُخْرِج لكما من مَكْمَن العدم حينا فحينا (٣١) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ اى سنتجرّد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانّه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدّده سأفرغ لك فانّ المتجرّد للشىء كان اقوى عليه وأجدّ فيه ، وقرأ حمزة والكسائىّ بالياء وقرئ سَنَفْرُغ إِلَيْكُمْ اى سنقصد اليكم ، والثقلان الانس والجنّ سمّيا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهما وقدرهما او لانّهما مُثْقَلان بالتكليف (٣٢) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٣) يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إن قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من اللّه فارّين من قضائه فَٱنْفُذُوا فأخرجوا لَا تَنْفُذُونَ لا تقدرون على النفوذ إِلَّا بِسُلْطَانٍ الّا بقوّة وقهر وأنّى لكم ذلك او إن قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما فى السموات والارض فٱنفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الّا ببيّنة نصبها اللّه فتعرجون عليها بافكاركم (٣٤) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او ممّا نصب من المصاعد العقليّة والمعارج النقليّة فتنفذون بها الى ما فوق السموات العُلَى (٣٥) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ لهب مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ ودخان قال

يُضىء كضوء سراج السليـــط لم يَجْعَل اللّه فيه نُحاسا

او صُفْر مُذاب يُصَبّ على رءوسهم ، وقرأ ابن كثير شِوَاظ بالكسر وهو لغة وَنُحَاسٍ بالجرّ عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب فى رواية وقرئ وَنُحُسٌ وهو جمع كلُحُف فَلَا تَنْتَصِرَانِ فلا تمتنعان (٣٦) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فانّ التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصى بالجزاء والانتقام من الكفّار فى عداد الآلاء (٣٧) فَإِذَا ٱنْشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً اى حمراء كالوردة وقرئت بالرفع على كان التامّة فيكون من باب التجريد كقوله

فلئن بقيتُ لأرحلنّ بغزوة نحوَ الغنائم او يموتَ كريمُ

كَٱلدِّهَانِ مُذابة كالدهن وهو اسم لما يُدْهَن به كالحِزام او جمع دُهْن وقيل هو الاديم الاحمر (٣٨) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ اى ممّا يكون بعد ذلك (٣٩) فَيَوْمَئِذٍ اى فيوم تنشقّ السماء لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ لانّهم يُعْرَفون بسيماهم وذلك حينما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذَوْدًا ذَوْدًا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربّك لنسألنّهم ونحوه فحين يحاسبون فى المجمع ،

جزء ٢٧ والهاء للانس باعتبار اللفظ فانّه وان تأخّر لفظا تقدّم رتبة (٤٠) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ اى ممّا انعم
ركوع ١٢ على عباده المؤمنين فى هذا اليوم (٤١) يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن
فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَاصِي وَٱلْأَقْدَامِ مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصى تارة وبالاقدام اخرى (٤٢) فَبِأَيِّ آلَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٣) هَٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ (٤٤) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا بين النار يُحرَقون
بها وَبَيْنَ حَمِيمٍ ماء حارّ آنٍ بلغ النهاية فى الحرارة يُصَبّ عليهم او يُسقَوْن منه وقيل اذا استغاثوا من
ركوع ١٣ النار أُغيثوا بالحميم (٤٥) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٦) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ موقفه الّذى يقف فيه
العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقامَ الخائف عند ربّه للحساب باحد
المعنيين واضيف الى الربّ تفخيما وتهويلا او ربّه ومقام مُقْحَم للمبالغة كقوله • ونَفَيْتُ عنه • مقامَ
الذئب كالرَّجُلِ اللَّعين • جَنَّتَانِ جنّة للخائف الانسىّ وجنّة للخائف الجنّىّ فانّ الخطاب للفريقين
والمعنى لكلّ خائفين منكما او لكلّ واحد جنّة لعقيدته واخرى لعمله او جنّة لفعل الطاعات واخرى
لترك المعاصى او جنّة يُثاب بها واخرى يُتفضّل بها عليه او روحانيّة وجسمانيّة وكذا ما جاء مثنّى
بعدُ (٤٧) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٨) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ انواع من الاشجار والثمار جمع فَنّ او اغصان
جمع فَنَن وهى الغُصَنة الّتى تتشعّب من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانّها الّتى تورق وتثمر
وتمدّ الظلّ (٤٩) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٠) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ حيث شاءوا فى الاعالى والاسافل قيل
احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل (٥١) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٢) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ
صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس (٥٣) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٤) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا
مِنْ إِسْتَبْرَقٍ من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنّك بالظهائر ، ومتّكئين مدح
للخائفين او حال منهم لانّ من خاف فى معنى الجمع وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ قريب يناله القاعد
والمضطجع ، وجَنًى اسم بمعنى مجنىّ وقرئ بكسر الجيم (٥٥) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٦) فِيهِنَّ
فى الجنان فانّ جنّتان تدلّ على جنان هى للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او فى هذه
الآلاء المعدودة من الجنّتين والعينين والفاكهة والفرش قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ نساء قصرن ابصارهنّ على
ازواجهنّ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ لم يمسّ الانسيّات انس ولا الجنّيّات جنّ وفيه دليل على انّ
الجنّ يطمثون ، وقرأ الكسائىّ بضمّ الميم (٥٧) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٨) كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ
اى فى حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما (٥٩) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٠) هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَانِ
فى العمل إِلَّا ٱلْإِحْسَانُ فى الثواب (٦١) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٢) وَمِن دُونِهِمَا ومن دون تَيْنِك الجنّتين

الموعودين للخائفين المقرّبين جَنَّتَانِ لمن دونهم من اصحاب اليمين (٦٣) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ جزء ٢٧
(٦٤) مُدْهَامَّتَانِ خضراوان تضربان الى السواد من شدّة الخضرة وفيه اشعار بأنّ الغالب على هاتين النبات ركوع ١٣
والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالةً على ما بينهما من التفاوت
(٦٥) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٦) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ فوّارتان بالماء وهو ايضا اقلّ ممّا وصف به
الاوليين وكذا ما بعده (٦٧) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٨) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ عطفهما على
الفاكهة بيانا لفضلهما فانّ ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمّان فاكهة ودواء واحتجّ به ابو حنيفة
رضه على انّ من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رُطَبا او رمّانا لم يحنث (٦٩) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
(٧٠) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ اى خَيِّرات فخُفّفت لانّ خَيْرا الذى بمعنى أَخْيَر لا يُجْمَع وقد قرئ على الاصل حِسَانٌ
حسانُ الخَلْق والخُلُق (٧١) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٢) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ قُصِرن فى خدورهنّ
يقال امرأة قَصِيرة وقَصُورة ومَقْصُورة اى مُخَدَّرة او مقصورات الطرف على ازواجهنّ (٧٣) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ (٧٤) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ كحور الأوليين ، وهم لاصحاب الجنّتين فانّهما يدلّان
عليهم (٧٥) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٦) مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ وسائد او نمارق جمع رَفْرَفة وقيل الرفرف
ضربٌ من البُسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكلّ ثوب عريض خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٧) فَبِأَيِّ آلَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ العبقرىّ منسوب الى عَبْقَر تزعم العرب انّه اسم بلد الجنّ فينسبون اليه كلّ شىء عجيب
والمراد به الجنس ولذلك جُمع حسان حملا على المعنى (٧٨) تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ تعالى اسمه من حيث انّه
مُطْلَق على ذاته فما ظنّك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مُقْحَم كما فى قوله • الى الحول ثمّ ٱسْمُ
السلام عليكما • ذِى ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ وقرأ ابن عامر بالرفع صفةً للاسم ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة
الرحمن أدّى شكر ما انعم الله عليه •

سُورَةُ ٱلْوَاقِعَةِ

مكّيّة وآيها ستّ وتسعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ اذا حدثت القيامة سمّاها واقعة لتحقّق وقوعها ، وانتصابُ اذا بمحذوف مثل ركوع ١٤
اذكُرْ او كان كيت وكيت (٢) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ اى لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله
تعالى او تكذب فى نفيها كما تكذب الآن واللامُ مثلها فى قوله قَدَّمْتُ لحياتى او ليس لاحد فى وقعتها

جزء ٢٧ كاذبةٌ فانّ من أَخْبر عنها صَدَق او ليس لها حينئذ نفسٌ تُحدّث صاحبَها باطاقة شدّتها واحتمالها
ركوع ١٤ وتُغْريه عليها من قولهم كذبَتْ فلانا نفسُه فى الخطب العظيم اذا شجّعَتْه عليه وسوّلت له انّه يُطيقه (٣) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فانّ الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء اللّه ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارّها بنثر الكواكب وتسيير الجبال فى الجوّ، وقرئتا بالنصب على الحال (٤) إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا حُرّكت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل، والظرف متعلّق بخافضة او بدل من اذا وقعت (٥) وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا فُتّتت حتّى صارت كالسويق الملتوت من بسّ السويق اذا لتّه او سِيقت وسُيّرت من بسّ الغنم اذا ساقها (٦) فَكَانَتْ هَبَآءً غبارا مُّنبَثًّا منتشرا (٧) وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا اصنافا ثَلَٰثَةً وكلّ صنف يكون او يُذْكر مع صنف آخر زوجٌ (٨) فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (٩) وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَا أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ فاصحاب المنزلة السنيّة واصحاب المنزلة الدنيّة من تيمّنهم بالميامن وتشأّمهم بالشمائل او الّذين يُؤْتَوْن صحائفهم بايمانهم والّذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليُمْن والشُؤْم فانّ السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم، والجملتان استفهاميّتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجيب من حال الفريقين (١٠) وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ والّذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحقّ من غير تلَعْثُم وتوانٍ او سبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فهم مقدّمو اهل الاديان هم الّذين عَرَفْتَ حالهم وعَرَفْتَ مآلهم كقول ابى النجم • وشِعْرى شِعْرى • او الّذين سبقوا الى الجنّة (١١) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١٢) فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ الّذين قُرّبتْ درجاتهم فى الجنّة وأُعْليتْ مراتبهم (١٣) ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ اى هم كثير من الاوّلين يعنى الامم السالفة من لدن آدم الى محمّد صلعم (١٤) وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ يعنى امّة محمّد صلعم ولا يخالف ذلك قوله عم انّ امّتى يَكْثُرون سائرَ الامم لجواز أن يكون سابقو سائر الامم اكثر من سابقى هذه الامّة وتابعو هذه اكثر من تابعيهم ولا يردّه قوله فى اصحاب اليمين ثلّة من الاوّلين وثلّة من الآخرين لانّ كثرة الفريقين لا تنافى اكثريّة احدهما وروى مرفوعا انّهما من هذه الامّة واشتقاقها من الثَلّ وهو القطع (١٥) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ خبر آخر للضمير المحذوف، والموضونة المنسوجة بالذهب مشبّكةً بالدرّ والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع (١٦) مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ حالان من الضمير فى على سرر (١٧) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ للخدمة وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ مُبْقَوْن ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم (١٨) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ حال الشرب وغيره، والكوب اناء بلا عروة ولا خرطوم والابريق اناء له ذلك وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ من خمر (١٩) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا بخمار وَلَا يُنزِفُونَ ولا يُنْزَف عقولهم او لا يُنْفَد شرابهم، وقرئ لا يَصَّدَّعون بمعنى لا

يتصدعون اى لا يتفرقون (٢٠) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ اى يختارون (٢١) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ اى جزء ٢٧
يتمنون (٢٢) وَحُورٌ عِينٌ عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اى وفيها او ولهم حور وقرأ حمزة ركوع ١٤
والكسائى بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اى هم فى جنات ومصاحبة حور او على اكواب لأن
معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئ بالنصب على ويؤتون حورا
كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ المصون عما يضر به فى الصفاء والنقاء (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اى يفعل
ذلك بهم جزاء لاعمالهم (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا باطلا وَلَا تَأْثِيمًا ولا نسبة الى الاثم اى لا يقال
لهم أثمتم (٢٥) إِلَّا قِيلًا اى قولا سَلَامًا سَلَامًا بدلا من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او
صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ
سَلَامٌ سَلَامٌ على الحكاية (٢٦) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ لا شوك له من
خَضَدَ الشوكَ اذا قطعه او مثنى اغصانه من كثرة حمله من خَضَدَ الغصنَ اذا ثناه وهو رطب (٢٨) وَطَلْحٍ
وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين مَنْضُودٍ نضد حمله من اسفله الى
اعلاه (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ يسكب لهم اين شاؤوا وكيف
شاؤوا بلا تعب او مصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين فى التنعم باعلى ما يتصور لاهل المدن
شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ
كثيرة الاجناس (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ لا تنقطع فى وقت وَلَا مَمْنُوعَةٍ لا تمنع من متناولها بوجه (٣٣) وَفُرُشٍ
مَرْفُوعَةٍ رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك ويدل عليه قوله
(٣٤) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً اى ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء او اعادة وفى الحديث هن
اللواتى قبضن فى الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن
ازواجهن وجدوهن ابكارا (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن
راءه حمزة وروى عن نافع وعاصم مثله أَتْرَابًا فان كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا ازواجهن
(٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ متعلق بانشأنا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله
(٣٨) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ وهى على الوجوه الأول خبر محذوف (٤٠) وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا ركوع ١٥
أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ فى حر نار ينفذ فى المسام وَحَمِيمٍ وماء متناه فى الحرارة (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ
من دخان اسود يفعول من الحممة (٤٣) لَا بَارِدٍ كسائر الظل وَلَا كَرِيمٍ ولا نافع نفى بذلك ما اوهم
الظل من الاسترواح (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ منهمكين فى الشهوات (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى

جزء ٢٧ ركوع ١٥

ٱلْحِنْثِ ٱلْعَظِيمِ الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه بَلَغَ الغلامُ الحِنْثَ اى الحُلم ووقتَ المؤاخذة بالذنب وحَنِثَ فى يمينه خلافُ بَرَّ فيها وتحنّث اذا تأثّم (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ (٤٧) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ كُرّرت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا فى هذا الوقت كما دخلت العاطف فى قوله (٤٨) أَوَآبَاؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ للدلالة على انّ ذلك اشدّ انكارا فى حقّهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حَسُن العطف على المستكنّ فى لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر أَوْ بالسكون وقد سبق مثله، والعاملُ فى الظرف ما دلّ عليه مبعوثون لا هو للفصل بانّ والهمزة (٤٩) قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ (٥٠) لَمَجْمُوعُونَ وقرئ لَمُجَمَّعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ الى ما وُقّت به الدنيا وحُدّت من يوم معيّن عند الله معلوم له (٥١) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّالُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ اى بالبعث، والخطاب لاهل مكّة واضرابهم (٥٢) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ مِن الاولى للابتداء والثانيةُ للبيان (٥٣) فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ من شدّة الجوع (٥٤) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ لغلبة العطش، وتأنيثُ الضمير فى مِنْهَا وتذكيره فى عَلَيْهِ على معنى الشجر ولفظه وقرئ مِنْ شَجَرَةٍ فيكون التذكير للزقّوم فانّه تفسيرها (٥٥) فَشَارِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ الابل الّتى بها الهُيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمعُ أَهْيَم وهَيْماء قال ذو الرمّة

فأصبحتُ كالهَيْماء لا الماء مُبْرِدٌ صَداها ولا يَقْضِى عليها هُيامُها

وقيل الرمال على انّه جمعُ هَيَام بالفتح وهو الرمل الذى لا يتماسك جُمع على هُيُم كسُحُب ثمّ خفّف وفُعل به ما فُعل بجمع ابيض وكلّ من المعطوف والمعطوف عليه اخصّ من الآخر من وجه فلا اتّحاد وقرأ نافع وحمزة وعاصم شُرْبَ بضمّ الشين (٥٦) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ يوم الجزاء فما ظنّك بما يكون لهم بعد ما استقرّوا فى الجحيم وفيه تهكّم كما فى قوله فبشّرهم بعذاب اليم لانّ النزل ما يُعَدّ للنازل تكرمةً له وقرئ نُزْلُهُمْ بالتخفيف (٥٧) نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ بالخلق متيقّنين محقّقين للتصديق بالاعمال الدالّة عليه او بالبعث فانّ من قدر على الابداء قدر على الاعادة (٥٨) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ اى ما تقذفونه فى الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من مَنَى النطفةَ بمعنى امناها (٥٩) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ تجعلونه بشرا سويّا أَمْ نَحْنُ ٱلْخَالِقُونَ (٦٠) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ قسمناه عليكم واقّتنا موتَ كلّ بوقت معيّن وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ لا يسبقنا احد فيهربَ من الموت او يغيّر وقته او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه (٦١) عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ على الاوّل حالٌ او علّة لقدّرنا وعَلَى بمعنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثانى صلةٌ والمعنى على ان نبدّل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدّل صفاتكم على انّ امثالكم جمعُ مَثَل بمعنى صفة

جزء ٢٧ — ركوع ١٥

وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ فى خلق او صفات لا تعلمونها (٦٢) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ أنّ من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانّها اقلّ صُنْعا لحصول الموادّ وتخصّص الاجزاء وسَبْق المثال ، وفيه دليل على صحّة القياس (٦٣) أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ تبذرون حبّه (٦٤) ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ تنبتونه أَمْ نَحْنُ ٱلزَّارِعُونَ المنبتون (٦٥) لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا هشيما فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصى فتتحدّثون فيه والتفكّه التنقّل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقّل بالحديث وقرئ فَظِلْتُمْ بالكسر وفَظَلِلْتُمْ على الاصل (٦٦) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر أَئِنَّا لَمُغْرَمُونَ على الاستفهام بَلْ نَحْنُ قوم مَحْرُومُونَ حُرِمْنا رِزْقَنا او محدودون لا مجدودون (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ اى العذب الصالح للشرب (٦٨) ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ من السحاب واحده مُزْنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ بقدرتنا ، والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلّقة بالاستفهام (٦٩) لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ملحا من الاجيج فانّه يحرق الفم ، وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحّض للشرط وما يتضمّن معناه لعلم السامع بمكانها او الاكتفاء بسبق ذكرها او يختصّ ما يقصد لذاته ويكون اهمّ وفقده اصعب بمزيد التأكيد فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ امثال هذه النعم الضروريّة (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ تقدحون (٧١) ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ يعنى الشجرة الّتى منها الزناد (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا جعلنا نار الزناد تَذْكِرَةً تبصرة فى امر البعث كما مرّ فى سورة يس او فى الظلام او تذكيرا وانموذجا لنار جهنّم وَمَتَاعًا ومنفعة لِّلْمُقْوِينَ للّذين ينزلون القَوَاء وهى القفر او للّذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من أَقْوَت الدار اذا خلت من ساكنيها (٧٣) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ فأحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فانّ اطلاق اسم الشىء ذكره ، والعظيم صفة للاسم او الربّ ، وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدّد من بدائع صنعه وانعامه امّا لتنزيهه تعالى عمّا يقول الجاحدون لوحدانيّته الكافرون لنعمته او للتعجّب من امرهم فى غمط نعمه او للشكر على ما عدّها من النعم

ركوع ١٦

(٧٤) فَلَآ أُقْسِمُ اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما فى لئلّا يعلم او فلأنا اقسم فحذف المبتدأ واُشبع فتحة لام الابتداء ويدلّ عليه انّه قرئ فَلَأُقْسِمُ او فلا ردّ لكلام يخالف المقسم عليه بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ بمساقطها وتخصيص المغارب لما فى غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثّر لا يزول تأثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القران ومواقعها اوقات نزولها (٧٥) وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ لما فى المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سُدًى ، وهو اعتراض فى اعتراض فانّه اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة (٧٦) إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ كثير النفع

جزء ٢٧ لاشتماله على اصول العلوم المهمّة فى اصلاح المعاش والمعاد او حَسَن مرضىّ فى جنسه (٧٧) فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ
ركوع ١٦ مصون وهو اللوح (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ لا يطّلع على اللوح الّا المطهّرون من الكدورات الجسمانيّة وهم الملائكة او لا يمسّ القرانَ الّا المطهّرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهى او لا يطلبه الّا المطهّرون من الكفر وقرئ ٱلْمُتَطَهِّرُونَ وَٱلْمُطَّهِّرُونَ وَٱلْمُطْهَرُونَ من اطهره بمعنى طهّره وَٱلْمُطْهِرُونَ اى انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ صفة ثالثة او رابعة للقران وهو مصدرٌ نُعت به وقرئ بالنصب اى نُزّل تنزيلا (٨٠) أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ يعنى القران أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ متهاونون به كمن يُدْهِن فى الامر اى يُلين جانبَه ولا يتصلّب فيه تهاونا به (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ شُكْرَ رزقكم أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شُكْرَكُمْ اى وتجعلون شكركم لنعمة القران انّكم تكذّبون به وتَكْذِبُونَ اى بقولكم فى القران انّه سحر وشعر او فى المطر انّه من الانواء (٨٢) فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ اى النفسُ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ حالكم والخطابُ لمن حول المحتضَر والواوُ للحال (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ ونحن اعلم إِلَيْهِ الى المحتضر مِنْكُمْ عبّر عن العلم بالقرب الّذى هو اقوى سبب الاطّلاع وَلَٰكِنْ لَا تُبْصِرُونَ لا تدركون كُنْهَ ما يجرى عليه (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ مجزيّين يوم القيامة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذلّه واستعبده وأصلُ التركيب للذلّ والانقياد (٨٦) تَرْجِعُونَهَا ترجعون النفسَ الى مقرّها وهو عاملُ الظرف والمحضَّض عليه بلولا الاولى والثانيةُ تكرير للتوكيد وهى بما فى حيّزها دليلُ جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيّين كما دلّ عليه جحدُكم افعالَ اللّه وتكذيبكم بآياته إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى اباطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم (٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ اى ان كان المتوفّى من السابقين (٨٨) فَرَوْحٌ فله استراحة وقرئ فَرُوحٌ بالضمّ وفُسّر بالرحمة لانّها كالسبب لحيوة المرحوم وبالحيوة الدائمة وَرَيْحَانٌ ورزق طيّب وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ذات نعيم (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ يا صاحب اليمين مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ اى من اخوانك يسلّمون عليك (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٩٢) ٱلضَّالِّينَ يعنى اصحاب الشمال وانّما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به (٩٣) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٤) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ وذلك ما يجد فى القبر من سموم النار ودخانها (٩٥) إِنَّ هَٰذَا اى الّذى ذُكر فى السورة او فى شأن الفِرَق لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ حقّ الخبر اليقين (٩٦) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ فنزّهه بذكر اسمه عمّا لا يليق بعظمة شأنه ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الواقعة فى كلّ ليلة لم تصبه فاقة ابدا ○

سُورَةُ ٱلْحَدِيدِ

مدنيّة وقيل مكّيّة وآيها تسع وعشرون آيـة

بِسْـــــــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ذكر ههنا وفى الحشر والصفّ بلفظ الماضى وفى الجُمُعة والتغابن جزء ٢٧
بلفظ المضارع اشعارا بانّ من شأن ما أُسند اليه ان يسبّحه فى جميع اوقاته لانّه دلالة جبلّيّة لا تختلف ركوع ١٧
باختلاف الحالات ومجىء المصدر مطلقا فى بنى اسرائيل ابلغ من حيث انّه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كلّ شىء وفى كلّ حال وانّما عُدّى باللام وهو متعدّ بنفسه مثل نصحت له فى نصحته اشعارا بانّ ايقاع الفعل لاجل اللّه وخالصا لوجهه وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح (٢) لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فانّه المُوجد لها والمتصرّف فيها يُحْيِى وَيُمِيتُ استيناف او خبر لمحذوف او حال من المجرور فى له وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ من الاحياء والاماتة وغيرهما قَدِيرٌ تامّ القدرة (٣) هُوَ ٱلْأَوَّلُ السابق على سائر الموجودات من حيث انّه مُوجدهـا ومُحْدِثها وَٱلْآخِرُ الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرهـا او هو الاوّل الّذى تبتدئ منه الاسباب وتنتهى اليه المسبّبات او الاوّل خارجا والآخر ذهنا وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ الظاهر وجودُه لكثرة دلائله والباطن حقيقةُ ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كلّ شىء والعالم بباطنه ، والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسّطة للجمع بين المجموعين وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ يستوى عنده الظاهر والخفىّ (٤) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ كالبذور وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا كالزروع وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ كالامطار وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا كالابخرة وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ لا ينفكّ علمه وقدرته عنكم بحال وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيجازيكم عليه ، ولعلّ تقديم الخلق على العلم لانّه دليل عليه (٥) لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانّه كالمقدّمة لهما وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٦) يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ بمكنوناتها (٧) آمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ من الاموال الّتى جعلكم اللّه خلفاء فى التصرّف فيها فهى فى الحقيقة له لا لكم او الّتى استخلفكم عمّن قبلكم فى تملّكها والتصرّف فيها وفيه حثّ على الانفاق وتهوين له على النفس فَٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ وعدٌ فيه مبالغاتٌ جعلُ

جزء ٢٧ الجملة اسميّةً واعادةُ ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكيرُ الاجر ووصفه بالكبر

ركوع ١٧ (٨) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ اى وما تصنعون غيرَ مؤمنين به كقولك ما لك قائما وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ حال من ضمير تؤمنون والمعنى اىُّ عذر لكم فى ترك الايمان والرسولُ يدعوكم اليه بالحجج والآيات وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ اى وقد اخذ اللّه ميثاقكم بالايمان قبلُ وذلك بنصب الادلّة والتمكين من النظر، والواوُ للحال من مفعول يدعوكم، وقرأ ابو عمرو على البناء للمفعول إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ لموجِبٍ ما فانّ هذا موجب لا مزيد عليه (٩) هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ اى اللّهُ او العبدُ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ من ظلمات الكفر الى نور الايمان وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ حيث نبّهكم بالرسول والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقليّة (١٠) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا وأىُّ شىء لكم فى ان لا تنفقوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فيما يكون قربةً اليه وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يرث كلّ شىء فيهما فلا يبقى لاحد مالٌ واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى لَا يَسْتَوِى مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوّة اليقين وتحرّى الحاجات حثّا على تحرّى الافضل منها بعد الحثّ على الانفاق وذكرُ القتال للاستطراد، وقسيمُ من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه، والفتحُ فتح مكّة اذ عزّ الاسلام به وكثر اهله وقلّت الحاجة الى المقاتلة والانفاق مِنَ ٱلَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ اى من بعد الفتح وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ اى وعد اللّه كلّا من المنفقين المثوبةَ الحسنى وهى الجنّة وقرأ ابن عامر وَكُلٌّ بالرفع على الابتداء اى وكلٌّ وعده ليطابق ما عُطف عليه وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه، والاية نزلت فى ابى بكر رضه فانّه اوّل من آمن وانفق فى

ركوع ١٨ سبيل اللّه وخاصم الكفّارَ حتى ضُرب ضربا اشرف به على الهلاك (١١) مَنْ ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا من الّذى ينفق مالـه فى سبيله رجـاء ان يعوّضه فانّه كمن يُقرضه وحُسْنُ الانفاق بالاخلاص فيـه وتحرّى اكرم المال وافضل الجهات له فَيُضَاعِفَهُ لَهُ اى يعطى اجره اضعافا وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ اى وذلك الاجر المضموم اليه الأضعافُ كريم فى نفسه ينبغى ان يُتوخّى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا، وقرأ عاصم فَيُضَاعِفَهُ بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى وكأنّه قال أيُقرض اللّهَ احدٌ فيضاعفه له وقرأ ابن كثير فَيُضَعِّفُهُ مرفوعا وقرأ ابن عامر ويعقوب فَيُضَعِّفَهُ منصوبا (١٢) يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ ظرفٌ لقوله وله او فيضاعفه او مقدّرٌ باذكرْ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنّة بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ لانّ السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين

بُشْرَاكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّاتٌ اى يقول لهم من يتلقّاهم من الملائكة بشراكم اى المبشَّر به جنّاتٌ او جزء ۲۷
بشراكم دخول جنّات تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ الاشارة الى ما رکوع ۱۸
تقدّم من النور والبشرى بالجنّات المخلّدة (۱۳) يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ بدل من يوم ترى لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱنْظُرُونَا انتظرونا فانّهم يُسْرَع بهم الى الجنّة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانّهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرأ حمزة أَنْظِرُونَا على انّ اتّئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ نُصِبْ منه قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ الى الدنيا فَٱلْتَمِسُوا نُورًا بتحصيل المعارف الالهيّة والاخلاق الفاضلة فانّه يتولّد منها او الى الموقف فانّه من ثَمّ يُقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانّه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكّم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بين المؤمنين والمنافقين بِسُورٍ بحائط لَهُ بَابٌ يدخل منه المؤمنون بَاطِنُهُ باطن السور او الباب فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ لانّه يلى الجنّة وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ من جهته لانّه يلى النار يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ يريدون موافقتهم فى الظاهر قَالُوا بَلَىٰ وَلٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بالنفاق وَتَرَبَّصْتُمْ بالمؤمنين الدوائر وَٱرْتَبْتُمْ وشككتم فى الدين وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ كامتداد العمر حَتّٰى جَاءَ أَمْرُ ٱللّٰهِ وهو الموت وَغَرَّكُمْ بِٱللّٰهِ ٱلْغَرُورُ الشيطان او الدنيا (۱۴) فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ظاهرا وباطنا مَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَاكُمْ هى أَوْلَى بكم كقول لبيد

فَغَدَتْ كِلَا ٱلْفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ   مَوْلَى ٱلْمَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا

وحقيقته مَحْراكم اى مكانكم الّذى يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مَئِنّة الكرم اى مكانُ قول القائل انّه لكريم او مكانكم عمّا قريب من الوَلْى وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله * تحيّةُ بينهم ضربٌ وجيع * او متولّيكم يتولّاكم كما تولّيتم موجباتها فى الدنيا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ النار (۱۵) أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللّٰهِ الم يأتِ وقته يقال أَنَى الامرُ يأنِى أَنْيًا وأَنًا وإِنًا اذا جاء أَنَاه وقرئ بكسر الهمزة وسكون النون من آنَ يَئِين بمعنى أَنَى وَأَلَمَّا يَأْنِ روى انّ المؤمنين كانوا مُجْدِبين بمكّة فلمّا هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عمّا كانوا عليه فنزلت وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ اى القران وهو عطفٌ على الذكر عَطْفَ احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يُذْكَر اللّه وقرأ نافع وحفص ويعقوب نَزَل بالتخفيف ° وقرئ أُنْزِلَ وَلَا يَكُونُوا كَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمرادُ النهى عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ اى فطال عليهم الاجل بطول اعمارهم وآمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم وقرئ ٱلْأَمَدُّ وهو

جزء ٢٧ الوقت الاطول وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ خارجون عن دينهم رافضون لما فى كتابهم من فرط القسوة
ركوع ١٨ (١٦) اِعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء
الاموات ترغيبا فى الخشوع وزجرا عن القساوة قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ كى يكمل عقلكم
(١٧) إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَاتِ انّ المتصدّقين والمتصدّقات وقد قرئ بهما وقرأ ابن كثير وابو بكر
بتخفيف الصاد اى الّذين صدّقوا اللّه ورسوله وَأَقْرَضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا عطف على معنى الفعل فى المحلّى
باللام لانّ معناه الّذين اصّدّقوا او صدّقوا وهو على الاوّل للدلالة على انّ المعتبر هو التصدّق المقرون
بالاخلاص يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ معناه والقراءة فى يضاعف كما مرّ غير انّه لم يجزم لانّه خبرُ انّ
وهو مُسْنَد الى لهم او الى ضمير المصدر (١٨) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَاءُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ اى اولئك عند اللّه بمنزلة الصدّيقين والشهداء او هم المبالغون فى الصدق فانّهم آمنوا
وصدّقوا جميع اخبار اللّه ورسله والقائمون بالشهادة للّه ولهم او على الامم يومَ القيامة وقيل والشهداء
عند ربّهم مبتدأ وخبر والمرادُ به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كلّ امّة بشهيد او الّذين
استشهدوا فى سبيل اللّه لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ مثلُ اجر الصدّيقين والشهداء ونورهم ولكنّه من غير تضعيف
ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ
فيه دليل على انّ الخلود فى النار مخصوص بالكفّار من حيث انّ التركيبَ يُشْعِر بالاختصاص
ركوع ١٩ والصحبةَ تدلّ على الملازمة عُرفا (١٩) اِعْلَمُوا أَنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ
فِي ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ لمّا ذكر حال الفريقين فى الآخرة حقّر امور الدنيا بانّها ما لا يُتوصّل به الى الفوز
الآجل بأَنْ بيّن انّها امور خياليّة قليلة النفع سريعة الزوال لانّها لعبٌ يُتعب الناس فيه انفسهم جدّا
اتعابَ الصبيان فى الملاعب من غير فائدة ولهوٌ يُلهون به انفسهم عمّا يُهمّهم وزينةٌ كالملابس
الحسنة والمراكب البهيّة والمنازل الرفيعة وتفاخرٌ بالانساب وتكاثرٌ بالعَدَد والعُدَد ثمّ قرّر ذلك بقوله
كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وهو تمثيل لها فى سرعة
تقضّيها وقلّة جدْواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واُعجب به الحُرّاث او الكافرون لانّهم اشدّ اعجابا
بزينة الدنيا ولانّ المومن اذا رأى مُعجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فأُعجب بها والكافر لا يتخطّى فكرُه
عمّا احسّ به فيستغرق فيه اعجابا ثمّ هاج اى يبس بعاهة فاصفرّ ثمّ صار حُطاما ثمّ عظّم امور الآخرة
فقال وَفِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ تنفيرا عن الانهماك فى الدنيا وحثّا على ما يوجب كرامة العقبى ثمّ
اكّد ذلك بقوله (٢٠) وَمَغْفِرَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ اى لمن اقبل عليها ولم يطلب الّا الآخرة وَمَا ٱلْحَيَاةُ
ٱلدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ اى لمن اقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها (٢١) سَابِقُوا سارعوا مسارعة المسابقين فى

المضمار إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ اى موجباتها وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ اى عرضها كعرضهما واذا جزء ۲۷
كان العرض كذلك فما ظنّك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا ركوع ۱۹

بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ فيه دليل على انّ الجنّة مخلوقة وانّ الايمان وحده كاف فى استحقاقه ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ذلك الموعود يتفضّل به على من يشاء من غير ايجاب وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ومنه التفضّل بذلك وان عظم قدره (۲۲) مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ كجدب وعاهة وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ كمرض وآفة إِلَّا فِى كِتَابٍ الّا مكتوبة فى اللوح مثبتة فى علم الله مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او للانفس إِنَّ ذَٰلِكَ انّ اثباته فى كتاب عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ لاستغنائه فيه عن العدّة والمدّة (۲۳) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا اى أُثبت وكُتب كيلا تحزنوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ من نعم الدنيا وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ آتَاكُمْ بما اعطاكم الله منها فانّ من علم انّ الكلّ مقدّر هان عليه الامر، وقرأ ابو عمرو بِمَآ أَتَاكُمْ من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاوّل فيه اشعار بانّ فواتها يلحقها اذا خُلّيت وطباعها وأمّا حصولها وبقاؤها فلا بدّ لهما من سبب يوجدها ويبقيها، والمراد به نفى الأسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقّبه بقوله وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ اذ قلّ من يثبت نفسه حالىّ الضرّاء والسرّاء (۲۴) ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ بدلٌ من كلّ مختال فخور فانّ المختال بالمال يضنّ به غالبا او مبتدأٌ خبره محذوف مدلول عليه بقوله وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ لانّ معناه ومن يعرض عن الانفاق فانّ الله غنىّ عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لا يضرّه الاعراض عن شكره ولا ينفعه التقرّب اليه بشكر نعمه وفيه تهديد واشعار بانّ الامر بالانفاق لمصلحة المُنْفِق، وقرأ نافع وابن عامر فَإِنَّ ٱللَّهَ ٱلْغَنِىُّ (۲۵) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا اى الملائكة الى الانبياء والانبياء الى الامم بِٱلْبَيِّنَاتِ بالحجج والمعجزات وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ليبيّن الحقّ ويميّز صواب العمل وَٱلْمِيزَانَ ليسوّى به الحقوق ويقام به العدل كما قال لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الميزان الى نوح ويجوز ان يراد به العدل لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ليقام به السياسة ويُدفع به الاعتداء كما قال وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ فانّ آلات الحروب متّخذة منه وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ اذ ما من صنعة الّا والحديد آلتها وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ باستعمال الاسلحة فى مجاهدة الكفّار، والعطف على محذوف دلّ عليه ما قبله فانّه حال يتضمّن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اى انزله ليعلم الله بِٱلْغَيْبِ حال من المستكنّ فى ينصره إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ على اهلاك من اراد اهلاكه عَزِيزٌ لا يفتقر الى نصرة وانّما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه (۲۶) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ

*

جزء ٢٧ ركوع ٢٠ بأن استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخطّ فَمِنْهُمْ فمن الذرّيّة او من المرسل اليهم وقد دلّ عليهم ارسلنا مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ خارجون عن الطريق المستقيم ، والعدول عن سَنَن المقابلة للمبالغة فى الذمّ والدلالة على انّ الغلبة للضلّال (٢٧) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتّى انتهى الى عيسى عم ، والضمير لنوح وابرهيم ومن أُرْسِلَ اليهم او من عاصرهم من الرسل لا للذرّيّة فانّ الرسل المقفّى بهم من الذرّيّة وَآتَيْنَاهُ ٱلْإِنْجِيلَ وقرئ بفتح الهمزة وأمره اهون من امر البرطيل لانّه اعجمىّ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وقرئ رَآفَةً على فَعالة وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا اى وابتدعوا رهبانيّة ابتدعوها او رهبانيّة مبتدعة على انّها من المجعولات وهى المبالغة فى العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرَّهْبان وهو المبالغ فى الخوف من رَهِبَ كالخَشْيان من خَشِىَ وقرئت بالضمّ كانّها منسوبة الى الرُّهْبان وهو جمعُ راهب كراكب ورُكْبان مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ما فرضناها عليهم إِلَّا ٱبْتِغَاءَ رِضْوَانِ ٱللَّهِ استثناء منقطع اى ولكنّهم ابتدعوها ابتغاء رضوان اللّه وقيل متّصل فانّ ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبّدناهم بها وهو كما ينفى الايجابَ المقصودَ منه دفعُ العقاب ينفى النَّدْبَ المقصودَ منه مجرّدُ حصولِ مرضاة اللّه وهو يخالف قوله ابتدعوها الّا ان يقال ابتدعوها ثمّ نُدِبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها أوّلا لا انّهم اخترعوها من تلقاء انفسهم فَمَا رَعَوْهَا اى فما رعوها جميعا حَقَّ رِعَايَتِهَا بضمّ التثليث والقول بالاتّحاد وقصدِ السمعة والكفرِ بمحمّد صلعم ونحوها اليها فَآتَيْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا اتوا بالايمان الصحيح ومن ذلك الايمانُ بمحمّد صلعم وحافظوا حقوقها مِنْهُمْ من المتّسمين باتّباعه أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ خارجون عن حال الاتّباع (٢٨) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا بالرسل المتقدّمة ٱتَّقُوا ٱللَّهَ فيما نهاكم عنه وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ محمّد صلعم يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ نصيبين مِنْ رَحْمَتِهِ لايمانكم بمحمّد صلعم وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الّذين كانوا فى عصره وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم او الهدى الّذى يُسْلَك به الى جناب القدس وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٩) لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ اى ليعلموا ولا مزيدة ويؤيّده انّه قرئ لِيَعْلَمَ ولِكَىْ يَعْلَمَ ولِأَنْ يَعْلَمَ بادغام النون فى الياء أَنْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ مِنْ فَضْلِ ٱللَّهِ أنْ هى المخفّفة والمعنى أنّه لا ينالون شيئا ممّا ذكر من فضله ولا يتمكّنون من نيله لانّهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون على شىء من فضله فضلا ان يتصرّفوا فى اعظمه وهو النبوّة فيخصّوها بمن ارادوا ويؤيّده قوله وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ وقيل لا غيرُ مزيدة والمعنى لِئَلّا يعتقد اهل الكتاب انّه لا يقدر النبىّ والمؤمنون به على شىء من فضل اللّه ولا ينالونه فيكون أنّ الفضل عطفا على أنْ لا يعلم وقرئ ليلا ووجهه انّ الهمزة حذفت وادغمت

النون فى اللام ثمّ ابدلت ياء وقرئ لَيْلَا على انّ الاصل فى الحروف المُفْرَدة الفتحُ ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الحديد كُتب من الّذين آمنوا باللّه ورسله • جزء ٢٧ ركوع ٢٠

سُورَةُ ٱلْمُجَادَلَةِ

مدنيّة وقيل العشر الاوّل مكّىّ والباقى مدنىّ وآيها اثنتان وعشرون آيـة

بِسْـــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ٢٨ ركوع ١ (١) قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِى إِلَى ٱللَّهِ رُوى انّ خَوْلة بنت ثعلبة ظاهَرَ عنها زوجُها أَوْس بن الصامت فاستفتتْ رسولَ اللّه صلعم فقال حَرُمْتِ عليه فقالت ما طلّقنى فقال حرمت عليه فاغتمّت لصغر اولادها وشكت الى اللّه فنزلت هذه الآيات الاربع ، وقَدْ يُشْعِر بانّ الرسول صلعم او المجادِلة يتوقّع انّ اللّه يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها ، وادغم حمزة دالها فى السين وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا تراجُعَكما الكلامَ وهو على تغليب الخطاب إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ للاقوال والاحوال (٢) ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم الظِهار أن يقول الرجل لامرأته انتِ علىّ كظَهْرِ أُمّى مشتقّ من الظَهْر وٱلْحَقَ به الفقهاء تشبيهها بجُزْء مُحَرَّم ، وفى منكم تهجين لعادتهم فيه فانّه كان من أيمان اهل الجاهليّة ، وأصلُ يظّهّرون يتظهّرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائىّ يَظَّاهَرُونَ من اظّاهر وعاصم يُظَاهِرُونَ من ظاهر مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ اى على الحقيقة إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ فلا يشبّه بهنّ فى الحرمة الّا من ألحقها اللّه بهنّ كالمرضعات وأزواج الرسول وعن عاصم أُمَّهَٰتُهُمْ بالرفع على لغة بنى تميم وقرئ بأُمَّهَٰتِهِمْ وهو ايضا على لغة مَنْ يَنْصب وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ اذ الشرع انكره وَزُورًا منحرفا عن الحقّ فانّ الزوجة لا تشبه الأمّ (٣) وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه (٤) وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا اى الى قولهم بالتدارك ومنه المَثَل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه ذلك عند الشافعىّ بامساك المظاهَر عنها فى النكاح زمانا يمكنه مفارقتُها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحّة استثنائها عنه وهو اقلّ ما ينتقض به وعند ابى حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار فى الاسلام على انّ قوله يظّهّرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظّهّرون فى الجاهليّة وهو قول الثورىّ او بتكراره لفظًا وهو قول الظاهريّة او معنًى بأن يحلف على ما قال وهو قول ابى مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ اى فعليهم او فالواجبُ اعتاقُ رقبة والفاء للسببيّة ومن فوائدها الدلالة على تكرّر وجوب التحرير بتكرّر الظهار ، والرقبة مقيّدة بالايمان عندنا

جزء ٢٨ قياسا على كفّارة القتل مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا أن يستمتع كلّ من المظاهِر والمظاهَر عنها بالآخر لعموم
ركوع ١ اللفظ ومقتضى التشبيه او أن يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذٰلِكُمْ اى الحكم بالكفّارة
تُوعَظُونَ بِهِ لانّه يدلّ على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويَرْدع عنه وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ لا يخفى
عليه خافية (٥) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ اى الرقبة والّذى غاب ماله واجِدٌ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَتَمَاسَّا فانْ افطر لغير عُذْر لزمه الاستيناف وان افطر لعُذْر ففيه خلاف وإنْ جامع المظاهَر عنها ليلا لم
ينقطع التتابع عندنا خلافا لابى حنيفة ومالك فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ اى الصومَ لهرم او مرض مُزْمِن او شبق
مفرط فانّه عم رخّص للاعرابىّ المُفْطِر أن يَعْدِل لاجله فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ستّين مُدّا بمدّ رسول اللّه
وهو رطلٌ وثُلُثٌ لانّه اقلّ ما قيل فى المُخْرَج فى الفِطْرة وقال ابو حنيفة يُعْطى كلّ مسكين نصف صاع
من بُرّ او صاعا من غيره ، وانّما لم يذكر التماسّ مع الاطعام اكتفاء بذكره مع الآخَرَيْن او لجوازه
فى خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة ذٰلِكَ اى ذلك البيان والتعليم للاحكام ، ومحلّه النصب بفعل
معلّل بقوله لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ اى فَرَضَ ذلك لتصدّقوا باللّه ورسوله فى قبولِ شرائعه ورفضِ ما كنتم
عليه فى جاهليّتكم وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ لا يجوز تعدّيها وَلِلْكَافِرِينَ اى الّذين لا يقبلونها عَذَابٌ أَلِيمٌ
وهو نظيرُ قوله ومن كفر فانّ اللّه غنىّ عن العالمين (٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يعادونهما فانّ كلّا
من المتعاديين فى حدّ غير حدّ الآخر او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما كُبِتُوا أُخْزُوا او
أُهْلِكوا وأصلُ الكبت الكبّ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يعنى كفّار الامم الماضية وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
تدلّ على صدق الرسول وما جاء به وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ يُذْهِب عزّهم وكِبْرهم (٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ
منصوب بمهين او باضمار اذكرْ جَمِيعًا كلّهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا
اى على رؤوس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم أَحْصَاهُ ٱللَّهُ احاط به عددا لم يَغِبْ منه شىء
ركوع ٢ وَنَسُوهُ لكثرته او تهاونهم به وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ لا يغيب عنه شىء (٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى
ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ كلّيّا وجزئيّا مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ما يقع من تناجى ثلثة ويجوز ان يقدّر
مضاف او يأوّل نجوى بمتناجين ويُجْعَل ثلثة صفةً لها واشتقاقها من النَّجْوة وهى ما ارتفع من الارض
فانّ السرّ امر مرفوع الى الذهن لا يتيسّر لكلّ احد ان يطّلع عليه إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ الّا اللّه يجعلهم اربعة من
حيث انّه يشاركهم فى الاطّلاع عليها والاستثناء من اعمّ الاحوال وَلَا خَمْسَةٍ ولا نجوى خمسة إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
وتخصيص العددين امّا لخصوص الواقعة فانّ الآية نزلت فى تناجى المنافقين او لانّ اللّه تعالى وِتْر

يحبّ الوتر والثلاثة اوّل الاوتار او لانّ التشاور لا بدّ له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسّط جزء ٢٨
بينهما ، وقرئ ثَلٰثَةً وخَمْسَةً بالنصب على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى بمتناجين وَلَا أَدْنَىٰ ركوع ٢
مِنْ ذٰلِكَ ولا اقلّ ممّا ذكر كالواحد والاثنين وَلَا أَكْثَرَ كالستّة وما فوقها إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ يعلم ما
يجرى بينهم ، وقرأ يعقوب وَلَا أَكْثَرُ بالرفع عطفا على محلّ من نجوى او محلّ لا ادنى ان جُعلت لا لنفي
الجنس أَيْنَمَا كَانُوا فانّ علمه بالاشياء ليس لقرب مكانيّ حتّى يتفاوت باختلاف الامكنة ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ
بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقّونه من الجزاء إِنَّ ٱللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ لانّ نسبة ذاته
المقتضية للعلم الى الكلّ سواء (٩) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ نزلت فى
اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول اللّه
صلعم ثمّ عادوا لمثل فعلهم وَيَتَنَاجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ اى بما هو اثم وعدوان
للمؤمنين وتواصٍ بمعصية الرسول ، وقرأ حمزة وَيَنْتَجُونَ وهو يفتعلون من النجوى وروى عن يعقوب
مثله وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللّٰهُ فيقولون السامُ عليك او انْعِمْ صباحا واللّه تعالى يقول
وسلامٌ على عباده الّذين اصطفى وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ فيما بينهم لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللّٰهُ بِمَا نَقُولُ هلّا يعذّبنا
اللّه بذلك لو كان محمّد نبيّا حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ عذابا يَصْلَوْنَهَا يدخلونها فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ جهنّم (١٠) يَا أَيُّهَا
ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ كما يفعله المنافقون وعن
يعقوب فَلَا تَنْتَجُوا وَتَنَاجَوْا بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ بما يتضمّن خير المؤمنين والاتّقاء عن معصية الرسول وَٱتَّقُوا
ٱللّٰهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ فيما تأتون وتذرون فانّه مجازيكم عليه (١١) إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ اى النجوى بالاثم
والعدوان مِنَ ٱلشَّيْطَانِ فانّه المزيّن لها والحامل عليها لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بتوهّمهم انّها فى نكبة اصابتهم
وَلَيْسَ الشيطان او التناجى بِضَارِّهِمْ بضارّ المؤمنين شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللّٰهِ الّا بمشيئته وَعَلَى ٱللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ولا يبالوا بنجواهم (١٢) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى ٱلْمَجْلِسِ توسّعوا فيه
وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عنّى اى تنحّ وقرئ تفاسحوا ، والمراد بالمجلس الجنس
ويدلّ عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول اللّه صلعم فانّهم كانوا يتضامّون به تنافسا على القرب منه
وحرصا على استماع كلامه فَٱفْسَحُوا يَفْسَحِ ٱللّٰهُ لَكُمْ فيما تريدون التفسّح فيه من المكان والرزق
والصدر وغيرها وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا انهضوا للتوسعة او لما أُمرتم به كصلوة او جهاد او ارتفعوا عن المجلس
فَٱنشُزُوا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضمّ الشين فيهما يَرْفَعِ ٱللّٰهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ بالنصر وحسن

جزء ٢٨ الذكر فى الدنيا وإيوائهم غُرَفَ الجنان فى الآخرة وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ويرفع العلماء منهم خاصّةً
ركوع ٢ درجات بما جمعوا من العلم والعمل فانّ العلم مع علوّ درجته يقتضى العملَ المقرونُ به مزيدَ رفعة
ولذلك يُقتدى بالعالم فى افعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر
ليلة البدر على سائر الكواكب وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ تهديد لمن لم يمتثل الامر او استكرهه
(١٣) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً فتصدّقوا قدّامها
مستعار ممّن له يدان وفى هذا الامر تعظيمُ الرسول وانفاع الفقراء والنهىُ عن الافراط فى السؤال والميز
بين المخلص والمنافق ومحبّ الآخرة ومحبّ الدنيا واختُلف فى انّه للندب او للوجوب لكنّه منسوخ
بقوله أأشفقتم وهو وان اتّصل به تلاوةً لم يتّصل به نزولا وعن علىّ رضه انّ فى كتاب اللّه آية ما عمل
بها احد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدّقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا
يقدح فى غيره فلعلّه لم يتّفق للاغنياء مناجاة فى مدّة بقائه اذ رُوى انّه لم يبق الّا عَشرا وقيل الّا ساعةً
ذَٰلِكَ اى التصدّق خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ اى لأنفسكم من الريبة وحبّ المال وهو يُشعِر بالنَدْبيّة لكن قوله
فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اى لمن لم يجد حيث رخّص له فى المناجاة بلا تصدّق ادلُّ على
الوجوب (١٤) أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ اخفتم الفقر من تقديم الصدقة او
اخفتم التقديم لما يَعدكم الشيطان عليه من الفقر ، وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة
التناجى فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ بأن رخّص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بانّ اشفاقهم
ذنبٌ تجاوز اللّه عنه لما رأى منهم ممّا قام مقامَ توبتهم ، واذ على بابها وقيل بمعنى إذا او إنْ
فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتُوا ٱلزَّكَوٰةَ فلا تفرّطوا فى ادائهما وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فى سائر الاوامر فانّ القيام بها
ركوع ٣ كالجابر للتفريط فى ذلك وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ظاهرا وباطنا (١٥) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا وَالَوْا
غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ يعنى اليهود مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ لانّهم منافقون مذبذبون بين ذلك وَيَحْلِفُونَ عَلَى
ٱلْكَذِبِ وهو ادّعاء الاسلام وَهُمْ يَعْلَمُونَ انّ المحلوف عليه كذبٌ كمن يحلف بالغموس وفى هذا
التقييد دليل على انّ الكذب يعمّ ما يعلم المخبرُ عدمَ مطابقته وما لا يعلم ورُوى انّه عم كان فى
حُجْرة من حجراته فقال يدخل عليكم الان رجلٌ قلبُه قلبُ جبّار وينظر بعين شيطان فدخل عبد اللّه
بن نَبْتَل المنافق وكان ازرق فقال عم علامَ تشتمنى انت واصحابك فحلف باللّه ما فعل ثمّ جاء باصحابه
فحلفوا فنزلت (١٦) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا نوعا من العذاب متفاقما إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
فتمرّنوا على سوء العمل واصرّوا عليه (١٧) ٱتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ اى الّتى حلفوا بها وقرئ بالكسر اى ايمانهم
الّذى اظهروه جُنَّةً وقاية دون دمائهم واموالهم فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ فصدّوا الناس فى خلال أمنهم

جزء ٢٨ ركوع ٣

عن دين الله بالتحريش والتثبيط فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ وعيد ثانٍ بوصف آخر لعذابهم وقيل الاوّل عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة (١٨) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ قد سبق مثله (١٩) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ اى للّه على انّهم مسلمون كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ فى الدنيا ويقولون انّهم لمنكم وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ لانّ تمكّن النفاق فى نفوسهم بحيث يخيّل اليهم فى الآخرة انّ الأيمان الكاذبة تروّج الكذب على اللّه كما تروّجه عليكم أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَاذِبُونَ البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه (٢٠) ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَانُ استولى عليهم من حُذْتُ الابل وحُزْتُها اذا استوليت عليها وهو ممّا جاء على الاصل فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ لا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم أُولَٰئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَانِ جنوده واتباعه أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَانِ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ لانّهم فوّتوا على انفسهم النعيم المؤبّد وعرّضوها للعذاب المخلّد (٢١) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ فى جملة من هو اذلّ خلق اللّه كَتَبَ ٱللَّهُ فى اللوح لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي اى بالحجّة وقرأ نافع وابن عامر وَرُسُلِيَ بفتح الياء إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ على نصر انبيائه عَزِيزٌ لا يُغلب عليه فى مراده (٢٢) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ اى لا ينبغى ان تجدهم وادّين اعداء اللّه والمراد انّه لا ينبغى ان يوادّوهم وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ولو كان المحادّون اقرب الناس اليهم أُولَٰئِكَ اى الّذين لم يوادّوهم كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَانَ اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فانّ جزء الثابت فى القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ اى من عند اللّه وهو نور القلب او القران او النصر على العدوّ وقيل الضمير للايمان فانّه سبب لحيوة القلب وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بطاعتهم وَرَضُوا عَنْهُ بقضائه او بما وعدهم من الثواب أُولَٰئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ جنده وانصار دينه أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ الفائزون بخير الدارين ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة المجادلة كُتب من حزب اللّه يوم القيامة ٥

سُورَةُ ٱلْحَشْرِ

مدنيّة وآيها اربع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ٢٨ (١) سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ روى انّه عم لمّا قدم المدينة صالح بنى
ركوع ٤ النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلمّا ظهر يوم بدر قالوا انّه النبىّ المنعوت فى التورية بالنصرة فلمّا هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكّة وحالفوا ابا سفيان فأمر رسول اللّه صلعم اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلةً ثمّ صبّحهم بالكتائب وحاصرهم حتّى صالحوا على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشأم ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فأنزل اللّه سبحانه سبّح للّه الى قوله واللّه على كلّ شىء قدير (٢) هُوَ ٱلَّذِى أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ اى فى اوّل حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذلّ قبل ذلك او فى اوّل حشرهم للقتال او الجلاء الى الشأم وآخِرُ حشرهم اجلاء عُمَر رضه ايّاهم من خيبر اليه او فى اوّل حشر الناس الى الشأم وآخِرُ حشرهم انّهم يُحْشَرون اليه عند قيام الساعة فتدركهم هناك او انّ نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا لشدّة بأسهم ومنعتهم وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ ٱللّٰهِ اى انّ حصونهم تمنعهم من بأس اللّه وتغيير النظم وتقديم الخبر واسنادُ الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى انفسهم انّهم فى عزّة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فَأَتَاهُمُ ٱللّٰهُ اى عذابُه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اى فاتاهم نصرُ اللّه وقرئ فَآتَاهُمُ ٱللّٰهُ اى العذابَ او النصرَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا لقوّة وثوقهم وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ واثبت فيها الخوف الّذى يَرْعَبها اى يملأها يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ضنًّا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فانّهم ايضا كانوا يُخْرِبون ظواهرها نكايةً وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث انّ تخريب المؤمنين مسبّب عن نقضهم فكانّهم استعملوهم فيه والجملة حالٌ او تفسيرٌ للرعب، وقرأ ابو عمرو يُخَرِّبُونَ بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخرابُ التعطيل او تركُ الشىء خرابا والتخريبُ الهدم فَٱعْتَبِرُوا يَا أُولِي ٱلْأَبْصَارِ فاتّعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير اللّه، واستُدلّ به على انّ القياس حجّة من حيث انّه امرٌ بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قرّرنا فى الكتب الاصوليّة (٣) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ ٱللّٰهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَاءَ الخروج من اوطانهم لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ استينافٌ

جزء ٢٨ ركوع ٤

معناه لن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة (۴) ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ الاشارة الى ما ذكر ممّا حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو مُعَدّ لهم او الى الاخير (٥) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَىّ شىء قطعتم من نخلة فِعْلة من اللون وتجمع على أَلوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها أليان أَوْ تَرَكْتُمُوهَا الضمير لمَا وتأنيثه لانّه مفسّر باللينة قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا وقرئ أُصُلِهَا اكتفاء بالضمّة عن الواو او على انّه كرهُن فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ فبأمره وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَاسِقِينَ علّة لمحذوف اى وفعلتم او وأَذِن لكم فى القطع ليجزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روى انّه عم لمّا امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمّد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بالُ قطع النخل وتحريقها فنزلت واستُدلّ به على جواز هدم ديار الكفّار وقطع اشجارهم زيادةً لغيظهم (٦) وَمَا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وما اعاده عليه بمعنى صيّره له او ردّه عليه فانّه كان حقيقا بأن يكون له لانّه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسّلوا به الى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين مِنْهُمْ من بنى النضير او من الكفرة فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ما يُركب من الابل غُلّب فيه كما غُلّب الراكب على راكبه وذلك إن كان المراد فَىْء بنى النضير فلانّ قُراهم كانت على ميلَيْن من المدينة فمشوا اليها رُجّالا غير رسول الله صلعم فانّه ركب جملا او حمارا ولم يَجْرِ مزيدُ قتال ولذلك لم يُعْطِ الانصار منه شيئا الّا ثلاثة كانت بهم حاجة وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ بقذف الرعب فى قلوبهم وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها (٧) مَا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ بيان للاوّل ولذلك لم يُعْطَف عليه فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ اختُلف فى قسم الفىء فقيل يسدّس لظاهر الآية ويُصْرَف سهم الله فى عمارة الكعبة والمساجد وقيل يخمّس لانّ ذكر الله تعالى للتعظيم ويُصْرَف الآن سهم الرسول الى الامام على قول والى العسكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمّس خُمْسه كالغنيمة فانّه عم كان يخمّس الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والان على الخلاف المذكور كَيْ لَا يَكُونَ اى الفىء الّذى حقّه ان يكون للفقراء دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان فى الجاهليّة وقرئ دَوْلَةً بمعنى كيلا يكون الفىء ذا تداوُل بينهم او اخذه غلبةً تكون بينهم وقرأ هشام دُولَةٌ بالرفع على كان التامّة اى كيلا يقع دولة جاهليّة وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ وما اعطاكم من الفىء او من الامر فَخُذُوهُ لانّه حلال لكم او فتمسّكوا به لانّه واجب الطاعة وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ عن اخذه منه او عن اتيانه فَٱنْتَهُوا عنه وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ فى مخالفة رسوله إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ لمن خالف (٨) لِلْفُقَرَاءِ ٱلْمُهَاجِرِينَ

*

جزء ۲۸ بدل من لذى القربى وما عطف عليه فانّ الرسول لا يسمّى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خصّص
رکوع ۴ الابدال بما بعده او الفىء بفىء بنى النضير ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فانّ كفّار مكّة
اخرجوهم واخذوا اموالهم يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا حال مقيّدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم
شأنهم وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ بأنفسهم واموالهم أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ فى ايمانهم (۹) وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ
وَٱلْإِيمَانَ عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار الّذين ظهر صدقهم فانّهم لزموا المدينة والايمان وتمكّنوا
فيهما وقيل المعنى تبوّءوا دار الهجرة والايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاوّل وعوّض عنه
اللام او تبوّءوا الدار واخلصوا الايمان كقوله • علفتها تبنا وماء باردا • وقيل سمّى المدينة بالايمان
لانّها مظهره ومصيره مِن قَبْلِهِمْ من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والّذين تبوّءوا الدار من
قبلهم والايمان يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ولا يثقل عليهم وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ فى انفسهم حَاجَةً
ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مِمَّا أُوتُوا ممّا أُعطى المهاجرون من الفىء وغيره
وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ويقدّمون المهاجرين على انفسهم حتّى انّ من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة
وزوّجها من احدهم وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ حاجة من خصاص البناء وهى فرجة وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ
حتّى يخالفها فيما يغلب عليها من حبّ المال وبغض الانفاق فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ الفائزون بالثناء
العاجل والثواب الآجل (۱۰) وَٱلَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ هم الّذين هاجروا حين قوى الاسلام او
التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل انّ الاية قد استوعبت جميع
المؤمنين يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَانِ اى اخواننا فى الدين وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
رکوع ۵ غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا حقدا لهم رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ فحقيق بأن تجيب دعاءنا (۱۱) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا
يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ يريد الّذين بينهم وبينهم اخوّة الكفر او الصداقة
والموالاة لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ من دياركم لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ فى قتالكم او خذلانكم أَحَدًا أَبَدًا
اى من رسول اللّه والمؤمنين وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ لنعاوننّكم وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لعلمه بانّهم لا
يفعلون ذلك كما قال (۱۲) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وكان كذلك
فانّ ابن أُبَىّ واصحابه راسلوا بنى النضير بذلك ثمّ اخلفوهم وفيه دليل على صحّة النبوّة واعجاز القران
وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ على الفرض والتقدير لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَارَ انهزاما ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ بعد بل يخذلهم اللّه ولا
ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين
(۱۳) لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً اى اشدّ مرهوبا مصدر للفعل المبنىّ للمفعول فِي صُدُورِهِمْ فانّهم كانوا يضمرون

جزء ٢٨ ركوع ٥

مخافتهم من المؤمنين مِنَ ٱللّٰهِ على ما يظهرونه نفاقا فانّ استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة اللّه ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ لا يعلمون عظمة اللّه حتّى يخشوه حقّ خشيته ويعلموا انّه الحقيق بأن يخشى (١٤) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ اليهود والمنافقون جَمِيعًا مجتمعين متّفقين إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ بالدروب والخنادق أَوْ مِنْ وَرَآءِ جُدُرٍ لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو جِدَارٍ واما ل ابو عمرو فتحة الدال بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ اى وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانّه يشتدّ بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف اللّه الرعب فى قلوبهم ولانّ الشجاع يجبن والعزيز يذلّ اذا حارب اللّه ورسوله تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا مجتمعين متّفقين وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ متفرّقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ما فيه صلاحهم وأنّ تشتّت القلوب يوهن قواهم (١٥) كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ اى مَثَلُ اليهود كمثل اهل بدر او بنى قَيْنُقاع إن صحّ انّهم أُخْرِجوا قبل النضير او المُهْلَكين من الامم الماضية قَرِيبًا فى زمان قريب وانتصابه بمَثَل اذ التقدير كوجود مثل ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فى الآخرة (١٦) كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ اى مَثَل المنافقين فى اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ ٱكْفُرْ اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِنْكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللّٰهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ تبرّأ عنه مخافة ان يشاركه فى العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال (١٧) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذٰلِكَ جَزَآءُ ٱلظَّالِمِينَ والمراد من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانّى جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد ، وقرئ

ركوع ٦

عَاقِبَتُهُمَا وخَالِدَانِ على انّه خبر أنّ وفى النار لغو (١٨) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللّٰهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ليوم القيامة سمّاه به لدنوّه او لانّ الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم ، وامّا تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدّمن للآخرة كانّه قال ولتنظر نفس واحدة فى ذلك وَٱتَّقُوا ٱللّٰهَ تكرير للتأكيد او الاوّل فى اداء الواجبات لانّه مقرون بالعمل والثانى فى ترك المحارم لاقترانه بقوله إِنَّ ٱللّٰهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وهو كالوعيد على المعاصى (١٩) وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ نَسُوا ٱللّٰهَ نسوا حقّه فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ فجعلهم ناسين لها حتّى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلّصها او اراهم يوم القيامة من الهول ما انساهم انفسهم أُولٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ الكاملون فى الفسوق (٢٠) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنّة والّذين استمهنوها فاستحقّوا النار ، واحتجّ به اصحابنا على انّ المسلم لا يُقتل بالكافر أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ بالنعيم المقيم

جزء ٢٨ ركوع ٦ (٢١) لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا ٱلْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ ٱللّٰهِ تمثيل وتخييل كما مرّ فى قوله انّا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فانّ الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشّعه عند تلاوة القران لقساوة قلبه وقلّة تدبّره ، والتصدّع التشقّق وقرئ مُصَّدِّعًا على الادغام (٢٢) هُوَ ٱللّٰهُ ٱلَّذِى لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ما غاب عن الحسّ من الجواهر القدسيّة واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب لتقدّمه فى الوجود وتعلّق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السرّ والعلانية هُوَ ٱلرَّحْمٰنُ ٱلرَّحِيمُ

(٢٣) هُوَ ٱللّٰهُ ٱلَّذِى لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ البالغ فى النزاهة عمّا يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ٱلسَّلَامُ ذو السلامة من كلّ نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة ٱلْمُؤْمِنُ واهب الأمن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمَن به على حذف الجارّ ٱلْمُهَيْمِنُ الرقيب الحافظ لكلّ شىء مُفَيْعِل من الأمن قلبت همزته هاء ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ الّذى جبر خلقه على ما اراده او جبر حالهم بمعنى اصلحه ٱلْمُتَكَبِّرُ الّذى تكبّر عن كلّ ما يوجب حاجة او نقصانا سُبْحَانَ ٱللّٰهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ اذ لا يَشْرَكه فى شىء من ذلك

(٢٤) هُوَ ٱللّٰهُ ٱلْخَالِقُ المقدّر للاشياء على مقتضى حكمته ٱلْبَارِئُ الموجد لها بريئا من التفاوت ٱلْمُصَوِّرُ الموجد لصُوَرها وكيفيّاتها كما اراد ومن اراد الاطناب فى شرح هذه الاسماء واخواتها فعليه بكتابى المسمّى بمنتهى المُنَى لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَى لانّها دالّة على محاسن المعانى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لتنزّهه عن النقائص كلّها وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ الجامع للكمالات بأسرها فانّها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الحشر غفر اللّه له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر •

سُورَةُ ٱلْمُمْتَحِنَةِ

مدنيّة وآيها ثلث عشرة آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٧ (١) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ نزلت فى حاطب بن ابى بَلْتَعة فانّه لمّا علم انّ رسول اللّه صلعم يغزو اهل مكّة كتب اليهم انّ رسول اللّه يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بنى المطّلب فنزل جبريل عم فبعث رسول اللّه عليّا وعمّارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مَرْثَد وقال انطلقوا حتّى تأتوا روضة خاخٍ فانّ بها ظعينة معها كتابُ حاطب الى اهل مكّة فخذوه منها وخلّوها فانْ ابت فاضربوا عنقها فأدركوها ثمّ فجحدت فسلّ علىّ السيف فاخرجته من عقاصها فاستحضر رسول اللّه صلعم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول اللّه ما كفرتُ منذ اسلمتُ ولا غششتك منذ

نصحتك ولكن كنت امرءا مُلْصَقا فى قريش وليس لى فيهم من يحمى اهلى فأردت ان آخذ عندهم يدا جزء ٢٨
وقد علمتُ انّ كتابى لا يُغْنِى عنهم شيـًا فصدّقه رسول اللّه صلعم تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ تُفْضُون اليهم ركوع ٧
المودّةَ بالمكاتبة والباء مزيدة او أخبارَ رسول اللّه صلعم بسبب المودّة والجملةُ حالٌ من فاعلِ لا تتّخذوا
او صفةٌ لاولياء جرت على غيرِ مَنْ هى له فلا حاجة فيها الى إبراز الضمير لانّه مشروط فى الاسم دون الفعل
وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُمْ مِنَ ٱلْحَقِّ حال من فاعلِ احدِ الفعلين يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ اى من
مكّة وهو حالٌ من كفروا او استينافٌ لبيانه أَنْ تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ بأن تؤمنوا به وفيه تغليب
المخاطب والالتفات من التكلّم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ عن اوطانكم
جِهَادًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى علّة للخروج وعمدة للتعليق ، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه لا
تتّخذوا تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ بدل من تلقون او استيناف معناه اىّ طائل لكم فى اسرار المودّة او
الاخبار بسبب المودّة وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ اى منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة ، وما
موصولة او مصدريّة وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ اى يفعل الاتّخاذ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ اخطأه (٢) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ
يظفروا بكم يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَآءً ولا ينفعكم إلقاء المودّة اليهم وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِٱلسُّوٓءِ
ما يسوءكم كالقتل والشتم وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ وتمنّوا ارتدادكم ، ومجىء ودّوا وحده بلفظ الماضى
للاشعار بانّهم ودّوا ذلك قبل كلّ شىء وانّ ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم (٣) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ
قراباتكم وَلَآ أَوْلَادُكُمُ ٱلَّذِين توالون المشركين لاجلهم يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُفْصَلُ بَيْنَكُمْ يفرق بينكم بما
عراكم من الهول فيفرّ بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليومَ حقَّ اللّه لمن يفرّ منكم غدا ، وقرأ
حمزة والكسائىّ بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وعاصم يَفْصِلُ وقرأ ابن عامر يُفَصَّلُ على البناء
للمفعول وهو بينكم وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيجازيكم عليه (٤) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ قدوةٌ اسمٌ
لما يؤتسى به فِى إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ صفةٌ ثانية او خبرُ كان ولكم لغو او حالٌ من المستكنّ فى حسنة
او صلة لها لا لأسوة لانّها وُصفت إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ ظرف لخبرِ كان إِنَّا بُرَءَآءُ مِنْكُمْ جمعُ برىء كظريف وظُرَفاء
وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ اى بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتدّ بشأنكم وآلهتكم
وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَحْدَهُ فتنقلب العداوة والبغضاء الفةً ومحبّةً
إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ استثناء من قوله اسوة حسنة فانّ استغفاره لابيه الكافر ليس ممّا
ينبغى ان يأتسوا به فانّه كان قبل النهى او لموعدة وعدها ايّاه وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِنْ شَىْءٍ من تمام

جزء ٢٨ قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ
ركوع ٧ ٱلْمَصِيرُ متصلٌ بما قبل الاستثناء او امرٌ من الله للمؤمنين بأن يقولوه تتميما لما وصّاهم به من قطع
العلائق بينهم وبين الكفّار (٥) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا بأن تسلّطهم علينا فيفتنونا بعذاب
لا نحتمله وَٱغْفِرْ لَنَا ما فرط رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ومن كان كذلك كان حقيقا بأن يُجير
المتوكّل ويُجيب الداعى (٦) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ تكرير لمزيد الحثّ على التأسّى بابرٰهيم
ولذلك صُدّر بالقسم وأُبدل قوله لِمَنْ كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ من لكم فانّه يدلّ على انّه لا ينبغي
لمؤمن ان يترك التأسّى بهم وأنّ تركه مُؤْذِنٌ بسوء العقيدة ولذلك عقّبه بقوله وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ركوع ٨ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ فانّه جدير بأن يُوعَد به الكفرة (٧) عَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُمْ
مِنْهُمْ مَوَدَّةً لمّا نزل لا تتّخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرّءوا عنهم فوعدهم الله بذلك
وأنجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء وَٱللَّهُ قَدِيرٌ على ذلك وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لما فرط منكم فى
موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم (٨) لَا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى
ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ اى لا ينهاكم عن مبرّة هؤلاء لانّ قوله أَنْ تَبَرُّوهُمْ بدل من الّذين
وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ وتُفضوا اليهم بالقسط اى العدل إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ اى العادلين رُوى انّ قُتَيْلة
بنت عبد العُزّى قدمت مشركةً على بنتها أَسْماء بنت ابى بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول
فنزلت (٩) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ
كمشركى مكّة فانّ بعضهم سعوا فى اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين أَنْ تَوَلَّوْهُمْ بدل من الّذين
بدل الاشتمال وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ لوضعهم الولاية فى غير موضعها (١٠) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا
إِذَا جَاءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ فاختبروهنّ بما يغلّب على ظنّكم موافقة قلوبهنّ لسانَهنّ
فى الايمان ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فانّه المطّلع على ما فى قلوبهنّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ العلم الّذى
يُمكنكم تحصيله وهو الظنّ الغالب بالحلف وظهور الأمارات وانّما سمّاه علما ايذانا بانّه كالعلم فى وجوب
العمل به فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ اى الى ازواجهنّ الكفرة لقوله لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ
والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاولى لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستيناف وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا
ما دفعوا اليهنّ من المهور وذلك لانّ صلح الحُدَيْبية جرى على انّ من جاءنا منكم رددناه فلمّا تعذّر
عليه ردّهنّ لورود النهى عنه لزمه ردّ مهورهنّ اذ روى انّه عم كان بعد الحديبية اذ جاءته سُبَيْعة

جزء ٢٨ ركوع ٨

بنت الحارث الاسلميّة مسلمةً فأقبل زوجها مسافر المخزوميّ طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول اللّه صلعم فحلفت فأعطى زوجها ما انفق وتزوّجها عمر رضه وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ فانّ الاسلام حالَ بينهنّ وبين ازواجهنّ الكفّار إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ شرط ايتاء المهر فى نكاحهنّ ايذانا بانّ ما أُعطى ازواجهنّ لا يقوم مقام المهر وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ بما يعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عِصْمة والمراد نهى المؤمنين عن المُقام على نكاح المشركات • وقرأ البصريّان وَلَا تُمَسِّكُوا بالتشديد وَٱسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ من مهور نسائكم اللاحقات بالكفّار وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللّٰهِ يعنى جميع ما ذكر فى الآية يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ استيناف او حال من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة وَٱللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ يشرع ما تقتضيه حكمته (١١) وَإِنْ فَاتَكُمْ سبقكم وانفلت منكم شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شىء موقعه للتحقير والمبالغة فى التعميم او شىء من مهورهنّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فجاءت عُقْبتكم اى نوبتكم من اداء المهر شبّه الحكم باداء هؤلاء مهورَ نساء اولئك تارةً واداء اولئك مهورَ نساء هؤلاء اخرى بأمرٍ يتعاقبون فيه كما يُتعاقب فى الركوب وغيره فَآتُوا ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر رُوى انّه لمّا نزلت الآية المتقدّمة ابى المشركون ان يؤدّوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه ان فاتكم فأصبتم من الكفّار عُقْبَى وهى الغنيمة فآتوا بدلَ الفائت من الغنيمة وَٱتَّقُوا ٱللّٰهَ ٱلَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ فانّ الايمان به يقتضى التقوى منه (١٢) يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِٱللّٰهِ شَيْئًا نزلت يوم الفتح فانّه عم لمّا فرغ عن بيعة الرجال اخذ فى بيعة النساء وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ يريد وأد البنات وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فى حسنة تأمرهنّ بها والتقييد بالمعروف مع انّ الرسول لا يأمر الّا به تنبيهٌ على انّه لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق فَبَايِعْهُنَّ اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللّٰهَ إِنَّ ٱللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٣) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللّٰهُ عَلَيْهِمْ يعنى عامّة الكفّار او اليهود اذ رُوى انّها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قَدْ يَئِسُوا مِنَ ٱلْآخِرَةِ لكفرهم بها او لعلمهم بانّه لا حظّ لهم فيها لعنادهم الرسولَ المنعوتَ فى التورية المؤيَّد بالآيات كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْقُبُورِ أن يُبعثوا او يُثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاوّل وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على انّ الكفر آيسهم • عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة •

سُورَةُ ٱلصَّفِّ

مدنيّة وقيل مكّيّة وآيها اربع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ٢٨ ركوع ٩

(١) سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ سبق تفسيره (٢) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ روى انّ المسلمين قالوا لو علمنا احبّ الاعمال الى اللّه لبذلنا فيه اموالنا وأنفسنا فأنزل اللّه انّ اللّه يحبّ الّذين يقاتلون فى سبيله صفّا فولّوا يوم أُحُد فنزلت ، ولِمَ مركّبة من لام الجرّ وما الاستفهاميّة والاكثر على حذف الفها مع حرف الجرّ لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما فى الدلالة على المستفهم عنه (٣) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ ٱللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ المقت اشدّ البغض ونصبه على التمييز للدلالة على انّ قولهم هذا مَقْتٌ خالص كبير عند مَنْ يُحْقَر دونه كلّ عظيم مبالغة فى المنع عنه (٤) إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا مصطفّين مصدرٌ وُصف به كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ فى تراصّهم من غير فُرْجة حالٌ من المستكنّ فى الحال الاولى والرصّ اتّصال بعض البناء بالبعض واستحكامه (٥) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ مقدّر باذكرْ او كان كذا يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي بالعصيان والرمى بالأُدْرة وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقرّرة للانكار فانّ العلم بنبوّته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقدْ لتحقيق العلم فَلَمَّا زَاغُوا عن الحقّ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ صرفها عن قبول الحقّ والميل الى الصواب وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ هداية مُوصلة الى معرفة الحقّ او الى الجنّة (٦) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ولعلّه لم يقل يا قوم كما قال موسى لانّه لا نسب له فيهم إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا فى حال تصديقى لما تقدّمنى من التورية وتبشيرى برسول يأتى من بعدى والعامل فى الحالين ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجارّ لانّه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ يعنى محمّدا صلعم والمعنى دينى التصديق بكتب اللّه وانبيائه فذكر اوّل الكتب المشهورة الّذى حكم به النبيّون والنبىّ الّذى هو خاتم المرسلين فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيّده قراءة حمزة والكسائىّ هٰذا سَاحِرٌ على انّ الاشارة الى عيسى عم (٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى ٱلْإِسْلَامِ اى لا احد اظلم ممّن يدعى الى الاسلام الظاهر حقّيّته المقتضى له خيرَ الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على اللّه بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانّه يعمّ اثبات المنفىّ ونفى الثابت ، وقرئ يَدَّعِي يقال دعاه وادّعاه كلمسه والتمسه وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ

لا يُرْشدهم الى ما فيه فلاحهم (٨) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا يريدون أن يطفئوا واللامُ مزيدة لما فيها من معنى جزء ٢٨ الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها فى لَا أَبَا لَكَ او يريدون الافتراء ليطفئوا ركوع ٩ نُورَ ٱللَّهِ يعنى دينه او كتابه او حجّته بِأَفْوَاهِهِمْ بطعنهم فيه وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ مبلّغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائىّ وحفص بالاضافة وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ ارغاما لهم (٩) هُوَ ٱلَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَى بالقران او المعجزة وَدِينِ ٱلْحَقِّ والملّة الحنيفيّة لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ ليغلّبه على جميع الاديان وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك (١٠) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى ركوع ١٠ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وقرأ ابن عامر تُنَجِّيكُمْ بالتشديد (١١) تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ استيناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدّى الى كمال عزّهم والمرادُ به الامر وجىء بلفظ الخبر ايذانا بانّ ذلك ممّا لا يُترك ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ يعنى ما ذكر من الايمان والجهاد إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يُعْتَدّ بفعله (١٢) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ جواب للامرِ المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرطٍ او استفهامٍ دلّ عليه الكلام تقديرُه إن تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلّكم يغفرْ لكم ويَبْعد جعلُه جوابا لهل ادلّكم لانّ مجرّد دلالته لا يوجب المغفرة وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ذٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنّة (١٣) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفى تحبّونها تعريض بانّهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبةٌ باضمارِ يُعْطكم او تحبّون او مبتدأٌ خبرُه نَصْرٌ مِنَ ٱللَّهِ وهو على الاوّل بدلٌ او بيانٌ وعلى قول النصب خبرُ محذوف وقد قرئ بما عُطف عليه بالنصب على البدلِ او الاختصاصِ او المصدرِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ عاجل وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عطف على محذوف مثل قل يا ايّها الّذين آمنوا وبشّر او على تؤمنون فانّه فى معنى الامر كانّه قال آمنوا وجاهدوا ايّها المؤمنون وبشّرهم يا رسول اللّه بما وعدتهم عليهما آجلا وعاجلا (١٤) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ ٱللَّهِ وقرأ الحجازيّان وابو عمرو بالتنوين واللام لانّ المعنى كونوا بعض انصار اللّه كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِى إِلَى ٱللَّهِ اى من جُنْدى متوجّها الى نصرة اللّه ليطابق قولَه قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ ٱللَّهِ والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانيةُ اضافة الفاعل الى المفعول ، والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا كما قال الحواريّون حين قال لهم عيسى من انصارى الى اللّه ، والحواريّون اصفياؤه وهم اوّل من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا من الحَوَر وهو البياض فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ

*

جزء ٢٨ ركوع ١٠ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ بعيسى فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ اى بالحجّة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ فصاروا غالبين ؛ عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الصفّ كان عيسى مصلّيا عليه مستغفرا له ما دام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه ●

سُورَةُ ٱلْجُمُعَةِ

مدنيّة وآيها احدى عشرة آيــة

بِسْــــــــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١١ (١) يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح (٢) هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّينَ اى فى العرب لانّ اكثرهم لا يكتبون ولا يقرءون رَسُولًا مِنْهُمْ من جملتهم أُمّيّا مثلهم يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ مع كونه أُمّيّا مثلهم لم يُعْهَد منه قراءةٌ ولا تعلّمٌ وَيُزَكِّيهِمْ من خبائث العقائد والاعمال وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ القران والشريعة او معالم الدين من المعقول والمنقول ولو لم يكن له سواه معجزةٌ لكفاه وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ من الشرك وخبث الجاهليّة وهو بيانٌ لشدّة احتياجهم الى نبىّ يرشدهم وازاحةٌ لما يُتوهّم انّ الرسول تعلّم ذلك من معلّم ، وإنْ هى المخفّفة واللام تدلّ عليها (٣) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ عطف على الامّيّين او المنصوب فى يعلّمهم وهم الّذين جاءوا بعد الصحابة الى يوم الدين فانّ دعوته وتعليمه يعمّ الجميع لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ لم يلحقوا بهم بعدُ وسيلحقون وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ فى تمكّنه من هذا الامر الخارق للعادة ٱلْحَكِيمُ فى اختياره وتعليمه (٤) ذٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ ذلك الفضل الّذى امتاز به عن أقرانه فضله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ تفضّلا وعطيّة وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ الّذى يُستحقر دونه نعيم الدنيا او نعيم الآخرة او نعيمهما (٥) مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرَاةَ عُلِّموها وكُلِّفوا العمل بها ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا لم يعملوا ولم ينتفعوا بما فيها كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا كتبا من العلم يتعب فى حملها ولا ينتفع بها ، ويحمل حالٌ والعامل فيه معنى المثل او صفةٌ اذ ليس المراد من الحمار معيّنا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ اى مَثَلُ الّذين كذّبوا وهم اليهود المكذّبون بآيات الله الدالّة على نبوّة محمّد صلعم ويجوز ان يكون الّذين صفةً للقوم والمخصوص بالذمّ محذوفا وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ (٦) قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوا تهوّدوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ ٱلنَّاسِ اذ كانوا يقولون نحن ابناء الله وأحبّاؤه فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ

فتمنّوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البليّة الى محلّ الكرامة إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى زعمكم جزء ٢٨
(٧) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ بسبب ما قدّموا من الكفر والمعاصى وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ ركوع ١١
فيجازيهم على اعمالهم (٨) قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ وتخافون ان تتمنّوه بلسانكم مخافة أن
يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ لا تفوتونه لاحق بكم والفاء لتضمّن الاسم معنى الشرط
باعتبار الوصف وكأنّ فرارهم يُسْرِع لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء
عاطفة ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بأن يجازيكم عليه (٩) يَا أَيُّهَا ركوع ١٢
ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلٰوةِ اى أُذّن لها مِنْ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ بيان لاذا وانّما سمّى جمعة لاجتماع الناس
فيه للصلوة وكانت العربُ تسمّيه العَرُوبة وقيل سمّاه كعب بن لُؤَىّ لاجتماع الناس فيه اليه وأوّل
جمعة جمعها رسول الله صلعم انّه لمّا قدم المدينة نزل قُبَاء واقام بها الى الجمعة ثمّ دخل المدينة وصلّى
الجمعة فى واد لبنى سالم بن عوف فَٱسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ ٱللَّهِ فامضوا اليه مسرعين قصدا فانّ السعى دون
العَدْو والذكر الخطبة وقيل الصلوة والامر بالسعى اليها يدلّ على وجوبها وَذَرُوا ٱلْبَيْعَ واتركوا المعاملة
ذٰلِكُمْ السعى الى ذكر الله خَيْرٌ لَكُمْ من المعاملة فانّ نفع الآخرة خير وابقى إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الخيرَ والشرَّ
الحقيقيّين او كنتم من اهل العلم (١٠) فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلٰوةُ أُدّيت وفُرِغ منها فَٱنْتَشِرُوا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِ ٱللَّهِ اطلاق لما حظر عليهم واحتجّ به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفى الحديث وابتغوا
من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانّما هو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ فى الله وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ
كَثِيرًا واذكروه فى مجامع احوالكم ولا تخصّوا ذكره فى الصلوة لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ بخير الدارَيْن
(١١) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ٱنْفَضُّوا إِلَيْهَا روى انّه عم كان يخطب للجمعة فمرّت عيرٌ تحمل الطعام
فخرج الناس اليهم الّا اثنى عشر فنزلت ، وافراد التجارة بردّ الكناية لانّها المقصودة فانّ المراد من اللهو
الطبل الّذى كانوا يستقبلون به العيرَ والترديدُ للدلالة على انّ منهم من انفضّ لمجرّد سماع الطبل
ورؤيته او للدلالة على انّ الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان
الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره واذا رأوا تجارة انفضّوا اليها او اذا رأوا لهوا انفضّوا اليه
وَتَرَكُوكَ قَائِمًا على المنبر قُلْ مَا عِنْدَ ٱللَّهِ من الثواب خَيْرٌ مِنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَارَةِ فانّ ذلك محقّق مخلّد
بخلاف ما تتوهّمون من نفعهما وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ فتوكّلوا عليه واطلبوا الرزق منه ، عن النبىّ
صلعم من قرأ سورة الجمعة أُعْطِى من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها فى امصار
المسلمين ٠

سُورَةُ ٱلْمُنَافِقِينَ

مدنيّة وآيها احدى عشرة آيـة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ٢٨ ركوع ١٣

(١) إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ الشهادة إخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطّلاع ولذلك صدّق المشهود به وكذّبهم فى الشهادة بقوله وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ لانّهم لا يعتقدون ذلك (٢) ٱتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانّها تجرى مجرى الحلف فى التوكيد وقرئ إِيمَانَهُمْ جُنَّةً وقاية عن القتل والسبى فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ صدّا او صدودا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من نفاقهم وصدّهم (٣) ذٰلِكَ اشارة الى الكلام المتقدّم اى ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بِأَنَّهُمْ آمَنُوا بسبب انّهم آمنوا ظاهرا ثُمَّ كَفَرُوا سرّا او آمنوا اذا رأوا آية ثمّ كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ حتّى تمرّنوا على الكفر واستحكموا فيه فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ حقيقة الايمان ولا يعرفون صحّته (٤) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ لضخامتها وصباحتها وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن أُبَيّ جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول اللّه صلعم فى جمع مثله فيُعجَب بهيكلهم ويُصْغى الى كلامهم كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ حال من الضمير المجرور فى لقولهم اى تسمع لما يقولونه مشبّهين باخشاب منصوبة مسنّدة الى الحائط فى كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهى الخشبة الّتى نخر جوفها شبّهوا بها فى حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ ابو عمرو والكسائىّ وروى عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انّه كبُدْن فى جمع بَدَنة يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ اى واقعة عليهم لجبنهم واتّهامهم فعليهم ثانى مفعولَىْ يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول هُمُ ٱلْعَدُوُّ وعلى هذا يكون الضمير للكلّ وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتّب قوله فَٱحْذَرْهُمْ عليه يدلّ على انّ الضمير للمنافقين قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ كيف يُصرفون عن الحقّ (٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ يُعرِضون عن الاستغفار وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ عن الاعتذار (٦) سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ لرسوخهم فى الكفر إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ الخارجين عن مظنّة الاستصلاح لانهماكهم فى الكفر

والنفاق (٧) هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ اى للانصار لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ ٱللّٰهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا يعنون فقراء جزء ٢٨
المهاجرين وَلِلّٰهِ خَزَائِنُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ بيده الارزاق والقِسَم وَلٰكِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ذلك لجهلهم ركوع ١٣
بالله (٨) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا الَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ روى انّ اعرابيًّا نازع انصاريًّا فى بعض
الغزوات على ماء فضرب الاعرابىّ رأسه بخشبة فشكا الى ابن أُبَىّ فقال لا تُنْفِقوا على من عند رسول الله
حتّى ينفضّوا واذا رجعنا الى المدينة فليُخرِجنّ الاعزُّ الاذلَّ عنى بالاعزّ نفسه وبالاذلّ رسول الله صلعم وقرئ
لَيَخْرُجَنَّ بفتح الياء ولَيُخْرَجَنَّ على بناء المفعول ولَنُخْرِجَنَّ بالنون ونصب الاعزّ والاذلّ على هذه
القراءات مصدرٌ او حالٌ على تقدير مضاف كخروجَ او اخراجَ او مثلَ وَلِلّٰهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ولله
الغلبة والقوّة ولمن اعزّه من رسوله والمؤمنين وَلٰكِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ من فرط جهلهم وغرورهم
(٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ ٱللّٰهِ لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها ركوع ١٤
عن ذكره كالصلوة وسائر العبادات المذكّرة للمعبود والمرادُ نهيهم عن اللهو بها وتوجيهُ النهى اليها
للمبالغة ولذلك قال وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ اى اللهوَ بها وهو الشغل فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ لانّهم باعوا العظيم
الباقى بالحقير الفانى (١٠) وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ بعض اموالكم ادّخارا للآخرة مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ
اى يرى دلائله فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي امهلتنى إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ أَمدٍ غير بعيد فَأَصَّدَّقَ فأتصدّق وَأَكُنْ
مِنَ ٱلصَّالِحِينَ بالتدارك وجزم أكن بالعطف على موضع الفاء وما بعده وقرأ ابو عمرو وَأَكُونَ منصوبا
عطفا على أَصَّدَّقَ وقرئ بالرفع على وأنا اكون فيكون عِدة بالصلاح (١١) وَلَنْ يُؤَخِّرَ ٱللّٰهُ نَفْسًا ولن
يمهلها إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا آخِرُ عمرها وَٱللّٰهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ فمجازٍ عليه وقرأ ابو بكر بالياء ليوافق ما
قبله فى الغيبة ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق ٥

سُورَةُ ٱلتَّغَابُنِ

مختلَف فيها وآيها ثمانى عشرة آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ بدلالتها على كماله واستغنائه لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ قدّم ركوع ١٥
الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لانّ نسبة ذاته
المقتضية للقدرة الى الكلّ على سواء ثمّ شرع فيما ادّعاه فقال (٢) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ مقدّر

جزء ٢٨ ركوع ١٥

كفره موجِّهٌ اليه ما يحمله عليه وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ مقدِّرٌ ايمانه موفِّقٌ لما يدعوه اليه وَٱللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيعاملكم بما يناسب اعمالكم (٣) خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ بالحكمة البالغة وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ فصوّركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زيّنكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصّكم بخلاصة خصائص المُبْدَعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ فَأَحْسِنوا سرائركم حتّى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم (٤) يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللّٰهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ فلا يخفى عليه ما يصحّ ان يُعْلَم كلّيًا كان او جزئيًا لانّ نسبة المقتضى لعلمه الى الكلّ واحدة ، وتقديمُ تقرير القدرة على العلم لانّ دلالة المخلوقات على قدرته اوّلًا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الإتقان والاختصاص ببعض الأنحاء (٥) أَلَمْ يَأْتِكُمْ يا ايّها الكفّار نَبَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ كقوم نوح وهود وصالح فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ضرر كفرهم فى الدنيا وأصلُه الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فى الآخرة (٦) ذٰلِكَ اى المذكور من الوبال والعذاب بِأَنَّهُ بسبب انّ الشأن كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ بالمعجزات فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا انكروا وتعجّبوا ان يكون الرسل بشرا والبشرُ يطلق للواحد والجمع فَكَفَرُوا بالرسل وَتَوَلَّوْا عن التدبّر فى البيّنات وَٱسْتَغْنَى ٱللّٰهُ عن كلّ شىء فضلا عن طاعتهم وَٱللّٰهُ غَنِيٌّ عن عبادتهم وغيرها حَمِيدٌ يدلّ على حمده كلُّ مخلوق (٧) زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا الزعم ادّعاء العلم ولذلك يتعدّى الى مفعولَيْن وقد قام مقامهما أَنْ بما فى حيّزه قُلْ بَلَى اى بلى تُبْعَثون وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ قسم اكّد به الجواب ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ بالمحاسبة والمجازاة وَذٰلِكَ عَلَى ٱللّٰهِ يَسِيرٌ لقبول المادّة وحصول القدرة التامّة (٨) فَآمِنُوا بِٱللّٰهِ وَرَسُولِهِ محمّد صلعم وَٱلنُّورِ ٱلَّذِي أَنْزَلْنَا يعنى القران فانّه باعجازه ظاهر بنفسه مُظْهِر لغيره ممّا فيه شرحه وبيانه وَٱللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فمجازٍ عليه (٩) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ ظرف لتنبؤنّ او مقدّر باذكرْ وقرأ يعقوب نَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمعُ جمع الملائكة والثقلين ذٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السُّعداء منازلَ الأشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعارٌ من تغابن التجار واللامُ فيه للدلالة على انّ التغابن الحقيقيّ هو التغابن فى امور الآخرة لعظمها ودوامها وَمَنْ يُؤْمِنْ بِٱللّٰهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا اى عملا صالحا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما ذٰلِكَ الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ لانّه جامع للمصالح مِنْ دفع المضارّ وجلب المنافع (١٠) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ

خالدين فيها وبئس المصير كأنّها والآية المتقدّمة بيان للتغابن وتفصيل له (١١) ما أصاب من مصيبة الّا جزء ٢٨
بإذن الله الّا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد ركوع ١٩
قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمزة اى يسكن والله
بكلّ شىء عليم حتّى القلوب واحوالها (١٢) وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولّيتم فانّما على رسولنا
البلاغ المبين اى فان تولّيتم فلا بأس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلّغ (١٣) الله لا اله الّا هو وعلى الله
فليتوكّل المؤمنون لانّ ايمانهم بانّ الكلّ منه يقتضى ذلك (١٤) يا أيّها الّذين آمنوا انّ من أزواجكم
وأولادكم عدوّا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم فى امر الدين او الدنيا فاحذروهم ولا تأمنوا
غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها
وتمهيد معذرتهم فيها فانّ الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضّل عليكم (١٥) انّما أموالكم
وأولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده أجر عظيم لمن آثر محبّة الله وطاعته على محبّة الاموال والاولاد
والسعى لهم (١٦) فاتّقوا الله ما استطعتم اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه وأطيعوا
اوامره وأنفقوا فى وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لأنفسكم اى افعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحثّ
على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اى انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدّر
جوابا للاوامر ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون سبق تفسيره (١٧) ان تقرضوا الله تصرفوا
المال فيما امره قرضا حسنا مقرونا باخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى
سبعمائة وأكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعّفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور
يعطى الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة (١٨) عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شىء العزيز الحكيم
تامّ القدرة والعلم ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة ٥

سورة الطّلاق

مدنيّة وآيها اثنتا عشرة آية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(١) يا أيّها النّبىّ اذا طلّقتم النّساء خصّ النداء وعمّ الخطاب بالحكم لانّه امام امّته فنداؤه كندائهم ركوع ١٧
او لانّ الكلام معه والحكم يعمّهم والمعنى اذا اردتم تطليقهنّ على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه

جزء ٢٨ ركوع ١٧

فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ اى وقتها وهو الطُّهْر فانّ اللام فى الازمان وما يشبهها للتأقيت ومَنْ عدّ العدّة بالحيض علّق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدلّ على انّ العدّة بالأطهار وأنّ طلاق المعتدّة بالاقراء ينبغى ان يكون فى الطُّهر وأنّه يحرم فى الحيض من حيث انّ الامر بالشىء يستلزم النهى عن ضدّه ولا يدلّ على عدم وقوعه اذ النهى لا يستلزم الفساد كيف وقد صحّ انّ ابن عمر لمّا طلّق امرأته حائضا امره عم بالرجعة وهو سبب نزوله وَأَحْصُوا ٱلْعِدَّةَ واضبطوها وأكملوها ثلاثة اقراء وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ رَبَّكُمْ فى تطويل العدّة والاضرار لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ من مساكنهنّ وقت الفراق حتّى تنقضى عدّتهنّ وَلَا يَخْرُجْنَ باستبدادهنّ أمّا لو اتّفقا على الانتقال جاز اذ الحقّ لا يعدوهما ، وفى الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ مستثنى من الاوّل والمعنى الّا ان تَبْذُو على الزوج فانّه كالنشوز فى إسقاط حقّها او الّا ان تزنى فتخرج لاقامة الحدّ عليها او من الثانى للمبالغة فى النهى والدلالة على انّ خروجها فاحشة وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ الاشارة الى الاحكام المذكورة وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بأنْ عرّضها للعقاب لَا تَدْرِى اى النفس او انت ايّها النبىّ او المطلِّق لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا وهو الرغبة فى المطلّقة برجعة او استيناف (٢) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ شارفن آخر عدّتهنّ فَأَمْسِكُوهُنَّ فراجعوهنّ بِمَعْرُوفٍ بحسن عِشْرة وانفاق مناسب أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ بايفاء الحقّ واتّقاء الضرار مثل أن يراجعها ثمّ يطلّقها تطويلا لعدّتها وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ على الرجعة او الفرقة تبرّيًا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندْب كقوله وأشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعىّ وجوبه فى الرجعة وَأَقِيمُوا ٱلشَّهَادَةَ ايّها الشهود عند الحاجة لِلَّهِ خالصا لوجهه ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ يريد الحثّ على الإشهاد والاقامة او على جميع ما فى الآية مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فانّه المنتفع به والمقصود بذكره وَمَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ جملةٌ اعتراضيّةٌ مؤكّدة لما سبق بالوعد على الاتّقاء عمّا نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق فى الحيض والاضرار بالمعتدّة واخراجها من المسكن وتعدّى حدود اللّه وكتمان الشهادة وتوقّع جُعْل على اقامتها بأنْ يجعل اللّه له مخرجا ممّا فى شأن الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فَرَجا وخَلَفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامّة المتّقين بالخلاص عن مضارّ الدارَيْن والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلامٌ جىء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين ، وعنه عم انّى لأعلم آيةً لو اخذ الناس بها لَكَفَتْهم ومن يتّق اللّه فما زال يقرؤها ويُعيدها وروى انّ سالم بن عوف بن مالك الاشجعى اسره العدوّ فشكا ابوه الى رسول اللّه صلعم فقال اتّق اللّه وأكثِرْ قول لا حول ولا قوّة الّا باللّه ففعل فبينا هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدوّ فاستاقها (٣) وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى

اَللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ كافيه إِنَّ اَللّٰهَ بَالِغُ أَمْرِهِ يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة وقرئ بَالِغٌ جزء ٢٨
أَمْرُهُ اى نافذ وبالغًا على انّه حال والخبر قَدْ جَعَلَ اَللّٰهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا تقديرا او مقدارا او أَجلا لا ركوع ١٧
يتأتّى تغييره وهو بيانٌ لوجوب التوكّل وتقرير لما تقدّم من تأقيت الطلاق بزمان العدّة والامر باحصائها وتمهيدٌ لما سيأتى من مقاديرها (٤) وَاللّٰائِى يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَآئِكُمْ لكبرهنّ إِنِ ارْتَبْتُمْ شككتم فى عدّتهنّ اى جهلتم فَعِدَّتُهُنَّ ثَلٰثَةُ أَشْهُرٍ روى انه لمّا نزل والمطلّقات يتربّصن بانفسهنّ ثلثة قروء قيل فما عدّة اللّاتى لا يحضن فنزلت وَاللّٰائِى لَمْ يَحِضْنَ اى واللّائى لم يحضن بعد كذلك وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ منتهى عدّتهنّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وهو حكم يعمّ المطلّقات والمتوفّى عنهنّ ازواجهنّ والمحافظة على عمومه أَولى من محافظة عموم قوله والّذين يتوفّون منكم ويذرون ازواجا لانّ عمومَ اولات الاحمال بالذات وعمومَ ازواجا بالعرض والحكم معلّل هنا بخلاف ثَمّ ولانّه صحّ انّ سُبَيْعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول اللّه صلعم فقال قد حللت فتزوّجى ولانّه متأخّر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر بناء للعامّ على الخاصّ والاوّل راجح للوفاق عليه وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ فى احكامه فيراعى حقوقها يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا يسهّل عليه امره ويوفّقه للخير (٥) ذٰلِكَ أَمْرُ اللّٰهِ اشارة الى ما ذكر من الاحكام أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ فى احكامه فيراعى حقوقها يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ فانّ الحسنات يُذهبن السيّآت وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا بالمضاعفة (٦) أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ اى مكانا من مكان سكناكم مِنْ وُجْدِكُمْ من وُسْعكم اى ممّا تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وَلَا تُضَارُّوهُنَّ فى السكنى لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ فتلجئوهنّ الى الخروج وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتّٰى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فيخرجن من العدّة وهذا يدلّ على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدّات والاحاديث تؤيّده فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ بعد انقطاع عُلْقة النكاح فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ على الارضاع وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والاجر وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ تضايقتم فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرىٰ امرأة اخرى وفيه معاتبة للأمّ على المعاسرة (٧) لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللّٰهُ اى فلينفق كلٌّ من الموسر والمعسر ما بلغه وُسْعه لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا فانّه تعالى لا يكلّف نفسا الّا وُسْعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال
سَيَجْعَلُ اللّٰهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا اى عاجلا او آجلا (٨) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ اهل قرية عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ركوع ١٨
اعرضت عنه إعراض العاتى المعاند فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا بالاستقصاء والمناقشة وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا

جزء ٢٨ منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق (٩) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا عقوبة

ركوع ١٨ كفرها ومعاصيها وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا لا ربح فيه اصلا (١٠) أَعَدَّ ٱللّٰهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور به في قوله فَٱتَّقُوا ٱللّٰهَ يَا أُولِي ٱلْأَلْبَابِ ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا (١١) ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ ٱللّٰهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يعني بالذكر جبريل لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القران او لانّه مذكور في السموات او ذو ذكر اي شرف او محمّدا صلعم لمواظبته على تلاوة القران وتبليغه وعبّر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانّه مسبّب عن انزال الوحي اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القران ورسولا منصوب بمقدّر مثل أَرْسَلَ او ذِكْرًا والرسول مفعوله او بدله على انّه بمعنى الرسالة يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ ٱللّٰهِ مُبَيِّنَاتٍ حالٌ من اسم الله او صفة رسولا ، والمراد بالّذين لِيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ اي ليحصّل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج مَنْ عَلِمَ او قدّر انّه يؤمن مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ من الضلالة الى الهدى وَمَنْ يُؤْمِنْ بِٱللّٰهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وقرأ نافع وابن عامر نُدْخِلْهُ بالنون قَدْ أَحْسَنَ ٱللّٰهُ لَهُ رِزْقًا فيه تعجيب وتعظيم لما رُزقوا من الثواب (١٢) ٱللّٰهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ مبتدأ وخبر وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ اي وخلق مثلهنّ في العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ اي يجري امر الله وقضاؤه بينهنّ وينفذ حكمه فيهنّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ ٱللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللّٰهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا علّة لخلق او يتنزّل او مضمر يعمّهما فانّ كلّا منهما يدلّ على كمال قدرته وعلمه ، عن النبيّ صلعم من قرأ سورة الطلاق مات على سنّة رسول الله .

سُورَةُ ٱلتَّحْرِيمِ

مدنيّة وآيها اثنتا عشرة آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١٩ (١) يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ ٱللّٰهُ لَكَ روى انّه عم خلا بمارية بنوبة عائشة او حفصة فاطّلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرّم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفيّة فقلن له انّا نتنسّم منك ريح المغافير فحرّم العسل فنزلت تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ تفسير لتحرّم او حال من فاعله او استيناف لبيان الداعي اليه وَٱللّٰهُ غَفُورٌ لك هذه الزلّة فانّه لا يجوز تحريم ما احلّ الله

رَحِيمٌ رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماةً على عصمتك (٢) قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ جزء ٢٨
قد شرع لكم تحليلها وهو حلّ ما عقدته بالكفّارة او الاستثناء فيها بالمشيئة حتّى لا تحنث من ركوع ١٩
قولهم حلّل في يمينه اذا استثنى فيها واحتجّ بها من رأى التحريمَ مطلقا او تحريمَ المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفّارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انّه عم اتى بلفظ اليمين كما قيل وَٱللَّهُ مَوْلَاكُمْ متولّي امركم وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ بما يصلحكم ٱلْحَكِيمُ المتقن في افعاله واحكامه (٣) وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ يعني حفصة حَدِيثًا تحريمَ مارية او العسل او انّ الخلافة بعده لابي بكر وعمر فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ فلمّا اخبرت حفصةُ عائشةَ بالحديث وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ واطّلع النبيّ صلعم على الحديث اى على افشائه عَرَّفَ بَعْضَهُ عرّف الرسولُ حفصةَ بعض ما فعلت وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ عن اعلام بعض تكرّما او جازاها على بعضه بتطليقه ايّاها وتجاوز عن بعض ويؤيّده قراءة الكسائيّ بالتخفيف فانّه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدّد من باب اطلاق اسم المسبّب على السبب والمخفّف بالعكس ويؤيّد الاوّل قوله فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ فانّه اوفق للاعلام (٤) إِن تَتُوبَا إِلَى ٱللَّهِ خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا فقد وُجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول بحبّ ما يحبّه وكراهة ما يكرهه وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ وان تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرأ الكوفيّون بالتخفيف فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فانّ الله ناصره وجبريل رئيس الكرّوبيّين قرينه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه وَٱلْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عُمّم بالاضافة وبقوله بعد ذلك تعظيمٌ لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به (٥) عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدلّ على انّه لم يطلّق حفصة وانّ في النساء خيرا منهنّ لانّ تعليق طلاق الكلّ لا ينافي تطليق واحدة والمعلّق بما لم يقع لا يجب وقوعه ، وقرأ نافع وابو عمرو يُبْدِلَهُ بالتخفيف مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ مقرّات مخلصات او منقادات مصدّقات قَانِتَاتٍ مصلّيات او مواظبات على الطاعة تَائِبَاتٍ عن الذنوب عَابِدَاتٍ متعبّدات او متذلّلات لامر الرسول صلعم سَائِحَاتٍ صائمات سمّي الصائم سائحا لانّه يسيح بالنهار بلا زاد او مهاجرات ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا وسّط العاطف بينهما لتنافيهما ولانّهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيّبات والابكار (٦) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ بترك المعاصي وفعل الطاعات وَأَهْلِيكُمْ بالنصح والتأديب وقرئ أَهْلُوكُمْ عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ نارا تتّقد بهما اتّقاد غيرها بالحطب عَلَيْهَا

جزء ٢٨ مَلَائِكَةٌ تلى امرها وهم الزبانية غِلَاظٌ شِدَادٌ غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخَلْق شداد الخُلُق
ركوع ١٩ اقوياء على الافعال الشديدة لَا يَعْصُونَ ٱللّٰهَ مَا أَمَرَهُمْ فيما مضى وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ فيما يستقبل او
لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدّون ما يؤمرون به (٧) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا ٱلْيَوْمَ
إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار، والنهى عن الاعتذار لانّه لا عُذْر
ركوع ٢٠ لهم او العذر لا ينفعهم (٨) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى ٱللّٰهِ تَوْبَةً نَصُوحًا بالغة فى النُّصْح وهو صفة
التائب فانّه ينصح نفسه بالتوبة وُصِفَتْ به على الاسناد المجازىّ مبالغة او فى النصاحة وهى الخياطة كانّها
تَنْصَح ما خرق الذنبُ وقرأ ابو بكر بضمّ النون وهو مصدر بمعنى النُّصْح كالشُّكْر والشُّكُور او
النصاحة كالثَّبات والثُّبوت تقديره ذاتَ نُصوح او تنصح نُصوحا او توبوا نُصوحا لانفسكم وسُئِل
علىّ رضه عن التوبة فقال يجمعها ستّة اشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة وردّ
المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على ان لا تعود وأن تربّى نفسك فى طاعة اللّه كما ربّيتها فى المعصية
عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ذكر بصيغة الاطماع
جريا على عادة الملوك واشعارا بانّه تفضّل والتوبة غير مُوجِبة وانّ العبد ينبغى ان يكون بين خوف
ورجاء يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللّٰهُ ٱلنَّبِيَّ ظرف ليدخلكم وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ عطف على النبىّ احمادا لهم وتعريضا
لمن ناواهم وقيل مبتدأ خبره نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ اى على الصراط يَقُولُونَ اذا طفئ نور
المنافقين رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم
فيسألون اتمامه تفضّلا (٩) يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ بالسيف وَٱلْمُنَافِقِينَ بالحجّة وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ
واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ جهنّم او مأواهم
(١٠) ضَرَبَ ٱللّٰهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ مثّل اللّه حالهم فى انّهم يعاقبون بكفرهم ولا
يحابَوْن بما بينهم وبين النبىّ صلعم والمؤمنين من النسبة بحالهما كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ
يريد به تعظيم نوح ولوط فَخَانَتَاهُمَا بالنفاق فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللّٰهِ فلم يغن النبيّان عنهما بحقّ
الزواج شَيْئًا اغناء ما وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ اى لهما عند موتهما او يوم القيامة مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ مع سائر
الداخلين من الكفرة الّذين لا وُصْلة بينهم وبين الانبياء (١١) وَضَرَبَ ٱللّٰهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ
شبّه حالهم فى انّ وصلة الكافرين لا تضرّهم بحال آسية ومنزلتها عند اللّه مع انّها كانت تحت
أعدى اعداء اللّه اذْ قَالَتْ ظرف للمثل المحذوف رَبِّ ٱبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ قريبا من رحمتك او فى
اعلى درجات المقرّبين وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ من نفسه الخبيثة وعمله السيّء وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ

من القبط التابعين له فى الظلم (۱۲) وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ عطف على امرأت فرعون تسلية للارامل ٱلَّتِى جزء ۲۸
أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا من الرجال فَنَفَخْنَا فِيهِ اى فى فرجها وقرئ فيها اى فى مريم او فى الجملة مِنْ رُوحِنَا رکوع ۲۰
من روح خلقناه بلا توسّط اصل وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا بصُحُفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وَكِتَابِهِ وما كتب فى اللوح او جنس الكتب المنزلة ويدلّ عليه قراءة البصريّين وحفص بالجمع وقرئ بِكَلِمَةِ ٱللّٰهِ وَكِتَابِهِ اى بعيسى والانجيل وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَانِتِينَ من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بانّ طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتّى عُدّت من جملتهم او من نسلهم فتكون من ابتدائيّة ، عن النبىّ صلعم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الّا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خُوَيْلد وفاطمة بنت محمّد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ، وعنه عم من قرأ سورة التحريم آتاه اللّه توبة نصوحا •

سُورَةُ ٱلْمُلْكِ

مكّيّة وتسمّى الواقية والمُنْجِية لانّها تقى وتُنْجى قارئها من عذاب القبر وآيها ثلثون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(۱) تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ بقبضة قدرته التصرّف فى الامور كلّها وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ على كلّ ما جزء ۲۹
يشاء قدير (۲) ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيٰوةَ قدّرهما او اوجد الحيوة وازالها حسبما قدّره وقدّم الموت رکوع ۱
لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانّه أَدْعَى الى حُسْن العمل لِيَبْلُوَكُمْ ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايّها المكلّفون أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا أَصْوَبه واخلصه وجاء مرفوعا احسنُ عقلا واورع عن محارم اللّه واسرع فى طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمّن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانّه يُخلّ به وقوع الجملة خبرا فلا يعلّق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولَين وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ الغالب الّذى لا يُعْجِزه مَن اساء العمل ٱلْغَفُورُ لمن تاب منهم (۳) ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقًا مطابقةً بعضها فوق بعض مصدرُ طابقتُ النعلَ اذا خصفتها طبقا على طبق وُصف به او طُوبقت طباقا او ذاتَ طِباق جمع طَبَق كجَبَل وجبال او طَبَقة كرَحَبة ورِحاب مَا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ وقرأ حمزة والكسائىّ مِن تَفَوُّت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهّد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت كأنّ كلّا من المتفاوتين فات عنه بعضُ ما فى الآخر ، والجملة صفةٌ ثانية للسبع وُضع فيها خلق الرحمن موضعَ الضمير للتعظيم والاشعار بأنّه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمةً وتفضّلا وأنّ فى ابداعها نِعَما جليلة لا تُحْصَى ، والخطاب فيها للرسول او لكلّ مخاطَب وقوله

جزء ٢٩ ركوع ١

فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ متعلّق به على معنى التسبّب اى قد نظرتَ اليها مرارا فانظرْ اليها مرّة اخرى متأمّلا فيها لتُعاين ما أُخْبِرتَ به من تناسُبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغى لهـا ، والفطور الشقوق والمرادُ الخلل من فطَرَه اذا شقّه (٤) ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ اى رجْعتين أُخْريين فى ارتياد الخلل والمرادُ بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لَبَّيْك وسَعْدَيْك ولذلك اجاب الامر بقوله يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا بعيدا عن اصابة المطلوب كانّه طُرد عنه طردا بالصغار وَهُوَ حَسِيرٌ كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة (٥) وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا أقرَبَ السموات الى الارض بِمَصَابِيحَ بالكواكب المُضيئة بالليل اضاءةَ السُرُج فيها والتنكيرُ للتعظيم ولا يمنع ذلك كونَ بعض الكواكب مركوزة فى سموات فوقها اذ التزيين باظهارها فيهـا وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وجعلنـا لهـا فائدة اخرى وهى رجم اعدائكم والرجومُ جمع رَجْم بالفتح وهو مصدر سُمّى به ما يُرْجَم به بانقضاض الشُهُب المسبَّب عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجّمون وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ فى الآخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا (٦) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ من الشياطين وغيرهم عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ وقرئ بالنصب على انّ للّذين عطف على لهم وعذابَ على عذابَ السعير (٧) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا صوتا كصوت الحمير وَهِىَ تَفُورُ تغلى بهم غَلَيانَ المِرْجَل بما فيه (٨) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ تتفرّق غيظا عليهم وهو تمثيل لشدّة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ جماعة من الكفرة سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ يخوّفكم هذا العذابَ وهو توبيخ وتبكيت (٩) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَالٍ كَبِيرٍ اى فكذّبنا الرسل وأفرطنا فى التكذيب حتّى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال فالنذيرُ امّا بمعنى الجمع لانّه فعيل او مصدرٌ مقدّرٌ بمضاف اى اهل انذار او منعوتٌ به للمبالغة او الواحدِ والخطابُ له ولامثاله على التغليب او اقامةِ تكذيب الواحد مقام تكذيب الكلّ او على انّ المعنى قالت الافواج قد جاء الى كلّ فوج منّا رسول فكذّبناهم وضلّلناهم ويجوز ان يكونَ الخطابُ من كلام الزبانية للكفّار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه فى الدنيا او عقابه الّذى يكونون فيه (١٠) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ كلامَ الرسل فنَقْبَله جملةً من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات أَوْ نَعْقِلُ فنتفكّر فى حِكَمه ومعانيه تفكُّرَ المستبصرين مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ فى عِدادهم ومن جملتهم (١١) فَٱعْتَرَفُوا بِذَنۢبِهِمْ حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة ، والذنب لم يُجْمع لانّه فى الاصل مصدر او المراد به الكفر فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ فأسْحقهم اللّه سُحْقا اى ابعدهم من رحمته [والتعبير للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائىّ بالتثقيل] (١٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه

جزء ٢٩ ركوع ١ بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفىّ منهم وهو قلوبهم لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لذنوبهم وَأَجْرٌ كَبِيرٌ يصغر دونه لذائذ الدنيا (١٣) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ بالضمائر قبل ان يعبّر عنها سرّا او جهرا (١٤) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ الا يعلم السرّ والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدّرته حكمته وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ المتوصّل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم اللّه مَنْ خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعى ان يكون ليعلم مفعولٌ ليفيد روى انّ المشركين كانوا يتكلّمون فيما بينهم باشياء فيخبر اللّه به رسوله فيقولون اسرّوا قولكم لئلّا يسمع الهُ محمّد فنبّه اللّه على جهلهم

ركوع ٢ (١٥) هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ليّنة يسهل لكم السلوك فيها فَٱمْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا فى جوانبها او جبالها وهو مثلٌ لفرط التذليل فانّ منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلّل له فاذا جعل الارض فى الذلّ بحيث يُمْشَى فى مناكبها لم يبق شىء لم يتذلّل وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ والتمسوا من نعم اللّه وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم (١٦) ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِى ٱلسَّمَآءِ يعنى الملائكة الموكّلين على تدبير هذا العالم او اللّه تعالى على تأويل من فى السماء امره او قضاؤه او على زعم العرب فانّهم زعموا انّه تعالى فى السماء وعن ابن كثير وَأَمِنْتُمْ بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وَآمِنْتُمْ بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع وابى عمرو ورويس أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فيغيّبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدلٌ مَنْ بدل الاشتمال فَإِذَا هِىَ تَمُورُ تضطرب والمَوْر التردّد فى المجىء والذهاب (١٧) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِى ٱلسَّمَآءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ان يمطر عليكم حصباء فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ كيف انذارى اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ (١٨) وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ انكارى عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول وتهديد لقومه (١٩) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَآفَّاتٍ باسطات اجنحتهنّ فى الجوّ عند طيرانها فانّهنّ اذا بسطنها صففن قوادمها وَيَقْبِضْنَ ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهنّ وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرّك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصل فى الطيران والطارئ عليه مَا يُمْسِكُهُنَّ فى الجوّ على خلاف الطبع إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ الشامل رحمته كلّ شىء بأن خلقهنّ على اشكال وخصائص هيّأتهنّ للجرى فى الهواء إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ بَصِيرٌ يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبّر العجائب (٢٠) أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم ينظروا فى امثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون اللّه ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الّا انّه أُخْرِجَ مُخْرَجَ الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانّهم اعتقدوا هذا

جزء ٢٩ ركوع ٢ القسم ومَنْ مبتدأ وهٰذا خبره وٱلَّذِى بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه إِنِ ٱلْكَافِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ لا معتمد لهم (٢١) أَمَّنْ هٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ ام من يُشار اليه ويقال هذا الذى يرزقكم إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بامساك المطر وسائر الاسباب المحصّلة والموصّلة له اليكم بَلْ لَجُّوا تمادوا فِى عُتُوٍّ عناد وَنُفُورٍ شراد عن الحقّ لتنفّر طباعهم عنه (٢٢) أَفَمَنْ يَمْشِى مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى يقال كَبَبْتُه فأَكَبَّ وهو من الغرائب كقشع اللّهُ السحابَ فأَقْشَعَ والتحقيق انّهما من باب أَنْفَضَ بمعنى صار ذا كَبٍّ وذا قَشْعٍ وليسا مطاوعَىْ كَبَّ وقَشَعَ بل المطاوع لهما انكبّ وانقشع ومعنى مكبّا انّه يعثر كلّ ساعة ويخرّ على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله أَمَّنْ يَمْشِى سَوِيًّا قائما سالما من العثار عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ مستوى الاجزاء والجهة والمرادُ تمثيل المشرك والموحّد بالسالكَيْن والدينَيْن بالمسلكَيْن ولعلّ الاكتفاء بما فى الكبّ من الدلالة على حال المسلك للاشعار بانّ ما عليه المشرك لا يُستأهَل ان يسمّى طريقا كمشى المتعسّف فى مكان متعادٍ غير مستوٍ وقيل المراد بالمكبّ الاعمى فانّه يتعسّف فينكبّ وبالسوىّ البصيرُ وقيل مَنْ يمشى مكبّا هو الّذى يُحْشَر على وجهه الى النار ومن يمشى سويّا الّذى يحشر على قدميه الى الجنّة (٢٣) قُلْ هُوَ ٱلَّذِى أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ لتسمعوا المواعظ وَٱلْأَبْصَارَ لتنظروا صنائعه وَٱلْأَفْئِدَةَ لتتفكّروا وتعتبروا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ باستعمالها فيما خُلقتْ لاجلها (٢٤) قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ للجزاء (٢٥) وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا ٱلْوَعْدُ اى الحشر او ما وُعدوا به من الخسف والحاصب إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يعنون النبىّ والمؤمنين (٢٦) قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ اى علم وقته عِنْدَ ٱللّٰهِ لا يطّلع عليه غيرُه وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ والانذار يكفى فيه العلم بل الظنّ بوقوع المحذّر منه (٢٧) فَلَمَّا رَأَوْهُ اى الوعد فانّه بمعنى الموعود زُلْفَةً ذا زلفة اى قُرْب منهم سِيئَتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بأن عَلَتْها الكآبةُ وساءتها رؤية العذاب وَقِيلَ هٰذَا ٱلَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او تدّعون ان لا بعث فهو من الدعوى (٢٨) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللّٰهُ اماتنى وَمَنْ مَعِىَ من المؤمنين أَوْ رَحِمَنَا بتأخير آجالنا فَمَنْ يُجِيرُ ٱلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ اى لا يُنجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربّص به ريب المنون (٢٩) قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمٰنُ ٱلَّذِى ادعوكم اليه مُولِى النِّعَم كلّها آمَنَّا بِهِ للعلم بذلك وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا للوثوق عليه والعلمِ بانّ غيره بالذات لا يضرّ ولا ينفع وتقديمُ الصلة للتخصيص والاشعار به فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ منّا ومنكم وقرأ الكسائىّ بالياء (٣٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا غائرا فى الارض بحيث لا تناله الدلاء مصدرٌ وُصف به فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ جارٍ او ظاهرٍ سهلِ المأخذ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الملك فكانّما أحيى ليلة القدر ٭

سُورَةُ نٓ

مكّيّة وآيها ثنتان وخمسون آيـة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) نٓ من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الّذى عليه الارض او جزء ٢٩
الدواة فانّ بعض الحيتان يُستخرج منه شىء اشدّ سوادا من النقس يُكتب به ويؤيّد الاوّل سكونه ركوع ٣
وكتبه بصورة الحرف وَٱلْقَلَمِ وهو الّذى خطّ اللوح او الّذى يُخطّ به اقسم به لكثرة فوائده ، وأخفى ابن عامر والكسائىّ ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتّصل فانّ النون الساكنة تُخفى مع حروف الفم اذا اتّصلت بها وقد رُوى ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد وَمَا يَسْطُرُونَ وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاوّل على التعظيم او بالمعنى الثانى على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى أُولى العلم لاقامته مقامهم او لاصحابه او للحفظة ، وما مصدريّة او موصولة (٢) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوّة وحصافة الرأى والعامل فى الحال معنى النفى وقيل بمجنون والباء لا تمنع عمله فيما قبله لانّها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى (٣) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا على الاحتمال والابلاغ غَيْرَ مَمْنُونٍ اى مقطوع او ممنون به عليك من الناس فانّه تعالى يعطيك بلا توسّط (٤) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله امثالك وسُئلت عائشة عن خلقه عم فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون (٥) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٦) بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ايّكم الّذى فُتن بالجنون والباء مزيدة او بأيّكم الجنون على انّ المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او بأىّ الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى فى ايّهما يوجد من يستحقّ هذا الاسم (٧) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وهم المجانين على الحقيقة وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ الفائزين بكمال العقل (٨) فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ تهييج للتصميم على معاصاتهم (٩) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ تُلاينهم بأن تَدَع نهيَهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا فَيُدْهِنُونَ فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اى ودّوا التداهن وتمنّوه لكنّهم اخّروا ادهانهم حتّى تُدهن او للسببيّة اى ودّوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودّوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفى بعض المصاحف فَيُدْهِنُوا على انّه جواب التمنّى (١٠) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ كثير الحلف فى الحقّ والباطل مَهِينٍ حقير الرأى من المهانة وهى الحقارة (١١) هَمَّازٍ عيّاب مَشَّآءٍ بِنَمِيمٍ نقّال للحديث على

*

جزء ٢٩ وجه السعاية (١٢) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ يمنع الناس عن الخير من الايمان والايقان والعمل الصالح مُعْتَدٍ متجاوز فى
ركوع ٣ الظلم أَثِيمٍ كثير الآثام (١٣) عُتُلٍّ جاف غليظ من عَتَلَه اذا قاده بعنف وغلظة بَعْدَ ذٰلِكَ بعد ما عدّ من مثالبه زَنِيمٍ دعىّ مأخوذ من زَنَمَتَى الشاة وهما المتدلّيتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المُغيرة ادّعاه ابوه بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شَرِيق أَصلُه من ثقيف وعِدادُه فى زُهرة

(١٤) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٥) اِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ قال ذلك حينئذ لانّه كان متموّلا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكنّ العامل مدلول قال لا نفسه لانّ ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علّة للا تُطِعْ اى لا تطع مَن هذه مثالبه لأَنْ كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر أَأَنْ كان على الاستفهام غير انّ ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اى أَلأَنْ كان ذا مال كذّب او أَتطيعه لأَنْ كان ذا مال وقرئ اِنْ كَانَ بالكسر على انّ شرط الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر فى النهى عن قتل الاولاد او انّ شرطه للمخاطَب اى لا تطعه شارطا يساره لانّه اذا اطاع للغنى فكانّما شرطه فى الطاعة (١٦) سَنَسِمُهُ بالكىّ عَلَى الْخُرْطُومِ على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقى اثره وقيل هو عبارة عن ان يُذلّه غاية الاذلال كقولهم جُدع انفه ورغم انفه لانّ السمة على الوجه سيّما على الانف شينٌ ظاهر او نسوّد وجهه يومَ القيامة (١٧) إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ بلونا اهل مكّة بالقحط كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ يريد البستان الّذى كان دون صنعاء بفرسخَيْن وكان لرجل صالح وكان ينادى الفقراء وقتَ الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل والقته الريح او بَعُد من البساط الّذى يُبْسط تحت النخلة فيجتمع لهم شىء كثير فلمّا مات قال بنوه إِنْ فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليَصْرِمُنَّها وقت الصباح خفيةً عن المساكين كما قال اِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ لَيقطعنّها داخلين الصباح (١٨) وَلَا يَسْتَثْنُونَ ولا يقولون اِن شاء اللّه وانّما سمّاه استثناء لما فيه من الاخراج غير انّ المُخْرَج به خلافُ المذكور والمخرج فى الاستثناء عينُه او لانّ معنى لأُخْرِجُ اِن شاء اللّه ولا أُخْرِجُ الّا أن يشاء اللّه واحدٌ او لا يستثنون حصّة المساكين كما كان يخرج ابوهم

(١٩) فَطَافَ عَلَيْهَا على الجنّة طَائِفٌ بلاء طائف مِنْ رَبِّكَ مبتدأ منه وَهُمْ نَائِمُونَ (٢٠) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ كالبستان الّذى صُرِم ثمارُه بحيث لم يَبْقَ منه شىء فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليُبْس سُمّيا بالصريم لانّ كلّا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال (٢١) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢٢) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ أَن اخرجوا او بأن اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى امّا لتضمّنه معنى الاقبال او تشبيه الغدوّ للصرام بغدوّ العَدُوّ المتضمّن لمعنى الاستيلاء

اِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ قاطعين له (٢٣) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ يتشاورون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخُفّدود للخفّاش (٢٤) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ أن مفسّرة وقرئ

بطرحها على اضمار القول والمرادُ بنهى المسكين عن الدخول المبالغةُ فى النهى عن تمكينه من الدخول جزء ٢٩
كقولهم لا أَرَيَنَّكَ ههنا (٢٥) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ وغدوا قادرين على نَكَد لا غيرُ من حاردَت السَنةُ اذا ركوع ٣
لم يكن فيها مطر وحاردت الابلُ اذا مَنعتْ درّها والمعنى انّهم عزموا ان يتنكّدوا على المساكين
فتنكّدَ عليهم بحيث لا يقدرون الّا على النَكَد او غدوا حاصلين على النَكَد والحرمان مكانَ كونهم
قادرين على الانتفاع وقيل الحَرْد بمعنى الحَرَد وقد قرئ به اى لم يقدروا الّا على حَنَق بعضهم لبعض
كقوله يتلاومون وقيل القصد والسرعة قال

أَقْبَلَ سَيْلٌ جاء مِنْ أَمْرِ ٱللَّهْ يَحْرِدُ حَرْدَ الجَنّةِ المُغِلَّهْ

اى غدوا قاصدين الى جنّتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل عَلَم الجنّة (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهَا
اوّلَ ما رأوها قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ طريقَ جنّتنا وما هى بها (٢٧) بَلْ نَحْنُ اى بعد ما تأمّلوا وعرفوا انّها هى
قالوا بل نحن مَحْرُومُونَ حُرِمْنا خيرَها لجنايتنا على انفسنا (٢٨) قَالَ أَوْسَطُهُمْ رأيا او سنّا أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ
لَوْلَا تُسَبِّحُونَ لولا تذكرونه وتتوبون اليه مِنْ خُبْث نيّتكم وقد قاله حيث ما عزموا على ذلك ويدلّ
على هذا المعنى (٢٩) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ او لولا تستثنون فسمّى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما
فى التعظيم او لانّه تنزيه عن ان يجرى فى مُلْكه ما لا يريده (٣٠) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ
يلوم بعضهم بعضا فانّ منهم من اشار بذلك ومنهم من استصْوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من
انكره (٣١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ متجاوزين حدودَ اللّه (٣٢) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا
ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روى انّهم أُبْدلوا خيرا منها وقرئ يُبْدِلَنَا بالتخفيف إِنَّا إِلَى رَبِّنَا
رَاغِبُونَ راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمّنها معنى الرجوع (٣٣) كَذَلِكَ ٱلْعَذَابُ
مثلُ ذلك العذاب الّذى بلونا به اهل مكّة واصحاب الجنّة العذابُ فى الدنيا وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ اعظم
منه لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لاحترزوا عمّا يؤدّيهم الى العذاب (٣٤) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ اى فى الآخرة او فى ركوع ۴
جوار القدس جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ جنّات ليس فيها الّا التنعّم الخالص (٣٥) أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ
انكار لقول الكفرة فانّهم كانوا يقولون ان صحّ انّا نُبْعث كما يزعم محمّد ومن معه لم يفضّلونا بل نكون
احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا (٣٦) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ التفات فيه تعجّبٌ من حكمهم
واستبعادٌ له واشعارٌ بانّه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأى (٣٧) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ من السماء فِيهِ تَدْرُسُونَ
تقرءون (٣٨) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ انّ لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله أنّ لكم بالفتح لانّه
المدروس فلمّا جيئت باللام كُسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استينافا وتخيّرُ الشىء

جزء ٢٩ واختاره اخذ خيره (٣٩) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا عهود مؤكّدة بالايمان بَالِغَةٌ متناهية فى التوكيد وقرئت
ركوع ٤ بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ متعلّق بالمقدّر فى لكم اى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتّى نحكّمكم فى ذلك اليوم او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ جواب القسم لانّ معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم (٤٠) سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ بذلك الحكم قائم يدّعيه ويصحّحه (٤١) أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ يشركونهم فى هذا القول فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ فى دعواهم اذ لا اقلّ من التقليد وقد نبّه سبحانه وتعالى فى هذه الآيات على نفى جميع ما يمكن ان يتشبّثوا به من عقل او نقل يدلّ عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يعنى الاصنام يجعلونهم مثل المؤمنين فى الآخرة كانّه لمّا نفى ان يكون التسوية من اللّه نفى بهذا ان تكون ممّا يشركون اللّه به (٤٢) يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ يوم يشتدّ الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مَثَلٌ فى ذلك وأصله تشمير المخدّرات عن سوقهنّ فى الهرب قال حاتم

اخو الحربِ إنْ عضّتْ به الحربُ عضّها وإنْ شمّرتْ عن ساقها الحربُ شمّرا

او يومَ يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعارٌ من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرئ تَكْشِفُ وتُكْشَفُ بالتاء على بناء الفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ توبيخا على ترك السجود إن كان اليومُ يومَ القيامة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها إن كان وقتَ النزع فَلَا يَسْتَطِيعُونَ لذهاب وقته او زوال القدرة عليه (٤٣) خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ يلحقهم ذلّ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فى الدنيا او زمان الصحّة وَهُمْ سَٰلِمُونَ متمكّنون منه مزاحو العلل فيه (٤٤) فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ كِلْه الىّ فانّى اكفيكه سَنَسْتَدْرِجُهُم سندنيهم من العذاب درجةً درجةً بالامهال وادامة الصحّة وازدياد النعمة مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ أنّه استدراج وهو الانعام عليهم لانّه حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين (٤٥) وَأُمْلِى لَهُمْ وأمهلهم إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ لا يدفع بشىء وانّما سمّى انعامه استدراجا بالكيد لانّه فى صورته (٤٦) أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا على الارشاد فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ غرامة مُّثْقَلُونَ بحملها فيعرضون عنك (٤٧) أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ اللوح والمغيّبات فَهُمْ يَكْتُبُونَ منه ما يحكمون به ويستغنون به عن علمك (٤٨) فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ يونس إِذْ نَادَىٰ فى بطن الحوت وَهُوَ مَكْظُومٌ مملوء غيظا من

الصخرة فتبتلى ببلائه (٤٩) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ يعنى توفيق التوبة وقبولها وحُسْن تذكير جزء ٢٩ الفعل للفصل وقرئ تَدَارَكَتْهُ وتَدَّارَكُهُ اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان ركوع ٤ يقال فيه تتداركه لَنُبِذَ بِالْعَرَآءِ بالارض الخالية عن الاشجار وَهُوَ مَذْمُومٌ مُلِيمٌ مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانّها المنفيّة دون النبذ (٥٠) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ بأن ردّ الوحىَ اليه او استنبأه ان صحّ انّه لم يكن نبيّا قبل هذه الواقعة فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ من الكاملين فى الصلاح بأنْ عصمه من ان يفعل ما تركه أَوْلَى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين همّ رسول اللّه صلعم ان يدعو على ثقيف وقيل بأُحُد حين حلّ به ما حلّ فأراد ان يدعو على المنهزمين (٥١) وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ إِنْ هى المخفّفة واللامُ دليلها والمعنى انّهم لشدّة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يُزِلّون قدمك او يُهلكونك من قولهم نظر الىّ نظرا يكاد يصرعنى اى لو امكنه بنظره الصرعُ لَفعله او انّهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روى انّه كان فى بنى اسد عيّانون فأُريدَ بعضهم على ان يَعين رسولَ اللّه صلعم فنزلت وفى الحديث انّ العين لَتُدخل الرَّجُلَ القبرَ والجَمَلَ القِدْرَ ولعلّه يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع لَيَزْلِقُونَكَ من زَلَقْتُه فزلق كحَزَنْتُه فحزِنَ وقرئ لَيُزْهِقُونَكَ اى ليُهلكونك لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ اى القران اى ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ حيرةً فى امره وتنفيرا عنه (٥٢) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ لمّا جنّنوه لاجل القران بيّن انّه ذكرٌ عامّ لا يدركه ولا يتعاطاه الّا من كان اكمل الناسِ عقلا وأمتنهم رأيا ؛ عن النبىّ صلعم من قرأ سورة القلم اعطاه اللّه ثواب الّذين حسّن اللّه اخلاقهم ٥

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

مكّيّة وآيها ثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١) الْحَاقَّةُ اى الساعة او الحالة الّتى يحقّ وقوعها او الّتى تُحقّ فيها الامور اى تُعرف حقيقتها او ركوع ٥ تقع فيها حواقّ الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازىّ وهى مبتدأ خبرُها (٢) مَا الْحَاقَّةُ وأصله ما هى اى اىّ شىء هى على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع المضمر لانّه أهْوَلُ لها (٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ وأىّ شىء اعلمك ما هى اى انّك لا تعلم كُنْهها فانّها اعظم من ان تبلغها دراية احد وما مبتدأٌ وادراك خبرُه (٤) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ بالحالة الّتى تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتشار وانّما وُضعت موضع ضمير الحاقّة زيادةً فى وصف شدّتها (٥) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ

جزء ٢٩ بالواقعة المجاوزة الحدّ فى الشدّة وهى الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب
ركوع ٥ وغيره على انّها مصدر كالعاقبة وهو لا يطابق قوله (٦) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ اى شديدة الصوت او البرد من الصرّ او الصرّ عَاتِيَةٍ شديدة العصف كانّها عتت على خزّانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردّها (٧) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سلّطها عليهم بقدرته وهو استيناف او صفة جيء به لنفى ما يُتوهّم من انّها كانت من اتّصالات فلكيّة اذ لو كانت لكان هو المقدّر لها والمسبّب سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا متتابعات جمع حاسم من حَسَمْتُ الدابّة اذا تابعْتَ بين كيّها او نحسات حسمتْ كلّ خير واستأصلته او قاطعات قطعَتْ دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلّة بمعنى قطعا او المصدرِ لفعله المقدّرِ حالا اى تحسِمُهم حُسوما ويؤيّده القراءة بالفتح وهى كانت ايّام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب اربعاء اخرى وانّما سُمّيت عجوزا لانّها عجزُ الشتاء او لانّ عجوزا من عاد توارَتْ فى سَرَب فانتزعتها الريح فى الثامن فأهلكتها فَتَرَى الْقَوْمَ ان كنت حاضرهم فِيهَا فى مهابّها او فى الليالى والايّام صَرْعَى موتى جمع صريع كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ اصول نخل خَاوِيَةٍ متآكلة الاجواف (٨) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ من بقيّة او نفس باقية او بقاء (٩) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ ومن تقدّمه وقرأ البصريّان والكسائىّ وَمَنْ قِبَلَهُ اى ومَنْ عنده من أتباعه ويدلّ عليه انّه قرئ وَمَنْ مَعَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ قرى قوم لوط والمرادُ اهلها بِالْخَاطِئَةِ بالخطاء او بالفعلة او بالافعال ذات الخطاء (١٠) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ اى فعصى كلّ امّة رسولها فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً زائدة فى الشدّة زيادة اعمالهم فى القبح (١١) إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ جاوز حدّه المعتادَ او طغى على خزّانه وذلك فى الطوفان وهو يؤيّد مَنْ قَبْلَهُ حَمَلْنَاكُمْ اى آباءكم وانتم فى اصلابهم فِي الْجَارِيَةِ فى سفينة نوح (١٢) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ لنجعل الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تَذْكِرَةً عِبْرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته وَتَعِيَهَا وتحفظها وعن ابن كثير تَعْيَهَا بسكون العين مشبّها بكَتْف والوعىُ أن تحفظ الشىء فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غيرك أُذُنٌ وَاعِيَةٌ مِنْ شأنها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكّره واشاعته والتفكّر فيه والعمل بموجبه والتنكيرُ للدلالة على قلّتها وأنّ مَنْ هذا شأنه مع قلّته تسبّب لانجاء الجمّ الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع أُذْنٌ بالتخفيف (١٣) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ لمّا بالغ فى تهويل القيامة وذكر مآل المكذّبين بها تفخيما لشأنها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها ، وانّما حَسُن اسناد الفعل الى المصدر لتقيّده وحَسُن تذكيره للفصل وقرئ نَفْخَةً بالنصب على اسناد الفعل الى الجارّ والمجرور والمرادُ بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم (١٤) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ رُفعتْ من اماكنها بمجرّد القدرة الكاملة او بتوسّط زلزلة او ريح عاصفة فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة

جزء ٢٩ ركوع ٥

واحدة فيصير الكلّ هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امت لانّ الدكّ سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكّاء للّتى لا سنام لها وارض دكّاء للمتّسعة المستوية (١٥) فَيَوْمَئِذٍ فحينئذ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ قامت القيامة (١٦) وَٱنْشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ لنزول الملائكة فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ضعيفة مسترخية (١٧) وَٱلْمَلَكُ والجنس المتعارف بالملك عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا جوانبها جمع رَجًا بالقصر ولعلّه تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعلّ هلاك الملائكة اثر ذلك وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ فوق الملائكة الّذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانّها فى نيّة التقديم يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ثمانية املاك لما روى مرفوعا انّهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة امدّهم اللّه باربعة آخرين وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدّتهم الّا اللّه ولعلّه ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العامّ وعلى هذا قال (١٨) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكرَ لتعرّف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لمّا كان اليوم اسما لزمان متّسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنّة الجنّةَ واهل النار النارَ صحّ جعله ظرفا للكلّ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ سريرة على اللّه حتّى يكون العرض للاطّلاع عليها وانّما المراد منه افشاء الحال والمبالغة فى العدل او على الناس كما قال يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ وقرأ حمزة والكسائى بالياء للفصل (١٩) فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ تفصيل للعرض فَيَقُولُ تبجّحا هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها هاء يا رجل وهاء يا امراة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرءوا لانّه اقرب العاملَين ولانّه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرءوه اذ الأولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحبّ الوقف لثباتها فى الامام ولذلك قرئ باثباتها فى الوصل (٢٠) إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ اى علمت ولعلّه عبّر عنه بالظنّ اشعارا بانّه لا يقدح فى الاعتقاد ما يهجس فى النفس من الخطرات الّتى لا ينفكّ عنها العلوم النظريّة غالبا (٢١) فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ذات رضًى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم (٢٢) فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ مرتفعة المكان او الدرجات او الابنية والاشجار (٢٣) قُطُوفُهَا جمع قِطْف وهو ما يجتنى بسرعة والقَطْف بالفتح المصدر دَانِيَةٌ يتناولها القاعد (٢٤) كُلُوا وَٱشْرَبُوا باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هَنِيئًا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ بما قدّمتم من الاعمال الصالحة فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ الماضية من ايّام الدنيا (٢٥) وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يَا لَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٦) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٧) يَا لَيْتَهَا يا ليت الموتة الّتى متّها كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ القاطعة لامرى فلم أُبعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة الّتى قضت علىّ لانّه صادفها امرّ

جزء ٢٩ من الموت فتمنّاه عندها او يا ليت حيوة الدنيا كانت الموتة ولم أُخْلَق حيّا (٢٨) مَا أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ

ركوع ٥ ما لى من المال والتبع وما نفىٌ والمفعول محذوف او استفهامُ انكار مفعولٌ لأَغْنَى (٢٩) هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ مُلْكى وتسلّطى على الناس او حجّتى الّتى احتجّ بها فى الدنيا (٣٠) خُذُوهُ يقوله اللّه تعالى لخزنة النار فَغُلُّوهُ (٣١) ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثمّ لا تصلوه الّا الجحيم وهى النار العظمى لانّه كان يتعظّم على الناس (٣٢) ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا اى طويلة فَٱسْلُكُوهُ فأدخلوه فيها بأن تلفّوها على جسده وهو فيما بينها مُرْهَق لا يقدر على حركة ، وتقديمُ السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذّب به ، وثمّ لتفاوت ما بينها فى الشدّة (٣٣) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ تعليل على طريقة الاستيناف للمبالغة ، وذكر العظيم للاشعار بانّه هو المستحقّ للعظمة فمن تعظّم فيها استوجب ذلك (٣٤) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ولا يحثّ على بذل طعامه او على إطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحضّ للاشعار بانّ تارك الحضّ بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل ، وفيه دليل على تكليف الكفّار بالفروع ، ولعلّ تخصيص الامرين بالذكر لانّ اقبح العقائد الكفر باللّه واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب (٣٥) فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ قريب يحميه (٣٦) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ غُسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل (٣٧) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا ٱلْخَاطِئُونَ اصحاب الخطايا من خَطِئَ الرجلُ اذا تعمّد الذنبَ لا من الخطاء المضادّ للصواب وقرئ ٱلْخَاطِيُونَ بقلب الهمزة ياء

ركوع ٦ وَٱلْخَاطُونَ بطرحها (٣٨) فَلَا أُقْسِمُ لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فَأُقْسِمُ ولا مزيدة او فلا ردٌّ لانكارهم البعث وأُقسِمُ مستأنف بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٩) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ بالمشاهدات والمغيّبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات بأسرها (٤٠) إِنَّهُ اى القران لَقَوْلُ رَسُولٍ يبلّغه عن اللّه فانّ الرسول لا يقول عن نفسه كَرِيمٍ على اللّه وهو محمّد او جبريل عليهما السلام (٤١) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ كما تزعمون تارة قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ تصدّقون بما ظهر لكم صدقُه تصديقا قليلا لفرط عنادكم (٤٢) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ كما تدّعون اخرى قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تذكّرون تذكّرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم ، وذكرُ الايمانِ مع نفى الشاعريّة والتذكّر مع نفى الكاهنيّة لانّ عدم مشابهة القران للشعر امرٌ بيّنٌ لا ينكره الّا معاندٌ بخلاف مباينته للكهانة فانّها تتوقّف على تذكّر احوال الرسول ومعانى القران المنافية لطريقة الكَهَنة ومعانى اقوالهم ، وقرأ ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما (٤٣) تَنْزِيلٌ هو تنزيل مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ نزّله على لسان جبريل (٤٤) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ سمّى الافتراء تقوّلا لانّه قول متكلّف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانّه جمع أُفعولة من القول كالاضاحيك (٤٥) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ (٤٦) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ اى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون

عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوّة جزء ٢٩
(٤٧) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ عن القتل او المقتول حَاجِزِينَ دافعين وصفٌ لأحد فانّه عامّ والخطاب ركوع ٦
للناس (٤٨) وَإِنَّهُ اى القران لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ لانّهم المنتفعون به (٤٩) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ
فنجازيهم على تكذيبهم (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ اذا رأوا ثواب المؤمنين به (٥١) وَإِنَّهُ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ
لليقين الّذى لا ريب فيه (٥٢) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ فسبّح اللّه بذكر اسمه العظيم تنزيها له
عن الرضا بالتقوّل عليه وشكرا على ما اوحى اليك ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الحاقّة حاسبه اللّه
حسابا يسيرا •

سُورَةُ ٱلْمَعَارِجِ

مكّيّة وآيها اربع واربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ اى دعا داعٍ به بمعنى استدعاه ولذلك عدّى الفعل بالباء ، والسائل نضر بن ركوع ٧
الحارث فانّه قال ان كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ابو جهل فانّه قال
فأسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او الرسول استعجل بعذابهم ، وقرأ نافع وابن عامر سَالَ
وهو امّا من السؤال على لغة قريش قال

سَالَتْ هذيلٌ رسولَ اللّه فاحشةً ضلّت هذيلٌ بما سَالَتْ ولم تُصِبِ

او من السَيَلان ويؤيّده انّه قرئ سَالَ سَيْلٌ على انّ السيل مصدر بمعنى السائل كالغَوْر والمعنى سَالَ
وادٍ بعذاب ومضىّ الفعل لتحقّق وقوعه امّا فى الدنيا وهو قتل بدر او فى الآخرة وهو عذاب النار
(٢) لِلْكَافِرِينَ صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وإن صحّ انّ السؤال كان عمّن يقع به العذاب كان
جوابا والباء على هذا لتضمّن سأل معنى اهتمّ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ يردّه (٣) مِنَ ٱللَّهِ من جهته لتعلّق ارادته به
ذِى ٱلْمَعَارِجِ ذى المصاعد وهى الدرجات الّتى يصعد فيها الكلم الطيّب والعمل الصالح او يترقّى فيها
المؤمنون فى سلوكهم او فى دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فانّ الملائكة يعرجون فيها
(٤) تَعْرُجُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ استيناف لبيان ارتفاع تلك
المعارج وبُعْد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انّها بحيث لو قُدّر قطعها فى زمان لكان فى زمان
يقدّر بخمسين الف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره
خمسين الف سنة من حيث انّهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لا انّ ما بين اسفل

*

جزء ٢٩ ركوع ٧

العالم واعلى شُرُفات العرش مسيرةُ خمسين الف سنة لانّ ما بين مركز الارض ومقعّر السماء الدنيا على ما قيل مسيرةُ خمسمائة عام وثِخَنُ كلّ واحد من السموات السبع والكرسيّ والعرش كذلك وحيث قال فى يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدّب السماء الدنيا وقيل فى يوم متعلّق بواقع او سال اذا جُعل من السَيَلان والمرادُ به يوم القيامة واستطالته امّا لشدّته على الكفّار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانّه على الحقيقة كذلك ، والروح جبريلُ وافراده لفضله او خلقٌ اعظم من الملائكة (٥) فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا لا يشوبه استعجال واضطرابُ قلب وهو متعلّق بسَأَلَ لانّ السؤال كان عن استهزاء او تعنّت وذلك ممّا يُضْجِره او عن تضجّر واستبطاء للنصر او بسَأَلَ لانّ المعنى قرب وقوع العذاب فاصبرْ فقد شارفتَ الانتقامَ (٦) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ الضمير للعذاب او ليوم القيامة بَعِيدًا من الامكان (٧) وَنَرَاهُ قَرِيبًا منه او من الوقوع (٨) يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ظرفٌ لقريبا اى يُمْكِن يومَ تكون او لمُضْمَر دلّ عليه واقع او بدلٌ من فى يوم إن عُلّق به ، والمُهْل المُذاب فى مَهَل كالفلزّات او دردىُّ الزيت (٩) وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ كالصوف المصبوغ الوانا لانّ الجبال مختلفة الالوان فاذا بُسّت وطُيّرت فى الجوّ اشبهت العهنَ المنفوشَ اذا طيّرته الريح (١٠) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير وَلَا يُسْأَلُ على بناء المفعول اى لا يُطْلَب من حميم حميمٌ او لا يُسْأَل منه حاله (١١) يُبَصَّرُونَهُمْ استيناف او حال يدلّ على انّ المانع عن السؤال هو التشاغلُ دون الخفاء او ما يُغْنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده ، وجمعُ الضميرين لعموم الحميم يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١٢) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ حالٌ من احد الضميرين او استينافٌ يدلّ على انّ اشتغال كلّ مجرم بنفسه بحيث يتمنّى ان يفتدى باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتمّ بحاله ويسأل عنها وقرئ بتنوين عَذَابٍ ونصب يَوْمَئِذٍ به لانّه بمعنى تعذيب (١٣) وَفَصِيلَتِهِ وعشيرته الّذين فُصل عنهم ٱلَّتِى تُؤْوِيهِ تضمّه فى النسب او عند الشدائد (١٤) وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا من الثقلين او الخلائق ثُمَّ يُنْجِيهِ عطف على يفتدى اى ثمّ لو ينجيه الافتداء وثمّ للاستبعاد (١٥) كَلَّا ردعٌ للمُجْرِم عن الودادة ودلالةٌ على انّ الافتداء لا ينجيه إِنَّهَا الضمير للنار او مُبْهَم يفسّره لَظَى وهو خبر او بدل او للقصّة ولظى مبتدأٌ خبرُه (١٦) نَزَّاعَةٌ لِّلشَّوَى وهو اللهب الخالص وقيل عَلَمٌ للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نَزَّاعَةً بالنصب على الاختصاص او الحالِ المؤكّدة او المنتقلة على انّ لظى بمعنى متلظّية ، والشوى الاطراف او جمع شَواة وهى جلدة الرأس (١٧) تَدْعُو تجذب وتُحضر كقول ذى الرمّة ° تدعو أَنْفَهُ الرِيَبُ ° مجاز من جذبها واحضارها لمن فرّ عنها وقيل تدعو زبانيتُها وقيل تدعو تُهْلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه مَنْ أَدْبَرَ عن الحقّ وَتَوَلَّى عن الطاعة (١٨) وَجَمَعَ فَأَوْعَى وجمع المال فجعله فى وعاء وكنزه حِرْصا وتأميلا (١٩) إِنَّ ٱلْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا

شديد الحرص قليل الصبر (٢٠) اِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ الضرّ جَزُوعًا يكثر الجزع (٢١) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ السعة مَنُوعًا جزء ٢٩ يبالغ فى الامساك ، والاوصاف الثلثة احوال مقدّرة او محقّقة لانّها طبائع جُبل الانسان عليها ، واذا الاولى ركوع ٧ ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا (٢٢) اِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادّة تلك الصفات لها من حيث انّها دالّة على الاستغراق فى طاعة الحقّ والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك فى حبّ العاجل وقصور النظر عليه (٢٣) ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوٰتِهِمْ دَائِمُونَ لا يشغلهم عنها شاغل (٢٤) وَٱلَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ كالزكوات والصدقات الموظّفة (٢٥) لِّلسَّائِلِ الّذى يسأل وَٱلْمَحْرُومِ الّذى لا يسأل فيُحسب غنيّا فيُحرم (٢٦) وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ تصديقا باعمالهم وهو ان يُتعب نفسه ويصرف ماله طمعا فى المثوبة الاخرويّة ولذلك ذكر الدين (٢٧) وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ خائفون على انفسهم (٢٨) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ اعتراض يدلّ على انّه لا ينبغى لاحد ان يأمن عذاب اللّه وانْ بالغ فى طاعته (٢٩) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٣٠) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣١) فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ (٣٢) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ حافظون وقرأ ابن كثير لِأَمَانَتِهِمْ يعنى لا يخونون ولا يُنكرون ولا يُخفون ما علموه من حقوق اللّه وحقوق العباد (٣٣) وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ وقرأ يعقوب وحفص بِشَهَادَاتِهِمْ لاختلاف الانواع (٣٤) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ، وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اوّلا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها ، وفى نظم هذه الصلات مبالغات لا تخفى (٣٥) أُولَٰئِكَ فِى جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ بثواب اللّه (٣٦) فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ حولك مُهْطِعِينَ مسرعين (٣٧) عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ركوع ٨ فِرقا شتّى جمع عِزة واصلها عِزْوة من العزو وكأنّ كلّ فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى ، كان المشركون يحتفّون حول رسول اللّه صلعم حِلَقا حِلَقا ويستهزءون بكلامه (٣٨) أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صحّ ما يقول لَنكون فيها افضل حظّا منهم كما فى الدنيا (٣٩) كَلَّا ردع لهم عن هذا الطمع إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ تعليل له والمعنى انّهم مخلوقون من نطفة مَذِرة لا تُناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلّق بالاخلاق المَلَكيّة لم يستعدّ لدخولها او انّكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوّأ فى منازل الكاملين او استدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية الّتى بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه (٤٠) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ إِنَّا

جزء ٢٩ لَقَادِرُونَ (٤١) عَلَىٰٓ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ اى نهلكهم ونأتى بخلق امثل منهم او نعطى محمّدا بدلكم
ركوع ٨ من هو خير منكم وهم الانصار وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ بمغلوبين ان اردنا (٤٢) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا
حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ مرّ فى آخر الطور (٤٣) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا مسرعين
جمع سريع كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نَصْبٍ منصوب للعبادة او عَلَم يُوفِضُونَ يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص نُصُب
بضمّ النون والصاد وقرئ بالضمّ على انّه تخفيف نُصُب او جمع (٤٤) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ
مرّ تفسيره ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ فى الدنيا ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة سأل سائل
اعطاه اللّه ثواب الّذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ٠

سُورَةُ نُوحٍ

مكّيّة وآيها تسع وعشرون آيـة

بِسْـــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٩ (١) إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنْذِرْ اى بأن انذر اى بالانذار او بأَنْ قلنا له انذر ويجوز ان تكون
مفسّرة لتضمّن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
عذاب الآخرة او الطوفان (٢) قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٣) أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ مرّ فى
الشعراء نظيره ، وفى أَنْ يحتمل الوجهان (٤) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ يغفر لكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق
فانّ الاسلام يجبّه فلا يؤاخذكم به فى الآخرة وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُسَمًّى هو اقصى ما قدّر لكم بشرط
الايمان والطاعة إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ انّ الاجل الّذى قدّره إِذَا جَآءَ على الوجه المقدّر به آجلا وقيل اذا جاء
الاجل الاطول لَا يُؤَخَّرُ فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لو كنتم من اهل العلم
والنظر لعلمتم ذلك وفيه انّهم لانهماكهم فى حبّ الدنيا كانّهم شاكّون فى الموت (٥) قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ
قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا اى دائما فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على
السببيّة كقوله فزادتهم ايمانا (٦) وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ الى الايمان لِتَغْفِرَ لَهُمْ بسببه جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ
سدّوا مسامعهم عن استماع الدعوة وَٱسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ تغطّوا بها لئلّا يرونى كراهة النظر الىّ من فرط
كراهة دعوتى او لئلّا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة وَأَصَرُّوا اكبّوا على الكفر

جزء ٢٩ والمعاصى مستعارٌ من اصرّ الحمارُ على العانة اذا صرّ اذنيه واقبل عليها وَٱسْتَكْبَرُوا عن اتّباعى ٱسْتِكْبَارًا
ركوع ٩ عظيما (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا اى دعوتهم مرّة بعد اخرى وكرّة بعد اولى على اىّ وجه امكننى وثُمّ لتفاوت الوجوه فانّ الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخى بعضها عن بعض ، وجهارا نصبٌ على المصدر لانّه احدُ نوعى الدعاء او صفةُ مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اى مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا (٩) فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ بالتوبة عن الكفر إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا للتائبين وكانّهم لمّا امرهم بالعباده قالوا ان كنّا على حقّ فلا نتركه وان كنّا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فأمرهم بما يجبّ معاصيهم ويجلب اليهم المِنَح ولذلك وعد لهم عليه ما هو اوقع فى قلوبهم وقيل لمّا طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة وأعقم ارحامَ نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عمّا كانوا عليه (١٠) يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ولذلك شرعَ الاستغفار فى الاستسقاء ، والسماء يحتمل المظلّة والسحاب ، والمدرارُ كثير الدرور ويستوى فى هذا البناء المذكّر والمؤنّث ، والمرادُ بالجنّات البساتين (١٢) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا لا تأملون له توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونوا على حالٍ تأملون فيها تعظيمه ايّاكم ولله بيانٌ للموقِّر ولو تأخّر لكان صلةً للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانّما عبّر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لأدنى الظنّ مبالغةً (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا حال مقرّرة للانكار من حيث انّها موجبة للرجاء فانّ خلقهم اطوارا اى تارات اذ خلقهم اوّلا عناصر ثمّ مركّبات تغذى الانسان ثمّ اخلاطا ثمّ نُطَفا ثمّ عَلَقا ثمّ مُضَغا ثمّ عظاما ولحوما ثمّ انشأهم خلقا آخر فانّه يدلّ على انّه يمكن ان يُعيدهم تارة اخرى فيعظّمهم بالثواب وعلى انّه عظيم القدرة تامّ الحكمة ثمّ أتبع ذلك ما يؤيّده من آيات الآفاق فقال (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا اى فى السموات وهو فى السماء الدنيا وانّما نُسب اليهنّ لما بينهما من الملابسة وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا مثّلها به لانّها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عمّا حوله (١٦) وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانّه ادلّ على الحدوث والتكوّن من الارض وأصله انبتكم فنبتّم نباتا فاختصره اكتفاء بالدلالة الالتزاميّة (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا مقبورين وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا بالحشر واكّده بالمصدر كما اكّد به الاوّل دلالةً على انّ الاعادة محقّقة كالابداء وانّها تكون لا محالة (١٨) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا تتقلّبون عليها (١٩) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا واسعة جمع فجّ ، ومن لتضمّن الفعل
ركوع ١٠ معنى الاتّخاذ (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى فيما امرتهم به وَٱتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا واتّبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترّين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم فى الآخرة وفيه انّهم انّما اتّبعوهم لوجاهة حصلت لهم بالاموال والاولاد وادّت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة

جزء ٢٩ والكسائىّ والبصريّان وَوُلْدُهُ بالضمّ والسكون على انّه لغةٌ كالحُزْن والحَزَن او جمعٌ كالأُسْد (٢١) وَمَكَرُوا
ركوع ١٠ عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعُه للمعنى مَكْرًا كُبَّارًا كبيرا فى الغاية فانّه ابلغ من كُبَار وهو من
كَبير وذلك احتيالهم فى الدين وتحريش الناس على اذى نوح (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ اى عبادتها
وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا (٢٣) وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ولا تذرنّ هؤلاء خصوصا قيل هى اسماء رجال
صالحين كانوا بين آدم ونوح فلمّا ماتوا صُوّروا تبرّكا بهم فلمّا طال الزمان عُبدوا وقد انتقلت الى
العرب وكان ودّ لكَلْب وسواع لهَمْدان ويغوث لمَذْحِج ويعوق لمُراد ونسر لحِمْيَر وقرأ نافع وُدًّا بالضمّ
وقرئ يَغُوثًا وَيَعُوقًا للتناسب ومنعُ صرفهما للعَلَميّة والعجمة (٢٤) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا الضمير للرؤساء او
للاصنام كقوله انّهنّ اضللن كثيرا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا عطف على ربّ انّهم عصونى ولعلّ المطلوب
هو الضلال فى ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا فى امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله انّ المجرمين فى ضلال
وسُعُر (٢٥) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ من اجل خطيئاتهم ومَا مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ ابو عمرو ممّا
خَطَايَاهُمْ أُغْرِقُوا بالطوفان فَأُدْخِلُوا نَارًا المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيبُ لعدم الاعتداد
بما بين الاغراق والادخال او لانّ المسبّب كالمتعقّب للسبب وإن تراخى عنه لفقدِ شرط او وجودِ مانع،
وتنكيرُ النار للتعظيم او لانّ المراد نوع من النيران (٢٦) فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَنْصَارًا تعريض لهم
باتّخاذ آلهة من دون اللّه لا تقدر على نصرهم (٢٧) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ دَيَّارًا
اى احدا وهو ممّا يستعمل فى النفى العامّ فَيْعَال من الدار او الدَّوْر وأصلُه دَيْوَار ففعل به ما فُعل
بأصلِ سيّد لا فَعَّال والّا لكان دَوَّارا (٢٨) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا قال ذلك
لمّا جرّبهم واستقرى احوالهم الف سنة الّا خمسين عاما فعرف شِيَمهم وطباعهم (٢٩) رَبِّ ٱغْفِرْ لِى
وَلِوَالِدَىَّ لَمَك بن متوشلخ وشمخاء بنت انوش وكانا مؤمنين وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِىَ منزلى او مسجدى
او سفينتى مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ الى يوم القيامة وَلَا تَزِدِ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا هلاكا، عن النبىّ صلعم
من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الّذين تدركهم دعوةُ نوح ٠

سُورَةُ ٱلْجِنِّ

مكّيّة وآيها ثمان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١١ (١) قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ وقرئ أُحِىَ وأصلُه وُحِىَ من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمّتها ووُحِىَ على الاصل

وفاعله أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلْجِنِّ والنفر ما بين الثلثة والعشرة ، والجنّ اجسام عاقلة خفيّة يغلب عليهم جزء ۲۹
النارية او الهوائيّة وقيل نوع من الارواح المجرّدة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها ، وفيه دلالة على ركوع ۱۱
انّه عم ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانّما اتّفق حضورهم فى بعض اوقات قراءته فسمعوه فأخبر اللّه به رسوله
فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا كتابا عَجَبًا بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن نظمه ودقّة معناه وهو مصدر
وُصف به للمبالغة (۲) يَهْدِى إِلَى ٱلرُّشْدِ الى الحقّ والصواب فَآمَنَّا بِهِ بالقران وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا على ما
نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد (۳) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا قرأه ابن كثير والبصريّان بالكسر على
انّه من جملة المحكىّ بعد القول وكذا ما بعده الّا قوله وأن لو استقاموا وأنّ المساجد وأنّه لمّا قام
فانّها من جملة المُوحَى به ووافقهم نافع وابو بكر الّا فى قوله وإنّه لمّا قام على انّه استيناف او مقول
وفتح الباقون الكلّ الّا ما صُدّر بالفاء على انّ ما كان من قولهم فمعطوف على محلّ الجارّ والمجرور فى به
كانّه قيل صدّقناه وصدّقنا انّه تعالى جَدُّ ربّنا اى عظمته من جَدّ فلان فى عينى اذا عظم او سلطانه او
غناه مستعارٌ من الجَدّ الّذى هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او
لسلطانه او لغناه وقوله مَا ٱتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا بيان لذلك وقرئ جَدًّا على التمييز وجِدّ بالكسر
اى صِدْق ربوبيّته كانّهم سمعوا ما نبّههم على خطاء ما اعتقدوه من الشرك واتّخاذ الصاحبة والولد
(۴) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ابليس او مَرَدة الجنّ عَلَى ٱللّٰهِ شَطَطًا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحدّ
او هو شططٌ لفرط ما أَشطّ فيه وهو نسبة الصاحبة والولد (۵) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ ٱلْإِنْسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى
ٱللّٰهِ كَذِبًا اعتذار عن اتّباعهم للسفيه فى ذلك بظنّهم انّ احدا لا يكذب على اللّه وكذبا نصب على
المصدر لانّه نوع من القول او الوصف لمحذوف اى قولا مكذوبا فيه ومن قرأ لَنْ تَقَوَّلَ كيعقوب جعله
مصدرا لانّ التقوّل لا يكون الّا كذبا (۶) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ ٱلْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ ٱلْجِنِّ كان
الرجل اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيّد هذا الوادى من شرّ سفهاء قومه فَزَادُوهُمْ فزادوا الجنّ باستعاذتهم
بهم رَهَقًا كِبْرا وعتوّا او فزاد الجنّ الانس غيّا بأنْ اضلّوهم حتّى استعاذوا بهم والرهق فى الاصل غشيان
الشىء (۷) وَأَنَّهُمْ وانّ الانس ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ ايها الجنّ او بالعكس ، والآيتان من كلام الجنّ بعضهم
لبعض او استيناف كلام من اللّه ومن فتح أنّ فيهما جعلهما من المُوحَى به أَنْ لَنْ يَبْعَثَ ٱللّٰهُ أَحَدًا
سادّ مسدّ مفعولَىْ ظنّوا (۸) وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَاءَ طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المسّ
للطلب كالجسّ يقال لمسه والتمسه وتلمّسه كطلبه واطّلبه وتطلّبه فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا حُرّاسا اسم
جمع كالخَدَم شَدِيدًا قويّا وهم الملائكة الّذين يمنعونهم عنها وَشُهُبًا جمع شهاب وهو المُضىء المتولّد
من النار (۹) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصّد
والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فَمَنْ يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا اى شهابا

جزء ۲۹ راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوى شهاب راصدين على انّه اسم جمع للراصد وقد مرّ
ركوع ۱۱ بيان ذلك فى الصافّات (۱۰) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ بحراسة السماء أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا
خيرا (۱۱) وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّالِحُونَ المومنون الابرار وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ اى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون كُنَّا طَرَائِقَ ذوى طرائق اى مذاهب او مثل طرائق فى اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قِدَدًا متفرّقة مختلفة جمع قِدّة من قدّ اذا قطع (۱۲) وَأَنَّا ظَنَنَّا علمنا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ كائنين فى الارض اينما كنّا فيها وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه فى الارض إن اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا إن طلبنا (۱۳) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰ اى القران آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ فهو لا يخاف وقرئ فلا يَخَفْ والاوّل ادلّ على تحقيق نجاة المومنين واختصاصها بهم بَخْسًا وَلَا رَهَقًا نقصا فى الجزاء ولا ان يرهقه ذلّة او جزاء بخس لانّه لم يَبْخس حقّا ولم يرهق ظلما لانّ مَنْ حقّ المومن بالقران ان يجتنب ذلك (۱۴) وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَاسِطُونَ الجائرون عن طريق الحقّ وهو الايمان والطاعة فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا توخّوا رشدا عظيما يبلّغهم الى دار الثواب (۱۵) وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا توقد بهم كما توقد بكفّار الانس (۱۶) وَأَنْ لَوِ ٱسْتَقَامُوا اى انّ الشأن لو استقام الجنّ او الانس او كلاهما عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ على الطريقة المثلى لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا لوسّعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانّه اصل المعاش والسعة وعزّة وجوده بين العرب (۱۷) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجنّ على طريقتهم القديمة ولم يُسلموا باستماع القران لوسّعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم فى الفتنة ونعذّبهم فى كفرانه وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ عن عبادته او موعظته او وحيه يَسْلُكْهُ يُدخله وقرأ غيرُ الكوفيّين بالنون عَذَابًا صَعَدًا شاقّا يعلو المعذّب ويغلبه مصدرٌ وُصف به (۱۸) وَأَنَّ ٱلْمَسَاجِدَ لِلَّهِ مختصّة به فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل أنّ مقدّرة باللام علّة للنهى ألغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلّها لانّها جُعلتْ للنبىّ مسجدا وقيل المسجدُ الحرام لانّه قبلة المساجد ومواضعُ السجود على انّ المراد النهى عن السجود لغير اللّه وآرابُه السبعة والسجدات على انّه جمعُ مَسْجَد (۱۹) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ اى النبىّ وانّما ذكر بلفظ العبد للتواضع فانّه واقع موقعَ كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضى لقيامه يَدْعُوهُ يعبده كَادُوا كاد الجنّ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجّبا لما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجنّ يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمعُ لِبْدة وهى ما تلبّد بعضه على بعض كلِبْدة الاسد وعن ابن عامر لُبَدًا

جزء ٢٩ ركوع ٢

بضمّ اللام جمع نُبْدة وهي لغة وقرئ نُبَدًا كسُجَّدًا جمع لابد ونُبُدًا كصبر جمع نَبُود (٢٠) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجّبكم او إطباقكم على مقتى وقرأ عاصم وحمزة قُلْ على الامر للنبيّ ليوافق ما بعده (٢١) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ولا نفعا او غيّا عبّر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسبّبه إشعارا بالمعنيين (٢٢) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ ان اراد بي سوءا (٢٣) وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا منحرفا او ملتجأ (٢٤) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ ٱللَّهِ استثناء من قوله لا املك فانّ التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكّد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا او معناه إن لا أبلّغ بلاغا وما قبله دليل الجواب وَرِسَالَاتِهِ عطف على بلاغا ومن الله صفته فانّ صلته عَنْ كقوله عم بلّغوا عنّي ولو آية وَمَنْ يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ وقرئ فَأَنَّ على فجزاؤه أنّ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا جمعه للمعنى (٢٥) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ في الدنيا كوقعة بدر او في الآخرة، والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف دلّ عليه الحال من استضعاف الكفّار له وعصيانهم له فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا هو او هم (٢٦) قُلْ إِنْ أَدْرِي ما ادرى أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا غاية تطول مدّتها كانّه لمّا سمع المشركون حتّى اذا رأوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انّه كائن لا محالة ولكن لا ادرى وقته عَالِمُ ٱلْغَيْبِ هو عالم الغيب فَلَا يُظْهِرُ فلا يُطلع عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا اى على الغيب المخصوص به علمه (٢٧) إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَى لعلم بعضه حتّى يكون له معجزة مِنْ رَسُولٍ بيان لمَن، واستدلّ به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات الاولياء على المغيّبات انّما تكون تلقّيا عن الملائكة كاطّلاعنا على احوال الآخرة بتوسّط الانبياء فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ من بين يدى المرتضى وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم (٢٨) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا ليعلم النبيّ الموحَى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحى او ليعلم الله ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلّق علمه به موجودا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ كما هي محروسة من التغيير وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ بما عند الرسل وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا حتّى القطر والرمل، عن النبيّ صلعم من قرأ سورة الجنّ كان له بعدد كلّ جنّيّ صدّق محمّدا وكذّب به عتق رقبة ٠

*

سُورَةُ ٱلْمُزَّمِّلِ

مكّيّة وآيها عشرون آيــة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ٢٩ (١) يَا أَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ اصله المتزمّل من تزمّل بثيابه اذا تلفّف بها فادغم التاء فى الزاى وقد قرئ به وبالمزمّل
ركوع ١٣ مفتوحة الميم ومكسورتها اى الّذى زمّله غيره او زمّل نفسه سمّى به النبىّ صلعم تهجينا لما كان عليه لانّه كان نائما او مرتعدا ممّا دهشه بدء الوحى متزمّلا فى قطيفة او تحسينا له اذ روى انّه كان يصلّى متلفّفا بمرط مفروش على عائشة فنزل او تشبيها له فى تثاقله بالمتزمّل لانّه لم يتمرّن بعد فى قيام الليل او من تزمّل الزمل اذا تحمّل الحمل اى الّذى تحمّل اعباء النبوّة (٢) قُمِ ٱللَّيْلَ اى قم الى الصلوة او داوم عليها وقرئ بضمّ الميم وفتحها للاتّباع والتخفيف إِلَّا قَلِيلًا (٣) نِصْفَهُ أَوِ ٱنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٤) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلّته بالنسبة الى الكلّ والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير فى منه وعليه للاقلّ من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقلّ منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم اقلّ منه على البتّ وان يختار احد الامرين من الاقلّ والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانّه عامّ والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلًا اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكّن السامع من عدّها من قولهم ثغر رتل ورتّل اذا كان مفلّجا (٥) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا يعنى القران فانّه لما فيه من التكاليف الشاقّة ثقيل على المكلّفين سيّما على الرسول اذ كان عليه ان يتحمّلها ويحمّلها امّته والجملة اعتراض يسهّل التكليف عليه بالتهجّد ويدلّ على انّه مشقّ مضادّ للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمّل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسرّ وتجريد للنظر او ثقيل فى الميزان او على الكفّار والفجّار او ثقيل تلقّيه لقول عائشة رضى اللّه عنها رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وانّ جبينه ليرفضّ عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستأنف فانّ التهجّد يعدّ للنفس ما به تعالج ثقله (٦) إِنَّ نَاشِئَةَ ٱللَّيْلِ انّ النفس الّتى تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض قال

نَشَأْنا الى خوصٍ بَرَى نَيَّها السُّرَى ... وأَلْصَقَ منها مُشْرِفاتِ القَماحِدِ

او قيام الليل على انّ الناشئة له او العبادة الّتى تنشأ بالليل اى تحدث او ساعات الليل لانّها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الأُوَل من نشأت اى ابتدأت هِيَ أَشَدُّ وَطْأً اى كلفة او ثبات قدم وقرأ

ابو عمرو وابن عامر وِطَآء بكسر الواو والف ممدودة اى مواطأة القلب اللسانَ لها او فيها او موافقة لما جزء ۲۹
يراد من الخضوع والاخلاص وَأَقْوَمُ قِيلًا اى واسدّ مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الاصوات رکوع ۱۳
(۷) إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا تقلبا فى مهمّاتك واشتغالا بها فعليك بالتهجّد فانّ مناجاة الحقّ تستدعى فراغا وقرئ سَبْخًا اى تفرّق قلب بالشواغل مستعار من سَبْخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه (۸) وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ودُمْ على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كلّ ما يُذْكَر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قران ودراسة علم وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا وانقطع اليه بالعبادة وجرّد نفسك عمّا سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضعه موضعَ تَبَتُّلًا (۹) رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ خبرُ محذوف او مبتدأٌ خبرُه لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وقرأ ابن عامر والكوفيّون غير حفص ويعقوب بالجرّ على البدل من ربّك وقيل باضمار حرف القسم وجوابُه لا اله الّا هو فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا مسبّب عن التهليل فانّ توحّده بالالوهيّة يقتضى ان تُوكَلَ اليه الامورُ (۱۰) وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ من الخرافات وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا بأن تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتَكِلَ امرَهم الى الله كما قال (۱۱) وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ دعنى واياهم وكِلْ اليّ امرهم فانّ بى غُنْية عنك فى مجازاتهم أُولِي ٱلنَّعْمَةِ ارباب التنعّم يريد صناديد قريش وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا زمانا او امهالا (۱۲) إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا تعليل للامر والنِّكْلُ القيد الثقيل وَجَحِيمًا (۱۳) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ طعاما يَنْشَب فى الحلق كالضريع والزقّوم وَعَذَابًا أَلِيمًا ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه الّا الله تعالى ، ولمّا كانت العقوبات الاربع ممّا يشترك فيها الاشباحُ والارواحُ فانّ النفوس العاصية المنهمكة فى الشهوات تبقى مقيّدةً بحُبّها والتعلّق بها عن التخلّص الى عالم المجرّدات متحرّقةً بحرقة الفرقة متجرّعةً غصّة الهجران معذّبةً بالحرمان عن تجلّى انوار القدس فُسّر العذاب بالحرمان عن لقاء الله (۱۴) يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ تضطرب وتتزلزل ظرفٌ لما فى انّ لدينا انكالا من معنى الفعل وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا رملا مجتمعا كانّه فعيل بمعنى مفعول من كَثَبْتُ الشىء اذا جمعته مَهِيلًا منثورا من هِيلَ هَيْلًا اذا نُثر (۱۵) إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا يا اهل مكّة شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ يشهد عليكم يومَ القيامة بالاجابة والامتناع كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا يعنى موسى ولم يعيّنه لانّ المقصود لم يتعلّق به (۱۶) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ عرّفه لسَبْق ذكره فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ثقيلا من قولهم طعامٌ وبيلٌ لا يُستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم (۱۷) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ انفسكم إِن كَفَرْتُمْ بقيتم على الكفر يَوْمًا عذاب يوم يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا من شدّة هوله وهذا على الفرض او التمثيل وأصله انّ الهموم تضعف القُوَى وتسرع الشيب ويجوز ان يكون وصفا لليوم بالطول (۱۸) ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌ منشقّ والتذكيرُ على تأويل السقف او اضمار شىء بِهِۦ بشدّة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة كَانَ وَعْدُهُ

جزء ٢٩ مَفْعُولاً الضمير للّه سبحانه وتعالى او اليوم على اضافة المصدر الى المفعول (١٩) إِنَّ هٰذِهِ اى الآيات الموعدة

ركوع ١٤ تَذْكِرَةٌ عظة فَمَنْ شَآءَ ان يتعظ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا اى تقرّب اليه بسلوك التقوى (٢٠) إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱللَّيْلِ وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ استعار الادنى للاقلّ لانّ الاقرب الى الشىء اقلّ بُعْدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيّون وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ بالنصب عطفا على ادنى وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ويقوم ذلك جماعة من اصحابك وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هى الّا اللّهُ تعالى فانّ تقديم اسمه مبتدأ مبنيّا عليه يقدّر يُشْعِر بالاختصاص ويؤيّده قوله عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ اى لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات فَتَابَ عَلَيْكُمْ بالترخيص فى ترك القيام المقدّر و رفع التبعة فيه فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْآنِ فصلّوا ما تيسّر عليكم من صلوة الليل عبّر عن الصلوة بالقران كما عبّر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجّد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنُسخ به ثمّ نُسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرءوا القران بعينه كيف ما تيسّر عليكم عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ استيناف يبيّن حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرّر الحكم مرتّبا عليه وقال وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ والضربُ فى الارض ابتغاء للفضل المسافرةُ للتجارة وتحصيل العلم وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ المفروضة وَآتُوا ٱلزَّكَوٰةَ الواجبة وَأَقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يريد به الامرَ بسائر الانفاقات فى سُبُل الخير او باداء الزكوة على احسن وجه والترغيبَ فيه بوعد العوض كما صرّح به فى قوله وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا من الّذى تؤخّرونه الى الوصيّة عند الموت او من متاع الدنيا ، وخيرًا ثانى مفعولَى تجدوا وهُوَ تأكيدٌ او فصلٌ لانّ أَفْعَلَ مِنْ كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هُوَ خَيْرٌ على الابتداء والخبر وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ فى مجامع احوالكم فانّ الانسان لا يخلو من تفريط إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة المزّمّل رفع اللّه عنه العسر فى الدنيا والآخرة •

سُورَةُ ٱلْمُدَّثِّرِ

مكّيّة وآيها خمس وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١٥ (١) يَا أَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ اى المتدثّر وهو لابس الدثار رُوى انّه عم قال كنتُ بحراءٍ فنوديتُ فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ار شيئًا فنظرت فوقى فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعنى المَلَك الّذى ناداه !

فرُعبتُ ورجَعت الى خديجة فقلت دثّروني فنزل جبريل وقال يا ايّها المدّثر ولذلك قيل هى اوّل سورة جزء ٢٩
نزلت | وقيل تأذّى من قريش فتغطّى بثوبه مفكّرا او كان نائما متدثّرا فنزلت | وقيل المدّثّر المتدثّر ركوع ١٥
بالنبوّة والكمالات النفسانيّة | او المختفى فانّه كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل الاستعارة | وقرئ ٱلْمُدَثَّرُ اى الّذى دُثّر هذا الامرَ وعُصّب به | (٢) قُمْ من مضجعك او قم قيامَ عزمٍ وجِدٍّ فَأَنْذِرْ مطلق للتعميم او مقدّر بمفعول دلّ عليه قولُه وأنذر عشيرتك الاقربينَ او قولُه وما ارسلناك الّا كافّة للناس بشيرا ونذيرا (٣) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وخصّصْ ربّك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا | رُوى انّه لمّا نزل كبّر رسول اللّه صلعم وايقن انّه الوحىُ وذلك لانّ الشيطانَ لا يأمر بذلك ، والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكانّه قال وما يكن فكبّر ربّك او الدلالةِ على انّ المقصودَ الاوّلَ من الامر بالقيام ان يكبّر ربّه عن الشرك والتشبيه | فانّ اوّل ما يجب معرفةُ الصانع واوّل ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهُه والقومُ كانوا مُقرّين به (٤) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ من النجاسات فانّ التطهيرَ واجب فى الصلوة محبوب فى غيرها | وذلك بغسلها او بحِفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافةَ جرّ الذيول فيها | وهو اوّل ما أُمر به من رفض العادات المذمومة | او طهّر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنيّة فيكونُ امرا باستكمال القوّة العمليّة بعد امره باستكمال القوّة النظريّة والدعاء اليه | او طهّر دثار النبوّة عمّا يدنّسه من الحقد والضجرِ وقلّة الصبر (٥) وَٱلرِّجْزَ فَٱهْجُرْ فاهجُر العذاب بالثبات على هجرِ ما يؤدّى اليه من الشرك وغيره من القبائح ، وقرأ يعقوب وحفص وَٱلرُّجْزَ بالضمّ وهو لغة كالذُّكر (٦) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ولا تُعْطِ مستكثِرا نُهى عن الاستغزار وهو ان يهبَ شيئا طامعا فى عوض اكثر نَهْىَ تنزيهٍ او نهيا خاصّا به لقوله صلعم المستغزِر يثاب مِنْ هِبته والموجِبُ له ما فيه من الحِرص والضِنّة | او لا تمنن على اللّه بعبادتك مستكثِرا ايّاها | او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجرَ منهم او مستكثرا ايّاه ، وقرئ تَسْتَكْثِرْ بالسكون للوقف او الابدالِ من تمنن على انّه من مَنَّ بكذا او تستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمارِ أنْ وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روى أَحْضُرُ الوَغى بالرفع (٧) وَلِرَبِّكَ لوجهه او امره فَٱصْبِرْ فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاقّ التكاليف واذى المشركين (٨) فَإِذَا نُقِرَ نفخ فِى ٱلنَّاقُورِ فى الصُور فاعول من النقر بمعنى التصويت وأصلُه القرع الّذى هو سبب الصَوت ، والفاء للسببيّة كانّه قال اصبِر على زمانٍ صعبٍ تَلْقَى فيه عاقبةَ صبرك واعداؤك عاقبةَ ضرّهم ، واذا ظرفٌ لما دلّ عليه قوله (٩) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (١٠) عَلَى ٱلْكَافِرِينَ لانّ معناه عَسُرَ الامر على الكافرين ، وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأٌ خبرُه يومٌ عسيرٌ ويومئذ بدل له او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقوعُ يوم عسير غَيْرُ يَسِيرٍ تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويُشْعِر بيُسْره على المؤمنين (١١) ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا نزلت فى الوليد بن المُغيرة ووحيدا حالٌ من الياء اى ذرنى وحدى معه فانّى اكفيكَهُ او من التاء اى ومَن خلقتُه وحدى لم يشْرَكْنى فى خلقه احدٌ او من العائد المحذوف

جزء ٢٩ لَقَادِرُونَ (٤١) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ اى نُهْلِكهم ونأتى بخلق امثل منهم او نعطى **محمّدا بدلكم**
ركوع ٨ من هو خير منكم وهم الانصار وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ بمغلوبين ان اردنا (٤٢) فَذَرْهُمْ **يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا**
حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ مرّ فى آخر الطور (٤٣) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ **سِرَاعًا مسرعين**
جمع سريع كَأَنَّهُمْ إِلَى نَصْبٍ منصوب للعبادة او عَلَم يُوفِضُونَ يسرعون وقرأ ابن **عامر وحفص نُصُبٍ**
بضمّ النون والصاد وقرئ بالضمّ على انّه تخفيف نُصُب او جمع (٤٤) خَاشِعَةً **أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ**
مرّ تفسيره ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ فى الدنيا ؛ عن النبىّ صلعم من **قرأ سورة سأل سائل**
اعطاه اللّه ثواب الّذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ٠

سُورَةُ نُوحٍ

مكّيّة وآيها تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ركوع ٩ (١) إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ اى بأن انذر اى بالانذار او بأنْ قلنا له انذر **ويجوز ان تكون**
مفسّرة لتضمّن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ **يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**
عذاب الآخرة او الطوفان (٢) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٣) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ **وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ مرّ فى**
الشعراء نظيره ، وفى أَنْ يحتمل الوجهان (٤) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ يغفر لكم بعض **ذنوبكم وهو ما سبق**
فانّ الاسلام يجبّه فلا يؤاخذكم به فى الآخرة وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى هو اقصى **ما قدّر لكم بشرط**
الايمان والطاعة إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ انّ الاجل الّذى قدّره إِذَا جَاءَ على الوجه المقدّر به **آجلا وقيل اذا جاء**
الاجل الاطول لَا يُؤَخَّرُ فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لو **كنتم من اهل العلم**
والنظر لعلمتم ذلك وفيه انّهم لانهماكهم فى حبّ الدنيا كأنّهم شاكّون فى الموت (٥) **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ**
قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا اى دائما فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا عن الايمان والطاعة واسناد **الزيادة الى الدعاء على**
السببيّة كقوله فزادتهم ايمانا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ الى الايمان لِتَغْفِرَ لَهُمْ بسببه **جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ**
سدّوا مسامعهم عن استماع الدعوة وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ تغطّوا بها لئلّا يرونى كراهة **النظر الىّ من فرط**
كراهة دعوتى او لئلّا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة وَأَصَرُّوا **اكبّوا على الكفر**

والمعاصي مستعارٌ من اصرّ الحمارُ على العانة اذا صرّ اذنيه واقبل عليها وَٱسْتَكْبَرُوا عن اتباعي ٱسْتِكْبَارًا جزء ٢٩ عظيما (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ركوع ٩ اى دعوتهم مرّة بعد اخرى وكرّة بعد اولى على اىّ وجه امكنني وثمّ لتفاوت الوجوه فانّ الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها عن بعض، وجهارا نصبٌ على المصدر لانّه احد نوعي الدعاء او صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اى مجاهَرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهِرا (٩) فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ بالتوبة عن الكفر إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا للتائبين وكأنّهم لمّا امرهم بالعبادة قالوا إن كنّا على حقّ فلا نتركه وإن كنّا على باطل فكيف يَقْبَلنا ويَلْطف بنا من عصيناه فأمرهم بما يجبّ معاصيَهم ويجلب اليهم المِنَح ولذلك وعد لهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لمّا طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة وأعقم ارحامَ نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عمّا كانوا عليه (١٠) يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء، والسماء يحتمل المِظلّة والسحاب، والمدرار كثير الدرور ويستوى في هذا البناء المذكّر والمؤنّث، والمراد بالجنّات البساتين (١٢) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا لا تأملون له توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونوا على حالٍ تأملون فيها تعظيمه ايّاكم ولله بيانٌ للموقَّر ولو تأخّر لكان صلةً للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانّما عبّر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لأدنى الظنّ مبالغةً (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا حال مقرّرة للانكار من حيث انّها موجبة للرجاء فانّ خَلْقهم اطوارا اى تارات اذ خلقهم اوّلا عناصر ثمّ مركّبات تغذّى الانسان ثمّ اخلاطا ثمّ نُطَفا ثمّ عَلَقا ثمّ مُضَغا ثمّ عظاما ولحوما ثمّ انشأهم خلقا آخر فانّه يدلّ على انّه يمكن ان يُعيدهم تارة اخرى فيعظّمهم بالثواب وعلى انّه عظيم القدرة تامّ الحكمة ثمّ أتبع ذلك ما يؤيّده من آيات الآفاق فقال (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا اى في السموات وهو في السماء الدنيا وانّما نُسب اليهنّ لما بينهما من الملابسة وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا مثّلها به لانّها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عمّا حوله (١٦) وَٱللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانّه ادلّ على الحدوث والتكوّن من الارض وأصله انبتكم فنبتّم نباتا فاختصره اكتفاء بالدلالة الالتزاميّة (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا مقبورين وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا بالحشر واكّده بالمصدر كما اكّد به الاوّل دلالةً على انّ الاعادة محقّقة كالابداء وانّها تكون لا محالة (١٨) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا تتقلّبون عليها (١٩) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا واسعة جمع فجّ، ومن لتضمّن الفعل معنى الاتّخاذ (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي فيما امرتهم به وَٱتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ركوع ١٠ واتّبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترّين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه انّهم انّما اتّبعوهم لوجاهة حصلت لهم بالاموال والاولاد وادّت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة

جزء ٢٩ ركوع ١٠ والكسائىّ والبصريّان وَوُلْدُهُ بالضمّ والسكون على انّه لغة كالحَزَن والحُزْن او جمع كالأُسْد (٢١) وَمَكَرُوا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مَكْرًا كُبَّارًا كبيرا فى الغاية فانّه ابلغ من كُبار وهو من كَبير وذلك احتيالهم فى الدين وتحريش الناس على اذى نوح (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ اى عبادتها وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا (٢٣) وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ولا تذرنّ هؤلاء خصوصا قيل هى اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلمّا ماتوا صُوّروا تبرّكا بهم فلمّا طال الزمان عُبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ودّ لكَلْب وسواع لهَمْدان ويغوث لمَذْحِج ويعوق لمُراد ونسر لحِمْيَر وقرأ نافع وُدًّا بالضمّ وقرئ يَغُوثًا ويَعُوقًا للتناسب ومنع صرفهما للعَلَميّة والعجمة (٢٤) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله انّهنّ اضللن كثيرا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا عطف على ربّ انّهم عصونى ولعلّ المطلوب هو الضلال فى ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا فى امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله انّ المجرمين فى ضلال وسُعُر (٢٥) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ ابو عمرو ممّا خَطَايَاهُمْ أُغْرِقُوا بالطوفان فَأُدْخِلُوا نَارًا المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال او لانّ المسبّب كالمتعقّب للسبب وإن تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع ، وتنكير النار للتعظيم او لانّ المراد نوع من النيران (٢٦) فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا تعريض لهم باتّخاذ آلهة من دون الله لا تقدر على نصرهم (٢٧) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا اى احدا وهو ممّا يستعمل فى النفى العامّ فَيْعال من الدار او الدَوْر واصله دَيْوار ففعل به ما فُعل بأصل سيّد لا فَعّال والّا لكان دَوّارا (٢٨) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا قال ذلك لمّا جرّبهم واستقرى احوالهم الف سنة الّا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم (٢٩) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ لَمَك بن متوشلخ وشمخاء بنت انوش وكانا مؤمنين وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ منزلى او مسجدى او سفينتى مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الى يوم القيامة وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا هلاكا ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الّذين تدركهم دعوة نوح ٭

سُورَةُ الْجِنِّ

مكّيّة وآيها ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ركوع ١١ (١) قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ وقرئ أُحِيَ وأصله وُحِيَ من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمّتها ووُحِيَ على الاصل

وفاعله أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ والنفر ما بين الثلثة والعشرة ، والجنّ اجسام عاقلة خفيّة يغلب عليهم جزء ٢٩
الناريّة او الهوائيّة وقيل نوع من الارواح المجرّدة وقيل نفوس بشريّة مفارقة عن ابدانها ، وفيه دلالة على ركوع ١١
انّه عم ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانّما اتّفق حضورهم فى بعض اوقات قراءته فسمعوه فأخبر اللّه به رسوله
فَقَالُوٓا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا كتابا عَجَبًا بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن نظمه ودقّة معناه وهو مصدر
وصف به للمبالغة (٢) يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ الى الحقّ والصواب فَـَٔامَنَّا بِهِۦ بالقران وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا على ما
نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد (٣) وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا قرأه ابن كثير والبصريّان بالكسر على
انّه من جملة المحكىّ بعد القول وكذا ما بعده الّا قوله وأن لو استقاموا وأنّ المساجد وأنّه لمّا قام
فانّها من جملة المُوحَى به ووافقهم نافع وابو بكر الّا فى قوله وإنّه لمّا قام على انّه استيناف او مقول
وفتح الباقون الكلّ الّا ما صُدّر بالفاء على انّ ما كان من قولهم فمعطوف على محلّ الجارّ والمجرور فى به
كانّه قيل صدّقناه وصدّقنا انّه تعالى جدّ ربّنا اى عظمته من جَدّ فلان فى عينى اذا عظم او سلطانه او
غناه مستعار من الجَدّ الّذى هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او
لسلطانه او لغناه وقوله مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا بيان لذلك وقرئ جَدًّا على التمييز وجِدُّ بالكسر
اى صِدْق ربوبيّته كانّهم سمعوا ما نبّههم على خطاء ما اعتقدوه من الشرك واتّخاذ الصاحبة والولد
(٤) وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ابليس او مَرَدة الجنّ عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحدّ
او هو شطط لفرط ما أَشطّ فيه وهو نسبة الصاحبة والولد (٥) وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا اعتذار عن اتّباعهم للسفيه فى ذلك بظنّهم انّ احدا لا يكذب على اللّه وكذبا نصب على
المصدر لانّه نوع من القول او الوصف لمحذوف اى قولا مكذوبا فيه ومن قرأ لن تَقَوَّلَ كيعقوب جعله
مصدرا لانّ التقوّل لا يكون الّا كذبا (٦) وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ كان
الرجل اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيّد هذا الوادى من شرّ سفهاء قومه فَزَادُوهُمْ فزادوا الجنّ باستعاذتهم
بهم رَهَقًا كبرا وعتوّا او فزاد الجنّ الانس غيّا بأن اضلّوهم حتّى استعاذوا بهم والرهق فى الاصل غشيان
الشىء (٧) وَأَنَّهُمْ وانّ الانس ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ ايها الجنّ او بالعكس ، والآيتان من كلام الجنّ بعضهم
لبعض او استيناف كلام من اللّه ومن فتح أنّ فيهما جعلهما من المُوحَى به أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا
سادّ مسدّ مفعولَىْ ظنّوا (٨) وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المسّ
للطلب كالجسّ يقال لمسه والتمسه وتلمّسه كطلبه واطّلبه وتطلّبه فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا حُرّاسا اسم
جمع كالخَدَم شَدِيدًا قويّا وهم الملائكة الّذين يمنعونهم عنها وَشُهُبًا جمع شهاب وهو المضىء المتولّد
من النار (٩) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصّد
والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا اى شهابا

جزء ٢٩ ركوع ١١

راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوى شهاب راصدين على انّه اسم جمع للراصد وقد مرّ بيان ذلك فى الصافّات (١٠) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ بحراسة السماء أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا خيرا (١١) وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّالِحُونَ المؤمنون الابرار وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ اى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون كُنَّا طَرَائِقَ ذوى طرائق اى مذاهب او مثل طرائق فى اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قِدَدًا متفرّقة مختلفة جمع قِدّة من قدّ اذا قطع (١٢) وَأَنَّا ظَنَنَّا علمنا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ كائنين فى الارض اينما كنّا فيها وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه فى الارض إن اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا إن طلبنا (١٣) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰ اى القران آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ فهو لا يخاف وقرئ فَلَا يَخَفْ والاوّل ادلّ على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها بهم بَخْسًا وَلَا رَهَقًا نقصا فى الجزاء ولا ان يرهقه ذلّة او جزاء بخس لانّه لم يبخس حقّا ولم يرهق ظلما لانّ من حقّ المؤمن بالقران ان يجتنب ذلك (١٤) وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَاسِطُونَ الجائرون عن طريق الحقّ وهو الايمان والطاعة فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا توخّوا رشدا عظيما يبلّغهم الى دار الثواب (١٥) وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا توقد بهم كما توقد بكفّار الانس (١٦) وَأَنْ لَوِ ٱسْتَقَامُوا اى انّ الشأن لو استقام الجنّ او الانس او كلاهما عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ على الطريقة المثلى لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا لوسّعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانّه اصل المعاش والسعة وعزّة وجوده بين العرب (١٧) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجنّ على طريقتهم القديمة ولم يُسلموا باستماع القران لوسّعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم فى الفتنة ونعذّبهم فى كفرانه وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ عن عبادته او موعظته او وحيه يَسْلُكْهُ يُدخله وقرأ غيرُ الكوفيّين بالنون عَذَابًا صَعَدًا شاقّا يعلو المعذّب ويغلبه مصدرٌ وُصف به (١٨) وَأَنَّ ٱلْمَسَاجِدَ لِلَّهِ مختصّة به فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل أنّ مقدّرة باللام علّة للنهى ألغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارضُ كلّها لانّها جُعلت للنبىّ مسجدا وقيل المسجدُ الحرام لانّه قبلة المساجد ومواضعُ السجود على انّ المراد النهى عن السجود لغير اللّه وآرابُه السبعة والسجداتُ على انّه جمعُ مَسْجَد (١٩) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ اى النبىّ وانّما ذكر بلفظ العبد للتواضع فانّه واقع موقعَ كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضى لقيامه يَدْعُوهُ يعبده كَادُوا كاد الجنّ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجّبا لما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجنّ يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لِبدة وهى ما تلبّد بعضه على بعض كلِبدة الاسد وعن ابن عامر لُبَدًا

جزء ٢٩ ركوع ١٢

بضمّ اللام جمع لُبْدة وهى لغة وقرئ لُبَّدًا كسُجَّدًا جمع لابد ولُبُدًا كصُبُر جمع لَبُود (٢٠) قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا فليس ذلك ببدْع ولا منْكر يوجب تعجّبكم او اطباقكم على مقتى وقرأ عاصم وحمزة قُلْ على الامر للنبىّ ليوافق ما بعده (٢١) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ولا نفعا او غيًّا عبّر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسبَّبه إشعارا بالمعنيَيْن (٢٢) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ ان اراد بى سوءا (٢٣) وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا منحرفا او ملتجأ (٢٤) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ ٱللَّهِ استثناء من قوله لا املك فانّ التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكّد لنفى الاستطاعة او من ملتحدا او معناه إن لا أبلّغ بلاغا وما قبله دليل الجواب وَرِسَالَاتِهِ عطف على بلاغا ومن اللّه صفته فانّ صلته عَنْ كقوله عم بلّغوا عنّى ولو آية وَمَنْ يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فى الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ وقرئ فأنّ على فجزاؤه أنّ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا جمعه للمعنى (٢٥) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فى الدنيا كوقعة بدر او فى الآخرة • والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثانى او لمحذوف دلّ عليه الحال من استضعاف الكفّار له وعصيانهم له فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا هو او هم (٢٦) قُلْ إِنْ أَدْرِي ما ادرى أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا غاية تطول مدّتها كانّه لمّا سمع المشركون حتّى اذا رأوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انّه كائن لا محالة ولكن لا ادرى وقته عَالِمُ ٱلْغَيْبِ هو عالم الغيب فَلَا يُظْهِرُ فلا يُطْلِع عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا اى على الغيب المخصوص به علمه (٢٧) إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَى لعلم بعضه حتّى يكون له معجزة مِنْ رَسُولٍ بيان لمَنْ • واستُدلّ به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات الاولياء على المغيّبات انّما تكون تلقّيا عن الملائكة كاطّلاعنا على احوال الآخرة بتوسّط الانبياء فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ من بين يدى المرتضى وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم (٢٨) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا ليعلم النبىّ الموحَى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحى او ليعلم اللّه ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلّق علمه به موجودا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ كما هى محروسة من التغيير وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ بما عند الرسل وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا حتّى القطر والرمل • عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الجنّ كان له بعدد كلّ جنّى صدّق محمّدا وكذّب به عتق رقبة •

*

سُورَةُ ٱلْمُزَّمِّلِ

مكّيّة وآيها عشرون آيــة

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ٢٩ ركوع ١٣ (١) يَا أَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ اصله المتزمّل من تزمّل بثيابه اذا تلفّف بها فادغم التاء فى الزاى وقد قرئ به وبالمزمّل مفتوحة الميم ومكسورتها اى الّذى زمّله غيره او زمّل نفسه سمّى به النبىّ صلعم تهجينا لما كان عليه لانّه كان نائما او مرتعدا ممّا دهشه بدء الوحى متزمّلا فى قطيفة او تحسينا له اذ روى انّه كان يصلّى متلفّفا بمرط مفروش على عائشة فنزل او تشبيها له فى تثاقله بالمتزمّل لانّه لم يتمرّن بعد فى قيام الليل او من تزمّل الزمل اذا تحمّل الحمل اى الّذى تحمّل اعباء النبوّة (٢) قُمِ ٱللَّيْلَ اى قم الى الصلوة او داوم عليها وقرئ بضمّ الميم وفتحها للاتباع والتخفيف إِلَّا قَلِيلًا (٣) نِصْفَهُ أَوِ ٱنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٤) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلّته بالنسبة الى الكلّ والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير فى منه وعليه للاقلّ من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقلّ منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم اقلّ منه على البتّ وان يختار احد الامرين من الاقلّ والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانّه عامّ والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلًا اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكّن السامع من عدّها من قولهم ثغر رتل ورتّل اذا كان مفلّجا (٥) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا يعنى القران فانّه لما فيه من التكاليف الشاقّة ثقيل على المكلّفين سيّما على الرسول اذ كان عليه ان يتحمّلها ويحمّلها أمّته والجملة اعتراض يسهّل التكليف عليه بالتهجّد ويدلّ على انّه مشقّ مضادّ للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمّل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسرّ وتجريد للنظر او ثقيل فى الميزان او على الكفّار والفجّار او ثقيل تلقّيه لقول عائشة رضى اللّه عنها رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وانّ جبينه ليرفضّ عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستأنف فانّ التهجّد يعدّ للنفس ما به تعالج ثقله (٦) إِنَّ نَاشِئَةَ ٱللَّيْلِ انّ النفس الّتى تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض قال

نَشَأْنا الى خُوصٍ بَرَى نَيَّها السُّرَى   وأَلْصَقَ منها مُشْرِفاتِ القَماحد

او قيام الليل على انّ الناشئة له او العبادة الّتى تنشأ بالليل اى تحدث او ساعات الليل لانّها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الأوَل من نشأت اى ابتدأت هِيَ أَشَدُّ وَطْأً اى كُلفة او ثبات قدم وقرأ

ابو عمرو وابن عامر وِطَآءً بكسر الواو والف ممدودة اى مواطأة القلب اللسانَ لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص وَأَقْوَمُ قِيلًا اى واسدّ مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الاصوات (٧) إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا تقلّبا فى مهمّاتك واشتغالا بها فعليك بالتهجّد فانّ مناجاة الحقّ تستدعى فراغا وقرئ سَبْخًا اى تفرّق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه (٨) وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ودُمْ على ذكره ليلا ونهارا وذكرُ الله يتناول كلّ ما يُذكَر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا وانقطع اليه بالعبادة وجرّد نفسك عمّا سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضع موضع تبتّلا (٩) رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ خبر محذوف او مبتدأ خبره لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجرّ على البدل من ربّك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الّا هو فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا مسبّب عن التهليل فانّ توحّده بالالوهية يقتضى ان تُوكَلَ اليه الامورُ (١٠) وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ من الخرافات وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكلَ امرهم الى الله كما قال (١١) وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ دعنى وايّاهم وكل الىّ امرهم فانّ بى غُنْية عنك فى مجازاتهم أُولِي ٱلنَّعْمَةِ ارباب التنعّم يريد صناديد قريش وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا زمانا او امهالا (١٢) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا تعليل للامر والنِّكل القيد الثقيل وَجَحِيمًا (١٣) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ طعاما يَنْشَب فى الحلق كالضريع والزقّوم وَعَذَابًا أَلِيمًا ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه الّا اللّهُ تعالى، ولمّا كانت العقوبات الاربع ممّا يشترك فيها الاشباحُ والارواحُ فانّ النفوس العاصية المنهمكة فى الشهوات تبقى مقيّدة بحبّها والتعلّق بها عن التخلّص الى عالم المجرّدات متحرّقة بحرقة الفرقة متجرّعة غصّة الهجران معذّبة بالحرمان عن تجلّى انوار القدس فسّر العذاب بالحرمان عن لقاء الله (١٤) يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ تضطرب وتتزلزل ظرفٌ لما فى انّ لدينا انكالا من معنى الفعل وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا رملا مجتمعا كانّه فعيل بمعنى مفعول من كَثَبْتُ الشىء اذا جمعته مَهِيلًا منثورا من هِيلَ هيلا اذا نُثِر (١٥) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا يا اهل مكّة شَاهِدًا عَلَيْكُمْ يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة والامتناع كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا يعنى موسى ولم يعيّنه لانّ المقصود لم يتعلّق به (١٦) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ عرّفه لسبق ذكره فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ثقيلا من قولهم طعامٌ وبيلٌ لا يُستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم (١٧) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ بقيتم على الكفر يَوْمًا عذاب يوم يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا من شدّة هوله وهذا على الفرض او التمثيل واصله انّ الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصفا لليوم بالطول (١٨) ٱلسَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ منشقّ والتذكير على تأويل السقف او اضمار شىء بِهِ بشدّة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة مثلها فى

جزء ۲۹ رکوع ۱۴ مَفْعُولاً الضمير لله سبحانه وتعالى او اليوم على اضافة المصدر الى المفعول (۱۹) إِنَّ هٰذِهِ اى الآيات المُوعِدة تَذْكِرَةٌ عظة فَمَنْ شَآءَ ان يتعظ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا اى تقرّب اليه بسلوك التقوى (۲۰) إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ استعار الادنى للاقلّ لانّ الاقرب الى الشىء اقلّ بُعْدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيّون وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ بالنصب عطفا على ادنى وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ويقوم ذلك جماعة من اصحابك وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله تعالى فانّ تقديم اسمه مبتدأ مبنيًّا عليه يقدّر يُشعر بالاختصاص ويؤيّده قوله عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ اى لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات فَتَابَ عَلَيْكُمْ بالترخيص فى ترك القيام المقدّر ورفع التبعة فيه فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ فصلّوا ما تيسّر عليكم من صلوة الليل عبّر عن الصلوة بالقران كما عبّر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجّد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنُسخ به ثم نُسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرءوا القران بعينه كيف ما تيسّر عليكم عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ استيناف يبيّن حكمة اخرى مقتضيةً للترخيص والتخفيف ولذلك كرّر الحكم مرتّبا عليه وقال وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ والضربُ فى الارض ابتغاء للفضل المسافرةُ للتجارة وتحصيل العلم وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ المفروضة وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ الواجبة وَأَقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يريد به الامر بسائر الانفاقات فى سُبُل الخير او باداء الزكوة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرّح به فى قوله وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا من الّذى تؤخّرونه الى الوصيّة عند الموت او من متاع الدنيا ، وخيرًا ثانى مفعولَى تجدوا وهُوَ تأكيدٌ او فصلٌ لانّ أفعَلَ مِنْ كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هُوَ خَيْرٌ على الابتداء والخبر وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ فى مجامع احوالكم فانّ الانسان لا يخلو من تفريط إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ عن النبىّ صلعم من قرأ سورة المزّمّل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة ٠

سُورَةُ ٱلْمُدَّثِّرِ

مكّيّة وآيها خمس وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رکوع ۱۵ (۱) يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ اى المتدثّر وهو لابس الدثار رُوى انّه عم قال كنتُ بحراءٍ فنوديتُ فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ار شيئًا فنظرت فوقى فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعنى الملَك الّذى ناداه ؛

فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثّرونى فنزل جبريل وقال يا ايّها المدّثّر ولذلك قيل هى اوّل سورة جزء ٢٩
نزلت ، وقيل تأذّى من قريش فتغطّى بثوبه مفكّرا او كان نائما متدثّرا فنزلت ، وقيل المدّثّر المتدثّر ركوع ١٥
بالنبوّة والكمالات النفسانيّة ، او المختفى فانّه كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل الاستعارة ، وقرئ
ٱلْمُدَثِّرُ اى الّذى دثّر هذا الامر وعصّب به (٢) قُمْ من مضجعك او قم قيام عزم وجدّ فَأَنْذِرْ مطلق
٥ للتعميم او مقدّر بمفعول دلّ عليه قوله وأنذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الّا كافّة للناس بشيرا
ونذيرا (٣) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وخصّص ربّك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا ، روى انّه لمّا نزل كبّر رسول
اللّه صلعم وايقن انّه الوحى وذلك لانّ الشيطان لا يأمر بذلك ، والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى
الشرط وكانّه قال وما يكن فكبّر ربّك او الدلالة على انّ المقصود الاوّل من الامر بالقيام ان يكبّر ربّه
عن الشرك والتشبيه فانّ اوّل ما يجب معرفة الصانع واوّل ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم
١٠ كانوا مقرّين به (٤) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ من النجاسات فانّ التطهير واجب فى الصلوة محبوب فى غيرها وذلك
بغسلها او بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جرّ الذيول فيها وهو اوّل ما أُمر به من رفض العادات
المذمومة ، او طهّر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنيّة فيكون امرا باستكمال القوّة العمليّة بعد
امره باستكمال القوّة النظريّة والدعاء اليه ، او طهّر دثار النبوّة عمّا يدنّسه من الحقد والضجر وقلّة الصبر
(٥) وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ فاهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدّى اليه من الشرك وغيره من القبائح ، وقرأ
١٥ يعقوب وحفص وَٱلرُّجْزَ بالضمّ وهو لغة كالذُّكر (٦) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ ولا تُعط مستكثرا نهى عن
الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا فى عوض اكثر نهى تنزيه او نهيا خاصّا به لقوله صلعم المستغزر
يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنّة او لا تمنن على اللّه بعبادتك مستكثرا ايّاها او
على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا ايّاه ، وقرئ تَسْتَكْثِرْ بالسكون للوقف او الابدال
من تمنن على انّه من مَنّ بكذا او تستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار أن وقد قرئ بها
٢٠ وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روى أَحْضُرُ الوَغَى بالرفع (٧) وَلِرَبِّكَ لوجهه
او امره فَٱصْبِرْ فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاقّ التكاليف واذى المشركين (٨) فَإِذَا نُقِرَ نفخ فِي ٱلنَّاقُورِ
فى الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الّذى هو سبب الصوت ، والفاء للسببيّة كانّه
قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرّهم ، واذا ظرف لما دلّ عليه قوله
(٩) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (١٠) عَلَى ٱلْكَافِرِينَ لانّ معناه عسر الامر على الكافرين ، وذلك اشارة الى وقت
٢٥ النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدل له او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير
غَيْرُ يَسِيرٍ تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين
(١١) ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا نزلت فى الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اى ذرنى وحدى معه
فانّى اكفيكه او من التاء اى ومن خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احد او من العائد المحذوف

جزء ٢٩ اى من خلقته فريدا لا مال له ولا ولد او ذمٌّ فانّه كان ملقّبا به فسمّاه اللّه به تهكّما او ارادة انّه
ركوع ١٠ وحيد ولكن فى الشرارة او عن ابيه لانّه كان زنيما (١٢) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا مبسوطا كثيرا او
مَمدّا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة (١٣) وَبَنِينَ شُهُودًا حضورا معه بمكّة يتمتّع بلقائهم
لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج ان يرسلهم فى مصالحه لكثرة خدمه او فى
المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلّهم رجال فأسلم منهم ثلثة
خالد وعُمارة وهشام (١٤) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا وبسطت له الرئاسة والجاهَ العريض حتّى لُقّب ريحانة قريش
والوحيدَ اى باستحقاقه الرئاسة والتقدّم (١٥) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ على ما أُوتِيَه وهو استبعاد لطمعه
امّا لانّه لا مزيد على ما اوتى او لانّه لا يناسب ما هو عليه من كفران النِعَم ومعاندة المُنْعِم ولذلك قال
(١٦) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا فانّه ردعٌ له عن الطمع وتعليلٌ للردع على سبيل الاستيناف بمعاندة
آيات المُنْعِم المناسبة لازالة النعم المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول الآية فى نقصان ماله حتّى هلك
(١٧) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا سأُغْشيه عَقَبةً شاقّةَ المصعد وهو مَثَلٌ لما يَلْقى من الشدائد وعنه عم الصَعود جبل
من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثمّ يهوى فيه كذلك ابدا (١٨) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ تعليل للوعيد او بيان
للعناد والمعنى فكّر فيما يخيّل طعنا فى القران وقدّر فى نفسه ما يقول فيه (١٩) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ تعجّب
من تقديره استهزاء به او لانّه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله اللّه ما أشْجَعَه اى
بلغ فى الشجاعة مبلغا يحقّ ان يُحْسَد ويدعو عليه حاسدُه بذلك روى انّه مرّ بالنبىّ صلعم وهو يقرأ
حمٓ السجدة فأتى قومَه وقال لقد سمعت من محمّد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجنّ انّ له
لَحلاوة وانّ عليه لَطلاوة وانّ اعلاه لَمُثْمِر وانّ اسفله لَمُغْدِق وانّه لَيعلو ولا يُعْلَى فقال قريش صَبَا الوليدُ
فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلّمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون
انّ محمّدا مجنون فهل رايتموه يُخَنّق وتقولون انّه كاهن فهل رايتموه يتكهّن وتزعمون انّه شاعر فهل
رايتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو الّا ساحر اما رايتموه يفرّق بين الرجل واهله وولده ومواليه
ففرحوا بقوله وتفرّقوا متعجّبين منه (٢٠) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ تكرير للمبالغة وثُمّ للدلالة على انّ الثانية
ابلغ من الاولى وفيما بعدُ على اصلها (٢١) ثُمَّ نَظَرَ اى فى امر القران مرّة بعد اخرى (٢٢) ثُمَّ عَبَسَ قطب
وجهه لمّا لم يجد فيه مَطْعَنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول اللّه صلعم وقطب فى وجهه وَبَسَرَ
اتّباع لعبس (٢٣) ثُمَّ أَدْبَرَ عن الحقّ او الرسول وَاسْتَكْبَرَ عن اتّباعه (٢٤) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ
يُرْوَى ويتعلّم ، والفاء للدلالة على انّه لمّا خطرت هذه الكلمة بباله تفوّه بها من غير تلبّث وتفكّر
(٢٥) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها (٢٦) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ بدل من
سأرهقه صعودا (٢٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ تفخيم لشأنها وقوله (٢٨) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ بيان لذلك او حال

من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقى على شيء يُلقى فيها ولا تدعه حتّى يهلك (۲۹) لَوَّاحَةٌ جزء ۲۹ لِلْبَشَرِ مسوّدة لأعالي الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص (۳۰) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ رکوع ۱۵ مَلَكاً او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصّص لهذا العدد انّ اختلال النفوس البشريّة في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانيّة الاثنتى عشرة والطبيعيّة السبع او انّ لجهنّم سبع دركات ستّ منها لاصناف الكفّار وكلّ صنف يعذّب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب تناسبها وعلى كلّ نوع ملك او صنف يتولّاه وواحدة لعصاة الأمّة يعذّبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولّاه ملك او صنف او انّ الساعات اربع وعشرون خمس منها مصروفة في الصلوة فتبقى تسع عشرة قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولّاها الزبانية، وقرئ تِسْعَةَ عْشَرَ بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو كاسم واحد وتِسْعَةُ أَعْشُرٍ جمع عشير كيمين وأَيْمُن اى تسعة كلّ عشير جَمْع يعنى نقيبهم او جمع عَشْر فيكون تسعين (۳۱) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ليخالفوا جنس المعذّبين فلا يرقّوا لهم ولا يَسْتَرْوِحوا اليهم ولانّهم اقوى الخلق بأسا واشدّهم غضبا للّه روى انّ ابا جهل لمّا سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كلّ عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وما جعلنا عددهم الّا العدد الّذى اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبّر بالأثر عن المؤثّر تنبيها على انّه لا ينفكّ منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولّى هذا العدد القليل تعذيبَ اكثر الثقلين ولعلّ المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ اى ليكتسبوا اليقين بنبوّة محمّد صلعم وصدق القرآن لمّا رأوا ذلك موافقا لكتابهم وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب (۳۲) وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ اى في ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفى لما يعرض للمتيقّن حيثما عراه شبهة (۳۳) وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ شكّ او نفاق فيكون اخبارا بمكّة عمّا سيكون بالمدينة بعد الهجرة وَٱلْكَافِرُونَ الجازمون في التكذيب مَاذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً اىّ شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغرابَ المثل وقيل لمّا استبعدوه حسبوا انّه مثل مضروب (۳۴) كَذَلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مثلَ ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضلّ الكافرين ويهدى المؤمنين وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ جموعَ خلقه على ما هم عليه إِلَّا هُوَ اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطّلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاصَ كلّ منها بما يخصّه من كمّ وكيف واعتبارٍ ونسبةٍ وَمَا هِيَ وما سقر او عدّة الخزنة او السورة إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ الّا تذكرة لهم (۳۵) كَلَّا ردع لمن انكرها او انكار لأن يتذكّروا رکوع ۱۶ بها وَٱلْقَمَرِ (۳۶) وَٱللَّيْلِ إِذَا دَبَرَ اى أَدْبَرَ كقَبَل بمعنى أَقْبَلَ وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص إِذْ أَدْبَرَ على المضىّ (۳۷) وَٱلصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ اضاء (۳۸) إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ اى لاحدى البلايا الكبر اى البلايا الكبر

جزء ٢٩ ركوع ١٦ كثيرةٌ وسقر واحدةٌ منها وانّما جُمع كُبْرى على كُبَر الحاقا لها بفُعْلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما أُلحقت قاصعاء بقاصعة فجُمعت على قواصع ، والجملةُ جوابُ القسم او تعليل لكلّا والقسمُ معترض للتأكيد (٣٩) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ تمييز اى لاحدى الكبر انذارا او حال عمّا دلّت عليه الجملة اى كَبُرَتْ مُنْذرةً وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبرا لمحذوف (٤٠) لِمَنْ شَآءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ بدل من للبشر اى نذيرا للمتمكّنين من السبق الى الخير والتخلّف عنه او لمن شاء خبرٌ لأن يتقدّم فيكون فى معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (٤١) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ مرهونة عند الله مصدرٌ كالشتيمة أُطْلق للمفعول كالرَّهْن ولو كانت صفة لقيل رهينٌ إِلَّا أَصْحَابَ ٱلْيَمِينِ فانّهم فكّوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال (٤٢) فِي جَنَّاتٍ لا يُكْتَنه وصفها وهى حال من اصحاب اليمين او ضميرهم فى قوله يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ اى يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرَهم عن حالهم كقولك تداعيناه اى دعوناه (٤٣) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ بجوابه حكايةٌ لما جرى بين المسئولين والمجرمين اجابوا بها (٤٤) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ الصلوة الواجبة (٤٥) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ما يجب اعطاؤه وفيه دليل على انّ الكفّار مخاطَبون بالفروع (٤٦) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَائِضِينَ نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه (٤٧) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ اخّره لتعظيمه اى وكنّا بعد ذلك كلّه مكذّبين بالقيامة (٤٨) حَتَّى أَتَانَا ٱلْيَقِينُ الموت ومقدّماته (٤٩) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ ٱلشَّافِعِينَ لو شفعوا لهم جميعا (٥٠) فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ معرضين عن التذكير يعنى القران او ما يعمّه ومعرضين حال (٥١) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ شبّههم فى اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ اى اسد فَعْوَلةٌ من القسر وهو القهر (٥٢) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً قراطيس تُنْشَر وتقرأ وذلك انّهم قالوا للنبىّ لن نتبعك حتّى تأتى كُلّا منّا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان اتبعْ محمّدا (٥٣) كَلَّا ردعٌ عن اقتراحهم الآيات بَلْ لَا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف (٥٤) كَلَّا ردعٌ عن اعراضهم إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ وأىّ تذكرة فَمَنْ شَآءَ ذَكَرَهُ فمن شاء ان يذكره ذكره (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَآءَ ٱللَّهُ ذكرهم او مشيئتهم كقوله وما تشاءون الّا ان يشاء الله وهو تصريح بانّ فعل العبد بمشيئة الله ، وقرأ نافع تَذْكُرُونَ بالتاء وقرئ بهما مشدّدا هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَى حقيق بأن يُتّقى عقابه وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ حقيق بأن يَغْفر لعباده سيّما المتّقين منهم ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة المدّثّر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدّق بمحمّد وكذّب به بمكّة ٥

سُورَةُ ٱلْقِيٰمَةِ

مكّيّة وآيها اربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ ادخالُ لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائعٌ فى كلامهم قال امرؤُ القيس جزء ٢٩

لا وأبيكِ ابنةَ العامرىّ   لا يدّعى القومُ أنّى أفِرّ . ركوع ١٧

وقد مرّ الكلام فيه فى قوله فلا اقسم بمواقع النجوم (٢) وَلَا أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ بالنفس المتّقية الّتى تلوم النفوس المقصّرة فى التقوى يوم القيامة على تقصيرها او الّتى تلوم نفسها ابدًا وان اجتهدت فى الطاعة او النفس المطمئنّة اللائمة للنفس الامّارة او بالجنس لما رُوى انّه عم قال ليس من نفس برّة ولا فاجرة الّا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرّا قالت ليتنى كنتُ قصّرتُ او نفس آدم عم فانّها لم تزل تتلوّم على ما خرجت به من الجنّة ، وضمّها الى يوم القيامة لانّ المقصود من اقامتهما مُجازاتُها (٣) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنْسَانُ يعنى الجنس واسنادُ الفعل اليه لانّ فيهم من يحسب او الّذى نزل فيه وهو عدىّ بن ابى ربيعة سأل رسول اللّه صلعم عن امر القيامة فاخبره به فقال لو عاينتُ ذلك اليوم لم اصدّقك أَوَيجمع اللّه هذه العظام أَن لَن نَجْمَعَ عِظَامَهُ بعد تفرّقها وقرئ أَن لَن يُجْمَعَ على البناء للمفعول (٤) بَلَىٰ نجمعها قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُسَوِّيَ بَنَانَهُ بجمع سُلامَياته وضمّ بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوّى بنانه الّذى هو اطرافه فكيف بغيرها ، وهو حال من فاعل الفعل المقدّر بعد بلى وقرئ بالرفع اى نحن قادرون (٥) بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنْسَانُ عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهَم وعن الاستفهام لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (٦) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيٰمَةِ متى يكون استبعادا او استهزاء (٧) فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ تحيّر فزعا من بَرِقَ الرجلُ اذا نظر الى البرق فدهش بصرُه وقرأ نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لَمَعَ من شدّة شخوصه وقرئ بَلَقَ من بَلَقَ البابُ اى انفتح (٨) وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ذهب ضوءه وقرئ على بناء المفعول (٩) وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ فى ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانّه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على أمارات الموت أن يفسّر الخسوفَ بذهاب ضوء البصر والجمعَ باستتباع الروح الحاسّةَ فى الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نورَ العقل من سكّان القدس ، وتذكير الفعل لتقدّمه وتغليب المعطوف (١٠) يَقُولُ ٱلْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ اى الفرار يقوله قولَ الآيس من وجدانه المتمنّى وقرئ بالكسر وهو المكان (١١) كَلَّا ردعٌ عن طلب المفرّ لَا وَزَرَ لا ملجأ مستعارٌ من الجبل واشتقاقه من الوِزْر وهو الثقل

*

جزء ٢٩ ركوع ١٧ (١٢) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ اليه وحده استقرارُ العباد او الى حكمه استقرارُ امرهم او الى مشيئته موضعُ قرارهم يُدْخِل من شاء الجنّة ومن شاء النار (١٣) يُنَبَّأُ ٱلْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ بما قدّم من عَمَلٍ عَمِلَه وبما اخّر منه لم يعمله او بما قدّم من عمل عمله وبما اخّر من سنّة عمل بها بعده او بما قدّم من مال تصدّق به وبما اخّر فخلّفه او بأوّل عمله وآخره (١٤) بَلِ ٱلْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ حجّة بيّنة على اعمالها لانّه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عينٌ بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء (١٥) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ولو جاء بكلّ ما يمكن ان يعتذر به جمع مِعْذار وهو العُذر او جمع مَعْذِرة على غير قياس كالمناكير فى المُنْكَر فانّ قياسه مَعاذِر وذلك اولى وفيه نظرٌ (١٦) لَا تُحَرِّكْ يا محمّد بِهِ بالقران لِسَانَكَ قبل ان يتمّ وحيه لِتَعْجَلَ بِهِ لتأخذه على عجلة مخافةَ ان ينفلت منك (١٧) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ فى صدرك وَقُرْآنَهُ واثباتَ قراءته فى لسانك وهو تعليل للنهى (١٨) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ بلسان جبريل عليك فَٱتَّبِعْ قُرْآنَهُ قراءته وتكرّرْ فيه حتّى يرسخ فى ذهنك (١٩) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ بيانَ ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكّد التوبيخ على حُبّ العجلة لأنّ العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهمّ الامور وأصل الدين فكيف بها فى غيره او بذكر ما اتّفق فى اثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انّه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال لا تحرّك به لسانك لتعجل به فانّ علينا بمقتضى الوعد جَمْعَ ما فيه من اعمالك وقراءته فاذا قرأناه فاتّبعْ قراءته بالاقرار او التأمّل فيه ثمّ انّ علينا بيانَ امره بالجزاء عليه (٢٠) كَلَّا ردعٌ للرسول عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ (٢١) وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ تعميم للخطاب اشعارا بانّ بنى آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيّده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريّين بالياء فيهما (٢٢) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ بهيّة متهلّلة (٢٣) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عمّا سواه ولذلك تقدّم المفعول وليس هذا فى كلّ الاحوال حتّى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرةٌ انعامَه وردّ بأنّ الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيرُه بالجملة خلافُ الظاهر وأنّ المستعمَل بمعناه لا يتعدّى بالى وقولُ الشاعر

وإذا نظرتُ اليك من مَلِكٍ والبحرُ دُونَك زِدْتَنى نِعَما

بمعنى السؤال فانّ الانتظار لا يستعقب العطاء (٢٤) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ شديدة العبوس والباسلُ ابلغ من الباسر لكنّه غلب فى الشجاع اذا اشتدّ كلوحه (٢٥) تَظُنُّ تتوقّع اربابُها أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ داهية تكسر الفَقارَ (٢٦) كَلَّا ردعٌ عن ايثار الدنيا على الآخرة إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ اذا بلغت النفسُ اعالى الصدر واضمارُها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها (٢٧) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وقال حاضرو صاحبها من يَرْقيه ممّا به

جزء ٢٩ من الرُّقَى او قال ملائكة الموت أيّكم يَرْقَى بِرُوحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرُّقِيّ
ركوع ١٧ (٢٨) وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ وظنّ المحتضر انّ الّذى نزل به فراق الدنيا ومحابّها (٢٩) وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ
والتوت ساقه بساقه فلا يقدر على تحريكهما او شدّة فراق الدنيا بشدّة خوف الآخرة (٣٠) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ
ركوع ١٨ ٱلْمَسَاقُ سَوْقه الى اللّه وحكمه (٣١) فَلَا صَدَّقَ ما يجب تصديقه او فلا صدّق ماله اى فلا زكّاه وَلَا صَلَّىٰ
٥ ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى ايحسب الانسان (٣٢) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ عن الطاعة
(٣٣) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ يتبختر افتخارا بذلك من المطّ فانّ المتبختر يمدّ خطاه فيكون اصله
يتمطّط او من المطا وهو الظهر فانّه يلويه (٣٤) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ويل لك من الولى وأصله اولاك اللّه ما تكرهه
واللام مزيدة كما فى رَدِفَ لكم او اولى لك الهلاك وقيل أَفْعَل من الويل بعد القلب كأدْنَى من أدْوَن او
فَعْلَى من آل يؤول بمعنى عُقْباك النار (٣٥) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ اى يتكرّر ذلك عليه مرّة بعد اخرى
١٠ (٣٦) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى مُهْمَلا لا يكلّف ولا يجازى وهو يتضمّن تكرير انكاره للحشر
والدلالة عليه من حيث انّ الحكمة تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن القبائح والتكليف لا يتحقّق
الّا بالمجازاة وهى قد لا تكون فى الدنيا فتكون فى الآخرة (٣٧) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٨) ثُمَّ كَانَ
عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فقدّره فعدّله (٣٩) فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ الصنفين ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ وهو استدلال آخر
بالابداء على الاعادة على ما مرّ تقريره مرارا ولذلك رتّب عليه قوله (٤٠) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ
١٥ ٱلْمَوْتَىٰ عن النبىّ صلعم انّه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى ، وعنه عم من قرأ سورة القيمة شهدت له
انا وجبريل يوم القيمة أنّه كان مؤمنا به •

سُورَةُ ٱلْإِنسَانِ

مكّيّة وآيها احدى وثلثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٢٠ (١) هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَانِ استفهام تقرير وتقريب ولذلك فُسّر بقد وأصله أهل كقوله • أهل رأونا بسفح ركوع ١٩
القاع ذى الأكم • حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ طائفة محدودة من الزمان الممتدّ الغير المحدود لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا
بل كان شيئا منسيّا غير مذكور بالانسانيّة كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف
لحين بحذف الراجع ، والمراد بالانسان الجنس لقوله (٢) إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ او آدم بيّن اوّلا
خلقه ثمّ ذكر خلق بنيه أَمْشَاجٍ أخلاط جمع مَشَج او مِشْج او مَشِيج من مشجت الشىء اذا

جزء ٢٩ ركوع ١٩

خلطته وجمع النطفة به لانّ المراد بها مجموعُ منىّ الرجل والمرأة وكلّ منهما مختلفة الاجزاء فى الرقّة والقوام والخواصّ ولذلك يصير كلّ جزء منهما مادّة عضو وقيل مُفْرَدٌ كأَعْشار وأَكْياش وقيل أَلْوان فانّ ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اختلطا اخضرّا او أَطْوار فانّ النطفة تصير عَلَقة ثمّ مُضْغة الى تمام الخلقة نَبْتَلِيهِ فى موقع الحال اى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال واستعار له الابتلاء فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ليتمكّن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبَّب من الابتلاء ولذلك عُطف بالفاء على الفعل المقيّد به ورُتّب عليه قوله (٣) اِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ اى بنصب الدلائل وانزال الآيات اِمَّا شَاكِرًا وَاِمَّا كَفُورًا حالان من الهاء وامّا للتفصيل او التقسيم اى هديناه فى حالَيْه جميعا او مقسوما اليهما بعضُهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضُهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفُه بالشكر والكفر مجاز وقرئ أَمَّا بالفتح على حذف الجواب ، ولعلّه لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظةً على الفواصل واشعارا بانّ الانسان لا يخلو من كفران غالبا وانّما المؤاخذ به التوغّل فيه (٤) اِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ بها يُقادون وَأَغْلَالًا بها يقيَّدون وَسَعِيرًا بها يُحْرَقون ، وتقديم وعيدهم وقد تأخّر ذكرهم لانّ الانذار اهمّ وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن ، وقرأ نافع والكسائىّ وابو بكر سَلَاسِلًا للمناسبة (٥) اِنَّ ٱلْأَبْرَارَ جمع برّ كأرباب او بارّ كأشهاد يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ من خمر وهى فى الاصل لقدح تكون فيه كَانَ مِزَاجُهَا ما يُمزج بها كَافُورًا لبَرْده وعذوبته وطيب عَرْفه وقيل اسم ماء فى الجنّة يشبه الكافور فى رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيّات الكافور فتكون كالممزوجة به (٦) عَيْنًا بدلٌ من كافورا اِن جُعل اسم ماء او من محلّ من كأس على تقدير مضاف اى ماء عينٍ او خمرَها او نصبٌ على الاختصاص او بفعل يفسّره ما بعده يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللّٰهِ اى ملتذّا او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى مِنْ لانّ الشرب مبتدأ منها كما هو يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يُجرونها حيث شاءوا اجراء سهلا (٧) يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ استيناف ببيان ما رُزقوه لاجله كانّه سُئل عنه فأُجيب بذلك وهو ابلغ فى وصفهم بالتوفّر على اداء الواجبات لانّ من وفى بما اوجبه على نفسه للّه كان أَوْفَى بما اوجبه اللّه عليه وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ شدائده مُسْتَطِيرًا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصى (٨) وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ حبّ اللّه او الطعام او الاطعام مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا يعنى اسراء الكفّار فانّه عم كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسنْ اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفى الحديث غريمك اسيرك فأحسنْ الى اسيرك (٩) اِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللّٰهِ على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحةً لتوهّم المنّ وتوقّع المكافاة المنقصة للاجر وعن عائشة رضى اللّه عنها انّها كانت تَبْعث بالصدقة الى اهل بيت ثمّ تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثوابُ الصدقة لها خالصا عند اللّه لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا اى شكرا

(١٠) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافاة منكم يَوْمًا عذاب يوم عَبُوسًا تَعْبِس جزء ٢٩
فيه الوجوه او يُشْبِه الأسدَ العبوسَ فى ضراوته قَمْطَرِيرًا شديد العُبوس كالذى يجمع بين عينيه من ركوع ١٩
اقمطرّت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قُطْرَيْها مشتقٌّ من القُطْر والميمُ مزيدة (١١) فَوَقَاهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمِ بسبب خوفهم وتحفّظهم عنه وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا بدلَ عُبوس الفُجّار وحزنهم (١٢) وَجَزَاهُمْ بِمَا
صَبَرُوا بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرّمات وايثار الاموال جَنَّةً بستانا يأكلون منه وَحَرِيرًا
يلبسونه عن ابن عبّاس رضى اللّه عنهما انّ الحسن والحسين رضى اللّه عنهما مرضا فعادهما رسول اللّه
صلعم فى ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرتَ على ولدك فنذر علىّ وفاطمة وفضّة جارية لهما صومَ ثلاث
إن برئا فشُفيا وما معهم شىء فاستقرض علىّ من شمعون الخيبرىّ ثلاث أَصْوُع من شعير فطحنت فاطمة
صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوها بين ايديهم ليُفْطِروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم
يذوقوا الّا الماء واصبحوا صياما فلمّا امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثمّ وقف عليهم فى
الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه السورة وقال خذها يا محمّد هنّأك اللّه فى اهل بيتك
(١٣) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَائِكِ حال من هم فى جزاهم او صفة لجنّة لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا
يحتملهما وأن يكون حالا من المستكنّ فى متّكئين والمعنى انّه يمرّ عليهم فيها هواء معتدل لا حارٌّ مُحْمٍ ولا
بارد مؤذٍ وقيل الزمهرير القمر فى لغة طىّ قال

وليلةٍ ظلامُها قد اعتكرْ   قطعتُها والزمهريرُ ما زَهَرْ

والمعنى انّ هواءها مُضىء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر (١٤) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا حال او صفة اخرى
معطوفة على ما قبلها او عطف على جنّة اى وجنّة اخرى دانية على انّهم وُعِدوا جنّتين كقوله ولمن
خاف مقامَ ربّه جنّتان وقرئت بالرفع على انّها خبر ظلالها والجملة حال او صفة وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا
معطوف على ما قبله او حال من دانية ، وتذليل القطوف ان تُجْعَل سهلةَ التناول لا تمتنع على قُطّافها
كيف شاءوا (١٥) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ واباريق بلا عروة كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٦) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ
اى تكوّنت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضّة ولينها ، وقد نوّن قواريرَ من نوّن سلاسل
وابن كثير الاولى لانّها رأس الآية وقرئ قَوَارِيرُ مِنْ فِضَّةٍ على هى قواريرُ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا اى قدّروها فى
انفسهم فجاءت مقاديرُها وأشكالُها كما تمنّوه او قدّروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدّر
الطائفون بها المدلولُ عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قُدِّرُوهَا اى جُعلوا قادرين
لها كما شاءوا من قدّر منقولا من قَدَرْتُ الشىء (١٧) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا
ما يشبه الزنجبيل فى الطعم وكانت العرب يستلذّون الشراب الممزوج به (١٨) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا
لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يقال شرابٌ سَلْسَلٌ وسَلْسال وسَلْسبيل ولذلك حُكم بزيادة

جزء ٢٩ الباء والمرادُ به ان ينفى عنها لَذْعَ الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سَلْ سَبيلاً فسمّيت به كتأبّط
ركوع ١٩ شرّا لانّه لا يشرب منها الّا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح (١٩) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ دائمون
إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا من صفاء الوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى
بعض (٢٠) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدّر لانّه عامّ معناه انّ بصرك اينما وقع رَأَيْتَ نَعِيمًا
وَمُلْكًا كَبِيرًا واسعا وفى الحديث أَدْنَى اهل الجنّة منزلةً ينظر فى ملكه مسيرةَ الف عام يرى اقصاه كما
يرى ادناه هذا وللعارف اكبرُ من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضىء
بانوار قدس الجبروت (٢١) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رقّ منها وما غلظ
ونصبه على الحال من هم فى عليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اى وأَهْلَ مُلْكٍ كبيرٍ عالِيَهم
وقرأ نافع وحمزة بالرفع فى عَالِيهِمْ على انّه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خُضْرٍ بالجرّ حملا على سندس
بالمعنى فانّه اسم جنس وَإِسْتَبْرَقٌ بالرفع عطفا على ثياب وقرأهما حفص وحمزة والكسائىّ بالرفع وقرئ
وَٱسْتَبْرَقَ بوصل الهمزة والفتح على انّه آستفعل من البريق فجُعل عَلَما لهذا النوع من الثياب وَحُلُّوا
أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ عطفٌ على ويطوف عليهم ولا يخالف قولَه اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة
والتبعيض فانّ حُلىّ اهل الجنّة تختلف باختلاف اعمالهم فلعلّه تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه
بايديهم حُليّا وانوارا تتفاوتُ تفاوُتَ الذهب والفضّة او حالٌ من الضمير فى عاليهم باضمار قَدْ وعلى
هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا يريد به نوعا آخر
يفوق على النوعين المتقدّمين ولذلك اسند سقيه الى اللّه ووصفه بالطهوريّة فانّه يطهّر شاربه عن الميل الى
اللذّات الحسّيّة والركون الى ما سوى الحقّ فيتجرّد لمطالعة جماله ملتذّا بلقائه باقيا ببقائه وهى منتهى
درجات الصدّيقين ولذلك ختم به ثواب الابرار (٢٢) إِنَّ هٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً على اضمار القول والاشارةُ الى
ركوع ٢٠ ما عدّ من ثوابهم وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا مجازًى عليه غير مضيّع (٢٣) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ تَنْزِيلًا
مفرّقا منجّما لحكمة اقتضته ، وتكريرُ الضمير مع إنّ مزيدٌ لاختصاص التنزيل به (٢٤) فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ
بتأخير نصرك على كفّار مكّة وغيرهم وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا اى كلّ واحد من مرتكب الاثم الداعى
لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى لك اليه وأَوْ للدلالة على انّهما سيّان فى استحقاق العصيان والاستقلال
به والتقسيمُ باعتبار ما يدعونه اليه فانّ ترتّب النهى على الوصفين مُشْعِرٌ بانّه لهما وذلك يستدعى ان
تكون المطاوعة فى الاثم والكفر فانّ مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غيرُ محظور (٢٥) وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا وداوِمْ على ذكره او دُمْ على صلوة الفجر والظهر والعصر فانّ الاصيل يتناول وقتيهما
(٢٦) وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُ وبعضَ الليل فصلّ له ولعلّ المراد به صلوة المغرب والعشاء وتقديمُ الظرف لما

جزء ٢٩ / ركوع ٢٠

فى صلوة الليل من مزيد الكُلفة والخلوص وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا وتهجّد له طائفة طويلة من الليل (٢٧) إِنَّ هٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ امامهم او خلف ظهورهم يَوْمًا ثَقِيلًا شديدا مستعارٌ من الثِّقْل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه (٢٨) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وأحكمنا رَبْط مفاصلهم بالأعصاب وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا واذا شئنا اهلكناهم وبدّلنا امثالهم تبديلا فى الخلقة وشدّة الاسر يعنى النشأة الثانية ولذلك جىء باذا او بدّلنا غيرهم ممّن يُطيع واذا لتحقق القدرة وقوّة الداعية (٢٩) إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ الاشارة الى السورة او الآيات القريبة فَمَنْ شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا تقرّب اليه بالطاعة (٣٠) وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَآءَ ٱللَّهُ وما تشاءون ذلك الّا وقت ان يشاء الله مشيئتكم وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو يَشَآءُونَ بالياء إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بما يستأهل كلّ احد حَكِيمًا لا يشاء الّا ما تقتضيه حكمته (٣١) يُدْخِلُ مَنْ يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِ بالهداية والتوفيق للطاعة وَٱلظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا نصب الظالمين بفعل يفسّره أَعَدَّ لَهُمْ مثل أَوْعَدَ وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنّة وحريرا ٠

سُورَةُ ٱلْمُرْسَلَاتِ

مكّيّة وآيها خمسون آيــة

بِسْـــــــــــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٢١

(١) وَٱلْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (٢) فَٱلْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٣) وَٱلنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٤) فَٱلْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٥) فَٱلْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا اقسام بطوائف من الملائكة ارسلهنّ الله تعالى باوامره متتابعة فعصفن عَصْف الرياح فى الامتثال ونشرن الشرائع فى الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحقّ والباطل فألقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمُحِقّين ونذرا للمُبْطلين او بآيات القران المرسلة بكلّ عُرْف الى محمّد صلعم فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحِكَم فى الشرق والغرب ففرقن بين الحقّ والباطل فألقين ذكر الحقّ فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحقّ ونشرن اثر ذلك فى جميع الاعضاء ففرقن بين الحقّ بذاته والباطل فى نفسه فيرون كلّ شىء هالكا الّا وجهه فألقين ذكرا بحيث لا يكون فى القلوب والالسنة الّا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب فى الجوّ ففرقن فألقين ذكرا اى تسبّبن له فانّ العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله سبحانه وتذكّر كمال قدرته ، وعُرْفًا امّا نقيض النُّكْر وانتصابه على العلّة

جزء ٢٩ ركوع ٢ اى ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتتابعة من عُرْف الفرس وانتصابه على الحال (٦) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا مصدران لعَذَرَ اذا محا الاساءة وأَنْذَرَ اذا خوّف أو جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاوّلين بالعلّيّة اى عذرا للمحقّين ونذرا للمبطلين او البدل من ذكرا على انّ المراد به الوحى او ما يعمّ التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحاليّة ، وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائىّ وحفص بالتخفيف (٧) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ جواب القسم ومعناه انّ الّذى توعدونه من مجىء القيامة كائن لا محالة (٨) فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ محقت او أُذهب نورها (٩) وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ صُدعت (١٠) وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ كالحبّ يُنْسَف بالمِنْسف (١١) وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ عُيّن لها وقتها الّذى يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانّه لا يتعيّن لهم قبله او بُلّغت ميقاتها الّذى كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وُقِّتَتْ على الاصل (١٢) لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ اى يقال لأىّ يوم اخّرت وضُرب الاجلُ للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثانى مفعولَى أُقِّتَتْ على انّه بمعنى اعلمت (١٣) لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ بيان ليوم التأجيل (١٤) وَمَآ أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ومِنْ اين تعلم كُنْهه ولم تر مثْله (١٥) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ اى بذلك ، وويل فى الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عُدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهُلْك للمدعوّ عليه ويومئذ ظرفه او صفته (١٦) أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نَهْلِك من هلكه بمعنى اهلكه (١٧) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ اى ثمّ نحن نُتْبعهم نظراءهم ككفّار مكّة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخّرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام (١٨) كَذَٰلِكَ مثل ذلك الفعل نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ بكلّ من اجرم (١٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ بآيات الله وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علّق فى الموضعين بواحد لانّ الويل الاوّل لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك فى الدنيا مع انّ التكرير للتوكيد حسنٌ شائع فى كلام العرب (٢٠) أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ نطفة مَذِرة ذليلة (٢١) فَجَعَلْنَاهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ هو الرحم (٢٢) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ الى مقدار معلوم من الوقت قدّره الله للولادة (٢٣) فَقَدَرْنَا فقدرنا على ذلك او فقدّرناه ويدلّ عليه قراءة نافع والكسائىّ بالتشديد فَنِعْمَ ٱلْقَادِرُونَ نحن (٢٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ بقدرتنا على ذلك او على الاعادة (٢٥) أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا كافتة اسمٌ لما يكفت اى يضمّ ويجمع كالضمام والجماع لما يضمّ ويجمع او مصدرٌ نُعت به او جمعُ كافتٍ كصائم وصيام او كِفْتٍ وهو الوعاء أُجْرى على الارض باعتبار اقطارها (٢٦) أَحْيَآءً وَأَمْوَاتًا منتصبان على المفعوليّة وتنكيرهما للتفخيم او لانّ احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او الحاليّة من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بنجعل على المفعوليّة وكفاتا حال او الحاليّة فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت

جزء ۲۹ ركوع ۲۱

(۲۷) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم او الاشعار بانّ فيها ما لم يُعرف ولم يُرَ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا بخلق الانهار والمنابع فيها (۲۸) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بأمثال هذه النِعَم (۲۹) اِنْطَلِقُوا اى يقال لهم انطلقوا اِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ من العذاب (۳۰) اِنْطَلِقُوا خصوصا وعن يعقوب اِنْطَلَقُوا على الاخبار عن امتثالهم للامر اضطرارا اِلَى ظِلٍّ يعنى ظلّ دخان جهنّم لقوله تعالى وظلّ من يحموم ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ يتشعّب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرّق ذوائب وخصوصيّة الثلث امّا لانّ حجاب النفس عن انوار القدس الحسّ والخيال والوهم او لانّ المؤدّى الى هذا العذاب هو القوّة الواهمة الحالّة فى الدماغ والغضبيّة الّتى فى يمين القلب والشهويّة الّتى فى يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره (۳۱) لَا ظَلِيلٍ تهكّم بهم وردّ لما اوهم لفظ الظلّ وَلَا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ وغير مغنٍ عنهم من حرّ اللهب شيئا (۳۲) اِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ اى كلّ شررة كالقصر فى عظمها ويؤيّده انّه قرئ بِشَرَارٍ وقيل هو جمع قَصْرة وهى الشجرة الغليظة وقرئ كَالْقُصُرِ بمعنى القُصور كرُهُن ورَهْن وكَالْقَصَرِ جمع قَصَرة كحاجة وحوج وكَالْقِصَرِ جمع قِصَرة وهى اصل العنق والهاء للشُعَب (۳۳) كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ جمع جِمال او جمالة جمع جَمَل صُفْرٌ فانّ الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود لانّ سواد الابل يضرب الى الصفرة والاوّل تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جِمَالَةٌ وعن يعقوب جُمَالَاتٌ بالضمّ جمع جُمَالة وقد قرئ بها وهى الحبل الغليظ من حبال السفينة شبّه بها فى امتداده والتفافه (۳۴) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۳۵) هٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ اى بما يستحقّ فانّ النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشىء من فرط الدهشة والحيرة وهذا فى بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اى هذا الّذى ذُكر واقع يومئذ (۳۶) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ عطف فيعتذرون على يؤذن ليدلّ على نفى الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جُعل جوابا لدلّ على انّ عدم اعتذارهم لعدم الاذن فأوهم ذلك انّ لهم عذرا لكن لا يؤذن لهم فيه (۳۷) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۳۸) هٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ بين المحقّ والمبطل جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ تقرير وبيان للفصل (۳۹) فَاِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم (۴۰) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

ركوع ۲۲

اذ لا حيلة لهم فى التخلّص من العذاب (۴۱) اِنَّ الْمُتَّقِينَ عن الشرك لانّهم فى مقابلة المكذّبين فِى ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (۴۲) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ مستقرّون فى انواع الترفّه (۴۳) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اى مقولا لهم ذلك (۴۴) اِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ فى العقيدة (۴۵) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ يمحّص لهم العذاب المخلّد ولخصومهم الثواب المؤبّد (۴۶) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا اِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ حال من المكذّبين اى

*

جزء ٢٩ ركوع ١٣ الويل ثابت لهم فى حالِ ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا وبما جَنَوْا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم (٤٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ حيث عرّضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتّع القليل (٤٨) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا اطيعوا او اخضعوا او صلّوا او اركعوا فى الصلوة اذ روى انّه نزل حين امر رسول اللّه ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نُجبّى فانّها مَسَبّة وقيل هو يومَ القيامة حين يُدْعَوْن الى السجود فلا يستطيعون لَا يَرْكَعُونَ لا يمتثلون واستُدلّ به على انّ الامر للوجوب وانّ الكفّار مخاطَبون بالفروع (٤٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٥٠) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ بعد القران يُؤْمِنُونَ اذ لم يؤمنوا به وهو معجز فى ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعانى الشريفة ' قال النبىّ عم من قرأ سورة المرسلات كُتب له انّه ليس من المشركين •

سُورَةُ ٱلنَّبَإِ

مكّيّة وآيها احدى واربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ٣٠ ركوع ١ (١) عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ اصله عن ما فحذف الالف لما مرّ ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كانّه لفخامته خَفِى جنسه فيُسْأَل عنه ' والضمير لاهل مكّة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم اى يدعونهم ويرونهم او للناس (٢) عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ بيان للشأن المفخّم او صلة يتساءلون وعمّ متعلّق بمضمر مفسّر به ويدلّ عليه قراءة يعقوب عَمَّهْ (٣) ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ بجزم النفى والشكّ فيه او بالاقرار والانكار (٤) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ردع عن التساؤل ووعيد عليه (٥) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ تكرير للمبالغة وثمّ للاشعار بانّ الوعيد الثانى اشدّ وقيل الاوّل عند النزع والثانى فى القيامة او الاوّل للبعث والثانى للجزاء ' وعن ابن عامر سَتَعْلَمُونَ بالتاء على تقدير قُلْ لهم ستعلمون (٦) أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَادًا (٧) وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صُنْعه الدالّة على كمال قدرته ليستدلّوا بذلك على صحّة البعث كما مرّ تقريره مرارا ' وقرئ مَهْدًا اى انّها لهم كالمهد للصبىّ مصدرٌ سُمّى به ما يُمْهَد لينوّم عليه (٨) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ذكرا وانثى (٩) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا قطعا عن الاحساس والحركة استراحةً للقوى الحيوانيّة وازاحةً لكلالها او موتا لانّه احد التوفّيين ومنه المسبوت للميّت واصله القطع (١٠) وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء (١١) وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا وقت معاش تتقلّبون فيه لتحصيل ما تعيشون به او حيوة تنبعثون فيها عن نومكم (١٢) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا سبع سموات اقوياء

جزء ٣٠ ركوع ١

مُحْكَمات لا يؤثّر فيها مرور الدهور (١٣) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا متلألئا وقّادا من وهجت النارُ اذا اضاءت او بالغا فى الحرارة من الوَهَج وهو الحرّ والمراد الشمس (١٤) وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ السحائب اذا أَعْصَرَت اى شارفت ان تَعْصِرها الرياحُ فتمطر كقولك أَحْصَدَ الزرعُ اذا حان له ان يُحْصَد ومنه اعصرت الجاريةُ اذا دنت ان تحيض او من الرياح الّتى حان لها ان تَعْصِر السحابَ او الرياح ذوات الاعاصير وانّما جُعلتْ مبدأً للانزال لانّها تُنْشِئُ السحابَ وتُدِرّ أخلافه ويؤيّده انّه قرئ بِٱلْمُعْصِرَاتِ مَآءً ثَجَّاجًا منصبّا بكثرة يقال ثجّه وثجّ بنفسه وفى الحديث افضلُ الحجّ العَجّ والثَّجّ اى رفعُ الصوت بالتلبية وصبُّ دماء الهَدْى وقرئ ثَجَّاحًا ومَثَاجِحُ الماء مَصابّه (١٥) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ما يُقْتات به وما يُعْتلف من التبن والحشيش (١٦) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ملتفّة بعضها ببعض جمعُ لِفّ كجِذْع قال • جنّةٌ لِفٌّ وعَيْشٌ مُغْدِقٌ • او لفيفٍ كشريف او لُفّ جمع لَفّاء كخُضرا وخُضْر وأخضار او ملتفّة بحذف الزوائد (١٧) إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ فى علم اللّه او فى حكمه مِيقَاتًا حدّا توقّت به الدنيا وتنتهى عنده او حدّا للخلائق ينتهون اليه (١٨) يَوْمَ يُنْفَخُ فِى ٱلصُّورِ بدل او بيان ليوم الفصل فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا جماعات من القبور الى المحشر روى انّه عم سئل عنه فقال يُحْشَر عشرة اصناف من امّتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكّسون يُسْحَبُون على وجوههم وبعضهم عُمْى وبعضهم صُمّ بُكْم وبعضهم يمضغون السنتهم فهى مدلّاة على صدورهم يسيل القَيْح من افواههم يتقذّرهم اهل الجمع وبعضهم مقطّعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلّبون على جذوع من نار وبعضهم اشدّ نتنا من الجيف وبعضهم مُلْبَسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثمّ فسّرهم بالقتّات وأهل السُحْت وأكلة الربا والجائرين فى الحكم والمُعْجَبين باعمالهم والعلماء الّذين خالف قولُهم عملَهم والموذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حقّ اللّه والمتكبّرين الخُيَلاء (١٩) وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ وشُقّقت وقرأ الكوفيّون بالتخفيف فَكَانَتْ أَبْوَابًا فصارت من كثرة الشقوق كانّ الكلّ ابواب او فصارت ذات ابواب (٢٠) وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ اى فى الهواء كالهباء فَكَانَتْ سَرَابًا مثلَ سراب اذ تُرى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتّت اجزائها وانبثاثها (٢١) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا موضعَ رصد يرصد فيه خَزَنةُ النار الكفّارَ او خَزَنةُ الجنّة المومنين ليحرسوهم من فَيْحها فى مجازهم عليها كالمِضْمار فانّه الموضع الّذى تُضمَّر فيه الخيل او مُجِدّة فى ترصّد الكفرة لئلّا يشذّ منها واحد كالمِطْعان ، وقرئ أَنَّ بالفتح على التعليل لقيام الساعة (٢٢) لِلطَّاغِينَ مَآبًا مرجعا ومأوى (٢٣) لَابِثِينَ فِيهَا وقرأ حمزة وروح لَبِثِينَ وهو ابلغ أَحْقَابًا دهورا متتابعة وليس فيها ما يدلّ على خروجهم منها اذ لو صحّ انّ الحُقْب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضى تَناهِى تلك الاحقاب لجواز ان تكون احقابا مترادفة كلّما مضى حقبٌ تبعه آخَرُ وإن كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارِض المنطوقَ الدالَّ على خلود الكفّار ولو جُعل قوله (٢٤) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٥) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا حالا من المستكنّ فى لابثين او

جزء ۳۰ نصبُ احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الّا حميما وغساقا ثمّ يبدّلون جنسا
ركوع ۱ آخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حَقِب من حَقِبَ الرجلُ اذا اخطأه الرزق وحَقِبَ العامُ اذا قلّ مطرُه وخيرُه فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حَقِبين وقولُه لا يذوقون تفسير له ، والمراد بالبرد ما يروّحهم وينفّس عنهم حرّ النار او النومُ وبالغساق ما يَغْسِق اى يسيل من صديدهم وقيل الزمهريرُ وهو مستثنى من البرد الّا انّه أُخّر لتوافق رءوس الآى وقرأ حمزة والكسائىّ وحفص بالتشديد (۲۶) جَزَآءً وِفَاقًا اى جُوزوا بذلك جزاء ذا وِفاقٍ لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وِفّاقًا فِعّال من وَفِقَه كذا (۲۷) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا بيان لما وافقه هذا الجزاء (۲۸) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا تكذيبا وفِعّال بمعنى تفعيل مطّرد شائع فى كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكَذِب كقوله • فصَدَقْتُها وكَذَبْتُها والمرء ينفعه كِذابُهْ • وانّما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انّهم كذبوا فى تكذيبهم او المكاذبة فانّهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة او كانوا مبالغين فى الكذب مبالغةَ المغالبين فيه وعلى المعنيَيْن يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيّده انّه قرئ كُذّابًا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة المصدر اى تكذيبا مفرطا كِذبُه (۲۹) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ وقرئ بالرفع على الابتداء كِتَابًا مصدر لاحصيناه فانّ الاحصاء والكتبة يتشاركان فى معنى الضبط او لفعله المقدّر او حال بمعنى مكتوبا فى اللوح او صُحف الحفظة والجملة اعتراض وقولُه (۳۰) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا مسبّب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئُه على طريقة الالتفات للمبالغة وفى الحديث هذه الآية اشدّ
ركوع ۲ ما فى القران على اهل النار (۳۱) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا فوزا او موضع فوز (۳۲) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض (۳۳) وَكَوَاعِبَ نساء فلكَتْ ثُديُّهنّ أَتْرَابًا لِدات (۳۴) وَكَأْسًا دِهَاقًا ملآنا وأدهق الحوضَ ملأه (۳۵) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا وقرأ الكسائىّ بالتخفيف اى كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا (۳۶) جَزَآءً مِنْ رَبِّكَ بمقتضى وعده عَطَآءً تفضّلا منه اذ لا يجب عليه شىء، وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به حِسَابًا كافيا من احسبه الشىء اذا كفاه حتّى قال حَسْبى او على حَسَبِ اعمالهم وقرئ حَسّابًا اى مُحْسِبا كالدَّرّاك بمعنى المُدْرِك (۳۷) رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا بدل من ربّك وقد رفعه الحجازيّان وابو عمرو على الابتداء الرَّحْمٰنِ بالجرّ صفة له وكذا فى قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وبالرفع فى قراءة ابى عمرو وفى قراءة حمزة والكسائىّ بجرّ الاوّل ورفع الثانى وحده على انّه خبرُ محذوف او مبتدأٌ خبرُه لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا والواو لاهل السموات والارض اى لا يملكون خطابَه والاعتراضَ عليه فى ثواب او عقاب لانّهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقّون عليه اعتراضا وذلك لا ينافى الشفاعة باذنه

(۳۸) يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَآئِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَابًا تقرير وتأكيد لقوله جزء ۳۰
لا يملكون فانّ هؤلاء الّذين هم افضل الخلائق واقربهم من اللّه اذا لم يقدروا ان يتكلّموا بما يكون ركوع ۲
صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الّا باذنه فكيف يملكه غيرهم ، ويوم ظرف للا يملكون او ليتكلّمون ،
والروح ملك موكّل على الارواح او جنسها او جبريل او خلق اعظم من الملائكة (۳۹) ذٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ
الكائن لا محالة فَمَنْ شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ الى ثوابه مَآبًا بالايمان والطاعة (۴۰) إِنَّآ أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يعنى
عذاب الآخرة وقربه لتحقّقه فانّ كلّ ما هو آت قريب ولانّ مبدأه الموت (۴۱) يَوْمَ يَنْظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
يرى ما قدّمه من خير او شرّ والمرء عامّ وقيل هو الكافر لقوله انّا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وُضع
موضعَ الضمير لزيادة الذمّ ، وما موصولة منصوبة بينظر او استفهاميّة منصوبة بقدّمت اى ينظر اىّ
شىء قدّمت يداه وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا فى الدنيا فلم أُخلق ولم اكلّف او فى هذا اليوم
فلم أُبعث وقيل يُحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثمّ تُردّ ترابا فيودّ الكافر حالها ، عن النبىّ صلعم من
قرأ سورة عمّ سقاه اللّه بَرْدَ الشراب يوم القيٰمة •

سُورَةُ ٱلنَّازِعَاتِ

مكّيّة وآيها ستّ واربعون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(۱) وَٱلنَّازِعَاتِ غَرْقًا (۲) وَٱلنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (۳) وَٱلسَّابِحَاتِ سَبْحًا (۴) فَٱلسَّابِقَاتِ سَبْقًا (۵) فَٱلْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ركوع ۳
هذه صفات ملائكة الموت فانّهم ينزعون ارواح الكفّار من ابدانهم غرقا اى اغراقا فى النزع فانّهم ينزعونها
من اقاصى الابدان او نفوسا غَرِقةً فى الاجساد وينشطون اى يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط
الدلوَ من البئر اذا اخرجها ويسبحون فى اخراجها سَبْحَ الغوّاص الّذى يُخرج الشىء من اعماق البحر
فيسبقون بارواح الكفّار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنّة فيدبّرون امرَ عقابها وثوابها بأن يهيّئوها لادراك
ما أُعدّ لها من الآلام واللذّات او الأُولَيان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون فى مُضيّها اى
يُسْرِعون فيه فيسبقون الى ما أُمروا به فيدبّرون امره او صفات النجوم فانّها تنزع من المشرق الى
المغرب غرقا فى النزع بأن تقطع الفلك حتّى تنحطّ فى اقصى الغرب وتنشط من بُرج الى برج اى تخرج
من نشط الثورُ اذا خرج من بلد الى بلد ويسبحن فى الفلك فيسبق بعضها فى السير لكونه اسرع
حركةً فتدبّر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولمّا كانت
حركاتها من المشرق الى المغرب قسريّة وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمّى الاولى نزعا والثانية
نشطا او صفات النفوس الفاضلة حالَ المفارقة فانّها تنزع عن الابدان غرقا اى نزعا شديدا من اغراق

النازع فى القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوّتها من المدبّرات او حالّ سلوكها فانّها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح فى مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتّى تصير من المكمّلات او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسىّ باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون فى البرّ والبحر فيسبقون الى حرب العدوّ فيدبّرون امرها او صفات خيلهم فانّها تنزع فى اعنّتها نزعا تغرق فيه الاعنّة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح فى جريها فتسبق الى العدوّ فتدبّر امر الظفر ، اقسم اللّه تعالى بها على قيام الساعة وانّما حُذف لدلالة ما بعده عليه (٦) يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة الّتى تشتدّ حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله يومَ ترجف الارض والجبال او الواقعة الّتى ترجف الاجرام عندها وهى النفخة الاولى (٧) تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ التابعة وهى السماء والكواكب تنشقّ وتنتثر او النفخة الثانية والجملة فى موقع الحال (٨) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ شديدة الاضطراب من الوجيف وهى صفة لقلوب والخبرُ (٩) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ اى ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب (١٠) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ فى الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت من قولهم رجع فلان فى حافرته اى طريقه الّتى جاء فيها فحفرها اى اثّر فيها بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ فِى ٱلْحَفِرَةِ بمعنى المحفورة يقال حُفِرَتْ أَسنانه فَحَفِرَتْ حَفَرا وهى حَفِرة (١١) أَئِذَا كُنَّا وقرأ نافع وابن عامر والكسائىّ إِذَا كُنَّا على الخبر عِظَامًا نَاخِرَةً بالية وقرأ الحجازيّان والشامىّ وحفص وروح نَخِرَةً وهى ابلغ (١٢) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ذات خسران او خاسرٌ اصحابها والمعنى انّها إن صحّت فنحن إذًا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم (١٣) فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ متعلّق بمحذوف اى لا يستصعبوها فما هى الّا صيحة واحدة يعنى النفخة الثانية (١٤) فَإِذَا هُمْ بِٱلسَّاهِرَةِ فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا فى بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سُمّيت بذلك لانّ السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة للّتى يجرى ماؤها وفى ضدّها نائمة او لانّ سالكها يَسْهَر خوفا وقيل اسم لجهنّم (١٥) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى اليس قد اتاك حديثه فيسلّيك على تكذيب قومك وتهدّدهم عليه بأن يصيبهم مثلُ ما اصاب من هو اعظم منهم (١٦) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى قد مرّ بيانه فى سورة طه (١٧) ٱذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى على ارادة القول وقرئ أَنِ ٱذْهَبْ لما فى النداء من معنى القول (١٨) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى هل لك ميل الى ان تتطهّر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيّان ويعقوب تزّكّى بالتشديد (١٩) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ وأُرشدك الى معرفته فَتَخْشَى باداء الواجبات وترك المحرّمات اذ الخشية انّما تكون بعد المعرفة ، وهذا كالتفصيل

لقوله فقولا له قولا لينا (٢٠) فَأَرَاهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ اى فذهب وبلّغ فأراه المعجزة الكبرى وهى قلب العصا جزء ٣٠
حيّة فانّه كان المقدّم والاصل او مجموع معجزاته فانّها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة (٢١) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ركوع ٣
فكذّب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ عن الطاعة يَسْعَىٰ ساعيا فى ابطال
امره او ادبر بعد ما رأى الثعبان مرعوبا مسرعا فى مشيه (٢٣) فَحَشَرَ فجمع السحرة او جنوده فَنَادَىٰ
فى المجمع بنفسه او منادٍ (٢٤) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ اعلى كلّ من يلى امركم (٢٥) فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ
ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ اخذا منكّلا لمن رآه او سمعه فى الآخرة بالاحراق وفى الدنيا بالاغراق او على كلمته الآخرة
وهى هذه وكلمته الاولى وهو قوله ما علمتُ لكم من الهٍ غيرى او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز
ان يكون مصدرا مؤكّدا مقدّرا بفعله (٢٦) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ لمن كان من شأنه الخشية
(٢٧) ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا اصعب خلقا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ثمّ بيّن كيف خلقها فقال بَنَاهَا ثمّ بيّن البناء فقال ركوع ٤
(٢٨) رَفَعَ سَمْكَهَا اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب فى العلوّ رفيعا فَسَوَّاهَا فعدّلها
او فجعلها مستوية او فتمّمها بما يتمّ به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوّى فلان
امره اذا اصلحه (٢٩) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانّما اضافه اليها لانّه يحدث
بحركتها وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وابرز ضوء شمسها لقوله والشمس وضحاها يريد النهار (٣٠) وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا
بسطها ومهّدها للسكنى (٣١) أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا بتفجير العيون وَمَرْعَاهَا ورعيها وهو فى الاصل لموضع
الرعى ، وتجريد الجملة عن العاطف لانّها حالٌ باضمار قدْ او بيانٌ للدحو (٣٢) وَٱلْجِبَالَ أَرْسَاهَا اثبتها
وقرئ وَٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لانّ العطف على فعليّة (٣٣) مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ
تمتيعا لكم ولمواشيكم (٣٤) فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ الداهية الّتى تطمّ اى تعلو على سائر الدواهى ٱلْكُبْرَىٰ
الّتى هى اكبر الطامّات وهى القيامة او النفخة الثانية او الساعة الّتى يساق فيها اهل الجنّة الى الجنّة
واهل النار الى النار (٣٥) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ بأن يراه مدوّنا فى صحيفته وكان قد نسيه من
فرط الغفلة او طول المدّة وهو بدل من اذا جاءت ، وما موصولة او مصدريّة (٣٦) وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ
وأظهرت لِمَن يَرَىٰ لكلّ راءٍ بحيث لا تخفى على احد ، وقرئ وَبَرَزَتْ ولِمَنْ رَأَى ولِمَنْ ترى على انّ
فيه ضمير الجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد او انّه خطاب للرسول اى لمن تراه من الكفّار ،
وجوابُ فاذا جاءت محذوف دلّ عليه يوم يتذكّر او ما بعده من التفصيل (٣٧) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ حتّى
كفر (٣٨) وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا فانهمك فيها ولم يستعدّ للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس (٣٩) فَإِنَّ
ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ هى مأواه واللام فيه سادّ مسدّ الاضافة للعلم بانّ صاحب المأوى هو الطاغى ،
وهىَ فصل او مبتدأ (٤٠) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ مقامه بين يدى ربّه لعلمه بالمبدإ والمعاد وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ

جزء ٣٠ ٱلْهَوَى لعلمه بأنّه مُرْدٍ (٤١) فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَى ليس له سواها مأوى (٤٢) يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ
ركوع ٤ مُرْسَاهَا متى ارساؤها اى اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرّها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهى
اليه وتستقرّ فيه (٤٣) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا فى اىّ شىء انت من ان تذكر وقتها لهم اى ما انت
من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شىء فانّ ذكرها لا يزيدهم الّا غيّا ووقتها ممّا استأثر اللّه بعلمه
وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكراها مستأنف معناه انت ذكرٌ من ذكرها اى علامة من
اشراطها فانّ ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انّه متّصل بسؤالهم والجواب (٤٤) إِلَى رَبِّكَ
مُنْتَهَاهَا اى منتهى علمها (٤٥) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا انّما بُعثتَ لانذار من يخاف هولها وهو
لا يناسب تعيينَ الوقت ، وتخصيصُ من يخشى لانّه المنتفع به ، وعن ابى عمرو مُنذرٌ بالتنوين والاعمال
على الاصل لانّه بمعنى الحال (٤٦) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا فى الدنيا او فى القبور إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا
اى عشيّة يوم او ضحاه كقوله الّا ساعةً من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشيّة لانّهما من يوم
واحد ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة النازعات كان ممّن حبسه اللّه فى القيامة حتّى يدخل الجنّة
قدْرَ صلوةٍ المكتوبة

سُورَةُ عَبَسَ

مكّيّة وآيها ثنتان واربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٥ (١) عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (٢) أَنْ جَاءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ روى انّ ابن امّ مكتوم اتى رسول اللّه صلعم وعنده صناديد قريش
يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول اللّه علّمنى ممّا علّمك اللّه وكرّر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم
فكره رسولُ اللّه صلعم قطْعَه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول اللّه يكرمه ويقول اذا رآه
مرحبا بمن عاتبنى فيه ربّى واستخلفه على المدينة مرّتين وقرئ عَبَّسَ بالتشديد للمبالغة ، وأن
جاءه علّة لتولّى او عبس على اختلاف المذهبَيْن وقرئ ءأَنْ بهمزتين وبألف بينهما بمعنى أَلِأَنْ جاءه
الاعمى فعل ذلك ، وذكر الاعمى للاشعار بعُذره فى الاقدام على قطع كلام الرسول بالقوم والدلالة
على انّه احقّ بالرأفة والرفق او لزيادة الانكار كأنّه قال تولّى لكونه اعمى كالالتفات فى قوله
(٣) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ اى واىّ شىء يجعلك داريا بحاله لعلّه يتطهّر من الآثام بما يتلقّف منك
وفيه ايماء بانّ اعراضه كان لتزكية غيره (٤) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰ او يتّعظ فتنفعه موعظتك
وقيل الضمير فى لعلّه للكافر اى انّك طمعت فى تزكّيه بالاسلام وتذكّره بالموعظة ولذلك اعرضت
عن غيره فما يدريك انّ ما طمعت فيه كائن ، وقرأ عاصم فَتَنْفَعَهُ بالنصب جوابا للعلّ (٥) أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ

(٦) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى تتعرّض بالاقبال عليه وأصله تتصدّى وقرأ ابن كثير ونافع تَصَّدَّى بالادغام وقرئ تُصَدَّى اى تُعرّض وتُدْعَى الى التصدّى (٧) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وليس عليك بأسٌ فى ان لا يتزكّى بالاسلام حتّى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمّن اسلم انْ عليك الّا البلاغ (٨) وَأَمَّا مَنْ جَآءَكَ يَسْعَى يسرع طالبا للخير (٩) وَهُوَ يَخْشَى ٱللّٰهَ او اذيّة الكفّار فى اتيانك او كَبْوَة الطريق لانّه اعمى لا قائد له (١٠) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى تتشاغل يقال لَهِيَ عنه والتهى وتلهّى ، ولعلّ ذكر التصدّى والتلهّى للاشعار بانّ العتاب على اهتمام قلبه بالغنىّ وتلهّيه عن الفقير ومثله لا ينبغى له ذلك (١١) كَلَّا ردعٌ عن المعاتب عليه او عن معاودة مثله إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١٢) فَمَنْ شَآءَ ذَكَرَهُ حفظه او اتّعظ به والضميران للقران او العتاب المذكور وتأنيث الاوّل لتأنيث خبره (١٣) فِى صُحُفٍ مُثْبَتَة فيها صفةٌ لتذكرة او خبرٌ ثانٍ او خبرٌ لمحذوف مُكَرَّمَةٍ عند اللّه (١٤) مَرْفُوعَةٍ القدر مُطَهَّرَةٍ منزّهة عن ايدى الشياطين (١٥) بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كَتَبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح او الوحى او سُفَراء يَسْفِرون بالوحى بين اللّه ورسله او الامّة جمعُ سافرٍ من السَّفر او السفارة والتركيبُ للكشف يقال سفرت المرأةُ اذا كشفت وجهها كِرَامٍ أعزّاء على اللّه او متعطّفين على المؤمنين يكلّمونهم ويستغفرون لهم بَرَرَةٍ اتقياء (١٦) قُتِلَ ٱلْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ دعاءٌ عليه باشنع الدعوات وتعجّبٌ من افراطه فى الكفران وهو مع قِصَره يدلّ على سخط عظيم وذمّ بليغ (١٧) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُ بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدإ حدوثه ، والاستفهامُ للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ (١٩) خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ فهيّأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدّره اطوارا الى ان تمّ خلقه (٢٠) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثمّ سهّل مخرجه من بطن امّه بأن فتح فُوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلّل له سبيل الخير والشرّ ، ونصب السبيل بفعل يفسّره الظاهر للمبالغة فى التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانّه سبيل عامّ ، وفيه على المعنى الاخير ايماء بانّ الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقّبه بقوله (٢١) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢٢) ثُمَّ اِذَا شَآءَ أَنْشَرَهُ وعدّ الاماتة والاقبار فى النِعَم لانّ الاماتة وُصْلةٌ فى الجملة الى الحيوة الابديّة واللذّات الخالصة والامرُ بالقبر تكرمةٌ وصيانةٌ عن السباع ، وفى اذا شاء اشعار بانّ وقت النشور غير متعيّن فى نفسه وانّما هو موكول الى مشيئته (٢٣) كَلَّا ردعٌ للانسان عمّا هو عليه لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ لم يقض بعدُ من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره اللّه بأسره اذ لا يخلو احدٌ من تقصير ما (٢٤) فَلْيَنْظُرِ ٱلْإِنْسَانُ اِلَى طَعَامِهِ اتّباع للنعم الذاتيّة بالنعم الخارجيّة (٢٥) اَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا استيناف مبيّن لكيفيّة احداث الطعام وقرأ الكوفيّون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال (٢٦) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا اى بالنبات او بالكراب ، واسند الشقّ الى نفسه اسنادَ الفعل الى السبب (٢٧) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا كالحنطة والشعير (٢٨) وَعِنَبًا وَقَضْبًا يعنى

جزء ۳۰

ركوع ٥

جزء ٣٠ ركوع ٥ الرَّطْبة سُمّيت بمصدر قضبه اذا قطعه لانّها تُقضب مرّة بعد اخرى (٢٩) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٣٠) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانّها ذات اشجار غلاظ مستعارٌ من وصف الرقاب (٣١) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ومرعى من أبّ اذا أمّ لانّه يؤمّ وينتجع او من ابّ لكذا اذا تهيّأ له لانّه متهيّئ للرعى او فاكهة يابسة تؤبّ للشتاء (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ فانّ الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف (٣٣) فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ اى النفخة وُصفت بها مجازا لانّ الناس يصخّون لها (٣٤) يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٥) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٦) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لاشتغاله بشأنه وعلمه بانّهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصّر فى حقّهم، وتأخيرُ الاحبّ فالاحبّ للمبالغة كانّه قيل يفرّ من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه (٣٧) لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ يكفيه فى الاهتمام به وقرئ يَعْنِيهِ اى يُهمّه (٣٨) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ مُضيئة من اسفار الصبح (٣٩) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ لما ترى من النعيم (٤٠) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ غبار وكدورة (٤١) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ يغشاها سواد وظلمة (٤٢) أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ الذين جمعوا الى الكفر الفجورَ فلذلك يُجمع الى سواد وجوههم الغبرةُ، قال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر•

سُورَةُ ٱلتَّكْوِيرِ

مكّيّة وآيها تسع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٦ (١) إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ لُفّت من كوّرت العمامة اذا لففتها بمعنى رُفعت لانّ الثوب اذا اريد رفعه لُفّ او لُفّ ضوءها فذهب انبساطه فى الآفاق وزال اثره• او أُلقيت عن فلكها من طعنه فكوّره اذا القاه مجتمعا والتركيبُ للادارة والجمع، وارتفاعُ الشمس بفعل يفسّره ما بعدها أَوْلى لانّ اذا الشرطيّة تطلب الفعل (٢) وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ انقضّت قال • أبصرَ خربانَ فضاء فانكدر • او اظلمت من كدّرتُ الماء فانكدر (٣) وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ عن وجه الارض او فى الجوّ (٤) وَإِذَا ٱلْعِشَارُ النوق اللواتى اتى على حملهنّ عشرة اشهر جمعُ عُشَراء عُطِّلَتْ تُركت مهملة او السحائبُ عُطّلت عن المطر وقرئ بالتخفيف (٥) وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ جُمعت من كلّ جانب او بُعثت للقصاص ثمّ رُدّت ترابا او أُميتت من قولهم اذا أجحفت السنة بالناس حشرتْهم وقرئ بالتشديد (٦) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ أُحميت او مُلئت بتفجير بعضها الى بعض حتّى تعود بحرا واحدا من سجر التنّور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير

وابو عمرو وروّح بالتخفيف (٧) وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ قُرنت بالابدان او كلّ منها بشكلها او بكتابها جزء ٣٠ وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين (٨) وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ المدفونة حيّةً وكانت ركوع ٩ العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهنّ سُئِلَتْ (٩) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس وقرئ سَأَلَتْ اى خاصمت عن نفسها وسألت وانّما قيل قُتِلَتْ على الاخبار عنها وقرئ قُتِلْتُ على الحكاية (١٠) وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ يعنى صحف الاعمال فانّها تُطْوَى عند الموت وتُنْشَر وقت الحساب وقيل نُشرت فُرّقت بين اصحابها وقرأ ابن كثير وحمزة وابو عمرو والكسائىّ بالتشديد للمبالغة فى النشر او لكثرة الصحف او شدّة التطاير (١١) وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ قُلعت وأُزيلت كما يُكْشَط الاهابُ عن الذبيحة وقرئ قُشِطَتْ واعتقابُ القاف والكاف كثير (١٢) وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ أُوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد (١٣) وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ قُرّبت من المؤمنين (١٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ جوابُ اذا وانّما صحّ والمذكورُ فى سياقها ثنتا عشرة خصلة ستٌّ منها فى مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وستٌّ بعده لانّ المراد زمان متّسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ، ونفسٌ فى معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة (١٥) فَلَا أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ بالكواكب الرواجع من خَنَسَ اذا تأخّر وهى ما سوى النيّرين من السيّارات ولذلك وصفها بقوله (١٦) ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ اى السيّارات الّتى تختفى تحت ضوء الشمس من كَنَسَ الوحشُ اذا دخل كناسه وهو بيته المتّخذ من اغصان الشجر (١٧) وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ اقبل ظلامه او ادبر وهو من الأضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر (١٨) وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ اى اضاء غُبْرته عند اقبال رَوْح ونسيم (١٩) إِنَّهُ ان القران لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ يعنى جبريل فانّه قاله عن اللّه تعالى (٢٠) ذِى قُوَّةٍ كقوله شديد القوى عِنْدَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ عند اللّه ذى مكانة (٢١) مُطَاعٍ فى ملائكته ثَمَّ أَمِينٍ على الوحى وثَمَّ يحتمل اتّصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثُمَّ تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات (٢٢) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ كما تَبَهَّتَه الكفرة ، واستُدلّ بذلك على فضل جبريل على محمّد صلعم حيث عدّ فضائل جبريل واقتصر على نفى الجنون عن النبىّ صلعم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفىُ قولهم انّما يعلّمه بشر افترى على اللّه كذبا ام به جنّة لا تعدادُ فضلهما والموازنة بينهما (٢٣) وَلَقَدْ رَآهُ ولقد رأى رسول اللّه صلعم جبريل بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ بمطلع الشمس الاعلى (٢٤) وَمَا هُوَ وما محمّد عَلَى ٱلْغَيْبِ على ما يخبره من الموحَى اليه وغيره من الغيوب بِظَنِينٍ بمتّهم من الظِنّة وهى التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بِضَنِينٍ من الضنّ وهو البخل اى لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضادُ من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والظاء من طرف اللسان واصول

جزء ٣٠ ركوع ٦ الثنايا العُلْيا (٢٥) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفى لقولهم انّه لَكهانةٌ وسحرٌ (٢٦) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر الرسول صلعم والقران كقولك لتارك الجادّة اين تذهب (٢٧) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ تذكير لمن يعلم (٢٨) لِمَنْ شَآءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ بتحرّى الحقّ وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانّهم المنتفعون بالتذكير (٢٩) وَمَا تَشَآءُونَ الاستقامة يا من يشاؤها إِلَّا أَنْ يَشَآءَ ٱللَّهُ الّا وقتَ ان يشاء اللّه مشيئتكم فله الفضل والحقّ عليكم باستقامتكم رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ مالك الخلق كلّه ، قال عم من قرأ سورة التكوير اعاذه اللّه ان يفضحه حين تُنْشَر صحيفته •

سُورَةُ ٱلِانْفِطَارِ

مكّيّة وآيها تسع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٧ (١) إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنْفَطَرَتْ انشقّت (٢) وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنْتَثَرَتْ تساقطت متفرّقة (٣) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ فُتح بعضها الى بعض فصار الكلّ بحرا واحدا (٤) وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ قُلب ترابها وأُخرج موتاها وقيل انّه مركّب من بعث وراء الاثارة كبَسْمَلَ ونظيره بحثر لفظا ومعنى (٥) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ من عمل او صدقة وَأَخَّرَتْ من سيّئة او تركة ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع ، وهو جوابُ اذا (٦) يَا أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ اىّ شىء خدعك وجرّأك على عصيانه ، وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار فانّ محض الكرم لا يقتضى اهمال الظالم وتسوية الموالى والمعادى والمطيع والعاصى فكيف اذا انضمّ اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغرّه الشيطان فانّه يقول له افعلْ ما شئتَ فربّك كريم لا يعذّب احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على انّ كثرة كرمه تستدعى الجدّ فى طاعته لا الانهماك فى عصيانه اغترارا بكرمه (٧) ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ صفة ثانية مقرِّرة للربوبيّة مبيّنة للكرم منبّهة على انّ من قدر على ذلك اوّلا قدر عليه ثانيا ، والتسويةُ جعلُ الاعضاء سليمة مسوّاة مُعدّة لمنافعها والتعديلُ جعلُ البنية معتدلةً متناسبة الاعضاء او معدّلةً بما تستعدّها من القُوى وقرأ الكوفيّون فَعَدَلَكَ بالتخفيف اى عَدَلَ بعض اعضائك ببعض حتّى اعتدلتَ او فصرفك عن خلقة غيرك وميّزك بخلقة فارقتْ خلقة سائر الحيوانات (٨) فِى أَىِّ صُورَةٍ مَا شَآءَ رَكَّبَكَ اى ركّبك فى اىّ صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطيّة وركّبك جوابها والظرف صلة عدّلك وانّما لم تعطف الجملة على ما قبلها لانّها بيان لعدّلك (٩) كَلَّا ردع عن الاغترار بكرم اللّه وقوله بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ إضراب

الى بيان ما هو السبب الاصلىّ فى اغترارهم والمرادُ بالدين الجزاء او الاسلام (١٠) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ جزء ٣٠
(١١) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١٢) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ تحقيقٌ لما يكذّبون به وردٌّ لما يتوقّعون من التسامح والاهمال ، ركوع ٧
وتعظيمُ الكتبة بكونهم كراما عند اللّه لتعظيم الجزاء (١٣) إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (١٤) وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ بيان لما يكتبون لاجله (١٥) يَصْلَوْنَهَا يقاسون حرّها يَوْمَ ٱلدِّينِ (١٦) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها فى القبور (١٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٨) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ تعجيب وتفخيم لشأن اليوم اى كُنْهُ امره بحيث لا تدركه درايةُ دارٍ (١٩) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ تقرير لشدّة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريّان يَوْمُ على البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف ، قال عم من قرأ سورة انفطرت كتب اللّه له بعدد كلّ قطرة من السماء حسنةً وبعدد كلّ قبرٍ حسنةً •

سُورَةُ ٱلْمُطَفِّفِينَ

مختلف فيها وآيها ستّ وثلثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ التطفيف البخس فى الكيل والوزن لانّ ما يُبخَس طفيف اى حقير رُوى انّ اهل ركوع ٨
المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفى الحديث خمسٌ بخمس ما نقض العهدَ قومٌ الّا سلّط اللّه عليهم عدوّهم وما حكموا بغير ما انزل اللّه الّا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الّا فشا فيهم الموت ولا طفّفوا الكيل الّا مُنعوا النبات وأُخذوا بالسنين ولا مَنعوا الزكوة الّا حُبس عنهم القطر (٢) ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ اى اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانّما أُبدل عَلَى بمِنْ للدلالة على انّ اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيالٌ يُتحامل فيه عليهم (٣) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ اى اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يُخْسِرُونَ فحذف الجارّ واوصل الفعل كقوله • ولقد جَنَيْتُكَ أَكْمُؤًا وعساقلا • بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تأكيدا للمتّصل فانّه يُخرج الكلامَ عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيانُ اختلاف حالهم فى الاخذ والدفع لا فى المباشرة وعدمها ويستدعى اثباتَ الالف بعد الواو كما هو خطُّ المصحف فى نظائره (٤) أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ فانّ من ظنّ ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقّنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم (٥) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ عظمُه لعظم ما يكون فيه (٦) يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ نصب بمبعوثون او بدل من الجارّ والمجرور ويؤيّده القراءة بالجرّ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ

جزء ۳۰ لحكمه وفى هذا الانكار والتعجيب وذكر الظنّ ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه للّه والتعبير
ركوع ۸ عنه بربّ العالمين مبالغاتٌ فى المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه (۷) كَلَّا ردعٌ عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب إِنَّ كِتَابَ ٱلْفُجَّارِ ما يُكْتَب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لَفِى سِجِّينٍ كتاب جامع لأعمال الفجرة من الثقلين كما قال (۸) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (۹) كِتَابٌ مَرْقُومٌ اى مسطورٌ بيّن الكتابة او مُعْلَمٌ يَعْلَم من رآه انّه لا خير فيه فِعِّيل من السجن لُقّب به الكتاب لانّه سبب الحبس او لانّه مطروح كما قيل تحت الارضين فى مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتابُ السجّين او محلُّ كتاب مرقوم فحذف المضاف (۱۰) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بالحقّ او بذلك (۱۱) ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ صفة مخصّصة او موضحة او ذامّة (۱۲) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ متجاوز عن النظر غالٍ فى التقليد حتّى استقصر قدرة اللّه وعلمه فاستحال منه الاعادة أَثِيمٍ منهمك فى الشهوات المُخْدِجة بحيث اشغلته عمّا وراءها وحملته على الانكار لما عداها (۱۳) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ من فرط جهله واعراضه عن الحقّ فلا ينفعه شواهد النقل كما لا ينفعه دلائل العقل (۱۴) كَلَّا ردعٌ عن هذا القول بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ردٌّ لما قالوه وبيانٌ لما ادّى بهم الى هذا القول بأن غلب عليهم حبّ المعاصى بالانهماك فيها حتّى صار ذلك صداء على قلوبهم فعمى عليهم معرفة الحقّ والباطل فانّ كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال صلعم انّ العبد كلّما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتّى يسودّ قلبه والرينُ الصداء وقرأ حفص بَلْ رَانَ باظهار اللام (۱۵) كَلَّا ردعٌ عن الكسب الرائن إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يُمْنَع عن الدخول على الملوك او قدّر مضافا مثل رحمة ربّهم او قُرْب ربّهم (۱۶) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو ٱلْجَحِيمِ لَيدخلون النار ويصلون بها (۱۷) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا ٱلَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ يقوله لهم الزبانية (۱۸) كَلَّا تكريرٌ للاوّل ليعقّب بوعد الابرار كما عُقّب بوعيد الفجّار اشعارا بانّ التطفيف فجور والايفاء برّ او ردعٌ عن التكذيب إِنَّ كِتَابَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ (۱۹) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (۲۰) كِتَابٌ مَرْقُومٌ الكلام فيه ما مرّ فى نظيره (۲۱) يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يومَ القيامة (۲۲) إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (۲۳) عَلَى ٱلْأَرَائِكِ على الاسرّة فى الحجال يَنْظُرُونَ الى ما يَسُرّهم من النعم والمتفرّجات (۲۴) تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ بهجة التنعّم وبريقه وقرأ يعقوب تُعْرَفُ على البناء للمفعول ونَضْرَةُ بالرفع (۲۵) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ شراب خالص مَخْتُومٍ (۲۶) خِتَامُهُ مِسْكٌ مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعلّه تمثيل لنفاسته او ٱلّذى له ختامٌ اى مَقْطَعٌ هو رائحة المسك وقرأ الكسائىّ خَاتَمُهُ بفتح التاء اى ما

يُخْتَمُ به ويُقْطَعُ وَفِى ذٰلِكَ يعنى الرحيق او النعيم فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ فليرتغب المرتغبون جزء ۳۰
(۲۷) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَلَمٌ لعين بعينها سُمّيت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها (۲۸) عَيْنًا يَشْرَبُ رکوع ۸
بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ فانّهم يشربونها صِرْفا لانّهم لم يشتغلوا بغير اللّه وتُمْزَج لسائر اهل الجنّة ، وانتصاب عينا
على المدح او الحال من تسنيم ، والكلام فى الباء كما فى يشرب بها عباد اللّه (۲۹) إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا
يعنى رؤساء قريش كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ كانوا يستهزئون بفقراء المؤمنين (۳۰) وَإِذَا مَرُّوا
بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم (۳۱) وَإِذَا ٱنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ ٱنْقَلَبُوا فَاكِهِينَ
ملتذّين بالسخرية منهم وقرأ حفص فَكِهِينَ (۳۲) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هٰؤُلَآءِ لَضَالُّونَ واذا رأوا المؤمنين
نسبوهم الى الضلال (۳۳) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ على المؤمنين حَافِظِينَ يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون
برشدهم وضلالهم (۳۴) فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ حين يرونهم اذلّاء مغلوبين فى النار
وقيل يُفتح لهم باب الى الجنّة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا أُغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم
(۳۵) عَلَى ٱلْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ حال من يضحكون (۳۶) هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ هل أُثيبوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وقرأ
حمزة والكسائىّ بادغام اللام فى الثاء ، قال صلعم من قرأ سورة المطفّفين سقاه اللّه من الرحيق المختوم
يوم القيمة •

سُورَةُ ٱلِانْشِقَاقِ

مكّيّة وآيها خمس وعشرون آية

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(۱) إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنْشَقَّتْ بالغمام لقوله تعالى ويوم تَشَقَّقُ السماء بالغمام وعن علىّ رضه تنشقّ من رکوع ۹
المجرّة (۲) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا واستمعت له اى انقادت لتأثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المِطْواع الّذى
يأذن للآمر ويُذْعِن له وَحُقَّتْ وجُعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حُقّ بكذا فهو محقوق وحقيق
(۳) وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ بُسطت بأن تزال جبالها وآكامها (۴) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا ما فى جوفها من الكنوز
والاموات وَتَخَلَّتْ وتكلّفت فى الخلوّ اقصى جُهْدها حتّى لم يبق شىء فى باطنها (۵) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا
فى الالقاء والتخلّى وَحُقَّتْ للأذن ، وتكرير اذا لاستقلال كلّ من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف
للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مرّ فى سورتى التكوير والانفطار او بدلالة قوله (۶) يَا أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ إِنَّكَ

جزء ۳۰ ركوع ۹

كَادِحٌ اِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ عليه وتقديره لاقي الانسان كدحه اى جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه وبا ايها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه (۷) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (۸) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا سهلا لا يناقش فيه (۹) وَيَنْقَلِبُ اِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا الى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين او اهله في الجنة من الحور (۱۰) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ اى يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره (۱۱) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك (۱۲) وَيَصْلَى سَعِيرًا وقرأ الحجازيان والشامي وَيُصَلَّى لقوله وتصلية جحيم وقرئ يُصْلَى لقوله ونصله جهنم (۱۳) اِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ في الدنيا مَسْرُورًا بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة (۱۴) اِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ لن يرجع الى الله (۱۵) بَلَى ايجاب لما بعد لن اِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه (۱۶) فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ الحمرة التى ترى في افق المغرب بعد الغروب وعن ابي حنيفة رضه انه البياض الذى يليها سمي به لرقته من الشفقة (۱۷) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال ٭ مستوسقات لو يجدن سائقا ٭ او طرده الى اماكنه من الوسيقة (۱۸) وَالْقَمَرِ اِذَا اتَّسَقَ اجتمع وتم بدرا (۱۹) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيامة واهوالها او هي وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة ٬ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لَتَرْكَبَنَّ بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة ٬ وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق او مجاوزين له (۲۰) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بيوم القيامة (۲۱) وَاِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روى انه عم قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت ٬ واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رأيت رسول الله صلعم يسجد فيها (۲۲) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ اى بالقرآن (۲۳) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة (۲۴) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ استهزاء بهم (۲۵) اِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ مقطوع او ممنون به عليهم ٬ عن النبي صلعم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره ٭

سورة البروج

مكيّة وآيها ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(۱) وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ يعنى البروج الاثنى عشر شُبّهت بالقصور لانّها تنزلها السيّارات وتكون فيها جزء ۳۰ الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سُمّيت بروجا لظهورها او ابواب السماء فانّ النوازل ركوع ۱۰ تخرج منها وأصلُ التركيب للظهور (۲) وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ يوم القيامة (۳) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ومن يشهد ذلك اليوم من الخلائق وما أُحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام فى الوصف اى وشاهد ومشهود لا يُكْتَنه وصفهما او المبالغة فى الكثرة كانّه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبىّ وامّته او امّته وسائر الامم او كلّ نبىّ وامّته او الخالق والخلق او عكسه فانّ الخالق مطّلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او المَلَك الحفيظ والمكلَّف او يوم النحر او عَرَفة والحجيج او يوم الجمعة والجمع فانّه يشهده او كلّ يوم واهله (۴) قُتِلَ أَصْحَابُ ٱلْأُخْدُودِ قيل انّه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انّه دليل جواب محذوف كانّه قيل انّهم ملعونون يعنى كفّار مكّة كما لُعن اصحاب الاخدود فانّ السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم ، والاخدودُ الخدّ وهو الشقّ فى الارض ونحوُهما بناء ومعنى الحقّ والاحقوق ، رُوى مرفوعا انّ ملكا كان له ساحر فلمّا كبر ضمّ اليه غلاما ليعلّمه وكان فى طريقه راهب فمال قلبُه اليه فرأى فى طريقه ذات يوم حيّة قد حبست الناس فأخذ حجرا وقال اللّهمّ إن كان الراهبُ أَحبَّ اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعدُ يُبْرِئ الاكمه والابرص ويشفى من الادواء وعمى جليسُ الملك فابرأه فسأله الملك عمّن ابرأه فقال ربّى فغضب فعذّبه فدلّ على الغلام فعذّبه فدلّ على الراهب فقدّه بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليُطْرَح من ذِرْوته فدعا فرُجِف فهلكوا ونجا فاجلسه فى سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتّى تجمع الناس وتصلبنى وتأخذ سهما من كنانتى وتقول باسم اللّه ربّ هذا الغلام ثمّ ترميَنى به فرماه فوقع فى صُدْغه فمات فآمن الناس فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتّى جاءت امرأة معها صبىّ فتقاعست فقال الصبىّ يا امّاهْ اصبرى فانّك على الحقّ فاقتحمت وعن علىّ رضه كان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال انّ اللّه احلّ نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار وطرح فيها مَنْ أَبَى وقيل لمّا تنصّر نجران غزاهم ذو نُواس اليهودىّ من حِمْيَر فاحرق فى الاخاديد من لم يرتدّ (۵) ٱلنَّارِ بدل من الاخدود بدل الاشتمال ذَاتِ ٱلْوَقُودِ صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبُها ، واللام فى الوقود للجنس (۶) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا على حافة النار قُعُودٌ قاعدون (۷) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانّه لم

*

جزء ٣٠ يقصّر فيما أُمر به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة حتّى تشهد عليهم السنتهم وايديهم
ركوع ١٠ (٨) وَمَا نَقَمُوا وما انكروا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ استثناء على طريقة قوله

ولا عَيْبَ فيهم غير انّ سيوفهم بهنّ فلولٌ من قِراع الكتائب

ووصفه بكونه عزيزا غالبا يُخْشَى عقابه حميدا منعما يُرْجَى ثوابه وقرّر ذلك بقوله (٩) ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ للاشعار بما يستحقّ ان يؤمن به ويُعْبَد (١٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بلوهم بالاذى ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ بكفرهم وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ العذاب الزائد فى الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالّذين فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما رُوى انّ النار انقلبت عليهم فاحرقتهم (١١) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ذٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه (١٢) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ مضاعَفٌ عُنْفُه فانّ البطش اخذٌ بعُنْف (١٣) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة (١٤) وَهُوَ ٱلْغَفُورُ لمن تاب ٱلْوَدُودُ المحبّ لمن اطاع (١٥) ذُو ٱلْعَرْشِ خالقه وقيل المراد بالعرش المُلْك وقرئ ذِي ٱلْعَرْشِ صفةً لربّك ٱلْمَجِيدُ العظيم فى ذاته وصفاته فانّه واجب الوجود تامّ القدرة والحكمة وجرّه حمزة والكسائىّ صفةً للعرش ومجده علوّه وعظمته (١٦) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ لا يمتنع عليه مرادٌ من افعاله وافعال غيره (١٧) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ (١٨) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ابدلهما من الجنود لانّ المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفتَ تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسلَّ واصبرْ على تكذيب قومك وحذّرهم مثلَ ما اصابهم (١٩) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ لا يرعوون عنه ، ومعنى الاضراب انّ حالهم اعجب من حال هؤلاء فانّهم سمعوا قصّتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذّبوا اشدّ من تكذيبهم (٢٠) وَٱللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ لا يفوتونه كما لا يفوت المحاطُ المحيطَ (٢١) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ بل هذا الّذى كذّبوا به كتاب شريف وحيد فى النظم والمعنى وقرئ قُرْآنُ مَجِيدٍ بالاضافة اى قرانُ ربٍّ مجيد (٢٢) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ من التحريف وقرأ نافع مَحْفُوظٌ بالرفع صفةً للقران وقرئ فى لُوحٍ وهو الهواء يعنى ما فوق السماء السابعة الّذى فيه اللَّوْح ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة البروج اعطاه اللّه بعدد كلّ جُمْعة وعَرَفة تكون فى الدنيا عَشْرَ حسنات •

سُورَةُ ٱلطَّارِقِ

مكيّة وآيها سبع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ والكوكب البادى بالليل وهو فى الاصل لسالك الطريق واختصّ عُرْفا بالآتى ليلا ثمّ استعمل للبادى فيه (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلطَّارِقُ (٣) ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ المُضىء كانّه يثقب الظلامَ بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمرادُ الجنسُ او معهودٌ بالثّقب وهو زُحَل عبّر عنه اوّلا بوصف عامّ ثمّ فسّره بما يخصّه تفخيما لشأنه (٤) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْهَا اى انّ الشأن كلُّ نفس لَعليها حَافِظٌ رقيب فانْ هى المخفّفة واللام الفاصلة وما زائدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لمّا على انّها بمعنى الّا وانْ نافية والجملة على الوجهين جوابُ القسم (٥) فَلْيَنْظُرِ ٱلْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ لمّا ذكر انّ كلّ نفس عليها حافظ أتْبعه توصيةَ الانسان بالنظر فى ابدائه ليعلم صحّةَ اعادته فلا يُملى على حافظه الّا ما يَسُرّه فى عاقبته (٦) خُلِقَ مِنْ مَآءٍ دَافِقٍ جواب الاستفهام ، وماء دافق بمعنى ذى دَفْق وهو صبٌّ فيه دفعٌ والمرادُ الممتزج من المائين فى الرحم (٧) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَائِبِ من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها ولو صحّ انّ النطفة تتولّد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتّى تستعدّ لأن يتولّد منها مثلُ تلك الاعضاء ومقرّها عروق ملتفٌّ بعضُها بالبعض عند البيضتين فلا شكّ انّ الدماغ اعظم الاعضاء مَعُونةً فى توليدها ولذلك تُشْبِهه ويُسْرِع الافراطُ فى الجماع بالضعف فيه وله خليفةٌ هى النخاع وهو فى الصلب وشُعَبٌ كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقربُ الى اوعية المنىّ فلذلك خُصّا بالذكر ، وقرئ ٱلصَّلَبِ بفتحتين وٱلصُّلُبِ بضمّتين وفيه لغة رابعة وهى صَالِب (٨) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ والضمير للخالق ويدلّ عليه خُلِقَ (٩) يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَائِرُ تتعرّف ويُميّز بين ما طاب من الضمائر وما خفى من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه (١٠) فَمَا لَهُ فما للانسان مِنْ قُوَّةٍ من مَنْعة فى نفسه يمتنع بها وَلَا نَاصِرٍ يمنعه (١١) وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ترجع فى كلّ دَوْرة الى الموضع الّذى تتحرّك عنه وقيل الرجع المطر سُمّى به كما سُمّى أَوْبا لانّ اللّه يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل من انّ السحاب يحمل الماء من البحار ثمّ يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب (١٢) وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ما تتصدّع عنه الارض من النبات او الشقّ بالنبات والعيون (١٣) إِنَّهُ انّ القران لَقَوْلٌ فَصْلٌ فاصل بين الحقّ والباطل (١٤) وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ فانّه جِدٌّ كلّه (١٥) إِنَّهُمْ يعنى اهل مكّة يَكِيدُونَ كَيْدًا فى ابطاله واطفاء نوره (١٦) وَأَكِيدُ كَيْدًا واقابلهم بكيدى فى استدراجى لهم وانتقامى منهم بحيث لا

جزء ٣٠

ركوع ١١

جزء ٣٠ يحتسبون (١٧) فَمَهِّلِ ٱلْكَافِرِينَ فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا تستعجل باهلاكهم أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا امهالا
ركوع ١١ يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الطارق اعطاه اللّه بعدد
كلّ نجم فى السماء عَشْر حسنات ه

سُورَةُ ٱلْأَعْلَى

مكّيّة وآيها تسع عشرة آيـة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ١٢ (١) سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى نزّه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انّهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سُبْحَانَ رَبِّىَ ٱلْأَعْلَى وفى الحديث لمّا نزلت فسبّح باسم ربّك العظيم قال صلعم اجعلوها فى ركوعكم فلمّا نزلت سبّح اسم ربّك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللّهمّ لك ركعتُ وفى السجود اللّهمّ لك سجدتُ (٢) ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى خلق كلّ شى ء فسوّى خلقه بأن جعل له ما به يتأتّى كماله ويتمّ معاشه (٣) وَٱلَّذِى قَدَّرَ اى قدّر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها فَهَدَى فوجّهه الى افعاله طبعا واختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات (٤) وَٱلَّذِى أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَى انبت ما ترعاه الدوابّ (٥) فَجَعَلَهُ بعد خضرته غُثَآءً أَحْوَى يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى اى اسود من شدّة خضرته (٦) سَنُقْرِئُكَ على لسان جبريل او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فَلَا تَنسَى اصلا مع انّك أُمّىّ ليكون ذلك آية اخرى لك مع انّ الاخبار به عمّا يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الآيات وقيل نهىٌ والالف للفاصلة كقوله السبيلا (٧) إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ نسيانه بأن نسخ تلاوته وقيل المرادُ به القلّةُ والندرةُ لما رُوى انّه عم اسقط آية فى قراءته فى الصلوة فحسب أُبَىّ انّها نُسخت فسأله فقال نسيتُها او نفىُ النسيان رأسا فانّ القلّة تُستعمل للنفى إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ما ظهر من احوالكم وما بطن او جَهْرك بالقران مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء (٨) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ونُعدّك للطريقة اليسرى فى حفظ الوحى او التديّن ونوفّقك لها ولهذه النكتة قال نيسّرك لا نيسّر لك عطفٌ على سنقرئك وانّه يعلم اعتراض (٩) فَذَكِّرْ بعد ما استتبّ لك الامر إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَى لعلّ هذه الشرطيّة انّما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس من البعض لئلّا يتعب نفسه ويتلهّف عليهم كقوله وما انت عليهم بجبّار الآية او لذمّ المذكّرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشعار بانّ التذكير انّما يجب اذا ظُنّ نفعه ولذلك

امر بالاعراض عن من تولّى (١٠) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى سيتّعظ وينتفع بها من يخشى اللّه بأن يتأمّل فيها جزء ٣٠ فيعلم حقيقتها وهو يتناول العارف والمتردّد (١١) وَيَتَجَنَّبُهَا ويتجنّب الذكرى ٱلْأَشْقَى الكافر فانّه اشقى ركوع ١٢ من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغّله فى الكفر (١٢) ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَى نار جهنّم فانّه عم قال ناركم هذه جزء من سبعين جزأً من نار جهنّم او ما فى الدرك الاسفل منها (١٣) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا فيستريح وَلَا يَحْيَى حيوة تنفعه (١٤) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى تطهّر من الكفر والمعصية او تكثّر من التقوى من الزكاء او تطهّر للصلوة او ادّى الزكوة (١٥) وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ بقلبه ولسانه فَصَلَّى كقوله اقم الصلوة لذكرى ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكّى تصدّق للفطر وذكر اسم ربّه كبّره يوم العيد فصلّى صلوته (١٦) بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا فلا تفعلون ما يُسْعدكم فى الآخرة والخطاب للأشقين على الالتفات او على اضمارِ قُلْ او للكلّ فانّ السعى للدنيا اكثر فى الجملة وقرأ ابو عمرو بالياء (١٧) وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى فانّ نعيمها ملذّ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له (١٨) إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَى الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانّه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة (١٩) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَى بدل من الصحف الاولى ، قال عم من قرأ سورة الاعلى اعطاه اللّه عشر حسنات بعدد كلّ حرف انزله اللّه على ابرهيم وموسى ومحمّد •

سُورَةُ ٱلْغَاشِيَةِ

مكّيّة وآيها ستّ وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ الداهية التى تغشى الناس بشدائدها يعنى يوم القيامة او النار من قوله ركوع ١٣ وتغشى وجوههم النار (٢) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ذليلة (٣) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تعمل ما تتعب فيه كجرّ السلاسل وخوضها فى النار خوضَ الابل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلالها ووهادها او عملت ونصبت فى اعمال لا تنفعها يومئذ (٤) تَصْلَى نَارًا تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تُصْلَى من اصلاه اللّه وقرئ تُصَلّى بالتشديد للمبالغة حَامِيَةً متناهية فى الحرّ (٥) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ بلغت اناها فى الحرّ (٦) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة ناريّة تشبه الضريع ولعلّه طعام هؤلاء والزقّوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم ما تتحاماه الابل وتتعافاه لضرّه وعدم نفعه كما قال (٧) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِنْ جُوعٍ والمقصود من الطعام احد الامرين (٨) وُجُوهٌ

جزء ٣٠ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ذات بهجة او متنعّمة (٩) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ رضيت بعملها لمّا رأت ثوابه (١٠) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ
ركوع ١٣ عليّة المحلّ او القدر (١١) لَا تَسْمَعُ يا مخاطَب او الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع فِيهَا لَاغِيَةً لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فانّ كلام اهل الجنّة الذكر والحِكَم (١٢) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ يجرى ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم (١٣) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ رفيعة السَّمْك او القدر (١٤) وَأَكْوَابٌ جمع كوب وهي آنية لا عروة لها مَوْضُوعَةٌ بين ايديهم (١٥) وَنَمَارِقُ وسائد جمع نمرقة بالفتح والضمّ مَصْفُوفَةٌ بعضها الى بعض (١٦) وَزَرَابِيُّ وبُسُط فاخرة جمع زِرْبِيّة مَبْثُوثَةٌ مبسوطة (١٧) أَفَلَا يَنْظُرُونَ نظر اعتبار إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ خلقا دالّا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجرّ الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحَمْل ناهضة بالحِمْل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كلّ نابت وتحتمل العطش الى عَشْر فصاعدا ليتأتّى لها قطعُ البوادى والمفاوز مع ما لها من منافع أُخَر ولذلك خصّت بالذكر لبيان الآيات المنبثّة فى الحيوانات التى هى اشرف المركّبات واكثرها صُنعا ولانّها اعجبُ ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة (١٨) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ بلا عمد (١٩) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ فهى راسخة لا تميل (٢٠) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ بُسطت حتّى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلّم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركّبات ليتحقّقوا كمالَ قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقّب به امرَ المعاد ورتّب عليه الامرَ بالتذكير فقال (٢١) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ فلا عليك ان لم ينظروا ولم يتذكّروا اذ ما عليك الّا البلاغ (٢٢) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ بمتسلّط وعن الكسائىّ بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام (٢٣) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ لكن من تولّى وكفر (٢٤) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ يعنى عذاب الآخرة وقيل متّصل فانّ جهاد الكفّار وقتلهم تسلّط وكانّه اوعدهم بالجهاد فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكّر اى فذكّر الّا من تولّى وأصرّ فاستحقّ العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيّد الاوّل انّه قرئ أَلَا على التنبيه (٢٥) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ رجوعهم وقرئ بالتشديد على انّه فَيْعال مصدر فَيْعَل من الاياب او فِعّال من الأَوْب قُلبت واوه الاولى قلبها فى ديوان ثمّ الثانية للادغام (٢٦) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ فى المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فى الوعيد ؞ عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا ٭

سُورَةُ ٱلْفَجْرِ

مكّيّة وآيها ثلثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) وَٱلْفَجْرِ اقسم بالصبح او فَلَقِه كقوله والصبح اذا تنفّس او بصلوته وَلَيَالٍ عَشْرٍ عشرِ ذى الحجّة جزء ٣٠
ولذلك فسّر الفجر بفجر عرفةَ او النحرِ او عشرِ رمضانَ الاخيرِ وتنكيرُها للتعظيم وقرئ وَلَيَالِ ركوع ١٤
عَشْرٍ بالاضافة على انّ المراد بالعَشْر الايّام (٢) وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ والاشياء كلّها شفعها ووترها او الخلق لقوله
ومن كلّ شىء خلقنا زوجين والخالق لانّه فردٌ ومن فسّرهما بالعناصر والافلاك او البروج والسيّارات او
شفعِ الصلوات ووترِها او يومَى النحر وعرفةَ وقد رُوى مرفوعا او بغيرها فلعلّه افرد بالذكر من انواع
المدلول ما رآه اظهرَ دلالةً على التوحيد او مدخلا فى الدين او مناسبةً لما قبلهما او اكثرَ منفعةً موجبةً
للشكر ، وقرئ وَٱلْوِتْرِ بكسر الواو وهما لغتان كالحَبْر والحِبْر (٣) وَٱللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ اذا يمضى كقوله والليل
اذا دَبَرَ والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوّة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يُسْرَى فيه من
قولهم صَلّى المقامُ وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصّه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة
الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يَسْرٍ بالتنوين المُبْدَل من حرف الاطلاق
(٤) هَلْ فِى ذَٰلِكَ القسمِ او المُقْسَم به قَسَمٌ حلف او محلوف به لِذِى حِجْرٍ يعتبره ويؤكّد به ما يريد
تحقيقه ، والحِجْر العقل سُمّى به لانّه يَحْجر عمّا لا ينبغى كما سُمّى عَقْلا ونُهْيَةً وحَصاةً من الاحصاء
وهو الضبط ، والمقسم عليه محذوف وهو لَيُعذَّبُنّ يدلّ عليه قوله (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ يعنى
اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح قوم هود سُمّوا باسم ابيهم كما سمّى بنو هاشم باسمه (٦) إِرَمَ
عطف بيان لعاد على تقدير مضاف اى سِبْط ارم او اهل ارم ان صحّ انّه اسم بلدتهم وقيل سمّى
اوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدّهم ومنع صرفه للعلميّة والتأنيث ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ذات البناء الرفيع او
القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شدّاد وشديد فملكا وقهرا ثمّ مات شديد
فخلص الامر لشدّاد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنّة فبنى على مثالها فى بعض صحارى
عدن جنّةً وسمّاها إِرَم فلمّا تمّت سار اليها باهله فلمّا كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث اللّه عليهم
صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد اللّه بن قلابة انّه خرج فى طلب ابلٍ له فوقع عليها (٧) ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ
مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَادِ صفة اخرى لإرم والضميرُ لها سواء جُعلت اسم القبيلة او البلدة (٨) وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا
ٱلصَّخْرَ قطعوه واتّخذوه منازل لقوله وتنحتون من الجبال بيوتا بِٱلْوَادِ وادى القُرى (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِى

جزء ۳۰ الأوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم الّتى كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد (۱۰) الّذين طغوا فى
ركوع ۱۴ البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون او ذمّ منصوب او مرفوع (۱۱) فأكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم (۱۲) فصبّ عليهم ربّك سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانّما سمّى به الجلد المضفور الّذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبّه بالسوط ما احلّ بهم فى الدنيا اشعارا بانّه بالقياس الى ما اعدّ لهم فى الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف (۱۳) إنّ ربّك لبالمرصاد المكان الّذى يترقّب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب (۱۴) فأمّا الانسان متّصل بقوله انّ ربّك لبالمرصاد كانّه قيل انّه لبالمرصاد من الآخرة فلا يريد الّا السعى لها فامّا الانسان فلا يهمّه الّا الدنيا ولذّاتها اذا ما ابتلاه ربّه اختبره بالغنى واليسر فأكرمه ونعّمه بالجاه والمال (۱۵) فيقول ربّى أكرمن فضّلنى بما اعطانى وهو خبر المبتدا الّذى هو الانسان والفاء لما فى أمّا من معنى الشرط والظرف المتوسّط فى تقدير التأخير كانّه قيل فامّا الانسان فقائل ربّى اكرمنى وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله (۱۶) وأمّا اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه اى التقدير وأمّا الانسان اذا ما ابتلاه اى بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه (۱۷) فيقول ربّى أهانن لقصور نظره وسوء فكره فانّ التقتير قد يؤدّى الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضى الى قصد الأعداء والانهماك فى حبّ الدنيا ولذلك ذمّه على قوليه وردعه عنه بقوله (۱۸) كلّا مع انّ قوله الاوّل مطابق لأكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعّمه ولانّ التوسعة تفضّل والاخلال به لا يكون اهانة ، وقرأ ابن عامر والكوفيّون أكرمن وأهانن بغير ياء فى الوصل والوقف وعن ابى عمرو مثله ووافقهم نافع فى الوقف وقرأ ابن عامر فقدّر بالتشديد بل لا تكرمون اليتيم (۱۹) ولا تحضّون على طعام المسكين اى بل فعلهم اسوأ من قولهم وأدلّ على تهالكهم بالمال وهو انّهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرّة ولا يحثّون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم ، وقرأ الكوفيّون ولا تحاضّون (۲۰) وتأكلون التراث الميراث واصله وراث أكلا لمّا ذا لمّ اى جمع بين الحلال والحرام فانّهم كانوا لا يورّثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورّث من حلال وحرام عالمين بذلك (۲۱) وتحبّون المال حبّا جمّا كثيرا مع حرص وشره ، وقرأ ابو عمرو لا يكرمون الى ويحبّون بالياء والباقون بالتاء (۲۲) كلّا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه اذا دكّت الأرض دكّا دكّا دكّا بعد دكّ حتّى صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثّا (۲۳) وجاء ربّك اى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثّل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته والملك صفّا صفّا بحسب منازلهم ومراتبهم (۲۴) وجىء يومئذ بجهنّم كقوله وبرّزت الجحيم وفى الحديث يؤتى بجهنّم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كلّ زمام سبعون الف ملك يجرّونها يومئذ بدل من اذا دكّت الارض والعامل فيهما

يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنْسَانُ اى يتذكّر معاصيه او يتعظ لانّه يعلم قبحها فيندم عليها وَأَنَّى لَهُ ٱلذِّكْرَى اى جزء ٣٠
منفعة الذكرى لئلّا يناقض ما قبله ، واستدلّ به على عدم وجوب قبول التوبة فانّ هذا التذكّر توبة ركوع ١٤
غير مقبولة (٢٥) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي اى لحيوتى هذه او وقت حيوتى فى الدنيا اعمالا صالحة ،
وليس فى هذا التمنّى دلالة على استقلال العبد بفعله فانّ المحجور عن شىء قد يتمنّى أن كان ممكّنا منه
فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٦) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ الهاء للّه اى لا يتولّى عذاب اللّه ووثاقه يوم
القيامة سواه اذ الامر كلّه له او للانسان اى لا يعذّب احد من الربانية مثل ما يعذّبونه ، وقرأهما
الكسائىّ ويعقوب على بناء المفعول (٢٧) يَا أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ على ارادة القول وهى الّتى اطمأنّت
بذكر اللّه فانّ النفس تترقّى فى سلسلة الاسباب والمسبّبات الى الواجب لذاته فتستقرّ دون معرفته
وتستغنى به عن غيره او الى الحقّ بحيث لا يريبها شكّ او الآمنة الّتى لا يستفزّها خوف ولا حزن وقد
قرئ بهما (٢٨) ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ الى امره او موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل
الابدان موجودة فى عالم القدس او بالبعث رَاضِيَةً بما أوتيت مَرْضِيَّةً عند اللّه (٢٩) فَٱدْخُلِي فِي عِبَادِي
فى جملة عبادى الصالحين (٣٠) وَٱدْخُلِي جَنَّتِي معهم او فى زمرة المقرّبين فتستضىء بنورهم فانّ الجواهر
القدسيّة كالمرايا المتقابلة او ادخلى فى اجساد عبادى الّتى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى الّتى أُعدّت
لك ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غُفر له ومن قرأها فى سائر الايّام كانت له نورا
يوم القيمة ٭

سُورَةُ ٱلْبَلَدِ

مكّيّة وآيها عشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ (٢) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ اقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيّده بحلول الرسول فيه ركوع ١٥
اظهارا لمزيد فضله واشعارا بانّ شرف المكان بشرف اهله وقيل حلّ مستحَلّ تعرّضك فيه كما يُستحلّ
تعرّض الصيد فى غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعةً من نهار فهو وعدٌ بما أُحلّ له عام
الفتح (٣) وَوَالِدٍ آدم او ابرٰهيم عليهما السلام وَمَا وَلَدَ ذريّته او محمّد صلعم والتنكير للتعظيم وايثار
ما على مَن لمعنى التعجّب كقوله واللّه اعلم بما وَضَعَتْ (٤) لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ تعب ومشقّة
من كَبِدَ الرجل كَبَدًا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال فى شدائد مبدأها ظلمة
الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول صلعم ممّا كان يكابده من قريش ، والضمير
فى (٥) أَيَحْسَبُ لبعضهم الّذى كان يكابد منه اكثر او يغترّ بقوّته كأبى الاشدّ بن كلدة فانّه كان
يُبسط تحت قدميه اديم عُكاظىّ ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزال قدماه او لكلّ احد منهم او الانسان

جزء ۳۰ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فينتقم منه (۶) يَقُولُ اى فى ذلك الوقت أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا كثيرا من تلبّد
ركوع ۱۵ الشىء اذا اجتمع والمراد ما انفقه سُمعةً ومفاخرةً او مُعاداةً للرسول (۷) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ حين
كان ينفق او بعد ذلك فيسألَه عنه يعنى انّ اللّه يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثمّ بيّن ذلك
بقوله (۸) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ يبصر بهما (۹) وَلِسَانًا يترجم به عن ضمائره وَشَفَتَيْنِ يستر بهما فاه
ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها (۱۰) وَهَدَيْنَاهُ ٱلنَّجْدَيْنِ طريقَى الخير والشرّ او
الثديَيْن وأصلُه المكان المرتفع (۱۱) فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ اى فلم يشكر تلك الايادى باقتحام العقبة وهو
الدخول فى امر شديد والعقبةُ الطريق فى الجبل استعارها لما فسّرها به من الفكّ والاطعام فى قوله
(۱۲) وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ (۱۳) فَكُّ رَقَبَةٍ (۱۴) أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ (۱۵) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (۱۶) أَوْ مِسْكِينًا
ذَا مَتْرَبَةٍ لما فيهما من مجاهدة النفس ، ولتعدّد المراد بها حَسُن وقوعُ لَا موقعَ لَمْ فانّها لا تكاد تقع الّا
مكرّرةً اذ المعنى فلا فكّ رقبةً ولا أطْعَمَ يتيما او مسكينا ، والمسغبة والمقربة والمتربة مَفْعَلات من سَغِبَ اذا
جاع وقَرُبَ فى النسب وتَرِبَ اذا افتقر ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائىّ فَكَّ رقبةً أَوْ أَطْعَمَ على
الابدال من اقتحم وقولُه وما ادراك ما العقبة اعتراضٌ معناه انّك لم تَدْرِ كُنْهَ صعوبتها وثوابها
(۱۷) ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا عطفه على اقتحم او فكّ بثُمّ لتباعد الايمان عن العتق والاطعام فى الرتبة
لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وَتَوَاصَوْا اوصى بعضهم بعضا بِٱلصَّبْرِ على طاعة اللّه وَتَوَاصَوْا بِٱلْمَرْحَمَةِ
بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة اللّه (۱۸) أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ اليمين او اليُمْن (۱۹) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا
بِآيَاتِنَا بما نصبناه دليلا على الحقّ من كتاب وحجّة او بالقران هُمْ أَصْحَابُ ٱلْمَشْأَمَةِ الشمال او الشُّوم ،
ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفّار بالضمير شأنٌ لا يخفى (۲۰) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ مُطْبَقة من
اوصدتُ البابَ اذا اطبقته واغلقته وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمز من آصدته ، عن النبىّ صلعم من
قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه اللّه الامان مِنْ غضبه يوم القيٰمة ٭

سُورَةُ ٱلشَّمْسِ

مكّيّة وآيها خمس عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ۱۹ (۱) وَٱلشَّمْسِ وَضُحَاهَا وضوئها اذا اشرقت وقيل الضَّحْوة ارتفاع النهار والضُّحى فوق ذلك والضَّحاء
بالفتح والمدّ اذا امتدّ النهار وكاد ينتصف (۲) وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا تلا طلوعُه طلوعَ الشمس اوّل الشهر

او غروبها ليلة البدر او فى الاستدارة وكمال النور (٣) وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا جلّى الشمس فانّها تتجلّى اذا جزء ٣٠
انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها (٤) وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ركوع ١٦
يغشى الشمس فيغطّى ضوءها او الآفاق او الارض، ولمّا كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى القسميّة الجارّة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المقدّمين ربط الواو لما بعدها فى قولك ضرب زيدٌ عمرًا وبكرٌ خالدًا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين (٥) وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَاهَا ومن بناها وانّما أُوثرت على مَنْ لارادة معنى الوصفيّة كانّه قيل والشىء القادر الّذى بناها ودلّ على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام فى قوله (٦) وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٧) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا وجعل الماءآت مصدريّة يجرّد الفعل عن الفاعل ويُخلّ بنظم قوله (٨) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا بقوله وما سوّاها الّا ان يُضمر فيه اسم اللّه للعلم به، وتنكير نفس للتكثير كما فى قوله عَلِمَتْ نفسٌ او للتعظيم والمراد نفس آدم، والهامُ الفجور والتقوى افهامُهما وتعريف حالهما والتمكينُ من الاتيان بهما (٩) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا أنْماها بالعلم والعمل جوابُ القسم وحذف اللام للطول وكانّه لمّا اراد به الحثّ على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلّهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الّذى هو اقصى درجات القوّة النظريّة ويذكّرهم عظائم الآيات ليحملهم على الاستغراق فى شكر نعمائه الّذى هو منتهى كمالات القوّة العمليّة وقيل استطرادٌ بذكر بعض احوال النفس والجوابُ محذوفٌ تقديره ليدمدمنّ اللّهُ على كُفّار مكّة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا (١٠) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق وأصلُ دَسّى دَسَّس كتقضّى وتقضّض (١١) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا بسبب طغيانها او بما أُوعدَتْ به من عذابها ذى الطغوى كقوله فأُهلكوا بالطاغية وأصله طَغْيَا وانّما قُلبت ياؤها واوا تفرقةً بين الاسم والصفة وقرئ بالضمّ كالرُّجْعَى (١٢) إِذِ ٱنْبَعَثَ حين قام ظرف لكذّبت او طغوى أَشْقَاهَا اشقى ثمود وهو قُدارُ بن سالف او هو ومن مالأه على قتل الناقة فانّ افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضلُ شقاوتهم لتولّيهم العقر (١٣) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ اى ذَرُوا ناقة اللّه واحذروا عقرها وَسُقْيَاهَا فلا تذودوها عنها (١٤) فَكَذَّبُوهُ فيما حذّرهم منه من حلول العذاب إن فعلوا فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ فأطبق عليهم العذابَ وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا ألبسها الشحمُ بِذَنْبِهِمْ بسببه فَسَوَّاهَا فسوّى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يُفلت منهم صغير ولا كبير او ثمودَ بالاهلاك (١٥) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا اى عاقبةَ الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتَها فيُبقى بعض الابقاء والواوُ للحال وقرأ نافع وابن عامر فَلا على العطف، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة والشمس فكانّما تصدّق بكلّ شىء طلعت عليه الشمس والقمر ٥

سُورَةُ ٱللَّيْلِ

مَكِّيَّة وآيها احدى وعشرون آيـة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ٣٠ ركوع ١٧ (١) وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ اى يغشى الشمسَ او النهارَ او كلّ ما يواريه بظلامه (٢) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ظهر بزوال ظلمة الليل او تبيّن بطلوع الشمس (٣) وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنْثَىٰ والقادرِ الّذى خلق صنفى الذكر والانثى من كلّ نوع له توالدٌ او آدم وحوّاء وقيل ما مصدريّة (٤) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ انّ مساعيكم لأشتات مختلفة جمعُ شتيت (٥) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٦) وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ تفصيل مبيّن لتشتّت المساعى والمعنى من اعطى الطاعة واتّقى المعصية وصدّق بالكلمة الحسنى وهى ما دلّت على حقّ ككلمة التوحيد (٧) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ فسنهيّئه للخلّة الّتى تؤدّى الى يسر وراحة كدخول الجنّة من يسّر الفرسَ اذا هيّأه للركوب بالسرج واللجام (٨) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بما أُمر به وَٱسْتَغْنَىٰ بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (٩) وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ بانكار مدلولها (١٠) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ للخلّة المؤدّية الى العسر والشدّة كدخول النار (١١) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ نفىٌ او استفهامُ انكار إِذَا تَرَدَّىٰ هلك تفعّل من الردى او تردّى فى حفرة القبر او قعرِ جهنّم (١٢) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ للارشاد الى الحقّ بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او انّ علينا طريقة الهدى كقوله وعلى اللّه قصدُ السبيل (١٣) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ فنعطى فى الدارَيْن ما نشاء لمن نشاء او ثوابَ الهداية للمهتدين او فلا يضرّنا تركـكم الاهتداء (١٤) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ تتلهّب (١٥) لَا يَصْلَاهَا لا يلزمها مقاسيا شدّتها إِلَّا ٱلْأَشْقَى الّا الكافر فانّ الفاسق وإن دخلها لم يلزمها ولذلك سمّاه اشقى ووصفه بقوله (١٦) ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ اى كذّب الحقّ واعرض عن الطاعة (١٧) وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى الّذى اتّقى الشرك والمعاصى فانّه لا يدخلها فضلا عن ان يدخلها ويصلاها ، ومفهومُ ذلك انّ من اتّقى الشرك دون المعصية لا يجنّبها ولا يلزم ذلك صُليُّها فلا يخالف الحصرَ السابق (١٨) ٱلَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يصرفه فى مصارف الخير لقوله يَتَزَكَّىٰ فانّه بدلٌ من يؤتى او حالٌ من فاعله (١٩) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ فيقصد بايتائه مُجازاتَها (٢٠) إِلَّا ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ استثناء منقطع او متّصل عن محذوف مثل لا يؤتى الّا ابتغاء وجه ربّه لا لمكافأة نعمة (٢١) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ وعدٌ بالثواب الّذى يرضيه ، والآيات نزلت فى ابى بكر رضه حين اشترى بلالا فى جماعة يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل او أُميّة بن خَلَف ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورةَ والليل اعطاه اللّه حتّى يرضَى وعافاه من العسر ويسّر له اليسر •

سُورَةُ ٱلضُّحَى

مكّيّة وآيها احدى عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) وَٱلضُّحَى ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لانّ النهار يقوى فيه او لان فيه كلّم موسى ربّه وأُلقى جزء ٣٠ السَّحَرةُ سجّدا او النهار ويؤيّده قوله ان يأتيهم بأسنا ضُحًى فى مقابلة بياتا (٢) وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَى ركوع ١٨ سكن اهله او ركد ظلامه من سجا البحر سَجْوًا اذا سكنت امواجه ، وتقديم الليل فى السورة المتقدّمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف (٣) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ما قطعك قَطْعَ المودّع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وَمَا قَلَى وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبلُ ومراعاةً للفواصل رُوى انّ الوحى تأخّر عنه ايّاما لتركه الاستثناء كما مرّ فى الكهف او لزجره سائلا مُلحّا او لانّ جَرْوا ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون انّ محمّدا ودّعه ربّه وقلاه فنزلت ردّا عليهم (٤) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ ٱلْأُولَى فانّها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضارّ كانّه لمّا بيّن انّ اللّه تعالى لا يزال يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا وَعَدَ له ما هو اعلى وأجلّ من ذلك فى الآخرة او لَنهايةُ امرك خير من بدايته فانّه لا يزال يتصاعد فى الرفعة والكمال (٥) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى وعدٌ شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادّخر له ممّا لا يعرف كُنْهَه سواه واللامُ للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير ولأنت سوف يعطيك لا للقسم فانّها لا تدخل على المضارع الّا مع النون المؤكّدة وجمعها مع سوف للدلالة على انّ العطاء كائن لا محالة وإنْ تأخّر لحكمة (٦) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انّه كما احسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل ، ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى او المصادفة ويتيما حال (٧) وَوَجَدَكَ ضَالًّا عن علم الحِكَم والأحكام فَهَدَى فعلّمك بالوحى والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالّا فى الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشأم او حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردّك على جدّك فازال ضلالك عن عمّك او جدّك (٨) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فقيرا ذا عيال فَأَغْنَى بما حصل لك من ربح التجارة (٩) فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تَكْهَرْ اى فلا تعبس فى وجهه (١٠) وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ فلا تزجر (١١) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ فانّ التحدّث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوّة والتحدّث بها تبليغها ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة والضحى جعله اللّه فيمن يرضى لمحمّد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها اللّه له بعدد كلّ يتيم وسائل ٥

سُورَةُ أَلَمْ نَشْرَحْ

مكيّة وآيها ثمان آيـات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ٣٠ (١) أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ الم نفسّحه حتّى وسع مناجاة الحقّ ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا او الم
ركوع ١٩ نفسّحه بما اودعنا فيه من الحِكَم وأزلنا عنه ضيق الجهل او بما يسّرنا لك تلقّى الوحى بعد ما كان يشقّ عليك وقيل انّه اشارة الى ما رُوى انّ جبريل اتى النبىّ صلعم فى صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثمّ ملأه ايمانا وعلما ولعلّه اشارة الى نحو ما سبق ، ومعنى الاستفهام انكارُ نفى الانشراح مبالغةً فى اثباته ولذلك عطف عليه (٢) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ عبْأك الثقيل (٣) ٱلَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ الذى حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاص من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحِكَم والأحْكام او حيرته او تلقّى الوحى او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعدّيهم فى ايذائه حين دعاهم الى الايمان (٤) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ بالنبوّة وغيرها وأىّ رفع مثلُ أن قرن اسمه باسمه تعالى فى كلمتى الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلّى عليه فى ملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وخاطبه بالالقاب وانّما زاد لَكَ ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة (٥) فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ كضيق الصدر والوِزْر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم يُسْرًا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من رَوْح اللّه اذا عراك ما يغمّك وتنكيرُه للتعظيم ، والمعنى بما فى إنّ مَعَ من المصاحبة المبالغةُ فى معاقبة اليسر للعسر واتّصاله به اتّصال المتقاربَيْن (٦) إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا تكرير للتأكيد او استيناف وعده بانّ العسر متبوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك انّ للصائم فرحةً انّ للصائم فرحةً اى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الربّ وعليه قوله صلعم لن يغلب عسرٌ يسرَيْن فانّ العسر معرّف فلا يتعدّد سواء كان للعهد او الجنس واليسر منكّر فيحتمل ان يراد بالثانى فردٌ يغاير ما اريد بالاوّل (٧) فَإِذَا فَرَغْتَ من التبليغ فَٱنْصَبْ فاتعبْ فى العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدناك من النعم الآتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب فى العبادة او فاذا فرغت من الصلوة فانصب بالدعاء (٨) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَبْ بالسؤال ولا تسأل غيره فانّه القادر وحده على اسعافه وقرئ فَرَغّبْ اى فرغّب الناس الى طلب ثوابه ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الم نشرح فكانّما جاءنى وانا مغتمّ ففرّج عنّى ٥

سُورَةُ ٱلتِّينِ

مختلف فيها وآيها ثمان آيــات

بِسْــــــــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ خصّهما من الثمار بالقسم لانّ التين فاكهة طيّبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع جزء ٣٠
الهضم ودواء كثير النفع فانّه يليّن الطبع ويحلّل البلغم ويطهّر الكُلْيتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سُدد ركوع ٢٠
الكبد والطحال ويسمّن البدن وفى الحديث انّه يقطع البواسير وينفع من النقْرِس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انّه قد ينبت حيث لا دُهْنيّة فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدّسة او مسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان (٢) وَطُورِ سِينِينَ يعنى الجبل الّذى ناجى عليه موسى ربّه وسينين وسيناء اسمان للموضع الّذى هو فيه (٣) وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ الآمن من أمُن الرجل أمانة فهو امين او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكّة (٤) لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ يريد به الجنس فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ تعديل بأن خصّ بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواصّ الكائنات ونظائر سائر الممكنات (٥) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ بأن جعلناه من اهل النار او الى اسفل سافلين وهو النار وقيل ارذل العمر فيكون (٦) إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ استثناء منقطعا فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ لا ينقطع او لا يمنّ به عليهم وهو على الاوّل حكم مرتّب على الاستثناء مقرّر له (٧) فَمَا يُكَذِّبُكَ فأىّ شىء يكذّبك يا محمّد دلالة او نطقا بَعْدُ بِٱلدِّينِ بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل مَا بمعنى مَنْ وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الّذى يحملك على الكذب (٨) أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَاكِمِينَ تحقيق لما سبق والمعنى اليس الّذى فعل ذلك من الخلق والردّ بأحكم الحاكمين صُنْعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مرّ مرارا ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة والتين اعطاه اللّه العافية واليقين ما دام حيّا فاذا مات اعطاه الاجر بعدد من قرأ هذه السورة ٠

سُورَةُ ٱلْعَلَقِ

مكّيّة وآيها تسع عشرة آيــة

بِسْــــــــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ اى اقرأ القران مفتتحا باسمه او مستعينا به ٱلَّذِى خَلَقَ الّذى له الخلق او الّذى ركوع ٢١
خلق كلّ شىء ثمّ افرد ما هو اشرف واظهر صُنْعا وتدبيرا وأدلّ على وجوب العبادة المقصودة من القراءة

جزء ۳۰ فقال (۲) خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ او الّذى خلق الانسان فأبهم اوّلا ثمّ فسّر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب
ركوع ۲۱ فطرته مِنْ عَلَقٍ جمعه لانّ الانسان فى معنى الجمع ، ولمّا كان اوّل الواجبات معرفة اللّه تعالى نزل اوّلا ما يدلّ على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته (۳) اِقْرَأْ تكرير للمبالغة او الاوّل مطلق والثانى للتبليغ او فى الصلوة ولعلّه لمّا قيل له اقرأ باسم ربّك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ الزائد فى الكرم على كلّ كريم فانّه ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوّف بل هو الكريم وحده على الحقيقة (۴) ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ اى الخطّ بالقلم وقد قرئ به لتقيّد به العلوم ويعلم به البعيد (۵) عَلَّمَ ٱلْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلّمك القراءة وان لم تكن قارئا ، وقد عدّ سبحانه مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخسّ المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيّته وتحقيقا لاكرميّته واشار اوّلا الى ما يدلّ على معرفته عقلا ثمّ نبّه على ما يدلّ عليها سمعا (۶) كَلَّا ردع لمن كفر بنعمة اللّه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه اِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (۷) أَنْ رَآهُ ٱسْتَغْنَى ان رأى نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانّه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد (۸) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ ٱلرُّجْعَى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى (۹) أَرَأَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَى (۱۰) عَبْدًا اِذَا صَلَّى نزلت فى ابى جهل قال لو رأيت محمّدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثمّ نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال انّ بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة فى تقبيح النهى والدلالة على كمال عبوديّة المنهىّ (۱۱) أَرَأَيْتَ اِنْ كَانَ عَلَى ٱلْهُدَى (۱۲) أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَى تكرير للاوّل وكذا الّذى فى قوله (۱۳) أَرَأَيْتَ اِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (۱۴) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ ٱللّٰهَ يَرَى والشرطيّة مفعوله الثانى وجواب الشرط محذوف دلّ عليه جواب الشرط الثانى الواقع موقع القسيم له والمعنى اخبرنى عن من ينهى بعض عباد اللّه عن صلوته ان كان ذلك الناهى على هدى فيما ينهى عنه او آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحقّ والتولّى عن الصواب كما نقول الم يعلم بأنّ اللّه يرى ويطّلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارأيت الّذى ينهى عبدا يصلّى والمنهىّ على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذّب متولّ فما اعجب من ذا وقيل الخطاب فى الثانية مع الكافر فانّه سبحانه وتعالى كالحاكم الّذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرّة والآخر اخرى وكانّه قال يا كافر اخبرنى ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى اللّه امرا بالتقوى أتنهاه ولعلّه ذكر الامر بالتقوى فى التعجّب والتوبيخ ولم يتعرّض له فى النهى لانّ النهى كان عن الصلوة والامر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلوة لانّه دعوة بالفعل او لانّ نهى العبد اذا صلّى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامّة احوالها محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة (۱۵) كَلَّا ردع للناهى لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ عمّا هو فيه لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ لنأخذنّ بناصيته ولنسحبنّه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدّة وقرئ لنسفعنّ بنون مشدّدة ولأسفعنّ وكتبته فى

المصحف بالالف على حكم الوقف ، والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بانّ المرادَ ناصية المذكور جزء ٣٠
(١٦) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ بدل من الناصية وانّما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية والنصب ركوع ٢١
على الذمّ ، ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازىّ للمبالغة (١٧) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ اى
اهلَ ناديه ليُعينوه/ وهو المجلس الّذى ينتدى فيه القوم روى انّ ابا جهل لعنه اللّه مرّ برسول اللّه
صلعم وهو يصلّى فقال الم أنْهك فأغلظ له رسولُ اللّه فقال اتُهدّدنى وأنا أكثرُ اهل الوادى ناديا فنزلت
(١٨) سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ليجرّوه الى النار وهى فى الاصل الشُرَط واحدُها زِبْنية كعِفْرِية من الزَبْن وهو الدفع
او زِبْنىّ على النسب وأصلُها زَبانىّ والتاء معوّضة عن الياء (١٩) كَلَّا ردعٌ ايضا للناهى لَا تُطِعْهُ اى اثبتْ
انت على طاعتك وَٱسْجُدْ ودُمْ على سجودك وَٱقْتَرِبْ وتقرّب الى ربّك وفى الحديث اقربُ ما يكونُ العبدُ
الى ربّه اذا سجد ، عن رسول اللّه صلعم من قرأ سورة العلق أُعطى من الاجر كانّما قرأ المفصّل كلّه ٥

سُورَةُ ٱلْقَدْرِ

مختلف فيها وآيها خمس آيات

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ الضمير للقران فخّمه باضماره من غير ذكر/ شهادةً له بالنباهة المُغْنية عن ركوع ٢٢
التصريح كما عظّمه بأن اسند انزاله اليه وعظّم الوقت الّذى أُنزل فيه بقوله (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ
(٣) لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ وانزالُه فيها بأن ابتدأ بانزاله فيها او انزله جُمْلةً من اللوح الى
السماء الدنيا على السَفَرة ثمّ كان جبريل ينزّله على رسول اللّه صلعم نجوما فى ثلث وعشرين سنةً وقيل
المعنى انزلناه فى فَضلها وهى فى اوتار العَشر الاخير من رمضان ولعلّها السابعة منها والداعى الى اخفائها
أن يُحْيِىَ من يُريدها ليالى كثيرةً وتسميتُها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله تعالى فيها يُفْرَق
كلّ امرٍ حكيم ، وذكر الألف امّا للتكثير او لما روى انّه عم ذكر اسرائيليّا لبس السلاح فى سبيل اللّه
الف شهرٍ فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فأُعطوا ليلةً هى خير من مُدّة ذلك الغازى (٤) تَنَزَّلُ
ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ بيان لما له فُضّلت على الف شهر ، وتنزُّلهم الى الارض او السماء الدنيا
او تقرُّبهم الى المؤمنين مِنْ كُلِّ أَمْرٍ من اجل كلّ امرٍ قُدّر فى تلك السنة وقرئ مِنْ كُلِّ ٱمْرِئٍ اى من
اجل كلّ انسان (٥) سَلَامٌ هِيَ ما هى الّا سلامةٌ اى لا يقدّر اللّه فيها الّا السلامة ويقضى فى غيرها السلامة
والبلاء او ما هى الّا سلامٌ لكثرة ما يُسلّمون فيها على المؤمنين حَتَّى مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ اى وقت مطلعه اى

*

جزء ٣٠ طلوعه وقرأ الكسائى بالكسر على انّه كالمَرْجِع او اسمُ زمان على غير قياس كالمَشْرِق ، عن النبىّ
ركوع ١٣ صلعم من قرأ سورة القدر أُعْطِى من الاجر كمن صام رمضان وأَحْيَى ليلة القدر ٠

سُورَةُ لَمْ يَكُنْ

مختلف فيها وآيها ثمان آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٢٣ (١) لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ اليهود والنصارى فانّهم كفروا بالالحاد فى صفات اللّه ومن للنبيين وَٱلْمُشْرِكِينَ وعَبَدة الاوثان مُنْفَكِّينَ عمّا كانوا عليه من دينهم او الوعدِ باتّباع الحقّ اذا جاءهم الرسول حَتَّى تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ الرسولُ او القرانُ فانّه مبيّن للحقّ او معجزة الرسولِ باخلاقه والقرانِ بافحامه مَنْ تحدّى به (٢) رَسُولٌ مِنَ ٱللَّهِ بدل من البيّنة بنفسه او بتقديرِ مضاف او مبتدأٌ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً صفتُه او خبرُه والرسول وان كان أمّيّا لكنّه لمّا تلا مثل ما فى الصحف كان كالتالى لها وقيل المراد جبريل عم ، وكون الصحف مطهّرة انّ الباطل لا يأتى ما فيها او انّها لا يمسّها الّا المطهّرون فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحقّ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ عمّا كانوا عليه بأنْ آمن بعضهم او تردّد فى دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ فيكون كقوله وكانوا من قبلُ يستفتحون على الّذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به ، وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانّهم لمّا تفرّقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى (٤) وَمَا أُمِرُوا اى فى كتبهم بما فيها إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لا يشركون به حُنَفَاءَ مائلين عن العقائد الزائغة وَيُقِيمُوا ٱلصَّلٰوةَ وَيُؤْتُوا ٱلزَّكٰوةَ ولكنّهم حرّفوا وعصوا وَذٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ دين الملّة القيّمة (٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا اى يوم القيامة او فى الحال لملابستهم ما يوجب ذلك ، واشتراك الفريقين فى جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما فى نوعه فلعلّه يختلف لتفاوتِ كفرهما أُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ اى الخليقة وقرأ نافع ٱلْبَرِيئَةِ بالهمزة على الاصل

(٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا فيه مبالغاتٌ تقديمُ المدح وذكرُ الجزاء المؤذن بانّ ما منحوا فى مقابلة ما وُصفوا به والحكمُ عليه بانّه من عند ربّهم وجمعُ جنّات وتقييدُها اضافةً ووصفًا بما يزداد لها نعيما وتأكيدُ الخلود بالتأبيد (٨) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ استيناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم

وَرَضُوا عَنْهُ لانّه بلّغهم اقصى امانيّهم ذٰلِكَ اى المذكور من الجزاء والرضوان لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ فانّ جزء ٣٠
الخشية ملاك الامر والباعث على كلّ خير، عن النبىّ صلعم من قرأ لم يكن كان يوم القيمة مع خير ركوع ٢٣
البريّة مساء ومقيلا ○

سُورَةُ ٱلزَّلْزَلَةِ

مختلف فيها وآيها ثمان آيــات

بِسْــــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا اضطرابها المقدّر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق ركوع ٢٤
بها فى الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس فى الابنية فَعْلال الّا فى المضاعف (٢) وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ما فى جوفها من الدفائن او الاموات جمعُ ثِقْل وهو متاع البيت (٣) وَقَالَ ٱلْإِنْسَانُ مَا لَهَا لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فانّ المؤمن يعلم ما لها (٤) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ تحدّث الخلق بلسان الحال أَخْبَارَهَا ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل يُنطقها اللّه تعالى فتخبر بما عُمل عليها ويومئذ بدلٌ من اذا وناصبهما تحدّث او اصلٌ واذا منتصب بمضمر (٥) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا اى تحدّث بسبب ايحاء ربّك لها بأن احدثَ فيها ما دلّت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدّثته كذا وبكذا، واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها فى ذلك تَشَفّ من العصاة
(٦) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ عن مخارجهم من القبور الى الموقف أَشْتَاتًا متفرّقين بحسب مراتبهم لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء (٧) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٨) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ تفصيل ليروا ولذلك قرئ يُرَه بالضمّ، ولعلّ حسنة الكافر وسيّئة المجتنب عن الكبائر تؤثّران فى نقص العقاب والثواب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا، والذرّة النملة الصغيرة او الهباء، عن النبىّ صلعم من قرأ اذا زلزلت اربع مرّات كان كمن قرأ القران كلّه ○

سُورَةُ ٱلْعَادِيَاتِ

مختلف فيها وآيها احدى عشرة آيــة

بِسْــــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) وَٱلْعَادِيَاتِ ضَبْحًا اقسم سبحانه بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العَدْو ونصبه ركوع ٢٥
بفعله المحذوف او بالعاديات فانّها تدلّ بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة

جزء ٣٠ (٢) فَٱلْمُورِيَاتِ قَدْحًا فالّتى تورى النار والايراء اخراج النار يقال قَدَحَ الزند فأورى (٣) فَٱلْمُغِيرَاتِ
ركوع ٣٥ يُغير اهلها على العَدُوّ صُبْحًا اى فى وقته (٤) فَأَثَرْنَ بِهِ فهيّجن بذلك الوقت نَقْعًا غبارا او صياحا
(٥) فَوَسَطْنَ بِهِ فتوسّطن بذلك الوقت او بالعَدْو او بالنقع اى ملتبسات به جَمْعًا من جموع الاعداء
رُوى انّه عم بعث خيلا فمضت أَشْهُرٌ لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس
العادية اثر كمالهنّ الموريات بافكارهنّ انوار المَعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهنّ مبدأ انوار
القدس فأثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العلّيّين (٦) إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ لَكفور من كَنَدَ
النعمة كُنودا او لَعاصٍ بلغة كِنْدة او لَبخيل بلغة بنى مالك وهو جواب القسم (٧) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ
وانّ الانسان على كنوده لَشَهِيدٌ يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او انّ اللّه على كنوده لَشهيدٌ
فيكون وعيدا (٨) وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ المالِ من قوله تعالى إن ترك خيرا لَشَدِيدٌ لبخيلٌ او لقوىٌّ مبالغ
فيه (٩) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ بُعث مَا فِي ٱلْقُبُورِ من الموتى وقرئ بُحْثِرَ وبُحِثَ (١٠) وَحُصِّلَ جُمع محصّلا فى
الصحف او مُيّز مَا فِي ٱلصُّدُورِ من خير او شرّ وتخصيصه لانّه الاصل (١١) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ وهو يوم
القيامة لَخَبِيرٌ عالم بما اعلنوا وما اسرّوا فمجازيهم وانّما قال مَا ثمّ قال بِهِمْ لاختلاف شأنهم فى
الحالين ، وقرئ أَنَّ وخَبِيرٌ بلا لام ، عن النبىّ صلعم من قرأ والعاديات أُعطى من الاجر عشر حسنات
بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا ●

سُورَةُ ٱلْقَارِعَةِ

مكّيّة وآيها ثمان آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٣٦ (١) ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ سبق بيانه فى الحاقّة (٣) يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ
ٱلْمَبْثُوثِ فى كثرتهم وذلّتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصابُ يوم بمضمر دلّت عليه القارعة (٤) وَتَكُونُ
ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ كالصوف ذى الالوان ٱلْمَنْفُوشِ المندوف لتفرّق اجزائها وتطايرها فى الجوّ (٥) فَأَمَّا مَنْ
ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ بأن ترجّحت مقاديرُ انواع حسناته فَهُوَ فِي عِيشَةٍ فى عيش رَاضِيَةٍ ذات رِضًى او مرضيّة
(٦) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ بأن لم يكن له حسنة يُعبأ بها او ترجّحت سيّئاته على حسناته فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ
فمأواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (٨) نَارٌ حَامِيَةٌ ذات حَمْى ، عن النبىّ
صلعم من قرأ سورة القارعة ثقّل اللّه بها ميزانه يوم القيمة ●

سُورَةُ ٱلتَّكَاثُرِ

مختلف فيها وآيها ثمان آيات

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

(١) أَلْهَاكُمُ شغلكم وأصله الصرف الى اللهو منقول من لَهِيَ اذا غفل ٱلتَّكَاثُرُ التباهي بالكثرة (٢) حَتّى جزء ٣٠ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ اذا استوعبتم عدد الاحياء صِرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبّر عن انتقالهم الى ذكر ركوع ٢٧ الموتى بزيارة المقابر رُوِي انّ بني عبد مَناف وبني سَهْم تفاخروا بالكثرة فكثَرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم انّ البغي اهلكنا في الجاهليّة فعادُّونا بالاحياء والاموات فكثَرهم بنو سهم وانّما حذف المُلْهَى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متّم وقُبِرتم مضيّعين اعماركم في طلب الدنيا عمّا هو اهمّ لكم وهو السعي لأُخْراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت (٣) كَلَّا ردع وتنبيه على انّ العاقل ينبغي له ان لا يكون جميع همّه ومُعْظَم سعيه للدنيا فانّ عاقبة ذلك وبال وحسرة سَوْفَ تَعْلَمُونَ خطاء رأيكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا ويتنبّهوا عن غفلتهم (٤) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ تكرير للتأكيد وثُمّ للدلالة على انّ الثاني ابلغ من الأوّل او الاوّل عند الموت او في القبر والثاني عند النشور (٥) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ اي لو تعلمون ما بين ايديكم عِلْمَ الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لَشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يُكْتَنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله (٦) لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ جوابا له لانّه محقّق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكّد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما (٧) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا تكرير للتأكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار عَيْنَ ٱلْيَقِينِ اي الرؤية الّتي هي نفس اليقين فانّ علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين (٨) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ الّذي الهاكم والخطاب مخصوص بكلّ من الهاه دنياه عن دينه والنعيمُ بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله من حرّم زينة اللّه كلوا من الطيّبات وقيل يَعُمّان اذ كلٌّ يُسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفّار، عن النبيّ صلعم من قرأ ألهاكم لم يحاسبه اللّه بالنعيم الّذي انعم به عليه في دار الدنيا وأُعْطي من الاجر كانّما قرأ الف آية ○

سُورَةُ ٱلْعَصْرِ

مكّيّة وآيها ثلث آيات

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

(١) وَٱلْعَصْرِ اقسم سبحانه بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوّة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب ركوع ٢٨

جزء ٣٠ ركوع ٢٨ والتعريض بنفي ما يضاف اليه من الخسران (٢) إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ان الناس لفي خسران في مساعيهم وصرف اعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم (٣) إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فانّهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابديّة والسعادة السرمديّة وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ بالثابت الّذي لا يصحّ انكاره من اعتقاد او عمل وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ عن المعاصي او على الحقّ او ما يبلو اللّه به عباده وهذا من عطف الخاصّ على العامّ للمبالغة الّا ان يخصّ العمل بما يكون مقصورا على كماله، ولعلّه سبحانه انّما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بانّ ما عدا ما عُدّ يؤدّي الى خُسْر ونقص حظّ او تكرّما فانّ الابهام في جانب الخسر كرم، عن النبيّ صلعم من قرأ سورة العصر غفر اللّه له وكان ممّن تواصى بالحقّ وتواصى بالصبر •

سُورَةُ ٱلْهُمَزَةِ

مكّيّة وآيها تسع آيات

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٢٩ (١) وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم وبناء فُعَلة يدلّ على الاعتياد فلا يقال ضُحَكة ولُعَنة الّا للمكثر المتعوّد وقرئ هُمْزة لُمْزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الّذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم، ونزولها في الاخنس بن شَرِيق فانّه كان مغيابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول اللّه صلعم (٢) ٱلَّذِي جَمَعَ مَالًا بدل من كلّ او ذمّ منصوب او مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائيّ بالتشديد للتكثير وَعَدَّدَهُ وجعله عُدّة للنوازل او عدّه مرّة بعد اخرى ويؤيّده انّه قرئ وعدده على فكّ الادغام (٣) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ تركه خالدا في الدنيا فاحبّه كما يحبّ الخلود او حبّ المال اغفله عن الموت او طوّل امله حتّى حسب انّه مخلّد فعمل عمل من لا يظنّ الموت وفيه تعريض بانّ المخلّد هو السعي للآخرة (٤) كَلَّا ردع له عن حسبانه لَيُنْبَذَنَّ ليطرحنّ فِي ٱلْحُطَمَةِ في النار الّتي من شأنها ان تحطم كلّ ما يطرح فيها (٥) وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ما النار الّتي لها هذه الخاصّة (٦) نَارُ ٱللّٰهِ تفسير لها ٱلْمُوقَدَةُ الّتي اوقدها اللّه وما اوقده لا يقدر ان يطفئه غيره (٧) ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْئِدَةِ تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لانّ الفؤاد الطف ما في البدن واشدّه تألّما او لانّه محلّ العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة (٨) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ مُطْبَقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال

تحنّ الى أجبال مكّة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة

فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ اى موثقين فى اعمدة ممدودة مثل المقاطر التى يقطر فيها اللصوص وقرأ الكوفيون غير حفص بضمتين ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الهمزة اعطاه اللّه عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمّد واصحابه ٠ جزء ٣٠ ركوع ٢٩

سُورَةُ ٱلْفِيلِ

مكّيّة وآيها خمس آيات

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ ٱلْفِيلِ الخطاب لرسول اللّه صلعم وهو وإن لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانّه رآها وانّما قال كَيْفَ ولم يقل مَا لانّ المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم اللّه وقدرته وعزّة بيته وشرف رسوله فانّها من الإرهاصات اذ روى انّها وقعت فى السنة التى وُلد فيها رسول اللّه صلعم وقصّتها انّ أَبْرَهَة بن الصّباح الاشرم مَلِك اليمن من قِبَل أَصْحَمة النجاشىّ بنى كنيسة بصنعاء وسمّاها القُلَّيْس وأراد ان يصرف اليها الحاجّ فخرج رجل من كِنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمنّ الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوىّ اسمه محمود وفيلة اخرى فلمّا تهيّأ للدخول وعبّأ جيشه قدّم الفيل فكان كلّما وجّهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجّهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هَرْوَلَ فأرسل اللّه تعالى طيرا كلٌّ فى منقاره حجر وفى رجليه حجران اكبر من العَدَسة واصغر من الحِمَّصة فترميهم فيقع الحجر فى رأس الرجل فيخرج من دُبُره فهلكوا جميعا ، وقرئ أَلَمْ تَرْ جدّا فى إظهار اثر الجازم ، وكَيْفَ نصبٌ بفَعَلَ لا بتَرَ لما فيه من معنى الاستفهام (٢) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فى تعطيل الكعبة وتخريبها فِي تَضْلِيلٍ فى تضييع وابطال بأن دمّرهم وعظّم شأنها (٣) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ جماعات جمع إبّالة وهى الحزمة الكبيرة شُبّهت بها الجماعة من الطير فى تضامّها وقيل لا واحد لها كعبابيد وشماطيط (٤) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ وقرئ بالياء على تذكير الطير لانّه اسمُ جمع او اسناده الى ضمير ربّك مِنْ سِجِّيلٍ من طين متحجّر معرّبُ سَنْك كِلْ وقيل من السِّجِلّ وهو الدلو الكبير او الإسجال وهو الارسال او من السِجِلّ ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدوّن (٥) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ كورق زرع وقع فيه الأُكال وهو أن يأكله الدود او أُكل حبّه فبقى صفرا منه او كتبن اكلته الدوابّ وراثته ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الفيل اعفاه اللّه ايّام حيوته من الخسف والمسخ ٠ ركوع ٣٠

سُورَةُ قُرَيْشٍ

مكيّة وآيها اربع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ٣٠ ركوع ٣١ (١) لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ متعلّق بقوله فليعبدوا ربّ هذا البيت , والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى انّ نِعَم اللّه عليهم لا تُحصى فإنْ لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل (٢) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ اى الرحلة فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشأم فيمتارون ويتّجرون , او بمحذوف مثل اعْجَبوا او بما قبله كالتضمين فى الشعر اى جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيّده انّهما فى مصحف أُبَىّ سورة واحدة ، وقرئ لِيَأْلَف قُرَيْش إِلْفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ ، وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابّة عظيمة فى البحر تعبث بالسُفُن ولا تُطاق الّا بالنار شُبّهوا بها لانّها تأكل ولا تُوكَل وتعْلو ولا تُعلَى وصُغّر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثمّ ابدال المقيّد عنه للتفخيم (٣) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ اى بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدّة اكلوا فيها الجيف والعظام (٤) وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ خوف اصحاب الفيل او التخطّف فى بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم ، عن الرسول صلعم من قرأ سورة لايلاف قريش اعطاه اللّه عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها ٥

سُورَةُ ٱلْمَاعُونِ

مختلف فيها وآيها سبع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ركوع ٣٣ (١) أَرَأَيْتَ استفهام معناه التعجّب وقرئ أَرَيْتَ بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعلّ تصديرها بحرف الاستفهام سهّل امرها وأَرَأَيْتَكَ بزيادة الكاف ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ بالجزاء او الاسلام ، والّذى يحتمل الجنس والعهد ويؤيّد الثانى قوله (٢) فَذٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيّا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المُغيرة او منافق بخيل ، وقرئ يَدَعُ اى يترك (٣) وَلَا يَحُضُّ اهله وغيرهم عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتّب الجملة على يكذّب بالفاء (٤) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٥) ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَوٰتِهِمْ سَاهُونَ اى غافلون اى غير مبالين بها (٦) ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ يُرون الناس اعمالهم ليُروهم الثناء عليهم

(٧) وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ الزكوة او ما يتعاور فى العادة ، والفاء جزائيّة والمعنى اذا كان عدم المبالاة جزء ٣٠ باليتيم مِنْ ضعف الدين والموجب للذمّ والتوبيخ فالسهوُ عن الصلوة التى هى عماد الدين والرياء ركوع ٣٢ الّذى هو شعبة من الكفر ومنعُ الزكوة التى هى قنطرة الاسلام أَحَقُّ بذلك ولذلك رتّب عليها الويل او للسببيّة على معنى فويل لهم وانّما وضع المصلّين موضع الضمير للدلالة على سوء معاملتهم مع الخالق والخلق ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة ارأيت غفر له إن كان للزكوة مؤدّيا ٥

سُورَةُ ٱلْكَوْثَرِ

مكيّة وآيها ثلث آيات

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ وقرئ أَنْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ الخير المُفْرِط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروى عنه ركوع ٣٣ صلعم إنّه نهر فى الجنّة وَعَدَنِيهِ ربّى فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزُبْد حافّتاه الزبرجد وأوانيه من فضّة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده او اتباعه او علماء امّته او القران (٢) فَصَلِّ لِرَبِّكَ فدُمْ على الصلوة خالصا لوجه اللّه خلاف الساهى عنها المرائى فيها شكرا لانعامه فانّ الصلوة جامعة لأقسام الشكر وَٱنْحَرْ البُدْنَ التى هى خيار اموال العرب وتصدّقْ على المحاويج خلافا لمن يَدُعّهم ويمنع عنهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدّمة وقد فُسّرت الصلوةُ بصلوة العيد والنحرُ بالتضحية (٣) إِنَّ شَانِئَكَ انّ مَنْ ابغضك لبغض اللّه هُوَ ٱلْأَبْتَرُ الذى لا عقبَ له اذ لا يبقى له نَسْلٌ ولا حُسْنُ ذكر وأمّا انت فتبقى ذرّيّتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الكوثر سقاه اللّه من كلّ نهر له فى الجنّة ويكتب له عشر حسنات بعدد كلّ قربان قرّبه العباد يوم النحر ٥

سُورَةُ ٱلْكَافِرُونَ

مكيّة وآيها ستّ آيات

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ يعنى كفرة مخصوصين قد علم اللّه منهم انّهم لا يؤمنون روى ان رهطا من ركوع ٣٤ قريش قالوا يا محمّد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت (٢) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ اى فيما يستقبل فانّ لا لا تدخل الّا على مضارع بمعنى الاستقبال كما انّ ما لا تدخل الّا على مضارع بمعنى الحال (٣) وَلَا

جزء ۳۰ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ اى فيما يستقبل لانّه فى قران لا اعبد (۴) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُّمْ اى فى الحال
ركوع ۳۴ او فيما سلف (۵) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ اى وما عبدتم فى وقتٍ مّا ما انا عابده ويجوز ان يكونا تأكيدين على طريقة ابلغ وانّما لم يقل ما عبدتُ ليطابق ما عبدتم لانّهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة اللّه وانّما قال مَا دون مَنْ لانّ المراد الصفة كانّه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحقّ او للمطابقة وقيل انّها مصدريّة وقيل الأُولَيان بمعنى الّذى والأُخرَيان مصدريّتان (۶) لَكُمْ دِينُكُمْ الّذى انتم عليه لا تتركونه وَلِيَ دِينِ دينى الّذى انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذنٌ فى الكفر ولا مَنْعٌ عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللّهمّ الّا اذا فُسّر بالمتاركة وتقرير كلٍّ من الفريقين الآخرَ على دينه وقد فُسّر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة ، عن النبىّ صلعم من قرأ سورة الكافرون فكانّما قرأ رُبع القران وتباعدت عنه مَرَدة الشياطين وبرئ من الشرك ٭

سُورَةُ النَّصْرِ

مدنيّة وآيها ثلث آيات

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

ركوع ۳۵ (۱) اِذَا جَآءَ نَصْرُ اللّٰهِ اظهاره ايّاك على اعدائك وَالْفَتْحُ وفتح مكّة وقيل المراد جنس نصرِ اللّه المؤمنين وفتحِ مكّة وسائر البلاد عليهم ، وانّما عبّر عن الحصول بالمجىء تجوّزا للاشعار بانّ المقدّرات متوجّهة من الازل الى اوقاتها المعيّنة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقّبا لوروده مستعدّا لشكره (۲) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّٰهِ أَفْوَاجًا جماعات كثيفة كأهل مكّة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ، ويدخلون حال على انّ رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثانٍ على انّه بمعنى علمت (۳) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ فتعجّب لتيسير اللّه ما لم يخطر ببالِ احد حامدا له عليه او فصلّ له حامدا على نعمه روى انّه لمّا دخل مكّة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلّى ثمان ركعات او فنزّهه عمّا كانت الظلمة يقولون فيه حامدا له على أنْ صَدَقَ وعدَه او فأثنِ على اللّه تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام وَاسْتَغْفِرْهُ هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عم انّى لاستغفر اللّه فى اليوم والليلة مائة مرّة وقيل استغفره لأُمّتك ، وتقديم التسبيح على الحمد ثمّ الحمد على الاستغفار على طريق النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيئا الّا ورأيت اللّه قبله اِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا لمن استغفره مذ خلق المكلّفين ، والاكثر على انّ السورة نزلت قبل فتح مكّة وانّه نَعىٌ لرسول اللّه صلعم لانّه لمّا قرأها بكى العبّاس فقال عم ما يُبكيك فقال نُعِيَتْ اليك نفسُك قال انّها لَكما تقول ولعلّ ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهى كقوله اليوم اكملتُ

لكم دينكم او لانّ الامر بالاستغفار تنبيهٌ على دنوّ الاجل ولهذا سُمّيت سورة التوديع ، وعنه عم من قرأ جزء ٣٠
سورة اذا جاء أُعطى من الاجر كمن شهد مع محمّد يوم فتح مكّة ٠ ركوع ٣٥

سُورَةُ تَبَّتْ

مكّيّة وآيها خمس آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) تَبَّتْ هلكت او خسرت والتباب خسران يؤدّى الى الهلاك يَدَا أَبِى لَهَبٍ نفسه كقوله ولا تُلْقُوا ركوع ٣٦
بأيديكم الى التهلكة وقيل انّما خُصّتا لانّه عم لمّا نزل عليه وأَنْذِرْ عشيرتَك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم
فقال ابو لهب تبًّا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه وأخراه ، وانّما
كنّاه والتكنية تكرمةٌ لاشتهاره بكنيته ولانّ اسمه عبد العُزّى فاستكره ذكره ولانّه لمّا كان من اصحاب
النار كانت الكنية اوفق بحاله وليجانس قوله ذات لهب وقرئ أَبُو لَهَبٍ كما قيل علىُّ بنُ أَبُو طالب
وَتَبَّ اخبار بعد اخبار والتعبيرُ بالماضى لتحقّق وقوعه كقوله

جزانى جزاه اللّهُ شرَّ جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فَعَلْ

ويدلّ عليه انّه قرئ وَقَدْ تَبَّ او الاوّل اخبار عمّا كسبت يداه والثانى عن عمل نفسه (٢) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ
نفىٌ لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهامُ انكار له ومحلّها النصب وَمَا كَسَبَ وكسبُه او
مكسوبُه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والأتباع او عمله الّذى ظنّ انّه ينفعه او ولده عُتْبة وقد
افترسه اسد فى طريق الشأم وقد احدق به العيرُ ومات ابو لهب بالعَدَسة بعد وقعة بدر بأيّام معدودة
وتُرك ثلاثا حتّى انتن ثمّ استأجروا بعض السودان حتّى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابَقه وقوعُه
(٣) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ اشتعالٍ يريد نار جهنّم وليس فيه ما يدلّ على انّه لا يؤمن لجوازِ ان يكون
صُلِيّها بالفسق وقرئ سَيُصْلَى بالضمّ مخففا وسَيُصَلَّى مشدّدا (٤) وَٱمْرَأَتُهُ عطف على المستكنّ فى سيصلى
او مبتدأ وهى امّ جُمَيْل اختُ ابى سفيان حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ يعنى حطبَ جهنّم فانّها كانت تحمل الاوزار
بمعاداة رسول اللّه صلعم وتحمل زوجَها على ايذائه او النميمةَ فانّها كانت توقد نار الخصومة او حُزْمةَ
الشوك او الحَسَك كانت تحملها فتنثرها بالليل فى طريق رسول اللّه صلعم ، وقرأ عاصم بالنصب على
الشتم (٥) فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ اى ممّا مُسد اى فُتل ومنه رجل ممسود الخلق اى مجدوله وهو
ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطّابة الّتى تحمل الحزمة وتربطها فى جيدها تحقيرا لشأنها او
بيانا لحالها فى نار جهنّم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنّم كالزقّوم والضريع وفى جيدها
سلسلة من النار ، والظرف فى موضع الحالِ او الخبرِ وحبلٌ مرتفع به ، عن النبىّ صلعم من قرأ تبّت رجوت
ان لا يجمع اللّه بينه وبين ابى لهب فى دار واحدة ٠

سُورَةُ ٱلْإِخْلَاصِ

مختلف فيها وآيها اربع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ٣٠ (١) قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ الضمير للشأن كقولك هو زيدٌ منطلقٌ وارتفاعُه بالابتداء وخبرُه الجملة ولا حاجة
ركوع ٣٧ الى العائد لانّها هى هو او لما سُئل عنه اى الّذى سألتمونى عنه هو اللّه اذ رُوى انّ قريشا قالوا يا محمّد صِفْ لنا ربّك الّذى تدعونا اليه فنزلت ، وأحد بدلٌ او خبرٌ ثانٍ يدلّ على مجامع صفات الجلال كما دلّ اللّه على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقىّ ما يكون منزّه الذات عن أنحاء التركيب والتعدّد وما يستلزم احدَهما كالجسميّة والتحيّز والمشاركة فى الحقيقة وخواصّها كوجوب الوجود والقدرة الذاتيّة والحكمة التامّة المقتضية للالوهيّة ، وقرئ هُوَ ٱللَّهُ بلا قُلْ مع الاتّفاق على انّه لا بدّ منه فى قل يا ايّها الكافرون ولا يجوز فى تبّت ولعلّ ذاك لانّ سورة الكافرون مشاقّة الرسول او موادعته لهم وتبّت معاتبة عمّه فلا يناسب ان يكون منه وامّا هذا فتوحيد يقول به تارةً ويؤمر بأن يدعو اليه اخرى (٢) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ السيّد المصمود اليه فى الحوائج من صَمَدَ اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانّه يستغنى عن غيره مطلقا وكلّ ما عداه يحتاج اليه فى جميع جهاته وتعريفُه لعلمهم بصمديّته بخلاف احديّته وتكريرُ لفظ اللّه للاشعار بانّ من لم يتّصف به لم يستحقّ الالوهيّة واخلاء الجملة عن العاطف لانّها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها (٣) لَمْ يَلِدْ لانّه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يُعينه او يَخْلُف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ، ولعلّ الاقتصار على لفظ الماضى لوروده ردّا على من قال الملائكة بنات اللّه او المسيح ابن اللّه او ليطابق قولَه وَلَمْ يُولَدْ وذلك لانّه لا يفتقر الى شىء ولا يسبقه عَدَمٌ (٤) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ اى ولم يكن احد يكافئه او يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخّر الظرف لانّه صلة كفوًا لكن لمّا كان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى قُدّم تقديما للاهمّ ويجوز ان يكونَ حالا من المستكنّ فى كفوًا او خبرا ويكونَ كفوًا حالا من احدٌ ، ولعلّ رَبْط الجمل الثلاث بالعطف لانّ المراد منها نفىُ اقسام الامثال فهى كجملة واحدة منبّهة عليها بالجمل ، وقرأ حمزة ويعقوب ونافع فى رواية كُفْوًا بالتخفيف وحفص كُفُوًا بالحركة وقلب الهمزة واوا ، ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهيّة والردّ على من ألحد فيها جاء فى الحديث انّها تعدل ثُلُثَ القران فانّ مقاصده محصورة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومَنْ عدّلها بكلّه اعتبر المقصود بالذات من ذلك ، وعن النبىّ صلعم انّه سمع رجلا يقرؤها فقال وجبَتْ قيل يا رسول اللّه وما وجبت قال وجبت له الجنّة ٥

سُورَةُ الْفَلَقِ

مختلف فيها وآيها خمس آيات

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(١) قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ما يُفْلَق عنه اى يُفرَق كالفَرَق فَعَلٌ بمعنى مفعول وهو يعمّ جميع الممكنات فانّه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيّما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويخصّ عُرْفا بالصبح ولذلك فُسّر به وتخصيصه لما فيه من تغيّر الحال وتبدّل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بانّ من قدر ان يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه ، ولفظ الربّ هنا اوقع من سائر اسمائه تعالى لانّ الاعاذة من المضارّ تربية (٢) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ خصّ عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشرّ فيه فانّ عالم الامر خيرٌ كلّه وشرّه اختياريّ لازم ومتعدّ كالكفر والظلم وطبيعيّ كاحراق النار واهلاك السموم (٣) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ ليل عظيم ظلامه من قوله الى غَسَقِ الليل وأصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعه اذا وَقَبَ دخل ظلامه فى كلّ شىء وتخصيصه لانّ المضارّ فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل أَخْفَى للويل وقيل المراد به القمر فانّه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله فى الكسوف (٤) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ومن شرّ النفوس او النساء السواحر اللّاتى يعقدن عُقَدا فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما رُوى انّ يهوديّا سحر النبىّ صلعم فى احدى عشرة عقدة فى وَتَر دسّه فى بئر فمرض عليه الصلاة والسلام ونزلت المعوّذتان واخبره جبريل عم بموضع السحر فارسل عليّا كرّم اللّه وجهه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلّما قرأ آية انحلّت عقدة ووجد بعض الخفّة ولا يوجب ذلك صدْقَ الكَفَرة فى انّه مسحور لانّهم ارادوا به انّه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطالُ عزائم الرجال بالحِيَل مستعار من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلّها ، وافرادها بالتعريف لانّ كلّ نفّاثة شريرة بخلاف كلّ غاسق وحاسد (٥) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ اذا اظهر حسده وعَمِلَ بمقتضاه فانّه لا يعود ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخصّ به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانّه العُمْدة فى اضرار الانسان بل الحيوان غيرَه ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقُوَى وبالنفّاثات النباتاتُ فانّ قواها النباتيّة من حيث انّها تزيد فى طولها وعرضها وعمقها كانّها تنفث فى العقد الثلاث وبالحاسد الحيوانُ فانّه انّما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعلّ افرادها من عالم الخلق لانّها الاسباب القريبة للمضرّة ، عن النبىّ صلعم لقد أُنزلت علىّ سورتان ما أُنزل مثلهما وانّك لن تقرأ سورتين احبّ ولا ارضى عند اللّه منهما يعنى المعوّذتين ٠

جزء ٣٠ ركوع ٣٨

سُورَةُ ٱلنَّاسِ

مختلف فيها وآيها ستّ آيـات

بِسْــــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جزء ٣٠ ركوع ٣٩ (١) قُلْ أَعُوذُ وقرئ فى السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام بِرَبِّ ٱلنَّاسِ لمّا كانت الاستعاذة فى السورة المتقدّمة من المضارّ البدنيّة وهى تعمّ الانسان وغيره والاستعاذة فى هذه السورة من الأضرار الّتى تعرض النفوس البشريّة وتخصّها عمّم الاضافة ثمّ خصّصها بالناس ههنا فكانّه قيل اعوذ من شرّ الموسوس الى الناس بربّهم الّذى يملك امورهم ويستحقّ عبادتهم (٢) مَلِكِ ٱلنَّاسِ (٣) إِلٰهِ ٱلنَّاسِ عطف بيان له فانّ الربّ قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الٰها وفى هذا النظم دلالةٌ على انّه حقيق بالاعانة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعارٌ على مراتب الناظر فى المعارف فانّه يعلم اوّلا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة انّ له ربّا ثمّ يتغلغل فى النظر حتّى يتحقّق انّه غنىّ عن الكلّ وذات كلّ شىء له ومَصارف امره منه فهو الملك الحقّ ثمّ يستدلّ به على انّه المستحقّ للعبادة لا غيرُ ، وتدرّج فى وجوه الاستعاذة كما يُتدرّج فى الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلةَ اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها ، وتكريرُ الناس لما فى الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان (٤) مِنْ شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ اى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأمّا المصدر فبالكسر كالزِلزال والمراد به الموسوس وسُمّى بفعله مبالغةً ٱلْخَنَّاسِ الّذى عادته ان يَخْنُس اى يتأخّر اذا ذكر الانسانُ ربّه (٥) ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ اذا غفلوا عن ذكر ربّهم وذلك كالقوّة الوهميّة فانّها تُساعد العقلَ فى المقدّمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشكّكه ، ومحلُّ الّذى الجرُّ على الصفة او النصبُ او الرفعُ على الذمّ (٦) مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ بيانٌ للوسواس او للّذى او متعلّقٌ بيوسوس اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجنّة والناس وقيل بيانٌ للناس على انّ المراد به ما يعمّ الثقلين وفيه تعسّفٌ الّا ان يراد به الناسى كقوله تعالى يوم يَدْعُ الداعِ فانّ نسيان حقّ اللّه تعالى يعمّ الثقلين ، عن النبىّ صلعم من قرأ المعوّذتين فكانّما قرأ الكتب الّتى انزلها اللّه تعالى ۞

قال المصنّف رحمه اللّه تعالى وقد اتّفق اتمام تعليق سواد هذا الكتابِ المنطوى على فرائد فوائد ذوى الالباب المشتملِ على خلاصة اقوال اكابرِ الائمّة وصفوة آراء أعلام الأمّة فى تفسير القران وتحقيق معانيه والكشف عن عويصات الفاظه ومعجزات مبانيه مع الايجاز الخالى عن الاخلال والتلخيص العارى عن الاضلال الموسومِ بأنوار التنزيل وأسرار التأويل واسأل اللّه تعالى ان يتمّمَ نفعه للطّلّاب ولا يُخلِىَ سعى من يتعب فيه من الاجر والثواب ويختمَ كلّ خاتمة امرئٍ يومّه بتمحيص عن الآثام ويبلّغنى اعلى منازل دار السلام فى جوار العلّيّين من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ اولئك رفيقا وهو

سبحانه حقيق بأن يحقق رجاء الراجين تحقيقا والحمد لله ربّ العالمين والصلوة والسلام على خير
خلقه محمّد وآله وصحبه الطيّبين الطاهرين واتباعهم اجمعين ✿

تمّ بحمد الله طبع متن هذا الكتاب الجليل * المسمّى بانوار التنزيل
واسرار التأويل * من تصانيف القاضي البيضاوىّ العلّامة النقّاد * الّذى
فى فنّ التفسير لمن بعده عماد * لليلتين بقيتا من
جمادى الآخرة سنة ١٢٦٤ الهجريّة النبويّة * وهو موافق
لليوم الاوّل من شهر يونيوس سنة ١٨٤٨ الميلاديّة
المسيحيّة * وسيتلوه فهرست الاسماء
واللغات * ان شاء من تلقّى
منه آدم
كلمات ✿

MEMORIAE

JOANNIS JACOBI REISKII

VIRI INCOMPARABILIS

LITERARUM ARABICARUM INTER GERMANOS PRINCIPIS

QUI

NOVAM LINGUAE ARABICAE IN ACADEMIA LIPSIENSI PROFESSIONEM

ANTE HOS IPSOS C ANNOS d. XXI. Aug. A. MDCCXLVIII

AUSPICATUS EST

HANC COMMENTARII BEIDHAWIANI EDITIONEM

PIO GRATOQUE ANIMO CONSECRAVIT

H. O. FLEISCHER.

BEIDHAWII

COMMENTARIUS IN CORANUM

EX CODD. PARISIENSIBUS DRESDENSIBUS ET LIPSIENSIBUS

EDIDIT

INDICIBUSQUE INSTRUXIT

H. O. FLEISCHER

DR. THEOL. ET PHILOS. ET LL. OO. P. O. LIPS.

VOLUMEN II.

LIPSIAE, MDCCCXLVIII

SUMTIBUS FRIDERICI CHRISTIANI GUILIELMI VOGELII.

TYPIS GUIL. VOGELII, FILII.

انوار التنزيل واسرار التأويل

للقاضي الامام العلامة
ناصر الدين ابي سعيد عبد الله بن عمر
البيضاوي

المجلد الثاني


THE UNIVERSITY OF MICHIGAN
LIBRARIES
THE UNIVERSITY OF MICHIGAN
ARTES SCIENTIA VERITAS
1817